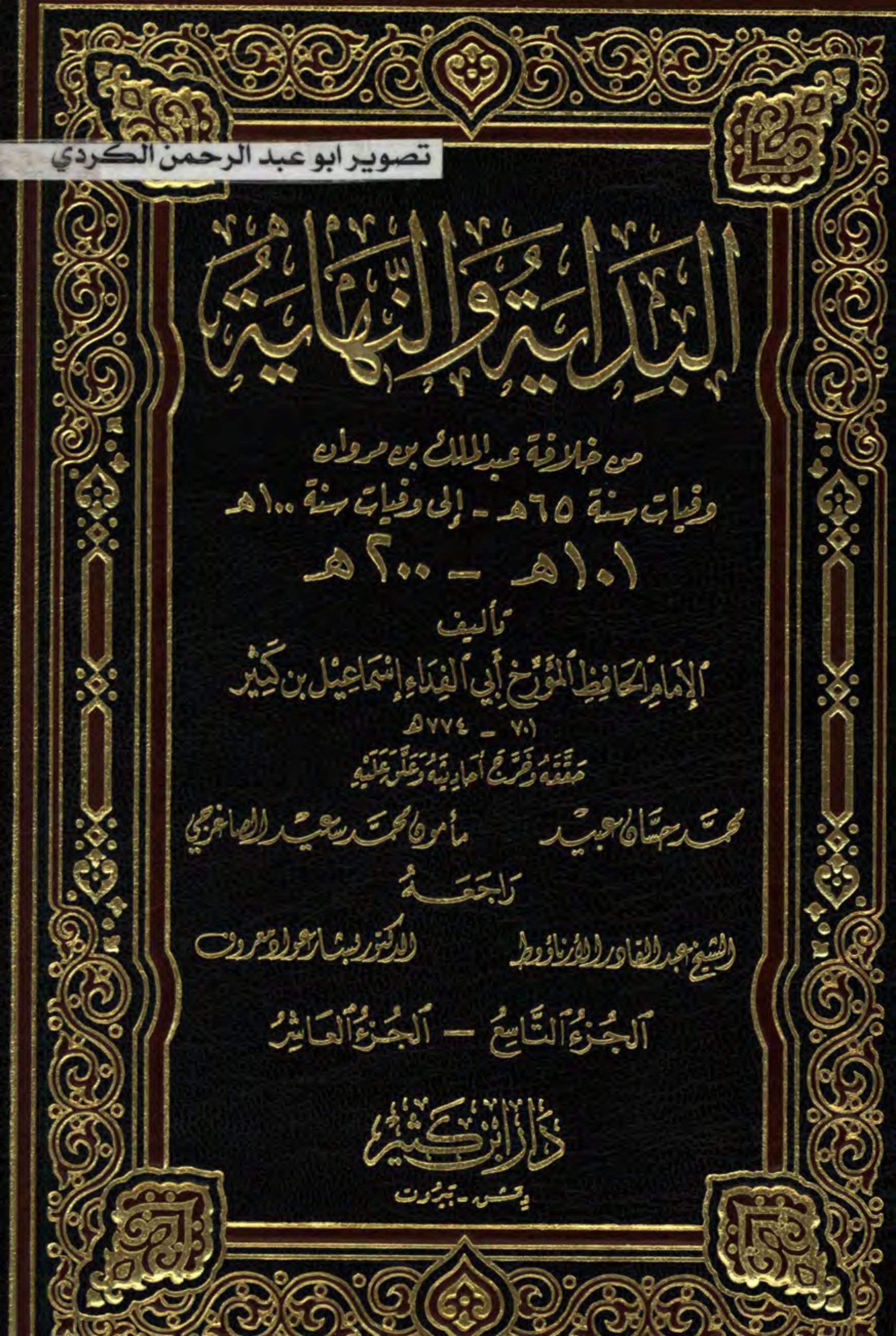


تصوير ابو عبد الرحمن الكردي
البداية والنهاية
من خلافة عبد الملك بن مروان
وفيات سنة ٦٥هـ - إلى وفيات سنة ١٠٠هـ
١٠١هـ - ٢٠٠هـ
تأليف
الإمام الحافظ المؤرخ أبي الفداء إسماعيل بن كثير
٧٠١ - ٧٧٤هـ
حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه
محمد حسان عبيد
مأمون محمد سعيد الصاغرجي
راجعه
الشيخ عبد القادر الأرناؤوط
الدكتور بشار عواد معروف
الجزء التاسع - الجزء العاشر
دار ابن كثير
دمشق - بيروت

منتدى اقرأ الثقافي

www.iqra.forumarabia.com



الطبعة الأولى

1428 هـ ـ 2007 م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع
والتصوير و النقل و الترجمة و التسجيل المرئي و المسموع
و الحاسوبي و غيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من

دار ابن كثير

للطباعة و النشر و التوزيع
دمشق ـ بيروت

الرقم الدولي :

الموضوع : تاريخ

العنوان : البداية و النهاية 20/1

التأليف : الإمام الحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير

نوع الورق : شاموا

ألوان الطباعة : لونان

عدد الصفحات : 10128

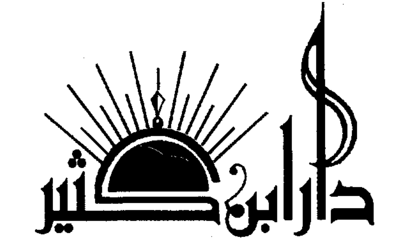
القياس : 17×24

نوع التجليد : فني - كعب لوحة

الوزن : 16 كغ

التنفيذ الطباعي : مطبعة ايبكس

التجليد : مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد



دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا ـ بناء الجابي

ص.ب : 311 ـ هاتف : 2225877 ـ 2228450 ـ فاكس : 2243502

بيروت ـ برج أبي حيدر ـ خلف دبوس الأصلي ـ بناء الحديقة

ص.ب : 113/6318 ـ تلفاكس : 01/817857 – جوال : 03/204459

www.ibn-katheer.com - info@ibn-katheer.com



من خلافة عبد الملك بن مروان
وفيات سنة ٦٥هـ - إلى وفيات سنة ١٠٠هـ

تأليف

الإمام الحافظ المؤرخ أبي الفداء إسماعيل بن كثير
٧٠١ - ٧٧٤هـ

حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه

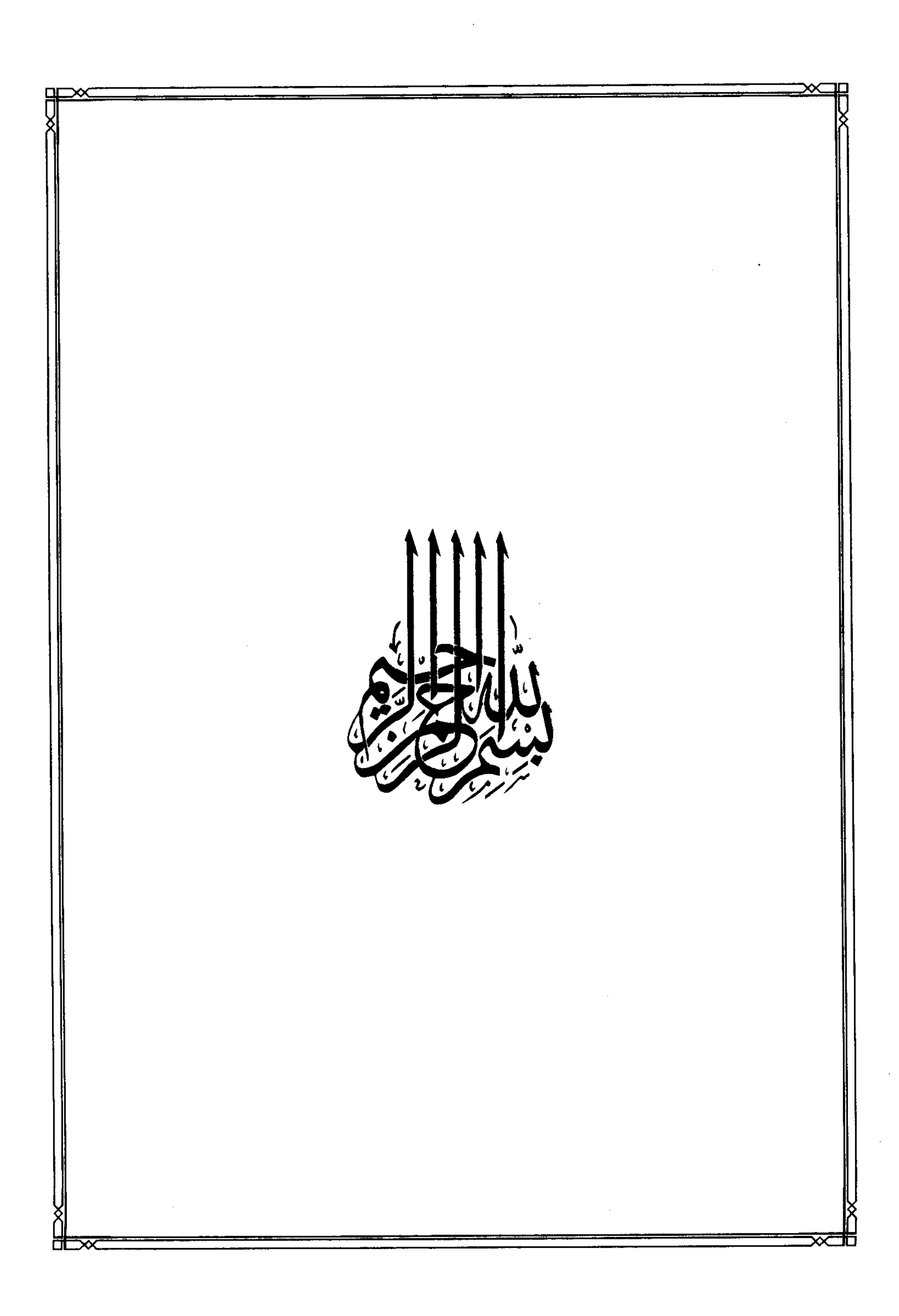
محمد حسان عبيد

راجعه

الشيخ عبد القادر الأرناؤوط
الدكتور بشار عواد معروف

الجزء التاسع

دار ابن كثير
دمشق - بيروت


بسم الله الرحمن الرحيم

خلافة عبد الملك بن مروان

بُويعَ له بالخلافة في حياة أبيه ، فلما مات أبوه في ثالث رمضان من هذه السنة أعني سنة خمس وستين[١] جددت له البيعة بدمشق ومصر وأعمالهما ، فاستقرت يده على ما كانت يد أبيه عليه ، وقد كان أبـوه قبل وفاته بعث بعثين أحدهما مع عبيد الله بن زياد إلى العراق لينزعها[٢] من نواب ابن الزبير ، فلقي في طـريقه جيش التوابين مع سليمـان بن صُرَد عند عين الوردة[٣] ، فكان من أمرهم ما قدمناه[٤] ، من ظفره بهم ، وقتله أميرهم وأكثرهم . والبعث الآخر مع حُبَيش[٥] بن دُلَجة إلى المدينة ليرتجعها من نائب ابن الزبير ، فسار نحوها ، فلما انتهى إليها هرب نائبها جابر بن الأسود بن عوف ـ وهو ابن أخي عبد الرحمن بن عوف ـ فجهَّز نائب البصرة من قِبل ابن الزبير وهو الحـارث بن عبد الله بن ربيعة ، جيشاً من البصرة إلى ابن دُلَجة ليخرجوه من المدينة ، فلما سمع بذلك حُبَيش بن دُلَجة سار إليهم . وبعث ابن الزبير عباس بن سهل بن سعد نائباً على المدينة ، وأمره أن يسير في طلب حُبَيش ، فسار في طلبهم حتى لحقهم بالرَّبَذة فرمى يزيد بن سياه[٦] حُبيشاً بسهم فقتله ، وقُتل بعضُ أصحـابه ، وهُـزم الباقون ، وتحصَّن منهم خمسمئة في المدينة ثم نزلوا على حكم عباس بن سهل فقتلهم صبراً ورجع فلُّهم[٧] إلى الشام .

قال ابن جرير[٨] : ولما دخل يزيد بن سياه الأسواري قاتل حبيش بن دلجة إلى المدينة مع عباس بن

---

(١) في ط : منها . وقد قمنا في هذا الجزء بمقابلة المطبوع (ط) مع نسخة الأحمدية (أ) ونسخة برلين (ب) وانتهجنا إثبات ما وافقت عليه الأصول الثلاثة أولاً مع التأكد من صحة الخبر في مصادر المؤلف ، ثم نثبت ما وافقت عليه النسختان وإذا وجدت زيادة من ط أو إحدى النسخ وضعناها بين معقوفين أو أشرنا لذلك في الهامش .

(٢) في ط : لينتزعها ، والخبر بأوسع مما هنا في تاريخ الطبري (٥/ ٥٨١ ـ ٥٩٩) وتاريخ ابن الأثير (٤/ ١٨٥) .

(٣) عين الوردة : بلدة تسمى حالياً رأس العين على أحد روافد الخابور .

(٤) سبق ذكر الخبر ضمن أحداث هذه السنة ٦٥هجرية .

(٥) الضبط من توضيح المشتبه لابن ناصر الدين الدمشقي (٣/ ٤٦١ ـ ٤٦٢) وفيه : وحبيش هذا ـ فيما ذكره ابن دريد ـ أول أمير أكل على منبر رسول الله ﷺ . ودُلجة : كهُمزة ، قيده الزبيدي في التاج (دلج) .

(٦) في الكامل لابن الأثير (٤/ ١٩١) : يزيد بن سنان ، وفي تاريخ الطبري (٥/ ٦١٢) : جاءه سهم غرب فقتله ، ثم ساق رواية أخرى عن علي بن محمد قال : الذي قتل حبيش بن دُلجة يوم الربذة يزيد بن سياه الأسواري .

(٧) في أ : أقلهم ، وما أثبت موافق للطبري .

(٨) تاريخ الطبري (٥/ ٦١٢) .

سهل كان عليه ثياب بياض وهو راكب برذوناً[١] أشهب ، فما لبث أن اسودَّت ثيابه ودابته[٢] مما يتمسّح الناس به ، ومن كثرة ما صَبّوا عليه من الطيب والمسك .

وقال ابن جرير[٣] : وفي هذه السنة اشتدت شوكة الخوارج بالبصرة ، وفيها قَتَلَ نافعُ بن الأزرق [ـ وهو رأس الخوارج ورأس أهل البصرة ـ مسلمَ بن عُبيس فارس أهل البصرة ، ثم قتله ربيعة السَّلوطي وقُتل بينهما نحو خمسة أمراء ، وقُتل في وقعة الخوارج قُرَّة بن إياس المزني أبو معاوية ، وهو من الصَّحابة .

ولما قُتل نافع بن الأزرق رأَّست الخوارجُ عليهم عبيد الله بن ماحوز ، فسار بهم إلى المدائن فقتلوا أهلها ثم غلبوا على الأهواز وغيرها ، وجبَوا الأموال وأتتهم الأمداد من اليمامة والبحرين ، ثم ساروا إلى أصفهان وعليها عَتَّاب بن ورقاء الرياحي ، فالتقاهم فهزمهم ، ولما قتل أمير الخوارج ابنَ ماحوز كما سنذكر ، أقاموا عليهم قَطريّ بن الفُجاءة أميراً .

ثم أورد [ابن جرير][٤] قصة قتالهم مع أهل البصرة بمكان يقال له دولاب[٥] ، وكانت الدولة للخوارج على أهل البصرة ، وخاف أهل البصرة من الخوارج أن يدخلوا البصرة ، فبعث عبد الله بن الزبير فعزل نائبها عبد الله بن الحارث المعروف ببَبَّة[٦] ، بالحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المعروف بالقباع ، وأرسل ابن الزبير المهلَّب بن أبي صفرة الأزدي على عمل خراسان ، فلما وصل إلى البصرة قالوا له : إن قتال الخوارج لا يصلح إلا لك ، فقال : إن أمير المؤمنين قد بعثني إلى خراسان ، ولست أعصي أمره . فاتفق أهل البصرة مع أميرهم الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة على أن كتبوا كتاباً[٧] على لسان ابن الزبير إلى المهلّب يأمره فيه بالمسير للخوارج ليكفهم عن الدخول إلى البصرة ، فلما قُرىء عليه الكتاب اشترط على أهل البصرة أن يقوي جيشه من بيت مالهم ، وأن يكون له ما غلب عليه من أموال الخوارج ، فأجابوه إلى ذلك ، ويقال إنهم كتبوا بذلك إلى ابن الزبير فأمضى لهم ذلك وسوّغه ، فسار إليهم المهلب . وكان شجاعاً بطلاً صنديداً ، فلما التقى هو والخوارج[٨] أقبلوا إليه يزفّون في عدَّةٍ لم يُرَ مثلها من الدروع والزرود

---

(١) البرذون : دابة ، وما كان من غير نتاج العِراب . اللسان (برذن) .

(٢) في تاريخ الطبري : ورأيته ؛ تحريف .

(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٦١٣) .

(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٦١٥) .

(٥) دولاب : قرية بينها وبين الأهواز أربعة فراسخ ، كانت بها وقعة بين أهل البصرة وبين الخوارج . معجم البلدان (٢/ ٥٥٢) .

(٦) قال ابن ناصر الدين : ببَّه ـ بفتح الموحدتين ، والثانية مشددة ، تليها هاء ـ لقب عبد الله بن الحارث بن نوفل الهاشمي ، تابعي . توضيح المشتبه (١/ ٣٣٦) .

(٧) نص الكتاب في تاريخ الطبري (٥/ ٦١٥ـ٦١٦) وفي الأخبار الطوال (٢٧١) : أن الحارث بن عبد الله كتب إلى ابن الزبير يسأله أن يأمر المهلّب بالسير إلى الخوارج ، فكتب ابن الزبير إلى المهلّب .

(٨) في ط : فلما أراد قتال الخوارج .

والخيول والسلاح ، وذلك أن لهم مدة يأكلون تلك النواحي ، وقد صار لهم تحمّل عظيم مع شجاعة لا تدانى ، وإقدام لا يساوى ، وقوة لا تبارى[١] ، وسَبْق إلى حومة الوغى لا تجارى[٢] ؛ فلما تواقف الناس بمكان يقال له سلَّىٰ أو سِلّبرى[٣] ، اقتتلوا قتالاً شديداً عظيماً ، وصبر كل من الفريقين صَبراً باهراً ، وكان في نحو من ثلاثين ألفاً ؛ ثم إن الخوارج حملوا حملة منكرة ، فانهزم أصحاب المهلّب لا يلوي والد على ولد ، ولا يلتفت أحد إلى أحد ، ووصل إلى البصرة فُلاَّلُهم .

وأما المهلّب فإنه سبق المنهزمين فوقف لهم بمكان مرتفع ، وجعل ينادي : إليَّ عباد الله ، فاجتمع إليه من جيشه ثلاثة آلاف من الفرسان الشجعان ، فقام فيهم خطيباً فقال في خطبته : أما بعد أيها الناس ، فإن الله تعالى ربما يكل الجمع الكثير إلى أنفسهم فيُهزمون ويُنزل النصر على الجمع اليسير فيَظهرون ، ولعمري ما بكم الآن من قلة ، وأنتم فرسان المِصْرِ[٤] وأهل النَّصر ، وما أحب أن أحداً ممن انهزموا معكم الآن : ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ﴾ [التوبة : ٤٧] ثم قال : عزمت على كلِّ رجل منكم إلّا أخذ عشرة أحجار معه ، ثم امشوا بنا إلى عسكرهم فإنهم الآن آمنون ، وقد خرجت خيولهم في طلب إخوانكم ، فوالله إني لأرجو أن لا ترجع خيولهم حتى تستبيحوا[٥] عسكرهم ، وتقتلوا أميرهم .

ففعل الناس ذلك ، فزحف بهم المهلّب بن أبي صفرة على معشر الخوارج فقتل منهم خلقاً كثيراً نحواً من سبعة آلاف ، وقتل عبيد الله[٦] بن الماحوز في جماعة كثيرة من الأزارقة ، واحتاز من أموالهم شيئاً كثيراً ، وقد أرصد المهلّب خيولاً بينه وبين الذين يرجعون من طلب أهل البصرة[٧] ، فجعلوا يقتطعون دون قومهم ، وانهزم فَلّهم إلى كرمان وأرض أصبهان ، وأقام المهلّب بالأهواز حتى قدم مصعب بن الزُّبير إلى البصرة ، وعزل عنها الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة كما سيأتي بيانه .

قال ابن جرير[٨] : وفي هذه السنة وجه مروان بن الحكم قبل مهلكه ابنه محمداً إلى الجزيرة ، وذلك قبل مسيره إلى مصر . قلت : محمد بن مروان هذا هو والد مروان الحمار ، وهو مروان بن محمد بن مروان ، وهو آخر خلفاء بني أمية ، ومن يده استلبت الخلافةَ العباسيون كما سيأتي .

---

(١) في ط : لا تجارى .
(٢) قوله : « لا تجارى » سقط من ط ، واستدركناه من م .
(٣) سِلَّىٰ : بكسر أوله وثانيه وتشديده وقصر الألف ، وقيل : بالضم وفتح اللام . وأما سلبرى ، فبكسر أوله وثانيه وتشديده وباء موحدة وراء مفتوحة وألف مقصورة ، وكلاهما اسم لموضع واحد ، وهو من نواحي خوزستان قرب جنديسابور ، وهي مناذر الصغرى ، وكانت بها وقعة للخوارج مع المهلب بن أبي صفرة (معجم البلدان ٣/ ٢٣٢) .
(٤) في ط : الصبر ؛ وما أثبت عن أ وم والطبري .
(٥) في ط : إلا وقد استبحتم ؛ وما أثبت عن أ وم والطبري .
(٦) في الكامل لابن الأثير (٤/ ١٩٥) عبد الله .
(٧) في ط : المنهزمين .
(٨) تاريخ الطبري (٥/ ٦٢٢) .

قال ابن جرير[١] : وفي هذه السنة عزل ابن الزبير أخاه عبيدة[٢] عن إمرة المدينة وولّاها أخاه مصعباً ، وذلك أن عبيدة خطب الناس فقال في خطبته : وقد رأيتم ما صنع الله بقوم صالح في ناقة قيمتها خمسمئة درهم ، فلما بلغت أخاه قال : إن هذا لهو التكلّف ، وعزله . ويسمى عبيدة مقوِّم الناقة لذلك .

قال ابن جرير : وفي آخرها عزل ابن الزبير عن الكوفة عبد الله بن يزيد الخَطمي ، وولّى عليها عبد الله بن مطيع الذي كان أمير المهاجرين يوم الحرَّة ، لمَّا خلعوا يزيد[٣] .

قال ابن جرير[٤] : وفي هذه السنة كان الطاعون الجارف بالبصرة .

وقال ابن الجوزي في المنتظم[٥] : كان في سنة أربع وستين، وقد قيل إنما كان في سنة تسع[٦] وستين، وهذا هو المشهور الذي ذكره شيخنا الذهبي[٧] وغيره ، وكان معظم ذلك بالبصرة ، وكان ذلك في ثلاثة أيام ، فمات في أول يوم من الثلاثة من أهل البصرة سبعون ألفاً ، وفي اليوم الثاني منها إحدى وسبعون ألفاً ، وفي اليوم الثالث منها ثلاثة وسبعون ألفاً ، وأصبح الناس في اليوم الرابع موتى إلَّا قليل من آحاد الناس ، حتى ذُكر أن أم الأمير بها ماتت فلم يوجد لها من يحملها ، حتى استأجروا لها أربعة أنفس .

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني[٨] : حدَّثنا عبيد الله ، حدثنا أحمد بن عصام ، حدَّثني معدي ، عن رجلٍ يكنى أبا النفيد[٩] ـ وكان قد أدرك من هذا الطاعون ـ قال : كنّا نطوف بالقبائل وندفن الموتى ، فلما كثروا لم نقو على الدفن ، فكنا ندخل الدار وقد مات أهلها فنسد بابها عليهم . قال فدخلنا داراً ففتشناها فلم نجد فيها أحداً حياً فسددنا بابها ، فلما مضت الطواعين كنا نطوف فنفتح تلك السدد عن الأبواب ، ففتحنا سدَّة الباب الذي كنا فتشناه ـ أو قال الدار التي كنا سددناها ـ وفتشناها فإذا نحن بغلام في وسط الدار طري دهين ، كأنما أُخذ ساعتئذ من حَجْر أمه ، قال : فبينما نحن وقوف على الغلام نتعجب منه إذ دخلت كلبة من شق في الحائط فجعلت تلوذ بالغلام والغلام يحبو إليها حتى مص من لبنها ، قال معدي : وأنا رأيت ذلك الغلام في مسجد البصرة وقد قبض على لحيته .

---

(١) المصدر نفسه نقلاً عن الواقدي .
(٢) في أ ، م ، ط : عبيد الله ؛ وما أثبت عن ب والطبري وابن الأثير .
(٣) بعد هذه اللفظة في أ : ذكر لوفيات هذه السنة ثم إيراد للخبر عن ابن جرير ، وأظنه تقديم من النساخ يخالف منهج المؤلف رحمه الله .
(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٦١٢ ـ ٦١٣) والخبر أيضاً في تاريخ ابن الأثير (٣/ ٢٨٩) .
(٥) المنتظم لابن الجوزي (٦/ ٢٥ ـ ٢٦) ط دار الكتب العلمية .
(٦) في أ : سبع ؛ خطأ .
(٧) تاريخ الإسلام للذهبي حوادث سنة (٦١ـ٨٠/ ص٦٦) ط دار الكتاب العربي ، والخبر أيضاً في تاريخ خليفة (٢٦٥).
(٨) الخبر بسنده في المنتظم لابن الجوزي (٦/ ٢٦) .
(٩) في أ : النفيل ؛ وما أثبت يوافق المنتظم .

قال ابن جرير[١] : وفي هذه السنة بنى عبد الله بن الزبير الكعبة البيت الحرام ، يعني أكمل بناءها وأدخل فيها الحِجْر ، وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر .

قال ابن جرير : حدَّثنا إسحاق بن أبي إسرائيل ، حدّثني عبد العزيز بن[٢] خالد بن رستم الصنعاني أبو محمد ، حدَّثني زياد بن جبل : أنه كان بمكة يوم كان عليها ابن الزبير ، فسمعته يقول : حدَّثتني أمي أسماء بنت أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال لعائشة : « لولا قرب عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على أساس إبراهيم فأزيد في الكعبة من الحِجْر » : قال : فأمر ابن الزبير فحفروا فوجدوا تلاعاً أمثال الإبل ، فحركوا منها تلعة ـ أو قال صخرة ـ فبرقت برقة فقال : أقروها على أساسها ، فبناها ابن الزبير وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر .

قلت : هذا الحديث له طرق متعددة عن عائشة في الصحاح والحسان والمسانيد[٣] ، وموضوع سياق طرق ذلك في كتاب « الأحكام » إن شاء الله تعالى .

وذكر ابن جرير[٤] في هذه السنة حروباً جرت بين عبد الله بن خازم بخراسان ، وبين الحَريش بن هلال القُرَيعي[٥] يطول تفصيلها .

قال : وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير ، وكان على المدينة مصعب بن الزبير ، وعلى الكوفة عبد الله بن مطيع ، وعلى البصرة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي [قُباع] .

قال الواقدي : وممن توفي فيها من الأعيان :

عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل ، أبو محمد السهمي[٦] كان من خيار الصحابة وعلمائهم وعبَّادهم ، كتب عن النبي ﷺ كثيراً ، أسلم قبل أبيه ، ولم يكن أصغر من أبيه إلا باثنتي عشرة سنة ، وكان

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٦٢٢) .
(٢) في أ ، ط : عن ؛ خطأ ، وما أثبت موافق للطبري .
(٣) الحديث أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٢٣٩) والبخاري في صحيحه رقم (١٥٨٦) في الحج ، ومسلم في صحيحه رقم (١٣٣٣) (٣٩٨) في الحج ، والنسائي في سننه (٥/ ٢١٦) في مناسك الحج ، وابن خزيمة برقم (٣٠٢١) وابن حبان في صحيحه بترتيب ابن بلبان (٩/ ١٢٥) رقم (٣٨١٦) .
(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٦٢٣ـ٦٢٦) والخبر أيضاً في تاريخ ابن الأثير (٣/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨) .
(٥) في ط : القزيعي ـ بالزاي ـ وما هنا عن أ والطبري وابن الأثير .
(٦) ترجمة ـ عبد الله بن عمرو بن العاص ـ في طبقات ابن سعد (٢/ ٣٧٣) و(٤/ ٢٦١ـ٢٦٨) وطبقات خليفة (الترجمة رقم ١٤٩) والتاريخ الكبير (٥/ ٥) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢٥١) . وأسد الغابة (٣/ ٢٤٩ ، ٣٥١) وتهذيب الكمال (١٥/ ٣٥٧ ـ ٣٦٣) وتاريخ الإسلام (٥/ ١٦١ ـ ١٦٧) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٨٠ ـ ٩٣) والإصابة (٢/ ٣٥١) وشذرات الذهب (١/ ٢٩٠) .

واسع العلم مجتهداً في العبادة ، عاقلاً ، وكان يلوم أباه في القيام مع معاوية ، وكان سميناً ، وكان يقرأ الكتابين القرآن والتوراة[١] ، وقيل إنه بكى حتى زاغت عيناه[٢] .

[وروي عنه أنه قال : دخلت على النبي ـ ﷺ ـ فقال لي : « يا عبد الله ألم أخبر أنك تكلفت قيام الليل وصيام النهار »؟

قلت : إني لأفعل ذلك . فقال : « حسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام » وذكر الحديث إلى قوله : « الأفضل من ذلك صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً »[٣] .

وقد استنابه معاوية على الكوفة[٤] ثم عزله عنها بالمغيرة بن شعبة .

توفي في هذه السنة بمصر ، وقيل[٥] بمكة ، وقيل بالشام .

أُسَيد بن ظُهَير الأنصاري[٦] ، شهد الخندق وغيرها ، توفي بالمدينة .

عبد الله بن مسعدة الفزاري[٧] ، له صحبة ، نزل دمشق وكان يدعى صاحب الجيوش لأنه كان أميراً على غزو الروم ، وقد بعثه يزيد مقدماً على جند دمشق في جيش الحرَّة ، وقيل : إنه من سبي فزارة ، وأوهبه النبي ـ ﷺ ـ لفاطمة فأعتقته .

سعيد بن مالك بن بحدل[٨] ، أخو حسان ولي إمرة الجزيرة وقنسرين ليزيد بن معاوية ،

---

(١) روى أحمد في مسنده (٢/ ٢٢٢) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٨٦) من حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال له : « تقرأ الكتابين : التوراة والفرقان » ، فكان يقرؤهما ، وإسناده حسن ، لأنه من رواية قتيبة بن سعيد عن ابن لهيعة وهو ممن سمع منه قبل احتراق كتبه .

(٢) في ط : عمي ، وفي تاريخ الإسلام : رسعت ـ أي التصقت ـ وفي السير : رمصت .

(٣) الحديث في مسند الإمام أحمد (٢/ ٢٠٠) والصحيحين البخاري (١٩٧٥) و(٦١٣٤) ، ومسلم (١١٥٩) وقال الذهبي في السير (٣/ ٩١) : وهذا الحديث له طرق مشهورة .

(٤) في أ : وقد ولاه معاوية مصر بعد موت أبيه . . ولم أجد في مصادر المؤلف رحمه الله من ذكر أن عبد الله بن عمرو تولى مصر لمعاوية ، إنما ولّاه الكوفة . كذا في تاريخ الإسلام والسير .

(٥) في ط : وقتل بمكة ؛ تحريف .

(٦) ترجمة ـ أسيد بن ظهير ـ في طبقات ابن سعد (٤/ ٣٦٩) والتاريخ الكبير (٢/ ٤٧) والاستيعاب (١/ ٩٥) وتاريخ الطبري (٢/ ٤٧٧ و٥٠٥) والكامل لابن الأثير (٤/ ٥٢٤) وأسد الغابة (١/ ٩٤ـ٩٥) وتهذيب الكمال (٣/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦) . وتاريخ الإسلام (٥/ ٧٤) والإصابة (١/ ١٢٣) .

(٧) ترجمة ـ عبد الله بن مسعدة ـ في تاريخ خليفة (٢٠٩) ومغازي الواقدي (٥٦٥) والاستيعاب (٣/ ٩٨٧) وتاريخ الطبري (٢/ ٦٤٣ و٥/ ١٣٤ و٣٣٤) والكامل لابن الأثير (٣/ ٣٧٦ و٣٧٧ و٤٩١) وأسد الغابة (٣/ ٣٦٧) وتاريخ الإسلام (٥/ ١٦٧) والإصابة (٣/ ٩٨٧) .

(٨) ترجمة ـ سعيد بن مالك بن بحدل ـ في تاريخ دمشق (٢١/ ٢٩١ ـ ٢٩٢) ط دار الفكر ، وتاريخ الإسلام للذهبي (٤/ ١٢١ ـ ١٢٢) وتهذيب تاريخ دمشق (٦/ ١٧٣ ـ ١٧٤) .

وكان شريفاً مطاعاً في قومه ، وإليه ينسب دير بحدل من عمل بيت الآبار[١] خارج دمشق][٢] .

ثم دخلت سنة ست وستين

ففيها وثب المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب بالكوفة ليأخذ بثأر الحسين بن علي فيما يزعم ، وأخرج عنها عاملها عبد الله بن مطيع ، وكان سبب ذلك أنه لما رجع أصحاب سليمان بن صُرد مغلولين[٣] إلى الكوفة وجدوا المختار بن أبي عبيد مسجوناً فكتب إليهم يعزِّيهم في [سليمان بن صُرد ويقول : أناعوضه وأنا أقتل قتلة الحسين . فكتب إليه رفاعة بن شداد . وهو الذي رجع بمن بقي من جيش التوابين : نحن على ما تحب ، فشرع المختار][٤] يعِدهم ويمنيهم وما يعدهم الكذاب[٥] إلا غروراً ، وقال لهم فيما كتب به إليهم خفية[٦] : أبشروا فإني لو قد خرجت إليهم جردت فيما بين المشرق والمغرب من أعدائكم السيف فجعلتهم بإذن الله ركاماً ، وقتلهم فذّاً[٧] وتؤاماً ، فرحب الله بمن قارب منهم واهتدى ، ولا يبعد الله إلا من أبى وعصى ، فلما وصلهم الكتاب قرؤوه سراً وردوا إليه : إنا كما تحب ، فمتى أحببت أخرجناك من محبسك ، فكره أن يخرجوه من مكانه على وجه القهر لنواب الكوفة ، فتلطف فكتب إلى زوج أخته صفية ، وكانت امرأة صالحة ، وزوجها عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فكتب يسأله أن يشفع في خروجه عند نائبي الكوفة عبد الله بن يزيد الخطمي وإبراهيم بن محمد بن طلحة ، فكتب ابن عمر إليهما يشفع عندهما فيه ، [فلم يمكنهما رده ، وكان فيما كتب إليهما ابن عمر : قد علمتما ما بيني وبينكما من الودّ ، وما بيني وبين المختار من القرابة والصهر ، وأنا أقسم عليكما لما خليتما سبيله والسلام][٨] .

فاستدعيا به فضمنه جماعة من أصحابه ، واستحلفه عبد الله بن يزيد إن هو بغى للمسلمين غائلة فعليه ألف بدنة ينحرها تجاه الكعبة ، وكل مملوك له عبد وأمة حر ، فالتزم لهما بذلك ، ولزم منزله ، وجعل يقول : قاتلهما الله ، أما حلفي[٩] بالله ، فإني لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا كفرت عن

---

(١) بيت الآبار : قرية يضاف إليها كورة من غوطة دمشق فيها عدة قرى . معجم البلدان (١/ ٦١٥) .

(٢) ما بين معكوفين ساقط بعضه من ط .

(٣) في ط : « مغلوبين » ، وما أثبتناه من أ ، م .

(٤) ما بين معقوفين ساقط من أ وم .

(٥) في م ، ط : الشيطان .

(٦) نص الكتاب في تاريخ الطبري (٦/ ٧) .

(٧) في ط : أفراداً ؛ وما أثبت موافق للطبري .

(٨) ما بين معكوفين ساقط من أ وم .

(٩) في ط : حلفاني .

يميني ، وأتيت الذي هو خير ، وأما إهدائي ألف بدنة فيسير ، وأما عتقي مماليكي فوددت أنه قد استتبَّ[١] لي هذا الأمر ولا أملك مملوكاً واحداً ، واجتمعت الشيعة عليه وكثر أصحابه وبايعوه في السرِّ ، وكان الذي يأخذ البيعة له ويحرض الناس عليه خمسة ، وهم السَّائب بن مالك الأشعريّ ، ويزيد بن أنس ، وأحمر[٢] بن شُمَيط ، ورفاعة بن شدّاد ، وعبد الله بن شداد الجُشَمي . ولم يزل أمره يقوى ويشتد ويستفحل ويرتفع ، حتى عزل عبد الله بن الزبير عن الكوفة عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة ، وبعث عبد الله بن مطيع على عملهما إلى الكوفة ، وبعث الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة نائباً على البصرة ، فلما دخل عبد الله بن مطيع المخزومي إلى الكوفة في رمضان سنة خمس وستين ، خطب الناس وقال في خطبته : إن أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير أمرني أن أسير فيكم[٣] بسيرة عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان . فقام إليه السائب[٤] بن مالك الشيعي[٥] فقال : لا نرضى إلا بسيرة علي بن أبي طالب التي سار بها في بلادنا ، ولا نريد سيرة عثمان ـ وتكلم فيه ـ ولا سيرة عمر وإن كان لا يريد للناس إلا خيراً ، وصدَّقه على ما قال بعض أمراء الشيعة ، فسكت الأمير وقال : إني سأسير فيكم بما تحبون من ذلك ، وجاء صاحب الشرطة وهو إياس بن مضارب العجلي[٦] إلى ابن مطيع فقال : إن هذا الذي يرد عليك من رؤوس أصحاب المختار ، ولست آمن من المختار ، فابعث إليه فاردده إلى السجن فإن عيوني قد أخبروني أن أمره قد استجمع له ، وكأنك به قد وثب في المصر . فبعث إليه عبد الله بن مطيع زائدة بن قُدامة وأميراً آخر معه[٧] ، فدخلا على المختار فقالا له : أجب الأمير . فدعا بثيابه وأمر بإسراج دابته ، وتهيأ للذهاب معهما ، فقرأ زائدة بن قدامة : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ [الأنفال : ٣٠] . فألقى المختار نفسه وأمر بقطيفة أن تلقى عليه ، وأظهر أنه مريض ، وقال : أخبرا الأمير بحالي ، فرجعا إلى ابن مطيع فاعتذرا عنه ، فصدقهما ولها عنه ، فلما كان شهر المحرم من هذه السنة عزم المختار على الخروج لطلب ثأر الحسين فيما يزعم ، فلما صمم على ذلك اجتمعت عليه الشيعة وثبطوه عن الخروج الآن إلى وقت آخر ، ثم أنفذوا طائفة منهم إلى محمد بن الحنفية يسألونه عن أمر المختار وما دعاهم إليه[٨] ، فلما اجتمعوا به كان ملخص ما قال لهم : إنا لا نكره أن ينصرنا الله بمن شاء من

---

(١) في ط : « استتم » وما أثبتناه من م وهو موافق للطبري .
(٢) تحرفت في أ ، ط إلى : أحمد .
(٣) في ط : فيئكم .
(٤) في أ : الثابت ، تحريف .
(٥) في الطبري (٦/ ٨) وابن الأثير (٣/ ٢٩١) الأشعري .
(٦) في ط : البجلي ، وما أثبت عن أ ، ب والفتوح لابن الأعثم (٢/ ٢٧٤) ط دار الفكر .
(٧) سماه الطبري (٦/ ١١) وابن الأثير (٣/ ٢٩٢) : حسين بن عبد الله البُرْسمي .
(٨) خبر خروج الشيعة إلى محمد ابن الحنفية في تاريخ الطبري (٦/ ١٢) وابن الأثير (٣/ ٢٩٣) والمنتظم لابن الجوزي (٦/ ٥١) والفتوح لابن الأعثم (٢/ ٢٧٥) .

خلقه ، وقد كان المختار بلغه مخرجهم إلى محمد بن الحنفية [فكره ذلك وخشي أن يكذِّبه فيما أخبر به عنه ، فإنه لم يكن بإذن محمد ابن الحنفية][١] وهمّ بالخروج قبل رجوع أولئك ، وجعل يسجع لهم سجعاً من سجع الكهان بذلك ، [ثم كان الأمر على ما سجع به][١] فلما رجعوا أخبروه بما قال ابن الحنفية ، فعند ذلك قوي أمر الشيعة على الخروج مع المختار بن أبي عبيد .

وقد روى أبو مخنف[٢] أن أمراء الشيعة قالوا للمختار : اعلم أن جميع أمراء الكوفة مع عبد الله بن مطيع وهم إلب علينا ، وإنه إن بايعك إبراهيم بن الأشتر النخعي وحده أغنانا عن جميع من سواه . فبعث إليه المختار جماعة يدعونه إلى الدخول معهم في الأخذ بثأر الحسين ، وذكّروه سابقة أبيه مع علي رضي الله عنه ، فقال : قد أجبتكم إلى ما سألتم ، على أن أكون أنا ولي أمركم ، فقالوا : إن هذا لا يمكن ، لأن المهدي قد بعث لنا المختار وزيراً له وداعياً إليه ، فسكت عنهم إبراهيم بن الأشتر ، فرجعوا إلى المختار فأخبروه ، فمكث ثلاثاً ثم خرج في جماعة من رؤوس أصحابه إليه ، فدخل على ابن الأشتر فقام إليه واحترمه وأكرمه وجلس إليه ، فدعاه إلى الدخول معهم ، وأخرج له كتاباً على لسان ابن الحنفية يدعوه إلى الدخول مع أصحابه من الشيعة فيما قاموا فيه من نصرة آل بيت النبي ﷺ ، والأخذ بثأر الحسين . فقال ابن الأشتر : إنه قد جاءتني كتب محمد ابن الحنفية بغير هذا النظام ، فقال المختار : إن هذا زمان وهذا زمان ، فقال ابن الأشتر : فمن يشهد أن هذا كتابه ؟ فتقدم جماعة من أصحاب المختار فشهدوا بذلك ، فقام ابن الأشتر من مجلسه وأجلس المختار فيه وبايعه ، ودعا لهم بفاكهة وشراب من عسل . قال الشعبي : وكنت حاضراً أنا وأبي أمر إبراهيم بن الأشتر . ذلك المجلس ، فلما انصرف المختار قال لي إبراهيم بن الأشتر : يا شعبي ما ترى فيما شهد به هؤلاء ؟ فقلت : إنهم قرّاء وأمراء ووجوه الناس ، ولا أراهم يشهدون إلا بما يعلمون ، قال : وكتمته ما في نفسي من اتِّهامهم ، ولكني كنت أحب أن يخرجوا للأخذ بثأر الحسين ، وكنت على رأي القوم . ثم جعل إبراهيم يختلف إلى المختار في منزله هو ومن أطاعه من قومه ، ثم اتفق رأي الشيعة على أن يكون خروجهم ليلة الخميس لأربع عشرة ليلة خلت [من ربيع الأول][٣] من هذه السنة ـ سنة ست وستين .

وقد بلغ ابن مطيع أمر القوم وما اشتوروا عليه ، فبعث الشرط في كل جانب من جوانب الكوفة وألزم كل أمير أن يحفظ ناحيته من أن يخرج منها أحد ، فلما كان ليلة الثلاثاء خرج إبراهيم بن الأشتر قاصداً إلى دار المختار في مئة رجل من قومه ، وعليهم الدروع تحت الأقبية ، فلقيه إياس بن مضارب فقال له : أين تريد يابن الأشتر في هذه الساعة ؟ إن أمرك لمريب ، فوالله لا أدعك حتى أحضرك إلى الأمير فيرى فيك رأيه ، فتناول ابن الأشتر رمحاً من يد رجل فطعنه في ثغرة نحره فسقط ، وأمر رجلاً فاحتز رأسه ، وذهب

---

(١) ما بين معكوفين ساقط من أ .
(٢) تاريخ الطبري (٦/ ١٥) .
(٣) ما بين معكوفين ساقط من أ ، ط ، وهو في ب وموافق للطبري (٦/ ١٨) .

به إلى المختار فألقاه بين يديه ، فقال له المختار : بشرك الله بخير ، فهذا طائر صالح . ثم طلب إبراهيم من المختار أن يخرج في هذه الليلة ، فأمر المختار بالنار أن ترفع وأن يُنادى بشعار أصحابه : يا منصور أمت ، يا لثارات الحسين . ثم نهض المختار فجعل يلبس درعه وسلاحه وهو يقول :

قد عَلِمَتْ بَيْضاءُ حسناءُ الطَّلَلْ واضحَةُ الخَدَّينِ عَجْزاءُ الكَفَلْ

أني غَدَاة الرَّوْعِ مِقْدامٌ بطل[١]

وخرج بين يديه إبراهيم بن الأشتر فجعل يتقصد الأمراء الموكلين بنواحي البلد فيطردهم عن أماكنهم واحداً واحداً . وينادي بشعار المختار ، وبعث المختار أبا عثمان النَّهدي فنادى بشعار المختار ، يا لثارات الحسين . فاجتمع الناس إليه من هاهنا وهاهنا ، وجاء شَبَث بن ربعي فاقتتل هو والمختار عند داره وحصره حتى جاء ابن الأشتر فطرده عنه ، فرجع شَبَث إلى ابن مطيع وأشار عليه بأن يجمع الأمراء إليه ، وأن ينهض بنفسه ، فإن أمر المختار قد قوي واستفحل ، وجاءت الشيعة من كل فجٍّ عميق إلى المختار ، فاجتمع إليه في أثناء اللّيل قريب من أربعة آلاف ، فأصبح وقد عبّأ جيشه وصلّى بهم الصبح ، فقرأ فيها : ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴾ و ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ في الثانية . قال بعض من سمعه : فما سمعت إماماً أفصح لهجة منه[٢] . وقد جهّز ابن مطيع جيشه ثلاثة آلاف عليهم شَبَثَ بن ربعي ، وأربعة آلاف أخرى مع راشد بن إياس بن مضارب ، فوجّه المختار ابنَ الأشتر في ستمئة فارس وستمئة راجل [إلى راشد بن إياس ، وبعث نعيم بن هبيرة في ثلاثمئة فارس وستمئة راجل][٣] إلى شَبَث بن ربعي ، فأما ابن الأشتر فإنه هزم جيش قرنه راشد بن إياس وقتله ، وأرسل إلى المختار يبشره ، وأما نعيم بن هبيرة فإنه لقي شَبَث بن ربعي فهزمه شَبَثَ وقتله ، وجاء فأحاط بالمختار وحصره . وأقبل إبراهيم بن الأشتر نحوه فاعترض له حسان بن فائد بن العبسي في نحو من ألفي فارس من جهة ابن مطيع ، فاقتتلوا ساعة . فهزمه إبراهيم ، ثم أقبل [نحو المختار] فوجد شبث بن ربعي قد حصر المختار وجيشه ، فما زال حتى طاردهم فكرّوا راجعين ، وخلص إبراهيم إلى المختار ، وارتحلوا من مكانهم ذلك إلى غيره في ظاهر الكوفة ، فقال له إبراهيم بن الأشتر : اعمد بنا إلى قصر الإمارة فليس دونه أحد [يرد عنه] فوضعوا ما معهم من الأثقال ، وأجلسوا هنالك ضعفة المشايخ والرجال ، واستخلف على من هنالك أبا عثمان النهدي ، وبعث بين يديه ابن الأشتر ، وعبأ المختار جيشه كما كان ، وسار نحو القصر ، فبعث ابن مطيع عمرو بن الحجاج في ألفي رجل ، فبعث إليه المختار يزيد بن أنس وسار هو وابن الأشتر أمامه حتى دخل الكوفة من باب الكناسة ، وأرسل ابن مطيع شمر بن ذي الجوشن الذي قتل الحسين في ألفين آخرين ، فبعث إليه المختار سعد بن

---

(١) الأبيات في الطبري (٦/ ٢٠) والمنتظم لابن الجوزي (٦/ ٥٣) والفتوح لابن الأعثم (٢/ ٢٨٢) مع زيادة شطر في البيت الثاني : لا عاجز فيها ولا وغد فشل .

(٢) الخبر في تاريخ الطبري (٦/ ٢٣) .

(٣) ما بين معكوفين ساقط من أ وحدها .

منقذ الهمداني ، وسار المختار حتى انتهى إلى سكة شَبَث . وإذا نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مخرمة في خمسة آلاف وخرج ابن مطيع من القصر في الناس ، واستخلف عليه شَبَث بن ربعي ، فتقدم ابن الأشتر إلى الجيش الذي مع ابن مساحق ، فكان بينهم قتال شديد [قُتل فيه رفاعة بن شداد أميرُ جيش التوابين الذين قدم بهم ، وعبد الله بن سعد وجماعة غيرهم ، ثم انتصر عليهم ابن الأشتر فهزمهم][1] وأخذ بلجام دابة ابن مساحق فمتَّ إليه بالقرابة ، فأطلقه ، وكان لا ينساها بعد لابن الأشتر . ثم تقدم المختار بجيشه إلى الكناسة وحصروا ابن مطيع بقصره ثلاثاً ، ومعه أشراف الناس سوى عمرو بن حريث فإنه لزم داره ، فلما ضاق الحال على ابن مطيع وأصحابه استشارهم ، فأشار عليه شَبَث بن ربعي أن يأخذ له ولهم من المختار أماناً ، فقال : ما كنت لأفعل هذا وأمير المؤمنين مطاع بالحجاز وبالبصرة ، فقال له : فإني رأيت أن تذهب بنفسك مختفياً حتى تلحق بصاحبك فتخبره بما كان من الأمر وبما كان منا في نصره وإقامة[2] دولته ، فلما كان اللّيل خرج ابن مطيع مختفياً حتى دخل دار أبي موسى الأشعري ، فلما أصبح الناس أخذ الأمراء إليهم أماناً من ابن الأشتر فأمنهم ، فخرجوا من القصر وجاؤوا إلى المختار فبايعوه ، ثم دخل المختار إلى القصر فبات فيه ، وأصبح أشراف الناس في المسجد وعلى باب القصر ، فخرج المختار إلى المسجد فصعد المنبر وخطب الناس خطبة بليغة ثم دعا الناس إلى إلبيعة وقال[3] : فوالذي جعل السماء سقفاً محفوظاً والأرض فجاجاً سُبُلاً ، ما بايعتم بعد بيعة عليّ أهدى منها . ثم نزل فدخل الناس يبايعونه على كتاب الله وسنة رسوله ، والطلب بثأر الحسين وأهل البيت ، وجاء رجل إلى المختار فأخبره أن ابن مطيع في دار أبي موسى ، فأراه أنه لا يسمع قوله ، فكرر ذلك ثلاثاً كل ذلك يريه لا يسمع[4] قوله فسكت الرجل ، فلما كان اللّيل بعث المختار إلى ابن مطيع بمئة ألف درهم . وقال له : اذهب فقد شعرت بمكانك ـ وكان له صديقاً قبل ذلك ـ فذهب ابن مطيع إلى البصرة وكره أن يرجع إلى ابن الزبير وهو مغلوب ، وشرع المختار يتحبب إلى الناس بحسن السيرة ، ووجد في بيت المال تسعة آلاف ألف ، فأعطى الجيش الذين حضروا معه القتال نفقات كثيرة ، واستعمل على شرطته عبد الله بن كامل اليشكري[5] ، وقرّب أشراف الناس فكانوا جلساءه ، فشق ذلك على الموالي الذين قاموا بنصره ، وقالوا لأبي عَمرة كيسان مولى غزينة ـ وكان على حرسه ـ : قدّم والله أبو إسحاق العرب وتركنا ، فأنهى ذلك أبو عَمْرة إليه ، فقال : بل هم مني وأنا منهم ، ثم قال : ﴿ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة : ٢٢] فقال لهم أبو عَمْرة : أبشروا فإنه سيقتلهم[6] ويقربكم ، فأعجبهم ذلك وسكتوا .

---

(١) ما بين معكوفين ساقط من أ وهو موافق لما جاء في المصادر .

(٢) في ط : وإقامته .

(٣) نص الخطبة في تاريخ الطبري (٦/ ٣٢) وابن الأثير (٤/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦) والفتوح لابن الأعثم (٢/ ٢١٩) .

(٤) من قوله : كل ذلك . . إلى هنا ساقط من ط .

(٥) في الطبري (٦/ ٣٣) وابن الأثير (٤/ ٢٢٧) الشاكري .

(٦) في ط : سيدنيكم ، وعبارة الطبري : أبشروا ، كأنكم والله به قد قتلهم .

ثم إن المختار بعث الأمراء إلى النواحي والبلدان والأقاليم والرساتيق ، من أرض العراق وخراسان ، وعقد الألوية والرايات ، وقرر الإمارة والولايات ، وجعل يجلس للناس غدوة وعشية يحكم بينهم ، فلما طال ذلك عليه استقضى شريحاً فتكلّم في شريح طائفة من الشيعة ، وقالوا : إنه شهد على حِجْر بن عدي ، وإنه لم يبلّغ عن هانىء بن عروة ما أرسله به ، وقد كان علي بن أبي طالب عزله عن القضاء . فلما بلغ شريحاً ذلك تمارض ولزم بيته ، فجعل المختار مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود ، ثم عزله وجعل مكانه عبد الله بن مالك الطائي قاضياً[١] .

فصـــل

ثم شرع المختار يتتبع قتلة الحسين من شريف ووضيع فيقتله ، وكان سبب ذلك أن عبيد الله بن زياد كان قد جهزه مروان من دمشق ليدخل الكوفة ، فإن ظفر بها فليبحها ثلاثة أيام ، فسار ابن زياد قاصداً الكوفة ، فلقي جيش التوابين ، بعين الوردة كما ذكرنا ، ثم سار[٢] حتى انتهى إلى الجزيرة فوجد بها قيس عيلان ، وهم من أنصـــار [ابن الزبير ، وقد كان مـروان أصاب منهم قتلى كثيرة يوم مرج راهط ، فهم إلب عليه ، وعلى ابنه عبد المـلك من بعده ، فتعوّق عن المسير سنة وهـو في حرب قيس عيلان بالجزيرة ، ثم وصل إلى الموصل فانحاز نائبها[٣] عنه إلى تكريت ، وكتب إلى المختار يعلمـه بذلك ، فندب المختار يزيد بن][٤] أنس في ثلاثة آلاف اختارها ، وقال له : إني سأمدُّك بالرجال بعد الرجال ، فقال له : لا تمدني إلا بالدعاء . وخرج معه المختار إلى ظاهر الكوفة فودعه ودعا له وقال له : ليكن خبرك في كل يوم عندي ، وإذا لقيت عدوك فناجزهم[٥] ، ولا تؤخـــر فـرصة . ولما بلغ مخرجهم ابن زياد جهّز بين يديه سريّتين إحداهما مع ربيعة بن مخارق ثلاثة آلاف ، والأخرى مع عبد الله بن حَمْلة ثلاثة آلاف ، وقال : أيكم سبق فهو الأمير ، وإن سبقتما معاً فالأمير عليكم أسنُّكما . فسبق ربيعة بن مخارق إلى يزيد بن أنس فالتقيا في طرف أرض الموصل مما يلي الكوفة ، فتواقفا هنالك ، ويزيد بن أنس مريض مدنف ، وهو مع ذلك يحرّض قومه على الجهاد ويدور على الأرباع وهو محمول مضنيٌّ [على حمار ، وهو يقول لقومه : يا شرطة الله اصبروا تؤجروا ، وقاتلوا عدوكم تظفروا ، ثم نزل فوضع له سريره بين الصفين ، وقال لقومه : قاتلوا عن أميركم إن شئتم أو فرُّوا عنه][٦] وقال للناس : إن هلكت فأمير[٧]

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري (٦/ ٣٤ ـ ٣٥) وابن الأثير (٤/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨) .

(٢) في ط : فكان من أمرهم ما تقدم ، ثم سار من عين وردة . .

(٣) واسمه عبد الرحمن بن سعيد بن قيس . الطبري (٦/ ٣٩) .

(٤) ما بين معكوفين ساقط من أ وحدها .

(٥) في ط : فناجزك فناجزهم ، وعبارة الطبري : إذا لقيت عدوك فلا تناظرهم ، وإذا أمكنتك الفرصة فلا تؤخرها .

(٦) من قوله : على حمار . . إلى هنا ساقط من ط ، والخبر بتمامه في الطبري (٦/ ٤١) .

(٧) في ط : فالأمير على . .

الناس[١] عبد الله بن ضمرة الفزاري ، وهو رأس الميمنة ، وإن هلك فسعر[٢] بن أبي سعر رأس الميسرة ، وكان ورقاء بن عَازَبَ[٣] الأسدي على الخيل . وهو وهؤلاء الثلاثة أمراء الأرباع ، وكان ذلك في يوم عرفة من سنة ست وستين عند إضاءة الصبح ، فاقتتلوا هم والشاميون قتالاً شديداً ، واضطربت كل من الميمنتين والميسرتين ، ثم حمل ورقاء على الخيل فهزمها وفرَّ الشاميون وقُتل أميرهم ربيعة بن مخارق ، واحتاز جيش المختار ما في معسكر الشاميين ، ورجع فرّارهم فلقوا الأمير الآخر عبد الله بن حملة[٤] ، فقال : ما خبركم؟ فأخبروه فرجع بهم وسار بهم نحو يزيد بن أنس فانتهى إليهم عشاءً ، فبات الناس متحاجزين ، فلما أصبحوا تواقفوا على تعبئتهم ، وذلك يوم الأضحى من سنة ست وستين ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فهزم جيشُ المختار [جيشَ الشاميين] أيضاً ، وقتلوا أميرهم عبد الله بن حملة واحتووا على ما في معسكرهم ، وأسروا منهم ثلاثمئة أسير ، فجاؤوا بهم إلى يزيد بن أنس وهو على آخر رمق ، فأمر بضرب أعناقهم .

ومات يزيد بن أنس من يومه ذلك وصلى عليه خليفته ورقاء بن عازب ودفنه ، وسقط في أيدي أصحابه ، وجعلوا يتسللون راجعين إلى الكوفة ، فقال لهم ورقاء : يا قوم ماذا ترون ؟ إنه قد بلغني أن ابن زياد قد أقبل في ثمانين ألفاً من الشام ، ولا أرى لكم بهم طاقة ، وقد هلك أميرنا ، وتفرق عنا طائفة [من الجيش] من أصحابنا فلو انصرفنا راجعين إلى بلادنا ونُظهر أنّا إنّما انصرفنا حزناً منا على أميرنا لكان خيراً لنا من أن نلقاهم فيهزموننا ونرجع مغلوبين ، فاتفق رأي الأمراء على ذلك ، فرجعوا إلى الكوفة . فلما بلغ خبرهم أهل الكوفة ، وأن يزيد بن أنس قد هلك ، أرجف أهل الكوفة بالمختار ، وقالوا : قُتل يزيد بن أنس في المعركة وانهزم جيشه ، وعمّا قليل يقدَم عليكم ابن زياد فيستأصلكم ويشتف خضراءَكم ، ثم تمالؤوا على الخروج على المختار وقالوا : هو كذاب ، واتفقوا على حربه وقتاله وإخراجه من بين أظهرهم ، واعتقدوا أنه كذاب ، وقالوا : قد قدّم موالينا على أشرافنا ، وزعم أن ابن الحنفية قد أمره بالأخذ بثأر الحسين وهو لم يأمره بشيء ، وإنما هو متقول عليه ، وانتظروا بخروجهم عليه أن يخرج من الكوفة إبراهيم بن الأشتر فإنه قد عينه المختار أن يخرج في سبعة آلاف تلقاء عبيد الله بن زياد [وقال له : سر حتى ترى جيش ابن أنس فردهم معك ، وسر بهم حتى تلقى عدوك عبيد الله بن زياد فناجزه . فخرج الأشتر بمجموعه ، فلما بلغ ساباط[٥] جاءه كتاب المختار يأمره بالرجوع فرجع ، وكان المختار قد حصَّن

---

(١) في تاريخ الطبري (٦/ ٤١) والمنتظم (٦/ ٥٦) : إن هلك فأميركم ورقاء بن عازب الأسدي ، فإن هلك فأميركم عبد الله بن ضمرة .

(٢) في ط : مسعر بن أبي مسعر ؛ وما أثبت موافق للمصادر .

(٣) في أ ، ط : ورقاء بن خالد ؛ وما أثبت عن ب والمصادر .

(٤) في أ : جملة ـ بالجيم ـ وأثبت ما أجمعت عليه المصادر .

(٥) ساباط : موضع معروف بالمدائن . معجم البلدان (٣/ ١٨٧) .

قصر الإمارة ، واستعد للقتال ، وخرج أولئك الذين اتفقوا على قتاله فعسكروا بجبَّانة السَّبيع[١] ، وهم شَبَث بـن رِبْعي ، وشِمْر بن ذي جَوْشن ، ومحمد بن الأشعث ، وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس ، وكعب الخثعمي ، وزَحْر بن قيس الجُعْفي ، وإسحاق بن محمد بن الأشعث ، وبشير بن جرير ، وحجـار بن أبجـر ، وعمرو بن الحجاج الزّبيدي وغيرهم][٢] ، فلما خرج ابن الأشتر اجتمع أشراف الناس ممـن كان في جيش قتلـة الحسين وغيرهم في دار شَبَث بن ربعي وأجمعوا رأيهم على قتال المختار ، ثم وثبوا فركبت كل قبيلة مع أميرهـا في ناحية من نواحي الكوفة ، وقصدوا قصر الإمارة ، وبعث المختار عمرو بن توبة[٣] بريداً إلى إبراهيم بن الأشتر ليرجع إليه سريعاً ، وبعث المختار إلى أولئك يقول لهم : ماذا تنقمون ؟ فإني أجيبكم إلى جميع ما تطلبون ، وإنما يريد أن يثبطهم عن مناهضته حتى يقدم إبراهيم بن الأشتر ، وقال : إن كنتم لا تصدقونني في أمر محمد بن الحنفية فابعثوا من جهتكم وأبعث من جهتي من يسأله عن ذلك ، ولم يزل يطاولهم حتى قدم ابن الأشتر بعد ثلاث ، فانقسم هو والناس فرقتين ، فتكفَّل المختار بأهل اليمن ، وتكفّل ابن الأشتر بمضر وعليهم شَبَث بن ربعي ، وكان ذلك بإشارة المختار ، حتى لا يتولى ابن الأشتر بقتال قومه من أهل اليمن فيحنو عليهم وكان المختار شديداً عليهم .

واقتتل الناس في نواحي الكوفة قتالاً عظيماً وكثرت القتلى بينهم من الفريقين ، وجرت فصـول وأحوال حربية يطول استقصاؤها ، وقتل جماعة من الأشراف ، منهم عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الكندي ، وسبعمئة وثمانين رجلاً من قومه ، وقتل من مضر بضعة عشر رجلاً ، ويعرف هذا اليوم بجبَّانة السَّبيع ، وكان ذلك يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجّة سنة ست وستين ، ثم كانت النصرة للمختار عليهم ، وأسر منهم خمسمئة أسير ، فعرضوا عليه فقال : انظروا من كان منهم شهد مقتل الحسين فاقتلوه ، فقتل منهم مئتان وأربعون رجلاً[٤] ، وقتل أصحابه منهم من كان يؤذيهم ويسيء إليهم بغير أمر المختار ، ثم أطلق الباقين ونادى منادي المختار : من أغلق بابه فهو آمن إلا رجل أشرك في دم آل محمد ـ ﷺ ـ[٥] وهرب عمرو بن الحجّاج الزُّبيدي ، وكان ممن شهد قتل الحسين فلا يدرى أين ذهب من الأرض .

---

(١) قال ياقوت الحموي : الجبّان في الأصل الصحراء ، وأهل الكوفة يسمون المقابر جبَّانة ، كما يسميها أهل البصرة المقبرة ، وبالكوفة محالّ تسمى هذا الاسم وتضاف إلى القبائل منها . جبّانة السّبيع ، كان بها يوم للمختار بن عبيد . معجم البلدان (٢/ ١١٦) .

(٢) من قوله : وقال له . . إلى هنا ساقط من ط وهو موافق للطبري (٦/ ٤٤ـ٤٦) .

(٣) في أ ، ط : ثوبة ، وما أثبت عن ب والمصادر .

(٤) في الطبري (٦/ ٥١) وابن الأثير (٤/ ٢٣٥) : مئتين وثمانية وأربعين قتيلاً .

(٥) من قوله : ونادى منادي . . إلى هنا ساقط من ط ، ب وهو موافق للطبري .

مقتل شِمر بن ذي الجوشن
أمير السَّرية التي قتلت حسيناً

وهرب أشراف الكوفة إلى البصرة إلى مصعب بن الزبير ، وكان ممن هرب لقصده شِمر بن ذي الجوشن قبحه الله ، فبعث المختار في طلبه غلاماً له يقال له زرنب[١] ، فلما دنا منه قال شمر لأصحابه : تقدموا وذروني وراءكم بصفة أنكم قد هربتم وتركتموني حتى يطمع فيّ هذا العلج ، فساقوا وتأخر شمر فأدركه زرنب فعطف عليه شمر فدق ظهره فقتله ، وسار شمر [وتركه] وكتب كتاباً إلى مصعب بن الزبير وهو بالبصرة ينذره بقدومه عليه ، ووفادته إليه ، وكان كل من فرّ من هذه الوقعة يهرب إلى مصعب بالبصرة ، وبعث شمر الكتاب مع علج من علوج قرية قد نزل عندها يقال لها الكلتانية[٢] عند نهرٍ إلى جانب تلٍّ هناك ، فذهب ذلك العلج فلقيه علج آخر فقال له : إلى أين تذهب ؟ قال : إلى مصعب ، قال : ممن ؟ قال : من شمر ، فقال : اذهب معي إلى سيِّدي ، وإذا سيده أبو عمرة أمير حرس المختار ، وهو قد ركب في طلب شمر ، فدله العلج على مكانه فقصده أبو عمرة ، وقد أشار أصحاب شمر عليه أن يتحول من مكانه ذلك ، فقال لهم : هذا كله فرق من الكذاب ، والله لا أرتحل من هاهنا إلى ثلاثة أيام حتى أملأ قلوبهم رعباً ، فلما كان الليل كابسهم أبو عمرة في الخيل فأعجلهم أن يركبوا أو يلبسوا أسلحتهم ، وثار إليهم شمر بن ذي الجوشن فطاعنه برمحه وهو عريان ثم دخل خيمته فاستخرج منها سيفاً وهو يقول :

نبهتمُ ليثَ عرينٍ باسلا[٣] جهماً محيَّاهُ يدقُّ الكاهلا
لم يُرَ يوماً عن عدوٍّ ناكلا إلا أكرَّ مقاتلاً أو قاتلا[٤]
يزعجهم[٥] ضرباً ويُروي العاملا

ثم ما زال يناضل عن نفسه حتى قُتل ، فلما سمع أصحابه وهم منهزمون صوت التكبير وقول أصحاب المختار : الله أكبر قتل الخبيث ، عرفوا أنه قد قتل قبحه الله .

قال أبو مخنف : عن يونس بن أبي إسحاق قال : ولما خرج المختار من جبَّانة السَّبيع وأقبل

---

(١) في الطبري (٦/ ٥٢) : زربيا ، وفي ابن الأثير (٤/ ٢٣٦) زربى ، وفي ابن الأعثم (٢/ ٣٢٠) : رزين .
(٢) في الأصول : الكلبانية ـ بالباء ـ تحريف ، وما هنا عن الطبري ، والكلتانية ـ بالتاء ـ موضع ما بين السوس والصيمرة ، قريب من البصرة ، وبهذه القرية قتل شمر بن ذي الجوشن الضبابي المشارك في قتل الحسين بن علي قتله أبو عمرة . معجم البلدان (٤/ ٥٤٠) .
(٣) في الفتوح لابن الأعثم (٢/ ٣٢٢) : تيمموا ليثاً هزبراً باسلاً .
(٤) في أ : إلا أكرَّ مقاتلاً أو ساملاً ، وأثبت ما وافق المصادر .
(٥) كذا في أ ، ط ، وفي ب والطبري (٦/ ٥٤) وابن الأثير (٤/ ٢٣٦) : يُبْرِحهم . والأبيات أيضاً في تاريخ دمشق (٢٣/ ١٩٢) ط دار الفكر ، وتهذيب تاريخ دمشق (٦/ ٣٤٢) .

إلى القصر ـ يعني منصرفه من القتال ـ ناداه سُراقةُ بن مِرْداس بأعلى صوته وكان في الأسرى .

امنـنْ علـيَّ اليـومَ يـا خَيْـرَ مَعَـدْ وخَيْـرَ مـن حَـلَّ بشِحْـرٍ والجَنَـدْ[١]
وخَيْرَ من لبَّى وصام وسَجَدْ[٢]

قال : فبعثه إلى السجن فاعتقله ليلة ثم أطلقه من الغد ، فأقبل إلى المختار وهو يقول :

ألا أخبـرْ[٣] أبـا إسحـاقَ أنـا نـزونـا نَـزْوةً كـانـت علينـا
خَـرَجْنـا لا نـرى الضعفـاءَ شيئـاً وكـان خُـرُوجنـا بَطَـراً وشَينـا[٤]
نـراهـم فـي مصـافِّهـمُ قليـلاً وهـم مثـلُ الـزُّبـا[٥] حيـن التقينـا
بـرزْنـا إذْ رَأيْنـاهُـمْ فلمـا رأينـا القـومَ قـد بـرزوا إلينـا
رأينـا[٦] منهـمُ ضـربـاً وطحنـاً وطعنـاً صـائبـاً حتـى انثنينـا[٧]
نُصِـرْتَ علـى عـدوكَ كُـلَّ يـومٍ بكـلِّ كتيبـةٍ[٨] تنعـى حُسَيْنـا[٩]
كنصـر محمـدٍ فـي يـوم بـدرٍ ويـومَ الشِّعْـبِ إذْ لاقـى حُنَيْنـا
فأَسجِحْ[١٠] إذ ملكتَ فلو ملكنا[١١] لجرنـا فـي الحكـومـة واعتـدينـا
تقبـل تـوبـةً منـي فـإنـي سـأشكـرُ إذْ جعلـتَ النَّقـدَ دينـا[١٢]

وجعل سراقة بن مرداس يحلف أنه رأى الملائكة تقاتل على الخيول البلق بين السماء والأرض ، وأنه لم يأسره إلا واحد من أولئك الملائكة ، فأمره المختار أن يصعد المنبر فيخبر الناس بذلك . فصعد المنبر فأخبر الناس بذلك ، فلما نزل خلابه المختار فقال له : إني قد عرفت أنك لم تر الملائكة ، وإنما أردت

---

(١) في أ : كل مسح بالجند .
(٢) في الطبري : وخير من لبّى وحيّا وسجد ، والأبيات أيضاً في ديوان سراقة بن مرداس (٧٤) .
(٣) في الطبري وابن الأثير : ألا أبلغ .
(٤) في الطبري وابن الأثير : وحينا .
(٥) في الطبري : الدُّبي .
(٦) في الطبري : لقينا منهم ضرباً طلحفاً .
(٧) في أوحدها : حتى انتهينا .
(٨) في ط : كثيبة ـ بالثاء ـ .
(٩) في الفتوح لابن الأعثم (٢/ ٣٢) :

زففت الخيل يا مختار زفاً بكل كتيبة قتلت حسينا
نصرت على عدوك كل يوم بكل حضارم لم يلق شينا

(١٠) في أوحدها : فانجح ؛ وما أثبت موافق للمصادر .
(١١) في الفتوح لابن الأعثم : فصفحاً إذ قدرت فلو قدرنا .
(١٢) في أ : العقد ، وفي ط : العفو ؛ وما أثبت عن ب والطبري وابن الأثير والأبيات في ديوان سراقة(٧٦ ـ ٧٧) .

بقولك هذا أني لا أقتلك ، ولست أقتلك ، فاذهب حيث شئت لئلا تفسد عليَّ أصحابي ، فذهب سراقة إلى البصرة إلى مصعب بن الزبير وجعل يقول :

ألا أبلـغْ[١] أبـا إسحـاقَ أنـي ... رأيـتُ البلـقَ دهمـاً مصمتـاتِ
كفرتُ بوحيكم وجعلتُ نذراً ... علـيَّ قتـالكـمْ حتـى الممـاتِ
رأت عيناي[٢] ما لمْ تبصراهُ ... كـلانـا عـالـمٌ بـالتُّـرَّهـاتِ
إذا قالوا : أقولُ لهم كَذَبْتُمْ ... وإنْ خرجوا لبسْتُ لهمْ أداتي

قالوا : ثم خطب المختار أصحابه فحرّضهم في خطبته تلك على من قتل الحسين من أهل الكوفة المقيمين بها ، فقال : ما من ديننا ترك قومٍ[٣] قتلوا حسيناً يمشون في الدنيا أحياء آمنين ، بئس ناصرو آل محمد إني إذاً كذاب كما سمَّيتموني أنتم ، فإني بالله أستعين عليهم ، فالحمد لله الذي جعلني سيفاً أضربهم ، ورمحاً أطعنهم ، وطالب وترهم ، وقائماً بحقهم ، وإنه كان حقاً على الله أن يقتل من قتلهم ، وأن يذل من جهل حقهم ، فسِموهم ثم اتبعوهم حتى تقتلوهم ، فإنه لا يسيغ لي الطعام والشراب حتى أطهر الأرض منهم ، وأنفي من في المصر منهم . ثم جعل يتتبع من ذكر له منهم وهو بالكوفة ـ فيأتون بهم حتى يوقفوا بين يديه فيأمر بقتلهم على أنواع من القتلات مما يناسب ما فعلوا ـ ، ومنهم من حَرَّقه بالنار ، ومنهم من قطع أطرافه وتركه حتى مات ، ومنهم من يُرْمى بالنبال حتى يموت [فأتوه بمالك بن بشر[٤] فقال له المختار : أنت الذي نزعت برنس الحسين عنه ؟ فقال : خرجنا ونحن كارهون فامنن علينا ، فقال : اقطعوا يديه ورجليه . ففعلوا به ذلك ثم تركوه يضطرب حتى مات ، وقتل عبد الله بن أسيد الجهني وغيره شر قتلة][٥] .

مقتل خولي بن يزيد الأصبحي الذي احتزّ رأس الحسين

بعث إليه المختار أبا عمرة صاحب حرسه ، فكبس بيته فخرجت إليهم امرأته فسألوها عنه فقالت : لا أدري أين هو ، وأشارت بيدها إلى المكان الذي هو مختفٍ فيه ، ـ وكانت تبغضه من ليلة قدم برأس الحسين معه إليها ، وكانت تلومه على ذلك ـ واسمها العَيُوف[٦] بنت مالك بن نهار بن عَقْرَب الحضرمي ، فدخلوا عليه فوجدوه قد وضع على رأسه قوصرة[٧] فحملوه إلى المختار فأمر بقتله قريباً من داره ، وأن

(١) في ط : أخبر .
(٢) في ط : رأيت ، وفي الطبري وابن الأثير : أري عينيَّ ، والأبيات في ديوان سراقة (٧٨) .
(٣) في أ ، ط : فقالوا ما ذنبنا نترك أقواماً . . . ؛ ولا يستقيم المعنى ، وما أثبت عن ب والطبري (٦/ ٥٧) .
(٤) في الطبري : مالك بن النُّسير البدّي . وفي ابن الأثير (٤/ ٢٤٠) : مالك بن بشير البَدّي .
(٥) ما بين معكوفين زيادة من ط . وهي موافقة للمصادر .
(٦) في ط : العبوق ؛ تحريف .
(٧) القوصرة : وعاء التمر . القاموس (قصر) .

يحرق بعد ذلك . وبعث المختار إلى حكيم بن فضيل[1] السنبسي ـ وكان قد سلب العباس بن علي بن أبي طالب يوم قتل الحسين ـ فأخذ فذهب أهله إلى عدي بن حاتم ، فركب ليشفع فيه عند المختار ، فخشي أولئك الذين أخذوه أن يسبقهم عدي إلى المختار فيشفعه فيه ، فقتلوا حكيماً قبل أن يصل إلى المختار ، فدخل عدي فشفع فيه فشفعه فيه ، فلما رجعوا وقد قتلوه شتمهم عدي وقام متغضباً عليهم وقد تقلد منّة المختار . وبعث المختار إلى يزيد بن رُقاد[2] وكان قد قتل عبد الله بن مسلم بن عقيل ، فلما أحاط الطلب بداره خرج فقاتلهم فرموه بالنبل والحجارة حتى سقط ، ثم حرقوه وبه رمق الحياة ، وطلب المختار سنان بن أنس ، الذي كان يدّعي أنه قتل الحسين ، فوجدوه قد هرب إلى البصرة أو الجزيرة فهدمت داره ، وهكذا صنع بكل من هرب من هؤلاء إلى البصرة ، أو الجزيرة فهُدمت داره[3] ، وكان محمد بن الأشعث بن قيس ممن هرب إلى مصعب فأمر المختار بهدم داره ، وأن يبنى بها دار حجر بن عدي التي كان زياد هدمها .

مقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص أمير الذين قتلوا الحسين

قال الواقدي[4] : كان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه جالساً ذات يوم إذ جاء غلام له ودمه يسيل على عقبيه ، فقال له سعد : من فعل بك هذا ؟ فقال : ابنك عمر ، فقال سعد : اللهم اقتله وأَسل دمه . وكان سعد مستجاب الدعوة ، فلما ظهر المختار على الكوفة استجار عمر بن سعد بعبد الله بن جَعْدة بن هبيرة ، وكان صديقاً للمختار من قرابته من علي ، فأتى المختار فأخذ منه لعمر بن سعد أماناً مضمونه أنه آمن على نفسه وأهله وماله ما أطاع ولزم رحله ومصره ، ما لم يحدث حدثاً . وأراد المختار ما لم يأت الخلاء فيبول أو يغوط . ولما بلغ عمر بن سعد أن المختار يريد قتله خرج من منزله ليلاً يريد السفر نحو البصرة[5] فقال له بعض مواليه ذلك [فقال] : وأي حدث أعظم من هذا ؟ وقال له : تخرج من منزلك ورحلك ؟ ارجع ، فرجع . ولما أصبح بعث ولده حفص إلى المختار يقول له : إنَّ أبي يقول لك هل أنت مقيم على أمانك ؟ [وقيل إنه أتى المختار يتعرف منه ذلك فقال له المختار : اجلس ، وقيل إنه أرسل عبد الله بن جعدة إلى المختار يقول له : هل أنت مقيم على أمانك له ؟][6] فقال له المختار : اجلس ، فلما جلس قال المختار لصاحب حرسه : اذهب فأتني برأسه فذهب إليه فقتله وأتاه برأسه .

---

(١) في الطبري وابن الأثير : حكيم بن طفيل الطائي السنبسي .
(٢) في ط : يزيد بن ورقاء ، وفي الطبري وابن الأثير : زيد بن رُقاد .
(٣) من قوله : وهكذا صنع . . . إلى هنا ساقط من ط .
(٤) الخبر في تاريخ الطبري (٦/ ٦٠ ـ ٦٢) والكامل لابن الأثير (٣/ ٣١٢) والأخبار الطوال (٣٠١) والمنتظم لابن الجوزي (٦/ ٥٨) .
(٥) في ط : نحو مصعب أو عبيد الله بن زياد ، وما أثبت موافق للمصادر .
(٦) ما بين معكوفين زيادة من ط . وهي موافقة للطبري .

وفي رواية أن المختار قال ليلة[١] : لأقتلن غداً رجلاً عظيم القدمين غائر العينين ، مشرف الحاجبين يسرُّ بقتله المؤمنون والملائكة المقربون ، وكان الهيثم بن الأسود حاضراً فوقع في نفسه أنه أراد عمر بن سعد فبعث إليه ابنه العُريان[٢] فأنذره ، فقال : كيف يكون هذا بعد ما أعطاني من العهود والمواثيق ؟ وكان المختار حين قدم الكوفة أحسن السيرة إلى أهلها أولاً ، وكتب لعمر بن سعد كتاب أمان إلا أن يحدث حدثاً .

قال أبو مخنف[٣] : وكان أبو جعفر الباقر يقول : إنما أراد المختار : إلّا أن يَدْخل الكنيفَ فيُحدثَ فيه .

ثم إن عمر بن سعد قلق أيضاً ، ثم جعل يتنقل من محلة إلى محلة ثم صار أمره أنه رجع إلى داره ، وقد بلغ المختار انتقاله من موضع إلى موضع ، فقال : كلا والله إن في عنقه سلسلة ترده ، لو جهد أن ينطلق ما استطاع[٤] . ثم أصبح فبعث إليه أبا عمرة [فدخل عليه فقال : أجب الأمير ، فقام عمر][٥] فعثر في جبّته ، فضربه أبو عمرة بالسيف حتى قتله ، وجاء برأسه في أسفل قبائه حتى وضعه بين يدي المختار ، فقال المختار لابنه حفص ـ وهو جالس عنده ـ فقال : أتعرف هذا الرأس ؟ فاسترجع وقال : نعم ولا خير في العيش بعده ، فقال : صدقت ، ثم أمر به فضربت عنقه ووضع رأسه مع رأس أبيه ، ثم قال المختار : هذا بالحسين ، وهذا بعلي بن الحسين الأكبر ، ولا سواء ، والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وَفَوا أنملةً من أنامله .

وقيل : إن عمر شهد دُومةَ الجندلِ مع أبيه[٦] .

وقيل : إنه أول من طعن في سرادق الحسين[٧] .

وقيل : إن علي بن أبي طالب قال له يوماً : يا عمر بن سعد كيف إذا قمت مقاماً تُخَيّر فيه بين الجنة والنار[٨] .

وقال الواقدي[٩] : ما بقي أحد ممن شهد قتل الحسين ، أو شارك في قتله إلا عوقب في الدنيا بالقتل والبلاء ، وفي الآخرة بالعذاب ، ومن أعجب الأشياء أن الحسين رضي الله عنه لم يخلِّف ولداً سوى علي

---

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٦٠) .
(٢) في ط : العرثان ؛ وما هنا عن أ والطبري .
(٣) تاريخ الطبري (٦/ ٦١) .
(٤) مكانها من ط : إن يطير لأدركه دم الحسين ، وعبارة (أ) من (ب) موافقة للطبري .
(٥) مكانها في ط : فأراد الفرار منه ، وعبارة أ ، ب موافقة للطبري .
(٦) تاريخ ابن عساكر (٤٥/ ٣٧) ط دار الفكر ، ترجمة عمر بن سعد بن أبي وقاص .
(٧) المصدر نفسه (٤٥/ ٥٤) من طريق ابن سعد .
(٨) المصدر نفسه (٤٥/ ٤٩) مع زيادة : فتختار النار .
(٩) مختصر تاريخ ابن عساكر (٧/ ١٥١) .

زين العابدين ، وهو أبو الأئمة ، وقد نشر الله من ذريته عدد الرمل والحصى ، منهم سادات وأشراف ، وأن يزيد بن معاوية ترك نحو عشرين ولداً ، وليس له اليوم على وجه الأرض نسل والله أعلم[١] . ثم بعث المختار برأسيهما إلى محمد بن الحنفية ، وكتب إليه كتاباً في ذلك :

بسم الله الرحمن الرحيم للمهدي[٢] محمد بن علي : من المختار بن أبي عبيد ، سلام عليك أيها المهدي فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فإن الله بعثني نقمة على أعدائكم فهم بين قتيل وأسير وطريد وشريد ، فالحمد لله الذي قتل قاتلكم ، ونصر مؤازركم ، وقد بعثت إليك برأس عمر بن سعد وابنه وقد قتلنا ممن اشترك في دم الحسين وأهل بيته كل من قدرنا عليه ، ولن يعجز الله من بقي ، ولست بمنحجم[٣] عنهم حتى لا يبلغني أن على أديم الأرض منهم أرَمِيّاً[٤] فاكتب إليّ أيها المهدي برأيك أتبعه وأكون عليه ، والسلام عليك أيها المهدي ورحمة الله وبركاته . ولم يذكر ابن جرير أن محمد بن الحنفية رد جوابه ، مع أن ابن جرير قد تقصى هذا الفصل وأطال شرحه ، ويظهر من غبون كلامه قوة وجده به وغرامه ، ولهذا توسع في إيراده بروايات أبي مخنف لوط بن يحيى ، وهو متهم فيما يرويه ، ولاسيما في باب التشيع ، وهذا المقام للشيعة فيه غرام وأي غرام ، إذ فيه الأخذ بثأر الحسين وأهله من قتلتهم ، والانتقام منهم ، ولا شك أنَّ قتل قتلته كان متحتماً ، والمبادرة إليه كان مغنماً ، ولكن إنما قدره الله على يد المختار الكذاب الذي صار بدعواه إتيان الوحي إليه كافراً ، ولكن قال رسول الله ﷺ : « إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر »[٥] . وقال تعالى في كتابه الذي هو أفضل ما يكتبه الكاتبون : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٩] وقال بعض الشعراء :

وما من يد إلا يد الله فوقها ... ولا ظالم إلا سيبلى بظالم

وسيأتي في ترجمة المختار ما يدل على كذبه وافترائه، وادعائه نصرة أهل البيت، وهو في نفس الأمر متستر بذلك ليجمع عليه رعاعاً من الشيعة الذين بالكوفة، ليقيم لهم دولة ويصول بهم ويجول على مخالفيه صولة.

ثم إن الله تعالى سلط عليه من انتقم به منه ، وهذا هو الكتاب الذي قال فيه الرسول في حديث أسماء بنت الصديق : « إنه سيكون في ثقيف كذاب ومبير »[٦] . فهذا هو الكذاب وهو يظهر التشيع وأما

---

(١) من قوله : وقيل : إن عمر شهد . . . إلى هنا ساقط من ط .

(٢) في ط : إلى ؛ وما أثبت من أ ، م والطبري .

(٣) في الطبري : بمنجم ، وفي نسخة منه : بمتنح .

(٤) في ط : إنه لم يبق على وجه الأرض منهم أحد ، وعبارة أ موافقة للطبري ، وأرمياً : أحداً .

(٥) قطعة من حديث طويل أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٠٩) والبخاري في صحيحه برقم (٦٦٠٦) في القدر ، ومسلم رقم (١١١) .

(٦) الحديث رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٥٤٥) في فضائل الصحابة عن أسماء بنت أبي بكر ، ورواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٨٢) .

المبير فهو الحجاج بن يوسف الثقفي ، وقد ولي الكوفة من جهة عبد الملك بن مروان كما سيأتي ، وكان الحجاج عكس هذا ، كان ناصبياً جلداً ظالماً غاشماً ، ولكن لم يكن في طبقة هذا ، متهم على دين الإسلام ودعوة النبوة ، وأنه يأتيه الوحي من العليّ العلام .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة بعث المختار المثنى بن مُخرِّبة[١] العبدي إلى البصرة يدعو إليه من استطاع من أهلها ، فدخلها وابتنى بها مسجداً يجتمع فيه إليه قومه، فجعل يدعو إلى المختار، ثم أتى مدينة الرِّزْق[٢] فعسكر عندها فبعث إليه الحارث بن عبد الله بن ربيعة القُبَاع ـ وهو أمير البصرة قبل أن يعزل بمصعب ـ جيشاً مع عباد بن الحصين أمير الشرطة ، وقيس بن الهيثم . فقاتلوه وأخذوا منه المدينة وانهزم أصحابه ، وكان قد قام بنصرتهم بنو عبد القيس ، فبعث إليهم الجيش فبعثوا إليه فأرسل الأحنف بن قيس وعُمر[٣] بن عبد الرحمن المخزومي ليصلحا بين الناس ، وساعدهما مالك بن مسمع ، فانحجز الناس بعضهم عن بعض ، ورجع إلى المختار في نفر يسير مغلوباً مسلوباً مغلولاً ، وأخبر المختار بما وقع من الصلح على يدي الأحنف وغيره من أولئك الأمراء ، وطمع المختار فيهم وكاتبهم في أن يدخلوا معه فيما هو فيه من الأمر والشأن ، وكان كتابه إلى الأحنف بن قيس : من المختار إلى الأحنف بن قيس ومَنْ قِبَلَهُ فسلم[٤] أنتم . أما بعد فويل لبني ربيعة من مضر ، وأن الأحنف يورد قومه سقر ، حيث لا يستطيع لهم الصدر[٥] ، وإني لا أملك لكم ما قد خط في القدر ، وقد بلغني أنكم تسمونني كذاباً ، وقد كُذِّب الأنبياء من قبلي ولست بخير منهم .

وقال ابن جرير[٦] : حدَّثني أبو السائب سَلْم بن جُنادة ، حدثنا الحسن بن حمَّاد ، عن حمَّاد[٧] بن علي ، عن مجالد ، عن الشَّعبي . قال : دخلت البصرة فقعدت إلى حلقة فيها الأحنف بن قيس ، فقال بعض القوم : ممن أنت ؟ فقلت : رجل من أهل الكوفة ، فقال : أنتم موالٍ لنا ، قلت : وكيف ؟ قال : أنقذناكم من أيدي عبيدكم من أصحاب المختار ، قلت : أتدري ما قال شيخ من همدان فينا وفيكم ؟ فقال الأحنف : وما قال ؟ قلت : قال :

أَفْخَرْتُم أنْ قتلتمْ أعبُداً وهزمتم مَرَّةً آلَ عدَلْ[٨]

---

(١) في أ ، ط : المثنى بن مخرمة ، وما أثبت من ب والطبري (٦/ ٦٦) وابن الأثير (٣/ ٣١٥) وقد ضبطها ابن الأثير بضم الميم ، وفتح الخاء المعجمة ، وتشديد الراء وكسرها ، ثم باء مفتوحة .

(٢) قال ياقوت: الرِزق بكسر الراء، وسكون الزاي، كذا ذكره ابن الفرات في تاريخ البصرة للسَّاجي، وقال: مدينة الرِّزق إحدى مسالح العجم بالبصرة قبل أن يخطها المسلمون. معجم البلدان (٣/ ٤٧ ـ ٤٨) وقد تحرفت في ط إلى الورق.

(٣) في ط : « عمرو » ، وما أثبتناه من م والطبري وابن الأثير ، وسيأتي أيضاً .

(٤) في ط : « من الأمراء أفسلم » ، وما أثبتناه من م والطبري .

(٥) في ط : « صدر » ، وما أثبتناه من م والطبري .

(٦) تاريخ الطبري (٦/ ٦٩) .

(٧) في الطبري : حيان .

(٨) في الطبري : آل عزل .

فإذا فاخَرتُمُونا فاذكروا ... ما فعلْنا بكمُ يومَ الجمَل
بينَ شيخٍ خاضبٍ عُثْنونَهُ ... وفتى أبيضَ وضّاح رفل[١]
جاءَ يُهْدجُ في سابغةٍ ... فذبحناهُ ضحىً ذبحَ الحمَلْ
وعفونا فنسيتمْ عفونا ... وكفرتمْ نِعمَةَ اللهِ الأَجَلّ
وقَتَلتمْ بحسينٍ منهمُ[٢] ... بدلاً من قومكمْ شرَّ بدَلْ

قال : فغضب الأحنف وقال : يا غلام هات الصحيفة ، فأُتي بصحيفة فيها : بسم الله الرحمن الرحيم من المختار بن أبي عبيد إلى الأحنف بن قيس ، أما بعد فويلُ أم ربيعة من مضر فإن الأحنف يورد قومه سقر حيث لا يقدرون على الصَّدر ، وقد بلغني أنَّكم تُكذبوني ، فإن كُذِّبتُ فقد كُذِّبت رسل من قبلي ، ولست خيراً منهم ، ثم قال الأحنف : هذا منَّا أو منكم .

فصل[٣]

ولما علم المختار أن ابن الزبير لا ينام عنه ، وأن جيش الشام من قبل عبد الملك مع ابن زياد يقصدونه في جمع كثير لا يرام ، شرع يصانع ابن الزبير يريد خداعه والمكر به ، فكتب إليه : إني كنت بايعتك على السَّمع والطاعة والنصح لك ، فلما رأيتك قد أعرضت عني تباعدت عنك ، فإن كنت على ما أعهد منك فأنا على السمع والطاعة لك . والمختار يخفي هذا كل الإخفاء عن الشيعة ، فإذا ذكر له أحد شيئاً من ذلك أظهر لهم أنه أبعد الناس من ذلك ، فلما وصل كتابه إلى ابن الزبير أراد أن يعلم أصادق أم كاذب ، فدعا عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ، فقال له : تجهز إلى الكوفة فقد ولَّيتكها ، فقال : وكيف وبها المختار ؟ فقال : يزعم أنه سامع لنا مطيع ، وأعطاه قريباً من أربعين ألفاً يتجهز بها فسار فلما كان ببعض الطريق لقيه زائدة بن قدامة من جهة المختار في خمسمئة فارس ملبسة ، ومعه سبعون ألفاً من المال ، وقد تقدم إليه المختار فقال : أعطه المال فإن هو انصرف وإلاّ فأره الرجال فقاتله حتى ينصرف ، فلما رأى عمر بن عبد الرحمن الجدَّ قبض المال وسار إلى البصرة فاجتمع هو وابن مطيع بها عند أميرها الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة ، وذلك قبل وثوب المثنى بن مُخرِّبة كما تقدم ، وقبل وصول مصعب بن الزبير إليها .

وبعث عبد الملك بن مروان ابن عمه عبد الملك بن الحارث بن الحكم في جيش إلى وادي القرى ليأخذوا المدينة من نواب ابن الزبير ، وكتب المختار إلى ابن الزبير إن أحببت أن أمدك بمدد ، وإنما يريد خديعته ومكايدته ، فكتب إليه ابن الزبير : إن كنت على طاعتي فلست أكره ذلك ، فابعث بجند إلى وادي

---

(١) في ط : وفتى البيضاء وضاحاً دقل ؛ وما أثبت موافق للطبري .
(٢) في الطبري : وقتلتم خشبيين بهم .
(٣) خبر مكر المختار بابن الزبير في الطبري (٦/ ٧١) وابن الأثير (٣/ ٣١٥) .

القرى ليكونوا مدداً لنا على قتال الشاميين . فجهز المختار ثلاثة آلاف عليهم شُرَحْبيل بن وَرْس الهمداني ، ليس فيهم من العرب إلا سبعمئة ، وقال له : سر حتى تدخل المدينة ، فإذا دخلتها فاكتب إليّ حتى يأتيك أمري ، وإنما يريد أخذ المدينة من ابن الزبير ، ثم يركب بعد ذلك إلى مكة ليحاصر ابن الزبير بها ، وخشي ابن الزبير أن يكون المختار بعث ذلك الجيش مكراً ، فبعث العباس بن سهل بن سعد الساعدي في ألفين ، وأمره أن يستعين بالأعراب وقال له : إن رأيتموهم في طاعتي وإلا فكايدهم حتى تهلكهم . فأقبل العباس بن سهل حتى لقي ابن ورس بالرقيم ، وقد بقي ابن ورس في جيشه ، فاجتمعا على ماء هنالك ، فقال له العباس : ألستم في طاعة ابن الزبير ؟ فقال : بلى ، قال : فإنه قد أمرني أن نذهب إلى وادي القرى فنقاتل من به من الشاميين . فقال له ابن ورس : إني لم أومر بطاعتك ، وإنما أمرني أن أدخل المدينة ثم أكتب إلى صاحبي فإنه يأمرني بأمره ، ففهم عباس مغزاه ولم يظهر له أنه فطن لذلك ، فقال له : رأيك أفضل ، فاعمل ما بدا لك . ثم نهض العباس من عنده وبعث إليهم الجزر والغنم والدقيق ، وقد كان عندهم حاجة شديدة إلى ذلك ، وجوع كثير ، فجعلوا يذبحون ويطبخون ويختبزون ويأكلون على ذلك الماء ، فلما كان الليل بيَّتهم عباس بن سهل فقتل أميرهم وطائفة منهم نحواً من سبعين ، وأسر منهم خلقاً كثيراً ، فقتل أكثرهم ، ورجع القليل منهم [إلى المختار] وإلى بلادهم خائبين .

قال أبو مخنف : فحدَّثني أبو يوسف أن عباس بن سهل انتهى إليهم وهو يقول :

أنـا ابـنُ سهـلٍ فـارسٌ غيـرُ وَكَـلْ ... أروَعُ مِقْـدامٌ إذا الكبـشُ نَكَـلْ

وأَعْتلـي رأسَ الطِّـرِمَّـاح البطَـلْ ... بالسّيفِ يومَ الرَّوعِ حتى ينجدلْ[١]

فلما بلغ خبرهم المختار قام في أصحابه خطيباً فقال : إن الفجار الأشرار قتلوا الأبرار الأخيار ، ألا إنه كان أمراً مأتيّاً ، وقضاء مقضياً . ثم كتب إلى محمد بن الحنفية مع صالح بن مسعود الخثعمي : كتاباً يذكر فيه أنه بعث إلى المدينة جيشاً لنصرته فغدر بهم جيش ابن الزبير ، فإن رأيت أن أبعث جيشاً آخر إلى المدينة وتبعث من قبلك رسلاً إليهم فافعل ، فكتب إليه ابن الحنفية : أما بعد فإن أحب الأمور كلها إليّ ما أطيع الله فيه ، فأطع الله فيما أعلنت وأسررت ، واعلم أني لو أردت القتال لوجدت الناس إليّ سراعاً ، والأعوان لي كثرة ، ولكني أعتزلهم وأصبر حتى يحكم الله لي وهو خير الحاكمين .

وقال لصالح بن مسعود : قل للمختار فليتق الله وليكفَّ عن الدماء . فلما انتهى إليه كتاب محمد بن الحنفية قال : إني قد أمرت بجمع البر واليسر ، وبطرح الكفر والغدر[٢] .

وذكر ابن جرير[٣] من طريق المدائني وأبي مخنف : أن ابن الزبير عمد إلى ابن الحنفية وسبعة عشر

(١) في الطبري : ينخزل .

(٢) عبارة الطبري : أني قد أمرت بأمر يجمع البرّ واليسير ويطرح الكفر والغدر .

(٣) تاريخ الطبري (٦/ ٧٥ ـ ٧٦) والخبر أيضاً في ابن الأثير (٤/ ٢٤٩) والفتوح لابن الأعثم (٢/ ٣٠٢) .

رجلاً من أشراف أهل الكوفة فحبسهم حتى يبايعوه ، فكرهوا أن يبايعوا إلا من اجتمعت عليه الأمة ، فتهددهم وتوعدهم واعتقلهم بزمزم ، فكتبوا إلى المختار بن أبي عبيد يستصرخونه ويستنصرونه ، ويقولون له : إن ابن الزبير قد توعدنا بالقتل والحريق ، فلا تخذلونا كما خذلتم الحسين وأهل بيته ، فجمع المختار الشيعة وقرأ عليهم الكتاب وقال : هذا مهديكم[١] وصريخ أهل البيت قد أصبحوا محصورين ينتظرون القتل والحريق وقال : لست أبا إسحاق إن لم أنصركم نصراً مؤزراً ، وإن لم أرسل إليهم الخيل كالسيل يتلوه السيل ، حتى يحل بابن الكاهليَّة الويل ، ثم وجَّه أبا عبد الله الجَدَليّ في سبعين راكباً من أهل القوة ، وظَبيان بن عمر[٢] التيمي في أربعمئة ، وأبا المعتمر في مئة ، وهانىء بن قيس في مئة ، وعمير بن طارق في أربعين [وفارس بن عمران في أربعين][٣] ، وكتب إلى محمد بن الحنفية مع الطفيل بن عامر بتوجيه الجنود إليه ، فنزل أبو عبد الله الجَدَليّ بذات عرق حتى تلاحق به نحو من مئة وخمسين فارساً ، ثم سار بهم حتى دخل المسجد الحرام نهاراً جهاراً وهم يقولون : يا ثارات الحسين ، وقد أعد ابن الزبير الحطب لابن الحنفية وأصحابه ليحرقهم به إن لم يبايعوه ، وقد بقي من الأجل يومان ، فعمدوا ـ يعني أصحاب المختار ـ إلى محمد بن الحنفية فأطلقوه من سجنه وقالوا : إن أذنت لنا قاتلنا ابن الزبير ، فقال : إني لا أرى القتال في المسجد الحرام ، فقال لهم ابن الزبير : ليس نبرح وتبرحون حتى يبايع وتبايعوا معه ، فامتنعوا عليه ثم لحقهم بقية أصحابهم فجعلوا يقولون وهم داخلون الحرم : يا ثارات الحسين ، فلما رأى ابن الزبير ذلك منهم خافهم وكف عنهم ، ثم أخذوا محمد بن الحنفية وأخذوا من الحجيج مالاً كثيراً فسار بهم حتى دخل شعب علي ، واجتمع معه أربعة آلاف رجل ، فقسم بينهم ذلك المال . هكذا أورده ابن جرير ، وفي صحتها نظر والله أعلم .

قال ابن جرير : وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان نائبه بالمدينة أخاه مصعب ونائبه على البصرة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة وعبد الملك بن مروان على الشام ، وأخوه محمد بن مروان على الجزيرة وأرمينية ، وأخوه عبد العزيز على مصر[٤] وقد استحوذ المختار على الكوفة ، وعبد الله بن خازم على بلاد خراسان ، وذكر حروباً جرت فيها لعبد الله بن خازم يطول ذكرها .

فصل

قال ابن جرير[٥] : وفي هذه السنة شخص إبراهيم بن الأشتر إلى عبيد الله بن زياد ، وذلك لثمان بقين

---

(١) في أ : هذا كتاب الهدى .
(٢) في الطبري وابن الأثير : وظبيان بن عمارة أخا بني تميم .
(٣) ما بين معكوفين ساقط من ط ، وفي الطبري : يونس بن عمران .
(٤) من قوله : وعبد الملك بن . . . إلى هنا ساقط من ط .
(٥) تاريخ الطبري (٦/ ٨١) .

من ذي الحجة . وقال أبو مخنف عن مشايخه : ما هو إلا أن فرغ المختار من جَبَّانة السّبيع وأهل الكناسة ، فما ترك ابن الأشتر إلا يومين حتى أشخصه إلى الوجه الذي كان وجَّهَهُ فيه لقتال أهل الشام ، فخرج يوم السبت لثمان بقين من ذي الحجة سنة ست وستين ، وخرج معه المختار يودعه في وجوه أصحابه ، وخرج معه خاصة المختار ، ومعه كرسي المختار على بغل أشهب ليستنصروا به على الأعداء ، وهم حافّون به يدعون [ويستصرخون] ويستنصرون ويتضرعون ، فرجع المختار بعد أن وصاه بثلاث قال : يابن الأشتر اتق الله في سرِّك وعلانيتك ، وأسرع السير ، وعاجل عدوك بالقتال . واستمر أصحاب الكرسي سائرين مع ابن الأشتر ، فجعل ابن الأشتر يقول : اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ، سنة بني إسرائيل ، والذي نفسي بيده إذ عكفوا على عِجلهم ، فلما جاوز القنطرة هو وأصحابه رجع أصحاب الكرسي .

قال ابن جرير[١] : وكان سبب هذا الكرسي ما حدَّثني به عبد الله بن أحمد بن شبَّويه[٢] حدَّثني أبي ، حدّثنا سليمان ، حدّثنا عبد الله بن المبارك ، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة ، حدَّثني معبد بن خالد ، حدَّثني طُفيل بن جَعْدَة بن هُبيرة قال : أُعدمت مرة من الورق ، فإني كذلك إذ مررت بباب رجل هو جار لي له كرسي قد ركبه وسخ شديد ، فخطر في بالي أن لو قلت في هذا[٣] ، فرجعت فأرسلت إليه أن أرسل إليّ بالكرسي ، فأرسل به ، فأتيت المختار فقلت له : إني كنت أكتمك شيئاً وقد بدا لي أن أذكره إليك ، قال : وما هو ؟ قلت : كرسي كان جعدة بن هبيرة يجلس عليه كأنه كان يرى أن فيه أثرة من علم . قال : سبحان الله !! فأخَّرت هذا إلى اليوم ؟ ابعث إليه[٤] ، قال فجئت به وقد غسل فخرج عوداً ناضراً وقد شرب الزيت ، فأمر لي باثني عشر ألفاً ، ثم نودي في الناس : الصلاة جامعة ، قال : فخطب المختار الناس فقال : إنه لم يكن في الأمم الخالية أمر إلا وهو كائن في هذه الأمة مثله ، وإنه قد كان في بني إسرائيل التابوت ، وإن هذا مثله ، ثم أمر فكشف عنه أثوابه وقامت السبئية فرفعوا أيديهم وكبروا ثلاثاً ، فقام شبَثُ بن ربعي فأنكر على الناس وكاد أن يكفر من يصنع بهذا التابوت هذا التعظيم . وأشار بأن يكسر ويخرج من المسجد [ويرمي في الخنس] فشكرها الناس لشَبَث بن ربعي ، فلما قيل : هذا عبيد الله بن زياد قد أقبل ، وبعث المختار إبراهيم بن الأشتر ، بعث معه بالكرسي يحمل على بغل أشهب قد غشي بأثواب [الحرير] عن يمينه سبعة وعن يساره سبعة ، فلما تواجهوا مع الشاميين كما سيأتي وغلبوا الشاميين وقتلوا ابن زياد ، ازداد تعظيمهم لهذا الكرسي حتى بلغوا به الكفر ، قال الطفيل بن جَعْدَة فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وندمت على ما صنعت ، وتكلّم الناس في هذا الكرسي وكَثُر عيب الناس له ، فغيِّب حتى لا يُرى بعد ذلك .

---

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٨٢) .
(٢) في ط : شيبوية ؛ تحريف .
(٣) في الطبري : لو قلت للمختار في هذا .
(٤) في ط : فلِمَ أخرت هذا إلى اليوم ؟ ابعثه إليّ . وعبارة أ موافقة للطبري .

وذكر ابن الكلبي[١] أن المختار طلب من آل جعدة بن هبيرة الكرسي الذي كان علي يجلس عليه فقالوا : ما عندنا شيء مما يقول الأمير ، فألح عليهم حتى علموا أنهم لو جاؤوا بأي كرسي كان ، لقَبِله منهم ، فحملوا إليه كرسياً من بعض الدور فقالوا : هذا هو . فخرجت شبام وشاكر وسائر رؤوس أصحاب المختار[٢] وقد عصبوه بالحرير والدّيباج .

وحكى أبو مخنف : أن أول من سَدَن هذا الكرسي موسى بن أبي موسى الأشعري ، ثم إن الناس عتبوا عليه في ذلك ، فدفعه إلى حَوشب البُرسُمي ، وكان صاحبه ، حتى هلك المختار قبّحه الله .

ويروى أن المختار كان يُظهر أنه لا يعلم بما يعظم أصحابه هذا الكرسي ، وقد قال في هذا الكرسي أعشى همدان : [من الطويل]

شهدتُ عليكمْ أنكمْ سبئيةٌ ... وأني بكم يا شُرْطةَ الشِّرْكِ عارفُ
وأقسِمُ ما كُرسيُّكمْ بسكينةٍ ... وإنْ كانَ قد لُفَّتْ عليه اللّفائفُ
وأنْ ليسَ كالتابوتِ فينا وإنْ سَعَتْ ... شِبَامٌ حواليَهِ ونَهْدٌ وخارفُ
وإني امرؤٌ أحببتُ آلَ محمدٍ ... وتابعتُ وحياً ضُمِّنتهُ المصاحفُ
وتابعتُ عبد الله لمّا تتابعتْ ... عليه قريشٌ شمطها والغطارفُ[٣]

وقال المتوكل اللَّيثي :

أبلغْ أبا إسحاقَ إن جئتَه[٤] ... أني بكرسيّكم كافِرُ
تنزوا شِبَامٌ حولَ أعوادِهِ ... وتحمل الوحيَ لهُ شاكرُ
محمرَّةً أعينهم حولَهُ ... كأنهنّ الحِمَّصُ الحادرُ[٥]

قلت : هذا وأمثاله مما يدل على ضعف[٦] المختار وأتباعه ، وقلة علمه وكثرة جهله ، ورداءة فهمه ، وترويجه الباطل على أتباعه وتشبيهه الباطل بالحق ليضل به الطغام ، ويجمع عليه جهلة الرعاع[٧] والعوام .

---

(١) نسب معد واليمن الكبير (٢/ ١٩٥ ـ ١٩٦) ت : محمد فردوس العظم .
(٢) في ط : رؤوس المختارية ، وما أثبت عن (أ) والطبري والزيادة منه ليستقيم المعنى .
(٣) الأبيات في تاريخ الطبري (٦/ ٨٣ ـ ٨٤) وابن الأثير (٣/ ٣٢٥) والبيت الأول في أنساب الأشراف (٥/ ٢٤٢) .

أبلغ شباماً وأبا هانىء ... أني بِكُرْسِيِّهم كافر

ولم يذكر غيره .
(٤) في أ : آل جفنة ، وما هنا موافق للطبري .
(٥) في أ : كأنهن الحيض الحازر ، وما هنا موافق للطبري وابن الأثير .
(٦) في ط : قلة عقل .
(٧) في ط : جهال .

قال الواقدي[١] : وفي هذه السنة وقع بمصر طاعون هلك فيه خلق كثير من أهلها ، وفيها ضرب الدنانير عبد العزيز بن مروان بمصر ، وهو أول من ضربها [بها][٢] .

قال صاحب مرآة الزمان[٣] : إن في هذه السنة ابتدأ عبد الملك بن مروان ببناء القبة على صخرة بيت المقدس وعمارة الجامع الأقصى ، وكملت عمارته في سنة ثلاث وسبعين ، وكان السبب في ذلك أن عبد الله بن الزبير كان قد استولى على مكة ، وكان يخطب في أيام منى وعرفة ، ومقام الناس بمكة ، وينال من عبد الملك ويذكر مساوىء بني مروان ، ويقول : إن النبي ﷺ لعن الحكم وما نسل[٤] ، وأنه طريد رسول الله ﷺ ولعينه ، وكان يدعو إلى نفسه ، وكان فصيحاً ، فمال معظم أهل الشام إليه ، وبلغ ذلك عبد الملك فمنع الناس من الحج فضجوا ، فبنى القبة على الصخرة والجامع الأقصى ليشغلهم بذلك عن الحج [ويستعطف قلوبهم] وكانوا يقفون عند الصخرة ويطوفون حولها كما يطوفون حول الكعبة . وينحرون يوم العيد ويحلقون رؤوسهم [ففتح بذلك على نفسه بأن شنع ابن الزبير عليه] وكان يشنع عليه بمكة ويقول : ضاهى بها فعل [الأكاسرة في] إيوان كسرى ، والخضراء ، كما فعل معاوية ، ونقل الطواف من بيت الله إلى قبلة بني إسرائيل ونحو ذلك[٥] . ولما أراد عبد الملك بناءها سار من دمشق إلى بيت المقدس ومعه الأموال والعمال ، ووكل بالعمل رجاء بن حيوة[٦] ويزيد بن سلام مولاه[٧] ، وجمع الصناع والمهندسين وأمرهم فصوروا له القبة في صحن المسجد ، فأعجبه ، وبنى للمال بيتاً في شرقي القبة وشحنه بالمال[٨] ، وأمر رجاء بن حيوة ويزيد أن يفرغا المال إفراغاً ولا يتوقفا في شيء . فبنوا القبة التي هي اليوم قائمة ، وبنوا من ناحية القبلة سبع محاريب عليها سبع قباب[٩] والقبة التي باقية اليوم على المحراب هي أوسطها ولما تم بناء القبة عمل لها جلالين ، أحدهما من لَبُود[١٠] أحمر للشتاء ، والآخر

---

(١) تاريخ خليفة (٢٦٣) وتاريخ الإسلام للذهبي (٥/ ٥٣) طبعة دار الكتاب العربي .

(٢) في تاريخ الإسلام : وهو أول من ضربها في الإسلام .

(٣) هو يوسف بن قُزْغُلي بن عبد الله ، أبو المظفر ، شمس الدين سبط أبي الفرج بن الجوزي [٥٨١ ـ ٦٥٤] مؤرخ ، من الكتاب الوعاظ ، ولد ونشأ ببغداد ثم انتقل إلى دمشق فاستوطنها وتوفي فيها . من كتبه : « مرآة الزمان في تاريخ الأعيان » ولم أجد ما نقل في المطبوع منه .

(٤) يشير المصنف إلى حديث : « إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا آيات الله بينهم دولاً ، وعباد الله خولاً ، وكتابه دغلاً ، فإذا بلغوا تسعة وتسعين وأربعمئة كان هلاكهم أسرع من الثمرة » رواه الطبراني (١٢٩٨٢) وغيره ، وهو حديث حسن ، ورواه من حديث أبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري ، وأبي ذر الغفاري ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وانظر حديث أبي هريرة في مسند أبي يعلى رقم (٦٥٢٣) فهو به حسن .

(٥) من قوله : ونقل الطواف . . إلى هنا ساقط من ط .

(٦) في الأنس الجليل : وكان من العلماء الأعلام ومن جلساء عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .

(٧) في الأنس الجليل : وهو من أهل بيت المقدس .

(٨) في الأنس الجليل (٢/ ٢٧٢) : وأرصد للعمارة مالاً كثيراً يقال : إن خراج مصر سبع سنين ، ووضعه بالقبة الكائنة أمام الصخرة من جهة الشرق بعد أن أمر ببنائها ، وهي من جهة الزيتون وجعلها حاصلاً وشحنها بالأموال .

(٩) مكانها في ط : وفرشاها بالرخام الملون .

(١٠) تحرفت في ط إلى : اليود . واللبود : صوف متداخل ولازق بعضه ببعض . القاموس (لبد) .

من أدم للصيف وحف الصخرة بدرابزين من الساج المطعم باليشم ، وخلف الدرابزين ستور من الديباج ، مرخاة بين العمد ، وكانت السدنة كل خميس وإثنين يذوِّبون المسك والعنبر والماورد والزعفران ، ويعملون فيه غالية ، ويبخِّرونها من الليل ثم يدخل الخدم الحمام من الليل فيغتسلون ، ويتطيبون ويلبسون ثياب الوشي ويشدون أوساطهم بالمناطق المحلاّة بالذهب ويخلقون الصخرة ، ثم يضعون البخور في مجامر الذهب والفضة ، وفيها العمود القماري المغلي بالمسك ، ويرخوا السدنة الستور فتخرج تلك الرائحة فتملأ المدينة كلها ثم ينادي منادٍ ألا إن الصخرة قد فتحت ، فمن أراد الزيارة فليأت فيقبل الناس مبادرين فيصلون ويخرجون ، فمن وجدت منه رائحة البخور قال الناس هذا كان اليوم في الصخرة ، وأبواب الصخرة أربعة ، على كل باب عشرة من الحجبة . الباب الشمالي : يسمى باب الجنة ، والشرقي باب إسرافيل ، والغربي باب جبريل ، والقبلي باب الأقصى ، وكانوا يشعلونها بدهن البان ، ولا يدخلها أحد غير أيام الزيارة سوى الخدم ، وكان للحرم عشرون باباً ، وكان فيه ألف عمود من الرخام ، وفي السقوف ستون ألف خشبة ، من الساج المنقوش ، ومن القناديل خمسة آلاف قنديل ، وكان فيه أربعمئة سلسلة ، كل سلسلة ألف رطل شامي ، طول السلاسل ثلاثون ألف ذراع ، وكان يوقد في الصخرة كل ليلة مئة شمعة ، وكذا في الأقصى ، وكان يوقد في القناديل كل ليلة من الزيت المغسول قنطار ، وكان في الحرم خمسون قبة ، ومن ألواح الرصاص سبعون ألف لوح ، وكان في الحرم ثلاثمئة خادم ابتاعوا من بيت المال من الخمس ، كلما مات واحد قام ولده بعده مقامه ، ويقبضون أرزاقهم من بيت المال شهراً بشهر وكان في الحرم مئة صهريج ، وكانت صفائح القبة وسقف الأقصى من صفائح الذهب عوض الرصاص وكذلك أبواب القبة وصفائحها ، وذلك أنه لما كمل البناء فضل من المال ثلاثمئة ألف دينار وقيل ستمئة ألف ، وكتب رجاء بن حيوه ويزيد إلى عبد الملك بوفاته بذلك . فكتب إليهما : قد وهبته منكما ، فكتبا إليه : إنا لو استطعنا لزدنا في عمارة هذا المسجد من حلي نسائنا ، فكتب إليهما إذ أبيتما أن تقبلاه فأفرغاه على القبة والأبواب ، فما كان أحد يستطيع أن يتأمل القبة مما عليها من الذهب القديم والحديث . فلما كان في خلافة أبي جعفر المنصور قدم القدس سنة أربعين ومئة ، الأقصى وقبابه ، فشكوا إليه الخراب ، فأمر أن يقلع ذلك الذهب والصفائح التي على القبة والأبواب ، وأن يعمروا بها ما تشعث في المسجد ، ففعلوا ذلك . وكان المسجد طويلاً فأمر أن يؤخذ من طوله ويزاد في عرضه ، ولما كمل البناء كتبوا على القبة ممايلي الباب القبلي من جهة الأقصى بالنص بعد البسملة : بنى هذه القبة عبد الله أمير المؤمنين عبد الملك سنة اثنتين وسبعين[1] من الهجرة النبوية ، وكان طول المسجد من القبلة إلى الشمال سبعمائة وخمسة وستون ذراعاً ، وعرضه أربعمائة وستون ذراعاً ، وكان فتوح القدس سنة ست عشرة والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) في ط : وستين .

ثم دخلت سنة سبع وستين

ففيها[١] كان مقتل عبيد الله بن زياد على يدي إبراهيم بن الأشتر النخعي ، وذلك أن إبراهيم بن الأشتر خرج من الكوفة يوم السبت لثمان بقين من ذي الحجة في السنة الماضية ، واستهلت هذه السنة وهو سائر لقصد ابن زياد في أرض الموصل ، فكان اجتماعهما بمكان يقال له الخازر[٢] ، بينه وبين الموصل خمسة فراسخ ، وكان ابن الأشتر في ثمانية آلاف ، وابن زياد في أربعين ألفاً من أهل الشام ، وكان ابن الأشتر لا يسير إلا على تعبئة ، فلما قاربوا أرسل عمير بن الحباب السُّلمي : إني معك . وأتى إلى ابن الأشتر ليلاً فبايعه وأخبره أنه على ميسرة ابن زياد ، ووعده أن ينهزم بالناس وقال له : لا تطاول القوم فإنهم أضعافكم ولكن ناجزهم فإنهم قد ملئوا منكم رعباً. فقال ابن الأشتر : الآن علمت أنك ناصح ثم انصرف[٣] فبات ابن الأشتر تلك الليلة ساهراً لا يغمض لنوم ، فلما كان قريب الصبح نهض فعبَّأ جيشه وكَتَّب كتائبه[٤] ، وصلى بأصحابه الفجر في أول وقت ، ثم ركب فناهض جيش ابن زياد ، وزحف بجيشه رويداً وهو ماش في الرجَّالة حتى أشرف من فوق تلٍّ على جيش ابن زياد ، فإذا هم لم يتحرك منهم أحد ، فلما رأوهم نهضوا إلى خيلهم وسلاحهم مدهوشين ، فركب ابن الأشتر فرسه وجعل يقف على رايات القبائل فيحرِّضهم على قتال ابن زياد ويقول : هذا قاتل ابن بنت رسول الله ﷺ ، قد جاءكم الله به وأمكنكم الله منه اليوم ، فعليكم به فإنه قد فعل في بيت رسول الله ﷺ ما لم يفعله فرعون في بني إسرائيل ، هذا ابن زياد قاتل الحسين الذي حال بينه وبين ماء الفرات أن يشرب منه هو وأولاده ونساؤه ، ومنعه أن ينصرف إلى بلده ، ومنعه أن يأتي يزيد بن معاوية حتى قتله (فوالله ما عمل فرعون فعاله وقد جاءكم الله به ، وإني لأرجو أن يشفي الله صدوركم ويسفك دمه على يديكم)[٥] ثم نزل تحت رايته ، وأقبل ابن زياد [في خيله ورجله] في جيش كثيف قد جعل على ميمنته حصين بن نمير ، وعلى الميسرة عمير بن الحباب السُّلمي ـ وكان قد اجتمع بابن

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري (٦/ ٨٦) والكامل لابن الأثير (٤/ ٢٦٢) وتاريخ الإسلام (٥/ ٥٥) والمنتظم لابن الجوزي (٦/ ٦٣).

(٢) في أ : الجادر ؛ تحريف . قال ياقوت : خازِر : بعد الألف زاي مكسورة ـ كذا رواه الأزهري وغيره ـ ثم راء ، هو نهر بين إربل والموصل ثم بين الزاب الأعلى والموصل . .
وهو موضع كانت عنده وقعة بين عبيد الله بن زياد وإبراهيم بن مالك بن الأشتر النخعي أيام المختار . . وذلك في سنة ٦٦ للهجرة ، معجم البلدان (٢/ ٣٨٦) .

(٣) من قوله : وكان ابن الأشتر . . إلى هنا ساقط من (أ) وموافق لمصادر المؤلف .

(٤) أي عبأ الكتائب في مواضعها . هامش أ .

(٥) بدل العبارة في ط : ويحكم اشفوا صدوركم منه ، وارووا رماحكم وسيوفكم من دمه ، هذا الذي فعل في آل نبيكم ما فعل قد جاءكم الله به . ثم أكثر من هذا القول وأمثاله ، وعبارة أ ، ب أقرب إلى المصادر .

الأشتر ووعده أنه معه وأنه سيهزم بالناس غداً ـ وعلى خيل ابن زياد شُرَحبيل بن ذي[١] الكلاع ، وابن زياد في الرجال يمشي معهم . فما كان إلا أن تواقف الفريقان حتى حمل حصين بن نمير بالميمنة على ميسرة أهل الكوفة فهزمها ، وقتل أميرها علي بن مالك الجُشمي فأخذ رايته من بعده ولده محمد[٢] بن علي فقتل أيضاً ، وانشمرت[٣] الميسرة ذاهبة فجعل الأشتر يناديهم إليّ يا شرطة الله ، أنا ابن الأشتر ، وقد كشف عن رأسه ليعرفوه ، فالتاثوا به واجتمعوا إليه ، ثم حملت ميمنة أهل الكوفة على ميسرة الشام فثبتوا لهم وقيل بل انهزمت الميسرة وانحازت إلى ابن الأشتر ، ثم حمل ابن الأشتر بمن معه وجعل يقول لصاحب رايته : ادخل برايتك فيهم ، وقاتل ابن الأشتر يومئذ قتالاً عظيماً ، وكان لا يضرب بسيفه رجلاً إلا صرعه ، وكثرت القتلى بينهم .

[وقيل إن ميسرة أهل الشام] ثبتوا وقاتلوا قتالاً شديداً [بالرماح ثم بالسيوف] ثم أردف الحملة ابن الأشتر فانهزم جيش الشام بين يديه ، وهو يقتلهم كما يقتل الحملان ، واتبعهم بنفسه ومن معه من الشجعان ، وثبت عبيد الله بن زياد في موقفه حتى اجتاز به ابن الأشتر فقتله وهو لا يعرفه ، لكن قال لأصحابه : التمسوا في القتلى رجلاً ضربته بالسيف فنفحتني منه ريح المسك ، شرقت يداه وغربت رجلاه ، وهو واقف عند راية منفردة على شاطىء نهر خازر ، فالتمسوه فإذا هو عبيد الله بن زياد ، وإذا هو قد ضربه ابن الأشتر فقطعه نصفين[٤] ، فاحتزوا رأسه وبعثوه إلى المختار إلى الكوفة مع البشارة بالنصر والظفر بأهل الشام ومعه رأس حصين بن نمير ورأس شرحبيل بن ذي الكَلاع فأرسلها المختار إلى ابن الزبير فنصبت بمكة ، واتبع الكوفيون أهل الشام فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وغرق منهم أكثر ممن قتل ، واحتازوا ما كان في معسكرهم [من الأموال والخيول] .

وقد كان المختار بشَّر أصحابه بالنصر قبل أن يجيء الخبر ، فما ندري أكان ذلك تفاؤلاً منه أو اتفاقاً أو كهانة . وأما على ما كان يزعم أصحابه أنه أوحي إليه بذلك فلا ، فإن من اعتقد ذلك كفر ومن أقرهم على ذلك كفر ، لكن قال : إن الوقعة كانت بنصيبين فأخطأ إنما كانت بأرض الموصل ، وهذا مما انتقده عامر الشَّعبي على أصحاب المختار حين جاءه الخبر ، وقد خرج [المختار] من الكوفة ليتلقى البشارة ، فمر بالمدائن فصعد منبرها فبينما هو يخطب إذ جاءته البشارة وهو هنالك . قال الشَّعبي : فقال لي بعض أصحابه : أما سمعته بالأمس يخبرنا بهذا ؟ فقلت له أما سمعته يقول أنهم قتلوا الشاميين[٥] بنصيبين من

---

(١) سقطت من ط . وتنظر ترجمة شرحبيل في تاريخ دمشق (٢٢/ ٤٥٣) .

(٢) في الطبري وابن الأثير : ثم أخذ رايته قرّة بن علي .

(٣) في ط : واستمرت .

(٤) ساق ابن جرير خبراً مسنداً يذكر فيه أن الذي قتل ابن زياد شريك بن جدير التغلبي ، وقال ابن الأثير : وقيل إن الذي قتل ابن زياد شريك بن جدير ، وهو القائل :

كـل عيـش قـد أراه بـاطـلاً غير ركز الرمح في ظل الفرس

(٥) بدلها في ط : زعم أن الوقعة كانت . .

أرض الجزيرة ، وإنما قال البشير : إنهم كانوا بالخازِر من أرض الموصل ، فقال : والله لا تؤمن يا شعبي حتى ترى العذاب الأليم . ثم رجع المختار إلى الكوفة .

وفي غيبته هذه تمكن جماعة ممن كان قاتله يوم جبّانة السَّبيع والكناسة من الخروج ليجتمعوا بمصعب بن الزبير وكان منهم شَبَث بن ربعي ، وأما ابن الأشتر فإنه بعث بالبشارة ورأس عبيد الله بن زياد وبعث رجلاً على نيابة نصيبين واستمر مقيماً في تلك البلاد ، وبعث إلى الموصل عمالاً وأخذ سنجار ودارا وما ولاها من الجزيرة .

وقال أبو أحمد الحاكم : كان مقتل عبيد الله بن زياد يوم عاشوراء سنة ست وستين ، والصواب سنة سبع وستين . وقد قال سُراقة بن مِرْداس البارقي يمدح ابن الأشتر على قتله ابن زياد :

أتـاكـمْ غُـلامٌ مـنْ عَـرَانيـن مـذْحِـجٍ ... جـريءٌ علـى الأعـداءِ غيـرُ نَكُـولِ
فَيَـا بـنَ زيـادٍ بـؤْ بـأعْظـم مـالـك[1] ... وذقْ حـدَّ مـاضـي الشَّفـرَتَيـنِ صقيـلِ
ضـربنـاكَ بـالعضـبِ الحُسـامِ بحـدَّةٍ ... إذا مـا أبـأنـا قـاتـلاً[2] بقتيـلِ
جـزى الله خيـراً شُـرْطـة الله إنهـم ... شَفَـوا مـن عُبيـدِ الله أمْـسِ غَليلـي

وهذه ترجمة ابن زياد

هو عبيد الله بن زياد بن عبيد ، المعروف بابن زياد بن أبي سفيان ، ويقال له : زياد بن أبيه ، وابن سمية ، أمير العراق بعد أبيه زياد ، وقال ابن معين : ويقال له عبيد الله بن مرجانة وهي أمه ، وقال غيره : وكانت مجوسية ، وكنيته أبو حفص ، وقد سكن دمشق بعد موت[3] يزيد بن معاوية ، وكانت له دار عند الديماس[4] تعرف بعده بدار ابن عجلان ، وكان مولده سنة تسع وثلاثين فيما حكاه ابن عساكر عن أبي العباس أحمد بن يونس الضبي ، قال ابن عساكر[5] : وروى الحديث عن معاوية وسعد بن أبي وقاص ومعقل بن يسار . وحدث عنه الحسن البصري وأبو المليح بن أسامة . وقال أبو نعيم الفضل بن دكين : ذكروا أن عبيد الله بن زياد حين قتل الحسين كان عمره ثمانياً وعشرين سنة ، قلت : فعلى هذا يكون مولده سنة ثلاث وثلاثين فالله أعلم .

وقد روى ابن عساكر أن معاوية كتب إلى زياد : أن أوفد إليّ ابنك ، فلما قدم عليه لم يسأله [معاوية] عن شيء إلا نفذ منه ، حتى سأله عن الشعر فلم يعرف منه شيئاً ، فقال له : ما منعك من تعلم الشعر ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إني كرهت أن أجمع في صدري مع كلام الله كلام الشيطان ، فقال [معاوية] :

---

(١) في ط : هالك .
(٢) في ط : قتيلاً .
(٣) سقطت من ط .
(٤) هي ناحية زقاق الديماس النافذ إلى سوق الأساكفة العتيق ، كما في تاريخ دمشق (٣٧/ ٤٣٤) .
(٥) تاريخ دمشق (٣٧/ ٤٣٤) ط دار الفكر .

اغرب ، فوالله ما منعني من الفرار يوم صفين إلا قول ابن الإطنابة حيث يقول : [من الوافر]

أبتْ لي عفتي وأبى بَلائي وأَخْذي الحمدَ بالثَّمنِ الربيحِ
وإعطائي على الإعدامِ مالي وإقدامي على البطلِ المُشيحِ
وقَوْلي كلما جشَأتْ وجاشتْ مكانكِ تعذري[1] أو تستريحي
لأدفعَ عنْ مآثرَ صالحاتٍ وأحمي بعدُ عن أنفٍ صحيحِ[2]

ثم كتب إلى أبيه : أن روِّه من الشعر ، فروّاه حتى كان لا يسقط عنه منه شيء بعد ذلك ، ومن شعره بعد ذلك : [من الطويل]

سيعلمُ مروانُ بن نِسوةَ أنني إذا التقت الخِيلانُ أطعنها شزرا
وإني إذا حلَّ الضيوفُ ولم أجدْ سوى فرسي أو سقته[3] لهمُ نحرا[4]

وقد سأل معاوية يوماً أهل البصرة عن ابن زياد فقالوا : إنه لظريف ولكنه يلحن ، فقال : أو ليس [اللحن] أظرف له ؟ قال ابن قتيبة وغيره : إنما أرادوا أنه يلحن في كلامه ، أي يلغز ، وهو ألحن بحجته كما قال الشاعر في ذلك :

منطقٌ رائعٌ ويلحنُ أحياناً وخيرُ الحديثِ ما كانَ لحناً[5]

وقيل إنهم أرادوا أنه يلحن في قوله لحناً وهو ضد الإعراب ، وقيل أرادوا اللحن الذي هو ضد الصواب وهو الأشبه والله أعلم . فاستحسن معاوية منه السهولة في الكلام وأنه لم يكن ممن يتعمق في كلامه ويفخِّمه ، ويتشدق فيه ، وقيل أرادوا أنه كانت فيه لكنة من كلام العجم ، فإن أمه مرجانة كانت سُرِّية وكانت بنت بعض ملوك الأعاجم يزدجرد أو غيره ، قالوا : وكان في كلامه شيء من كلام العجم ، قال يوماً لبعض الخوارج : أهروري أنت ؟ يعني أحروري أنت ؟ وقال يوماً من كاتلنا كاتلناه ، أي من قاتلنا قاتلناه ، وقول معاوية ذاك أظرف له ، أي : أجود له حيث نزع إلى أخواله ، وقد كانوا يوصفون بحسن السياسة وجودة الرعاية ومحاسن الشيم .

ثم لما مات زياد سنة ثلاث وخمسين ولَّى معاوية على البصرة سَمُرة بن جندب سنة ونصفاً ثم عزله

---

(١) في ط وتاريخ الإسلام : تحمدي .
(٢) الأبيات في تاريخ دمشق (٣٧/ ٤٣٧ ـ ٤٣٨) ط دار الفكر ، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر (١٥/ ٣١٤) وتاريخ الإسلام (٥/ ١٧٧) عدا الأخير .
(٣) في ط : أوسعته .
(٤) الأبيات في تاريخ دمشق (٣٧/ ٤٣٦) ط دار الفكر . ومختصر تاريخ دمشق (١٥/ ٣١٣) وقد قال هذه الأبيات حين وجهه مروان لحرب ابن الأشتر وقال : إياك والفرار كعادتك .
(٥) البيت في تاريخ دمشق (٣٧/ ٤٣٩) وفيه : منطق صائب ، والعقد الفريد (٢/ ٤٨٠) ونسبه إلى مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري وفيه : منطق بارع .

وولّى عليها عبد الله بن عمرو بن غيلان بن سلمة ستة أشهر ، ثم عزله وولّى عليها ابن زياد سنة خمس وخمسين . فلما تولى يزيد الخلافة جمع له بين البصرة والكوفة[١] ، فبنى في إمارة يزيد البيضاء ، وجعل باب القصر الأبيض الذي كان لكسرى عليها . وبنى الحمراء وهي على سكة المربد ، فكان يشتي في الحمراء ويصيف في البيضاء .

قالوا : وجاء رجل إلى ابن زياد فقال : أصلح الله الأمير ، إن امرأتي ماتت ، وإني أريد أن أتزوج أمها ، فقال له : كم عطاؤك في الديوان ؟ فقال : سبعمئة ، فقال : يا غلام حطّ من عطائه أربعمئة ، ثم قال له : يكفيك من فقهك هذا ثلاثمئة[٢] .

قالوا : وتخاصمت أم الفجيع[٣] وزوجها إليه وقد أحبت المرأة أن تفارق زوجها ، فقال أبو الفجيع : أصلح الله الأمير إن خير شطري الرجل آخره ، وإن شر شطري المرأة آخرها ، فقال : وكيف ذلك ؟ فقال : إن الرجل إذا أسن اشتد عقله واستحكم رأيه وذهب جهله ، وإن المرأة إذا أسنت ساء خلقها وقل عقلها وعقم رحمها واحتد لسانها ، فقال : صدقت خذ بيدها وانصرف .

وقال يحيى بن معين : أمر ابن زياد لصفوان بن محرز بألفي درهم فسرقت ، فقال : عسى أن يكون خيراً ، فقال أهله : كيف يكون هذا خيراً ؟ فبلغ ذلك ابن زياد فأمر له بألفين آخرين ، ثم وجد الألفين المسروقتين فصارت أربعة آلاف فكان خيراً . وقيل لهند بنت أسماء بن خارجة ـ وكانت قد تزوجت بعده أزواجاً من نواب العراق ـ من أعزُّ أزواجك عندك وأكرمهم عليك ؟ فقالت : ما أكرم النساء [أحد] إكرام بشر[٤] بن مروان ، ولا هاب النساء هيبة الحجاج بن يوسف ، ووددت أن القيامة قد قامت فأرى عبيد الله بن زياد وأشتفي من حديثه والنظر إليه ـ وكان أبا عذارتها[٥] ـ وقد تزوجت بالآخرين أيضاً .

وقال عثمان بن أبي شيبة : عن جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : أول من جهر بالمعوذتين في [الصلاة] المكتوبة ابن زياد ، قلت : يعني والله أعلم في الكوفة ، فإن ابن مسعود كان لا يكتبهما في مصحفه ، وكان فقهاء الكوفة يأخذون عن كثير من أصحابه والله أعلم .

وقد كانت في عبيد الله بن زياد جرأة وإقدام على سفك الدماء ، قتل خلقاً كثيراً جداً وكان سفيهاً شديداً ، وكان فيه مبادرة إلى[٦] ما لا حاجة له به .

ثبت في الحديث الذي رواه أبو يعلى ومسلم[٧] ، كلاهما عن شيبان بن فروخ ، عن جرير ، عن

---

(١) مكانها في أ ، م : ثم جمع يزيد بين الكوفة مع البصرة .
(٢) من قوله : ثم لما مات زياد . . إلى هنا متقدم في أ وآثرنا إبقاءه لمناسبته .
(٣) في ط : الفجيج ؛ وما أثبت عن أ ومختصر تاريخ دمشق .
(٤) في ط : بشير ؛ وما أثبت عن أ ، م ومختصر تاريخ دمشق .
(٥) في ط : وكان أتى عذارتها .
(٦) من قوله : على سفك الدماء . . إلى هنا ساقط من ط ، وبدله : ومبادرة إلى ما لا يجوز .
(٧) صحيح مسلم رقم (١٨٣٠) في الإمارة .

الحسن ، أن عائذ بن عمرو دخل على عبيد الله بن زياد فقال : أي بني ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن شر الرعاء الحطمة ، فإياك أن تكون منهم » . فقال [له] اجلس فإنما أنت من نخالة أصحاب رسول الله ﷺ ، فقال : وهل كان فيهم نخالة ؟ إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم .

و[قد] روى غير واحد عن الحسن أن عبيد الله بن زياد دخل على معقل بن يسار يعوده فقال له : إني محدثك بحديث سمعته من رسول الله ﷺ أنه قال : « ما من رجل استرعاه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لهم إلّا حرم الله عليه الجنة »[١] .

وقد ذكر غير واحد أنه لما مات معقل صلى عليه عبيد الله بن زياد ولم يشهد دفنه ، واعتذر بما ليس يجدي شيئاً وركب إلى قصره ، ومن جراءته إقدامه على الأمر بإحضار الحسين إلى بين يديه وإن قتل دون ذلك ، وكان الواجب عليه أن يجيبه إلى سؤاله الذي سأله فيما طلب من ذهابه إلى يزيد أو إلى مكة أو إلى أحد الثغور ، فلما أشار عليه شِمْر بن ذي الجوشن بأن الحزم أن يحضر عندك وأنت تسيره بعد ذلك إلى حيث شئت من هذه الخصال أو غيرها ، فوافق شمراً على ذلك وبعثه به ، فقتل الحسين كما قدمنا[٢] .

وقد قال محمد بن سعد[٣] : أنبأنا الفَضْل بن دكين ومالك بن إسماعيل قالا : حدَّثنا عبد السلام بن حرب ، عن عبد الملك بن كردوس ، عن حاجب عبيد الله بن زياد قال : دخلت معه القصر حين قُتل الحسين ، قال فاضطرم في وجهه ناراً أو كلمة نحوها ، فقال بكمه هكذا على وجهه وقال : لا تحدثن بها أحداً .

وقال شريك : عن مغيرة قال : قالت مَرْجانة لابنها عبيد الله : يا خبيث قتلت ابن بنت رسول الله ﷺ ؟ لا ترى الجنة أبداً .

وقد قدمنا أن يزيد بن معاوية لما مات بايع الناس في المصرين لعبيد الله حتى يجتمع الناس على أمير ، ثم خرجوا عليه فأخرجوه من بين أظهرهم ، فسار إلى الشام فاجتمع بمروان ، وحسَّن له أن يدعو إلى بيعة[٤] نفسه ففعل ذلك ، وخالف الضحاك بن قيس ، ثم انطلق عبيد الله إلى الضحاك [بن قيس] فما زال به حتى أخرجه من دمشق إلى مرج راهط ، ثم حسَّن له أن دعا إلى بيعة نفسه وخلع ابن الزبير ففعل ، فانحلَّ نظامه ووقع ما وقع بمرج راهط ، من قتل الضحاك وخلق معه هنالك ، فلما تولى مروان أرسل ابن زياد في جيش إلى العراق فالتقى بعين الوردة مع سليمان بن صُرَد ومن كان معه من الجيش الذين يسمون جيش التوابين ، فقتل أميرهم ، وخلقاً كثيراً منهم ثم سار[٥] قاصداً الكوفة [في ذلك

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٧١٥٠) و(٧١٥١) ومسلم رقم (١٤٢) من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه .

(٢) مكانها في ط : ما أشار به من إحضاره بين يديه ، فأبى الحسين أن يحضر عنده ليقضي فيه بما يراه ابن مرجانة ، وقد تعس وخاب وخسر ؛ فليس لابن بنت رسول الله ﷺ أن يحضر بين يدي ابن مرجانة الخبيث .

(٣) لم أجده في الطبقات لابن سعد ، والخبر أيضاً في تاريخ دمشق (٣٧/ ٤٥٠ ـ ٤٥١) ط دارالفكر .

(٤) في ط : يتولى الخلافة ويدعو إلى . .

(٥) من قوله : بعين الوردة . . إلى هنا من أ ومكانه في ط : هو وجيش التوابين مع سليمان بن صرد فكسرهم واستمر . .

الجيش] فتعوق في الطريق بسبب من كان معه من أهل الجزيرة من الأعداء بمن بايع[١] ابن الزبير .

ثم اتفق خروج ابن الأشتر إليه في سبعة آلاف ، وكان مع ابن زياد أضعاف ذلك ، ولكن ظفر به كما ذكرنا ابن الأشتر فقتله شر قتلة وهو لا يشعر به ، وإذا هو قد قتله[٢] على شاطىء نهر الخازِر قريباً من الموصل بخمس مراحل .

قال أبو أحمد الحاكم : وكان ذلك يوم عاشوراء[٣] [قلت : وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين] ثم بعث ابن الأشتر برأسه ومعه رأس حصين بن نمير وشرحبيل بن ذي الكلاع وجماعة من رؤساء أصحابهم إلى المختار . وقال يعقوب بن سفيان[٤] : حدثني يوسف بن موسى بن جرير ، عن يزيد بن أبي زياد قال : لما جيء برأس ابن مرجانة وأصحابه طرحت بين يدي المختار فجاءت حية رقيقة ثم تخللت الرؤوس حتى دخلت في فم ابن مرجانة وخرجت من منخره ، ودخلت في منخره وخرجت من فيه ، وجعلت تدخل وتخرج من رأسه من بين الرؤوس .

ورواه الترمذي[٥] من وجه آخر بلفظ آخر فقال : حدثنا واصل بن عبد الأعلى عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن عمارة بن عمير . قال : لما جيء برأس عبيد الله وأصحابه نُضِدَتْ[٦] في المسجد في الرحبة ، فانتهيت إليهم وهم يقولون : قد جاءت ، قد جاءت ، فإذا حية قد جاءت تخلل الرؤوس حتى دخلت في منخري عبيد الله بن زياد ، فمكثت هنيهة ، ثم خرجت فذهبت حتى تغيبت ، ثم قالوا : قد جاءت قد جاءت ، ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثاً . قال الترمذي : وهذا حديث حسن صحيح .

وقال أبو سليمان بن زَبْر[٧] : وفي سنة ست وستين قالوا فيها قتل ابن زياد والحصين بن نمير ، ولِيَ قتلهما إبراهيم بن الأشتر ، وبعث برأسيهما إلى المختار فبعث بهما إلى ابن الزبير ، فنصبت بمكة والمدينة . وهكذا حكى ابن عساكر[٨] عن أبي أحمد الحاكم وغيره أن ذلك كان في سنة ست وستين ، زاد أبو أحمد في يوم عاشوراء ، وسكت ابن عساكر عن ذلك ، والمشهور أن ذلك كان في سنة سبع وستين كما ذكره ابن جرير وغيره ، ولكن بعث الرؤوس إلى ابن الزبير[٩] في هذه السنة متعذر لأن العداوة كانت

---

(١) بدلها في ط : الذي هم من جهة .
(٢) من قوله : وهو لا يشعر به . . إلى هنا ساقط من ط .
(٣) وكذلك أرخه الذهبي في تاريخ الإسلام والسير عن أبي اليقظان .
(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٧/ ٤٦١) ط دار الفكر .
(٥) سنن الترمذي (٣٧٨٠) في المناقب .
(٦) في ط : « فنصبت » ، وما أثبتناه من م ، وهو موافق للترمذي .
(٧) تاريخ مولد العلماء ووفياتهم (١/ ١٨١) .
(٨) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٧/ ٤٦٢) ط دار الفكر .
(٩) قيل : إنه بعث الرؤوس إلى محمد بن الحنفية .

قد [قويت و] تحققت بين المختار وابن الزبير في هذه السنة ، وعما قليل سيَّر مصعب[١] من البصرة إلى الكوفة لحصار المختار على يد مصعب بن الزبير وأهل البصرة[٢] .

مقتل المختار بن أبي عبيد الكذاب[٣]

كان عبد الله بن الزبير قد عزل في هذه السنة عن نيابة البصرة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي المعروف بالقُباع ، وولاها لأخيه مصعب بن الزبير ، ليكون [ردءاً و] قرناً وكفئاً للمختار بن أبي عبيد ، فلما قدم مصعب البصرة دخلها متلثماً فتيمم المنبر ، فلما صعده قال الناس : أمير أمير ، فلما كشف اللثام عَرَفه الناس فأقبلوا إليه ، وجاء القُباع فجلس تحته بدرجة ، فلما اجتمع الناس قام مصعب خطيباً فاستفتح القصص حتى بلغ : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ [القصص : ٤] ، وأشار بيده نحو الشام أو الكوفة ، ثم قال : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [القصص : ٥-٦] وأشار إلى الحجاز . وقال : يا أهل البصرة إنكم تلقبون أمراءكم ، وقد سميت نفسي الجزار ، فاجتمع عليه الناس وفرحوا له ، ولما انهزم أهل الكوفة حين خرجوا على المختار فقهرهم وقتل منهم من قتل ، كان لا ينهزم أحد من أهلها إلا قصد البصرة ، ثم خرج المختار ليلتقي ابن الأشتر حين بلغه أنه قتل ابن زياد اغتنم غيبته أهل الكوفة فأرغبوا في الخروج إلى البصرة ؛ ثم جعلوا يحرضون مصعباً على المختار ويؤلبون عليه من جهة قلة دينه[٤] ودعواه أنه يأتيه الوحي ، وأنه قدّم الموالي على الأشراف ، واتفق أن ابن الأشتر حين قتل ابن زياد واستقلّ بتلك النواحي ، فأحرز بلاداً وأقاليم ورساتيق لنفسه ، واستهان بالمختار ، فطمع مصعب فيه وبعث محمد بن الأشعث بن قيس على البريد إلى المهلب بن أبي صفرة ، وهو نائبهم على خراسان ، فقدم في تجمُّل عظيم ومال ورجال وعَدَدٍ وعُدَدٍ ، وجيش كثيف ، ففرح به أهل البصرة وتقوّى به مصعب ، فركب في أهل البصرة ومن اتبعهم من أهل الكوفة فركبوا في البحر والبر قاصدين الكوفة .

[وقدم مصعب بين يديه عباد بن الحصين ، وجعل على ميمنته عمر بن عبيد الله بن معمر ، وعلى الميسرة المهلب بن أبي صفرة ، ورتَّب الأمراء على راياتها وقبائلها ، كمالكِ بن مسمع ، والأحنف بن

---

(١) في ط : أمر ابن الزبير أخاه مصعباً أن يسير . .

(٢) مكانها في ط : وقتاله والله أعلم .

(٣) الخبر في تاريخ الطبري (٦/ ٩٣) وما بعدها ، والكامل لابن الأثير (٣/ ٣٣١) وما بعدها ، وتاريخ الإسلام (٥/ ٥٧) والمنتظم (٦/ ٦٣) .

(٤) مكانها في ط : بالذي جاء بالرؤوس والبشارة ، اغتنم من بقي بالكوفة من أعداء المختار غيبته فذهبوا إلى البصرة فراراً من المختار لقلة دينه وكفره .

قيس ، وزياد بن عمرو[١] ، وقيس بن الهيثم وغيرهم ، وخرج المختار بعسكره فنزل المذار وقد جعل على مقدمته أبا كامل الشاكري[٢] ، وعلى ميمنته عبد الله بن كامل ، وعلى ميسرته عبد الله بن وهب[٣] الجشمي ، وعلى الخيل رزين[٤] بن عبد الله السلولي ، وعلى الموالي أبا عمرة صاحب شرطته][٥] .

فسمع المختار بأمرهم فخطب[٦] الناس وحثهم على الخروج ، وبعث بين يديه الجيوش ، وركب هو وخلق من أصحابه وهو يبشر أصحابه بالنصر ، فلما انتهى مصعب إلى [قريب] الكوفة لقيتهم الكتائب المختارية فحملت عليهم الفرسان الزبيرية ، فما لبثوا[٧] إلا يسيراً حتى هربوا على حمية ، وقد قتل منهم جماعة من الأمراء ، وخلق من القراء وطائفة كثيرة من الشيعة الأغبياء ، وثلة من أصحاب المختار ذي القول الفِراء ، ثم انتهت الهزيمة إليه .

[وقال الواقدي : لما انتهت مقدمة المختار إليه جاء مصعب فقطع الدجلة إلى الكوفة وقد حصن المختار القصر واستعمل عليه عبد الله بن شداد[٨] وخرج المختار بمن بقي معه فنزل حَرَوراء[٩] فلما قرب جيش مصعب منه جهز إلى كل قبيلة كردوساً ، فبعث إلى بكر بن وائل سعيد بن منقذ ، وإلى عبد القيس مالك بن منذر[١٠] ، وإلى العالية عبد الله بن جعدة ، وإلى الأزد مسافر بن سعيد ، وإلى بني تميم سُليم بن يزيد الكندي ، وإلى محمد بن الأشعث السائب بن مالك ، ووقف المختار في بقية أصحابه فاقتتلوا قتالاً شديداً إلى الليل فقتل أعيان أصحاب المختار وقتل تلك الليلة محمد بن الأشعث وعمير[١١] بن علي بن أبي طالب ، وتفرق عن المختار باقي أصحابه ، فقيل له القصر القصر ، فقال : والله ما خرجت منه وأنا أريد أن أعود إليه ، ولكن هذا حكم الله ، ثم ساروا إلى القصر فدخل وجاءه مصعب ففرق القبائل في نواحي الكوفة ، واقتسموا المحال ، وخلصوا إلى القصر ، وقد منعوا المختار المادة والماء ، وكان المختار يخرج فيقاتلهم ثم يعود إلى القصر ، ولما اشتد عليه الحصار قال لأصحابه : إن الحصار لا يزيدنا

---

(١) في ط : زياد بن عمر ؛ وما أثبت عن أ ، ب والطبري (٦/ ٩٥) وابن الأثير (٣/ ٣٣٢) .
(٢) في الطبري وابن الأثير : ندب أصحاب ـ أي المختار ـ إلى الخروج مع أحمر بن شميط . إنما كان الشاكري على مقدمة جيش ابن شميط .
(٣) في ابن الأثير : وهيب .
(٤) في ط : وزير ، وما هنا موافق للطبري .
(٥) ما بين معكوفين زيادة من ط ؛ وهي اختصار لما في المصادر .
(٦) في ط : ثم خطب .
(٧) في ط : لبثت المختارية .
(٨) في الطبري (٦/ ٩٩) : أن المختار استعمل عبد الله بن شداد على الكوفة .
(٩) حَرَوراء : ضبطها ياقوت بفتحتين ، وسكون الواو ، وراء أخرى ، وألف ممدودة . وقيل هي قرية بظاهر الكوفة . . . معجم البلدان (٢/ ٢٨٣) .
(١٠) في الطبري : بعث إلى عبد القيس ـ وكان عليهم مالك بن المنذر ـ عبدَ الرحمن بن شريح الشِّبامي .
(١١) في الطبري وابن الأثير : عبيد الله بن علي بن أبي طالب .

إلا ضعفاً ، فانزلوا بنا حتى نقاتل حتى الليل حتى نموت كراماً ، فوهنوا ، فقال أما فو الله لا أعطي بيدي . ثم اغتسل وتطيب وتحنط وخرج فقاتل هو ومن معه حتى قتلوا][١] .

فأشار[٢] عليه جماعة من أساورته بأن يدخل القصر دار إمارته ، فدخله وهو ملوم مذموم ، وعن قريب ينفذ فيه القدر المحتوم ، فحاصره مصعب فيه وجميع أصحابه حتى أصابهم من جهد العطش ما الله به عليم ، وضيق عليهم المسالك والمقاصد ، وانسدت عليهم أبواب الحيل ، وليس فيهم رجل رشيد ولا حليم ، ثم جعل المختار يجيل فكرته ويكرر رويّته في الأمر الذي قد حل به ، واستشار من عنده من جهة[٣] الموالي والعبيد ، ولسان القدر والشرع يناديه : ﴿ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ [سبأ : ٤٩] ثم قوى عزمه قوة الشجاعة المركبة فيه ، على أن أخرجته من بين من كان يحالفه ويواليه ، ورأى أن يموت على فرسه ، حتى يكون عليها انقضاء آخر نفسه ، فنزل حمية وغضباً ، وشجاعة وكلباً ، وهو مع ذلك لا يجد مناصاً ولا مفراً ولا مهرباً ، وليس معه من أصحابه سوى تسعة عشر ، ولعله إن كان قد استمر على ما عاش عليه أن لا يفارقه التسعة عشر [الموكلون بسقر] ولما خرج من القصر قال لأصحاب مصعب : أنا متولي[٤] ـ قالوا : لا إلَّا على حكم الأمير فقال : إلا على حكم نفسي أبداً ، ثم قاتل قتالاً شديداً وتقدم إليه رجلان شقيقان أخوان ، وهما طرفة وطرافة[٥] ابنا عبد الله بن دجاجة من بني حنيفة ، فقتلاه بمكان الزّيّاتين من الكوفة ، واحتزا رأسه وأتيا به إلى مصعب بن الزبير ، وقد احتل قصر الإمارة في الكوفة ، فوضع بين يديه ، كما وضع رأس ابن زياد بين يدي المختار ، [وكما وضع رأس الحسين بين يدي ابن زياد ، وكما سيوضع رأس مصعب بين يدي عبد الملك بن مروان ، فلما وضع رأس المختار بين يدي مصعب أمر لهما بثلاثين ألفاً][٦] .

وقد كان مصعب قد قتل جماعة من المختارية ، وأسر منهم خمسمئة أسير ، فضرب أعناقهم عن آخرهم في يوم واحد ، وقد قتل من عيون أصحاب مصعب في الوقعة محمد بن الأشعث بن قيس[٧] ، وأمر مصعب بكف المختار فقطعت وسمرت إلى جانب المسجد ، فلم يزل هنالك حتى قدم الحجاج ، فسأل عنها فقيل له : هي كف المختار ، فأمر بها فرفعت وانتزعت من هنالك [لأن المختار كان من قبيلة الحجاج ، والمختار هو الكذاب ، والمبير الحجاج ، ولهذا أخذ الحجاج بثأره من ابن الزبير فقتله وصلبه

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط ، ولم أجد رواية الواقدي في الطبري .
(٢) في ط : وقيل بل أشار ؛ والكلام مترابط لولا إقحام رواية الواقدي .
(٣) في ط : في هذا السبب السيّىء الذي قد اتصل سببه بسببه من .
(٤) في ط : وسأل أن يخلي سبيله فيذهب في أرض الله .
(٥) في تاريخ الطبري (٦/ ١٠٨) : طرَّاف ، وفي الفتوح لابن الأعثم (٢/ ٣٥٢) طارف وطريفة .
(٦) ما بين معكوفين زيادة من ط .
(٧) زاد في مروج الذهب (٣/ ١١٨) : وابنان له .

شهوراً][(١)] وقد سأل مصعب أم ثابت بنت سمرة بن جندب امرأة المختار عنه فقالت : ما عسى أن أقول فيه إلا ما تقولون أنتم فيه ، فتركها واستدعى بزوجته الأخرى وهي عمرة بنت النعمان بن بشير فقال لها : ما تقولين فيه ؟ فقالت : رحمه الله لقد كان عبداً من عباد الله الصالحين ، فسجنها وكتب إلى أخيه إنها تقول إنه نبيٌّ ، فكتب إليه أن أخرجها فاقتلها ، فأخرجها إلى ظاهر البلد فضربت ضربات حتى ماتت ، فقال في ذلك عمر بن أبي ربيعة المخزومي[(٢)] :

إنَّ من أعجبِ العجائبِ عِندي قَتْـلَ بيضـاءَ حُـرَّةٍ عُطبـولِ[(٣)]
قُتلَـتْ هكـذا علـى غيـرِ جُـرْمٍ إنَّ لله دَرَّهـا مِـنْ قتيـلِ
كُتِـبَ القَتـلُ والقِتَـالُ علينـا وعلى الغانيات[(٤)] جرُّ الذيولِ[(٥)]

وقال أبو مخنف[(٦)] : حدّثني محمد بن يوسف ، أن مصعباً لقي عبد الله بن عمر [بن الخطاب] فسلم عليه [فقال ابن عمر : من أنت ؟] فقال : أنا ابن أخيك مصعب بن الزبير ، فقال له ابن عمر : نعم ، أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة في غَداة واحدة ؟ عِشْ ما استطعت ، فقال له مصعب : إنهم كانوا كفرة سَحَرة ، فقال ابن عمر : والله لو قتلت عدّتهم[(٧)] غَنَماً من تُراث أبيك لكان ذلك سَرَفاً .

وهذه ترجمة المختار بن أبي عُبيد الثقفي[(٨)]

هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة[(٩)] بن عنزة[(١٠)] بن عوف بن ثقيف الثقفي ، أسلم أبوه في حياة النبي ﷺ ، ولم يره ، فلهذا لم يذكره أكثر الناس في الصحابة ، وإنما

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط .
(٢) في ط : ابن أبي رمثة ، وما أثبت عن أ ، ب والطبري وابن الأثير (٤/ ٢٧٥) .
(٣) العطبول : المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق . القاموس (عطبل) .
(٤) في الطبري وابن الأثير : المحصنات .
(٥) الأبيات في ملحق ديوان عمر بن أبي ربيعة (٤٩٨) والأخبار الطوال (٣١٠) وتاريخ الطبري (٦/ ١١٢) والفتوح لابن الأعثم (٢/ ٣٥٣) والعقد الفريد (٤/ ٤٠٧) والكامل للمبرد (٢/ ١٨١) والكامل لابن الأثير (٤/ ٢٧٥) .
(٦) تاريخ الطبري (٦/ ١١٢-١١٣) .
(٧) في ط : « عدلهم » ، وما أثبتناه من م وتاريخ الطبري .
(٨) ترجمة ـ المختار بن أبي عبيد ـ في تاريخ خليفة (٢٦٢ ـ ٢٦٤) والأخبار الطوال (٢٠٥) وما بعدها ، والمعارف لابن قتيبة (٤٠٠) وتاريخ الطبري (٥/ ٥٦٩) و(٦/ ٧ و٣٨) وما بعدها ، ومروج الذهب (٢/ ٣٠ و١٩٣) وما بعدها ، والاستيعاب (٣/ ٥٣٣ ـ ٥٣٦) وأسد الغابة (٤/ ٣٣٦) والكامل في التاريخ (٤/ ٢١١ ـ ٢٦٧) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٥٣٨ ـ ٥٤٤) والإصابة (٣/ ٥١٨) وشذرات الذهب (١/ ٢٩٣) .
(٩) في أ ، ط : عفرة ؛ تحريف ، وما أثبت عن ب وسير أعلام النبلاء .
(١٠) في ط : عمير ، خطأ ، وما أثبت عن أ والسير ، وفي أسد الغابة : غيرة .

ذكره ابن الأثير في الغابة[١]، وقد كان عمر بعثه في جيش كثيف في قتال الفرس سنة ثلاث عشرة، فقتل يومئذ شهيداً وقتل معه نحو من أربعة آلاف من المسلمين، كما قدمنا، وعرف ذلك الجسر به، وهو جسر على دجلة فيقال له إلى اليوم جسر أبي عبيد، وكان له من الولد صفية بنت أبي عبيد، وكانت من الصالحات العابدات. وهي زوجة عبد الله بن عمر بن الخطاب، وكان عبد الله لها مكرماً ومحباً، وماتت في حياته، وأما [أخوها] المختار هذا فإنه كان أولاً [ناصبياً] يبغض علياً بغضاً شديداً، وكان عند عمه في المدائن، وكان عمه نائبها، فلما دخلها الحسن بن علي يوم طعنه أهل العراق وهو سائر إلى الشام لقتال معاوية بعد مقتل أبيه، [فلما أحسَّ الحسن منهم بالغدر فر][٢] منهم إلى المدائن في جيش قليل، فقال المختار لعمه: لو أخذت الحسن فبعثته إلى معاوية لاتخذت عنده اليد البيضاء أبداً، فقال له عمه: بئس ما تأمرني به يابن أخي، فما زالت الشيعة تبغضه حتى كان من أمر مسلم بن عقيل بن أبي طالب ما كان، وكان المختار من الأمراء بالكوفة، فجعل يقول: أما لأنصرنه، فبلغ ابن زياد ذلك فحبسه بعد ضربه مئة جلدة، فسألت أخته زوجها فكتب إلى يزيد بن معاوية [يتشفع فيه] فأرسل يزيد إلى ابن زياد ليخرجه فأخرجه وسيره إلى الحجاز في عباءة، فصار إلى ابن الزبير بمكة فقاتل معه حين حصره حصين بن نمير[٣] قتالاً شديداً، ثم بلغ المختار ما قال أهل العراق فيه من التخليط، فسار إليهم وترك ابن الزبير، ويقال إنه سأل ابن الزبير أن يكتب له كتاباً إلى ابن مطيع نائب الكوفة ففعل، فسار إليها، وكان يظهر مدح ابن الزبير في العلانية ويسبه في السر، ويمدح محمد بن الحنفية ويدعو إليه، وما زال حتى استحوذ على الكوفة بطريق التشيع [وإظهار] الأخذ بثأر الحسين بن علي، وبسبب ذلك التف عليه جماعات كثيرة من الشيعة، وأخرج عامل ابن الزبير منها عبد الله بن مطيع، واستقر ملك المختار بها، ثم كتب إلى ابن الزبير يعتذر إليه ويخبره أن ابن مطيع كان مداهناً لبني أمية، وقد خرج من الكوفة، وأنا ومن بها في طاعتك، فصدقه ابن الزبير لأنه كان يدعو إليه على المنبر يوم الجمعة على رؤوس الناس، ويظهر طاعته، ثم شرع في تتبع قتلة الحسين ومن شهد الوقعة بكربلاء من ناحية ابن زياد، فقتل منهم خلقاً كثيراً، وظفر برؤوس كبار منهم، كعمر بن سعد بن أبي وقاص أمير الجيش بكماله وشَمِر بن ذي الجوشن أمير الألف الذين تولوا قتل الحسين، وسِنان بن أبي أنس، وخولي بن يزيد الأصبحي، وخلق غير هؤلاء، وما زال حتى بعث سيف نقمته إبراهيم بن الأشتر في عشرين ألفاً إلى عبيد الله بن زياد وهو في جيش أعظم من جيش المختار ـ بأضعاف مضاعفة ـ كانوا ستين ألفاً، وقيل ثمانين ألفاً، فقَتل ابنُ الأشتر ابنَ زياد وكسر جيشه، واحتاز ما في معسكره واتفق ذلك في يوم عاشوراء سنة سبع وستين كما قدمنا، ثم بعث برأس ابن زياد ورؤوس أصحابه معه إلى المختار، ففرح بذلك فرحاً شديداً، ثم إن المختار بعث برأس ابن زياد

---

(١) أسد الغابة (٦/ ٢٠١).

(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط، وبدلها في أ: ففر.

(٣) في ط: أهل الشام.

ورأس حصين بن نمير ومن معهما إلى ابن الزبير بمكة فأمر بهما فنصبت على عقبة الحجون[١] .

وقد كانوا نصبوها بالمدينة ، وطابت نفس المختار بالملك ، وظن أنه لم يبق له عدو ولا منازع ، فلما تبين ابن الزبير خداعه ومكره وسوء مذهبه ، بعث أخاه مصعباً أميراً على العراق ، فساروا إلى البصرة فجمع العساكر فما تم سرور المختار حتى سار إليه مصعب بن الزبير من البصرة في جيش هائل فقتله واحتز رأسه وأمر بصلب كفه على باب المسجد ، وبعث مصعب برأس المختار مع رجل من الشرط على البريد[٢] ، إلى أخيه عبد الله بن الزبير ، فوصل مكة بعد العشاء فوجد عبد الله يتنفل ، فما زال يصلي حتى أسحر ولم يلتفت إلى البريد الذي جاء بالرأس ، فلما كان قريب الفجر قال : ما جاء بك ؟ فألقى إليه الكتاب فقرأه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، بقي الرأس ، فقال : ألقه على باب المسجد ، فألقاه ثم جاء فقال : جائزتي يا أمير المؤمنين ، فقال : جائزتك الرأس الذي جئت به تأخذه معك إلى العراق[٣] .

وزالت دولة المختار كأن لم تكن[٤] ، وفرح المسلمون بزوالها ، وذلك لأن الرجل لم يكن في نفسه صادقاً ، بل كان كاذباً وكاهناً ، وكان يزعم أن الوحي يأتيه على يد جبريل .

قال الإمام أحمد[٥] : حدَّثنا ابن نمير ، حدَّثنا عيسى القاري أبو عمر[٦] ، حدَّثني السُّدّي ، عن رفاعة الفِتْياني[٧] قال : دخلت على المختار فألقى لي وسادة وقال : لولا أن أخي جبريل قام عن هذه لألقيتها لك . قال : فأردت أن أضرب عنقه . قال : فذكرت حديثاً حدَّثنيه أخي عمرو بن الحَمق ، قال قال رسول الله ﷺ : « أيما مؤمن أمَّن مؤمناً على دمه فقتله فأنا من القاتل بريء » .

وقال الإمام أحمد[٨] : حدَّثنا يحيى بن سعيد القطان ، عن حمّاد بن سَلَمة ، حدَّثني عبد الملك بن عمير ، عن رِفاعة بن شدَّاد . قال : كنت أقوم على رأس المختار فلما عرفت كذبه هممت أن أسلَّ سيفي فاضرب عنقه ، فذكرت حديثاً حدثناه عمرو بن الحَمِق . قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أمن رجلاً على نفسه فقتله أُعطي لواء غدر يوم القيامة » ورواه النسائي وابن ماجه[٩] من غير وجه عن

---

(١) عقبة الحجون : جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها . . ، وقال الأصمعي : الحجون هو الجبل المشرف الذي بحذاء مسجد البيعة على شعب الجزارين . معجم البلدان (٢/ ٢٢٥) .

(٢) في الأخبار الطوال (٣٠٨) : ووجه مصعب برأس المختار إلى عبد الله بن الزبير مع عبد الله بن عبد الرحمن .

(٣) ثمة خلافات طفيفة بين النسخ آثرنا عدم ذكرها لاشتراكها في المعنى . والخبر بطوله في تاريخ الطبري (٦/ ١٠٤) والأخبار الطوال (٣٠٨) . وتاريخ دمشق لابن عساكر (٥٨/ ٢٣٨) ط : دار الفكر .

(٤) في ط زيادة : وكذلك سائر الدول .

(٥) مسند أحمد (٥/ ٢٢٤ و٤٣٧) وهو حديث صحيح .

(٦) في ط : حدثني أبو عمير السدي ؛ تحريف .

(٧) في ط : القباني ؛ تحريف والصواب ما أثبتناه ، وهو رفاعة بن شداد .

(٨) مسند أحمد (٥/ ٢٢٤) وهو حديث صحيح .

(٩) رواه النسائي في السير من الكبرى (٨٧٣٩) ، وابن ماجه (٢٦٨٨) في الديات .

عبد الملك بن عمير وفي لفظ لهما : « من أمن رجلاً على دم فقتله فأنا بريء من القاتل ، وإن كان المقتول كافراً » . وفي سند هذا الحديث اختلاف[١] .

وقد قيل لعبد الله بن عمر[٢] : إن المختار يزعم أن الوحي يأتيه ، فقال صدق ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ ﴾ [الأنعام : ١٢١] .

وروى ابن أبي حاتم[٣] ، عن عكرمة قال : قدمت على المختار فأكرمني وأنزلني [عنده] وكان يتعاهد مبيتي بالليل قال فقال لي : اخرج فحدِّث الناس ، قال : فخرجت فجاء رجل فقال : ما تقول في الوحي ؟ فقلت : الوحي وحيان قال الله تعالى : ﴿ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ [يوسف : ٣] وقال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ ﴾ [الأنعام : ١١٢] قال فهمُّوا أن يأخذوني فقلت : مالكم وذاك ! إني مفتيكم وضيفكم . فتركوني ، وإنما أراد عكرمة أن يعرِّض بالمختار وكذبه في ادعائه أن الوحي ينزل عليه .

[وروى الطبراني[٤] من طريق أنيسة بنت زيد بن الأرقم : أن أباها دخل على المختار بن أبي عبيد فقال له : يا أبا عامر لو سبقت رأيت[٥] جبريل وميكائيل ، فقال له زيد : حفرت ونفرت[٦] ، أنت أهون على الله من ذلك ، كذاب مفترٍ على الله ورسوله][٧] .

وقال الإمام أحمد[٨] : حدَّثنا إسحاق بن يوسف ، حدَّثنا عوف عن أبي الصدِّيق الناجي : أن الحجاج ابن يوسف دخل على أسماء بنت أبي بكر الصديق ، بعد ما قتل ابنها عبد الله بن الزبير فقال : إن ابنك ألحد في هذا البيت ، وإن الله أذاقه من عذاب أليم ، وفعل به وفعل[٩] ، فقالت[١٠] : كذبت ، كان براً

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ في السنن، إنما أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٠٣)، والطبراني في الصغير (٥٨٤)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ٢٤) بهذا اللفظ الذي ذكره المصنف .
أما قول المصنف « وفي سند هذا الحديث اختلاف » فكأنه يشير إلى اختلاف الرواة في تسمية الفتياني الراوي عن عمرو بن الحمق، فقد جاء في رواية أنه عامر بن شداد، وفي رواية أخرى أنه رفاعة بن شداد، وهو الصواب، وبكل حال فالحديث صحيح (بشار) .

(٢) الخبر في تفسير ابن كثير (٣/ ٩١) الآية ١٢١ من سورة الأنعام .

(٣) الخبر في تفسير ابن كثير (٣/ ٨٤ـ٨٥) الآية ١١٢ من سورة الأنعام .

(٤) المعجم الكبير (٥/ ٢١٢) رقم (٥١٢٧) .

(٥) في ط : شفت رأي ؛ وما أثبت عن ب والطبراني .

(٦) في ط ، أ : خسرت وتعست ؛ وما أثبت عن ب والطبراني .

(٧) ما بين معكوفين ساقط من أ وحدها .

(٨) مسند الإمام أحمد (٦/ ٣٥١) من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما وهو حديث صحيح .

(٩) في ط : « وفعل به ما فعل » ، وما أثبتناه من م ومسند أحمد .

(١٠) في ط : « فقالت له » ، وما أثبتناه من م ومسند أحمد .

بالوالدين ، صوّاماً قواماً ، والله لقد أخبرنا رسول الله ﷺ « أنه سيخرج من ثقيف كذابان الآخر منهما شر من الأول ، وهو مبير » . هكذا رواه أحمد بهذا السند واللفظ .

وقد أخرجه مسلم في « صحيحه »[١] في كتاب الفضائل عن عُقبة بن مُكْرَم العَمِّيِّ البصريّ ، عن يَعْقوب بن إسحاق الحضرميّ ، عن الأسودِ بن شيبان ، عن أبي نَوْفل ، عن أسماء بنت أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال : « إن في ثقيف كذاباً ومبيراً » . وفي الحديث قصة طويلة في مقتل الحجاج ولدها عبد الله في سنة ثلاث وسبعين كما سيأتي .

وقد ذكر البيهقي هذا الحديث في « دلائل النبوة »[٢] وقد ذكر العلماء أن الكذاب هو المختار بن أبي عبيد ، وكان يظهر التشيع ويبطن الكهانة ، وأسرّ إلى أخصائه أنه يُوحى إليه ، ولكن ما أدري هل كان يدّعي النبوة أم لا ؟ وكان قد وُضِعَ له كرسي يُعظَّمُ ويُحَفُّ بالرجال ، ويُستر بالحرير ، ويُحمل على البغال ، وكان يُضاهي به تابوت بني إسرائيل المذكور في القرآن ، ولاشك أنه كان ضالاً مضلاً أراح الله المسلمين منه بعد ما انتقم به من قوم آخرين من الظالمين ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٩] وأما المبير فهو القتّال وهو الحجاج بن يوسف الثقفي نائب العراق لعبد الملك بن مروان ، الذي انتزع العراق من يد مصعب بن الزبير ، كما سيأتي بيانه قريباً .

وذكر الواقدي[٣] أن المختار لم يزل مظهراً موافقة ابن الزبير حتى قدم مصعب إلى البصرة في أول سنة سبع وستين وأظهر مخالفته فسار إليه مصعب فقاتله وكان المختار في نحو من عشرين ألفاً ، وقد حمل عليه المختار مرة فهزمه ، ولكن لم يثبت جيش المختار حتى جعلوا ينصرفون إلى مصعب ويدعون المختار ، وينقمون عليه ما هو فيه من الكهانة والكَذِب ، فلما رأى المختار ذلك انصرف إلى قصر الإمارة فحاصره مصعب فيه أربعة أشهر ، ثم قتله في الرابع عشر من رمضان سنة سبع وستين ، وله من العمر سبع وستون سنة فيما قيل[٤] .

فصـــل

ولما استقر مصعب بن الزبير بالكوفة بعث إلى إبراهيم بن الأشتر ليقدم عليه ، وبعث إليه عبد الملك بن مروان ليقدم عليه[٥] ، فحار ابن الأشتر في أمره ، وشاور أصحابه إلى أيهما يذهب ، ثم اتفق رأيهم على الذهاب إلى بلدهم الكوفة ، فقدم ابن الأشتر على مصعب بن الزبير فأكرمه وعظمه

---

(١) صحيح مسلم رقم (٢٥٤٥) في فضائل الصحابة .
(٢) دلائل النبوة (٦/ ٤٨١) .
(٣) تاريخ الطبري (٦/ ١١٤) .
(٤) الخبر في تاريخ الطبري (٦/ ١١٤ـ١١٥) وابن الأثير (٤/ ٢٧٣) وتاريخ الإسلام (٥/ ٥٨) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٥٤٣) .
(٥) نسخة الكتابين في تاريخ الطبري (٦/ ١١١) .

واحترمه كثيراً ، وبعث مصعب المهلَّب بن أبي صفرة على الموصل والجزيرة وأذربيجان [وأرمينية ، وكان قد استخلف على البصرة حين خرج منها عبيد الله][١] بن عبد الله بن معمر ، وأقام هو بالكوفة ، ثم لم تنسلخ هذه السنة حتى عزله أخوه عبد الله بن الزبير عن البصرة وولّى عليها ابنه حمزة بن عبد الله بن الزبير ، وكان شجاعاً جواداً مخلطاً[٢] يعطي أحياناً حتى لا يدع شيئاً ، ويمنع أحياناً ما لم يمنع مثله ، وظهرت خفة وطيش في عقله ، وسرعة في أمره ، فبعث الأحنف إلى عبد الله بن الزبير فعزله وأعاد إلى ولايته أخاه مصعباً مضافاً إلى ما بيده من ولاية الكوفة .

قالوا : وخرج حمزة بن عبد الله بن الزبير من البصرة بمالٍ كثير من بيت مالها ، فعرض له مالكُ بن مِسْمَع ، فقال : لا ندعك تذهب بأعطياتنا ، فضمن له عُبيد الله بن عبد الله بن معمر[٣] العطاء فكفَّ عنه ، فلما انصرف حمزة لم يقدم على أبيه مكة ، بل عدل إلى المدينة ، فأودع ذلك المال رجالاً فكلُّهم غلَّ ما أودعه وجحده ، سوى رجل من أهل الكتاب ، فأدّى إليه أمانته . فلما بلغ أباه ما صنع قال : أبعده الله ، أردت أن أباهي به بني مروان فنكص .

وذكر أبو مخنف : أن حمزة بن عبد الله بن الزبير ولي البصرة سنة كاملة فالله أعلم .

قال ابن جرير[٤] : وحج بالناس فيها عبد الله بن الزبير ، وكان عامله على الكوفة أخاه مصعباً ، وعلى البصرة ابنه حمزة ، وقيل بل كان رجع إليها أخوه ، وعلى خراسان وتلك البلاد عبد الله بن خازم السُّلميّ [من جهة ابن الزبير والله سبحانه أعلم] .

[وممن توفي فيها من الأعيان :

الوليد بن عقبة بن أبي معيط[٥] .

وأبو الجهم[٦] ، وهو صاحب الأنبجانية المذكورة في الحديث الصحيح[٧] .

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط وم . والخبر في الطبري (٦/ ١١٧) وفيه : أن مصعب استخلف على البصرة عبيد الله بن عمر .

(٢) التخليط : الفساد في الأمر . هامش أ .

(٣) في الطبري (٦/ ١١٨) : عبيد الله بن عبيد الله بن معمر .

(٤) تاريخ الطبري (٦/ ١١٨) .

(٥) ترجمة ـ الوليد بن عقبة ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ٢٤) و(٧/ ٤٧٦) وطبقات خليفة (٥٧) والاستيعاب الترجمة (٣/ ٦٣١) وتاريخ دمشق (٦٣/ ٢١٨) وأسد الغابة (٥/ ٤٥١) . وتهذيب الكمال (٣١/ ٥٣) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤١٢ ـ ٤١٦) . والإصابة (٣/ ٦٣٧) وتهذيب التهذيب (١١/ ١٤٢) .

(٦) ترجمة ـ أبي الجهم ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٤٥١) والاستيعاب (٤/ ٣٢) وأسد الغابة (٥/ ٥٧) وتاريخ دمشق (٣٨/ ١٧٣ ـ ١٨٥) ط دار الفكر ، وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٢٨٠) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٥٥٦) والإصابة (٤/ ٣٥) واسمه : عُبيد ـ ويقال عامر ـ بن حذيفة بن عامر بن عبد الله .

(٧) الحديث في صحيح البخاري رقم (٥٨١٧) في اللباس ومسلم رقم (٥٥٦) في المساجد . ونصه في البخاري : عن=

وفيها قتل خلق كثير يطول ذكرهم][1] .

ثم دخلت سنة ثمان وستين

وفيها رد عبد الله أخاه مصعباً إلى إمرة البصرة ، فأتاها فأقام بها ، واستخلف على الكوفة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ، قُباع .

[واستعمل[2] على المدينة جابر بن الأسود الزّهريّ ، وعزل عنها عبد الرحمن بن الأشعث لكونه ضرب سعيد بن المسيِّب ستين سوطاً ، فإنه أراد منه أن يبايع لابن الزبير فامتنع من ذلك فضربه ، فعزله ابن الزبير .

وفيها هلك ملك الروم قسطنطين بن قسطنطين ببلده][3] .

وفيها كانت وقعة الأزارقة ، وذلك أن مصعباً كان قد عزل عن ناحية فارس المهلَّب بن أبي صفرة ، وكان قاهراً لهم وولاه الجزيرة وأذربيجان[4] ، [وكان المهلب قاهراً للأزارقة] وولى على فارس عمر بن عبيد الله بن مَعمَر ، فثاروا عليه فقاتلهم عمر بن عبيد الله فقهرهم وكسرهم ، وكانوا مع أميرهم الزبير بن الماحوز[5] ، ففروا بين يديه إلى إصطخر فاتبعهم فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وقتلوا ابنه[6] ، ثم ظفر بهم مرة أخرى ، ثم هربوا إلى بلاد أصبهان ونواحيها ، فتقووا هنالك وكثر عددهم وعدتهم ، ثم أقبلوا يريدون البصرة ، فمروا ببعض بلاد فارس وتركوا عمر بن عبيد الله بن معمر وراء ظهورهم ، فلما سمع مصعب بقدومهم ركب في الناس وجعل يلوم عمر بن عبيد الله بتركه هؤلاء يجتازون ببلاده ، وقد ركب عمر بن عبيد الله في آثارهم ، فبلغ الخوارج أن مصعباً أمامهم وعمر بن عبيد الله من ورائهم ، فعدلوا إلى المدائن فجعلوا يقتلون النساء والولدان ، ويبقرون بطون الحبالى ، ويفعلون أفعالاً لم يفعلها غيرهم[7] ، فقصدهم

= عائشة قالت صلى رسول الله ﷺ في خميصة له لها أعلام ، فنظر إلى أعلامها نظرة ، فلما سلَّم قال : « اذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم ، فإنها ألْهتني آنفاً عن صلاتي ، وائتوني بأنبجانية أبي جهم بن حذيفة بن غانم من بني عدي بن كعب » .

والأنبجانية : كساء من صوف لا عَلَمَ له ، وهي من أدون الثياب الغليظة .

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط .

(٢) أي عبد الله بن الزُّبير .

(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط وهي موافقة للطبري ٦/ ١١٩) .

(٤) في تاريخ الطبري (٦/ ١١٩) أنه وجهه إلى الموصل ونواحيها .

(٥) في ط : ماجور ، وما أثبت موافق للطبري .

(٦) سماه الطبري وابن الأثير : عبيد الله بن عمر .

(٧) في ب : ويفعلون ما لا يفعله غيرهم ، والخبر في تاريخ الطبري (٦/ ١٢١) .

نائب الكوفة الحارث بن أبي ربيعة ومعه أهلها وجماعات من أشرافها ، منهم إبراهيم بن الأشتر وشَبَث بن رِبْعيّ ، فلما وصلوا إلى جسر الصراة[١] قطعه الخوارج بينه وبينهم ، فأمر الأمير بإعادته فأعيد ، ففرت الخوارج هاربين بين يديه ، فاتبعهم عبد الرحمن بن مِخْنَف في ستة آلاف فمروا على الكوفة ثم صاروا إلى أرض أصبهان ، فانصرف عنهم ولم يقاتلهم ، ثم أقبلوا فحاصروا عَتّاب بن ورقاء شهراً ، بمدينة جيا[٢] ، حتى ضيقوا على الناس فنزلوا إليهم فقاتلوهم فكشفوهم وقتلوا أميرهم الزبير بن الماحوز وغنموا ما في معسكرهم ، وأمَّرت الخوارج عليهم قَطَريّ بن الفجاءة ثم ساروا إلى بلاد الأهواز ، فكتب مصعب بن الزبير إلى المهلب بن أبي صفرة ـ وهو على الموصل ـ أن يسير إلى قتال الخوارج وكان أبصر الناس بقتالهم ، وبعث مكانه إلى الموصل إبراهيمَ بن الأشتر فانصرف المهلب إلى الأهواز فقاتل فيها الخوارج ثمانية أشهر قتالاً لم يسمع بمثله .

قال ابن جرير[٣] : وفي هذه السنة كان القحط الشديد ببلاد الشام بحيث لم يتمكنوا معه من الغزو لضعفهم وقلة طعامهم وميرتهم .

قال ابن جرير : وفيها قتل عبيد الله بن الحر[٤] وكان من خبره أنه كان رجلاً شجاعاً تتقلب به الأحوال والأيام والآراء ، حتى صار من أمره أنه لا يُطيع لأحدٍ من بني أمية ولا لآل الزبير ، وكان يمر على عامل الكورة من العراق وغيره فيأخذ منه جميع ما في بيت ماله من الحواصل قهراً ويكتب له به براءة ويذهب فينفقه على أصحابه . وكان الخلفاء والأمراء يبعثون إليه الجيوش فيردها ويكسرها قلّت أو كثرت ، حتى كان فيه مصعب بن الزبير وعماله ببلاد العراق ، ثم إنه وفد على عبد الملك بن مروان فبعثه في عشرة نفر وقال : ادخل الكوفة وأعلمهم أن الجنود ستصل إليهم سريعاً ، فبعث في السر إلى جماعة من إخوانه يظهرهم على أمرهم ، فأعلم أمير الكوفة الحارث بن عبد الله فبعث إليه جيشاً فقتلوه في المكان الذي هو فيه[٥] ، وحمل رأسه إلى الكوفة ، ثم إلى البصرة ، واستراح الناس منه .

قال ابن جرير[٦] : وفيها شهد موقف عرفات أربع رايات متباينة ، كل واحدة منها لا تأتم بالأخرى الواحدة لمحمد بن الحنفية في أصحابه .

والثانية لنجدة الحَرُوري وأصحابه .

والثالثة لبني أمية .

---

(١) في أ ، ب : الصرّار ، وما أثبت موافق للمصادر .
(٢) في الطبري (٦/ ١٢٥) حيّ .
(٣) تاريخ الطبري (٦/ ١٢٧) .
(٤) في أ ، ب : أبجر ؛ خطأ ، وما هنا موافق للمصادر .
(٥) في الطبري : أنه قتل بالأنبار .
(٦) تاريخ الطبري (٦/ ١٣٨) .

والرابعة لعبد الله بن الزّبير .

وكان أول من دفع رايته ابن الحنفية ، ثم نجدة ، ثم بنو أمية ، ثم دفع ابن الزّبير فدفع بِالناس معه ، وكان عبد الله بن عمر فيمن انتظر دفع ابن الزبير ، ولكنَّه تأخر دفعه ، فقال ابن عمر : أشبه بتأخيره دفع الجاهلية ، فدفع ابن عمر فدفع ابن الزبير ، وتحاجز الناس في هذا العام ، فلم يكن بينهم قتال . وكان على نيابة المدينة لابن الزبير جابر بن الأسود بن عوف الزهري من جهة ابن الزبير ، وعلى الكوفة والبصرة أخوه مصعب ، وعلى ملك الشام ومصر عبد الملك بن مروان ، والله أعلم .

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان :

عبد الله بن يزيد الأوسي(١) ، شهد الحديبية .

وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث(٢) .

وعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي(٣) ، ابن أخي عمر بن الخطاب ، أدرك النبي ﷺ ، وتوفي بالمدينة عن نحو سبعين سنة .

عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت الأنصاري(٤) .

عدي بن حاتم بن عبد الله(٥) بن سعد بن امرىء القيس ، صحابي جليل ، سكن الكوفة ثم سكن قرقيسيا(٦) .

---

(١) ترجمة ـ عبد الله بن يزيد ـ في طبقات ابن سعد (١٦/ ١٨) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢٦٢) والجرح والتعديل (٥/ ١٩٧) والاستيعاب (٢/ ٣٩١) وأسد الغابة (٣/ ٢٧٤) وتهذيب الكمال (١٦/ ٣٠١ ـ ٣٠٣) وتاريخ الإسلام للذهبي (٥/ ١٦٧ ـ ١٦٨) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٩٧ ـ ١٩٨) والإصابة (٢/ ٣٨٢) وتهذيب التهذيب (٦/ ٧٨).

(٢) ترجمة ـ عبد الرحمن بن الأسود ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٧) وطبقات خليفة (٢٣٣) وأنساب الأشراف (١/ ٣٦ و٩٠) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٦٩) والاستيعاب (٢/ ٤٢٧) وتهذيب الكمال (٢/ ٧٧٤ـ٧٧٥) وتاريخ الإسلام (٥/ ١٧٠ـ١٧١) والإصابة (٢/ ٣٩٠) وتهذيب التهذيب (٦/ ١٣٩ـ١٤٠) .

(٣) ترجمة ـ عبد الرحمن بن زيد ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٤٩) وتاريخ خليفة (٢٥١) وطبقاته (٢٣٤) والتاريخ الكبير (٥/ ٢٨٤) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٨٠٩) والاستيعاب (٢/ ٤٢٥) ووفيات الأعيان (٥/ ٢٤٧) وتهذيب الكمال (٢/ ٧٨٩) وتاريخ الإسلام (٥/ ١٧٤) وقال الذهبي : توفي أيام ابن الزبير ، وتهذيب التهذيب (٦/ ١٧٩ـ١٨٠).

(٤) ترجمة ـ عبد الرحمن بن حسان ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٢٦٦) وطبقات خليفة (٢٥١) وأنساب الأشراف (١/ ٤٥ ، ١٥١) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢٣٥) ووفيات الأعيان (٥/ ١٩٣) وتاريخ الإسلام (٥/ ١٧١ ـ ١٧٢) وتهذيب التهذيب (٦/ ١٦٢ ـ ١٦٣) .

(٥) ترجمة ـ عدي بن حاتم ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ٢٢) وطبقات خليفة (٤٦٣) والتاريخ الكبير (٧/ ٤٣) والاستيعاب (٣/ ١٤١ ـ ١٤٣) وأسد الغابة (٣/ ٣٩٢) وتهذيب الكمال (٥٢٤ ـ ٥٣١) وتاريخ الإسلام (٥/ ١٨١ـ١٨٢) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٦٢ ـ ١٦٥) والإصابة (٢/ ٤٦٨) وتهذيب التهذيب (٧/ ١٦٦) وشذرات الذهب (١/ ٧٤) .

(٦) في الأصل : قوميسيا ، وهو خطأ .

زيد بن أرقم بن زيد[(١)] ، صحابي جليل[(٢)] .

وفيها توفي :

عبد الله بن عباس[(٣)] ترجمان القرآن وابن عم رسول الملك الديّان هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي أبو العباس الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ ، حَبر هذه الأمة ، ومفسِّر كتاب الله وترجمانه ، كان يقال له الحبر والبحر ، وروى عن رسول الله ﷺ شيئاً كثيراً ، وعن جماعة من الصحابة ، وأخذ عنه خلق من الصحابة وأمم من التابعين ، وله مفردات ليست لغيره من الصحابة لاتساع علمه وكثرة فهمه وكمال عقله وسعة فضله ونبل أصله ، رضي الله عنه وأرضاه . وأمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين ، وهو والد الخلفاء العباسيين ، وهو أخو إخوة عشرة ذكور من أم الفضل [للعباس ، وهو آخرهم مولداً] وقد مات كل واحد منهم في بلد بعيد عن الآخر جداً كما سيأتي ذلك .

قال مسلم بن خالد الزنجي المكي : عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس .

قال : لما كان رسول الله ﷺ في الشِّعب[(٤)] جاء أبي إلى رسول الله ﷺ فقال له : يا محمد أرى أم الفضل قد اشتملت على حمل ، فقال : « لعل الله أن يقرَّ أعينكم » . قال : فلما ولدتني أتى بي رسولَ الله ﷺ وأنا في خرقة فحنكني بريقه .

قال مجاهد : فلا نعلم أحداً حنكه رسول الله ﷺ بريقه غيره[(٥)] .

---

(١) ترجمة ـ زيد بن أرقم ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ١٨) وطبقات خليفة (٥٩٤) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٠٣) والاستيعاب (١/ ٥٥٦ ـ ٥٥٨) وأسد الغابة (٢/ ٢١٩) وتهذيب الكمال (١٠/ ٩ ـ ١٢) وتاريخ الإسلام (٥/ ١١٧ ـ ١١٩) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٦٥ ـ ١٦٨) والإصابة (١/ ٥٦٠) وتهذيب التهذيب (٣/ ٣٩٤) وشذرات الذهب (١/ ٧٤) .

(٢) جملة الوفيات ساقطة من أ ، ب ، م .

(٣) ترجمة ـ عبد الله بن عباس ـ في طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٥) ونسب قريش (٢٦) وطبقات خليفة (٨٢١ و١٤٨٥) وتاريخ البخاري (٥/ ٣) وأنساب الأشراف (٣/ ٢٨ ، ٥٥) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢٤١ ، ٢٧٠) والاستيعاب (٢/ ٣٥٠ ـ ٣٥٧) وتاريخ بغداد (١/ ١٧٣) وتاريخ دمشق (٢٩/ ٢٨٥) وأسد الغابة (٣/ ٢٩٠) ووفيات الأعيان (٣/ ٦٢) وتهذيب الكمال (١٥/ ١٥٤) وتاريخ الإسلام (٥/ ١٤٨ ـ ١٦١) وفيه استيعاب لمصادر ترجمته ، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٣١ ـ ٣٥٩) والإصابة (٢/ ٣٣٠) وتهذيب التهذيب (٥/ ٢٧٦) .

(٤) الشِّعب : بكسر الشين ، كان منزل بني هاشم غير مساكنهم ، ويعرف بشعب أبي يوسف ، وهو الشعب الذي أوى إليه رسول الله ﷺ وبنو هاشم لما تحالفت قريش على بني هاشم وكتبوا الصحيفة . شرح المواهب اللدنية (١/ ٢٧٨) .

(٥) تاريخ دمشق (٢٩/ ٢٨٨) ط دار الفكر .

وفي رواية أخرى فقال رسول الله ﷺ : « لعل الله أن يبيض وجوهنا بغلام » فولدت عبد الله بن عباس[١] .

وعن عمرو بن دينار قال : ولد ابن عباس عام الهجرة[٢] .

وروى الواقدي من طريق شعبة ، عن ابن عباس أنه قال : ولدتُ قبل الهجرة بثلاث سنينَ ، ونحن في الشعب ، وتوفي رسول الله ﷺ وأنا ابن ثلاث عشرة سنة ، ثم قال الواقدي : وهذا ما لا خلاف فيه بين أهل العلم . واحتج الواقدي بأنه كان قد ناهز الحلم عام حجة الوداع .

وفي صحيح البخاري[٣] عن ابن عباس قال : توفي رسول الله ﷺ وأنا مختون ، وكانوا لا يختنون الغلام حتى يحتلم .

وقال شعبة وهشيم وأبو عوانة[٤] : عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . قال : توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين مختون[٥] .

زاد هشيم[٦] : وقد جمعت المحكم على عهد رسول الله ﷺ. قلت : وما المحكم ؟ قال : المفصل .

وقال أبو داود الطيالسي[٧] : عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قبض رسول الله ﷺ وأنا ابن خمس عشرة سنة مختون ، وهذا هو الأصح ، ويؤيده صحة ما ثبت في الصحيحين ، ورواه مالك ، عن الزهري ، عن عبيد الله ، عن ابن عباس قال : أقبلت راكباً على أتانٍ وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام ، ورسول الله ﷺ يصلي بالناس بمنى إلى غير جدار ، فمررت بين يدي بعض الصف ، فنزلت وأرسلت الأتان ترتع ودخلت في الصف ، فلم ينكر عليّ ذلك أحد[٨] . وثبت عنه في الصحيح[٩] أنه قال : كنت أنا وأمي من المستضعفين ، كانت أمي من النساء وكنت أنا من الولدان . وهاجر مع أبيه عام الفتح ، فاتفق لقياهما النبي ﷺ بالجُحفة ، وهو ذاهب لفتح مكة ، فشهدا الفتح وحنيناً

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) تاريخ دمشق (٢٩/ ٢٨٩) .

(٣) صحيح البخاري رقم (٦٢٩٩) في الاستئذان .

(٤) في ط : هشام وابن عوانة ، والتصحيح من م والبخاري رقم (٥٠٣٥) و (٥٠٣٦) .

(٥) رواه أحمد في مسنده (١/ ٢٥٣ و٢٨٧ و٣٥٧) وقال ابن حجر في الإصابة (٢/ ٣٣٠) قوله : ابن عشر سنين محمول على إلغاء الكسر .

(٦) في ط : هشام ، والتصحيح من م والبخاري .

(٧) مسند أبي داود الطيالسي (٣٤٣) .

(٨) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١٥٥) في قصر الصلاة ، وأحمد في مسنده (١/ ٢٦٤) . والبخاري في صحيحه رقم (٤٩٣) في الصلاة باب : سترة المصلي ، ومسلم في صحيحه رقم (٥٠٤) في الصلاة .

(٩) صحيح البخاري (١٣٥٧) في الجنائز .

والطائف عام ثمان ، وقيل : كان في سنة تسع وحجة الوداع سنة عشر ، وصحب النبي ﷺ حينئذ ولزمه ، وأخذ عنه وحفظ وضبط الأقوال والأفعال والأحوال ، وأخذ عن الصحابة علماً عظيماً مع الفهم الثاقب ، والبلاغة والفصاحة والجمال والملاحة ، والأصالة والبيان ، ودعا له رسول الرحمن ﷺ ، كما وردت به الأحاديث الثابتة الأركان ، عند الأئمة الحفاظ المرضيين أنه ﷺ « دعا له بأن يعلمه التأويل ، وأن يفقهه في الدين » .

قال الزبير بن بكار[١] : حدَّثني ساعدة بن عبيد الله المزني ، عن داود بن عطاء ، عن زيد بن أسلم ، عن ابن عمر أنه قال : إن عمر كان يدعو عبد الله بن عباس فيقرِّبه ويقول : إني رأيت رسول الله ﷺ دعاك يوماً فمسح رأسك وتفل في فيك وقال : « اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل » . وبه أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم بارك فيه وانشر منه » .

وقال حماد بن سلمة : عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيم[٢] ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . قال : بتُّ في بيت خالتي ميمونة فوضعت للنبي ﷺ غسلاً ، فقال : « من وضع هذا ؟ » قالوا : عبد الله بن عباس، فقال : « اللهم علمه التأويل ، وفقهه في الدين » . وقد رواه غير واحد[٣] عن ابن خُثَيم[٢] بنحوه.

وقال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا عبد الله بن بكر حدَّثنا حاتم بن أبي صغيرة[٥] ، أبو يونس ، عن عمرو بن دينار : أن كريباً أخبره أن ابن عباس قال : أتيت رسول الله ﷺ من آخر الليل فصليت خلفه فأخذ بيدي فجَّرني فجعلني حذاءه ، فلما أقبل رسول الله ﷺ على صلاته خنست فصلى رسول الله ﷺ فلما انصرف قال لي[٦] : « ما شأني أجعلك حذائي[٧] فتخنس » ؟ فقلت : يا رسول الله أو ينبغي لأحد أن يصلي حذاءك وأنت رسول الله الذي أعطاك الله عزَّ وجلَّ ؟ قال : فأعجبته فدعا الله لي أن يزيدني علماً وفهماً ، قال : ثم رأيت رسول الله ﷺ نام حتى سمعته ينفُخُ[٨] ، ثم أتاه بلال فقال : يا رسول الله الصلاة ، فقام فصلى ما أعاد وضوءاً .

وقال الإمام أحمد[٩] وغيره : حدَّثنا هاشم بن القاسم ، حدَّثنا ورقاء ، وسمعت عبيد الله بن أبي يزيد يحدث عن ابن عباس قال : أتى رسولُ الله ﷺ الخلاءَ فوضعتُ له وَضُوءاً ، فلما خرج قال :

---

(١) أخرجه البلاذري في « أنساب الأشراف » (٣/ ٣٧) وذكره الذهبي في السير (٣/ ٣٣٧) .

(٢) في الأصل : خيثم ، وهو خطأ .

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٢٦٦) وابن سعد في الطبقات (٢/ ٣٦٥) والبلاذري في أنساب الأشراف (٣/ ٢٨) والطبراني في المعجم الكبير (١٠٥٨٧) والحاكم في المستدرك (٣/ ٥٣٤) وصححه .

(٤) مسند الإمام أحمد (١/ ٣٣٠) ، وهو حديث صحيح .

(٥) في ط : حدثنا عبد الله بن بكر بن أبي صفرة ؛ خطأ ، والتصحيح من أ ، ب ومسند أحمد .

(٦) في ط : « انصرف من صلاته قال » ، وما أثبتناه من م ومسند أحمد .

(٧) في ط : « في حذائي » ، وما أثبتناه من م ومسند أحمد .

(٨) في ط : « سمعت نفخه » ، وما أثبتناه من م ومسند أحمد .

(٩) مسند الإمام أحمد (١/ ٣٢٧) بلفظ « اللهم فقهه » وأخرجه أحمد من طريق أخرى كاملاً باللفظ المذكور (١/ ٢٦٦).

« من وضع ذا ؟ » فقيل ابن عباس ، فقال : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » .

وقال الثوري وغيره : عن ليث ، عن أبي جهضم موسى بن سالم ، عن ابن عباس أنه رأى جبريل وأن رسول الله ﷺ دعا له بالحكمة ، وفي رواية بالعلم ، مرتين[١] .

وقال الدارقطني : حدَّثنا حمزة بن القاسم الهاشمي وآخرون قالوا : حدَّثنا العباس بن محمد ، حدَّثنا محمد بن مصعب عن أبي مالك[٢] النخعي ، عن أبي إسحاق ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : رأيت جبريل مرتين ، ودعا لي رسول الله ﷺ بالحكمة مرتين ثم قال : غريب من حديث أبي إسحاق السبيعي ، عن عكرمة تفرّد به عنه أبو مالك النخعي عبد الملك بن حسين .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا هشيم[٣] ، عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس . قال : ضمني رسول الله ﷺ وقال : « اللهم علّمه الحكمة »[٤] .

ورواه أحمد أيضاً : عن إسماعيل بن عُلية ، عن خالدِ الحذاء ، عن عكرمة عنه قال : ضمني إليه رسول الله ﷺ وقال : « اللهم علّمه الكتاب » . وقد رواه البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجة[٥] من حديث خالد وهو ابن مهران الحذَّاء ، عن عكرمة عنه وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد[٦] : حدَّثنا أبو سعيد ، حدَّثنا سليمان بن بلال ، حدَّثنا حسين بن عبد الله عن[٧] عكرمة ، عن ابن عباس . أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم أعط ابن عباس الحكمة وعلمه التأويل » . تفرد به أحمد ، وقد روى هذا الحديث غير واحد عن عكرمة بنحو هذا . ومنهم من أرسله عن عكرمة ، والمتصل هو الصحيح ، فقد رواه غير واحد من التابعين عن ابن عباس ، وروي من طريق أمير المؤمنين المهدي ، عن أبيه ، عن أبي جعفر المنصور ـ عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ـ عن أبيه ، عن جده ، عن عبد الله بن عباس . أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم علمه الكتاب وفقهه في الدين » .

وقال الإمام أحمد[٨] : حدَّثنا أبو كامل وعفان المعني قالا : حدَّثنا حمّاد ، حدَّثنا عمار بن أبي عمار ، عن ابن عباس . قال : كنت مع أبي عند النبي ﷺ وعنده رجل يناجيه ، قال عفان : وهو

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم (٣٨٢٢) في المناقب وإسناده ضعيف ؛ لإرساله فإن أبا جهضم لم يدرك ابن عباس .
(٢) في الأصل : ابن أبي مالك ، وهو خطأ .
(٣) في ط : « هاشم » ، وما أثبتناه من م وهو الصواب .
(٤) رواه أحمد في مسنده (١/ ٢١٤) عن شيخه هشيم ، بلفظ : « مسح النبي ﷺ رأسي ودعا لي بالحكمة » .
(٥) رواه أحمد (١/ ٣٥٩) والبخاري في صحيحه رقم (٧٥) في العلم ، والترمذي في الجامع الصحيح رقم (٣٨٢٤) في المناقب ، والنسائي في سننه الكبرى رقم (٨١٧٩) في المناقب ، وابن ماجه في سننه رقم (١٦٦) في السنة .
(٦) مسند الإمام أحمد (١/ ٢٦٩) ، وهو حديث حسن .
(٧) في الأصل : عبد الله عن عكرمة ، والتصحيح من م والمسند .
(٨) مسند الإمام أحمد (١/ ٣١٢) وهو حديث صحيح .

كالمعرض عن العباس ، فخرجنا من عنده فقال[١] : ألم أر ابن عمك كالمعرض عني ؟ فقلت : إنه كان عنده رجل يناجيه ، قال عفان : فقال[٢] : أو كان عنده أحد ؟ قلت : نعم ، قال فرجع إليه فقال : يا رسول الله هل كان عندك أحد[٣] ؟ فإن عبد الله أخبرني أنه كان عندك رجل يناجيك ، قال : هل رأيته يا عبد الله ؟ قال : قلت : نعم ! قال : « ذاك جبريل عليه السلام » .

وقد روي من حديث المهدي عن آبائه ، وفيه أن رسول الله ﷺ قال له : « أما إنك ستصاب في بصرك »[٤] . وكان كذلك ، وقد روي من وجه آخر أيضاً ، والله أعلم .

ذكر صفة أخرى لرؤيته جبريل

رواها قتيبة ، عن الدراوردي ، عن ثور بن زيد، عن موسى بن ميسرة: أن العباس بعث ابنه عبد الله في حاجة إلى رسول الله ﷺ فوجد عنده رجلاً فرجع ولم يكلمه من أجل مكان ذلك الرجل ، فلقي رسولَ الله ﷺ العباسُ بعد ذلك ، فقال العباس : يا رسول الله أرسلت إليك ابني فوجد عندك رجلاً فلم يستطع أن يكلمك فرجع وراءه ، فقال رسول الله ﷺ : « يا عم تدري من ذاك الرجل ؟ » قال : لا ! قال : « ذاك جبريل ، ولن يموت ابنك حتى يذهب بصره ويؤتى علماً »[٥] . ورواه سليمان بن بلال ، عن ثور بن زيد كذلك ، وله طرق أخرى . وقد ورد في فضائله أحاديث كثيرة منها ما هو منكر جداً أضربنا عن كثير منها [صفحاً] وذكرنا ما فيه مقنع وكفاية عما سواه .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي[٦] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني عبد الله بن الحسن القاضي بمرو ، حدَّثنا الحارث بن محمد ، حدَّثنا يزيد بن هارون ، أنبأ جرير بن حازم ، عن يعلى بن حكيم ، عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما قبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار : هلم فلنسأل أصحاب رسول الله فإنهم اليوم كثير ، فقال : يا عجباً لك يا بن عباس !! أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من فيهم ؟ قال : فترك ذلك وأقبلت أنا أسأل أصحاب رسول الله ﷺ ، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه يسفي الريح عليّ من التراب ، فيخرج فيراني فيقول : يا بن عم رسول الله ما جاء بك ؟ هلاَّ أرسلت إليّ فآتيك ؟ فأقول : لا ! أنا أحق أن آتيك ، قال : فأسأله عن الحديث ، قال : فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع حولي الناس يسألوني ، فيقول : هذا الفتى كان أعقل مني .

---

(١) في ط : « فقال العباس » ، وما هنا من م ومسند أحمد .

(٢) في ط : « قال عباس » ، وما هنا من م ومسند أحمد .

(٣) في ط : « أحد آنفاً » ، وما هنا من م ومسند أحمد .

(٤) مع هذه الزيادة أورده الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٧٧) .

(٥) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٤٧٨) والهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٧٦) وقال : رواه الطبراني بأسانيد ورجاله ثقات .

(٦) رواه ابن سعد (٢/ ٣٦٧) والفَسَوي (١/ ٥٤٢) والحاكم (٣/ ٥٣٨) ، وأورده الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٧٧) وقال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

وقال محمد بن عبد الله الأنصاري : حدَّثنا محمد بن عمرو بن علقمة ، حدَّثنا أبو سلمة ، عن ابن عباس قال : وجدت عامة علم رسول الله ﷺ عند هذا الحي من الأنصار ، إن كنت لأقيل بباب أحدهم ، ولو شئت أن يؤذن لي عليه لأذن لي ، ولكن أبتغي بذلك طيب نفسه[١] .

وقال محمد بن سعد[٢] : أبنا محمد بن عمر ، حدَّثني قدامة بن موسى ، عن أبي سلمة الحضرمي قال : سمعت ابن عباس يقول : كنت ألزم الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار فأسألهم عن مغازي رسول الله ﷺ ، وما نزل من القرآن في ذلك ، وكنت لا آتي أحداً منهم إلا سُرَّ بإتياني لقربي من رسول الله ﷺ ، فجعلت أسأل أبي بن كعب يوماً ـ وكان من الراسخين في العلم ـ عما نزل من القرآن بالمدينة ، فقال : نزل سبع وعشرون سورة وسائرها بمكة .

وقال أحمد : عن عبد الرزاق ، عن معمر قال : عامة علم ابن عباس من ثلاثة ، من عمر وعلي وأبيِّ بن كعب .

وقال طاووس ، عن ابن عباس أنه قال : إن كنت لأسأل عن الأمر الواحد من ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ . وقال مغيرة : عن الشعبي قال : قيل لابن عباس : أنَّى أصبتَ هذا العلمَ ؟ قال : بلسان سؤول ، وقلب عقول .

وثبت عن عمر بن الخطاب أنه كان يُجلس ابن عباس مع مشايخ الصحابة ويقول : نِعْمَ ترجمان القرآن عبد الله بن عباس ، وكان إذا أقبل يقول عمر : جاء فتى الكهول ، وذو اللسان السؤول ، والقلب العقول[٣] .

وثبت في الصحيح[٤] أن عمر سأل الصحابة عن تفسير : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ [النصر : ١] فسكت بعض وأجاب بعضهم بجواب لم يرتضه عمر ، ثم سأل ابن عباس عنها فقال : أَجَلُ رسولِ الله ﷺ نُعيَ إليه ، فقال : لا أعلم منها إلا بما تعلم ، وأراد عمر بذلك أن يقرر عندهم جلالة قدره ، وكبير منزلته في العلم والفهم .

وسأله مرة عن ليلة القدر فاستنبط أنها في السابعة من العشر الأخير ، فاستحسنه عمر واستجاده كما ذكرنا في التفسير[٥] .

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٣٦٨) والبلاذري في أنساب الأشراف (٣/ ٣٤ ـ ٣٥) وذكره الذهبي في السير (٣/ ٣٤٤) .

(٢) الطبقات الكبرى (٢/ ٣٧١) وأبنا ، بتقديم الباء على النون ، اختصار لكلمة أخبرنا ، ولا تأتي في الكتب المطبوعة غالباً إلا : أنبأ ، وهذا تحريف قبيح يوهم الكثير أنها اختصار أنبأنا والمعروف في أنبأنا عدم الاختصار .

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠٦٢٠) وعنه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣١٨) والبلاذري في أنساب الأشراف (٣/ ٣٧) .

(٤) رواه البخاري رقم (٤٢٩٤) في المغازي .

(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٣٦) .

وقد قال الحسن بن عرفة : حدَّثنا يحيى بن اليمان ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن سعيد بن جبير عن عمر أنه قال لابن عباس : لقد علمتَ علماً ما علمناه[١] .

وقال الأوزاعي : قال عمر لابن عباس : إنك لأصبح فتياننا وجهاً ، وأحسنهم عقلاً ، وأفقههم في كتاب الله عزَّ وجلَّ .

وقال مجالد : عن الشعبي ، عن ابن عباس قال : قال لي أبي : إن عمر بن الخطاب يدنيك ويجلسك مع أكابر الصحابة فاحفظ عني ثلاثاً ، لا تفشين له سراً ، ولا تغتابن عنده أحداً ، ولا يجربن عليك كذباً[٢] . قال الشعبي : قلت لابن عباس : كل واحدة خير من ألف ، فقال ابن عباس : بل كل واحدة خير من عشرة آلاف .

وقال الواقدي : حدَّثنا عبد الله بن الفضل بن أبي عبد الله ، عن أبيه ، عن عطاء بن يسار : أن عمر وعثمان كانا يدعوان ابن عباس فيسير مع أهل بدر ، وكان يفتي في عهد عمر وعثمان إلى يوم مات .

قلت : وشهد فتح إفريقية سنة سبع وعشرين مع ابن أبي سرح[٣] .

وقال الزُّهري : عن علي بن الحسين ، عن أبيه قال : نظر أبي إلى ابن عباس يوم الجمل يمشي بين الصفين ، فقال : أقر الله عين من له ابن عم مثل هذا .

وقد شهد مع علي الجمل وصفين وكان أميراً على الميسرة ، وشهد معه قتال الخوارج .

وكان ممن أشار على علي أن يستنيب معاوية على الشام ، وأن لا يعزله عنها في بادىء الأمر ، حتى قال له فيما قال : إن أحببت عزله فوله شهراً واعزله دهراً ، فأبى علي إلا أن يقاتله[٤] ، فكان ما كان مما قد سبق [بيانه] .

ولما تراوض الفريقان على تحكيم الحكمين طلب ابن عباس أن يكون من جهة علي ليكافىء عمرو بن العاص ، فامتنعت مذحج وأهل اليمن إلا أن يكون من جهة علي أبو موسى الأشعري ، وكان من أمر الحكمين ما سلف .

وقد استنابه علي على البصرة ، وأقام للناس الحج في بعض السنين فخطب بهم في عرفات خطبة وفسر فيها سورة البقرة ، وفي رواية سورة النور ، قال من سمعه : فسر ذلك تفسيراً لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا[٥] .

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري (٣/ ٣٧) .
(٢) أنساب الأشراف (٣/ ٥١) وحلية الأولياء (١/ ٣١٨) ونسب قريس (٣٦) والمعرفة والتاريخ (١/ ٥٣٣) .
(٣) تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٦١-٨٠/ ص١٥٢) .
(٤) ذكر ذلك الذهبي في السير (٣/ ١٣٩) .
(٥) أنساب الأشراف (٣/ ٣٨) والمستدرك (٣/ ٥٣٧) وحلية الأولياء (١/ ٣٢٤) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥١) .

وهو أول من عرّف بالناس في البصرة ، فكان يصعد المنبر ليلة عرفة ويجتمع أهل البصرة حوله فيفسر شيئاً من القرآن ، ويذكّر الناس من بعد العصر إلى الغروب ، ثم ينزل فيصلي بهم المغرب[١] ، وقد اختلف العلماء بعده في ذلك [فمنهم من كره ذلك وقال : هو بدعة لم يعملها رسول الله ﷺ ولا أحد من أصحابه إلا ابن عباس ، ومنهم من استحب ذلك لأجل ذكر الله وموافقة الحجاج][٢] .

وقد كان ابن عباس ينتقد على علي في بعض أحكامه فيرجع إليه علي في ذلك ، كما قال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا إسماعيل ، حدَّثنا أيوب ، عن عكرمة : أن علياً حرق ناساً ارتدوا عن الإسلام فبلغ ذلك ابن عباس فقال : لم أكن لأحرقهم[٤] بالنار ، إن رسول الله ﷺ قال : « لا تعذبوا بعذاب الله » وكنت[٥] قاتلهم لقول رسول الله ﷺ : « من بدل دينه فاقتلوه » . فبلغ ذلك علياً فقال : ويح ابن عباس . وفي رواية ويح ابن عباس إنه لغواص على الهنات . وقد كافأه علي ، فإن ابن عباس كان يرى إباحة المتعة ، وأنها باقية ، وتحليل الحمر الإنسية ، فقال علي : إنك امرؤ تائه ، إن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الإنسية يوم خيبر ؟

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين[٦] وغيرهما ، وله ألفاظ هذا من أحسنها ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقال البيهقي : أبنا أبو عبد الله الحافظ قال : سمعت أبا بكر بن المؤمل يقول : سمعت أبا نصر بن أبي ربيعة يقول : ورد صعصعة بن صوحان على علي بن أبي طالب من البصرة فسأله عن ابن عباس ـ وكان علي خلَفه بها ـ فقال صعصعة : يا أمير المؤمنين ، إنه آخذ بثلاث وتارك لثلاث .

آخذ بقلوب الرجال إذا حدث ، وبحسن الاستماع إذا حُدث ، وبأيسر الأمرين إذا خولف . وترك المراء ومقارنة اللئيم ، وما يعتذر منه .

وقال الواقدي : حدّثنا أبو بكر بن أبي سَبْرَة ، عن موسى بن سعد ، عن عامر بن سعد بن أبي وقَّاص ، عن أبيه . قال : ما رأيت أحداً أحْضَر فهماً ولا ألبَّ لُبَّاً ، ولا أكثر عِلماً ، ولا أوسع حِلماً من ابن عباس ، ولقد رأيت عمر يدعوه للمعضلات ثم يقول : عندك قد جاءتك مُعضلة ، ثم لا يجاوز قوله ، وإنَّ حولَه لأهلُ بدرٍ من المهاجرين والأنصار[٧] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥١) .
(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط .
(٣) مسند الإمام أحمد (١/ ٢١٧) ، ومن غير طريق إسماعيل في المسند أيضاً (١/ ٢٢٠ و٢٨٢) .
(٤) في ط : « لوكنت أنا لم أحرقهم » ، وما هنا من م ورواية المسند من طريق إسماعيل .
(٥) في ط : « بل كنت » ، وما هنا من م والمسند .
(٦) صحيح البخاري رقم (٥١١٥) في النكاح ، ورقم (٤٢١٦) في المغازي ، وصحيح مسلم رقم (١٤٠٧) (٣٠) في النكاح .
(٧) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٩) وذكره الذهبي في السير (٣/ ٣٤٧) بهذا السند .

وقال الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال : قال عبد الله بن مسعود : لو أدرك ابن عبَّاس أسناننا ما عَشرهُ منَّا أحد . وكان يقول : نعم ترجمان القرآن ابن عباس[١] .

وعن ابن عمر أنه قال : ابن عباس أعلم الناس بما أنزل الله على محمد ﷺ .

وقال محمد بن سعد[٢] : حدّثنا محمد بن عمر ، حدّثني يحيى بن العلاء ، عن يعقوب بن زيد ، عن أبيه قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول حين بلغه موت ابن عباس وصفَّق بإحدى يديه على الأخرى : مات اليوم أعلم الناس وأحلم الناس ، وقد أصيبت به هذه الأمة مصيبة لا تُرْتَق .

وبه إلى يحيى بن العلاء ، عن عمر بن عبد الله ، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم . قال : لما مات ابن عباس قال رافع بن خديج : مات اليوم من كان يحتاج إليه منْ بين المشرق والمغرب في العلم .

قال الواقدي : وحدّثني أبو بكر بن أبي سبرة ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن عكرمة قال : سمعت معاوية يقول : مولاكَ[٣] والله أفقه من مات ومن عاش[٤] .

وروى ابن عساكر[٥] : عن ابن عباس قال : دخلت على معاوية حين كان الصلح وهو أول ما التقيت أنا وهو ، فإذا عنده أناس فقال : مرحباً بابن عباس ، ما تحاكت الفتنة بيني وبين أحد كان أعز علي بُعداً ولا أحب إليّ قرباً[٦] ، الحمد لله الذي أمات علياً ، قال ابن عباس : فقلت له : إن الله لا يُذمُّ في قضائه ، وغير هذا الحديث أحسن منه ، ثم قلت له : أحب أن تعفيني من ابن عمي وأعفيك من ابن عمك ، قال : ذلك لك .

وقالت عائشة وأم سلمة حين حج ابن عباس بالناس : هو أعلم الناس بالمناسك[٧] .

وقال ابن المبارك : عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي قال : ركب زيد بن ثابت فأخذ ابن عباس بركابه فقال : لا تفعل يا بن عم رسول الله ﷺ قال : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا فقال زيد : أني يداك ؟ فأخرج يديه فقبّلهما فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا .

---

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٦) والمعرفة والتاريخ (١/ ٤٩٥) والمستدرك (٣/ ٥٣٧) وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٤٧) بهذا السند .
(٢) الطبقات الكبرى (٢/ ٣٧٢) .
(٣) في الأصول : مات؛ خطأ ، والتصحيح من المصادر .
(٤) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٩) والمعرفة والتاريخ (١/ ٤٩٥) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٤٨) .
(٥) تاريخ دمشق (٢٩/ ٢٨٧) .
(٦) في تاريخ دمشق : ولا أحبّ إليَّ قريباً منك .
(٧) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٩) والمعرفة والتاريخ (١/ ٤٩٥) .

وقال الواقدي : حدّثني داود بن جبير[١] ، سمعت ابن المسيب يقول : ابن عباس أعلم الناس[٢] .

وحدّثني عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عبيد الله بن عبد الله قال : كان ابن عباس قد فات[٣] الناس بخصال ؛ بعلم ما سبق إليه ، وفقه فيما احتيج إليه من رأيه ، وحلم ، ونسب[٤] ونائل ، وما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث النبي ﷺ منه ، ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه ، ولا أفقه في رأي منه ، ولا أعلم بشعر ولا عربية ولا بتفسير القرآن ولا بحساب ولا بفريضة منه ، ولا أعلم فيما مضى ولا أثقب رأياً فيما احتيج إليه منه ، ولقد كان يجلس يوماً ما يذكر فيه إلا الفقه ، ويوماً ما يذكر فيه إلا التأويل ، ويوماً ما يذكر فيه إلا المغازي ، ويوماً الشعر ، ويوماً أيام العرب ، وما رأيت عالماً قط جلس إليه إلا خضع له ، ولا وجدت سائلاً سأله إلا وجد عنده علماً . قال : وربما حفظت القصيدة من فيه ينشدها ثلاثين بيتاً[٥] .

وقال هشام بن عروة عن أبيه : ما رأيت مثل ابن عباس قط .

وقال عطاء : ما رأيت مجلساً أكرم من مجلس ابن عباس ، أكثر فقهاً ، ولا أعظم [هيبة] ؛ أصحاب القرآن يسألونه، وأصحاب العربية يسألونه، وأصحاب الشعر عنده يسألونه، فكلهم يصدر في وادٍ واسع[٦] .

وقال الواقدي : حدّثني بشر بن أبي مسلم ، عن ابن طاووس ، عن أبيه ، قال : كان ابن عباس قد بسق[٧] على الناس في العلم كما تبسق النخلة السحوق على الوَدِيِّ الصغار[٨] .

وقال ليث بن أبي سُليم : قلت لطاووس : لم لزمت هذا الغلام ؟ ـ يعني ابن عباس ـ وتركت الأكابر من الصحابة ؟ فقال : إني رأيت سبعين من الصحابة إذا تماروا في شيء صاروا إلى قوله[٩] .

وقال طاووس أيضاً : ما رأيت أفقه منه ، قال : وما خالفه أحد قط فتركه حتى يقرره .

وقال علي بن المديني ويحيى بن معين وأبو نعيم وغيرهم عن سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن

---

(١) في ط : داود بن أبي هند ، عن سعيد بن جبير ، وما أثبت من م والطبقات .
(٢) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩) .
(٣) في أ : فاق .
(٤) في الطبقات : وسَيْب ، والسَّيْب : العطاء والعرف . القاموس (سيب) .
(٥) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٨) وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥٠) بأخصر مما هنا .
(٦) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٧) .
(٧) بسق الرجل : أي علا ذكره في الفضل . المعجم الوسيط .
(٨) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٧٠) .
(٩) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧) .

مجاهد . قال : ما رأيت مثله قط ، ولقد مات يوم مات وإنه لحبر هذه الأمة ـ يعني ابن عباس[١] ـ .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة وغيره : عن أبي أسامة ، عن الأعمش ، عن مجاهد . قال : كان ابن عباس يسمى البحر لكثرة علمه[٢] .

وروى الواقدي والزبير بن بكار عن مجاهد أنه قال : كان ابن عباس أمدهم قامة ، وأعظمهم جفنة ، وأوسعهم علماً .

وقال مجاهد أيضاً : ما رأيت أحداً قط أعرب لساناً من ابن عباس . وقال عمرو بن دينار : ما رأيت مجلساً أجمع لكل خير من مجلسه ـ يعني ابن عباس ـ الحلال والحرام وتفسير القرآن والعربية والشعر والطعام .

وقال محمد بن سعد[٣] : حدّثنا عفان بن مسلم ، حدّثنا سليم بن أخضر ، عن سليمان التيمي ـ أنبأني من أرسله الحكم بن أيوب[٤] ـ إلى الحسن يسأله من أول من جمّع بالناس في هذا المسجد يوم عرفة ؟ فقال : إن أول من جمَّع ابن عباس ، وكان رجلاً مِثَجاً ـ أحسب في الحديث ـ كثير العلم ، وكان يصعد المنبر فيقرأ سورة البقرة ويفسرها آية آية .

وقد رُوي من وجه آخر عن الحسن البصري نحوه .

وقال عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري : روى سفيان عن أبي بكر الهذلي عن الحسن قال : كان ابن عباس أول من عرّف بالبصرة ، صعد المنبر فقرأ البقرة وآل عمران ففسرهما حرفاً حرفاً . مثجى : قال ابن قتيبة : مِثَجاً من الثج وهو السَّيلان ، قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴾ [النبأ : ١٤] .

وقال يونس بن بكير : حدّثنا أبو حمزة الثمالي ، عن أبي صالح : قال لقد رأيت من ابن عباس مجلساً لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها فخراً[٥] ، لقد رأيت الناس اجتمعوا على بابه حتى ضاق بهم الطريق ، فما كان أحد يقدر أن يجيء ولا أن يذهب ، قال : فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه ، فقال لي : ضع لي وضوءاً ، قال : فتوضأ وجلس وقال : اخرج فقل لهم : من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أريد منه فليدخل . قال : فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم عنه وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر ، ثم قال : إخوانكم ، فخرجوا . ثم

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (٣/ ٥٣٥) وذكره الذهبي في السير (٣/ ٣٥٠) .
(٢) أنساب الأشراف (٣/ ٣٣) والمستدرك (٣/ ٥٣٥) وحلية الأولياء (١/ ٣١٦) .
(٣) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٧) وأنساب الأشراف (٣/ ٣٤) وذكره الذهبي في تاريخ الإسلام (٥/ ١٩٩) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥١) . ومعنى مثجاً : أي يصب الكلام صباً .
(٤) تحرفت في ط إلى : أديب .
(٥) في ط : به الفخر ، وما أثبت يوافق حلية الأولياء (١/ ٣٩٥) والخبر بطوله فيه .

قال : اخرج فقل : من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل ، قال : فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله أو أكثر ، ثم قال : إخوانكم ، فخرجوا ، ثم قال اخرج فقل : من كان يريد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها ، فليدخل ، فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم وزادهم مثله أو أكثر ، ثم قال : إخوانكم ، فخرجوا ، ثم قال : اخرج فقل : من كان يريد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل ، فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله ، ثم قال : إخوانكم فخرجوا ، قال أبو صالح : فلو أنَّ قريشاً كلها فخرت بذلك لكان فخراً ، فما رأيت مثل هذا لأحد من الناس .

وقال طاوس وميمون بن مهران : ما رأينا أورع من ابن عمر ولا أفقه من ابن عباس(١) ، قال ميمون : وكان ابن عباس أفقههما .

وقال شريك القاضي ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق قال : كنت إذا رأيت ابن عباس ، قلت : أجمل الناس ، فإذا نطق ، قلت : أفصح الناس ، فإذا تحدث ، قلت : أعلم الناس(٢) .

وقال يعقوب بن سفيان : حدّثنا أبو النعمان ، حدّثنا حماد بن زيد ، عن الزبير بن الحارث ، عن عكرمة قال : كان ابن عباس أعلمهما بالقرآن ، وكان علي أعلمهما بالمبهمات(٣) .

وقال إسحاق بن راهويه : إنما كان كذلك ، لأن ابن عباس كان قد أخذ ما عند علي من التفسير ، وضم إلى ذلك ما أخذه عن أبي بكر وعمر وعثمان وأبيّ بن كعب وغيرهم من كبار الصحابة . مع دعاء رسول الله ﷺ له أن يعلمه الله الكتاب .

وقال أبو معاوية : عن الأعمش ، عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال : خطب ابن عباس وهو على الموسم فافتتح سورة البقرة ، فجعل يقرأها ويفسرها فجعلت أقول ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله ، لو سمعته فارس والروم لأسلمت(٤) .

وقد روى أبو بكر بن عياش : عن عاصم بن أبي النجود ، عن أبي وائل : أن ابن عباس حج بالناس عام قتل عثمان ، فقرأ سورة النور وذكر نحو ما تقدم ، فلعل الأول كان في زمان علي فقرأ في تلك الحجة سورة البقرة ، [وفي فتنة عثمان سورة النور ، والله أعلم] .

---

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ٢٦٦) والمعرفة والتاريخ (١/ ٤٩٦) وذكره الذهبي في السير (٣/ ٣٥٠) .
(٢) أنساب الأشراف (٣/ ٣٠) .
(٣) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٧) .
(٤) أنساب الأشراف (٣/ ٣٨) والمستدرك (٣/ ٥٣٧) وحلية الأولياء (١/ ٢٩٤) .

وقد روينا عن ابن عباس أنه قال : أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله ، وقال مجاهد : عرضت القرآن على ابن عباس مرتين من أوله إلى آخره أقف عند كل آية أسأله عنها .

وروي عنه أنه قال أربع من القرآن لا أدري ما به جيء ، الأواه ، وحناناً ، والرقيم ، والغسلين . وكل القرآن أعلمه إلا هذه الأربع[١] .

وقال ابن وهب وغيره عن سفيان بن عيينة ، عن عبيد الله بن أبي يزيد قال : كان ابن عباس إذا سُئل عن مسألة ، فإن كانت في كتاب الله قال بها ، فإن لم تكن وهي في السنة قال بها ، فإن لم يقلها رسول الله ﷺ فإن وجدها عن أبي بكر وعمر قال بها ، وإلّا اجتهد رأيه[٢] .

وقال يعقوب بن سفيان[٣] : حدّثنا أبو عاصم ، وعبد الرحمن بن حماد الشعيثي[٤] ، عن كهمس بن الحسن ، عن عبد الله بن بريدة . قال : شتم رجل ابن عباس فقال له : إنك لتشتمني وفيّ ثلاث خصال ، إني لآتي على الآية من كتاب الله فلوددت أن الناس علموا منها مثل الذي أعلم ، وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يقضي بالعدل ، ويحكم بالقسط ؛ فأفرح به [وأدعو إليه] ولعلّي لا أقاضي إليه ، ولا أحاكم أبداً ، وإني لأسمع بالغيث يصيب الأرض من أرض المسلمين فأفرح به ومالي بها من سائمة أبداً .

ورواه البيهقي[٥] عن الحاكم ، عن الأصم ، عن الحسن بن مكرم ، عن يزيد بن هارون ، عن كهمس به .

وقال الواقدي : سأل رجل ابن عباس عن قوله تعالى : ﴿ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ ﴾ [الأنبياء : ٣٠] فقال : كانت السماء رتقاً لا تمطر ، والأرض رتقاً لا تنبت ؛ ففتق هذه بالمطر وهذه بالنبات[٦] .

وقال ابن أبي مليكة : صحبت ابن عباس من المدينة إلى مكة ، وكان يصلي ركعتين ، فإذا نزل قام

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٥/ ١٩٩) وذكره الذهبي في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ـ٨٠/ ص١٥٥) ولكن هنا زيادة : الأواه .

(٢) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٦) .

(٣) المعرفة والتاريخ (١/ ٥٢٦) .

(٤) في ط : « عبد الرحمن بن الشعبي » ، وهو تحريف .

(٥) شعب الإيمان (٧/ ٥٠٣ ـ ٥٠٤) رقم (١١١٣٧) وذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٨٤) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

(٦) من قوله : قال الواقدي . . . إلى هنا ساقط من ط ، والخبر في حلية الأولياء (١/ ٣٩٥) بسند ليس فيه الواقدي ، والإصابة (٤/ ١٢٧) عن أبي نعيم .

شطر اللّيل ، ويرتل القرآن حرفاً حرفاً ، ويكثر في ذلك من النشيج والنحيب ويقرأ[١] : ﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ﴾ [ق : ١٩] .

وقال الأصمعي : عن المعتمر بن سليمـان ، عن شعيب بن درهم [عن أبي رجـاء][٢] قال : كان في هذا المكان ـ وأومأ إلى مجرى الدموع من خديه يعني خدي ابن عباس ـ مثل الشراك البالي من البكاء[٣] .

وقال غيره : كان يصوم يوم الإثنين والخميس ، وقال : أحب أن يرتفع عملي وأنا صائم[٤] .

وروى هُشيم[٥] وغيره عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس : أن ملك الروم كتب إلى معاوية يسأله عن أحبِّ الكلام إلى الله عزَّ وجلَّ . ومنْ أكرم العباد على الله عزَّ وجلَّ ، ومن أكرم الإماء على الله عزَّ وجلَّ . وعن أربعة فيهم الروح فلم يركضوا في رحم ، وعن قبر سار بصاحبه ، وعن مكانٍ في الأرض لم تطلع فيه الشمس إلا مرة واحدة ، وعن قوس قزح ما هو ؟ وعن المجرة . فبعث معاوية فسأل ابن عباس عنهن فكتب ابن عباس إليه : أما أحب الكلام إلى الله فسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وأكرم العباد على الله آدم ، خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وعلمه أسماء كل شيء . وأكرم الإماء على الله مريم بنت عمران ، وأما الأربعة الذين لم يركضوا في رحم ، فآدم وحواء وعصا موسى وكبش إبراهيم الذي فدى به إسماعيل . وفي رواية : وناقة صالح ، وأما القبر الذي سار بصاحبه فهو حوت يونس ، وأما المكان الذي لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة فهو البحر لما انفلق لموسى حتى جاز بنو إسرائيل فيه ، وأما قوس قزح فأمان لأهل الأرض من الغرق ، والمجرة باب في السماء ، وفي رواية الذي ينشق منه . فلما قرأ ملك الروم ذلك أعجبه وقال : والله ما هي من عند معاوية ولا من قوله ، وإنما هي من عند أهل النبي ﷺ ، وقد ورد في هذه الأسئلة روايات كثيرة فيها وفي بعضها نظر[٦] .

منها : أنه سأله عمن لا قبل له ، وعمَّن لا عشيرة له ، وعمَّن لا أب له ، وعن شيء ، ونصف شيء ولا شيء ؟

وأرسل قارورة ؛ فقال : ابعث إليّ في هذه ببزر كلّ شيء .

فكتب إليه يقول : أما الذي لا قبل له ؛ فالله عزَّ وجلَّ ، وأما من لا عشيرة له ؛ فآدم عليه السلام ،

---

(١) حلية الأولياء (١/ ٤٠٣) وذكره الذهبي في السير (٣/ ٣٤٢) والنشيج : أحرّ البكاء ، وهو مثل البكاء للصّبي إذا ردد صوته في صدره ولم يخرجه ، القاموس (نشج) .

(٢) ما بينهما ساقط من الأصل .

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥٢) .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) في ط : « هاشم » ، محرف ، وهو هشيم بن بشير ، من رجال التهذيب .

(٦) مختصر تاريخ دمشق (١٢/ ٣١٥ ـ ٣١٦) .

وأما من لا أب له ؛ فعيسى عليه السلام ، وأما عن شيء ، فهو العاقل يعمل بعقله ، وأما نصف شيء ؛ فالذي له عقل ويعمل برأي غيره ، وأما لا شيء ؛ فالذي لا عقل له ، ولا يعمل بعقل غيره . وملأ القارورة ماءً وقال : هذا بزر كل شيء .

فأعجب ذلك ملك الروم جداً[١] . والله أعلم .

فصــل

وَلِيَ[٢] ابن عباس إقامة الحج سنة خمس وثلاثين بأمر عثمان بن عفان له وهو محصور ، وفي غيبته هذه قتل عثمان ، وحضر ابن عباس مع علي الجمل ، وكان على الميسرة يوم صفين ، وشهد قتال الخوارج وتأمّر على البصرة من جهة علي ، وكان إذا خرج منها يستخلف أبا الأسود الدؤلي على الصلاة ، وزياد بن أبي سفيان على الخراج ، وكان أهل البصرة مغبوطين به ، يفقههم ويعلم جاهلهم ، ويعظ مجرمهم ، ويعطي فقيرهم ، فلم يزل عليها حتى مات علي ، ويقال إنَّه عزله عنها قبل موته ، ثم وفد على معاوية فأكرمه وقربه واحترمه وعظمه ، وكان يلقي عليه المسائل المعضلة فيجيب فيها سريعاً ، فكان معاوية يقول : ما رأيت أحداً أحضر جواباً من ابن عباس ، ولما جاء الكتاب بموت الحسن بن علي اتفق كون ابن عباس عند معاوية فعزَّاه فيه بأحسن تعزية ، ورد عليه ابن عباس رداً حسناً كما قدَّمنا ، وبعث معاوية ابنه يزيد فجلس بين يدي ابن عباس وعزَّاه بعبارة فصيحة بليغة وجيزة ، شكره عليها ابن عباس وقد تقدم ذلك أيضاً .

ولما مات معاوية ورام الحسين بن علي الخروج إلى العراق نهاه ابن عباس أشد النهي ولامه على عزمه آكد اللوم ، وأراد ابن عباس أن يتعلق بثياب الحسين ـ لأن ابن عباس كان قد أضر في آخر عمره ـ فلما قتل الحسين حزن عليه حزناً شديداً ولزم بيته ، وكان يقول : يا لسان قل خيراً تغنم ، واسكت عن شرٍّ تسلم ، فإنك إن لا تفعل تندم .

وجاء إليه رجل يقال له جندب فقال له : أوصني ، فقال : أوصيك بتوحيد الله والعمل له ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، فإن كل خير أنت آتيه بعد ذلك منك مقبول ، وإلى الله مرفوع ، يا جندب : إنك لن تزداد من موتك إلا قرباً ، فصلِّ صلاة مودعٍ . واصبح في الدنيا كأنك غريب مسافر ، فإنك من أهل القبور ، وابك على ذنبك وتبْ من خطيئتك ، ولتكن الدنيا عليك أهون من شسع نعلك ، فكأن قد فارقتها وصرت إلى عدل الله ، ولن تنتفع بما خلفت ، ولن ينفعك إلا عملك[٣] .

---

(١) من قوله : منها أنه سأله عمن لا قبل له . . إلى هنا زيادة من أ . والخبر في مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (١٢/ ٣١٦) . وفيه أنه سأله عمَّن لا قبلة له ؟ وكان جواب ابن عباس رضي الله عنه : أما مَن لا قبلة له فالكعبة .

(٢) في ط : « تولى » ، وما هنا من م .

(٣) الخبر والذي قبله في مختصر تاريخ دمشق (١٢/ ٣٢٦) .

وقال بعضهم : أوصى ابن عباس بكلمات خير من الخيل الدهم ، قال : لا تكلمن فيما لا يعنيك حتى ترى له موضعاً ، ولا تمارين سفيهاً ولا حليماً فإن الحليم يغلبك والسفيه يزدريك ، ولا تذكرن أخاك إذا توارى عنك إلا بمثل الذي تحب أن يتكلم فيك إذا تواريت عنه ، واعمل عمل من يعلم أنه مجزي بالإحسان مأخوذ بالإجرام . فقال رجل عنده : يا بن عباس ! هذا خير من عشرة آلاف . فقال ابن عباس : كلمة منه خير من عشرة آلاف .

وقال ابن عباس : تمام المعروف تعجيله وتصغيره وستره ـ يعني أن تعجل العطية للمعطى ، وأن تُصغَّر في عين المعطي ـ وأن تسترها عن الناس فلا تُظهرها ! [فإن في إظهارها فتح باب الرياء وكسر قلب المعطى ، واستحياءه من الناس][1] .

وقال ابن عباس : أعز الناس عليَّ جليس لو استطعت أن لا يقع الذباب على وجهه لفعلت .

وقال أيضاً : لا يكافيء من أتاني يطلب حاجة فرآني لها موضعاً إلا الله عزَّ وجلَّ ، وكذا رجل بدأني بالسلام أو أوسع لي في مجلس أو قام لي عن المجلس ، أو رجل سقاني شربة ماء على ظمأ ، ورجل حفظني بظهر الغيب . والمأثور عنه من هذه المكارم كثير جداً ، وفيما ذكرنا إشارة إلى ما لم نذكره .

وقد عدّه الهيثم بن عدي في العميان من الأشراف ، وفي بعض الأحاديث الواردة عنه ما يدل على ذلك .

وقال بعضهم : أصيبت إحدى عينيه فنحل جسمه ، فلما أصيبت الأخرى عاد إليه لحمه ، فقيل له في ذلك ، فقال : أصابني ما رأيتم في الأولى شفقة على الأخرى ، فلما ذهبتا اطمأن قلبي[2] .

وقال أبو القاسم البغوي : حدّثنا علي بن الجعد ، حدّثنا شريك ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه وقع في عينيه الماء فقيل له : نفرغ من عينيك الماء على أن لا تصلي سبعة أيام . فقال : لا ! إنه من ترك الصلاة وهو يقدر عليها لقي الله وهو عليه غضبان .

وفي رواية أنه قيل له : نزيل هذا الماء من عينيك على أن تبقى خمسة أيام لا تصلي إلا على عود ، وفي رواية إلا مستلقياً ، فقال : لا والله ولا ركعة واحدة ، إنه من ترك صلاة واحدة متعمداً لقي الله وهو عليه غضبان . وقد أنشد المدائني لابن عباس حين عمي :

إن يأخذ الله مِنْ عينيَّ نورهما ... ففي لساني وسمعي منهما نورُ
قلبي ذكيٌّ وعقلي غيرُ ذي دخلٍ ... وفي فمي صارمٌ كالسيفِ مأثورُ[3]

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط . والخبر في مختصر تاريخ دمشق (١٢/ ٣٢٧) .
(٢) مختصر تاريخ دمشق (١٢/ ٣٢٧) .
(٣) الأبيات في الاستيعاب (٢/ ٣٥٦) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥٧) ، وفي أ : مأبور؛ وما أثبت كالمصادر .

ولما وقع الخلف بين ابن الزبير وبين عبد الملك بن مروان اعتزل ابن عباس ومحمد بن الحنفية الناس ، فدعاهما ابن الزبير ليبايعاه فأبيا عليه ، وقال كل منهما : لا نبايعك ولا نخالفك ، فهمّ بهما فبعثا أبا الطفيل عامر بن واثلة فاستنجد لهما من بالعراق من شيعتهما . فقدم أربعة آلاف فكبروا بمكة تكبيرة واحدة ، وهموا بابن الزبير فهرب [فتعلق بأستار الكعبة ، وقال : أنا عائذ بالله] فكفوهم عنه [ثم مالوا إلى ابن عباس وابن الحنفية وقد حمل ابن الزبير حول دورهم الحطب ليحرقهم ، فخرجوا بهما حتى نزلوا الطائف ، وأقام ابن عباس سنتين لم يبايع أحداً][(١)] كما تقدم .

فلما كان في سنة ثمان وستين توفي ابن عباس بالطائف ، وصلى عليه محمد بن الحنفية وقال : مات اليوم حبر هذه الأمة[(٢)] . فلما وضعوه ليدخلوه في قبره جاء طائر أبيض لم يُرَ مثل خلقته ، فدخل في أكفانه والتف بها[(٣)] حتى دفن معه . قال عفان : وكانوا يرون علمه[(٤)] [وعمله] فلما وضع في اللحد تلا تالٍ لا يعرف من هو . وفي رواية أنهم سمعوا من قبره : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴾ [الفجر : ٢٧ ـ ٢٩] هذا القول في وفاته هو الذي صححه غير واحد من الأئمة ، ونص عليه أحمد بن حنبل والواقدي وابن عساكر[(٥)] ، وهو المشهور عند الحفاظ[(٦)] ؛ وقيل إنه توفي في سنة ثلاث وستين ، وقيل سنة ثلاث وسبعين ، وقيل سنة سبع وستين ، وقيل سنة تسع وستين ، وقيل سنة سبعين . والأول أصح ، وهذه الأقوال كلها شاذة غريبة مردودة والله [سبحانه وتعالى] أعلم . وكان عمره يوم مات ثنتين وسبعين سنة ، وقيل إحدى وسبعين ، وقيل أربع وسبعين ، والأول أصح والله أعلم .

صفة ابن عباس رضي الله عنه

كان جسيماً إذا قعد يأخذ مكان رجلين ، جميلاً له وفرة ، قد شاب مقدَّم رأسه ، وشابت لِمَّتُهُ[(٧)] ، وكان يخضب بالحنّاء ، وقيل : بالسَّواد ، حسن الوجه ، يلبس حسناً ، ويكثر من الطِّيب بحيث إنه كان إذا مَرَّ في الطريق يقول النساء : هذا ابن عباس أو رجل معه مسك ، وكان وسيماً أبيضَ طويلاً جسيماً فصيحاً ، ولما عمي اعترى لونه صفرةٌ يسيرة . وقد كان بنو العباس عشرة ، وهم الفضل ، وعبد الله ،

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط وهي توافق ما في سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥٦) ومختصر تاريخ دمشق (١٢/ ٣٢٩) .
(٢) قول ابن الحنفية ساقط من ط ، وهو عند ابن سعد (٢/ ٣٦٨) ومستدرك الحاكم (٥/ ٥٤٣) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥٧) ، ومختصر تاريخ دمشق (١٢/ ٣٢٩) . بلفظ : ربانيّ .
(٣) في ب : فالتف في أكفانه .
(٤) الخبر في أنساب الأشراف (٣/ ٥٤) ومستدرك الحاكم (٣/ ٥٤٣) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥٧) .
(٥) مختصر تاريخ دمشق (١٢/ ٣٣٠) .
(٦) قال الذهبي في السير (٣/ ٣٥٨) : فهذه قضية متواترة .
(٧) اللِّمَّة : شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن .

وعبيد الله ، ومعبد ، وقثم ، وعبد الرحمن ، وكثير ، والحارث ، وعون ، وتمام . وكان أصغرهم تمام ، ولهذا كان يحمله ويقول :

تمُّوا بتمامٍ فصاروا عشرَهْ يا ربِّ فاجعلهمْ كراماً بررَهْ
واجعلهمُ ذكراً وأنمِ الثمرَه

فأما الفضل فمات بأجنادين شهيداً ، وعبد الله بالطائف ، وعبيد الله باليمن ، ومعبد وعبد الرحمن بإفريقية ، وقثم وكثير بينبع ، وقيل إن قثماً مات بسمرقند .

وقد قال مسلم بن حماد[١] المكي مولى بني مخزوم : ما رأيت مثل بني أمٍّ واحدة أشراف ولدوا في دار واحدة ، أبعد قبوراً من بني أم الفضل ، ثم ذكر مواضع قبورهم كما تقدم ، إلا أنه قال الفضل مات بالمدينة ، وعبيد الله بالشام[٢] .

وقد كان عبد الله بن عباس يلبس الحُلَّة بألف درهم ، وكان له من الولد العباس وعلي ، وكان علي يدعى السَّجَّاد لكثرة صلاته ، وكان أجمل قرشي على وجه الأرض [وقد قيل إنه كان يصلي كل يوم ألف ركعة ، وقيل في الليل والنهار مع الجمال التام ، وعلى هذا فهو أبو الخلفاء العباسيين ، ففي ولده كانت الخلافة العباسية كما سيأتي][٣] وكان لابن عباس أيضاً محمد والفضل وعبد الله[٤] ولبابة[٥] ، وأمهم زُرعة بنت مسرِّح بن معديكَرِب ، وله أسماء وهي لأم ولد ، وكان له من الموالي عكرمة وكريب وأبو معبد وشعبة ودقيق وأبو عمرة وأبو عبيد ومقسم[٦] . وأسند ألفاً وستمئة وستين[٧] حديثاً [والله سبحانه وتعالى أعلم] .

وممن توفي في هذه السنة :

أبو شريح الخزاعي العدوي الكعبي[٨] ، اختلف في اسمه على أقوال أصحها خويلد بن عمرو ، أسلم عام الفتح ، وكان معه أحد ألوية بني كعب الثلاثة .

---

(١) كذا في الأصل ، والذي في « مختصر ابن عساكر » ابن قمادين ! ولعله مسلم بن خالد فإنه مكي ومخزومي بالولاء .
(٢) الفقرة الأخيرة متأخرة في أ . والخبر في مختصر تاريخ دمشق (١٢/ ٢٩٦) .
(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط ، ومكانها في أ : وفي ولده الخلافة .
(٤) كذا في الأصول الثلاثة ، وفي السير (٣/ ٣٣٣) : عبيد الله .
(٥) سقطت من ط ؛ وهي في السير ، وقال الذهبي : ولبابة : ولها أولاد وعقب من زوجها علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب .
(٦) اللفظة الأخيرة ساقطة من ط .
(٧) في ط : سبعين ؛ وما أثبت يوافق سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥٩) .
(٨) ترجمة ـ أبي شريح ـ في طبقات ابن سعد (٤/ ٢٩٥) وتاريخ خليفة (٢٦٥) وطبقاته (١٠٨) وتاريخ البخاري (٣/ ٢٢٤) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٩٨) والاستيعاب (٤/ ١٠١ ـ ١٠٣) وأسد الغابة (٥/ ٢٢٥ـ٢٢٦) وتهذيب الكمال (٣٣/ ٤٠٠) وتاريخ الإسلام (٥/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩) وتهذيب التهذيب (١٢/ ١٢٥ ـ ١٢٦) .

قال محمد بن سعد : مات في هذه السنة وله أحاديث .

وفيها توفي :

أبو واقد اللّيثي[١] ، صحابي جليل ، مختلف في اسمه وفي شهوده بدراً .

قال الواقدي : توفي سنة ثمان وستين عن خمس وستين سنة ، وكذا قال غير واحد في تاريخ وفاته . وزعم بعضهم أنه عاش سبعين سنة ، وكانت وفاته بمكة بعد ما جاور بها سنة ودفن في مقابر المهاجرين .

حميد بن ثور التربي[٢] ، الشاعر المشهور ، قال الشعر في أيام عمر بن الخطاب وهو من فحول الشعراء[٣] .

ثم دخلت سنة تسع وستين

ففيها كان مقتل عمرو بن سعيد الأشدق الأموي قتله عبد الملك بن مروان ، وكان سبب ذلك أن عبد الملك ركب في أول هذه السنة في جنوده قاصداً قرقيسيا ليحاصر زفر بن الحارث الكلابي الذي أعان سليمان بن صُرَد على جيش مروان حين قاتلوهم بعين وردة .

وكان زفر بن الحارث قد انهزم يوم مرج راهط وخلع مروان وبايع لابن الزبير فبعث إليه مروان عبيد الله بن زياد في ستين ألفاً وجعل له مهما غلب عليه من العراق ؛ فلما بلغ عبيد الله أرض الجزيرة بلغه موت مروان وكان قد حاصر زفر بن الحارث مدة ثم قدم جيش التوابين ، فقاتلهم عبيد الله بن زياد وانتصر عليهم ، ثم عاد لحصار زفر بن الحارث ، فلما أرسل المختار جيشه مع ابن الأشتر كسروا جيش الشام وقتلوا عبيد الله بن زياد كما ذكرنا ؛ فحينئذٍ تجهز عبد الملك بن مروان وخرج بالعساكر يريد قتال زفر[٤] .

---

(١) ترجمة ـ أبي واقد اللّيثي ـ في تاريخ خليفة (٢٦٥) وطبقاته (٢٩) وتاريخ البخاري (٢/ ٢٥٨) والمعرفة والتاريخ (٣/ ٣٧٤) والاستيعاب (٤/ ٢١٥ ـ ٢١٦) وأسد الغابة (٥/ ٣١٩) وتهذيب الكمال (٣٤/ ٣٨٦) وتاريخ الإسلام (٥/ ٢٩٩) والإصابة (٤/ ٢١٥ ـ ٢١٦) وتهذيب التهذيب (١٢/ ٢٧٠ ـ ٢٧١) .

(٢) ترجمة ـ حميد بن ثور الشاعر ـ في طبقات الشعراء (١٩٢) والاستيعاب (١/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨) وتاريخ دمشق لابن عساكر (١٥/ ٣٦٩ ـ ٢٧٥) ط دار الفكر ، وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٤٥٩ ـ ٤٦٣) والأغاني (٤/ ٣٥٦ ـ ٣٥٨) ووفيات الأعيان (٧/ ٧٣) وأسد الغابة (٢/ ٥٣ ـ ٥٤) والوافي بالوفيات (١٣/ ١٩٣ ـ ١٩٤) والإصابة (١/ ٣٥٦) وديوان حميد بن ثور ـ جمعه وحققه عبد العزيز الميمني ط ١٩٥١م .

(٣) ترجمة حميد بن ثور ساقطة من ط .

(٤) من قوله : وكان زفر بن الحارث . . إلى هنا زيادة من أ ، ب وهي توافق ما عند الطبري (٦/ ١٤٠ ـ ١٤١) .

ومن عزمه إذا فرغ من ذلك أن يقصد مصعب بن الزبير بعد ذلك ، فلما سار إليها استخلف على دمشق عمرو بن سعيد الأشدق ، فتحصن بها وأخذ أموال بيت المال . وقيل : بل كان مع عبد الملك ولكنه انخذل من الجيش وكرَّ راجعاً إلى دمشق في اللّيل ، ومعه حُميد بن حُريث بن بَحْدل الكلبي ، وزهير بن الأبرد الكلبي ، فانتهوا إلى دمشق وعليها عبد الرحمن بن أم الحكم نائباً من جهة عبد الملك ، فلما أحس بهم هرب وترك البلد فدخلها عمرو بن سعيد الأشدق فاستحوذ على ما فيها من الخزائن ، وخطب الناس فوعدهم العدل والنصف والعطاء الجزيل والثناء الجميل ، ولما علم عبد الملك بما فعله عمرو بن سعيد كر راجعاً من فوره فوجد الأشدق قد حصَّن دمشق وعلق عليها الستائر والمسوح ، وانحاز الأشدق إلى حصن رومي منيع كان بدمشق فنزله . فحاصره عبد الملك وقاتله الأشدق لمدة ست عشرة ليلة ، وراسله عبد الملك وقال له : أنشدك الله والرحم أن تفسد أمر بيتك ، وما هم عليه من اجتماع الكلمة ، وأن فيما صنعت قوة لابن الزبير فارجع إلى بيعتك ولك عليَّ عهد الله وميثاقه ، وحلف له بالأيمان المؤكدة إنك ولي عهدي من بعدي ، وكتبا بينهما كتاباً فانخدع له عمرو وفتح أبواب دمشق[1] .

ثم اصطلحا على ترك القتال ، وعلى أن يكون ولي العهد بعد عبد الملك ، وعلى أن يكون لكل عامل لعبد الملك عامل له وذلك عشية الخميس ، ودخل عبد الملك دمشق إلى دار الإمارة على عادته ، وبعث إلى عمرو بن سعيد الأشدق يقول له : أرجع على الناس أعطياتهم التي أخذتها لهم من بيت المال ، فبعث إليه الأشدق : إن هذا ليس إليك ، وليس هذا البلد لك فاخرج منه ، فلما كان يوم الإثنين بعث عبد الملك إلى الأشدق يأمره بالإتيان إلى منزله بدار الإمارة الخضراء ، فلما جاءه الرسول صادف عنده عبد الله بن يزيد بن معاوية وهو زوج ابنته أم موسى بنت عمرو بن سعيد ؛ فاستشاره عمرو بن سعيد في الذهاب إليه فقال له : يا أبا سعيد[2] والله لأنت أحب إليّ من سمعي وبصري ، وأرى أن لا تأتيه ، فإن تُبيعاً الحِميري ابن امرأة كعب الأحبار قال : إن عظيماً من عظماء بني إسماعيل يغلق أبواب دمشق فلا يلبث أن يقتل . فقال عمرو : والله لو كنت نائماً ما تخوفت أن ينبهني ابن الزرقاء ، وما كان ليجترىء على ذلك مني ، مع أن عثمان بن عفان أتاني البارحة في المنام فألبسني قميصه ، وقال عمرو بن سعيد للرسول : أبلغه السلام وقل له : أنا رائح إليك العشية إن شاء الله . فلما كان العشي ـ يعني بعد الظهر ـ لبس عمرو درعاً بين ثيابه وتقلّد سيفه ونهض فعثر بالبساط فقالت امرأته وبعض من حضره : إنا نرى أن لا تأتيه ، فلم يلتفت إلى ذلك ومضى في مئة من مواليه ، وكان عبد الملك قد أمر بني مروان فاجتمعوا كلهم عنده ، فلما انتهى عمرو إلى الباب أمر عبد الملك أن يدخل وأن يحبس من معه عند كل باب طائفة منهم ، فدخل حتى انتهى إلى صرحة المكان الذي فيه عبد الملك ، ولم يبق معه من مواليه سوى وصيف ، فرمى ببصره فإذ بنو

---

(١) من قوله : ست عشرة ليلة . . إلى هنا زيادة من أ ، ب والخبر في تاريخ الطبري (٦/ ١٤٠ ـ ١٤١) والكامل لابن الأثير (٤/ ٢٩٧) .

(٢) في الطبري (٦/ ١٤٢) وابن الأثير (٤/ ٢٩٨) والإمامة والسياسة (٢/ ٢٦) يا أبا أمية .

مروان عن بكرة أبيهم مجتمعون عند عبد الملك ، فأحس بالشرِّ فالتفت إلى ذلك الوصيف فقال له همساً : ويلك انطلق إلى أخي يحيى فقل له فليأتني ، فلم يفهم عنه وقال له : لبيك ، فأعاد عليه ذلك فلم يفهم أيضاً وقال : لبيك ، فقال : ويلك اغرب عني في حرق الله وناره ، وكان عند عبد الملك حسان بن مالك بن بَحْدل ، وقبيصة بن ذؤيب ، فأذن لهما عبد الملك في الانصراف ، فلما خرجا غلقت الأبواب واقترب عمرو من عبد الملك فرحَّب به وأجلسه معه على السرير ، ثم جعل يحدثه طويلاً ، ثم إن عبد الملك قال : يا غلام خذ السيف عنه ، فقال عمرو : إنا لله يا أمير المؤمنين . فقال له عبد الملك : أو تطمع أن تتحدث معي متقلداً سيفك ؟ فأخذ الغلام السيف عنه ، ثم تحدَّثا ساعة ، ثم قال له عبد الملك : يا أبا أمية ، قال : لبيك يا أمير المؤمنين ، قال : إنك حيث خلعتني آليت بيميني إن ملأت عيني منك وأنا مالك لك أن أجمعك في جامعة[١] ، فقالت بنو مروان : ثم تطلقه يا أمير المؤمنين ، فقال ثم أطلقه ، وما عسيت أن أفعل بأبي أمية ، فقال بنو مروان : بر يمين أمير المؤمنين ، فقال : فأبرَّ قسمك يا أمير المؤمنين ، فأخرج عبد الملك من تحت فراشه جامعة فطرحها إليه ثم قال : يا غلام قم فاجمعه فيها ، فقام الغلام فجمعه فيها ، فقال عمرو : أذكرك الله يا أمير المؤمنين أن تخرجني فيها على رؤوس الناس ، فقال عبد الملك : أمكراً يا أبا أميَّة عند الموت ؟ لاها الله إذاً ! ما كنّا لنُخرجك في جامعة على رؤوس الناس ولمّا نُخرجها منك إلا صُعداً ، ثم اجتذبه اجتذابة أصاب فمه السريرُ فكسر ثنيَّته ، فقال عمرو : أذكرك الله يا أمير المؤمنين أن يدعوك كسر عظمي إلى ما هو أعظم من ذلك ، فقال عبد الملك : والله لو أعلم أنك إذا بقيت تفي لي ، وتصلح قريش لأطلقتُكَ ، ولكن ما اجتمع رجلان في بلد قط على ما نحن عليه إلا أخرج أحدهما صاحبه ، وفي رواية أنه قال له : أما علمت يا عمرو أنه لا يجتمع فحلان في شَرَكٍ[٢] ؟ فلما تحقق عمرو ما يريد من قتله قال له : أغدراً يا بن الزرقاء ؟ [وأسمعه كلاماً رديئاً بشعاً][٣] وبينما هما كذلك إذ أذن المؤذن للعصر ، فقام عبد الملك ليخرج إلى الصلاة . وأمر أخاه عبد العزيز بن مروان بقتله ، وخرج عبد الملك وقام إليه عبد العزيز بالسيف فقال له عمرو : أذكرك الله والرحم أن لا تلي ذلك مني ، وليتولّ ذلك غيرك ، فكف عنه عبد العزيز . ولما رأى الناس عبد الملك قد خرج وليس معه عمرو أرجف الناس بعمرو ، فأقبل أخوه يحيى بن سعيد في ألف عبدٍ لعمرو بن سعيد وأناس معهم كثير ، وأسرع عبد الملك الدخول إلى الخضراء[٤] ، وجاء أولئك فجعلوا يدقون باب الإمارة ويقولون : أسمعنا صوتك يا أبا أمية ، وضرب رجل منهم الوليد بن عبد الملك في رأسه بالسيف فجرحه ، فأدخله إبراهيم بن عدي[٥] صاحب

---

(١) الجامعة : الغُلُّ يجمع اليدين إلى العنق ـ القاموس (جمع) .
(٢) الشَّرَك : حبالة الصيد . القاموس (شرك) .
(٣) زيادة من ط .
(٤) في ط : دار الإمارة .
(٥) كذا في الأصول ، وفي الطبري (٦/ ١٤٤) وابن الأثير (٤/ ٣٠٠) : إبراهيم بن عربي صاحب الديوان فاحتمله وأدخله بيت القراطيس .

الديوان بيتاً ، وأحرزه فيه ، ووقعت خبطة عظيمة في المسجد ، وضجت الأصوات ، ولما رجع عبد الملك [وجد أخاه لم يقتله فلامه وسبه وسب أمه ـ ولم تكن أم عبد العزيز أم عبد الملك[١]] فقال له : ناشدني الله والرَّحم ، وكان ابن عَمَّةِ عبد الملك بن مروان ، ثُمَّ إن عبد الملك قال : يا غلام ائتني بالحربة ، فأتاه بها فهزها وضربه بها فلم تَجُز شيئاً ، ثم ثنَّى فلم تغن شيئاً ، فضرب بيده إلى عضد عمرو فوجد مَسّ الدرع فضحك وقال : ودارع أيضاً ؟ إن كنت لمعدّاً ، يا غلام ائتني بالصَّمصامة[٢] ، فأتاه بسيفه ثم أمر بعمرو فصرع ثم جلس على صدره فذبحه وهو يقول :

يـا عمـرو إلَّا تَـدَعْ شَتْمـي ومنقصتـي أَضرِبْكَ حتى[٣] تقولَ الهامةُ : اسقوني[٤]

قالوا : وانتفض عبد الملك بعد ما ذبحه كما تنتفض القصبة برعدة شديدة جداً ، بحيث إنهم ما رفعوه عن عمروٍ إلا محمولاً ، فوضعوه على سريره وهو يقول : ما رأيت مثل هذا قط قَتَلَهُ[٥] صاحب دنيا ولا آخرة ، ودفع الرأس إلى عبد الرحمن بن أم الحكم فخرج إلى الناس فألقاه بين أظهرهم ، وخرج عبد العزيز بن مروان ومعه البدر من الأموال تحمل ، فألقيت بين الناس فجعلوا يختطفونها ، ويقال : إنها استرجعت بعد ذلك من الناس إلى بيت المال .

ويقال : إن الذي ولي قتل عمرو بن سعيد مولى عبد الملك أبو الزُّعَيْزِعَة بعدما خرج عبد الملك إلى الصلاة ، فالله أعلم .

وقد دخل يحيى بن سعيد ـ أخو عمرو بن سعيد ـ دار الإمارة بعد مقتل أخيه بمن معه فقام إليهم بنو مروان فاقتتلوا ، وجُرح جماعاتٌ من الطائفتين ، وجاءت يحيى بن سعيد صخرة في رأسه أشغلته عن نفسه [وعن القتال] .

ثمَّ إنَّ عبد الملك بن مروان خرج إلى المسجد الجامع فصعد المنبر فجعل يقول : ويحكم أين الوليد ؟ وأبيهم لئن كانوا قتلوه لقد أدركوا ثأرهم ، فأتاه إبراهيم بن عدي[٦] الكناني فقال : هذا الوليد عندي قد أصابته جراحة وليس عليه بأس ، ثم أمر عبد الملك بيحيى بن سعيد أن يقتل فتشفع فيه أخوه عبد العزيز بن مروان ، وفي جماعات آخرين معه كان عبد الملك قد أمر بقتلهم يومئذٍ ، فشفعه فيهم وأمر بحبسه فحبس شهراً ، ثم سيره وبني عمرو بن سعيد وأهليهم إلى العراق فدخلوا على مصعب بن الزبير فأكرمهم وأحسن إليهم .

---

(١) أم عبد الملك عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية ، وأم عبد العزيز ليلى الكلبية .
(٢) الصمصام : السيف الصارم لا ينثني . القاموس (صمم) .
(٣) في الطبري (٦/ ١٤٥) : حيث .
(٤) البيت لذي الإصبع ، من المفضلية (٣١) .
(٥) في ط : قبله ؛ وما هنا يوافق الطبري وفيه بعدها : صاحب دنيا ولا طالب آخرة .
(٦) في الطبري (٦/ ١٤٦) : إبراهيم بن عربي .

ثم لما انعقدت الجماعة لعبد الملك بعد مقتل ابن الزبير كما سيأتي ، وفدوا عليه فكاد يقتلهم فتلطَّف بعضهم في العبارة حتى رَقَّ لهم رقَّةً شديدة ، فقال لهم عبد الملك : إن أباكم خيرني بين أن يقتلني أو أقتله ، فاخترت قتله على قتلي ، وأما أنتم فما أرغبني فيكم وأوصلني لقرابتكم وأرعاني لحقكم فأحسن جائزتهم وقرَّبهم .

وقد كان عبد الملك بعث إلى امرأة عمرو بن سعيد أن ابعثي إليّ بكتاب الأمان الذي كنت كتبته لعمرو ، فقالت : إني دفنته معه ليحاكمك به يوم القيامة عند الله[١] .

وقد كان مروان بن الحكم وعد عمرو بن سعيد هذا أن يكون ولي العهد من بعد ولده عبد الملك ، كلاماً مجرداً ، فطمع في ذلك وقويت نفسه بسبب ذلك ، وكان عبد الملك يبغضه بغضاً شديداً من حال الصغر ، ثم كان هذا صنيعه إليه في الكبر .

قال ابن جرير[٢] : وذكر أن خالد بن يزيد بن معاوية قال لعبد الملك ذات يوم : عجب منك ومن عمرو بن سعيد كيف أصبت غرّته حتى قتلته ؟ فقال :

أدنتيــه[٣] منـــي ليسكـــنَ روعـــهُ فأَصولُ[٤] صولةَ حازمٍ مستمكنِ[٥]
غضبـــاً ومحميـــةً لـــديني إنَّـــهُ ليسَ المسيءُ سبيلُهُ كالمُحسنِ[٦]

قال خليفة بن خياط[٧] : وهذا الشعر للضبي بن أبي رافع تمثل به عبد الملك .

وروى ابن دريد ، عن أبي حاتم ، عن الشعبي ، عن عبد الملك قال : لقد كان عمرو بن سعيد أحب إليّ من دم النواظر ، ولكن والله لا يجتمع فحلان في الإبل إلا أخرج أحدهما الآخر ، وإنا لكما قال أخو بني يربوع :

أُجـازي مَـنْ جـزانـي الخيـرَ خيـراً وجـازي الخيـرِ يجـزي بـالنـوالِ
وأجـزي مـن جـزانـي الشـرَّ شـرّاً كمـا تحـذا النعـالُ علـى النعـالِ

قال خليفة بن خياط : وأنشد أبو اليقظان لعبد الملك في قتله عمرو بن سعيد :

صحّتْ ولا تشلل وضرتْ عدوها يميـنٌ أراقـتْ مهجـةَ ابـنِ سعيـدِ
وجـدت ابـنَ مـروان ولا نبـلَ عنـدهُ شـديـداً ضـريـر النـاسِ غيـرَ بليـدِ

---

(١) الخبر في الطبري (٦/ ١٤٦ ـ ١٤٧) .
(٢) تاريخ الطبري (٦/ ١٤٨) .
(٣) في الطبري : دانيته .
(٤) في أ : وأصول .
(٥) في ب : متمكن .
(٦) الأبيات في الطبري (٦/ ١٤٨) وابن الأثير (٤/ ٢٩٦) .
(٧) طبقات خليفة (١/ ٢٥) .

هو ابن أبي العاصي لمروانَ ينتهي   إلــى أســرةٍ طــابــتْ لــهُ وجــدودِ

وكان الواقدي[١] يقول : أما حصار عبد الملك لعمرو بن سعيد الأشدق فكان في سنة تسع وستين ، رجع إليه من بطنان[٢] فحاصره بدمشق ، ثم كان قتله في سنة سبعين ، والله أعلم .

وهذه ترجمة الأشدق[٣]

هو عمرو بن سعيد بن العاص[٤] بن أمية بن عبد شمس ، أبو أمية القرشي الأموي ، المعروف بالأشدق ، يقال إنه رأى النبي ﷺ[٥] وروى عنه أنه قال : « ما نحل والد ولداً أحسن من أدب حسن »[٦] وحديثاً آخر في العتق ، وروى عن عمر وعثمان وعلي وعائشة ، وحدث عنه بنوه أمية وسعيد وموسى وغيرهم ، واستنابه معاوية على المدينة ، وكذلك يزيد بن معاوية بعد أبيه كما تقدم ، وكان من سادات المسلمين ، ومن الكرماء المشهورين ، يعطي الكثير ، ويتحمل العظائم ، وكان وصي أبيه من بين بنيه[٧] ، وكان أبوه كما قدمنا من المشاهير الكرماء ، والسادة النجباء ، قال عمرو : ما شتمت رجلاً منذ كنت رجلاً ، ولا كلفت من قصدني أن يسألني ، لهو أمنّ عليّ مني عليه . وقال سعيد بن المسيب : خطباء الناس في الجاهلية الأسود بن عبد المطلب ، وسهيل بن عمرو ، وخطباء الناس في الإسلام معاوية وابنه ، وسعيد بن العاص وابنه ، وعبد الله بن الزبير .

وقد قال الإمام أحمد[٨] : حدّثنا عبد الصمد ، حدّثنا حماد ، حدّثنا علي بن زيد ، أخبرني من سمع

---

(١) تاريخ الطبري (٦/ ١٤٨) .

(٢) بطنان : وادٍ بين منبج وحلب ، بينه وبين كل واحد من البلدين مرحلة خفيفة ، فيه أنهار جارية وقرى متصلة ، ويقال له أيضاً : بطنان حبيب . معجم البلدان (١/ ٥٣٠ ـ ٥٣١) .

(٣) ترجمة ـ الأشدق ـ في نسب قريش (١٧٥) وتاريخ البخاري (٦/ ٣٣٨) والجرح والتعديل (٦/ ٢٣٦) ومروج الذهب (٣/ ٣٠٣) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٢٠٢ ـ ٢٠٥) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٤٩) والإصابة (٣/ ١٧٥) .
وفي نزهة الألباب في الألقاب (١/ ٧٥) الأشدق : ترجم له المرزباني في معجمه وقال : روى المدائني عن عوانة : أنه سمي بالأشدق لأنه صعد المنبر فبالغ في شتم علي رضي الله عنه فأصابته لقوة .
وفي فوات الوفيات لابن شاكر (٢/ ٢٢٢) وقيل : سمي الأشدق لتشادقه في الكلام .

(٤) في الإصابة : عمرو بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية .

(٥) هذا بعيد ، وذلك لأن أباه ولد عام الهجرة ، وفي قول آخر : كان عمره تسع سنين عندما توفي رسول الله . كذا ذكر الذهبي في السير نقلاً عن ابن سعد (٣/ ٤٤٦) .

(٦) الحديث رواه الترمذي رقم (١٩٥٢) وهو حديث ضعيف .

(٧) وقيل : مات وعليه ثمانون ألف دينار . السير (٣/ ٤٤٨) .

(٨) مسند الإمام أحمد (٢/ ٥٢٢) وإسناده ضعيف .

أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليرعُفنَّ على منبري جبَّارٌ من جَبَابرة بني أمية حتى يسيل رُعافه ».

قال : فأخبرني من رأى عمرو بن سعيد بن العاص رعف على منبر رسول الله ﷺ حتى سال رعافه .

وهو الذي كان يبعث البعوث إلى مكة بعد وقعة الحَرّة أيام يزيد بن معاوية لقتال ابن الزبير ، فنهاه أبو شريح الخزاعي وذكر له الحديث الذي سمعه من رسول الله ﷺ في تحريم مكة ، فقال : نحن أعلم بذلك منك يا أبا شريح ، إن الحرام لا يعيذ عاصياً ولا فارّاً بدمٍ ، ولا فارّاً بجزية[1] ، الحديث كما تقدم وهو في الصحيحين[2] .

ثم إن مروان دخل إلى مصر بعدما دعا إلى نفسه واستقر له الشام ، ودخل معه عمرو بن سعيد ففتح مصر ، وقد كان وعد عمراً أن يكون ولي العهد من بعد عبد الملك ، وأن يكون قبل ذلك نائباً بدمشق ، فلما قويت شوكة مروان رجع عن ذلك ، وجعل الأمر من بعد ذلك لولده عبد العزيز ، وخلع عَمراً . فما زال ذلك في نفسه حتى كان من أمره ما تقدم ، فدخل عمرو دمشق وتحصن بها وأجابه بها ، فحاصره عبد الملك ثم استنزله على أمان صوري ، ثم قتله كما قدمنا .

وكان ذلك في هذه السنة على المشهور عند الأكثرين ، وقال الواقدي وأبو سعيد بن يونس : سنة سبعين ، فالله أعلم .

ومن الغريب ما ذكره هشام بن محمد الكلبي بسند له أن رجلاً سمع في المنام قائلاً يقول على سور دمشق قبل أن يخرج عمرو بالكلية ، وقبل قتله بمدة [هذه الأبيات] :

ألا يـا لقـوم[3] للسفـاهـةِ والـوهـنِ ... وللفاجر الموهونِ[4] والرأي ذي[5] الأفنِ
ولابـن سعيـدٍ بينمـا هـوَ قـائـم ... علـى قَـدميـهِ خـرّ للـوجـهِ والبطـنِ
رأى الحصنَ منجاةً من الموتِ فالتجا ... إليـهِ فـزارتـهُ المنيـةُ فـي الحصـنِ

قال : فأتى الرجل عبد الملك فأخبره فقال : ويحك سمعها منك أحد ؟ قال : لا ! قال : فضعها تحت قدميك ، قال : ثم بعد ذلك خلع عمرو الطاعة وقتله عبد الملك بن مروان[6] .

[وقد قيل إن عبد الملك لما حاصره راسله وقال : أنشدك الله والرحم أن تدع أمر بيتك وما هم عليه من اجتماع الكلمة فإن فيما صنعت قوة لابن الزبير علينا ، فارجع إلى بيعتك ولك عليّ عهد الله وميثاقه ،

---

(١) في ب : بحزبه .
(٢) تقدم تخريج الحديث .
(٣) في ط : « ألا يا قوم » وما أثبتناه من أ ، م ، وتاريخ دمشق .
(٤) في أ : وللفاخر الموهوب .
(٥) ليست في ط ، وهي في النسخ وتاريخ دمشق .
(٦) الخبر والأبيات في تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٦/ ٤١) .

وحلف له بالأيمان المؤكدة أنك ولي عهدي من بعدي ، وكتبا بينهما كتاباً ، فانخدع له عمرو وفتح له أبواب دمشق فدخلها عبد الملك وكان من أمرهما ما تقدم][1] .

ومِمن توفي فيها من الأعيان أيضاً :

أبو الأسود الدؤلي[2] ويقال له الديلي : قاضي الكوفة ، تابعي جليل ، واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس بن نفاثة[3] بن عدي بن الدُّئل بن بكر ، أبو الأسود الذي نسب إليه علم النحو ، ويقال بأنه أول من تكلم فيه ، وإنما أخذه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وقد اختلف في اسمه على أقوال ، أشهرها أن اسمه ظالم بن عمرو ، وقيل عكسه .

وقال الواقدي : اسمه عويمر بن ظويلم . قال وقد أسلم في حياة النبي ﷺ ولم يره ، وشهد الجمل مع علي ، وكان من وجوه شيعته ومن أكملهم رأياً وعقلاً ، وقد أمره علي بوضع النحو ، فلما رآه علي قال له : ما أحسن هذا النحو الذي نحوت[4] . وهلك في ولاية عبيد الله بن زياد .

وقال يحيى بن معين وأحمد بن عبد الله العجلي : كان ثقة وهو أول من تكلَّم في النحو .

وقال ابن معين وغيره : مات بالطاعون الجارف سنة تسع وستين .

قال القاضي ابن خلِّكان[5] : وقيل إنه توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز ، وقد كان ابتداؤها في سنة تسع وتسعين .

قلت : وهذا غريب جداً .

قال ابن خلِّكان وغيره : كان أول من ألقى إليه علم النحو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وذكر له أن الكلام اسم وفعل وحرف ، ثم إن أبا الأسود نحى نحوه وفرع على قوله ، وسلك طريقه ، فسمي هذا العلم النحو لذلك ، وكان الباعث لأبي الأسود على بسط ذلك تغير لغة الناس ، ودخول اللحن في كلام بعضهم أيام ولاية زياد على العراق ، وكان أبو الأسود مؤدب بنيه ، فإنه جاء رجل يوماً إلى زياد فقال : توفي أبانا وترك بنون ، فأمره زياد أن يضع للناس شيئاً يهتدون به إلى معرفة كلام العرب .

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط .

(٢) ترجمة ـ أبي الأسود ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٩٩) وتاريخ البخاري (٦/ ٣٣٤) والمعارف (٤٣٤) ومراتب النحويين (١١) والأغاني (١٢/ ٢٩٧) وأخبار النحويين البصريين (٣) ومعجم الشعراء للمرزباني (٦٧) ومعجم الأدباء (١٢/ ٣٤) وأسد الغابة (٣/ ٦٩) ووفيات الأعيان (٢/ ٥٣٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٢٧٦ ـ ٢٨٠) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٨١ ـ ٨٦) والإصابة (٢/ ٢٤١) وخزانة الأدب (١/ ١٣٦) وشذرات الذهب (١/ ٢٩٧ـ٢٩٨) .

(٣) انظر « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم صفحة (١٨٥) في الأصل : شبانة ، وهو خطأ .

(٤) من قوله : مع علي . . إلى هنا ساقط من ط .

(٥) وفيات الأعيان (٢/ ٥٣٩) .

ويقال إن أول ما وضع منه باب التعجب من أجل أن ابنته قالت له ليلة : يا أبة ما أحسنُ[١] السماء [قال نجومها ، فقالت : إني لم أسأل عن أحسنها إنما تعجبت من حسنها] فقال قولي : ما أحسنَ السماءَ .

قال ابن خلكان[٢] : وقد كان أبو الأسود يُبخَّل . وكان يقول : لو أطعنا المساكين في أموالنا لكنا مثلهم ، وعَشّى ليلةً مسكيناً ثم قيَّده وبيَّته عنده ومنعه أن يخرج ليلته تلك لئلا يؤذي المسلمين بسؤاله ، فقال له المسكين : أطلقني ، فقال هيهات ، إنما عشيتك لأريح منك المسلمين الليلة ، فلما أصبح أطلقه . وله شعر حسن رحمه الله .

قال ابن جرير[٣] : وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير ، وقد أظهر خارجيٌّ التحكيم بمنى فقُتل عند الجمرة . والنواب فيها هم الذين كانوا في السنة التي قبلها .

ومممن توفي فيها من الأعيان :

جابر بن سمرة بن جنادة[٤] ، له صحبة ورواية ولأبيه أيضاً صحبة ورواية ، وقيل توفي في سنة ست وستين فالله أعلم .

أسماء بنت يزيد[٥] بن السكن الأنصارية ، بايعت النبي ﷺ ويقال لها : أم سليم ، وقتلت بعمود خيمتها يوم اليرموك تسعة من الروم [ليلة عرسها] وسكنت دمشق ودفنت بباب الصغير .

حسان بن مالك بن بحدل[٦] الأمير أبو سليمان الكلبي وهو الذي قام ببيعة مروان لما تولى الخلافة ، مات في هذه السنة ، والله سبحانه أعلم .

وقيل : إنهم سلَّموا عليه بالخلافة أربعين يوماً ثم سلَّمها لمروان ، وقصر حسان بدمشق ويعرف بقصر ابن أبي الحديد ، وهو قصر البحادلة .

---

(١) أي : بضم النون لا بفتحها .

(٢) وفيات الأعيان (٢/ ٥٣٨ ـ ٥٣٩) .

(٣) تاريخه (٦/ ١٤٨ ـ ١٤٩) .

(٤) ترجمة ـ جابر بن سمرة ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ٢٤) وتاريخ البخاري (٢/ ٢٠٥) والاستيعاب (٢٢٤) وتاريخ بغداد (١/ ١٨٦) وأسد الغابة (١/ ٢٥٤) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٨٦ ـ ١٨٨) والإصابة (١/ ٢١٢) وشذرات الذهب (١/ ٢٩٧) وتهذيب تاريخ دمشق (٣/ ٣٨٨) .

(٥) ترجمة ـ أسماء بنت يزيد ـ في طبقات ابن سعد (٨/ ٣١٩) وطبقات خليفة (٣٤٠) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٤٤٧) والاستيعاب (٤/ ٢٣٧) وتاريخ دمشق (تراجم النساء / ٣٣ ـ ٣٩) وحلية الأولياء (٢/ ٧٦) وأسد الغابة (٥/ ٣٩٨) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٧٣ ـ ٧٤) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧) والوافي بالوفيات (٩/ ٥٤) وتهذيب التهذيب (١٢/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠) والإصابة (٤/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥) .

(٦) ترجمة ـ حسان بن مالك بن بحدل ـ في تاريخ الطبري (٥/ ٥٣١) والكامل لابن الأثير (٤/ ١٤٥ ـ ١٤٨) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٥٣٧) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ١٤٨) .

يوسف بن الحكم الثقفي[١] ، والد الحجاج ، قدم من الطائف إلى الشام ثم ذهب إلى مصر والمدينة ، وكان يلزم مروان .

عبد الرحمن بن الحكم[٢] أخو مروان ، شهد الدار مع عثمان بن عفان ، وكان شاعراً محسناً ، وله قولة عند معاوية وابنه[٣] .

ثم دخلت سنة سبعين من الهجرة

فيها ثارت الروم واستجاشوا على من بالشام ، واستضعفوهم لما يرون من الاختلاف [الواقع] بين عبد الملك بن مروان وابن الزبير ، فصالح عبد الملك ملك الروم وهادنه على أن يدفع إليه عبد الملك في كل جمعة ألف دينار خوفاً منه على الشام .

وفيها كان الوباء بمصر فهرب منه عبد العزيز بن مروان إلى الشرقية ، فنزل حلوان وهي على مرحلة من القاهرة ، واتخذها منزلاً واشتراها من القبط بعشرة آلاف دينار ، وبنى بها داراً للإمارة وجامعاً ، وأنزلها الجند .

وفيها ركب مصعب بن الزبير من البصرة إلى مكة ومعه أموال جزيلة . فأعطى وفرق ونحر عند الكعبة ألف بدنة وعشرين ألف شاة ، وأغنى ساكني مكة ثم عاد إلى العراق ، وأنعم[٤] وأطلق لجماعة من رؤساء الناس بالحجاز [أموالاً كثيرة] .

وحج بالناس فيها ابن الزبير ، والعمال على الأمصار المذكورون فيما قبل[٥] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عاصم بن عمر بن الخطاب[٦] القرشي العدوي ، وأمه جميلة بنت ثابت بن أبي الأقْلح[٧] ، ولد

---

(١) ترجمة ـ يوسف بن الحكم الثقفي ـ في تاريخ البخاري (٨/ ٣٧٦) والمعرفة والتاريخ (١/ ٤٠١) وتاريخ الإسلام للذهبي (وفيات وحوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٢٧٥) وتهذيب التهذيب (١١/ ٤١٠) .

(٢) ترجمة ـ عبد الرحمن بن الحكم ـ في نسب قريش (١٥٩) والأغاني (١٣/ ٢٥٩) ووفيات الأعيان (٦/ ٣٥٩) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص ١٧٣ ـ ١٧٤) .

(٣) من قوله : قيل إنهم سلّموا عليه . . إلى هنا ساقط من ط .

(٤) من قوله : ونحر عند الكعبة . . إلى هنا ساقط من ط .

(٥) من قوله : وحجّ بالناس . . إلى هنا ساقط من ط .

(٦) ترجمة ـ عاصم بن عمر ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ١٥) وتاريخ البخاري (٦/ ٤٧٧) والاستيعاب (٣/ ١٣٦) والكامل لابن الأثير (٤/ ٣٠٨) وأسد الغابة (٣/ ٧٦) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص١٣٧ ـ ١٣٨) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٩٧) والإصابة (٣/ ٥٦) والشذرات (١/ ٣٠٠) .

(٧) في أ ، ب : الأفلح ـ بالفاء ـ والصحيح ما أثبت .

في حياة رسول الله ﷺ ، ولم يرو إلا عن أبيه حديثاً واحداً « إذا أقبل الليل من هاهنا » الحديث[١] .

وعنه ابناه حفص وعبيد الله[٢] ، وعروة بن الزبير .

وقد طلّق أبوه أمه فأخذته جدته الشموس بنت أبي عامر ، حكم له بها الصدّيق وقال : شمها ولطفها أحب إليه منك .

ثم لما زوجه أبوه في أيام إمارته أنفق عليه من بيت المال شهراً ، ثم كفَّ عن الإنفاق عليه وأعطاه ثُمنَ ماله وأمره أن يتجر وينفق على عياله .

وذكر غير واحد أنه كان بين عاصم وبين الحسن والحسين منازعة في أرض ، فلما تبين عاصم من الحسن الغضب قال : هي لك ، فقال له : بل هي لك ، فتركاها ولم يتعرضا لها ، ولا أحد من ورثتهما حتى أخذها الناس من كل جانب .

وكان عاصم رئيساً وقوراً كريماً فاضلاً .

قال الواقدي : مات سنة سبعين بالمدينة .

وممن توفي فيها أيضاً :

قبيصة بن جابر[٣] بن وهب الأسدي الكوفي ، أبو العلاء من كبار التابعين شهد خطبة عمر بالجابية وكان أخو معاوية من الرضاعة ، وكان من الفصحاء البلغاء .

قيس بن ذَريح[٤] أبو زيد الليثي الشاعر ، المشهور أنه من بادية الحجاز ، وقيل إنه أخو الحسين بن علي من الرضاعة ، وكان يهوى أم معمر لبنى بنت الحباب الكعبية ، ثم تزوج بها ثم طلقها ، فلما طلقها زاد ما به من الغرام[٥] وجعل يقول فيها الأشعار ونحل جسمه ، فلما زاد ما به أتاه ابن أبي عتيق فأخذه ومضى به إلى عبد الله بن جعفر فقال له : فداك أبي وأمي ، اركب معي في حاجة ، فركب واستنهض معه أربعة نفر من وجوه قريش فذهبوا معه وهم لا يدرون ما يريد ، حتى أتى بهم باب زوج لبنى ، فخرج

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١٩٥٤) في الصوم ، ومسلم رقم (١١٠٠) .

(٢) في ط : عبد الله ؛ خطأ ، وما أثبت يوافق السير .

(٣) ترجمة ـ قبيصة بن جابر ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ١٤٥) وتاريخ خليفة (٢٦٨) وطبقاته (١٤١ و١٥٢) وتاريخ البخاري (٧/ ١٧٥ ـ ١٧٦) والمعرفة والتاريخ (١/ ٤٥٧ ـ ٤٥٩) وأسد الغابة (٤/ ١٩١) وتهذيب الكمال (٢٣/ ٤٧٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٢٠٨ ـ ٢٠٩) وتهذيب التهذيب (٨/ ٣٤٤ـ٣٤٥) وشذرات الذهب (١/ ٢٩٨) وقال الذهبي عن خليفة : مات سنة تسع وستين .

(٤) ترجمة ـ قيس بن ذريح ـ في الشعر والشعراء (١/ ٤٧٥) ووفيات الأعيان (٦/ ٣٧١ـ٣٧٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ـ٨٠/ ص٢٠٩ ـ ٢١٤) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٥٣٤ ـ ٥٣٥) والوافي بالوفيات (٣/ ٢٠٤ ـ ٢٠٨) والنجوم الزاهرة (١/ ١٨٢) .

(٥) في ط : هام لما به من الغرام ، وسكن البادية .

إليهم فإذا وجوه قريش ، فقال : جعلني الله فداكم ! ما جاء بكم ؟ قالوا : حاجة لابن أبي عتيق ، فقال الرجل : اشهدوا أن حاجته مقضية ، وحكمه جائز ، فقالوا : أخبره بحاجتك ، فقال ابن أبي عتيق : اشهدوا علي أن زوجته لبنى منه طالق ، فقال عبد الله بن جعفر : قبحك الله ، ألهذا جئت بنا ؟ فقال : جعلت فداكُم يطلق هذا على زوجته ويتزوج بغيرها خير من أن يموت رجل مسلم في هواها صبابة ، والله لا أبرح حتى ينتقل متاعها [إلى بيت قيس] ففعلت وأقاموا مدة في أرغد عيش [وأطيبه] رحمهم الله تعالى .

يزيد بن زياد[١] **بن ربيعة الحميري** ، الشاعر ، كان كثير الشعر والهجو ، وقد أراد عبيد الله بن زياد قتله لكونه هجا أباه زياداً ، فمنعه معاوية من قتله ، وقال : أدّبه ، فسقاه دواءً مسهلاً وأركبه على حمار وطاف به في الأسواق وهو يسلح على الحمار فقال في ذلك :

يغسلُ الماءُ ما صنعتَ وشعري راسخٌ منك في العظامِ البوالي[٢]

بشير بن النضر[٣] ، قاضي مصر ، كان رزقه في العام ألف دينار ، توفي بمصر ، وولي بعده عبد الرحمن بن حمزة الخولاني [والله سبحانه أعلم] .

مالك بن يخامِر[٤] ، **السكسكي ، الألهاني ، الحمصي** ، تابعي جليل ، ويقال له صحبة ، فالله أعلم .

روى البخاري[٥] من طريق معاوية عنه عن معاذ بن جبل في حديث الطائفة الظاهرة على الحق أنهم بالشام ، وهذا من باب رواية الأكابر عن الأصاغر ، إلا أن يقال بصحبة مالك بن يخامر ، والصحيح أنه تابعي وليس بصحابي ، وكان من أخص أصحاب معاذ بن جبل رضي الله عنه .

قال غير واحد : مات في هذه السنة ، وقيل سنة اثنتين وسبعين ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) ترجمة ـ يزيد بن زياد ـ في الشعر والشعراء (١/ ٢٧٦ ـ ٢٨٠) والأغاني (١٨ ـ ٢٥٤ ـ ٢٩٨) وتاريخ دمشق (٦٥/ ١٧٨ ـ ١٩٢) ووفيات الأعيان (٦/ ٣٤٢ ـ ٣٦٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٢٦٨ ـ ٢٦٩) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٥٢٢ ـ ٥٢٣) والعقد الفريد (٤/ ٤٠٤ و٦/ ١٣٣) .

(٢) البيت من قصيدة طويلة في الأغاني (١٨/ ٢٦٧) وفيات الأعيان (٦/ ٣٥٠) والشعر والشعراء (١/ ٢٧٨) .

(٣) ترجمة ـ بشير بن النضر ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ٢٠٦) وطبقات خليفة (١٤٣) وتاريخ البخاري (٢/ ١٥٢) وأخبار القضاة لوكيع (٣/ ٢٢٤) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٥٤٧) وتهذيب الكمال (٤/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٧٨) وتهذيب التهذيب (١/ ٥١٢) والإصابة . (١/ ١٨٧) .

(٤) ترجمة ـ مالك بن يخامر ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٤١) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٢٩٧ و٣١٢) وأسد الغابة (٤/ ٢٩٧) وتهذيب الكمال (٢٧/ ١٦٦) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٢٢٥) وتهذيب التهذيب (١٠/ ٢٤ ـ ٢٥) والإصابة (٣/ ٣٥٨ ـ ٣٥٩) وشذرات الذهب (١/ ٣٠٠) .

(٥) صحيح البخاري رقم (٧٤٦٠) في التوحيد .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين

ففيها كان مقتل مصعب بن الزبير ، وذلك أن عبد الملك بن مروان سار في جنود هائلة من الشام قاصداً مصعب بن الزبير ، فالتقيا في هذه السنة ، وقد كانا قبلها يركب كل واحد ليلتقي بالآخر فيحول بينهما الشتاء والبرد والوحل ، فيرجع كل واحد منهما إلى بلده ، فلما كان في هذا العام سار إليه عبد الملك وبعث بين يديه السرايا ، ودخل بعض من أرسله إلى البصرة فدعا أهلها إلى عبد الملك في السر ، فاستجاب له بعضهم [وقد كان مصعب سار إلى الحجاز فجاء ودخل البصرة][1] على إثر ذلك ، فأنَّب الكبراء من الناس وشتمهم ولامهم على دخول أولئك إليهم ، وإقرارهم لهم على ذلك ، وهَدَمَ دور بعضهم ، ثم شخص إلى الكوفة ، ثم بلغه قصد عبد الملك له بجنود الشام فخرج إليه ووصل عبد الملك إلى مَسكِن ، وكتب إلى المروانية الذين استجابوا لمن بعثه إليهم فأجابوه ، واشترطوا عليه أن يوليهم أصبهان فقال نعم ـ وهم جماعة كثيرة من الأمراء ـ وقد جعل عبد الملك على مقدمته أخاه محمد بن مروان ، وعلى ميمنته عبد الله بن يزيد بن معاوية ، وعلى ميسرته خالد بن يزيد بن معاوية ، وخرج مصعب وقد اختلف عليه أهل العراق ، وخذلوه وجعل يتأمل من معه فلا يجدهم يقاومون أعداءه ، فاستقتل ووطن نفسه على ذلك ، وقال : لي بالحسين بن علي أسوة حين امتنع عن إلقائه يده ، والذلة لعبيد الله بن زياد ، وجعل ينشد ويقول مسلياً نفسه[2] :

وإن الأُلى بالطَّفِّ من آلِ هاشمٍ   تـأسَّـوا فسَنّـوا للكـرامِ التـأسِّـيا

وكان عبد الملك قد أشار عليه بعض أمرائه أن يبعث إلى مصعب جيشاً ، وأن يقيم هو بالشام ، فأبى وقال : لعلي إن بعثت رجلاً شجاعاً كان لا رأي له ، ومن له رأي ولا شجاعة له ، وإني أجد من نفسي بصراً بالحرب وشجاعةً ، وإن مصعباً في بيت شجاعة ، أبوه أشجع قريش [وأخوه لا تُجهل شجاعته] وهو شجاع ومعه من يخالفه ولا علم له بالحرب ، وهو يحب الدعة والخفْض[3] ومعي من ينصح لي ويوافقني على ما أريد ، فسار بنفسه فلما تقارب الجيشان بعث عبد الملك إلى أمراء مصعب يدعوهم إلى نفسه ويعدهم الولايات ، وجاء إبراهيم بن الأشتر إلى مصعب فألقى إليه كتاباً مختوماً[4] وقال : هذا جاءني من عبد الملك ، ففتحه فإذا هو يدعوه إلى الإتيان إليه وله نيابة العراق ، وقال لمصعب : أيها

---

(١) مكانها في أ : ثم قدم مصعب ، وعبارة ط توافق المصادر .

(٢) الخبر والبيت في تاريخ الطبري (٦/ ١٥٦) وابن الأثير (٤/ ٣٢٧) .

(٣) في ط : والصفح ، وما أثبت موافق للطبري وابن الأثير .

(٤) نسخة الكتاب في الأخبار الطوال (٣١٢) وقد أشار إليه الطبري وتبعه ابن الأثير دون ذكر محتواه .

الأمير ! إنه لم يبق أحد من أمرائك إلا وقد جاءه كتاب مثل هذا ، فإن أطعتني ضربت أعناقهم . فقال له مصعب : إني لو فعلت ذلك لن ينصحنا عشائرهم بعدهم ، قال : فأوقرهم في الحديد وابعثهم إلى أبيض كسرى فاسجنهم فيه ، فإن كانت لك [النصرة] ضربت أعناقهم ، وإن كانت عليك خرجوا بعد ذلك . فقال له : يا أبا النعمان ، إني لفي شغل عن هذا ، ثم قال مصعب : رحم الله أبا بحر ـ يعني الأحنف بن قيس ـ إن كان ليحذرني غدر أهل العراق ، وكأنه ينظر إلى ما نحن فيه الآن .

ثم تواجه الجيشان بدير الجاثَلِيق[1] من مَسكِن ، فحمل إبراهيم بن الأشتر ـ وهو أمير المقدمة العراقية لجيش مصعب ـ على محمد بن مروان ـ وهو أمير مقدمة الشام ـ فأزاله عن موضعه ، فأردفه عبد الملك بعبد الله بن يزيد بن معاوية ، فحملوا على ابن الأشتر ومن معه فطحنوهم ، وقتل ابن الأشتر رحمه الله [وعفا عنه] وقتل معه جماعة من الأمراء ، وكان عتاب بن ورقاء على خيل مصعب [فهرب] أيضاً ولجأ إلى عبد الملك بن مروان ، وأرسل عبد الملك الأمان إلى مصعب بن الزبير وهو واقف في القلب يُنهض أصحاب الرايات ويستنهض الشجعان والأبطال أن يتقدموا إلى أمام [القوم] فلا يتحرك أحد[2] ، فجعل يقول : يا إبراهيم ولا إبراهيم لي اليوم ، وتفاقم الأمر واشتد القتال ، وانخذلت الرجال ، وضاق الحال ، وكثر النزال .

قال المدائني[3] : عن يحيى بن سعيد بن أبي المهاجر ، عن أبيه : أرسل عبد الملك أخاه محمد بن مروان إلى مصعب يعطيه الأمان فأبى وقال : إن مثلي لا ينصرف عن هذا الموضع إلا غالباً أو مغلوباً . قالوا : فنادى محمد بن مروان عيسى بن مصعب فقال : يا بن أخي لا تقتل نفسك ، لك الأمان ، فقال له مصعب : قد أمَّنك عمك فامض إليه ، فقال : لا يتحدث نساء قريش أني أسلمتك للقتل ، فقال له : يا بني فاركب خيل السبق فالحق بعمك فأخبره بما صنع أهل العراق فإني مقتول هاهنا ، فقال : والله إني لا أخبر عنك أحداً أبداً ، ولا أُقتل إلا معك ، ولكن إن شئت ركبت خيلك وسرنا إلى البصرة فإنهم على الجماعة ، فقال مصعب : لا والله ما الفرار لي بعادة ، ولكن أقاتل ، فإن قتلت فما السيف بعار ، والله لا يتحدث قريش بأني فررت من القتال ، فقال لابنه : تقدم بين يدي حتى أحتسبك ، فتقدم ابنه فقاتل حتى قُتل ، وأثخن مصعب بالرمي فنظر إليه زائدة بن قدامة وهو كذلك فحمل عليه فطعنه وهو يقول : يا لثارات المختار فصرعه ، ونزل إليه رجل يقال له عبيد الله بن زياد بن ظبيان التميمي فقتله وحز رأسه وأتى به عبد الملك بن مروان ، فسجد عبد الملك وأطلق له ألف دينار فأبى أن يقبلها وقال : لم أقتله

---

(١) دير الجاثليق : دير قديم البناء رحب الفناء قرب بغداد في غربي دجلة في عرض حَرْبَى ، وهو في رأس الحد بين السواد وأرض تكريت . معجم البلدان (٣/ ٥٠٣) .

(٢) الخبر بتفصيل أكثر في تاريخ الطبري (٦/ ١٥٨) وابن الأثير (٤/ ٣٢٦) .

(٣) تاريخ الطبري (٦/ ١٥٨ ـ ١٥٩) .

على طاعتك ولكن بوتر[١] كان لي عنده[٢] ، وكان قد ولي له عملاً قبل ذلك فعزله عنه وأهانه .

قالوا : ولما وضع رأس مصعب بين يدي عبد الملك قال : لقد كان بيني وبين مصعب صحبة قديمة ، وكان من أحب الناس إليّ ، ولكن هذا الملك عقيم .

وقيل : لما تفرق عن مصعب جموعه قال له ابنه عيسى : لو اعتصمت ببعض القلاع وكاتبت من بعُد عنك مثل المهلب بن أبي صفرة وغيره فقدموا عليك ، فإذا اجتمع لك ما تريد منهم لقيت القوم ، فإنك قد ضعفت جداً . فلم يرد عليه جواباً ، ثم ذكر ما جرى للحسين بن علي وكيف قتل كريماً ولم يلق بيده ، ولم يجد من أهل العراق وفاءً ، وكذلك أبوه وأخوه ، ونحن ما وجدنا لهم وفاءً ، ثم انهزم أصحابه وبقي في قليل من خواصه ، ومال الجميع إلى عبد الملك ، وقد كان عبد الملك يحب مصعباً حباً شديداً ، وكان خليلاً له قبل الخلافة ، فقال لأخيه محمد : اذهب إليه فأمِّنه ، فجاءه فقال له : يا مصعب قد أمنك ابن عمك على نفسك ، ولدك ومالك وأهلك ، فاذهب حيث شئت من البلاد ، ولو أراد بك غير ذلك لكان أنزله بك ، فأنشدك الله في نفسك ، فقال مصعب : قضي الأمر ، إن مثلي لا ينصرف عن مثل هذا الموقف إلا غالباً أو مغلوباً ، فتقدم ابنه عيسى فقاتل ، فقال محمد بن مروان : يا بن أخي لا تقتل نفسك . ثم ذكر من قوله ما تقدم ، ثم قاتل حتى قتل رحمه الله ، ثم ذكر من قتل منهم بعده كما تقدم ، قال : ولما وضع رأس مصعب بين يدي عبد الملك بكى وقال : والله ما كنت أقدر أن أصبر عليه ساعة واحدة من حبي له حتى دخل السيف بيننا ، ولكن الملك عقيم . ولقد كانت المحبة والحرمة بيننا قديمة ، متى تلد النساء مثل مصعب ؟ ثم أمر بمواراته ودفنه هو وابنه وإبراهيم بن الأشتر في قبور بمسكن بالقرب من الكوفة][٣] .

قال المدائني : وكان مقتل مصعب بن الزبير يوم الثلاثاء[٤] الثالث عشر من جمادى الأولى أو الآخرة من سنة إحدى وسبعين في قول الجمهور . وقال المدائني : سنة ثنتين وسبعين ، والله أعلم .

قالوا[٥] : ولما قتل عبد الملك مصعباً ارتحل إلى الكوفة فنزل النُّخيلة فوفدت عليه الوفود من رؤساء القبائل وسادات العرب ، وجعل يخاطبهم بفصاحة وبلاغة واستشهاد بأشعار حسنة ، وبايعه أهل العراق وفرق العمال ، وولّى الكوفةَ قطن بن عبد الله الحارثي أربعين يوماً ، ثم عزله وولى أخاه بشر بن مروان عليها .

---

(١) في ط : بثأر .

(٢) انظر تاريخ الطبري (٦/ ١٥٩ ـ ١٦٠) والأخبار الطوال (٣١٣) وابن الأثير (٤/ ٣٢٨) .

(٣) مابين معكوفين زيادة من ط ، وهي توافق ما أورده الذهبي في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ـ٨٠/ ص٣٠٤ـ٣٠٥).

(٤) في الطبري (٦/ ١٦٢) والأخبار الطوال (٣١٣) : كان مقتل مصعب يوم الخميس للنصف من جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين للهجرة .

(٥) تاريخ الطبري (٦/ ١٦٣) وابن الأثير (٤/ ٣٢٩) .

وخطب عبد الملك يوماً بالكوفة فقال في خطبته : إن عبد الله بن الزبير لو كان خليفة كما يزعم لخرج فآسى بنفسه ، ولم يغرز ذنبه في الحرم ، ثم قال لهم : إني قد استخلفت عليكم أخي بشر بن مَروان وأمرته بالإحسان إلى أهل الطاعة ، وبالشدة على أهل المعصية ، فاسمعوا له وأطيعوا .

وأما أهل البصرة فإنهم لما بلغهم مقتل مصعب تنازع في إمارتها حمران بن أبان[١] بن عثمان بن عفان ، وعبيد الله بن أبي بكرة ، فغلبه حمران بن أبان عليها ، فبايعه أهلها فكان أشرف الرجلين ، قال أعرابي : والله لقد رأيت رداء ابن أبان مال عن عاتقه يوماً فابتدره مروان وسعيد بن العاص أيهما يسوِّيه على منكبيه ، وقال غيره : مدّ حمران يوماً رجله فابتدر معاوية وعبد الله بن عامر أيهما يغمز رجل ابن حمران .

قال : فبعث عبد الملك خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد والياً على البصرة فأخذها من حمران واستناب فيها عبيدَ الله بن أبي بكرة ، وعزل حمران بن أبان عنها .

قالوا : وقد أمر عبد الملك بطعام كثير فعمل لأهل الكوفة فأكلوا من سماطه ومعه يومئذ على السرير عمرو بن حُرَيث ، فقال له عبد الملك : ما ألذ عيشنا لو أن شيئاً يدوم ؟ ولكن كما قال الأول :

وكلّ جديدٍ يا أُمَيمَ إلى بِلًى ... وكلُّ امرىءٍ يوماً يصير إلى كانْ

فلما فرغ من الطعام نهض فدار في القصر وجعل يسأل عمرو بن حُرَيث عن أحوال القصر ومن بنى أماكنه وبيوته فيخبره ثم عاد إلى مجلسه فاستلقى وهو يقول :

اعمل على مَهَلٍ فإنك ميتٌ ... واكدَحْ لنفسكَ أيّها الإنسانْ

فكأنَّ ما قد كانَ لم يكُ إذْ مضى ... وكأنَّ ما هو كائنٌ قدْ كانْ

قال ابن جرير[٢] : وفيها رجع عبد الملك فيما زعم الواقدي إلى الشام .

وقال : وفيها عزل ابن الزبير جابرَ بن الأسود عن المدينة ، وولّى عليها طلحة بن عبد الله بن عوف ، وكان آخر أمرائه عليها ، حتى قدم [عليها] طارق بن عمرو مولى عثمان من جهة عبد الملك بن مروان .

وفيها حجَّ بالناس عبد الله بن الزبير ولم يبق له ولاية على العراق .

[قال الواقدي : وفيها عقد عبد العزيز بن مروان نائب مصر لحسان الغسَّاني[٣] على غزو إفريقية فسار إليها في عدد كثير ، فافتتح قُرطاجنة وكان أهلها روماً عبّاد أصنام[٤] .

---

(١) في ط : أبان بن عثمان ؛ خطأ ، وما أثبت عن أ ، ب والمصادر .

(٢) تاريخ الطبري (٦/ ١٦٥) .

(٣) تحرفت في ط إلى العاني .

(٤) الخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦٩/ ص٦٧) .

وفيها قتل نجدة الحروري الذي تغلَّب على اليمامة[١] .

وفيها خرج عبد الله بن ثور في اليمامة][٢] .

هذه ترجمة مصعب بن الزبير[٣] رحمه الله

وهو مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب ، أبو عبد الله القرشي ، ويقال له أبو عيسى أيضاً الأسدي ، وأمه الرَّباب[٤] بنت أنيف الكلبية ، كان من أحسن الناس وجهاً ، وأشجعهم قلباً ، وأسخاهم كفاً . وقد حكى عن عمر بن الخطاب .

وروى عن أبيه الزبير ، وسعد ، وأبي سعيد الخدري .

وروى عنه : الحكم بن عتيبة[٥] ، وعمرو بن دينار الجمحي ، وإسماعيل بن أبي خالد .

ووفد على معاوية ، وكان ممن يجالس أبا هريرة ، وكان من أحسن الناس وجهاً .

حكى الزبير بن بكار : أن جميلاً نظر إليه وهو واقف بعرفة فقال : إن هاهنا فتى أكره أن تراه بثينة .

وقال الشعبي : ما رأيت أميراً على منبر قط أحسن منه ، وكذا قال إسماعيل بن [أبي] خالد .

وقال الحسن : هو أجمل أهل البصرة .

قال الخطيب البغدادي[٦] : ولي إمرة العراقين لأخيه عبد الله حتى قتله عبد الملك بمسكن بموضع قريب من أوانا على نهر دجيل عند دير الجاثليق ، وقبره إلى الآن معروف هناك .

وقد ذكرنا صفة مقتله المختار بن أبي عبيد ، وأنه قتل في غداة واحدة من أصحاب المختار سبعة آلاف .

[قال الواقدي : لما قتل مصعب المختار طلب أهل القصر من أصحاب المختار من مصعب الأمان

---

(١) في تاريخ الطبري (٦/ ١٧٤) كان مقتل نجدة الحروري سنة ٧٢هـ . وفي تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦٩/ ص٦٨) .

(٢) الخبر في تاريخ خليفة (٢٦٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٧١/ص٣٠٠) . وما بين معكوفين زيادة من ط .

(٣) ترجمة ـ مصعب بن الزبير ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ١٨٢ ـ ١٨٣) وتاريخ خليفة (٢٦٤) ومواضع أخرى ، وطبقاته (٢٤١) وتاريخ البخاري (٧/ ٣٥٠) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢١٤) ومواضع أخرى ، وأنساب الأشراف (٣/ ٦٠ و١٥٩ و٢١٣) وتاريخ بغداد (١٣/ ١٠٥ ـ ١٠٨) وتاريخ دمشق (٥٨/ ٢١٠ ـ ٢٥٢) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٦١ـ٨٠/ ص٥٢٤ـ٥٢٨) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٤٠ـ١٤٥) وفوات الوفيات (٤/ ١٤٣) والنجوم الزاهرة (١/ ١٨٧) .

(٤) في ط : كرمان ؛ خطأ ، وما أثبت موافق لما في السير وغيره من مصادر الترجمة .

(٥) في الأصل : الحكم بن عيينة .

(٦) تاريخ بغداد (١٣/ ١٠٥) .

فأمَّنهم ، ثم بعث إليهم عبّاد بن الحصين فجعل يخرجهم ملتفين ، فقال له رجل : الحمد لله الذي نصركم علينا وابتلانا بالأسر ، يا ابن الزبير من عفا عفا الله عنه ، ومن عاقب لا يأمن القصاص ، نحن أهل قبلتكم وعلى ملتكم وقد قدرت فاسمح واعف عنا ، قال : فرقّ لهم مصعب وأراد أن يخلي سبيلهم ، فقام عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وغيره من كل قبيلة فقالوا : قد قتلوا أولادنا وعشائرنا وجرحوا منا خلقاً ، اخترنا أو اخترهم ، فأمر حينئذ بقتلهم ، فنادوا بأجمعهم : لا تقتلنا واجعلنا مقدمتك في قتال عبد الملك بن مروان ، فإن ظفرنا فلكم ، وإن قتلنا لا نقتل حتى نقتل منهم طائفة ، وكان الذي تريد ، فأبى ذلك مصعب ، فقال له مسافر : اتق الله يا مصعب ، فإن الله عزَّ وجلَّ أمرك أن لا تقتل نفساً مسلمة بغير نفس ، وإن : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٩٣] فلم يسمع له بل أمر بضرب رقابهم جميعهم وكانوا سبعة آلاف نفس ، ثم كتب مصعب إلى ابن الأشتر أن أجبني فلك الشام وأعنَّة الخيل ، فسار ابن الأشتر إلى مصعب . وقيل إن مصعباً لما قدم مكة أتى عبد الله بن عمر فقال : أي عم : إني أسألك عن قوم خلعوا الطاعة وقاتلوا حتى غلبوا ، تحصنوا وسألوا الأمان فأعطوه ثم قتلوا بعد ذلك . فقال : وكم هم ؟ فقال : خمسة آلاف ، فسبَّح ابن عمر واسترجع وقال : لو أن رجلاً أتى ماشية الزُّبير فذبح منها خمسة آلاف ماشية في غداة واحدة ألست تعده مُسرفاً ؟ قال : نعم . قال : أفتراه إسرافاً في البهائم ولا تراه إسرافاً في من ترجو توبته ؟ يا بن أخي أصب من الماء البارد ما استطعت في دنياك][1] . ثم إن مصعباً بعث برأس المختار إلى أخيه بمكة وتمكن مصعب في العراقين تمكناً زائداً ، فقرر بها الولايات والعمال ، وحظي عنده إبراهيم بن الأشتر فجعله على الوفادة ، ثم رحل مصعب إلى أخيه بمكة فأعلمه بما فعل فأقره على ما صنع ، إلا ابن الأشتر فقال له : أعمدت إلى راية خفضها الله تريد أن ترفعها . ثم كشف عن ظهره فإذا ضربة قد أصابته وقال[2] : أتراني أحب ابن الأشتر وهو الذي جرحني هذه الجراحة .

ثم استدعى بمن قدم مع مصعب من أهل العراق فقال لهم : والله لوددت أن لي بكل رجلين منكم رجلاً من أهل الشام . فقال له أبو حاجز الأسيدي[3] ـ وكان قاضي الجماعة بالبصرة ـ إن لنا ولكم مثلاً قد مضى يا أمير المؤمنين وهو ما قال الأعشى :

علقتها عرضاً وعلقت رجلاً ... غيري وعلق أخرى غيرها الرجلُ

[قلت كما قيل أيضاً :

جُننا بليلى وهي جُنت بغيرنا ... وأخرى بنا مجنونةٌ لا نريدها][4]

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر في تاريخ دمشق (٥٨/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠) .

(٢) مكانها في ط : ولم يُمضِ له ما جعله عليه ، وقال له : أتراني .

(٣) في ط : الأسدي ؛ خطأ ، والتصحيح من مصادر ترجمته .

(٤) ما بين معكوفين زيادة من ط .

علقناكَ يا أمير المؤمنين وعلقتَ أهلَ الشام وعلقَ أهلُ الشام إلى مروان ، فما عسينا أن نصنع ؟

قال الشعبي : فما سمعت جواباً أحسن منه . وقال غيره : وكان مصعب من أشد الناس محبة للنساء وقد أمضى من ذلك شيئاً كثيراً كما روي أنه اجتمع عند الحجر الأسود جماعة منهم ابن عمر ومصعب بن الزبير ، فقالوا : ليقم كل واحد منكم وليسأل من الله حاجته ، فسأل ابن عمر المغفرة ، وسأل مصعب أن يزوجه الله سكينة بنت الحسين ، وعائشة بنت طلحة ، وكانتا من أحسن النساء في ذلك الزمان ، وأن يعطيه الله إمرة العراقين ، فأعطاه الله ذلك ، تزوج بعائشة بنت طلحة ، وكان صداقها عليه مئة ألف دينار ، وكانت باهرة الجمال جداً ، وكان مصعب أيضاً جميلاً جداً ، وكذلك بقية زوجاته .

قال الأصمعي : عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه قال : اجتمع في الحِجْر عبد الله ومصعب وعروة بنو الزبير وابن عمر ، فقال عبد الله بن الزبير : أما أنا فأتمنى الخلافة ، وقال عروة : أما أنا فأتمنى أن يؤخذ عني العلم ، وقال مصعب : أما أنا فأتمنى إمرة العراق ، والجمع بين عائشة بنت طلحة وسُكينة بنت الحسين . وقال عبد الله بن عمر : أما أنا فأتمنى المغفرة . قال : فنالوا كلّهم ما تمنوا ، ولعل ابن عمر قد غفر الله له[١] .

قال عامر الشعبي : بينما أنا جالس إذ دعاني الأمير مصعب بن الزبير فأدخلني دار الإمارة ثم كشف فإذا وراءه عائشة بنت طلحة ، فلم أر منظراً أبهى ولا أحسن منها ، فقال : أتدري من هذه ؟ فقلت : لا ، فقال : هذه عائشة بنت طلحة ، فخرجت فقالت : من هذا الذي أظهرتني عليه ؟ قال : هذا عامر الشعبي ، قالت : فأطلق له شيئاً ، فوهبني عشرة آلاف درهم . قال الشعبي : فكان أول ما ملكته[٢] .

وحكى الحافظ ابن عساكر[٣] : أن عائشة بنت طلحة تغضبت مرة على مصعب فترضّاها بأربعمئة ألف درهم ، فأطلقتها هي للمرأة التي أصلحت بينهما .

وقيل : إنه أُهديت له نخلة من ذهب ثمارها من صنوف الجواهر المثمنة ، فقومت بألفي ألف دينار ، وكانت من متاع الفرس فأعطاها لعبد الله بن أبي فروة[٤] .

وقيل : إن أخاه عبد الله كان إذا كتب لأحد جائزة بألف درهم جعلها مصعب مئة ألف درهم .

[وقد كان مصعب من أجود الناس وأكثرهم عطاءً ، لا يستكثر ما يعطي ولو كان ما عساه أن يكون

---

(١) الخبر في الحلية لأبي نعيم (٢/ ١٧٦) وتاريخ دمشق (٥٨/ ٢١٨) . وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٤١) .

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٨/ ٢٢٥) .

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٨/ ٢٢٦/ ٢٢٧) ط دار الفكر .

(٤) الخبر في تاريخ دمشق (٥٨/ ٢٢٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٥٢٦) . وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٤٢) والأغاني (١٩/ ١٢٥) وابن أبي فروة هو كاتب مصعب .

فكانت عطاياه للقوي والضعيف ، والوضيع والشريف متقاربة ، وكان أخوه عبد الله يُبخّل][1] .

وروى الخطيب البغدادي في « تاريخه »[2] أن مصعباً غضب مرة على رجل فأمر بضرب عنقه ، فقال له الرجل : أعزّ الله الأمير ! ما أقبح بمثلي أن يقوم يوم القيامة فيتعلق بأطرافك الحسنة ، وبوجهك هذا الذي يُستضاء به ، فأقول : يا رب سل مصعباً فيم قتلني . فعفا عنه ، فقال الرجل : أعزّ الله الأمير إن رأيت ما وهبت لي من حياتي في عيش رخي[3] ، فأطلق له مئة ألف ، فقال الرجل إني أشهدك أن نصفها لابن قيس الرقيّات حيث يقول فيك : [من الخفيف]

إنما مصعب[4] شهابٌ مِنَ الله ... تجلتْ عن وجههِ الظلماءُ

ملكه ملكُ عزةٍ[5] ليسَ فيها ... جبروتٌ منه ولا كبرياءُ

يتَّقي اللهَ في الأمور وقد أفلـ ... ـحَ من كانَ همهُ الاتقاءُ

[وفي رواية أنه قال له : أيها الأمير قد وهبتني حياة ، فإن استطعت أن تجعل ما قد وهبتني من الحياة في عيش رضي وسعة فافعل ، فأمر له بمئة ألف][6] .

وقال الإمام أحمد[7] : حدّثنا مؤمل ، حدثنا حمّاد بن سلمة ، حدّثنا علي بن زيد قال : بلغ مصعباً ، عن عريف الأنصارِ شيء فهمّ به ، فدخل عليه أنس بن مالك فقال له : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « استوصوا بالأنصار خيراً ـ أو قال معروفاً ـ اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم » . فألقى مصعب نفسه عن سريره وألزق خده بالبساط وقال : أمر رسول الله ﷺ على الرأس والعين . فتركه .

ومن كلام مصعب في التواضع أنه قال : العجب من ابن آدم كيف يتكبر وقد جرى في مجرى البول مرتين .

وقال محمد بن يزيد المبرّد[8] : سئل القاسم بن محمد عن مصعب فقال : كان نبيلاً رئيساً تقياً أنيساً .

وقد تقدم أنه لما ظهر على المختار قتل من أصحابه في غداة واحدة خمسة آلاف ، وقيل سبعة آلاف ، فلما كان بعد ذلك لقي ابن عمر فسلم عليه فلم يعرفه ابن عمر ، لأنه كان قد حصل له من الضرر ـ أي

---

(1) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وفي المصادر قريب منها .
(2) تاريخ بغداد (13/ 106) والخبر أيضاً في تاريخ دمشق لابن عساكر (58/ 224) .
(3) في ط : رضي .
(4) في ط : إن مصعباً ، وما أثبت موافق للكامل للمبرد (2/ 269) ت : أبو الفضل إبراهيم .
(5) في ط : رحمة ، وفي الكامل للمبرد : قوة .
(6) ما بين معكوفين زيادة من ط .
(7) مسند الإمام أحمد (3/ 241) المرفوع منه صحيح ، والقصة ضعيفة .
(8) الكامل في الأدب للمبرد (1/ 166) ت : أبو الفضل إبراهيم .

العمى ـ فتعرف له حتى عرفه ، قال : أنت الذي قتلت في غداة واحدة خمسة آلاف ممن يوحد الله ؟ فاعتذر إليه بأنهم بايعوا المختار ، فقال : أما كان فيهم من هو مستكره أو جاهل فيُنْظَر حتى يتوب ؟ أرأيت لو أن رجلاً جاء إلى غنم الزّبير فنحر منها خمسة آلاف في غداة واحدة ، أما كان مسرفاً ؟ قال : بلى ! قال : وهي لا تعبد الله ولا تعرفه كما يعرفه الآدمي ، فكيف بمن هو موحد ؟ ثم قال له : يا بني تمتع من الماء البارد ما استطعت ، وفي رواية أنه قال له : عش ما استطعت .

وقال الزبير بن بكار : حدَّثني محمد بن الحسن ، عن زفر بن قتيبة ، عن الكلبي قال : قال عبد الملك بن مروان يوماً لجلسائه : من أشجع العرب وأكرم العرب[1] ؟ قالوا شبيب ، وقال آخر : قطري بن الفجاءة وفلان وفلان . فقال عبد الملك : إن أشجع الناس وأكرم العرب لَرَجُل جمع بين سُكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة وأمَة الحميد بنت عبد الله بن عامر بن كُرَيز ، وأمه رباب بنت[2] أنيف الكلبي ، سيد ضاحية العرب ، وولي العراقين خمس سنين فأصاب ألف ألف ، وألف ألف ، وألف ألف ، ففرقها في الناس ، وهؤلاء الأربع نسوة أعظم أهل زمانهن حسباً وجمالاً ، وأعطي الأمان فأبى ، ومشى بسيفه حتى مات كريماً ذاك[3] مصعب بن الزبير ، لا من قطع الجسور مرة هاهنا ومرة هاهنا . قالوا : وكان مقتله يوم الخميس للنصف من جمادى الأولى سنة ثنتين وسبعين .

وقال الزُّبير بن بكار : حدَّثني فُليح بن إسماعيل وجعفر بن أبي كثير ، عن أبيه ، قال : لما وضع رأس مصعب بين يدي عبد الملك قال :

لقد أردى الفوارسَ يومَ عبسٍ ... غلامٌ غيرُ منَّاعِ المتاعِ
ولا فرحٌ بخيرٍ إن أتاهُ ... ولا هلعٍ مِنَ الحدثانِ لاعِ
ولا رقَّابةٍ والخيلُ تعدو ... ولا خالٌ كأنبوبِ اليراعِ

فقال الرجل الذي جاء برأسه : والله يا أمير المؤمنين لو رأيته والرمح في يده تارة والسيف تارة يفري بهذا ويطعن بهذا ، لرأيت رجلاً يملأ القلب والعين شجاعة ، لكنه لما تفرقت عنه رجاله وكثر من قصده وبقي وحده ما زال ينشد :

وإني على المكروه عندَ حضورهِ ... أكذِّبُ نفسي والجفون له تفضي
وما ذاكَ من ذلٍّ ولكنْ حفيظةٌ ... أذبُّ بها عندَ المكارمِ عنْ عرضي
وإني لأهلِ الشرِّ بالشرِّ مرصدٌ ... وإني لذي سلمٍ أذلُّ منَ الأرضِ

---

(١) في ط : من أشجع العرب والروم ، والخبر في الأغاني (١٩/ ١٣١ ـ ١٣٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٥٢٧) .

(٢) في ط : وابنه ريان . . . ؛ والتصحيح من المصادر .

(٣) ثمة خلافات بين النسخ تؤدي نفس المعنى وأثبتنا رواية أ ، ب لتوافقهما ، والخبر في تاريخ بغداد (١٣/ ١٠٦) وتاريخ دمشق (٥٨/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٤٢) .

فقال عبد الملك : كان والله كما وصف به نفسه وصدق ، ولقد كان من أحب الناس إليّ ، وأشدهم لي ألفة ومودة ، ولكن الملك عقيم[(١)] .

وروى يعقوب بن سفيان : عن سليمان بن حرب ، عن غسان بن مضر ، عن سعيد بن يزيد : أن عبيد الله بن زياد بن ظبيان قتل مصعباً عند دير الجاثليق على شاطىء نهر يقال له دجيل ، من أرض مسكن ، واحتز رأسه فذهب به إلى عبد الملك فسجد شكراً لله ، وكان ابن ظبيان فاتكاً رديئاً وكان يتلهف يقول : ليتني قتلت عبد الملك حين سجد يومئذ فأكون قد قتلت ملكي العرب ، قال يعقوب : وكان ذلك سنة ثنتين وسبعين . قلت : كذا قال علي بن محمد المدائني والذي رجحه ابن جرير وغيره أنه سنة إحدى وسبعين ، والله[(٢)] أعلم .

وحكى الزُّبير بن بكار في عمره يوم قتل ثلاثة أقوال ، أحدها خمس وثلاثون سنة ، والثاني أربعون سنة ، والثالث خمس وأربعون سنة [فالله أعلم] .

وروى الخطيب البغدادي[(٣)] أن امرأته سُكينة بنت الحسين كانت معه في هذه الوقعة ، فلما أيقنت أنه مقتول نادت : وامصعباه . فقال مصعب : لو سمعت هذا الكلام قبل هذا اليوم ما قمت في هذا المقام ـ يعني أنها ما كانت تظهر له محبتها ، فلما علم بحبها إياه ندم على إقدامه على الموت ، فلما قتل تطلبته في القتلى حتى عرفته بشامة في فخذه فأقبلت عليه وقالت : نِعْمَ بَعلُ المرأة المسلمة كنت ، أدركك والله ما قال عنترة :

وخليلُ غانيةٍ تركتُ مجندلاً ... بالقاعِ لم يعهد ولم يتثلمِ
فهتكت بالرمحِ الطويل إهابهُ ... ليسَ الكريمُ على القنا بمحرمِ

قال الزبير[(٤)] : وقال عبد الله بن قيس الرقيات يرثي مصعباً :

لقد أورثَ[(٥)] المصرين حزناً[(٦)] وذلةً ... قتيلٌ بديرِ الجاثليقِ مقيمُ
فما نصحتْ[(٧)] لله بكرُ بنُ وائلٍ ... ولا صدقتْ[(٨)] يومَ اللقاءِ تميمُ

---

(١) الخبر في تاريخ بغداد (١٣/ ١٠٧) وتاريخ دمشق (٥٨/ ٢٣٤) .
(٢) من قوله : قلت : كذا قال علي . . . إلى هنا ساقط من ط .
(٣) تاريخ بغداد (١٣/ ١٠٧ ـ ١٠٨) والخبر أيضاً في تاريخ دمشق (٥٨/ ٢٤٢) ط : دارالفكر ورواية البيت الأول فيهما :
وحليل غانيةٍ تركت مجدّلاً ... بالقاع لم يعهد ولم يتثلّم
(٤) تاريخ دمشق (٥٨/ ٢٣٣) وتاريخ بغداد (١٣/ ١٠٨) والأبيات في ديوان ابن قيس الرقيات (ص١٩٦) .
(٥) في الأخبار الطوال (٣١٣) : ورد .
(٦) في تاريخ الطبري (٦/ ١٦١) خزياً ، وفي الأخبار الطوال (٣١٣) : خزي .
(٧) في الأخبار الطوال (٣١٣) : فما صبرت .
(٨) في تاريخ الطبري (٦/ ١٦١) : ولا صبرت ، وفي الأخبار الطوال : ولا ثبتت .

ولـو كـان بكـريـاً تَعَطَّـفُ حَـوْلَـهُ كتـائـبُ يغلـي حَمِيُهـا[١] ويـدومُ
ولكنـهُ ضـاعَ الـذمـام ولـم يكـنْ بهـا مضـريٌّ يـومَ ذاكَ كـريـمُ
جـزى الله كـوفيـاً هنـاكَ مـلامـة وبصـريَّهـم إنَّ الملـومَ[٢] ملـومُ
وإنَّ بنـي العـلاّتِ أخلَـوا ظهـورَنـا ونحـنُ صـريـحٌ بينهـمْ وصميـمُ
فـإن نفـن لا يبقـى أولئـكَ بعـدنـا لـذي حـرمـةٍ فـي المسلميـن حـريـمُ

وقد قال أبو حاتم الرازي : حدَّثنا يحيى بن مصعب الكلبي ، حدَّثنا أبو بكر بن عياش ، عن عبد الملك بن عمير قال : دخلت القصر بالكوفة فإذا رأس الحسين بن علي على ترس بين يدي عبيد الله بن زياد وعبيد الله على السرير ، ثم دخلت القصر بعد ذلك بحين ، فرأيت رأس عُبيد الله بن زياد على تُرس بين يدي المختار ، والمختار على السرير ، ثم دخلت القصر بعد ذلك بحين فرأيت رأس المختار على ترس بين يدي مصعب بن الزبير ، ومصعب على السرير ، ثم دخلت القصر بعد حين فرأيت رأس مصعب بن الزبير على ترس بين يدي عبد الملك ، وعبد الملك على السرير[٣] .

وقد حكاها الإمام أحمد[٤] وغير واحد عن عبد الملك بن عمير .

وقال عبد الله بن قيس الرقيات[٥] يرثي مصعباً أيضاً :

تسقي السحائبُ والنجوم بأسرها جسـداً بمسكـنَ عـاريَ الأوصـالِ
تمسـي عـوائـذهُ السبـاعُ ودارهُ بمنـازلٍ أطـلالهـنَّ بـوالـي
رحـلَ الـرفـاق وغـادروهُ ثـاويـاً للـريـحِ بيـنَ صبـا وبيـنَ شمـالـي

فصل

[وكان لمصعب من الولد عكاشة وعيسى الذي قتل معه وسكينة وأمهم فاطمة بنت عبد الله بن السائب ، وعبد الله ومحمد ، وأمهما عائشة بنت طلحة ، وأمها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق ، وجعفر ومصعب وسعيد وعيسى الأصغر والمنذر لأمهات شتى ، والرباب وأمها سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعنهم][٦] .

---

(١) في ط : يبقى حرها .
(٢) في الطبري : إن المسليم .
(٣) الخبر في تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٨/ ٢٤٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٥٢٧) . عن أبي بكر ابن عياش . .
(٤) ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٧/ ١٣١) بسنده إلى الإمام أحمد .
(٥) ديوانه (ص٢٠١) ط : دار صادر بيروت .
(٦) ما بين معكوفين زيادة من ط .

قال ابن جرير[١] : وذكر أبو زيد ، عن أبي غسان محمد بن يحيى ، حدَّثني مصعب بن عثمان قال : لما انتهى إلى عبد الله بن الزبير قتل أخيه مصعب قام في الناس خطيباً فقال : الحمد لله الذي له الخلق والأمر ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممَّن يشاء ، ويُعزُّ من يشاء ويذلّ من يشاء ، ألا وإنه لم يذلل الله من كان الحق معه وإن كان فرداً ولن يفلح من كان وليه الشيطان وحزبه ولو كان معه الأنام [طراً] ألا وإنه أتانا منّ العراق خبر أحزننا وأفرحنا ، أتانا قتل مصعب رحمه الله[٢] ، فأما الذي أفرحنا فعلمنا أن قتله له شهادة ، وأما الذي أحزننا فإن لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة ثم يَرْعوي من بعدها ذو الرأي جميل الصبر كريم العزاء ، ولئن أصبتُ بمصعب فلقد أصبت بالزبير قبله ، وما أنا من عثمان بخلو مصيبة ، وما مصعب إلا عبدٌ من عبيد الله ، وعونٌ من أعواني ، ألا وإن أهل العراق أهل الغدر والنفاق ، أسلموه وباعوه بأقل الثمن ، فإن يقتل فإنَّا والله ما نموت على مضاجعنا كما تموت بنو أبي العاص ، والله ما قتل منهم رجل في زحف في الجاهليَّة ولا في الإسلام ، وما نموت إلا بأطراف[٣] الرماح أو تحت ظل السيوف[٣] ألا وإن الدنيا عاريَّة من الملك الأعلى الذي لا يزول سلطانه ولا يبيد مُلكه ، فإن تُقبل لا آخذها أخذ الأشر البَطر ، وإن تُدْبر لا أبكي عليها بكاء الحزين الأسف المهين ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان :

إبراهيم بن الأشتر[٤] ـ واسم الأشتر مالك بن الحارث النخعي ـ كان أبوه الأشتر من كبار أمراء علي واستعمله علي على خراسان وهو ممن قام على عثمان وقَتْلِهِ .

وكان إبراهيم هذا من الأمراء المعروفين بالشجاعة وله شرف ، وهو الذي قتل عبيد الله بن زياد كما ذكرنا ، ثم صار إلى مصعب بن الزبير وقُتل معه كما ذكرنا .

عبد الرحمن بن أبزى الخزاعي[٥] ، له صحبة ورواية .

واستعمله علي على خراسان ، سكن الكوفة ووليها مرة .

---

(١) تاريخ الطبري (٦/ ١٦٦) ونص الخطبة أيضاً في تاريخ دمشق (٥٨/ ٢٤٧) .
(٢) مكانها في ط : فأحزننا .
(٣) في الطبري : إلا قصعاً بالرماح ، أو موتاً تحت ظلال السيوف .
(٤) ترجمة ـ إبراهيم بن الأشتر ـ في تاريخ خليفة (٢٦٣) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٣٤٤) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٥) والوافي بالوفيات (٦/ ٩٩) والأغاني (١٩/ ١٢٣ ـ ١٢٦) وشذرات الذهب (١/ ٣٠٥) .
(٥) ترجمة ـ عبد الرحمن بن أبزى ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٤٦٢) وتاريخ خليفة (١٥٣) وطبقاته (١٠٩ و١٣٧) والاستيعاب (٢/ ٤١٧ ـ ٤١٨) وتهذيب الكمال (١٦/ ٥٠١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٧١) وتهذيب التهذيب (٦/ ١٣٢ ـ ١٣٣) والإصابة (٢/ ٣٨٨ ـ ٣٨٩) وترجمته ساقطة من ط ، ب .
وأَبْزى : بفتح الهمزة ، وسكون الباء بعدها زاي مقصوراً . تقريب التهذيب .

توفي بالمدينة .

عبد الرحمن بن عُسَيلة[١] ، أبو عبد الله المرادي ، الصنابحي نزيل الشام .

هاجر إلى المدينة ، فتوفي النبي ﷺ قبل قدومه بخمس ليال[٢] .

وكان يجلس مع عبد الملك على سريره[٣] ، وكان من العلماء الصلحاء .

توفي بدمشق .

عمر بن أبي سلمة[٤] ، المخزومي ، المدني ، ربيب النبي ﷺ ، ولد بأرض الحبشة . وكان عند أمه أم سلمة .

وله روايات عن النبي ﷺ ، وعن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم .

سفينة[٥] مولى رسول الله ﷺ ، أبو عبد الرحمن كان عبداً لأم سلمة فأعتقته وشرطت عليه أن يخدم رسول الله ﷺ ، [فقال : أنا لا أزال أخدم رسول الله ﷺ لو لم تعتقيني ما عشت ، وله روايات ، توفي بالمدينة .

وقد كان سفينة بآل رسول الله ﷺ أليفاً ، وبهم خليطاً .

---

(١) ترجمة ـ عبد الرحمن بن عُسَيلة ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٥٠٩ ـ ٥١٠) وطبقات خليفة (٢٩٣) وتاريخ البخاري (٥/ ٣٢١ ـ ٣٢٢) والاستيعاب (٢/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧) وتهذيب الكمال (١٧/ ٢٨٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٧٣ ـ ٤٧٤) وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠) ، وتحرف في ط إلى غسيلة ـ بالغين ـ .
والصنابحي : بضم الصاد وفتح النون ، وبعد الألف باء موحدة مكسورة ، نسبة صنابح بن زاهر بن عامر . اللباب لابن الأثير (٢/ ٤٧) .

(٢) في الطبقات والاستيعاب ، عن عبد الرحمن بن عُسَيلة قال : ما فاتني النبي ﷺ إلا بخمس ليال ، قبض وأنا بالجحفة ؛ فقدمت المدينة وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون ، فسألت بلالاً عن ليلة القدر ؛ فلم تعتم . وقال : ليلة ثلاث وعشرين .

(٣) ذكره الذهبي عن ابن معين . تاريخ الإسلام (سنة ٦١ـ٨٠/ ص٤٧٥) .

(٤) ترجمة ـ عمر بن أبي سلمة ـ في تاريخ خليفة (٢٠٠) وتاريخ البخاري (٩/ ١٣٩) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢٧١) وأنساب الأشراف (١/ ٤٣٠) والاستيعاب (٢/ ٤٧٤ ـ ٤٧٥) وأسد الغابة (٤/ ٧٩) وتاريخ دمشق (٤٥/ ٧٠) وتهذيب الكمال (٢١/ ٢٧٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٨٨ ـ ٤٨٩) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٠٦ ـ ٤٠٨) والإصابة (٢/ ٥١٩) وتهذيب التهذيب (٧/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦) . ومن قوله : وكان عند أمه . . . إلى آخر الترجمة ساقط من ط .

(٥) ترجمة ـ سفينة ـ في طبقات خليفة (١٩٠) وتاريخ البخاري (٢/ ٢٠٩) وأنساب الأشراف (١/ ٤٩٠) والاستيعاب (٢/ ١٢٩ ـ ١٣٠) وحلية الأولياء (١/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩) وأسد الغابة (٢/ ٣٢٤) وتهذيب الكمال (١١/ ٢٠٤ ـ ٢٠٦) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١/ ٨٠/ص٤١١ ـ ٤١٢) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٧٢ ـ ١٧٣) والوافي بالوفيات (١٥/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦) وتهذيب التهذيب (٤/ ١٢٥) والإصابة (٢/ ٥٨) .

وروى الطبراني[١] أن سفينة سُئل عن اسمه لم سمّي سفينة ؟ قال : سماني رسول الله ﷺ سفينة ، خرج مرة ومعه أصحابه فثقل عليهم متاعهم ، فقال لي رسول الله ﷺ : « ابسط كساءك » فبسطته فجعل فيه متاعهم ، ثم قال لي : « احمل ما أنت إلّا سفينة » قال : فلو حملت يومئذ وقر بعير أو بعيرين أو خمسة أو ستة ما ثقل علي .

وروى محمد بن المنكدر ، عن سفينة قال : ركبت مرة سفينة في البحر فانكسرت بنا فركبت لوحاً منها فطرحني البحر إلى غيضة فيها الأسد ، فجاءني فقلت : يا أبا الحارث أنا سفينة مولى رسول الله ﷺ ، فطأطأ رأسه وجعل يدفعني بجنبه أو بكفه حتى وضعني على الطريق ، ثم همهم همهمة فظننت أنه يودِّعني[٢] .

وقال حَمّاد بن سلمة : حدَّثنا سعيد بن جمهان ، عن سفينة أن رسول الله ﷺ دخل بيت فاطمة فرأى في ناحية البيت قِراماً مضروباً فرجع ولم يدخل ، فقالت فاطمة لعلي : سل رسول الله ﷺ ما الذي رده ؟ فسأله فقال : « ليس لي ولا لِنبيٍّ أن يدخل بيتاً مزوَّقاً »[٣]] .

عطية بن عروة[٤] السعدي ، نزيل البلقاء ، له صحبة ورواية .

توفي بالبلقاء وله بها ذرية .

عَمْرو بن أخطب[٥] ، أبو زيد الأنصاري ، الأعرج ، غزا مع النبي ﷺ ثلاث عشرة غزوة . ومسح رأسه ، وقال : « اللهم جمّله »[٦] فبلغ مئة ولم يبيض شعره .

توفي بالبصرة .

---

(١) المعجم الكبير (٧/ رقم ٦٤٣٩) وأخرجه أيضاً الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٢٢١) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٦٩) والحاكم في المستدرك (٣/ ٦٠٦) وهو حديث صحيح .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٧ رقم ٦٤٣٢) وصححه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٠٦) .

(٣) رواه أحمد (٥/ ٢٢١ و٢٢٢) وأبو داود رقم (٣٧٥٥) وابن ماجه رقم (٣٣٦٠) وهو حديث صحيح .

(٤) ترجمة ـ عطية بن عروة ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٣٠) وطبقات خليفة (٥٥) وتاريخ البخاري (٧/ ٨) والاستيعاب (٣/ ١٤٤ ـ ١٤٥) وأسد الغابة (٣/ ٥٤١) وتهذيب الكمال (٢٠/ ١٥٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٨٥ ـ ٤٨٦) وتهذيب التهذيب (٧/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨) والإصابة (٢/ ٤٨٥) وترجمته ساقطة من ط .

(٥) ترجمة ـ عمرو بن أخطب ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٢٨) وطبقات خليفة (١٠٤ و١٨٧) وتاريخ البخاري (٦/ ٣٠٩) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٣١) والاستيعاب (٢/ ٥٢٤ ـ ٥٢٥) وأسد الغابة (٤/ ١٩٠) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٨٩ ـ ٤٩٠) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٧٣ ـ ٤٧٤) والإصابة (٢/ ٥٢٢) وتهذيب التهذيب (٨/ ٤) .

(٦) الحديث أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٧٧ و٣٤١) والترمذي في جامعه رقم (٣٦٢٩) في المناقب ، وهو حديث صحيح .

غضيف بن الحارث[١] **بن زُنيم السَّكوني ، مختلف في صحبته .**

له روايات عن الصحابة ، وقيل : هو من تابعي أهل الشام ، سكن حمص ، وكان يتولى صلاة الجمعة نيابة عن خالد بن يزيد . وكان من الصالحين[٢] .

يزيد بن الأسود[٣] **الجُرَشيّ** ، أسلم في حياة النبي ﷺ ، وقدم الشام ، وسكن بقرية زبدين من الغوطة ، وله دار داخل باب شرقي ، وكان من العبّاد الصالحين ، كثير الصوم والجهاد ، وقد استسقى به معاوية بأهل الشام ؛ فسقوا[٤] .

وكان يصلي عشاء الآخرة بمسجد دمشق ، ويخرج إلى زبدين ، فتضيء له إبهامه اليمنى ، فلا يزال يمشي في ضوئها إلى زبدين[٥] ، توفي فيها[٦] .

عمرو بن الأسود[٧] ، **أبو عياض العنسي الحمصي** ، من كبار تابعي الشام ، صاحب زهد وعبادة واجتهاد ، قليل الشِّبَع[٨] .

توفي بحمص[٩] .

---

(١) ترجمة ـ غضيف بن الحارث ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٢٩) وفيه : عطيف ، وطبقات خليفة (٣٠٨) والمعرفة والتاريخ (١/ ٤٦١) والاستيعاب (٣/ ١٨٧) وتاريخ أبي زرعة (١/ ٣٨٨ و٦٠٣ ـ ٦٠٤) وأسد الغابة (٤/ ٣٤٠) وتهذيب الكمال (٢٣/ ١١٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٥٠٦ ـ ٥٠٨) وتهذيب التهذيب (٨/ ٢٤٨ ـ ٢٥٠) والإصابة (٣/ ١٨٦ـ١٨٧) .

(٢) من قوله : ومسح رأسه . . . إلى هنا ساقط من ط .

(٣) ترجمة ـ يزيد بن الأسود ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٤٤) وطبقات خليفة (٢٨٥) وتاريخ البخاري (٨/ ٣١٨) والاستيعاب (٣/ ٦٦٠) وتاريخ دمشق (٦٥/ ١٠٧) وأسد الغابة (٥/ ١٠٣) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٥٣٨ ـ ٥٣٩) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٣٦ ـ ١٣٧ والإصابة (٣/ ٦٧٣) .

(٤) الخبر في الطبقات لابن سعد (٧/ ٤٤٤) وتاريخ الإسلام (سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٥٣٩) .

(٥) عن تاريخ دمشق (٦٥/ ١٠٧) .

(٦) ثمة بعض الخلافات بين النسخ آثرنا إيراد ما في أ لمطابقتها للمصادر .

(٧) ترجمة ـ عمرو بن الأسود ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٤٢) وطبقات خليفة (٢٨٠) وتاريخ البخاري (٦/ ٣١٥) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٣١٤) وحلية الأولياء (٥/ ١٥٥ ـ ١٥٧) وتاريخ دمشق (٤٥/ ٤٠٧ ـ ٤١٨) وأسد الغابة (٤/ ٨٤ ـ ٨٥) وتهذيب الكمال (٢١/ ٥٤٣) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٩٠ ـ ٤٩٢) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٧٩ ـ ٨١) وتهذيب التهذيب (٨/ ٤ ـ ٦) والإصابة (٣/ ١٢٠) .

(٨) في الأصول : « التشيع » وهو تحريف لا شك فيه صوابه ما أثبتنا ، فقد روي عنه أنه كان يدع كثيراً من الشبع مخافة الأشر (تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٥/ ٤١٨ ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٨٠) .

(٩) كامل الترجمة ساقطة من ط .

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين

ففيها كانت وقعة عظيمة بين المهلّب بن أبي صفرة وبين الأزارقة من الخوارج بمكان يقال له سولاف[١] ، ثم مكثوا نحواً من ثمانية أشهر متواقفين ، وجرت بينهم حروب يطول بسطها ، وقد استقصاها ابن جرير[٢] ، وقتل في أثناء هذه المدة مصعب بن الزبير ، وبايع الناس عبد الملك بن مروان ، وأقر عبد الملك المهلّب بن أبي صفرة على الأهواز وما معها ، وشكر سعيه وأثنى عليه ثناء كثيراً .

ثم تواقع الناس في دولة عبد الملك بالأهواز فكسر الناس الخوارج كسرة فظيعة ، وهربوا إلى البلاد لا يلوون على أحدٍ ، واتبعهم خالد بن عبد الله أمير الناس وداود بن قحذم[٣] ليطردوهم ، وأرسل عبد الملك إلى أخيه بشر بن مروان أن يمدهم بأربعة آلاف ، فبعث إليه أربعة آلاف عليهم عتاب بن ورقاء فطردوا الخوارج كل مطرد ، ولكن لقي الجيش جهداً عظيماً وماتت خيولهم ولم يرجع أكثرهم إلا مشاة إلى أهليهم ، فالله المستعان .

قال ابن جرير[٤] : وفي هذه السنة كان خروج أبي فُديك الحارثي وهو من قيس بن ثعلبة ، وغلب على البحرين ، وقتل نجدة بن عامر الحارثي[٥] ، فبعث إليه خالد بن عبد الله أمير البصرة أخاه أمية بن عبد الله في جيش كثيف ، فهزمهم أبو فُدَيك وأخذ جارية لأمية واصطفاها لنفسه ، وكتب خالد أمير البصرة إلى عبد الملك يعلمه بما وقع ، واجتمع على خالد بن عبد الله حرب أبي فديك هذا مع ما كان فيه من مقاومة وحرب الأزارقة أصحاب قَطَري بن الفُجاءة بالأهواز .

قال ابن جرير[٦] : وفيها بعث عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي إلى عبد الله بن الزبير ليحاصره بمكة ، قال : وكان السبب في بعثه له دون غيره ، أن عبد الملك بن مروان لما أراد الرجوع إلى الشام بعد قتله مصعباً وأخذه العراق [ندب الناس إلى قتال عبد الله بن الزبير بمكة فلم يجبه أحد إلى ذلك ، فقام الحجاج وقال : يا أمير المؤمنين أنا له ، و] قص الحجاج على عبد الملك مناماً زعم أنه

---

(١) في ط : سولاق ـ بالقاف ـ وما أثبت موافق للطبري (٦/ ١٦٨) وسولاف : قرية في غربي دجيل من أرض خوزستان قرب مناذر الكبرى . معجم البلدان (٣/ ٢٨٥) .

(٢) تاريخ الطبري (٦/ ١٧٣) وابن الأثير (٤/ ٣٤٣) .

(٣) في ط : محندم ؛ تحريف ، وما هنا موافق للطبري وابن الأثير .

(٤) تاريخ الطبري (٦/ ١٧٤) .

(٥) في الطبري (الحنفي) .

(٦) تاريخ الطبري (٦/ ١٧٤) والخبر أيضاً في ابن الأثير (٤/ ٣٤٨) .

رآه ، قال : رأيت يا أمير المؤمنين كأني أخذت عبد الله بن الزبير فسلخته ، فابعث بي إليه فإني قاتله ، فبعثه في جيش كثيف من أهل الشام وكتب معه أماناً لأهل مكة إن هم أطاعوه ، قالوا : فخرج الحجاج في جمادى من هذه السنة ومعه ألفا فارس من أهل الشام ، فسلك طريق العراق ولم يعرض للمدينة حتى نزل الطائف ، وجعل يبعث البعوث إلى عرفة ، ويرسل ابن الزبير الخيل فيلتقيان فيهزم خيل ابن الزبير وتظفر خيل الحجاج ، ثم كتب الحجاج إلى عبد الملك يستأذنه في دخول الحرم ومحاصرة ابن الزبير ، فإنه قد كلَّت شوكته [وملت جماعته] وتفرق عنه عامة أصحابه ، وسأله أن يمده برجال أيضاً ، فكتب عبد الملك إلى طارق بن عمرو يأمره أن يلحق بمن معه بالحجاج ، وكان طارق يتولى المدينة لعبد الملك ، وكان قد أمره عبد الملك أن يكون مقيماً بوادي القرى ، بمن معه من جيش المدينة وغيرها ، وكان في نحو خمسة آلاف من الشام[١] وارتحل الحجاج من الطائف فنزل بئر ميمون ، وحصر ابن الزبير بالمسجد ، فلما دخل ذو الحجة حج بالناس الحجاج في هذه السنة وعليه وعلى أصحابه السلاح وهم وقوف بعرفات ، وكذا فيما بعدها من المشاعر ، وابن الزبير محصور لم يتمكن من الحج هذه السنة ، بل نحر بدناً يوم النحر [وهكذا لم يتمكن كثير ممن معه من الحج] وكذا لم يتمكن كثير ممن مع الحجاج وطارق بن عمرو أن يطوفوا بالبيت ، فبقوا على إحرامهم لم يحصل لهم التحلل الثاني ، والحجاج وأصحابه نزول بين الحجون وبئر ميمون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

قال ابن جرير[٢] : وفي هذه السنة كتب عبد الملك إلى عبد الله بن خازم أمير خراسان يدعوه إلى بيعته ويقطعه خراسان سبع سنين ، فلما وصل إليه الكتاب قال للرسول[٣] : بعثك أبو الذبان ؟ والله لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتك ، ولكن كل كتابه ؛ فأكله .

وبعث عبد الملك إلى بُكير بن وِشاح نائب ابن خازم على مرو يعده بإمرة خراسان إن هو خلع عبد الله بن خازم ، فخلعه ، فجاء ابن خازم فقاتله فقتل في المعركة عبد الله بن خازم أمير خراسان ، قتله رجل يقال له وكيع بن عميرة ، لكن كان قد ساعده غيره ، فجلس وكيع على صدره وفيه رمق ، فذهب ليثور فلم يتمكن من ذلك وجعل وكيع يقول : يا ثارات دُوَيلة ـ يعني أخاه ـ [وكان دُوَيلة قد قتله ابن خازم][٤] فتنخم في وجهه قال وكيع : لم أر أحداً أكثر ريقاً منه في تلك الحال .

وكان ابن هبيرة[٥] إذا ذكر هذا يقول : هذه والله هي البسالة . وقال له ابن خازم : ويحك أتقتلني بأخيك ؟ لعنك الله ، أتقتل كبش مصر بأخيك العلج ؟ وكان لا يساوي كفاً من تراب ـ أو قال من نوىً ـ

---

(١) من قوله : وكان طارق . . . إلى هنا ساقط من ط .
(٢) تاريخ الطبري (٦/ ١٧٦) وابن الأثير (٤/ ٣٤٥) .
(٣) ذكر الطبري أن اسمه : سورة بن أشيم النميري .
(٤) ما بين معكوفين زيادة من ط .
(٥) في ط : أبو هريرة ؛ تحريف .

قال : فاحتز رأسه وأقبل بُكير بن وشاح فأراد أخذ الرأس فمنعه منه بُجير بن ورقاء فضربه بكير بعمود وقيَّده ، ثم أخذ الرأس ، ثم بعثه إلى عبد الملك بن مروان وكتب إليه بالنصر والظفر ، فسرّ بذلك سروراً كثيراً ، وكتب إلى بكير بن وشاح بإقراره على نيابة خراسان .

وفي هذه السنة أخذت المدينة من نواب ابن الزبير واستناب فيها عبد الملك طارق بن عمرو ، الذي كان بعثه مدداً للحجاج[١] .

وهذه ترجمة عبد الله بن خازم[٢] هو عبد الله بن خازم بن أسماء السُّلمي ، أبو صالح البصري أمير خراسان أحد الشجعان المذكورين ، والفرسان المشكورين .

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي في « تهذيبه »[٣] : ويقال له صحبة .

روى عن النبي ﷺ في العمامة السوداء ، وهو عند أبي داود والترمذي والنسائي[٤] ، لكن لم يسمُّوه .

وروى عنه : سعد بن عثمان الرازي وسعيد بن الأزرق .

روى أبو بشر[٥] الدولابي أنه قتل في سنة إحدى وسبعين ، وقيل : في سنة سبع وثمانين ، وليس هذا القول بشيء . انتهى ما ذكره شيخنا في « التهذيب » .

وقد ذكره الحافظ أبو الحسن بن الأثير في « الغابة في أسماء الصحابة »[٦] فقال : عبد الله بن خازم بن أسماء بن الصَّلت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن سماك بن عوف بن امرىء القيس بن نهية[٧] بن سليم بن منصور ، أبو صالح السلمي ، أمير خراسان ، شجاع مشهور ، وبطل مذكور ، وروى عنه سعيد بن الأزرق ، وسعد بن عثمان ، قيل إن له صحبة ، وفتح سَرْخَس ، وكان أميراً على خراسان أيام فتنة ابن الزبير ، وأول ما وليها سنة أربع وستين بعد موت يزيد بن معاوية وابنه معاوية ، وجرى له فيها حروب كثيرة حتى تم أمره بها ، وقد استقصينا أخباره في كتاب « الكامل في التاريخ » وقتل سنة إحدى وسبعين

---

(١) تاريخ الطبري (٦/ ١٧٨) وابن الأثير (٤/ ٣٤٧) .

(٢) ترجمة ـ عبد الله بن خازم ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤١٤) وطبقات خليفة (١١٥ و٣٠٥) وتاريخ البخاري (٥/ ٣٣) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢٦٦) ومواضع أخرى ، والاستيعاب (٢/ ٢٩٠) وتاريخ دمشق (٢٨/ ٦ ـ ١٥) وحلية الأولياء (٢/ ٣ ـ ٤) وأسد الغابة (٣/ ١٤٨) وتهذيب الكمال (١٤/ ٤٤٠ ـ ٤٤١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٣٤ ـ ٤٣٥) والوافي بالوفيات (١٧/ ١٥٦) وتهذيب التهذيب (٥/ ١٩٤) . والإصابة (٢/ ٣٠٠) .

(٣) تهذيب الكمال (١٤/ ٤٤٢ ـ ٤٤٥) .

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى كما في التحفة (١٥٥٧٨) وأخرجه الترمذي في جامعه رقم (٣٣٢١) في التفسير وأبو داود في سننه رقم (٤٠٣٨) في اللباس وهو حديث ضعيف .

(٥) في الأصل : أبو بشير ، وهو خطأ .

(٦) أسد الغابة (٣/ ١٤٨) .

(٧) كذا في الأصول ، وفي أسد الغابة : بهثة وكذلك في الإصابة (٢/ ٣٠١) .

بخراسان في الفتنة ، هكذا قال إنه قتل سنة إحدى وسبعين[١] ، وهكذا حكى شيخنا عن الدولابي ، وكذا رأيت في التاريخ لشيخنا الحافظ أبي عبد الله الذهبي[٢] . والذي ذكره ابن جرير في سياق تاريخه[٣] أنه قتل سنة ثنتين وسبعين ، قال : وزعم بعضهم أنه إنما قتل بعد مقتل عبد الله بن الزُّبير ، وأن عبد الملك بعث برأس ابن الزبير إلى ابن خازم بخراسان ، وبعث يدعوه إلى طاعته وله خراسان عشر سنين ، وأن ابن خازم لما رأى رأس ابن الزبير حلف لا يعطي عبد الملك طاعة أبداً ، ودعا بطست فغسل رأس ابن الزبير وكفنه وطيبه وبعث به إلى أهله بالمدينة ، ويقال بل دفنه عنده بخراسان ، والله أعلم .

وأطعم الكتاب للرسول الذي جاء به وقال : لولا أنك رسول لضربت عنقك ، وقال بعضهم : قطع يديه ورجليه وضرب عنقه .

ومن توفي في سنة ثنتين وسبعين :

الأحنف بن قيس[٤] ، بن[٥] معاوية بن حصين التميمي السعدي أبو بحر البصري ابن أخي صعصعة بن معاوية ، والأحنف لقب له ، وإنما اسمه الضحاك ، وقيل صخر ، أسلم في حياة النبي ﷺ ولم يره ، وجاء في حديث أن رسول الله ﷺ دعا له[٦] ، وكان سيداً شريفاً مطاعاً مؤمناً ، عليم اللِّسان ، وكان يضرب بحلمه المثل وله أخبار في حلمه سارت بها الركبان .

قال عمر بن الخطاب : هو مؤمن عليم اللسان .

وقال الحسن البصري : ما رأيت شريف قوم أفضل منه .

وقال أحمد بن عبد الله العِجْلي[٧] : هو بصري تابعي ثقة ، وكان سيّد قومه ، وكان أعور ،

---

(١) من قوله : بخراسان . . . إلى هنا ساقط من ط .

(٢) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ـ٨٠ ص ٣٠٠ـ٣٠١) .

(٣) تاريخ الطبري (٦/ ١٧٨) .

(٤) ترجمة ـ الأحنف بن قيس ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٩٣) وتاريخ خليفة (١٦٤ و١٦٥ و٢٦٤) وطبقاته (١٩٥) والكامل للمبرد (١/ ١٤٠ ـ ١٤٣) والشعر والشعراء (٢/ ٥٣٩) وتاريخ الثقات للعجلي (٥٧) وتاريخ البخاري (٢/ ٥٠) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٠ـ٣٢) والاستيعاب (١/ ١٢٦ـ ١٣٤) وتاريخ دمشق (٢٤/ ٢٩٨ ـ ٣٥٦) وقال ابن عساكر : وقيل اسمه الضحاك . وترجمه في حرف الضاد . وأسد الغابة (١/ ٥٥) ووفيات الأعيان (٢/ ٤٩٩) وتهذيب الكمال (٢/ ٢٨٢ ـ ٢٨٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٣٤٥ ـ ٣٥٣) والنجوم الزاهرة (١/ ١٨٤) وتهذيب التهذيب (١/ ١٩١) والإصابة (١/ ١٠٠ ـ ١٠١) وشذرات الذهب (١/ ٧٨) وتهذيب تاريخ دمشق (٧/ ١٣ ـ ٢٧) : الضحاك بن قيس . . .

(٥) في ط : أبو ؛ وما أثبت عن أ ، ب ومصادر الترجمة .

(٦) بقوله ﷺ : « اللهم اغفر للأحنف » رواه أحمد في مسنده (٥/ ٣٧٢) والبخاري في التاريخ (٢/ ٥٠) والحاكم في المستدرك (٣/ ٦١٤) وإسناده ضعيف .

(٧) تاريخ الثقات (٥٧) .

أحنف[١] الرجلين ، ذميماً ، قصيراً ، كوسجاً ، له بيضة واحدة ، احتبسه عمر سنة قدومه يمتحنه ، ثم قال : هذا والله السيد ـ أو قال السؤدد ـ [وقيل : إنه خطب عند عمر فأعجبه منطقه] وقيل ذهبت عينه بالجدري ، وقيل في فتح سمرقند .

وقال يعقوب بن سفيان : كان الأحنف جواداً حليماً ، وكان رجلاً صالحاً . أدرك الجاهلية ثم أسلم ، وذكر للنبي ﷺ فاستغفر له .

وقال محمد بن سعيد : كان ثقة مأموناً قليل الحديث ، وكان كثير الصلاة بالليل ، وكان يسرج المصباح ويصلّي ويبكي حتى الصّباح ، وكان يضع أصبعه في المصباح ويقول : حسَّ يا أحنف ، ما حملك على كذا ؟ ما حملك على كذا ؟ ويقول لنفسه : إذا لم تصبر على المصباح فكيف تصبر على نار جهنم ؟

وقيل له : إن الصيام يضعفك فقال : إني أعده ليوم طويل[٢] .

وقيل له : كيف سودك قومك وأنت أرذلهم خلقة ؟ قال : لو عابَ قومي الماء ما شربته .

[كان الأحنف من أمراء علي يوم صفين[٣] ، وهو الذي صالح أهل بلخ على أربعمئة ألف دينار في كل سنة . وله وقائع مشهودة مشهورة ، وقتل من أهل خراسان خلقاً كثيراً في القتال بينهما ، وانتصر عليهم] .

وكان الأحنف لا يحتد ولا يجهل ، ولا يدفع الحق .

وقال : إن من السؤدد والصبر على الذل وكفى بالحلم ناصراً .

وقال ما نازعني أحد إلا أخذت من أمري إحدى ثلاث : إن كان فوقي عرفت قدره ، وإن كان دوني رفعت نفسي عنه ، وإن كان مثلي تفضلت عليه .

وقال ما ذكرت أحداً بسوءٍ بعد أن يقوم من عندي ، ولا سمعت كلمة تسوؤني إلا طأطأت رأسي لما هو أعظم منها .

وأغلظ له رجل في الكلام ، فلما وصل إلي نادي قومه وقف وقال : إن كان عندك شيء آخر فقل لئلا يسمعك قومي فيؤذوك .

وقيل : إن عبد الملك بن مروان كتب إليه يدعوه لنفسه ويعده بولاية الشام فقال : يدعوني ابن الزرقاء إلى ولاية الشام ، والله وددت أن بيني وبينهم جبلاً من نار .

---

(١) في ط : أحيف ؛ تحريف ، والحنف : الاعوجاج في الرجلين . القاموس (حنف) .

(٢) من قوله : وقيل له . . . إلى هنا ساقط من ط .

(٣) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٣٤٦) .

وكان زياد بن أبيه يقول : قد بلغ الأحنف من السؤدد والشرف ما لا ينفعه معه ولاية ، ولا يضره عزل ، وإنه ليفر من الشر وهو يتبعه[١] .

وقال الحاكم[٢] : وهو الذي افتتح مرو الروذ ، وكان الحسن وابن سيرين في جيشه [وهو الذي افتتح سمرقند وغيرها من البلاد][٣] .

وقيل : إنه مات سنة سبع وستين ، وقيل غير ذلك ، عن سبعين سنة . وقيل عن أكثر من ذلك .

ومن كلامه وقد سئل عن الحلم ما هو ؟ فقال : الذل مع الصبر . وكان إذا تعجب الناس من حلمه يقول : والله إني لأجد ما يجدون ، ولكني صبور .

وقال أيضاً : وجدت الحلم أنصر لي من الرجال وقد انتهى إليه الحلم والسؤدد .

وقال : أحي معروفك بإماتة ذكره ، وقال : عجبت لمن يجري مجرى البول مرتين كيف يتكبر ؟ وقال : ما أتيت باب أحد من هؤلاء إلا أن أُدعى ، ولا دخلت بين اثنين إلا أن يدخلاني بينهما[٤] ، وقيل له : بم سدت قومك ؟ قال : بتركي من الأمر ما لا يعنيني ، كما عناك من أمري ما لا يعنيك . وأغلظ له رجل في الكلام وقال : والله يا أحنف لئن قلت لي واحدة لتسمعن بدلها عشراً ، فقال له : إنك إن قلت لي عشراً لا تسمع مني واحدة .

وكان يقول في دعائه : اللهم إن تعذبني فأنا أهل لذلك ، وإن تغفر لي فأنت أهل لذلك .

وقد كان زياد بن أبيه يقَرِّبُه ويدنيه ، فلما مات زياد ووليَ ابنه عبيد الله لم يرفع به رأسه ، فتأخرت عنده منزلته لقبح منظره ، وصار يقدم عليه من هو دونه[٥] فلما وفد برؤساء أهل العراق على معاوية أدخلهم عليه على مراتبهم عنده ، فكان الأحنف آخر من أدخله عليه ، فلما رآه معاوية أجلَّه وعظمه [وأدناه وأكرمه] وأجلسه معه على الفراش ، ثم أقبل عليه يحادثه دونهم ، ثم شرع الحاضرون في الثناء على ابن زياد والأحنف ساكت ، فقال له معاوية : ما لك لا تتكلم ؟ قال : إن تكلمت خالفتهم ، فقال معاوية : أشهدكم أني قد عزلته عن العراق ، ثم قال لهم : انظروا لكم نائباً ، وأجَّلهم ثلاثة أيام ، فاختلفوا بينهم اختلافاً كثيراً ، ولم يذكر أحد منهم بعد ذلك عبيد الله ، ولا طلبه أحد منهم ، ولم يتكلم الأحنف في ذلك كلمة واحدة مع أحد منهم ، فلما اجتمعوا بعد ثلاث أفاضوا في ذلك الكلام ، وكثر اللغط ،وارتفعت الأصوات والأحنف ساكت ، فقال له معاوية : تكلم ، فقال له : إن كنت تريد أن تولي فيها أحداً من أهل

---

(١) من قوله : وكان الأحنف لا يحتد . . . إلى هنا ساقط من ط .
(٢) الأسامي والكنى ـ خ دار الكتب المصرية (ج١ ق ١٨٤أ) وانظر سير أعلام النبلاء (٤/ ٨٧) .
(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر في تاريخ الإسلام .
(٤) كلام ابن الأحنف هذا في الكامل للمبرد (١/ ٧٥) .
(٥) من قوله : لقبح منظره . . . إلى هنا ساقط من ط .

بيتك فليس فيهم من هو مثل عبيد الله ، فإنه رجل حازم [لا يسد أحد منهم مسدَّه] وإن كنت تريد غيره فأنت أعلم بنوابك ، فرده معاوية إلى الولاية ، ثم قال له بينه وبينه : كيف جهلت مثل الأحنف ؟ إنه هو الذي عزلك وولاك وهو ساكت ، فعظمت منزلة الأحنف بعد ذلك عند ابن زياد جداً .

توفي الأحنف بالكوفة وصلى عليه مصعب بن الزّبير ، ومشى في جنازته .

حكى الواقدي أن الأحنف بن قيس وفد على معاوية بعد أن سلم الحسن الأمر إلى معاوية ورحل بأهله إلى المدينة فقال معاوية للأحنف أنت الشاهر علينا سيفك يوم صفين والمخذل عن عائشة أم المؤمنين فقال : يا معاوية لا توبخنا بما مضى منا ولا ترد الأمور على أدبارها فإن القلوب التي أبغضناك بها بين جوانحنا والسيوف التي قاتلناك بها على عواتقنا في كلام غير ذلك ، فلما خرج قالت أخت معاوية : من هذا الذي يتهدد ؟ قال : هذا الذي إذا غضب غضب لغضبه مئة ألف من تميم لا يدرون فيما غضب . ثم صَلُحت منزلة الأحنف عند معاوية بعد ذلك[1] . وذكر الواقدي أنه قدم على معاوية فوجده غضبان على ابنه يزيد ، وأنه أصلح بينهما بكلام ، قال فبعث معاوية إلى يزيد بمالٍ جزيل وقماش كثير ، فأعطى يزيد نصفه للأحنف ، والله سبحانه أعلم [2] .

البراء بن عازب[3] بن الحارث بن عدي بن مَجْدعة[4] بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن أوس الأنصاري الحارثي الأوسي . صحابي جليل ، وأبوه أيضاً صحابي ، روى عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة ، وحدّث عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم ، وعنه جماعة من التابعين وبعض الصحابة . وقيل إنه مات بالكوفة أيام ولاية مصعب بن الزبير على العراق .

عَبيدة السَّلْماني القاضي[5] وهو عَبيدة بن عمرو ويقال ابن قيس بن عمرو السَّلْماني ، المرادي ، أبو عمرو الكوفي . وسَلْمان بطن من مراد .

---

(١) من قوله : حكى الواقدي . . . إلى هنا ساقط من ط .

(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط .

(٣) ترجمة ـ البراء بن عازب ـ في طبقات ابن سعد (٤/ ٣٦٤ و٦/ ١٧) وطبقات خليفة (٥٢٢) وتاريخ البخاري (٢/ ١١٧) والاستيعاب (١/ ٥٥) وتاريخ بغداد (١/ ١٧٧) وأسد الغابة (١/ ١٧١) وتهذيب الكمال (٤/ ٣٤ ـ ٣٧) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠ / ص٣٦٥ ـ ٣٦٧) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٩٤ ـ ١٩٦) والوافي بالوفيات (١٠/ ١٠٤) وتهذيب التهذيب (١/ ٤٢٥) والإصابة (١/ ١٤٢) وشذرات الذهب (١/ ٣٠٢) .

(٤) هكذا في النسخ وفي كتاب شيخه المزي تهذيب الكمال (٤/ ٣٤) الذي ينقل منه . وفي طبقات ابن سعد وتاريخ الخطيب والاستيعاب وأسد الغابة: «بن عدي بن جشم بن مجدعة»، وكلاهما وهم ، والصواب: «بن عدي بن جشم بن حارثة»، كما في جمهرة ابن حزم (ص٣٤١)، وهو الذي رجحه الحافظ ابن حجر في الإصابة (١/ ١٤٢) (بشار) .

(٥) ترجمة ـ عبيدة السلماني ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ٩٣ ـ ٩٥) وفيه : عبيدة بن قيس ، وتاريخ خليفة (٢٦٨) وطبقاته (١٤٦) وتاريخ البخاري (٦/ ٨٢) والاستيعاب (٢/ ٤٤٤) وتاريخ بغداد (١١/ ١١٧ ـ ١٢٠) وأسد الغابة (٣/ ٣٥٦) وتهذيب الكمال (١٩/ ٢٦٦) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٨٢ ـ ٤٨٣) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٠ ـ ٤٤) والإصابة (٣/ ١٠٢) وتهذيب التهذيب (٧/ ٨٤ ـ ٨٥) والنجوم الزاهرة (١/ ١٨٩) وشذرات الذهب (١/ ٣٠٥) . والسَّلماني : بفتح السين وسكون اللام ، نسبة إلى سلمان بن يشكر . اللباب (١/ ٥٥٢) .

أسلم عبيدة في حياة النبي ﷺ .

وروى عن ابن مسعود وعلي وابن الزبير . وحدّث عنه جماعة من التابعين .

وقال الشعبي : كان يوازي شريحاً في القضاء .

قال ابن نمير : كان شريح إذا أشكل عليه أمر كتب إلى عَبيدة فيه ، وانتهى إلى قوله ، وقد أثنى عليه غير واحد . وكان عَبيدة السلماني أعورَ ، وكان أحد أصحاب ابن مسعود الذين يفتون الناس ، توفي بالكوفة .

وكانت وفاته في هذه السنة ، وقيل سنة ثلاث وقيل أربع وسبعين ، فالله أعلم .

وقد قيل : إن مصعب بن الزبير قتل فيها ، فالله أعلم .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان أيضاً :

عبد الله بن السائب[١] بن صيفي المخزومي قارىء أهل مكة ، له صحبة ورواية ، وقرأ على أبيّ بن كعب ، وقرأ عليه مجاهد وغيره .

عطية بن بُسْر[٢] المازني ، له صحبة ورواية ، توفي بالمدينة .

عَبيد بن نُضَيلة[٣] أبو معاوية الخزاعي ، الكوفي ، مقرىء أهل الكوفة ، مشهور بالخير والعبادة ، توفي بالكوفة في هذه السنة .

عبد الله بن قيس الرقيّات[٤] القرشي العامري أحد الشعراء، مدح مصعب بن الزبير وعبد الله بن جعفر .

---

(١) ترجمة ـ عبد الله بن السائب ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٤٤٥) وطبقات خليفة (١١٠) وتاريخ البخاري (٥/ ٨) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢٤٧) والاستيعاب (٢/ ٣٨٠ ـ ٣٨٢) وأسد الغابة (٣/ ١٧٠) وتهذيب الكمال (١٤/ ٥٥٣) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص١٤٦) وتهذيب التهذيب (٥/ ٢٢٩) والإصابة (٢/ ٣١٤) والوافي بالوفيات (١٧/ ١٨٧ ـ ١٨٨) وقال الذهبي : توفي بعد السبعين ، وهو من صغار الصحابة .

(٢) ترجمة ـ عطية بن بُسْر ـ في تاريخ البخاري (٧/ ١٠) والاستيعاب (٣/ ١٤٥ ـ ١٤٦) وتهذيب الكمال (٢٠/ ١٤٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٨٥) وتهذيب التهذيب (٧/ ٢٢٣) والإصابة (٢/ ٤٨٤) .
وقيده ابن حجر : بُسْر ـ بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة ـ .

(٣) ترجمة ـ عبيد بن نُضيلة ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ١١٧ و٢١١) وتاريخ خليفة (٢٧٣) وتحرف فيه إلى عبيد بن فضلة ، وطبقات خليفة (١٥٠) وتاريخ البخاري (٦/ ٥) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٥٥٦) وتهذيب الكمال (١٩/ ٢٣٩) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٨٠) وتهذيب التهذيب (٧/ ٧٥ ـ ٧٦) .

(٤) ترجمة ـ عبد الله بن قيس الرقيات ـ في الأغاني (٥/ ٧٣ ـ ١٠٠) وديوانه ط فيينا ١٩٠٢م ووفيات الأعيان (٣/ ٨٨ و١٩٦) وخزانة الأدب للبغدادي (٣/ ٢٦٧) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٠٤) والكامل في الأدب للمبرد (١/ ٣٩٩) ت : أبو الفضل إبراهيم .

عبد الله بن هَمّام[١] أبو عبد الرحمن الشاعر السلولي أحد الشعراء الفصحاء مدح يزيد بن معاوية بعد أن كان قد هجاه[٢] بقوله :

شَرِبْنا الغيظ حتى لو سُقينا ... دماءَ بني أميّةَ ما رَوينا
ولو جاؤوا برملةَ أو بهندٍ ... لَبايعنا أميرَ المؤمنينا

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين

فيها كان مقتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه على يدي الحجاج بن يوسف الثقفي المبير قبحه الله وأخزاه .

قال الواقدي[٣] : حدثني مصعب بن ثابت عن نافع مولى بني أسد ـ وكان عالماً بفتنة ابن الزبير ـ قال : حصر ابن الزبير ليلة هلال ذي القعدة[٤] سنة اثنتين وسبعين وقتل لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين ، فكان حصر الحجاج له ثمانية[٥] أشهر وسبع عشرة ليلة .

وقد ذكرنا فيما تقدم أن الحجاج حج بالناس في هذه السنة الخارجة ، وكان في الحج ابن عمر ، وقد كتب عبد الملك إلى الحجاج أن يأتم بابن عمر في المناسك كما ثبت ذلك في الصحيحين[٦] ، فلما استهلت هذه السنة استهلت وأهل الشام محاصرون أهل مكة ، وقد نصب الحجاج المنجنيق على مكة ليحصر أهلها حتى يخرجوا إلى الأمان والطاعة لعبد الملك وكان مع الحجاج خلق قدموا عليه من أرض الحبشة ، فجعلوا يرمون فيصيبوا فقتلوا خلقاً كثيراً ، وكان معه خمسة مجانيق فألح عليها بالرمي من كل وجه ، وحبس عنهم الميرة ، والماء ، فكانوا يشربون من ماء زمزم ، وجعلت الحجارة تقع في الكعبة ، وجعل الحجاج يصيح بأصحابه : يا أهل الشام الله الله في الطاعة ، فكانوا يحملون على ابن الزبير حتى يقال إنهم آخذوه في هذه الشدة[٧] ، فيشد عليهم ابن الزبير وليس معه أحد حتى يخرجهم من باب بني

---

(١) ترجمة ـ عبد الله بن هَمّام ـ في الشعر والشعراء (٢/ ٥٤٥ ـ ٥٤٦) وطبقات الشعراء لابن سلام (٢/ ٦٢٥ ـ ٦٣٧) والأغاني (٣/ ٣٥٧) ط دار الثقافة ، والعقد الفريد (٦/ ١٢٧) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٧٠) والوافي بالوفيات (١٧/ ٦٦٤) وخزانة الأدب (٣/ ٦٣٨) . وقد تحرف في ط إلى : حمام ـ بالحاء ـ .

(٢) من قوله : أحد الشعراء . . . إلى هنا ساقط من ط .

(٣) تاريخ الطبري (٦/ ١٨٧) .

(٤) في ط : ذي الحجة ، وما أثبت يوافق الطبري .

(٥) هذه عبارة الطبري : ثمانية ، وبحساب الشهور نجد أن مدة الحصار ستة شهور وسبع عشرة يوماً والله أعلم .

(٦) انظر صحيح البخاري رقم (١٦٦٠) و(١٦٦٢) في الحج من حديث سالم عن ابن عمر . وتوهم المصنف رحمه الله في نسبته إلى الصحيحين، فليس هو في صحيح مسلم، وقد عده العلامة ابن عبد الحق الإشبيلي من أفراد البخاري، كما في الجمع بين الصحيحين له (٢/ ٢٤٣) (بشار) .

(٧) في أ : حتى يقال قد اشتملوا عليه .

شيبة ، ثم يكرون عليه فيشد عليهم ، فعل ذلك مراراً ، وقتل يومئذ جماعة منهم وهو يقول : خذها وأنا ابن الحواريّ .

وقيل لابن الزبير : ألا تكلمهم في الصلح!! فقال : والله لو وجدوكم في جوف الكعبة لذبحوكم جميعاً والله لا أسألهم صلحاً أبداً . وذكر غير واحد أنهم لما رموا بالمنجنيق جاءت الصواعق والبروق والرعود حتى جعلت تعلو أصواتها على صوت المنجنيق ، ونزلت صاعقة فأصابت من الشاميين اثني عشر رجلاً فضعفت عند ذلك قلوبهم عن المحاصرة ، فلم يزل الحجاج يشجعهم ويقول : إني خبير بهذه البلاد ، هذه بروق تهامة ورعودها وصواعقها ، وإن القوم يصيبهم مثل الذي يصيبكم ، وجاءت صاعقة من الغد فقتلت من أصحاب ابن الزبير جماعة كثيرة أيضاً ، فجعل الحجاج يقول : ألم أقل لكم إنهم يصابون مثلكم وأنتم على الطاعة وهم على المخالفة ، وكان أهل الشام يرتجزون وهم يرمون بالمنجنيق ويقولون :

خطارة مثل الفنيق المزبد نرمي بها أعوَادَ هذا المسجد[١]

فنزلت صاعقة على المنجنيق فأحرقته ، فتوقف أهل الشام عن الرمي والمحاصرة فخطبهم الحجاج فقال : ويحكم ألم تعلموا أن النار كانت تنزل على من كان قبلنا فتأكل قربانهم إذا تقبل منهم ؟ [فلولا أن عملكم مقبول ما نزلت النار فأكلته] فعادوا إلى المحاصرة .

وما زال أهل مكة يخرجون إلى الحجاج بالأمان ويتفلّلون عن[٢] ابن الزبير حتى خرج إليه قريب من عشرة آلاف ، فأمنهم وقلّ من كان مع ابن الزّبير ، حتى خرج إلى الحجاج حمزة وخبيب ابنا عبد الله بن الزبير ، فأخذا لأنفسهما أماناً من الحجاج فأمنهما ، ودخل عبد الله بن الزبير على أمه فشكا إليها خذلان الناس له ، وخروجهم إلى الحجاج حتى أولاده وأهله ، وأنه لم يبق معه إلا اليسير ، ولم يبق لهم صبر ساعة ، والقوم يعطونني ما شئت من الدنيا ، فما رأيك ؟ فقالت : يا بني أنت أعلم بنفسك إن كنت تعلم أنك على حق وتدعو إلى حق فاصبر عليه فقد قتل عليه أصحابك ، ولا تمكن من رقبتك يلعب بها غلمان بني أمية ، وإن كنت تعلم أنك إنما أردت الدنيا فلبئس العبد أنت ، أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك ، وإن كنت على حق فما وهن الدين وإلى كم خلودك في الدنيا ؟ القتل أحسن . فدنا منها فقبل رأسها وقال : [هذا والله رأيي ، ثم قال] والله ما ركنت إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها ، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله أن تستحل حرمته ، ولكني أحببت أن أعلم رأيك فزدتيني بصيرة مع بصيرتي ، فانظري يا أماه فإني مقتول في يومي هذا فلا يشتد حزنك ، وسلّمي لأمر الله ، فإن ابنك لم يتعمد إتيان منكر ، ولا عمل بفاحشة قط ، ولم يجُر في حكم الله ، ولم يغدر في أمان ، ولم يتعمد ظلم مسلم

(١) في الأخبار الطوال (ص٣١٥) .
خطارة مثل الفنيق الملبد نرمي بها عوّاذ أهل المسجد

(٢) في ط : ويتركون .

ولا معاهد ، ولم يبلغني ظلم عن عامل فرضيت به بل أنكرته ، ولم يكن عندي آثر من رضى ربي عزَّ وجلَّ ، اللهم إني لا أقول هذا تزكية لنفسي ، اللهم أنت أعلم بي [مني ومن غيري] ولكني أقول ذلك تعزية لأمي لتسلو عني ، فقالت أمه : إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسناً ، إن تقدمتني أو تقدمتك ، ففي نفسي ، اخرج يا بني حتى أنظر ما يصير إليه أمرك ، فقال : جزاك الله يا أمه خيراً فلا تدعي الدعاء قبل وبعدُ . فقالت : لا أدعه أبداً لمن قتل على باطل فلقد قتلت على حق ، ثم قالت : اللهم ارحم طول ذلك القيام وذلك النحيب والظمأ في هواجر المدينة ومكة ، وبره بأبيه وبي ، اللهم إني قد سلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت فقابِلني في عبد الله بن الزبير بثواب الصابرين الشاكرين . ثم قالت له : ادن مني أودعك فدنا منها فقبلته[١] ، ثم أخذته إليها فاحتضنته لتودعه واعتنقها ليودعها ـ وكانت قد أضرت في آخر عمرها ـ فوجدته لابساً درعاً من حديد فقالت : يا بني ما هذا لباس من يريد ما تريد من الشهادة !! فقال : يا أماه إنما لبسته لأطيب خاطرك وأسكن قلبك به ، فقالت : لا يا بني ولكن انزعه فنزعه وجعل يلبس بقية ثيابه ويتشدد وهي تقول : شمر ثيابك ، وجعل يتحفظ من أسفل ثيابه لئلا تبدو عورته إذا قتل ، وجعلت تذكِّره بأبيه الزبير ، وجده أبي بكر الصديق ، وجدته صفية بنت عبد المطلب ، [وخالته عائشة زوج رسول الله ﷺ] وترجِّيه القدوم عليهم إذا هو قتل شهيداً ، ثم خرج من عندها فكان ذلك آخر عهده بها رضي الله عنهما وعن أبيه وأبيها .

قالت له : امض على بصيرتك ؛ فودعها وخرج وهو يقول :

ولســت بمُبتــاع الحيــاة بسُبَّــةٍ ... ولا مرتقٍ من خشية الموت سُلَّما[٢]

قالوا : وكان يخرج من باب المسجد الحرام وهناك خمسمئة فارس وراجل فيحمل عليهم فيتفرقون عنه يميناً وشمالاً ، ولا يثبت له أحد وهو يقول :

إنـي إذا أعـرفُ يـومـي أصبرُ ... إذْ بعضهمْ يعرِف ثم ينكرُ[٣]

وكانت أبواب الحرم قد قل من يحرسها من أصحاب ابن الزبير ، وكان لأهل حمص حصار الباب الذي يواجه باب الكعبة ، ولأهل دمشق باب بني شيبة ، ولأهل الأردن باب الصفا ، ولأهل فلسطين باب

---

(١) من قوله : ثم قالت . . إلى هنا ساقط من ط . والخبر بتمامه في تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٨/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧) ط : دار الفكر .

(٢) من قوله : ثم قالت له . . إلى هنا ساقط من ط ، والخبر بأطول مما هنا في تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٣٢) .

(٣) في الطبري (٦/ ١٩٠) :

إنـي إذا أعـرف يـومـي أصبـر ... وإنمـا يعـرف يـوميـه الحـر

إذ بعضهم يعرف ثم ينكر

والخبر بتمامه في تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٣٥) .

بني جمح ، ولأهل قنسرين باب بني سهم[1] ، [وعلى كل باب قائد ومعه أهل تلك البلاد] وكان الحجاج وطارق بن عمرو في ناحية الأبطح ، وكان ابن الزبير لا يخرج على أهل باب إلا فرّقهم وبدَّدَ شملهم ، وهو غير ملبس حتى يخرجهم إلى الأبطح ثم يصيح :

لو كان قرني واحداً لكفيته

فيقول ابن صفوان وأهل الشام أيضاً ، إي والله وألف رجل ، ولقد كان حجر المنجنيق يقع على طرف ثوبه فلا ينزعج لذلك ، ثم يخرج إليهم فيقاتلهم كأنه أسد ضاري ، حتى جعل الناس يتعجبون من إقدامه وشجاعته ، فلما كان ليلة الثلاثاء السابع عشر من جمادى الأولى من هذه السنة بات ابن الزبير يصلي طول ليلته ثم جلس فاحتبى بحميلة سيفه فأغفى ثم انتبه مع الفجر على عادته ، ثم قال : أذّن يا سعد ، فأذّن عند المقام ، وتوضّأ ابن الزبير ثم صلّى ركعتي الفجر ، ثم أقيمت الصلاة فصلى الفجر ، ثم قرأ سورة ن حرفاً حرفاً ، ثم سلَّم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اكشفوا وجوهكم حتى أنظر وعليهم المغافر فكشفوا عن وجوههم ، فحرضهم وحثهم على القتال والصبر ، ثم نهض فحمل وحملوا حتى كشفوهم إلى الحجون فجاءته آجرة فأصابته في وجهه فأرعش لها ، فلما وجد سخونة الدم يسيل على وجهه تمثل بقول بعضهم :

فلسنا على الأعقاب تَدْمى كُلُومُنا ولكن على أقدامِنا تَقْطُرُ الدّما

ثم سقط إلى الأرض فأسرعوا إليه فقتلوه[2] رضي الله عنه ، وجاؤوا إلى الحجّاج فأخبروه فخر ساجداً قبّحه الله وقام هو وطارق بن عمرو حتى وقفا عليه وهو صريع ، فقال طارق : ما ولدت النساء أذكر من هذا ، فقال الحجاج : تمدح من يخالف طاعة أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ! هو أعذر لأنا محاصروه وليس هو في حصن ولا خندق ولا منعة ينتصف منا ، بل يفضل علينا في كل موقف ، فلما بلغ ذلك عبد الملك فصوب[3] طارقاً .

وروى ابن عساكر[4] في ترجمة الحجّاج أنه لما قتل ابن الزّبير ارتجت مكة بكاءً على عبد الله بن الزبير رحمه الله ، فخطب الحجّاج الناس فقال : أيها الناس ! إن عبد الله بن الزّبير كان من خيار هذه الأمة حتى رغب في الخلافة ونازعها أهلها وألحد في الحرم فأذاقه الله من عذابه الأليم ، وإن آدم كان أكرم على الله من ابن الزّبير ، وأنه كان في الجنة ، وهي أشرف من مكة ، فلما خالف أمر الله وأكل من الشجرة التي نهي عنها أخرجه الله من الجنة ، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .

[وقيل إنه قال : يا أهل مكة إكباركم واستعظامكم قتل ابن الزبير ، فإن ابن الزبير كان من خيار هذه

---

(١) في الكامل لابن الأثير (٤/ ٣٥٥) بني تميم .
(٢) في الكامل لابن الأثير (٤/ ٣٥٦) : وتولى قتله رجل من مراد .
(٣) في الأصول : فضرب طارقاً ، وما هنا عن الطبري (٦/ ١٩١) وابن الأثير (٤/ ٣٥٦) .
(٤) تاريخ دمشق (١٢/ ١٢٠ ـ ١٢١) ط دار الفكر .

الأمة حتى رغب في الدنيا ونازع الخلافة أهلها ، فخلع طاعة الله وألحد في حرم الله ، ولو كانت مكة شيئاً يمنع القضاء لمنعت آدم حرمة الجنة وقد خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته . وعلمه أسماء كل شيء ، فلما عصاه أخرجه من الجنة وأهبطه إلى الأرض ، وآدم أكرم على الله من ابن الزبير ، وإن ابن الزبير غيّر كتاب الله . فقال له عبد الله بن عمر : لو شئت أن أقول لك كذبت لقلت ، والله إن ابن الزبير لم يغير كتاب الله ، بل كان قواماً به صواماً ، عاملاً بالحق] .

ثم كتب الحجاج إلى عبد الملك بما وقع من قتل عبد الله بن الزبير وبعث برأسه مع رأس عبد الله بن صفوان وعمارة بن عمرو بن حزم إلى عبد الملك ، وأمرهم إذا مروا بالمدينة أن ينصبوا الرؤوس بها ، ثم يسيروا بها إلى الشام ، ففعلوا ما أمرهم به ، وأرسل بالرؤوس مع رجل من الأزد فأعطاه عبد الملك خمسمئة دينار ، ثم دعا بمقراض فأخذ من ناصيته ونواصي أولاده فرحاً بمقتل ابن الزبير ، عليهم من الله ما يستحقون . ثم أمر الحجاج بجثة ابن الزبير فصلبت على ثنية كدا عند الحجون ، يقال منكسة ، فما زالت مصلوبة ، حتى مر به عبد الله بن عمر فقال : رحمة الله عليك يا أبا خبيب ، أما والله لقد كنت صوّاماً قوّاماً ، ثم قال : أما آن لهذا الراكب أن ينزل ؟ فبعث الحجاج فأنزل عن الجذع ودفن هناك . ودخل الحجاج إلى مكة فأخذ البيعة من أهلها إلى عبد الملك بن مروان ، ولم يزل الحجاج مقيماً بمكة حتى أقام للناس الحج عامه هذا أيضاً وهو على مكة واليمامة واليمن .

وهذه ترجمة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير[(١)]

هو عبد الله بن الزبير بن العوَّام بن خُويلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قصيٍّ بن كلاب ، أبو بكر ، ويقال له أبو خبيب القرشي الأسدي ، أول مولود ولد بعد الهجرة بالمدينة من المهاجرين ، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ذات النطاقين ، هاجرت وهي حامل به متِمٌّ ، فولدته بقباء أول مقدمهم المدينة ، وقيل : إنما ولدته في شوال سنة ثنتين من الهجرة ، قاله الواقدي ومصعب الزبيري وغيرهما ، والأول أصح لما رواه أحمد[(٢)] عن أبي أسامة ، عن هشام ، عن أبيه ، عن أسماء أنها حملت بعبد الله بمكة قالت : فخرجت به وأنا متم فأتيت المدينة فنزلت بقباء فولدتُه ، ثم أتيت به رسول الله ﷺ فوضعه في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه ، فكان أول ما دخل في جوفه ريق

(١) ترجمة ـ عبد الله بن الزبير ـ في نسب قريش (٢٣٧) وتاريخ البخاري (٥/ ٦) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢٤٣) والجرح والتعديل (٥/ ٥٦) والاستيعاب (٢/ ٣٠٠) وتاريخ دمشق (٢٨/ ١٤٠ ـ ٢٥٧) وأسد الغابة (٣/ ٢٤٢) ووفيات الأعيان (٣/ ٧١) وتهذيب الكمال (١٤/ ٥٠٨ ـ ٥١١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٣٥ ـ ٤٤٧) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٦٣) وحلية الأولياء (١/ ٣٢٩ ـ ٣٤٧) والوافي بالوفيات (١٧/ ١٧٢ ـ ١٧٨) وتهذيب التهذيب (٥/ ٢١٣ ـ ٢١٥) وشذرات الذهب (١/ ٣٠٧) .

(٢) مسند الإمام أحمد (٦/ ٣٤٧) ورواه البخاري رقم (٣٩٠٩) ومسلم رقم (٢١٤٦) .

رسول الله ﷺ ، قالت : ثم حنكه ثم دعا له وبرَّك عليه ، فكان أول مولود ولد في الإسلام .

فهو صحابي جليل ، روى عن النبي ﷺ أحاديث ، وروى عن أبيه وعمر وعثمان وغيرهم . وعنه جماعة من التابعين ، وشهد اليرموك مع أبيه وهو صغير ، وحضر خطبة عمر بالجابية ، ورواها عنه بطولها . [ثبت ذلك من غير وجه] . وقدم دمشق لغزو القسطنطينية ، ثم قدمها مرة أخرى ، وبويع بالخلافة أيام يزيد بن معاوية ولما مات يزيد ، وغلب على الحجاز واليمن والعراقين ومصر وخراسان ولم يبق إلا الشام[١] ، وتمت البيعة له سنة أربع وستين وكان فارس الناس[٢] في زمانه .

وثبت من غير وجه عن هشام عن أبيه عن أسماء أنها خرجت بعبد الله من مكة مهاجرة وهي حبلى به فولدته بقباء أول مقدمهم المدينة ، فأتت به رسول الله ﷺ فحنكه وسماه عبد الله ودعا له ، وفرح المسلمون به لأنه كانت اليهود قد زعموا أنهم قد سحروا المهاجرين فلا يولد لهم في المدينة ، فلما ولد [ابن الزبير] كبّر المسلمون ، وقد سمع عبد الله بن عمر جيش الشام حين كبروا عند مقتله ، فقال : أما والله للذين كبّروا عند مولده خير من هؤلاء الذين كبّروا عند مقتله . وأذَّن الصدِّيق في أذنه حين ولد رضي الله عنهما ، ومن قال إن الصديق طاف به حول الكعبة وهو في خرقة فهو واهم ، والله أعلم .

وإنما طاف الصدّيق به في المدينة ليشتهر أمر ميلاده على خلاف ما زعمت اليهود .

وقال مصعب الزبيري : كان عارضا عبد الله خفيفين ، وما اتصلت لحيته حتى بلغ ستين سنة[٣] . وقال الزبير بن بكار : حدَّثني علي بن صالح ، عن عامر بن صالح ، عن سالم بن عبد الله بن عروة ، عن أبيه أن رسول الله ﷺ كلم في غلمة ترعرعوا منهم عبد الله بن جعفر ، وعبد الله بن الزبير ، وعمر بن أبي سلمة ، فقيل يا رسول الله لو بايعتهم فتصيبهم بركتك ويكون لهم ذكر ، فأُتي بهم إليه فكأنهم تكعكعوا واقتحم عبد الله بن الزُّبير ، فتبسم رسول الله ﷺ وقال : « إنه ابن أبيه » وبايعه[٤] .

وقد رُوي من غير وجه أن عبد الله بن الزبير شرب من دم النبي ﷺ ، كان النبي ﷺ قد احتجم في طست فأعطاه عبد الله بن الزبير ليريقه [فشربه فقال له : « لا تمسك النار إلا تحلّة القسم ، وويل لك من الناس وويل للناس منك » .

وفي رواية أنه قال له : « يا عبد الله اذهب بهذا الدم فأهريقه حيث لايراك أحد ، فلما بعُد عمد إلى ذلك الدم فشربه ، فلما رجع قال : ما صنعت بالدم ؟ قال : عدت إلى أخفى موضع علمت فجعلته فيه .

---

(١) في ط : وسائر بلاد الشام إلا دمشق .
(٢) في ط : وكان الناس بخير في زمانه .
(٣) تاريخ دمشق (٢٨/ ١٦٠) .
(٤) الحديث أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٢٨/ ١٦١ ـ ١٦٢) .

قال : « فلعلك شربته ! »[١] قال : نعم قال : « لا تمسك النار إلا تحلّة القسم ، وويل لك من الناس وويل للناس منك »[٢] .

وقال محمد بن سعد[٣] : أبنا مسلم بن إبراهيم ، حدّثنا الحارث بن عبيد ، حدّثنا أبو عمران الجوني ؛ أن نوفاً كان يقول : إني لأجد في كتاب الله المنزل أن ابن الزبير فارس الخلفاء .

وقال حماد بن زيد ، عن ثابت البناني قال : كنت أمر بعبد الله بن الزبير وهو يصلي خلف المقام كأنه خشبة منصوبة لا يتحرك .

وقال الأعمش ، عن يحيى بن وثّاب : كان ابن الزبير إذا سجد وقعت العصافير على ظهره تصعد وتنزل لا تراه إلا جذم حائط[٤] .

وقال غيره : كان ابن الزبير يقوم ليله حتى يصبح ، ويركع ليله حتى يصبح ، ويسجد ليله حتى يصبح .

وقال بعضهم : ركع ابن الزبير يوماً فقرأت البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وما رفع رأسه .

وقال عبد الرزاق ، عن ابن جريج ، عن عطاء : كنت إذا رأيت ابن الزبير يصلي كأنه كعب راتب ، وفي رواية ثابت[٥] .

وقال أحمد : تعلم عبد الرزاق الصلاة من ابن جريج ، وابن جريج من عطاء ، وعطاء من ابن الزبير ، وابن الزبير من الصديق ، والصديق من رسول الله ﷺ .

وقال الحميدي ، عن سفيان بن عيينة ، عن هشام بن عروة ، عن ابن المنكدر قال : لو رأيتَ ابن الزبير يصلي كأنه غصن شجرة يصفقها الريح ، والمنجنيق يقع هاهنا وهاهنا . قال سفيان : كأنه لا يبالي به [ولا يعده شيئاً] .

وحكى بعضهم لعمر بن عبد العزيز أن حجر المنجنيق وقع على شرفة المسجد فطارت فلقة منه فمرت بين لحية ابن الزبير وحلقه ، فما زال عن مقامه ولا عرف ذلك في صورته ، فقال عمر بن عبد العزيز : لا إله إلا الله ، جاء ما وصفت[٦] .

---

(١) في ط : قال : إني شربته لأزداد به علماً ، وليكون شيء من جسد رسول الله ﷺ في جسدي ، وجسدي أولى به من الأرض ، فقال : « أبشر لا تمسك النار أبداً ، ويل لك من الناس وويل للناس منك » .

(٢) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٨/ ٢٧٠) وقال : رواه الطبراني والبزار باختصار ، ورجال البزار ، رجال الصحيح غير هنيد بن القاسم ، وهو ثقة . نقول : وللحديث شواهد بمعناه .

(٣) الطبقات الكبرى (٢/ ٤١) الطبقة الخامسة من الصحابة .

(٤) تاريخ دمشق (٢٨/ ١٧١) .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) تاريخ دمشق (٢٨/ ١٧٢ ـ ١٧٣) .

وقال عمر بن عبد العزيز يوماً لابن أبي مليكة : صف لنا عبد الله بن الزبير ، فقال : والله ما رأيت جِلداً قط ركب على لحم ولا لحماً على عصب ولا عصباً على عظم مثله ، ولا رأيت نفساً ركبت بين جنبين مثل نفسه ، ولقد مرت آجرة من رمي المنجنيق بين لحيته وصدره فو الله ما خشع ولا قطع لها قراءته ، ولا ركع دون ما كان يركع ، وكان إذا دخل في الصلاة خرج من كل شيء إليها . ولقد كان يركع فيَكاد الرَّخَم أن يقع على ظهره ويسجد فكأنه ثوب مطروح[١] .

وقال أبو القاسم البغوي : عن علي بن الجَعْد ، عن شعبة ، عن منصور بن زاذان قال : أخبرني من رأى ابن الزبير يشرب في صلاته ، وكان ابن الزبير من المصلين[٢] .

[وسئل ابن عباس عن ابن الزبير فقال : كان قارئاً لكتاب الله ، متبعاً لسنة رسول الله ، قانتاً لله صائماً في الهواجر من مخافة الله ، ابن حواريّ رسول الله ، وأمه بنت الصديق ، وخالته عائشة حبيبة حبيب الله ، زوجة رسول الله ، فلا يجهل حقه إلا من أعماه الله][٣] .

ورُوي أن ابن الزبير[٤] كان يوماً يصلي فسقطت حية من السقف فطوقت على بطن ابنه هاشم فصرخ النسوة وانزعج أهل المنزل واجتمعوا على قتل تلك الحية فقتلوها ، وسلم الولد ، فعلوا هذا كله وابن الزبير في الصلاة لم يلتفت ولا درى بما جرى حتى سلم .

وقال الزبير بن بكار : حدَّثني محمد بن الضحاك الخزامي وعبد الملك بن عبد العزيز ومن لا أحصي كثرة من أصحابنا أن ابن الزبير كان يواصل الصوم سبعاً ، يصوم يوم الجمعة ولا يفطر إلا ليلة الجمعة الأخرى ، ويصوم بالمدينة ولا يفطر إلا بمكة ، ويصوم بمكة فلا يفطر إلا بالمدينة ، وكان إذا أفطر أول ما يفطر على لبن لقحة وسمن وصبر ، وفي رواية أخرى فأما اللبن فيعصمه ، وأما السمن فيقطع عنه العطش ، وأما الصبر فيفتق الأمعاء[٥] .

وقال ابن معين : عن روح ، عن حبيب بن الشهيد ، عن ابن أبي مليكة قال : كان ابن الزبير يواصل سبعة أيام ويصبح في الثامن وهو ألْيَثُنا . ورُوي مثله من غير وجه .

وقال بعضهم : لم يكن يأكل في شهر رمضان سوى مرة واحدة في وسطه .

---

(١) تاريخ دمشق (٢٨/ ١٧٢ ـ ١٧٣) .
(٢) تاريخ دمشق (٢٨/ ١٧٤) .
(٣) المصدر نفسه (٢٨/ ١٦٦) .
(٤) تاريخ دمشق (٢٨/ ١٧٤) .
(٥) تاريخ دمشق (٢٨/ ١٧٦) .

وقال خالد بن أبي عمران : كان ابن الزبير لا يفطر من الشهر إلا ثلاثة أيام . ومكث أربعين سنة لم ينزع ثوبه عن ظهره[١] .

وقال ليث عن مجاهد : لم يكن أحد يطيق ما يطيقه ابن الزبير من العبادة رضي الله عنه[٢] .

ولقد جاء سيلٌ مرة فطبق البيت فجعل ابن الزبير يطوف سباحة[٣] .

وقال بعضهم : كان ابن الزبير لا ينازع في ثلاث ، في العبادة والشجاعة والفصاحة .

وقد ثبت أن عثمان جعله في النفر الذين نسخوا المصاحف مع زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام .

وذكره سعيد بن المسيب في خطباء الإسلام مع معاوية وابنه وسعيد بن العاص وابنه .

وقال عبد الواحد بن أيمن : رأيت على ابن الزبير رداءً يمانياً عدَنياً يصلي فيه ، وكان صيتاً إذا خطب تجاوب الجبلان أبو قبيس وزرزوراء .

وكان آدمَ نحيفاً ليس بالطويل ، وكان بين عينيه أثر السجود ، كثير العبادة مجتهداً شهماً فصيحاً صوّاماً قوّاماً ، شديد البأس ذا أنفة له نفس شريفة وهمة عالية ، وكان خفيف اللحية ليس في وجهه من الشعر إلا قليلاً . وكانت له جمة وكان له لحية صفراء .

وقد ذكرنا أنه شهد مع ابن أبي سرح قتال البربر وكانوا في عشرين ومئة ألف ، والمسلمون عشرون ألفاً ، فأحاطوا بهم من كل جانب ، فما زال عبد الله بن الزبير يحتال حتى ركب في ثلاثين فارساً ، وسار نحو ملك البربر وهو منفرد وراء الجيش ، وجواريه يظللنه بريش النعام ، فساق حتى انتهى إليه والناس يظنون أنه ذاهب برسالة إلى الملك ، فلما فهمه الملك ولى مدبراً فلحقه عبد الله فقتله واحتز رأسه وجعله في رأس رمح وكبّر وكبّر المسلمون ، وحملوا على البربر فانهزمت البربر بين أيديهم فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وغنموا أموالاً وغنائم كثيرة جداً ، وبعث ابن أبي سرح بالبشارة مع ابن الزبير فقص على عثمان الخبر وكيف جرى ، فقال له عثمان : أتستطيع أن تؤدي هذا للناس فوق المنبر ؟ قال : نعم ! فأمره فصعد فوق

---

(١) قال الشيخ عبد القادر بدران رحمه الله عند إيراده هذا الخبر في تهذيب تاريخ ابن عساكر (٧/ ٤٠٥) أقول : في هذه الرواية نظر واضح ، لأنه إذا سلّمنا أنه لم ينزع ثوبه أربعين سنة ، أليس يبلى الثوب في هذه المدة الطويلة ! أليست تصيبه الجنابة فيحتاج إلى نزعه لأجل الغسل ، ويالله ما أكثر المبالغات في مثل هذه الأقاصيص من غير أن يزنها أربابها بميزان العقل ، وإننا كثيراً ما ننقل مثل هذا في هذا الكتاب مراعاة لرواية الحافظ ، ولكننا نطلقه لذي عقل سليم ، وطبع مستقيم ليزنه بميزان العقل فيتركه أو يتساهل فيه كما تساهلنا وهذه الأشياء أكثر ما تكون في كتب المناقب ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

(٢) الخبر في سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٧٠) .

(٣) تاريخ دمشق (٢٨/ ١٧٨) .

المنبر فخطب الناس وذكر لهم كيفية ما جرى ، قال [عبد الله] : فالتفتُّ فإذا [أبي] الزبير في جملة من حضر ، فلما تبينت وجهه كاد أن يرتج عليّ في الكلام من هيبته في قلبي ، فرمزني بعينه وأشار إليّ ليحضَّني ، فمضيت في الخطبة كما كنت ، فلما نزلت قال : والله لكأني أسمع خطبة أبي بكر الصديق حين سمعت خطبتك يا بني[١] .

وقال أحمد بن أبي الحواري : سمعت أبا سليمان الداراني يقول : خرج ابن الزبير في ليلة مقمرة على راحلة له ، فنزل في تبوك فالتفت فإذا على الراحلة شيخ أبيض الرأس واللحية فشد عليه ابن الزبير فتنحى عنها فركب ابن الزبير راحلته ومضى ، قال : فناداه : والله يا ابن الزبير لو دخل قلبك الليلة مني شعرة لخبلتك ، قال : ومنك أنت يا لعين يدخل قلبي شيء ؟ وقد روي لهذه الحكاية شواهد من وجوه أخرى جيدة .

وروى عبد الله بن المبارك : عن إسحاق بن يحيى ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير ، قال : أقبل عبد الله بن الزبير من العمرة في ركب من قريش فلما كانوا عند الناصب[٢] أبصروا رجلاً عند شجرة ، فتقدمهم ابن الزبير ، فلما انتهى إليه سلم عليه فلم يعبأ به ورد رداً ضعيفاً ، ونزل ابن الزبير فلم يتحرك له الرجل ، فقال له ابن الزبير : تنح عن الظل ، فانحاز متكارهاً ، قال ابن الزبير : فجلست وأخذت بيده وقلت : من أنت ؟ فقال : رجل من الجن ، فما عدا أن قالها حتى قامت كل شعرة مني فاجتذبته وقلت : أنت رجل من الجن وتبدو إليّ هكذا ؟ وإذا له لبس سفلة وانكسر ونهرته وقلت : إليّ تتبدَّا وأنت من أهل الأرض ، فذهب هارباً وجاء أصحابي فقالوا : أين الرجل الذي كان عندك ؟ فقلت : إنه كان من الجن فهرب . قال : فما منهم رجل إلا سقط إلى الأرض عن راحلته ، فأخذت كل رجل منهم فشددته على راحلته حتى أتيت بهم أمَج[٣] وما يعقلون .

وقال سفيان بن عيينة قال ابن الزبير : دخلت المسجد ذات ليلة فإذا نسوة يطفن بالبيت فأعجبنني ، فلما قضين طوافهن خرجن فخرجت في أثرهن لأعلم أين منزلهن ، فخرجن من مكة حتى أتين العقبة ثم انحدرن حتى أتين فجاً ، فدخلن في خربة فدخلت في أثرهن . فإذ مشيخة جلوس فقالوا : ما جاء بك يا بن الزبير ؟ فقلت لهم من أنتم ؟ قالوا الجن وتلك النسوة نساؤنا فما تشتهي يا بن الزبير ، فقلت : أشتهي رطباً ، وما بمكة يومئذ من رطبة ، فأتوني برطب فأكلت ثم قالوا : احمل ما بقي معك ، فجئت به المنزل فوضعته في سفط وجعلت السفط في صندوق ، ثم وضعت رأسي لأنام ، فبينما أنا بين النائم واليقظان إذ سمعت جلبة في البيت ، فقال بعضهم لبعض أين وضعه ؟ قالوا : في الصندوق ، ففتحوه فإذا هو في

(١) تاريخ دمشق (٢٨/ ١٨١ ـ ١٨٢) .
(٢) الناصب : أجبل متحاذيات في ديار بني بكر أو بني أسد بنجد ، بينها وبين أضاخ أربعة أميال . معجم البلدان (٥/ ٤٤٩) .
(٣) أمج ـ بالجيم ، وفتح أوله وثانيه ـ بلد من أعراض المدينة . معجم البلدان (١/ ٢١٥) .

السفط داخله ، فهمّوا بفتحه فقال بعضهم : إنه ذكر اسم الله عليه ، فأخذوا السفط بما فيه فذهبوا به ، قال : فلم آسف على شيء أسفي كيف لم أثب عليهم وهم في البيت[١] .

وقد كان عبد الله بن الزبير ممن جاحَف عن عثمان يوم الدار ، وجُرح يومئذ بضع عشرة جِراحة .

وكان على الرجالة يوم الجمل وجُرح يومئذ تسع عشرة جراحة أيضاً ، وقد تبارز يومئذ هو ومالك بن الحارث بن الأشتر ، فاتحدا فصرع الأشتر ابن الزبير فلم يتمكن من القيام عنه ، بل احتضنه ابن الزبير وجعل ينادي ويقول : اقتلوني ومالكاً ، واقتلوا مالكاً معي ، فأرسلها مثلاً . ثم تفرقا ولم يقدر عليه الأشتر ، وقد قيل إنه جرح يومئذ بضع وأربعون جراحة ، ولم يوجد إلا بين القتلى وبه رمق ، وقد أعطت عائشة لمن بشرها أنه لم يقتل عشرة آلاف درهم وسجدت لله شكراً[٢] ، وكانت تحبه حباً شديداً ، لأنه ابن أختها ، وكان عزيزاً عليها . وقد رُوي عن عروة : أن عائشة لم تكن تحب أحداً بعد رسول الله ﷺ وأبي بكر مثل حبها ابن الزبير ، قال : وما رأيت أبي وعائشة يدعوان لأحد من الخلق مثل دعائهما لابن الزبير[٣] .

وقال الزبير بن بكار : حدَّثني هارون بن أبي بكر ، عن يحيى بن إبراهيم ، عن سليمان بن محمد ، عن يحيى بن عروة ، عن عمه ، عن عبد الله بن عروة قال : أفحمت ألسنة نابغة بني جعدة فدخل على عبد الله بن الزبير المسجد الحرام فأنشد هذه الأبيات :

حكيتَ لنا الصديقَ لما وليتنا[٤] ... وعثمانَ والفاروق فارتاح معدمُ
وسويت بين الناس في الحق فاستووا ... فعاد صباحاً حالكُ اللونِ مظلم[٥]
أتاك أبو ليلى يجوب به الدجا ... دجى الليل جواب الفلاة عثمثم[٦]
لتجيرَ منه جائياً ذعذعت به ... صروفُ الليالي والزمانُ المصمم[٧]

فقال له ابن الزبير : هون عليك أبا ليلى ، فإن الشعر أهون وسائلك عندنا ، أما صفوة ما لنا فلآل الزبير ، وأما عفوه ، فإن بني أسد يشغلها عنك وتيماً ، ولكن لك في مال الله حقان ، حق لرؤيتك لرسول الله ﷺ ، وحق لشركتك أهل الإسلام في فيئهم ، ثم أخذ بيده فأدخله دار النعم فأعطاه قلائص سبعاً ، وجملاً ، وخيلاً ، وأوقر له الركاب بُراً وتمراً وثياباً ، فجعل النابغة يستعجل ويأكل الحب صرفاً ، فقال له ابن الزبير : ويح أبي ليلى ، لقد بلغ الجهد . فقال النابغة : أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول :

---

(١) الأخبار الثلاثة السابقة في تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٨/ ١٨٣ ـ ١٨٦) .
(٢) تاريخ دمشق (٢٨/ ١٨٨) .
(٣) تاريخ دمشق (٢٨/ ١٨٩) .
(٤) في ط : وليتها .
(٥) في تهذيب ابن عساكر : أسحم .
(٦) في ط : غشمشم . والعثمثم : الجمل القوي .
(٧) الأبيات في تاريخ دمشق (٢٨/ ١٩١) وتهذيبه (٧/ ٤٠٦) . وذعذعت به أي أذهبت ماله وفرقته .

« ما وليت قريش وعدلت ، واسترحمت فرحمت ، وحدثت فصدقت ، ووعدت خيراً فأنجزت ، فأنا والنبيون فُرَّاط القاصفين »[١] .

وقال محمد بن مروان صاحب كتاب « المجالسة »[٢] : أخبرني حبيب بن نَصْر[٣] الأزدي حدَّثنا محمد بن دينار الضبي ، حدَّثنا هشام بن سليمان المخزومي ، عن أبيه قال : أذن معاوية للناس يوماً فدخلوا عليه فاحتفل المجلس وهو على سريره ، فأجال بصره فيهم فقال : أنشدوني لقدماء العرب ثلاثة أبيات جامعة من أجمع ما قالته ، ثم قال : يا أبا خبيب فقال : مهيم ، قال أنشدني ذلك ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين بثلاثمئة ألف ، قال : نعم إن ساوت ، قال أنت بالخيار ، وأنت وافٍ كافٍ ، قال : نعم فأنشده للأفوه الأزدي :

بلوتُ الناسَ قرناً بعدَ قرنٍ ... فلمْ أرَ غيرَ ختَّالٍ وقالِ

فقال معاوية : صدق .

ولم أرَ في الخطوبِ أشدَّ وقعاً ... وكيداً من معاداةِ الرجالِ

فقال معاوية : صدق .

وذقتُ مَرارةَ الأشياءِ طُرّاً ... فما شيءٌ أمرُّ من السؤالِ

فقال : صدق .

ثم قال معاوية : هيه يا أبا خبيب ، قال : إلى هاهنا انتهى ، قال : فدعا معاوية بثلاثين عبداً على عنق كل واحد منهم بدرة ، وهي عشرة آلاف درهم ، فمروا بين يدي ابن الزبير حتى انتهوا إلى داره .

وروى ابن أبي الدنيا عن أبي زيد النميري ، عن أبي عاصم النبيل ، عن جويرية بن أسماء : أن معاوية لما حج وتلقاه الناس وتخلف ابن الزبير ثم جاءه وقد حلق رأسه ، فقال : يا أمير المؤمنين ما أكثر جحرة رأسك !! فقال له : اتق أن لا يخرج عليك منها حية فتقتلك ، فلما أفاض معاوية وطاف معه ابن الزبير وهو آخذ بيده ثم استدعاه إلى داره ومنازله بقعيقعان ، فذهب معه إليها ، فلما خرجا قال : يا أمير المؤمنين إن الناس يقولون جاء معه أمير المؤمنين إلى دوره ومنازله ففعل معه ماذا ، لا والله لا أدعك حتى تعطيني مئة ألف ، فأعطاه ، فجاء مروان فقال : والله يا أمير المؤمنين ما رأيت مثلك ، جاءك رجل قد سمى بيت مال

---

(١) الحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٣٦٥) رقم (٩٣٣) وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/ ٢٥) وقال : رواه الطبراني ، وفيه راوٍ لم أعرفه ، ورجال مختلف فيهم . ومعنى القاصفين : المزدحمين .

(٢) الخبر في تاريخ دمشق (٢٨/ ١٩٨ ـ ١٩٩) .

(٣) في ط : « خبيب بن نصير » ، وهو تحريف .

الديوان وبيت الخلافة ، وبيت كذا ، وبيت كذا ، فأعطيته مئة ألف ، فقال له : ويلك كيف أصنع بابن الزبير[١] ؟

وقال ابن أبي الدنيا : أخبرني عمر بن بكير ، عن علي بن مجاهد بن عروة قال : سأل ابن الزبير معاوية شيئاً فمنعه ، فقال : والله ما أجهل أن ألزم هذه البنية فلا أشتم لك عرضاً ولا أقصم لك حسباً ، ولكني أسدل عمامتي من بين يدي ذراعاً ، ومن خلفي ذراعاً في طريق أهل الشام وأذكر سيرة أبي بكر الصديق وعمر ، فيقول الناس : من هذا ؟ فيقولون ابن حواريّ رسول الله ﷺ وابن بنت الصديق ، فقال معاوية : حسبك بهذا شرفاً ، ثم قال : هات حوائجك[٢] .

وقال الأصمعي : حدَّثنا غسان بن مُضَر ، عن سعيد بن يزيد . قال : دخل ابن الزبير على معاوية فأمر ابناً له صغيراً فلطمه لطمة دوَّخ منها رأسه ، فلما أفاق ابن الزبير قال للصبي : ادن مني ، فدنا منه ، فقال له : الطم معاوية ، قال : لا أفعل ، قال : ولـم ؟ قال لأنه أبي ، فرفع ابن الزبير يده فلطم الصبي لطمة جعله يدور منها كما تدور الدوَّامة ، فقال معاوية : تفعل هذا بغلام لم تجرِ عليه الأحكام ؟ قال : إنه والله قد عرف ما يضره مما ينفعه ، فأحببت أن أحسن أدبه[٣] .

وقال أبو الحسن علي بن محمد المدائني : عن عبد الله بن أبي بكر قال : لحق ابن الزبير معاوية وهو سائر إلى الشام فوجده وهو ينعس على راحلته ، فقال له : أتنعس وأنا معك ؟ أما تخاف مني أن أقتلك ؟ فقال : إنك لست من قتال الملوك ، إنما يصيد كل طائر قدره . قال لقد سرت تحت لواء أبي إلى علي بن أبي طالب ، وهو من تعلمه ، فقال : لا جرم قتلكم والله بشماله . قال : أما إن ذلك كان في نصرة عثمان ، ثم لم يجز بها . فقال : إنما كان لبغض علي لا لنصرة عثمان ، فقال له ابن الزبير : إنا قد أعطيناك عهداً فنحن وافون لك به ما عشت ، فسيعلم من بعدك ، فقال : أما والله ما أخافك إلا على نفسك ، وكأني بك قد خبطت في الحبالة واستحكمت عليك الأنشوطة ، فذكرتني وأنت فيها ، فقلت ليت أبا عبد الرحمن لها ، ليتني والله لها ، أما والله لأحللتك رويداً ، ولأطلقتك سريعاً ، ولبئس الولي أنت تلك الساعة[٤] . وحكى أبو عبد الله نحو هذا .

وقد تقدم أن معاوية لما مات وجاءت بيعة يزيد بن معاوية إلى المدينة انشمر منها ابن الزبير والحسين بن علي فقصدا مكة فأقاما بها ، ثم خرج الحسين إلى العراق وكان من أمر مقتله ما تقدم ، وتفرد بالرياسة والسؤدد بمكة ابن الزبير ، ولهذا كان ابن عباس ينشد بعد مخرج الحسين :

---

(١) الخبر في تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٨/ ١٩٩) وتهذيبه (٧/ ٤٠٩) .

(٢) الخبر في تاريخ دمشق (٢٨/ ١٩٩ ـ ٢٠٠) وتهذيبه (٧/ ٤٠٩) .

(٣) الخبر في تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٠٠) وتهذيبه (٧/ ٤١٠) .

(٤) تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٠٠ ـ ٢٠١) .

يـا لـكِ مـن قنبـرةٍ[١] بمعمـرِ خلا لكِ الجوُّ فبيضي واصفرِي[٢]
ونَقِّري ما شئتِ أن تُنَقِّري

يعرض بابن الزبير .

وقيل إن يزيد بن معاوية كتب إلى ابن الزبير يقول : إني قد بعثت إليك بسلسلة من فضة وقيد من ذهب وجامعة من فضة ، وحلفت لتأتيني في ذلك فأبرَّ قسمي ولا تشق العصا ، فلما قرأ كتابه ألقاه من يده وقال :

ولا أليـنُ لغيـرِ الحـقِّ أسـألُـهُ حتى تلينَ لضرسِ الماضِغِ الحَجَرُ[٣]

فلما مات يزيد بن معاوية وابنه معاوية بن يزيد من بعده قريباً ، استفحل أمر عبد الله بن الزبير جداً ، وبويع له بالحجاز والعراق ومصر[٤] ، وبايع له الضحاك بن قيس بدمشق وأعمالها ، ولكن عارضه مروان بن الحكم وما زال حتى قتله وجماعة في مرج راهط كما تقدم ، فبايع له أهل الشام . وأخذ الشام ومصر من نواب ابن الزبير ، ثم جهز السرايا إلى العراق ، ومات واستخلف بعده عبد الملك بن مروان فقتل مصعب بن الزبير وأخذ العراق منه ، ثم بعث الحجاج فحاصر ابن الزبير بمكة قريباً من سبعة أشهر حتى ظفر به في يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين .

وكانت ولاية ابن الزبير في سنة أربع وستين ، حج بالناس فيها كلها ، وبنى الكعبة في أيامه كما أشار إليه رسول الله ﷺ ، ورد بناءها كما كانت عليه كما[٥] أخبرته بذلك عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، وكساها بالحرير[٦] ، وكانت كسوتها قبل ذلك الأنطاع والمسوح[٧] ، وكان يطيبها حتى يوجد ريحها من ظاهر الحرم ، وكان مكتوب على كسوتها لعبد الله بن أبي بكر أمير المؤمنين[٨] .

وكان ابن الزبير عالماً ، عابداً ، مهيباً ، وقوراً ، كثير الصيام والصلاة ، شديد الخشوع قوي السياسة .

قال أبو نعيم الأصبهاني : حدَّثنا أبو حامد بن جَبَلة ، حدَّثنا محمد بن إسحاق الثقفي ، حدَّثنا أحمد بن سعيد الدارمي ، حدَّثنا أبو عاصم ، عن عمر بن قيس . قال : كان لابن الزبير مئة غلام يتكلم

---

(١) في الكامل لابن الأثير (٤/ ٦٩) : قبَّرة .
(٢) في أ : خلا لك البئر .
(٣) الخبر بكامله زيادة من ط ، وهو في تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٠٩) وتهذيبه (٧/ ٤١٥) .
(٤) في ط وبويع له بالخلافة في جميع البلاد الإسلامية .
(٥) في ط : وبنى الكعبة في أيام ولايته كما تقدم .
(٦) في أخبار مكة للأزرقي (١/ ٢١٠) كساها القباطي ـ وهو جمع قبطية بالضم ، ثوب رقيق أبيض من ثياب مصر .
(٧) الأنطاع : جمع نطع ؛ وهو البساط . القاموس (نطع) والمسوح : المناديل . والخبر في تاريخ دمشق (٢٨/ ٢١٤) .
(٨) من قوله : وكان يطيبها . . إلى هنا ساقط من ط ، والخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٤٣) .

كل غلام منهم بلغة [غير لغة الآخر] ، وكان ابن الزبير يكلم كل واحد منهم بلغته ، وكنتَ إذا نظرت إليه في أمر دنياه قلت : هذا رجل لم يرد الله [والدار الآخرة] طرفة عين ، [وإذا نظرت إليه في أمر آخرته قلت : هذا رجل لم يردالدنيا طرفة عين][1] .

وقال الثوري : عن الأعمش ، عن أبي الضحى[2] قال : رأيت على رأس ابن الزبير من المسك ما لو كان لي كان رأس مال[3] .

وقال ابن المبارك : عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : دخل ابن الزبير على امرأته بنت الحسن فرأى ثلاثة مثل ـ يعني أفرشة ـ فقال : هذا لي وهذا لابنة الحسن ، وهذا للشيطان فأخرجوه[4] .

وقال الثوري : عن عبد الله بن أبي بشير ، عن عبد الله بن مساور ، قال : سمعت ابن عباس يعاتب ابن الزبير على البخل ويقول : قال رسول الله ﷺ : « ليس بالمؤمن من يبيت شبعان وجاره إلى جنبه جائع »[5] .

وقال الإمام أحمد[6] : حدَّثنا إسماعيل بن أبان الورّاق ، حدَّثنا يعقوب ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن ابن أبْزى ، عن عثمان بن عفان . قال قال له عبد الله بن الزبير حين حصر : إن عندي نجائب قد أعددتها لك ، فهل لك أن تتحول إلى مكة فيأتيك من أراد أن يأتيك ؟ قال : لا ! إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يُلْحِدُ كبش من قريش اسمه عبد الله ، عليه مثل أوزار الناس » . وهذا الحديث منكر جداً وفي إسناده ضعف ، ويعقوب هذا هو القمي وفيه تشيع ، ومثل هذا لا يقبل تفرده به ، وبتقدير صحته فليس هو بعبد الله بن الزبير ، فإنه كان على صفات حميدة ، وقيامه في الإمارة إنما كان لله عزَّ وجلَّ ، ثم هو كان الإمام بعد موت معاوية بن يزيد لا محالة ، وهو أرشد من مروان بن الحكم ، حيث نازعه [بعد أن اجتمعت الكلمة عليه] ، وقامت البيعة له في الآفاق وانتظم له الأمر والله أعلم .

وقال الإمام أحمد[7] : حدَّثنا أبو النضر هاشم بن القاسم ، حدَّثنا إسحاق بن سعيد ، حدَّثنا سعيد بن عمرو قال : أتى عبد الله بن عمرو وعبد الله بن الزبير وهو في الحِجْر جالسٌ فقال : يا بن الزبير إياك والإلحاد في حرم الله ، فإني أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : « يحلُّها وتحل به رجل من قُريش ، لو

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (١/ ٣٣٤) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٢٨/ ٢١٥) .
(٢) هو مسلم بن صُبيح القرشي الكوفي ، مولى سعيد بن العاص .
(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٨/ ٢١٥) .
(٤) المصدر نفسه (٢٨/ ٢١٥) .
(٥) رواه أبو يعلى رقم (٢٦٩٩) من حديث ابن عباس ، ورواه الطبراني في الكبير من حديث أنس ، والحاكم من حديث عائشة ، وهو حديث حسن .
(٦) مسند الإمام أحمد (١/ ٦٤) .
(٧) مسند الإمام أحمد (٢/ ٢١٩) .

وُزنت ذنوبه بذنوب الثقلين لوزنتها » . فانظر أن لا تكونه ، فقال له : يا بن عمرو فإنك قد قرأت الكتب وصحبت النبي ﷺ ، قال : فإني أشهد أن هذا وجهي إلى الشام مجاهداً . وهذا قد يكون رفعه غلطاً ، وإنما هو من كلام عبد الله بن عمرو ، وما أصابه من الزاملتين يوم اليرموك من كلام أهل الكتاب ، والله أعلم .

وقال وكيع : عن الثوري ، عن سَلَمة بن كهيل ، عن أبي صادق ، عن حبشي الكناني ، عن عليم الكندي ، عن سلمان الفارسي . قال : ليُحرقنَّ هذا البيت على يدي رجل من آل الزبير(١) .

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : عن يحيى بن معين ، عن أبي فضيل ، حدَّثنا سالم بن أبي حفصة ، عن منذر الثوري قال : قال ابن الحنفية : اللهم إنك تعلم أني كنت أعلم مما علَّمتني أن ابن الزبير لا يخرج منها إلا قتيلاً يطاف برأسه في الأسواق(٢) .

وقد روى الزبير بن بكار : عن هشام بن عروة قال : إن أول ما أفصح به عبد الله بن الزبير وهو صغير السيف السيف ، فكان لا يضعه من فيه ، وكان الزبير إذا سمع ذلك منه يقول له : أما والله ليكونن لك منه يوم ويوم وأيام(٣) .

وقد تقدم كيفية مقتله ، وأن الحجاج صلبه على جذع فوق الثنية وأنه ربط إلى جانبة هرة ميتة ، فكان ريح المسك يغلب على ريحها ، وأن أمه أرسلت إلى الحجاج تقول : قاتلك الله ؛ علام تصلب ولدي ؟ فقال : إني استبقت أنا وإياه على هذه الخشبة فسبقني إليها(٤) . وأن أمه جاءت حتى وقفت عليه فدعت له طويلاً ولا يقطر من عينها دمعة ثم انصرفت ، وكذلك وقف عليه ابن عمر فدعا له وأثنى عليه ثناءً كثيراً جداً .

وقال الواقدي : حدَّثني نافع بن ثابت ، عن عبد الله مولى أسماء قال : لما قتل عبد الله خرجت إليه أمه حتى وقفت عليه وهي على دابة ، فأقبل الحجاج في أصحابه فسأل عنها فأخبر بها ، فأقبل حتى وقف عليها فقال : كيف رأيت نصر الله الحق وأظهره ؟ فقالت : وبما أديل الباطل على الحق [وأهله] ، وإنك بين فرثها والجنة ، فقال إن ابنك ألحد في هذا البيت ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج : ٢٥] وقد أذاقه الله ذلك العذاب الأليم ، قطع السبيل ، قالت : كذبت ، كان أول مولود ولد في الإسلام بالمدينة ، وسُرَّ به رسول الله ﷺ وحنكه بيده ، وكبَّر المسلمون يومئذ حتى ارتجت المدينة فرحاً به ، وقد فرحت أنت وأصحابك بمقتله ، فمن كان فرح يومئذ بمولده خير منك ومن أصحابك ، وكان مع ذلك براً بالوالدين ، صوّاماً قواماً بكتاب الله ، معظِّماً لحرم الله ، يبغض من يعصي

---

(١) تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٢١) .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٢٢) .
(٤) من قوله : وأنه ربط إلى جانبة هرة . . إلى هنا ساقط من ط ، والخبر في تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٢٩) .

الله عزَّ وجلَّ ، أشهد على رسول الله ﷺ لسمعته يقول : [« يخرج من ثقيف كذاب ومبير »] وفي رواية : « سيخرج من ثقيف كذابان الآخر منهما شر من الأول وهو مبير » فانكسر الحجاج وانصرف ، فبلغ ذلك عبد الملك فكتب إليه يلومه في مخاطبته أسماء ، وقال : مالك ولابنة الرجل الصالح[1] ؟

وقال مسلم بن الحجاج في « صحيحه » : حدَّثنا عقبة بن مكرم ، حدَّثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي ، أنبأنا الأسود بن شيبان عن أبي نوفل . قال : رأيت عبد الله بن الزبير على ثنية الحَجُون مصلوباً فجعلت قريش تمر عليه والناس حتى مر عليه عبد الله بن عمر فوقف عليه فقال : السلام عليك أبا خبيب ، السلام عليك أبا خبيب ، السلام عليك أبا خبيب ، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا ، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا ، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا ، أما والله إن كنتَ ما علمتُ صواماً قواماً وصولاً للرحم ، أما والله لأمّة أنت شرها لأمّة خير . ثم نفذ عبد الله بن عمر . فبلغ الحجاج وقوف ابن عمر عليه وقوله ما قال ، فأرسل إليه فأنزله عن جذعه وألقي في قبور اليهود ، ثم أرسل إلى أمه أسماء بنت أبي بكر فأبت أن تأتيه ، فأعاد عليها الرسول لتأتيني أو لأبعثن إليك من يسحبك من قرونك ، فأبت وقالت : والله لا آتيه حتى يبعث إليّ من يسحبني بقروني ، فقال الحجاج : فأروني سِبتيتيَّ ؛ فأخذ نعليه ثم انطلق يتوذف حتى دخل عليها فقال : كيف رأيتني صنعت بعدو الله ؟ قالت : رأيتك أفسدت عليه دنياه ، وأفسد عليك آخرتك ، بلغني أنك تقول : يا ابن ذات النطاقين ، أنا والله ذات النطاقين ، أما أحدهما فكنت ارفع به طعام رسول الله ﷺ وطعام أبي بكر ، وأما الآخر فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه ، أما إن رسول الله ﷺ حدَّثنا أن في ثقيف كذاباً ومبيراً ، فأما الكذاب فرأيناه ، وأما المبير فلا إخالك إلا إياه . قال : فقام عنها ولم يراجعها » انفرد به مسلم[2] .

وروى الواقدي : أن الحجاج لما صَلَبَ ابن الزبير على ثنية الحجون بعثت إليه أسماء تدعو عليه ، وطلبت منه أن يدفن فأبى عليها ، حتى كتب إلى عبد الملك في ذلك فكتب إليه أن يدفن فدفن بالحجون ، وذكروا أنه كان يشتمُّ من عند قبره ريح المسك .

وكان الحجاج قد قدم من الشام في ألفي فارس وانضاف إليه طارق بن عمرو في خمسة آلاف .

وروى محمد بن سعد وغيره بسنده : أن الحجاج حاصر ابن الزبير ، وأنه اجتمع معه أربعون ألفاً ، وأنه نصب المنجنيق على أبي قبيس ليرمي به المسجد الحرام الذي فيه عبد الله بن الزبير ، وأنه جعل يؤمن من خرج إليه من أهل مكة ونادى فيهم بذلك ، وقال : إنا لم نأت لقتال أحد سوى ابن الزبير ، وأنه خيَّر ابن الزبير بين ثلاث إما أن يذهب في الأرض حيث شاء ، أو يبعثه إلى الشام مقيداً بالحديد ، أو يقاتل حتى يقتل . فشاور أمه فأشارت عليه بالثالث فقط[3] .

---

(١) الخبر بتمامه في تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٢٨) .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٥٤٥) في فضائل الصحابة .

(٣) تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٣٦) .

ويروى أنها استدعت بكفن له وبخرته وشجعته على القتل ، فخرج بهذه النية فقاتل يوم الثلاثاء السابع عشر من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين قتالاً شديداً فجاءته آجرة ففلقت رأسه فسقط على وجهه إلى الأرض ، ثم أراد أن ينهض فلم يقدر ، فاتكأ على مرفقه الأيسر وجعل يحدم بالسيف من جاءه ، فأقبل إليه رجل من أهل الشام فضربه فقطع رجله ، ثم تكاثروا عليه حتى قتلوه واحتزوّا رأسه ، وكان مقتله قريباً من الحجون ، ويقال : بل قتل وهو متعلق بأستار الكعبة ، فالله أعلم .

ثم صلبه الحجاج منكساً على ثنية كدا عند الحجون ، ثم لما أنزله دفنه في مقابر اليهود كما رواه مسلم[1] ، وقيل دفن بالحجون تحت المكان الذي صلب فيه ، وقيل : إن والدته أسماء غسلته بعدما تقطعت أوصاله وحنطته وكفنته ؛ وصلت عليه وحملته إلى المدينة فدفنته في دار صفية بنت حيي وأن هذه الدار زيدت في المسجد فهو مدفون في المسجد مع أبي بكر وعمر[2] ، فالله أعلم .

وقال عبد الرزاق[3] ، عن معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين قال : قال عبد الله بن الزبير لما جيء برأس المختار : ما كان يحدِّثنا كعب الأحبار شيئاً إلا وجدناه ، إلا قوله إن فتى ثقيف يقتلني ، وهذا رأسه بين يدي ، قال ابن سيرين : ولم يشعر أنه قد خُبِّىء له الحجاج . وروي هذا من وجه آخر . قلت : والمشهور أن مقتل عبد الله بن الزبير كان في سنة ثلاث وسبعين يوم الثلاثاء سابع عشر من جمادى الأولى ، وقيل الآخرة منها .

وعن مالك وغيره أن مقتله كان على رأس اثنين وسبعين[4] ، والمشهور الصحيح هو الأول ، وكانت بيعته في سابع رجب سنة أربع وستين ، وكان مولده في أول سنة إحدى من الهجرة ، وقيل في شوال سنة ثنتين من الهجرة ، فجاوز السبعين قطعاً ، والله أعلم .

وأما أمه فلم تعش بعده إلا مئة يوم ، وقيل عشرة أيام ، وقيل خمسة ، والأول هو المشهور ، وستأتي ترجمتها قريباً رضي الله عنها [وعن أبيها وابنها] وكان له من الولد : خبيب وحمزة وعباد وثابت وأمهم تماضر بنت منظور الفزاري ؛ وهاشم وقيس وعروة ـ قتل مع أبيه ـ والزبير وأمهم أم هاشم زجلة بنت منظور ؛ وعامر وموسى وأم حكيم وفاطمة وفاختة وأمهم خيثمة بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ؛ وبكر ورقية وأمهم عائشة بنت عثمان بن عفان ؛ وعبد الله ومصعب من أم ولد .

وقد أسند ثلاثة وثلاثين حديثاً .

---

(١) صحيح مسلم رقم (٢٥٤٥) (٢٢٩) في فضائل الصحابة .
(٢) من قوله : وقيل إن والدته . . إلى هنا زيادة من أ ، والخبر في تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٥٤) .
(٣) مصنف عبد الرزاق (١١/ ٦٥) .
(٤) تاريخ دمشق (٢٨/٢٤٦) .

وقد رثي ابن الزبير وأخوه مصعب بمراثٍ كثيرة حسنة بليغة ، من ذلك قول عَمْرو بن معمر[١] الذهلي يرثيهما بأبيات :

لعمركَ ما أبقيتَ في الناسِ حاجةً ... ولا كنتَ ملبوسَ الهدى متذبذبا
غداةَ دعاني مصعبٌ فأجبتهُ ... وقلتُ له أهلاً وسهلاً ومرحبا
أبوكَ حواريُّ الرسولِ وسيفهُ ... فأنتَ بحمدِ الله منْ خيرنا أبا
وذاكَ أخوكَ المهتدى بضيائهِ ... بمكةَ يدعونا دعاءً مثوَّبا
ولمْ أكُ ذا وجهينِ وجهٌ لمصعبٍ ... مريضٌ ووجهٌ لابنِ مروانَ إذْ صبا
وكنتَ امرأً ناصحتهُ غيرَ مؤثرٍ ... عليهِ ابنَ مروانٍ ولا متقرِّبا
إليه بما تقذى بهِ عينُ مصعبٍ ... ولكنني ناصحتُ في الله مصعبا
إلى أن رمتهُ الحادثاتُ بسهمها ... فللَّه سهماً ما أسدَّ وأصوبا
فإنْ يكُ هذا الدهرُ أودى بمصعبٍ ... وأصبحَ عبدُ الله شلواً ملحبا
فكل امرىء حاسٍ منَ الموتِ جرعةً ... وإن حادَ عنها جهدهُ وتهيبا[٢]

وقد روى الطبراني ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير أن أباه حدَّثه أن النبي ﷺ أعطاه دم محاجمه يهريقه فحساه ، فلما رجع إلى النبي ﷺ ، قال : « ما صنعت يا عبد الله بالدم ؟ قلت : جعلته في مكان ظننت أنه خافٍ على الناس ، قال : فلعلك شربته ؟ قلت : نعم ! قال : ومن أمرك أن تشرب الدم ؟ ويل لك من الناس ، وويل للناس منك »[٣] .

ودخل سلمان الفارسي مرة على النبي ﷺ فإذا عبد الله بن الزبير قائم في الدهليز ومعه طست يشرب منه فدخل سلمان ودخل عبد الله على رسول الله ﷺ ، قال له : « فرغت ؟ قال : نعم . قال سلمان : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : « أعطيته غسالة محاجمي يهريق ما فيها » قال سلمان : شربها والذي بعثك بالحق ، قال : « شربته ؟ » قال : نعم ! قال: « لم ؟ » قال : أحببت أن يكون دم رسول الله ﷺ في جوفي ، فقال بيده على رأس ابن الزبير ، وقال : « ويل لك من الناس ، وويل للناس منك ، لا تمسك النار إلا تحلة القسم »[٣] . ولما بعث يزيد بن معاوية إلى ابن الزبير ذلك القيد من ذهب وسلسلة من فضة وجامعة من فضة وأقسم لتأتيني فيها ، فقالوا له : برَّ قسم أمير المؤمنين فقال :

ولا أليـنُ لغيرِ الحقِّ أسألهُ ... حتى تلينَ لضرسِ الماضغِ الحجرُ

ثم قال : والله لضربة بسيف بعزٍّ ، أحب إليّ من ضربة بسوطٍ في ذُل ، ثم دعا إلى نفسه وأظهر الخلاف ليزيد بن معاوية .

---

(١) في ط : « معمر بن أبي معمر » ، وما هنا من م ومعجم المرزباني وتاريخ دمشق .
(٢) الأبيات في تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٥٦) وبعضها في معجم الشعراء للمرزباني (ص٢٢٦) .
(٣) انظر التعليق على هذا الحديث صفحة (١١١) رقم (١) .

وروى الطبراني : أن ابن الزبير دخل على أمه فقال : إن في الموت لراحة ، وكانت أمه قد أتت عليها مئة سنة لم تسقط لها سن ، ولم يفسد لها بصر ، فقالت : ما أحب أن أموت حتى آتي على أحد طرفيك ، إما أن تملك فتقر عيني ، وإما أن تقتل فأحتسبك ، ثم خرج عنها وهو يقول :

ولستُ بمبتاعِ الحياةِ بسُبَّةٍ ولا مرتقٍ من خشيةِ الموتِ سُلَّما

ثم أقبل على آل الزبير يعظهم ويقول ليكن أحدكم سيفه كما وجهه فيدفع عن نفسه بيده كأنه أمراه ، والله ما بقيت زحفاً قط إلا في الرعيل الأول ، وما ألمت جرحاً إلا ألم الدواء ، ثم حمل عليهم ومعه سيفان ، فأول من لقيه الأسود فضربه بسيفه حتى أطن رجله ، فقال له الأسود : أخ يا بن الزانية ، فقال له ابن الزبير : اخسأ يا بن حام ، أسماء زانية ؟ ثم أخرجهم من المسجد . وكان على ظهر المسجد جماعة من أعوانه يرمون أعداءه بالآجر ، فأصابته آجرة من أعوانه من غير قصد في مفرق رأسه ففلقت رأسه فوقف قائماً وهو يقول :

لو كان قِرْني واحداً كفيته

ويقول :

ولسنا على الأعقابِ تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا يقطرُ الدمُ

ثم وقع فأكب عليه موليان له وهما يقولان :

العبد يحمي ربه ويحتمي

ثم أرسلوا إليه فحزوا رأسه .

وروى الطبراني أيضاً : عن إسحاق بن أبي إسحاق قال : أنا حاضر مقتل عبد الله بن الزبير في المسجد الحرام ، يوم قتل جعلت الجيوش تدخل من أبواب المسجد ، وكلما دخل قوم من باب حمل عليهم حتى يخرجهم ، فبينما هو على تلك الحال إذ جاءت شرفة من شرفات المسجد ، فوقعت على رأسه فصرعته ، وهو يتمثل بهذه الأبيات :

أسماءُ أسماءُ لا تبكيني لم يبقَ إلا حسبي وديني
وصارمٌ لانتْ بهِ يميني

وقد روي أن أمه قالت للحجاج : أما آن لهذا الراكب أن ينزل ؟ فقال الحجاج : ابنك المنافق ، فقالت : والله ما كان منافقاً ، إن كان لصواماً قواماً وصولاً للرحم ، فقال : انصرفي يا عجوز فإنك قد خرفت ، فقالت : والله ما خرفت منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يخرج من ثقيف كذاب ومبير ، فأما الكذاب فقد رأيناه ، وأما المبير فأنت » .

وقال مجاهد : كنت مع ابن عمر فمرعلى ابن الزبير فوقف فترحم عليه ثم التفت إليّ وقال :

أخبرني أبو بكر الصديق أن رسول الله ﷺ قال : « من يعمل سوءاً يجز به »[١] .

وروى سفيان عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة قال : ذكرت ابن الزبير عند ابن عباس قال : كان عفيفاً في الإسلام ، قارئاً للقرآن ، صواماً قواماً ، أبوه الزبير ، وأمه أسماء ، وجده أبو بكر ، وعمته خديجة ، وجدته صفية ، وخالته عائشة ، والله لأحاسبن له بنفسي محاسبة لم أحاسبها لأبي بكر ولا لعمر . وقال الطبراني : حدثنا زكريا الناجي ، ثنا حوثرة بن محمد ، ثنا أبو أسامة ، ثنا سعيد بن المرزبان ، أبو سعيد العبسي ، ثنا محمد بن عبد الله الثقفي قال : شهدت خطبة ابن الزبير بالموسم خرج علينا قبل التروية بيوم وهو محرم فلبى بأحسن تلبية سمعتها قط ، ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإنكم جئتم من آفاق شتى وفوداً إلى الله عزَّ وجلَّ ، فحق على الله أن يكرم وفده ، فمن كان منكم يطلب ما عند الله فإن طالب ما عند الله لا يخيب فصدقوا قولكم بفعل ، فإن ملاك القول الفعل ، والنية النية ، والقلوب القلوب ، الله الله في أيامكم هذه ، فإنها أيام تغفر فيها الذنوب ، جئتم من آفاق شتى في غير تجارة ولا طلب مال ولا دنيا ترجونها هاهنا ، ثم لبى ولبى الناس ، فما رأيت باكياً أكثر من يومئذ . وروى الحسن بن سفيان قال : حدَّثنا حيان بن موسى حدَّثنا عبد الله بن المبارك ، حدَّثنا مالك بن أنس ، عن وهب بن كيسان قال : كتب إليّ عبد الله بن الزبير بموعظة : أما بعد فإن لأهل التقوى علامات يُعرفون بها ويعرفونها من أنفسهم ، صِدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وكظم الغيظ ، وصبر على البلاء ورضى بالقضاء ، وشكر للنعماء ، وذل لحكم القرآن ، وإنما الأيام كالسوق ما نفق فيها حمل إليها ، إن نفق الحق عنده حمل إليه وجاءه أهله . وإن نفق الباطل عنده حمل إليه وجاءه أهله .

وقال أبو معاوية : حدَّثنا هشام بن عروة ، عن وهب بن كيسان قال : ما رأيت ابن الزبير يعطي سلمه قط لرغبة ولا لرهبة سلطان ولا غيره . وبهذه الإسنادات أهل الشام كانوا يعيِّرون ابن الزبير ويقولون له : يا بن ذات النطاقين . فقالت له أسماء : يا بني إنهم يعيِّرونك بالنطاقين وإنما كان لي نطاق واحد شققته نصفين فجعلت في سفرة رسول الله ﷺ أحدهما وأوكيت قربته بالآخر لما خرج هو وأبو بكر يريدان الهجرة إلى المدينة . فكان ابن الزبير بعد ذلك إذا عيَّروه بالنطاقين يقول : إنها والله تلك شكاة ظاهر عنك عارها ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وممن قتل مع ابن الزبير في سنة ثلاث وسبعين بمكة من الأعيان :

عبد الله بن صفوان[٢] بن أمية بن خلف الجمحي أبو صفوان المكي ، وكان أكبر ولد أبيه ، أدرك حياة النبي ﷺ وروى عن عمر وجماعة من الصحابة ، وحدَّث عنه خلق من التابعين ، وكان سيداً شريفاً مطاعاً

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ٦) والحاكم (٣/ ٥٥٣) من حديث أبي بكر ، وله شاهد من حديث عائشة رواه الحاكم (٢/ ٣٠٨) ، والمرفوع منه حسن بطرقه وشواهده .

(٢) ترجمة ـ عبد الله بن صفوان ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٢١٢) وتاريخ خليفة (٢٨٦) وتاريخ البخاري (٥/ ١١٨)=

حليماً كريماً [يحتمل الأذى ، لو سبَّه عبد أسود ما استنكف عنه ، ولم يقصده أحد في شيء فرده خائباً ، ولا سمع بمفازة إلا حفر بها جباً أو عمل فيها بركة ، ولا عقبة إلا سهَّلها .

وقيل : إن المهلَّب بن أبي صفرة قدم على ابن الزبير من العراق فأطال الخلوة معه ، فجاء ابن صفوان فقال : من هذا الذي شغلك منذ اليوم ؟ قال : هذا سيد العرب من أهل العراق ، فقال : ينبغي أن يكون المهلّب . فقال المهلّب لابن الزبير : ومن هذا الذي يسأل عني يا أمير المؤمنين ؟ قال هذا سَيِّدُ قريش بمكة ، فقال : ينبغي أن يكون عبد الله بن صفوان ، وكان ابن صفوان كريماً جداً][١] .

وقال الزبير بن بكار بسنده : إن معاوية قدم مكة حاجاً فتلقاه الناس فكان ابن صفوان في جملة من تلقاه ، فجعل يساير معاوية ، وجعل أهل الشام يقولون : من هذا الذي يساير أمير المؤمنين ؟ فلما انتهى إلى مكة ، إذا الجبل أبيض من الغنم ، فقال : يا أمير المؤمنين هذه غنم أجزرتكها[٢] ، تقسمها بين الجند ، فإذا هي ألفا شاة ، فقال أهل الشام : ما رأينا أكرم من ابن عم أمير المؤمنين[٣] .

كان ابن صفوان من جملة من صبر مع ابن الزبير حين حصره الحجاج ، فقال له ابن الزبير : إني قد أقلتك بيعتي فاذهب حيث شئتَ ، فقال : إني إنما قاتلت عن ديني .

ثم صبَّر نفسه حتى قتل وهو متعلق بأستار الكعبة في هذه السنة . رحمه الله وأكرم مثواه .

عبد الله بن مطيع[٤] بن الأسود بن حارثة القرشي العدوي [المدني] ، ولد في حياة رسول الله ﷺ وحنَّكه ودعا له بالبركة .

وروى عن أبيه ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا يقتل قرشي بعد اليوم صبراً إلى يوم القيامة »[٥] .

وعنه ابناه إبراهيم ومحمد ، والشَّعبي ، وعيسى بن طلحة بن عبيد الله ، ومحمد بن أبي موسى .

قال الزبير بن بكار : كان [ابن مطيع من كبار][٦] رجال قريش جلداً وشجاعة ، وأخبرني

= والاستيعاب (٢/ ٣٣٣) وتاريخ دمشق (٢٩/ ٢٠٢ ـ ٢١٥) وأسد الغابة (٣/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠) وتهذيب الكمال (١٥/ ١٢٥ ـ ١٢٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٥٠) والإصابة (٣/ ٦٠) وشذرات الذهب (١/ ٣٠٨) .

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٥٢) .

(٢) في ط : أجزتكها .

(٣) الخبر في تاريخ دمشق (٢٩/ ٢٠٩) وتاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠/ ص٤٥١) .

(٤) ترجمة ـ عبد الله بن مطيع ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ١٤٤) وتاريخ خليفة (٢٣٧) والاستيعاب (٢/ ٣٢٧) وأسد الغابة (٣/ ٢٦٢) وتهذيب الكمال (١٦/ ١٥٢) وتاريخ الإسلام (سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٦٩) والإصابة (٢/ ٣٧١) وشذرات الذهب (١/ ٣٠٨) .

(٥) الحديث أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤١٢) ومسلم رقم (١٧٨٢) من حديث مطيع بن الأسود .

(٦) مكانها في أ : من .

عمي مصعب أنه كان على قريش [أميراً] يوم الحرة ثمَّ قُتل مع ابن الزبير بمكة وهو الذي يقول :

أنا الذي فررت يوم الحرَّهْ والشيخ لا يفرُّ إلَّا مرَّهْ
ولا جبرت فرَّة بكرَّهْ[1]

رحمه الله .

عوف بن مالك رضي الله عنه[2] هو عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي الغطفاني صحابي جليل .

شهد مؤتة مع خالد بن الوليد والأمراء قبله ، وشهد الفتح وكانت معه راية قومه يومئذ ، وشهد فتح الشام .

وروى عن رسول الله ﷺ أحاديث ، وروى عنه جماعة من التابعين وأبو هريرة ، وقد مات قبله ، وقال الواقدي وخليفة بن خياط وأبو عبيد وغير واحد[3] : توفي سنة ثلاث وسبعين بالشام .

أسماء بنت أبي بكر الصديق[4] والدة عبد الله بن الزبير ، يقال لها ذات النطاقين ، وإنما سميت بذلك عام الهجرة حين شقت نطاقها فربطت به سفرة النبي ﷺ وأبي بكر حين خرجا إلى غار ثور للهجرة[5] وأمها قيلة وقيل قبيلة[6] بنت عبد العزى من بني عامر بن لؤي .

أسلمت أسماء قديماً وهم بمكة في أول الإسلام ، وهاجرت هي وزوجها الزبير وهي حامل متمّ بولدها عبد الله فوضعته بقباء أول مقدمهم المدينة ، ثم ولدت للزبير بعد ذلك عروة والمنذر .

[وهي آخر المهاجرين والمهاجرات موتاً[7]] ، وكانت هي وأختها عائشة وأبوها أبو بكر الصديق وجدها أبو عتيق وابنها عبد الله وزوجها الزبير صحابيين رضي الله عنهم .

وقد شهدت اليرموك مع ابنها وزوجها ، وهي أكبر من أختها عائشة بعشر سنين .

---

(١) في ب ، وابن الأثير (٤/ ٤٥٥) : ولأجزين كرّة بفرّة .

(٢) ترجمة ـ عوف بن مالك ـ في طبقات ابن سعد (٤/ ٢٨٠) وتاريخ خليفة (٢٦٩) والاستيعاب (٣/ ١٣١) وأسد الغابة (٤/ ٣١٢) وتهذيب الكمال (٢٢/ ٤٤٣) وتاريخ الإسلام (سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٥٠١) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٤٨٧) والإصابة (٣/ ٤٣) وشذرات الذهب (١/ ٣٠٦) .

(٣) تهذيب الكمال (٢٢/ ٤٤٤) وتاريخ الإسلام (سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٥٠٤) .

(٤) ترجمة ـ أسماء بنت أبي بكر الصدّيق ـ في طبقات ابن سعد (٨/ ٢٤٩) وتاريخ خليفة (٢٦٩) والاستيعاب (٤/ ٢٣٢) وأنساب الأشراف (٣/ ٤) وحلية الأولياء (٢/ ٥٥ ـ ٥٧) وتاريخ دمشق (تراجم النساء ٦٩/ ٥ ـ ٣٠) وأسد الغابة (٥/ ٢٩٢) وتهذيب الكمال (٣٥/ ١٢٣ ـ ١٢٥) وتاريخ الإسلام (سنة ٦١ ـ ٨٠/ ٣٥٣) والإصابة (٤/ ٢٢٩) . وشذرات الذهب (١/ ٣٠٨) .

(٥) في ط : عامدين إلى المدينة .

(٦) في أسد الغابة وتاريخ الإسلام والإصابة : قتيلة .

(٧) تاريخ الإسلام للذهبي (سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٣٥٣) .

وقيل : إن الحجاج دخل عليها بعد أن قتل ابنها فقال : يا أماه إن أمير المؤمنين أوصاني بك فهل لك من حاجة ؟ فقالت : لست لك بأمّ ، إنما أنا أم المصلوب على الثنية ، وما لي من حاجة ، ولكن أحدثك أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يخرج من ثقيف كذاب ومبير »[١] فأما الكذاب فقد رأيناه ، وأما المبير فلا أراك إلا إياه . فقال : أنا مبير المنافقين .

وقيل : إن ابن عمر دخل معه عليها وابنها مصلوب فقال لها : إن هذا الجسد ليس بشيء وإنما الأرواح عند الله فاتقي الله واصبري ، فقالت : وما يمنعني من الصبر وقد أهدي رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل .

وقيل : إنها غسلته وحنطته وكفنته وطيبته وصلّت عليه ثم دفنته ، ثم ماتت بعده بأيام في آخر جمادى الآخرة][٢] .

ثم إن الزبير لما كبرت طلّقها ، وقيل بل قال له عبد الله ابنه : إن مثلي لا توطأ أمه ، فطلقها الزبير ، وقيل : بل اختصمت هي والزبير ، فجاء عبد الله ليصلح بينهما ، فقال الزبير : إن دخلتَ فهي طالق ، فدخل[٣] فبانت ، فالله أعلم .

وقد عمرت أسماء دهراً صالحاً وأضرت في آخر عمرها ، [وقيل بل كانت صحيحة البصر لم يسقط لها سن][٤] . وأدركت قتل ولدها في هذه السنة كما ذكرنا ، ثم ماتت بعده بخمسة أيام ، وقيل بعشرة ، وقيل بعشرين ، وقيل بضع وعشرين يوماً ، وقيل عاشت بعده مائة يوم وهو الأشهر ، وبلغت من العمر مئة سنة ولم يسقط لها سن [ولم ينكر لها عقل رحمها الله . وقد روت عن النبي ﷺ عدة أحاديث طيبة مباركة رضي الله عنها ورحمها] .

قال ابن جرير[٥] : وفي هذه السنة ـ يعني سنة ثلاث وسبعين ـ عزل عبد الملك خالد بن عبد الله عن البصرة وأضافها إلى أخيه بشر بن مروان مع الكوفة ، فارتحل إليها بشر واستخلف على الكوفة عمرو بن حُرَيث .

وفيها غزا محمد بن مروان الصائفة فهزم الروم .

وقيل إنه كان في هذه السنة وقعة عثمان بن الوليد بالروم من ناحية أرمينية ، وهو في أربعة آلاف ، والروم في ستين ألفاً فهزمهم وأكثر القتل فيهم . وأقام للناس الحج في هذه السنة الحجاج بن يوسف

---

(١) تقدم تخريج الحديث أكثر من مرة .
(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وهو موافق لمصادر الترجمة .
(٣) عبارة أ : إن حبلت فهي طالق ، فإذا هي قد حبلت فبانت . وما أثبت موافق لخبر تاريخ دمشق وتاريخ الإسلام .
(٤) ما بين معكوفين زيادة من ط ، ولم أجد ما يوافقها في مصادر الترجمة .
(٥) تاريخ الطبري (٦/ ١٩٤) .

الثقفي وهو على مكة واليمن واليمامة ، وعلى الكوفة والبصرة بشر بن مروان ، في قول الواقدي ، وفي قول غيره : على الكوفة بشر وعلى البصرة خالد بن عبد الله[1] ، وعلى قضاء الكوفة شُريح بن الحارث ، وعلى قضاء البصرة هشام بنُ هُبيرة . وعلى إمرة خراسان بُكير بن وشاح ، يعني الذي كان نائباً لعبد الله بن خازم ، والله أعلم .

[وممن توفي فيها من الأعيان غير من تقدم ذكره مع ابن الزبير :

عبد الله بن سعد بن جُثَم الأنصاري[2] ، له صحبة وشهد اليرموك ، وكان كثير العبادة والغزو .

عبد الله بن أبي حَدْرَد الأسلمي[3] ، أبو محمد له صحبة ورواية توفي بالمدينة .

مالك بن مِسْمَع بن غسان البصري[4] ، كان شديد الاجتهاد في العبادة والزهادة .

ثابت بن الضحّاك الأنصاري[5] ، له صحبة ورواية ، توفي بالمدينة .

يقال له أبو زيد الأشمالي[6] ، وهو من أهل البيعة تحت الشجرة .

قال يحيى بن أبي كثير : أخبرني أبو قلابة أن ثابت بن الضحاك أخبره أنه بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة وأن رسول الله ﷺ قال : « من قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله »[7] .

زينب بنت أبي سَلَمَة المخزومي[8] ، ربيبة النبي ﷺ ، ولدتها أمها بالحبشة ، ولها رواية وصحبة .

---

(١) من قوله : في قول الواقدي . . . إلى هنا ساقط من ط ، وهو موافق لرواية الطبري .

(٢) ترجمة ـ عبد الله بن سعد ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٥١) وتاريخ خليفة (٨٣) والاستيعاب (٢/ ٣٧٤) وأسد الغابة (٣/ ١٥٤) وتهذيب الكمال (١٥/ ٢١ ـ ٢٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٤٨) والوافي بالوفيات (١٧/ ١٩٤) والإصابة (٢/ ٣١٦) .

(٣) ترجمة ـ عبد الله بن أبي حدرد ـ في طبقات ابن سعد (٤/ ٣٠٩) وتاريخ خليفة (٨٥) والاستيعاب (٢/ ٢٨٨) وأسد الغابة (٣/ ١٠٩) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٣٢) والإصابة (٢/ ٢٩٨) وفيها : مات سنة إحدى وسبعين ، وله إحدى وثمانون سنة .

(٤) ترجمة ـ مالك بن مسمع ـ في تاريخ خليفة (٢٥٨) والإصابة (٣/ ٤٨٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٥٢١ ـ ٥٢٢) .

(٥) ترجمة ـ ثابت بن الضحاك ـ في الاستيعاب (١/ ١٩٧) وأسد الغابة (١/ ٢٢٥) وتهذيب الكمال (٤/ ٣٦١) . وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٣٧٥) .

(٦) في تاريخ الإسلام : الأشهلي ، وهو الصواب .

(٧) الحديث رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٠٤٧) من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه .

(٨) ترجمة ـ زينت بن أبي سَلَمة ـ في طبقات ابن سعد (٨/ ٤٦١) والاستيعاب (٤/ ٣١٩) وأسد الغابة (٥/ ٤٦٨) وتهذيب الكمال (٣٥/ ١٨٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٠٥ ـ ٤٠٦) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٢٠٠ ـ ٢٠١) والوافي بالوفيات (١٥/ ٦١) وتهذيب التهذيب (١٢/ ٤٢١) والإصابة (٤/ ٣١٧) .

توبة بن الصمّة[١] ، وهو الذي يقال له مجنون ليلى ، كان توبة يشن الغارات على بني الحارث بن كعب ، فرأى ليلى[٢] فهواها وتهتك بها وهام بها محبة وعشقاً ، وقال فيها الأشعار الكثيرة القوية الرائقة ، التي لم يسبق إليها ولم يلحق فيها لكثرة ما فيها من المعاني والحكم ، وقد قيل له مرة : هل كان بينك وبين ليلى ريبة قط ؟ فقال : برئت من شفاعة محمد ﷺ إن كنت قط حللت سراويلي على محرم . وقد دخلت ليلى على عبد الملك بن مروان تشكو ظلامة فقال لها : ماذا رأى منك توبة حتى عشقك هذا العشق كله ؟ فقالت : والله يا أمير المؤمنين لم يكن بيني وبينه قط ريبة ولا خنا ، وإنما العرب تعشق وتعف وتقول الأشعار فيمن تهوى وتحب مع العفة والصيانة لأنفسها من الدناءات . فأزال ظلامتها وأجازها . توفي توبة في هذه السنة وقيل إن ليلى جاءت إلى قبره فبكت حتى ماتت ، والله أعلم][٣] .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين

فيها عزل عبد الملك طارق بن عمرو عن إمارة المدينة وأضافها إلى الحجاج بن يوسف الثقفي ، فقدمها فأقام بها شهراً[٤] ثم خرج معتمراً ثم [عاد إلى المدينة] في صفر فأقام بها ثلاثة أشهر[٥] ، وبنى في بني سلمة مسجداً ، وهو الذي ينسب إليه اليوم ، ويقال إن الحجاج في هذه السنة وهذه المدة شتم جابراً وسهل بن سعد وقرّعهما لم لا نصرا عثمان بن عفان ، وخاطبهما خطاباً غليظاً ، قبحه الله وأخزاه[٦] .

واستقضى أبا إدريس الخولاني أظنه على اليمن ، والله أعلم[٧] .

---

(١) ترجمة ـ توبة بن الصمة ـ في معجم الشعراء للمرزباني (٣٤٣) والشعر والشعراء (٣٠٦) والأغاني (١١/ ٢٠٤) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٣٧٣) وفيه : اسمه توبة بن الحُمَيِّر ، والوافي بالوفيات (١٠/ ٤٣٦) .

(٢) وهي ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب بن معاوية ، وهو الأخيل بن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، كان توبة يهواها ويتعشق بها فخطبها إلى أبيها فأبى أن يزوجه إياها وزوجها في بني الأدلع . وترجمتها في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٥١٧ ـ ٥١٩) وثمة مصادر ترجمتها وأخبارها .

(٣) سائر التراجم ساقطة من أ ، ب .

(٤) في ط : أشهراً ، وما هنا عن أ ، ب والطبري .

(٥) في أ : ثمانية أشهر ، وما هنا عن ط ، ب والطبري .

(٦) روى الطبراني (٦/ ١٩٥) أن الحجاج ختم في أعناقهم ، وكذلك فعل بأنس بن مالك صاحب رسول الله ﷺ .

(٧) انفردت أ بزيادة هنا تذكر خطبة الحجاج في المدينة نقلاً عن الواقدي ، وفيها أن الحجاج أطلق كلاماً فاحشاً لا يليق بالمدينة وساكنها وأهلها وناداهم بـ يا أهل خبيثة . . ولمّا لم أجد لهذه الخطبة أو نحوها أثراً في المصادر لم أثبتها ؛ ثم في هامش أ : لعن الحجاج لأنه أطلق هذا الكلام ، وانتقاد للمؤلف لأنه نقل هذا الكلام ـ وغالب ظني أنه من زيادات النساخ ـ وفي آخر الهامش : حرره غيرة على الدين المبين وإرغاماً لأعداء سيد المرسلين ﷺ . العبد الفقير إلى رب العالمين السيد حسين حسيني عامله ربه بالفضل .

=

قال ابن جرير[1] : وفيها نقض الحجاج بنيان الكعبة الذي كان ابن الزبير بناه وأعادها على بنيانها الأول ، قلت : الحجاج لم ينقض بنيان الكعبة جميعه ، بل إنما هدم الحائط الشامي حتى أخرج الحِجْر من البيت ثم سده وأدخل في جوف الكعبة ما فضل من الأحجار ، وبقيت الحيطان الثلاثة بحالها ، ولهذا بقي البابان[2] الشرقي والغربي وهما ملصقان بالأرض كما هو المشاهد إلى يومنا هذا ، ولكن سد الغربي بالكلية وردم أسفل الشرقي حتى جعله مرتفعاً كما كان في الجاهلية .

ولم يبلغ الحجاجَ وعبدَ الملك ما كان بلغ ابن الزبير من العلم النبوي الذي كانت أخبرته به خالته عائشة عن رسول الله ﷺ ، أنه قال : « لولا أن قومك حديث عهدهم بكفر ـ وفي رواية ـ بجاهلية لنقضت الكعبة وأدخلت فيها الحجر ، وجعلت لها باباً شرقياً وباباً غربياً ، ولألصقتهما بالأرض ، فإن قومك قصرت بهم النفقة فلم يدخلوا فيها الحجر ولم يتمموها على قواعد إبراهيم ورفعوا بابها ليدخلوا من شاؤوا ويمنعوا من شاؤوا »[3] . فلما تمكن ابن الزبير بناها كذلك ، ولما بلغ عبد الملك هذا الحديث بعد ذلك قال : وددنا لو تركناه وما تولاه من ذلك .

وفي هذه السنة وُلِّي المهلبُ بن أبي صفرة حرب الأزارقة عن أمر عبد الملك لأخيه بشر بن مروان أن يجهز المهلب إلى الخوارج في جيوش من البصرة والكوفة ، ووجد بشر على المهلب في نفسه حيث عيَّنه عبد الملك في كتابه . فلم يجد بداً من طاعته في تأميره على الناس في هذه الغزوة ، وما كان له من الأمر شيء ، غير أنه أوصى أمير الكوفيين عبد الرحمن[4] بن مخنف أن يستبد بالأمر دونه ، وأن لا يقبل له رأياً ولا مشورة ، فسار المهلب بأهل البصرة وأمراء الأرباع معه على منازلهم حتى نزل برامهرمز ، فلم يلبث[5] عليها إلا عشراً حتى جاء نعي بشر بن مروان ، وأنه مات بالبصرة واستخلف عليها خالد بن عبد الله ، فارفضَّ بعض الجيش ورجعوا إلى البصرة فبعثوا في آثارهم من يردهم ، وكتب خالد بن عبد الله إلى الفارِّين يتوعدهم إن لم يرجعوا إلى أميرهم ، ويتوعدهم بسطوة عبد الملك ، فعدلوا يستأذنون عمرو بن حريث في المصير إلى الكوفة فكتب إليهم : إنكم تركتم أميركم وأقبلتم عاصين مخالفين ، وليس لكم إذن ولا إمام ولا أمان ، فلما جاءهم ذلك أقبلوا إلى رحالهم [فركبوها ثم ساروا إلى بعض البلاد] فلم يزالوا مختفين بها حتى قدم الحجاج [والياً] على العراق مكان بشر بن مروان كما سيأتي بيانه قريباً .

= ولم أثبت هذه التعليقة أيضاً عملاً بقوله ﷺ : « ليس المؤمن بطعان ولا لعان » .
ولم يدرج المؤلف رحمه الله على لعن أحد ، وكذلك أخلاق العلماء الفضلاء .

(١) تاريخ الطبري (٦/ ١٩٥) .
(٢) في ط : البنيان ؛ تحريف .
(٣) انظر البخاري رقم (١٥٨٤ ـ ١٥٨٦) ومسلم رقم (١٣٣٣) من حديث عائشة رضي الله عنها .
(٤) في ط : « عبد الله بن مخنف » ، وما أثبتناه من م والطبري (٦/ ١٩٦) ، وابن الأثير (٤/ ٣٦٦) .
(٥) في ط : يقم .

وفي هذه السنة عزل عبد الملك بُكير بن وشاح التميمي عن إمرة خراسان وولاها أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد القرشي ليجتمع عليه الناس فإنه قد كادت الفتنة تتفاقم بخراسان بعد عبد الله بن خازم ، فلما قدم أمية بن عبد الله خراسان عرض على بُكير بن وشاح أن يكون على شرطته فأبى وطلب منه أن يوليه طخارستان فخوفوه منه أن يخلعه هنالك فتركه مقيماً عنده . قال ابن جرير : وحج بالناس فيها الحجاج بن يوسف وهو على إمرة المدينة ومكة واليمن واليمامة . قال ابن جرير[١] : وقد قيل إن عبد الملك اعتمر في هذه السنة ولا نعلم صحة ذلك .

ذكر من توفي فيها من الأعيان

رافع بن خديج بن رافع الأنصاري[٢] ، صحابي جليل شهد أحداً وما بعدها ، [وصفين مع علي وكان يتعانا المزارع والفلاحة[٣] ، توفي وهو ابن ستٍّ وثمانين سنة ، وأسند ثمانية وسبعين حديثاً][٤] وأحاديثه جيدة . وقد أصابه يوم أُحُد سهم في ترقوته فخيّره رسول الله ﷺ بين أن ينزعه منه وبين أن يترك فيه القطبة[٥] ويشهد له يوم القيامة[٥] ، فاختار هذه ، وانتقض عليه في هذه السنة فمات منه رضي الله عنه .

أبو سعيد الخدري[٦] ، هو سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي ، صحابي جليل من فقهاء الصحابة استُصغر يوم أُحُد ، ثم كان أول مشاهده الخندق ، وشهد مع رسول الله ﷺ ثنتي عشرة غزوة ، وروى عنه أحاديث كثيرة ، وعن جماعة من الصحابة ، وحدَّث عنه خلق من التابعين وجماعة من الصحابة ، كان من نجباء الصحابة وفضلائهم وعلمائهم .

قال الواقدي وغيره : مات سنة أربع وسبعين وقيل قبلها بعشر سنين ، فالله أعلم .

---

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٢٠١) .

(٢) ترجمة ـ رافع بن خديج ـ في تاريخ خليفة (٢٧١) والاستيعاب (١/ ٤٩٥) . وأسد الغابة (٢/ ١٥١) وتهذيب الكمال (٩/ ٢٢ـ٢٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ـ٨٠/ ص٤٠٠) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٨١) والإصابة (١/ ٤٩٥) وشذرات الذهب (١/ ٣١٢) .

(٣) في سير أعلام النبلاء (٣/ ١٨٢) : وكان صحراوياً ، عالماً بالمزارعة والمساقاة ، وفي تاريخ الإسلام (ص٤٠٠) : وكان يتعانى المزارع ويفلحها .

(٤) ما بين معكوفين ساقط من أ .

(٥) في ب : القطنة . والتصحيح من مسند أحمد ، والقطبة : نصل السهم . والحديث في مسند الإمام أحمد (٦/ ٣٧٨) والمعجم الكبير للطبراني (٤/ ٢٨٢) رقم (٤٢٤٢) وهو حديث حسن .

(٦) ترجمة ـ أبي سعيد الخدري ـ في تاريخ خليفة (٧١) والاستيعاب (٢/ ٦٠٢) وتاريخ دمشق (٢٠/ ٣٧٣ـ٣٩٩) وأسد الغابة (٢/ ٢٨٩) وتهذيب الكمال (١٠/ ٢٩٤ـ٣٠٠) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ـ٨٠/ ٥٥١ـ٥٥٤) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٦٨) والإصابة (٢/ ٣٥) وتهذيب التهذيب (٣/ ٤٧٩ـ٤٨١) والنجوم الزاهرة (١/ ١٩٢) . وشذرات الذهب (١/ ٣١١) وتهذيب ابن عساكر (٦/ ١١٠) .

[قال الطبراني[1] : حدَّثنا المقدام بن داود ، ثنا خالد بن نزار ، ثنا هشام بن سعيد ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري . قال : قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاءً ؟ فقال : « النبيون » قلت : ثم أي ؟ قال : « ثم الصالحون ، إن كان أحدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجد إلا السترة ـ وفي رواية ـ إلا العباءة أو نحوها ، وإن أحدهم ليبتلى بالقمل حتى ينبذ القمل ، وكان أحدهم بالبلاء أشد فرحاً منه بالرخاء » .

وقال قتيبة بن سعيد : ثنا الليث بن سعد ، عن ابن عجلان ، عن سعيد المقبري ، عن أبي سعيد الخدري : أن أهله شكوا إليه الحاجة فخرج إلى رسول الله ﷺ يسأل لهم شيئاً ، فوافقه على المنبر وهو يقول : « أيها الناس قد آن لكم أن تستغنوا عن المسألة فإنه من يستعف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، والذي نفس محمد بيده ما رزق الله عبداً من رزق أوسع له من الصبر ، ولئن أبيتم إلا أن تسألوني لأعطينكم ما وجدت »[2] . وقد رواه الطبراني عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد نحوه][3] .

عبد الله بن عمر[4] بن الخطاب القرشي العدوي ، أبو عبد الرحمن المكي ، ثم المدني .

أسلم قديماً مع أبيه ولم يبلغ الحلُم وهاجر عبد الله وعمره عشر سنين .

وقد استُصغر يوم أُحُد[5] ، فلما كان يوم الخندق أجازه وهو ابن خمس عشرة سنة فشهدها وما بعدها ، وهو شقيق حفصة [بنت عمر] أم المؤمنين ، أمهما زينب بنت مظعون أخت عثمان بن مظعون .

وكان [عبد الله بن عمر] ربعة من الرجال آدم له جمة تضرب إلى منكبيه جسيماً يخضب بالصفرة ويحفي شاربه .

وكان يتوضأ لكل صلاة ويُدخل الماء في أصول عينيه ، وقد أراده عثمان على القضاء فأبى ذلك ، وكذلك أبوه ، وشهد اليرموك والقادسية وجلولاء وما بينهما من وقائع الفرس ، وشهد فتح مصر ، واختط بها داراً .

---

(١) المعجم الأوسط (١٠/ ٢٠) رقم (٩٠٤٣) ورواه ابن ماجه رقم (٤٠٢٤) وهو حديث صحيح .

(٢) رواه ابن حبان (٣٣٩٩)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٧٠) من طريق سعيد المقبري عن أبي سعيد الخدري . ورواه أحمد (٣/ ١٢ و٤٧) من طريق عطاء بن يسار عن أبي سعيد. ورواه الطيالسي (٢١٦١)، وأحمد (٣/ ٣) من طريق أبي نضرة عن أبي سعيد . وهو حديث صحيح .

(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط .

(٤) ترجمة ـ عبد الله بن عمر ـ في طبقات ابن سعد (٢/ ٣٧٣) وطبقات خليفة (٢٢ و٩٩) وتاريخ البخاري (٥/ ٢ ، ٣) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢٤٩) وحلية الأولياء (١/ ٢٩٢) والاستيعاب (٢/ ٣٤١) وتاريخ بغداد (١/ ١٧١) وتاريخ دمشق (٣١/ ٧٩ـ٢٠٤) وأسد الغابة (٣/ ٢٢٧) ووفيات الأعيان (٣/ ٢٨ـ٣١) وتهذيب الكمال (١٥/ ٣٣٢ ـ ٣٤١) وتاريخ الإسلام (وفيات سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٥٣ ـ ٤٦٧) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٢٠٣ ـ ٢٣٩) والوافي بالوفيات (١٧/ ٣٦٢ـ٣٦٤) ونكت الهميان (١٨٣ ـ ١٨٤) وجامع الأصول (٩/ ٦٤) والإصابة (٢/ ٣٤٧ ـ ٣٥٠) وتهذيب التهذيب (٥/ ٣٢٨ـ٣٣٠) والنجوم الزاهرة (١/ ١٩٢) وشذرات الذهب (١/ ٣١٠) .

(٥) صحيح البخاري (٣٩٥٥) في المغازي .

وقدم البصرة وشهد غزو فارس ، وورد المدائن مراراً وكان عمره يوم مات النبي ﷺ ثنتين وعشرين سنة ، وكان إذا أعجبه شيء من ماله تقرب به إلى الله عزَّ وجلَّ ، وكأن عبيده قد عرفوا ذلك منه ، فربما لزم أحدهم المسجد فإذا رآه ابن عمر على تلك الحال أعتقه ، فيقال له : إنهم يخدعونك ، فيقول : من خدعنا لله انخدعنا له[١] .

وكان له جارية يحبها كثيراً فأعتقها وزوجها لمولاه نافع ، وقال : إن الله تعالى يقول : ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران : ٩٢][٢] .

وكان له نجيب اشتراه بمال فأعجبه لما ركبه فقال : يا نافع أدخله في إبل الصدقة[٣] .

وأعطاه ابن جعفر في نافع عشرة آلاف دينار ، فقيل له : ما تنتظر ببيعه ؟ فقال : ما هو خير من ذلك ؟ هو حر لوجه الله .

واشترى مرة غلاماً بأربعين ألفاً وأعتقه فقال الغلام : [يا مولاي قد أعتقتني ، فهبْ لي شيئاً أعيش به . فأعطاه أربعين ألفاً .

واشترى مرة خمسة عبيد فقام يصلّي ، فقاموا خلفه يصلّون فقال : لمن صليتم هذه الصلاة ؟ فقالوا : لله ! فقال : أنتم أحرار لمن صليتم له ، فأعتقهم .

والمقصود أنه][٤] ما مات حتى أعتق ألف رقبة ، وربما تصدق في المجلس الواحد بثلاثين ألفاً ، وكانت تمضي عليه الأيام الكثيرة والشهر لا يذوق فيه لحماً إلا وعلى يديه يتيم .

وبعث إليه معاوية بمئة ألف لما أراد أن يبايع ليزيد ، فما حال عليه الحول وعنده منها شيء .

وكان يقول : إني لا أسأل أحداً شيئاً ، وما رزقني الله فلا أرده .

وكان في مدة الفتنة لا يأتي أمير إلا صلّى خلفه ، وأدّى إليه زكاة ماله ، وكان أعلم الناس بمناسك الحج ، كان يتتبع آثار رسول الله ﷺ ويصلّي فيها ، حتى إن النبي ﷺ نزل تحت شجرة وكان ابن عمر يتعاهدها ويصب في أصلها الماء[٥] .

وكان إذا فاتته العشاء في جماعة أحيا تلك اللّيلة ، وكان يقوم أكثر اللّيل ، وقيل إنه مات وهو في الفضل مثل أبيه ، وكان يوم مات خيرَ مَنْ بقي ، ومكث ستين سنة يفتي الناس من سائر البلاد .

---

(١) تاريخ دمشق (٣١/ ١٣٢ ـ ١٣٣) .
(٢) تاريخ دمشق (٣١/ ١٣٧) وحلية الأولياء (١/ ٢٩٥) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٢١٧) .
(٣) تاريخ دمشق (٣١/ ١٣٣) .
(٤) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر في تاريخ دمشق (٣١/ ١٢٥) .
(٥) تاريخ دمشق (٣١/ ١٢١) .

روى عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة ، وروى عن الصدِّيق ، وعن عمر ، وعثمان ، وسعد ، وابن مسعود ، وحفصة ، وعائشة وغيرهم .

وعنه : خلق منهم بنوه حمزة ، وبلال ، وزيد ، وسالم ، وعبد الله ، وعبيد الله ، وعمر إن كان محفوظاً[١] ، وأسلم مولى أبيه ، وأنس بن سيرين والحسن وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وطاوس وعروة وعطاء وعكرمة ومجاهد وابن سيرين والزهري ومولاه نافع .

ثبت في الصحيح[٢] عن حفصة أن رسول الله ﷺ قال : « إن عبد الله رجل صالح لو كان يقوم اللّيل » . فكان بعد يقوم الليل .

وقال ابن مسعود : إن من أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا ابن عمر .

وقال جابر : ما منا أحد أدرك الدنيا إلا مالت به ومال بها ، إلا ابن عمر ، وما أصاب أحد من الدنيا شيئاً إلا انتقص منه من درجاته عند الله وإن كان عليه كريماً .

وقال سعيد بن المسيب : مات ابن عمر يوم مات وما من الدنيا أحد أحب أن ألقى الله بمثل عمله منه .

وقال الزهري : لا يعدل برأيه فإنه أقام بعد رسول الله ﷺ ستين سنة ، فلم يخف عليه شيء من أمره ولا من أمر أصحابه رضي الله عنهم[٣] .

وقال مالك : بلغ ابن عمر ستاً وثمانين سنة وأفتى في الإسلام ستين سنة ، تقدم عليه وفود الناس من أقطار الأرض ، قال الواقدي وجماعة : توفي ابن عمر سنة أربع وسبعين ، وقال الزبير بن بكار وآخرون : توفي سنة ثلاث وسبعين . قال الزبير : والأول أثبت ، والله أعلم .

وقال ابن سعد[٤] : لما قتل عثمان واستخلف علي أتاه ابن عمر فقال له علي : إنك محبوب إلى الناس فسر إلى الشام فقد وليتكها ، فقال : أذكِّرك الله وقرابتي وصحبتي لرسول الله والرحم إلا ما وليت غيري وأعفيتني فأبى عليه ، فاستعان بحفصة أخته فكلمته ثم سار من ليلته إلى مكة هارباً منه .

وقيل : إن مروان قال لابن عمر ألا تخرج إلى الشام فيبايعوك ، قال فكيف أصنع بأهل العراق قال : تقاتلهم بأهل الشام ، فقال والله ما يسرني أن لي ملك الأرض وأن الناس كلهم بايعوني ، وقد قتل منهم رجل واحد ، وما أحب أنها أتتني ورجل يقول لا وآخر نعم ، وقيل : إنه دخل عليه الحجاج وهو مريض فغمض عينيه فكلَّمه فلم يجبه . توفي بمكة بعد منصرف الناس من الحج في آخر السنة وعمره أربع وثمانون

---

(١) تهذيب الكمال (١٥/ ٣٣٤) .

(٢) صحيح البخاري رقم (٣٧٤٠) في الفضائل ، وصحيح مسلم رقم (٢٤٧٨) في فضائل الصحابة .

(٣) تاريخ دمشق (٣١/ ٢٠١) .

(٤) الطبقات الكبرى (٤/ ١٦٩) . والخبر أيضاً في سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٠٥) .

سنة ، ودفن بالمحصب ، وهو آخر من مات من الصحابة بمكة ، وكان له من الولد أبو بكر وأبو عبيدة وواقد وعبد الله وعمرو وحفصة وسودة . أمهم صفية بنت أبي عبيد أخت المختار ، وعبد الرحمن وسالم وعبيد الله وحمزة وأمهم أم ولد ، وزيد وعائشة لأم ولد ، وأسند ألفين وستمئة وثلاثين حديثاً[١] .

عبيد بن عمير[٢] بن قتادة بن سعد بن عامر بن جندع بن ليث ، اللّيثي ثم الجندعي ، أبو عاصم المكي قاص[٣] أهلها .

قال مسلم بن الحَجّاج[٤] : ولد في حياة النبي ﷺ . وقال غيره : ورآه أيضاً .

وروى عن أبيه ، وله صحبة ، وعن عمر وعلي وأبي هريرة وابن عباس وابن عمر وعبد الله بن عمر[و] وأم سلمة وغيرهم ، وعنه جماعة من التابعين وغيرهم ، ووثقه ابن معين وأبو زرعة وغير واحد .

وكان ابن عمر يجلس في حلقته ويبكي وكان يعجبه تذكيره ، وكان بليغاً ، وكان يبكي حتى يبل الحصى بدموعه .

قال مهدي بن ميمون ، عن غيلان بن جرير قال : كان عبيد بن عمير إذا آخى أحداً في الله استقبل به القبلة . فقال : اللهم اجعلنا سعداء بما جاء به نبيك ، واجعل محمداً شهيداً علينا بالإيمان ، وقد سبقت لنا منك الحسنى غير متطاول علينا الأمد ، ولا قاسية قلوبنا ، ولا قائلين ما ليس لنا بحق ، ولا سائلين ما ليس لنا به علم .

وحكى البخاري[٥] ، عن ابن جريج : أن عبيد بن عمير مات قبل ابن عمر رضي الله عنه .

أبو جحيفة[٦] ، وهب بن عبد الله السُّوائي ، صحابي رأى النبي ﷺ ، وكان دون البلوغ عند وفاة النبي ﷺ . لكن روى عنه عدة أحاديث ، وعن علي والبراء بن عازب ، وعنه جماعة من التابعين ، منهم

---

(١) من قوله : وقال ابن سعد . . . إلى هنا ساقط من ط .

(٢) ترجمة ـ عبيد بن عمير ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٤٦٣) وتاريخ البخاري (٥/ ٤٥٥) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٢٣) وحلية الأولياء (٣/ ٢٦٦) والاستيعاب (٢/ ٤٤١) وأسد الغابة (٣/ ٣٥٣) وتهذيب الكمال (١٩/ ٢٢٥ـ٢٢٧) وتاريخ الإسلام (وفيات سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٨٠) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٥٦) والإصابة (٣/ ٧٨) .

(٣) في ط : قاضي أهلها ؛ تحريف ، وما أثبت عن م وأسد الغابة وتاريخ الإسلام .

(٤) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٨١) .

(٥) تاريخه الكبير (٥/ الترجمة ١٤٧٩) .

(٦) ترجمة ـ أبي جحيفة ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ٦٣) وتاريخ خليفة (٢٧٣) وتاريخ البخاري (٨/ ١٦٢) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢١٩) والاستيعاب (٤/ ٣٦) وأسد الغابة (٥/ ١٥٧) وتاريخ بغداد (١/ ١٩٩) وتهذيب الكمال (٣٣/ ١٨٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٥٤٩) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٠٢) وتهذيب التهذيب (١١/ ١٦٤) والإصابة (٣/ ٦٤٢) وشذرات الذهب (١/ ٣١١) .
والسُّوائي : بضم السين المهملة . تقريب التهذيب .

إسماعيل بن أبي خالد ، والحكم ، وسلمة بن كهيل والشعبي وأبو إسحاق السبيعي .

وكان قد نزل الكوفة وابتنى بها داراً وتوفي في هذه السنة ، وقيل في سنة أربع وتسعين ، فالله أعلم .

[وكان صاحب شرطة علي ، وكان علي إذا خطب يقوم أبو جحيفة تحت منبره][١] .

سلمة بن الأكوع[٢] بن عمرو بن سنان الأنصاري ، وهو أحد من بايع تحت الشجرة ، وكان من فرسان الصحابة ومن علمائهم ، كان يفتي بالمدينة ، وله مشاهد معروفة في حياة النبي ﷺ وبعده .

توفي بالمدينة وقد جاوز السبعين سنة .

مالك بن أبي عامر[٣] ، الأصبحي ، المدني ، وهو جد الإمام مالك بن أنس .

روى عن جماعة من الصحابة وغيرهم وكان فاضلاً عالماً .

توفي بالمدينة .

أبو عبد الرحمن السُلَمي[٤] ، مقرىء أهل الكوفة بلا مدافعة ، واسمه عبد الله بن حبيب ، قرأ القرآن على عثمان بن عفان وابن مسعود ، وسمع من جماعة من الصحابة وغيرهم ، وأقرأ الناس القرآن بالكوفة من خلافة عثمان إلى إمرة الحجاج ، قرأ عليه عاصم بن أبي النجود وخلق غيره ، توفي بالكوفة .

أبو معرض الأسدي[٥] ، اسمه مغيرة بن عبد الله الكوفي ، ولد في حياة النبي ﷺ ، ووفد على عبد الملك بن مروان وامتدحه ، وله شعر جيد ، ويعرف بالأقطشي[٦] ، وكان أحمر الوجه كثير الشعر ، توفي بالكوفة في هذه السنة ، وقد قارب الثمانين سنة .

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر في تاريخ الإسلام .

(٢) ترجمة ـ سلمة بن الأكوع ـ في طبقات ابن سعد (٤/ ٣٠٥) وتاريخ خليفة (٢٧١) وتاريخ البخاري (٤/ ٦٩) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٣٦) والاستيعاب (٢/ ٨٧) وأسد الغابة (٢/ ٣٣٣) وتهذيب الكمال (١١/ ٣٠١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ـ٨٠/ ص٤١٢) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٢٦ـ٣٣١) وتهذيب التهذيب (٤/ ١٥٠ـ١٥٢) والإصابة (٢/ ٦٦) والوافي بالوفيات (١٥/ ٣٢١) وشذرات الذهب (١/ ٣١١) .

(٣) ترجمة ـ مالك بن أبي عامر ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٦٣ـ٦٤) وطبقات خليفة (٢٥٤) وتاريخ البخاري (٧/ ٣٠٥) وتهذيب الكمال (١٨/ ٣٦) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ـ٨٠/ ص٥٢١) وتهذيب التهذيب (١٠/ ١٩) .

(٤) ترجمة ـ أبي عبد الرحمن السُلمي ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ١٧٢) وتاريخ خليفة (٢٧٣) وتاريخ البخاري (٥/ ٧٢) وتاريخ بغداد (٩/ ٤٣٠) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢١٩) ومواضع أخرى ، وتهذيب الكمال (١٤/ ٤٠٨ـ٤١٠) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ـ٨٠/ ص٥٥٦ـ٥٥٨) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٦٧) والوافي بالوفيات (١٦/ ١٢١) ونكت الهميان (١٧٨) . وتهذيب التهذيب (٥/ ١٨٣ـ١٨٤) .

(٥) ترجمة ـ أبي معرض الأسدي ـ في الشعر والشعراء (٢/ ٤٦٣) ومعجم الشعراء للمرزباني (٣٩٦) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٥٦٠ ـ ٥٦١) .

(٦) في تاريخ الإسلام : ويعرف بالأُقَيْشِر ، وقيل له ذلك لأنه كان أحمر الوجه أقشر .

بشر بن مروان[١] ، الأموي أخو عبد الملك بن مروان ، ولي إمرة العراقين لأخيه عبد الملك ، وله دار بدمشق عند عقبة الكتان[٢] ، وكان سمحاً جواداً ، وإليه ينسب دير مروان[٣] عند حجيرا .

وهو الذي قتل خالد بن حصين الكلابي يوم مرج راهط ، وكان لا يغلق دونه الأبواب ويقول : إنما يحتجب النساء ، وكان طليق الوجه ، وكان يجيز على الشعر بألوف ، وقد امتدحه الفرزدق والأخطل ، والجهمية تستدل على الاستواء على العرش بأنه الاستيلاء ببيت الأخطل :

قدِ استوى بشرٌ على العراقِ مـن غيـر سيـفٍ ودم مهـراقِ

وليس فيه دليل ، فإن هذا استدلال باطل من وجوه كثيرة ، وقد كان الأخطل نصرانياً ، وكان سبب موت بشر أنه وقعت القرحة في يمينه[٤] فقيل له يقطعها من المفصل فجزع ، فما أحس حتى خالطت الكتف ، ثم أصبح وقد خالطت الجوف ثم مات .

ولما احتضر جعل يبكي ويقول : والله لوددت أني كنت عبداً أرعى الغنم في البادية لبعض الأعراب ولم أل ما وليت ، فذكر قوله لأبي حازم ـ أو لسعيد بن المسيب ـ ، فقال : الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يفرون إلينا ولم يجعلنا نفر إليهم ، إنا لنرى فيهم عِبَراً .

وقال الحسن : دخلت عليه فإذا هو يتململ على سريره ثم نزل عنه إلى صحن الدار ، والأطباء حوله .

مات بالبصرة في هذه السنة وهو أول أمير مات بها ، ولما بلغ عبد الملك موته حزن عليه وأمر الشعراء أن يرثوه ، والله سبحانه وتعالى أعلم[٥] .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين[٦]

وفي هذه السنة غزا محمد بن مروان ـ أخو عبد الملك بن مروان وهو والد مروان الحمار ـ صائفة الروم حين خرجوا من عند مرعش .

---

(١) ترجمة ـ بشر بن مروان ـ في المعارف لابن قتيبة (٣٥٤) والأخبار الطوال (٣١٠) وتاريخ خليفة (٢٦٨) وتاريخ الطبري (٥/ ٥٣٩) وما بعدها وتاريخ دمشق لابن عساكر (١٠/ ٢٥٣ ـ ٢٦٦) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٣٧٠ ـ ٣٧٢) وسير أعلام النبلاء (٤ /١٤٥) والوافي بالوفيات (١٠/ ١٥٢) والنجوم الزاهرة (١/ ١٩١) وشذرات الذهب (١/ ٨٣) وتهذيب تاريخ دمشق (٣/ ٢٥١ ـ ٢٥٦) .

(٢) في ط : « عقبة اللباب »، وما هنا يعضده ما في تاريخ الإسلام لشيخه الذهبي، والسير، والوافي بالوفيات. وجاء في تاريخ دمشق: « عقبة الصوف » فالله أعلم .

(٣) هكذا في النسخ ، وفي تاريخ دمشق : « دير بشر » وهو الأصوب إن شاء الله تعالى .

(٤) في ط : عينه ، ما أثبت موافق لتاريخ الإسلام .

(٥) التراجم الخمس السابقة ساقطة من أ ، ب .

(٦) في ب هذه الزيادة : بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم يسر وأعن .

[وفيها ولَّى عبد الملك نيابة المدينة ليحيى بن الحكم بن أبي العاص ، وهو عمه ، وعزل عنها الحجاج .

وفيها ولَّى عبد الملك الحجاج بن يوسف نيابة العراق والبصرة والكوفة وما يتبع ذلك من الأقاليم الكبار][١] وذلك بعد موت أخيه بشر بن مروان ، فرأى عبد الملك أنه لا يسد عنه أهل العراق غير الحجاج لسطوته [وقهره وقسوته] وشهامته ، فكتب إليه وهو بالمدينة بولاية العراق ، فسار من المدينة إلى العراق في اثني عشر راكباً ، فدخل الكوفة على حين غفلة من أهلها على النجائب ، فنزل قريب الكوفة فاغتسل واختضب ولبس ثيابه وتقلد سيفه وألقى عذبة العمامة بين كتفيه ، ثم سار فنزل دار الإمارة ، وذلك يوم الجمعة وقد أذن المؤذن الأول لصلاة الجمعة ، فخرج عليهم وهم لا يعلمون ، فصعد المنبر وجلس عليه وسكت طويلاً ، وقد شخصوا إليه بأبصارهم وجثوا على الركب وتناولوا الحصباء ليحذفوه بها ، وقد كانوا حصبوا عاملاً قبله ، فلما سكت أبهتهم وأحبوا أن يسمعوا كلامه ، فكان أول ما تكلم به أن قال :

يا أهل العراق ، يا أهل الشقاق والنفاق ، ومساوئ الأخلاق ، والله إن كان أمركم ليهمني قبل أن آتي إليكم ، ولقد كنت أدعو الله أن يبتليكم بي ، ولقد سقط مني البارحة سوطي الذي أؤدِّبكم به ، فاتخذت هذا مكانه ـ وأشار إلى سيفه ـ ، ثم قال : والله [لآخذن صغيركم بكبيركم ، وحركم بعبدكم ، ثم لأرصعنكم رصع الحدَّاد الحديدة ، والخبَّاز العجينة][٢] .

فلما سمعوا كلامه جعل الحصى يتساقط من أيديهم .

وقيل : إنه دخل الكوفة على حين غفلة من أهلها وذلك في شهر رمضان من هذه السنة ، فأتى المسجد وصعد المنبر وهو معتجر بعمامة حمراء متلثم بطرفها ، ثم قال :

عليّ بالناس ! فظنه الناس وأصحابه من الخوارج فهمُّوا به حتى إذا اجتمع الناس قام وكشف عن وجهه اللثام وقال :

أنـا ابـنُ جَـلا وطَـلاَّعُ الثَّـنـايـا   متى أَضَعِ العمامةَ تعرِفوني[٣]

ثم قال : أما والله إني لأحمل الشيء[٤] بحمله ، وأحذوه بنعله ، وأحزمه بفتله[٥] ، وإني لأرى

---

(١) ما بينهما ساقط من ب ، وجملة هذه الأخبار في تاريخ الطبري (٦/ ٢٠٢) .

(٢) مكان العبارة في أ : والله لأجرنه فيكم جر المرأة ذيلها ، ولأفعلن بكم ولأصفن .

(٣) البيت لسحيم بن وثيل الرياحي . وقوله ابن جلا : هو الصبح لأنه يجلو الظلمة .
طلاع الثنايا : العارف بالأمور والشديد المجرب ، والثنايا أيضاً : ما صغر من الجبال ونتأ . العقد الفريد لابن عبد ربه (٤/ ١٨٠) وقد زاد أبياتاً أخرى .

(٤) في الطبري (٦/ ٢٠٣) وابن الأثير (٤/ ٣٧٥) الشر .

(٥) في الطبري وابن الأثير : وأجزيه بمثله .

رؤوساً قد أينعت وحان قطافها[١] ، إني لأنظر إلى الدماء تترقرق بين العمائم واللِّحى .

قد شمَّرت عن ساقها فشمِّري

ثم أنشد[٢] :

هـذا أوانُ الشـدِّ فـاشتـدي زِيـمْ ... قـدْ لفّهـا الليـلُ بسـوّاقٍ حُطَـمْ[٣]

لسـت بـراعـي إبـلٍ ولا غنـمْ ... ولا بجـزّارٍ علـى ظهـرِ وضَـمْ[٤]

ثم قال :

قَـدْ لفّهـا الليـلُ بِعَصْلبـيِّ[٥] ... أروعَ خـرّاجٍ مـن الـدوِّيِّ

مهاجرٍ ليسَ بأعرابيِّ

ثم قال : إني والله يا أهل العراق ما أغمز بغماز[٦] ، ولا يقعقع لي بالشنان ، ولقد فُرِزْتُ عن ذكاء[٧] وجريتُ[٨] من الغاية القصوى ، وإن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان نثر كنانته ثم عجم عيدانها عوداً عوداً ، فوجدني أمرّها عوداً وأصلبها مغمزاً[٩] فوجهني إليكم ، فأنتم طالما أوضعتم[١٠] في أودية الفتن ، وسننتم سنن[١١] الغي ، [واخترتم جدد الضلال][١٢] . أما والله لأجردنكم جرد لحاء[١٣] العود ، ولأعصبنكم عصب السلِمة حتى تنقادوا ، [ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل] ، إني والله لا أعد إلا وفيت ، ولا أخلق إلا فريت[١٤] ، فإياي وهذه الجماعات وقيلا وقالا ، والله لتستقيمن على سبيل الحق أو لأدعن لكل رجل منكم شغلاً في جسده . ثم قال : من وجدت بعد ثالثة من بعث المهلب ـ يعني الذين

---

(١) في ط : وآن اقتطافها ، وما هنا كالمصادر .
(٢) الأبيات منسوبة لرويشد بن رُميص العنبري ، وهي من الرجز .
(٣) قوله : فاشتدي زيم ؛ هو اسم للحرب ، والحطم : الذي يحطم كل ما مر به .
(٤) وضم : ما وقي به اللحم عن الأرض .
(٥) العصلبي : الشديد .
(٦) في الطبري (٦/ ٢٠٤) : لا أغمز كتغماز التين .
(٧) فرَّ : كشف عن أسنانه ليعرف عمره . ذكاء : نهاية الشباب .
(٨) في الطبري وابن الأثير : وجريت إلى الغاية القصوى .
(٩) في الطبري وابن الأثير : وأصلبها مكسراً . وعجم عيدانها : يعني عضها واختبرها .
(١٠) في ط : رتعتم ، وما أثبت كالطبري وابن الأثير .
(١١) في ط : وسلكتم سبيل . . ، وما أثبت كالطبري وابن الأثير .
(١٢) زيادة من ط . وفي الكامل للمبرد : واضطجعتم في مراقد الضلال .
(١٣) في ط : لألحونكم لحي .
(١٤) أخلق : الخلق التقدير ، ويقال فريت الأديم إذا أصلحته .

كانوا قد رجعوا عنه لما سمعوا بموت بشر بن مروان كما تقدم ـ سفكتُ دمه وانتهبت ماله ، ثم دخل منزله ولم يزد على ذلك .

ويقال : إنه لما صعد المنبر واجتمع الناس تحته أطال السكوت حتى إن محمد بن عمير أخذ كفاً من حصى وأراد أن يحصبه بها ، وقال : قبحه الله ما أعياه وأذمّه ! فلما نهض الحجاج وتكلّم بما تكلّم به جعل الحصى يتناثر من يده وهو لا يشعر به ، لما يرى من فصاحته وبلاغته .

ويقال : إنه قال في خطبته هذه : شاهت الوجوه إن الله ضرب ﴿ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل : ١١٢] وأنتم أولئك فاستووا واستقيموا ، فوالله لأذيقنكم الهوان حتى تذروا ، ولأعصبنكم عصب السلمة[١] حتى تنقادوا ، وأقسم بالله لتقبلنّ على الإنصاف ولتدعن الإرجاف وكان وكان ، وأخبرني فلان عن فلان ، والخبر وما الخبر ، أو لأهبرنكم بالسيف هبراً يدعُ النساء أيامى والأولاد يتامى ، حتى تمشوا السُّمَّهى[٢] وتقلعوا عن هاوها . في كلام طويل بليغ غريب يشتمل على وعيد شديد [ليس فيه وعد بخير] .

فلما كان في اليوم الثالث سمع تكبيراً في السوق فخرج حتى جلس على المنبر فقال : يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق ، ومساوىء الأخلاق ، إني سمعت كبيراً في الأسواق ليس بالتكبير الذي يراد به الترغيب ، ولكنه تكبير يراد به الترهيب . وقد عرفت[٣] عجاجة تحتها قصف ، يا بني اللكيعة وعبيد العصا وأبناء الإماء والأيامى ، ألا يربع كل رجل منكم على ظلعه ، ويحسن حقن دمه ، ويبصر موضع قدمه ، فأقسم بالله لأوشك أن أوقع بكم وقعة تكون نكالاً لما قبلها وأدباً لما بعدها . قال فقام إليه عمير بن ضابىء التميمي ثم الحنظلي فقال : أصلح الله الأمير إنا في هذا البعث ، وأنا شيخ كبير وعليل ، وهذا ابني هو أشب مني . قال : ومن أنت ؟ قال عمير بن ضابىء التميمي ، قال : أسمعت كلامنا بالأمس ؟ قال : نعم ! قال : ألست الذي غزا عثمان بن عفان ؟ قال : بلى . قال : وما حملك [على ذلك ؟] قال : كان حبس أبي وكان شيخاً كبيراً ، قال : أو ليس هو الذي يقول :

هممتُ ولمْ أفعلْ وكدْتُ وليتني ... فعلتُ وولّيتَ البُكاء حلائلا[٤]

---

(١) من قوله : ولأضربنكم ضرب . . إلى هنا ساقط من أ وحدها .

(٢) السمهى : الباطل ، وأصله ما تسميه العامة مخاطة الشيطان ، وهو لعاب الشمس عند الظهيرة ، قال فيه أبو النجم العجلي :

وذاب للشمس لعاب فنزل ... وقام ميزان الزمان فاعتدل

اللسان (سهم) .

(٣) في ط : عصفت .

(٤) في الكامل لابن الأثير (٤/ ٣٨٠) : تركت على عثمان تبكي حلائله .

ثم قال الحجاج : إني لأحسب أن في قتلك صلاح المصرين ، ثم قال قم إليه يا حرسي فاضرب عنقه ، فقام إليه رجل فضرب عنقه ، وأنهب ماله ، وأمر منادياً فنادى في الناس ألا إن عمير بن ضابىء تأخر بعد سماع النداء ثلاثاً فأمر بقتله ، فخرج الناس حتى ازدحموا على الجسر فعبر عليه في ساعة واحدة أربعة آلاف من مذحج ، وخرجت معهم العرفاء حتى وصلوا بهم إلى المهلّب ، وأخذوا منه كتاباً بوصولهم إليه ، فقال المهلّب : قدم العراق والله رجل ذكر ، اليوم قوتل العدو .

ويروى أن الحجّاج لم يعرف عمير بن ضابىء حتى قال له عنبسة بن سعيد : أيها الأمير ! إن هذا جاء إلى عثمان بعدما قتل فلطم وجهه ، فأمر الحجاج عند ذلك بقتله .

وبعث الحجاج الحكم بن أيوب الثقفي نائباً على البصرة من جهته ، وأمره أن يشتد على خالد بن عبد الله ، وأقر على قضاء الكوفة شريحاً ، ثم ركب الحجاج إلى البصرة واستخلف على الكوفة أبا يعفور ، وولى قضاء البصرة لزرارة بن أوفى ، ثم عاد إلى الكوفة .

وحج بالناس في هذه السنة أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، وأقر عمه يحيى على نيابة المدينة ، وعلى بلاد خراسان أمية بن عبد الله .

وفي هذه السنة وثب الناس بالبصرة على الحجاج ، وذلك أنه لما ركب من الكوفة بعد قتل عمير بن ضابىء قام في أهل البصرة فخطبهم نظير ما قام في أهل الكوفة من الوعيد والتشديد والتهديد الأكيد ، ثم أُتي برجل من بني يشكر(١) فقيل هذا عاص ، فقال الرجل : إن بي فتقاً وقد [عذرني الله] وعذرني بشر بن مروان ، وهذا عطائي مردود على بيت المال ، فلم يقبل منه وأمر بقتله فقتل ، ففزع أهل البصرة وخرجوا من البصرة حتى اجتمعوا عند قنطرة رامهرمز . وعليهم عبد الله بن الجارود ، وخرج إليهم الحجاج ـ وذلك في شعبان من هذه السنة ـ في أمراء الجيش من المصرين فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وقتل أميرهم عبد الله بن الجارود في رؤوس من القبائل معه ، وأمر برؤوسهم فقطعت ونصبت عند الجسر من رامهرمز ، ثم بعث بها إلى المهلب فقوي بذلك وضعف أمير الخوارج .

وأرسل الحجاج إلى المهلّب وعبد الرحمن بن مخنف فأمرهما بمناهضة الأزارقة ، فنهضا بمن معهما إلى الخوارج الأزارقة فأجلوهم عن أماكنهم من رامهرمز بأيسر قتال ، فهربوا إلى أرض كازرون من إقليم سابور ، وسار الناس وراءهم فالتقوا في العشر الأواخر من رمضان ، فلما كان الليل بيَّت الخوارج المهلب من الليل فوجدوه قد تحصن بخندق حول معسكره ، فجاؤوا إلى عبد الرحمن بن مخنف فوجدوه غير محترز ـ وكان المهلب قد أمره بالاحتراز بخندق حوله فلم يفعل ـ فاقتتلوا في الليل فقتلت الخوارج عبد الرحمن بن مخنف وطائفة من جيشه وهزموهم هزيمة منكرة .

---

(١) في الكامل لابن الأثير (٤/ ٣٨٠) : هو شريك بن عمرو اليشكري ، ولقب ذا الكُرْسُفة .

ويقال : إن الخوارج لما التقوا مع الناس في هذه الوقعة كان ذلك في يوم الأربعاء لعشرين بقين من رمضان ، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يعهد مثله من الخوارج ، وحملت الخوارج على جيش المهلب بن أبي صفرة فاضطروه إلى معسكره ، فجعل عبد الرحمن يمده بالخيل بعد الخيل ، والرجال بعد الرجال ، فمالت الخوارج إلى معسكر عبد الرحمن بن مخنف بعد العصر فاقتتلوا معه إلى الليل ، فقتل عبد الرحمن في أثناء الليل ، وقتل معه طائفة كثيرة من أصحابه الذين ثبتوا معه ، فلما كان الصباح جاء المهلب فصلى عليه ودفنه وكتب إلى الحجاج بمهلكه ، فكتب الحجاج إلى عبد الملك يعزِّيه فيه فنعاه عبد الملك إلى الناس بمنى ، وأمّر الحجاج مكانه عتاب بن ورقاء ، وكتب إليه أن يطيع المهلب ، فكره ذلك ولم يجد بدأ من طاعة الحجاج ، ولم تمكنه مراجعته[١] ، فسار إلى المهلب فجعل لا يطيعه إلا ظاهراً ويعصيه سراً ، ثم تقاولا ، فهمَّ المهلب أن يوقع بعتاب ثم حجز بينهما الناس ، فكتب عتاب إلى الحجاج يشكو المهلب فكتب إليه أن يقدم عليه وأعفاه من ذلك ، وجعل المهلب مكانه ابنه حبيب بن المهلب[٢] .

وفيها خرج داود بن النعمان المازني بنواحي البصرة ، فوجه إليه الحجاج أميراً على سرية فقتله[٣] .

قال ابن جرير[٤] : وفي هذه السنة تحرك صالح بن مسرّح أحد بني امرىء القيس ، وكان يرى رأي الصُّفرية[٥] ، وقيل إنه أول من خرج من الصفرية ، وكان سبب ذلك أنه حج بالناس في هذه السنة ومعه شبيب بن يزيد ، والبَطين وأشباهُهم من رؤوس الخوارج ، واتفق حجُّ أمير المؤمنين عبد الملك فهمَّ شبيب بالفتك به ، فبلغ عبد الملك ذلك من خبره ؛ فكتب عبد الملك إلى الحجاج بعد انصرافه من الحج أن يتطلبهم ، وكان صالح بن مسرّح هذا يكثر الدخول إلى الكوفة والإقامة بها ، وكان له جماعة [يلوذون به ويعتقدونه] ، من أهل دارا وأرض الموصل ، وكان يعلّمهم القرآن ويقصُّ عليهم ، وكان مصفراً كثير العبادة ، وكان إذا قصَّ يحمد الله ويثني عليه ويصلي على رسوله ، ثم يأمر بالزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ، ويحثّ على ذكر الموت ويترحّم على الشيخين أبي بكر وعمر ، ويثني عليهما ثناءً حسناً ، ولكن بعد ذلك يذكر عثمان رضي الله عنه فيسبُّه وينال منه وينكر عليه أشياء من جنس ما كان ينكر عليه الذين خرجوا عليه وقتلوه من مردة أهل الأمصار ، ثم يحضّ أصحابه على الخروج مع الخوارج للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإنكار ما قد شاع في الناس وذاع ، ويهوِّن عليهم القتل في طلب ذلك ، ويذم الدنيا

---

(١) مكانها في ط : وكره أن يخالفه .

(٢) الخبر بكامله في الطبري (٦/ ٢١٠ ـ ٢١٥) وابن الأثير (٤/ ٣٨٨ ـ ٣٩٠) .

(٣) خبر خروج داود بن النعمان زيادة من ط ، والخبر من تاريخ خليفة (١/ ٣٤٨) ت : سهيل زكار .

(٤) تاريخ الطبري (٦/ ٢١٥) .

(٥) الصفرية : هم أتباع زياد بن الأصفر ، وقولهم في الجملة كقول الأزارقة ؛ في أن أصحاب الذنوب مشركون ، وكل ذنب ليس فيه حد ، وأن المؤمن المذنب بفقد اسم الإيمان في الوجهين جميعاً . والصفرية يقولون بموالاة عبد الله بن وهب الراسبي وحرقوص بن زهير وأتباعهما من المحكمة الأولى . الفرق بين الفرق (ص٦١) .

ذماً بالغاً ، ويصغر أمرها ويحقره ، فالتفت عليه جماعة من الناس ، وكتب إليه شبيب بن يزيد الخارجي يستبطئه في الخروج ويحثه عليه ويندب إليه ، ثم قدم شبيب على صالح وهو بدارا فتواعدوا وتوافقوا على الخروج في مستهل صفر من هذه السنة الآتية ـ وهي سنة ست وسبعين ـ [وقدم على صالح شبيب وأخوه مصاد والمحلل[١] والفضل بن عامر ، فاجتمع عليه من الأبطال وهو بدارا نحو مئة وعشرة أنفس ، ثم وثبوا على خيل لمحمد بن مروان فأخذوها ونفروا بها][٢] ثم كان من أمرهم بعد ذلك ما كان ، كما سنذكره في هذه السنة التي بعدها إن شاء الله تعالى .

وكان ممن توفي في هذه السنة في قول أبي مسهر وأبي عبيد :

العرباض بن سارية[٣] ، رضي الله عنه السّلمي أبو نجيح ، سكن حمص وهو صحابي جليل .

أسلم قديماً هو وعمرو بن عبسة ونزل الصفة .

وكان من البكائين المذكورين في القرآن كما قد ذكرنا أسماءهم عند قوله ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾ [التوبة : ٩٢] الآية . وكانوا تسعة[٤] وهو راوي حديث « خطبنا رسول الله ﷺ خطبة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون حتى قلنا : يا رسول الله ؛ كأنها موعظة مودِّع ، فأوصنا . قال : « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ، وعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة . . . . »[٥] .

---

(١) في الطبري (٦/ ٢١٩) : المحلل بن وائل اليشكري .

(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط .

(٣) ترجمة ـ العرباض بن سارية ـ في طبقات ابن سعد (٤/ ٢٧٦) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٣٤٤ ـ ٣٤٩) وحلية الأولياء (٢/ ١٣) والاستيعاب (٣/ ١٦٦) وأسد الغابة (٣/ ١٩٢) وتهذيب الكمال (١٩/ ٥٤٩ ـ ٥٥١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٨٣ ـ ٤٨٥) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤١٩ ـ ٤٢١) وتهذيب التهذيب (٧/ ١٥٣) والإصابة (٢/ ٤٧٣) وشذرات الذهب (١/ ٣١٣) .

(٤) قال المصنف رحمه الله في تفسيره (٢/ ٣٦٥) : وقال محمد بن كعب : كانوا سبعة نفر من بني عمرو بن عوف سالم بن عوف ، ومن بني واقف حرمي بن عمرو ، ومن بني مازن بن النجار عبد الرحمن بن كعب ويكنى أبا ليلى ، ومن بنى المعلى فضل الله ، ومن بني مسلمة عمرو بن عتمة وعبد الله بن عمرو المزني . وقال محمد بن إسحاق في سياق غزوة تبوك : ثم إن رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ وهم الباقون وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم من بني عمرو بن عوف سالم بن عمير وعلية بن زيد أخو بني حارثة ، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب أخو بني مازن بن النجار وعمرو بن الحمام بن الجموح أخو بني سلمة ، وعبد الله بن المغفل المزني ، وبعض الناس يقول : بل هو عبد الله بن عمرو المزني ، وحرمي بن عبد الله أخو بني واقف ، وعياض بن سارية الفزاري فاستحملوا رسول الله ﷺ وكانوا أهل حاجة .

(٥) من قوله : حتى قلنا يا رسول الله . . . إلى هنا ساقط من ط .

ورواه أحمد وأهل السنن وصححه الترمذي وغيره[١] .

[وروى أيضاً أن النبي ﷺ « كان يصلي على الصف المقدم ثلاثاً وعلى الثاني واحدة »[٢]

وقد كان العرباض شيخاً كبيراً ، وكان يحب أن يقبضه الله إليه ، وكان يدعو : اللهم كبرت سني ووهن عظمي فاقبضني إليك[٣] ، وروى أحاديث .

وأبو ثعلبة الخشني[٤] ، صحابي جليل ، شهد بيعة الرضوان وغزا حنيناً وكان ممن نزل الشام بداريا [غربي دمشق إلى جهة القبلة] وقيل : ببلاط قرية شرقي دمشق ، فالله أعلم .

وقد اختلف في اسمه واسم أبيه على أقوال كثيرة ، والأشهر منها جرثوم بن ناشر .

وقد روى عن رسول الله ﷺ أحاديث [وعن جماعة من الصحابة] وعنه جماعة من التابعين ، منهم : سعيد بن المسيب ، ومكحول الشامي ، وأبو إدريس الخولاني ، وأبو قلابة الجرمي ، وكان ممن يجالس كعب الأحبار ، وكان في كل ليلة يخرج فينظر إلى السماء فيتفكر ثم يرجع إلى المنزل فيسجد لله عزَّ وجلَّ ، وكان يقول : إني لأرجو أن لا يخنقني الله عند الموت كما أراكم تختنقون ، فبينما هو ليلة يصلي من الليل إذ قبضت روحه وهو ساجد . ورأت ابنته في المنام كأن أباها قد مات فانتبهت مذعورة فقالت لأمها أين أبي ؟ قالت : هو في مصلاه ، فنادته فلم يجبها ، فجاءته فحركته لجنبه فإذا هو ميت رحمه الله[٥] .

قال أبو عبيدة ومحمد بن سعد وخليفة وغير واحد : كانت وفاته سنة خمس وسبعين ، وقال غيرهم : كانت وفاته في أول إمرة معاوية ، فالله أعلم .

وقد توفي في هذه السنة .

الأسود بن يزيد[٦] ، صاحب ابن مسعود ، [وهو الأسود بن يزيد النخعي من كبار التابعين ، ومن

---

(١) مسند الإمام أحمد (٤/ ١٢٦ـ١٢٧) وجامع الترمذي رقم (٢٦٧٦) في العلم ، وسنن أبي داود (٤٦٠٧) في السنة ، وسنن ابن ماجه (٤٢) في المقدمة ، وسنن الدارمي (١/ ٤٤) وهو حديث صحيح .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٢٨) ، وابن ماجه (٩٩٦) في الصلاة ، والنسائي في سننه رقم (٨١٦) في الأذان وهو حديث صحيح .

(٣) الخبر بسنده في سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٢١) .

(٤) ترجمة ـ أبي ثعلبة الخشني ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤١٦) والاستيعاب (٤/ ٢٧) وتاريخ الطبري (١/ ١٦) وأسد الغابة (٥/ ١٥٤ ـ ١٥٥) وتهذيب الكمال (٣٣/ ١٦٧ ـ ١٧٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٥٤٧) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٥٦٧) وشذرات الذهب (١/ ٣١٣) والخشني : بضم الخاء وفتح الشين ، نسبة إلى خشين بن النمر بن وبرة . (اللباب ١/ ٣٧٤) .

(٥) القصة بسندها في تهذيب الكمال (٣٣/ ١٧٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ـ٨٠/ ص٥٤٨) .

(٦) ترجمة ـ الأسود بن يزيد ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ٧٠) وتاريخ خليفة (٢٧٥) وحلية الأولياء (٢/ ١٠٢) والاستيعاب (١/ ٩٤) وأسد الغابة (١/ ٨٨) وتهذيب الكمال (٣/ ٢٣٣) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ=

أعيان أصحاب] ابن مسعود ، ومن كبار أهل الكوفة ، وكان يصوم الدهر ، وقد ذهبت عينه من كثرة الصوم ، وقد حج البيت ثمانين حجة وعمرة . وكان يهل من الكوفة .

توفي في هذه السنة .

وكان يصوم حتى يخضر ويصفر ، فلما احتُضر بكى فقيل له : ما هذا الجزع ؟ فقال : ما لي لا أجزع ؟ ومن أحق بذلك مني ؟ والله لو أنبئت بالمغفرة من الله لأهابن الحياء منه مما قد صنعت ، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو فلا يزال مستحيياً منه[١] .

حمران بن أبان[٢] ، مولى عثمان بن عفان كان من سبي عين التمر[٣] اشتراه عثمان ، وهو الذي كان يأذن الناس على عثمان توفي في هذه السنة والله سبحانه أعلم[٤] .

ثم دخلت سنة ست وسبعين

كان في أولها في مستهل صفر منها ليلة الأربعاء اجتماع صالح بن مسرّح أمير الصّفرية ، وشبيب بن يزيد أحد شجعان الخوارج ، فقام فيهم صالح بن مسرّح فأمرهم بتقوى الله وحثّهم على الجهاد ، وأن لا يقاتلوا أحداً حتى يدعوه إلى الدخول معهم ، ثم مالوا إلى دواب محمد بن مروان نائب الجزيرة فأخذوها فتقووا[٥] بها ، وأقاموا بأرض دارا ثلاث عشرة ليلة ، وتحصّن منهم أهل دارا ونصيبين وسنجار ، فبعث إليهم محمد بن مروان نائب الجزيرة خمسمئة فارس عليهم عدي بن عدي بن عَميرة ، ثم زاده خمسمئة أخرى فسار في ألفٍ من حَرَّان إليهم ، وكأنما يساق إلى الموت وهو ينظر ، لما يعلموا من جلد الخوارج وقوتهم وشدة بأسهم ، فلما التقوا مع الخوارج هزمتهم الخوارج هزيمة شنيعة بليغة ، واحتووا على ما في معسكرهم ، ورجع فلّهم إلى محمد بن مروان ، فغضب وبعث إليهم ألفاً وخمسمئة مع الحارث بن جَعْوَنة ، وألفاً وخمسمئة مع خالد بن جزء السُّلَمي[٦] ، وقال لهما : أيكما سبق إليهم فهو

= ٨٠/ ص٣٥٩) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠) والإصابة (١/ ١٠٦) . وشذرات الذهب (١/ ٣١٣) .

(١) القصة بسندها في تاريخ الإسلام وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٢) .

(٢) ترجمة ـ حمران بن أبان ـ في طبقات ابن سعد(٥/ ٢٨٣) وتاريخ خليفة (١٧٩) والمعارف (٤٣٥) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٧/ ٣٠١ ـ ٣٠٦) وتهذيبه (٤/ ٤٣٨) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٣٩٥ ـ ٣٩٧) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٨٢) والوافي بالوفيات (١٣/ ١٦٨ ـ ١٦٩) وتهذيب التهذيب (٣/ ٢٤ ـ ٢٥) والإصابة (١/ ٣٧٩) .

(٣) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة . معجم البلدان (٤/ ١٧٦) .

(٤) من قوله في الترجمة السابقة : ومن كبار أهل الكوفة . . إلى هنا زيادة من ط .

(٥) في ط : فنفروا ؛ تحريف .

(٦) في ط : خالد بن الحر ؛ وما أثبت موافق للطبري (٦/ ٢٢١) وابن الأثير (٤/ ٣٩٥) .

الأمير على الناس ، [فساروا إليهم في ثلاثة آلاف مقاتل ، والخوارج في نحو من مئة نفس وعشرة أنفس][١] فانتهيا إليه وهو بآمد ، فتوجه صالح في شطر الناس إلى خالد بن جزء ، ووجه شبيباً للحارث بن جَعْوَنة في الباقين ، فاقتتل الناس قتالاً شديداً إلى الليل ، فلما كان المساء انكشف كل من الفريقين عن الآخر ، وقد قتل من الخوارج نحو السبعين وقتل من أصحاب ابن مروان نحو الثلاثين ، وهربت الخوارج في اللّيل فخرجوا من الجزيرة وأخذوا في أرض الموصل ومضوا حتى قطعوا الدسكرة ، فبعث إليهم الحجاج ثلاثة آلاف مع الحارث بن عميرة ، فسار نحوهم حتى لحقهم بأرض الموصل[٢] وليس مع صالح سوى تسعين رجلاً ، فالتقى معهم وقد جعل صالح أصحابه ثلاثة كراديس ، فهو في كردوس ، وشبيب عن يمينه في كردوس ، وسويد بن سليمان[٣] عن يساره في كردوس ، وحمل عليهم الحارث بن عميرة ، وعلى ميمنته أبو الرواع الشاكري ، وعلى ميسرته الزبير بن الأروَح التميميّ ، فصبرت الخوارج على قتلهم صبراً شديداً ، ثم انكشف سويد بن سليمان ، ثم قتل صالح بن مُسرِّح أميرهم ، وصرع شبيب عن فرسه فالتف عليه بقية الخوارج حتى احتملوه فدخلوا به حصناً هنالك ، وقد بقي معهم سبعون رجلاً ، فأحاط بهم الحارث بن عميرة وأمر أصحابه أن يحرقوا الباب ففعلوا ، ورجع الناس إلى معسكرهم ينتظرون حريق الباب فيأخذون الخوارج قهراً ، فلما رجع الناس واطمأنوا خرجت عليهم الخوارج على الصعب والذلول من الباب فبيَّتوا جيش الحارث بن عميرة فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وهرب الناس سراعاً إلى المدائن ، واحتاز شبيب وأصحابه ما في معسكر الحارث بن عميرة ، وكان أول جيش هزمه شبيب ، وكان مقتل صالح بن مسرح في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة[٤] من هذه السنة .

وفيها دخل شبيب الكوفة ومعه زوجته غزالة ، وذلك أن شبيباً جرت له فصول يطول تفصيلها بعد مقتل صالح بن مسرِّح ، واجتمعت عليه الخوارج وبايعوه ، وبعث إليه الحجاج جيشاً آخر فقاتلوه فهزموه ثم هزمهم بعد ذلك ، ثم سار فحاصر المدائن فلم ينل منها شيئاً ، فسار فأخذ دواباً للحجاج من كلواذا ، وفي عزمه أن يبيِّت أهل المدائن فهرب من فيها من الجند إلى الكوفة ، فلما وصل فلّهم إلى الحجاج جهز جيشاً أربعة آلاف مقاتل إلى شبيب ، فمروا على المدائن ثم ساروا في طلب شبيب فجعل يسير بين أيديهم قليلاً قليلاً وهو يريهم أنه خائف منهم ، ثم يكر في كل وقت على المقدمة فيكسرها وينهب ما فيها ، ولا يواجه أحداً إلا هزمه ، والحجاج يلحُّ في طلبه ويجهز إليه السرايا والبعوث والمدد وهو لا يبالي بأحد وإن ما معه

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط .

(٢) في تاريخ الطبري (٦/ ٢٢٢) وابن الأثير (٤/ ٣٩٦) في قرية المدبّج على تخوم ما بين الموصل وجوخى .

(٣) هكذا في الأصل في الموضعين ، وفي تاريخ الطبري : « سويد بن سليم » وهو الأصوب. وسيأتي بعد صفحات أيضاً (ص١٥٣) وسماه : « سويد بن سليم » .

(٤) في تاريخ الطبري (٦/ ٢٢٣) جمادى الأولى .

مئة وستون فارساً ، وهذا من أعجب العجب ، ثم سار من طريق أخرى حتى واجه الكوفة وهو يريد أن يحاصرها ، فخرج الجيش بكماله إلى السبخة لقتاله ، وبلغه ذلك فلم يبال بهم بل انزعج الناس له وخافوا منه وفرقوا منه وهموا أن يدخلوا الكوفة خوفاً منه ويتحصنوا منه ، حتى قيل لهم إن سويد بن عبد الرحمن في آثارهم وقد اقترب منهم ، وشبيب نازل بالمدائن بالدير ليس عنده حبر منهم ولا خوف ، وقد أمر بطعام وشواء يصنع فقيل له : قد جاءك الجند فأدرك نفسك ، فجعل لا يلتفت إلى ذلك ولا يكترث بهم ويقول للدهقان الذي يصنع له الطعام : أجده وأنضجه وعجل به ، فلما استوى أكله ثم توضأ وضوءاً تاماً ، ثم صلى بأصحابه [صلاة تامة بتطويل وطمأنينة] ثم لبس درعه وتقلّد سيفين وأخذ عمود حديد ثم قال : أسرجوا لي البغلة ، فركبها فقال له أخوه مصاد : أفي هذا اليوم تركب البغلة وقد أحاط بك الأعداء من كل جانب فقال : لا ! حارس كل أمر أجله ، فركبها ثم فتح باب الدير الذي هو فيه وهو يقول : [أنا أبو المدلّه] لا حكم إلا لله ، وتقدم إلى أمير الجيش الذي يليه بالعمود الحديد فقتله ، وهو سعيد بن المجالد ، وحمل على الجيش الآخر الكثيف فصرع أميره وهرب الناس من بين يديه ولجؤوا إلى الكوفة ، ومضى شبيب إلى الكوفة من أسفل الفرات ، وقتل جماعة هنالك ، وخرج الحجاج من الكوفة هارباً إلى البصرة ، واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة ، ثم اقترب شبيب من الكوفة يريد دخولها ، فأعلم الدهاقين عروة بن المغيرة بذلك فكتب إلى الحجاج يعلمه بذلك فأسرع الحجاج الخروج من البصرة وقصد الكوفة فأسرع السير ، وبادره شبيب إلى الكوفة فسبقه الحجاج إليها فدخلها العصر[١] ، ووصل شبيب إلى المربد عند الغروب ، فلما كان آخر الليل دخل شبيب الكوفة وقصد قصر الإمارة فضرب بابه بعموده الحديد فأثّرت ضربته في الباب ، فكانت تعرف بعد ذلك ، يقال هذه ضربة شبيب ، وسلك في طرق المدينة وتقصد محال القبائل ، وقتل رجالاً من رؤساء أهل الكوفة وأشرافهم [منهم أبو سليم والد ليث بن أبي سليم ، وعدي بن عمرو ، وأزهر بن عبد الله العامري ، في طائفة كثيرة من أهل الكوفة ، وكان مع شبيب امرأته غزالة[٢] ، وكانت معروفة بالشجاعة ، فدخلت مسجد الكوفة وجلست على منبره وجعلت تذم بني مروان][٣] .

ونادى الحجاج في الناس : يا خيل الله اركبي ، فخرج شبيب من الكوفة [إلى مجال الطعن والضرب] فجهز الحجاج في أثره ستة آلاف مقاتل ، فساروا وراءه [وهو بين أيديهم ينعس ويهز رأسه] وفي أوقات كثيرة يكرُّ عليهم شبيب ، فقتل من جيش الحجاج خلقاً كثيراً ، وقتل جماعة من الأمراء منهم زائدة بن قدامة ، قتله شبيب [وهو ابن عم المختار ، فوجه الحجاج مكانه لحربه عبد الرحمن بن

---

(١) في تاريخ الطبري (٦/ ٢٢٣) ونزلها الحجاج صلاة الظهر .

(٢) قال ابن الأعثم في الفتوح (٧/ ٨٧) : ثم ركب شبيب وركب معه أصحابه ، وأقبل نحو الكوفة ومعه أمه ومعه امرأته غزالة من سبي أصفهان ، فأقبلت ومعها خمسون امرأة من نساء الخوارج .

(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وهي موافقة لما في تاريخ الطبري (٦/ ٢٤١ ـ ٢٤٢) .

الأشعث[١] ، فلم يقابل شبيباً ورجع ، فوجه مكانه عثمان بن قطن الحارثي ، فالتقوا في أواخر السنة فقتل عثمان بن قطن وانهزمت جموعه بعد أن قتل من أصحابه ستمئة نفس ، فمن أعيانهم عِقيل بن شداد السلولي ، وخالد بن نهيك الكندي ، والأسود بن ربيعة ، واستفحل أمر شبيب وتزلزل له عبد الملك بن مروان والحجاج وسائر الأمراء ، وخاف عبد الملك منه خوفاً شديداً ، فبعث له جيشاً من أهل الشام فقدموا في السنة الآتية ، وإن ما مع شبيب شرذمة قليلة[٢] ، وقد ملأ قلوب الناس رعباً][٣] وجرت خطوب كثيرة يطول تفصيلها له معهم ، ولم يزل ذلك دأبه ودأبهم حتى انسلخت هذه السنة .

قال ابن جرير[٤] : وفي هذه السنة نقش عبد الملك بن مروان على الدراهم والدنانير وهو أول من نقشها .

وقال القاضي الماوردي في كتاب « الأحكام السلطانية »[٥] : اختُلِفَ في أول من ضربها بالعربية في الإسلام ، فقال سعيد بن المسيِّب : أول من ضرب الدراهم المنقوشة عبد الملك بن مروان ، وكانت الدنانير رومية والدراهم كسروية .

قال أبو الزناد : وكان ذلك في سنة أربع وسبعين[٦] .

وقال المدائني : خمس وسبعين ، وضربت في الآفاق سنة ست وسبعين[٧] ، وذكر أنه ضرب على الجانب الواحد منها : الله أحد ، وعلى الوجه الآخر الله الصمد .

قال : وحكى يحيى بن النعمان الغفاري ، عن أبيه : أن أول من ضرب الدراهم مصعب بن الزبير عن أمر أخيه عبد الله بن الزبير ، سنة سبعين على ضرب الأكاسرة ، عليها بركة من جانب ، والله من جانب ، ثم غيّرها الحجاج وكتب اسمه عليها من جانب[٨] ، ثم خلصها بعده

---

(١) في تاريخ الطبري (٦/ ٢٥٠) : عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث .

(٢) كان معه مئة وواحد وثمانون رجلاً . الطبري (٦/ ٢١٥) وابن الأثير (٤/ ٤١٥) .

(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط ؛ وهي اختصار لما في تاريخ الطبري (٦/ ٢٥٠ ـ ٢٥٦) .

(٤) تاريخ الطبري (٦/ ٢٥٦) .

(٥) الأحكام السلطانية (٢٤٢ـ٢٤٤) ط : المكتب الإسلامي ١٩٩٦م .

(٦) في هامش أ : وسبب ذلك أنه وجد دراهم ودنانير تاريخها قبل الإسلام بأربعمئة سنة ، مكتوب عليها اسم الأب والابن وروح القدس ، فأمر عبد الملك بسكها ونقش عليها اسم الله ، وقيل : إنه كتب على الوجه الواحد : لا إله إلا الله ، وعلى الآخر : محمد رسول الله (ﷺ) .

(٧) في الأخبار الطوال (٣١٦) : أمر عبد الملك بضرب الدراهم سنة ست وسبعين ، ثم أمر بعد ذلك بضرب الدنانير ، وإنما كانت الدراهم والدنانير قبل ذلك مما ضربت العجم .

(٨) قال البلاذري في فتوح البلدان (٤٥٤) : عن أبي الزبير الناقد قال : ضرب الحجاج الدراهم البغلية ، وكتب عليها : بسم الله الحجاج ، ثم كتب عليها بعد سنة : الله أحد الله الصمد . فسميت : مكروهة ، ويقال : سميت السميرية بأول من ضربها واسمه سمير .

يوسف[١] بن هبيرة في أيام يزيد بن عبد الملك ، ثم خلصها أجود منها خالد بن عبد الله القسري في أيام هشام ، ثم يوسف بن عمر أجود منهم [كلهم] ، ولذلك كان المنصور لا يقبل منها إلا الهبيرية والخالدية واليوسفية ، وذكر أنه قد كان للناس نقود مختلفة منها الدراهم البغلية[٢] ، وكان الدرهم منها ثمانية دوانيق ، والطبرية [وكان الدرهم منها أربعة دوانيق[٣] ، واليمني دانق ، فجمع عمر بن الخطاب بين البغلي والطبري] ثم أخذ بنصفها فجعل الدرهم الشرعي وهو نصف مثقال وخُمْسُ مثقال ، وذكروا أن المثقال لم يغيروا وزنه في جاهلية ولا إسلام ، وفي هذا نظر ، والله أعلم .

وفيها ولد مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ، وهو مروان الحمار آخر من تولى الخلافة من بني أمية بالشام .

وفيها ولى عبد الملك بن مروان نيابة المدينة لأبان بن عثمان بن عفان ، وعزل عنها يحيى بن الحكم عمه ، واستدعاه إلى الشام[٤] . وفيها حج بالناس أبان بن عثمان بن عفان نائب المدينة ، وعلى إمرة العراق الحجاج وعلى خراسان أمية بن عبد الله ، والله أعلم .

ومما توفي فيها من الأعيان :

أبو عثمان النهدي القضاعي[٥] ، اسمه عبد الرحمن بن مل ، أسلم على عهد النبي ﷺ وغزا جلولاء ، والقادسية ، وتستر ، ونهاوند ، وأذربيجان وغيرهما .

وكان كثير العبادة زاهداً عالماً يصوم النهار ويقوم اللّيل .

---

(١) في فتوح البلدان : عمر .

(٢) في أ : البغلي . . والبغلية دراهم أعجمية عرفت من العصر الجاهلي كانت ترد على أهل مكة من الفرس . فتوح البلدان (٤٥٢) ومقدمة ابن خلدون (٢٦٣) . والطبرية : نسبة إلى مدينة طبرية ، وهي رومية كانت ترد بلاد العرب أيام الجاهلية أيضاً .

(٣) الدوانيق : جمع دانَق ـ بفتح النون ـ وهو سدس الدرهم ، والكلمة فارسية ، وقد استعمله العرب أيام الجاهلية للدلالة على الوزن أو النقد . اللسان (دنق) .

(٤) من قوله : وفيها ولى عبد الملك . . إلى هنا زيادة من ب ، والخبر في تاريخ الطبري (٦/ ٢٥٦) وابن الأثير (٤/ ٤١٨) .

(٥) ترجمة ـ أبي عثمان النهدي ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٩٧ ـ ٩٨) وتاريخ خليفة (٣٢١) وطبقاته (٢٠٥) وتاريخ البخاري (٩/ ٨٣) والاستيعاب (٢/ ٤٢٧ ـ ٤٢٩) وتاريخ بغداد (١٠/ ٢٠٢) وتاريخ دمشق (٣٥/ ٤٦٠) وأورد خبراً يذكر فيه وفاة أبي عثمان سنة مئة . وتهذيب الكمال (١٧/ ٤٢٤ ـ ٤٣٠) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٥٣٥ ـ ٥٣٦) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٧٥ ـ ١٧٨) وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨) والإصابة (٣/ ٩٨ ـ ٩٩) وشذرات الذهب (١/ ١١٨) .

وسترد ترجمته ثانية ضمن وفيات سنة مئة ، وقال الذهبي في تاريخه : قال الفلاس : توفي سنة خمس وتسعين . وقال المدائني ، وجماعة : توفي سنة مئة . فهو مختلف في سنة وفاته رضي الله عنه .

توفي وعمره مئة وثلاثين سنة بالكوفة .

صلة بن أشيم العدوي[١] ، من كبار التابعين من أهل البصرة ، وكان ذا فضل وورع وعبادة وزهد ، كنيته أبو الصهباء ، كان يصلي حتى ما يستطيع أن يأتي الفراش إلا حبواً ، وله مناقب كثيرة جداً ، منها أنه كان يمر عليه شباب يلهون ويلعبون فيقول : أخبروني عن قوم أرادوا سفراً فحادوا في النهار عن الطريق وناموا اللّيل فمتى يقطعون سفرهم ؟ فقال لهم يوماً هذه المقالة ، فقال شاب منهم : والله يا قوم إنه ما يعني بهذا غيرنا ، نحن بالنهار نلهو ، وبالليل ننام . ثم تبع صلة فلم يزل يتعبد معه حتى مات .

ومر عليه فتى يجر ثوبه فهمّ أصحابه أن يأخذوه بألسنتهم فقال : دعوني أكفكم أمره ، ثم دعاه فقال : يا بن أخي لي إليك حاجة ، قال : وما حاجتك ؟ قال أن ترفع إزارك ، قال : نعم ، ونعمت عين ، فرفع إزاره ، فقال صلة : هذا أمثل مما أردتم لو شتمتموه لشتمكم .

ومنها ما حكاه جعفر بن زيد قال : خرجنا في غزاة وفي الجيش صلة بن أشيم فنزل الناس عند العتمة فقلت لأرمقن عمله الليلة ، فدخل غيضة ودخلت في أثره فقام يصلي وجاء الأسد حتى دنا منه وصعدت أنا في شجرة ، قال : فتراه التفت أو عده جرواً حتى[٢] سجد فقلت : الآن يفترسه ، فجلس ثم سلّم فقال : أيها السبع إن كنت أُمرت بشيء فافعل وإلا فاطلب الرزق من مكان آخر ، فولى الأسد وإن له لزئيراً تصدع منه الجبال ، فلما كان عند الصباح جلس فحمد الله بمحامد لم أسمع بمثلها ثم قال : اللهم إني أسألك أن تجيرني من النار ، أو مثلي يجترىء أن يسألك الجنة . ثم رجع إلى الجيش فأصبح كأنه بات على الحشا ، وأصبحت وبي من الفترة شيء الله به عليم .

قال : وذهبت بغلته بثقلها فقال : اللهم إني أسألك أن ترد عليّ بغلتي بثقلها ، فجاءت حتى قامت بين يديه ، قال : فلما التقينا العدو حمل هو وهشام بن عامر فصنعنا بهم طعناً وضرباً ، فقال العدو : رجلان من العرب صنعا بنا هذا فكيف لو قاتلونا كلهم ؟ أعطوا المسلمين حاجتهم - يعني انزلوا على حكمهم -

وقال صلة : جعت مرة في غزاة جوعاً شديداً فبينما أنا أسير أدعو ربي وأستطعمه ، إذ سمعت وجبة من خلفي فالتفتُّ فإذا أنا بمنديل أبيض فإذا فيه دوخلة ملآنة رطباً فأكلت منه حتى شبعت ، وأدركني المساء فملت إلى دير راهب فحدثته الحديث ، فاستطعمني من الرطب فأطعمته ، ثم إني مررت على ذلك الراهب بعد زمان فإذا نخلات حسان فقال : إنهن لمن الرطبات التي أطعمتني ، وجاء بذلك المنديل إلى امرأته فكانت تريه للناس ، ولما أهديت معاذة إلى صلة أدخله ابن أخيه الحمام ثم أدخله بيت العروس بيتاً

---

(١) ترجمة - صلة بن أشيم العدوي - في طبقات ابن سعد (٧/ ١٣٤) وتاريخ خليفة (٢٣٦) وتاريخ الطبري (٥/ ٤٧٢) وحلية الأولياء (٢/ ٢٣٧) وأسد الغابة (٤/ ٣٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١-٨٠/ ص١٢٧) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٩٧) والوافي بالوفيات (١٦/ ٣٣٠) والإصابة (٢/ ٢٠٠) .

(٢) في تاريخ الإسلام : أفتراه التفت إليه أو اعتدّ به حتى سجد .

مطيباً ، فقام يصلي فقامت تصلي معه ، فلم يزالان يصليان حتى برق الصبح ، قال : فأتيته فقلت له : أي عم أهديت إليك ابنة عمك الليلة فقمت تصلي وتركتها ؟ قال : إنك أدخلتني بيتاً أول النهار أذكرتني به النار ، وأدخلتني بيتاً آخر النهار أذكرتني به الجنة ، فلم تزل فكرتي فيهما حتى أصبحت ، البيت الذي أذكره به النار هو الحمام ، والبيت الذي أذكره به الجنة هو بيت العروس .

وقال له رجل : ادع الله لي : فقال رغَّبك الله فيما يبقى ، وزهدك فيما يفنى ، ورزقك اليقين الذي لا يركن إلا إليه ، ولا يعول في الدين إلا عليه .

وكان صلة في غزاة ومعه ابنه فقال له : أي بني تقدم فقاتل حتى أحتسبك ، فحمل فقاتل حتى قتل ، ثم تقدم صلة فقاتل حتى قتل ، فاجتمع النساء عند امرأته معاذة العدوية فقالت : إن كنتن جئتن لتهنينني فمرحباً بكن ، وإن كنتن جئتن لتعزينني فارجعن ، توفي صلة في غزاة هو وابنه نحو بلاد فارس في هذه السنة[١] .

زهير بن قيس البلوي[٢] ، شهد فتح مصر وسكنها ، له صحبة ، قتلته الروم ببرقة من بلاد المغرب ، وذلك أن الصريخ أتى الحاكم بمصر وهو عبد العزيز بن مروان أن الروم نزلوا برقة ، فأمره بالنهوض إليهم ، فساق زهير ومعه أربعون نفساً فوجد الروم فأراد أن يكف عن القتال حتى يلحقه العسكر ، فقالوا : يا أبا شداد احمل بنا عليهم ، فحملوا فقتلوا جميعاً .

المنذر بن الجارود[٣] : مات في هذه السنة . تولى بيت المال ووفد على معاوية ، والله أعلم[٤] .

ثم دخلت سنة سبع وسبعين

فيها أخرج الحجاج مقاتلة أهل الكوفة وكانوا أربعين ألفاً ، وانضاف إليهم عشرة آلاف ، فصاروا خمسين ألفاً ، وأمَّر عليهم عتّاب بن ورقاء وأمره أن يقصد لشبيب بن يزيد ، وأن يصمم على قتاله وكانوا

---

(١) في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ـ٨٠/ ص١٣٠) قال الذهبي بعد أن سرد قصة قتل صلة : قلت : وذلك سنة اثنتين وستين ! .

(٢) ترجمة ـ زهير بن قيس البلوي ـ في تاريخ خليفة (٢٥١) وفتوح البلدان للبلاذري (٣٧٠) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٥١٢) وتاريخ دمشق (١٩/ ١١٢ ـ ١١٦) وتهذيبه (٥/ ٣٩٦) والمنتظم (٦/ ١٨٤) وتهذيب الكمال (٩/ ٤٤٩) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٠٤) والإصابة (١/ ٥٥٥) وتهذيب التهذيب (٣/ ٣٦١) .

(٣) ترجمة ـ المنذر بن الجارود ـ في تاريخ خليفة (٢٣٦) وفتوح البلدان (٣٥٨) والأخبار الطوال (٢٣١) وتاريخ دمشق (٦٠/ ٢٨١ ـ ٢٨٦) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٥٢٩) وفيه : قتل في خلافة عمر بفارس . والإصابة (٣/ ٤٨٠) .

(٤) التراجم الثلاث السابقة ساقطة من أ ، ب .

قد تجمعوا ألف رجل[١] ـ وأن لا يفعلوا كما كانوا يفعلون قبلها من الفرار والهزيمة ، ولما بلغ شبيباً ما بعث به الحجاج إليه من [العساكر] والجنود ، [لم يعبأ بهم شيئاً . بل] قام في أصحابه خطيباً فوعظهم وذكرهم وحثهم على الصبر عند اللقاء ومناجزة الأعداء ، ثم سار شبيب بأصحابه نحو عتَّاب بن ورقاء ، فالتقيا في آخر النهار عند غروب الشمس ، فأمر شبيب مؤذنه سَلاّم بن يسار[٢] الشيباني فأذن [المغرب] ثم صلى شبيب بأصحابه المغرب [صلاة تامة الركوع والسجود] وصفَّ عتّاب أصحابه ـ وكان قد خندق [حوله و] حول جيشه من أول النهار ـ فلما صلى شبيب بأصحابه المغرب انتظر حتى طلع القمر وأضاء ثم تأمل[٣] الميمنة والميسرة ثم حمل على أصحاب رايات عتاب وهو يقول : أنا شبيب أبو المدلّه لا حكم إلا لله ، فهزمهم وقتل أميرهم قبيصة بن والق وجماعة من الأمراء معه ، ثم كَرّ على الميمنة وعلى الميسرة ففرق شمل كل واحدة منهما ، ثم قصد القلب فما زال حتى قتل الأمير عَتّاب بن ورقاء وزُهْرة بن حَوِيَّة ، وولّى عامة الجيش مُدْبرين وداسوا الأمير عتّاب وزُهرة فوطئته الخيل . وقتل في المعركة عَمّار بن يزيد الكلبي . ثم قال شبيب لأصحابه : لا تتبعوا منهزماً ، وانهزم جيش الحجاج عن بكرة أبيهم راجعين إلى الكوفة ، وكان شبيب لما احتوى على المعسكر أخذ ممن بقي منهم البيعة له بالإمارة وقال لهم إلى أي ساعة تهربون ؟ ثم احتوى على ما في المعسكر من الأموال والحواصل ، واستدعى بأخيه مصاد من المدائن ، ثم قصد نحو الكوفة .

وقد وفد إلى الحجاج سفيان بن الأبرد الكلبي وحبيب بن عبد الرحمن الحكمي من مذحج في ستة آلاف فارس ومعهما خلق من أهل الشام ، فاستغنى الحجاج بهم عن نصرة أهل الكوفة ، وقام في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

يا أهل الكوفة لا أعز الله من أراد بكم العز ، ولا نصر من أراد بكم النصر ، اخرجوا عنا فلا تشهدوا معنا قتال عدونا ، الحقوا بالحيرة فانزلوا مع اليهود والنصارى ، فلا يقاتلن معنا إلا من كان عاملاً لنا ، ومن لم يشهد قتال عَتّاب بن وَرْقاء ، وعزم الحجاج على قتال شبيب بنفسه وسار شبيب حتى بلغ الصراة ، وخرج إليه الحجاج بمن معه من الشاميين وغيرهم ، فلما تواجه الفريقان نظر الحجاج إلى شبيب وهو في ستمئة من أصحابه فخطب الحجاج أهل الشام وقال :

يا أهل الشام أنتم أهل السمع والطاعة والصبر واليقين ، لا يغلبن باطل هؤلاء الأرجاس حقكم ، غضوا الأبصار واجثوا على الركب ، واستقبلوا بأطراف الأسنة . ففعلوا ذلك ، وأقبل شبيب وقد عبّأ أصحابه ثلاث فرق ، واحدة معه ، وأخرى مع سويد بن سُليم ، وأخرى مع المحلل بن وائل . وأمر شبيب سويداً أن يحمل فحمل على جيش الحجاج فصبروا له حتى إذا دنا منهم وثبوا إليه وثبة واحدة فانهزم

---

(١) في الطبري (٦/ ٢٥٧) وابن الأثير (٤/ ٤١٩) : ثمانمئة رجل .
(٢) في الطبري (٦/ ٢٦٣) : سَيّار .
(٣) في أ : ثم قاتل ، وما هنا أقرب لخبر الطبري وابن الأثير .

عنهم ، فنادى الحجاج : يا أهل السمع والطاعة هكذا فافعلوا ، ثم أمر الحجاج فقدم كرسيه الذي هو جالس عليه إلى الأمام ، ثم أمر شبيب المحلل أن يحمل فحمل فثبتوا له وقدم الحجاج كرسيه إلى أمام ، ثم إن شبيباً حمل عليهم في كتيبته فثبتوا له حتى إذا غشى أطراف الرماح[(١)] وثبوا في وجهه فقاتلهم طويلاً ، ثم إن أهل الشام طاعنوه قُدُماً[(٢)] حتى ألحقوه بأصحابه ، فلما رأى صبرهم نادى : يا سويد احمل في خيلك على أهل هذه السكة[(٣)] لعلك تزيل أهلها عنها فأت الحجاج من ورائه ، ونحمل نحن عليه من أمامه . فحمل فلم يفد ذلك شيئاً ، وذلك أن الحجاج كان قد جعل عروة بن المغيرة بن شعبة في ثلاثمئة فارس ردءاً له من ورائه لِئلا يؤتوا من خلفهم ، وكان الحجاج بصيراً بالحرب أيضاً ، فعند ذلك حرَّض شبيب أصحابه على الحملة وأمرهم بها ففهم ذلك الحجاج ، فقال :

يا أهل السمع والطاعة اصبروا لهذه الشدة الواحدة ، ثم وربِّ السماء والأرض ما شيء دون الفتح ، فجثوا على الركب وحمل عليهم شبيب بجميع أصحابه ، فلما غشيهم نادى الحجاج بجماعة الناس فوثبوا في وجهه ، فما زالوا يطعنون ويطعنون وهم مستظهرون على شبيب وأصحابه حتى رَدّوهم عن مواقفهم إلى ما وراءها ، فنادى شبيب في أصحابه يا أولياء الله الأرض الأرض ، ثم نزل ونزلوا ونادى الحجاج يا أهل الشام يا أهل السمع والطاعة ، هذا أول النصر والذي نفسي بيده ، وصعد مسجداً هنالك وجعل ينظر إلى الفريقين ، ومع شبيب نحو عشرين رجلاً معهم النبل[(٤)] ، واقتتل الناس [قتالاً شديداً] عامة النهار من أشد قتال في الأرض ، حتى أقر كل واحد من الفريقين لصاحبه ، والحجاج ينظر إلى الفريقين من مكانه ، ثم إن خالد بن عَتّاب استأذن الحجاج في أن يركب في جماعة فيأتي الخوارج من خلفهم ، فأذن له ، فانطلق في جماعة معه نحو من أربعة آلاف ، فدخل عسكر الخوارج من ورائهم فقتل مصاداً أخا شبيب ، وغزالة امرأة شبيب ، قتلها رجل يقال له فروة بن الدفان الكلبي[(٥)] ، وخرق في جيش شبيب ، ففرح بذلك الحجاج وأصحابه وكبروا ، وانصرف شبيب وأصحابه كل منهم على فرس ، فأمر الحجاج أن ينطلقوا في تطلبهم ، فشدوا عليهم فهزموهم ، وتخلف شبيب في حامية الناس ، ثم انطلق واتبعه الطلب فجعل ينعس وهو على فرسه حتى يخفق برأسه ، ودنا منه الطلب فجعل بعض أصحابه ينهاه عن النعاس في هذه الساعة فجعل لا يكترث بهم ويعود فيخفق رأسه ، فلما طال ذلك بعث الحجاج إلى أصحابه يقول : دعوه في حرق النار[(٦)] ، فتركوه ورجعوا .

---

(١) في ط : الأسنة ، وما أثبت من أ والطبري (٦/ ٢٧٠) .

(٢) ساقطة من أ ، ط ، واللفظة غير واضحة في ب ، وما أثبت عن الطبري .

(٣) في ط : السرية ، وما أثبتت عن أ ، وزاد الطبري : سِكَّة لحّام جرير .

(٤) في الطبري (٦/ ٢٧١) : وصعد المسجد معه ـ أي مع الحجاج ـ نحو من عشرين رجلاً معهم النبل ، فقال : إن دنوا منا فارشقوهم .

(٥) في أ ، ط : دقاق ؛ تحريف ، وما هنا عن ب والطبري .

(٦) في الطبري (٦/ ٢٧١) : فبعث الحجاج إلى خيله : أن دعوه في حرق الله وناره ؛ فتركوه ورجعوا .

ثم دخل الحجاج الكوفة فخطب الناس فقال في خطبته . إن شبيباً لم يهزم قبلها ، ثم قصد شبيب الكوفة فخرجت إليه سرية من جيش الحجاج فالتقوا يوم الأربعاء فلا زالوا يتقاتلون إلى يوم [الجمعة وكان على سرية الحجاج الحارث بن معاوية الثقفي في ألف فارس معه ، فحمل شبيب على الحارث بن معاوية فكسره ومن معه ، وقتل منهم طائفة ، ودخل الناس الكوفة هاربين ، وحصن الناس السكك فخرج إليه أبو الورد مولى الحجاج في طائفة من الجيش فقاتل حتى قتل ، ثم هرب أصحابه ودخلوا الكوفة ، ثم خرج إليه أمير آخر فانكسر أيضاً ، ثم سار شبيب بأصحابه نحو السواد فمروا بعامل الحجاج على تلك البلاد فقتلوه ، ثم خطب أصحابه وقال : اشتغلتم بالدنيا عن الآخرة ، ثم رمى بالمال في الفرات ، ثم سار بهم حتى افتتح بلاداً كثيرة ولا يبرز له أحد إلا قتله ، ثم خرج إليه بعض الأمراء الذين على بعض المدن فقال له : يا شبيب ابرز إليّ وأبرز إليك ، ـ وكان صديقه ـ فقال له شبيب : إني لا أحب قتلك ، فقال له : لكني أحب قتلك ، فلا تغرنك نفسك وما تقدم من الوقائع ، ثم حمل عليه فضربه شبيب على رأسه فهمس رأسه حتى اختلط دماغه بلحمه وعظمه ، ثم كفنه ودفنه ، ثم إن الحجاج أنفق أموالاً كثيرة على الجيوش والعساكر في طلب شبيب فلم يطيقوه ولم يقدروا عليه ، وإنما سلط الله عليه موتاً قدراً من غير صنعهم ولا صنعه في هذه السنة][1] .

مقتل شبيب في هذه السنة عند ابن الكلبي

وكان سبب ذلك أن الحجاج كتب إلى نائبه على البصرة ـ وهو الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل وهو زوج ابنة الحجاج ـ يأمره أن يجهز جيشاً أربعة آلاف يتطلبون شبيباً ، ويكونون تبعاً لسفيان بن الأبرد [ففعل وانطلقوا في طلبه فالتقوا معه . وكان ابن الأبرد معه خلق من أهل الشام ، فلما وصل جيش البصرة إلى ابن الأبرد التقوا معه جيشاً واحداً هم وأهل الشام ، ثم ساروا إلى شبيب][2] فالتقوا به فاقتتلوا قتالاً شديداً وصبر كل من الفريقين لصاحبه ، ثم عزم أصحاب الحجاج فحملوا على الخوارج [حملة منكرة والخوارج قليلون] ففروا بين أيديهم ذاهبين حتى اضطروهم إلى جسر هناك ؛ فوقف عنده شبيب في مئة من أصحابه ، وعجز سفيان بن الأبرد عن مقاومته ، ورده شبيب عن موقفه هذا بعد أن تقاتلوا نهاراً طويلاً كاملاً عند أول الجسر أشد قتال يكون ، ثم أمر ابن الأبرد أصحابه فرشقوهم بالنبال رشقاً واحداً ، ففرت الخوارج ثم كرت على الرماة فقتلوا نحواً من ثلاثين رجلاً [من أصحاب ابن الأبرد] ، وجاء الليل بظلامه فكف الناس بعضهم عن بعض ، وبات كل من الفريقين مصراً على مناهضة الآخر ، فلما طلع الفجر عبر شبيب وأصحابه على الجسر ، فبينما شبيب على متن الجسر راكباً على حصان له وبين يديه فرس أنثى إذ نزا حصانه عليها وهو على الجسر فنزل حافر فرس شبيب على حرف السفينة فسقط في الماء ،

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وهي اختصار لما في الطبري ، ومكانها في أ : سارت الخوارج هاربين .
(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط .

فقال : ﴿ لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ [الأنفال : ٤٢] ثم انغمر في الماء ثم ارتفع وهو يقول : ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [الأنعام : ٩٦] فغرق . فلما تحققت الخوارج سقوطه في الماء كبروا وانصرفوا ذاهبين متفرقين في البلاد ، وجاء أمير جيش الحجاج فاستخرج شبيباً من الماء وعليه درعه ، ثم أمر به فشق صدره[١] فاستخرج قلبه فإذا هو مجتمع صلب كأنه صخرة، وكانوا يضربون به الأرض فيرتفع قامة الإنسان.

[وقيل : إنه كان معه رجال قد أبغضوه لما أصاب من عشائرهم ، فلما تخلف في الساقة اشتوروا وقالوا نقطع الجسر به ففعلوا ذلك فمالت السفن بالجسر ونفر فرسه فسقط في الماء فغرق ، ونادوا غرق أمير المؤمنين ، فعرف جيش الحجاج ذلك فجاؤوا فاستخرجوه][٢] .

ولما نعي شبيب إلى أمه قالت : صدقتم إني كنت رأيت في المنام وأنا حامل به أنه قد خرج منها شهاب من نار فعلمت أن النار لا يطفئها إلا الماء ، وأنه لا يطفئه إلا الماء ، وكانت أمه جارية اسمها جَهِيزة[٣] ، وكانت جميلة ، وكانت من أشجع النساء ، تقاتل مع ابنها في الحروب .

وذكر القاضي ابن خلكان[٤] : أنها قتلت في هذه الغزوة وكذلك قتلت زوجته غزالة ، وكانت أيضاً شديدة البأس خارجية [تقاتل قتالاً شديداً يعجز عنه الأبطال من الرجال] وكان الحجاج يخاف منها أشد خوف حتى قال فيه بعض الشعراء[٥] :

أَسَدٌ عليَّ وفي الحروبِ نَعَامةٌ ... فَتَخاءُ تَنْفِرُ من صَفيرِ الصَّافرِ
هَلاَّ بَرَزْتَ إلى غزالة في الوَغَا ... بلْ كان قلبُكَ في جناحيْ طائرِ

قال : وقد كان شبيب بن يزيد بن نُعيم بن قيس بن عمرو بن الصَّلْت بن قيس بن شراحيل بن صبرة بن ذهل بن شيبان [الشيباني] يدّعي الخلافة ويتسمى بأمير المؤمنين [ولولا أن الله تعالى قهره بما قهره به من الغرق لنال الخلافة إن شاء الله ، ولما قدر عليه أحد][٦] وإنما قهره الله على يدي الحجاج لما أرسل إليه أمير المؤمنين عبد الملك بعسكر الشام لقتاله فهرب شبيب غير مرة ، ولما ألقاه جواده على الجسر في نهر دجيل[٧] قال له رجل : أغرقاً يا أمير المؤمنين ؟ قال ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [الأنعام : ٩٦] قال ثم أخرج

---

(١) الخبر في الطبري (٦/ ٢٨١-٢٨٢) وابن الأثير (٤/ ٤٣٣) ومروج الذهب (٣/ ١٦٩) .
(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر في تاريخ الطبري (٦/ ٢٨١) .
(٣) جهيزة : بفتح الجيم وكسر الهاء وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الزاي وبعدها هاء ساكنة ، قيدها ابن خلكان في وفيات الأعيان (٢/ ٤٥٧) .
(٤) وفيات الأعيان (٢/ ٤٥٥) .
(٥) وهو عمران بن حطان ، كما في الأغاني (١٨/ ١١٦) وديوان شعر الخوارج (٢٥) .
(٦) ما بين معكوفين ساقط من أ ، ب وبدل العبارة : قال .
(٧) دجيل : نهر بالأهواز حفره أردشير بن بابك أحد ملوك الفرس ، ومخرجه من أرض أصبهان ومصبه في بحر فارس قرب عباذان ، وفيه غرق شبيب الخارجي (معجم البلدان ٢/ ٤٤٣) .

وحمل إلى الحجاج فأمر فنزع قلبه من صدره فإذا هو مثل الحجر ، وكان شبيب رجلاً طويلاً أشمط جعداً ، وكان مولده في يوم عيد النحر سنة ست وعشرين[١] ، وقد أمسك رجل[٢] من أصحابه فحمل إلى عبد الملك بن مروان فقال له ألست القائل :

فإن يكُ منكُمْ كانَ مروان وابنُهُ وعمروٌ ومنكمْ هاشمٌ وحبيبُ

فمنا حُصَينٌ والبطينُ وقعنبٌ ومنّا أميرُ المؤمنينَ شبيبُ[٣]

فقال : إنما قلت : ومنا أميرَ[٤] المؤمنين شبيب . فأعجبه اعتذاره وأطلقه والله سبحانه أعلم .

وفي هذه السنة كانت حروب كثيرة جداً بين المهلب بن أبي صفرة نائب الحجاج ، وبين الخوارج من الأزارقة وأميرهم قَطَري بن الفجاءة ، وكان قَطَري أيضاً من الفرسان الشجعان المذكورين المشهورين وقد تفرق عنه أصحابه ونفروا في هذه السنة ، وأما هو فلا يدري أحد أين ذهب فإنه شرد في الأرض وقد جرت بينهم مناوشات ومجاولات يطول بسطها ، وقد بالغ ابن جرير في ذكرها في « تاريخه »[٥] .

قال ابن جرير[٦] : وفي هذه السنة ثار بُكَير بن وشاح الذي كان نائب خراسان على نائبها أمية بن عبد الله بن خالد وذلك أن بكيراً استجاش عليه الناس وغدر به وقتله ، وقد جرت بينهما خطوب[٧] قد استقصاها أبو جعفر في « تاريخه » .

وفي هذه السنة كانت وفاة شبيب بن يزيد الخارجي كما قدّمنا ، وقد كان من الشجاعة والفروسة على جانب كبير لم ير بعد الصحابة مثله ، ومثل الأشتر ، وابنه إبراهيم ، ومصعب بن الزبير ، وأخيه عبد الله ، ومن يُناط بهؤلاء في الشجاعة مثل قطري بن الفجاءة من الأزارقة الخوارج .

---

(١) في تاريخ الطبري (٦/ ٢٨٢) وابن الأثير (٤/ ٤٣٣) : سنة خمس وعشرين في ذي الحجة يوم النحر يوم السبت .

(٢) في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤١٨) : هو عتبان الحروري . وفي معجم الشعراء للمرزباني (١٠٩) : عتبان بن أصيلة الشيباني .

(٣) البيتان في معجم الشعراء (١٠٩) ووفيات الأعيان (٢/ ٤٥٦) والوافي بالوفيات (١٦/ ١٠٥) وشعر الخوارج (٦٣) وفيه : فمنا سويد والبطين ـ وهو سويد بن سُلَيم أحد قادة جند شبيب .

(٤) في ط : يا أمير ، وفي أ : أمير بعد ، وما أثبت عن ب وهي موافقة لوفيات ابن خلكان وتاريخ الإسلام للذهبي .
وقال ابن خلكان في الوفيات (٢/ ٤٥٦) : وهذا الجواب في نهاية الحسن ؛ فإنه إن كان « أمير » مرفوعاً كان مبتدأ ، فيكون شبيب أمير المؤمنين ، وإذا كان منصوباً فقد حذف منه حرف النداء ، ومعناه : يا أمير المؤمنين ؛ منا شبيب ؛ فلا يكون شبيب أمير المؤمنين ، بل يكون منهم .

(٥) تاريخ الطبري (٦/ ٣٠٠ ـ ٣١١) والخبر أيضاً في الأخبار الطوال (٢٨٠) وابن الأثير (٤/ ٤٤١ ـ ٤٤٣) وقتل قطري بن الفجاءة في شعب من شُعَب طبرستان في مواجهة بعث الحجاج تحت راية سفيان بن الأبرد ، قتلوه ، وفيمن قتله سَوْدَةُ بن أبجر التميمي وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف .

(٦) تاريخ الطبري (٦/ ٣١١) والخبر أيضاً في ابن الأثير (٤/ ٤٤٣) وفيه : بكير بن وسّاج ـ بالسّين ـ .

(٧) في ط : حروب طويلة .

وفيها توفي من الأعيان :

كثير بن الصلت[١] بن معدي كَرب الكِنديّ ، كان كبيراً مطاعاً في قومه ، وله بالمدينة دار كبيرة بالمصلّى ، وقيل إنه كان كاتب عبد الملك على الرسائل ، توفي بالشام .

محمد بن موسى[٢] بن طلحة بن عبيد الله كانت أخته تحت عبد الملك وولاه سجستان ، فلما سار إليها قيل له : إن شبيباً في طريقك وقد أعيا الناس فاعدل إليه لعلك أن تقتله فيكون ذكر ذلك وشهرته لك إلى الأبد ، فلما سار لقيه شبيب فاقتتل معه فقتله شبيب . وقيل غير ذلك ، والله أعلم .

عياض بن غنْم الأشعري[٣] ، شهد اليرموك ، وحدث عن جماعة من الصحابة وغيرهم توفي بالبصرة رحمه الله .

مطرف بن عبد الله[٤] ، وقد كانوا إخوة عروة ومطرف وحمزة ، وقد كانوا يميلون إلى بني أمية فاستعملهم الحجاج على أقاليم ، فاستعمل عروة على الكوفة ، ومطرف على المدائن ، وحمزة على همَذان[٥] .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين

[ففيها كانت غزوة عظيمة للمسلمين ببلاد الروم افتتحوا أزقلة[٦] ، فلما رجعوا أصابهم مطر عظيم وثلج وبرد ، فأصيب بسببه ناس كثير[٧] .

وفيها ولَّى عبد الملك موسى بن نصير غزو بلاد المغرب جميعه فسار إلى طنجة وقد جعل على مقدمته

---

(١) ترجمة ـ كثير بن الصلت ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ١٤) وتاريخ الطبري (٣/ ٣٣٠) والاستيعاب (٣/ ٣١٨) وأسد الغابة (٤/ ٢٤٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٥١٣) .

(٢) ترجمة ـ محمد بن موسى ـ في شذرات الذهب (١/ ٣١٧) .

(٣) ترجمة ـ عياض بن غنم ـ في تاريخ البخاري (٧/ ١٩) والاستيعاب (٣/ ١٢٩) وأسد الغابة (٤/ ١٦٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٥٨) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٣٨) وفيه اسمه : عياض بن عمرو . وكلاهما واحد ، ولكن ثمة خلاف في أسماء آبائه ، والإصابة (٣/ ٤٩) .

(٤) ترجمة ـ مطرف بن عبد الله ـ في تاريخ البخاري (٧/ ٣٩٦ ـ ٣٩٧) وحلية الأولياء (٢/ ١٩٨) وتاريخ دمشق (٥٨/ ٢٨٩ ـ ٣٣٧) وتهذيب الكمال (١٨/ ١٤٣) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٨٧) وتهذيب التهذيب (٥/ ٤٥٦) .

(٥) التراجم الأربعة السابقة ساقطة من أ ، ب .

(٦) في ط : « إرقيلية » محرف ، وما أثبتناه موافق لمصادره .

(٧) الخبر في تاريخ خليفة (٢٧٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٣٣٧) .

طارقاً[١] فقتلوا ملوك تلك البلاد ، وبعضهم قطعوا أنفه ونفوه[٢]] .

وفيها عزل عبد الملك أمية بن عبد الله عن إمرة خراسان وأضافها إلى الحجاج بن يوسف الثقفي مع سجستان أيضاً ، وركب الحجاج بعد فراغه من شأن شبيب من إمرة الكوفة إلى البصرة ، واستخلف على الكوفة المغيرة بن عبد الله بن عامر الحضرمي[٣] ، فقدم المهلب على الحجاج وهو بالبصرة وقد فرغ من شأن الأزارقة أيضاً ، فأجلسه معه على السرير واستدعى بأصحاب البلاء من جيشه ، فمن أثنى عليه المهلب أجزل الحجاج جائزته[٤] ، ثم ولى الحجاج المهلب إمرة سجستان ، وولى عبد الله بن أبي بكرة إمرة خراسان ، ثم ناقل بينهما قبل خروجهما من عنده ، فقيل كان ذلك بإشارة المهلب ، وقيل إنه استعان بصاحب الشرطة وهو عبد الرحمن بن عبيد بن طارق العَبْشمي ، حتى أشار على الحجاج بذلك فأجابه إلى ذلك ، وألزم المهلب بألف ألف درهم ، لكونه اعترض في ذلك .

قال أبو معشر : وحج بالناس في هذه السنة الوليد بن عبد الملك .

وكان أمير المدينة أبان بن عثمان .

وأمير العراق وخراسان وسجستان وتلك النواحي كلها الحجاج بن يوسف ، ونائبه على خراسان المهلب بن أبي صفرة ، ونائبه على سجستان عبد الله بن أبي بكرة الثقفي .

وعلى قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس بن مالك الأنصاري .

وقد توفي في هذه السنة من الأعيان :

جابر بن عبد الله[٥] بن عمرو بن حرام ، أبو عبد الله الأنصاري[٦] السلمي ، صاحب رسول الله ﷺ

---

(١) الخبر في تاريخ الإسلام (ص٣٣٧) وتتمته : الذي افتتح الأندلس ، وأصاب فيها المائدة التي يتحدث أهل الكتاب أنها مائدة سليمان عليه السلام .

(٢) الخبر هنا فيه نقص ، وفي تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠ص٣٣٧) : وفيها وثب الروم على ملكهم فخلعته ، وقطعت أنفه ونفته إلى بعض الجزائر . قاله المسبحي . وقد وثق محقق تاريخ الإسلام هذه الحادثة . وما بين معكوفين زيادة من ط .

(٣) في تاريخ الطبري (٦/ ٢٨٤) وابن الأثير (٤/ ٤٤٨) : المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل .

(٤) في ط : له العطية .

(٥) ترجمة ـ جابر بن عبد الله ـ في طبقات ابن سعد (٣/ ٥٧٤) وتاريخ خليفة (٧٣) والأخبار الطوال (٣١٦) والاستيعاب (١/ ٢١٩) وتاريخ دمشق (١١/ ٢٠٨ـ٢٤٠) وتهذيبه (٣/ ٣٨٩) وأسد الغابة (١/ ٢٥٦) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ـ٨٠/ ص٣٧٧) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٨٩) والإصابة (١/ ٤٥) وشذرات الذهب (١/ ٣١٩) .

(٦) بعدها في أ ، ب : وشريح القاضي وعبد الرحمن بن غنم ، وقد ذكرنا تراجمهم في التكميل .
والتكميل كتاب للمؤلف رحمه الله جمع فيه ما بين تراجم تهذيب الكمال لشيخه المزي والعبر للذهبي وزاد عليهما .
والمجلد الأخير منه مخطوط في دار الكتب المصرية .
=

وله روايات كثيرة ، وشهد العقبة وأراد أن يشهد أحداً فمنعه أبوه وخلفه على أخواته ، وكانوا تسعة ، وقيل إنه ذهب بصره قبل موته . توفي جابر بالمدينة وعمره أربع وتسعون سنة ، وأسند إليه ألف وخمسمئة وأربعين حديثاً .

شريح بن الحارث[١] بن قيس ، أبو أمية الكندي ، وهو قاضي الكوفة ، وقد تولّى القضاء لعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ، ثم عزله علي ، ثم ولّاه معاوية ، ثم استقل في القضاء إلى أن مات في هذه السنة ، وكان رزقه على القضاء في كل شهر مئة درهم ، وقيل : خمسمئة درهم .

وكان إذا خرج إلى القضاء يقول : سيعلم الظالم حظ من نقص .

وقيل : إنه كان إذا جلس للقضاء قرأ هذه الآية ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ الآية [ص : ٢٦] .

وكان يقول : إن الظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصر .

وقيل : إنه مكث قاضياً نحو سبعين سنة[٢] .

وقيل : إنه استعفى من القضاء قبل موته بسنة ، فالله أعلم .

وأصله من أولاد الفرس الذين كانوا باليمن ، وقدم المدينة بعد موت النبي ﷺ .

توفي بالكوفة وعمره مئة وثمان سنين .

وقد روى الطبراني قال : حدَّثنا علي بن عبد العزيز ، حدّثنا عارم أبو النعمان ، حدثنا حماد بن زيد ، عن شعيب بن الحبحاب عن إبراهيم التيمي . قال : كان شريح يقول : سيعلم الظالمون حق من نقصوا . إن الظالم ينتظر العقاب ، وإن المظلوم ينتظر النصر .

ورواه الإمام أحمد عن إسماعيل بن علية ، عن ابن عون ، عن إبراهيم به .

= وهكذا نجد أن ط تنفرد ببعض التراجم ، وهي من زيادات النساخ أو تلاميذ المؤلف رحمه الله وإنما نبقيها مع الإشارة إليها ، لأن المؤلف رحمه الله درج على ذكر الوفيات بعد ذكر الأحداث كل سنة ، ويلاحظ أن معظم الزيادات من ط للوفيات ممن اختُلف في سنة موتهم ، ونعمل على الإشارة إلى ذلك في محله بتوفيق الله وإعانته سبحانه .

(١) ترجمة ـ شريح بن الحارث ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ١٣١) وتاريخ خليفة (١٥٥ و١٧٩ و٢٠٠) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢١٧ و٢١٨) وأخبار القضاة لوكيع (٢/ ١٨٧) وحلية الأولياء (٤/ ١٤٤ ـ ١٥٤) والاستيعاب (٢/ ١٤٨) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٢٣/ ٧ ـ ٥٩) وتهذيبه (٦/ ٣٠٥) والمنتظم (٦/ ١٨٥) وقد جعله ضمن وفيات سنة ست وسبعين . ووفيات الأعيان (٢/ ٤٦٠) وأسد الغابة (٢/ ٣٩٤) وتهذيب الكمال (١٢/ ٤٣٥ ـ ٤٤٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤١٩ ـ ٤٢٣) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٠٠ ـ ١٠٦) والوافي بالوفيات (١٦/ ١٤٠) والإصابة (٢/ ١٤٦) وشذرات الذهب (١/ ٨٥) .

(٢) في الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة : ستين سنة ، وفي الوفيات لابن خلكان : (٢/ ٤٦٠) أقام قاضياً خمساً وسبعين سنة ، لم يتعطل فيها إلا ثلاث سنين امتنع فيها من القضاء في فتنة ابن الزبير .

وقال الأعمش : اشتكى شريح رجله فطلاها بالعسل وجلس في الشمس فدخل عليه عوّاده فقالوا : كيف تجدك ؟ فقال : صالحاً . فقالوا : ألا أريتها الطبيب ؟ قال : قد فعلت ، قالوا : فماذا قال لك ؟ قال : وعد خيراً .

وفي رواية أنه خرج بإبهامه قرحة فقالوا : ألا أريتها الطبيب ؟ قال : هو الذي أخرجها .

وقال الأوزاعي : حدَّثني عبدة بن أبي لبابة قال : كانت فتنة ابن الزبير تسع سنين ، وكان شريح لا يختبر ولا يستخبر .

ورواه ابن ثوبان عن عبدة ، عن الشعبي ، عن شريح قال : لما كانت الفتنة لم أسأل عنها . فقال رجل لو كنت مثلك ما باليت متى مت ، فقال شريح : فكيف بما في قلبي . وقد رواه شقيق بن سلمة عن شريح قال : في الفتنة ما استخبرت ولا أخبرت ولا ظلمت مسلماً ولا معاهداً ديناراً ولا درهماً ، فقال أبو وائل : لو كنت على حالك لأحببت أن أكون قد مِتُّ ، فأوى إلى قلبه فقال : كيف بهذا[١] ، وفي رواية : كيف بما في صدري تلتقي الفئتان وإحداهما أحب إليّ من الأخرى . وقال لقوم رآهم يلعبون : ما لي أراكم تلعبون ؟ قالوا : فرغنا ! قال : ما بهذا أُمِرَ الفارغ .

وقال سوار بن عبد الله العنبري : حدَّثنا العلاء بن جرير العنبري ، حدّثني سالم أبو عبد الله ، أنه قال : شهدت شُريحاً وتقدم إليه رجل فقال : أين أنت ؟ فقال : بينك وبين الحائط ، فقال : إني رجل من أهل الشام ، فقال : بعيد سحيق ، فقال : إني تزوجت امرأة ، فقال : بالرفاء والبنين[٢] ، قال : إني اشترطت لها دارها ، قال : الشرط أملك ، قال : اقض بيننا ، قال : قد فعلت[٣] .

وقال سفيان : قيل لشريح بأي شيء أصبت هذا العلم ؟ قال : بمعاوضة[٤] العلماء ، آخذ منهم وأعطيهم .

وروى عثمان بن أبي شيبة ، عن عبد الله بن محمد بن سالم ، عن إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، عن هبيرة أنه سمع علياً يقول : يا أيها الناس ! يأتوني فقهاؤكم يسألوني وأسألهم ، فلما كان من الغد غدونا إليه حتى امتلأت الرحبة ، فجعل يسألهم : ما كذا ما كذا ، ويسألونه ما كذا ما كذا فيخبرهم ويخبرونه حتى إذا ارتفع النهار تصدعوا غير شريح فإنه جاثٍ على ركبتيه لا يسأله عن شيء إلا أخبره به ، قال : سمعت علياً يقول : قم يا شريح فأنت أقضى العرب[٥] .

---

(١) الخبر الذي قبله في حلية الأولياء (٤/ ١٤٥) .

(٢) في السنة النبوية أن يقول له : بارك الله لك ، وبارك عليك ، وجمع بينكما في خير .

(٣) الخبر والذي قبله في حلية الأولياء (٤/ ١٤٦) .

(٤) في الحلية (٤/ ١٤٦) : بمقاومة .

(٥) الخبر في الحلية (٤/ ١٤٦ ـ ١٤٧) ووفيات الأعيان (٢/ ٤٦٢) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٠٢) .

وأتت شريحاً امرأتان جدة صبي وأمه يختصمان فيه كل واحدة تقول : أنا أحق به .

أبـا ميَّـهْ أتينـاك وأنـتَ المرء نـأتيـهِ[١]
أتـاكَ[٢] جـدهُ وابنـي وكلتـانـا نفـديـهِ
فلـو كنـتِ تـأيمـتِ لمـا نـازعتكـي فيـهِ
تـزوجـتِ فهـاتيـه ولا يذهب بكِ التيهِ[٣]
ألا يـا أيهـا القـاضـي فهـذي قصتـي فيـهِ

قالت الأم :

ألا يـا أيهـا القـاضـي لقـد قـالـت لـك الجدَّه
وقـولاً فـاستمـع منـي ولا تطـردنـي[٤] ردهْ
تعزي النفسَ عن ابني وكبِـدي حملـتْ كَبْـدهْ
فلما صارَ في حجري يتيمـاً مفـرداً[٥] وحْـدهْ
تـزوجـتُ رجـاءَ الخيـ ـرِ مَـنْ يكفينـي فقـدهْ
ومن يُظهرُ لي الودَّ[٦] ومَـنْ يحسـنُ لـي رِفـدهْ

فقال شريح :

قَدْ سمعَ القاضي ما قلتما ثمَ قضى وعلى القاضي جهدٌ إنْ غفلِ[٧]
قـالَ للجـدةِ : بِينـي بـالصبـي وخـذي ابنـكِ مـنْ ذاتِ العلـلِ
إنهـا لـو صبـرتْ كـانَ لهـا قبـلَ دعـوى مـا تبتغيـه للبـدلِ[٨]

فقضى به للجدة .

وقال عبد الرزاق[٩] : حدَّثنا معمر بن عون ، عن إبراهيم ، عن شريح أنه قضى على رجل باعترافه فقال : يا أبا أمية قضيت عليّ بغير بينة ، فقال شريح : أخبرني ابن أخت خالتك .

---

(١) في الأصل (وأنت المستعان به) وما هنا عن الطبقات .
(٢) في الأصل (جده ابن وأم) وما هنا عن الطبعات .
(٣) في الأصل (الفيه) وهو تحريف وما هنا عن الطبقات .
(٤) في الطبقات : ولا تبطرني .
(٥) في الطبقات : ضائعاً .
(٦) في الطبقات : وده . . . ومن يكفل . . .
(٧) في الطبقات : وقضى بينكما ثم فصل .
(٨) في الطبقات : قبل دعواها تبغيها البدل .
(٩) سير أعلام النبلاء (٤/ ١٠٥) .

وقال علي بن الجعد[١] : أنبأنا المسعودي عن أبي حصين قال : سئل شريح عن شاة تأكل الذُّباب فقال : علف مجّان ولبن طيب .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا يحيى بن سعيد ، عن أبي حيان التيمي ، حدَّثنا أبي قال : كان شريح إذا مات لأهله سنَّور أمر بها فألقيت في جوف داره ، ولم يكن له مثعب[٣] شارع إلا في جوف داره يفعل ذلك اتقاء أن تؤذي المسلمين ـ يعني أنه يلقي السنَّور في جوف داره لئلا تؤذي بنتن ريحها المسلمين ـ ، وكان ميازيب أسطحة داره في جوف الدار لئلا يؤذي بها المارة من المسلمين .

وقال الرياشي[٤] : قال رجل لشريح : إن شأنك لشوين . فقال له شريح : أراك تعرف نعمة الله على غيرك وتجهلها في نفسك .

وقال الطبراني[٥] : حدَّثنا أحمد بن يحيى ثعلب[٦] النحوي ، حدَّثنا عبد الله بن شبيب قال : حدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن زياد بن سمعان . قال : كتب شريح إلى أخ له هرب من الطاعون : أما بعد فإنك والمكان الذي أنت فيه والمكان الذي خرجت منه بعين من لا يعجزه من طلب ، ولا يفوته من هرب ، والمكان الذي خلفته[٧] لم يعد أمراً لكمامه ومن تظلمه أيامه . وإنك وإياهم لعلى بساط واحد ، وإن المنتجع من ذي قدرة لقريب .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة[٨] : حدَّثنا علي بن مسهر ، عن الشيباني ، عن الشعبي ، عن شريح أن عمر كتب إليه : إذا جاءك الشيء من كتاب الله فاقض به ولا يلفتنك عنه رجاء ما ليس في كتاب الله ، وانظر في سنة رسول الله ﷺ فاقض بها ، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذْ به ، وفي رواية : فانظر فيما قضى به الصالحون ، فإن لم يكن فإن شئت فتقدم وإن شئت فتأخر ، وما أرى التأخر إلا خيراً ، والسلام .

وقال شريح : كنت مع علي في سوق الكوفة فانتهى إلى قاصٍّ يقص فوقف عليه وقال : أيها القاص ! تقص ونحن قريبوا العهد . أما إني سائلك فإن تجب فما سألتك وإلّا أدبتك ، فقال القاص : سل يا أمير المؤمنين عما شئت ، فقال علي : ما ثبات الإيمان وزواله ؟ قال القاص : ثبات الإيمان

---

(١) حلية الأولياء (٤/ ١٤٨) .
(٢) الخبر في حلية الأولياء (٤/ ١٤٨) .
(٣) المثعب : مسيل الماء في السطح .
(٤) حلية الأولياء (٤/ ١٤٩) .
(٥) الخبر في تاريخ دمشق (٢٣/ ٢١) .
(٦) في الأصل : تغلب ، وهو خطأ .
(٧) العبارة في الوفيات لابن خلكان (٢/ ٤٦٣) : الذي لم يعجل امرءاً جمامه ولم يظلمه أيامه .
(٨) الخبر في تاريخ دمشق (٢٣/ ٢١) .

الورع وزواله الطمع . قال علي : فذلك فقص . قيل : إن هذا القاص هو نوف البكالي[١] .

وقال رجل لشريح : إنك لتذكر النعمة في غيرك وتنساها في نفسك ، قال : إني والله لأحسدك على ما أرى بك . قال : ما نفعك الله بهذا ولا ضرني[٢] .

وروى جرير عن الشيباني ، عن الشعبي قال : اشترى عمر فرساً من رجل على أن ينظر إليه ، فأخذ الفرس فسار به فعطب ، فقال لصاحب الفرس : خذ فرسك ، فقال : لا ! قال : فاجعل بيني وبينك حكماً ، قال الرجل : نعم ! شريح ، قال عمر : ومن شريح ؟ قال : شريح العراقي ، قال : فانطلقا إليه فقصّا عليه القصّة ، فقال : يا أمير المؤمنين ردّ كما أخذت أو خذ بما ابتعته ، فقال عمر : وهل القضاء إلا هذا ؟ سر إلى الكوفة فقد وليتك قضاءها ، فإنه لأول يوم عرفه يومئذ[٣] .

وقال هشام بن محمد الكلبي[٤] : حدَّثني رجل من ولد سعد بن [أبي] وقاص قال : كان لشريح ابن يدعو الكلاب[٥] ويهارش بين الكلاب ، فدعا بدواة وقرطاس فكتب إلى مؤدبه فقال :

تركَ الصلاةَ لأكلبٍ يسعى بها ... طلبَ الهراشَ مع الغواةِ الرجّسِ
فـإذا أتـاكَ فعفّـهُ بمـلامـة ... وعظهُ موعظةِ الأديبِ الأكيسِ
فـإذا هممـت بضـربـهِ فبـدرّةٍ ... فإذا ضربتَ بها ثلاثاً فاحبسِ
واعلـم بـأنـكَ مـا أتيـتَ فنفسُـه ... معَ مـا تجـرّعنـي أعـزُّ الأنفسِ

وروى شريح ، عن عمر ، عن عائشة أن النبي ﷺ قال لها : « يا عائشة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾ [الأنعام : ١٥٩] إنهم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء وأصحاب الضلالة من هذه الأمة ، إن لكل صاحب ذنب توبة ، إلا أصحاب الأهواء والبدع ، أنا منهم بريء وهم مني براء »[٦] .

وهذا حديث ضعيف غريب رواه محمد بن مصفى ، عن بقية ، عن شعبة ـ أو غيره ـ عن مجالد ، عن الشعبي ، وإنما تفرد به بقيّة بن الوليد من هذا الوجه وفيه علة أيضاً .

وروى محمد بن كعب القرظي ، عن الحسن ، عن شريح ، عن عمر بن الخطاب . قال قال رسول الله ﷺ : « إنكم ستغربلون حتى تصيروا في حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وخربت أمانتهم » فقال قائل : فكيف بنا يا رسول الله ؟ فقال : « تعملون بما تعرفون وتتركون

---

(١) حلية الأولياء (٤/ ١٤٩) .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) حلية الأولياء(٤/ ١٤٩) .
(٤) الخبر في تاريخ دمشق (٢٣/ ٥٠ ـ ٥١) وحلية الأولياء (٤/ ١٤٩ ـ ١٥٠) .
(٥) في الحلية (٤/ ١٣٦) : يدع الكتاب ويهارش الكلاب .
(٦) الحديث في المعجم الصغير للطبراني (١/ ٢٠٣) وحلية الأولياء (٤/ ١٥٠) وقال المؤلف رحمه الله في تفسيره : ولا يصح رفعه .

ما تنكرون ، وتقولون : أحدٌ أحدٌ ، انصرنا على من ظلمنا واكفنا من بغانا »[١] .

وروى الحسن بن سفيان ، عن يحيى بن أيوب ، عن عبد الجبار بن وهب ، عن عبد الله السُّلمي عن شريح ، قال : حدَّثني البدريون منهم عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال : « ما من شاب يدع لذّة الدنيا ولهوها ويستقبل بشبابه طاعة الله تعالى إلا أعطاه الله تعالى أجر اثنين وسبعين صدِّيقاً ، ثم قال : يقول الله تعالى : أيها الشاب التارك شهوته من أجلي ، المبتذل شبابه لي ، أنت عندي كبعض ملائكتي » وهذا حديث غريب[٢] .

وقال أبو داود[٣] : حدَّثنا صدقة بن موسى ، حدَّثنا أبو عمران الجوني ، عن قيس بن زيد ـ وقال أبو داود : أو عن زيد بن قيس ـ عن قاضي المصرين شريح ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق : أن النبي ﷺ قال : « إن الله تعالى يدعو صاحب الدَّين يوم القيامة فيقول : يا بن آدم فيم أضعت حقوق الناس ؟ فيم أذهبت أموالهم ؟ فيقول : يا رب لم أفسده ولكن أصبت إما غرقاً وإما حرقاً ، فيقول الله سبحانه : أنا أحق من قضى عنك اليوم ، فترجح حسناته على سيئاته فيؤمر به إلى الجنة » . لفظ أبي داود ورواه يزيد بن هارون عن صدقة به وقال فيه : « فيدعو الله بشيء فيضعه في ميزانه فيثقل » ورواه الطبراني من طريق أبي نعيم ، عن صدقة به ، ورواه الطبراني أيضاً عن حفص بن عمر وأحمد بن داود المكي قالا : حدَّثنا مسلم بن إبراهيم ، حدَّثنا صدقة به ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

عبد الرحمن[٤] بن غنْم[٥] ، الأشعري ، نزيل فلسطين ، وقد روى عن جماعة من الصحابة وقيل إن له صحبة وقد بعثه عمر بن الخطاب إلى الشام ليفقه أهلها في الدِّين وكان من العبَّاد الصالحين .

جنادة بن [أبي] أمية[٦] ، الأزدي ، شهد فتح مصر ، وكان أميراً على غزو البحر لمعاوية ، وكان موصوفاً بالشجاعة والخير ، توفي بالشام وقد قارب الثمانين .

---

(١) الحديث أخرجه الطبراني في الأوسط رقم (٦٢٥٢) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٥١) وإسناده ضعيف، ولبعضه شواهد.

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ١٥١) .

(٣) مسند أبي داود الطيالسي (١٣٢٦) ، وهو بسنده ومتنه في مسند الإمام أحمد (١/ ١٩٧) ، وحلية الأولياء (٤/ ١٤١) وهو حديث ضعيف .

(٤) في ط : عبد الله؛ خطأ والتصحيح من مصادر الترجمة .

(٥) ترجمة ـ عبد الرحمن بن غنم ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٤١) وتاريخ خليفة (٢٧٧) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٣٠٩) والاستيعاب (٢/ ٤٢٤) وتاريخ دمشق (٣٥/ ٣١١ ـ ٣٢٢) وأسد الغابة (٣/ ٣٧١) وتهذيب الكمال (١١/ ٣٣١) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٧٦ ـ ٤٧٧) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٥ ـ ٤٦) وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٥٠ ـ ٢٥١) والإصابة (٣/ ٩٧ ـ ٩٨) والنجوم الزاهرة (١/ ١٩٨) وشذرات الذهب (١/ ٣٢٠) .

(٦) ترجمة ـ جنادة بن أبي أمية ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٣٩) وتاريخ خليفة (١٨٠) والاستيعاب (١/ ٢٤٢) وتاريخ دمشق لابن عساكر (١١/ ٢٨٧) وتهذيبه (٣/ ٤٠٩) وأسد الغابة (١/ ٢٩٨) وتهذيب الكمال (٥/ ١٣٣) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ـ٨٠/ ص٣٨٣ـ٣٨٤) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٦٢) والوافي بالوفيات (١١/ ١٩٢) والإصابة (١/ ٢٤٥) وشذرات الذهب (١/ ٨٨) .

العلاء بن زياد[١] ، البصري ، كان من العبّاد الصالحين من أهل البصرة ، وكان كثير الخوف والورع ، وكان يعتزل في بيته ولا يخالط الناس ، وكان كثير البكاء ، لم يزل يبكي حتى عمي ، وله مناقب كثيرة ، توفي بالبصرة في هذه السنة .

قلت : إنما كان معظم بكاء العلاء بن زياد بعد تلك الرؤيا التي رآها له رجل من أهل الشام أنه من أهل الجنة ، فقال له العلاء : أما أنت يا أخي فجزاك الله عن رؤياك لي خيراً ، وأما أنا فقد تركتني رؤياك لا أهدأ بليل ولا نهار ، وكان بعدها يطوي الأيام لا يأكل فيها شيئاً وبكى حتى كاد يفارق الدنيا ، ويصلي لا يفتر ، حتى جاء أخوه إلى الحسن البصري فقال : أدرك أخي فإنه قاتل نفسه ، يصوم لا يفطر ، ويقوم لا ينام ، ويبكي الليل والنهار لرؤيا رآها بعض الناس له أنه من أهل الجنة ، فجاء الحسن فطرق عليه بابه فلم يفتح ، فقال له : افتح فإني أنا الحسن ، فلما سمع صوت الحسن فتح له ، فقال له الحسن : يا أخي الجنة وما الجنة للمؤمن ، إن للمؤمن عند الله ما هو أفضل من الجنة ، فقاتل أنت نفسك ؟ فلم يزل به حتى أكل وشرب وقصر عما كان فيه قليلاً .

وروى ابن أبي الدنيا عنه أنه أتاه آتٍ في مقامه فأخذ بناصيته وقال : يا غلام قم فاذكر الله يذكرك . فما زالت تلك الشعرات التي أخذ بها قائمة حتى مات .

وقد قيل : إنه كان يرفع له إلى الله كل يوم من العمل الصالح بقدر أعمال خلق كثير من الناس كما رأى ذلك بعض أصحابه في المنام .

وقال العلاء : نحن قوم وضعنا أنفسنا في النار فإن شاء الله أن يخرجنا منها أخرجنا . وقال : كان رجل يرائي بعمله فجعل يشمر ثيابه ويرفع صوته إذا قرأ ، فجعل لا يأتي على أحد إلا سبَّه ، ثم رزقه الله الإخلاص واليقين فخفض من صوته وجعل صلاحه بينه وبين الله ، فجعل لا يأتي على أحد بعد ذلك إلا دعا له بخير .

سراقة بن مرداس[٢] ، الأزدي ، كان شاعراً مطبقاً ، هجا الحجاج فنفاه إلى الشام فتوفي بها .

النابغة الجعدي[٣] الشاعر .

---

(١) ترجمة ـ العلاء بن زياد ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٢١٧) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٩٣) وحلية الأولياء (٢/ ٢٤٢) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٠٢) والنجوم الزاهرة (١/ ٢٠٢) .

(٢) ترجمة ـ سراقة بن مرداس ـ في أنساب الأشراف (٥/ ١٦٩ و١٧٠) ومواضع أخرى والعقد الفريد (٢/ ١٧٠) وتاريخ دمشق (٢٠/ ١٥٣) وتهذيبه (٦/ ٧١ ـ ٧٣) والأخبار الطوال (٣٠٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ـ٨٠/ ص٤٠٧ ـ ٤٠٨) والوافي بالوفيات (١٥/ ١٣٢ـ١٣٣) .

(٣) ترجمة ـ النابغة الجعدي ـ في الشعر والشعراء (١/ ٢٠٨ ـ ٢١٤) وطبقات الشعراء لابن سلام (١٠٣ ـ ١٠٩) ومعجم الشعراء للمرزباني (٣٢١) وأنساب الأشراف (١/ ٦٢ و٣/ ٢٦٣) وتاريخ خليفة (١٧٧) والعقد الفريد (٢/ ٥٢ و٩٦) ومواضع أخرى ، والاستيعاب (٣/ ٥٨١ ـ ٥٩٣) والأغاني (٥/ ١ ـ ٣٤) ووفيات الأعيان (٢/ ٥٠ و١٧٧ =

السائب بن يزيد الكندي[١] ، توفي في هذه السنة .

سفيان بن سلمة[٢] ، الأسدي .

معاوية بن قرة[٣] ، البصري .

زر بن حبيش[٤] .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين

ففيها وقع طاعون عظيم بالشام حتى كادوا يفنون من شدته ، ولم يغز فيها أحد من أهل الشام لضعفهم وقلتهم ، ووصلت الروم فيها أنطاكية فأصابوا خلقاً من أهلها لعلمهم بضعف الجنود والمقاتلة .

وفيه غزا عبيد الله بن أبي بكرة رُتبيل ملك الترك حتى أوغل في بلاده ، ثم صالحه على مال يحمله إليه في كل سنة[٥] .

= و٥/١٩٣) . وأسد الغابة (٥/ ٢ ـ ٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٢٥٨ ـ ٢٦٠) وديوان النابغة الجعدي ط : المكتب الإسلامي ، جمعته ماريا نللينو .

(١) ترجمة ـ السائب بن يزيد الكندي ـ في تاريخ خليفة (٢٨٠) وتاريخ البخاري (٤/ ١٥٠) والاستيعاب (٢/ ٥٧٦) وتاريخ دمشق (٢٠/ ١٠٦) وتهذيبه (٦/ ٦٣) وأسد الغابة (٢/ ٢٥٧) وتهذيب الكمال (١٠/ ١٩٣ ـ ١٩٦) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص٣٦٣ ـ ٣٦٦) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٣٧ ـ ٤٣٩) والوافي بالوفيات (١٥/ ١٠٤) وتهذيب التهذيب (٣/ ٤٥٠) والإصابة (٢/ ١٢) وشذرات الذهب (١/ ٩٩) .
وذكر الذهبي في تاريخ الإسلام الخلاف في سنة وفاته وهي ما بين سنة إحدى وتسعين وأربع وتسعين . وذكره هنا وهم والله أعلم وأحكم .

(٢) لم أجد له ترجمة فيما لدي من المصادر .

(٣) ترجمة ـ معاوية بن قرة ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٢٢١) وتاريخ خليفة (٢٥٧) وطبقاته (٢٠٧) وتاريخ البخاري (٧/ ٣٣٠) وتهذيب الكمال (٢٨/ ٢١٠) وسير أعلام النبلاء (٥/ ١٥٣ـ١٥٥) وتهذيب التهذيب (١٠/ ٢١٦) .

(٤) ترجمة ـ زر بن حبيش ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ١٠٤) وتاريخ خليفة (٢٨٨) وطبقاته (١٤٠) والاستيعاب (٢/ ٥٦٣) وحلية الأولياء (٤/ ١٨١ ـ ١٩١) وتهذيب تاريخ دمشق (٥/ ٣٧٧ ـ ٣٧٩) وأسد الغابة (٢/ ٣٠٠) وتهذيب الكمال (٩/ ٣٣٥ ـ ٣٣٩) ووفيات الأعيان (٣/ ٩) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٦٦ ـ ٦٨) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٦٦ ـ ١٧٠) والوافي بالوفيات (١٤/ ١٩٠ ـ ١٩١) وتهذيب التهذيب (٣/ ٣٢١ ـ ٣٢٢) والإصابة (١/ ٥٧٧) وشذرات الذهب (١/ ٩١ و١٠٢) .
وقال الذهبي في تاريخ الإسلام والسير : قال أبو عبيد : مات زر سنة إحدى وثمانين وقال خليفة ، والفلاس : بسنة اثنتين . وكل التراجم بعد ترجمة جابر بن عبد الله زيادة من ط .

(٥) من قوله : ثم صالحه . . . إلى هنا ساقط من أ وحدها والخبر اختصار لما في الطبري (٦/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣) وابن الأثير (٤/ ٤٥٠ ـ ٤٥١) .

وفيها قتل عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين الحارثَ بن سعيد المتنبىء الكذاب[١] ، ويقال له : الحارث بن عبد الرحمن بن سعد[٢] الدمشقي ، مولى أبي الجلاس العبدري ، ويقال مولى الحكم بن مروان[٣] ، كان أصله من الحولة ، فنزل دمشق ، وتعبد بها وتنسك وتزهد ، ثم مكر به ورجع القهقرى على عقبيه ، وانسلخ من آيات الله تعالى ، وفارق حزب الله المفلحين ، وأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولم يزل الشيطان يزج في قفاه حتى أخسره دينه ودنياه وأخراه وأشقاه فيهما وأخزاه . فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وحسبنا الله [ولا حول ولا قوة إلا بالله] .

قال أبو بكر بن أبي خيثمة : حدَّثنا عبد الوهاب بن نجدة الحوطي[٤] ، حدَّثنا محمد بن مبارك ، نبأنا الوليد بن مسلم ، عن عبد الرحمن بن حسان قال : كان الحارث الكذاب من أهل دمشق ، وكان مولى لأبي الجلاس ، وكان له أب بالحُوْلَة[٥] ، فعرض له إبليس ، كان رجلاً متعبداً زاهداً لو لبس جبة من ذهب لرؤيت عليه الزهادة والعبادة ، قال : وكان إذا أخذ بالتحميد لم يسمع السَّامعون مثل تحميده ولا أحسن من كلامه ، فكتب إلى أبيه وكان بالحولَة : يا أبتاه أعجل عليّ فإني قد رأيت أشياء أتخوف أن يكون الشيطان قد عرض لي ، قال فزاده أبوه غيّاً على غيه[٦] ، فكتب إليه أبوه : يا بني أقبل على ما أمرت به فإن الله تعالى يقول : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ [الشعراء : ٢٢١ ـ ٢٢٢] ولست بأفاك ولا أثيم ، فامض لما أمرت به ، وكان يجيء إلى أهل المسجد رجلاً رجلاً فيذاكرهم أمره ويأخذ عليهم العهد والميثاق إن هو يرى ما يَرْضى وإلا كتم عليه .

قال : وكان يريهم الأعاجيب . كان يأتي إلى رخامة في المسجد فينقرها بيده فتسبح [تسبيحاً بليغاً حتى يضج من ذلك الحاضرون] .

قلت : وقد سمعت شيخنا العلامة أبا العباس بن تيمية رحمه الله يقول : كان ينقر هذه الرخامة الحمراء التي في المقصورة فتسبح ، وكان زنديقاً .

قال ابن أبي خيثمة في روايته : وكان الحارث يطعمهم فاكهة الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في

---

(١) ترجمة ـ الحارث بن سعيد الكذاب ـ في تاريخ دمشق لابن عساكر (١١/ ٤٢٧ـ٤٣١) وتهذيبه (٣/ ٤٤٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ـ٨٠/ ص٣٨٦) والوافي بالوفيات (١١/ ٢٥٤) ولسان الميزان (٢/ ١٥١) .

(٢) في ط : سعيد ، وما أثبت عن ب ، م وتاريخ دمشق .

(٣) في تاريخ دمشق : مولى مروان بن الحكم .

(٤) في ط : الجولي ، وما أثبت عن أ ، م وتاريخ دمشق (١١/ ٤٢٨) .

(٥) الحولة ـ بالضم ثم السكون ـ اسم لناحيتين بالشام إحداهما من أعمال حمص والثانية كورة بين بانياس وصور من أعمال دمشق . معجم البلدان (٢/ ٣٢٣) .

(٦) في تاريخ دمشق : فزاده أبوه عناءً .

الشتاء ، وكان يقول لهم : اخرجوا حتى أريكم الملائكة ، فيخرج بهم إلى دير المرّان[1] فيريهم رجلاً على خيل ، فتبعه على ذلك بشر كثير ، وفشا أمره في المسجد وكثر أصحابه وأتباعه ، حتى وصل الأمر إلى القاسم بن مُخَيْمرة ، قال فعرض على القاسم أمره وأخذ عليه العهد إن هو رضي أمراً قبله ، وإن كرهه كتم عليه ، قال فقال له : إنه نبي ، فقال القاسم : كذبتَ يا عدو الله ، ما أنت نبي ، وفي رواية : ولكنك أحد الكذابين الدجالين الذين أخبر عنهم رسول الله ﷺ : « إن الساعة لا تقوم حتى يخرج ثلاثون دجالون كذابون كلهم يزعم أنه نبي »[2] وأنت أحدهم ولا عهد لك . ثم قام فخرج إلى أبي إدريس ـ وكان على القضاء بدمشق ـ فأعلمه بما سمع من الحارث فقال أبو إدريس نعرفه ، ثم أعلم أبو إدريس عبد الملك بذلك .

وفي رواية أخرى أن مكحولاً وعبد الله بن أبي زائدة دخلا على الحارث فدعاهما إلى نبوته فكذّباه وردا عليه ما قال ، ودخلا على عبد الملك فأعلماه بأمره ، فتطلَّبه عبد الملك طلباً حثيثاً ، واختفى الحارث وصار إلى دار بيت المقدس يدعو إلى نفسه سراً واهتم عبد الملك بشأنه حتى ركب إلى الصِّنَّبْرَة[3] فنزلها فورد عليه هناك رجل من أهل البصرة ممن كان يدخل على الحارث وهو ببيت المقدس فأعلمه بأمره وأين هو ، وسأل من عبد الملك أن يبعث معه بطائفة من الجند الأتراك ليحتاط عليه ، فأرسل معه طائفة وكتب إلى نائب القدس ليكون في طاعة هذا الرجل ويفعل ما يأمره به ، فلما وصل الرجل إلى بيت المقدس بمن معه انتدب الوالي لخدمته ، فأمره أن يجمع ما يقدر عليه من الشموع ويجعل مع كل رجل شمعته ، فإذا أمرهم بإشعالها في الليل أشعلوها كلهم في سائر الطرق والأزقة حتى لا يخفى أمره ، وذهب الرجل بنفسه فدخل الدار التي فيها الحارث فقال لبوابه استأذن على نبي الله ، فقال : في هذه الساعة لا يؤذن عليه حتى يصبح ، فصاح البصري أسرجوا ، فأسرج الناس شموعهم حتى صار الليل كأنه النهار ، وهجم البصري على الحارث فاختفى منه في سرب هناك فقال أصحابه هيهات يريدون أن يصلوا إلى نبي الله ، إنه قد رفع إلى السماء ، قال فأدخل البصري يده في ذلك السرب فإذا بثوبه فاجتره فأخرجه ، ثم قال للفرغانيين من أتراك الخليفة : تسلَّموا . قال : فأخذوه فربطوه وقيدوه ، فيقال : إن القيود والجامعة سقطت من عنقه مراراً ويعيدونها ، وجعل يقول : ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ [سبأ : ٥٠] وقال لأولئك الأتراك ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ ﴾ [غافر : ٢٨] ؟ فقالوا له بلسانهم ولغتهم : هذا كراننا فهات كرانك ، أي : هذا قرآننا فهات قرآنك ، فلما انتهوا به إلى عبد الملك

---

(١) دير مُرّان ـ بضم الميم وتشديد الراء ـ دير بالقرب من دمشق على تل مشرف على مزارع الزعفران . . معجم البلدان (٢/ ٥٣٣) .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٦٠٩) في المناقب ، ومسلم في صحيحه رقم (١٥٧) (٨٤) في الفتن وأشراط الساعة .

(٣) في ط : النصرية؛ تحريف ، والصِّنَّبْرَة ـ بالكسر ثم الفتح والتشديد ثم سكون الباء الموحدة وراء ـ موضع بالأردن بينه وبين طبرية ثلاثة أميال ، كان معاوية يشتوبها معجم البلدان (٣/ ٤٢٥) .

أمر بصلبه على خشبة وأمر رجلاً فطعنه بحربة فانثنت في ضلع من أضلاعه ، فقال له عبد الملك : ويحك أذكرت اسم الله حين طعنته ؟ فقال : نسيت ، فقال : ويحك سمِّ الله ثم اطعنه ، قال فذكر اسم الله ثم طعنه فأنفذه ، وقد كان عبد الملك حبسه قبل صلبه وأمر رجالاً من أهل الفقه والعلم أن يعظوه ويعلموه أن هذا الذي به من الشيطان ، فأبى أن يقبل منهم فصلبه بعد ذلك ، وهذا من تمام العدل والدين .

وقد قال الوليد بن مسلم ، عن ابن جابر ، فحدَّثني منْ سمع عتبة الأعور يقول : سمعت العلاء بن زياد العدوي يقول : ما غبطت عبد الملك بشيء من ولايته إلا بقتله حارثاً ، حدثت أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالون كذابون كلهم يزعم أنه نبي ، فمن قاله فاقتلوه ، ومن قتل منهم أحداً فله الجنة »[١] .

وقال الوليد بن مسلم : بلغني أن خالد بن يزيد بن معاوية قال لعبد الملك لو حضرتُكَ ما أمرتُكَ بقتله ، قال : ولم ؟ قال : إنه إنما كان به المذهَّب[٢] فلو جَوَّعْتَهَ[٣] لذهب ذلك عنه .

وقال الوليد ، عن المنذر بن نافع ، سمعت خالد بن اللَّجْلاج يقول لغَيْلان : ويحك يا غَيْلان ، ألم تأخذك في شبيبتك ترامي النساء في شهر رمضان بالتفاح ، ثم صرت حارثياً تُحجب امرأته وتزعم أنها أم المؤمنين ثم تحولت فصرت قدرياً زنديقاً[٤] ؟ .

وفيها غزا عُبيد الله بن أبي بكرة رُتبيل ملك الترك الأعظم فيهم ، وقد كان يصانع المسلمين تارة ويتمرد أخرى ، فكتب الحجاج إلى عبيد الله بن أبي بكرة أن ناجزه بمن معك من المسلمين حتى تستبيح أرضه وتهدم قلاعه وتقتل مقاتلته ، فخرج في جمع من الجنود من بلاده وخلق من أهل البصرة والكوفة ثم التقى مع رُتبيل ملك الترك فكسره وهدم أركانه بسطوة بتَّارة ، وجاس ابن أبي بكرة وجنده خلال ديارهم ، واستحوذ على كثير من أقاليمه ومدنه وأمصاره ، وتبَّر ما هنالك تتبيراً ، ثم إن رتبيل تقهقر منه وما زال يتبعه حتى اقترب من مدينته العظمى ، حتى كانوا منها على ثمانية عشر فرسخاً وخافت الأتراك منهم خوفاً شديداً ، ثم إن الترك أخذت عليهم الطرق والشعاب وضيقوا عليهم المسالك حتى ظن كلٌّ من المسلمين أنه لا محالة هالك ، فعند ذلك طلب عبيد الله أن يصالح رُتبيل على أن يدفع إليه سبعمئة ألف[٥] ، ويفتحوا للمسلمين طريقاً يخرجون منه ويرجعون عنهم إلى بلادهم ، فانتدب شُرَيح بن هانىء ـ وكان صحابياً ، وكان من أكبر أصحاب علي وهو المقدم على أهل الكوفة ـ فندب الناس إلى القتال والمصابرة والنزال والجلاد بالسيوف والرماح والنبال ، فنهاه عبيد الله بن أبي بكرة فلم ينته ، وأجابه

---

(١) تاريخ دمشق (١١/ ٤٢٧) . والشطر الأول من الحديث صحيح تقدم قبل قليل .

(٢) في تاريخ دمشق : إن معه شيطاناً يقال له المذهَّب .

(٣) في ب : فلو جزعته .

(٤) الخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٣٨٩) .

(٥) في ب : ستمئة ألف ، وما أثبت يوافق الطبري (٦/ ٣٢٣) وابن الأثير (٤/ ٤٥٠) .

شرذمة(١) من الناس من الشجعان وأهل الحفائظ ، فما زال يقاتل بهم الترك حتى فني أكثر المسلمين رضي الله عنهم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

قالوا وجعل شُرَيح بن هانىء يرتجز يومئذٍ ، ويقول :

أصبحتُ ذا بثٍّ أقاسي الكِبَرَا   قدْ عِشتُ بينَ المشركينَ أعصُرا
ثُمّ(٢) أدركتُ النبيَّ المنْذِرا   وَبعدَهُ صِدِّيقَهُ وعُمَرَا
ويومَ مهرانَ ويومَ تُسْتُرا   والجْمعَ في صِفّينِهِمْ والنَّهَرا(٣)
هَيْهات ما أطولَ هذا عُمُرا

ثم قاتل حتى قتل رحمه الله تعالى ورضي الله عنه ، وقُتل معه خلق من أصحابه ، ثم خرج من خرج من الناس صحبة عبيد الله بن أبي بكرة من أرض رُتبيل ، وهم قليل ، وبلغ ذلك الحجاج فأخذ ما تقدم وما تأخر ، وكتب إلى عبد الملك يعلمه بذلك ويستشيره في بعث جيش كثيف إلى بلاد رتبيل لينتقموا منه بسبب ما حلَّ بالمسلمين في بلاده ، فحين وصل البريد إلى عبد الملك كتب إلى الحجاج بالموافقة على ما رأى من المصلحة في ذلك ، [وأن يعجل ذلك سريعاً ، فحين وصل البريد إلى الحجاج بذلك أخذ في جمع الجيوش] فجهز جيشاً كثيفاً لذلك على ما سيأتي تفصيله في السنة الآتية بعدها . [وقيل : إنه قتل من المسلمين مع شريح بن هانىء ثلاثون ألفاً وابتيع الرغيف مع المسلمين بدينار وقاسوا شدائد ، ومات بسبب الجوع منهم خلق كثير أيضاً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . وقد قتل المسلمون من الترك خلقاً كثيراً أيضاً قتلوا أضعافهم](٤) .

ويقال إنه في هذه السنة استعفى شريح من القضاء فأعفاه الحجاج من ذلك ، وولى مكانه أبا بردة بن أبي موسى الأشعري(٥) . [وقد تقدمت ترجمة شريح عند وفاته في السنة الماضية ، والله أعلم] .

قال الواقدي وأبو معشر وغير واحد من أهل السير : وحجَّ بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان أمير المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .

وفي هذه السنة قتل قَطَري بن الفُجاءة التميمي أبو نعامة الخارجي(٦) ، وكان من الشجعان المشاهير أيضاً ، ويقال إنه مكث عشرين سنة يسلم عليه أصحابه من الخوارج بالخلافة ، وقد جرت له خطوب وحروب مع جيش المهلب بن أبي صفرة من جهة الحجاج وغيره ، وقد قدمنا منها طرفاً صالحاً في أماكنه ،

---

(١) في الطبري وابن الأثير : فاتبعه ناس من المقطوعة غير كثير وفرسان الناس وأهل الحفاظ .
(٢) في ابن الأثير : ثمة أدركنا .
(٣) بعده في الطبري وابن الأثير :
« ويا جميرات مع المشقّرا » ، وليس المصراع في ابن الأعثم .
(٤) ما بين معكوفين : زيادة من ط .
(٥) الخبر في تاريخ الطبري (٦/ ٣٢٤) وابن الأثير (٤/ ٤٥٢) .
(٦) تاريخ الطبري (٦/ ٣١٨) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٣٣٦) .

[وكان خروجه في زمن مصعب بن الزبير ، وتغلب على قلاع كثيرة وأقاليم وغيرها ، ووقائعه مشهورة ، وقد أرسل إليه الحجاج جيوشاً كبيرة فهزمها ، وقيل إنه برز إليه رجل من بعض الحرورية وهو على فرس أعجف وبيده عمود حديد ، فلما قرب منه كشف قَطَري عن وجهه فولى الرجل هارباً فقال له قَطَري إلى أين ؟ أما تستحي أن تفر ولم تر طعناً ولا ضرباً ؟ فقال إن الإنسان لا يستحي أن يفر من مثلك ، ثم إنه في آخر أمره توجه إليه سفيان بن الأبرد الكلبي في جيش فاقتتلوا بطبرستان ، فعثر بقطري فرسه فوقع إلى الأرض فتكاثروا عليه فقتلوه وحملوا رأسه إلى الحجاج ، وقيل إن الذي قتله سَوْرةُ بن أبجَر الدارمي[١] ، وكان قَطري بن الفُجاءة مع شجاعته المفرطة وإقدامه من خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة وجودة الكلام والشعر الحسن] ومن مستجاد شعره قوله يشجع نفسه وغيره ومن سمعها انتفع بها :

أقولُ لها وقد طارت شعاعاً ... من الأبطالِ ويحكِ لنْ تُراعي
فإنكِ لو سألتِ[٢] بقاء يوم ... على الأجَلِ الذي لكِ لم تُطاعي
فصبْراً في مجالِ الموتِ صبراً ... فما نَيْلُ الخلودِ بمستطاعِ
ولا ثوبُ الحياةِ بثوبِ عزٍّ ... فيُطوى عن أخي الخنَعِ اليَراعِ
سبيلُ الموتِ غايةُ كلِّ حيٍ ... وداعيهِ لأهلِ الأرضِ داعِ
ومنْ لا يُعتبَطْ[٣] يسأم ويَهْرمْ ... وتُسْلِمهُ المنونُ إلى انقطاعِ
وما للمرءِ خيرٌ في حياةٍ ... إذا ما عُدَّ منْ سَقَطِ المتاعِ

ذكرها صاحب الحماسة واستحسنها ابن خلكان في تاريخه[٤] كثيراً .

[وفيها توفي :

عبيد الله بن أبي بكرة[٥] رحمه الله وهو أمير الجيش الذي دخل بلاد الترك وقاتلوا رُتبيل ملك الترك ، وقد قتل من جيشه خلق كثير مع شريح بن هانىء كما تقدم ذلك ، وقد دخل عبيد الله بن أبي بكرة على الحجاج مرة وفي يده خاتم فقال له الحجاج : وكم ختمت بخاتمك هذا ؟ قال على أربعين ألف ألف دينار ، قال ففيم أنفقتها ؟ قال : في اصطناع المعروف ، ورد الملهوف ، والمكافأة بالصَّنَاع ، وتزويج العقائل .

---

(١) في الطبري : سورة بن أبجر التميمي ، وفي ابن الأثير : سورة بن الحر التميمي .
(٢) في ط : « طلبت » ، وما أثبتناه من م ووفيات الأعيان وتاريخ الإسلام .
(٣) في ط : « فمن لا يغتبط » ، وما أثبتناه من م ووفيات الأعيان وتاريخ الإسلام .
(٤) الأبيات في وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/ ٩٥) وشعر الخوارج (١٢٢-١٢٣) وأمالي المرتضى (١/ ٦٣٦) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٥١١) .
(٥) ترجمة ـ عبيد الله بن أبي بكرة ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ١٩٠) وتاريخ خليفة (٢١٠) وطبقاته (٢٠٣) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٣٨ / ١٢٩ ـ ١٤٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٧٧) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٣٨) والنجوم الزاهرة (١/ ٢٠٢) وشذرات الذهب (١/ ٣٢٥) .

وقيل : إن عبيد الله عطش يوماً فأخرجت له امرأة كوز ماء بارد فأعطاها ثلاثين ألفاً ، وقيل إنه أهدي إليه وصيف ووصيفة وهو جالس بين أصحابه فقال لبعض أصحابه خذهما لك ، ثم فكر وقال : والله إن إيثار بعض الجلساء على بعض لشح قبيح ودناءة رديئة ، ثم قال يا غلام ادفع إلى كل واحد من جلسائي وصيفاً ووصيفة ، فأحصي ذلك فكانوا ثمانين وصيفاً ، ووصيفة توفي عبيد الله بن أبي بكرة ببست[١] ، وقيل بذرخ ، والله سبحانه وتعالى أعلم وأحلم ، والحمد لله رب العالمين][٢] .

ثم دخلت سنة ثمانين من الهجرة النبوية

فيها كان السيل الجحاف[٣] بمكة ، لأنه جحف على كل شيء مر به ، وحمل الحُجَّاج من بطن مكة والجمال بما عليها ، والرجال والنساء لا يستطيع أحد أن ينقذهم منه [وبلغ الماء إلى الحجون ، وغرق خلق كثير ، وقيل إنه ارتفع حتى كاد أن يغطي البيت ، والله أعلم] .

وحكى ابن جرير[٤] عن الواقدي أنه قال : كان بالبصرة في هذه السنة الطاعون ، والمشهور أنه كان في سنة تسع وستين كما تقدم .

وفيها قطع المهلَّب بن أبي صفرة نهر بلخ ، وأقام بكش[٥] سنتين صابراً مصابراً للأعداء من الأتراك ، وجرت له معهم هناك فصول يطول ذكرها ، وفد عليه في غضون هذه المدة كتاب ابن الأشعث بخلعه الحجاج ، فبعثه المهلب برمته إلى الحجاج حتى قرأه ثم كان ما سيأتي بيانه وتفصيله في السنين الآتية من حروب ابن الأشعث .

وفي هذه السنة جَهَّز الحجاج الجيوش من البصرة والكوفة وغيرهما لقتال رُتبيل ملك الترك اقتصاصاً لمن قتل من أصحاب عبيد الله بن أبي بكرة في السنة الماضية ، فجهّز أربعين ألفاً من كلٍّ من المصرينِ عشرين ألفاً ، وأمَّر على الجميع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث مع أنه كان الحجاج يبغضه جداً ، حتى قال ما رأيته قط إلا هممت بقتله ، ودخل ابن الأشعث يوماً على الحجّاج وعنده عامر الشعبي[٦] فقال انظر

---

(١) بست ـ بالضم ـ مدينة بين سجستان وغزنين وهراة ، وأظنها من أعمال كابل . معجم البلدان (١/ ٤١٤) .
(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط .
(٣) نقل محقق تاريخ مكة للأزرقي (٢/ ١١٨) عن البلاذري قوله : سيل الجحاف والجراف أيضاً ، والجحاف والجراف بمعنى واحد وهو الذي يجرف كل شيء ويذهب به .
وذكر الأزرقي أن الناس رقوا في الجبال ، واعتصموا بها ، فسمي بذلك الجحاف ، وكان يوم الإثنين يوم التروية .
(٤) تاريخ الطبري (٦/ ٣٢٥) .
(٥) كَشُّ ـ بالفتح ثم التشديد؛ قرية على ثلاث فراسخ من جرجان على جبل . معجم البلدان (٤/ ٤٦٢) .
(٦) هو عامر بن شراحيل الشعبي ، من التابعين ، اتصل بعبد الملك بن مروان فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم سنة ١٠٣هـ بالكوفة . تهذيب التهذيب (٥/ ٦٥) وتهذيب تاريخ دمشق (٧/ ١٣٨) .

إلى مشيته والله لقد هممت أن أضرب عنقه ، فأسرَّها الشعبي إلى ابن الأشعث فقال ابن الأشعث : وأنا والله لأجهدن أن أزيله عن سلطانه إن طال بي وبه البقاء . والمقصود أن الحجاج أخذ في استعراض هذه الجيوش وبذل فيهم العطاء ثم اختلف رأيه فيمن يؤمِّر عليهم ، ثم وقع اختياره على عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، فقدّمه عليهم ، فأتى عمه إسماعيل بن الأشعث فقال للحجاج : إني أخاف أن تؤمره فلا ترى لك طاعة إذا جاوز جسر الفرات[1] ، فقال : ليس هو هنالك هو لي أهيب ، ومني أرغب أن يخالف أمري أو يخرج عن طاعتي ، فأمضاه عليهم ، فسار ابن الأشعث بالجيوش نحو أرض رتبيل ، فلما بلغ رُتبيل مجيء ابن الأشعث بالجنود إليه كتب إليه يعتذر مما أصاب المسلمين في بلاده في السنة الماضية ، وأنه كان لذلك كارهاً ، وأن المسلمين هم الذين ألجؤوه إلى قتالهم ، وسأل من ابن الأشعث أن يصالحه وأن يبذل للمسلمين الخراج ، فلم يجبه ابن الأشعث إلى ذلك ، وصمم على دخول بلاده ، وجمع رُتبيل جنوده وتهيأ للحرب ، وجعل ابن الأشعث كلما دخل بلداً أو مدينة أو أخذ قلعة من بلاد رُتبيل استعمل عليها نائباً من جهته وجعل معه من يحفظها له ، وجعل المسالح على كل أرض ومكان مخوف ، فاستحوذ على بلاد كثيرة من بلاد رُتبيل ، وغنم أموالاً كثيرة جزيلة ، وسبى خلقاً كثيرة ، ثم حبس الناس[2] عن التوغل في بلاد رُتبيل حتى يصلحوا ما بأيديهم من البلاد ، ويتقووا بما فيها من المغلات والحواصل ، ثم يتقدمون في العام المقبل إلى أعدائهم فلا يزالون يجوزون الأراضي والأقاليم حتى يحاصروهم في بلادهم على الكنوز والأموال والذراري حتى يغنموها ثم يقتلون مقاتلتهم ، وعزموا على ذلك ، وكان هذا هو الرأي ، وكتب ابن الأشعث إلى الحجاج يخبره بما وقع من الفتح وما صنع الله لهم ، وبهذا الرأي الذي رآه لهم .

وقال بعضهم كان الحجاج قد وجه هِميان بن عديّ السدوسيّ إلى كرمان مَسلَحة لأهلها ليمد عامل سجستان والسِّند إن احتاجا إلى ذلك ، فعصى هِميان ومن معه على الحجاج ، فوجه الحجاج إليه ابن الأشعث لمحاربته فهزمه وأقام ابن الأشعث بمن معه ، ومات عبيد الله بن أبي بكرة فكتب الحجاج إلى ابن الأشعث بإمرة سجستان مكان ابن أبي بكرة وجهز إليه جيشاً أنفق عليه ألفي ألف سوى أعطياتهم ، وكان يدعى هذا الجيش جيش الطواويس ، وأمره بالإقدام على رُتبيل فكان من أمره معه ما تقدم .

قال الواقدي وأبو معشر : وحج بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان .

وقال غيرهما : بل حج بهم سليمان بن عبد الملك .

وكان على الصائفة في هذه السنة الوليد بن عبد الملك ، وعلى المدينة أبان بن عثمان ، وعلى

---

(١) في ط : الصراة؛ وما أثبت يوافق الطبري (٦/ ٣٢٨) وابن الأثير (٤/ ٤٥٥) .

(٢) في أ وحدها : ثم جرّأ الناس على التوغل . . . وما أثبت يوافق الطبري (٦/ ٣٢٩) .

المشرق بكماله الحجاج ، وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن أبي موسى ، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس بن مالك[١] .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان :

أسلم مولى عمر بن الخطاب[٢] ، وهو أبو زيد بن أسلم أصله من سبي عين التمر اشتراه عمر بمكة لما حج سنة إحدى عشرة ، وتوفي وعمره مئة وأربع عشرة سنة ، وروى عن عمر عدة أحاديث ، وروى عن غيره من أصحابه أيضاً وله مناقب كثيرة رحمه الله .

وجبير بن نفير[٣] بن مالك الحضرمي ، له صحبة ورواية ، وكان من علماء أهل الشام وكان مشهوراً بالعبادة والعلم .

توفي بالشام وعمره مئة وعشرون سنة ، وقيل أكثر ، وقيل أقل .

عبد الله بن جعفر بن أبي طالب[٤] ، صحابي جليل ، ولد بأرض الحبشة وأمه أسماء بنت عميس ، وهو آخر من رأى النبي ﷺ من بني هاشم وفاة ، سكن المدينة ، ولما استشهد أبوه جعفر بمؤتة « أتى النبي ﷺ إلى أمهم فقال : ائتوني ببني أخي » فأُتي بهم كأنهم أفرخ ، فدعا بالحلاق فحلق رؤوسهم ثم قال : « اللهم اخلف جعفراً في أهله وبارك لعبد الله في صفقته » فجاءت أمهم فذكرت للنبي ﷺ أنه ليس لهم شيء ، فقال « أنا لهم عوضاً من أبيهم »[٥] .

وقد بايع النبي ﷺ عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير وعمرهما سبع سنين ، وهذا لم يتفق لغيرهما ، وكان عبد الله بن جعفر من أسخى الناس ، يعطي الجزيل الكثير ويستقله ، وقد تصدق مرة بألفي ألف ، وأعطى مرة رجلاً ستين ألفاً ، ومرة أعطى رجلاً أربعة آلاف دينار ، وقيل إن رجلاً جلب مرة

---

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠) .

(٢) ترجمة ـ أسلم مولى عمر ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ١٠) وتاريخ خليفة (١١٧) وطبقاته (٢٣٥) وتهذيب تاريخ دمشق (٣/ ٩ ـ ١٢) وأسد الغابة (١/ ٧٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ٣٦١) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٩٨) والإصابة (١/ ٣٨) وشذرات الذهب (١/ ٣٢٧) .

(٣) ترجمة ـ جبير بن نفير ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٤٠) وتاريخ خليفة (٢٨٠) وطبقاته (٣٠٨) وحلية الأولياء (٥/ ٣٣) والاستيعاب (١/ ٢٣٤) وأسد الغابة (١/ ٢٧٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٣٨١) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٧٦) والإصابة (١/ ٢٥٩) وشذرات الذهب (١/ ٣٢٨) .

(٤) ترجمة ـ عبد الله بن جعفر ـ في نسب قريش (٨١ ـ ٨٢) وتاريخ خليفة (١٨٤) وطبقاته (١٢٦) والاستيعاب (٢/ ٢٧٥) وأسد الغابة (٧/ ٣٢٨) وتاريخ دمشق (عبد الله بن جابر ـ عبد الله بن زيد/ ١٧) وتهذيبه (٧/ ٣٢٨) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٢٧) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٥٦) والإصابة (٢/ ٢٨٩) وشذرات الذهب (١/ ٣٢٦) .

(٥) الحديث أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٠٤) وأبو داود في سننه (٤١٩٢) مختصراً ، والنسائي في سننه (٨/ ١٨٢) وهو حديث صحيح .

سكّراً إلى المدينة فكسد عليه فلم يشتره أحد فأمر ابن جعفر قيّمه أن يشتريه وأن يهديه للناس . وقيل : إن معاوية لما حج ونزل في دار مروان قال يوماً لحاجبه : انظر هل ترى بالباب الحسن أو الحسين أو ابن جعفر أو فلاناً ـ وعدَّ جماعة ـ فخرج فلم ير أحداً ، فقيل له : هم مجتمعون عند عبد الله بن جعفر يتغدون ، فأتى معاوية فأخبره فقال : ما أنا إلا كأحدهم ، ثم أخذ عصاً فتوكأ عليها ثم أتى باب ابن جعفر فاستأذن عليه ودخل فأجلسه في صدر فراشه ، فقال له معاوية : أين غداؤك يا بن جعفر ؟ فقال : وما تشتهي من شيء فأدعو به ؟ فقال معاوية : أطعمنا مخاً ، فقال يا غلام : هات مخاً ، فأتى بصحيفة فأكل معاوية ، ثم قال ابن جعفر لغلامه : هات مخاً ، فجاء بصحيفة أخرى ملآنة مخاً إلى أن فعل ذلك ثلاث مرات ، فتعجب معاوية وقال : يا بن جعفر ما يشبعك إلا الكثير من العطاء ، فلما خرج معاوية أمر له بخمسين ألف دينار .

وكان ابن جعفر صديقاً لمعاوية وكان يفد عليه كل سنة فيعطيه ألف ألف درهم ، ويقضي له مئة حاجة . ولما حضرت معاوية الوفاة أوصى ابنه يزيد ، فلما قدم ابن جعفر على يزيد قال له : كم كان أمير المؤمنين يعطيك كل سنة ؟ قال ألف ألف . فقال له : قد أضعفناها لك ، وكان يعطيه ألفي ألف كل سنة ، فقال له عبد الله بن جعفر : بأبي أنت وأمي ما قلتها لأحد قبلك ، ولا أقولها لأحد بعدك ، فقال يزيد : ولا أعطاكها أحد قبلي ولا يعطيكها أحد بعدي .

وقيل إنه كان عند ابن جعفر جارية تغنيه تسمى عمارة ، وكان يحبها محبة عظيمة ، فحضر عنده يزيد بن معاوية يوماً فغنَّت الجارية ، فلما سمعها يزيد افتتن بها ولم يجسر على ابن جعفر أن يطلبها منه ، فلم يزل في نفس يزيد منها حتى مات أبوه معاوية فبعث يزيد رجلاً من أهل العراق وأمره أن يتطلع في أمر هذه الجارية ، فقدم الرجل المدينة ونزل جوار ابن جعفر وأهدى إليه هدايا وتحفاً كثيرة ، وأنس به ، ولا زال حتى أخذ الجارية وأتى يزيد .

وكان الحسن البصري يذم ابن جعفر على سماعه الغناء واللهو وشرائه المولدات ، ويقول : أما يكفيه هذا الأمر القبيح المتلبس به من هذه الأشياء وغيرها ؟ حتى زوج الحجاج بنت رسول الله ﷺ ، وكان الحجاج يقول : إنما تزوجتها لأذل بها آل أبي طالب ، وقيل إنه لم يصل إليها ، وقد كتب عبد الملك إليه أن يطلقها فطلقها . أسند عبد الله بن جعفر ثلاثة عشر حديثاً .

وأبو إدريس الخولاني[١] قاضي دمشق ، اسمه عائذ الله بن عبد الله ، له أحوال ومناقب ، كان يقول : قلب نقي في ثياب دنسة خير من قلب دنس في ثياب نقية ، وقد تولى القضاء بدمشق .

وقد ترجمناهم في كتابنا التكميل ولله الحمد[٢] .

---

(١) ترجمة ـ أبي إدريس الخولاني ـ في طبقات ابن سعد (٧/٤٤٨) وتاريخ خليفة (٢٨٠) وطبقاته (٣٠٨) والاستيعاب (٤/ ١٦) وتاريخ دمشق (عاصم ـ عائذ/ ٤٨٥) وأسد الغابة (٥/ ١٣٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٥٤٢) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٧٢) والإصابة (٣/ ٥٧) وتهذيب تاريخ دمشق (٧/ ٢٠٦) وشذرات الذهب (١/ ٣٢٧) .

(٢) لم يرد في أ ، ب قبل هذه العبارة سوى أسماء المترجم لهم آنفاً ، وتفصيل الترجمة زيادة من ط ، وهي موافقة لمصادرها .

معبد الجهني القدري[١] يقال إنه معبد بن عبد الله بن عُكَيْم[٢] راوي حديث : « لا تنتفعوا من الميتة بإهاب ولا عصب »[٣] . وقيل غير ذلك في نسبه .

سمع الحديث من ابن عباس وابن عمر ومعاوية وعمران بن حصين وغيرهم . وشهد يوم التحكيم ، وسأل أبا موسى في ذلك ووصاه ، ثم اجتمع بعمرو بن العاص فوصاه في ذلك فقال له : إيهاً تَيس جهينة ما أنت من أهل السر ولا العلانية ، وإنه لا ينفعك الحق ولا يضرك الباطل[٤] . وهذا توسم من عمرو بن العاص فيه ، ولهذا كان هو أول من تكلم في القدر ، ويقال إنه أخذ ذلك عن رجل من النصارى من أهل العراق يقال له سوسن ، وأخذ غيلان[٥] القدر من معبد .

وقد كانت لمعبد عبادة وفيه زهادة ، ووثقه ابن معين وغيره في حديثه[٦] .

وقال الحسن البصري : إياكم ومعبداً فإنه ضال مضل .

وكان ممن خرج مع ابن الأشعث فعاقبه الحجاج عقوبة عظيمة بأنواع العذاب ثم قتله .

وقال سعيد بن عفير : بل صلبه عبد الملك بن مروان في سنة ثمانين بدمشق ثم قتله .

وقال خليفة بن خياط : مات قبل التسعين ، فالله أعلم .

[وقيل : إن الأقرب قتل عبد الملك له ، والله سبحانه وتعالى أعلم] .

---

(١) ترجمة ـ معبد الجهني ـ في تاريخ خليفة (١/ ٤٠١) ت : سهيل زكار ، وتاريخ البخاري (٧/ ٣٩٩) وتاريخ دمشق (٥٩/ ٣١٢ ـ ٣٢٦) والاستيعاب (٣/ ٤٥٧) وأسد الغابة (٤/ ٣٩٠) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٥٢٨) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٨٥) والنجوم الزاهرة (١/ ٢٠٦) وتهذيب التهذيب (١٠/ ٢٢٢) والإصابة (٣/ ٤٣٩) .

(٢) في ط : « عليم » محرف ، وعبد الله بن عكيم من رجال التهذيب ، وكذلك معبد .

(٣) رواه أحمد (٤/ ٣١٠) ، وأبو داود (٤١٢٧) ، والترمذي (١٧٢٩) ، وابن ماجه (٣٦١٣) من حديث عبد الله بن عكيم ، وإسناده ضعيف لاضطرابه ، وقال الإمام الترمذي : « وليس العمل على هذا عند أكثر أهل العلم » (بشار) .

(٤) الخبر في سير أعلام النبلاء (٤/ ١٨٦) .

(٥) هو غيلان الدمشقي الذي قال بنفي القَدَر وبالغ فيه ، وقد همّ عمر بن عبد العزيز بقتله فتراجع غيلان عن آرائه ، وأعلن توبته منها ولكنه عاد إلى الكلام عن نفي القدر وأسرف في ذلك إسرافاً عظيماً في أيام هشام بن عبد الملك الذي كان شديداً على القدرية ، وقد أظهر غيلان تمسكاً شديداً بآرائه ؛ فأمر به هشام فصلب على باب دمشق . الملل والنحل (١/ ٢٢٧) الأعلام للزركلي (٥/ ١٢٤) .

(٦) سير أعلام النبلاء (٤/ ١٨٦) .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين

ففيها فتح عبيد الله بن عبد الملك بن مروان مدينة قاليقلا[١] وغنم المسلمون منها غنائم كثيرة .

وفيها قُتِل بُكير بن وشاح قتله بَحِير[٢] بن وِقاء الصُّريمي وكان هذا من الأمراء الشجعان[٣] ، ثم ثار لبكير بن وشاح رجل من قومه يقال له صعصعة بن حرب العوفي الصريمي ، فقتل بَحير بن وقاء الذي قتل بكيراً ، طعنه بخنجر وهو جالس عند المهلب بن أبي صفرة فحمل إلى منزله وهو بآخر رمق ، فبعث المهلب بصعصعة إليه ، فلما تمكن منه بَحير بن وقاء قال ضعوا رأسه عند رجلي ، فوضعوه ثم طعنه بحير بحربته حتى قتله ومات على إثره . وقد قال له أنس بن طلق[٤] : اعف عنه فقد قتلت بكير بن وشاح ، فقال : لا والله لا أموت وهذا حي ثم قتله . وقد قيل إنه إنما قتل بعد موته ، فالله أعلم .

فتنة ابن الأشعث

قال أبو مخنف : كان ابتداؤها في هذه السنة ، وقال الواقدي : في سنة ثنتين وثمانين ، وقد ساقها ابن جرير[٥] في هذه السنة فوافقناه في ذلك ، وكان سبب هذه الفتنة أن ابن الأشعث كان الحجاج يبغضه وكان هو يفهم ذلك ويضمر له السوء وزوال الملك عنه ، فلما أمَّره الحجاج على ذلك الجيش المتقدم ذكره ، وأمره بدخول بلاد رُتبيل [ملك الترك ، فمضى] وصنع ما قدمنا ذكره من أخذه بعض البلاد ، ثم رأيه لأصحابه أن يقيموا حتى يتقووا إلى العام المقبل ، فكتب إلى الحجاج بذلك فكتب إليه الحجاج يستهجن رأيه في ذلك ويستضعفه ويقرعه بالجبن والنكول عن الحرب ، ويأمره حتماً بدخول بلاد رُتبيل ، ثم أردف ذلك بكتاب ثانٍ [ثم ثالثٍ مع البريد ، وكتب في جملة ذلك يا بن الحائك الغادر المرتد ، امض إلى ما أمرتك به من الإيغال في أرض العدو وإلا حلّ بك ما لا يطاق . وكان الحجاج يبغض ابن

---

(١) قاليقلا : مدينة بأرمينية العظمى من نواحي خلاط ثم من نواحي منازجرد . معجم البلدان (٤/ ٢٩٩) والخبر في الطبري (٦/ ٣٣١) وابن الأثير (٤/ ٤٥٧) .

(٢) بحير : بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة ، قيده الأمير ابن ماكولا في الإكمال (١/ ١٩٨) ، وقد وقع في ط : « بجير » بالجيم وهو تصحيف . وأما « وقاء » فهو بكسر أوله ثم قاف ، قيده ابن ناصر الدين في توضيح المشتبه ووقع في ط والطبري وابن الأثير : « ورقاء » خطأ . ولبحير بن وقاء ترجمة في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ٩٠) ، وسيترجمه المصنف أيضاً في وفيات هذه السنة .

(٣) هكذا قال المصنف ، وكأن مراده أن « بكير بن وشاح » قتل في هذه السنة أيضاً، ولم يقل أحد ممن نقل هذه الحكاية ذلك ، والعبارة بأوضح مما هنا نقلها الذهبي في تاريخ الإسلام فقال: « وفيها قتل بحير بن وقاء الصريمي، وكان من كبار القواد بخراسان قاتله ابن خازم وظفر به فقتله، ثم قتل بكير بن وشاح فحمل عليه رهط بكير فقتلوه بعد ذلك » وانظر تاريخ الطبري (٦/ ٣٣١) والكامل لابن الأثير (٤/ ٤٥٧) .

(٤) في ط : طارق ؛ وما أثبت يوافق الطبري (٦/ ٣٣٣) .

(٥) تاريخ الطبري (٦/ ٣٣٤) وما بعدها .

الأشعث : ويقول هو أهوج أحمق حسود ، وأبوه الذي سلب أمير المؤمنين عثمان ثيابه وقاتله ، ودل عبيد الله بن زياد على مسلم بن عقيل حتى قتله ، وجده الأشعث ارتد عن الإسلام وما رأيته قط إلا هممت بقتله ، ولما كتب الحجاج إلى ابن الأشعث بذلك وترادفت إليه البرد بذلك ، غضب ابن الأشعث وقال : يكتب إليّ بمثل هذا وهو لا يصلح أن يكون من بعض جندي ولا من بعض خدمي لخوره وضعف قوته ؟ أما يذكر أباه من ثقيف هذا الجبان صاحب غزالة ـ يعني أن غزالة زوجة شبيب حملت على الحجاج وجيشه فانهزموا منها وهي امرأة لما دخلت الكوفة ـ ثم إن ابن الأشعث جمع رؤوس أهل العراق وقال لهم : إن الحجاج قد ألح عليكم في الإيغال في بلاد العدو ، وهي البلاد التي قد هلك فيها إخوانكم بالأمس ، وقد أقبل عليكم فصل الشتاء والبرد ، فانظروا في أمركم ، أما أنا فلست مطيعه ولا أنقض رأياً رأيته بالأمس ، ثم قام فيهم خطيباً فأعلمهم بما كان رأى من الرأي له ولهم ، وطلب في ذلك من إصلاح البلاد التي فتحوها ، وأن يقيموا بها حتى يتقووا بغلاتها وأموالها ويخرج عنهم فصل البرد ثم يسيرون في بلاد العدو فيفتحونها بلداً بلداً إلى أن يحصروا رتُبيل ملك الترك في مدينة العظماء ، ثم أعلمهم][1] بما كتب إليه الحجاج من الأمر بمعاجلة رُتبيل[2] . فثار إليه الناس وقالوا : لا بل نأبى على عدو الله الحجاج ولا نسمع له ولا نطيع .

قال أبو مخنف[3] : فحدثني مطرف بن عامر بن واثلة[4] الكناني أن أباه كان أول من تكلم في ذلك ، وكان شاعراً خطيباً ، وكان مما قال : إن مثل الحجاج في هذا الرأي ومثلنا كما قال الأول لأخيه احمل عبدك على الفرس فإن هلك هلك ، وإن نجا فلك ، أنتم إذا ظفرتم كان ذلك زيادة في سلطانه ، وإن هلكتم كنتم الأعداء البغضاء ، ثم قال : اخلعوا عدو الله الحجاج وبايعوا لأميركم عبد الرحمن بن الأشعث فإني أشهدكم أني أول خالع للحجاج . فقال الناس من كل جانب : خلعنا عدو الله ، ووثبوا إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فبايعوه عوضاً عن الحجاج ، ولم يذكروا خلع عبد الملك بن مروان ، وبعث ابن الأشعث إلى رُتبيل فصالحه على أنه إن ظفروا بالحجاج فلا خراج على رُتبيل أبداً . ثم سار ابن الأشعث بالجنود الذين معه مقبلاً من سجستان إلى الحجاج ليقاتله ويأخذ منه العراق ، فلما توسطوا الطريق قالوا : إن خَلْعَنا للحجاج خلع لابن مروان فخلعوهما وجددوا البيعة لابن الأشعث فبايعهم على كتاب الله وسنة رسوله وخلع أئمة الضلالة وجهاد الملحدين[5] ، فإذا قالوا نعم ، بايعهم . فلما بلغ الحجاج ما صنعوا من خلعه وخلع أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، كتب إلى عبد الملك يعلمه بذلك

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط ؛ وهي موافقة للمصادر . ومكانها في أ : فلما تواردت كتب الحجاج إليه تحثه على التوغل في بلاد رتبيل جمع من معه ، وقام فيهم خطيباً ، فأعلمهم بما كان رأى من الرأي في ذلك .

(٢) في الفتوح لابن الأعثم (٧/ ١١٧) : كتب ابن الأشعث كتاباً على لسان الحجاج إليه يأمره فيه بقتل فلان وفلان من أصحابه ، وأن يبعث برؤوسهم إليه ، وقرأه أمام أصحابه . ثم أعلن أمامهم خلعه وصاحبه عبد الملك بن مروان .

(٣) تاريخ الطبري (٦/ ٣٣٥) .

(٤) في الطبري : واثلة ، وهو الصواب .

(٥) في الطبري (٦/ ٣٣٨) : وجهاد المحلِّين .

ويستعجله في بعثه الجنود إليه ، وجاء الحجاج حتى نزل البصرة ، وبلغ المهلب خبر ابن الأشعث ، وكتب إليه يدعوه إلى ذلك فأبى عليه ، وبعث بكتابه إلى الحجاج ، وكتب المهلب إلى ابن الأشعث يقول له : إنك يا بن الأشعث قد وضعت رجلك في ركاب طويل ، أبْقِ على أمة محمد ﷺ ، انظر لنفسك فلا تهلكها ، ودماء المسلمين فلا تسفكها ، والجماعة فلا تفرقها ، والبيعة فلا تنكثها ، فإن قلت أخاف الناس على نفسي فالله أحق أن تخافه من الناس ، فلا تعرضها لله في سفك الدماء ، أو استحلال محرم ، والسلام عليك[1] .

وكتب المهلب إلى الحجاج : أما بعد فإن أهل العراق قد أقبلوا إليك مثل السيل المنحدر ليس شيء يرده حتى ينتهي إلى قراره ، وإن لأهل العراق شدة[2] في أول مخرجهم ، وصبابة إلى أبنائهم ونسائهم ، فليس شيء يردهم حتى يصلوا إلى أهليهم ، وينبسطوا إلى نسائهم ، ويشمُّوا أولادهم . ثم واقعهم عندها فإن الله ناصرك عليهم إن شاء الله . فلما قرأ الحجاج كتابه قال : فعل الله به وفعل ، لا والله ما لي نظر ولكن لابن عمه نصح .

ولما وصل البريد بكتاب الحجاج إلى عبد الملك هاله ذلك ثم نزل عن سريره وبعث إلى خالد بن يزيد بن معاوية فأقرأه كتاب الحجاج فقال : يا أمير المؤمنين إن كان هذا الحدث من قِبَل خراسان فخفه ، وإن كان من قبل سجستان فلا تخفه ، ثم أخذ عبد الملك في تجهيز الجنود من الشام إلى العراق في نصرة الحجاج . وتجهيزه للخروج إلى ابن الأشعث ، وعصى رأي المهلب فيما أشار به عليه ، وكان في شوره النصح والصدق ، وجعلت كتبه لا تنقطع عن عبد الملك بخبر ابن الأشعث صباحاً ومساء ، أين نزل ومن أين ارتحل ، وأي الناس إليه أسرع . وجعل الناس يلتفون على ابن الأشعث من كل جانب ، حتى يقال إنه سار معه ثلاثة وثلاثون ألف فارس ومئة وعشرون ألف راجل ، وخرج الحجاج في جنود الشام من البصرة نحو ابن الأشعث ، فنزل تستر وقدَّم بين يديه مطهر بن حيي الكعبي[3] أميراً على المقدمة ، ومعه عبد الله بن رميث أميراً آخر ، فانتهو إلى دجيل فإذا مقدمة ابن الأشعث في ثلاثمئة فارس عليها عبد الله بن أبان الحارثيّ ، فالتقوا في يوم الأضحى عند نهر دجيل ، فهُزمت مقدمة الحجاج وقَتَل أصحاب ابن الأشعث منهم خلقاً كثيراً نحو ألف وخمسمئة ، واحتازوا ما في معسكرهم [من خيول وقماش وأموال] .

وجاء الخبر إلى الحجاج بهزيمة أصحابه [وأخذه مادب ودرج] وهو يخطب فقال : أيها الناس ارجعوا إلى البصرة فإنه أرفق بالجند ، فرجع بالناس وتبعهم خيول ابن الأشعث لا يدركون منهم شاذاً إلا قتلوه ، ولا فاذّاً إلا أهلكوه ، ومضى الحجاج هارباً لا يلوي على شيء حتى أتى الزاوية فعسكر عندها وجعل يقول : لله درّ المهلّب أي صاحب حرب هذا ، قد أشار علينا بالرأي ولكنا لم نقبل ، وأنفق الحجاج على جيشه وهو بهذا الموضع مئة وخمسين ألف ألف درهم ، وخندق حول جيشه خندقاً ، وجاء أهل

---

(١) نسخة الكتاب في الطبري (٦/ ٣٣٨) والفتوح لابن الأعثم (٧/ ١١٨) مع بعض الخلاف .
(٢) في الطبري : شِرَّةً .
(٣) في الطبري : مطهر بن حرّ العكي ـ أو الجذامي ـ وعبد الله بن رميثة الطائي ، ومطهّر على الفريقين .

العراق فدخلوا البصرة واجتمعوا بأهاليهم وشموا أولادهم ، ودخل ابن الأشعث البصرة فخطب الناس وبايعهم وبايعوه على خلع عبد الملك ونائبه الحجاج بن يوسف ، وقال لهم ابن الأشعث : ليس الحجاج بشيء ، ولكن اذهبوا بنا إلى عبد الملك لنقاتله ، ووافقه على خلعهما جميع مَنْ في البصرة من الفقهاء والقرّاء والشيوخ والشباب ، ثم أمر ابن الأشعث بخندق حول البصرة فَعُمِل ، وكان ذلك في أواخر ذي الحجة من هذه السنة سنة إحدى وثمانين .

وحج بالناس فيها سليمان بن عبد الملك(١) فيما ذكره الواقدي وأبو معشر ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

[وفيها غزا موسى بن نصير أمير بلاد المغرب من جهة عبد الملك بلاد المغرب فافتتح مدناً كثيرة ، وأراضي عامرة ، وأوغل في بلاد المغرب إلى أن وصل إلى الرقاق المنبثق من البحر الأخضر المحيط ، والله أعلم](٢) .

وممن توفي فيها من الأعيان :

بَحير بن وِقاء الصُّريمي(٣) البصري أحد الأشراف بخراسان ، والقواد وهو الذي حارب ابن خازم وقتله ، وتولى قتل بكير بن وشاح ثم مات في هذه السنة .

سويد بن غفلة(٤) بن عوسجة بن عامر ، أبو أمية الجعفي [الكوفي ، شهد اليرموك ، وحدَّث عن جماعة من الصحابة] ، وكان من كبار المخضرمين ويقال إنه رأى النبي ﷺ .

وكان مولده عام ولد النبي(٥) ﷺ وصلى معه ، والصحيح أنه لم يره ، وقيل : إنه ولد بعده بسنتين(٦) .

---

(١) في أ ، ط : إسحاق بن عيسى ؛ وهذا خطأ واضح إذ الأخير أحد الرواة الذين رووا الخبر عن أبي معشر . تاريخ الطبري (٦/ ٣٤١) وابن الأثير (٤/ ٤٦٦) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص٧) .

(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط ؛ والخبر في تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص٦) .

(٣) وردت أخباره في حوادث سنة سبع وسبعين للهجرة ، وهذه السنة ، وانظر أيضاً تاريخ الطبري (٥/ ٦٢٤ و٦٢٥) و(٦/ ١٧٦ و١٧٧ و١٩٩ و٢٠١ و٣١١ و٣١٢ وغيرها) وابن الأثير (٤/ ٢٠٩ و٣٤٥ و٣٦٨ و٤٤٤ و٤٤٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص٤٥) والوافي بالوفيات (١٠/ ٨٤) .

(٤) ترجمة ـ سويد بن غفلة ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ٦٨) وتاريخ خليفة (٢٨٨) وطبقاته (١٤٦) وحلية الأولياء (٤/ ١٧٤) والاستيعاب (٢/ ١١٦) وأسد الغابة (٢/ ٣٧٩) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص٧٥) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٦٩) والإصابة (٢/ ١٠٠) وشذرات الذهب (١/ ٩٠) .

(٥) المعرفة والتاريخ (١/ ٢٣٥) .

(٦) تاريخ البخاري (٤/ ١٤٢) وحلية الأولياء (٤/ ١٧٤) .

وعاش مئة وعشرين سنة لم يُرَ يوماً محتبياً ولا متسانداً ، وافتض بكراً عام وفاته في سنة إحدى وثمانين ، قاله أبو عبيد وغير واحد .

وقيل إنه توفي في سنة ثنتين وثمانين[١] ، فالله أعلم .

عبد الله بن شداد بن الهاد[٢] كان من العباد الزهاد ، والعلماء ، وله وصايا وكلمات حسان ، وقد روى عدة أحاديث عن الصحابة وعن خلق من التابعين[٣] .

محمد بن علي بن أبي طالب[٤] أبو القاسم وأبو عبد الله أيضاً ، وهو المعروف بابن الحنفية ، وكانت سوداء سندية من سبي بني حنيفة اسمها خولة .

ولد محمد في خلافة عمر بن الخطاب ، ووفد على معاوية وعلى عبد الملك بن مروان .

وكان صرَع مروان يوم الجمل وجلس على صدره وأراد قتله فناشده مروان بالله وتذلل له فأطلقه ، فلما وفد على عبد الملك ذكّره بذلك فقال عفواً يا أمير المؤمنين ، فعفا عنه وأجزل له الجائزة[٥] .

وكان محمد بن علي من سادات قريش ، ومن الشجعان المشهورين ، [ومن الأقوياء المذكورين] ، ولما بويع لابن الزبير لم يبايعه ، فجرى بينهما شر عظيم حتى همّ ابن الزبير به وبأهله كما تقدم ذلك ، فلما قتل ابن الزبير واستقر أمر عبد الملك وبايعه عبد الله بن عمر تابعه ابن الحنفية ، وقدم المدينة فمات بها في هذه السنة وقيل في التي قبلها أو في التي بعدها ، ودفن بالبقيع . والرافضة يزعمون أنه بجبل رضوى[٦] ، وأنه حي يرزق ، وهم ينتظرونه ، وقد قال كُثَيِّر عَزَّة في ذلك [من الوافر]

ألا إنّ الأئمة من قريشٍ ... ولاة الحقِّ أربعةٌ سَواءُ

عليٌّ والثلاثةُ منْ بَنيهِ ... همُ الأسباط ليس بهم خَفاءُ

---

(١) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص٧٨) .

(٢) ترجمة ـ عبد الله بن شداد ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٧٤) وطبقات خليفة (٣٣٧) والاستيعاب (٢/ ٣١٣) وأسد الغابة (٣/ ١٨٨) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص١١٣) وتهذيب التهذيب (٥/ ٢٦٩) .

(٣) الترجمة سوى الاسم ساقطة من أ ، ب .

(٤) ترجمة ـ محمد بن علي بن أبي طالب ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٩١) ونسب قريش (٤١) وتاريخ خليفة (١٨٤ و٢٦٢) وطبقاته (٢٣٠) وتاريخ البخاري (١/ ١٨٢) وأنساب الأشراف (١/ ٥٧٢) و(٣/ ٥٣) وحلية الأولياء (٣/ ١٧٤) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٥٤/ ٣١٨ ـ ٣٥٩) وتهذيب الكمال (١٧/ ٧٩) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٨١) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١١٠) والوافي بالوفيات (٤/ ٩٩) وتهذيب التهذيب (٩/ ٣٥٤) وشذرات الذهب (١/ ٣٣٠) .

(٥) الخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص١٨٢) .

(٦) جبل رضوى : جبل قرب ينبع . معجم البلدان (٣/ ٥١) والذين يزعمون أنه حي يرزق هم الكيسانية ؛ يعتقدون بإمامته ، وكثير عزة منهم .

فسبطٌ سبطُ إيمانٍ وبرٍّ وسبطٌ غيَّبتهُ كربلاءُ
وسبطٌ لا تراه العينُ حتى تعودَ الخيلُ يقدُمُها لواءُ
تغيب لا يرى عنهم زماناً برضوى عنده عسل وماءُ[١]

ولما هم ابن الزبير بابن الحنفية فكتب إلى شيعتهم بالكوفة مع أبي الطفيل واثلة بن الأسقع[٢] وعليها المختار بن أبي عبيد ـ وقد كان ابن الزبير جمع لهم حطباً كثيراً على أبوابهم ليحرقهم بالنار ـ فلما وصل كتاب ابن الحنفية إلى المختار ، وقد كان يدعو إليه ويسميه المهدي ، فبعث أبا عبد الله الجدلي في أربعة آلاف فاستنقذوا بني هاشم من يدي ابن الزبير ، وخرج معهم ابن عباس فمات بالطائف وبقي ابن الحنفية في شيعتهم . [فأمره ابن الزبير أن يخرج عنه فخرج إلى أرض الشام بأصحابه وكانوا نحو سبعة آلاف ، فلما وصل إلى أيلة[٣] كتب إليه عبد الملك : إما أن تبايعني وإما أن تخرج من أرضي ، فكتب إليه ابن الحنفية : أبايعك على أن تؤمِّن أصحابي ، قال : نعم ، فقام ابن الحنفية في أصحابه ، فحمد الله وأثنى عليه فقال : الحمد لله الذي حقن دماءكم وأحرز دينكم فمن أحب منكم أن يأتي مأمنه إلى بلده محفوظاً فليفعل ، فرحل عنه الناس إلى بلادهم حتى بقي في سبعمئة[٤] رجل ، فأحرم بعمرة وقلد هدياً وسار نحو مكة ، فلما أراد دخول الحرم بعث إليه ابن الزبير خيلاً فمنعه أن يدخل ، فأرسل إليه : إنا لم نأت لحرب ولا لقتال ، دعنا ندخل حتى نقضي نسكنا ثم نخرج عنك ، فأبى عليه وكان معه بدن قد قلَّدها فرجع إلى المدينة فأقام بها محرماً حتى قدم الحجاج وقتل ابن الزبير ، فكان ابن الحنفية في تلك المدة محرماً ، فلما سار الحجاج إلى العراق مضى ابن الحنفية إلى مكة وقضى نسكه وذلك بعد عدة سنين ، وكان القمل يتناثر منه في تلك المدة كلها ، فلما قضى نسكه رجع إلى المدينة أقام بها حتى مات .

وقيل : إن الحجاج لما قتل ابن الزبير بعث إلى ابن الحنفية : قد قتل عدو الله فبايع ، فكتب إليه إذا بايع الناس كلهم بايعت ، فقال الحجاج : والله لأقتلنك ، فقال ابن الحنفية : إن لله في كل يوم ثلاثمئة وستين نظرة في اللوح المحفوظ ، في كل نظرة ثلاثمئة وستون قضية ، فلعل الله تعالى أن يجعلني في قضية منها فيكفينيك ؛ فكتب الحجاج إلى عبد الملك بذلك فأعجبه قوله وكتب إليه قد عرفنا أن محمداً ليس عنده خلاف فارفق به فهو يأتيك ويبايعك ، وكتب عبد الملك بكلامه ذلك ـ إن لله ثلاثمئة وستين نظرة ـ إلى ملك الروم ، وذلك أن ملك الروم كتب إلى عبد الملك يتهدده بجموع من الجنود لا يطيقها أحد ، فكتب بكلام ابن الحنفية فقال ملك الروم : إن هذا الكلام ليس من كلام عبد الملك ، وإنما خرج

---

(١) الأبيات في ديوان ابن الحنفية (٢/ ١٨٦) والملل والنحلل للشهرستاني (١/ ٢٠٠) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٨٢) والوافي بالوفيات (٤/ ٩٩) والشعر والشعراء (١/ ٤٢٣) والبيت الأخير ساقط من ط .

(٢) في تاريخ الإسلام : عامر بن واثلة .

(٣) هي مدينة العقبة الآن برأس خليج العقبة في الأردن .

(٤) في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٩٠) : تسعمئة رجل .

من بيت نبوة ، ولما اجتمع الناس على بيعة عبد الملك قال ابن عمر لابن الحنفية : ما بقي شيء فبايع ، فكتب بيعته إلى عبد الملك ووفد عليه بعد ذلك .

توفي ابن الحنفية في المحرم بالمدينة وعمره خمس وستون سنة ، وكان له من الولد عبد الله وحمزة وعلي وجعفر الأكبر والحسن وإبراهيم والقاسم وعبد الرحمن وجعفر الأصغر وعون ورُقية ، وكلهم لأمهات شتى][(١)] .

وقال الزبير بن بكار : كانت شيعته تزعم أنه لم يمت وفيه يقول السيد[(٢)] :

ألا قـلْ للـوصـيِّ فـدتْـكَ نفسي	أطلـتَ بـذلـكَ الجبـلِ المُقـامـا
أضـرَّ بمعشـرٍ والَـوكَ منّـا	وسمَّـوك الخليفَـةَ والإمـامـا
وعـادوا فيـكَ أَهـلَ الأرضِ طـرّاً	مُقـامـكَ عَنْهـمُ ستيـنَ عـامـا[(٣)]
ومـا ذاقَ ابـنُ خـولـةَ طعـمَ مـوتٍ	ولا وارتْ لـهُ أرضٌ عظـامـا
لقـدْ أمسـى بمـورقِ شعـبِ رضـوى	تـراجعُـهُ المـلائكـةُ الكـلامـا
وإنَّ لـهَ بـهِ لمقيـلَ صـدقٍ	وأنـديـةً تحـدِّثُـهُ كـرامـا
هـدانـا الله إذ حـزتـم[(٤)] لأمْـرٍ	بـهِ وعليـهِ يلتمـسُ التَّمـامـا
تمـامَ مـودَّةِ[(٥)] المهـديّ حتـى	تـروا رايـاتِنـا[(٦)] تَتْـرى نِظـامـا[(٧)]

وقد ذهب طائفة من الرافضة إلى إمامته وأنه ينتظر خروجه في آخر الزمان ، كما ينتظر طائفة أخرى منهم محمد بن الحسن العسكري[(٨)] ، الذي يخرج في زعمهم من سرداب سامراء ، وهذا من خرافاتهم وهذيانهم وجهلهم وضلالهم وبهتانهم[(٩)] ، وسنزيد ذلك وضوحاً في موضعه إن شاء الله ، والله أعلم .

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وكل هذه الأخبار توافق ما ورد في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٨٨ ـ ١٩٠) مع بعض الاختصار وحذف الأسانيد ، وأسماء أولاد لابن الزبير في الطبقات (٥/ ٩٢) وزاد : عبد الله الأصغر ، وعبد الله بن محمد غير عبد الله أبي هاشم وأمه أم ولد هو ورقية .

(٢) هو السيد الحميري ، واسمه إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة الحميري ، شاعر مشهور ، كان ممن يعتقد بابن الحنفية .

(٣) في نسب قريش (٤٢) والأغاني (٩/ ١٥) : عشرين . وفي مروج الذهب مغيبك عنهم سبعين عاماً .

(٤) في ط : ادخرتم ، وفي نسب قريش : جرتم .

(٥) في ط : ثورة : وما أثبت موافق لتاريخ دمشق (٢٤/ ٣٢٢) والمصادر .

(٦) في ط : راياته . وما أثبت يوافق المصادر .

(٧) الأبيات في نسب قريش (٤٢) وتاريخ دمشق (٥٤/ ٣٢٢) والأغاني (٩/ ١٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٨٣) والوافي بالوفيات (٤/ ١٠٠) .

(٨) في الأصل : الحسن بن محمد العسكري ، وهو خطأ .

(٩) في ط : وترهاتهم .

ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين

ففي المحرم منها كانت وقعة الزاوية[١] بين ابن الأشعث والحجاج في أواخره ، وكان أول يوم لأهل العراق على أهل الشام ، ثم تواقعوا يوماً آخر فيه فحمل سفيان بن الأبرد أحد أمراء أهل الشام على ميمنة ابن الأشعث فهزمها وقتل خلقاً كثيراً من القرّاء من أصحاب ابن الأشعث في هذا اليوم ، وخَرَّ الحجاج لله ساجداً بعدما كان جثى على ركبتيه وسلَّ شيئاً من سيفه وجعل يترحم على مصعب بن الزبير ويقول : ما كان أكرمه حتى صبَّر نفسه للقتل ، وكان من جملة من قتل من أصحاب ابن الأشعث الطفيل بن عامر بن واثلة[٢] الليثي ، ولما فر أصحاب ابن الأشعث رجع ابن الأشعث بمن بقي معه ومن تبعه من أهل البصرة ، فسار حتى دخل الكوفة فعمد أهل البصرة إلى عبد الرحمن بن العباس[٣] بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فبايعوه ، فقاتل الحجاج خمس ليالٍ أشد القتال ، ثم انصرف فلحق بابن الأشعث ، وتبعه طائفة من أهل البصرة ، فاستناب الحجاج على البصرة أيوب بن الحكم بن أبي عقيل ، ودخل ابن الأشعث الكوفة فبايعه أهلها على خلع الحجاج وعبد الملك بن مروان . وتفاقم الأمر وكثر متابعو ابن الأشعث على ذلك ، واشتد الحال ، وتفرقت الكلمة جداً وعظم الخطب ، واتسع الخرق على الراقع .

قال الواقدي : ولما التقى جيش الحجاج وجيش ابن الأشعث بالزاوية جعل جيش الحجاج يحمل عليهم مرة بعد مرة ، فقال القراء ـ وكان عليهم جَبَلة بن زَحْر ـ : أيها الناس ليس الفرار من أحد بأقبح منكم فقاتلوا عن دينكم ودنياكم . وقال سعيد بن جبير نحو ذلك .

وقال الشعبي : قاتلوهم على جورهم واستذلالهم الضعفاء وإماتتهم الصلاة ، ثم حملت القراء ـ وهم العلماء ـ على جيش الحجاج حملة صادقة فبرعوا فيهم ثم رجعوا فإذا هم بمقدمهم جَبَلة بن زَحْر صريعاً ، فهدّهم ذلك فناداهم جيش الحجاج : يا أعداء الله قد قتلنا طاغيتكم ، ثم حمل سفيان بن الأبرد وهو على خيل الحجاج على ميسرة ابن الأشعث وعليها الأبرد بن مرّة[٤] التميمي ، فانهزموا ولم يقاتلوا كثير قتال ، فأنكر الناس منهم ذلك . وكان أمير ميسرة ابن الأشعث الأبرد شجاعاً لا يفر ، وظنوا أنه قد خامر ، فنقضت الصفوف وركب الناس بعضهم بعضاً ، وكان ابن الأشعث يحرض الناس على القتال ، فلما رأى

---

(١) الزاوية : موضع قرب البصرة كانت به الوقعة المشهورة بين الحجاج وابن الأشعث . معجم البلدان (٣/ ١٢٨) وأخبار الوقعة في تاريخ الطبري (٦/ ٣٤٢) وابن الأثير (٤/ ٤٦٧) .

(٢) في ط : « أبو الطفيل بن عامر بن واثلة » ، خطأ ، وما أثبتناه من م واتفقت عليه المصادر .

(٣) في ط : عياش .

(٤) في تاريخ الطبري : قرّة .

ما الناس فيه أخذ من اتبعه وذهب إلى الكوفة فبايعه أهلها ، ثم كانت وقعة دير الجماجم في شعبان من هذه السنة .

وقعة دير الجماجم[١]

قال الواقدي : وذلك أن ابن الأشعث لما قصد الكوفة خرج اليه أهلها فتلقوه وحَفّوا به ودخلوا بين يديه ، غير أن شرذمة قليلة أرادت أن تقاتله دون مطر بن ناجية نائب الحجاج فلم يمكّنهم من ذلك ، فعدلوا الى القصر ، فلما وصل ابن الأشعث الى الكوفة أمر بالسلالم فنصبت على قصر الإمارة فأخذه واستنزل مطر بن ناجية وأراد قتله فقال له : استبقني فإني خير من فرسانك[٢] ، فحبسه ثم استدعاه فأطلقه وبايعه واستوثق لابن الأشعث أمر الكوفة وانضم اليه من جاء من أهل البصرة ، وكان ممن قدم عليه عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن عبد المطلب ، وأمر بالمسالح من كل جانب ، وحفظت الثغور والطرق والمسالك . وركب الحجاج فيمن معه من الجيوش الشامية من البصرة في البر حتى مر بين القادسية والعذيب وبعث اليه ابن الأشعث عبد الرحمن بن العباس في خيل عظيمة من المصْرَيْن فمنعوا الحجاج من نزول القادسية ، فسار الحجاج حتى نزل دير قرة ، وجاء ابن الأشعث بمن معه من الجيوش البصرية والكوفية حتى نزل دير الجماجم ، ومعه جنود كثيرة ، وفيهم القراء من المصرَيْن وخلق من الصالحين ، وكان الحجاج بعد ذلك يقول : قاتل الله ابن الأشعث ، أما كان يزجر الطير حيث رآني قد نزلت دير قرة ، ونزل هو بدير الجماجم . وكان جملة من اجتمع مع ابن الأشعث مئة ألف مقاتل ممن يأخذ العطاء ، ومعهم مثلهم من مواليهم ، وجاءت الحجاج أمداد كثيرة من الشام من عند أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، وخندق كلٌّ من الطائفتين على نفسه وحول جيشه خندقاً يمتنع به من الوصول إليهم ، غير أن الناس كان يبرز بعضهم لبعض في كل يوم فيقتتلون قتالاً شديداً في كل يوم ، حتى أصيب من رؤوس الناس خلق من قريش وغيرهم ، واستمر هذا الحال مدة طويلة ، واجتمع الأمراء من أهل المشورة عند عبد الملك بن مروان فقالوا له : إن كان أهل العراق يرضيهم منك أن تعزل عنهم الحجاج فهو أيسر من قتالهم وسفك دمائهم ، فاستحضر عبد الملك عند ذلك أخاه محمد بن مروان وابنه عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، ومعهما جنود كثيرة جداً ، وكتب معهما كتاباً إلى أهل العراق يقول لهم : إن كان يرضيكم مني عزل الحجاج عنكم عزلته عنكم ، وبعثت عليكم أعطياتكم مثل أهل الشام ، وليختر ابن الأشعث أي بلد شاء يكون عليه أميراً ما عاش وعشت ، وتكون إمرة العراق لمحمد بن مروان ، وقال في عهده هذا : فان لم تجب أهل العراق إلى ذلك فالحجاج على ما هو عليه وإليه إمرة الحرب ، ومحمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك في طاعته وتحت أمره لا يخرجون عن رأيه في الحرب وغيره .

---

(١) خبر وقعة دير الجماجم في تاريخ الطبري (٦/ ٣٤٦) وابن الأثير (٤/ ٤٦٩) .

(٢) في الطبري : استبقني فإني أفضل فرسانك ، وأعظمهم عنك غناء .

ولما بلغ الحجاج ما كتب به عبد الملك إلى أهل العراق من عزله إن رضوا به شق عليه ذلك مشقة عظيمة جداً وعظم شأن هذا الرأي عنده ، وكتب إلى عبد الملك : يا أمير المؤمنين والله لئن أعطيت أهل العراق نزعي عنهم لا يلبثون إلا قليلاً حتى يخالفوك ويسيروا إليك ، ولا يزيدهم إلا جرأة عليك ، ألم تر وتسمع بوثوب أهل العراق مع الأشتر النخعي على ابن عفان ؟ فلما سألهم ماتريدون ؟ قالوا : نزع سعيد بن العاص ، فلما نزعه لم تتم لهم السنة حتى ساروا إليه فقتلوه ؟ وإن الحديد بالحديد يُفْلَح[1] خار[2] الله لك فيما ارتأيت والسلام عليك .

قال : فأبى عبد الملك إلا عرض هذه الخصال على أهل العراق إرادة العافية من الحرب ، وكتب إلى جنده فعرض ذلك على أهل العراق كما أمر ، فتقدم عبد الله ومحمد فنادى عبد الله : يا معشر أهل العراق ، أنا عبد الله ابن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، وأنه يعرض عليكم كيت وكيت ، فذكر [ما كتب به أبوه معه إليهم من] هذه الخصال . وقال محمد بن مروان : وأنا رسول [أخي] أمير المؤمنين إليكم بذلك ، فقالوا : ننظر في أمرنا غداً ونرد عليكم الخبر عشية ، ثم انصرفوا فاجتمع جميع الأمراء الى ابن الأشعث فقام فيهم خطيباً وندبهم الى قبول ما عرضوا عليهم من عزل الحجاج عنهم وبيعة عبد الملك بن مروان وإبقاء الأعطيات وإمرة محمد بن مروان على العراق [بدل الحجاج] ، فنفر الناس من كل جانب وقالوا : لا والله لا نقبل ذلك ، نحن أكثر عَدَداً وعُدَداً ، وهم في ضيق من الحال وقد حكمنا عليهم وذلوا لنا ، والله لا نجيب الى ذلك أبداً . ثم جددوا خلع عبد الملك ونائبه ثانية ، واتفقوا على ذلك كلهم .

فرجع عبد الله بن عبد الملك وعمه محمد بن مروان فقالا للحجاج : شأنك بهم إذاً ، فنحن في طاعتك كما أمرنا أمير المؤمنين ، فكانا إذا لقياه سلّما عليه بالإمرة ويسلّم هو أيضاً عليهم بالإمرة ، وتولى الحجاج أمر الحرب وتدبيرها كما كان قبل ذلك ، فعند ذلك برز كل من الفريقين للقتال والحرب ، فجعل الحجاج على ميمنته عبد الرحمن بن سليم الكلبي[3] ، وعلى ميسرته عمارة بن تميم اللّخمي ، وعلى الخيل : سفيان بن الأبرد وعلى الرجالة : عبد الرحمن بن حبيب[4] الحكمي .

وجعل ابن الأشعث على ميمنته : الحجاج بن جارية الخَثْعمي[5] ، وعلى الميسرة : الأبرد بن قرّة التميمي ، وعلى الخيالة : عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة ، وعلى الرجَّالة : محمد بن سعد بن

---

(١) في ب : ينزع . ونص كتاب الحجاج في تاريخ الطبري (٦/ ٣٤٨) .
(٢) في ط : كان .
(٣) في ب ، ط : سليمان ؛ وما أثبت يوافق الطبري (٦/ ٣٤٩) .
(٤) في ابن الأثير (٤/ ٤٧١) : خبيب .
(٥) في ط : « الحجاج بن حارثة الجشمي » ، وما أثبتناه من م والطبري (٦/ ٣٤٩) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة اثنتين وثمانين) .

أبي وقاص الزُّهري ، وعلى القراء : جَبَلَة بن زحر بن قيس الجعفيّ ، وكان فيهم سعيد بن جبير ، وعامر الشعبي ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، وكُميل بن زياد ـ وكان شجاعاً فاتكاً على كبر سنه ـ وأبو البختري الطائي وغيرهم ، وجعلوا يقتتلون في كل يوم ، وأهل العراق تأتيهم الميرة من الرساتيق والأقاليم ، من العلف والطعام ، وأما أهل الشام الذين كانوا مع الحجاج فهم في أضيق حال من العيش وقلة من الطعام وقد فقدوا اللّحم بالكلية فلا يجدونه ، وما زالت الحرب في هذه المدة كلها حتى انسلخت هذه السنة وهم على حالهم وقتالهم في كل يوم أو يوم بعد يوم ، والدائرة لأهل العراق على أهل الشام في أكثر الأيام . [وقد قتل من أصحاب الحجاج زياد بن غنم ، وكسر بسطام بن مصقلة في أربعة آلاف جفون سيوفهم واستقتلوا وكانوا من أصحاب ابن الأشعث][1] .

وفي هذه السنة كانت وفاة :

المهلب بن أبي صفرة[2] [وهو ظالم ، أبو سعيد الأزدي ، أحد أشراف أهل البصرة ، ووجوههم ، ودهاتهم ، وأجوادهم ، وكرمائهم ، ولد عام الفتح ، وكانوا ينزلون فيما بين عُمان والبحرين ، وقد ارتد قومه فقاتلهم عكرمة بن أبي جهل فظفر بهم ، وبعث بهم إلى الصدِّيق وفيهم أبو صفرة وابنه المهلّب غلام لم يبلغ الحنث ، ثم نزل المهلب البصرة وقد غزا في أيام معاوية أرض الهند سنة أربع وأربعين ، وولي الجزيرة لابن الزبير سنة ثمان وستين ، ثم ولي حرب الخوارج أول دولة الحجاج ، وقتل منهم في وقعة واحدة أربعة آلاف وثمانمئة[3] ، فعظمت منزلته عند الحجاج . وكان فاضلاً شجاعاً كريماً يحب المدح ، وله كلام حسن ، فمنه :

نعم الخصْلة السّخاء تستر عورة الشريف ، وتمحق خسيسة الوضيع ، وتحبِّب المزهود فيه .

وقال : يعجبني في الرجل خصلتان أن أرى عقله زائداً على لسانه ، ولا أرى لسانه زائداً على عقله[4] .

توفي المهلب غازياً بمرو الروذ وعمره ست وسبعون سنة رحمه الله . وكان له عشرة من الولد وهم : يزيد ، وزياد ، والمفضل ، ومدرك ، وحبيب ، والمغيرة ، وقبيصة ، ومحمد ، وهند ، وفاطمة . توفي المهلب في ذي الحجة منها ، وكان من الشجعان المشهورين والأبطال المذكورين وله مواقف حميدة ، وغزوات مشهودة في الترك والأزارقة وغيرهم من أنواع الخوارج وأصناف الكفرة ، وقد أوصى عند موته

---

(١) ما بين معكوفين ساقط من أ ، ب والخبر يوافق ما ورد في تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص ١٢).

(٢) ترجمة ـ المهلب بن أبي صفرة ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ١٢٩) وتاريخ خليفة (٢٠٥) وطبقاته (٢٠١) وتاريخ البخاري (٨/ ٢٥) . وأنساب الأشراف (١/ ٢٣٢) وتاريخ دمشق (٦١/ ٢٨٠ ـ ٣٠٥) ووفيات الأعيان (١/ ٢٧٢) وتهذيب الكمال (١٨/ ٤٣١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٠٥ـ٢٠٨) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٨٣) وتهذيب التهذيب (١٠/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠) والإصابة (٣/ ٥٣٥) وشذرات الذهب (١/ ٣٣٤) .

(٣) الخبر في سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٨٤) .

(٤) المقولتان في تاريخ الإسلام للذهبي (ص٢٠٧) .

بكلمات تشتمل على مكارم الأخلاق ومحاسن الشّيم ، ومعالي الهمم[١] ، وجعل الأمر من بعده لولده يزيد بن المهلب على إمرة خراسان فأمضى له ذلك الحجاج وعبد الملك بن مروان .

وفي جمادى الآخرة منها عزل أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان عن إمرة المدينة أبان بن عثمان ، وولى عليها هشام بن إسماعيل المخزومي ، وكانت ولاية أبان على المدينة سبع سنين وثلاثة أشهر وثلاثة عشر يوماً ، وكان على إمرة بلاد المشرق بكماله الحجاج بن يوسف ، والنواب في الأقاليم من تحت يده ، وهو مشغول عن تدبير الممالك بحرب ابن الأشعث في هذه المدة كلها .

قال أبو معشر : وحج بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان الذي كان نائب المدينة[٢] .

أسماء بن خارجة الفزاري الكوفي[٣] ، وكان جواداً ممدحاً ، حكى أنه رأى يوماً شاباً على باب داره جالساً فسأله عن قعوده على بابه فقال : حاجة لا أستطيع ذكرها ، فألح عليه فقال : جارية رأيتها دخلت هذه الدار لم أر أحسن منها وقد خطفت قلبي معها ، فأخذ بيده وأدخله داره وعرض عليه كل جارية عنده حتى مرت تلك الجارية فقال : هذه ، فقال له : اخرج فاجلس على الباب مكانك ، فخرج الشاب فجلس مكانه ، ثم خرج إليه بعد ساعة والجارية معه قد ألبسها أنواع الحليّ ، وقال له : ما منعني أن أدفعها إليك وأنت داخل الدار إلا أن الجارية كانت لأختي ، وكانت ضنينة بها ، فاشتريتها لك منها بثلاثة آلاف ، وألبستها هذا الحليّ ، فهي لك بما عليها ، فأخذها الشاب وانصرف .

المغيرة بن المهلَّب[٤] بن أبي صفرة ، كان جواداً ممدحاً شجاعاً ، له مواقف مشهورة .

الحارث بن عبد الله[٥] بن ربيعة المخزومي المعروف بقُباع ، ولي إمرة البصرة لابن الزبير .

محمد بن أسامة بن زيد بن حارثة[٦] كان من فضلاء أبناء الصحابة وأعقلهم، توفي بالمدينة ودفن بالبقيع .

---

(١) من قوله : وقد أوصى . . . إلى هنا زيادة من ب ، ونص الوصية في تاريخ الطبري (٦/ ٣٥٤) .

(٢) من قوله : وفي جمادى الآخرة . . . إلى هنا ساقط من ب ،ط والخبر في الطبري (٦/ ٣٥٥ـ٣٥٦) .

(٣) ترجمة ـ أسماء بن خارجة ـ في تاريخ خليفة (٢٦٤) والأخبار الطوال (٢٣٦) وأنساب الأشراف (١/ ٢٥٤) والشعر والشعراء (٧٠٢) وتاريخ دمشق (٩/ ٥١ـ٦٢) وتهذيبه (٣/ ٤٤) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٦١ـ٨٠/ ص٧٢) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٥٣٥) والإصابة (١/ ١٠٤) والوافي بالوفيات (٩/ ٥٩) .
وتجمع المصادر على أنه توفي سنة ست وستين ، وترجمته هنا لا شك مقحمة وهي ليست في أ وب ولأن المؤلف رحمه الله لم يذكر وفيات سنة ست وستين آثرنا إبقاءها .

(٤) ترجمة ـ المغيرة بن المهلّب ـ في تاريخ الطبري (٦/ ٣٥٠ ـ ٣٥٢) وابن الأثير (٤/ ٤٧٢ ـ ٤٧٣) .

(٥) ترجمة ـ الحارث بن عبد الله ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٢٨) وطبقات خليفة (٥٤) والأخبار الطوال (٢٦٣) وأنساب الأشراف (١/ ٨١) وأسد الغابة (١/ ٣٢٨) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٨) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٨١) والإصابة (١/ ٣٨٧) .

(٦) ترجمة ـ محمد بن أسامة ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٢٤٦) وتاريخ البخاري (١/ ١٩) وطبقات خليفة (٢٣٠) وأنساب الأشراف (١/ ٤٧٠) وتهذيب الكمال (٢٤/ ٣٩٣) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص١٧٩)=

عبد الله بن أبي طلحة بن أبي الأسود[١] ، والد الفقيه إسحاق حملت به أمه أم سليم ليلة مات ابنها فأصبح أبو طلحة فأخبر النبي ﷺ ، فقال ﷺ : « عرَّستم بارك الله لكما في ليلتكما »[٢] . ولما ولد حنكه بتمرات .

عبد الله بن كعب بن مالك[٣] ، كان قائد كعب حين عمي ، له روايات ، توفي بالمدينة هذه السنة .

عفان بن وهب[٤] ، أبو أيمن الخولاني المصري له صحبة ورواية ، وغزا المغرب ، وسكن مصر وبها مات[٥] .

وفيها توفي :

جميل بن عبد الله[٦] بن معمر بن صُباح[٧] بن ظَبيان بن حُنّ[٨] بن ربيعة بن حرام بن ضِنَّة[٩] بن عبد بن كثير بن عُذرة بن سعد هذيم[١٠] بن زيد بن ليث بن سُود[١١] بن أسلم بن الحافي بن قضاعة . أبو عمرو الشاعر صاحب بثينة[١٢] ، كان قد خطبها فمنعت منه ، فتغزل فيها واشتهر بها ، وكان أحد عشاق

= والوافي بالوفيات (٢/ ١٨٧) وتهذيب التهذيب (٩/ ٣٥) .
وقال الذهبي : يقال توفي سنة ست وتسعين .

(١) ترجمة ـ عبد الله بن أبي طلحة ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٧٤) وطبقات خليفة (٣٣٧) والاستيعاب (٢/ ٣١٣) وأسد الغابة (٣/ ١٨٨) وتهذيب الكمال (١٥/ ١٣٣ـ١٣٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص١١٣ ـ ١١٤) والوافي بالوفيات (١٧/ ١٨٤) وتهذيب التهذيب (٥/ ٢٦٩) .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥٤٧٠) في العقيقة ، ومسلم رقم (٢١٤٤) .

(٣) ترجمة ـ عبد الله بن كعب بن مالك ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٢٧٢) وتاريخ البخاري (٥/ ١٧٨) وتهذيب الكمال (١٥/ ٤٧٣) . وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٠٤) وقال الذهبي : توفي سنة سبع أو ثمان وتسعين ، والوافي بالوفيات (١٧/ ٤١١ ـ ٤١٢) وتهذيب التهذيب (٥/ ٣٦٩) .

(٤) لم أجد له ترجمة فيما لدي من مصادر .

(٥) التراجم السبع السابقة زيادة من ط .

(٦) ترجمة ـ جميل بن عبد الله ـ في أنساب الأشراف (١/ ١٧) والشعر والشعراء (١/ ٤٣٤) والأغاني (٨/ ٩٠) ووفيات الأعيان (١/ ٣٦٦) وتاريخ دمشق (١١/ ٢٥٥ـ٢٨١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص٣١١) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٨١) والوافي بالوفيات (١١/ ١٨٢) وشذرات الذهب (١/ ٣٣٦) .

(٧) ثمة خلاف في نسب جميل بن عبد الله ؛ ففي الأغاني وجمهرة الأنساب : ... بن معمر بن الحارث ... ، واكتفى الذهبي بإيراد نسبه إلى جده معمر .

(٨) حُنّ : بضم الحاء المهملة وتشديد النون قيده الأمير ابن ماكولا في الإكمال (٢/ ٩٤)، ووقع في ط : « الحسن »، وهو تحريف .

(٩) في ط : « ضبة » ، مصحف .

(١٠) في ط ووفيات الأعيان : « سعد بن هذيم » خطأ، والتصحيح من جمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص٤٤٧) .

(١١) في ط : « سرهد » ، وهو تحريف . وينظر الجمهرة لابن حزم (ص٤٤٣) ، وتاريخ دمشق (١١/ ٢٥٦) .

(١٢) بثينة : هي ابنة حبأ بن ثعلبة بن الهوذ ؛ تلتقي في النسب هي وجميل في حُنّ بن ربيعة .

العرب ، كانت إقامته بوادي القرى وما حوله[١] ، وكان عفيفاً صيِّناً ديِّناً شاعراً باسلاً ، من أفصح الشعراء في زمانه ، وكان كُثيِّر عزَّة راويته ، وهو يروي عن هدبة بن خَشْرَم ، عن الحطيئة ، عن زهير بن أبي سلمى ، وابنه كعب ، قال كُثيِّر عزَّة : كان جميل أشعر العرب حيث يقول :

وخبَّرتماني[٢] أنّ تيماء منزلٌ ... لليلى إذا ما الصيفُ ألقى المراسيا
فهذي شهورُ الصيفِ عنَّا قَدِ انقضتْ ... فما للنوى يرمي بنيل المراميا[٣]

ومنها قوله :

وما زلتمُ[٤] يا بثن حتى لو انني ... من الشوقِ أستبكي الحمامَ بكى ليا
وما زادني الواشونَ إلا صبابةً ... ولا كثرةُ الناهينَ إلا تماديا
وما أحدثَ النأيُ المفرقُ بيننا ... سلوًّا ولا طولُ الليالي[٥] تقاليا
ألم تعلمي يا عذبة الريقِ أنني ... أظل إذا لم ألقَ وجهك صاديا
لقد خفت أن ألقى المنيةَ بغتةً ... وفي النفسِ حاجاتٌ إليكِ كما هيا

ومما أورد له القاضي ابن خلكان في « الوفيات »[٦] قوله :

إني لأحفظ سرَّكم ويسُرّني ... لو تعلمينَ[٧] بصالحٍ أنْ تُذكري
ويكون يومٌ لا أرى لك مُرسلاً ... أو نلتقي فيه عليَّ كأشهرِ
يا ليتني ألقى المنية بغتة ... إن كان يوم لقائكم لم يُقْدَرِ
يهواك ما عشت الفؤاد وإن أمت ... يتبع صداي صداكِ بين الأقبرِ
إني إليكِ بما وعدتِ لناظر ... نظر الفقير إلى الغنيِّ المكثر[٨]
ما أنتِ والوعدُ الذي تعدينني ... إلّا كبرقِ سحابةٍ لم تمطرِ

وقوله : ورُوي لعمر بن أبي ربيعة فيما نقله ابن عساكر[٩] :

---

(١) وادي القرى : واد بين الشام والمدينة ، من أعمال المدينة يحتوي على عدد كبير من القرى . معجم البلدان (٥/ ٣٤٥) .
(٢) في ط : وأخبرتماني ؛ وما أثبت كالأغاني والوفيات .
(٣) الأبيات في الأغاني (٨/ ١٢٥) ووفيات الأعيان (١/ ٣٦٧) .
(٤) في ط : زلت بي .
(٥) في ط : اجتماع ؛ وما أثبت يوافق الوفيات .
(٦) وفيات الأعيان (١/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨) .
(٧) في الأغاني : إذ تذكرين .
(٨) الأبيات الثلاثة السابقة ساقطة من ط .
(٩) تاريخ دمشق (١١/ ٢٧٤) بدون البيت الأول ، وهي كاملة في وفيات الأعيان (١/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠) .

مـا زلـتُ أبغـي الحـيَّ أتبـعُ فلّهـمْ حتـى دُفعـتُ إلـى ربيبـةِ هـودج
فـدنـوتُ مختفيـاً[١] ألـمُّ ببيتهـا حتى ولجتُ إلى خفيِّ المولج[٢]
قالتْ : وعيشِ أخي ونعمةُ والدي لأنبهـنَّ الحـيَّ إنْ لـمْ تخـرجِ[٣]
فتنـاولـتْ رأسـي لتعـرف مسـهُ بمخضّـبِ الأطـرافِ غيـرِ مشنـجِ
فخـرجتُ خيفـة أهلهـا[٤] فتبسمتْ فعلمـتُ أنَّ يمينهـا لـم تلجـج
فلثمـتُ فـاهـا آخـذاً بقـرونهـا شرب النَّزيف ببرد ماء الحشرج[٥]

قال كُثيِّر عزة : لقيني جميل بثينة فقال : من أين أقبلت ؟ فقلت : من عند هذه الحبيبة ، فقال وإلى أين ؟ فقلت : وإلى هذه الحبيبة ـ يعني عزَّة ـ فقال : أقسمت عليك لما رجعت إلى بثينة فواعدتها لي فإن لي من أول الصيف ما رأيتها ، وكان آخر عهدي بها بوادي القرى[٦] ، وهي تغسل هي وأمها ثوباً فتحادثنا إلى الغروب ، قال كثير : فرجعت حتى أنخت بهم . فقال أبو بثينة : ما ردك يا بن أخي ؟ فقلت : أبيات قلتها فرجعت لأعرضها عليك . فقال : وما هي ؟ فأنشدته وبثينة تسمع من وراء الحجاب :

فقلـتُ لهـا يـا عَـزَّ أُرْسِـلُ صـاحبـي إليـكِ رسـولاً والـرسـولُ مـوكـلُ[٧]
بـأنْ تجعلـي بينـي وبينـكِ مـوعـداً وأن تـأمـرينـي مـا الـذي فيـهِ أفعـلُ
وآخـرُ عهـدي منـكِ يـومَ لقيتنـي بأسفلِ وادي الدومِ والثوبُ يغسلُ

قال : فضربت بثينة جانب خدرها وقالت : اخسأ اخسأ ، فقال لها أبوها ؛ مهيم يا بثينة ؟ فقالت كلب يأتينا إذا نوَّم الناس من وراء الرابية ، ثم قالت للجارية : ابغينا من الدومات حطباً لنذبح لكثيِّر شاة ونشويها له ، فقال كثيِّر : أنا أعجل من ذلك ، وراح إلى جميل فأخبره ، فقال جميل : الموعد الدومات[٨] .

فلما كان الليل أقبلت بثينة إلى المكان الذي واعدته إليه ، وأقبل جميل وكنت معهم فما رأيت ليلة أعجب منها ولا أحسن منادمات ، وانفض ذلك المجلس وما أدري أيهما أفهم لما في ضمير صاحبه منه .

وذكر الزبير بن بكار عن عباس بن سهل الساعدي أنه دخل على جميل وهو يموت فقال له : ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط ، ولم يزنِ قط ، ولم يسرق ولم يقتل النفس وهو يشهد أن لا إله إلا الله ؟

---

(١) في تاريخ دمشق : مختبئاً .
(٢) في أ : المدلج ، وأثبت رواية تاريخ دمشق .
(٣) هذا البيت متأخر في تاريخ دمشق .
(٤) في تاريخ دمشق : قولها .
(٥) في ط : فرشفت ريقاً بارداً متثلج ؛ وأثبت رواية أ وابن عساكر .
(٦) في الوفيات والأغاني : وادي الدوم .
(٧) في الأغاني (٨/ ١٠٧) : والموكل مرسل .
(٨) من قوله : فضربت بثينة جانب خدرها وقالت . . . إلى هنا زيادة من أ توافق الوفيات والأغاني .

قال : أظنه قد نجا وأرجو له الجنة ، فمن هذا ؟ قال : أنا ، فقلت : لله ما أظنك سلمت وأنت تشبب منذ عشرين سنة ، ببثينة . فقال : لا نالتني شفاعة محمد ﷺ ، وإني لفي أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا إن كنت وضعت يدي عليها بريبة ، قال : فما برحنا حتى مات . قلت : كانت وفاته بمصر لأنه كان قدم على عبد العزيز بن مروان فأكرمه وسأله عن حبه بثينة فقال : شديداً ، واستنشده من أشعاره ومدائحه فأنشده فوعده أن يجمع بينه وبينها فعاجلته المنية في سنة ثنتين وثمانين رحمه الله آمين[١] .

وقد ذكر الأصمعي : عن رجل أن جميلاً قال له : هل أنت مبلغ عني رسالة إلى حي بثينة ولك ما عندي ؟ قال : نعم ! قال : إذا أنا متّ فاركب ناقتي والبس حلتي هذه وأمره أن يقول أبياتاً منها قوله :

قومي بُثَيْنَةُ فاندُبي بِعَويلِ ... وابكي خَليلاً دونَ كُلِّ خَليلِ

فلما انتهى إلى حيهم أنشد الأبيات فخرجت بثينة كأنها بدر سرى في جنة وهي تتثنى في مِرْطها فقالت له : ويحك إن كنت صادقاً فقد قتلتني ، وإن كنت كاذباً فقد فضحتني . فقلت : بلى والله صادق [وهذه حلته وناقته] فلما تحققت ذلك صاحت بأعلى صوتها ، وصكت وجهها ، واجتمع نساء الحي إليها يبكين معها ، ثم صعقت مغشياً عليها ، ثم أفاقت وهي تقول :

وإن سُلُوِّي عن جميل لساعةٌ ... من الدهر ما حانت ولا حان حينها

سواء علينا يا جميل بن معمر ... إذا مت بأساء الحياة ولينها[٢]

قال الرجل : فما رأيت أكثر باكياً ولا باكية من يومئذ .

وروى الحافظ ابن عساكر[٣] عنه أنه قيل له بدمشق : لو تركت الشعر وحفظت القرآن ؟ فقال : هذا أنس بن مالك يخبرني عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن من الشعر حكمة »[٤] .

عمر بن عبيد الله[٥] بن معمر بن عثمان ، أبو حفص القرشي ، التميمي ، أحد الأجواد والأمراء الأمجاد ، فتحت على يديه بلدان كثيرة ، وكان نائباً لابن الزبير على البصرة .

---

(١) الخبر في تاريخ دمشق (١١/ ٢٨٠ـ٢٨١) .

(٢) من قوله : صاحت بأعلى صوتها . . . إلى هنا ساقط من ط وبدله : أنشدت أبياتاً ترثيه بها وتتأسف عليه فيها ، وأنه لا يطيب لها العيش بعده ، ولا خير لها في الحياة بعد فقده ، ثم ماتت من ساعتها . والخبر من الأغاني (٨/ ١٥٤ ـ ١٥٥) .

(٣) تاريخ دمشق (١١/ ٢٥٦) .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦١٤٥) في الأدب .

(٥) ترجمة ـ عمر بن عبيد الله ـ في تاريخ خليفة (٢٩٧) وتاريخ البخاري (٦/ ١٧٥) وأنساب الأشراف (١/ ٣٩٩) وتاريخ دمشق (٤٥/ ٢٨٦ ـ ٢٩٦) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٦٠) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٧٢) .

روى عن : ابن عمر وجابر وغيرهما .

وعنه عطاء بن أبي رباح ، وابن عون .

ووفد على عبد الملك فتوفي بدمشق سنة ثنتين وثمانين . قاله المدائني . وحكى أن رجلاً اشترى جارية [كانت تحسن القرآن والشعر وغيره ؛ فأحبها حباً شديداً ، وأنفق عليها ماله كله حتى أفلس ولم يبق له شيء سوى هذه الجارية ، فقالت له الجارية : قد أرى ما بك من قلَّة الشيء . فلو بعتني وانتفعت بثمني صَلحَ حالك ، فباعها لعمر بن عبيد الله هذا ـ وهو يومئذ أمير البصرة ـ بمئة ألف درهم ، فلما قبض المال ندم وندمت الجارية ، فأشارت تخاطب سيدها بأبيات شعر وهي][1] :

هنيئاً لكَ المالُ الذي قدْ أخذتهُ ... ولم يبقَ في كفيَّ إلّا تفكُّري
أقولُ لنفسي وهيَ في كربِ غَشْيةٍ[2] ... أقِلّي فقدْ بانَ الخليطُ أو اكثري
إذا لم يكنْ في الأمرِ عندكِ حيلةٌ ... ولمْ تجدي بُدّاً منَ الصبرِ فاصبري

فأجابها سيدها فقال :

ولولا قعود الدهرِ بي عنكِ لم يكنْ ... لفرقتنا شيءٌ سوى الموتِ فاصبري
أَأوبُ بحزنٍ من فراقكِ موجع ... أناجي بهِ قلباً طويلَ التذكّرِ
عليكِ سلامٌ لا زيارةَ بيننا ... ولا وصلَ إلّا أنْ يشاءَ ابنُ معمرِ

[فلما سمعها ابن معمر قد شببت قال : والله لا فرَّقت بين محبين أبداً ، ثم أعطاه المال ـ وهو مئة ألف ـ والجارية لما رأى من توجُّعهما على فراق كل منهما صاحبه ، فأخذ الرجل الجارية وثمنها وانطلق .

توفي عمر بن عبيد الله بن معمر هذا بدمشق بالطاعون ، وصلى عليه عبد الملك بن مروان ، ومشى في جنازته وحضر دفنه وأثنى عليه بعد موته .

وكان له من الولد طلحة وهو من سادات قريش تزوج فاطمة بنت القاسم بن محمد بن جعفر على صداق أربعين ألف دينار ، فأولدها إبراهيم ورملة ، فتزوج رملة إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس على صداق مئة ألف دينار رحمهم الله][3] .

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط ، ومكانها في أ : أنه اشترى جارية بمئة ألف ، فتوجعت لفراق سيدها ، وقالت تخاطب مولاها الذي باعها . . . ورواية ط توافق المصادر .

(٢) في ط : عيشةٍ ؛ وما أثبت يوافق تاريخ الإسلام والسير .

(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط ؛ ومكانها في أ : فقال ابن معمر : خذها وثمنها .

كُمَيل بن زياد[١] بن نهيك بن الهيثم[٢] النخعي الكوفي .

روى عن : عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وأبي هريرة[٣] .

وشهد مع علي صفين وما بعدها ، وكان شجاعاً فاتكاً ، وزاهداً عابداً ، قتله الحجاج في هذه السنة .

[وقد عاش مئة سنة قتله صبراً بين يديه : وإنما نقم عليه لأنه طلب من عثمان بن عفان القصاص من لطمة لطمها إياه . فلما أمكنه عثمان من نفسه عفا عنه ، فقال له الحجاج : أوَ مثلك يسأل من أمير المؤمنين القصاص ؟ ثم أمر فضربت عنقه ، قالوا : وذكر الحجاج علياً في غبون ذلك فنال منه وصلى عليه كُميل ، فقال له الحجاج : والله لأبعثن إليك من يبغض علياً أكثر مما تحبه أنت ، فأرسل إليه ابن أدهم ، وكان من أهل حمص ، ويقال أبا الجهم بن كنانة فضرب عنقه[٤] .

وقد روى عن كميل جماعة كثيرة من التابعين ، وله الأثر المشهور عن علي بن أبي طالب الذي أوله : القلوب أوعية فخيرها أوعاها . وهو طويل قد رواه جماعة من الحفاظ الثقات وفيه مواعظ وكلام حسن رضي الله عن قائله][٥] .

زاذان أبو عمر الكندي[٦] أحد التابعين كان أولاً يشرب المسكر ويضرب بالطنبور ، فرزقه الله التوبة على يد عبد الله بن مسعود وحصلت له إنابة ورجوع إلى الحق[٧] ، وخشية شديدة ، حتى كان إذا قام في الصلاة كأنه خشبة .

وقال مرة : إني جائع ، فنزل عليه من الرَّوزنة رغيف مثل الرّحا .

وهو ثقة عند ابن معين وغيره .

---

(١) ترجمة ـ كُميل بن زياد ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ١٧٩) وتاريخ خليفة (٢٨٨) وطبقاته (١٤٨) وأنساب الأشراف (١/ ٥١٧) وتاريخ دمشق (٥٠/ ٢٤٧) وحلية الأولياء (١/ ٧٩) وتهذيب الكمال (١٥/ ٤١٦) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٧٦ ـ ١٧٨) وتهذيب التهذيب (٨/ ٤٤٧ـ٤٤٨) والإصابة (٣/ ٣١٨) .

(٢) في ط : خيثم ؛ تحريف .

(٣) في تاريخ الإسلام : وروى عنه : عبد الرحمن بن عابس ، والعباس بن ذريح ، وعبد الله بن يزيد الصُّهباني ، وأبو إسحاق السبيعي ، والأعمش .

(٤) الخبر في تاريخ الطبري (٦/ ٣٦٥) وأن الذي قتله أبو الجهم ، والذي هنا يوافق تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٧٧) .

(٥) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وهي لا تخرج عن الأصول .

(٦) ترجمة ـ زاذان أبو عمر ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ١٧٨) وتاريخ خليفة (٢٨٨) وطبقاته (١٥٨) وتاريخ الطبري (٤/ ٢١١) وحلية الأولياء (٤/ ١٩٩) وتاريخ دمشق (١٨/ ٢٧٨) وتهذيب الكمال (٩/ ٢٦٣) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٦٤) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٨٠) وشذرات الذهب (١/ ٣٣٤) .

(٧) انظر قصة توبته في تاريخ الإسلام .

قال خليفة[١] : توفي سنة ثنتين وثمانين .

قال خليفة : وفيها توفي زر بن حبيش[٢] أحد أصحاب ابن مسعود وعائشة ، وقد أتت عليه مئة وعشرون سنة . وقال أبو عبيد : مات سنة إحدى وثمانين ، وقد تقدمت له ترجمة[٣] .

شقيق بن سلمة[٤] ، أبو وائل ، وقد أدرك من زمن الجاهلية سبع سنين ، وأسلم في حياة النبي ﷺ .

أم الدرداء الصغرى[٥] ، اسمها هجيمة ويقال جهيمة ، تابعية ، عابدة ، عالمة ، فقيهة ، كان الرجال يقرؤون عليها ويتفقهون في الحائط الشمالي بجامع دمشق ، وكان عبد الملك بن مروان يجلس في حلقتها مع المتفقهة يشتغل عليها وهو خليفة رحمهم الله .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين

استهلت هذه السنة والناس متواقفون لقتال الحجاج وأصحابه بدير قرة ، وابن الأشعث وأصحابه بدير الجماجم ، والمبارزة في كل يوم [بينهم واقعة] ، وفي غالب الأيام تكون الدائرة لأهل العراق على أهل الشام [حتى قيل إن أصحاب ابن الأشعث وهم أهل العراق كسروا أهل الشام وهم أصحاب الحجاج بضعاً وثمانين مرة ينتصرون عليهم][٦] ومع هذا فالحجاج ثابت في مكانه صابر مصابر لا يتزحزح عن موضعه الذي هو فيه ، بل إذا حصل له ظفر في يوم من الأيام يتقدم بجيشه إلى نحو عدوه ، ثم جمع الرماة من جيشه وحمل بهم ، وما زال ذلك دأبه وذأبهم حتى أمر بالحملة على كتيبة القرّاء ، لأن الناس كانوا تبعاً لهم ، وهم الذين يحرضونهم على القتال والناس يقتدون بهم ، فصبر القرّاء لحملة جيشه ، وما انفك حتى قتل

---

(١) تاريخ خليفة : (٢٨٨) .

(٢) ترجمة ـ زر بن حبيش ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ١٠٤) وتاريخ خليفة (٢٨٨) وطبقاته (١٤٠) والاستيعاب (٢/ ٥٦٣) وأنساب الأشراف (١/ ١٦٤) وحلية الأولياء (٤/ ١٨١) وأسد الغابة (٢/ ٣٠٠) ووفيات الأعيان (٣/ ٩) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٦٦) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٦٦) وشذرات الذهب (١/ ٣٣٤) .

(٣) تقدمت ترجمته ضمن وفيات سنة ثمان وسبعين .

(٤) ترجمة ـ شقيق بن سلمة ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ٩٦) وتاريخ خليفة (٢٢٨) وطبقاته (١٥٥) وحلية الأولياء (٤/ ١٠١) وأسد الغابة (٣/ ٣) ووفيات الأعيان (٢/ ٤٠٠) وتهذيب الكمال (١٢/ ٥٤٨ ـ ٥٥٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٨٢) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٦١) والوافي بالوفيات (٢/ ١٦٧) والإصابة (٢/ ١٦٧) وتهذيب التهذيب (٤/ ٣٦١ ـ ٣٦٣) .

(٥) ترجمة ـ أم الدرداء الصغرى ـ في الاستيعاب (٤/ ٤٢٨) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٣٢٧) وتاريخ دمشق (٧٠/ ١٤٦ ـ ١٦٤) وأسد الغابة (٥/ ٤٤٨) وتهذيب الكمال (٣٥/ ٣٥٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٣٣) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٧٧) وتهذيب التهذيب (١٢/ ٤٦٥ ـ ٤٦٦) والإصابة (٤/ ٢٩٥) .

(٦) زيادة من ط ، والخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٤) مع أخبار سنة اثنتين وثمانين !.

منهم خلقاً كثيراً ، ثم حمل على جيش ابن الأشعث وعلى من معه من الجيش فانهزم أصحاب ابن الأشعث وذهبوا في كل وجه ، وهرب ابن الأشعث بين أيديهم ومعه فلّ قليل من الناس ، فأتبعه الحجاج جيشاً كثيفاً مع عمارة بن تميم[١] اللّخمي ومعه محمد بن الحجاج والإمرة لعمارة ، فساقوا وراءهم يطردونهم لعلهم يظفرون بهم قتلاً أو أسراً ، فما زال يسوق ويخترق الأقاليم والكور والرساتيق ، وهم في أثره حتى وصل إلى كرمان ، واتبعه الشاميون فنزلوا يوماً في قصر كان فيه أهل العراق قبلهم ، فإذا فيه كتاب قد كتبه بعض أهل الكوفة من أصحاب ابن الأشعث الذين فروا معه من شعر أبي جلدة[٢] اليشكري يقول :

أيا لَهَفاً ويا حُزناً جميعاً ويا حَرّ الفُؤادِ لِمَا لَقِينا

تركنا الدينَ والدنيا جميعاً وأسلمنا الحلائلَ والبَنينا

فما كنا أناساً أهلَ دنيا فنمنعها ولو لمْ نرجُ دِينا[٣]

تركنا دُوْرَنا لطغامِ عكٍّ وأنباطِ القُرى والأشْعَرينا

ثم إن ابن الأشعث دخل هو ومن معه من الفل إلى بلاد رُتبيل ملك الترك ، فأكرمه رتبيل وأنزله عنده وأمنه وعظمه .

[قال الواقدي : ومر ابن الأشعث وهو ذاهب إلى بلاد رتبيل على عامل[٤] له في بعض المدن كان ابن الأشعث قد استعمله على ذلك عند رجوعه إلى العراق ، فأكرمه ذلك العامل وأهدى إليه هدايا وأنزله ، فعل ذلك خديعة به ومكراً ، وقال له : ادخل إلى عندي إلى البلد لتتحصن بها من عدوك ولكن لا تدع أحداً ممن معك يدخل المدينة ، فأجابه إلى ذلك ، وإنما أراد المكر به ، فمنعه أصحابه فلم يقبل منهم ، فتفرق عنه أصحابه ، فلما دخل المدينة وثب عليه العامل فمسكه وأوثقه بالحديد وأراد أن يتخذ به يداً عند الحجاج ، وقد كان الملك رُتبيل سُرَّ بقدوم ابن الأشعث ، فلما بلغه ما حدث له من جهة ذلك العامل بمدينة بست ، سار حتى أحاط ببست ، وأرسل إلى عاملها يقول له : والله لئن آذيت ابن الأشعث لا أبرح حتى أستنزلك وأقتل جميع من في بلدك ، فخافه ذلك العامل وسَيَّر إليه ابن الأشعث فأكرمه رُتبيل ، فقال ابن الأشعث لرتبيل : إن هذا العامل كان عاملي ومن جهتي ، فغدر بي وفعل ما رأيت ، فأذن لي في قتله ،

---

(١) في ب ، ط : غنم ، وما أثبت يوافق الطبري (٦/ ٣٦٧) وابن الأثير (٤/ ٤٨٥) . وتقدم ذكره في السنة الماضية .

(٢) في الكامل لابن الأثير (٤/ ٤٨٤) : ابن حلزة ، وما هنا كالطبري (٦/ ٣٦٨) . وهو أبو جلدة بن عبيد بن منقذ بن حجر بن عبيد الله بن مسلمة بن حبيب بن عدي بن جُشم بن غنم بن حبيب بن كعب بن يشكر بن بكر بن وائل ، شاعر إسلامي أموي من ساكني الكوفة ، كان من أخص الناس بالحجاج ثم خرج عليه مع ابن الأشعث ، فقتله الحجاج . الأعلام للزركلي (٢/ ١٣٣) .

(٣) في الطبري وابن الأثير :

فما كنا أناساً أهل دين فنصبر في البلاء إذا ابتُلينا

(٤) سماه الطبري (٦/ ٣٦٩) : عياض بن هميان أبو هشام بن عياض السدوسي ، وفي ابن الأثير (٤/ ٤٨٥) : ابن هشام السدوسي .

فقال : قد أمنته[١]][٢] وكان مع ابن الأشعث عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة[٣] بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان هو الذي يصلي بالناس هنالك في بلاد رُتبيل ، ثم إن جماعة من الفل الذين هربوا من الحجاج اجتمعوا وساروا وراء ابن الأشعث ليدركوه فيكونوا معه ـ وهم قريب من ستين ألفاً ـ فلما وصلوا إلى سجستان وجدوا ابن الأشعث قد دخل إلى عند رُتبيل فتغلبوا على سجستان وعذبوا عاملها عبد الله بن عامر النعار[٤] وإخوته وقرابته ، واستحوذوا على ما فيها من الأموال ، وانتشروا في تلك البلاد وأخذوها ، ثم كتبوا إلى ابن الأشعث : أن اخرج إلينا حتى نكون معك ننصرك على من يخالفك ، ونأخذ بلاد خراسان ، فإن بها جنداً عظيماً منا ، فنكون بها حتى يهلك الله الحجاج أو عبد الملك ، فنرى بعد ذلك رأينا . فخرج إليهم ابن الأشعث وسار بهم قليلاً إلى نحو خراسان فانخذل عنه شرذمة من أهل العراق مع عبيد الله بن عبد الرحمن بن سَمُرة ، فقام فيهم ابن الأشعث خطيباً فذكر غدرهم ونكولهم عن الحرب ، وقال : لا حاجة لي بكم ، وأنا ذاهب إلى صاحبي رُتبيل فأكون عنده . ثم انصرف عنهم وتبعه طائفة منهم وبقي معظم الجيش . فلما انفصل عنهم ابن الأشعث بايعوا عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة[٣] بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي ، وساروا معه إلى خراسان فخرج إليهم أميرها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، فمنعهم من دخول بلاده ، وكتب إلى عبد الرحمن بن عباس يقول له : إن في البلاد متسعاً فاذهب إلى أرض ليس بها سلطان ، فإني أكره قتالك ، وإن كنت تريد مالاً بعثت إليك . فقال له : إنا لم نجيء لقتال أحد ، وإنما جئنا نستريح ونريح خيلنا ثم نذهب وليست بنا حاجة إلى شيء مما عرضت . ثم أقبل عبد الرحمن على أخذ الخراج مما حوله من البلاد من كورخراسان ، فخرج إليه يزيد بن المهلب ومعه أخوه المفضل في جيوش كثيفة ، فلما صادفوهم اقتتلوا غير كثير ثم انهزم أصحاب عبد الرحمن بن عباس ، وقتل يزيد منهم مقتلة عظيمة ، وأسر منهم أسرى كثيرة ، واحتاز ما في معسكرهم ، وبعث بالأسارى وفيهم محمد بن سعد بن أبي وقاص إلى الحجاج ، ويقال إن محمد بن سعد قال ليزيد بن المهلب : أسألك بدعوة أبي لأبيك لما أطلقتني ، فأطلقه .

قال أبو جعفر بن جرير[٥] : ولهذا الكلام خبر فيه طول ، ولما قدمت الأسارى على الحجاج قتل أكثرهم وعفا عن بعضهم ، وقد كان الحجاج يوم ظهر على ابن الأشعث نادى مناديه في الناس : من رجع

---

(١) في الطبري (٦/ ٣٦٩) : قال : فأذن لي في دفعه ولهـزه والتصغير به ، قال : أما هذه فنعم . ففعل به عبد الرحمن .
وفي الفتوح لابن الأعثم (٧/ ١٥٢) : عمد ابن الأشعث إلى عياض بن هميان هذا فضرب عنقه وصلبه وأخذ أمواله وخرب منزله .

(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وهي موافقة للمصادر .

(٣) في ط : « بن أبي ربيعة » ، وما أثبتناه من م والطبري (٦/ ٣٧٠) .

(٤) في الطبري : البَعّار .

(٥) تاريخ الطبري (٦/ ٣٧٤) .

فهو آمن ومن لحق بقتيبة بن مسلم بالري فهو آمن ، فلحق به خلق كثير ممن كان مع ابن الأشعث فأمنهم الحجّاج ، ومن لم يلحق به شرع في تتبعه ، فقتل منهم خلقاً كثيراً حتى كان آخر من قتل منهم سعيد بن جبير على ما سيأتي تفصيله والله المستعان .

وكان الشعبي من جملة من صار إلى قتيبة بن مسلم فذكره الحجاج يوماً فقيل له : إنه صار إلى قتيبة بن مسلم ، فكتب إليه : أن ابعث لي بالشَّعبي .

قال الشعبي : فلما دخلت عليه سلمت عليه بالإمرة ثم قلت : أيها الأمير إن الناس قد أمروني أن أعتذر إليك بغير ما يعلم الله أنه الحق ، وايم الله لا أقول في هذا المقام إلا الحق [كائناً في ذلك ما كان] قد والله تمردنا عليك ، وخرجنا وجهدنا كل الجهد فما ألونا ، فما كنا بالأقوياء الفجرة ، ولا بالأتقياء البررة ، ولقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا ، فإن سطوت فبذنوبنا ، وما جرَّت إليك أيدينا ، وإن عفوت عنا فبحلمك ، وبعد ، فالحجة لك علينا . فقال الحجاج : أنت والله يا شعبي أحب إليّ قولاً ممن يدخل علينا يقطر سيفه من دمائنا ثم يقول : ما فعلتُ ولا شهدتُ ، قد أمنت عندنا يا شَعبي . قال : فانصرفت فلما مشيت قليلاً قال : هلمَّ يا شعبي ، قال : فوجل لذلك قلبي ، ثم ذكرت قوله قد أمنت يا شعبي فاطمأنت نفسي ، فقال : كيف وجدت الناس بعدنا يا شعبي ؟ - قال : وكان لي مكرماً [قبل الخروج عليه -] فقلت : أصلح الله الأمير ، قد اكتحلتُ بعدكَ السَّهرَ ، واستوعرت الجناب[١] ، واستحلَسْتُ الخوف[٢] ، وفقدت صالح الإخوان ، ولم أجد من الأمير خَلَفاً . قال : انصرف يا شعبي ، فانصرفت . ذكر ذلك ابن جرير وغيره . ورواه أبو مخنف عن إسماعيل بن عبد الرحمن بن السدي عن الشعبي[٣] .

وروى البيهقي[٤] : أنه سأله عن مسألة الخرقاء في الفرائض وهي أم وزوج وأخت وما كان يقول فيها الصديق وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود ، وكان لكل منهم قول فيها ، فنقل ذلك كله الشعبي في ساعة فاستحسن قول علي وحكم بقول عثمان ، وأطلق الشعبي بسبب ذلك .

[وقيل إن الحجاج قتل خمسة آلاف أسير[٥] ممن سيرهم إليه يزيد بن المهلّب كما تقدم ذلك ، ثم سار إلى الكوفة فدخلها فجعل لا يبايع أحداً من أهلها إلا قال : اشهد على نفسك أنك قد كفرتَ ، فإذا قال نعم بايعه ، وإن أبى قتله ، فقتل منهم خلقاً كثيراً ممن أبى أن يشهد على نفسه بالكفر ، قال فأُتي برجل فقال الحجاج : ما أظن هذا يشهد على نفسه بالكفر لصلاحه ودينه - وأراد الحجاج مخادعته - فقال :

---

(١) في ط : واستوعرت السهل ، واستوخمت الجناب .
(٢) بعدها في ط : واستحليت الهم . وما هنا موافق للطبري (٦/ ٣٧٥) .
(٣) في الطبري : قال أبو مخنف : فحدثني السّريّ بن إسماعيل ، عن الشعبي . . . وذكر الخبر .
(٤) السنن الكبرى (٦/ ٢٥٢) .
(٥) تاريخ خليفة (٢٨٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ - ١٠٠/ ص١٦) .

أخادعي أنت عن نفسي ؟ أنا أكفر أهل الأرض وأكفر من فرعون وهامان ونمروذ . قال : فضحك الحجاج وخلّى سبيله](١) .

وذكر ابن جرير(٢) من طريق أبي مخنف : أن أعشى همدان أُتي به إلى الحجاج ـ وكان قد عمل قصيدة يهجو فيها الحجاج وعبد الملك بن مروان ويمدح فيها ابن الأشعث وأصحابه ـ فاستنشده إياها فأنشده قصيدة طويلة دالية(٣) ، فيها مدح كثير لعبد الملك وأهل بيته ، فجعل أهل الشام يقولون : قد أحسن أيها الأمير ، فقال الحجاج : إنه لم يحسن ، إنما يقول هذا مصانعة ، ثم ألحَّ عليه حتى أنشده قصيدته الأخرى(٤) ، فلما أنشدها غضب عند ذلك الحجاج وأمر به فضربت عنقه صبراً بين يديه . واسم الأعشى هذا عبد الرحمن بن الحارث أبو المصبّح الهمداني الكوفي الشاعر ، أحد الفصحاء البلغاء المشهورين ، وقد كان له فضل وعبادة في مبتداه ، ثم ترك ذلك وأقبل على الشعر فعرف به ، وقد وفد على النعمان بن بشير وهو أمير بحمص فامتدحه ، وكان محصوله في رحلته إليه منه ومن جند حمص أربعين ألف دينار ، وكان زوج أخت الشعبي ، كما أن الشعبي كان زوج أخته أيضاً(٥) ، وكان ممن خرج مع ابن الأشعث ، فقتله الحجاج كما ذكرنا رحمه الله .

وقد كان الحجاج وهو مواقف لابن الأشعث بعث كميناً يأتون جيش ابن الأشعث من ورائه ، ثم تواقف الحجاج وابن الأشعث وهرب الحجاج بمن معه وترك معسكره ، فجاء ابن الأشعث فاحتاز ما في المعسكر وبات فيه ، فجاءت السرية إليهم ليلاً وقد وضعوا أسلحتهم فمالوا عليهم ميلة واحدة ، ورجع الحجاج بأصحابه فأحاطوا بهم فاقتتلوا قتالاً عظيماً ، وقتل من أصحاب ابن الأشعث خلق كثير وغرق خلق كثير منهم في دجلة ودجيل ، وجاء الحجاج إلى معسكرهم فقتل من وجده فيه ، فقتل منهم نحواً من أربعة آلاف ، منهم جماعة من الرؤساء والأعيان ، واحتازوه بكماله .

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وهي موافقة للمصادر .

(٢) تاريخ الطبري (٦/ ٣٧٥) .

(٣) ذكرها الطبري (٦/ ٣٧٦) وابن الأثير (٤/ ٤٨٩) ومطلعها :

أبى الله إلا أن يتمّم نوره ... ويطفىء نور الفاسقين فيُخمدا

إلى قوله :

وجدنا بني مروان خير أئمة ... وأفضل هذي الناس حلماً وسؤددا

(٤) ذكر المسعودي في مروج الذهب (٣/ ١٥٥) بيتين منها ، وفيها يمدح ابن الأشعث ويحرض أهل الكوفة على القتال :

وسألتماني المجد أين محله ... فالمجد بين محمد وسعيد

بين الأشج وبين قيس باذخ ... بَخ بخ لوالده وللمولود

فلما قال الأعشى هذا البيت قال الحجاج : لا والله لا تبخبخ بعدها لأحد أبداً . فقدمه فضرب عنقه .

(٥) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤١) .

وانطلق ابن الأشعث هارباً في ثلاثمئة من أصحابه فركبوا دجيلاً في السفن وعقروا دوابهم وجازوا إلى البصرة ، ثم ساروا من هنالك وكان من أمرهم من دخولهم بلاد رتبيل ما كان .

ثم شرع الحجاج في تتبع أصحاب ابن الأشعث فجعل يقتلهم مثنى وفرادى ، حتى قيل إنه قتل منهم بين يديه صبراً مئة ألف وثلاثين ألفاً ، قاله النضر بن شميل عن هشام بن حسان[١] ، منهم محمد بن سعد بن أبي وقاص ، وجماعات من السادات [الأخيار ، والعلماء الأبرار] حتى كان آخرهم سعيد بن جبير رحمهم الله ورضي عنهم ، كما سيأتي ذلك في موضعه .

بناء واسط في زمن الحجاج

قال ابن جرير[٢] : وفي هذه السنة بنى الحجاج واسط ، وكان سبب بنائه لها أنه رأى راهباً على أتان قد أجاز دجلة ، فلما مر بموضع واسط وقفت أتانه فبالت ، فنزل عنها وعمد إلى موضع بولها فاحتفره ورمى به في دجلة ، فقال الحجاج : عليّ به ، فأُتي به فقال له : لم صنعت هذا ؟ قال : إنا نجد في كتبنا أنه يبنى في هذا الموضع مسجد يعبد الله فيه ما دام في الأرض أحد يوحِّده . فعند ذلك اختط الحجاج مدينة واسط في ذلك المكان وبنى المسجد في ذلك الموضع .

وفي هذه السنة كانت غزوة عطاء بن رافع صقلية[٣] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عبد الرحمن بن حُجَيرة[٤] ، الخولاني المصري ، روى عن جماعة من الصحابة ، وكان عبد العزيز ابن مروان أمير مصر قد جمع له بين القضاء والقصص وبيت المال ، وكان رزقه في العام ألف دينار ، وكان لا يدخر منها شيئاً .

طارق بن شهاب[٥] بن عبد شمس الأحمسي ممن رأى النبي ﷺ وغزا في خلافة الصديق وعمر رضي الله عنهما بضعاً وأربعين غزاة ، توفي بالمدينة هذه السنة .

---

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٣٨١ ـ ٣٨٢) .

(٢) تاريخ الطبري (٦/ ٣٨٣) .

(٣) تاريخ الإسلام (٥/ ١٨) .

(٤) ترجمة ـ عبد الرحمن بن حجيرة ـ في المعرفة والتاريخ (٢/ ٥٠٨) والجرح والتعديل (٥/ ٢٢٧) وتهذيب الكمال (١٧/ ٥٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص١٢٦) وتهذيب التهذيب (٦/ ١٦٠) وقد تحرف في ط إلى : ابن جحيرة ـ بالجيم ـ .

(٥) ترجمة ـ طارق بن شهاب ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ٦٦) وطبقات خليفة (١١٧) وتاريخ البخاري (٤/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣) والاستيعاب (٢/ ٢٣٧) وأسد الغابة (٣/ ٤٨) وتهذيب الكمال (١٣/ ٣٤١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص٩٣ـ٩٤) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٨٦) والوافي بالوفيات (١٦/ ٣٨٠) وتهذيب التهذيب (٥/ ٣) .

عبيد الله بن عدي[١] بن الخيار أدرك النبي ﷺ ، وحدث عن جماعة من الصحابة وأبوه عدي ممن قتل يوم بدر كافراً .

عبد الله بن قيس بن مخرمة[٢] ، كان قاضي المدينة . وكان من فقهاء قريش وعلمائهم .

وتوفي بها في هذه السنة :

مرثد بن عبد الله[٣] أبو الخير اليزني[٤] .

وفيها فقد جماعة من القراء والعلماء الذين كانوا مع ابن الأشعث ، منهم من هرب ومنهم من قتل في المعركة ، ومنهم من أسر فضرب الحجاج عنقه ، ومنهم من تتبعه حتى أمكنه فقتله ، وقد سمى منهم خليفة بن خياط[٥] طائفة من الأعيان ، فمنهم مسلم بن يسار المزني ، وأبو مرانة العجلي قُتل ، وعقبة بن عبد الغافر قُتل ، وعقبة بن وساج[٦] قُتل ، وعبد الله بن غالب[٧] الجهضمي قُتل ، وأبو الجوزاء الرّبعيّ قُتل ، والنضر بن أنس ، وعمران والد أبي جمرة الضّبعي ، وأبو المنهال سيار بن سلامة الرياحيّ ، ومالك بن دينار ، ومرّة بن دَبّاب[٨] الهَدَادي ، وأبو نُجيد الجَهْضمي ، وأبو شيخ[٩] الهنائي ، وسعيد بن أبي الحسن ، وأخوه الحسن البصري .

---

(١) ترجمة ـ عبيد الله بن عدي ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٤٩) وتاريخ خليفة (٣٠٩) وطبقاته (٢٣١) وتاريخ البخاري (٥/ ٣٩١) والاستيعاب (٣/ ١٠١٠) وتهذيب الكمال (١٩/ ١١٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٢٣) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٥١٤) وتهذيب التهذيب (٧/ ٣٦ ـ ٣٧) والإصابة (٢/ ٥٣٠٨) .

(٢) ترجمة ـ عبد الله بن قيس ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٢٣٩) وتاريخ خليفة (٢٩٣) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢٩٦) وتهذيب الكمال (١٥/ ٤٥٣) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٢١) وتهذيب التهذيب (٥/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤) .

(٣) ترجمة ـ مرثد بن عبد الله ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٥١١) وطبقات خليفة (٢٩٣) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٤٩١) وتهذيب الكمال (٢٧/ ٣٥٧) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٩٥) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٨٤) وتهذيب التهذيب (١٠/ ٨٢) .

وأغلب المصادر على أنه توفي سنة تسعين ، والله أعلم .

(٤) التراجم الخمس السابقة ساقطة من أ ، ب .

(٥) تاريخ خليفة (٢٨٦ ـ ٢٨٧) .

(٦) في أ ، ط : وشاح : وما أثبت موافق لتاريخ خليفة وتاريخ الإسلام .

(٧) في ط : خالد ، محرف .

(٨) في أ ، ط : ذياب ؛ خطأ والتصحيح من المشتبه للذهبي (١/ ٢٨٢) وهو : مرة بن دبّاب البصري . وانظر توضيح المشتبه (٤/ ١٥) .

(٩) في ط : « سبيج » ، وما أثبتناه من م وتاريخ خليفة وتاريخ الإسلام .

قال أيوب[١] : قيل لابن الأشعث : إن أحببت أن يقتل الناس حولك كما قتلوا حول هودج عائشة يوم الجمل فأخرج الحسن معك ، فأخرجه . ومن أهل الكوفة : سعيد بن جبير ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، وعبد الله بن شداد ، والشَّعبي ، وأبو عُبيدة بن عبد الله بن مسعود ، والمعرور بن سويد ، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص ، وأبو البَخْتري ، وطلحة بن مصرِّف ، وزُبَيد[٢] بن الحارث الياميان ، وعطاء بن السائب . قال أيوب : فما منهم من أحد صُرع مع ابن الأشعث إلا رُغب في مصرعه ، ولا نجا أحد منهم إلَّا حمد الله الذي سلمه .

[ومن أعيان من قَتَل الحجاج :

عمران بن عصام الضبعي[٣] ، والد أبي جمرة ، كان من علماء أهل البصرة ، وكان صالحاً عابداً أُتي به أسيراً إلى الحجاج فقال له : اشهد على نفسك بالكفر حتى أطلقك ، فقال : والله إني ما كفرت بالله منذ آمنت به ، فأمر به فضربت عنقه .

عبد الرحمن بن أبي ليلى[٤] ، روى عن جماعة من الصحابة ، ولأبيه أبي ليلى صحبة ، أخذ عبد الرحمن القرآن عن علي بن أبي طالب : خرج مع ابن الأشعث فأُتي به الحجاج فضرب عنقه بين يديه صبراً][٥] .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين

قال الواقدي : فيها افتتح عبد الله بن عبد الملك بن مروان المصيصة[٦] .

---

(١) وهو أيوب السختياني ، والخبر في تاريخ خليفة (٢٨٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص١٦) .

(٢) في أ : وزيد ؛ خطأ ، وما أثبت عن ب ، ط والمصادر .

(٣) ترجمة ـ عمران بن عصام ـ في تاريخ خليفة (٢٨٢) وطبقاته (٢٠٤) وتاريخ البخاري (٦/ ٤١٧ ـ ٤١٨) وتهذيب الكمال (٢٢/ ٣٤٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٥٨ ـ ١٥٩) وتهذيب التهذيب (٨/ ١٣٤) .

(٤) ترجمة ـ عبد الرحمن بن أبي ليلى ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ١٠٩) وتاريخ خليفة (٢٨٣) وطبقاته (١٥٠) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢٢٤) ومواضع أخرى ، ووفيات الأعيان (٢/ ٣٥٩) وتهذيب الكمال (١٧/ ٣٧٢) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٢٧ ـ ١٢٩) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٦٢) وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٦٠) والإصابة (٢/ ٤٢٠) والنجوم الزاهرة (١/ ٢٠٦) وشذرات الذهب (١/ ٣٤٣) .

(٥) الذي في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٢٩) عن أبي نعيم في الحلية (٤/ ٣٥١) : أنه قتل بوقعة الجماجم .

(٦) المصيصة : مدينة على شاطىء جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس . معجم البلدان (٥/ ١٤٤ـ١٤٥) وخبر فتحها في تاريخ الطبري (٦/ ٣٨٥) وابن الأثير (٤/ ٥٠٠) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢١) .

وفيها غزا محمد بن مروان أرمينية فقتل منهم خلقاً وحرق كنائسهم وضياعهم وتسمى سنة الحريق[(١)] .

[وفيها استعمل الحجاج على فارس محمد بن القاسم الثقفي ، وأمره بقتل الأكراد .

وفيها ولى عبد الملك الإسكندرية عياض بن غنم البجيني وعزل عنها عبد الملك بن أبي الكنود الذي كان قد وليها في العام الماضي][(٢)] .

وفيها افتتح موسى بن نصير طائفة من بلاد المغرب من ذلك بلد أوربة[(٣)] ، وقتل من أهلها بشراً كثيراً جداً ، وأسر نحواً من خمسين ألفاً .

وفيها قتل الحجاج أيضاً جماعة من رؤساء ابن الأشعث ، منهم :

أيوب بن القِرِّيّة[(٤)] ، وكان فصيحاً بليغاً واعظاً ، قتله صبراً بين يديه ، ويقال إنه ندم على قتله ، وهو أيوب بن زيد بن قيس أبو سليمان الهلالي المعروف بابن القِرية .

[وعبد الله بن الحارث بن نوفل .

وسعد بن إياس الشيباني .

وأبو عِنَبَة[(٥)] الخولاني . له صحبة ورواية ، سكن حمص وبها توفي وقد قارب المئة سنة . عبد الله بن قتادة ، وغير هؤلاء جماعة منهم من قتلهم الحجاج ، ومنهم من توفي .

أبو زرعة الجذامي ، الفلسطيني ، كان ذا منزلة عند أهل الشام ، فخاف منه معاوية ففهم منه ذلك أبو زرعة فقال يا أمير المؤمنين لا تهدم ركناً بنيته ، ولا تحزن صاحباً سررته ، ولا تشمت عدواً كبتَّه ، فكف عنه معاوية][(٦)] .

وفيها توفي :

عتبة بن النُّدَّر السلمي[(٧)] ، صحابي جليل [كان يعد في أهل الصفة] .

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢١) .

(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر الثاني في تاريخ الإسلام للذهبي (ص٢١) .

(٣) تحرفت في ط إلى : أرومة ، وأوربة : قبيلة بالمغرب مساكنهم قرب فاس ، وهي مدينة بالأندلس أيضاً . دائرة المعارف الإسلامية (٣/ ١٢٣) .

(٤) ستأتي ترجمته بأوسع مما هنا قريباً .

(٥) في الأصل : غنيما ، وهو خطأ .

(٦) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وأبو زرعة الجذامي : هو روح بن زنباع ستأتي ترجمته قريباً .

(٧) ترجمة ـ عتبة بن النُّدَّر ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤١٣) وطبقات خليفة (٥٢) والاستيعاب (٣/ ١١٧) وحلية الأولياء (٢/ ١٥) وتاريخ دمشق (٣٨/ ٢٨٦) وأسد الغابة (٣/ ٥٧٠) وتهذيب الكمال (١٩/ ٣٢٤) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٥٠ ـ ١٥١) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤١٧) والإصابة (٢/ ٤٥٦)=

وعمران بن حِطّان[١] ، الخارجي ، كان أولاً من أهل السنة والجماعة فتزوج امرأة من الخوارج حسنة جميلة جداً فأحبها . وكان هو دميم[٢] الشكل ، فأراد أن يردها إلى السنة فأبت فارتد معها إلى مذهبها . وقد كان من الشعراء المطبقين[٣] ، وهو القائل في قتل علي وقاتله :

يا ضربةً مِنْ تقيٍّ ما أرادَ بها إلا ليبلُغَ مِنْ ذي العرشِ رِضوانا
إني لأذكُرُهُ يوماً فأحسَبُهُ أوفى البريَّةِ عِندَ الله ميزانا
أكرِمْ بقومٍ بطونُ الطَّيرِ أقْبُرُهمْ لمْ يَخْلِطوا دينهمْ بَغْياً وعُدوانا[٤]

وقد كان الثوري يتمثل بأبياته هذه في الزهد في الدنيا وهي قوله :

أرى أشقياء الناسِ لا يسأمونها على أنهمْ فيها عُراةٌ وجُوَّعُ
أراها وإنْ كانتْ تُحِبُّ فإنها سَحابةُ صيْفٍ عنْ قليلٍ تَقَشَّعُ
كركبٍ قَضَوا حاجاتِهِمْ وترحَّلوا طريقُهُمْ بادي العَلامةِ مَهْيَعُ[٥]

[مات عمران بن حطان سنة أربع وثمانين .

وقد رد عليه بعض العلماء[٦] في أبياته المتقدمة في قتل علي رضي الله عنه بأبيات على قافيتها ووزنها :

بلْ ضربةٌ منْ شقيٍّ ما أرادَ بها إلا ليبلغَ منْ ذي العرشِ خسرانا
إني لأذكرهُ يوماً فأحسبهُ أشقى البرية عند الله ميزانا][٧]

= وتهذيب التهذيب (٧/ ١٠٢ـ١٠٣) .
والندَّر ـ بضم النون وفتح الدال المهملة المشدَّدتين . وانظر توضيح المشتبه (١/ ٣٩٤) .

(١) ترجمة ـ عمران بن حطان ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ١٥٥) وتاريخ خليفة (٢٧٤) وطبقاته (٢٠٨) وتاريخ البخاري (٦/ ٤١٣ ـ ٤١٤) وأنساب الأشراف (٤/ ٨٩) وتهذيب الكمال (٢٢/ ٣٢٢) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٥٤ ـ ١٥٧) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢١٤) والإصابة (٣/ ١٧٨) وتهذيب التهذيب (٨/ ١٢٧) وديوان شعر الخوارج (١٧٢) وشذرات الذهب (١/ ٣٤٥) .

(٢) في أ ، ب : ذميم ـ بالذال ـ وكلاهما بمعنى .

(٣) في ط : المفلقين .

(٤) الأبيات في الأغاني (١٨/ ١١١) ونشوار المحاضرة للتنوخي (٣/ ٢٩٠) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٥٦) .

(٥) الأبيات في الأغاني (١٨/ ١١١) والكامل للمبرد (٢/ ١٢٦) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٥٧) .

(٦) وهو الفقيه الطبري . وأبياته في الكامل للمبرد (٢/ ١٢٦) وكتاب الأذكياء (٢١٠) .

(٧) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وهي توافق المصادر .

وروح بن زنباع الجذامي[١] ، [كان من أمراء الشام وكان عبد الملك يستشيره في أموره] .

وفيها كان مهلك عبد الرحمن بن الأشعث الكندي [وقيل في التي بعدها ، فالله أعلم][٢] .

وكان سبب ذلك أن الحجاج كتب إلى رُتبيل ملك الترك الذي لجأ إليه ابن الأشعث يقول له : والله الذي لا إله إلا هو لئن لم تبعث إليّ بابن الأشعث لأبعثن إلى بلادك ألف ألف مقاتل ، ولأخربنها . فلما تحقق الوعيد من الحجاج استشار في ذلك بعض الأمراء فأشار عليه بتسليم ابن الأشعث إليه قبل أن يخرب الحجاج دياره ويأخذ عامة أمصاره، فأرسل إلى الحجاج يشترط عليه أن لا يقاتل عشر سنين، وأن لا يؤدي في كل سنة منها إلا مئة ألف من الخراج ، فأجابه الحجاج إلى ذلك [وقيل إن الحجاج وعده أن يطلق له خراج أرضه سبع سنين][٢] ، فعند ذلك غدر رُتبيل بابن الأشعث فقيل إنه أمر بضرب عنقه صبراً بين يديه ، وبعث برأسه إلى الحجاج ، وقيل : بل كان ابن الأشعث قد سقط من شاهق فبعث برأسه إلى الحجاج وقيل : بل كان قد مرض مرضاً شديداً فقتله وهو بآخر رمق[٣] ، والمشهور أنه قبض عليه وعلى ثلاثين من أقربائه فقيدهم في الأصفاد وبعث بهم مع رسل الحجاج إليه ، فلما كانوا ببعض الطريق بمكان يقال له الرُّخَّج[٤] ، صعد ابن الأشعث وهو مقيد بالحديد إلى سطح قصر ومعه رجل موكل به لئلا يفر ، وألقى نفسه من ذلك القصر وسقط معه الموكل به فماتا جميعاً ، فعمد الرسول إلى رأس ابن الأشعث فاحتزه ، وقتل من معه من أصحاب ابن الأشعث وبعث برؤوسهم إلى الحجاج فأمر فطيف برأسه في العراق ، ثم بعثه إلى أمير المؤمنين عبد الملك فطيف برأسه في الشام ، ثم بعث به إلى أخيه عبد العزيز بن مروان وهو بمصر فطيف برأسه أيضاً هنالك ، ثم دفنوا رأسه بمصر وجثته بالرُّخَّج ، وقد قال بعض الشعراء في ذلك :

هيهاتَ موضعُ جثةٍ من رأسها رأس بمصرَ وجثةٌ بالرُّخَّج

وإنما ذكر ابن جرير مقتل الأشعث في سنة خمس وثمانين فالله أعلم .

وعبد الرحمن هذا وهو ابن محمد بن الأشعث بن قيس ، ومنهم من يقول عبد الرحمن بن قيس بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي الكوفي ، قد روى له أبو داود والنسائي[٥] عن أبيه عن جده عن

---

(١) ستأتي ترجمته بعد خبر موت ابن الأشعث .

(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر في الطبري (٦/ ٣٨٩ـ ٣٩٠) وابن الأثير (٤/ ٥١) .

(٣) في تاريخ الطبري (٦/ ٣٩٠) وابن الأثير (٤/ ٥٠٢) : أصابه السل ومات ، فقطع رتبيل رأسه قبل أن يدفن وأرسله إلى الحجاج .

(٤) في ط : « الرجح » ، مصحف ، وما أثبتناه مجود في نسخة م ، وهو الموافق لما في تاريخ الطبري (٦/ ٣٩١) وابن الأثير (٤/ ٥٢) .
ورُخَّج ـ بتشديد ثانيه ـ كورة ومدينة من نواحي كابل . معجم البلدان (٣/ ٣٨) .

(٥) سنن أبي داود رقم (٣٥١١) في البيوع والإجارات، وسنن النسائي الكبرى (٦٢٤٤)، وفي المجتبى (٧/ ٣٠٢) في البيوع.

عبد الله بن مسعود : حديث « إذا اختلف المتبايعان والسلعة قائمة فالقول ما قال البائع أو يتتاركان[١] » وعنه أبو العميس .

ويقال إن الحجاج قتله بعد التسعين سنة ، فالله أعلم . والعجب كل العجب من هؤلاء الذين بايعوه بالإمارة وليس من قريش ، وإنما هو كندي من اليمن ، وقد اجتمع الصحابة يوم السقيفة على أن الإمارة لا تكون إلا في قريش ، واحتج عليهم الصدِّيق بالحديث في ذلك ، حتى إن الأنصار سألوا أن يكون منهم أمير مع أمير المهاجرين فأبى الصدّيق عليهم ذلك ، ثم مع هذا كله ضرب سعد بن عبادة الذي دعا إلى ذلك أولًا ثم رجع عنه ، كما قررنا ذلك فيما تقدم .

فكيف يعمدون إلى خليفة قد بويع له بالإمارة على المسلمين من سنين فيعزلونه وهو من صليبة قريش ويبايعون لرجل كندي بيعة لم يتفق عليها أهل الحل والعقد ؟ ولهذا لما كانت هذه زلّة وفلتة نشأ بسببها شر كبير هلك فيه خلق كثير فإنا لله وإنا إليه راجعون .

أيوب ابن القِرِّيّة[٢] ، وهي أمه واسم أبيه يزيد بن قيس بن زُرارة بن مسلم النمري الهلالي ، كان أعرابياً أمياً ، وكان يضرب به المثل في فصاحته وبيانه وبلاغته ، صحب الحجاج ووفد على عبد الملك ، ثم بعثه رسولًا إلى ابن الأشعث فقال له ابن الأشعث : لئن لم تقم خطيباً فتخلع الحجاج لأضربن عنقك ، ففعل وأقام عنده ؛ فلما ظهر الحجاج استحضره وجرت له معه مقامات ومقالات في الكلام ، ثم آخر الأمر ضرب عنقه وندم بعد ذلك على ما فعل من ضرب عنقه ، ولكن ندم حيث لا ينفعه الندم . كما [قيل : وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل] .

وقد ذكره ابن عساكر في « تاريخه » وابن خلِّكان في « الوفيات » وأطال ترجمته وذكر فيها أشياء حسنة ، قال : والقِرِّيّة بكسر القاف وتشديد الياء وهي جدته واسمها جُماعة بنت جُشم ، قال ابن خلِّكان : ومن الناس من أنكر وجوده ووجود مجنون ليلى ، وابن أبي العقب صاحب الملحمة ، وهو يحيى بن عبد الله بن أبي العقب ، والله أعلم .

رَوْحُ بن زِنْباع[٣] بن سلامة الجذامي أبو زرعة ويقال أبو زنباع الدمشقي داره بدمشق في طرف

---

(١) في ط : « تشاركا » ، وما أثبتناه من م ، وهو الموافق لرواية أبي داود (٣٥١١) . ولفظ النسائي (٧/ ٣٠٢) : « أو يتركا » . وإسناده ضعيف ، وهو حديث حسن بطرقه .

(٢) ترجمة ـ أيوب بن القرية وخبر مقتله ـ في تاريخ الطبري (٦/ ٣٨٥) وتاريخ دمشق (١٠/ ١٤٠ ـ ١٤٣) وتهذيبه (٣/ ٢١٩) ووفيات الأعيان (١/ ٢٥٠) والكامل لابن الأثير (٤/ ٤٩٨) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٣) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٩٧) .

(٣) ترجمة ـ روح بن زنباع ـ في تاريخ خليفة (٤٤٠) وأنساب الأشراف (١/ ٣٦) ومواضع أخرى ، والاستيعاب (١/ ٥٢٥) وتاريخ البخاري (٣/ ٣٠٧) وتاريخ دمشق (١٨/ ٢٤٠ ـ ٢٥١) وأسد الغابة (٢/ ١٨٩) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٦١ ـ ٦٢) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٥١ ـ ٢٥٢) والوافي بالوفيات =

البزوريين[١] عند دار ابن أبي عقب صاحب الملحمة . وهو تابعي جليل ، روى عن أبيه ـ وكانت له صحبة ـ وتميم الداري ، وعُبادة بن الصامت ومعاوية وكعب الأحبار وغيرهم ، وعنه جماعة منهم عبادة بن نُسي . كان روح عند عبد الملك كالوزير لا يكاد يفارقه ، وكان مع أبيه مروان يوم مرج راهط ، وقد أمَّره يزيد بن معاوية على جند فلسطين ، وزعم مسلم بن الحجاج أن روح بن زنباع كانت له صحبة ، ولم يتابع مسلم على هذا القول ، والصحيح أنه تابعي وليس بصحابي ، ومن مآثره التي تفرد بها أنه كان كلما خرج من الحمَّام يعتق نسمة ، قال ابن زبر[٢] : مات سنة أربع وثمانين بالأردن ، وزعم بعضهم أنه بقي إلى أيام هشام [بن عبد الملك ، وقد حجَّ مرَّة فنزل على ماءٍ بين مكة والمدينة فأمر فأصلحت له أطعمة مختلفة الألوان ، ثم وضعت بين يديه ، فبينما هو يأكل إذ جاء راعٍ من الرعاة يرد الماء ، فدعاه رَوْحُ بن زِنباع إلى الأكل من ذلك الطعام ، فجاء الراعي فنظر إلى طعامه وقال : إني صائم ، فقال له رَوْح : في هذا اليوم الطويل الشديد الحر تصوم يا راعي ؟ فقال الراعي : أفأغبن أيامي من أجل طعامك ؟ ثم إن الراعي ارتاد لنفسه مكاناً فنزله وترك رَوح بن زنباع ، فقال روح بن زنباع :

لقد ضننتَ بأيامكَ يا راعي   إذ جـادَ بهـا روحُ بـنُ زنبـاعِ

ثم إن روحاً بكى طويلاً وأمر بتلك الأطعمة فرفعت ، وقال : انظروا هل تجدون لها آكلاً من هذه الأعراب أو الرعاة ؟ ثم سار من ذلك المكان وقد أخذ الراعي بمجامع قلبه وصغرت إليه نفسه والله سبحانه وتعالى أعلم][٣] .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين

فيها كما ذكر ابن جرير : كان مقتل عبد الرحمن بن الأشعث ، فالله أعلم .

وفيها عزل الحجاج عن إمرة خراسان يزيد بن المهلب وولى عليها أخاه المفضل بن المهلب ، وكان سبب ذلك أن الحجاج وفد مرة على عبد الملك فلما انصرف مرَّ بدير فقيل له : إن فيه شيخاً كبيراً من أهل الكتاب عالماً ، فدعي فقال : يا شيخ هل تجدون في كتبكم ما أنت فيه وما نحن فيه ؟ قال : نعم . قال له فما تجدون صفة أمير المؤمنين ؟ قال : نجده ملكاً أقرع ، من يقم في سبيله يصرع ، قال : ثم من ؟ قال : ثم رجل يقال له الوليد ، قال : ثم ماذا ؟ قال : ثم رجل اسمه اسم نبي يفتح به على الناس ، قال :

= (١٤/ ١٥٠) والأغاني (٩/ ٢٢٩) في ترجمة الحارث بن خالد ، والإصابة (١/ ٥٢٤) والنجوم الزاهرة (١/ ٢٠٥) وشذرات الذهب (١/ ٣٤٧) .

(١) البزوريين : من أسواق دمشق القديمة ، ويعرف بسوق القمح أيضاً . تاريخ ابن عساكر (٢/ ١٤٢) ط المجمع .

(٢) في ط ، أ : زيد ؛ تحريف ، والخبر في تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ، له (١/ ٢١٠) وتاريخ دمشق (١٨/ ٢٥١) .

(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر بطوله في تاريخ دمشق (١٨/ ٢٥٠ ـ ٢٥١) .

فتعرِّفني له ، قال : قد أخبرت بك . قال : أفتعرف مآلي ؟ قال : نعم ! قال : فمن يلي العراق بعدي ؟ قال رجل يقال له يزيد ، قال : أفي حياتي أم من بعد موتي ؟ قال : لا أدري ، قال : أفتعرف صفته ؟ قال : يغدر غَدْرَةً لا أعرف غيرها .

قال : فوقع في نفس الحجاج أنه يزيد بن المهلب ، وسار سبعاً وهو وجل من كلام الشيخ ، ثم بعث إلى عبد الملك يستعفيه من ولاية العراق ليعلم مكانته عنده ؟ فجاء الكتاب بالتقريع والتأنيب والتوبيخ والأمر بالثبات والاستمرار على ما هو عليه . ثم إن الحجاج جلس يوماً مفكراً واستدعى بعبيد بن موهب فدخل عليه وهو ينكت في الأرض فرفع رأسه إليه فقال : ويحك يا عبيد ، إن أهل الكتاب يذكرون أن ما تحت يده سيليه رجل يقال له يزيد ، وقد تذكرت يزيد بن أبي كبشة ويزيد بن حصين بن نمير ويزيد بن دينار وليسوا هناك ، وما هو إن كان إلا يزيد بن المهلّب . فقال عُبيد : لقد شرّفتهم وعظَّمتَ ولايتهم ، وإن لهم لقدراً وجلداً وحظاً ، فأخلق به .

فأجمع رأي الحجاج على عزل يزيد بن المهلّب ، فكتب إلى عبد الملك يذمه ويخوفه غدره ويخبره بما أخبره به ذلك الشيخ وكتب إليه عبد الملك : قد أكثرت في شأن يزيد فسمِّ رجلاً يصلح لخراسان ، فوقع اختيار الحجاج على المفضل بن المهلب فولاه قليلاً تسعة أشهر ، فغزا باذغيس[١] وغيرها وغنم مغانم كثيرة ، وامتدحه الشعراء ثم عزله بقتيبة بن مسلم .

قال ابن جرير[٢] : وفي هذه السنة قُتل موسى بن عبد الله بن خازم بترمذ ، ثم ذكر سبب ذلك وملخصه أنه بعد مقتل أبيه لم يبق بيده بلد يلجأ إليه بمن معه من أصحابه ، فجعل كلما اقترب من بلدة خرج إليه ملكها فقاتله ، فلم يزل ذلك دأبه حتى نزل قريباً من ترمذ وكان ملكها فيه ضعف ، فجعل يهادنه ويبعث إليه بالألطاف والتحف ، حتى جعل يتصيد هو وهو ، ثم عنّ للملك فعمل له طعاماً وبعث إلى موسى بن عبد الله بن خازم أن ائتني في مئة من أصحابك ، فاختار موسى من جيشه مئة من شجعانهم ، ثم دخل البلد فأكل من طعام الملك فلما فرغت الضِّيافة اضطجع موسى على جنبه في دار الملك وقال : والله لا أقوم من هنا حتى يكون هذا المنزل منزلي أو يكون قبري ، فثار أهل القصر إليه فجاحف عنه أصحابه ، ثم وقعت الحرب بينهم وبين أهل ترمذ ، فاقتتلوا فقتل من أهل ترمذ خلق كثير وهرب بقيتهم ، واستدعى موسى ببقية جيشه إليه واستحوذ موسى على البلد فحصَّنها ومنعها من الأعداء ، وخرج منها ملكها هارباً فلجأ إلى إخوانه من الأتراك فاستنصرهم فقالوا له : هؤلاء قوم في نحو من مئة رجل أخرجوكم من بلدكم ، لا طاقة

---

(١) في بعض الأصول : فغزا بلاد عبس . . . ، تحريف والتصحيح من نسخة م وتاريخ الطبري (٦/ ٣٩٧) .
وباذغيس : بفتح الذال ، وكسر الغين المعجمة ، وياء ساكنة ، وسين مهملة : ناحية تشتمل على قرى من أعمال هراة ومرو الروذ ، قصبتها بَوْن وبامَنين ، بلدتان متقاربتان رأيتهما غير مرة ، وهي ذات خير ورخص يكثر فيها شجر الفستق . . معجم البلدان (١/ ٣١٨) .

(٢) تاريخ الطبري (٦/ ٣٩٨) .

لنا بقتال هؤلاء . ثم ذهب ملك ترمذ إلى طائفة أخرى من الترك فاستصرخهم فبعثوا معه قصّاداً نحو موسى ليسمعوا كلامه ، فلما أحس بقدومهم ـ وكان ذلك في شدة الحر ـ أمر أصحابه أن يؤججوا ناراً ويلبسوا ثياب الشتاء ويدنوا أيديهم من النار كأنهم يصطلون بها ، فلما وصلت إليهم الرسل رأوا أصحابه وما يصنعون في شدة الحر فقالوا لهم : ما هذا الذي نراكم تفعلونه ؟ فقالوا لهم : إنا نجد البرد في الصيف والكرب في الشتاء ، فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا : ما هؤلاء بشر ، ما هؤلاء إلّا جنٌّ ثم عادوا فأخبروا ملكهم بما رأوا فقالوا : لا طاقة لنا بقتال هؤلاء . ثم ذهب صاحب ترمذ فاستجاش بطائفة أخرى فجاؤوا فحاصروه بترمذ وجاء الخزاعي[١] فحاصره أيضاً ، فجعل يقاتل الخزاعي أول النهار ويقاتل من آخره العجم ، ثم إن موسى بيّتهم فقتل منهم مقتلة عظيمة وأفزع ذلك عمرو[٢] الخزاعيَّ فصالحه وكان معه ، فدخل يوماً عليه وليس عنده أحد ، وليس يرى معه سلاحاً فقال له على وجه النصح : أصلح الله الأمير ، إن مثلك لا ينبغي أن يكون بلا سلاح ، فقال : إن عندي سلاحاً ، ثم رفع صدر فراشه فإذا سيفه منتضى فأخذه عمرو فضربه به حتى برد وخرج هارباً ، ثم تفرق أصحاب [الخزاعي ، وأتى بعضهم مستأمناً][٣] موسى بن عبد الله بن خازم .

قال ابن جرير[٤] : وفي هذه السنة عزم عبد الملك على عزل أخيه عبد العزيز بن مروان عن إمرة الديار المصرية ، وحسّن له ذلك رَوْح بن زنباع الجذامي ، فبينما هما في ذلك إذ دخل عليهما قبيصة بن ذؤيب في اللّيل ، وكان لا يحجب عنه في أي ساعة جاء من ليل أو نهار ، فعزّاه في أخيه عبد العزيز فندم على ما كان منه من العزم على عزله ، وإنما حمله على إرادة عزله أنه أراد أن يعهد بالأمر من بعده لأولاده الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام ، وذلك عن رأي الحجاج وتزيينه ذلك لعبد الملك ، وكان أبوه مروان عهد بالأمر إلى عبد الملك ثم من بعده إلى عبد العزيز ، فأراد عبد الملك أن ينحيه عن الإمرة من بعده بالكلية[٥] . وأن يجعل الخلافة باقية في عقبه . والله أعلم .

---

(١) وهو رجل أرسله أمية بن عبد الله بن خالد بن الوليد أمير خراسان على رأس جيش لقتال موسى . وانظر الطبري (٦/ ٤٠١) .

(٢) وهو عمرو بن خالد بن حصين الكلابي ، وكان من أصحاب موسى بن عبد الله بن خازم ، وهو صاحب المكيدة والتي قتل فيها الخزاعي فتفرق جيشه .
ولزيادة الإيضاح انظر الطبري (٦/ ٤٠٢) وابن الأثير (٤/ ٥٠٨-٥١٠) .

(٣) ما بين معكوفين زيادة من الطبري لا بد منها للإيضاح ، إذ في رواية ابن كثير رحمه الله بعض الاضطراب الناتج عن الاختصار .

(٤) تاريخ الطبري (٦/ ٤١٣) .

(٥) أورد الطبري (٦/ ٤١٤) وابن الأثير (٤/ ٥١٤) صور الكتب بين عبد الملك وأخيه عبد العزيز .

[عبد العزيز بن مروان][1]

وهو عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، أبو الأصبغ ، القرشي ، الأموي ، ولد بالمدينة ثم دخل الشام مع أبيه مروان بن الحكم ، وكان ولي عهده من بعد أخيه عبد الملك بن مروان ، وولاه أبوه إمرة الديار المصرية في سنة خمس وستين فكان والياً عليها إلى هذه السنة ، وشهد قتل عمرو بن سعيد بن العاص كما قدَّمنا ، وكانت له دار بدمشق وهي الدَّار التي للصوفية ، المعروفة بالخانقاه السميساطية[2] ثم كانت من بعده لولده عمر بن عبد العزيز ، [ثم تنقلت إلى أن صارت خانقاهاً للصوفية] .

وقد روى عبد العزيز بن مروان الحديث عن أبيه ، وعبد الله بن الزبير ، وعقبة بن عامر ، وأبي هريرة ، وحديثه عنه في مسند أحمد وسنن أبي داود أن رسول الله ﷺ قال : « شر ما في الرجل جبن خالع وشح هالع »[3] . وعنه ابنه عمر ، والزّهري ، وعُليُّ بن رباح وجماعة .

قال محمد بن سعد[4] : كان ثقة قليل الحديث ، وقال غيره : كان يلحن في الحديث وفي كلامه ، ثم تعلم العربية فأتقنها وأحسنها فكان من أفصح الناس ، وكان سبب ذلك أنه دخل عليه رجل يشكو إليه ختنه - وهو زوج ابنته - فقال له عبد العزيز : من خَتَنَك ؟ فقال الرجل : خَتنني الخاتن الذي يختن الناس ، فقال لكاتبه ويحك بماذا أجابني ؟ فقال الكاتب : يا أمير المؤمنين كان ينبغي أن تقول من خَتَنُكَ ، فآلى على نفسه أن لا يخرج من منزله حتى يتعلَّم العربية ، فمكث جمعة واحدة فتعلَّمها فخرج وهو من أفصح الناس ، وكان [بعد ذلك] يجزل عطاء من يعرب كلامه وينقص عطاء من يلحن فيه ، [فتسارع الناس في زمانه إلى تعلم العربية] . قال عبد العزيز يوماً إلى رجل : ممن أنت ؟ قال : من بنو عبد الدار ، فقال : تجدها في جائزتك ، فنقصه مئة دينار .

---

(١) ترجمة - عبد العزيز بن مروان - في طبقات ابن سعد (٥/ ٢٣٦) وتاريخ خليفة (٢٣٠) وطبقاته (٢٤٠) وأنساب الأشراف (٣/ ٧٣) ومواضع أخرى ، والمعرفة والتاريخ (١/ ٤٦٤) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٣٦/ ٣٤٥) ووفيات الأعيان (١/ ٢٤٠) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١-١٠٠/ ص١٣٢) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٤٩) وتهذيب التهذيب (٦/ ٣٥٦) وشذرات الذهب (١/ ٣٤٥) .

(٢) الخانقاه السميساطية - بسينين وطاء ومهملات - معروفة مشهورة عند باب الجامع الأموي الشمالي الذي كان يسمى بباب الناطفيين، وتنسب إلى أبي القاسم علي بن محمد بن يحيى السلمي الحبيشي السميساطي الذي نزل دمشق فكان من أكابر رؤسائها، وقد اشتراها ووقفها على الفقراء الصوفية، ووقف علوّها على الجامع الأموي . وتوفي سنة ٤٢٣هـ. الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي (٢/ ١٥١) ومنادمة الأطلال لبدران (٢٧٦) .

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٣٠٢) وأبو داود في سننه رقم (٢٥١١) في الجهاد ، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٦/ ٣٤٦) بأسانيد مختلفة ، وهو حديث صحيح .

(٤) الطبقات الكبرى (٥/ ٢٣٦) والخبر أيضاً في تاريخ دمشق (٣٦/ ٣٥٤ - ٣٥٥) .

وقال أبو يعلى الموصلي[١] : حدَّثنا مجاهد بن موسى ، حدَّثنا إسحاق بن يوسف ، أنبأنا سفيان ، عن محمد بن عجلان ، عن القعقاع بن حكيم قال : كتب عبد العزيز بن مروان إلى عبد الله بن عمر : ارفع إليّ حاجتك . فكتب إليه ابن عمر : إن رسول الله ﷺ قال : « اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول » . ولست أسألك شيئاً ولا أرد رزقاً رزقنيه الله عزَّ وجلَّ منك .

وقال ابن وهب : حدّثني يحيى بن أيوب ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سويد بن قيس قال : بعثني عبد العزيز بن مروان بألف دينار إلى ابن عمر قال : فجئت فدفعت إليه الكتاب فقال : أين المال ؟ فقلت : لا أستطيعه الليلة حتى أصبح ، قال : لا والله لا يبيت ابن عمر اللّيلة وله ألف دينار ، قال : فدفع إليّ الكتاب حتى جئته بها ففرقها رضي الله عنه[٢] .

ومن كلامه رحمه الله : عجباً لمؤمن يؤمن ويوقن أن الله يرزقه ويخلف عليه . كيف يحبس مالاً عن عظيم أجر وحسن سماع .

ولما حضرته الوفاة أُحضِر له مالٌ يخصه وإذا هو ثلاثمئة مُدٍّ من ذهب ، فقال : والله لوددت أنه بعر حائل بنجد[٣] .

وقال : والله لوددت أني لم أكن شيئاً مذكوراً ، ولوددت أن أكون هذا الماء الجاري ، أو نباته بأرض الحجاز[٤] .

وقال لهم : ائتوني بكفني الذي تكفنوني فيه ، فجعل يقول : أُفٍّ لكِ ما أقصَرَ طويلكِ ، وأقلَّ كثيرَكِ[٥] .

قال يعقوب بن سفيان عن ابن بكير عن اللَّيث بن سعد قال : كانت وفاته ليلة الإثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ست وثمانين[٦] .

قال ابن عساكر[٧] : وهذا وهم من يعقوب بن سفيان والصواب سنة خمس وثمانين ، فإنه مات قبل عبد الملك أخيه ، ومات عبد الملك بعده بسنة سنة ست وثمانين .

وقد كان عبد العزيز بن مروان من خيار الأمراء كريماً جواداً ممدحاً ، وهو والد الخليفة الراشد

---

(١) مسند أبي يعلى الموصلي (١٠/ ٩٧) رقم (٥٧٣٠) وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٦/ ٣٥٥) وهو حديث صحيح ، وهو في البخاري رقم (١٤٢٩) ومسلم (١٠٣٣) .

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي (٥/ ١٣٤) .

(٣) تاريخ دمشق (٣٦/ ٣٥٩) .

(٤) تاريخ دمشق (٣٦/ ٣٥٩) .

(٥) تاريخ دمشق (٣٦/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨) .

(٦) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٣٥) ولكن الذهبي صحح القول بأنه توفي سنة خمس وثمانين .

(٧) تاريخ دمشق (٣٦/ ٣٦٠) .

عمر بن عبد العزيز [وقد اكتسى عمر أخلاق أبيه وزاد عليه بأمور كثيرة . وكان لعبد العزيز من الأولاد غير عمر ، عاصم وأبو بكر ومحمد والأصبغ ـ مات قبله بقليل فحزن عليه حزناً كثيراً ومرض بعده ومات[١] ـ وكان له عدة بنات ، أم محمد وسهيل وأم عثمان وأم الحكم وأم البنين وهن من أمهات شتى ، وله من الأولاد غير هؤلاء ، مات بالمدينة التي بناها على مرحلة من مصر وحمل إلى مصر في النيل ودفن بها ، وقد ترك عبد العزيز من الأموال والأثاث والدواب من الخيل والبغال والإبل وغير ذلك ما يعجز عنه الوصف ؛ من جملة ذلك ثلاثمئة مدّ من ذهب غير الورِق ، مع جوده وكرمه وبذله وعطاياه الجزيلة ، فإنه كان من أعطى الناس للجزيل رحمه الله تعالى][٢] .

وقد ذكر ابن جرير[٣] أن عبد الملك بن مروان كتب إلى أخيه عبد العزيز وهو بالدِّيار المصرية يسأله أن ينزل عن العهد الذي له من بعده لولده الوليد أو يكون ولي العهد من بعده ، فإنه أعز الخلق عليّ . فكتب إليه عبد العزيز يقول : إني أرى في أبي بكر بن عبد العزيز ما ترى في الوليد . فكتب إليه عبد الملك يأمره بحمل خراج مصر [وقد كان عبد العزيز لا يحمل إليه شيئاً من الخراج ولا غيره ، وإنما كانت بلاد مصر بكمالها وبلاد المغرب وغير ذلك كلها لعبد العزيز ، مغانمها وخراجها وحملها][٤] فكتب إليه : إني وإياك يا أمير المؤمنين قد بلغنا سنًّا لا يبلغها[٥] أحد من أهل بيتك إلا كان بقاؤه قليلاً ، وإني لا أدري ولا تدري أينا يأتيه الموت أولاً ، فإن رأيت أن لا تعتب[٦] عليّ بقية عمري فافعل ، فرقَّ له عبد الملك وكتب إليه : لعمري لا أعتب[٧] عليك بقية عمرك .

وقال عبد الملك لابنه الوليد : إن يرد الله أن يعطيكها لا يقدر أحد من العباد على رد ذلك عنك ، ثم قال لابنه الوليد وسليمان : هل قارفتما محرّماً أو حراماً قط ؟ فقالا : لا والله ، فقال : الله أكبر ، نلتماهما وربِّ الكعبة .

ويقال إن عبد الملك لما امتنع أخوه من إجابته إلى ما طلب منه في بيعته لولده الوليد دعا عليه وقال : اللهم إنه قطعني فاقطعه ، فمات في هذه السنة كما ذكرنا ، فلما جاءه الخبر بموت أخيه عبد العزيز ليلاً حزن وبكى وبكى أهله بكاءً كثيراً على عبد العزيز ، ولكن سرَّه ذلك من جهة ابنيه فإنه نال فيها ما كان يؤمِّله

---

(١) ذكر الذهبي أنه توفي قبل أبيه بستة عشر يوماً ، فحزن عليه ومرض ، ومات بحلوان ، وهي المدينة التي بناها على مرحلة من مصر ، وحمل إلى مصر في النيل .
(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط .
(٣) تاريخ الطبري (٦/ ٤١٤) .
(٤) ما بين معكوفين زيادة من ط .
(٥) في أ ، ب : شيئاً لا يبلغه ؛ وما أثبت موافق لرواية الطبري .
(٦) في الطبري : لا تغثث أي لا تفسد .
(٧) في الطبري : لا أغثث .

لهما من ولايته إياهما العهد بعده . وقد كان الحجاج بعث إلى عبد الملك يزين له ولاية الوليد من بعده ، وأوفد إليه وفداً في ذلك عليهم عمران بن عصام العنزي[١] ، فلما دخلوا عليه قام عمران خطيباً فتكلّم ، وتكلّم الوفد في ذلك وحثّوا عبد الملك على ذلك وأنشد عمران بن عصام في ذلك :

أميرَ المؤمنينَ إليكَ نهدي ... على النأي التحية والسّلاما

أجبني في بنيكَ يكن جوابي ... لهمْ عاديَّة[٢] ولنا قواماً

فلو أنّ الوليدَ أُطاعُ فيهِ ... جَعلتَ لهُ الخلافةَ والذِّماما[٣]

شبيهكَ حولَ قبّتهِ قريشٌ ... بهِ يستمطِرُ الناسُ الغماما

ومثلكَ في التقى لم يصْبُ يوماً ... لدُنْ خلعَ القلائدَ والتماما

فإنْ تؤثر أخاك بها فإنّا ... وجدّكَ لا نُطيقُ لها اتّهاما

ولكنا نحاذرُ منْ بنيهِ ... بني العلاتِ مأثرة سماما

ونخشى إن جعلتَ الملكَ فيهمْ ... سحاباً أنْ تعودَ لهمْ جهاما[٤]

فلا يكُ ما حلبتَ غداً لقومٍ ... وبعدَ غدٍ بنوكَ هُمُ العِيامَا

فأُقسمُ لو تخَطَّأني عِصامٌ ... بذلكَ ما عذرتُ بهِ عصاما

ولوْ أني حبوتُ أخاً بفضلٍ ... أريدَ به المقالة والمقاما

لعقَّبَ في بنيّ على بنيهِ[٥] ... كذلكَ أوْ لرمتَ لهُ مراما

فمنْ يكُ في أقاربهِ صدوعٌ ... فصدعُ الملكِ أبطؤه التئاما

قال : فهاجه ذلك على أن كتب لأخيه يستنزله الخلافة للوليد فأبى عليه ، وقدّر الله سبحانه موت عبد العزيز قبل موت عبد الملك بعام واحد ، فتمكن حينئذ مما أراد من بيعة الوليد وسليمان ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

بيعة عبد الملك لولده الوليد ثم من بعده لولده سليمان بن عبد الملك

وكان ذلك في هذه السنة بعد موت عبد العزيز بن مروان ، بويع له بدمشق ثم في سائر الأقاليم للوليد ثم لسليمان من بعده ، ولما انتهت البيعة إلى المدينة امتنع سعيد بن المسيب أن يبايع في حياة عبد الملك

---

(١) في ط : العثري ، وما أثبت موافق للطبري .
(٢) في أ ، ب : عارية ؛ وما أثبت موافق للطبري .
(٣) في أ ، ب : الإماما ؛ وما أثبت موافق للطبري .
(٤) في أ ، ب : سجايا أن تعود لهم خصاما . وما أثبت موافق للطبري .
(٥) في أ ، ب : لعقّب في بنيه على بنيَّ .

لأحد ، فأمر به هشام بن إسماعيل نائب المدينة فضربه ستين سوطاً ، وألبسه ثياباً من شعر[١] وأركبه جملاً وطاف به في المدينة ، ثم أمر به فذهبوا إلى ثنية ذباب - وهي الثنية التي كانوا يصلبون عندها ويقتلون[٢] - فلما وصلوا إليها ردوه إلى المدينة فأودعوه السجن ، فقال لهم : والله لو أعلم أنكم لا تقتلوني لم ألبس هذه الثياب .

ثم كتب هشام بن إسماعيل المخزومي إلى عبد الملك يعلمه بمخالفة سعيد بن المسيب في ذلك ، فكتب إليه يعنِّفه في ذلك ويأمره بإخراجه ويقول له : إن سعيداً كان أحق منك بصلة الرَّحم مما فعلت به ، وإنّا لنعلم أن سعيداً ليس عنده شقاق ولا خلاف .

ويُروى أنه قال له : ما ينبغي إلا أن يبايع ، فإن لم يبايع ضربت عنقه أو خليت سبيله .

وذكر الواقدي أن سعيداً رحمه الله لما جاءت بيعة ابن الزبير إلى المدينة[٣] امتنع من البيعة فضربه نائبها في ذلك الوقت - وهو جابر بن الأسود بن عوف - ستين سوطاً أيضاً وسجنه فالله أعلم[٤] .

قال أبو مخنف وأبو معشر والواقدي[٥] : وحج بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل المخزومي نائب المدينة ، وكان على العراق والمشرق بكماله الحجاج . قال شيخنا الحافظ الذهبي[٦] :

وتوفي في هذه السنة :

أبان بن عثمان[٧] بن عفان أمير المدينة ، كان من فقهاء المدينة العشرة ، قاله يحيى القطان .

وقال محمد بن سعد[٨] : كان ثقة ، وكان به صمم ، ووضح كثير ، وأصابه الفالج قبل أن يموت .

عبد الله بن عامر بن ربيعة[٩] .

---

(١) في تاريخ الطبري (٦/ ٤١٦) : وألبسه المسوح ، وفي رواية أخرى : وطاف به في تبان - وهي سروال صغير يستر العورة -

(٢) في ط : وهي الثنية التي كانوا يصلون عندها ويقيلون ؛ وما أثبت موافق للطبري .

(٣) في الأصول : الوليد ؛ خطأ والتصحيح من الطبري .

(٤) جملة هذه الأخبار في تاريخ الطبري (٦/ ٤١٥ - ٤١٦) .

(٥) تاريخ الطبري (٦/ ٤١٧) وابن الأثير (٤/ ٥١٥) .

(٦) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ - ١٠٠/ ص٣٨ - ٣٩) .

(٧) ترجمة - أبان بن عثمان - في طبقات ابن سعد (٥/ ١٥١) وتاريخ خليفة (١٨٥) وطبقاته (٢٤٠) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٦٠) وتاريخ دمشق (٦/ ١٤٧) وتهذيبه (٢/ ١٣٤) وتهذيب الكمال (٢/ ١٦) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ - ١٠٠/ ص٣٨ - ٣٩) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٥١) والوافي بالوفيات (٥/ ٣٠٧) وشذرات الذهب (١/ ٣٦١) .

(٨) الطبقات الكبرى (٥/ ١٥٢) وعبارة ابن سعد : كان بأبان وضح كثير ، فكان يخضب موضعه من يده ولا يخضب في وجهه ، وكان به صمم شديد . والواضح أن المؤلف نقل عبارة الذهبي حرفياً .

(٩) ترجمة - عبد الله بن عامر - في طبقات ابن سعد (٥/ ٩) وتاريخ خليفة (٢٧٧) وطبقاته (٢٣) والمعرفة والتاريخ=

وعمرو بن حريث[١] .

وعمرو بن سلمة[٢] .

وواثلة بن الأسقع[٣] رضي الله عنه ، وقد كان واثلة بن الأسقع ممن نزل الصفَّةَ ، وشهد واثلة تبوك ثم شهد فتح دمشق ونزلها ، ومسجده بها عند حَبْس باب الصغير[٤] .

وكان آخر من توفي بدمشق من الصحابة ، قاله سعيد بن بشير .

وقد قال البخاري وغيره : إنه توفي سنة ثلاث وثمانين . والله أعلم[٥] .

وخالد بن يزيد بن معاوية[٦] بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ، كان أعلم قريش بفنون العلم ، وله يد طولى في الطب ، وكلام كثير في الكيمياء[٧] ، وكان قد استفاد ذلك من راهب اسمه مريانش ، وكان خالد فصيحاً بليغاً شاعراً مطبقاً كأبيه .

= (١/ ٢٥١) وأنساب الأشراف (١/ ٢١٨) وأسد الغابة (٣/ ٢٨٦) وتهذيب الكمال (١٥/ ١٤٠) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ص١١٤) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٥٢١) والإصابة (٢/ ٣٢٩) والوافي بالوفيات (١٧/ ٢٢٨) وشذرات الذهب (١/ ٣٤٩) .

(١) ترجمة ـ عمرو بن حريث ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ٢٣) وطبقات خليفة (٢٠) وأنساب الأشراف (١/ ٢٢٨) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٢٣) والاستيعاب (٢/ ٥١٥) وتهذيب الكمال (٢١/ ٥٨٠) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٦٥) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤١٧) والإصابة (٢/ ٥٣١) وشذرات الذهب (١/ ٣٤٧) .

(٢) ترجمة ـ عمرو بن سلمة ـ في الاستيعاب (٢/ ٥٤٤) وتهذيب الكمال (٢٢/ ٤٩) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ص١٦٦) وتهذيب التهذيب (٨/ ٤٢) والإصابة (٢/ ٥٤١) .

(٣) ترجمة ـ واثلة بن الأسقع ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٠٧) وتاريخ خليفة (٢٩١) وطبقاته (١٢٣) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٣٣٢) والاستيعاب (٣/ ٦٤٣) وأنساب الأشراف (١/ ٢٧٢) وحلية الأولياء (٢/ ٢١) وتاريخ دمشق (٦٢/ ٣٤٣) وأسد الغابة (٥/ ٧٧) ووفيات الأعيان (٥/ ٢٨١) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢١٦) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٨٣) والإصابة (٣/ ٦٢٦) وشذرات الذهب (١/ ٣٤٧) .

(٤) زاد في ط : من القبلة . قلت : وقد احترق مسجده في فتنة تمرلنك ولم يبق منه إلا رسومه ، وعلى بابه من الشرق قناة ماءٍ . وهي زيادة مقحمة من النساخ فالفتنة التيمورية وقعت بعد ابن كثير .

(٥) من قوله : وكان آخر من توفي . . . إلى هنا ساقط من ط ، والخبران في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢١٨) .

(٦) ترجمة ـ خالد بن يزيد ـ في تاريخ خليفة (٢٥٩) والمعرفة والتاريخ (١/ ٥٧١) وأنساب الأشراف (٣/ ٧٤) وتاريخ دمشق (١٦/ ٣٠٢) وتهذيبه (٥/ ١١٩) وأسد الغابة (٢/ ٩٧) ووفيات الأعيان (٢/ ٢٢٤) وتهذيب الكمال (٨/ ٢٠١) . وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٥٥) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٨٢) والإصابة (١/ ٤٦٩) والوافي بالوفيات (١٣/ ٢٧٠) وشذرات الذهب (١/ ٣٤٧) .

(٧) قال ابن خلكان : إنه يعرف الكيمياء ، وإنه صنف فيها ثلاث رسائل . الوفيات (٢/ ٢٢٤) وقال الذهبي معلقاً على هذا القول : وهذا لم يصح .

دخل يوماً على عبد الملك بن مروان بحضرة الحكم بن أبي العاص ، فشكا إليه أن ابنه الوليد يحتقر أخاه عبد الله بن يزيد ، فقال عبد الملك : ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ﴾ [النمل : ٣٤] فقال له خالد : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء : ١٦] فقال عبد الملك : والله لقد دخل عليّ أخوك عبد الله فإذا هو لا يقيم اللّحن ، فقال خالد : والوليد لا يقيم اللّحن ، فقال عبد الملك : إن أخاه سليمان لا يلحن ، فقال خالد : وأنا أخو عبد الله لا ألحن ، فقال الوليد ـ وكان حاضراً ـ لخالد بن يزيد : اسكت ، فوالله ما تُعدُّ في العير ولا في النفير ، فقال خالد : اسمع يا أمير المؤمنين ! ثم أقبل خالد على الوليد فقال : ويحك وما هو العير والنفير غير جدي أبي سفيان صاحب العير ، وجدي عتبة بن ربيعة صاحب النفير ، ولكن لو قلت غُنيمات وحُبيلات والطائف ، ورحم الله عثمان ، لقلنا صدقت ـ يعني أن الحكم كان منفياً بالطائف يرعى غنماً ويأوي إلى حُبيلة[1] الكرم حتى آواه عثمان بن عفان حين ولي ـ فسكت الوليد وأبوه ولم يحيرا جواباً ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة ست وثمانين

ففيها غزا قتيبة بن مسلم نائب الحجاج على مرو وخراسان ، بلاداً كثيرة من أرض الترك وغيرهم من الكفار ، وسبى وغنم وسلم وتسلَّم قلاعاً وحُصوناً وممالك ، ثم قَفل فسبق الجيش ، فكتب إليه الحجاج يلومه على ذلك ويقول له : إذا كنت قاصداً بلاد العدو فكن في مقدمة الجيش ، وإذا قفلت راجعاً فكن في ساقة جيشك ـ يعني لتكون ردءاً لهم من أن ينالهم أحد من العدو وغيرهم بكيد ـ وهذا رأي حسن وعليه جاءت السنة ، وكان في جملة السبي امرأة برمك[2] ـ والد خالد بن برمك ـ فأعطاها أخاه عبد الله بن مسلم فوطئها فحملت منه ، ثم إن قتيبة منَّ على السبي وردت تلك المرأة على زوجها برمك وهي حبلى من عبد الله بن مسلم ، وكان ولدها عندهم حتى أسلموا فقدموا معهم أيام بني العباس كما سيأتي . [ولما رجع قتيبة إلى خراسان تلقاه ملك الصغانيان[3] بهدايا عظيمة ، ومفتاح من ذهب][4] . وفيها كان

---

(١) حُبيلة ـ بالضم ـ : الكرمة . القاموس (حبل) .

(٢) برمك : هو جد البرامكة الذين استحوذوا على الأمور في عهد الخليفة هارون الرشيد العباسي ، ثم نكب بهم ، وكان هو كبير سدنة بيت النار ـ النوبهار ـ في بلخ ، والذي تقدسه المجوس .

(٣) في ط : دهاقين بلغار ، وهذا خطأ ، والتصحيح من الطبري (٦/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥) والخبر فيه أوسع مما هنا ، وابن الأثير (٤/ ٥٢٣) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٥) .

(٤) ما بين معكوفين زيادة من ط .

طاعون بالشام والبصرة وواسط ويسمى طاعون الفتيات لأنه أول ما بدأ بالنساء فسمي بذلك[١] .

وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم فقتل وسبى وغنم وسلم وافتتح حصن بولق وحصن الأفرم من أرض الروم[٢] .

وفيها عقد عبد الملك لابنه عبد الله على مصر وذلك بعد موت أخيه عبد العزيز فدخلها في جُمادى الآخرة ، وعمره يومئذ سبع وعشرون سنة[٣] .

وفيها هلك ملك الروم الأخرم لورى[٤] . لا رحمه الله .

وفيها حبس الحجاج يزيد بن المهلب[٥] .

وحج بالناس فيها هشام بن إسماعيل المخزومي .

وفي هذه السنة توفي :

أبو أمامة صُدَي بن عجلان[٦] الباهلي .

وعبد الله بن أبي أوفى[٧] .

وعبد الله بن الحارث بن جزء[٨] الزُّبَيْديّ في قول . شهد فتح مصر وسكَنها وهو آخر من مات من الصحابة بمصر . وفيها في النصف من شوال توفي :

---

(١) تاريخ خليفة (٢٩١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٥) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٦) وزاد الذهبي : ثم أقره أخوه الوليد عليها لما استخلف . أما ابن يونس فذكر أن الوليد عزل أخاه عبد الله عن مصر بقرة بن شريك أول ما استخلف .

(٤) كذا الأصل ، وفي تاريخ الإسلام : بوري .

(٥) زاد الطبري في تاريخه (٦/ ٤٢٦) : وعزل حبيب بن المهلّب عن كرمان ، وعبد الملك بن المهلّب عن شرطته .

(٦) ترجمة ـ صدي بن عجلان ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤١١) وتاريخ خليفة (٢٩٢) وطبقاته (٤٦) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٣٥٣) والاستيعاب (٢/ ١٩٨) وتاريخ دمشق (٢٤/ ٥٠) وتهذيبه (٦/ ٤١٩) وأسد الغابة (٣/ ١٦) وتهذيب الكمال (١٣/ ١٥٨) وتاريخ الإسلام للذهبي (٥/ ٢٢٦) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥٩) والإصابة (٢/ ١٨٢) وتهذيب التهذيب (٤/ ٤٢٠) والوافي بالوفيات (١٦/ ٣٠٥) وشذرات الذهب (١/ ٣٥١) .

(٧) ترجمة ـ عبد الله بن أبي أوفى ـ في طبقات ابن سعد (٤/ ٣٠١) وتاريخ خليفة (٢٩٢) وطبقاته (١١٠) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢٦٥) وأنساب الأشراف (١/ ٢٤٨) والاستيعاب (٢/ ٢٦٤) وأسد الغابة (٣/ ١٢١) ووفيات الأعيان (٢/ ٤٠٠) وتهذيب الكمال (١٤/ ٣١٧) وتاريخ الإسلام (٥/ ٩٨) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٢٨) والوافي بالوفيات (١٧/ ٧٨) والإصابة (٢/ ٢٧٩) .

(٨) ترجمة ـ عبد الله بن الحارث بن جزء ـ في تاريخ ابن معين (٢/ ٣٠٠) وتهذيب الكمال (١٤/ ٤٠٢) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٠٧) والوافي بالوفيات (١٧/ ١١٧) .

أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان[١] والد الخلفاء ، وهو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، أبو الوليد الأموي ، أمير المؤمنين ، وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية .

سمع عثمان بن عفان وشهد الدار مع أبيه وله عشر سنين ، وهو أول من سار بالناس في بلاد الروم سنة ثنتين وأربعين ، وكان أميراً على أهل المدينة ، وله ست عشرة سنة ، ولّاه إياها معاوية[٢] ، كان يجالس الفقهاء والعلماء والعبّاد والصلحاء .

وروى عن : أبيه ، وجابر ، وأبي سعيد الخدري ، وأبي هريرة ، وابن عمر ، ومعاوية ، وأم سلمة ، وبريرة مولاة عائشة ، وروى عنه جماعة : منهم خالد بن معدان ، وعروة ، والزّهري ، وعمرو بن الحارث ، ورجاء بن حيوة ، وحريز بن عثمان .

ذكر عن محمد بن سيرين أن أباه كان قد سماه القاسم فكان يكنى به ، فلما بلغه النهي عن التكني بأبي القاسم غيّر اسمه فسماه عبد الملك ، قال ابن أبي خيثمة ومصعب الزبيري : فكان أول من سمي في الإسلام بعبد الملك ، وأول من سمي في الإسلام أحمد والد الخليل بن أحمد العروضي ، وبويع له بالخلافة في سنة خمس وستين في حياة أبيه في خلافة ابن الزبير ، واستقل بالخلافة على سائر البلاد والأقاليم بعد مقتل ابن الزبير ، وذلك في سنة ثلاث وسبعين إلى هذه السنة كما ذكرنا ذلك .

وكان مولده ومولد يزيد بن معاوية في سنة ست وعشرين ، وقد كان عبد الملك قبل الخلافة من العباد الزهاد الفقهاء الملازمين للمسجد التالين للقرآن[٣] ، وكان ربعة من الرجال أقرب إلى القصر وكانت أسنانه مشبكة بالذهب ،وكان أفوه مفتوح الفم ، ربما غفل فينفتح فمه فيدخل فيه الذباب ولهذا كان يقال أبو الذباب[٤] . وكان أبيض ربعة ليس بالنحيف ولا البادن ، مقرون الحاجبين أشهل ، كبير العينين مشرف الأنف ، رقيق الوجه أبيض الرأس واللحية حسن الوجه ولم يخضب ، وقال إنه خضب بعد .

وقد قال نافع : لقد رأيت المدينة وما فيها شاب أشد تشميراً ولا أفقه ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك بن مروان .

---

(١) ترجمة ـ عبد الملك بن مروان ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٢٢٣) وتاريخ خليفة (٥٦٢) وطبقات خليفة (٢٤٠) والمعرفة والتاريخ (١/ ٥٦٣) وأنساب الأشراف (١/ ٢٢) ومواضع أخرى ، وتاريخ دمشق (٣٧/ ١١٠) ووفيات الأعيان (٢/ ٢٩) وتهذيب الكمال (١٨/ ٤٠٨) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٣٥) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٤٦) وتهذيب التهذيب (٦/ ٤٢٢) والنجوم الزاهرة (١/ ٢١٢) وشذرات الذهب (١/ ٣٥٢) .

(٢) نفى الذهبي هذه المقولة وقال : وإنما استعمل أباه . السير (٤/ ٢٤٧) .

(٣) طبقات ابن سعد (٥/ ٢٣٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص١٣٩) .

(٤) في ب : أبو الذبان .

وقال الأعمش ، عن أبي الزناد : كان فقهاء المدينة أربعة سعيد بن المسيب ، وعروة ، وقبيصة بن ذؤيب ، وعبد الملك بن مروان قبل أن يدخل في الإمارة . وعن ابن عمر أنه قال : ولَدَ الناسُ أبناءً وولد مروانُ أباً ـ يعني عبد الملك ـ ورآه يوماً ـ وقد ذكر اختلاف الناس ـ فقال لو كان هذا الغلام اجتمع الناس عليه .

وروي عن عبد الملك أنه قال : كنت أجالس بريدة بن الحصيب فقال لي يوماً : يا عبد الملك إن فيك خصالاً ، وإنك لجدير أن تلي أمر هذه الأمة ، فاحذر الدماء فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الرجل ليدفع عن باب الجنة بعد أن ينظر إليها على محجمة من دم يريقه من مسلم بغير حق »[١] .

وقد أثنى عليه قبل الولاية معاوية وعمرو بن العاص في قصة طويلة .

وقال سعيد بن داود الزُّبيري : عن مالك ، عن يحيى بن سعيد قال : كان أول من صلى ما بين الظهر والعصر عبد الملك بن مروان وفتيان معه ، فقال سعيد بن المسيب : ليست العبادة بكثرة الصلاة والصوم ، إنما العبادة التفكر في أمر الله والورع عن محارم الله[٢] .

وقال الشعبي : ما جالست أحداً إلا وجدت لي الفضل عليه إلا عبد الملك بن مروان فإنّي ما ذاكرته حديثاً إلا زادني منه ، ولا شِعراً إلا زادني فيه .

وذكر خليفة بن خياط[٣] : أن معاوية كتب إلى مروان وهو أمير المدينة سنة خمسين أن ابعث ابنك عبد الملك على بعث المدينة إلى بلاد المغرب مع معاوية بن حُديج ، فذكر من كفايته وغنائه ومجاهدته في تلك البلاد شيئاً كثيراً .

ولم يزل عبد الملك مقيماً بالمدينة حتى كانت وقعة الحرّة ، واستولى ابن الزبير على بلاد الحجاز ، وأجلى بني أمية من هنالك ، فقدم مع أبيه الشام ، ثم لما صارت الإمارة مع أبيه وبايعه أهل الشام وقتل الضحاك بن قيس كان مع أبيه مدة ولايته وكانت تسعة أشهر ، ولم يمت أبوه حتى عهد إليه بالإمارة من بعده ثم لعبد العزيز ، فاستقل عبد الملك بالخلافة في مستهل رمضان أو ربيع الأول من سنة خمس وستين ، واجتمع الناس عليه بعد مقتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين في جمادى الأولى إلى هذه السنة .

وقال ثعلب عن ابن الأعرابي : لما سُلِّم على عبد الملك بالخلافة كان في حجره مصحف فأطبقه وقال : هذا فراق بيني وبينك[٤] .

---

(١) الحديث رواه الطبراني في الكبير (٢٤/ ٢٠٥) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٩٨) وقال : رواه الطبراني ، وفيه عبد الخالق بن زيد بن واقد ؛ ضعيف ، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٧/ ١١٢) .

(٢) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٣٩) .

(٣) تاريخ خليفة (٢١٠ ـ ٢١١) .

(٤) تاريخ بغداد (١٠/ ٣٨٨) ومن طريقه في تاريخ دمشق (٣٧/ ١٢٧) .

وقال أبو الطفيل : صنع لعبد الملك مجلس بويع فيه[1] ، وقد كان بني له فيه قبة قبل ذلك ، فدخله وقال : لقد كان ابن حَنْتَمة[2] الأحوزي ـ يعني عمر بن الخطاب ـ يرى أن هذا عليه حرام ، وقيل إنه لما وضع المصحف من حجره قال : هذا آخر العهد منك .

[وكان عبد الملك له إقدام على سفك الدماء ، وكان حازماً فهما فطناً سائساً لأمور الدنيا ، لا يكل أمر دنياه إلى غيره ، وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص ، وأبوها معاوية هو الذي جدع أنف حمزة عم النبي ﷺ يوم أُحد][3] .

وقال سعيد بن عبد العزيز : لما خرج عبد الملك إلى العراق لقتال مصعب بن الزبير خرج معه يزيد بن الأسود الجرشي ، فلما التقوا قال : اللهم احجز بين هذين الجبلين ولِّ الأمر أحبهما إليك . وقد ذكرنا كيفية قتله مصعباً ودخوله الكوفة ، ووضعه رأس مصعب بين يديه ، وقد كان من أعز الناس عليه وأحبهم إليه . وقال سعيد بن عبد العزيز : لما بويع لعبد الملك بالخلافة كتب إليه عبد الله بن عمر بن الخطاب : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله بن عمر إلى عبد الملك أمير المؤمنين ! سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فإنك راع وكل راع مسؤول عن رعيته ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾ [النساء : ٨٧] لا أحد ، والسلام . وبعث به مع سلام ، فوجدوا عليه إذ قدَّم اسمه على اسم أمير المؤمنين ، ثم نظروا في كتبه إلى معاوية فوجدوها كذلك ، فاحتملوا ذلك منه[4] .

وقال الواقدي : حدثني ابن أبي سَبْرَة[5] ، عن أبي موسى الحنّاط ، عن ابن كعب قال : سمعت عبد الملك بن مروان يقول : يا أهل المدينة أنا أحق الناس أن يلزم الأمر الأول ، وقد سالت علينا أحاديث من قِبَل هذا المشرق ولا نعرفها ولا نعرف منها إلا قراءة القرآن ، فالزموا ما في مصحفكم الذي جمعكم[6] عليه الإمام المظلوم ، وعليكم بالفرائض التي جمعكم عليها إمامكم المظلوم رحمه الله ، فإنه قد استشار في ذلك زيد بن ثابت ونعم المشير كان للإسلام رحمه الله ، فأحكما ما أحكما وأسقطا ما شذ عنهما[7] .

وقال ابن جريج عن أبيه : حجَّ علينا عبد الملك سنة خمس وسبعين بعد مقتل ابن الزبير بعامين ،

---

(١) في ط : « توسع فيه » ، وما أثبتناه من م وتاريخ دمشق (٣٧/ ١٣٠) .
(٢) حنتمة ـ أم عمر رضي الله عنه ـ وهي بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .
(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط .
(٤) تاريخ دمشق (٣٧/ ١٣٢) وفي الأدب المفرد رقم (١١١٩) بإسناد صحيح أنه بدأ باسم عبد الملك وكذلك رقم (١١٢٤) بإسناد صحيح أنه بدأ باسم معاوية . وجاء في صحيح البخاري (٧٢٠٥) في الأحكام أنه كتب إليه : « إلى عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين » ولم يسم نفسه في الكتاب ، فيكون تقديره : « من ابن عمر إلى عبد الملك » .
(٥) في ط : ميسرة ؛ تحريف .
(٦) في ط : « حملكم » ، وما أثبتناه من م وهو الموافق لما في الطبقات الكبرى وتاريخ دمشق .
(٧) الخبر بنصه في الطبقات الكبرى (٥/ ٢٣٣) وتاريخ دمشق (٣٧/ ١٣٥) .

فخطبنا فقال : أما بعد فإنه كان مَنْ قبلي من الخلفاء يأكلون من المال ويؤكلون ، وإني والله لا أداوي أدواء هذه الأمة إلا بالسيف ، ولست بالخليفة المستضعف ـ يعني عثمان ـ ولا الخليفة المداهن ـ يعني معاوية ـ ولا الخليفة المأبون ـ يعني يزيد بن معاوية ـ أيها الناس إنا نحتمل منكم على اللّغوبة[1] ما لم يكن عقد راية أو وُثوب على منبر : هذا عمرو بن سعيد حقه حقه ، وقرابته قرابة ، قال برأسه هكذا فقلنا بسيفنا هكذا ، وإن الجامعة التي خلعها من عنقه عندي ، وقد أعطيت الله عهداً أن لا أضعها في رأس أحد إلا أخرجها الصعداء ، فليبلغ الشاهد الغائب[2] .

وقال الأصمعي : حدّثنا عبّاد بن سلم بن عثمان بن زياد[3] ، عن أبيه ، عن جده . قال : ركب عبد الملك بن مروان بَكراً فأنشأ قائده يقول :

يــا أيهــا البَكــرُ الــذي أراكــا عليكَ سهـلُ الأرضِ فـي ممشـاكـا
ويحـكَ هـلْ تعلـمُ مـن عـلاكـا خليفــةُ الله الــذي امتطــاكــا
لم يَحْبُ بَكْراً مثلَ ما حباكا

فلما سمعه عبد الملك قال : إيهاً يا هناه ، قد أمرت لك بعشرة آلاف .

وقال الأصمعي : خطب عبد الملك فحصر فقال : إن اللسان بضعة من الإنسان ، وإنا نسكت حصراً ولا ننطق هذراً ، ونحن أمراء الكلام ، فينا رسخت عروقه ، وعلينا تدلّت أغصانه ، وبعد مقامنا هذا مقام وبعد عيِّنا هذا مقال ، وبعد يومنا هذا أيام ، يعرف فيها فصل الخطاب ومواضع الصواب .

قال الأصمعي : قيل لعبد الملك أسرع إليك الشيب ، فقال : وكيف لا وأنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين ؟ وقال غيره قيل لعبد الملك : أسرع إليك الشيب ، فقال : شيبتني كثرة ارتقاء المنبر ومخافة اللحن ؟ .

ولَحن رجلٌ عند عبد الملك ـ يعني أسقط من كلامه أَلِفاً ـ فقال له : عبد الملك : زِدْ أَلِفاً ، فقال له الرجل : وأنت فزدْ ألفاً[4] .

وقال الزهري : سمعت عبد الملك يقول في خطبته : إن العلم سيقبض قبضاً سريعاً ، فمن كان عنده علم فليظهره غير غالٍ فيه ولا جاف عنه .

وروى ابن أبي الدنيا أن عبد الملك كان يقول لمن يسايره في سفره إذا رفعت له شجرة : سبِّحوا بنا

---

(١) في الأصل : الغرمة ، وأثبت ما ورد في تاريخ خليفة ؛ واللّغوبة : الضعف ، واللّغوب : الأحمق .
(٢) الخبر في تاريخ خليفة (ص٢٧٣) وتاريخ دمشق (٣٧/ ١٣٥) .
(٣) في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٤٠) : عباد بن مسلم بن زياد ، والخبر بسنده ومتنه في تاريخ دمشق (٣٧/ ١٣٦) .
(٤) الخبر والذي قبله في تاريخ الإسلام (ص١٤٠ ـ ١٤٢) وتاريخ دمشق (٣٧/ ١٣٨ ـ ١٣٩) .

حتى نأتي تلك الشجرة ، ثم ترفع أخرى فيقول : كبروا حتى نأتي تلك الشجرة ، ونحو ذلك[١] .

وروى البيهقي[٢] : أن عبد الملك وقع منه فلس في بئر قذرة فاكترى عليه بثلاثة عشر ديناراً حتى أخرجه منها ، فقيل له في ذلك ، فقال : إنه كان عليه اسم الله عزَّ وجلَّ .

وقال غير واحد[٣] : كان عبد الملك إذا جلس للقضاء بين الناس يقوم السيَّافون على رأسه بالسيف فينشد ، وقال بعضهم : يأمر من ينشد فيقول :

إنا إذا نالتْ دواعي الهوى ... وأنصتَ السامعُ للقائلِ

واصطرعَ الناسُ بألبابهم ... نقضي بحكم عادلٍ فاصلِ

لا نجعلُ الباطلَ حقاً ولا ... نلط[٤] دونَ الحقِّ بالباطلِ

نخافُ أنْ تسفهَ أحلامنا ... فنحمل الدَّهر مع الخاملِ[٥]

وقال الأعمش: أخبرني محمد بن الزبير: أن أنس بن مالك كتب إلى عبد الملك يشكو الحجاج ويقول في كتابه : لو أن رجلاً آوى عيسى ليلة واحدة أو خدمه لعرفته النصارى أو تعرف مكانه لهاجرت إليه ملوكهم ، ولنزل من قلوبهم بالمنزلة العظيمة ، ولعرفوا له ذلك ، ولو أن رجلاً خدم موسى أو رآه تعرفه اليهود لفعلوا به من الخير والمحبة وغير ذلك ما استطاعوا ، وإني خادم رسول الله ﷺ وصاحبه ورأيته وأكلت معه ، ودخلت وخرجت وجاهدت معه أعداءه ، وإن الحجاج قد أضر بي وفعل وفعل ، قال : فأخبرني من شهد عبد الملك يقرأ الكتاب وهو يبكي وبلغ به الغضب ما شاء الله ، ثم كتب إلى الحجاج بكتاب غليظ[٦] ، فجاء إلى الحجاج فقرأه فتغيّر ثم قال إلى حامل الكتاب : انطلق بنا إليه [نترضَّاه] .

وقال أبو بكر بن دريد : كتب عبد الملك إلى الحجاج في أيام ابن الأشعث : إنك أعز ما تكون بالله أحوج ما تكون إليه ، وأذل ما تكون للمخلوق أحوج ما تكون إليه ، وإذا عززت بالله فاعف له ، فإنك به تعزُّ وإليه ترجع[٧] .

وقال بعضهم : سأل رجل من عبد الملك أن يخلو به فأمر من عنده بالانصراف ، فلما تهيأ الرجل

---

(١) تاريخ دمشق (٣٧/ ١٣٩) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٧/ ١٣٩ ـ ١٤٠) .

(٣) الخبر والأبيات في تاريخ دمشق (٣٧/ ١٤٠) والعقد الفريد (٤/ ٣٧٥) .

(٤) في ط : « نلفظ » ، وما أثبتناه من م ، وهو الموافق لما في تاريخ دمشق . ولط الغريم بالحق دون الباطل وألط : دافع ومنع الحق (اللسان : لطط) .

(٥) في ط : « فنجهل الحق مع الجاهل » ، وما أثبتناه من م وهو الموافق لما في تاريخ دمشق .

(٦) نص الكتاب في تاريخ دمشق (٣٧/ ١٤١) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٩٥) وسير أعلام النبلاء ٣٠/ ٤٠٢) .

(٧) تاريخ دمشق (٣٧/ ١٤١ ـ ١٤٢) .

ليتكلم قال له عبد الملك : احذر في كلامك ثلاثاً ، إياك أن تمدحني فإني أعلم بنفسي منك ، أو تكذبني فإنه لا رأي لكذوب ، أو تسعى إليّ بأحد [من الرعية فإنهم إلى عدلي وعفوي أقرب منهم إلى جوري وظلمي][1] وإن شئت أقلتك . فقال الرجل : أقلني فأقاله .

وكذا كان يقول للرسول إذا قدم عليه من الآفاق : اعفني من أربع وقل ما شئت ، لا تطرني ، ولا تجبني فيما لا أسألك عنه ، ولا تكذبني ، ولا تحملني على الرعية فإنهم إلى رأفتي ومعدلتي أحوج[2] .

وقال الأصمعي عن أبيه قال : أُتي عبد الملك برجل كان مع بعض من خرج عليه فقال : اضربوا عنقه ، فقال : يا أمير المؤمنين ما كان هذا جزائي منك ، فقال : وما جزاؤك ؟ فقال : والله ما خرجت مع فلان إلا بالنظر لك ، وذلك أني رجل مشؤوم ما كنت مع رجلٍ قط إلا غُلب وهُزم ، وقد بان لك صحة ما ادّعيت ، وكنت عليك خيراً من مئة ألف معك [تنصحك ، لقد كنت مع فلان فكُسر وهُزم وتفرق جمعه ، وكنت مع فلان فقُتل ، وكنت مع فلان فهُزم ـ حتى عَدَّ جماعة من الأمراء ـ] فضحك وخلّى سبيله[3] .

وقيل لعبد الملك : أي الرجال أفضل ؟ قال : من تواضع عن رفعة ، وزهد عن قدرة ، وترك النصرة عن قوة[4] .

وقال أيضاً : لا طمأنينة قبل الخبرة ، فإن الطمأنينة قبل الخبرة ضد الحزم[5] .

وقال : خير المال ما أفاد حمداً ودفع ذماً ، ولا يقولن أحدكم ابدأ بمن تعول ، فإن الخلق كلهم عيال الله ، وينبغي أن يحمل هذا على غير ما ثبت به الحديث .

وقال المدائني : قال عبد الملك لمؤدب أولاده ـ وهو إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر ـ : علِّمهم الصدق كما تعلِّمُهم القرآن ، وجنّبهم السفلة فإنهم أسوأ الناس رغبة في الخير وأقلهم أدباً ، وجنبهم الحشم فإنهم لهم مفسدة ، واحف شعورهم تغلظ رقابهم ، وأطعمهم اللحم يقووا ، وعلمهم الشعر يمجدوا وينجدوا ، ومرهم أن يستاكوا عرضاً ، ويمصوا الماء مصاً ، ولا يعبُّوا عبّاً ، وإذا احتجت أن تتناولهم فتناولهم بأدب فليكن ذلك في سرٍّ لا يعلم بهم أحد من الغاشية فيهونوا عليهم[6] .

وقال الهيثم بن عدي : أذن عبد الملك للناس في الدخول عليه إذناً خاصاً ، فدخل شيخ رث الهيئة لم يأبه له الحرس ، فألقى بين يدي عبد الملك صحيفة وخرج فلم يدر أين ذهب ، وإذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، يا أيها الإنسان إن الله قد جعلك بينه وبين عباده فاحكم بينهم ﴿ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط .
(٢) تاريخ دمشق (٣٧/ ١٤٢ ـ ١٤٣) .
(٣) تاريخ دمشق (٣٧/ ١٤٣) .
(٤) المصدر نفسه (٣٧/ ١٤٤) .
(٥) تاريخ دمشق (٣٧/ ١٤٥) .
(٦) المصدر نفسه (٣٧/ ١٤٧ ـ ١٤٨) .

عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [ص : ٢٦] ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المطففين : ٤ ـ ٦] ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ [هود : ١٠٣] ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴾ [هود : ١٠٤] إن اليوم الذي أنت فيه لو بقي لغيرك ما وصل إليك ، ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ﴾ [النمل : ٥٢] وإني أحذرك يوم ينادي المنادي ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾ [الصافات : ٢٢] ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود : ١٨] قال فتغيّر وجه عبد الملك فدخل دار حرمه ولم تزل الكآبة في وجهه بعد ذلك أياماً[١] .

وكتب زرّ بن حبيش إلى عبد الملك كتاباً وفي آخره : ولا يطمعك يا أمير المؤمنين في طول البقاء ما يظهر لك في صحتك فأنت أعلم بنفسك واذكر ما تكلّم به الأولون :

إذا الرجالُ ولدتْ أولادها ... وبَلِيت من كِبَرٍ أجسادُها
وجعلت أسقامُها تعتادُها ... تلكَ زروعٌ قد دَنا حَصادُها

فلما قرأه عبد الملك بكى حتى بلّ طرف ثوبه ، ثم قال : صَدَقَ زِرّ ، ولو كتب إلينا بغير هذا كان أرفق[٢] .

وسمع عبد الملك جماعة من أصحابه يذكرون سيرة عمر بن الخطاب فقال : أنهى عن ذكر عمر فإنه مرارة للأمراء مفسدة للرعية .

وقال إبراهيم بن هشام بن يحيى الغسّاني[٣] ، عن أبيه عن جده قال : كان عبد الملك يجلس في حلقة أم الدرداء في مؤخر المسجد بدمشق ، فقالت له : بلغني أنك شربت الطلاء[٤] بعد العبادة والنسك ، فقال : إي والله ، والدماء أيضاً قد شربتها[٥] . ثم جاءه غلام كان قد بعثه في حاجة فقال : ما حبسك لعنك الله ؟ فقالت أم الدرداء : لا تفعل يا أمير المؤمنين فإني سمعت أبا الدرداء يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يدخل الجنة لعّان »[٦] .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدّثنا الحسين بن عبد الرحمن[٧] ، قال : قيل لسعيد بن المسيّب : إن عبد الملك بن مروان قال : قد صرت لا أفرح بالحسنة أعملها ، ولا أحزن على السيئة أرتكبها ، فقال سعيد : الآن تكامل موت قلبه .

---

(١) تاريخ دمشق (٣٧/ ١٤٨ ـ ١٤٩) .
(٢) المصدر نفسه (٣٧/ ١٤٩) .
(٣) تحرفت في ط إلى : القباني .
(٤) الطلاء : المطبوخ من عصير العنب ، وذهب ثلثاه . القاموس (طلو) .
(٥) الخبر إلى هنا في تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٤٢) .
(٦) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٧/ ١٥١ ـ ١٥٢). وإسناده ضعيف جداً، فإن إبراهيم الغساني متروك وكذّبه أبو حاتم الرازي، كما في ميزان الذهبي (١/ ٧٢) .
(٧) في تاريخ دمشق (٣٧/ ١٥٣) : الحسين بن عبد الملك .

وقال الأصمعي عن أبيه عن جده قال : خطب عبد الملك يوماً خطبة بليغة ثم قطعها وبكى بكاء شديداً ثم قال : يا ربّ إن ذنوبي عظيمة ، وإن قليل عفوك أعظم منها ، اللهمّ فامح بقليل عفوك عظيم ذنوبي . قال : فبلغ ذلك الحسن فبكى وقال : لو كان كلام يكتب بالذهب لكتب هذا الكلام[١] . وقد روي عن غير واحد نحو ذلك ، أي : أنه لما بلغه هذا الكلام قال مثل ما قال الحسن .

وقال أبو مسهر الدمشقي : وضع سماط عبد الملك يوماً بين يديه فقال لحاجبه : ائذن لخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، فقال : مات يا أمير المؤمنين ، قال : فلأبيه عبد الله بن خالد بن أسيد ، قال : مات ، قال : فلخالد بن يزيد بن معاوية ، قال : مات ، قال فلفلان وفلان ـ حتى عدّ أقواماً قد ماتوا وهو يعلم ذلك ، فبكى وأمر برفع السماط وأنشأ يقول :

ذَهَبَتْ لِدَاتي وانقضَتْ أيامُهمْ وغبرتُ بعدَهمُ ولستَ بخالدِ[٢]

[وقيل : إنه لما احتضر دخل عليه ابنه الوليد فبكى فقال له عبد الملك : ما هذا ؟ أتحن حنين الجارية والأمة ؟ إذا أنا متُّ فشمر واتّزر والبس جلد النمر ، وضع الأمور عند أقرانها ، واحذر قريشاً . ثم قال له : يا وليد اتق الله فيما أستخلفك فيه ، واحفظ وصيتي ، وانظر إلى أخي معاوية ، فصل رحمه واحفظني فيه ، وانظر إلى أخي محمد فأمّره على الجزيرة ولا تعزله عنها ، وانظر إلى ابن عمنا علي بن عباس فإنه قد انقطع إلينا بمودّته ونصيحته وله نسب وحق ، فصلْ رحمه واعرف حقه ، وانظر إلى الحجّاج بن يوسف فأكْرمه فإنّه هو الذي مهّد لك البلاد ، وقَهَر الأعداء وخلّص لكم الملك ، وشتت الخوارج ، وأنهاك وإخوتك عن الفرقة وكونوا أولاد أم واحدة ، وكونوا في الحرب أحراراً ، وللمعروف مناراً ، فإن الحرب لم تدن منية قبل وقتها ، وإن المعروف يشيد ذكر صاحبه ويميل القلوب بالمحبة ، ويذلل الألسنة بالذكر الجميل ، ولله در القائل :

إنَّ الأمورَ[٣] إذا اجتمعن فَرَامَها بالكسرِ ذو حَنَقٍ وبطشٍ مفند[٤]
عزّت فلمْ تكسرْ وإن هي بُدِّدَتْ فالكسر والتوهينُ للمتبدِّدِ[٥]

ثم قال : إذا أنا مت فادع الناس إلى بيعتك فمن أبى فالسيف ، وعليك بالإحسان إلى أخواتك فأكرمهن ، وأحبُّهن إليّ فاطمة ـ وكان قد أعطاها قرطي مارية والدرة اليتيمة ـ ثم قال : اللهم

(١) تاريخ دمشق (٣٧/ ١٥٤) .
(٢) المصدر نفسه (٣٧/ ١٥٥) .
(٣) في تاريخ الإسلام (ص١٤٣) : القداح .
(٤) في تاريخ الإسلام : أيد .
(٥) الأبيات لابن عبد الأعلى الشيباني .

احفظني فيها[١] . فتزوجها عمر بن عبد العزيز وهو ابن عمها[٢] .

ولما احتضر سمع غسالاً يغسل الثياب فقال : ما هذا ؟ فقالوا : غسال ، فقال : يا ليتني كنت غسالاً أكسب ما أعيش به يوماً بيوم ، ولم أل الخلافة . ثم تمثل فقال :

لعمري لقدْ عمرتُ في الملكِ[٣] برهةً ودانتْ لي الدنيا بوقعِ البواترِ
وأعطيتُ حمرَ المالِ والحكمَ والنُّهى ولي سلّمت كلُّ الملوكِ الجبابرِ
فأضحى الذي قدْ كانَ مما يسرني كحلم مضى في المزمناتِ الغوابرِ
فياليتني لم أعنِ بالملك ليلةً[٤] ولمْ أسعَ[٥] في لذاتِ عيشٍ نواضرِ

وقد أنشد هذه الأبيات معاوية بن أبي سفيان عند موته][٦] .

وقال أبو مسهر : قيل لعبد الملك في مرض موته : كيف تجدك ؟ فقال أجدني كما قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ الآية [الأنعام : ٩٤] .

وقال سعيد بن عبد العزيز : لما احتضر عبد الملك أمر بفتح الأبواب من قصره ، فلما فتحت سمع قصاراً [بالوادي] فقال : ما هذا ؟ قالوا : قصار ، فقال : يا ليتني كنت قصاراً [أعيش من عمل يدي] فلما بلغ سعيد بن المسيب قوله ، قال : الحمد لله الذي جعلهم عند موتهم يفرون إلينا ولا نفر إليهم .
وقال : لما حضره الموت جعل يندم ويندب ويضرب بيده على رأسه ويقول : وددت أني اكتسبت قوتي يوماً بيوم واشتغلت بطاعة الله .

وقال غيره : لمّا حضرته الوفاة دعا بنيه فوصاهم ثم قال : الحمد لله الذي لا يسأل أحداً من خلقه صغيراً أو كبيراً ثم ينشد :

فهلْ من خالد إمّا هَلَكْنا وهلْ بالموتِ يا للناس عار[٧]

ويروى أنه قال : ارفعوني ، فرفعوه حتى شم الهواء وقال : يا دنيا ما أطيبك ! إن طويلك لقصير ، وإن كثيرك لحقير ، وإنا كنا بك لفي غرور ، ثم تمثل بهذين البيتين . ويروى أن معاوية قالهما أيضاً في هذه الحالة :

---

(١) في تاريخ الإسلام : اللهم إني لم أخلف شيئاً أهمَّ منها إليَّ فاحفظها .
(٢) نص الوصية في الأخبار الطوال (٣٢٥) والكامل لابن الأثير (٤/ ٥١٧ ـ ٥١٨) .
(٣) في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٤٢) : الدهر .
(٤) في تاريخ الإسلام : ليلة .
(٥) في تاريخ الإسلام : أله .
(٦) ما بين معكوفين زيادة من ط . والأبيات بدون الخبر في تاريخ دمشق (٣٧/ ١٥٠) .
(٧) في ط : للباقين غار ، وما أثبت يوافق تاريخ دمشق (٣٧/ ١٥٨) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٤٤) .

إنْ تناقشْ يكن نقاشُكَ يا ربُّ عـذاباً لا طـوقَ لـي بـالعـذابِ
أو تجـاوز فـأنـتَ ربٌّ صفـوحٌ عـنْ مسـيءٍ ذنـوبُـهُ كـالتـرابِ[١]

قالوا : وكانت وفاته بدمشق يوم الجمعة وقيل يوم الأربعاء وقيل الخميس ، في النصف من شوال وقيل لخمس مضين[٢] منه سنة ست وثمانين ، وصلى عليه ابنه الوليد ولي عهده من بعده ، وكان عمره يوم مات ستين سنة . قاله أبو معشر وصححه الواقدي ، وقيل ثلاث وستون سنة . قاله المدائني ، وقيل ثمان وخمسون[٣] . ودفن بباب الجابية الصغير .

قال ابن جرير[٤] : ذكر أولاده وأزواجه : منهم الوليد ، وسليمان ، ومروان الأكبر ـ درج[٥] ـ وعائشة ، وأمهم ولّادة بنت العباس بن جَزْء بن الحارث بن زهير بن جَذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قُطيعة بن عبس بن بغيض .

ويزيد ، ومروان الأصغر ، ومعاوية ـ درج ـ وأم كلثوم ، وأمهم عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سُفيان .

وهشام وأمّه أم هشام عائشة ـ فيما قاله المدائني ـ بنت هشام بن إسماعيل المخزومي .

وأبو بكر واسمه بكار ، وأمه عائشة بنت موسى بن طلحة بن عبيد الله التيمي .

والحكم ـ درج ـ وأمه أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان الأموي .

وفاطمة وأمها أم المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي .

وعبد الله ، ومسلمة ، والمنذر ، وعنبسة ، ومحمد ، وسعد[٦] الخير والحجّاج لأمهات أولاد شتى[٧] [فكان جملة أولاده تسعة عشر ذكوراً وإناثاً ، وكانت مدة خلافته إحدى وعشرين سنة ، منها تسع سنين مشاركاً لابن الزبير ، وثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر ونصف مستقلاً بالخلافة وحده . وكان قاضيه أبو إدريس الخولاني ، وكاتبه روح بن زنباع ، وحاجبه يوسف مولاه ، وصاحب بيت المال ، والخاتم قبيصة بن ذؤيب . وعلى شرطته أبو الزعيزعة . وقد ذكرنا عماله فيما مضى][٨] .

---

(١) الأبيات في تاريخ دمشق (٣٧/ ١٥٩) والكامل لابن الأثير (٤/ ٥٢١) .
(٢) في ب : بقين .
(٣) وهي إحدى أقوال الواقدي .
(٤) تاريخ الطبري (٦/ ٤١٩) .
(٥) أي مات صغيراً .
(٦) في الطبري : سعيد .
(٧) في الطبري : لأمهات أولاد .
(٨) ما بين معكوفين زيادة من ط .

قال المدائني : وكان له زوجات أخر ، شقراء بنت سلمة بن حلبس الطائي ، وابنة لعلي بن أبي طالب[١] ، وأم أبيها بنت عبد الله بن جعفر .

وممن يذكر أنه توفي في هذه السنة تقريباً :

أرطاة بنُ زفر[٢] بن عبد الله بن مالك بن شداد[٣] بن ضمرة بن عُقْفان بن أبي حارثة بن مرة بن نُشبة بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان أبو الوليد المرّي ، ويعرف بابن سُهَيَّة[٤] ، وهي أمه بنت زامل بن مروان بن زهير بن ثعلبة بن حديج بن أبي جشم بن كعب بن عون بن عامر بن عوف ـ سبية من كلب ـ وكانت عند ضرار بن الأزور ، ثم صارت إلى زُفر وهي حامل فأتت بأرطاة على فراشه ، وقد عمّر أرطاة دهراً طويلاً حتى جاوز المئة بثلاثين سنة ، وقد كان سيِّداً شريفاً مطاعاً ممدَّحاً شاعراً مطبقاً .

قال المدائني : ويقال : إن بني عُقفان بن حنظلة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس دخلوا في بني مرة بن نُشْبة فقالوا : بنو عقفان بن أبي حارثة بن مرة .

وقد وفد أبو الوليد أرطاة بن زُفر هذا على عبد الملك فأنشده أبياتاً :

رأيتُ المرءَ تأكلهُ اللّيالي كأكلِ الأرضِ ساقطةَ الحديدِ
وما تبقي[٥] المنيةُ حينَ تأتي على نفسِ ابن آدمَ منْ مزيد
وأعلم أنها ستكرُّ حتى تُوفِّي نذرها بأبي الوليدِ[٦]

قال : فارتاع عبد الملك وظنَّ أنَّه عناه بذلك . فقال : يا أمير المؤمنين إنما عنيت نفسي ، فقال عبد الملك : وأنا والله سيمرّ بي ما الذي يمر بك ، وزاد بعضهم في هذه الأبيات :

خُلِقْنا أنفساً وبنى نفوس ولسنا بالسلام ولا الحديدِ
لئن أفجعتَ بالقرناء يوماً لقد مُتِّعتَ بالأملِ البعيدِ[٧]

---

(١) قال ابن الأثير في تاريخه (٤/ ٥١٩) : وقيل : كان عنده ابنة لعلي بن أبي طالب : ولا يصح .
(٢) ترجمة ـ أرطاة بن زفر ـ في تاريخ دمشق (٨/ ٣ ـ ٨) والأغاني (١٣/ ٤٠) ووفيات الأعيان (٦/ ١٠٣) والإصابة (١/ ١٦٤) والوافي بالوفيات (٨/ ٣٤٨) وتهذيب تاريخ دمشق (٣/ ٣٦٨) ومختصر تاريخ دمشق (٤/ ٢٣٢) وكان في الأصل في سياق نسبه : غقعان ، بدل عُقْفان ، وشبة بدل نشبة ، ونميط بدل غيظ .
(٣) في الإصابة : سواد .
(٤) في ب وحدها : شهبة ، والمثبت من تاريخ دمشق وجمهرة الأنساب لابن حزم .
(٥) في تاريخ دمشق والإصابة : وما تبغي .
(٦) الأبيات في تاريخ دمشق (٨/ ٤) والأغاني (١٣/ ٤٠) والإصابة (١/ ١٦٤) .
(٧) تاريخ دمشق (٨/ ٥) مع تقديم البيت الأول وزيادة بيت بينهما قيل إن أرطأة سرقه من زَبّان بن منظور بن سيّار وروايته:
وما تجد المصيبةُ فوق نفسي ولا نفس الأحبّة من مزيد

وهو القائل :

وإنـي لقـوامٌ لـدى الضيـفِ مـوهنـاً   إذا أسبلَ السترَ البخيلُ[١] المواكلُ
دعـا فـأجـابتـهُ كـلابٌ كثيـرةٌ   علـى ثقـةٍ منـي بـأنـيَ فـاعـلُ
ومـا دونَ ضيفـي مـن تـلادٍ تحـوزهُ   لي النفسُ إلا أنْ تصانَ الحلائلُ[٢]

مُطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير[٣] كان من كبار التابعين ، وكان من أصحاب عمران بن حصين ، وكان مجاب الدعوة .

وكان يقول : ما أوتي أحد أفضل من العقل[٤] ، وعقول الناس على قدر زمانهم .

وقال : إذا استوت سريرة العبد وعلانيته قال الله هذا عبدي حقاً .

وقال : إذا دخلتم على مريض فإن استطعتم أن يدعو لكم فإنه قد حُرّك ـ أي : قد أوقظ من غفلته بسبب مرضه ـ فدعاؤه مستجاب من أجل كسره ورقّة قلبه .

وقال : إن أقبح ما طُلبت به الدنيا عمل الآخرة][٥] .

خلافة الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق

لما رجع من دفن أبيه خارج باب الجابية الصغير ـ وكان ذلك في يوم الخميس وقيل الجمعة للنصف من شوال من هذه السنة ـ لم يدخل المنزل حتى صعد منبر المسجد الأعظم بدمشق . فخطب الناس فكان مما قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والله المستعان على مصيبتنا بموت أمير المؤمنين ، والحمد لله على ما أنعم علينا من الخلافة ، قوموا فبايعوا . فكان أول من قام إليه عبد الله بن همام السّلولي وهو يقول :

اللهُ أعطـاكَ التـي لا فَـوْقَهـا   وقـدْ أراد الملحـدونَ عَـوْقَهَـا
عنْكَ ويـأبـى اللهُ إلا سَـوْقهـا   إليكَ حتّى قَلَّدوكَ طَوْقَها[٦]

---

(١) في تاريخ دمشق : إذا أعذر السير البخيل .
(٢) تاريخ دمشق (٨/ ٨) .
(٣) ترجمة ـ مطرف بن عبد الله ـ في الطبقات لابن سعد (٧/ ١٤١) وتاريخ خليفة (٢٩٢) وطبقاته (١٩٧) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٨٠) وحلية الأولياء (٢/ ١٩١) وصفة الصفوة (٣/ ٢٢٤) وتهذيب الكمال (٢٨/ ٦٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٧٩) وسير أعلام النبلاء (٧/ ١٨٧) والإصابة (٣/ ٤٧٨) وتهذيب التهذيب (١٠/ ١٧٣) .
(٤) في صفة الصفوة (٣/ ٢٢٤) قال : ما أوتي عبد بعد الإيمان أفضل من العقل .
(٥) ما بين معكوفين ساقط من أ ، ب .
(٦) الأبيات في تاريخ الطبري(٦/ ٤٢٣) .

ثم بايعه وبايع الناس بعده .

وذكر الواقدي : أنه حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أيها الناس إنه لا مُقدِّم لما أخَّر الله ، ولا مؤخِّر لما قدَّم الله ، وقد كان من قضاء الله وسابقته ما كتبه على أنبيائه وحملة عرشه وملائكته الموت ، وقد صار إلى منازل الأبرار بما لاقاه في هذه الأمة ـ يعني بالذي يحق لله عليه ـ من الشدّة على المريب ، واللّين لأهل الحقِّ والفضل ، وإقامة ما أقام الله من منار الإسلام ، وإعلائه من حجِّ هذا البيت ، وغزو هذه الثغور ، وشنِّ هذا الغارات على أعداء الله عزَّ وجلَّ فلم يكن عاجزاً ولا مفرّطاً ، أيها الناس عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد ، أيها الناس من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه ، ومن سكت مات بدائه . ثم نزل فنظر ما كان من دواب الخلافة فحازها . وكان جباراً عنيداً[١] . وقد ورد في ولاية الوليد حديث غريب[٢] ، وإنما هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك كما سيأتي ، وكما تقدم تقريره في دلائل النبوة في باب الأخبار عن الغيوب المستقبلة ، فيما يتعلق بدولة بني أمية ، وأما الوليد بن عبد الملك هذا فقد كان صيناً في نفسه حازماً في رأيه ، يقال إنه لا تعرف له صبوة ، ومن جملة محاسنه ما صح عنه أنه قال : لولا أن الله قص لنا خبر قوم لوط في كتابه ما ظننا أن ذكراً يعلو ذكراً كما تؤتى النساء ، كما سيأتي ذلك في ترجمته عند ذكر وفاته في سنة ست وتسعين إن شاء الله ، وهو باني مسجد جامع دمشق الذي لا يعرف في الآفاق أحسن بناءً منه ، وقد شرع في بنائه في ذي القعدة من هذه السنة ، فلم يزل يبني فيه مدّة خلافته وهي عشر سنين ، فلما أنهاه انتهت أيام خلافته كما سيأتي بيان ذلك مفصّلاً . وقد كان موضع هذا المسجد كنيسة يقال لها كنيسة يوحنا ، فلما فتحت الصحابة دمشق جعلوها مناصفة ، فأخذوا منها الجانب الشرقي فحوّلوه مسجداً ، وبقي الجانب الغربي كنيسة بحاله من لدن سنة أربع عشرة إلى هذه السنة ، فعزم الوليد على أخذ بقية الكنيسة منهم وعوَّضهم عنها كنيسة مريم لدخولها في جانب السيف ، وقيل عوضهم عنها كنيسة توما ، وهدم بقية هذه الكنيسة وأضافها إلى هذا ، وجعل الجميع مسجداً واحداً على هيئة بديعة لا يعرف كثير من الناس أو أكثرهم لها نظيراً في البنيان والزيارات[٣] والآثار والعمارات ، والله سبحانه أعلم .

---

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٤٢٣) .

(٢) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده (١/ ١٨) بسنده عن عمر ، قال : وُلد لأخي أم سلمة ولد ، فسمّوه الوليد ، فقال النبي ﷺ : « سميتموه بأسماء فراعنتكم ، ليكونن في هذه الأمة رجل يقال له الوليد ، لهو أشد لهذه الأمة من فرعون لقومه » وهو حديث ضعيف .

(٣) في ط : والزينات .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين

ففيها عزل الوليد بن عبد الملك هشام بن إسماعيل عن إمرة المدينة وولّى عليها ابن عمه وزوج أخته فاطمة بنت عبد الملك عمرَ بن عبد العزيز ، فدخلها في ثلاثين بعيراً في ربيع الأول منها ، فنزل دار مروان وجاء الناس للسلام عليه ، وعمره إذ ذاك خمس وعشرون سنة ، فلما صلّى الظهر دعا عشرةً من فقهاء المدينة وهم عُروة بن الزُّبير ، وعُبيدالله بن عبد الله بن عتبة ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وأبو بكر بن سليمان بن [أبي] حثمة ، وسليمان بن يسار ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، وأخوه عبيد الله بن عمر ، وعبد الله بن عبد الله بن عمرو[(١)] ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة ، وخارجة بن زيد بن ثابت . فدخلوا عليه فجلسوا فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : إني إنما دعوتكم لأمر تؤجرون عليه وتكونون فيه أعواناً على الحق ، إني لا أريد أن أقطع أمراً إلا برأيكم أو برأي من حضر منكم ، فإن رأيتم أحداً يتعدّى أو بلغكم عن عامل لي ظلامة ، فأحرِّج على من بلغه ذلك إلا أبلغني . فخرجوا [من عنده] يجزونه خيراً ، وافترقوا على ذلك .

وكتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز بأن يوقف هشام بن إسماعيل للناس عند دار مروان ـ وكان يسيء الرأي فيه ـ لأنه أساء إلى أهل المدينة في مدة ولايته عليهم ، وكانت نحواً من أربع سنين ، ولا سيما إلى سعيد بن المسيب وإلى علي بن الحسين . وأهل بيته ، فلما أوقف للناس قال هشام : ما أخاف إلا من سعيد وعلي بن الحسين ، فقال[(٢)] سعيد بن المسيب لابنه ومواليه : لا يعرض منكم أحد لهذا الرجل فإني تركت ذلك لله وللرَّحم . وأما كلامه فلا أكلمه أبداً ، وأما علي بن الحسين فإنه مرّ به وهو موقوف فلم يعرض له ، وكان قد تقدم إلى خاصته أن لا يعرض أحد منهم له ، فلما اجتاز به علي بن الحسين وتجاوز عنه ناداه هشام بن إسماعيل فقال : ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام : ١٢٤] .

وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وفتح حصوناً كثيرة وغنم غنائم جمة ، ويقال إن الذي غزا بلاد الروم في هذه السنة هشام بن عبد الملك ففتح حصن بولق ، وحصن الأخرم [وبحيرة الفرسان][(٣)] وحصن بولس ، وقمقم ، وقتل من المستعربة نحواً من ألف وسبى ذراريهم .

---

(١) في الكامل لابن الأثير : وعبد الله بن عبيد الله بن عمر .

(٢) من قوله : وأهل بيته . . إلى هنا ساقط من ط ، والخبر بكماله في تاريخ الطبري (٦/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨) وابن الأثير (٤/ ٥٢٦ ـ ٥٢٧) .

(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والعبارة في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٩) ، والخبر في تاريخ الطبري (٦/ ٤٢٩) وابن الأثير (٤/ ٥٢٨) .

وفيها غزا قتيبة بن مسلم بلاد الترك وصالحه ملكهم نيزك على مال جزيل ، وعلى أن يطلق كل من ببلاده من أسارى المسلمين .

وفيها غزا قتيبة بيكند فاجتمع له من الأتراك عندها بشر كثير وجم غفير . [وهي من أعمال بخارى ، فلما نزل بأرضهم استنجدوا عليه بأهل الصغد ومن حولهم من الأتراك ، فأتوهم في جمع عظيم فأخذوا على قتيبة الطرق والمضايق] فتواقف هو وهم قريباً من شهرين وهو لا يقدر أن يبعث إليهم رسولاً ولا يأتيه من جهتهم رسول ، وأبطأ خبره على الحجّاج حتى خاف عليه وأشفق على من معه من المسلمين من كثرة الأعداء من الترك ، فأمر الناس بالدعاء لهم في المساجد وكتب بذلك إلى الأمصار ، وقد كان قتيبة ومن معه من المسلمين يقتتلون مع الترك في كل يوم ، وكان لقتيبة عين من العجم يقال له تنذر ، فأعطاه أهل بخارى مالاً جزيلاً على أن يأتي قتيبة فيخذله عنهم ، فجاء إليه فقال له : أخلني فأخلاه فلم يبق عنده سوى رجل يقال له ضرار بن حصين ، فقال له تنذر : هذا عامل يقدم عليك سريعاً بعزل الحجاج ، فلو انصرفت بالناس إلى مرو ، فقال قتيبة لمولاه سياه : اضرب عنقه ؛ فقتلته ، ثم قال لضرار : لم يبق أحد سمع هذا غيري وغيرك وإني أعطي الله عهداً إن ظهر هذا حتى ينقضي حربنا لألحقنّك به ، فأملك علينا لسانك ، فإن انتشار هذا في مثل هذا الحال ضعف في أعضاد الناس ونصرة للأعداء ، ثم نهض قتيبة فحرّض الناس على الحرب ، ووقف على أصحاب الرايات يحرضهم ، فاقتتل الناس قتالاً عظيماً وأنزل الله على المسلمين الصبر فما انتصف النهار حتى أنزل الله عليهم النصر فهزمت الترك هزيمةً عظيمة ، واتبعهم المسلمون يقتلون فيهم ويأسرون ما شاؤوا ، واعتصم من بقي منهم بالمدينة ، فأمر قتيبة الفَعَلة بهدمها فسألوه الصلح على مال عظيم فصالحهم ، وجعل عليهم رجلاً من أهله وعنده طائفة من الجيش ثم سار راجعاً ، فلما كان منهم على خمس مراحل[1] نقضوا العهد وقتلوا الأمير وجدعوا أنوف من كان معه ، فرجع إليها وحاصرها شهراً . وأمر النقابين والفعلة فعلقوا سورها على الخشب وهو يريد أن يضرم النار فيها ، فسقط السور فقتل من الفعلة أربعين نفساً ، فسألوه الصلح فأبى ، ولم يزل حتى فتحها فقتل مقاتلتهم ، وغنم أموالهم ، وكان الذي ألَّب على المسلمين رجل أعور منهم ، فأُسر ؛ فقال أنا أفتدي نفسي بخمسة أثواب صينية قيمتها ألف ألف ، فأشار الأمراء على قتيبة بقبول ذلك منه ، فقال قتيبة : لا والله لا أروع بك مسلماً مرة ثانية[2] ، وأمر به فضربت عنقه . [وهذا من الزهد في الدنيا ، ثم إن الغنائم سيدخل فيها ما أراد أن يفتدي به نفسه فإن المسلمين قد غنموا][3] من بيكند شيئاً كثيراً من آنية الذهب والفضة والأصنام من الذهب ، وكان من جملتها صنم سبك فخرج منه مئة ألف وخمسون ألف دينار من الذهب ، ووجدوا في خزائن الملك أموالاً كثيرة وسلاحاً كثيراً وعدداً متنوعة وجواهر نفيسة [وأخذوا من السبي شيئاً كثيراً] فكتب قتيبة إلى الحجاج

---

(١) في الطبري (٦/ ٤٣١) : فلما سار مرحلة أو اثنتين ، وكان منهم على خمسة فراسخ نقضوا وكفروا .

(٢) عبارة الطبري : لا والله ، لا تروَّع بك مسلمة أبداً .

(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط ، ومكانها في أ ، ب : وقد غنم المسلمون . . . وعبارة ط أقرب إلى المصادر .

في أن يعطي ذلك للجند فأذن له فتموّل المسلمون وتقوّوا على قتال الأعداء ، وصار لكل واحد منهم مال مستكثر جداً . وصارت لهم أسلحة وعُدد وخيول كثيرة فقووا بذلك قوة عظيمة ولله الحمد والمنة .

وقد حج بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز نائب المدينة ، وقاضيه بها أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وعلى العراق والمشرق بكماله الحجاج بن يوسف الثقفي ، ونائبه على البصرة الجرّاح بن عبد الله الحكمي ، وقاضيه بها عبد الله بن أذينة ، وعامله على الحرب بالكوفة زياد بن جرير بن عبد الله البَجَلي ، وقاضيه بها أبو بكر بن أبي موسى الأشعري ، ونائبه على خراسان وأعمالها قتيبة بن مسلم .

وفي هذه السنة توفي :

عتبة بن عبدٍ السلمي[١] ، صحابي جليل ، نزل حمص ، يروى أنه شهد بني قريظة ، وعن العرباض أنه كان يقول هو خير مني أسلم قبلي بسنة . قال الواقدي وغيره : توفي في هذه السنة ، وقال غيره بعد التسعين ، والله أعلم .

[قال أبو سعيد بن الأعرابي : كان عتبة بن عبدٍ السُلَمي من أهل الصفة .

وروى بقية ، عن بُجير بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن عتبة بن عبدٍ السُلمي أن النبي ﷺ قال : « لو أن رجلاً يُجر على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرماً في مرضاة الله لحقّره يوم القيامة »[٢] .

وقال إسماعيل بن عياش ، عن عقيل بن مدرك ، عن لقمان بن عامر ، عن عتبة بن عبد السلمي قال : اشتكيت إلى رسول الله ﷺ العُري فكساني خيشتين ، فلقد رأيتني وأنا أكسى الصحابة][٣] .

والمقدام بن معدي كرب[٤] ، صحابي جليل ، نزل حمص أيضاً ، له أحاديث ، وروى عنه غير واحد من التابعين .

---

(١) ترجمة ـ عتبة بن عبد ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤١٣) وطبقات خليفة (٥٢ و٣٠١) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٤٠) وحلية الأولياء (٢/ ١٥) وتاريخ دمشق (٣٨/ ٢٧٥) وأسد الغابة (٣/ ٥٦٣) وتهذيب الكمال (١٩/ ٣١٤) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص١٤٩) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤١٦) والإصابة (٢/ ٤٥٤) وتهذيب التهذيب (٧/ ٩٨) وشذرات الذهب (١/ ٣٥٤) .

(٢) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ١٨٥) وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١٥) والطبراني في الكبير (١٧/ رقم ٣٠٣) وإسناده ضعيف .

(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط . والخبر في تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٨/ ٢٧٧) ولفظه : استكسيت رسول الله ﷺ فكساني خيشتين ، ولقد رأيتني ألبسهما ، وأنا أكسى أصحابي وأخرجه أحمد (٤/ ١٨٥)، وأبو داود (٤٠٣٢) والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٣٠٧) وهو حديث حسن .

(٤) ترجمة ـ المقدام بن معدي كرب ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤١٥) وتاريخ خليفة (٣٠١) وطبقاته (٧٢ و٣٠٤) وتاريخ البخاري (٧/ ٤٢٩) والمعرفة والتاريخ (٢/ ١٦٠) وتاريخ دمشق (٦٠/ ١٨٤) والاستيعاب (٣/ ٤٨٣) وأسد الغابة (٤/ ٤١١) وتهذيب الكمال (٢٨/ ٤٥٨) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٠٣) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٢٧) والإصابة (٣/ ٤٥٥) . وشذرات الذهب (١/ ٣٥٤) .

قال محمد بن سعد والفلاّس وأبو عبيدة : توفي في هذه السنة . وقال غيرهم : توفي بعد التسعين فالله أعلم .

أبو أمامة الباهلي[١] واسمه صُدَيّ بن عجلان ، نزل حمص ، وهو راوي حديث « تلقين الميت بعد الدفن » رواه الطبراني[٢] في الدعاء [وقد تقدم له ذكر في الوفيات .

قبيصة بن ذؤيب[٣] ، أبو سفيان الخزاعي المدني ، ولد عام الفتح وأُتي به النبي ﷺ ليدعو له ، روى عن جماعة كثيرة من الصحابة ، وأصيبت عينه يوم الحرَّة ، وكان من فقهاء المدينة ، وكانت له منزلة عند عبد الملك ، ويدخل عليه بغير إذن ، وكان يقرأ الكتب إذا وردت من البلاد ثم يدخل على عبد الملك فيخبره بما ورد من البلاد فيها ، وكان صاحب سرّه ، وكان له دار بدمشق بباب البريد ، وتوفي بدمشق .

عروة بن المغيرة بن شعبة[٤] ، ولي إمرة الكوفة للحجاج ، وكان شريفاً لبيباً مطاعاً في الناس ، وكان أحول[٥] . توفي بالكوفة .

يحيى بن يعمر[٦] ، كان قاضي مرو ، وهو أول من نقط المصاحف ، وكان من فضلاء الناس

---

(١) سبق ذكره ومصادر ترجمته في أول أحداث سنة ٨٦ .

(٢) الحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٤٥) وقال : رواه الطبراني في الكبير (٨/ ٢٩٨) وفي إسناده جماعة لم أعرفهم . ورواه الطبراني في الدعاء (٣/ ١٣٦٧ ـ ١٣٦٨) رقم (١٢١٤) قال ابن القيم في زاد المعاد : (١/ ٥٢٣) : فهذا حديث لا يصح رفعه ، نقول : وقد ضعفه النووي وغيره .

(٣) ترجمة ـ قبيصة بن ذؤيب ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ١٧٦) وتاريخ خليفة (٢٩٢) وطبقاته (٣٠٩) وتاريخ البخاري (٧/ ١٧٤ ـ ١٧٥) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢٣٦) ومواضع أخرى ، وأنساب الأشراف (١/ ٤١١) ومواضع أخرى ، وتاريخ دمشق (٤٩/ ٢٥٠) وأسد الغابة (٤/ ١٩١) وتهذيب الكمال (٢٣/ ٤٧٦) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٧٠ـ١٧٢) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٨٢ـ٢٨٤) والنجوم الزاهرة (١/ ٢١٤) وشذرات الذهب (١/ ٣٥٢) .

(٤) ترجمة ـ عروة بن المغيرة ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ٢٦٩) وتاريخ خليفة (٢١٠) وطبقاته (١٥٥) وتاريخ البخاري (٧/ ٧٢) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٩٨) و(٢/ ١٠٤) وأنساب الأشراف (١/ ١٩٧ و٥٥) ومواضع أخرى ، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٣٧) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص ١٥١ ـ ١٥٢) وقال الذهبي : توفي سنة بضع وثمانين ، وتهذيب التهذيب (٧/ ١٨٩) .

(٥) ذكر ذلك الجاحظ في كتابه « البرصان والعرجان والحولان » (ص٣٦٤) .

(٦) ترجمة ـ يحيى بن يعمر ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٣٦٨) وتاريخ خليفة (٣٠٣) وطبقاته (٢٠٣) والمعرفة والتاريخ (٢/ ١٤١) ومعجم الشعراء للمرزباني (٤٨٥) وفيه : يحيى بن نعيم ، وطبقات النحويين واللغويين (٣٧) والكامل لابن الأثير (٤/ ٣٠٨) ومراتب النحويين (٢٥ ـ ٢٦) ووفيات الأعيان (٦/ ١٧٣) وتهذيب الكمال (٣٢/ ٥٣) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٥٠٢ـ٥٠٣) وفيه نقلاً عن خليفة : توفي يحيى بن يعمر قبل التسعين ، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤١) وتهذيب التهذيب (١١/ ٣٠٥) والنجوم الزاهرة (١/ ٢١٧) وشذرات الذهب (١/ ١٧٥) .

وعلمائهم وله أحوال ومعاملات ، وله روايات ، وكان أحد الفصحاء ، أخذ العربية عن أبي الأسود الدؤلي][١] .

شريح بن الحارث بن قيس القاضي[٢] ، أدرك الجاهلية ، واستقضاه عمر على الكوفة فمكث بها قاضياً خمساً وستين سنة ، وكان عالماً عادلاً كثير الخير ، حسن الأخلاق ، فيه دعابة كثيرة ، وكان كوسجاً لا شعر بوجهه ، وكذلك كان عبد الله بن الزبير ، والأحنف بن قيس ، وقيس بن سعد بن عُبادة ، وقد اختلف في نسبه وسنه وعام وفاته على أقوال ، ورجح ابن خلكان وفاته في هذه السنة ، فالله أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين

فيها غزا الصائفة مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك ، فافتتحا بمن معهما من المسلمين حصن طوانة[٣] في جمادى من هذه السنة ـ وكان حصيناً منيعاً ـ اقتتل الناس عنده قتالاً عظيماً وحمل المسلمون على النصارى فهزموهم حتى أدخلوهم الكنيسة ، ثم خرجت النصارى فحملوا على المسلمين فانهزم المسلمون ولم يبق أحد منهم في موقفه إلا العباس بن الوليد ومعه ابن مُحيريز الجُمحي ، فقال العباس لابن محيريز : أين قراء القرآن الذين يريدون وجه الله عزَّ وجلَّ ؟ فقال : نادهم يأتوك ، فنادى يا أهل القرآن ، فتراجع الناس فحملوا على النصارى فكسروهم ولجؤوا إلى الحصن فحاصروهم حتى فتحوه .

وذكر ابن جرير[٤] : أنه في شهر ربيع الأول من هذه السنة قدم كتاب الوليد على عمر بن عبد العزيز يأمره بهدم المسجد النبوي وإضافة حُجَرِ أزواج رسول الله ﷺ ، وأن يوسعه من قبلته وسائر نواحيه ، حتى يكون مئتي ذراع في مئتي ذراع ، فمن باعك ملكه فاشتره منه وإلا فقوِّمه له قيمة عدل ثم اهدمه وادفع إليهم الأثمان ، فإن لك في ذلك سلف صدق عمر وعثمان . فجمع عمر بن عبد العزيز وجوه الناس والفقهاء العشرة وأهل المدينة وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين الوليد ، [فشق عليهم ذلك وقالوا : هذه حُجَر قصيرة السقوف ، وسقوفها من جريد النخل ، وحيطانها من اللَّبن ، وعلى أبوابها المسوح ، وتركها على حالها أولى لينظر إليها الحجاج والزوار والمسافرون ، وإلى بيوت النبي ﷺ فينتفعوا بذلك ويعتبروا به ، ويكون ذلك أدعى لهم إلى الزهد في الدنيا ، فلا يعمرون فيها إلا بقدر الحاجة وهو ما يستر ويُكن ،

---

(١) ذكر ذلك ابن خلكان في وفياته (٦/ ١٧٣) وما بين معكوفين زيادة من ط .

(٢) تقدمت ترجمة شريح القاضي ضمن وفيات سنة ثمان وسبعين .

(٣) طوانة ـ بضم أوله ـ بلد بثغور المصيصة ، والخبر في تاريخ الطبري (٦/ ٤٣٤) والأخبار الطوال (٣٢٦) . وابن الأثير (٤/ ٥٣١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٠) .

(٤) تاريخ الطبري (٦/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦) .

ويعرفون أن هذا البنيان العالي إنما هو من أفعال الفراعنة والأكاسرة ، وكل طويل الأمل راغب في الدنيا وفي الخلود فيها . فعند ذلك كتب عمر بن عبد العزيز إلى الوليد بما أجمع عليه الفقهاء العشرة المتقدم ذكرهم ، فأرسل إليه يأمره بالخراب وبناء المسجد على ما ذكر ، وأن يعلي سقوفه . فلم يجد عمر بداً من هدمها ، ولما شرعوا في الهدم صاح الأشراف ووجوه الناس من بني هاشم وغيرهم ، وتباكوا مثل يوم مات النبي ﷺ][1] فأجاب من له ملك متاخم للمسجد إلى بيعه فاشترى منهم ، وشرع في بنائه وشمّر عن إزاره واجتهد في ذلك ، وجاءته فعول كثيرة من جهة الوليد فأدخل فيه الحجرة النبوية [ـ حجرة عائشة ـ فدخل القبر في المسجد][2] وكانت حده من الشرق وسائر حُجَر أمهات المؤمنين ووسعه كما أمر الوليد ، وروينا أنهم لما حفروا الحائط الشرقي من حجرة عائشة بدت لهم قدم فخشوا أن تكون قدم النبي ﷺ حتى تحققوا أنها قدم عمر رضي الله عنه ، ويحكى أن سعيد بن المسيب أنكر إدخال حجرة عائشة في المسجد ـ كأنه خشي أن يتخذ القبر مسجداً ـ والله أعلم .

وذكر ابن جرير[3] : أن الوليد كتب إلى ملك الروم يسأله أن يبعث له صنّاعاً للبناء ، فبعث إليه بمئة صانع وفصوص كثيرة من أجل المسجد النبوي نحو خمسين جملاً ، ومئة ألف دينار[4] ، والمشهور أن هذا إنما كان من أجل مسجد دمشق ، فالله أعلم .

وكتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز أن يحفر الفوّارة بالمدينة ، وأن يجري ماءها ففعل ، وأمره أن يحفر الآبار وأن يُسهِّل [الطرق] والثنايا [وساق إلى الفوارة الماء من ظاهر المدينة ، والفوّارة بنيت في ظاهر المسجد عند بقعة رآها فأعجبته][5] .

وفيها غزا قتيبة بن مسلم ملك الترك كوربُغانون[6] ابن أخت ملك الصين ، معه مئتا ألف [مقاتل ، من أهل الصغد وفرغانة وغيرهم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وكان مع قتيبة نيزك ملك الترك مأسوراً] فكسرهم قتيبة بن مسلم وغنم من أموالهم شيئاً كثيراً [وقتل منهم خلقاً وسبى وأسر] .

وفيها حجّ بالناس عمر بن عبد العزيز ومعه جماعات من أشراف قريش ، فلما كان بالتنعيم لقيه طائفة

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وهي توافق ما في الطبري والأخبار الطوال وابن الأثير .

(٢) زيادة من ط .

(٣) تاريخ الطبري (٦/ ٤٣٦) .

(٤) الذي في الطبري : فبعث إليه بمئة ألف مثقال ذهب ، وبعث إليه بمئة عامل ، وبعث إليه من الفسيفساء بأربعين حملاً ، وأمر أن يتتبع الفسيفساء في المدائن التي خُرِّبت ، فبعث بها إلى الوليد .

(٥) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والذي في الطبري والمصادر : فلما حج الوليد وقف عليها ، فنظر إلى بيت الماء والفوارة ؛ فأعجبته ، وأمر لها بقُوَّام يقومون عليها ، وأن يسقى أهل المسجد منها ، ففُعل ذلك .

(٦) في الطبري (٦/ ٤٣٧) : كور مغانون . والخبر أيضاً في الأخبار الطوال (٣٢٧) . وابن الأثير (٤/ ٥٣٣) وفيه : كور نعايون . وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٠) .

من أهل مكة فأخبروه عن قلّة الماء بمكة لقلّة المطر ، فقال لأصحابه : ألا نستمطر ؟ فدعا ودعا الناس فما زالوا يدعون حتى سُقُوا ودخلوا مكّة ومعهم المطر ، وجاء سيل عظيم حتى خاف أهل مكة من شدة المطر ، ومطرت عرفة ومزدلفة ومنى ، وأخصبت الأرض هذه السنة خصباً عظيماً بمكة وما حولها ، وذلك ببركة دعاء عمر بن عبد العزيز [ومن كان معه من الصالحين] .

وكان النواب على البلاد في هذه السنة هم الذين في التي قبلها .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

عبد الله بن بُسر بن أبي بُسر المازني[١] ، صحابي كأبيه ، سكن حمص ، وروى عنه جماعة من التابعين .

قال الواقدي : توفي في هذه السنة عن أربع وتسعين سنة ، زاد غيره وهو آخر من توفي من الصحابة بالشام ، وقد جاء في الحديث أنه يعيش قرناً[٢] ، فعاش مئة سنة .

عبد الله بن أبي أوفى[٣] ـ علقمة[٤] ـ بن خالد بن الحارث الخزاعي ثم الأسلمي ، صحابي جليل ، وهو آخر من بقي من الصحابة بالكوفة ، وكانت وفاته فيما قاله البخاري[٥] سنة سبع أو ثمان وثمانين ، وقال الواقدي وغير واحد[٦] : سنة ست وثمانين ، وقد جاوز المئة ، وقيل قاربها رضي الله عنه .

[وفيها توفي :

هشام بن إسماعيل[٧] بن هشام بن الوليد المخزومي المدني ، وكان حما عبد الملك بن مروان ونائبه

---

(١) ترجمة ـ عبد الله بن بسر ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤١٣) وطبقات خليفة (٥٢ و٣٠١) . والمعرفة والتاريخ (١/ ٢٥٨) ومواضع أخرى ، وأنساب الأشراف (١/ ٢٤٨) والاستيعاب (٢/ ٢٦٧) وتاريخ دمشق (٢٧/ ١٣٩ـ١٦٢) وأسد الغابة (٣/ ١٢٥) والكامل لابن الأثير (٤/ ٥٣٤) وقال : بُسْر ؛ بضم الباء الموحدة ، وبالسين المهملة ، وتهذيب الكمال (١٤/ ٣٣٣) وتاريخ الإسلام للذهبي (٥/ ٩٩ ـ ١٠٢) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٣٠) والوافي بالوفيات (١٧/ ٨٤) والإصابة (٢/ ٢٨١) وتهذيب التهذيب (٥/ ١٥٨) وشذرات الذهب (١/ ٣٥١) .

(٢) الحديث رواه أحمد في مسنده (٤/ ١٨٩) وفيه : وضع رسول الله ﷺ إصبعه عليها ـ شامة في قرنه ـ ثم قال : « لتبلغنّ قرناً » وروى نحوه الطبراني وذكره ابن عساكر في تاريخه (٢٧/ ١٥٥) ط : دار الفكر بيروت ، وهو حديث حسن .

(٣) تقدمت ترجمته ومصادرها ضمن وفيات سنة ست وثمانين .

(٤) علقمة هو اسم أبي أوفى ، وقد أضيف في ط : [و] لجعله ترجمة مفردة !

(٥) التاريخ الكبير (٥/ ٢٤) والتاريخ الصغير (٩١) .

(٦) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٩٩) .

(٧) ترجمة ـ هشام بن إسماعيل ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٢٤٤) وتاريخ خليفة (٢٨٩) والمعرفة والتاريخ (١/ ٤٧٤) وأنساب الأشراف (٣/ ٣٠٢) ووفيات الأعيان (٢/ ٣٧٧) .

على المدينة ، وهو الذي ضرب سعيد بن المسيِّب كما تقدم ، ثم قدم دمشق فمات بها ، وهو أول من أحدث دراسة القرآن بجامع دمشق في السَّبْع .

عمير بن حكيم[١] ، العنسي الشامي ، له رواية ، ولم يكن أحد في الشام يستطيع أن يعيب الحجَّاج علانية إلا هو وابن مُحيريز أبو الأبيض ، قتل في غزوة طوانة من بلاد الروم في هذه السنة][٢] .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين

فيها غزا مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه العباس بلاد الروم فقتلا خلقاً كثيراً وفتحا حصوناً كثيرة ، منها حصن سورية وعمورية وهرقلة وقمودية[٣] . وغنما شيئاً كثيراً وأسرا جماً غفيراً .

وفيها غزا قتيبة بن مسلم بلاد الصغد ونَسَف وكِشْ ، وقد لقيه هنالك خلق من الأتراك فظفر بهم فقتلهم ، وسار إلى بخارى فلقيه دونها خلق كثير من الترك فقاتلهم يومين وليلتين عند مكان يقال له خَرَّقان[٤] ، وظهر بهم فقال في ذلك نهار بن توسعة :

وباتتْ لهم منّا بِخَرقانَ لَيْلةٌ ولَيَلتُنا كانتْ بِخَرقانَ أطْولا[٥]

ثم قصد قتيبة وردان خُذاه ملك بخارى فقاتله وردان قتالاً شديداً فلم يظفر به قتيبة ، فرجع عنه إلى مرو ، فجاءه كتاب الحجاج يعنِّفه على الفرار والنكول عن العدو ، وكتب إليه أن يبعث بصورة هذا البلد فبعث إليه بصورتها فكتب إليه أن ارجع إليها وتب إلى الله من ذنبك وائتها من مكان كذا وكذا ، ورِدْ وردان خذاه ، وإياك والتحويط ، ودعني وبُنيَّات الطريق[٦] .

وفي هذه السنة ولى الوليد بن عبد الملك إمرة مكة لخالد بن عبد الله القَسْري ، فحفر بئراً بأمر الوليد عند ثنيّة طُوى وثنيّة الحجون ، فجاءت عذبة طيبة ماؤها ، وكان يستقي منها الناس . وروى الواقدي : حدثني عمر بن صالح ، عن نافع مولى بني مخزوم . قال : سمعت خالد بن عبد الله القسري يقول على منبر مكة وهو يخطب الناس : أيها الناس ! أيهما أعظم عندكم خليفة الرجل على أهله أم رسوله إليهم ؟ والله لو لم تعلموا فضل الخليفة إلا أن إبراهيم خليل الرحمن استسقاه فسقاه ملحاً أجاجاً ، واستسقى

---

(١) لم أجد له ترجمة فيما لدي من مصادر .

(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط .

(٣) في أ : قمولية ؛ خطأ ، والخبر في الطبري (٦/ ٤٣٩) وابن الأثير (٤/ ٥٣٥) .

(٤) في الطبري وابن الأثير : خرقانة السفلى . وخرقان : بفتح أوله ، وتشديد ثانيه وفتحه ، وقاف في آخره نون : مدينة قرب تبريز بأذربيجان . معجم البلدان (٢/ ٣٦٠) .

(٥) البيت في الطبري (٦/ ٤٣٩) .

(٦) نص كتاب الحجاج في الطبري (٦/ ٤٤٠) وابن الأثير (٤/ ٥٣٥ ـ ٥٣٦) .

الخليفة فسقاه عذباً فراتاً ـ يعني البئر التي احتفرها بالثنيتين ثنية طوى وثنية الحجون ـ فكان ينقل ماؤها فيوضع في حوض من أدم إلى جنب زمزم ليعرف فضله على زمزم . قال ثم غارت تلك البئر فذهب ماؤها فلا يدرى أين هو إلى اليوم .

وهذا الإسناد غريب ، وهذا الكلام يتضمن كفراً إن صحَّ عن قائله ، وعندي أن خالد بن عبد الله لا يصح عنه هذا الكلام ، وإن صحّ فهو عدو الله ، وقد قيل عن الحجاج بن يوسف نحو هذا الكلام من أنه جعل الخليفة أفضل من الرسول الذي أرسله الله ، وكل هذه الأقوال تتضمن كفر قائلها[١] .

وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك[٢] الترك حتى بلغ باب [الأبواب][٣] من ناحية أذربيجان ، وفتح حصوناً ومدائن كثيرة هنالك .

وحج بالناس فيها عمر بن عبد العزيز . قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي[٤] : وفي هذه السنة فتحت ميورقة ومَنورقة . [وهما في البحر بين جزيرة صقلية وجزيرة الأندلس .

وفيها سيّر موسى بن نصير ولده إلى النقريس ملك الفرنج فافتتح بلاداً كثيرة][٥] .

وفيها توفي من الأعيان :

عبد الله بن بسر[٦] بن أبي بسر المازني ، له ولأبيه صحبة ، والصحيح أنه توفي في التي قبلها .

عبدُ الله بن ثعلبة بن صُعَير[٧] أحد التابعين العُذْري الشاعر ، وقد قيل إنه أدرك حياة النبي ﷺ ، ومسح على رأسه[٨] ، وكان الزهري يتعلم منه النسب .

والعمال في هذه السنة هم المذكورون في التي قبلها .

---

(١) قال الذهبي تعليقاً على هذه الرواية في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦٩/ ص٣٥) : ما أعتقد أن هذا وقع ، والله أعلم .

(٢) في ط : قتيبة بن مسلم ؛ خطأ .

(٣) زيادة من ط ؛ وفي الطبري (٦/ ٤٤١) : حتى بلغ الباب .

(٤) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨٩/ ص٣٤) .

(٥) ما بين معكوفين زيادة من ط توافق تاريخ الإسلام للذهبي .

(٦) وردت ترجمته مع وفيات السنة السابقة .

(٧) ترجمة ـ عبد الله بن ثعلبة ـ في تاريخ خليفة (٣٠٢) وطبقاته (٢٣) وتاريخ البخاري (٥/ ٣٥ ـ ٣٧) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢٥٣) وأنساب الأشراف (١/ ١٢٩) والاستيعاب (٢/ ٢٧١) وتاريخ دمشق (٢٧/ ١٧٨ ـ ١٩٠) وأسد الغابة (٣/ ١٢٨) . والكامل لابن الأثير (٤/ ٥٤١) وقال : صُعَير ـ بضم الصاد ـ ، وفتح العين المهملتين . وتهذيب الكمال (١٤/ ٣٥٣) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٠٣ ـ ١٠٤) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٥٠٣) والوافي بالوفيات (١٧/ ٩٩) والإصابة (٢/ ٢٨٥) وتهذيب التهذيب (٥/ ١٦٥) وشذرات الذهب (١/ ٣٥٢) .

(٨) تاريخ البخاري (٥/ ٣٦) وتاريخ دمشق (٢٧/ ١٨٢) وفيه : على وجهه .

ثم دخلت سنة تسعين من الهجرة

فيها غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بلاد الروم ؛ ففتحا حصوناً وقتلا خلقاً من الروم وغنما وأسرا خلقاً كثيراً .

وفيها أسرت الروم خالد بن كيسان صاحب البحر ، وذهبوا به إلى ملكهم فأهداه ملك الروم إلى الوليد بن عبد الملك .

وفيها عزل الوليد أخاه عبد الله بن عبد الملك عن إمرة مصر وولّى عليها قُرّة بن شريك .

وفيها قَتل محمد بن القاسم ملك الهند داهر بن صصّة[١] ، وكان محمد بن القاسم هذا على جيش من جهة الحجاج .

وفيها فتح قتيبة بن مسلم مدينة بخارى وهزم جميع العدو من الترك بها ، وجرت بينهم فصول يطول ذكرها ، وقد تقصاها ابن جرير[٢] .

وفيها طلب طرخون ملك الصغد بعد فتح بخارى من قتيبة أن يصالحه على مال يبذله في كل عام فأجابه قتيبة إلى ذلك وأخذ منه رهناً عليه .

وفيها نقض نيزك ملك الترك الصلح الذي كان بينه وبين قتيبة ، واستجاش عليه بالملوك كلها ، فأتاه ملوك كثيرة كانوا قد عاهدوا قتيبة على الصلح فنقضوا كلهم وصاروا يداً واحدة على قتيبة ، واتعدوا إلى الربيع [وتعاهدوا وتعاقدوا] على أن يجتمعوا فيقاتلوا كلهم في فصل الربيع من السنة الآتية ، فقتل منهم قتيبة في ذلك الحين مقتلة عظيمة جداً [لم يسمع بمثلها] وصلب منهم سماطين في مسافة أربع فراسخ في نظام واحد ، وذلك مما كسر جموعهم كلهم[٣] .

وفي هذه السنة هرب يزيد بن المهلّب وأخواه المفضل وعبد الملك من سجن الحجاج ، فلحقوا بسليمان بن عبد الملك فأمنهم من الحجاج ، وذلك أن الحجاج كان قد احتاط عليهم قبل ذلك وعاقبهم عقوبة عظيمة ، وأخذ منهم ستة آلاف ألف ، وكان أصبرهم على العقوبة يزيد بن المهلب ، كان لا يسمع له صوت ولو فعلوا به ما فعلوا نكاية لذلك ، فكان في ذلك بغيض الحجاج ، قال قائل للحجاج : إن في

---

(١) تاريخ خليفة (٣٠٦) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٦٠) وفيه : صَصَّه بن داهر .

(٢) تاريخ الطبري (٦/ ٤٤٢ـ٤٤٧) وجملة هذه الأخبار أيضاً في ابن الأثير (٤/ ٥٤٢ـ٥٤٥) . وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٦ ـ ٣٧) باختصار .

(٣) الخبر في تاريخ الطبري (٦/ ٤٤٧) وابن الأثير (٤/ ٥٤٥) .

ساقه أثر نشابة بقي نصلها فيه ، وإنه متى أصابها شيء لا يملك نفسه أن يصرخ ، فأمر الحجاج : أن ينال ذلك الموضع منه بعذاب ، فصاح فلما سمعت أخته هند بنت المهلب ـ وكانت تحت الحجاج ـ صوته بكت وناحت عيه فطلقها الحجاج ثم أودعهم في السجن ، ثم خرج الحجاج إلى بعض المحال لينفذ جيشاً إلى الأكراد واستصحبهم معه ، فخندق حولهم ووكل بهم الحرس ، فلما كان في بعض الليالي أمر يزيد بن المهلّب بطعام كثير فصنع للحرس ، ثم تنكر في هيئة بعض الطباخين وجعل لحيته لحية بيضاء وخرج فرآه بعض الحرس فقال : ما رأيت مشية أشبه بمشية يزيد بن المهلب من هذا ، ثم اتبعه يتحققه ، فلما رأى بياض لحيته انصرف عنه ، ثم لحقه أخواه فركبوا السفن [وساروا نحو الشام] فلما بلغ الحجاج هربهم انزعج لذلك وذهب وهمه أنهم ساروا إلى خراسان ، فكتب إلى قتيبة بن مسلم يحذره قدومهم ويأمرهم بالاستعداد لهم ، وأن يرصدهم في كل مكان ، ويكتب إلى أمراء الثغور والكور بتحصيلهم وكتب إلى أمير المؤمنين يخبره بهربهم ، وأنه لا يراهم هربوا إلا إلى خراسان ، وخاف الحجاج من يزيد أن يصنع كما صنع ـ عبد الرحمن بن محمد ـ بن الأشعث من الخروج عليه وجمع الناس له ، وتحقق عنده قول الراهب . وأما يزيد بن المهلب فإنه سلك على البطائح وجاءته خيول كان قد أعدها له أخوه مروان بن المهلّب لهذا اليوم ، فركبها وسلك به دليل من بني كلب يقال له عبد الجبار بن يزيد ، فأخذ بهم على السماوة ، وجاء الخبر إلى الحجاج بعد يومين أن يزيد قد سلك نحو الشام ، فكتب إلى الوليد يعلمه بذلك ، وسار يزيد حتى نزل الأردن[1] على وهيب بن عبد الرحمن الأزدي ـ وكان كريماً على سليمان بن عبد الملك ـ فسار إليه فقال له : إن يزيد بن المهلب وأخويه في منزلي ، قد جاءوا مستعيذين بك من الحجاج ، قال : فاذهب فائتني بهم فهم آمنون ما دمت حياً ، فجاءهم فذهب بهم حتى أدخلهم على سليمان بن عبد الملك ، فأمنهم سليمان وكتب إلى أخيه الوليد : إن آل المهلب قد أمنتهم ، وإنما بقي للحجاج عندهم ثلاثة آلاف ألف ، وهي عندي . فكتب إليه الوليد : لا والله لا أؤمنه حتى تبعث به إليّ . فكتب إليه : لا والله لا أبعثه حتى أجيء معه ، فأنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تفضحني أو تخفرني في جواري . فكتب إليه : لا والله لا تجيء معه وابعث به إليّ في وثاق . فقال يزيد : ابعث بي إليه فما أحب أن أوقع بينك وبينه عداوة وحرباً ، فابعثني إليه وابعث معي ابنك واكتب إليه بألطف عبارة تقدر عليها فبعثه وبعث معه ابنه أيوب ، وقال لابنه : إذا دخلت في الدهليز فادخل مع يزيد في السلسلة ، وادخلا عليه كذلك . فلما رأى الوليد ابن أخيه في سلسلة ، قال : والله لقد بلغنا من سليمان . ودفع أيوب كتاب أبيه إلى عمّه وقال : يا أمير المؤمنين نفسي فداؤك لا تخفر ذمة أبي وأنت أحق من منعها ، ولا تقطع منا رجاء من رجا السلامة في جوارنا لمكاننا منك ، ولا تذل من رجا العز في الانقطاع إلينا لعزنا بك . ثم قرأ الوليد كتاب سليمان بن عبد الملك فإذا فيه : أما بعد يا أمير المؤمنين فوالله إن كنت لأظن لو استجار بي عدو قد نابذك وجاهدك فأنزلته وأجرته أنك لا تذل جواري ولا تخفره ، بل لم أُجر إلا سامعاً مطيعاً ، حسن البلاء

(١) في الطبري (٦/ ٤٥٠) وابن الأثير (٤/ ٥٤٦) وسار يزيد حتى قدم فلسطين .

والأثر في الإسلام هو وأبوه وأهل بيته ، وقد بعثت به إليك فإن كنت إنما تعد قطيعتي وإخفار ذمتي والابلاغ في مساءتي فقد قدرت إن أنت فعلت ، وأنا أعيذك بالله من احتراد[1] قطيعتي وانتهاك حرمتي ، وترك بِرّي [وإجابتي إلى ما سألتك] ووصلتي ، فوالله يا أمير المؤمنين ما تدري ما بقائي وبقاؤك ، ولا متى يفرِّق الموت بيني وبينك ، فإن استطاع أمير المؤمنين أدام الله سروره أن لا يأتي أجل الوفاة علينا إلا وهو لي واصل ولحقي مؤدٍّ ، وعن مساءتي نازع فليفعل ، ووالله يا أمير المؤمنين ما أصبحت بشيء من أمر الدنيا بعد تقوى الله بأسرَّ مني برضاك وسرورك ، وإن رضاك وسرورك أحب إليّ من رضائي وسروري ، ومما ألتمس به رضوان الله عزَّ وجلَّ لصلتي ما بيني وبينك ، وإن كنت يا أمير المؤمنين يوماً من الدهر تريد صلتي وكرامتي وإعظام حقي فتجاوز لي عن يزيد ، وكل ما طلبته به فهو عليّ .

فلما قرأ الوليد كتابه قال: لقد شققنا على سليمان، ثم دعا ابن أخيه فأدناه منه، وتكلّم يزيد بن المهلّب فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على رسوله ثم قال: يا أمير المؤمنين إن بلاءكم عندنا أحسن البلاء، فمن ينس ذلك فلسنا ناسيه ، ومن يكفره فلسنا بكافريه ، وقد كان من بلائنا أهل البيت في طاعتكم والطعن في أعين أعدائكم في المواطن العظام في المشارق والمغارب ، ما إن المنة فيه علينا عظيمة . فقال له : اجلس ؛ فجلس ، فأمنه وكف عنه وردَّه إلى سليمان ، وكان عنده يعلِّمه الهيئة ، ويصف له ألوان الأطعمة الطيبة ، وكان حظيّاً عنده لايُهدى إليه بهدية إلا أرسل له بنصفها، وتقرب يزيد بن المهلب إلى سليمان بأنواع الهدايا والتحف والتقادم، وكتب الوليد إلى الحجاج إني لم أصل إلى يزيد بن المهلب وأهل بيته مع أخي سليمان، فاكفف عنهم واله عن الكتاب إليّ فيهم. فكفّ الحجاج عن آل المهلب وترك ما كان يطالبهم به من الأموال، حتى ترك لأبي عيينة بن المهلّب ألف ألف درهم ، ولم يزل يزيد بن المهلّب عند سليمان بن عبد الملك حتى هلك الحجاج في سنة خمس وتسعين، كما سيأتي، وولي يزيد بلاد العراق بعد الحجاج[2] .

وفيها توفي من الأعيان :

تياذوق[3] الطبيب[4] الحاذق ، له مصنفات في فنه ، وكان حظيّاً عند الحجّاج ، مات في حدود سنة تسعين بواسط .

[وفيها توفي :

عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة[5] .

---

(١) الاحتراد : من الحرد وهو القصد . القاموس (حرد) .

(٢) ثمة بعض الخلافات اللفظية في آثرنا عدم الإشارة إليها لتوافق المعنى .

(٣) في ط : « يتاذوق » ، محرف .

(٤) ترجمة ـ يتاذوق ـ في أخبار الحكماء للقفطي (١٠٥) طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (١/ ١٢١) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٧) والوافي بالوفيات (١٠/ ٤٤٩ـ٤٥٠) .

(٥) ترجمة ـ عبد الرحمن بن المسور ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ١١٤) وتاريخ خليفة (٣٠٣) وطبقاته (٢٤٣) والمعرفة =

وأبو العالية الرِّياحي[١] .

وسِنان بن سَلَمة بن المحبِّق[٢] ، أحد الشجعان المذكورين ، أسلم يوم الفتح ، وتولّى غزو الهند ، وطال عمره .

وتوفي في هذه السنة :

محمد بن يوسف الثقفي[٣] أخو الحجاج ، وكان أميراً على اليمن ، وكان يلعن علياً على المنابر ، قيل إنه أمر حجر المدري أن يلعن علياً فقال : بل لعن الله من يلعن علياً ، ولعنة الله على من لعنه الله[٤] . وقيل إنه ورَّى في لعنه ، فالله أعلم][٥] .

خالد بن يزيد بن معاوية[٦] ، أبو هاشم الأموي الدمشقي ، وكانت داره بدمشق تلي دار الحجارة ،

= والتاريخ (١/ ٣٦٩) والكامل في التاريخ (٤/ ٥٤٨) وتهذيب الكمال (١٧/ ٤٠٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٣١ ـ ١٣٢) وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٦٩) .

(١) ترجمة ـ أبي العالية الرياحي ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ١١٢) وطبقات خليفة (٢٠٢) والمعرفة والتاريخ (١/ ١٣٧) ومواضع أخرى ، وأنساب الأشراف (١/ ٥١٦) وحلية الأولياء (٢/ ٢١٧) وتاريخ دمشق (١٨/ ١٥٩ و٦٧/ ٢٢) وسماه : رفيع بن مهران ، وتهذيبه (٥/ ٣٢٦) وأسد الغابة (٢/ ١٨٦) وتهذيب الكمال (٩/ ٢١٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٤١) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٠٧) والوافي بالوفيات (١٤/ ١٣٨) والإصابة (١/ ٥٢٨) وتهذيب التهذيب (٣/ ٢٨٣) وشذرات الذهب (١/ ١٠٢) .

(٢) ترجمة ـ سنان بن سلمة ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ١٢٤) وتاريخ خليفة (٢٠٩ـ٢١٢) وطبقاته (١٩٢) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٣٣) والاستيعاب (٢/ ٨٢) وأسد الغابة (٢/ ٣٥٧) وتهذيب الكمال (١٢/ ١٤٩) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٧٤ ـ ٧٥) والوافي بالوفيات (١٥/ ٤٦١) وتهذيب التهذيب (٤/ ٢٤١) والإصابة (٢/ ١٣١) وشذرات الذهب (١/ ١٧٨) .

(٣) ترجمة ـ محمد بن يوسف الثقفي ـ في تاريخ خليفة (٢٩٣ و٣١١) والمعرفة والتاريخ (١ ـ ٦٨) والكامل لابن الأثير (٥/ ٥٧) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٧٠) وقال الذهبي : قال سعيد بن عفير : مات باليمن في رجب سنة إحدى وتسعين . والوافي بالوفيات (٥/ ٢٤٢) .

(٤) عبارة الذهبي في تاريخ الإسلام : قال : إن الأمير أمرني أن ألعن علياً فالعنوه . لعنه الله ، فما فطن لها إلا رجلٌ .
قلت : حجر المدري ؛ وثقه العجلي .
وقد تحرفت المدري في ط إلى المنذري .

(٥) ما بين معكوفين زيادة من ط .

(٦) ترجمة ـ خالد بن يزيد بن معاوية ـ في تاريخ خليفة (٢٥٩) والأخبار الطوال (٢٨٥ و٣٢٥) والمعرفة والتاريخ (١/ ٥٧١) و٥٧٢) ومواضع أخرى ، وأنساب الأشراف (٣/ ٧٤ و٨٥) وتاريخ دمشق (١٦/ ٣٠١) وتهذيبه (٥/ ١١٩ـ١٢٣) وأسد الغابة (٢/ ٩٧) ووفيات الأعيان (٢/ ٢٢٤) وتهذيب الكمال (٨/ ٢٠١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٥٥ ـ ٥٨) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٨٢) وتهذيب التهذيب (٣/ ١٢٨) والإصابة (١/ ٤٦٩) وشذرات الذهب (١/ ٣٥٩) .

وكان عالماً شاعراً ، وينسب إليه شيء من علم الكيمياء[١] ، وكان يعرف شيئاً من علوم الطبيعة ، روى عن أبيه ودحية الكلبي ، وعنه الزهري وغيره .

قال الزُّهري : كان خالد يصوم الأعياد كلَّها الجمعة والسبت والأحد .

وقال أبو زرعة الدمشقي : كان هو وأخوه معاوية من خيار القوم ، وقد ذكر للخلافة بعد أخيه معاوية بن يزيد ، وكان ولي العهد من بعد مروان فلم يتم له الأمر ، وكان مروان زوج أمه ، ومن كلامه : أقرب شيء الأجل ، وأبعد شيء الأمل ، وأرجى شيء العمل .

وقد امتدحه بعض الشعراء فقال :

سألت الندا والجودَ حُرّانِ أنتما ... فقالا جميعاً[٢] إننا لعبيدُ

فقلتُ ومن مولاكُما فتطاولا ... عليّ وقالا خالدُ بن يزيدْ[٣]

قال : فأمر له بمئة ألف .

وكانت وفاته في هذا العام ، وقيل في سنة أربع وثمانين وقد ذكر هناك ، والصحيح الأول .

عبد الله بن الزَّبير[٤] بن سُليم ، الأسدي ، الشاعر أبو كثير[٥] ، ويقال أبو سعيد ، وهو مشهور ، وفد على عبد الله بن الزبير فامتدحه فلم يعطه شيئاً فقال : لعن الله ناقة حملتني إليك ، فقال ابن الزُّبير : إنَّ وصاحبها ، يقال إنه مات في زمن الحجاج .

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين

فيها غزا الصائفة مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه عبد العزيز بن الوليد ، وفيها غزا مسلمة بلاد الترك حتى بلغ الباب من ناحية أذربيجان ، ففتح مدائن وحصوناً كثيرة أيضاً [وكان الوليد قد عزل عمه محمد بن مروان عن الجزيرة وأذربيجان وولاهما أخاه مسلمة بن عبد الملك][٦] .

---

(١) قال الذهبي : ونقل ابن خلكان : أنه كان يعرف الكيمياء . . وهذا لم يصح . تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٥٧) .

(٢) في ط : فردا وقالا ، وما أثبت يوافق المصادر .

(٣) الأبيات في تاريخ دمشق (١٦/ ٣١٠) ووفيات الأعيان (٢/ ٢٢٥) وتاريخ الإسلام (ص٥٧) وتهذيب تاريخ دمشق (٥/ ٢١) .

(٤) ترجمة ـ عبد الله بن الزَّبير ـ في طبقات خليفة (ت٢٥٩٣) والأغاني (١٣/ ٣٣) وتاريخ دمشق (٢٨/ ٢٥٨) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٠٨) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٨٣) والوافي بالوفيات (٧/ ١٨٠) وتهذيب تاريخ ابن عساكر (٧/ ٤٢٦) .

(٥) في تاريخ الإسلام : أبو كبير .

(٦) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وهي توافق الطبري (٦/ ٤٥٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٥٢) .

وفيها غزا موسى بن نصير بلاد المغرب ففتح مدناً كثيرة [ودخل في تلك البلاد وولج فيها حتى دخل أراضي غابرة قاصية فيها آثار قصور وبيوت ليس بها ساكن ، ووجد هناك من آثار نعمة أهل تلك البلاد ما يلوح على سماتها أن أهلها كانوا أصحاب أموال ونعمة دارّة سائغة ، فبادوا جميعاً فلا مخبر بها](١) .

وفيها مهد قتيبة بن مسلم بلاد الترك الذين كانوا قد نقضوا ما كانوا عاهدوه عليه من المصالحة [وذلك بعد قتال شديد وحرب يشيب لها الوليد ، وذلك أن ملوكهم كانوا قد اتعدو في العام الماضي في أول الربيع أن يجتمعوا ويقاتلوا قتيبة ، وأن لا يولوا عن القتال حتى يخرجوا العرب من بلادهم ، فاجتمعوا اجتماعاً هائلاً لم يجتمعوا مثله في موقف ، فكسرهم قتيبة] وقتل منهم أمماً كثيرة ، وكسر جيوشهم ، ورد الأمور إلى ما كانت عليه ، حتى ذكر أنه صلب منهم في بعض الأماكن من جملة من أخذه من الأسارى سماطين طولهما أربعة فراسخ من هاهنا وهاهنا ، عن يمينه وشماله ، صلب الرجل منهم بجنب الرجل ، وهذا شيء كثير ، وقتل في الكفار قتلاً ذريعاً ، ثم لا يزال يتتبع نيزك خان ملك الترك الأعظم من إقليم ، إلى إقليم ، ومن كورة إلى كورة ، ومن رستاق إلى رستاق ، ولم يزل ذلك دأبه ودأبه حتى حصره في قلعة هنالك(٢) شهرين متتابعين ، حتى نفد ما عند نيزك خان من الأطعمة ، وأشرف هو ومن معه على الهلاك ، فبعث إليه قتيبة من جاء به مستأمناً [مذموماً مخذولاً] فسجنه عنده ثم كتب إلى الحجاج في أمره فجاء الكتاب بعد أربعين يوماً بقتله ، فجمع قتيبة الأمراء فاستشارهم فيه فاختلفوا عليه ، فقائل يقول : اقتله . وقائل يقول لا تقتله ، فقال له بعض الأمراء : إنك أعطيت الله عهداً لئن ظفرت به لتقتلنه ، وقد أمكنك الله منه ، فقال قتيبة : والله إن لم يبق من عمري إلا ما يسع ثلاث كلمات لقتلته ، ثم قال : اقتلوه اقتلوه اقتلوه ، فقتل هو وسبعمئة من أصحابه في غداة واحدة(٣) .

قال الواقدي وغيره(٤) : وحج بالناس في هذه السنة أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك ، فلما اقترب قدومه إلى المدينة أمر عمر بن عبد العزيز أشراف المدينة فتلقوه فرحب بهم وأحسن إليهم ، ودخل المدينة النبوية فأخلي له المسجد النبوي ، فلم يبق به أحد سوى سعيد بن المسيب لم يتجاسر أحد أن يخرجه ، وإنما عليه ثياب لا تساوي خمسة دراهم ، فقالوا له : تنحَّ عن المسجد أيها الشيخ ، فإن أمير المؤمنين

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وفي الطبري (٦/ ٤٥٤) : وفيها غزا موسى بن نصير الأندلس ، ففتح على يديه أيضاً مدائن وحصون .

(٢) سماها الذهبي : بغلان ، قال ياقوت : بغلان ـ بفتح أوله وسكون ثانيه ـ ، بلدة بنواحي بلخ ، وظني أنها من طخارستان وهي العليا والسفلى ، وهما من أنزه بلاد الله على ما قيل لكثرة الأنهار والتفاف الأشجار . معجم البلدان (١/ ٤٦٨) .

(٣) تفصيل خبر نيزك وقتله في الطبري (٦/ ٤٥٤ ـ ٤٥٨) وابن الأثير (٤/ ٥٤٩ ـ ٥٥٢) وفي ط زيادة مفادها سرد لملاحقة قتيبة لنيزك وفيها من التكرار ما لا فائدة منه ، وهي لا توافق أ ، ب واختصارها من المصادر فيه خلل كبير ؛ فأعرضنا صفحاً عنها .

(٤) تاريخ الطبري (٦/ ٤٦٥) .

قادم ، فقال : والله لا أخرج منه ، فدخل الوليد المسجد فجعل يدور فيه يصلي هاهنا ويدعو هاهنا ، قال عمر بن عبد العزيز : وجعلت أعدل به عن موضع سعيد خشية أن يراه ، فحانت منه التفاتة فقال : من ؟ هذا أهو سعيد بن المسيّب ؟ فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، ولو علم بأنك قادم لقام إليك وسلم عليك . فقال : قد علمت حاله ، وجعل يدور في المسجد ويتفرج في عمارته ويسألني عن سعيد بن المسيّب ، فقلت : إنه وإنه ، وقصدت موافقته في ذلك ، فشرع يثني عليه . فقلت : يا أمير المؤمنين إنه ضعيف البصر ـ وإنما قلت ذلك لأعتذر له ـ فقال : نحن أحق بالسعي إليه ، فجاء فوقف عليه فسلّم عليه فلم يقم له سعيد ، ثم قال الوليد : كيف الشيخ ؟ فقال : بخير والحمد لله ، كيف أمير المؤمنين ؟ فقال الوليد : بخير والحمد لله وحده ، ثم انصرف وهو يقول لعمر بن عبد العزيز : هذا بقيَّة الناس . فقال : أجل يا أمير المؤمنين . قالوا : ثم خطب الوليد على منبر رسول الله ﷺ فجلس في الخطبة الأولى وانتصب قائماً في الثانية ، وقال : هكذا خطب عثمان ، ثم انصرف فصرف على الناس من أهل المدينة ذهباً كثيراً وفضة كثيرة ، ثم كسا المسجد النبوي بكسوة من كسوة الكعبة التي معه ، وهي من ديباج غليظ .

وتوفي في هذه السنة :

السائب بن يزيد[1] بن سعيد بن ثمامة ، وقد حج به أبوه مع رسول الله ﷺ وعمره سبع سنين ، رواه البخاري[2] . فلهذا قال الواقدي : إنه ولد سنة ثلاث من الهجرة ، وتوفي سنة إحدى وتسعين . وقال غيره : سنة ست وقيل ثمان وثمانين ، فالله أعلم .

سهل بن سعد الساعدي[3] ، صحابي مدني جليل ، توفي رسول الله ﷺ وله من العمر خمس عشرة سنة ، وكان ممن ختمه الحجاج في عنقه هو وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله في يده ، ليذلّهم كيلا يسمع الناس من رأيهم ، قال الواقدي : توفي سنة إحدى وتسعين عن مئة سنة ، وهو آخر من مات في المدينة من

---

(١) ترجمة ـ السائب بن يزيد ـ في تاريخ خليفة (٢٨٠) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٥٧ و٣٥٨) وأنساب الأشراف (٣/ ٧) ومواضع أخرى ، والاستيعاب (٢/ ٥٧٦) وتاريخ دمشق (٢٠/ ١٠٦) وتهذيبه (٦/ ٦٣) والكامل لابن الأثير (٤/ ٤٥٦) وأسد الغابة (٢/ ٢٥٧) وتهذيب الكمال (١٠/ ١٩٣) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٦٣ ـ ٣٦٦) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٣٧) والوافي بالوفيات (١٥/ ١٠٤) والإصابة (٢/ ١٢) وتهذيب التهذيب (٣/ ٤٥٠) وشذرات الذهب (١/ ٣٦٠) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٨٥٨) في جزاء الصيد .

(٣) ترجمة ـ سهل بن سعد الساعدي ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ١٥٠ـ١٥١) وتاريخ خليفة (٣٠٣) وطبقاته (٩٨) وتاريخ البخاري (٤/ ٩٧ ـ ٩٨) والمعرفة والتاريخ (٣٣٨) والاستيعاب (٢/ ٩٥) وأسد الغابة (٢/ ٤٧٢) والكامل لابن الأثير (٢/ ٤٧٢) وتهذيب الكمال (١٢/ ١٨٨) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ص٣٨٣ ـ ٣٨٤) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٢٢ ـ ٤٢٤) والوافي بالوفيات (١٦/ ١١ ـ ١٢) وتهذيب التهذيب (٤/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣) والإصابة (٢/ ٨٨) وشذرات الذهب (١/ ٣٦١) .

الصحابة . قال محمد بن سعد : وليس في هذا خلاف ، وقد قال البخاري وغيره : توفي سنة ثمان وثمانين ، فالله أعلم[١] .

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين

فيها غزا مسلمة وابن أخيه عمر بن الوليد بلاد الروم ففتحا حصوناً كثيرة وغنما شيئاً كثيراً وهربت منهم الروم إلى أقصى بلادهم[٢] .

وفيها غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير بلاد الأندلس في اثني عشر ألفاً ، فخرج إليه ملكها أدرينوق[٣] في جحافلة وعليه تاجه ومعه سرير ملكه ، فقاتله طارق فهزمه وغنم ما في معسكره [فكان من جملة ذلك السرير] وتملك بلاد الأندلس بكمالها [قال الذهبي[٤] : كان طارق بن زياد أمير طنجة وهي أقصى بلاد المغرب ، وكان نائباً لمولاه موسى بن نصير ، فكتب إليه صاحب الجزيرة الخضراء[٥] يستنجد به على عدوه ، فدخل طارق إلى جزيرة الأندلس من زقاق سبتة وانتهز الفرصة لكون الفرنج قد اقتتلوا فيما بينهم ، وأمعن طارق في بلاد الأندلس فافتتح قرطبة وقتل ملكها أدرينوق[٦] ، وكتب إلى موسى بن نصير بالفتح ، فحسده موسى على الانفراد بهذا الفتح ، وكتب إلى الوليد يبشره بالفتح وينسبه إلى نفسه ، وكتب إلى طارق يتوعده لكونه دخل بغير أمره ، ويأمره أن لا يتجاوز مكانه حتى يلحق به ، ثم سار إليه مسرعاً بجيوشه فدخل الأندلس ومعه حبيب بن أبي عبيدة الفهري ، فأقام سنين[٧] يفتح في بلاد الأندلس ويأخذ المدن والأموال[٨] ، ويقتل الرجال ويأسر النساء والأطفال ، فغنم شيئاً لا يحد ولا يوصف ولا يعد ، من

---

(١) قال الذهبي في تاريخ الإسلام (ص٣٨٤) : اتفقوا على أنه مات سنة إحدى وتسعين ، إلا ما ذكر أبو نعيم والبخاري أنه مات سنة ثمان وثمانين .

(٢) في الطبري (٦/ ٤٦٨) وابن الأثير (٤/ ٥٥٦) : وجلا أهل سوسنة إلى جوف أرض الروم .

(٣) كذا سماه الطبري (٦/ ٤٦٨) وفي ابن الأثير (٤/ ٥٦١) : الأذر يتوق ، وفي العيون والحدائق (ص٣) الأذريق . وقال : إنه لقب ملوك الأندلس ، كما هو لقب الأكاسرة ، وفي الإمامة والسياسة (٢/ ٧٣) : لذريق .

(٤) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٥٥) .

(٥) الجزيرة الخضراء : مدينة مشهورة بالأندلس ، وقبالتها من البر بلاد البربر سبتة ، وأعمالها متصلة بأعمال شذونة ، وهي شرقي شذونة ، وقبلي قرطبة ومدينتها من أشرف المدن وأطيبها أرضاً ، وسورها يضرب به ماء البحر ، ولا يحيط بها البحر كما تكون الجزائر ، لكنها متصلة ببر الأندلس لا حائل من الماء دونها . معجم البلدان (٢/ ١٣٦) .

(٦) في الكامل لابن الأثير (٤/ ٥٦٣) : أنه غرق في النهر .

(٧) في تاريخ الإسلام : سنتين .

(٨) إلى هنا ينتهي النقل من تاريخ الإسلام : وزاد الذهبي : ثم استخلف ـ أي موسى بن نصير ـ ولده عبد العزيز ، ورجع بأموال عظيمة ، وسار بتحف الغنائم إلى الوليد .

الجواهر واليواقيت والذهب والفضة ، ومن آنية الذهب والفضة والأثاث والخيول والبغال وغير ذلك شيئاً كثيراً ، وفتح من الأقاليم الكبار والمدن شيئاً كثيراً .

وكان مما فتح مسلمة وابن أخيه عمر بن الوليد من حصون بلاد الروم حصن سوسنة وبلغا إلى خليج القسطنطينية .

وفيها فتح قتيبة بن مسلم شومان وكش ونسف ، وامتنع عليه أهل فرياب فأحرقها ، وجهز أخاه عبد الرحمن إلى الصغد إلى طرخون خان ملك تلك البلاد ، فصالحه عبد الرحمن وأعطاه طرخون خان أموالاً كثيرة ، وقدم على أخيه وهو ببخارى فرجعوا[١] إلى مرو ، ولما صالح طرخون عبد الرحمن ورحل عنه اجتمعت الصغد وقالوا لطرخون : إنك قد بؤت بالذل ، وأديت الجزية ، وأنت شيخ كبير ، فلا حاجة لنا فيك ، ثم عزلوه وولوا عليهم غورك خان[٢] ـ أخا طرخون خان ـ ثم إنهم عصوا ونقضوا العهد ، وكان من أمرهم ما سيأتي][٣] .

وفيها غزا قتيبة سجستان يريد رُتبيل ملك الترك الأعظم ، فلما انتهى إلى أول مملكة رتبيل تلقته رسله يريدون منه الصلح على أموال عظيمة ، خيول ورقيق ونساء من بنات الملوك ، يحمل ذلك إليه[٤] ، فصالحه .

وحج بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز نائب المدينة .

وتوفي فيها من الأعيان :

مالك بن أوس بن الحدثان البصري[٥] ، أبو سعيد المدني ، مختلف في صحبته .

قال بعضهم[٦] : ركب الخيل في الجاهلية ورأى أبا بكر .

---

(١) في الأصل : فرجع والتصحيح من ابن الأثير .

(٢) في الطبري وابن الأثير : غوزك .

(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط : والخبر بأوسع مما هنا في الطبري (٦/ ٤٦١ ـ ٤٦٤) وابن الأثير (٤/ ٥٥٣ ـ ٥٥٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٥٢ ـ ٢٥٣) ضمن أحداث سنة إحدى وتسعين .

(٤) من قوله : على أموال عظيمة . . . إلى هنا ساقط من ب ، والخبر في الطبري (٦/ ٤٦٨) وابن الأثير (٤/ ٥٦٨) وليس فيهما هذه الزيادة ؛ إنما قالا : تلقته رسل رتبيل بالصلح فقبل ذلك وانصرف ، واستعمل عليهم عبد ربه بن عبد الله بن عمير اللَّيثي .
وقال الذهبي في تاريخ الإسلام (ص٢٥٤) بعد ذكره الخبر : فصالحه . وما زاد على ذلك .

(٥) ترجمة ـ مالك بن أوس ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٥٦ ، ٥٧) وتاريخ خليفة (١٣٣) وطبقاته (٢٣٦) وتاريخ البخاري (٧/ ٣٠٥) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٩٧) والاستيعاب (٣/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣) وأسد الغابة (٤/ ٣٧٢) وتهذيب الكمال (٢٧/ ١٢١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٦٤ ـ ٤٦٥) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٧١ ـ ١٧٢) وتهذيب التهذيب (١٠/ ١٠ ـ ١١) والإصابة (٣/ ٣٣٩) وشذرات الذهب (١/ ٣٦٢) .

(٦) ذكر الذهبي هذا القول عن الواقدي .

وقال محمد بن سعد : رأى رسول الله ﷺ ولم يحفظ منه شيئاً ، وأنكر ذلك ابن معين والبخاري وأبو حاتم ، وقالوا : لا تصح له صحبة ، والله أعلم .

مات في هذه السنة ، وقيل في التي قبلها ، فالله أعلم .

طويس المغني[١] ، اسمه عيسى بن عبد الله ، أبو عبد المنعم المدني مولى بني مخزوم ، كان بارعاً في صناعته ، وكان طويلاً مضطرباً أحول العين ، وكان مشؤوماً ، لأنه ولد يوم مات رسول الله ﷺ ، وفطم يوم توفي الصديق ، واحتلم يوم قتل عمر ، وتزوج يوم قتل عثمان ، وولد له يوم قتل الحسين بن علي ، وقيل ولد له يوم قتل علي . حكاه ابن خلِّكان وغيره .

وكانت وفاته في هذه السنة عن ثنتين وثمانين سنة بالسويداء[٢] ، وهي على مرحلتين من المدينة .

الأخطل[٣] ، كان شاعراً مطبقاً ، فاق أقرانه في الشعر .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين

وفيها افتتح مسلمة بن عبد الملك حصوناً كثيرة من بلاد الروم ، منها حصن الحديد وغزالة وماسة وغير ذلك .

وفيها غزا العباس بن الوليد ففتح سَمَسْطيَّة .

وفيها غزا مروان بن الوليد الروم حتى بلغ حنجرة[٤] .

وفيها كتب خوارزم شاه إلى قتيبة يدعوه إلى الصلح وأن يعطيه من بلاده مدائن ، وأن يدفع إليه أموالاً ورقيقاً كثيراً على أن يقاتل أخاه[٥] ويسلمه إليه ، فإنه قد أفسد في الأرض وبغى على الناس وعسفهم ، وكان أخوه هذا لا يسمع بشيء حسن عند أحد إلا بعث إليه فأخذه منه ، سواء كان مالاً أو نساءً أو صبياناً أو

---

(١) ترجمة ـ طويس المغني ـ في الأغاني (٣/ ٢٧ ـ ٤٤) ووفيات الأعيان (٣/ ٥٠٦ـ٥٠٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٩٥) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٦٤) والوافي بالوفيات (١٦/ ٥٠١) والنجوم الزاهرة (١/ ٢٢٥) وشذرات الذهب (١/ ٣٦٢) .

(٢) في الأصل : السويد ؛ خطأ ، والسويداء : تصغير سوداء ، موضع على ليلتين من المدينة على طريق الشام (٣/ ٢٨٦) .

(٣) ترجمة ـ الأخطل ـ في طبقات الشعراء (١/ ٤٥١) وتاريخ دمشق (٤٨/ ١٠٤) وأنساب الأشراف (١/ ٧٠) ومواضع أخرى ، ووفيات الأعيان (١/ ٣٢١) ومواضع أخرى ، والمعرفة والتاريخ (٢/ ٥٩٦) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٨٤) ولم يذكر الذهبي سنة وفاته .

(٤) تاريخ الطبري (٦/ ٤٦٩) .

(٥) سماه الطبري : خرّزاد ، وكان أصغر من أخيه .

دواب أو غيره ، فأقبل قتيبة ـ نصره الله ـ في الجيوش فسلَّم إليه خوارزم شاه ما صالحه عليه ، وبعث قتيبة إلى بلاد أخي خوارزم شاه جيشاً فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وأسروا أخاه ومعه أربعة آلاف أسير من كبارهم ، فدفع أخاه إليه ، وأمر قتيبة بالأسارى فضربت أعناقهم بحضرته ، قتل ألفاً بين يديه وألفاً عن يمينه وألفاً عن شماله وألفاً من وراء ظهره ، ليرهب بذلك الأعداء من الترك وغيرهم .

فتح سمرقند

ولما فرغ من هذا كله وعزم على الرجوع إلى بلاده ، قال له بعض الأمراء[١] : إن أهل الصغد[٢] قد أمَّنوك عامك هذا ، فإن رأيت أن تعدل إليهم وهم لا يشعرون ، فإنك متى فعلت ذلك أخذتها إن كنت تريدها يوماً من الدهر فقال قتيبة لذلك الأمير : هل قلت هذا لأحد ؟ قال : لا ! قال فلأن يسمعه منك أحد أضرب عنقك . ثم بعث قتيبة أخاه عبد الرحمن بن مسلم بين يديه في عشرين ألفاً فسبقه إلى سمرقند ، ولحقه قتيبة في بقية الجيش ، فلما سمعت الأتراك بقدومهم إليهم انتخبوا من بينهم كل شديد السَّطوة من أبناء الملوك والأمراء ، وأمروهم أن يسيروا إليهم في الليل فيكبسوا جيش المسلمين ، وجاءت الأخبار إلى قتيبة بذلك فجرّد أخاه صالحاً في ستمئة فارس من الأبطال الذين لا يطاقون ، وقال : خذوا عليهم الطريق ، فساروا فوقفوا لهم في أثناء الطريق وتفرّقوا ثلاث فرق ، فلما اجتازوا بهم باللّيل ـ وهم لا يشعرون بهم ـ ثاروا عليهم فاقتتلوا هم وإياهم ، فلم يفلت من أولئك الأتراك إلا النفر اليسير واحتزوا رؤوسهم وغنموا ما كان معهم من الأسلحة المحلاّة بالذهب[٣] ، والأمتعة ، وقال لهم بعض أولئك : تعلمون أنكم لم تقتلوا في مقامكم هذا إلا ابن ملك أو بطل من الأبطال المعدودين بمئة فارس أو بألف فارس ، فنفَّلهم قتيبة جميع ما غنموه منهم من ذهب وسلاح ، واقترب قتيبة من المدينة العظيمة التي بالصغد ـ وهي سمرقند ـ فنصب عليها المجانيق ـ وهو مع ذلك يقاتلهم لا يقلع عنهم ، وناصحه من معه عليها من أهل بخارى وخوارزم ، فقاتلوا أهل الصغد قتالاً شديداً ، فأرسل إليه غورك[٤] ملك الصغد : إنما تقاتلني بإخوتي وأهل بيتي ، فاخرج إليّ في العرب . فغضب عند ذلك قتيبة وميز العرب من العجم[٥] ، وقدّم الشجعان من العرب وأعطاهم جيّد السلاح ، وانتزعه من أيدي الجبناء ، وزحف بالأبطال على المدينة ورماها بالمجانيق ، فثلم فيها ثلمة فسدها الترك بغرائر الدُّخن ، وقام رجل منهم

---

(١) سماه الطبري (٦/ ٤٧٢) وابن الأثير (٤/ ٥٧١) : المجشّرى مزاحم السُّلَمي .

(٢) في ب : السغد وكذلك في الطبري ؛ ولا فرق .

(٣) في الطبري عن راوي الخبر : وسلبنا من جيد السلاح ، وكريم المتاع ، ومناطق الذَّهب ودوابَّ فرَّهة .

(٤) في الطبري (٦/ ٤٧٤) : غوزك .

(٥) ليس في الطبري ـ والخبر منه ـ أن قتيبة ميز العرب من العجم ، إنما قال : ميز أهل البأس ، فجمعهم ثم جلس يعرضهم بنفسه . . فسمى قتيبة الجبناء الأنتان ، وأخذ خيلهم ، وجيّد سلاحهم فأعطاه الشجعان والمختصرين ، وترك لهم رثَّ السلاح ، ثم زحف بهم . .

فوقها فجعل يشتم قتيبة فرماه رجل من المسلمين بسهم فقلع عينه حتى خرجت من قفاه . فمات بعد ذلك فأعطى قتيبة الذي رماه عشرة آلاف ، ثم لما أصبحوا رماهم بالمجانيق فثلم أيضاً ثلمة وصعد المسلمون فوقها وتراموا هم وأهل البلد بالنشاب ، فقالت الترك لقتيبة : ارجع عنا يومك هذا ونحن نصالحك غداً ، فرجع عنهم وصالحوه من الغد على ألفي ألف ومئة ألف يحملونها إليه في كل عام ، وعلى أن يعطوه في هذه السنة ثلاثين ألف رأس من الرقيق ، ليس فيهم صغير ولا شيخ ولا عيب ، وفي رواية مئة ألف من رقيق[١] ؛ وعلى أن يأخذ حلية الأصنام وما في بيوت النيران ، وعلى أن يخلوا المدينة من المقاتلة حتى يبني فيها قتيبة مسجداً ، ويوضع له فيه منبر يخطب عليه ، ويتغدى ويخرج . فأجابوه إلى ذلك ، فلما دخلها قتيبة دخلها ومعه أربعة آلاف من الأبطال وصلى في المسجد وخطب وتغدى وأُتي بالأصنام التي لهم فسلبت بين يديه ، وألقيت بعضها فوق بعض ، حتى صارت كالقصر العظيم ، ثم أمر بتحريقها [فتصارخوا وتباكوا] وقال المجوس : إن فيها أصناماً [قديمة] من أحرقها هلك ، وجاء الملك غورك فنهى عن ذلك ، وقال لقتيبة : إني لك ناصح فقال قتيبة : أنا أحرقها بيدي ، ثم أخذ في يده شعلة نار ، وقام إليها وهو يكبر الله عزَّ وجلَّ ، وألقى فيها النار فاحترقت ، فوجد من بقايا ما كان فيها من الذهب خمسون ألف مثقال من ذهب . وكان من جملة ما أصاب قتيبة في السبي جارية من ولد يزدجرد[٢] فأهداها إلى الحجاج ، فأهداها إلى الوليد فولدت له يزيد بن الوليد .

ثم استدعى قتيبة بأهل سمرقند فقال لهم : إني لا أريد منكم أكثر مما صالحتم عليه ، ولكن الجند يقيمون عندكم من جهتنا . فانتقل عنها ملكها غورك خان فتلا قتيبة ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ۝ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ﴾ الآية [النجم : ٥٠ ـ ٥١] ثم ارتحل عنها قتيبة إلى بلاد مرو ، واستخلف على سمرقند أخاه عبد الله بن مسلم ، وقال له : لا تدع مشركاً يدخل باب سمرقند إلا مختوم اليد ، ثم لا تدعه بها إلا مقدار ما تجف طينة ختمه ، فإن جفَّت وهو بها فاقتله ، ومن رأيت منهم ومعه حديدة أو سكِّينة فاقتله بها وإذا أغلقت الباب فوجدت بها أحداً فاقتله ، فقال في ذلك كعب الأشقري[٣] ـ ويقال هي لرجل من جعفى : ـ

كـل يـومٍ يحـوي قتيبـةُ نهبـاً ... ويـزيـدُ الأمـوالَ مـالاً جـديـدا
بـاهلـيّ قـد ألبـسَ التـاجَ حتـى ... شـابَ منـهُ مفـارقٌ كُـنَّ سُـودا
دوّخَ الصُّغـدَ بـالكتـائـبِ حتـى ... تـركَ الصغـدَ بـالعـراءِ قُعُـودا
فـوليـدٌ يبكـي لفقـدِ أبيـهِ ... وأبٌ مـوجَـعٌ يُبَكّـي الـوليـدا
كلمـا حـلَّ بلـدةً أو أتـاهـا ... تـركـتْ خيلُـهُ بهـا أُخـدودا[٤]

(١) في الطبري (٦/ ٤٧٥) : وأما الباهليون فيقولون : صالحه قتيبة على مئة ألف رأس .
(٢) زاد في الطبري (٦/ ٤٧٦) : فقال ـ أي قتيبة ـ أترون ابن هذه يكون هجيناً؟ فقالوا : نعم ، يكون هجيناً من قبل أبيه .
(٣) في أوحدها : الأسدي ، ما هنا يوافق المصادر .
(٤) الأبيات في تاريخ الطبري (٦/ ٤٨٠) وفي ابن الأثير (٤/ ٥٧٥) دون البيت الأخير ، وفي الفتوح لابن الأعثم =

وفي هذه السنة عزل موسى بن نصير نائب بلاد المغرب مولاه طارقاً عن الأندلس ، وكان قد بعثه إلى مدينة طليطلة ففتحها فوجد فيها مائدة سليمان بن داود عليهما السلام ، وفيها من الذهب والجواهر شيء كثير جداً ، فبعثوا بها إلى الوليد بن عبد الملك ، فما وصلت إليه حتى مات وتولى أخوه سليمان بن عبد الملك ، فقدم بها على سليمان على ما سيأتي بيانه في موضعه(١) [وكان فيها ما يبهر العقول ، لم ير منظر أحسن منها .

واستعمل موسى بن نصير مكان مولاه ولده عبد العزيز بن موسى بن نصير .

وفيها بعث موسى بن نصير العساكر وبثها في بلاد المغرب ، فافتتحوا مدناً كثيرة من جزيرة الأندلس منها قرطبة وطليطلة(٢) ، ثم سار موسى بنفسه إلى غرب الأندلس فافتتح مدينة باجة والمدينة البيضاء وغيرهما من المدن الكبار والأقاليم ، ومن القرى والرساتيق شيء كثير ، وكان لا يأتي مدينةً فيبرح عنها حتى يفتحها أو ينزلوا على حكمه ، وجهز البعوث والسرايا غرباً وشرقاً وشمالاً ، فجعلوا يفتتحون المغرب بلداً بلداً ، وإقليماً إقليماً ، ويغنمون الأموال ويسبون الذراري والنساء ، ورجع موسى بن نصير بغنائم وأموال وتحف لا تحصى ولا تعد كثرة](٣) .

وفيها قحط أهل إفريقية وأجدبوا جدباً شديداً ، فخرج بهم موسى بن نصير فاستسقى بهم ، فما زال يدعو حتى انتصف النهار ، فلما أراد أن ينزل عن المنبر قيل له : ألا تدعو لأمير المؤمنين ؟ قال : ليس هذا الموضع موضع ذاك ، فسقاهم الله مطراً غزيراً(٤) .

وفيها ضرب عمر بن عبد العزيز خُبيب بن عبد الله بن الزبير خمسين سوطاً بأمر الوليد له في ذلك ، وصب فوق رأسه قربة من ماءٍ بارد ، في يوم شتاءٍ بارد ، وأقامه على باب المسجد يومه ذلك فمات رحمه الله .

[وكان عمر بن عبد العزيز بعد موت خبيب شديد الخوف لا يأمن ، وكان إذا بُشِّر بشيء من أمر الآخرة يقول : وكيف وخبيب لي بالطريق ؟ وفي رواية يقول : هذا إذا لم يكن خبيب في الطريق ، ثم

= (٧/ ٢٤٤) قال : وقال أبياتاً مطلعها :

ألا أيهـــا قتيبـــة غيبـــة ... أبـى الله إلا أن يكـون مـؤيـدا

ولم يذكر غيره .

(١) وهذا أحد القولين اللذين ذكرهما ابن الأثير (٤/ ٥٦٦) .

(٢) في ط : وطنجة ؛ خطأ والتصحيح من الطبري (٦/ ٤٨١) .

(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٥٨) نقلاً عن تاريخ خليفة (٣٠٥) ، وهي من الأخبار التي أوردها ابن الأثير ضمن أحداث سنة اثنتين وتسعين .

(٤) مكانها في ط : فلما قال هذه المقالة أرسل الله عليهم الغيث فأمطروا مطراً غزيراً وحسن حالهم ، وأخصبت بلادهم ، والخبر في الطبري (٦/ ٤٨١) .

يصيح صياح المرأة الثَّكلى ، وكان إذا أثنى عليه يقول : خبيب وما خبيب إن نجوت منه فأنا بخير . وما زال على المدينة إلى أن ضرب خبيباً فمات فاستقال وركبه الحزن والخوف من حينئذ ، وأخذ في الاجتهاد في العبادة والبكاء ، وكانت تلك هفوة منه وزلَّة ، ولكن حصل له بسببها خير كثير ، من عبادة وبكاء وحزن وخوف وإحسان وعدل وصدقة وبر وعتق وغير ذلك](١) .

وفيها افتتح محمد بن القاسم ـ وهو ابن عم الحجاج بن يوسف ـ مدينة الديبُل وغيرها من بلاد الهند وكان قد ولاه الحجاج غزو الهند وعمره سبع عشرة سنة ، فسار في الجيوش فلقوا الملك داهر ـ وهو ملك الهند ـ في جمع عظيم ومعه سبع وعشرون فيلاً منتخبة ، فاقتتلوا فهزمهم الله وهرب الملك داهر ، فلما كان الليل أقبل الملك ومعه خلق كثير جداً فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل الملك داهر وغالب من معه ، وتبع المسلمون من انهزم من الهنود فقتلوه . ثم سار محمد بن القاسم فافتتح مدينة الكبرج وبرها ورجع بغنائم كثيرة وأموال لا تحصى كثرة ، من الجواهر والذهب وغير ذلك(٢) . فكانت سوق الجهاد قائمة في بني أمية ليس لهم شغل إلا ذلك ، قد علت كلمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها ، وبرها وبحرها ، وقد أذلوا الكفر وأهله ، وامتلأت قلوب المشركين من المسلمين رعباً ، لا يتوجه المسلمون إلى قطر من الأقطار إلا أخذوه ، وكان في عساكرهم وجيوشهم في الغزو الصالحون والأولياء والعلماء من كبار التابعين ، في كل جيش منهم شرذمة عظيمة ينصر الله بهم دينه . فقتيبة بن مسلم يفتح في بلاد الترك ، يقتل ويسبي ويغنم ، حتى وصل إلى تخوم الصين ، وأرسل إلى ملكه يدعوه ، فخاف منه وأرسل له هدايا وتحفاً وأموالاً كثيرة هدية ، وبعث يستعطفه مع قوته وكثرة جنده ، بحيث إن ملوك تلك النواحي كلها تؤدي إليه الخراج خوفاً منه . ولو عاش الحجاج لما أقلع عن بلاد الصين ، ولم يبق إلا أن يلتقي مع ملكها ، فلما مات الحجاج رجع الجيش كما مر . ثم إن قتيبة قُتل بعد ذلك ، قتله بعض المسلمين . ومسلمة بن عبد الملك بن مروان وابن أمير المؤمنين الوليد وأخوه الآخر يفتحون في بلاد الروم ويجاهدون بعساكر الشام حتى وصلوا إلى القسطنطينية ، وبنى بها مسلمة جامعاً يعبد الله فيه ، وامتلأت قلوب الفرنج منهم رعباً . ومحمد بن القاسم ابن أخي الحجاج يجاهد في بلاد الهند ويفتح مدنها في طائفة من جيش العراق وغيرهم . وموسى بن نصير يجاهد في بلاد المغرب ويفتح مدنها وأقاليمها في جيوش الديار المصرية وغيرهم . وكل هذه النواحي إنما دخل أهلها في الإسلام وتركوا عبادة الأوثان . وقبل ذلك قد كان الصحابة في زمن عمر وعثمان فتحوا غالب هذه النواحي ودخلوا في مبانيها ، بعد هذه الأقاليم الكبار ، مثل الشام ومصر والعراق واليمن وأوائل

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وأول الخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٤٦) ترجمة خبيب بن عبد الله .

(٢) من قوله : وفيها افتتح محمد بن القاسم . . إلى هنا زيادة من ط ، والخبر مطابق لما في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٥٧ ـ ٢٥٨) أما الطبري وابن الأثير فذكر فتوح محمد بن القاسم سنة خمس وتسعين هجرية ، وما بعد الخبر زيادة من ط أيضاً ولا علاقة لها بأحداث سنة ثلاث وتسعين ؛ ولفائدتها آثرنا إبقائها .

بلاد الترك ، ودخلوا إلى ما وراء النهر وأوائل بلاد المغرب ، وأوائل بلاد الهند . فكان سوق الجهاد قائماً في القرن الأول من بعد الهجرة إلى انقضاء دولة بني أمية وفي أثناء خلافة بني العباس مثل أيام المنصور وأولاده ، والرشيد وأولاده ، في بلاد الروم والترك والهند . وقد فتح محمود سُبكتكين وولده في أيام ملكهم بلاداً كثيرة من بلاد الهند ، ولما دخل طائفة ممن هرب من بني أمية إلى بلاد المغرب وتملكوها أقاموا سوق الجهاد في الفرنج بها . ثم لما بطل الجهاد من هذه المواضع رجع العدو إليها فأخذ منها بلاداً كثيرة ، وضعف الإسلام فيها ، ثم لما استولت دولة الفاطميين على الديار المصرية والشامية ، وضعف الإسلام وقلّ ناصروه ، وجاء الفرنج فأخذوا غالب بلاد الشام حتى أخذوا بيت المقدس وغيره من البلاد الشامية ، فأقام الله سبحانه بني أيوب مع نور الدين ، فاستلبوها من أيديهم وطردوهم عنه ، فلله الحمد والمنة ، وسيأتي ذلك كله في مواضعه إن شاء الله تعالى[١] .

وفيها عزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن إمرة المدينة ، وكان سبب ذلك ، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الوليد يخبره عن أهل العراق أنهم في ضيم وضيق مع الحجاج من ظلمه وغشمه ، فسمع بذلك الحجاج فكتب إلى الوليد : إن عمر ضعيف عن إمرة المدينة ومكة ، وهذا وهن وضعف في الولاية[٢] ، فاجعل على الحرمين من يضبط أمرهما . فولِّ على المدينة عثمان بن حيان ، وعلى مكة خالد بن عبد الله القسري ، ففعل .

فخرج عمر بن عبد العزيز من المدينة في شوال فنزل السويداء ، وقدم عثمان بن حيان المدينة لليلتين بقيتا من شوال من هذه السنة .

وحجَّ بالناس فيها عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك .

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان :

أنس بن مالك[٣] بن النَّضْر بن ضَمْضَم بن زيد بن حَرام بن جُندَب بن عامر بن غَنْم بن عديّ بن

---

(١) إلى هنا تنتهي الزيادة من ط .

(٢) العبارة في ب : إن جماعة من أهل السن في العراق قد لجأوا إلى المدينة ومكة . وفي الطبري (٦/ ٤٨٢) : إن مَنْ قبلي من مُرّاق أهل العراق وأهل الشقاق قد جلوا عن العراق ولجؤوا إلى المدينة ومكة ، وإن ذلك وهن . فكتب الوليد إلى الحجاج : أن أشر عليّ برجلين . .

(٣) ترجمة ـ أنس بن مالك ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ١٧ ـ ٢٦) وتاريخ خليفة (٩٩ و١٠٧ و١٢٣) وطبقاته (٩١و١٨٦) ومعرفة الرجال (١/ ١٦٧ ـ ١٦٨) والمعرفة والتاريخ (١/ ٥٠٦ ـ ٥٠٨) والاستيعاب (١/ ١٠٨) وتاريخ دمشق (٩/ ٣٣٢ ـ ٣٨٦) وتهذيبه (٣/ ١٤٢ ـ ١٥٣) ومختصره (٥/ ٦٤ ـ ٧٦) وأسد الغابة (١/ ١٢٧ ـ ١٢٩) ووفيات الأعيان (١/ ٢٥٠) وتهذيب الكمال (٣/ ٣٥٣ ـ ٣٧٨) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٨٨ ـ ٢٨٩) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٩٥ ـ ٤٠٦) والوافي بالوفيات (٩/ ٤١١ ـ ٤١٦) وتهذيب التهذيب (١/ ٣٧٦ ـ ٣٧٩) والنجوم الزاهرة (١/ ٢٢٤) وشذرات الذهب (١/ ٣٦٥) .

النجار، أبو حمزة. ويقال أبو ثمامة[١] الأنصاري النجاري، خادم رسول الله ﷺ وصاحبه.

وأمه أم سليم[٢] مليكة بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام، زوجة أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري.

روى عن رسول الله ﷺ أحاديث جمّة، وأخبر بعلوم مهمة، وروى عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وابن مسعود، وغيرهم.

وحدث عنه خلق من التابعين.

قال أنس: قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا ابن عشر سنين، وتوفي وأنا ابن عشرين سنة[٣].

وقال محمد بن عبد الله الأنصاري، عن أبيه، عن ثمامة قال: قيل لأنس: أشهدت بدراً؟ فقال: وأين أغيب عن بدر لا أم لك؟ قال الأنصاري: شهدها يخدم رسول الله ﷺ[٤].

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي[٥]: لم يذكر ذلك أحد من أصحاب المغازي.

قلت: الظاهر أنه إنما شهد ما بعد ذلك من المشاهد، والله أعلم.

وقد ثبت أن أمه أتت به ـ وفي رواية عمه زوج أمه أبو طلحة ـ إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله هذا أنس خادم لبيب يخدمك، فوهبته منه فقبله، وسألته أن يدعو له فقال: «اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة»[٦].

وثبت عنه أنه قال: كنَّاني رسول الله ﷺ ببقلة[٧] كنت أجْتنيها[٨].

وقد استعمله أبو بكر ثم عمر على عمالة البحرين وشكراه في ذلك.

وثبت عنه أنه قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما ضربني، ولا سبّني، ولا عبس في وجهي، ولا قال لي لشيء لم لا فعلت هكذا. وقيل: إن النبي ـ ﷺ ـ دعا له فقال: «اللهم كثّر ماله وولده، وطوِّل حياته».

---

(١) في ب: عامر.

(٢) في أ، ط: حرام؛ وما أثبت عن ب، وابن سعد (٧/ ١٧) وتهذيب الكمال (٣/ ٣٥٣) والإصابة (١/ ٧١) وفي تاريخ الإسلام للذهبي: وأمه أم سليم وخالته أم حرام.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ١١٠) ومسلم (٢٠٢٩) (١٢٥).

(٤) الخبر في تاريخ دمشق (٩/ ٣٦١).

(٥) تهذيب الكمال (٣/ ٣٥٤).

(٦) رواه عبد بن حميد في مسنده رقم (١٢٥٥). وأخرجه البخاري (٦٣٣٤) و(٦٣٨٠)، ومسلم (٢٤٨٠) بلفظ: «بارك له فيما أعطيته» بدل «وأدخله الجنة»، وسيعيده المصنف أيضاً.

(٧) في ط: بنخلة، تحريف، وما أثبت عن أ، ب والمصادر.

(٨) في النهاية لابن الأثير: أي كناه حمزة. والخبر أخرجه الترمذي في جامعه رقم (٣٨٣٠) في المناقب، وإسناده ضعيف.

وكان أنس رضي الله عنه كثير الصلاة والصيام والعبادة[١] .

وقد انتقل بعد النبي ﷺ فسكن البصرة ، وكان له بها أربع دور ، وقد ناله أذى من جهة الحجّاج ، وذلك في فتنة ابن الأشعث ، توهم الحجاج منه أنه له مداخلة في الأمر وأفتى فيه[٢] ، فختمه الحجاج في عنقه : هذا عتيق الحجاج ، وقد شكاه أنس كما قدّمنا إلى عبد الملك ، فكتب إلى الحجاج يعنفه ، ففزع الحجاج من ذلك وصالح أنساً[٣] .

وقد وفد أنس على الوليد بن عبد الملك في أيام ولايته ، قيل في سنة ثنتين وتسعين ، وهو يبني المسجد الجامع بدمشق .

قال مكحول : رأيت أنساً يمشي في مسجد دمشق فقمت إليه فسألته عن الوضوء من الجنازة فقال : لا وضوء .

وقال الأوزاعي : حدثني إسماعيل بن عبيد الله[٤] بن أبي المهاجر قال : قدم أنس بن مالك على الوليد فقال له الوليد : ماذا سمعت من رسول الله ﷺ يذكر به الساعة ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أنتم والساعة كهاتين »[٥] .

ورواه عبد الرزاق بن عمر[٦] عن إسماعيل قال : قدم أنس على الوليد في سنة ثنتين وتسعين فذكره .

وقال الزُّهري : دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت : ما يبكيك ؟ قال : لا أعرف مما كان رسول الله ﷺ وأصحابه إلا هذه الصلاة ، وقد صنعتم فيها ما صنعتم[٧] . وفي رواية وهذه الصلاة قد ضُيعت ـ يعني ما كان يفعله خلفاء بني أمية من تأخير الصلاة إلى آخر وقتها الموسع ـ كانوا يواظبون على التأخير إلا عمر بن عبد العزيز أيام خلافته كما سيأتي .

وقال عبد بن حميد[٨] ، عن عبد الرزاق ، عن جعفر بن سليمان ، عن ثابت ، عن أنس . قال : جاءت بي أمي إلى رسول الله ﷺ وأنا غلام فقالت : يا رسول الله خويدمك أنيس فادع الله له . فقال : « اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة » . قال : فقد رأيت اثنتين وأنا أرجو الثالثة .

---

(١) من قوله : وثبت عنه أنه قال . . . إلى هنا زيادة من أ وسيرد الخبر بكماله بعد قليل .

(٢) في ط : أنه له مداخلة في الأمر وأنه أفتى فيه .

(٣) الخبر ذكره الحاكم في المستدرك (٣/ ٥٧٤) مختصراً ، وبطوله في تاريخ دمشق (٩/ ٣٧٢ ـ ٣٧٥) وتهذيبه (٣/ ١٥١ ـ ١٥٢) .

(٤) في الأصل : إسماعيل بن عبد الله ، والتصحيح من مسند أحمد .

(٥) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٢٢٣) . وهو حديث صحيح .

(٦) هو عبد الرزاق بن عمر الثقفي ، ضعيف (ميزان الاعتدال ٢/ ٦٠٨) .

(٧) تاريخ دمشق (٩/ ٣٣٥) .

(٨) رواه عبد بن حميد في مسنده رقم (١٢٥٥) وإسناده حسن .

وفي رواية : قال أنس : فوالله إن مالي لكثير حتى نخلي وكرمي ليثمر في السنة مرتين ، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادّون على نحو المئة .

وفي رواية وإن ولدي لصلبي مئة وستة . ولهذا الحديث طرق كثيرة وألفاظ منتشرة جداً .

وفي رواية قال أنس : وأخبرتني بنتي آمنة أنه دفن لصلبي إلى حين مقدم الحجاج عشرون ومئة[١] . وقد تقصى ذلك بطرقه وأسانيده وأورد ألفاظه الحافظ ابن عساكر[٢] في ترجمة أنس ، وقد أوردنا طرفاً من ذلك في كتاب دلائل النبوة في أواخر السيرة ولله الحمد .

وقال ثابت لأنس : هل مسّت يدُكَ كفَّ رسول الله ﷺ . قال : نعم ! قال فأعطنيها أقبلها .

وقال محمد بن سعد[٣] ، عن مسلم بن إبراهيم ، عن المثنى بن سعيد الذراع[٤] قال سمعت أنس بن مالك يقول : ما من ليلة إلا وأنا أرى فيها حبيبي رسول الله ﷺ ثم يبكي .

وقال محمد بن سعد[٥] ، عن أبي نعيم عن يونس بن أبي إسحاق ، عن المنهال بن عمرو قال : كان أنس صاحب نعل رسول الله ﷺ وإداوته .

وقال أبو داود : حدّثنا الحكم بن عطية ، عن ثابت ، عن أنس . قال : إني لأرجو أن ألقى رسول الله ﷺ فأقول : يا رسول الله خويدمك .

وقال الإمام أحمد[٦] : حدّثنا يونس ، حدّثنا حرب بن ميمون ، عن النضر بن أنس ، عن أنس . قال : سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة . قال : « أنا فاعل » قلت : فأين أطلبك يوم القيامة يا نبي الله ؟ قال : « اطلبني أول ما تطلبني على الصراط » قلت ؛ فإذا لم ألقك ؟ قال : « فأنا عند الميزان » قلت : فإن لم ألقك عند الميزان ؟ قال : « فأنا عند الحوض لا أخطىء هذه الثلاثة المواطن يوم القيامة » . ورواه الترمذي[٧] وغيره من حديث حرب بن ميمون ، أبي الخطاب الأنصاري به وقال : حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وقال شعبة : عن ثابت قال : قال أبو هريرة : ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله ﷺ من ابن أم سليم ـ يعني أنس بن مالك[٨] ـ

---

(١) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٩١) .
(٢) تاريخ دمشق (٩/ ٣٤٦ ـ ٣٥٣) .
(٣) الطبقات الكبرى (٧/ ٢٢) .
(٤) في الطبقات : الذارع .
(٥) الطبقات الكبرى (١/ ٤٨٢).
(٦) مسند الإمام أحمد (٣/ ١٧٨) .
(٧) جامع الترمذي (٢٤٣٣) ، وفي الباب عن عائشة عند أحمد (٦/ ١٠١) رقم (٢٤٦٩٦) فهو حديث حسن .
(٨) طبقات ابن سعد (٧/ ٢٠ ـ ٢١) .

وقال ابن سيرين : كان أحسن الناس صلاة في الحضر والسفر[١] .

وقال أنس : خذ مني فأنا أخذت من رسول الله ﷺ عن الله عزَّ وجلَّ ، ولست تجد أوثق مني[٢] .

وقال معتمر بن سليمان ، عن أبيه سمعت أنساً يقول : ما بقي أحد صلى إلى القبلتين غيري[٣] .

وقال محمد بن سعد[٤] : حدّثنا عفان ، حدّثني شيخ لنا يكنى أبا جناب سمعت الجريري[٥] يقول : أحرم أنس من ذات عرق فما سمعناه متكلماً إلا بذكر الله عزَّ وجلَّ حتى أحلّ ، فقال لي : يا بن أخي هكذا الإحرام .

وقال صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف : دخل علينا أنس يوم الجمعة ونحن في بعض أبيات أزواج النبي ﷺ نتحدث فقال : مه ، فلما أقيمت الصلاة قال : إني لأخاف أن أكون قد أبطلت جمعتي بقولي لكم : مه[٦] . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدّثنا بشار بن موسى الخفّاف ، حدّثنا جعفر بن سليمان ، عن ثابت قال : كنت مع أنس فجاءت قَهْرمانة[٧] فقالت : يا أبا حمزة عطشت أرضنا ، قال فقام أنس فتوضأ وخرج إلى البريّة فصلى ركعتين ثم دعا فرأيت السّحاب يلتئم ثم أمطرت حتى [خيل إلينا أنها] ملأت كل شيء ، فلما سكن المطر بعث أنس بعض أهله فقال : انظر أين بلغت السماء ، فنظر فلم تعدُ أرضه إلا يسيراً[٨] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا معاذ بن معاذ ، حدّثنا ابن عون ، عن محمد ، قال : كان أنس إذا حدَّث عن رسول الله ﷺ حديثاً ففرغ منه قال : أو كما قال رسول الله ﷺ .

وقال الأنصاري[٩] : عن ابن عون عن محمد قال : بعث أمير من الأمراء إلى أنس شيئاً من الفيء فقال أخُمّس ؟ قال : لا ، فلم يقبله .

وقال النضر بن شداد ، عن أبيه : مرض أنس فقيل له ألا ندعو لك الطبيب ؟ فقال : الطبيب أمرضني[١٠] .

---

(١) تاريخ دمشق (٩/ ٣٦٢) .
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٣٦٣) .
(٣) تاريخ دمشق (٩/ ٣٦٤) .
(٤) الطبقات الكبرى (٧/ ٢٢) وتاريخ دمشق (٩/ ٣٦٦) وتهذيب تاريخ دمشق (٣/ ١٤٩) .
(٥) في ط الحريري ـ بالحاء المهملة ـ؛ تحريف، والجُريري وهو أبو العلاء حيَّان بن عمير، توضيح المشتبه (٢/ ٢٧٨).
(٦) الخبر في تاريخ دمشق (٩/ ٣٦٥) .
(٧) القهرمان : فارسي معرب ، وهو الخازن والوكيل الحافظ لما تحت يده ، والقائم بإدارة أمور الرجل .
(٨) تاريخ دمشق (٩/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥) .
(٩) تاريخ دمشق (٩/ ٣٦٨) .
(١٠) تاريخ دمشق (٩/ ٣٦٨) .

وقال حنبل بن إسحاق : حدّثنا أبو عبد الله الرَّقاشي ، حدّثنا جعفر بن سليمان ، حدّثنا علي بن زيد قال : كنت في القصر مع الحجّاج وهو يعرض الناس ليالي ابن الأشعث ، فجاء أنس بن مالك فقال الحجاج : هي يا خبيث ، جوّال في الفتن ، مرة مع علي ، ومرة مع ابن الزُّبير ، ومرة مع ابن الأشعث ، أما والذي نفس الحجّاج بيده لأستأصلنك كما تستأصل الصَّمْغة ، ولأجْردنك كما تجرَّد الضب . قال : يقول أنس : إياي يعني الأمير ؟ قال إياك أعني ، أصمّ الله سمعك ، قال : فاسترجع أنس ، وشُغل الحجّاج فخرج أنس فتبعناه إلى الرَّحبة ، فقال : لولا أني ذكرت ولدي ـ وفي رواية : لولا أني ذكرت أولادي الصغار ـ وخفته عليهم بعدي لكلمته بكلام في مقامي هذا لا يستخفني بعده أبداً[١] .

وقد ذكر أبو بكر بن عيَّاش : أن أنساً بعث إلى عبد الملك يشكو إليه الحجاج ويقول : والله لو أن اليهود والنصارى رأوا مَن خدم نبيهم لأكرموه ، وأنا قد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين .

وذكر أذية الحجاج له ، فلما قرأ عبد الملك كتابه حصل عنده أمر عظيم ، فكتب إليه يقول : ويلك لقد خشيت أن لا يصلح على يدك أحد . وذكر له كلاماً فيه غلظة ويقول فيه : إذا جاءك كتابي فقم إلى أنس واعتذر إليه . فلما جاء كتاب عبد الملك إلى الحجاج بالغلظة والشدة ، همّ أن ينهض إليه فأشار عليه إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر ، الذي قدم بالكتاب أن لا يذهب إلى أنس ، وأشار على أنس أن يبادر إلى الحجَّاج بالمصالحة [وكان إسماعيل صديق الحجاج] فجاء أنس فقام إليه الحجاج يتلقاه ، وقال : إنما مثلي ومثلك : إياكِ أعني واسمعي يا جارة . أردت أن لا يبقى لأحد عليّ منطق .

وقال ابن قتيبة[٢] : كتب عبد الملك إلى الحجاج ـ لما قال لأنس ما قال ـ : يا بن المُسْتَفْرمة بعجم الزبيب لقد هممت أن أركلك ركلة تهوي بها إلى نار جهنم ، قاتلك الله أخيفش العينين ، أفيتل الرِّجلين ، أسود العاجزين ـ ومعنى قوله المُسْتَفْرِمة عجم الزبيب ـ أي تضيق فرْجها عند الجماع به ، ومعنى أركلك : أي : أرفسك برجلي ، وسيأتي بسط ذلك في ترجمة الحجاج في سنة خمس وتسعين .

وقال أحمد بن صالح العِجْلي[٣] : لم يبتل أحد من الصحابة إلا رجلين ، معيقيب كان به الجذام ، وأنس بن مالك كان به وَضح .

وقال الحميدي : عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن أبي جعفر قال : رأيت أنساً يأكل فرأيته يلقم لقماً عظاماً ، ورأيت به وضحاً شديداً[٤] .

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٤٧) رقم (٧٠٤) وفيه : لا يستعيبني ، وهو تحريف ، والخبر أيضاً في تاريخ دمشق (٩/ ٣٧٢) وتهذيبه (٣/ ١٥١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٩٤) .

(٢) المعارف لابن قتيبة (ص٣٩٦) والخبر في الأخبار الطوال (٣٢٤) .

(٣) تاريخ الثقات للعجلي (١٦١٣) والخبر في تاريخ دمشق (٩/ ٣٧٥) وتهذيبه (٣/ ١٥٣) .

(٤) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٩٥) .

وقال أبو يعلى[١] : حدّثنا عبيد[٢] الله بن معاذ العَنْبري ، حدّثنا أبي ، حدّثنا عمران عن[٣] أيوب قال : ضعف أنس عن الصوم فصنع جفنة من ثريد ودعا بثلاثين مسكيناً فأطعمهم . وذكره البخاري تعليقاً[٤] .

وقال شعبه : عن موسى السُّنْبُلاني قلت لأنس : أنت آخر من بقي من أصحاب رسول الله ﷺ ؟ قال : قد بقي قوم من الأعراب ، فأما من أصحابه فأنا آخر من بقي[٥] .

وقيل له في مرضه : ألا ندعو لك طبيباً ؟ فقال : الطبيب أمرضني ، وجعل يقول : لقِّنوني لا إله إلا الله وهو محتضر ، فلم يزل يقولها حتى قبض . وكانت عنده عُصيَّة من رسول الله ﷺ فأمر بها فدفنت معه[٦] .

وقال عمر بن شبّة وغير واحد : مات وله مئة وسبع سنين[٧] .

وقال الإمام أحمد في « مسنده » : حدّثنا معتمر بن سليمان ، عن حميد : أن أنساً عمّر مئة سنة غير سنة .

قال الواقدي[٨] : وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة ، وكذا قال علي بن المديني والفلاس وغير واحد . وقد اختلف المؤرخون في سنة وفاته ، فقيل سنة تسعين ، وقيل إحدى وتسعين ، وقيل ثنتين وتسعين ، وقيل ثلاث وتسعين ، وهذا هو المشهور وعليه الجمهور ، والله أعلم .

[وقال الإمام أحمد : حدّثني أبو نعيم قال : توفي أنس بن مالك وجابر بن زيد في جمعة واحدة سنة ثلاث وتسعين] .

وقال قتادة : لما مات أنس قال مورِّق العجلي : ذهب اليوم نصف العلم ، قيل له وكيف ذاك يا أبا المعتمر ؟ قال : كان الرجل من أهل الأهواء إذا خالفونا في الحديث عن رسول الله ﷺ قلنا لهم : تعالوا إلى من سمعه منه[٩] .

---

(١) مسند أبي يعلى الموصلي (٧/ ٢٠٤) رقم (٤١٩٤) والخبر في معجم الطبراني (١/ ٢٤٤) رقم (٦٧٥) وتاريخ دمشق (٩/ ٣٧٧) وطبقات ابن سعد (٧/ ٢٥) وإسناده منقطع .

(٢) في ط : عبد ؛ تحريف ، والتصويب من المصادر .

(٣) في ط : معاذ بن يزيد عن أيوب ؛ خطأ ، والتصويب من ب والمصادر .

(٤) ذكره البخاري معلقاً (٨/ ١٧٩) في التفسير .

(٥) تاريخ دمشق (٩/ ٣٧٩) .

(٦) تاريخ دمشق (٩/ ٣٦٨ و٣٧٨) .

(٧) قال الذهبي في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٩٦) عن الأنصاري : اختلف علينا مشايخنا في سن أنس رضي الله عنه ، فقال بعضهم : بلغ مئة وثلاث سنين ، وقال بعضهم : بلغ مئة وسبع سنين .

(٨) طبقات ابن سعد (٧/ ٢٦) وتاريخ دمشق (٩/ ٣٨١) .

(٩) تاريخ دمشق (٩/ ٣٨٦) .

عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة[١] بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، الشاعر المشهور ، يقال إنه ولد يوم توفي عمر بن الخطاب ، وختن يوم مقتل عثمان ، وتزوج يوم مقتل علي ، فالله أعلم ، وكان مشهوراً بالتغزل المليح البليغ ، كان يتغزل في امرأة يقال لها الثريا[٢] بنت علي بن عبد الله الأموية ، وقد تزوجها سهل بن عبد الرحمن بن عوف الزُّهري ، فقال في ذلك عمر بن أبي ربيعة :

أيها المُنكِحُ الثريّا سُهَيْلاً ... عَمْرَكَ الله كيفَ يلتقيانِ
هي شاميةٌ[٣] إذا ما استقلَّت ... وسُهيلٌ إذا استقلَّ يمانِ

ومن مستجاد شعره ما أورده ابن خَلكان[٤] :

حيّ طيْفاً من الأحبةِ زارا ... بعدما برَّحَ[٥] الكرى السُّمَّارا[٦]
طارقاً في المنامِ بعدَ دجى اللّيـ ... ـلِ خفيا[٧] بأن يزورَ نهارا
قلتُ : ما بالُنا جُفينا وكنّا ... قبلَ ذاكَ الأسماعَ والأبصارا
قال : إنا كما عهدتَ ولكنْ ... شغلَ الحلي أهلَه أنْ يُعارا

بلال بن أبي الدرداء[٨] ، ولي إمرة دمشق ثم ولي القضاء بها ، ثم عزله عبد الملك بأبي إدريس الخولاني . كان بلال حسن السيرة ، كثير العبادة ، والظاهر أن هذا القبر الذي بباب الصغير الذي يقال له قبر بلال ، إنما هو قبر بلال بن أبي الدرداء ، لا قبر بلال بن حمامة مؤذن رسول الله ﷺ ، فإن بلالاً المؤذن دفن بداريّا ، والله أعلم .

---

(١) ترجمة ـ عمر بن أبي ربيعة ـ في الشعر والشعراء (٤٥٧) والأغاني (١/ ٣٠) وتاريخ دمشق (٤٥/ ٨٨) ووفيات الأعيان (٣/ ٤٣٦) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٧٩) والنجوم الزاهرة (١/ ٢٤٧) وشذرات الذهب (١/ ٣٦٥) .

(٢) في الوفيات (٣/ ٤٣٦) : قال السهيلي في « الروض الأنف » : هي الثريا ابنة عبد الله ، ولم يذكر علياً ، ثم قال : وقتيلة ابنة النضر جدَّتها ، لأنها كانت تحت الحارث بن أمية ، وعبد الله ولدها وهو والد الثريا .

(٣) في الأغاني (١/ ١٢٢) : ويروى : هي غورية : نسبة إلى غور الأردن بالشام بين بيت المقدس ودمشق .

(٤) الوفيات (٣/ ٤٣٩) .

(٥) في الوفيات : صَرّع .

(٦) في أ وحدها : السَّهارى . وما أثبت كالوفيات .

(٧) في ب والوفيات : ضنيناً .

(٨) ترجمة ـ بلال بن أبي الدرداء ـ في طبقات خليفة (٣٠٩) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٣٢٨) وتاريخ دمشق (١٠/ ٥٢٣) وتهذيبه (٣/ ٣٢٥) وتهذيب الكمال (٤/ ٢٨٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٠٤ـ٣٠٥) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٨٥) والوافي بالوفيات (١٠/ ٢٨٠) وتهذيب التهذيب (١/ ٥٠٢) وشذرات الذهب (١/ ١٠١) .

بسر بن سعيد[١]، المزني[٢] السيد العابد الفقيه، كان من العباد المنقطعين، الزهاد المعروفين، توفي بالمدينة.

زرارة بن أوفى[٣] بن حاجب العامري، قاضي البصرة، كان من كبار علماء أهل البصرة وصلحائها، له روايات كثيرة، قرأ مرة في صلاة الصبح سورة المدثر فلما بلغ ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴾ [الآية: ٨] خرّ ميتاً[٤]. توفي بالبصرة وعمره نحو سبعين سنة.

خبيب بن عبد الله[٥] بن الزُّبير، ضربه عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد له في ذلك فمات، ثم عزل عمر بعده بأيام قليلة، فكان يتأسف على ضربه له ويبكي. مات بالمدينة.

حفص بن عاصم[٦] بن عمر بن الخطاب المدني، له روايات كثيرة، وكان من الصالحين. توفي بالمدينة.

سعيد بن عبد الرحمن[٧] بن عتاب بن أسيد الأموي، أحد الأشراف بالبصرة، كان جواداً ممدحاً، وهو أحد الموصوفين بالكرم، قيل إنه أعطى بعض الشعراء ثلاثين[٨].

---

(١) ترجمة ـ بسر بن سعيد ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٢٨١ ـ ٢٨٢) وتاريخ خليفة (٣٢١) وطبقاته (٢٥٥) والمعرفة والتاريخ (١/ ٤٢٢) وتهذيب الكمال (٤/ ٧٢ ـ ٧٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٠٢ ـ ٣٠٣) وقال الذهبي: توفي سنة مئة. وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩٤) وتهذيب التهذيب (١/ ٤٣٧).

(٢) في تاريخ الإسلام: المدني.

(٣) ترجمة ـ زرارة بن أوفى ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ١٥٠) وتاريخ خليفة (٢٢٧) وطبقاته (١٩٧) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢١٧) ومواضع أخرى، وحلية الأولياء (٢/ ٢٥٨) وتهذيب الكمال (٩/ ٣٣٩) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٥٨) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥١٦) والوافي بالوفيات (١٤/ ١٩٢) وتهذيب التهذيب (٣/ ٣٢٢) وشذرات الذهب (١/ ١٠٢).

(٤) رواه الترمذي رقم (٤٤٥) وإسناده حسن.

(٥) ترجمة ـ خبيب بن عبد الله ـ في تاريخ خليفة (٣٠٦) وطبقاته (٢٤٢) والتاريخ الكبير للبخاري (٣/ ٢٠٨) وأنساب الأشراف (١/ ٣١١ و٤/ ٢٤) وتهذيب الكمال (٨/ ٢٢٣) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٤٥ ـ ٣٤٧) والوافي بالوفيات (١٣/ ٢٩١) وتهذيب التهذيب (٣/ ١٣٥).

(٦) ترجمة ـ حفص بن عاصم ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ١١٧) وطبقات خليفة (٢٤٦) وتاريخ البخاري (٢/ ٣٥٩) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٤٩) وتهذيب الكمال (٦/ ١٧ ـ ١٨) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٣٥) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٩٦ ـ ١٩٧) والوافي بالوفيات (١٣/ ٩٧) وتهذيب التهذيب (٢/ ٤٠٢).

(٧) ترجمة ـ سعيد بن عبد الرحمن ـ في نسب قريش (١٩٣) وتاريخ دمشق (٢١/ ١٨١) وتهذيبه (٦/ ١٥٢ ـ ١٥٣) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٧٠).

(٨) في تاريخ الإسلام: عن مصعب الزبيري: زعموا أنه أعطى شاعراً ثلاثة آلاف دينار.

فروة بن مجاهد[١] ، قيل إنه كان من الأبدال[٢] ، أُسر مرّة وهو في غزوة هو وجماعة معه فأتوا بهم الملك فأمر بتقييدهم وحبسهم في المكان والاحتراز عليهم إلى أن يصبح فيرى فيهم رأيه ، فقال لهم فروة : هل لكم في المضي إلى بلادنا ؟ فقالوا : وما ترى ما نحن فيه من الضيق ؟ فلمس قيودهم بيده فزالت عنهم ، ثم أتى باب السجن فلمسه بيده فانفتح ، فخرجوا منه ومضوا ، فأدركوا جيش المسلمين قبل وصولهم إلى البلد .

أبو الشعثاء جابر بن زيد[٣] ، كان لا يماكس في ثلاث ، في الكرى إلى مكة ، وفي الرقبة يشتريها لتعتق ، وفي الأضحية . وقال : لا تماكس في شيء يُتقرب به إلى الله .

وقال ابن سيرين : كان أبو الشعثاء مُسلِّماً عند الدينار والدرهم[٤] ، قلت ؛ كما قيل :

إنـي رأيـتُ فـلا تظنـوا غيـرهُ ... أنّ التـورع عِنـدَ هـذا الـدرهـمِ
فـإذا قـدرتَ عليـه ثـم تـركتـهُ ... فـاعلـمْ بـأن تقـاكَ تقـوى المسلـمِ

وقال أبو الشعثاء : لأن أتصدق بدرهم على يتيم ومسكين أحب إليّ من حجة بعد حجة الإسلام .

كان أبو الشعثاء من الذين أوتوا العلم ، كان يفتي في البصرة ، وكان الصحابة مثل جابر بن عبد الله إذا سأله أهل البصرة عن مسأله يقول : كيف تسألونا وفيكم أبو الشعثاء[٥] ؟ .

وقال له جابر بن عبد الله : يا بن زيد إنك من فقهاء البصرة وإنك ستستفتى فلا تفتين إلا بقرآن ناطق أو سنة ماضية ، فإنك إن فعلت غير ذلك فقد هلكت وأهلكت .

وقال عمرو بن دينار : ما رأيت أحداً أعلم بفتيا من جابر بن زيد[٦] .

وقال إياس بن معاوية : أدركت أهل البصرة ومفتيهم جابر بن زيد من أهل عُمان .

وقال قتادة لما دفن جابر بن زيد : اليوم دفن أعلم أهل الأرض .

وقال سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار قال أبو الشعثاء : كتب الحكم بن أيوب نفراً للقضاء

(١) ترجمة ـ فروة بن مجاهد ـ في تاريخ البخاري (٧/ ١٢٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٥٢) وتهذيب التهذيب (٨/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥) .

(٢) من الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٧/ ٨٢) .

(٣) ترجمة ـ أبي الشعثاء ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ١٧٩) وتاريخ خليفة (٣٠٦) وطبقاته (٢١٠) وتاريخ البخاري (٢/ ٢٠٤) والمعرفة والتاريخ (٢/ ١٢) وحلية الأولياء (٣/ ١٠١ ـ ١٠٨) وتهذيب الكمال (٤/ ٤٣٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٥٢٤ـ٥٢٥) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٨١ ـ ٤٨٣) وتهذيب التهذيب (٢/ ٣٨ ـ ٣٩) وشذرات الذهب (١/ ٣٦٤) .

(٤) طبقات ابن سعد (٧/ ١٨١) .

(٥) في تاريخ الإسلام : عن ابن عباس .

(٦) المعرفة والتاريخ (٢/ ١٣) وحلية الأولياء (٣/ ٨٦) وتاريخ الإسلام (ص٥٢٤) .

أنا أحدهم ـ أي : عمرو ـ فلو أني ابتليت بشيء منه لركبت راحلتي وهربت من الأرض[١] .

وقال أبو الشعثاء : نظرت في أعمال البر فإذا الصلاة تجهد البدن ولا تجهد المال ، والصيام مثل ذلك ، والحج يجهد المال والبدن ، فرأيت أن الحج أفضل من ذلك .

وأخذ مرة قبضة تراب من حائط ، فلما أصبح رماها في الحائط ، وكان الحائط لقوم قالوا : لو كان كلما مر به أخذ منه قبضة لم يبق منه شيء .

وقال أبو الشعثاء : إذا جئت يوم الجمعة إلى المسجد فقف على الباب وقل : اللهم اجعلني اليوم أوجه من توجه إليك ، وأقرب من تقرب إليك ، وأنجح من دعاك ورغب إليك .

وقال سيار : حدّثنا حماد بن زيد ، حدّثنا الحجاج بن أبي عيينة . قال : كان جابر بن زيد يأتينا في مصلاّنا ، قال : فأتانا ذات يوم وعليه نعلان خلقان ، فقال : مضى من عمري ستون سنة نعلاي هاتان أحب إليّ مما مضى منه إلا أن يكون خير قدّمته[٢] .

وقال صالح الدَّهان : كان جابر بن زيد إذا وقع في يده ستوق كسره ورمى به لئلا يغر به مسلم . الستوق الدرهم المغاير أو الدغل ، وقيل : هو المغشوش .

وروى الإمام أحمد : حدّثنا أبو عبد الصمد العَمّي ، حدّثنا مالك بن دينار قال : دخل عليّ جابر بن زيد وأنا أكتب المصحف فقلت له : كيف ترى صنعتي هذه يا أبا الشعثاء ؟ قال : نِعْم الصنعة صنعتك ، تنقل كتاب الله ورقة إلى ورقة ، وآية إلى آية ، وكلمة إلى كلمة ، هذا الحلال لا بأس به[٣] .

وقال مالك بن دينار : سألته عن قوله تعالى : ﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ﴾ [الإسراء : ٧٥] قال ضعف عذاب الدنيا وضعف عذاب الآخرة[٤] ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء : ٧٥] .

وقال سفيان : حدّثني أبو عمير الحارث بن عُمير قال : قالوا لجابر بن زيد عند الموت : ما تشتهي وما تريد ؟ قال : نظرة إلى الحسن . وفي رواية عن ثابت قال : لما ثقل على جابر بن زيد قيل له : ما تشتهي ؟ قال نظرة إلى الحسن . قال ثابت : فأتيت الحسن فأخبرته فركب إليه ، فلما دخل عليه قال لأهله : أقعدوني ، فجلس فما زال يقول : أعوذ بالله من النار وسوء الحساب[٥] .

وقال حماد بن زيد : حدّثنا حجاج بن أبي عيينة قال : سمعت هنداً بنت المهلّب بن أبي صفرة ـ وكانت من أحسن النساء ـ وذكروا عندها جابر بن زيد فقالوا : إنه كان إباضياً ، فقالت : كان جابر بن

(١) جملة هذه الأخبار في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٥٢٥) .
(٢) الطبقات لابن سعد (٣/ ١٨٠) .
(٣) الخبر في حلية الأولياء (٣/ ١٠٤) .
(٤) حلية الأولياء (٣/ ١٠٥) .
(٥) الخبر في الطبقات (٧/ ١٨٢) بأسانيد مختلفة ، وحلية الأولياء (٣/ ١٠٥ ـ ١٠٦) بالسند نفسه .

زيد أشد الناس انقطاعاً إليَّ وإلى أمي ، فما أعلم عنه شيئاً ، وكان لا يعلم شيئاً يقرّبني إلى الله عزَّ وجلَّ إلا أمرني به ، ولا شيئاً يباعدني عن الله إلا نهاني عنه ، وما دعاني إلى الإباضية قط ولا أمرني بها ، وكان ليأمرني أين أضع الخمار ـ ووضعت يدها على الجبهة[١] . أسند عن جماعة من الصحابة ، ومعظم روايته عن ابن عمر وابن عباس[٢] .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين

فيها غزا العباس بن الوليد أرض الروم ، فقيل إنه فتح أنطاكية[٣] ، وغزا أخوه عبد العزيز بن الوليد فبلغ غزالة[٤] ، وبلغ الوليد بن هشام المعيطي أرض برج الحمام ، وبلغ يزيد بن أبي كبشة أرض سورية . وفيها كانت الرجفة بالشام[٥] .

[وفيها افتتح مسلمة بن عبد الملك سَنْدَرة من أرض الروم .

وفيها فتح الله على الإسلام فتوحات عظيمة في دولة الوليد بن عبد الملك ، على يدي أولاده وأقربائه وأمرائه حتى عاد الجهاد شبيهاً بأيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه][٦] .

وفيهـا افتتح القاسم بن محمد الثقفي أرض الهند[٧] وغنم أموالاً لا تعد ولا توصف ، وقد ورد في غزو الهند حديث رواه الحافظ ابن عساكر وغيره .

---

(١) أورد ابن سعد في طبقاته (٧/ ١٨١) خبرين ينفيان عن جابر كونه إباضياً ، والإباضية هم أتباع عبد الله بن إباض ، أحد بني مرة بن عبيدة من بني تميم ، وهم فرقة من الخوارج قالت بإمامته ، ثم افترقت هذه الجماعة فيما بينها فرقاً يجمعها القول بأن كفار هذه الأمة برآء من الشرك والإيمان وإنهم ليسوا مؤمنين ولا مشركين ولكنهم كفار ، وهم أربع فرق : الحفصية ، والحارثية ، واليزيدية ، وأصحاب طاعة لا يراد الله بها .
الفرق بين الفرق (ص٧٠) وللتوسع أكثر انظر الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٣٤ ـ ١٣٧) . والخبر في حلية الأولياء (٣/ ١٠٦) .

(٢) من أول ترجمة بلال بن أبي الدرداء . . إلى هنا ساقط من أ ، ب .

(٣) الخبر في الطبري (٦/ ٤٨٣) وابن الأثير (٤/ ٥٧٨) وتاريخ خليفة (٣٠٦) ورجح محقق تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٦١) كونها أنطالية ـ باللام ـ حيث إن الأخيرة على الساحل ، وأنطاكية قد فتحت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٤) قال ابن الأثير في الكامل (٤/ ٥٧٨) : غزالة من ناحية ملطية .

(٥) الخبر في الطبري (٦/ ٤٨٣) .

(٦) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص٢٦١) ،

(٧) الخبر في تاريخ الطبري (٦/ ٤٨٣) وابن الأثير (٤/ ٥٨٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٦٠) وقد أخطأ الطبري إذ قلب الاسم ، والصحيح أنه محمد بن القاسم الثقفي ، وتبع الطبري من أرّخ بعده والله أعلم . ومحمد بن القاسم هو الذي أمّره الحجاج وعمره سبع عشرة سنة .

وفيها غزا قتيبة بن مسلم الشاش وفرغانة حتى بلغ خُجَندة وكاشان مدينتي فرغانة ، وذلك بعد فراغه من الصغد وفتح سمرقند [ثم خاض تلك البلاد يفتح فيها حتى وصل إلى كابل فحاصرها وافتتحها][١] وقد لقية المشركون في جموع هائلة من الترك فقاتلهم قتيبة عند خُجَنْدة فكسرهم مراراً [وظفر بهم ، وأخذ البلاد منهم ، وقتل منهم خلقاً وأسر آخرين ، وغنم أموالاً كثيرة جداً][٢] .

قال ابن جرير[٣] : وقد قال سَحْبان وائل يذكر قتالهم بخُجَنْدة [التي هي قريبة من بلاد الصين أبياتاً في ذلك] :

فسَلِ الفوارسَ في خجنـ ـدةَ تحتَ مُرهَفَةِ[٤] العوالي
هلْ كنتُ أجمعُهم[٥] إذا هُزموا وأُقدِمُ في قتالي
أمْ كنتُ أضربُ هامةَ الـ ـعاني[٦] وأصْبُر للنّزال[٧]
هذا وأنتَ قريعُ قيـ ـسٍ كُلِّها ضَخْمُ النَّوال
وفضلتَ قيساً في النَّدى وأبوكَ في الحِجَج الخَوالي
تمّتْ مروءتُكمْ ونا غى عزُّكمْ غُلْبَ الجِبالِ
ولقد تبيَّنَ عدل[٨] حُكـ ـمك فيهمُ في كلِّ مالِ

هكذا ذكر ابن جرير هذا من شعر سحبان وائل في هذه الغزوة . وقد ذكرنا ما أورده ابن الجوزي في « منتظمه »[٩] أن سَحْبان وائل مات في خلافة معاوية بن أبي سفيان بعد الخمسين ، فالله أعلم .

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر في تاريخ خليفة (٣٠٦) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٦٠) ولم يذكر الطبري ولا ابن الأثير فتح كابل في هذه السنة .
(٢) مكانها في أ ، ب : كل ذلك يكون الظفر له .
(٣) تاريخ الطبري (٦/ ٤٨٤) والأبيات أيضاً في ابن الأثير (٤/ ٥٨١) .
(٤) في أوحدها : مرهفات .
(٥) في أ : أحميهم ، وهي نسخة في الطبري .
(٦) في ط : العاتي ، وهي نسخة في الطبري .
(٧) في الطبري وابن الأثير : للعوالي .
(٨) ساقطة من ط .
(٩) المنتظم لابن الجوزي (٥/ ٢٨٣) .

مقتل سعيد بن جبير[١] رحمه الله

قال ابن جرير[٢] : وفي هذه السنة قتل الحجاج بن يوسف سعيد بن جبير ، وكان سبب ذلك أن الحجّاج كان قد جعله على نفقات الجند حين بعثه مع ابن الأشعث إلى قتال رُتبيل ملك الترك ، فلما خلعه ابن الأشعث خلعه معه سعيد بن جبير ، فلما ظفر الحجاج بابن الأشعث وأصحابه هرب سعيد بن جبير إلى أصبهان ، فكتب الحجاج إلى نائبها أن يبعثه إليه ، فلما سمع بذلك سعيد هرب منها ، ثم كان يعتمر في كل سنة ويحج ، ثم إنه لجأ إلى مكة فأقام بها إلى أن وليها خالد بن عبد الله القَسْري ، فأشار من أشار على سعيد بالهرب منها ، فقال سعيد : والله لقد استحييت من الله مما أفر ولا مفر من قدره ؟ وتولى على المدينة عثمان بن حيَّان بدل عمر بن عبد العزيز ، فجعل يبعث مَنْ بالمدينة من أهل[٣] العراق إلى الحجاج في القيود ، فتعلّم منه خالد بن عبد الله القسري فعين من عنده من مكة سعيد بن جبير ، وعطاء بن أبي رباح ، ومجاهد بن جبر ، وعمرو بن دينار ، وطلق بن حبيب .

ويقال : إن الحجاج أرسل إلى الوليد يخبره أن بمكة أقواماً من أهل الشقاق ، فبعث خالد بهؤلاء إليه ثم عفا عن عطاء وعمرو بن دينار لأنهما من أهل مكة وبعث بأولئك الثلاثة ، فأما طلق بن حبيب فمات في الطريق قبل أن يصل ، وأما مجاهد فحبس فما زال في السجن حتى مات الحجاج ، وأما سعيد بن جبير فلما أوقف بين يديه قال له : يا سعيد ألم أشركك في أمانتي ! ألم أستعملك ؟ ألم أفعل ألم أفعل ؟ كل ذلك يقول : نعم ، حتى ظن من عنده أنه سيخلي سبيله ، حتى قال له : فما حملك على الخروج عليَّ وخلعت بيعة أمير المؤمنين ؟ فقال سعيد : إن ابن الأشعث أخذ مني البيعة على ذلك وعزم عليّ ، فغضب عند ذلك الحَجّاج غضباً شديداً ، وانتفخ حتى سقط طرف ردائه عن منكبه ، وقال له : ويحك ألم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير وأخذت بيعة أهلها وأخذت بيعتك لأمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال : بلى ، قال : ثم قدمت الكوفة والياً على العراق فجددت لأمير المؤمنين البيعة فأخذت بيعتك له ثانية ؟ قال : بلى ! قال فتنكث بيعتين لأمير المؤمنين وتفي بواحدة للحائك ابن الحائك ؟ يا حرسي اضرب عنقه . قال : فضربت عنقه فبدر رأسه عليه لاطئة صغيرة بيضاء .

وقال الواقدي : لما أُوقف سعيد بن جبير قدَّام الحجاج قال : يا شقي بن كسير أما قدمت الكوفة

---

(١) ترجمة ـ سعيد بن جبير ـ في الطبقات لابن سعد (٦/ ٢٥٦ ـ ٢٦٧) وتاريخ خليفة (٣٠٧) وطبقاته (٢٨٠) وتاريخ البخاري (٣/ ٤٦١) والمعرفة والتاريخ (١/ ٧١٢ ـ ٧١٣) وحلية الأولياء (٤/ ٢٧٢ ـ ٣٠٩) ووفيات الأعيان (٢/ ٣٧١ ـ ٣٧٤) وتهذيب الكمال (١٠/ ٣٥٨) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٦٦ ـ ٣٧٦) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢٢ ـ ٣٤٣) والوافي بالوفيات (١٥/ ٢٠٦ ـ ٢٠٨) وتهذيب التهذيب (٤/ ١١ ـ ١٤) والنجوم الزاهرة (١/ ٢٢٨) .

(٢) تاريخ الطبري (٦/ ٤٨٧) وقد ذكره الذهبي ضمن وفيات سنة خمس وتسعين .

(٣) مكانها في ط : من أصحاب ابن الأشعث .

فجعلتك إماماً ؟ قال : بلى . قال : أما وليتك القضاء فضج أهل الكوفة أنه لا يصلح للقضاء إلا عربي ، فجعلت أبا بردة وأمرته أن لا يقطع أمراً دونك ؟ قال : بلى . قال : أما أعطيتك مئة ألف تفرقها على أهل الحاجة ؟ قال : بلى . قال : فما أخرجك عليَّ ؟ قال : بيعة كانت في عنقي لابن الأشعث . فغضب الحجاج وقال : أما كانت بيعة أمير المؤمنين في عنقك من قبل ؟ ثم قال : أكفرت إذ خرجت عليَّ ؟ فقال : ما كفرت منذ آمنت . فقال : اختر أي قتلة أقتلك . فقال : اختر أنت ، فإن القصاص أمامك . فقال الحجاج : يا حرسي اضرب عنقه ، وذلك في رمضان سنة خمس وتسعين بواسط ، وقبره ظاهر يزار .

ولما قتله خرج منه دم كثير حتى راع الحجاج ، فدعا طبيباً فسأله عن ذلك فقال : إنك قتلته ونفسه معه وقلبه حاضر .

وقيل : إن الحجاج رؤي في المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : قتلي بكل رجل قتلته قتلة ، وقتلني بسعيد بن جبير اثنين وسبعين قتلة ، والله أعلم[١] .

قال ابن جرير[٢] : فحُدِّثت عن أبي غسان مالك بن إسماعيل قال : سمعت خلف بن خليفة يذكر عن رجل قال : لما قتل الحجاج سعيد بن جبير فَنَدَر رأسه هلَّل ثلاثاً ، مرة يفصح بها ، وفي الثِّنتين يقول مثل ذلك لا يفصح بها .

وذكر أبو بكرة الباهلي[٣] قال : سمعت أنس بن أبي شيخ يقول : لما أُتي الحجاج بسعيد بن جبير قال : لعن الله ابن النصرانية ـ يعني خالد القسري ، وكان هو الذي أرسل به من مكة ـ أما كنت أعرف مكانه ؟ بلى والله والبيت الذي هو فيه بمكة ، ثم أقبل عليه فقال : يا سعيد ما أخرجك عليّ ؟ فقال : أصلح الله الأمير ، أنا امرؤ من المسلمين يخطىء مرة ويصيب أخرى ، فطابت نفس الحجاج وانطلق[٤] وجهه ، ورجا الحجاج أن يتخلص من أمره ، ثم عاوده في شيء فقال سعيد ؛ إنما كانت بيعة في عنقي ؛ فغضب عند ذلك الحجاج فكان ما كان من قتله .

وذكر عتاب بن بشر[٥] ، عن سالم الأفطس قال : أُتي الحجاج بسعيد بن جبير وهو يريد الركوب وقد وضع إحدى رجليه في الغرز ، فقال : والله لا أركب حتى تتبوأ مقعدك من النار ، اضربوا عنقه ، فضربت عنقه . قال : والتبس الحجاج في عقله مكانه ، فجعل يقول : قيودُنا قيودُنا ، فظنوا أنه يريد القيود التي على سعيد ، فقطعوا رجليه من أنصاف ساقيه وأخذوا القيود .

---

(١) من قوله : وقال الواقدي . . إلى هنا زيادة من أ ، والخبر بنصه في وفيات الأعيان (٢/ ٣٧٣) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٦٧ ـ ٣٦٨) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢٨) والوافي بالوفيات (١٥/ ٢٠٧) .

(٢) تاريخ الطبري (٦/ ٤٨٩) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) في الطبري (٦/ ٤٨٩) : وتطلَّق .

(٥) تاريخ الطبري (٦/ ٤٩٠) .

وقال محمد بن حاتم[(١)] : ثنا عبد الملك بن عبد الله [عن هلال] بن خَبَّاب ، قال : جيء بسعيد بن جبير إلى الحجاج فقال : أكتبت إلى مصعب بن الزبير ؟ فقال : بلى كَتَبَ إليَّ مصعب ، قال : لا والله لأقتلنك قال : إني إذاً لسعيد كما سمتني أمي . قال فقتله ، فلم يلبث الحجاج بعده إلا أربعين يوماً ، وكان إذا نام يراه في المنام يأخذ بمجامع ثوبه ويقول : يا عدو الله فيما قتلتني ؟ فيقول الحجاج : ما لي ولسعيد بن جُبير ، ما لي ولسعيد بن جُبير ؟ .

قال ابن خلكان[(٢)] : كان سعيد بن جبير بن هشام الأسدي مولى بني والبة[(٣)] كوفياً أحد الأعلام من التابعين ، وكان أسود اللَّون ، وكان لا يكتب على الفتيا ، فلما عمي ابن عباس كتب ، فغضب ابن عباس من ذلك ، وذكر مقتله كنحو ما تقدم ، وذكر أنه كان في شعبان ، وأن الحجاج مات بعده في رمضان ، وقيل قبل بستة أشهر .

وذكر عن الإمام أحمد[(٤)] أنه قال : قتل سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج ـ أو قال مفتقر ـ إلى علمه .

ويقال إن الحجاج لم يُسلَّط بعده على أحد ، وسيأتي في ترجمة الحجاج أيضاً شيء من هذا .

قال ابن جرير[(٥)] : وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء ، لأنه مات فيها عامة فقهاء المدينة ، مات في أولها علي بن الحسين [زين العابدين] ثم عروة بن الزبير ، ثم سعيد بن المسيّب ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام [وسعيد بن جبير من أهل مكة][(٦)] .

وقد ذكرنا تراجم هؤلاء في كتابنا « التكميل »[(٧)] ، وسنذكر طرفاً صالحاً هاهنا إن شاء الله تعالى .

قال ابن جرير : واستقضى الوليد بن عبد الملك في هذه السنة على الشام سليمان بن حبيب[(٨)] وحج بالناس فيها العباس[(٩)] بن الوليد ، ويقال مسلمة بن عبد الملك .

---

(١) المصدر نفسه .
(٢) وفيات الأعيان (٢/ ٣٧١) .
(٣) بنو والبة بن الحارث من بني أسد بن خزيمة . وانظر معجم القبائل العربية لكحالة .
(٤) وفيات الأعيان (٢/ ٣٧٤) وأيضاً في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٦٨) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢٥) ولكن ليس الخبر عن الإمام أحمد .
(٥) تاريخ الطبري (٦/ ٤٩١) .
(٦) الزيادة من ط .
(٧) القول لابن كثير رحمه الله ، وقد سبق أن عرّفنا بكتابه التكميل .
(٨) في ط : صرد ، وما أثبت موافق للطبري وابن الأثير .
(٩) كذا في الأصول الثلاثة ، وساق الطبري عدة روايات يظهر الاختلاف فيمن حج بالناس تلك السنة . أما الذهبي في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٦١) فذكر : مسلمة بن عبد الملك .

وكان على نيابة مكة خالد بن عبد الله القسري ، وعلى المدينة عثمان بن حيّان ، وعلى المشرق بكماله الحَجَّاج ، وعلى خراسان قتيبة بن مسلم ، وعلى الكوفة من جهة الحجاج زياد بن جرير ، وعلى قضائها أبو بكر بن أبي موسى ، وعلى إمرة البصرة من جهة الحجاج الجرّاح بن عبد الله الحَكَمي ، وعلى قضائها عبد الله[١] بن أذينة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر من توفي فيها من المشاهير والأعيان

سعيد بن جبير بن هشام الأسدي[٢] الوالبي مولاهم أبو محمد ، ويقال أبو عبد الله ، الكوفي المكي ، من أكابر أصحاب ابن عباس ، كان من أئمة الإسلام في التفسير والفقه وأنواع العلوم ، وكثرة العمل الصالح ، رحمه الله ، وقد رأى خلقاً من الصحابة ، وروى عن جماعة منهم ، وعنه خلق من التابعين وغيرهم ، يقال إنه كان يقرأ القرآن فيما بين المغرب والعشاء ختمة تامة ، وكان يقعد في الكعبة القعدة فيقرأ فيها الختمة ، وربما قرأها في ركعة في جوف الكعبة .

وقد قال ابن عباس ـ وقد أتاه أهل الكوفة يسألونه ـ : أليس فيكم سعيد بن جبير[٣] .

وقال سفيان الثوري عن عمرو بن ميمون عن أبيه قال : لقد مات سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه[٤] .

وكان في جملة من خرج مع ابن الأشعث على الحجاج ، فلما ظفر [الحجاج] هرب سعيد إلى أصبهان ، ثم كان يتردد في كل سنة إلى مكة مرتين ، مرة للعمرة ومرة للحج ، وربما دخل الكوفة في بعض الأحيان فحدَّث بها ، وكان بخراسان يتحزن[٥] لأنه كان لا يسأله أحد عن شيء من العلم هناك ، كان يقول : إن مما يهمني ما عندي من العلم ، وددت أن الناس أخذوه . واستمر في هذا الحال مختفياً من الحجاج قريباً من ثنتي عشرة سنة ، ثم أرسله خالد القَسْري من مكة إلى الحجاج وكان من مخاطبته له ما ذكرناه قريباً .

وقال أبو نعيم في كتابه الحلية[٦] : حدّثنا أبو حامد بن جَبَلة ، حدّثنا محمد بن إسحاق ، حدّثنا

---

(١) في الطبري : عبد الرحمن ، وذكر ابن حجر في تقريب التهذيب في ترجمة عبد الرحمن بن أذينة : قاضي البصرة . . وَهمَ مَنْ ذكره في الصحابة .

(٢) تقدم ذكر مصادر ترجمته في أول هذه السنة .

(٣) الخبر والذي قبله في الطبقات لابن سعد (٦/ ٢٥٧) .

(٤) الطبقات الكبرى (٦/ ٢٦٦) وحلية الأولياء (٤/ ٢٧٣) ووفيات الأعيان (٢/ ٣٧٤) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢٥) .

(٥) في ط : لا يتحدث .

(٦) حلية الأولياء (٤/ ٢٩١) .

محمد بن أحمد بن أبي خلف ، حدّثنا سفيان[١] ، عن سالم بن أبي حفصة . قال : لما أُتي بسعيد بن جبير إلى الحجاج قال له : أنت الشقي بن كسير ؟ قال : لا ! إنما أنا سعيد بن جبير ، قال لأقتلنك ، قال : أنا إذاً كما سمتني أمي سعيداً ! قال شقيت وشقيت أمك ، قال : الأمر ليس إليك . ثم قال : اضربوا عنقه ، فقال : دعوني أصلي ركعتين ، قال : وجِّهوه إلى قبلة النصارى ، قال : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ١١٥] قال : إني أستعيذ منك بما استعاذت به مريم ، قال : وما عاذت به ؟ قال : قالت ﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ [مريم : ١٨] قال سفيان : لم يقتل بعده إلا واحداً .

[وفي رواية أنه قال له : لأبدلنك بالدنيا ناراً تَلَظَّى ، قال : لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلّهاً . وفي رواية أنه لما أراد قتله قال : وجِّهوه إلى قبلة النصارى ، فقال : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ فقال : اجلدوا به الأرض ، فقال : ﴿ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه : ٥٥] فقال : اذبح فما أنزعه لآيات الله منذ اليوم . فقال : اللهم لا تسلطه على أحد بعدي . وقد ذكر أبو نعيم هنا كلاماً كثيراً في مقتل سعيد بن جبير ، أحسنه هذا ، والله أعلم][٢] .

وقد ذكرنا صفة مقتله إياه ، وقد رويت آثار غريبة في صفة مقتله ، أكثرها لا يصح ، وقد عوجل الحجاج ، فلم يلبث بعده إلا قليلاً ثم أخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، كما سنذكر وفاته في السنة الآتية ، فقيل إنه مكث بعده خمسة عشر يوماً ، وقيل أربعين يوماً ، وقيل ستة أشهر ، والله أعلم . وتنغصت به على الحجاج حياته في يقظته ومنامه .

واختلفوا في عمر سعيد بن جبير رحمه الله حين قتل ، فقيل تسعاً وأربعين سنة[٣] ، وقيل سبعاً وخمسين ، فالله أعلم . قال أبو القاسم اللالكائي : كان مقتله في سنة خمس وتسعين ، وذكر ابن جرير مقتله في هذه السنة ـ سنة أربع وتسعين ـ فالله أعلم .

[قلت : هاهنا كلمات حسان من كلام سعيد بن جبير أحببت أن أذكرها . قال : إن أفضل الخشية أن تخشى الله خشية تحول بينك وبين معصيته، وتحملك على طاعته، فتلك هي الخشية النافعة . والذكر طاعة الله ، فمن أطاع الله فقد ذكره ، ومن لم يطعه فليس بذاكرٍ له ، وإن كثر منه التسبيح وتلاوة القرآن .

قيل له : من أعبد الناس ؟ قال : رجل اقترف من الذنوب ، فكلما ذكر ذنبه احتقر عمله .

وقال له الحجاج : ويلك ! فقال : الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار ، فقال : اضربوا عنقه ، فقال : إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، أستحفظك بها حتى ألقاك يوم القيامة فأنا

---

(١) في ط : شعبان؛ تحريف .
(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وهي موافقة للمصادر .
(٣) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٦٦) .

خصمك عند الله ، فذبح من قفاه ، فبلغ ذلك الحسن فقال : اللهم يا قاصم الجبابرة اقصم الحجاج ، فما بقي إلا ثلاثة حتى وقع من جوفه دود فأنتن منه فمات .

وقال سعيد للحجاج لمَّا أمر بقتله وضحك فقال له : ما أضحكك ؟ فقال : أضحك من غيراتك عليّ وحلم الله عنك][1] .

سعيد بن المسيّب[2] بن حَزْن بن أبي وهب[3] بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي أبو محمد المدني المخزومي ، سيد التابعين على الإطلاق .

ولد لسنتين مضتا وقيل بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب ، وقيل لأربع مضين منها .

وقول الحاكم أبي عبد الله إنه أدرك العشرة وهمٌ منه والله أعلم . ولكن أرسل عنهم كما أرسل كثيراً عن النبي ﷺ ، وروى عن عمر كثيراً ، فقيل سمع منه ، وعن عثمان ، وعلي ، وسعيد ، وأبي هريرة ، وكان زوج ابنته[4] ، وأعلم الناس بحديثه ، وروى عن جماعة من الصحابة ، وحدَّث عن جماعة من التابعين ، وخلق ممن سواهم .

قال ابن عمر : كان سعيد أحد المتقنين[5] .

وكان أعلم أهل الأرض كلها في زمانه ، وكان يسرد الصوم .

وقال عن نفسه : أنه ما فاتته التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة وحج أربعين حجة[6] .

وقال الزّهري : جالسته سبع حجج وأنا لا أظن عند أحد علماً غيره[7] .

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وجملة الكلام في صفة الصفوة لابن الجوزي (٣/ ٧٩ـ٨٢) .

(٢) ترجمة ـ سعيد بن المسيب ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ١١٩ـ١٤٣) وتاريخ خليفة (١٣٤ و٢٦٥ و٢٨٩) وطبقاته (٢٤٤) والمعرفة والتاريخ (١/ ٤٦٨) وحلية الأولياء (٢/ ١٦١) وتاريخ البخاري (٣/ ٥١٠) وصفة الصفوة (٢/ ٧٩ ـ ٨٢) ووفيات الأعيان (٢/ ٣٧٥ ـ ٣٧٨) وتهذيب الكمال (١١/ ٢١٢) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٧١ ـ ٣٧٦) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢١٧ ـ ٢٤٦) والوافي بالوفيات (١٥/ ٢٦٢) وتهذيب التهذيب (٤/ ٨٤ ـ ٨٨) وشذرات الذهب (١/ ٣٧٠) .

وضبطه ابن خلكان بـ المسيَّب ـ بفتح الياء المشددة المثناة من تحتها أو كسرها ـ والفتح هو المشهور . ونقل عن سعيد أنه كان يقول : سيَّب الله من سيَّب أبي .

(٣) في طبقات ابن سعد (٥/ ١١٩) : وهب بن عمرو بن عائذ .

(٤) وفيات الأعيان (٢/ ٢٧٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٧٣) .

(٥) في أ ، ب : المتقين ، وفي السير وتاريخ الإسلام : المفتين . وما أثبت من ط ، وتهذيب الكمال وتهذيب التهذيب .

(٦) من قوله : وكان أعلم أهل . . إلى هنا زيادة من أ ، والخبر في حلية الأولياء (٢/ ١٦٤) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٢٢) .

(٧) السير (٤/ ٢٢٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٧٢) .

وقال محمد بن إسحاق : عن مكحول قال : طفت الأرض كلها في طلب العلم ، فما لقيت أعلم من سعيد بن المسيب[١] .

وقال الأوزاعي : سُئل الزُّهري ومكحول من أفقه من لقيتما ؟ قالا : سعيد بن المسيب .

وقال غيره : كان يقال له : فقيه الفقهاء .

وقال قتادة : ما رأيت أعلم بالحلال والحرام منه .

وكان الحسن إذا أشكل عليه شيء كتب إلى سعيد بن المسيّب[٢] وقال مالك : عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب : كنت أرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد[٣] .

قال مالك : وبلغني أن ابن عمر كان يرسل إلى سعيد بن المسيب يسأله عن قضايا عمر وأحكامه[٤] .

وقال الربيع عن الشافعي أنه قال : إرسال سعيد بن المسيب عندنا حسن[٥] .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : هي صحاح . قال : وسعيد بن المسيب أفضل التابعين[٦] .

قال علي بن المديني : لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه ، وإذا قال سعيد مضت السنة فحسبك به ، وهو عندي أجلّ التابعين[٧] .

وقال أحمد بن عبد الله العجلي : كان سعيد رجلاً صالحاً فقيهاً ، كان لا يأخذ العطاء ، وكانت له بضاعة أربعمائة دينار ، وكان يتَّجر في الزيت ، وكان أعور[٨] .

وقال أبو زرعة : كان مدنياً ثقة إماماً .

وقال أبو حاتم : ليس في التابعين أنبل منه ، وهو أثبتهم في أبي هريرة .

قال الواقدي[٩] : توفي في سنة الفقهاء ، وهي سنة أربع وتسعين ، عن خمس وسبعين سنة ، رحمه الله .

---

(١) المصدر السابق .
(٢) من قوله : وقال قتادة . . إلى هنا زيادة من أ ، ب .
(٣) تذكرة الحفاظ (١/ ٥٥) .
(٤) طبقات ابن سعد (٥/ ١٢٢) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٢٥) .
(٥) تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١/ ٢٢١) .
(٦) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٧٣) .
(٧) المصدر نفسه .
(٨) تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ٥٤) .
(٩) الطبقات الكبرى (٥/ ١٤٣) .

] وكان سعيد بن المسيب من أورع الناس فيما يدخل بيته وبطنه ، وكان من أزهد الناس في فضول الدنيا ، والكلام فيما لا يعني ، ومن أكثر الناس أدباً في الحديث .

جاءه رجل وهو مريض فسأله عن حديث فجلس فحدّثه ثم اضطجع ، فقال الرجل : وددت أنك لم تتعنّ ، فقال : إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله ﷺ وأنا مضطجع .

وقال بُرد مولاه : ما نوي للصّلاة منذ أربعين إلا وسعيد في المسجد .

وقال ابن إدريس : صلّى سعيد بن المسيب الغداة بوضوء العتمة خمسين سنة . وقال سعيد : لا تملؤوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بالإنكار من قلوبكم ، لكيلا تحبط أعمالكم الصالحة .

وقال : ما يئس الشيطان من شيء إلا أتاه من قبل النساء .

وقال : ما أكرمت العباد أنفسها بمثل طاعة الله ، ولا أهانت أنفسها إلا بمعصية الله تعالى .

وقال : كفى بالمرء نصرة من الله له أن يرى عدوه يعمل بمعصية الله .

وقال : من استغنى بالله افتقر الناس إليه .

وقال : الدنيا نذلة وهي إلى كل نذل أميل ، وأنذل منها من أخذها من غير وجهها ووضعها في غير سبيلها .

وقال : إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب ، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه .

وقال : من كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله .

وقد زوّج سعيد بن المسيّب ابنته على درهمين لكثير[1] بن أبي وداعة ـ وكانت من أحسن النساء وأكثرهم أدباً وأعلمهم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، وأعرفهم بحق الزوج ـ وكان فقيراً ، فأرسل إليه بخمسة آلاف ، وقيل : بعشرين ألفاً ، وقال : استنفق هذه . وقصته في ذلك مشهورة ، وقد كان عبد الملك خطبها لابنه الوليد فأبى سعيد أن يزوجه بها ، ولما جاءت بيعة الوليد إلى المدينة في أيام عبد الملك ، ضربه نائبه على المدينة هشام بن إسماعيل وأطافه المدينة ، وعرضوه على السيف فمضى ولم يبايع ، فلما رجفوا به رأته امرأة فقالت : ما هذا الخزي يا سعيد ؟ فقال : مِن الخزي فررنا إلى ما ترين ، أي لو أجبناهم وقعنا في خزي الدنيا والآخرة . وكان يجعل على ظهره إهاب الشاة ، وكان له مال يتّجر فيه ويقول : اللهم إنك تعلم أني لم أمسكه بخلاً ولا حرصاً عليه ، ولا محبة للدنيا ونيل شهواتها ، وإنما أريد أن أصون به وجهي عن بني مروان حتى ألقى الله فيحكم فيّ وفيهم ، وأصل منه

---

(١) في طبقات ابن سعد : زوجها من ابن أخيه ، وفي الوفيات لابن خلكان (٢/ ٣٧٦) : زوَّجها من أبي وداعة .

رحمي ، وأؤدي منه الحقوق التي فيه ، وأعود منه على الأرملة والفقير والمسكين واليتيم والجار . والله سبحانه وتعالى أعلم][1] .

طلق بن حبيب العنزي[2] ، تابعي جليل ، روى عن أنس وجابر وابن الزبير وابن عباس ، وعبد الله بن عمر وغيرهم ، وعنه حميد الطويل والأعمش وطاووس ، وهو من أقرانه .

وأثنى عليه عمرو بن دينار ، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة ، ولكن تكلّموا فيه من جهة أنه كان يقول بالإرجاء .

وقد كان ممن خرج مع ابن الأشعث .

وكان يقول : تقووا بالتقوى ، فقيل له : صف لنا التقوى ، فقال : التقوى هي العمل بطاعة الله على نورٍ من الله رجاء رحمة الله ، وترك معصية الله على نورٍ من الله مخافة عذاب الله .

وقال أيضاً : إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد ، وإن نعم الله أكثر من أن تحصى ، أو يقوم بشكرها العباد ، ولكن أصبحوا تائبين [وأمسوا تائبين .

وكان طلق لا يخرج إلى صلاة إلا ومعه شيء يتصدق به ، وإن لم يجد إلا بصلاً ، ويقول : قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ ﴾ [المجادلة : ١٢] فتقديم الصدقة بين يدي مناجاة الله أعظم وأعظم][3] .

قال مالك : قتله الحجاج وجماعة من القراء منهم سعيد بن جبير[4] .

وقد ذكر ابن جرير[5] فيما سبق أن خالد بن عبد الله القسري بعث من مكة ثلاثة إلى الحجاج ، وهم مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وطلق بن حبيب ، فمات طلق في الطريق وحبس مجاهد ، وكان من أمر سعيد ما كان ، والله أعلم .

عروة بن الزبير بن العوام[6] ، **القرشي الأسدي أبو عبد الله المدني** ، تابعي جليل ، روى عن أبيه وعن

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والكلام بجملته موافق لما في صفة الصفوة (٢/ ٨٠ـ٨١) ووفيات الأعيان (٢/ ٣٧٥ ـ ٣٧٧) وغيرهما .

(٢) ترجمة ـ طلق بن حبيب ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٢٢٧) وطبقات خليفة (٢٤٢) وتاريخ البخاري (٤/ ٣٥٩) وحلية الأولياء (٣/ ٦٣) وتهذيب الكمال (١٢/ ٤٥١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ١٠١ ـ ١٢٠/ ص١٢١ ـ ١٢٢) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٦٠١ ـ ٦٠٣) وتهذيب التهذيب (٥/ ٣١) .

(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط .

(٤) ذكره الذهبي في السير (٤/ ٦٠٢) وقال : لم يصح .

(٥) تاريخ الطبري (٦/ ٤٨٨) .

(٦) ترجمة ـ عروة بن الزبير ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ١٧٨ ـ ١٨٢) وتاريخ خليفة (١٥٦) وطبقاته (٢٤١) وتاريخ البخاري (٧/ ٢٣١ ـ ٢٣٢) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٦٤ ـ ٥٥١) وتاريخ دمشق (٤٠/ ٢٣٧ ـ ٢٨٦) ووفيات الأعيان=

العبادلة ومعاوية والمغيرة وأبي هريرة ، وأمه أسماء ، وخالته أم المؤمنين عائشة ، وأم سلمة . وعنه جماعة من التابعين ، وخلق ممن سواهم .

قال محمد بن سعد : كان عروة ثقة كثير الحديث عالماً مأموناً ثبتاً .

وقال العجلي[١] : مدني تابعي رجل صالح لم يدخل في شيء من الفتن .

وقال الواقدي[٢] : كان فقيهاً عالماً حافظاً ثبتاً حجة عالماً بالسير ، وهو أول من صنف المغازي ، وكان من فقهاء المدينة المعدودين ، ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه ، وكان أروى الناس للشعر .

وقال ابنه هشام : قال أبي : العلم لواحد من ثلاثة ، لذي حسب يزين به حسبه ، أو ذي دين يسوس به دينه ، أو مختلط بسلطان يتحفه بعلمه[٣] .

وقال : ولا أعلم أحداً اشترطه لهذه الخصال الثلاث إلا عروة بن الزبير ، وعمر بن عبد العزيز .

وكان عروة يقرأ كل يوم ربع القرآن ويقوم به في اللّيل ، وكان أيام الرُّطَب يثلم حائطه للناس فيدخلون فيأكلون ويحملون ، فإذا ذهب الرطب أعاده[٤] .

وقال الزُّهري : كان عروة بحراً لا ينزف ولا تكدِّره الدِّلاء[٥] .

وقال عمر بن عبد العزيز : ما أحد أعلم من عروة وما أعلمه يعلم شيئاً أجهله[٦] .

وقد ذكره غير واحد من فقهاء المدينة السبعة الذين ينتهى إلى قولهم ، وكان من جملة الفقهاء العشرة الذين كان عمر بن عبد العزيز يرجع إليهم في زمن ولايته على المدينة[٧] .

وقد ذكر غير واحد أنه وفد على الوليد بدمشق ، فلما رجع أصابته في رجله الأكلة فأرادوا قطعها ، فعرضوا عليه أن يشرب شيئاً يغيب عقله حتى لا يحس بالألم ويتمكنوا من قطعها ، فقال : ما ظننت أن

= (٣/ ٢٥٥ ـ ٢٥٨) وحلية الأولياء (٢/ ١٧٦ ـ ١٨٢) وتهذيب الكمال (٢٠/ ١١) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ص٤٢٤ ـ ٤٢٩) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٢١ ـ ٤٣٧) وتهذيب التهذيب (٧/ ١٨٠ ـ ١٨٥) وشذرات الذهب (١/ ٣٧٢) .

(١) تاريخ الثقات للعجلي (ص٣٣١) الترجمة رقم (١١٢١) .
(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ١٧٩) .
(٣) مكانها في ط : يتحفه بنعمه ، ويتخلص منه بالعلم ، فلا يقع في هلكة .
(٤) حلية الأولياء (٢/ ١٧٨ ـ ١٨٠) وتاريخ ابن عساكر (٤٠/ ٢٥٩) .
(٥) تاريخ دمشق (٤٠/ ٢٥٣) والمعرفة والتاريخ (١/ ٥٥٢) .
(٦) تاريخ دمشق (٤٠/ ٢٤٩) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٢٥) .
(٧) تاريخ دمشق (٤٠/ ٢٥٠) .

أحداً يؤمن بالله يشرب شيئاً يغيبَ عقله حتى لا يعرف ربه عزَّ وجلَّ ، ولكن هلموا فاقطعوها فقطعوها من ركبته وهو صامت لا يتكلم ، ولا يعرف أنه أنّ .

وروي أنهم قطعوها وهو في الصلاة فلم يشعر لشغله بالصلاة ، فالله أعلم .

ووقع في هذه الليلة التي قطعت فيها رجله بنيٌّ له يسمى محمداً كان أحب أولاده من سطح فمات ، فدخلوا عليها فعزَّوه فيه ، فقال : اللهم لك الحمد ، كانوا سبعة فأخذت واحداً وأبقيت ستة ، وكان لي أطراف أربعة فأخذت واحداً وأبقيت ثلاثة ، فلئن كنت قد أخذت فلقد أعطيت ، ولئن كنت قد ابتليت فقد عافيت(١) .

فلك الحمد على ما أخذت وعلى ما أعطيت .

وقيل : إنه لما رأى رجله المقطوعة في الطست قال : الله أعلم أني ما مشيت بها إلى معصية قط(٢) .

[قلت : قد ذكر غير واحد أن عروة بن الزبير لما خرج من المدينة متوجهاً إلى دمشق ليجتمع بالوليد ، وقعت الأكلة في رجله في واد قرب المدينة وكان مبدؤها هناك ، فظن أنها لا يكون منها ما كان ، فذهب في وجهه ذلك ، فما وصل إلى دمشق إلا وهي قد أكلت نصف ساقه ، فدخل على الوليد فجمع له الأطباء العارفين بذلك ، فأجمعوا على أنه إن لم يقطعها وإلا أكلت رجله كلها إلى وركه . وربما ترقّت إلى الجسد فأكلته ، فطابت نفسه بنشرها وقالوا له : ألا نسقيك مرقداً(٣) حتى يذهب عقلك منه فلا تحس بألم النشر ؟ فقال : لا ! والله ما كنت أظن أن أحداً يشرب شراباً أو يأكل شيئاً يذهب عقله ، ولكن إن كنتم لا بد فاعلين فافعلوا ذلك وأنا في الصلاة فإني لا أحس بذلك ، ولا أشعر به . قال : فنشروا رجله من فوق الأكلة ، من المكان الحي ، احتياطاً أنه لا يبقى منها شيء ، وهو قائم يصلّي ، فما تضوّر ولا اختلج ، فلما انصرف من الصلاة عزاه الوليد في رجله ، فقال : اللهم لك الحمد ، كان لي أطراف أربعة فأخذت واحداً فلئن كنت قد أخذت فقد أبقيت ، وإن كنت قد أبليت فلطالما عافيت ، فلك الحمد على ما أخذت وعلى ما عافيت . قال : وكان قد صحب معه بعض أولاده من جملتهم ابنه محمد ، وكان أحبهم إليه ، فدخل دار الدواب فرفسته فرس فمات ، فأتوه فعزوه فيه ، فقال : الحمد لله كانوا سبعة فأخذت منهم واحداً وأبقيت ستة ، فلئن كنت قد ابتليت فلطالما عافيت ، ولئن كنت قد أخذت فلطالما أعطيت . فلما قضى حاجته من دمشق رجع إلى المدينة ، قال : فما سمعناه ذكر رجله ولا ولده ، ولا شكا ذلك إلى أحد حتى دخل وادي القرى ، فلما كان في المكان الذي أصابته الأكلة فيه قال : ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾ [الكهف : ٦٢] فلما دخل المدينة أتاه الناس يسلّمون عليه ويعزونه في رجله وولده ، فبلغه أن

(١) تاريخ دمشق (٤٠/ ٢٦٢) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٣٠) .

(٢) من قوله : فلك الحمد على . . إلى هنا ساقط من ط .

(٣) المرقّد : شيء يُشرب فينوِّم من يشربه ويرقِّده . القاموس (رقد) .

بعض الناس قال : إنما أصابه هذا بذنب عظيم أحدثه . فأنشد عروة في ذلك والأبيات لمعن بن أوس :

لعمركَ ما أهويتُ كفي لريبةٍ ولا حملتني نحو فاحشة رِجلي
ولا قادني سمعي ولا بصري لها ولا دلّني رأيي عليها ولا عقلي
ولست بماشٍ ما حييتُ لمنكرٍ منَ الأمرِ لا يمشي إلى مثلهِ مثلي
ولا مؤثرٌ نفسي على ذي قرابةٍ وأوثر ضيفي ما أقامَ على أهلي
وأعلمُ أني لم تصبني مصيبةٌ من الدهر إلّا قدْ أصابتْ فتى مثلي[١]

وفي رواية : اللهم إنه كان لي بنون أربعة فأخذت واحداً وأبقيت ثلاثة . كذا ذكر هذا الحديث فيه هشام .

وقال مسلمة بن محارب : وقعت في رجل عروة الأكلة فقطعت ولم يمسكه أحد ، ولم يدع في تلك الليلة وِرْدَه .

وقال الأوزاعي : لما نشرت رجل عروة قال : اللهم إنك تعلم أني لم أمش بها إلى سوء قط . وأنشد البيتين المتقدمين .

رأى عروة رجلاً يصلي صلاة خفيفة فدعاه فقال : يا أخي أما كانت لك إلى ربك حاجة في صلاتك ؟ إني لأسأل الله في صلاتي حتى أسأله الملح .

قال عروة : رب كلمة ذلٍّ احتملتُها أورثتني عزاً طويلاً .

وقال لبنيه : إذا رأيتم الرجل يعمل الحسنة فاعلموا أن لها عنده أخوات ، وإذا رأيتم الرجل يعمل السيئة فاعلموا أن لها عنده أخوات ، فإن الحسنة تدل على أختها ، والسيئة تدل على أختها .

وكان عروة إذا دخل حائطه ردد هذه الآية : ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [الكهف : ٣٩] حتى يخرج منه ، والله سبحانه وتعالى أعلم][٢] .

قيل : إنه ولد في حياة عمر ، والصحيح أنه ولد بعد عمر في سنة ثلاث وعشرين[٣] ، وكانت وفاته في سنة أربع وتسعين على المشهور ، وقيل سنة تسعين ، وقيل سنة مئة ، وقيل إحدى وتسعين ، وقيل إحدى ومئة ، وقيل سنة اثنتين أو ثلاث أو أربع أو خمس وتسعين ، وقيل تسع وتسعين[٤] فالله أعلم .

علي بن الحسين[٥] بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي المشهور بزين العابدين ، وأمه أم ولد

---

(١) الأبيات في حلية الأولياء (٢/ ١٧٩) عدا الثالث والرابع .
(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وهي موافقة لمصادر ترجمة عروة بن الزبير ، وجلّها من ابن عساكر (٤٠/ ٢٥٩) .
(٣) كذا في تاريخ خليفة (١٥٦) وتذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ٦٣) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٢٢) .
(٤) نسب الذهبي بعض هذه الأقوال إلى أصحابها في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٢٩) .
(٥) ترجمة ـ علي بن الحسين ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٢١١) وطبقات خليفة (٢٤٤) وتاريخ البخاري (٦/ ٢٦٦) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٦٠) وحلية الأولياء (٣/ ١٣٣) وتاريخ دمشق (٤١/ ٣٦٠ ـ ٤١٦) ووفيات الأعيان =

اسمها سلامة[١] ، كان له أخ أكبر منه يقال له علي أيضاً ، قتل مع أبيه ، روى عليٌّ هذا ، الحديث عن أبيه وعمه الحسن بن علي ، وجابر وابن عباس والمسور بن مخرمة وأبي هريرة وصفية وعائشة وأم سلمة ، أمهات المؤمنين . وعنه جماعة منهم بنوه زيد وعبد الله وعمر ، وأبو جعفر محمد بن علي الباقر ، وزيد بن أسلم ، وطاووس وهو من أقرانه ، والزُّهري ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وأبو سلمة وهو من أقرانه ، وخلق .

قال ابن خلكان[٢] : كانت سلامة بنت يزدجرد آخر ملوك الفرس .

وذكر الزمخشري في « ربيع الأبرار »[٣] أن يزدجرد كان له ثلاث بنات سبين في زمن عمر بن الخطاب ، فحصلت واحدة لعبد الله بن عمر فأولدها سالماً ، والأخرى لمحمد بن أبي بكر الصديق فأولدها القاسم ، والأخرى للحسين بن علي فأولدها علياً زين العابدين هذا ، فكلّهم بنو خالة .

قال ابن خلكان[٤] : ولما قتل قتيبة بن مسلم فيروز بن يزدجرد بعث بابنتيه إلى الحَجّاج فأخذ إحداهما وبعث بالأخرى إلى الوليد بن عبد الملك ، فأولدها الوليدُ يزيد الناقص .

وذكر ابن قتيبة في كتاب « المعارف »[٥] أن زين العابدين هذا كانت أمه سندية ، يقال لها سلامة ، ويقال غزالة ، وكان مع أبيه بكربلاء ، فاستبقي لصغره ، وقيل لمرضه ، فإنه كان ابن ثلاث وعشرين سنة ، وقيل أكثر من ذلك ، وقد همّ بقتله عبيد الله بن زياد ، ثم صرفه الله عنه ، وأشار بعض الفجرة على يزيد بن معاوية بقتله أيضاً فمنعه الله من ذلك فله الحمد والمنة ، ثم كان يزيد بعد ذلك يُكرمه ويُعظمه ويُجلسه معه ، ولا يأكل إلا وهو عنده ، ثم بعثهم إلى المدينة ، وكان علي بالمدينة محترماً معظماً .

قال ابن عساكر[٦] : ومسجده بدمشق المنسوب إليه معروف . قلت : وهو مشهد علي شرقي جامع دمشق .

وقد استقدمه عبد الملك بن مروان مرة أخرى إلى دمشق فاستشاره في جواب ملك الروم عن بعض ما كتب إليه فيه من أمر السكّة وطراز القراطيس .

= (٣/ ٢٦٦) وتهذيب الكمال (٢٠/ ٣٨٣) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٣١ ـ ٤٣٩) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٨٦ ـ ٤٠١) وتهذيب التهذيب (٧/ ٣٠٤ ـ ٣٠٧) والنجوم الزاهرة (١/ ٢٢٩) وشذرات الذهب (١/ ٣٧٤) .

(١) في الطبقات (٥/ ٢١١) : غزالة .

(٢) وفيات الأعيان (٣/ ٢٦٧) وقد تحرفت في ط إلى : سلمة .

(٣) ربيع الأبرار لأبي القاسم الزمخشري (ص٢٠١) ط : مؤسسة الأعلمي بيروت .

(٤) وفيات الأعيان (٣/ ٢٦٧) .

(٥) المعارف لابن قتيبة (ص٢١٤) والخبر أيضاً في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٣٢) .

(٦) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٦٠) .

قال الزّهري : ما رأيت قرشياً أفضل منه[١] .

وقال الواقدي : كان من أورع الناس وأعبدهم وأتقاهم لله عزَّ وجلَّ ، وكان إذا مشى لا يخطر بيده ، وكان يعتم بعمامة بيضاء يرخيها من ورائه ، وكان كنيته أبا الحسن ، وقيل أبامحمد ، وقيل أبا عبد الله[٢] . وكان مع أبيه يوم قتل ابن ثلاث وعشرين سنة وهو مريض ، فقال عمر بن سعد : لا تعرضوا لهذا المريض[٣] . وقال محمد بن سعد : كان ثقة مأموناً كثير الحديث عالياً رفيعاً ورعاً ، وأمه غزالة ـ خلف عليها بعد الحسين مولاه زُيَيد[٤] فولدت له عبد الله بن زُيَيد ـ وهو علي الأصغر ، فأما الأكبر فقتل مع أبيه . وكذا قال غير واحد .

وقال سعيد بن المسيب وزيد بن أسلم ومالك وأبو حازم : لم يكن في أهل البيت مثله[٥] .

وقال يحيى بن سعيد الأنصاري : سمعت علي بن الحسين وهو أفضل هاشمي أدركته يقول : يا أيها الناس أحبونا حب الإسلام ، فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عاراً[٦] . وفي رواية : حتى بغضتمونا إلى الناس .

وقال الأصمعي : لم يكن للحسين عقب إلا من علي بن الحسين ، ولم يكن لعلي بن الحسين نسل إلا من ابن عمه الحسن ، فقال له مروان بن الحكم : لو اتخذت السراري يكثر أولادك ، فقال : ليس لي ما أتسرى به ، فأقرضه مئة ألف فاشترى له السراري فولدت له وكثر نسله ، ثم لما مرض مروان أوصى أن لا يؤخذ من علي بن الحسين شيء مما كان أقرضه ، فجميع الحسينيين من نسله رحمه الله[٧] .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : أصح الأسانيد كلّها : الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده[٨] .

وذكروا أنه احترق البيت الذي هو فيه وهو قائم يصلي ؛ فلما انصرف قالوا له : ما لك لم تنصرف ؟ فقال : إني اشتغلت عن هذه النار بالنار الأخرى[٩] .

---

(١) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٧١) والمعرفة والتاريخ (١/ ٥٤٤) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٨٩) .
(٢) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٦٢) .
(٣) طبقات ابن سعد (٥/ ٢١٢ ـ ٢١٣) وتاريخ دمشق (٤١/ ٣٦٦) .
(٤) زُيَيد ـ بياءين ـ هكذا ضبطها الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩٩) .
(٥) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٧٣) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٨٩) .
(٦) طبقات ابن سعد (٥/ ٢١٤) وحلية الأولياء (٣/ ١٣٦) ونسب قريش (٥٨) وتاريخ دمشق (٤١/ ٣٧٤) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٨٩) .
(٧) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٧٤) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩٠) .
(٨) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٧٥ـ٣٧٦) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩٨) .
(٩) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٧٧) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩٢) .

وكان إذا توضأ يصفرُّ لونه ، فإذا قام إلى الصلاة ارتعد من الفرق ، فقيل له في ذلك فقال : ألا تدرون بين يدي من أقوم ولمن أناجي[١] ؟

ولما حجّ أراد أن يلبي فارتعد وقال : أخشى أن أقول لبيك اللهم لبيك ، فيقال لي : لا لبيك، فشجعوه على التلبية ، فلما لبى غشي عليه حتى سقط عن الراحلة . وكان يصلّي في كلّ يوم وليلة ألف ركعة[٢] .

وقال طاووس : سمعته وهو ساجد عند الحِجر يقول : عَبدك بفنائك . سائلك بفنائك . فقيرك بفنائك ، قال طاووس : فوالله ما دعوت بها في كرب قط إلا كشف عني[٣] .

وذكروا أنه كان كثير الصَّدقة باللّيل ، وكان يقول صَدَقة اللّيل تطفىء غضب الربّ ، وتنوِّر القلب والقبر ، وتكشف عن العبد ظلمة يوم القيامة[٤] ، وقاسم الله تعالى ماله مرتين[٥] .

وقال محمد بن إسحاق : كان ناس بالمدينة يعيشون لا يدرون من أين يعيشون ومن يعطيهم ، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ذلك فعرفوا أنه هو الذي كان يأتيهم في الليل بما يأتيهم به[٦] . ولما مات وجدوا في ظهره أثر حمله الجُرُب إلى بيوت الأرامل والمساكين في اللّيل . وقيل إنه كان يعول مئة أهل بيت بالمدينة ولا يدرون بذلك حتى مات .

ودخل علي بن الحسين على محمد بن أسامة بن زيد يعوده فبكى ابن أسامة فقال له ما يبكيك ؟ قال : عليّ دين ، قال : وكم هو ؟ قال خمسة عشر ألف دينار ـ وفي رواية سبعة عشر ألف دينار ـ فقال : هي عليّ[٧] .

وقال علي بن الحسين : كان أبو بكر وعمر من رسول الله ﷺ في حياته بمنزلتهما منه بعد وفاته .

ونال منه رجل يوماً فجعل يتغافل عنه ـ يريه أنه لم يسمعه ـ فقال له الرجل : إياك أعني ، فقال له علي : وعنك أغضي .

وخرج يوماً من المسجد فسبّه رجل فابتدر الناس إليه ، فقال : دعوه ، ثم أقبل عليه فقال : الذي سُتر عنك من أمرنا أكثر ، ألك حاجة نعينك عليها ؟ فاستحيا الرجل فألقى إليه خميصة كانت عليه ،

---

(١) طبقات ابن سعد (٥/ ٢١٦) وحلية الأولياء (٣/ ٣٣) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩٢) .

(٢) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٧٨) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩٢) .

(٣) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٨٠) بأطول مما هنا ، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩٣) .

(٤) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٨٣) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩٣) .

(٥) طبقات ابن سعد (٥/ ٢١٩) وحلية الأولياء (٣/ ١٤٠) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩٣) .

(٦) الطبقات (٥/ ٢٢٢) وحلية الأولياء (٣/ ١٣٥ ـ ١٣٦) وتاريخ دمشق (٤١/ ٣٨٣) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٣٣) .

(٧) حلية الأولياء (٣/ ١٤١) وتاريخ دمشق (٤١/ ٣٨٥) وصفة الصفوة (٢/ ١٠١) وتاريخ الإسلام (٦/ ٤٣٢) .

وأمر له بألف درهم ، فكان الرجل بعد ذلك إذا رآه يقول : أشهد أنك من أولاد الأنبياء .

قالوا : واختصم علي بن الحسين وحسن بن حسن ـ وكان بينهما منافسة ـ فنال منه حسن بن حسن وهو ساكت ، فلما كان الليل ذهب علي بن الحسين إلى منزله فقال : يا بن عم إن كنت صادقاً يغفر الله لي ، وإن كنت كاذباً يغفر الله لك ، والسلام عليك ، ثم رجع ، فلحقه فصالحه[1] رحمهما الله .

وقيل له : من أعظم الناس خطراً ؟ فقال : من لم يرض الدنيا لنفسه خطراً .

وقال أيضاً : الفكرة مرآة تري المؤمن حسناته وسيئاته[2] .

وقال : فقدُ الأحبة غربة ، وكان يقول : إن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد ، وآخرون عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار ، وآخرون عبدوه محبة وشكراً فتلك عبادة الأحرار الأخيار[3] .

وقال لابنه : يا بني لا تصحب فاسقاً فإنه يبيعك بأكلة وأقل منها ، يطمع فيها ثم لا ينالها ، ولا بخيلاً فإنه يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه ، ولا كذاباً فإنَّه كالسراب يقرِّب منك البعيد ويباعد عنك القريب ، ولا أحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، ولا قاطع رحم فإنه ملعون في كتاب الله[4] . قال تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾ [محمد : ٢٢ ـ ٢٣] .

وكان علي بن الحسين إذا دخل المسجد تخطى الناس حتى يجلس في حلقة زيد بن أسلم ، فقال له نافع بن جبير بن مطعم : غفر الله لك ، أنت سيد الناس تأتي تتخطّى حِلَق أهل العلم وقريش حتى تجلس مع هذا العبد [الأسود] ؟ فقال له علي بن الحسين : إنما يجلس الرجل حيث ينتفع ، وإن العلم يُطلب حيث كان[5] .

وقال الأعمش : عن مسعود بن مالك قال : قال لي عليٍ بن الحسين : أتستطيع أن تجمع بيني وبين سعيد بن جبير ؟ فقلت : ما تصنع به ؟ قال أريد أسأله عن أشياء ينفعنا الله بها ولا منقصة ، إنه ليس عندنا ما يرمينا به هؤلاء ـ وأشار بيده إلى العراق[6] ـ .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا يحيى بن آدم ، حدّثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق عن رزين[7] بن عبيد

---

(١) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٩٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٣٦) وسير أعلام النبلاء (٣٩٧) .
(٢) تاريخ دمشق (٤١/ ٤٠٨) .
(٣) حلية الأولياء (٣/ ١٣٤) وتاريخ دمشق (٤١/ ٤١٠) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩٦) .
(٤) تاريخ دمشق (٤١/ ٤٠٩) .
(٥) حلية الأولياء (٣/ ١٣٧ ـ ١٣٨) وتاريخ دمشق (٤١/ ٣٦٩) وتهذيب الكمال (٢/ ٣٨٥) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٨٨) .
(٦) طبقات ابن سعد (٥/ ٥١٦) وتاريخ دمشق (٤١/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠) .
(٧) في ط : زر ؛ خطأ ، والتصحيح من ب وتاريخ دمشق .

قال : كنت عند ابن عباس فأتى علي بن الحسين فقال ابن عباس : مرحباً بالحبيب ابن الحبيب .

وقال أبو بكر بن محمد بن يحيى الصولي : حدّثنا العلائي[١] حدّثنا إبراهيم بن بشار ، عن سفيان بن عيينة ، عن أبي الزبير قال : كنا عند جابر بن عبد الله فدخل عليه علي بن الحسين فقال : كنت عند رسول الله ﷺ فدخل عليه الحسين بن علي فضمَّه إليه وقبَّله وأقعده إلى جنبه ، ثم قال : « يولد لابني هذا ابن يقال له علي ، إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بطنان العرش ليقم سيد العابدين ، فيقوم هو » هذا حديث غريب جداً أورده ابن عساكر[٢] . وقال الزُّهري : كان أكثر مجالستي مع علي بن الحسين ، وما رأيت أفقه منه ، وكان قليل الحديث ، وكان من أفضل أهل بيته وأحسنهم طاعة ، وأحبهم إلى مروان وابنه عبد الملك ، وكان يسميه زين العابدين[٣] .

وقال جويرية بن أسماء : ما أكل علي بن الحسين بقرابته من رسول الله ﷺ درهماً قطّ . رحمه الله ورضي عنه[٤] .

وقال محمد بن سعد[٥] : أنبا علي بن محمد ، عن سعيد بن خالد ، عن المقبري قال : بعث المختار إلى علي بن الحسين بمئة ألف فكره أن يقبلها وخاف أن يردها ، فاحتبسها عنده ، فلما قتل المختار كتب إلى عبد الملك بن مروان : إن المختار بعث إليّ بمئة ألف فكرهت أن أقبلها وكرهت أن أردها ، فابعث من يقبضها . فكتب إليه عبد الملك : يا بن عم ! خذها فقد طيبتها لك ، فقبلها .

وقال علي بن الحسين : سادة الناس في الدنيا الأسخياء الأتقياء ، وفي الآخرة أهل الدِّين وأهل الفضل والعلم الأتقياء ، لأن العلماء ورثة الأنبياء[٦] .

وقال أيضاً : إني لأستحي من الله عزَّ وجلَّ أن أرى الأخ من إخواني فأسأل الله له الجنة وأبخل عليه بالدنيا ، فإذا كان يوم القيامة قيل لي فإذا كانت الجنة بيدك كنت بها أبخل ، وأبخل[٧] .

وذكروا أنه كان كثير البكاء فقيل له في ذلك فقال : إن يعقوب عليه السلام بكى حتى ابيضت عيناه على يوسف ، ولم يعلم أنه مات ، وإني رأيت بضعة عشر من أهل بيتي يذبحون في غداة واحدة ، فترون حزنهم يذهب من قلبي أبداً[٨] ؟ .

---

(١) في ط : العلاء؛ خطأ ، والتصحيح من أ ، ب وتاريخ دمشق .
(٢) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٧٠) .
(٣) الطبقات لابن سعد (٥/ ٢١٥) وتاريخ دمشق (٤١/ ٣٧٢_٣٧٣) .
(٤) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٧٧) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩١) .
(٥) الطبقات الكبرى (٥/ ٢١٣) وتاريخ دمشق (٤١/ ٣٧٧) .
(٦) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٨٥) .
(٧) ابن عساكر (٤١/ ٣٨٥) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩٤) .
(٨) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٨٦) .

وقال عبد الرزاق : سكبت جارية لعلي بن الحسين عليه ماءً ليتوضأ فسقط الإبريق من يدها على وجهه فشجه ، فرفع رأسه إليها فقالت الجارية : إن الله يقول ﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ [آل عمران : ١٣٤] ، فقال : وقد كظمت غيظي ، قالت ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ فقال : عفا الله عنك . فقالت : ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ قال : أنت حرة لوجه الله تعالى[١] .

وقال الزبير بن بكار : حدّثنا عبد الله بن إبراهيم بن قدامة الجُمَحي[٢] ، عن أبيه ، عن جده ، عن محمد بن علي عن أبيه قال : جلس قوم من أهل العراق فذكروا أبا بكر وعمر فنالوا منهما ، ثم ابتدؤوا في عثمان فقال لهم : أخبروني أأنتم من المهاجرين الأولين الذين ﴿ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ [الحشر : ٨] قالوا : لسنا منهم قال : فأنتم من الذين ﴿ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ [الحشر : ٩] إلى قوله : ﴿ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ قالوا : لسنا منهم ! فقال لهم : أما أنتم فقد أقررتم وشهدتم على أنفسكم أنكم لستم من هؤلاء ولا من هؤلاء ، وأنا أشهد أنكم لستم من الفرقة الثالثة الذين قال الله عزَّ وجلَّ فيهم ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [الحشر : ١٠] الآية ، فقوموا عني لا بارك الله فيكم ، ولا قرّب دوركم ، أنتم مستهزئون بالإسلام ، ولستم من أهله[٣] .

وجاء رجل فسأله متى يبعث علي ؟ فقال : يبعث والله يوم القيامة وتهمُّه نفسه[٤] .

وقال ابن أبي الدنيا : حُدِّثت عن سعيد بن سليمان ، عن علي بن هاشم ، عن أبي حمزة الثمالي : أن علي بن الحسين كان إذا خرج من بيته قال : اللهم إني أتصدق اليوم ـ أو أهب عرضي اليوم ـ من استحله[٥] .

وروى ابن أبي الدنيا أن غلاماً سقط من يده سفُّود وهو يشوي شيئاً في التنُّور على رأس صبي لعلي بن الحسين فقتله ، فنهض علي بن الحسين مسرعاً ، فلما نظر إليه قال للغلام : يا بني إنك لم تتعمد ، أنت حر ، ثم شرع في جهاز ابنه[٦] .

وقال المدائني : سمعت سفيان يقول : كان علي بن الحسين يقول : ما يسرني أن لي بنصيبي من الذل حمر النعم[٧] .

ورواه الزبير بن بكار من غير وجه عنه . ومات لرجل ولد مسرف على نفسه فجزع عليه من أجل

---

(١) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٨٧) .
(٢) في ط : اللخمي ؛ تحريف .
(٣) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٨٩) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩٥) باختصار .
(٤) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩٦) وتاريخ دمشق (٤١/ ٣٩٠) .
(٥) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٩٦) .
(٦) حلية الأولياء (٣/ ١٣٧) وتاريخ دمشق (٤١/ ٣٩٦) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩٥) .
(٧) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٩٧) .

إسرافه ، فقال له علي بن الحسين : إن من وراء ابنك خلالاً ثلاثاً ، شهادة أن لا إله إلاّ الله ، وشفاعة رسول الله ، ورحمة الله عزَّ وجل[١] .

وقال المدائني : قارف الزهريُّ ذنباً فاستوحش منه وهام على وجهه وترك أهله وماله . فلما اجتمع بعلي بن الحسين قال له : يا زهري قُنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شيء أعظم من ذنبك ، فقال الزهري : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام : ١٢٤] وفي رواية أنه كان أصاب دماً حراماً خطأً فأمره علي بالتوبة والاستغفار وأن يبعث الدية إلى أهله ، ففعل ذلك ، فكان الزهري يقول : علي بن الحسين أعظم الناس عليّ منة[٢] .

وقال سفيان بن عيينة : كان علي بن الحسين يقول : لا يقول رجل في رجل من الخير ما لايعلم إلا أوشك أن يقول فيه من الشر ما لا يعلم ، وما اصطحب اثنان على معصية إلا أوشك أن يفترقا على غير طاعة[٣] .

وذكروا أنه زوَّج أمة من مولى له وأعتق أمة فتزوجها فأرسل إليه عبد الملك يلومه في ذلك ، فكتب إليه ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١] وقد أعتق [ﷺ] صفية فتزوجها ، وزوج مولاه زيد بن حارثة من بنت عمته زينب بنت جحش[٤] .

قالوا : وكان يلبس في الشتاء خميصة من خز بخمسين ديناراً ، فإذا جاء الصيف تصدق بها ، ويلبس في الصيف الثياب المرقعة[٥] ودونها ويتلو قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [الأعراف : ٣٢] .

وقد روي من طرق ذكرها الصولي والجريري[٦] وغير واحد أن هشام بن عبد الملك حجَّ في خلافة أبيه وأخيه الوليد ، فطاف بالبيت ، فلما أراد أن يستلم الحجَر لم يتمكن حتى نصب له منبر فاستلم وجلس عليه ، وقام أهل الشام حوله ، فبينما هو كذلك إذ أقبل علي بن الحسين ، فلما دنا من الحَجَر ليستلمه تنحّى عنه الناس إجلالاً له وهيبة واحتراماً ، وهو في بِزَّة حسنة ، وشكلٍ مليح ، فقال أهل الشام لهشام : من هذا ؟ فقال لا أعرفه ـ استنقاصاً به واحتقاراً لئلا يرغب فيه أهل الشام ـ فقال الفرزدق ـ وكان حاضراً ـ أنا أعرفه ، فقالوا : ومن هو ؟ فأشار الفرزدق يقول :

هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأتَهُ والبيـتُ يعـرفـهُ والحِـلُّ والحَـرَمُ

---

(١) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٩٧) .
(٢) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٩٨) .
(٣) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٩٩) .
(٤) المصدر نفسه (٤١/ ٣٩٩) .
(٥) في الطبقات (٥/ ٢١٨) : ويصيف في ثوبين أشمونيين بدينار . وفي تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٣٧) : ويلبس في الصيف ثوبين ممشقين من ثياب مصر . وكذلك في تاريخ دمشق (٤١/ ٣٩٩) .
(٦) الخبر بسنديه في تاريخ دمشق (٤١/ ٤٠٠ ـ ٤٠١) .

هذا ابنُ خير عبادِ الله كلهم ... هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العَلَمُ
إذا رأته قريشٌ قالَ قائلها ... إلى مكارمِ هذا ينتهي الكَرَمُ
يُنمَى إلى ذروةِ العزِّ التي قصرتْ ... عنْ نيلها عربُ الإسلام والعجمُ
يكادُ يُمسكُهُ عِرفان راحتهِ ... ركنُ الحطيمِ إذا ما جاءَ يستلمُ
يُغضي حياءً ويغضَى منْ مهابتهِ ... فما يكلَّمُ إلا حينَ يبتسمُ
بكفهِ خيزرانٌ ريحها عبقٌ ... من كفٍّ أروع في عرنينهِ شممُ
مشتقةٌ منْ رسولِ الله نبعتهُ ... طابتْ عناصرها[1] والخِيمُ والشيمُ
ينجابُ نورُ الهدى[2] مِنْ نورِ غرتهِ ... كالشمسِ ينجابُ عَنْ إشراقها القتمُ
حمَّالُ أثقالِ أقوامٍ إذا قدحوا ... حلوَ الشمائلِ تحلو عندهُ نعمُ
هذا ابنُ فاطمةٍ إنْ كنتَ جاهلَهُ ... بجَدّهِ أنبياءُ الله قدْ ختموا
الله فَضّلهُ قِدماً وشرّفه ... جرى بذاك له في لوحه القلمُ
منْ جدهِ دانَ فضلُ الأنبياءِ لهُ ... وفضلُ أُمتهِ دانتْ لها الأممُ
عَمَّ البريَّة بالإحسانِ فانقشعتْ ... عنها الغوايةُ والإملاقُ والظلمُ
كلتا يديهِ غياثٌ عمَّ نفعهما ... تستوكفانِ ولا يعروهما العدمُ
سهلُ الخليقةِ لا تخشى بوادرهُ ... يزينهُ إثنتانِ الحلمُ والكرمُ
لا يخلفُ الوعدَ ميمونٌ بغيبتهِ ... رحبُ الفناءِ أريبٌ حين يعتزمُ
مِنْ معشرٍ حبهمْ دينٌ وبغضهمْ ... كفرٌ وقربهمُ منجى ومعتصمُ
يستدفعُ السوءُ[3] والبلوى بحبهمُ ... ويستربُّ[4] بهِ الإحسانُ والنعمُ
مقدمٌ بعدَ ذكرِ الله ذكرهمُ ... في كُلِّ حكمٍ ومختومٌ بهِ الكلمُ
إنْ عدَّ أهلُ التقى كانوا أئمتهمْ ... أو قيلَ من خيرُ أهل الأرض قيلَ هُم
لا يستطيعُ جوادٌ بعدَ غايتهم ... ولا يدانيهمُ قومٌ وإنْ كرموا
همُ الغيوثُ إذا ما أزمةٌ أزمتْ ... والأسد أسدُ الشرى والبأسُ محتدمُ
يأبى لهم أن يحلّ الذم ساحتهمْ ... خيمٌ كرامٌ وأيدٍ بالندى هضمُ
لا ينقصُ العدمُ بسطاً منْ أكفهمُ ... سيَّان ذلكَ إنْ أثروا وإنْ عدموا
أيُّ الخلائقِ ليستْ في رقابهمْ ... لأوليَّةِ هذا أولهُ نِعَمُ

---

(١) في الديوان : مفارسه . والنبعة من النبع : وهو شجر للقسي وللسهام ينبت في قلّة الجبل . القاموس (نبع) . والخيم : السَّجية ، والطبيعة . القاموس (خيم) .

(٢) في الديوان : ثوب الدجى .

(٣) في الديوان والأغاني (٢١/ ٣٧٧) : الشر .

(٤) في ط : ويستزاد ؛ وما أثبت كالديوان والأغاني .

فليسَ قولكَ مَن هذا بضائرهِ　　العربُ تعرفُ من أنكرتَ والعجم
[مَنْ يعرفُ الله يعرف أوليةَ ذا　　فالدينُ منْ بيتِ هذا نالهُ الأممُ][1]

قال : فغضب هشام من ذلك وأمر بحبس الفرزدق بعسفان ، بين مكة والمدينة ، فلما بلغ ذلك علي بن الحسين بعث إلى الفرزدق باثني عشر ألف درهم ، وأرسل إليه يعتذر أن ليس عنده اليوم غيرها ، فردَّها الفرزدق وقال : إنما قلت ما قلت لله عزَّ وجلَّ ونُصْرَةً للحقِّ ، [وقياماً بحق رسول الله ﷺ في ذريته] ولست أعتاض عن ذلك بشيء . فأرسل إليه علي بن الحسين يقول : قد علم الله صدق نيتك في ذلك ، وأقسمتُ عليك بالله لتقبلنَّها ؛ فتقبَّلها منه ثم جعل يهجو هشاماً وكان مما قال فيه :

تحبسني[2] بينَ المدينةِ والتي　　إليها قلوبُ الناس يهوي مُنيبها
يقلّبُ رأساً لم يكنْ رأس سيِّدٍ　　وعينينِ حولاوينِ بادٍ عُيُوبُها[3]

وقد رَوينا عن علي بن الحسين أنه كان إذا مرت به الجنازة يقول هذين البيتين :

نُراعُ إذا الجنائزُ قابلتنا　　ونلهو حينَ تمضي ذاهباتِ
كروعةِ ثلمةٍ[4] لمغارِ سَبْعٍ　　فلما غابَ عادتْ راتعاتِ

وروى الحافظ ابن عساكر[5] من طريق محمد بن عبد الله المقرىء : حدّثني سفيان بن عيينة ، عن الزُّهري قال : سمعت علي بن الحسين سيّد العابدين يحاسب نفسه ويناجي ربه :

يا نفس حتام إلى الدنيا غرورك[6] ، وإلى عمارتها ركونك ، أما اعتبرت بمن مضى من أسلافك ومن وارته الأرض من أُلَّافك ، ومن فجعتِ به من إخوانك ، ونقل إلى البلى[7] من أقرانك ؟

فهم في بطون الأرض بعد ظهورها　　محاسنهم فيها بوادٍ دوائر
خلت دورهم منهم وأقوت عراصهم　　وساقتهمُ نحوَ المنايا المقادرُ
وخلّوا عن الدنيا وما جمعوا لها　　وضمهمُ تحتَ الترابِ الحفائرُ

---

(١) البيت الأخير زيادة من ط ؛ وليست كل هذه الأبيات في ديوان الفرزدق (٢/ ٨٤٨ ـ ٨٤٩) والخبر والأبيات ـ بعضها ـ في الأغاني (٢١/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧) وكذلك في حلية الأولياء (٣/ ١٣٩) وانظر تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٣٨) .

(٢) في تاريخ دمشق (٤١/ ٤٠٣) : يحبسني . . .

(٣) البيتان في الأغاني (٢١/ ٣٧٨) وفيه : وعيناً له حولاء . . . وفي ديوان الفرزدق (١/ ٥١) لفظهما :

يرددني بين المدينة والتي　　إليها قلوب الناس يهوي منيبها
يقلِّب عيناً لم تكن لخليفةٍ　　مشوَّهة حولاء بادٍ عيوبها

(٤) في ط : ثلة .

(٥) تاريخ دمشق (٤١/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤) .

(٦) في ط : سكونك . والمثبت يوافق تاريخ دمشق .

(٧) في ط : الثرى . والمثبت يوافق تاريخ دمشق .

كم خرمت أيدي المنون من قرون بعد قرون ، وكم غيرت الأرض ببلائها ، وغيبت في ثراها ، ممن عاشرت من صنوف وشيعتهم إلى الأمارس ، [ثم رجعت عنهم إلى عمل أهل الإفلاس] :

وأنتَ على الدنيا مكبٌّ منافس لخطَّابها فيها حريصٌ مكاثرُ
على خطر تمشي وتصبحُ لاهياً أتدري بماذا لو عقلتَ تخاطرُ
وإنَّ امرأً يسعى لدنياه دائباً ويذهلُ عن أخراهُ لاشكَّ خاسرُ

فحتَّام على الدنيا إقبالك ؟ وبشهواتها اشتغالك ؟ وقد وخطك القتير ، وأتاك النذير ، وأنت عما يراد بك ساهٍ ، وبلذَّة يومك وغدك لاهٍ [وقد رأيت انقلاب أهل الشهوات ، وعاينت ما حل بهم من المصيبات][1] :

وفي ذكر هولِ الموتِ والقبر والبلى عَن اللهو واللذاتِ للمرءِ زاجرُ
أبعدَ اقترابِ الأربعين تربُّصٌ وشيبٌ قذال منذرٌ لك كاسِرُ[2]
كأنكَ معنيٌّ بما هو ضائر لنفسكَ عمداً وعنِ الرشدِ حائرُ

انظر إلى الأمم الماضية والملوك الفانية كيف أفنتهم[3] الأيام ، ووافاهم الِحمام ، فانمحت من الدنيا آثارهم ، وبقيت فيها أخبارهم [وأضحوا رمماً في التراب ، إلى يوم الحشر والمآب][4] :

أضحوْا رميماً في الترابِ وعطِّلتْ مجالس منهم وأقفرت مقاصرُ[5]
وحلُّوا بدارٍ لا تزاورَ بينهم وأنَّى لسكانِ القبورِ التزاورُ
فما إنْ ترى إلا قبوراً ثووا بها مسطَّحة تُسفَى عليها الأعاصرُ

كم من ذي منعة وسلطان وجنود وأعوان ، تمكن من دنياه ، ونال فيها ما تمناه ، وبنى فيها القصور والدساكر ، وجمع فيها الأعلاق[6] والذخائر [وملح السراري والحرائر] .

فما صرفتْ كف المنية إذا أتتْ مبادرةً تهوي إليه الذخائرُ
ولا دفعتْ عنه الحصونُ التي بنى وحفَّ بها أنهارهُ والدساكرُ
ولا قارعتْ عنه المنية حيلة ولاطمعتْ في الذبِّ عنه العساكرُ

أتاه من الله ما لا يُرد ، ونزل به من قضائه ما لا يُصد ، فتعالى الله الملك الجبار ، المتكبر العزيز القهار ، قاصم الجبارين ، ومبير المتكبرين [الذي ذل لعزِّه كل سلطان ، وأباد بقوته كل ديّان] .

مليكٌ عزيزٌ لا يُردُّ قضاؤهُ حكيمٌ عليمٌ نافذُ الأمرِ قاهرُ

---

(١) ما بينهما زيادة من ط . والأبيات كلها في تاريخ دمشق (٤١/ ٤٠٤ ـ ٤٠٨) .
(٢) في ط : للكابر .
(٣) في ط : اختطفتهم عقبان الأيام .
(٤) ما بين معكوفين زيادة من ط .
(٥) في ط : مجالسهم منهم وأخلى مقاصر ، والمثبت يوافق تاريخ دمشق (٤١/ ٤٠٤) .
(٦) في ط : الأموال .

عنى كلُّ ذي عزٍّ لعزةِ وجههِ فكمْ منْ عزيزٍ للمهيمنِ صاغرُ
لقدْ خضعتْ واستسلمتْ وتضاءلتْ لعزةِ ذي العرشِ الملوكُ الجبابرُ

فالبدار البدار ، والحذار الحذار من الدنيا ومكايدها ، وما نصبت لك من مصايدها ، وتحلّت لك من زينتها ، وأظهرت لك من بهجتها [وأبرزت لك من شهواتها ، وأخفت عنك من قواتلها وهلكاتها][1] :

وفي دونِ ما عاينتَ من فجعاتها إلى دفعها داعٍ وبالزهدِ آمرُ
فجدَّ ولا تغفل وكنْ متيقظاً فعما قليلٍ يتركُ الدارَ عامرُ[2]
فجدَّ ولا تغفل فعيشك[3] زائلٌ وأنتَ إلى دارِ الإقامةِ صائرُ
ولا تطلبِ الدنيا فإنَّ نعيمها[4] وإنْ نلت منها غبَّهُ لكَ ضائرُ

فهل يحرص عليها لبيب ، أو يسر بها أريب ؟ وهو على ثقة من فنائها ، وغير طامع في بقائها ، أم كيف تنام عينا من يخشى البيات ، وتسكن نفس من توقع في جميع أموره الممات :

ألا لا ولكنا نغرُّ نفوسنا وتشغلنا اللذاتُ عمّا نحاذرُ
وكيف يلذُّ العيش من هو مُوقفٌ بموقفِ عدلٍ يومَ تبلى السرائرُ
كأنا نرى أن لا نشورَ وأننا سدىً ما لنا بعد المماتِ مصائرُ

وما عسى أن ينال صاحب الدنيا من لذتها ويتمتع به من بهجتها ، مع صنوف عجائبها وقوارع فجائعها ، وكثرة تعبه في طلبها ، وما يكابد من أسقامها وأوصابها وآلامها .

أما قد نرى في كلِّ يومٍ وليلةٍ يروحُ علينا صرفها ويباكرُ
تعاورنَا آفاتُها وهمومُها وكمْ قدْ ترى يبقى لها المتعاوِرُ
فلا هوَ مغبوطٌ بدنياهُ آمنٌ ولا هوَ عنْ تَطْلابها النفس قاصرُ

كم قد غرت الدنيا من مخلد إليها ، وصرعت من مكبٍّ عليها ، فلم تنعشه من عثرته ، ولم تنقذه من صرعته ، ولم تشفه من ألمه ، ولم تبره من سقمه [ولم تخلصه من وصمه] :

بل أوردتهُ بعد عزٍّ ومنعةٍ مواردَ سوءٍ ما لهنَّ مصادرُ
فلما رأى أن لا نجاةَ وأنهُ هوَ الموتُ لا ينجيهِ منه التحاذرُ
تندَّم إذ لم تغنِ عنهُ ندامةٌ عليهِ وأبكتهُ الذنوبُ الكبائرُ

---

(١) ما بينهما زيادة من ط .
(٢) البيت زيادة من ط .
(٣) مكانها في ط : فشمر ولا تفتر فعمرك . . .
(٤) في أ : طلابها ، والمثبت يوافق تاريخ دمشق .

إذ بكى على ما سَلَف من خطاياه ، وتحسّر على ما خلف من دنياه ، واستغفر حين لا ينفعه الاستغفار ولا ينجيه الاعتذار ، عند هول المنية ونزول البلية .

أحاطتْ بهِ أحزانُهُ وهمومُهُ وأبلسَ لمَّا أعجزتهُ المقادرُ
فليسَ لهُ من كربةِ الموتِ فارجٌ وليسَ لهُ مما يحاذرُ ناصرُ
وقد جشأتْ خوفَ المنيةِ نفسهُ ترددها منهُ اللها والحناجرُ

هنالك خف عواده ، وأسلمه أهله وأولاده ، وارتفعت البرية بالعويل ، وقد أيسوا من العليل ، فغمضوا بأيديهم عينيه ، ومد عند خروج روحه رجليه [وتخلى عنه الصديق ، والصاحب الشفيق] .

فكم موجعٍ يبكي عليهِ مفجَّعٌ ومستنجد صبراً وما هوَ صابرُ
ومسترجعٍ داعٍ لهُ الله مخلصاً يعدِّدُ منهُ كلَّ ما هوَ ذاكرُ
وكمْ شامتٍ مستبشر بوفاته وعما قليلٍ كالذي صارَ صائرُ

فشقت جيوبها نساؤه ، ولطمت خدودها إماؤه ، وأعول لفقده جيرانه ، وتوجع لرزيته إخوانه ، ثم أقبلوا على جهازه ، وشمّروا لإبرازه ، [كأنه لم يكن بينهم العزيز المفدى ، ولا الحبيب المبدَّى][1] .

وظلَّ[2] أحبُّ القومِ كان بقربهِ يحثُّ على تجهيزهِ ويبادرُ
وشمَّر منْ قدْ أحضروهُ لغَسلهِ ووجَّه لما فاضَ للقبرِ حافرُ
وكُفِّنَ في ثوبين واجتمعتْ لهُ مشيِّعةً إخوانهُ والعشائرُ

فلو رأيت الأصغر من أولاده ، قد غلب الحزن على فؤاده ، وغشي[3] من الجزع عليه ، وخضبت الدموع عينيه ، وهو يندب أباه ويقول : يا ويلاه واحراباه :

لعاينتَ من قبح المنيةِ منظراً يهالُ لمرآهُ ويرتاعُ ناظرُ
أكابرُ أولاد يهيجُ اكتئابهمْ إذا ما تناساهُ البنونُ الأصاغرُ
وربَّة نسوان عليهِ جوازعٌ مدامعهم فوقَ الخدودِ غوازرُ

ثم أُخرج من سَعَةِ قصره ، إلى ضيق قبره ، فلما استقر في اللَّحد ، وهُيِّءَ عليه اللِّبن [احتوشته أعماله وأحاطت به خطاياه ، وضاق ذرعاً بما رآه ، ثم][4] حثوا بأيديهم عليه التراب ، وأكثروا البكاء عليه والانتحاب ، ثم وقفوا ساعة عليه ، وأيسوا من النظر إليه ، وتركوه رهناً بما كسب وطلب .

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط .
(٢) في ط : وحل .
(٣) في ط : ويخشى .
(٤) ما بينهما زيادة من ط .

فولَّوا عليه معولينَ وكلهمْ لمثلِ الذي لاقى أخوهُ محاذرُ
كشاءِ رتاعٍ آمنينَ بدا لهم بمديته بادي الذراعينِ حاسرُ
فريعتْ ولم ترتع قليلاً وأجفلتْ فلما نأى عنها الذي هو جازرُ

عادت إلى مرعاها ، ونسيت ما في أختها دهاها ، أفبأفعال الأنعام اقتدينا ؟ أم على عادتها جرينا ؟ عد إلى ذكر المنقول إلى دار البلى ، واعتبر بموضعه تحت الثرى ، المدفوع إلى هول ما ترى .

ثوى مفرداً في لحده وتوزَّعت مواريثه أولادهُ والأواصرُ(١)
وأحنوا على أموالهِ يقسِمونها فلا حامدٌ منهمْ عليها وشاكرُ
فيا عامرَ الدنيا ويا ساعياً لها ويا آمناً منْ أن تدورَ الدوائرُ

كيف أمنت هذه الحالة وأنت صائر إليها لا محالة ؟ كيف تتهنا بحياتك وهي مطيَّتك إلى مماتك ؟ أم كيف تشبع من طعامك وأنت منتظر حمامك ؟ [أم كيف تهنأ بالشهوات ، وهي مطية الآفات] .

ولم تتزودْ للرحيلِ وقد دنا وأنتَ على حالٍ وشيك مسافرُ
فيا لهفَ نفسي كم أسوِّفُ توبتي وعمريَ فانٍ والرَّدى ليَ ناظرُ
وكلّ الذي أسلفتُ في الصحف مثبتٌ يجازي عليهِ عادلُ الحكم قادرُ

فكم ترقع بآخرتك دنياك ، وتركب غيك وهواك ، أراك ضعيف اليقين ، يا مؤثر الدنيا على الدين أبهذا أمرك الرحمن ؟ أم على هذا نزل القرآن ؟ [أما تذكر ما أمامك من شدة الحساب ، وشر المآب ، أما تذكر حال من جمع وثمر ، ورفع البناء وزخرف وعمر ، أما صار جمعهم بوراً ، ومساكنهم قبوراً](٢) :

تخرِّبُ ما يبقى وتعمرُ فانياً فلا ذاكَ موفورٌ ولا ذاكَ عامرُ
وهلْ لكَ إن وافاكَ حتفكَ بغتةً ولم تكتسبْ خيراً لدى الله عاذرُ
أترضى بأن تفنى الحياةُ وتنقضي ودينكَ منقوص ومالكَ وافرُ(٣)

وقد اختلف أهل التاريخ في السنة التي توفي فيها علي بن الحسين ، زين العابدين ، فالمشهور عن الجمهور أنه توفي في هذه السنة ـ أعني سنة أربع وتسعين ـ في أولها عن ثمان وخمسين سنة ، وصلّي عليه بالبقيع ، ودفن به .

قال الفلاس : مات علي بن الحسين وسعيد بن المسيب وعروة وأبو بكر بن عبد الرحمن سنة أربع وتسعين .

---

(١) في ط : والأصاهر .
(٢) ما بينهما زيادة من ط .
(٣) الأبيات والتي قبلها في تاريخ دمشق (٤١/ ٤٠٤ ـ ٤٠٨) .

وقال بعضهم : توفي سنة ثنتين أو ثلاث وتسعين .

وأغرب المدائني في قوله : إنه توفي سنة تسع وتسعين ، والله أعلم[١] .

[انتهى ما ذكره المؤلف[٢] من ترجمة علي بن الحسين . وقد رأيت له كلاماً متفرقاً وهو من جيد الحكمة ، فأحببت أن أذكره لعل الله أن ينفع به من وقف عليه :

قال حفص بن غياث : عن حَجّاج ، عن أبي جعفر ، عن علي بن الحسين قال : إن الجسد إذا لم يمرض أشر وبطر ، ولا خير في جسد يأشر ويبطر .

وقال أبو بكر بن الأنباري : حدّثنا أحمد بن الصلت ، حدّثنا قاسم بن إبراهيم العَلَوي ، حدّثنا أبي ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : قال علي بن الحسين : فقد الأحبة غربة . وكان يقول : اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لوامع العيون علانيتي ، وتقبّح في خفيات العيوب سريرتي ، اللهم كما أسأتُ وأحسنت إليّ ، فإذا عدت فعد إليّ . اللهم ارزقني مواساة من قَتَرتَ عليه رزقك بما وسَّعْتَ عليّ من فضلك .

وقال لابنه : يا بني اتخذ ثوباً للغائط فإني رأيت الذباب يقع على الشيء ثم يقع على الثوب . ثم انتبه فقال : وما كان لرسول الله ﷺ وأصحابه إلا ثوب واحد ، فرفضه .

وعن أبي حمزة الثمالي قال : أتيت باب علي بن الحسين فكرهت أن أصوت فقعدت على الباب حتى خرج ، فسلَّمت عليه ودعوت له فرد عليّ السلام ودعا لي ، ثم انتهى إلى حائط فقال ؛ يا حمزة ترى هذا الحائط ؟ قلت : نعم ! قال : فإني اتكأت عليه يوماً وأنا حزين فإذا رجل حسن الوجه حسن الثياب ينظر في تجاه وجهي ، ثم قال : يا علي بن الحسين ! ما لي أراك كئيباً حزيناً على الدنيا ! فهي رزق حاضر يأخذ منها البَرّ والفاجر . فقلت : ما عليها أحزن لأنها كما تقول ، فقال على الآخرة ؟ فهي وعد صادق ، يحكم فيها مَلِك قادر ، فقلت : ما على هذا أحزن لأنه كما تقول . فقال : فعلام حزنك ؟ فقلت : ما أتخوف من الفتنة ـ يعني فتنة ابن الزُّبير ـ فقال لي : يا علي ! هل رأيت أحداً سأل الله فلم يعطه ؟ قلت : لا ! قال : ويخاف الله فلم يكفه ؟ قلت : لا ! ثم غاب عني فقيل لي : يا علي إن هذا الخضر الذي جاءك[٣] . لفظ الخضر مزاد فيه من بعض الرواة .

---

(١) ذكر الذهبي في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٣٩) أقوال العلماء والخلاف في سنة موته نقلاً عن تاريخ دمشق لابن عساكر (٤١/ ٤١٣ ـ ٤١٦) .

(٢) لما وجدنا أن هذه الزيادة تتابع كلام المؤلف رحمه الله ولفائدتها أبقيناها ، وواضح أنها من زيادة النساخ أو تلاميذ المؤلف رحمه الله .

(٣) الخبر بطوله في حلية الأولياء (٣/ ٣٤) وعن طريقه رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤١/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣) .

وقال الطبراني : حدّثنا محمد بن عبد الله الخضري ، حدّثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدّثنا جرير ، عن عمر بن حارث . قال : لما مات علي بن الحسين فغسلوه جعلوا ينظرون إلى آثار سواد في ظهره . فقالوا : ما هذا ؟ فقيل : كان يحمل جُرُب الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة(١) .

وقال ابن عائشة : سمعت أهل المدينة يقولون : ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين(٢) .

وروى عبد الله بن حنبل : عن ابن إشكاب ، عن محمد بن بشر ، عن أبي المنهال الطائي أن علي بن الحسين كان إذا ناول المسكين الصدقة قَبّله ثم ناوله .

وقال الطبري : حدّثنا يحيى بن زكريا الغلابي ، حدّثنا العتبي حدّثني أبي قال : قال علي بن الحسين ـ وكان من أفضل بني هاشم الأربعة ـ يا بنيَّ اصبر على النوائب ولا تتعرض للحقوق ، ولا تخيب أخاك إلا في الأمر الذي مضرته عليك أكثر من منفعته لك .

وروى الطبراني بإسناده عنه : أنه كان جالساً في جماعة فسمع داعية في بيته فنهض فدخل منزله ثم رجع إلى مجلسه ، فقيل له : أمن حدث كانت الداعية ؟ قال : نعم ! فعزوه وتعجبوا من صبره ، فقال : إنا أهل بيت نطيع الله عزَّ وجلَّ فيما نحبه ، ونحمده على ما نكره .

وروى الطبراني عنه قال : إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ : ليقم أهل الفضل فيقوم ناس من الناس فيقال لهم : انطلقوا إلى الجنة . فتلقاهم الملائكة فيقولون : إلى أين ؟ فيقولون : إلى الجنة . فيقولون قبل الحساب ؟ قالوا : نعم . قالوا : من أنتم ؟ قالوا نحن أهل الفضل ، قالوا : وما كان فضلكم ؟ قالوا : كنا إذا جهل علينا حلمنا ، وإذا ظلمنا صبرنا ، وإذا أسيء إلينا غفرنا ، قالوا لهم : ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين . ثم ينادي منادٍ : ليقم أهل الصبر ، فيقوم ناس من الناس فيقال لهم انطلقوا إلى الجنة ، فتتلقاهم الملائكة ، فيقولون لهم مثل ذلك ، فيقولون : نحن أهل الصبر ، قالوا : فما كان صبركم ؟ قالوا : صبَّرنا أنفسنا على طاعة الله ، وصبرناها عن معصية الله ، وصبرناها على البلاء . فقالوا لهم : ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين . ثم ينادي المنادي : ليقم جيران الله في داره ! فيقوم ناس من الناس وهم قليل ، فيقال لهم : انطلقوا إلى الجنة ، فتتلقاهم الملائكة فيقولون لهم مثل ذلك ، فيقولون : بم استحققتم مجاورة الله عزَّ وجلَّ في داره ؟ فيقولون : كُنَّا نتزاور في الله ، ونتجالس في الله ، ونتباذل في الله عزَّ وجلَّ . فيقال لهم : ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين .

وقال علي بن الحسين : إن الله يحب المؤمن المذنب التواب .

وقال : التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالنابذ كتاب الله وراء ظهره ، إلا أن يتقي منهم تقاة . قالوا : وما تقاة ؟ قال : يخاف جباراً عنيداً أن يسطو عليه وأن يطغى .

---

(١) هو في تاريخ دمشق (٤١/ ٣٨٤) .

(٢) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٨٤) .

وقال رجل لسعيد بن المسيّب : ما رأيت أحداً أورع من فلان . فقال له سعيد : هل رأيت علي بن الحسين ؟ قال : لا ! قال : ما رأيت أورع منه .

وروى سفيان بن عيينة ، عن الزُّهري قال : دخلت على علي بن الحسين فقال : يا زهري فيم كنتم ؟ قلت : كنا نتذاكر الصوم ، فأجمع رأيي ورأي أصحابي على أنه ليس من الصوم شيء واجب ، إلا شهر رمضان فقال ! يا زهري ليس كما قلتم ، الصوم على أربعين وجهاً ، عشرة منها واجب كوجوب شهر رمضان ، وعشرة منها حرام ، وأربع عشرة منها صاحبها بالخيار ، إن شاء صام وإن شاء أفطر ، وصوم النذر واجب ، وصوم الاعتكاف واجب ، قال الزُّهري قلت : فسِّرهن يا بن رسول الله ﷺ ، قال : أما الواجب فصوم شهر رمضان ، وصوم شهرين متتابعين في قتل الخطأ لمن لم يجد العتق ، وصيام ثلاثة أيام كفارة اليمين لمن لم يجد الإطعام ، وصيام حلق الرأس ، وصوم دم المتعة لمن لم يجد الهدي ، وصوم جزاء الصيد ، يقوّم الصيد قيمته ثم يقسم ذلك الثمن على الحنطة . وأما الذي صاحبه بالخيار فصوم الإثنين والخميس ، وستة أيام من شوال بعد رمضان ، وصوم عرفة ويوم عاشوراء ، كل ذلك صاحبه بالخيار . فأما صوم الإذن فالمرأة لا تصوم تطوعاً إلا بإذن زوجها ، وكذلك العبد والأمة ، وأما صوم الحرام فصوم يوم الفطر والأضحى ، وأيام التشريق ، ويوم الشك ، نهينا أن نصومه لرمضان . وصوم الوصال حرام ، وصوم الصمت حرام ، وصوم نذر المعصية حرام ، وصوم الدهر ، وصوم الضيف لا يصوم تطوعاً إلا بإذن صاحبه ، قال رسول الله ﷺ : « من نزل على قوم فلا يصومن تطوعاً إلا بإذنهم »[1] . وأما صوم الإباحة فمن أكل أو شرب ناسياً أجزأه صومه ، وأما صوم المريض والمسافر فقال قوم : يصوم ، وقال قوم لا يصوم ، وقال قوم : إن شاء صام وإن شاء أفطر ، وأما نحن فنقول : يفطر في الحالين ، فإن صام في السفر والمرض فعليه القضاء][2] .

وممن توفي في هذه السنة :

أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث[3] بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المدني أحد الفقهاء السبعة ، قيل اسمه محمد ، وقيل اسمه أبو بكر ، وكنيته أبو عبد الرحمن ، والصحيح أن اسمه وكنيته واحد ، وله من الأولاد والإخوة كثير ، وهو تابعي جليل .

---

(١) الحديث رواه الترمذي في جامعه رقم (٧٨٩) في الصوم . وقال : هذا حديث منكر ، أقول : وهو ضعيف جداً .

(٢) إلى هنا تنتهي الزيادة من ط .

(٣) ترجمة ـ أبي بكر بن عبد الرحمن ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٢٠٧) وتاريخ خليفة (٣٠٦ و٣٩٣) وطبقاته (٢٤٥) وتاريخ البخاري (٩/ ٩) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢٣٣ و٣٥٢) ومواضع أخرى ، وحلية الأولياء (٢/ ١٨٧ ـ ١٨٨) وصفة الصفوة (٢/ ٩٢) ووفيات الأعيان (١/ ٢٨٢) وتهذيب الكمال (٣٣/ ١١٢) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٥١٢ ـ ٥١٤) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤١٦ ـ ٤١٩) وتهذيب التهذيب (٩/ ٢٩٥) وشذرات الذهب (١/ ٣٧٦) .

روى عن : عمار ، وأبي هريرة ، وأسماء بنت أبي بكر ، وعائشة وأم سلمة وغيرهم .

وروى عنه : جماعة منهم بنوه سلمة وعبد الله وعبد الملك ، وعمر ، ومولاه سُمَيّ ، وعامر الشعبي ، وعمر بن عبد العزيز ، وعمرو بن دينار ، ومجاهد ، والزُّهري .

ولد في خلافة عمر ، وكان يقال له راهب قريش(١) ، لكثرة صلاته ، وكان مكفوفاً(٢) ، وكان يصوم الدهر ، وكان من الثقة والأمانة والفقه وصحة الرواية على جانب عظيم ، وكان عبد الملك بن مروان يكرمه ، ويعرف فضله ، ويقول : إني أهم بالشيء أفعله بأهل المدينة لسوء أثرهم عندنا فأذكر أبا بكر بن عبد الرحمن فأستحيي منه وأترك ذلك الأمر من أجله ، وله مناقب كثيرة(٣) .

قال أبو داود : وكان قد كف ، وكان إذا سجد يضع يده في طست لعلة كان يجدها(٤) . والصحيح أنه مات في هذه السنة ، وقيل في التي قبلها ، وقيل في التي بعدها . والله أعلم .

[قلت : ونظم بعض الشعراء بيتين ذكر فيهما الفقهاء السبعة فقال :

ألا كل من لا يقتدي بأئمةٍ فقسمته حبراً(٥) عنِ الحقِّ خارجهْ
فخذهم عبيدُ الله عروةُ قاسم سعيد أبو بكر سليمانُ خارجه(٦)

وفيها توفي :

الفضيل بن زيد الرَّقاشي(٧) ، أحد زُهّاد أهل البصرة ، وله مناقب وفضائل كثيرة جداً ؛ قال : لا يلهينَّك الناس عن ذات نفسك ، فإن الأمر يخلص إليك دونهم ، ولا تقطع نهارك بكيت وكيت ، فإنه محفوظ عليك ما قلت .

وقال : لم أر شيئاً أحسن طلباً ، ولا أسرع إدراكاً من حسنة حديثة لذنب قديم .

أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزُّهري(٨) ، كان أحد فقهاء المدينة ، وكان إماماً عالماً ، له

---

(١) في نسب قريش (٣٠٣) : كان يسمى الراهب ، وكان من سادة قريش .
(٢) نكت الهميان (١٣١) .
(٣) من قوله : وكان عبد الملك . . . إلى هنا ساقط من ط ، والخبر في الطبقات لابن سعد (٥/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٥١٤) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤١٧) .
(٥) في الوفيات : ضيزى .
(٦) الأبيات في وفيات الأعيان (١/ ٢٨٣) .
(٧) ترجمة ـ الفضيل بن زيد ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ١٢٩) وطبقات خليفة (٢٠٠) وتاريخ البخاري (٧/ ١١٩) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٥٣) وفيه قال الذهبي : توفي سنة خمس وتسعين .
(٨) ترجمة ـ أبي سلمة بن عبد الرحمن ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ١٥٥) وتاريخ خليفة (٢٢٨) وطبقاته (٢٤٢) =

روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة ، وكان واسع العلم . توفي بالمدينة[١] .

عبد الرحمن بن عائذ الأزدي[٢] ، له روايات كثيرة ، وكان عالماً ، وخَلَّف كتباً كثيرة من علمه ، روى عن جماعة من الصحابة ، وأسر يوم وقعة ابن الأشعث فأطلقه الحجاج .

عبد الرحمن بن معاوية[٣] بن حُدَيج[٤] ، قاضي مصر لعمر بن عبد العزيز بن مروان وصاحب شرطته كان عالماً فاضلاً ، روى الحديث ، وعنه جماعة][٥] .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين

فيها غزا العباس بن الوليد بلاد الروم ، وافتتح حصوناً كثيرة .

وفيها فتح مسلمة بن عبد الملك مدينة الباب من أرمينية وخربها ثم بناها بعد ذلك بتسع سنين[٦] .

وفيها افتتح محمد بن القاسم مدينة المولتان من أرض الهند [وأخذ منها أموالاً جزيلة .

وفيها قدم موسى بن نصير من بلاد الأندلس إلى إفريقية ومعه الأموال على العَجَل تُحمل من كثرتها ، ومعه ثلاثون ألف رأس من السَّبي][٧] .

وفيها غزا قتيبة بن مسلم بلاد الشاش [ففتح مدناً وأقاليم كثيرة] فلما كان هناك[٨] جاءه الخبر

= وتاريخ البخاري (٥/ ١٣٠) والمعرفة والتاريخ (١/ ٥٥٨) وتهذيب الكمال (٣٣/ ٣٧٠) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٥٢٢ ـ ٥٢٣) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٨٧ ـ ٢٩٢) وتهذيب التهذيب (١٢/ ١١٥ ـ ١١٨) .

(١) ذكر الذهبي في تاريخ الإسلام خلاف المؤرخين في سنة موته .

(٢) ترجمة ـ عبد الرحمن بن عائذ ـ في طبقات خليفة (٣١٠ و٣١٣) وتاريخ البخاري (٥/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣) وأسد الغابة (٣/ ٣٠٣) وتهذيب الكمال (١٧/ ١٩٨) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤١٥ ـ ٤١٦) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٨٧ ـ ٤٨٩) والإصابة (٢/ ٤٠٥) وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤) .

(٣) ترجمة ـ عبد الرحمن بن معاوية ـ في التاريخ الكبير (٥/ ٣٥٠) وتهذيب الكمال (١٧/ ٤١٢) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤١٦) وقال : توفي سنة خمس وتسعين . وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٧١ ـ ٢٧٢) .

(٤) في الأصل : خزيمة ؛ تحريف ، والتصحيح من مصادر الترجمة وتوضيح المشتبه (٣/ ١٤٨) .

(٥) ما بين معكوفين زيادة من ط .

(٦) الخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٦٣) .

(٧) ما بين معكوفين زيادة من ط ؛ والخبر في تاريخ خليفة (٣٠٧) وتاريخ الطبري (٦/ ٤٩٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٦٣) .

(٨) في الطبري (٦/ ٤٩٢) وابن الأثير (٤/ ٥٨٣) : حتى إذا كان بالشاش أو بكشماهان أتاه . . .

بموت الحجاج بن يوسف فقمعه ذلك ورجع بالناس إلى مدينة مرو ، وتمثل بقول بعض الشعراء :

لعمري لنعم المرءُ من آل جعفرٍ بحَوارانَ أمسى أعلقتهُ الحبائلُ
فإن تَحْيَ لا أملل[١] حياتي وإن تمت فما في حياتي بعدَ موتكَ طائلُ[٢]

وفيها كتب الوليد إلى قتيبة بأن يستمر على ما هو عليه من مناجزة الأعداء ، ويعده على ذلك ويجزيه خيراً ، ويثني عليه بما صنع من الجهاد وفتح البلاد [وقتال أهل الكفر والعناد][٣] .

وقد كان الحجاج استخلف على الصلاة ابنه عبد الله ، فولّى الوليد الصلاة والحرب بالمصرين ـ الكوفة والبصرة ـ يزيد بن أبي كبشة ، وولّى خراجهما يزيد بن أبي مسلم ، وقيل كان الحجاج يستخلفهما على ذلك فأقرَّهما الوليد ، واستمر سائر نواب الحجاج على ما كانوا عليه . وكانت وفاة الحجاج لخمس ، وقيل لثلاث بقين من رمضان ، وقيل مات في شوال من هذه السنة .

وحجَّ بالناس فيها بشر بن الوليد بن عبد الملك ، قاله أبو معشر والواقدي .

وفيه قتل الوضاحي بأرض الروم ومعه ألف من أصحابه[٤] .

وفي هذه السنة كان مولد أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس .

وهذه ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي[٥] وذكر وفاته

هو الحجاج بن يوسف[٦] بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتِّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف ـ وهو قسي بن منبه بن بكر بن هوازن ـ أبو محمد الثقفي .

سمع ابن عباس ، وروى عن أنس ، وسَمُرة بن جندب ، وعبد الملك بن مروان ، وأبي بردة بن أبي موسى .

---

(١) في ط : أملك .
(٢) الأبيات للحطيئة في ديوانه (ص١٠٠) وذكر أنه خرج يريد علقمة بن علاثة وهو بحوران ، فمات علقمة قبل أن يصل إليه الحطيئة ؛ فقال أبياتاً منها هذين البيتين .
(٣) نص الكتاب في الطبري وابن الأثير .
(٤) الخبر في المنتظم لابن الجوزي (٦/ ٣٣٥) وفيه : وقتل معه نحو من ألفين من رجاله .
(٥) ترجمة ـ الحجاج بن يوسف ـ في تاريخ خليفة (٥٣٣) ومواضع أخرى ، وتاريخ البخاري (٢/ ٣٧٣) والمعرفة والتاريخ (٣/ ٤٩٢) ومواضع أخرى ، وأنساب الأشراف (١/ ٢٥) ومواضع أخرى كثيرة ، والكامل لابن الأثير (٤/ ٥٨٤ ـ ٥٨٧) ووفيات الأعيان (٢/ ٢٩ ـ ٥٤) وتاريخ دمشق (١٢/ ١١٣ ـ ٢٠٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣١٤ ـ ٣٢٧) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٤٣) والوافي بالوفيات (١١/ ٣١٥) وتهذيب التهذيب (٢/ ٢١٠ ـ ٢١٣) والنجوم الزاهرة (١/ ٢٣٠) وشذرات الذهب (١/ ٣٧٧) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٥١ ـ ٨٥) .
(٦) في تاريخ الإسلام : يوسف بن الحكم بن أبي عقيل .

وروى عنه : أنس بن مالك ، وثابت البُناني ، وحُميد الطويل ، ومالك بن دينار ، وجواد بن مجالد ، وقتيبة بن مسلم ، وسعيد بن أبي عروبة . قاله ابن عساكر[١] ، قال : وكانت له بدمشق دور منها دار الراوية بقرب قصر ابن أبي الحديد . وولاه عبد الملك الحجاز فقتل ابن الزبير ، ثم عزله عنها وولاه العراق . وقدم دمشق وافداً على عبد الملك .

ثم روى من طريق المغيرة بن مسلم ، نبأنا سالم بن قتيبة بن مسلم ، قال[٢] : سمعت أبي يقول : خطبنا الحجاج بن يوسف فذكر القبر ، فما زال يقول : إنه بيت الوحدة ، وبيت الغربة ، حتى بكى وأبكى من حوله ، ثم قال : سمعت أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان يقول : سمعت مروان يقول في خطبته : خطبنا عثمان بن عفان فقال في خطبته : ما نظر رسول الله ﷺ إلى قبر أو ذكره إلا بكى . وهذا الحديث له شاهد في سنن أبي داود[٣] وغيره .

وساق من طريق أحمد بن عبد الجبار : حدّثنا سَيَّار ، عن جعفر ، عن مالك بن دينار قال : دخلت يوماً على الحجاج فقال لي : يا أبا يحيى ألا أحدثك بحديث حسن عن رسول الله ﷺ ؟ فقلت : بلى ! فقال : حدّثني أبو بردة ، عن أبي موسى . قال : قال رسول الله ﷺ : « من كانت له إلى الله حاجة فليدع بها في دبر صلاة مفروضة » . وهذا الحديث له شاهد عن فضالة بن عبيد وغيره في السنن والمسانيد[٤] والله أعلم .

قال الشافعي : سمعت من يذكر أن المغيرة بن شعبة دخل على امرأته وهي تخلل ـ أي تخلل أسنانها لتخرج ما بينها من أذىً ـ وكان ذلك في أول النهار ، فقال : والله لئن كنت باكرت الغذاء إنك لرعينة دنية ، وإن كان الذي تخللين منه شيء بقي في فيك من البارحة إنك لقذرة ، فطلقها فقالت: والله ما كان شيء مما ذكرت ، ولكنني باكرت ما تباكره الحرة من السواك ، فبقيت شظية في فمي منه فحاولتها لأخرجها . فقال المغيرة ليوسف أبي الحجاج : تزوجها فإنها لخليقة بأن تأتي برجل يسود ، فتزوجها يوسف أبو الحجاج. قال الشافعي : فأخبرت أن أبا الحجاج لما بنى بها واقعها فنام فقيل له في النوم : ما أسرع ما ألقحت بالمبير[٥] .

---

(١) تاريخ دمشق (١٢/ ١١٣ ـ ١١٤) .

(٢) من قوله : نبأنا سالم . . إلى هنا زيادة من ب ، وهي توافق تاريخ دمشق .

(٣) الحديث أخرجه ابن عساكر في تاريخه (١٢/ ١١٤) .

(٤) الحديث أخرجه ابن عساكر في تاريخه (١٢/ ١١٤) . وأما الشاهد من حديث فضالة بن عبيد الذي ذكره ابن كثير ، فهو أنه سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته ، لم يحمد الله تعالى ولم يصل على النبي ﷺ . فقال ﷺ : عجل هذا ، ثم دعاه فقال له : (إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد الله تعالى والثناء عليه ، ثم ليصل على النبي ﷺ ، ثم ليدع بعدُ بما يشاء) رواه أحمد (٦/ ١٨) وأبو داود رقم (١٤٨١) وغيرهما وهو حديث صحيح ، ولكن ليس بمعنى الحديث الذي ذكره الحجاج .

(٥) تاريخ دمشق بسنده إلى الشافعي (١٢/ ١١٥ ـ ١١٦) .

قال ابن خلكان[١] : واسم أمه الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي ، وكان زوجها الحارث ابن كلدة الثقفي طبيب العرب ، وذكر عنه هذه الحكاية في السواك .

وذكر صاحب العقد[٢] أن الحجاج كان هو وأبوه يعلمان الغلمان بالطائف ، ثم قدم دمشق فكان عند رَوْح بن زنباع وزير عبد الملك ، فشكا عبد الملك إلى روح أن الجيش لا ينزلون لنزوله ولا يرحلون لرحيله ، فقال روح : عندي رجل توليه ذلك ، فولى عبد الملك الحجاج أمر الجيش ، فكان لا يتأخر أحد في النزول والرحيل ، حتى اجتاز إلى فسطاط رَوْح بن زنباع وهم يأكلون فضربهم وطوّف بهم وأحرق الفسطاط ، فشكا روح ذلك إلى عبد الملك ، فقال للحجاج : لم صنعت هذا ؟ فقال : لم أفعله إنما فعله أنت ، فإن يدي يدك ، وسوطي سوطك ، وما ضرك إذا أعطيت روحاً فسطاطين بدل فسطاطه ، وبدل الغلام غلامين ، ولا تكسرني في الذي وليتني ؟ ففعل ذلك ، وتقدم الحجاج عنده .

قال : وبنى واسط في سنة أربع وثمانين ، وفرغ منها في سنة ست وثمانين ، وقيل قبل ذلك قال : وفي أيامه نقطت المصاحف ، وذكر في حكايته ما يدل أنه كان أولًا يسمى كليباً ، ثم سُمي الحجاج . وذكر أنه ولد ولا مخرج له حتى فتق له مخرج ، وأنه لم يرتضع أياماً حتى سقوه دم جدي ثم دم سالخ[٣] ولطخ وجهه بدمه فارتضع ، وكانت فيه شهامة وحب لسفك الدماء ، لأنه أول ما ارتضع ذلك الدم الذي لطخ به وجهه .

ويقال إن أمه هي المتمنية لنصر بن حجاج بن علاط[٤] ، وقيل إنها أم أبيه ، والله أعلم .

وكانت فيه شهامة عظيمة ، وفي سيفه رهق ، وكان كثير قتل النفوس التي حرمها الله بأدنى شبهة ، وكان يغضب غضب الملوك ، وكان فيما يزعم يتشبه بزياد بن أبيه ، وكان زياد يتشبه بعمر بن الخطاب فيما يزعم أيضاً ـ ولا سواء ولا قريب ـ .

وقد ذكر ابن عساكر[٥] في ترجمة سليم بن عتر التُّجيبي قاضي مصر ، وكان من كبار التابعين . وكان ممن شهد خطبة عمر بن الخطاب بالجابية ، وكان من الزهادة والعبادة على جانب عظيم ، وكان يختم القرآن في كل ليلة ثلاث ختمات في الصلاة وغيرها .

والمقصود أن الحجاج كان مع أبيه بمصر في جامعها ، فاجتاز بهما سليم بن عتر هذا فنهض إليه

---

(١) وفيات الأعيان (٢/ ٢٩) .

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه (٣/ ٦) .

(٣) السالخ : الأسود الشديد السواد .

(٤) قال ابن خلكان (٢/ ٣٢) : إن عمر بن الخطاب طاف في المدينة فسمع امرأة تنشد في خدرها :

هل من سبيل إلى خمر فأشربها ... أم من سبيل إلى نصر بن حجاج

فأتي عمر بنصر وسيّره إلى البصرة .

(٥) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (١٠/ ٢٠١) وقد سقط من تاريخ دمشق ط : دارالفكر من اسمه سليم .

أبو الحجاج فسلّم عليه ، وقال له : إنه ذاهب إلى أمير المؤمنين ، فهل من حاجة لك عنده ؟ قال : نعم تساله أن يعزلني عن القضاء . فقال : سبحان الله !! والله لا أعلم قاضياً اليوم خيراً منك . ثم رجع إلى ابنه الحجاج فقال له ابنه : يا أبة أتقوم إلى رجل من تُجيب وأنت ثقفي ؟ فقال له : يا بني والله إني لأحسب أن الناس يرحمون بهذا وأمثاله . فقال : والله ما على أمير المؤمنين أضر من هذا وأمثاله ، فقال : ولم يا بني ؟ قال : لأن هذا وأمثاله يجتمع الناس إليهم فيحدثونهم عن سيرة أبي بكر وعمر ، فيحقر الناس سيرة أمير المؤمنين ولا يرونها شيئاً عند سيرتهما فيخلعونه ويخرجون عليه ويبغضونه ، ولا يرون طاعته ، والله لو خلص لي من الأمر شيء لأضربن عنق هذا وأمثاله . فقال له أبوه : يا بني والله إني لأظن أن الله عزَّ وجلَّ خلقك شقياً .

وهذا يدل على أن أباه كان ذا وجاهة عند الخليفة[١] وأنه كان ذا فراسة صحيحة ، فإنه تفرس في ابنه ما آل إليه أمره بعد ذلك .

قالوا : وكان مولد الحجاج في سنة تسع وثلاثين ، وقيل في سنة أربعين ، وقيل في سنة إحدى وأربعين[٢] .

ثم نشأ بلباباً[٣] فصيحاً بليغاً حافظاً للقرآن ، قال بعض السلف : كان الحجاج يقرأ القرآن في كل ليلة[٤] .

وقال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أفصح منه ومن الحسن البصري ، وكان الحسن أفصح منه[٥] .

وقال الدارقطني[٦] : ذكر سليمان بن أبي شيخ[٧] ، عن صالح بن سليمان قال : قال عتبة بن عمرو : ما رأيت عقول الناس إلا قريباً بعضها من بعض ، إلا الحجاج وإياس بن معاوية ، فإن عقولهما كانت ترجح على عقول الناس .

وتقدم أن عبد الملك لما قتل مصعب بن الزبير سنة ثلاث وسبعين بعث الحجاج إلى أخيه عبد الله بمكة فحاصره بها وأقام للناس الحج عامئذ ، ولم يتمكن ومن معه من الطواف بالبيت ، ولا تمكن ابن

---

(١) قال ابن قتيبة في المعارف (ص١٧٣) : فأما يوسف ـ والد الحجاج ـ فولي لعبد الملك بعض الولاية وكان معه بعض الألويةيوم قاتل الحنيف بن السجف جيش بن دلجة .

(٢) انظر ما ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٢/ ١١٥) في الخلاف في سنة مولد الحجاج .

(٣) في ط : شاباً لبيباً .

(٤) تاريخ دمشق (١٢/ ١١٦) .

(٥) تاريخ دمشق (١٢/ ١١٦ـ١١٧) .

(٦) تاريخ دمشق (١٢/ ١١٧) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٥٢) وذكره الذهبي في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣١٦) .

(٧) في ط : منيح ؛ تحريف ، والتصويب من ب وتاريخ دمشق .

الزبير ومن عنده من الوقوف بعرفة ، ولم يزل محاصره حتى ظفر به في جمادى سنة ثلاث وسبعين فقتله كما قدمنا ، وأقام للناس الحج أيضاً في سنة أربع وسبعين[١] ، ثم استنابه عبد الملك على مكة والمدينة والطائف واليمن ، ثم نقله إلى العراق بعد موت أخيه بشر بن مروان ، فدخل على أهل الكوفة كما ذكرنا ، وقال لهم وفعل بهم ما تقدم إيراده مفصلاً ، فأقام بين ظهرانيهم عشرين سنة كاملة . وفتح فيها فتوحات كثيرة ، هائلة منتشرة ، حتى وصلت خيوله إلى بلاد الهند والسند ، ففتح فيها جملة مدن وأقاليم ، ووصلت خيوله أيضاً إلى قريب من بلاد الصين ، وجرت له فصول قد ذكرنا منها طرفاً جيداً . ونحن نورد هنا أشياء أخر مما وقع له من الأمور والجراءة والإقدام ، والتهاون في الأمور العظام ، مما يمدح على مثله ومما يذم بقوله وفعله ، مما ساقه الحافظ ابن عساكر[٢] وغيره :

فروى أبو بكر بن أبي خيثمة ، عن يحيى بن أيوب ، عن عبد الله بن كثير ابن أخي إسماعيل بن جعفر المديني ما معناه : أن الحجاج بن يوسف صلى مرة بجنب سعيد بن المسيّب ـ وذلك قبل أن يلي شيئاً ـ فجعل يرفع قبل الإمام ويقع قبله في السجود ، فلما سلّم أخذ سعيد بطرف ردائه ـ وكان له ذكر يقوله بعد الصلاة ـ فما زال الحجاج ينازعه رداءه حتى قضى سعيد ذكره ، ثم أقبل عليه سعيد فقال له : يا سارق يا خائن ، تصلي هذه الصلاة ، لقد هممت أن أضرب بهذا النعل وجهك . فلم يرد عليه ، ثم مضى الحجاج إلى الحج ، ثم رجع فعاد إلى الشام ، ثم جاء نائباً على الحجاز . فلما قتل ابن الزُّبير كرَّ راجعاً إلى المدينة نائباً عليها ، فلما دخل المسجد إذا مجلس سعيد بن المسيّب ، فقصده الحَجّاج فخشي الناس على سعيد منه ، فجاء حتى جلس بين يديه فقال له : أنت صاحب الكلمات ؟ فضرب سعيد صدره بيده وقال : نعم ! قال : فجزاك الله من معلم ومؤدب خيراً ، ما صليت بعدك صلاة إلا وأنا أذكر قولك . ثم قام ومضى .

وروى الرّياشي ، عن الأصمعي وأبي زيد ، عن معاذ بن العلاء ـ أخي أبي عمرو بن العلاء ـ قال : لما قتل الحجّاج ابن الزبير ارتجّت مكة بالبكاء ، فأمر الناس فجمعوا في المسجد ثم صعد المنبر فقال بعد حمد الله والثناء عليه : يا أهل مكة ! بلغني إكباركم قتل ابن الزبير ، ألا وإن ابن الزبير كان من خيار هذه الأمة ، حتى رغب في الخلافة ونازع فيها أهلها ، فنزع طاعة الله واستكن بحرم الله ، ولو كان شيء مانع العصاة لمنعت آدم حرمة الجنة ، إن الله خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وأباح له كرامته ، وأسكنه جنته ، فلما أخطأ أخرجه من الجنة بخطيئته ، وآدم أكرم على الله من ابن الزبير والجنة أعظم حرمة من الكعبة ، اذكروا الله يذكركم[٣] .

---

(١) ساق ابن عساكر هذا الخبر بالسند في تاريخه (١٢/ ١١٧) .
(٢) تاريخ دمشق (١٢/ ١١٩) وتهذيبه (٤/ ٥٢ ـ ٥٣) .
(٣) تاريخ دمشق (١٢/ ١٢٠) .

وقال الإمام أحمد[(١)] : حدّثنا إسحاق بن يوسف ، نبأنا عوف[(٢)] ، عن أبي الصدّيق النّاجي : أن الحَجّاج دخل على أسماء بنت أبي بكر بعد ما قتل ابنها عبد الله فقال : إن ابنك ألحد في هذا البيت ، وإن الله أذاقه من عذاب أليم ، وفعل [به ما فعل] . فقالت : كذبتَ ، كان براً بوالديه ، صواماً قواماً ، والله لقد أخبرنا رسول الله ﷺ « أنه يخرج من ثقيف كذابان الآخر منهما شر من الأول ، وهو مبير » . ورواه أبو يعلى[(٣)] : عن وهب بن بقية ، عن خالد ، عن عوف ، عن أبي الصديق . قال : بلغني أن الحجاج دخل على أسماء فذكر مثله . وقال أبو يعلى : حدّثنا زهير ، حدّثنا جرير ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن قيس بن الأحنف ، عن أسماء بنت أبي بكر . قالت : سمعت رسول الله نهى عن المثلة . وسمعته يقول : « يخرج من ثقيف رجلان كذاب ومبير » . قالت فقلت للحجاج : أما الكذاب فقد رأيناه ، وأما المبير فأنت هو يا حجاج . وقال عبد بن حُميد : أبنا يزيد بن هارون ، أبنا العوام بن حوشب ، حدّثني من سمع أسماء بنت أبي بكر الصدِّيق تقول للحجّاج حين دخل عليها يعزِّيها في ابنها : سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : « يخرج من ثقيف رجلان مبير وكذاب » . فأما الكذاب فابن أبي عبيد ـ تعني المختار ـ وأما المبير فأنت[(٤)] . وتقدم في صحيح مسلم[(٥)] من وجه آخر أوردناه عند مقتل ابنها عبد الله بن الزبير رضي الله عنه .

وقد رواه غير أسماء عن النبي ﷺ فقال أبو يعلى[(٦)] : حدّثنا أحمد بن عمر الوكيعي ، حدّثنا وكيع حدَّثتنا أم غراب ، عن امرأة يقال لها عقيلة ، عن سلامة بنت الحر قالت قال رسول الله ﷺ : « في ثقيف كذاب ومبير » . تفرّد به أبو يعلى .

وقد روى الإمام أحمد[(٧)] : عن وكيع عن أم غراب ـ واسمها طلحة ـ عن عقيلة عن سلامة حديثاً آخر في الإمامة في الصلاة ، وأخرجه أبو داود وابن ماجه[(٨)] .

ورُوي من حديث ابن عمر فقال أبو يعلى[(٩)] : حدّثنا أمية بن بسطام ، حدّثنا يزيد بن زريع ، حدّثنا إسرائيل ، حدّثنا عبد الله بن عصمة قال : سمعت ابن عمر « أنبأنا رسول الله ﷺ أن في ثقيف مبيراً وكذاباً »

---

(١) مسند الإمام أحمد (٦/ ٣٥١) وهو حديث صحيح وأخرجه ابن عساكر من طريق الإمام أحمد في تاريخه (١٢/ ١٢١) .

(٢) في ط ، أ : عون ؛ تحريف ، والتصحيح من ب والمصادر .

(٣) ومن طريقه أخرجه ابن عساكر (١٢/ ١٢١) .

(٤) أخرجه ابن عساكر (١٢ / ١٢٢) من طريق عبد بن حميد .

(٥) صحيح مسلم رقم (٢٥٤٥) في فضائل الصحابة .

(٦) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٢/ ١٢٢) .

(٧) مسند الإمام أحمد (٦/ ٣٨١) وإسناده ضعيف .

(٨) سنن أبي داود رقم (٥٨١) في الصلاة ، وسنن ابن ماجه رقم (٩٨٢) في إقامة الصلاة .

(٩) مسند أبي يعلى الموصلي (١٠/ ١٢٥ ـ ١٢٦) رقم (٥٧٥٣) .

وأخرجه الترمذي[١] من حديث شريك ، عن عبد الله بن عصم ويقال عصمة . وقال : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شريك .

وقال الشافعي : حدّثنا مسلم بن خالد ، عن ابن جريج ، عن نافع : أن ابن عمر اعتزل ليالي قتال ابن الزبير والحجاج بمنى ، فكان يصلّي مع الحجاج[٢] .

وقال الثوري : عن محمد بن المنكدر عن جابر أنه دخل على الحَجّاج فلم يسلّم عليه ولم يكن يصلي وراءه . وقال إسحاق بن راهويه : أبنا جرير ، عن القعقاع بن الصَّلْت قال : خطب الحجاج فقال : إن ابن الزبير غيّر كتاب الله ، فقال ابن عمر : ما سلطه الله على ذلك ، ولا أنت معه ولو شئت أقول : كذبتَ لفعلتُ[٣] .

وروي عن شهر بن حوشب وغيره أن الحجاج أطال الخطبة فجعل ابن عمر يقول : الصلاة الصلاة مراراً ، ثم قام فأقام الصلاة فقام الناس ، فصلّى الحجاج بالناس ، فلما انصرف قال لابن عمر : ما حملك على ذلك ؟ فقال : إنما نجيء للصلاة فصلّ الصلاة لوقتها ثم تفتق ما شئت بعد من تفتقة[٤] .

وقال الأصمعي : سمعت عمي يقول : بلغني أن الحجاج لما فرغ من ابن الزبير وقدم المدينة لقي شيخاً خارجاً من المدينة فسأله عن حال أهل المدينة ، فقال : بشر حال ، قتل ابن حواريّ رسول الله ﷺ ، فقال الحجاج : ومن قتله ؟ فقال : الفاجر اللعين الحجاج عليه لعائن الله وتهلكته، من قليل المراقبة لله . فغضب الحجاج غضباً شديداً ثم قال : أيها الشيخ ! أتعرف الحجاج إذا رأيته ؟ قال : نعم ! فلا عرفه الله خيراً ولا وقاه ضراً . فكشف الحجاج عن لثامه وقال : ستعلم أيها الشيخ الآن إذا سال دمك الساعة . فلما تحقق الشيخ الجد قال : والله إن هذا لهو العجب يا حجاج ، لو كنت تعرفني ما قلت هذه المقالة ، أنا العباس بن أبي ثور[٥] ، أصرع كل يوم خمس مرات ، فقال الحجاج : انطلق فلا شفى الله الأبعد من جنونه ولا عافاه[٦] .

وقال الإمام أحمد[٧] : حدّثنا عبد الصمد ، حدّثنا حماد بن سلمة ، عن ابن أبي رافع ، عن

---

(١) الجامع الصحيح للترمذي رقم (٢٢٢٠) في الفتن ، ورقم (٣٩٤٤) في المناقب وأخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٦ و٩١ و٩٢) من طريق شريك ، به ، وهو حديث صحيح بشواهده .

(٢) تاريخ دمشق (١٢/ ١٢٣) .

(٣) الخبر في مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٢٠٤) وتهذيبه (٤/ ٥٤) وتاريخ الذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣١٧) وفيه : ثم بقبق ما شئت بعد من بقبقة .

(٤) مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٢٠٤) وفيه : ثم بقبق بعد ذلك ما شئت من بقبقة . وبق الرجل يبقّ وأبق وبقبقة : كثر كلامه . اللسان (بقّ) .

(٥) في أ ، ط : داود ؛ خطأ ، والتصحيح من المصادر .

(٦) تاريخ دمشق (١٢/ ١٥٢ ـ ١٥٣) ومختصر تاريخ دمشق (٦/ ٢١٢ ـ ٢١٣) .

(٧) مسند الإمام أحمد (١/ ٢٠٦) وتاريخ دمشق (١٢/ ١٢٥) بسنده إلى أحمد وإسناده حسن .

عبد الله بن جعفر أنه زوج ابنته من الحجاج بن يوسف فقال لها : إذا دخل بك فقولي : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين ـ وزعم أن رسول الله ﷺ كان إذا حزبه أمر قال هذا ـ قال حماد : فظننت أنه قال : فلم يصل إليها[١] .

قال الشافعي : لما تزوج الحجاج بنت عبد الله بن جعفر[٢] قال خالد بن يزيد بن معاوية لعبد الملك : أتمكنه من ذلك ؟ فقال : وما بأس من ذلك . قال : أشد الناس والله ، قال : وكيف ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين لقد ذهب ما في صدري على آل الزبير منذ تزوجت رملة بنت الزبير ، قال : وكأنه كان نائماً فأيقظه ، فكتب إلى الحَجّاج يعزم عليه بطلاقها فطلقها .

وقال سعيد بن أبي عروبة : حَجَّ الحجاج مرة فمر بين مكة والمدينة فأتي بغدائه فقال لحاجبه : انظر من يأكل معي ، فذهب فإذا أعرابي نائم فضربه برجله وقال : أجب الأمير ، فقام فلما دخل على الحجاج قال له : اغسل يديك ثم تغدّ معي ، فقال : إنه دعاني من خير منك ، قال : ومن ؟ قال الله دعاني إلى الصوم فأجبته ، قال : في هذا الحَرِّ الشديد ؟ قال : نعم صمت ليوم هو أشد حراً منه ، قال : فأفطر وصم غداً ، قال : إن ضمنت لي البقاء لغدٍ . قال : ليس ذلك لي ، قال : فكيف تسألني عاجلاً بآجل لا تقدر عليه ؟ قال : إن طعامنا طعام طيب ، قال : لم تطيبه أنت ولا الطّباخ ، إنما طيبته العافية[٣] .

فصـــل

قد ذكرنا كيفية دخول الحجاج الكوفة في سنة خمس وسبعين وخطبته إياهم بغتة ، وتهديده ووعيده إياهم ، وأنهم خافوه مخافة شديدة ، وأنه قتل عمير بن ضابىء ، وكذلك قتل كُميل بن زياد صبراً ، ثم كان من أمره في قتال ابن الأشعث ما قدّمنا ، ذكره من ظفره به بعد المطاولة والمقاتلة وتسلطه على من كان معه من الرؤساء والأمراء والعبّاد والقراء [حتى كان آخر من قتل منهم سعيد بن جبير] .

قال القاضي المعافى بن زكريا : حدّثنا أحمد بن محمد بن سعيد الكلبي ، حدّثنا محمد بن زكريا الغَلاّبي ، حدّثنا محمد ـ يعني ابن عبد الله بن عباس ـ عن عطاء ـ يعني ابن مصعب ـ عن عاصم قال : خطب الحَجّاج أهل العراق بعد دير الجماجم ، فقال : يا أهل العراق إن الشيطان قد استبطنكم فخالط اللّحم والدم ، والعصب والمسامع ، والأطراف[٤] ، ثم أفضى إلى الأسماخ[٥] والأمخاخ والأشجاع ، ثم ارتفع فعشش ، ثم باض وفرخ ، ثم دب ودرج . فَحَشاكم نفاقاً وشقاقاً ، وأشعركم خلافاً ، اتخذتموه

---

(١) من قوله : أنه زوج ابنته . . . إلى هنا ساقط من ط .
(٢) من قوله : قال الشافعي . . إلى هنا ساقط من ط . والخبر بتمامه في تاريخ دمشق (١٢/ ١٢٥) .
(٣) تاريخ دمشق (١٢/ ١٢٥ ـ ١٢٦) ومختصره (٦/ ٢٠٥) .
(٤) في العقد الفريد (٢/ ١٥٢) : والأعضاء والشغاف . والمثبت يوافق تاريخ دمشق .
(٥) في العقد الفريد (٢/ ١٥٢) والبيان والتبيين للجاحظ (٢/ ١٢٠) : الأصماخ .

دليلاً تتبعونه ، وقائداً تطيعونه ، ومؤتمناً تشاورونه وتستأمرونه ، فكيف تنفعكم تجربة ، أو ينفعكم بيان[١] ؟ ألستم أصحابي بالأهواز حيث منيتم المكر واجتمعتم على الغدر ، واتفقتم على الكفر ، وظننتم أن الله يخذل دينه وخلافته ، وأنا والله أرميكم بطرفي وأنتم تتسللون لواذاً ، وتنهزمون سراعاً . ويوم الزاوية وما يوم الزاوية ، مما كان من فشلكم وتنازعكم وتجادلكم وبراءة الله منكم ، ونكوس قلوبكم إذ وليتم كالإبل الشاردة عن أوطانها النوازع ، لا يسأل المرء منكم عن أخيه ، ولا يلوي الشيخ على بنيه ، حين عضكم السلاح ، ونَخَستكم الرماح . ويوم دير الجماجم وما يوم دير الجماجم ، بها كانت المعارك والملاحم :

بضرب يُزيل الهام عن مقيله[٢] ويـذهـل الخليـل عـن خليلـه

يا أهل العراق يا أهل الكفرات بعد الفجرات ، والغدرات بعد الخترات[٣] ، والنزوة بعد النزوات ، إن بعثناكم إلى ثغوركم غللتم وجبنتم ، وإن أمنتم أرجفتم ، وإن خفتم نافقتم ، لا تذكرون نعمة ، ولا تشكرون معروفاً ، هل استخفكم ناكث ، أو استغواكم غاو ، أو استنفركم عاصٍ ، أو استنصركم ظالم ، أو استعضدكم خالع ، إلّا لبيتم دعوته ، وأجبتم صيحته ، ونفرتم إليه خفافاً وثقالاً ، وفرساناً ورجالاً . يا أهل العراق هل شغب شاغب ، أو نعب ناعب ، أو زفر زافر إلا كنتم أتباعه وأنصاره ؟ يا أهل العراق ألم تنفعكم المواعظ ؟ ألم تزجركم الوقائع ؟ ألم يشدد الله عليكم وطأته ، ويذقكم حر سيفه ، وأليم بأسه ومثلاته ؟ ثم التفت إلى أهل الشام فقال : يا أهل الشام إنما أنا لكم كالظليم الرامح عن فراخه ينفي عنها القذر[٤] ، ويباعد عنها الحجر ، ويكنها من المطر ، ويحميها من الضباب ، ويحرسها من الذباب . يا أهل الشام ! أنتم الجُنَّةُ والرِّداء ، وأنتم الملاءة والحذاء ، أنتم الأولياء والأنصار ، والشعار دون الدثار ، بكم يُذب عن البيضة والحوزة ، وبكم ترمى كتائب الأعداء ويهزم من عاند وتولى[٥] .

قال أبو بكر بن أبي الدنيا[٦] : حدّثني محمد بن الحسين ، حدّثنا عبيد الله بن محمد التميمي : سمعت شيخاً من قريش يكنى أبا بكر التيمي قال : كان الحجاج يقول في خطبته ـ وكان لَسِناً ـ إن الله خلق آدم وذريته من الأرض فأمشاهم على ظهرها ، فأكلوا ثمارها وشربوا أنهارها وهتكوها بالمساحي والمرور ، ثم

---

(١) في العقد الفريد زيادة : أو تعظكم وقعة أو يحجزكم إسلام أو يردكم إيمان .

(٢) في تهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٥٨) : ضرب يقيل الهمام عن مقيله . والمثبت يوافق التاريخ .

(٣) في ط : يا أهل الفجران بعد الكفران والغدران بعد الخذلان . . . ؛ وما أثبت يوافق العقد الفريد وتاريخ دمشق وتهذيب تاريخ دمشق .

(٤) في العقد الفريد (٢/ ١٥٢) : المدر ، وفي تهذيب تاريخ ابن عساكر (٤/ ٥٨) : القذف . والظليم : ذكر النعام . والرامح : المدافع .

(٥) عقد ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٢/ ١٣٥ ـ ١٣٩) فصلاً لشرح المغلق من كلمات خطبة الحجاج . وانظر تهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٥٩ ـ ٦٢) .

(٦) تاريخ دمشق (١٢/ ١٤٠) بسنده إلى ابن أبي الدنيا .

أدال الله الأرض منهم فردهم إليها فأكلت لحومهم كما أكلوا ثمارها ، وشربت دماءهم كما شربوا أنهارها ، وقطعتهم في جوفها وفرقت أوصالهم كما هتكوها بالمساحي والمرور .

ومما رواه غير واحد عن الحجاج أنه قال في خطبته في المواعظ : [ألا أيها] الرجل وكلكم ذاك الرجل ، رجل خطم نفسه وزمها فقادها بخطامها إلى طاعة الله ، وكفها بزمامها عن معاصي الله ، رحم الله امرأً رد نفسه ، امرأً اتهم نفسه ، امرأً اتخذ نفسه عدوة ، امرأً حاسب نفسه قبل أن يكون الحساب إلى غيره ، امرأً نظر إلى ميزانه ، امرأً نظر إلى حسابه ، امرأً وزن عمله ، امرأً فكر فيما يقرأ غداً في صحيفته ويراه في ميزانه ، وكان عند قلبه زاجراً ، وعند همه آمراً ، امرأً أخذ بعنان عمله كما يأخذ بعنان جمله ، فإن قاده إلى طاعة الله تبعه ، وإن قاده إلى معصية الله كف ، امرأً عقل عن الله أمره ، امرأً فاق واستفاق ، وأبغض المعاصي والنفاق ، وكان إلى ما عند الله بالأشواق . فما زال يقول امرأً امرأً ، حتى بكى مالك بن دينار[١] .

وقال المدائني : عن عوانة بن الحكم قال : قال الشَّعبي : سمعت الحجاج تكلّم بكلام ما سبقه إليه أحد ، يقول : أما بعد فإن الله تعالى كتب على الدنيا الفناء ، وعلى الآخرة البقاء ، فلا فناء لما كتب عليه البقاء ، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء . فلا يغرنكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة ، واقهروا طول الأمل بقصر الأجل[٢] .

وقال المدائني : عن أبي عبد الله الثقفي ، عن عمه قال : سمعت الحسن البصري يقول : وقذتني كلمة سمعتها من الحجاج سمعته يقول على هذه الأعواد : إن امرأً ذهبت ساعة من عمره في غير ما خلق له لحريّ أن تطول عليها حسرته إلى يوم القيامة[٣] .

وقال شريك القاضي ، عن عبد الملك بن عمير ، قال : قال الحجاج يوماً : من كان له بلاء أعطيناه على قدره ، فقام رجل فقال : أعطني فإني قتلت الحسين ، فقال : وكيف قتلته ؟ قال : دسرته بالرمح دسراً ، وهبرته بالسيف هبراً ، وما أشركت معي في قتلته أحداً . فقال : اذهب فوالله لا تجتمع أنت وهو في موضع واحد ، ولم يعطه شيئاً[٤] .

وقال الهيثم بن عدي : جاء رجل إلى الحجاج فقال : إن أخي خرج مع ابن الأشعث فضرب على اسمي في الديوان ومنعت العطاء وقد هدمت داري ، فقال الحجاج ، أما سمعت قول الشاعر :

---

(١) الخطبة في تاريخ دمشق (١٢/ ١٤٠ ـ ١٤١) والعقد الفريد (٢/ ١٥٣) .
(٢) تاريخ دمشق (١٢/ ١٤٢) وذكر المسعودي نحوها في مروج الذهب (٣/ ١٨٥) . .
(٣) تاريخ دمشق (١٢/ ١٤٣) .
(٤) الخبر في تاريخ دمشق (١٢/ ١٤٣) وتهذيب تاريخ ابن عساكر (٤/ ٦٣ ـ ٦٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣١٩) .

جانَيْكَ مَن يجني عليكَ وَقْد[١] تعـدِّي الصِّحـاحَ مبـاركُ الجَـرَبِ
ولـربَّ مـأخـوذٍ بـذنـبِ قَـريبـهِ ونجـا المُقارِفُ صـاحبُ الـذنْـبِ ؟

فقال الرجل : أيها الأمير ! إني سمعت الله يقول غير هذا [وقول الله أصدق من هذا] قال : وما قال ؟ قال ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٧٨ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ﴾ [يوسف : ٧٨ ـ ٧٩] قال : يا غلام أعد اسمه في الديوان وابن داره ، وأعطه عطاءه ، ومرْ منادياً ينادي : صدق الله وكذب الشاعر .

وقال الهيثم بن عدي : عن ابن عباس : كتب عبد الملك إلى الحجاج أن ابعث إليّ برأس أسلم بن عبد البكري لما بلغني عنه ، فأحضره الحجاج فقال : أيها الأمير أنت الشاهد وأمير المؤمنين الغائب ، وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات : ٦] وما بلغه باطل ، وإني أعول أربعة وعشرين امرأة ما لهن كاسب غيري وهنّ بالباب ، فأمر الحجاج بإحضارهن ، فلما حضرن جعلت هذه تقول : أنا خالته ، وهذه أنا عمته ، وهذه أنا أخته ، وهذه أنا زوجته ، وهذه أنا بنته ، وتقدمت إليه جارية فوق الثمان ودون العشرة ، فقال لها الحجاج : من أنت ؟ فقالت : أنا ابنته ، ثم قالت : أصلح الله الأمير ، وجثت على ركبتيها وقالت :

أحجّاجُ لـم تشهـد مقامَ بناتـهِ وعمـاتـهِ ينـدبنـهُ الليـلَ أجمعـا
أحجـاجُ كـم تقتـلْ بـهِ إن قتلتـهُ ثمـانـاً وعشـراً واثنتيـن وأربعـا
أحجـاجُ مـن هـذا يقـوم مقـامـهُ علينـا فمهـلاً إنْ تـزدنـا تضعضعـا
أحجـاج إمـا أن تجـودَ بنعمـةٍ علينـا وإمـا أن تُقتِّلنـا معـا

قال : فبكى الحجاج وقال : والله لا أعنت عليكن ولا زدتكن تضعضعاً ، ثم كتب إلى عبد الملك بما قال الرَّجل ، وبما قالت ابنته هذه ، فكتب عبد الملك إلى الحجاج يأمره بإطلاقه وحسن صلته وبالإحسان إلى هذه الجارية وتفقدها في كل وقت[٢] .

[وقيل : إن الحجاج خطب يوماً فقال : أيها الناس الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله . فقام إليه رجل فقال له : ويحك يا حجاج ما أصفق وجهك وأقل حياءك ، تفعل ما تفعل وتقول مثل هذا الكلام ؟ خبث وضل سعيك ، فقال للحرس خذوه ، فلما فرغ من خطبته قال له : ما الذي جرأك عليّ ؟ فقال : ويحك يا حجاج ، أنت تجترىء على الله ولا اجترىء أنا عليك ، ومن أنت حتى لا أجترىء عليك وأنت تجترىء على الله رب العالمين ، فقال : خلوا سبيله ، فأطلق][٣] .

---

(١) في ابن عساكر وتهذيبه : جانيك من يجني عليك وقد .
(٢) الخبر في تاريخ دمشق (١٢/ ١٤٥ ـ ١٤٦) وتهذيب ابن عساكر (٤/ ٦٤ ـ ٦٥) .
(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر في تاريخ ابن عساكر التهذيب (٤/ ٦٣) ووفيات الأعيان (٢/ ٣١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣١٩) .

وقال المدائني : أُتي الحجاج بأسيرين من أصحاب ابن الأشعث فأمر بقتلهما ، فقال أحدهما : إن لي عندك يداً ، قال : وما هي ؟ قال : ذكر ابن الأشعث يوماً أمك فرددت عليه ، فقال : ومن يشهد لك ؟ قال : صاحبي هذا ! فسأله ، فقال : نعم ! فقال : ما منعك أن تفعل كما فعل ؟ قال : بغضك ، قال : أطلقوا هذا لصدقه ، وهذا لفعله[1] .

وحكى الواقدي أن الحجاج نادى في البلد : أي من خرج من بعد العشاء الآخرة من بيته قتل ، فأُتي ليلة برجل ، فقال : ما أخرجك من بيتك هذه الساعة من بعدما سمعت المنادي ؟ فقال : أما والله إني لا أكذب الأمير ، إن أمي مريضة هالكة ، وأنا عندها منذ ثلاثة أيام ، فلما كانت الساعة أفاقت وقالت : يا بني إني أعزم عليك إلا ما مضيت إلى أهلك وأولادك ، فإنهم مغمومون بتخلفك عنهم ، فخرجت من عندها فأخذني العسس ، وأتوا بي إليك ، فقال الحجاج : ننهاكم وتعصونا ، ثم أمر به فضربت عنقه ، قال : ثم أتي تاجر ، فقال له الحجاج : ما أخرجك هذه الساعة ؟ فقال : والله ما أكذبك إنه كان عندي لرجل دراهم ، فأقعدني على بابه ولزمني ، وقال : لا أفارقك إلا بحقي ، فلما كان هذه الساعة دخل إلى منزله ، وأغلق بابه ، وتركني على بابه ؛ فجاءني طائفك فأخذني إليك ، فقال الحجاج : اضربوا عنقه ، قال : ثم أتي بآخر ، فقال له : ما أخرجك هذه الساعة ؟ فقال : كنت أشرب مع قوم فلما سكرت خرجت من عندهم ، وأنا لا أدري ، فأخذوني إليك . فقال الحجاج لرجل كان عنده : ما أراه إلا صادقاً ، ثم قال : خلّوا سبيله ، فخلّوا سبيله[2] .

وذكر محمد بن زياد عن ابن الأعرابي فيما بلغه أنه كان رجل من بني حنيفة يقال له جحدر بن مالك وكان فاتكاً بأرض اليمامة ، فأرسل الحجاج إلى نائبها يؤنبه ويلومه على عدم أخذه ، فما زال نائبها في طلبه حتى أسره وبعث به إلى الحجاج ، فقال له الحجاج : ما حملك على ما كنت تصنعه ؟ فقال : جراءة الجنان ، وجفاء السلطان ، وكَلَب الزمان ، ولو اختبرني الأمير لوجدني من صالح الأعوان ، وشهم الفرسان ، ولوجدني من أصلح رعيته ، ذلك أني ما لقيت فارساً قط إلا كنت عليه في نفسي مقتدراً ، فقال له الحجاج : إنا قاذفوك في حائر فيه أسد عاقر ، فإن قتلك كفانا مؤنتك ، وإن قتلته خلينا سبيلك . ثم أودعه السجن مقيداً مغلولة يده اليمنى إلى عنقه ، وكتب الحجاج إلى نائبه بكسكر أن يبعث بأسد عظيم ضار ، وقد قال جحدر هذا في محبسه هذا أشعاراً يتحزن فيها على امرأته سليمى أم عمرو ويقول في بعضه :

أليسَ الليلُ يجمعُ أمَّ عمرو ... وإيانا فذاكَ بنا تداني

بلى وترى الهلالَ كما نراهُ ... ويعلوها النهارُ إذا علاني

(١) تاريخ دمشق (١٢/ ١٤٦) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٦٥) .

(٢) القصة بكاملها ساقطة من ط ، ب وهي في تاريخ دمشق (١٢/ ١٧٨ ـ ١٧٩) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٨٠) عن عمر بن عبد العزيز أنه سأل عنبسة بن سعيد عن بعض ما رأى من عجائب الحجاج . وذكرها الذهبي بهذا السند .

إذا جـاوزتمـا نخـلات نجـد وأوديـةَ اليمـامـةِ فـانعيـانـي
وقـولا جحـدرٌ أمسـى رهينـاً يحـاذرُ وقـعَ مصقـولٍ يمـانـي

فلما قدم الأسد على الحجاج أمر به فجوّع ثلاثة أيام ، ثم أبرز إلى حائر ـ وهو البستان ـ وأمر بجحدر فأخرج في قيوده ويده اليمنى مغلولة بحالها ، وأعطي سيفاً في يده اليسرى ، وخلي بينه وبين الأسد ، وجلس الحجاج وأصحابه في منظرة ، وأقبل جحدر نحو الأسد وهو يقول :

ليثٌ وليثٌ في مجالٍ ضنكِ كـلاهمـا ذو أنـفٍ ومحـكِ
وشـدةٍ فـي نفسـهِ وفتـكِ إنْ يكشـفِ الله قنـاعَ الشـكِّ
فهوَ أحقُّ منزلٍ بتركِ

فلما نظر إليه الأسد زأر زأرة شديدة وتمطى وأقبل نحوه فلما صار منه على قدر رمح وثب الأسد على جحدر وثبة شديدة فتلقّاه جحدر بالسيف فضربه ضربة خالط ذباب السيف لهواته ، فخر الأسد كأنه خيمة قد صرعتها الريح ، من شدة الضربة ، وسقط جحدر من شدة وثبة الأسد ولموضع القيود عليه ، فكبّر الحجاج وكبّر أصحابه وأنشأ جحدر يقول :

يـا جُمـلُ إنـكِ لـو رأيـتِ كـريهتي فـي يـومِ هـولٍ مسـدفٍ وعجـاجِ
وتقـدُّمـي لليـثِ أرسفُ مـوثَقـاً كيمـا أسـاورهُ علـى الأخـراجِ
شثـنٌ بـراثنُـه كـأنَّ نيـوبـهُ زرقُ المعـاولِ أو شبـاةُ زجـاجِ
يسمـو بنـاظـرتيـن تحسبُ فيهمـا لهبـاً أحـدّهمـا شعـاعُ سـراجِ
وكـأنمـا خيطـت عليـهِ عبـاءةٌ بـرقـاء أو خـرقـا مـنَ الـديبـاجِ
لعلمـتِ أنـي ذو حفـاظٍ مـاجـدٍ مـنْ نسـلِ أقـوامٍ ذوي أبـراجِ

ثم التفت إلى الحجاج وقال :

ولئـن قصـدت إلـى المنيـة عـامـداً إنـي لخيـرك يـا بـن يـوسـف راج
علـم النسـاء بـأننـي لا أنثنـي إذ لا يثقـن بغيـرة الأزواج
وعلمـت أنـي إن كـرهـت نـزالـه إنـي مـن الحجـاج لست بنـاجـي[1]

فعند ذلك خيّره الحجاج إن شاء أقام عنده ، وإن شاء انطلق إلى بلاده ، فاختار المقام عند الحجاج ، فأحسن جائزته وأعطاه أموالاً[2] .

وأنكر يوماً أن يكون الحسين من ذرية رسول الله ﷺ لأنه ابن بنته ، فقال له يحيى بن يعمر : كذبتَ !

---

(١) الأبيات الثلاثة ساقطة من ط .
(٢) تاريخ دمشق (١٢/١٤٨ ـ ١٥٠) .

فقال الحجاج : لتأتيني على ما قلت ببينة من كتاب الله أو لأضربن عنقك ، فقال قال الله : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ ﴾ [الأنعام : ٨٤] إلى قوله ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾ [الأنعام : ٨٥] فعيسى من ذرية إبراهيم ، وهو إنما ينسب إلى إلى أمه مريم ، والحسين ابن بنت رسول الله ﷺ . فقال الحجاج : صدقت ، ونفاه إلى خراسان[١] .

وقد كان الحجاج مع فصاحته وبلاغته يلحن في حروف من القرآن أنكرها يحيى بن يعمر ، منها أنه كان يبدل إن المكسورة بأن المفتوحة وعكسه ، وكان يقرأ [قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم] إلى قوله [أحب إليكم] فيقرؤها برفع أحب .

وقال الأصمعي وغيره : كتب عبد الملك إلى الحجاج يسأله عن أمس واليوم وغد ، فقال للرسول : أكان خويلد بن يزيد بن معاوية عنده ؟ قال : نعم ! فكتب الحجاج إلى عبد الملك : أما أمس فأجل ، وأما اليوم فعمل ، وأما غداً فأمل[٢] .

وقال ابن دريد[٣] : عن أبي حاتم السجستاني ، عن أبي عبيدة معمر بن المثنى . قال : لما قَتَل الحجاج ابن الأشعث ، وصَفت له العراق ، وسّع على الناس في العطاء ، فكتب إليه عبد الملك : أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين أنك تنفق في اليوم ما لا ينفقه أمير المؤمنين في الأسبوع وتنفق في الأسبوع ما لا ينفقه أمير المؤمنين في الشهر ، ثم قال منشداً :

عليك بتقوى الله في الأمرِ كلهِ ... وكنْ يا عبيدَ الله[٤] تخشى وتضرعُ
ووفِّر خراجَ المسلمينَ وفيئهم ... وكنْ لهمُ حصناً تجيرُ وتمنعُ

فكتب إليه الحجاج :

لعمري لقد جاء الرسولُ بكتبكم ... قراطيسُ تملا ثم تطوى فتطبعُ
كتابٌ أتاني فيهِ لينٌ وغلظةٌ ... وذكرتُ والذكرى لذي اللّبِّ تنفعُ
وكانتْ أمورٌ تعتريني كثيرةٌ ... فأرضخُ أو أعتلُّ حيناً فأمنعُ
إذا كنتَ سوطاً من عذابٍ عليهمُ ... ولمْ يك عندي بالمنافعِ مطمعُ
أيرضى بذاكَ الناسُ أو يسخطونهُ ... أم احمد فيهمْ أمْ ألام فأقذعُ
وكانَ بلاد جئتها حينَ جئتها ... بها كلُّ نيرانِ العداوةِ تلمعُ

---

(١) القصة متأخرة في أ ، ب وهي في تاريخ دمشق (١٢/ ١٥١ ـ ١٥٢) وتهذيب ابن عساكر (٤/ ٦٨) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣١٩) .

(٢) تاريخ دمشق (١٢/ ١٥٣) .

(٣) الخبر أخرجه ابن عساكر بسنده إلى ابن دريد (١٢/ ١٥٣ ـ ١٥٤) .

(٤) في تاريخ دمشق : وكن لوعيد الله .

فقاسيتُ منها ما علمتَ ولم أزلْ أصارع حتى كدتُ بالموتِ أصرعُ
وكم أرجفوا منْ رجفةٍ قد سمعتها ولو كانَ غيري طارَ مما يروّعُ
وكنت إذا هموا بإحدى هناتهم حسرت لهمْ رأسي ولا أتقنَّعُ
فلو لمْ يذد عني صناديد منهمُ تقسمَ أعضائي ذئابٌ وأَضْبُعُ

قال : فكتب إليه عبد الملك : أن اعمل برأيك[١] .

وقال الثوري : عن محمد بن المستورد الجُمَحي قال : أُتي الحَجّاج بسارق فقال له : لقد كنت غنياً أن تكسب جناية فيؤتى بك إلى الحاكم فيبطل عليك عضواً من أعضائك ، فقال الرجل : إذا قلّ ذات اليد سخت النفس بالمتالف . قال : صدقت والله لو كان حسن اعتذار يبطل حداً لكنتَ له موضعاً . يا غلام سيف صارم ورجل قاطع ، فقطع يده[٢] .

وقال أبو بكر بن مجاهد : عن محمد بن الجَهْم ، عن الفرّاء قال : تغدّى الحجاج يوماً مع الوليد بن عبد الملك ، فلما انقضى غداؤهما دعاه الوليد إلى شرب النبيذ[٣] فقال : يا أمير المؤمنين الحلال ما أحللت ، ولكني أنهى عنه أهل العراق وأهل عملي ، وأكره أن أخالف قول العبد الصالح[٤] ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ ﴾ [هود : ٨٨] .

وقال عمر بن شَبّة : عن أشياخه قال : كتب عبد الملك إلى الحَجّاج يعتب عليه في إسرافه في صرف الأموال ، وسفك الدماء ، ويقول : إنما المال مال الله ونحن خزّانه ، وسيان منع حق أو إعطاء باطل . وكتب في أسفل الكتاب هذه الأبيات :

إذا أنتَ لم تتركْ أموراً كرهتها وتطلب رضائي في الذي أنا طالبهُ
وتخشى الذي يخشاهُ مثلكَ هارباً إلى الله منهُ ضَيّعَ الدُّرَّ جالبهْ
فإنْ ترَ مني غفلةً قُرشيّةً فيا ربما قد غصَّ بالماءِ شاربهْ
وإنْ ترَ مني وثبةً أمويةً فهذا وهذا كله أنا صاحبهْ
فلا تعدُ ما يأتيكَ مني فإنْ تعدْ تقمْ فاعلمنْ يوماً عليكَ نوادبه[٥]

---

(١) الخبر مع الشعر في تاريخ دمشق (١٢/ ١٥٣ ـ ١٥٤) وتهذيبه (٤/ ٦٩) .
(٢) تاريخ دمشق (١٢/ ١٥٥) .
(٣) وفي حاشية ط : ما يُسمى في هذا العصر نبيذاً ، هو الخمر المحض ، وهو غير ما كان سلفنا يسميه نبيذاً . والنبيذ عندهم : هو التمر أو الزبيب يترك عليه الماء . ويسمونه بعد ذلك نبيذاً سواء أسكر أو لم يسكر وفي كلتا الحالتين ، فإنه أشبه بعصير القصب اليوم ، إن لم يكن دونه .
(٤) المصدر نفسه .
(٥) في مروج الذهب للمسعودي (٣/ ١٣٤) :
ولا تعدُ ما يأتيك مني وإن تعُدْ يقوم بها يوماً عليك نوادبه

فلما قرأه الحجاج كتب : أما بعد فقد جاءني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه سرَفي في الأموال ، والدماء ، فوالله ما بالغت في عقوبة أهل المعصية ، ولا قضيت حق أهل الطاعة ، فإن كان ذلك سرفاً فليحدّ لي أمير المؤمنين حداً أنتهي إليه ولا أتجاوزه ، وكتب في أسفل الكتاب :

إذا أنا لمْ أطلبْ رضاكَ وأتقي ... أذاكَ فيومي لا توارت[١] كواكبهْ
إذا قارفَ الحجاج فيك خطيئة ... فقامتْ عليه في الصباح نوادبهْ
أُسالمُ من سالمت من ذي هوادةٍ ... ومنْ لا تسالمهُ فإني محاربهْ
إذا أنا لمْ أُدنِ الشفيقَ لنصحهِ ... وأُقصِ الذي تسري إليَّ عقاربهْ
فمن يتقي يومي ويرجو إذا عدى ... على ما أرى والدهرُ جمٌّ عجائبه[٢]

وعن الشافعي أنه قال : قال الوليد بن عبد الملك للغاز بن ربيعة أن يسأل الحجاج فيما بينه وبينه : هل يجد في نفسه مما أصاب من الدنيا شيئاً ؟ فسأله كما أمره ، فقال : والله ما أحب أن لي لبنان أو سنير[٣] ذهباً أنفقه في سبيل الله مكان ما أبلاني الله من الطاعة[٤] . والله سبحانه وتعالى أعلم .

فصل

فيما رُوي عنه من الكلمات النافعة والجراءة البالغة

قال أبو داود[٥] : حدّثنا محمد بن العلاء ، حدّثنا أبو بكر عن عاصم قال : سمعت الحجاج وهو على المنبر يقول : اتقوا الله ما استطعتم ، ليس فيها مثنويَّة[٦] ، واسمعوا وأطيعوا ليس فيها مثنويَّة لأمير المؤمنين عبد الملك ، والله لو أمرت الناس أن يخرجوا من باب المسجد فخرجوا من باب آخر لحلّت لي دماؤهم وأموالهم ، والله لو أخذت ربيعة بمضر لكان ذلك لي من الله حلالاً ، ويا عذيري من عبد هذيل يزعم أن قراءته من عند الله ، والله ما هي إلّا رجز من رجز الأعراب ما أنزلها الله على نبيه ﷺ وعذيري من هذه الحمراء[٧] ، يزعم أحدهم أنه يرمي بالحجر فيقول إلى أنه يقع الحجر : حدث أمر ، فوالله لأدعنَّهم كالأمس الدابر . قال : فذكرته للأعمش فقال : وأنا والله سمعته منه .

---

(١) في مروج الذهب : لا تزول .
(٢) الخبر بكامله والأبيات في مروج الذهب (٣/ ١٣٤ ـ ١٣٥) وتاريخ دمشق (١٢/ ١٥٥ ـ ١٥٦) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٧٠ ـ ٧١) ورواية البيت الأخير في مروج الذهب :
فمن ذا الذي يرجو نوالي ويتقي ... مصاولتي ، والدهر جمّ نوائبه
(٣) في ط : سبير ـ بالباء ـ وسنير : جبل بين حمص وبعلبك على الطريق وعلى رأسه قلعة سنير . معجم البلدان (سنير) .
(٤) الخبر بأطول مما هنا في تاريخ دمشق (١٢/ ١٥٧ ـ ١٥٨) .
(٥) سنن أبي داود رقم (٤٦٤٣) في السنة ، والخبر بكامله في تاريخ دمشق (١٢/ ١٥٩) وهو حديث صحيح .
(٦) أي : استثناء .
(٧) هم الموالي ، لأن العرب تسمي الموالي الحمراء .

ورواه أبو بكر بن أبي خيثمة : عن محمد بن يزيد ، عن أبي بكر بن عياش ، عن عاصم بن أبي النجود والأعمش أنهما سمعا الحَجَّاج قبَّحه الله يقول ذلك ، وفيه : والله لو أمرتكم أن تخرجوا من هذا الباب فخرجتم من هذا الباب لحلَّت لي دماؤكم ، ولا أجد أحداً يقرأ على قراءة ابن أم عبد إلا ضربت عنقه ، ولأحكنَّها من المصحف ولو بضلع خنزير . ورواه غير واحد عن أبي بكر بن عياش بنحوه ، وفي بعض الروايات : والله لو أدركت عبد هذيل لأضربن عنقه[١] .

وهذا من جراءة الحجاج قبحه الله ، وإقدامه على الكلام السيِّئ ، والدِّماء الحرام . وإنما نقم على قراءة ابن مسعود رضي الله عنه لكونه خالف القراءة على المصحف الإمام الذي جمع الناس عليه عثمان ، والظاهر أن ابن مسعود رجع إلى قول عثمان وموافقيه والله أعلم .

وقال علي بن عبد الله بن مبشر ، عن عباس الدوري ، عن مسلم بن إبراهيم : حدّثنا الصَّلت بن دينار سمعت الحجاج على منبر واسط يقول : عبد الله بن مسعود رأس المنافقين ، لو أدركته لأسقيت الأرض من دمه[٢] .

قال : وسمعته على منبر واسط وتلا هذه الآية : ﴿ وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ﴾ [ص : ٣٥] قال : والله إن كان سليمان لحسوداً .

وهذه جراءة عظيمة تفضي به إلى الكفر : قبحه الله وأخزاه ، وأبعده وأقصاه[٣] .

ومن الطامات أيضاً ما رواه أبو داود[٤] أيضاً : حدّثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقاني ، حدّثنا جرير . وحدّثنا زهير بن حرب ، حدّثنا جرير ، عن المغيرة ، عن الربيع[٥] بن خالد الضبي قال : سمعت الحجاج يخطب فقال في خطبته : رسول أحدكم في حاجته أكرم عليه أم خليفته في أهله ؟ فقلت في نفسي : لله عليّ أن لا أصلِّي خلفك صلاة أبداً ، وإن وجدت قوماً يجاهدونك لأجاهدنك معهم .

زاد إسحاق في حديثه : فقاتل في الجماجم حتى قتل .

فإن صَحَّ هذا عنه ، فظاهره كفر إن أراد تفضيل منصب الخلافة على الرسالة ، أو أراد أن الخليفة من بني أمية أفضل من الرسول .

---

(١) الخبر بكامله في تاريخ دمشق (١٢/ ١٦٠) وتهذيبه (٤/ ٧٢) وبالرواية الثانية في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣١٩ ـ ٣٢٠) .

(٢) تاريخ دمشق (١٢/ ١٦١) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٧٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٢٠) .

(٣) بعدها في ط كلام من الواضح أنه من زيادات النساخ وهو في فضائل ابن مسعود رضي الله عنه ، ولا مكان له هنا ، والأولى أن يكون مع ترجمته .

(٤) سنن أبي داود رقم (٤٦٤٢) في السنة ، والخبر بالسند نفسه في تاريخ دمشق (١٢/ ١٥٨) وإسناده ضعيف .

(٥) في الأصل : بزيغ ، والتصحيح من سنن أبي داود وكتب الرجال .

وقال الأصمعي : حدّثنا أبو عاصم النبيل ، حدّثنا أبو حفص الثقفي قال : خطب الحجاج يوماً فأقبل عن يمينه فقال : ألا إن الحجاج كافر ، ثم أطرق فقال : إن الحجاج كافر ، ثم أطرق فأقبل عن يساره فقال : ألا إن الحجاج كافر ، فعل ذلك مراراً ، ثم قال : كافر يا أهل العراق باللّات والعزّى[١] .

وقال حنبل بن إسحاق : حدّثنا هارون بن معروف ، حدّثنا ضمرة ، حدّثنا ابن شوذب ، عن مالك بن دينار قال : بينما الحجاج يخطبنا يوماً إذ قال : الحجاج كافر ، قلنا : ما له ؟ أي شيء يريد ؟ قال : الحجاج كافر بيوم الأربعاء والبغلة الشهباء .

وقال الأصمعي : قال عبد الملك يوماً للحجاج : ما من أحد إلا وهو يعرف عيب نفسه . فصف عيب نفسك ، فقال : اعفني يا أمير المؤمنين ، فأبى ، فقال : أنا لجوج حقود حسود ، فقال عبد الملك : ما في الشيطان شر مما ذكرت[٢] . وفي رواية أنه قال : إذاً بينك وبين إبليس نسب .

وبالجملة فقد كان الحجاج نقمة على أهل العراق بما سلف لهم من الذنوب والخروج على الأئمة ، وخذلانهم لهم ، وعصيانهم ، ومخالفتهم ، والافتئات عليهم .

قال يعقوب بن سفيان : حدّثنا أبو صالح عبد الله بن صالح ، حدّثني معاوية بن صالح ، عن شريح بن عبيد عمن حدثه قال : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فأخبره أن أهل العراق حصبوا أميرهم فخرج غضبان ، فصلى لنا صلاة فسها فيها ، حتى جعل الناس يقولون : سبحان الله ، سبحان الله ، فلما سلّم أقبل على الناس فقال : من هاهنا من أهل الشام ؟ فقام رجل ، ثم قام آخر ، ثم قمت أنا ثالثاً أو رابعاً ، فقال : يا أهل الشام استعدوا لأهل العراق ، فإن الشيطان قد باض فيهم وفرّخ ، اللهم إنهم قد لبسوا عليهم فالبس عليهم وعجل عليهم بالغلام الثقفي ، يحكم فيهم بحكم الجاهلية ، لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم[٣] . وقد رويناه في كتاب مسند عمر بن الخطاب من طريق أبي عذبة الحمصي عن عمر مثله .

وقال عبد الرزاق : حدّثنا جعفر بن سليمان ، عن مالك بن دينار ، عن الحسن قال علي بن أبي طالب : اللهم كما ائتمنتهم فخانوني ، ونصحت لهم فغشوني ، فسلّط عليهم فتى ثقيف الذيال الميال ، يأكل خضرتها ، ويلبس فروتها ، ويحكم فيها بحكم الجاهلية . قال يقول الحسن : وما خلق الحجاج يومئذ[٤] .

---

(١) الخبر في تاريخ دمشق (١٢/ ١٦٦) وتهذيبه (٤/ ٧٤ـ ٧٥) .
(٢) المصدر نفسه (١٢/ ١٦٧) .
(٣) تاريخ دمشق (١٢/ ١٦٨) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٢١) وتهذيب ابن عساكر (٤/ ٧٥) وذكره البيهقي في الدلائل عن أبي عذبة الحمصي .
(٤) دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٤٨٨) وتاريخ دمشق (١٢/ ١٦٨ـ١٦٩) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ـ ١٠٠/ ص٣٢١) وتهذيب ابن عساكر (٤/ ٧٥) وإسناده منقطع كما قال المصنف في دلائل النبوة من البداية والنهاية (٦/ ٢٣٨) .

ورواه معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن أيوب ، عن مالك بن أوس بن الحدثان ، عن علي أنه قال : الشاب الذيال أمير المصرين يلبس فروتها ويأكل خضرتها ، ويقتل أشراف أهلها ، يشتد منه الفرق ، ويكثر منه الأرق ، ويسلطه الله على شيعته .

وقال الحافظ البيهقي في « دلائل النبوة »[1] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدّثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي : حدّثنا سعيد بن مسعود . حدّثنا يزيد بن هارون ، أنبأ العوام بن حوشب ، حدّثني حبيب بن أبي ثابت . قال قال علي لرجل : لا متّ حتى تدرك فتى ثقيف ، قال : وما فتى ثقيف ؟ قال : ليقالن له يوم القيامة : اكفنا زاوية من زوايا جهنم ، رجل يملك عشرين سنة ، أو بضعاً وعشرين سنة ، لا يدع لله معصية إلا ارتكبها ، حتى لو لم يبق إلا معصية واحدة ، وكان بينه وبينها باب مغلق لكسره حتى يرتكبها ، يقتل بمن أطاعه من عصاه .

وقال الطبراني[2] : حدّثنا القاسم بن زكريا ، حدّثنا إسماعيل بن موسى السُّدِّي[3] ، حدّثنا علي بن مسهر ، عن الأجلح ، عن الشعبي ، عن أم حكيم بنت عمرو بن سنان الجدلية قالت : استأذن الأشعث بن قيس على عليٍّ فرده قنبر فأدمى أنفه فخرج عليٌّ فقال : ما لك وله يا أشعث ، أما والله لو بعبد ثقيف تحرشت لاقشعرت شعيرات استك ، قيل له : يا أمير المؤمنين ومن عبد ثقيف ؟ قال : غلام يليهم لا يبقى أهل بيت من العرب إلا ألبسهم ذلاً ، قيل كم يملك ؟ قال عشرين إن بلغ .

وقال البيهقي[4] أنبأنا أبو عبد الله الحافظ : أبنا الحسين بن الحسن بن أيوب ، حدّثنا أبو حاتم الرازي ، حدّثنا عبد الله بن يوسف بن التِّنيسي ، حدّثنا [هشام] بن يحيى الغساني[5] قال قال عمر بن عبد العزيز : لو تخابثت الأمم فجاءت كل أمة بخبيثها ، وجئنا بالحجاج لغلبناهم .

وقال أبو بكر بن عياش : عن عاصم بن أبي النجود أنه قال : ما بقيت لله عزَّ وجلَّ حرمة إلا وقد ارتكبها الحجاج[6] .

وقد تقدم الحديث « إن في ثقيف كذاباً ومبيراً » وقد ذكرنا شأن المختار هو الكذاب المذكور في هذا الحديث ، وقد كان يظهر الرفض أولاً ويبطن الكفر المحض ، وأما المبير فهو الحجاج بن يوسف هذا ، وقد كان ناصبيّاً يبغض علياً وشيعته في هوى آل مروان وبني أمية ، وكان جباراً عنيداً ، مقداماً على سفك الدماء بأدنى شبهة . وقد رُوي عنه ألفاظ بشعة شنيعة ظاهرها الكفر كما قدَّمنا . فإن كان قد تاب منها وأقلع

---

(١) دلائل النبوة (٦/ ٤٨٩) ومن طريقه رواه ابن عساكر في تاريخه (١٢/ ١٦٨ ـ ١٦٩) وإسناده ضعيف لانقطاعه .
(٢) المعجم الكبير (١/ ٢٣٧) رقم (٦٥١) ومن طريقه رواه ابن عساكر في تاريخه (١٢/ ١٦٩) وإسناده ضعيف .
(٣) في ط : « السدوسي » محرف ، وهو الفزاري ، من رجال التهذيب .
(٤) دلائل النبوة (٦/ ٤٨٩) .
(٥) في ط : الغاني ؛ خطأ ، والتصحيح من دلائل النبوة .
(٦) تهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٨٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٢٤) .

عنها ، وإلا فهو باقٍ في عهدتها ، ولكن قد يخشى أنها رويت عنه بنوع من زيادة عليه ، فإن الشيعة كانوا يبغضونه جداً لوجوه ، وربما حرّفوا عليه بعض الكَلِم . وزادوا فيما يحكونه عنه بشاعات وشناعات .

وقد روينا عنه أنه كان يتدين بترك المسْكر ، وكان يكثر تلاوة القرآن ، ويتجنب المحارم ، ولم يشتهر عنه شيء من التلطخ بالفروج ، وإن كان متسرعاً في سفك الدماء فالله تعالى أعلم بالصواب وحقائق الأمور وسرائرها ، وخفيات الصدور والضمائر .

[قلت : الحجاج أعظم ما نقم عليه وصح من أفعاله سفك الدماء ، وكفى به عقوبة عند الله عزَّ وجلَّ ، وقد كان حريصاً على الجهاد وفتح البلاد ، وكان فيه سماحة بإعطاء المال لأهل القرآن ، فكان يعطي على القرآن كثيراً ، ولما مات لم يترك فيما قيل إلا ثلثمائة درهم . والله أعلم][1] .

وقال المعافى بن زكريا الجريري المعروف بابن طَرارا البغدادي : حدّثنا محمد بن القاسم الأنباري ، حدّثنا أبي ، حدّثنا أحمد بن عبيد ، حدّثنا هشام بن محمد بن السّائب الكلبي ، حدّثنا عَوَانة بن الحكم الكلبي . قال : دخل أنس بن مالك على الحجاج بن يوسف فلما وقف بين يديه قال له : إيه إيه يا أنيس ، يوم لك مع علي ، ويوم لك مع ابن الزبير ، ويوم لك مع ابن الأشعث ، والله لأستأصلنك كما تستأصل الشاة . ولأدمغنك كما تدمغ الصمغة . فقال أنس : إياي يعني الأمير أصلحه الله ؟ قال : إياك أعني صك الله سمعك ، قال أنس : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والله لولا الصبية الصغار ما باليت أي قتلة قتلت . ولا أي ميتة مت ، ثم خرج من عند الحجاج فكتب إلى عبد الملك بن مروان يخبره بما قال له الحجاج ، فلما قرأ عبد الملك كتاب أنس استشاط غضباً ، وشفق عجباً ، وتعاظم ذلك من الحجاج ، كان كتاب أنس إلى عبد الملك :

بسم الله الرحمن الرحيم إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين من أنس بن مالك ، أما بعد : فإن الحجاج قال لي : هُجراً ، وأسمعني نكراً ، ولم أكن لذلك أهلاً ، فخذْلي على يديه ، فإني أمتُّ بخدمتي رسول الله ﷺ وصحبتي إياه ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

فبعث عبد الملك إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر ـ وكان مصادقاً للحجاج ـ فقال له : دونك كتابيّ هذين فخذهما واركب البريد إلى العراق ، وابدأ بأنس بن مالك صاحب رسول الله ﷺ فادفع كتابي إليه وأبلغه مني السلام ، وقل له : يا أبا حمزة قد كتبت إلى الحجاج الملعون كتاباً إذا قرأه كان أطوع لك من أَمَتِكَ ، وكان كتاب عبد الملك إلى أنس بن مالك :

بسم الله الرحمن الرحيم ! من عبد الملك بن مروان إلى أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت من شكايتك الحجاج ، وما سلطته عليك ولا أمرته بالإساءة إليك ، فإن عاد لمثلها اكتب إليّ بذلك أُنزل به عقوبتي ، وتحسن لك معونتي . والسلام .

---

(١) ما بينهما زيادة من ط .

فلما قرأ أنس كتاب أمير المؤمنين وأخبر برسالته قال : جزى الله أمير المؤمنين عني خيراً ، وعافاه وكفاه وكافأه بالجنة ، فهذا كان ظني به والرجاء منه . فقال إسماعيل بن عبيد الله لأنس : يا أبا حمزة إن الحجاج عامل أمير المؤمنين ، وليس بك عنه غنىً ، ولا بأهل بيتك ، ولو جعل لك في جامعة ثم دفع إليك ، فقاربه وداره [تعش معه بخير وسلام] . فقال أنس : أفعل إن شاء الله . ثم خرج إسماعيل من عند أنس فدخل على الحجاج ، فلما رآه الحجاج قال : مرحباً برجل أُحبه وكنت أُحب لقاءه ، فقال إسماعيل : أنا والله كنت أحب لقاءك في غير ما أتيتك به [فتغيّر لون الحجاج وخاف] وقال : ما أتيتني به ؟ قال : فارقت أمير المؤمنين وهو أشد الناس غضباً عليك ، ومنك بعداً ، قال : فاستوى الحجاج جالساً مرعوباً ، فرمى إليه إسماعيل بالطومار فجعل الحجاج ينظر فيه مرة ويعرق ، وينظر إلى إسماعيل أخرى ، فلما فضه قال : قم بنا إلى أبي حمزة نعتذر إليه ونترضاه ، فقال له إسماعيل : لا تعجل ! فقال : كيف لا أعجل وقد أتيتني بآبدة ؟ وكان في الطومار :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف ، أما بعد فإنك عبد طمت بك الأمور ، فسموت فيها وعدوت طورك ، وجاوزت قدرك ، وركبت داهية إدّاً ، وأردت أن تبرزني[1] فإن سوغتكها مضيت قدماً ، وإن لم أسوغكها رجعت القهقرى ، فلعنك الله من عبد أخفش العينين ، منقوص الجاعرتين . أنسيت مكاسب آبائك بالطائف ، وحفرهم الآبار ، ونقلهم الصخور على ظهورهم في المناهل ، يا بن المستفرمة بعجم الزبيب ، والله لأغمزنك غمز اللّيث الثعلب ، والصقر الأرنب . وثبت على رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بين أظهرنا ، فلم تقبل له إحسانه ، ولم تتجاوز له عن إساءته ، جرأة منك على الرب عزَّ وجلَّ ، واستخفافاً منك بالعهد ، والله لو أن اليهود والنصارى رأت رجلاً خدم عزير بن عزرى ، وعيسى بن مريم ، لعظَّمته وشرفته وأكرمته وأحبته [بل لو رأوا من خدم حمار العزير أو خدم حواري المسيح لعظموه وأكرموه][2] فكيف وهذا أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ ثماني سنين ، يطلعه على سره ، ويشاوره في أمره ، ثم هو مع هذا بقية من بقايا أصحابه ، فإذا قرأت كتابي هذا فكن أطوع له من خفه ونعله ، وإلا أتاك مني سهم مثكل بخسفٍ قاض[3] ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام : ٦٧][4] وقد تكلم ابن طرارا على ما وقع في هذا الكتاب من الغريب ، وكذلك ابن قتيبة وغيرهما من أئمة اللغة ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد[5] : حدّثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان ، عن الزبير ـ يعني ابن عدي ـ

---

(١) في ط : تبدو لي ، وما أثبت عن تهذيب تاريخ دمشق .
(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط ، ليست في تاريخ دمشق .
(٣) في ط : سهم بكل حتفٍ قاص ؛ وما أثبت عن أ ، ب وتهذيب تاريخ دمشق .
(٤) نص الكتاب في تاريخ دمشق (١٢/ ١٧١ ـ ١٧٣) وتهذيبه (٤/ ٧٧ ـ ٧٨) .
(٥) مسند الإمام أحمد (٣/ ١٣٢ و١٧٧) وتاريخ دمشق (١٢/ ١٧٤) .

قال : أتينا أنس بن مالك نشكو إليه ما نلقى من الحجاج ، فقال : اصبروا فإنه لا يأتي عليكم عام أو زمان أو يوم إلا والذي بعده شرٌّ منه ، حتى تلقوا ربكم عزَّ وجلَّ ، سمعته من نبيكم ﷺ وهكذا رواه البخاري[١] عن محمد بن يوسف ، عن سفيان وهو الثوري ، عن الزُّبير بن عدي ، عن أنس قال : « لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه » الحديث . قلت : ومن الناس من يروي هذا الحديث بالمعنى فيقول : كل عام ترذلون . وهذا اللفظ لا أصل له ، وإنما هو مأخوذ من معنى هذا الحديث ، والله أعلم[٢] .

وقد قال سفيان الثوري : عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي . قال : يأتي على الناس زمان يصلّون فيه على الحَجَّاج[٣] .

وقال أبو نعيم : عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي السفر . قال : قال الشعبي : والله لئن بقيتم لتمنَّون الحجَّاج .

وقال الأصمعي : قيل للحسن : إنك تقول : الآخر شر من الأول ، وهذا عمر بن عبد العزيز بعد الحَجّاج . فقال الحسن : لا بد للناس من متنفسات[٤] .

وقال ميمون بن مهران : بعث الحجاج إلى الحسن وقد همّ به ، فلما قام بين يديه قال : يا حجاج كم بينك وبين آدم من أب ؟ قال : كثير ، قال : فأين هم ؟ قال : ما توا قال : فنكّس الحجاج رأسه وخرج الحسن .

وقال أيوب السختياني : إن الحجاج أراد قتل الحسن مراراً فعصمه الله منه ، وقد ذكر له معه مناظرات ، على أن الحسن لم يكن ممن يرى الخروج عليه ، وكان ينهى أصحاب ابن الأشعث عن ذلك ،

---

(١) صحيح البخاري رقم (٧٠٦٨) في الفتن .

(٢) بعدها في ط التعليق التالي وواضح أنه من زيادة النساخ أو تلاميذ المؤلف رحمه الله . فالفتنة التيمورية بعد عصر المؤلف .
قلت : قد مر بي مرة من كلام عائشة مرفوعاً وموقوفاً : « كل يوم ترذلون » ورأيت للإمام أحمد كلاماً قال فيه : وروي في الحديث : « كل يوم ترذلون نسماً خبيثاً » فيحتمل هذا أنه وقع للإمام أحمد مرفوعاً ، ومثل أحمد لا يقول هذا إلا عن أصل ، وقد رُوي عن الحسن مثل ذلك ، والله أعلم . فدلّ على أن له أصلاً إما مرفوعاً وإما من كلام السلف ، لم يزل يتناوله الناس قرناً بعد قرن ، وجيلاً بعد جيل ، حتى وصل إلى هذه الأزمان ، وهو موجود في كل يوم ، بل في كل ساعة تفوح رائحته ، ولاسيما من بعد فتنة تمرلنك ، وإلى الآن نجد الرذالة في كل شيء ، وهذا ظاهر لمن تأمله ، والله سبحانه وتعالى أعلم . أقول : لا أصل له مرفوعاً ، كما قال المؤلف رحمه الله ، وإنما قال بعضهم : هو من كلام الحسن البصري .

(٣) تاريخ دمشق (١٢/ ١٧٥) . وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٧٨) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٢٢) .

(٤) في ط : تنفيسات ، وما أثبت يوافق تاريخ دمشق (١٢/ ١٧٥) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٧٨) .

وإنما خرج معهم مكرهاً كما قدَّمنا ، وكان الحسن يقول : إنما هو نقمة فلا تقابلوا نقمة الله بالسيف ، وعليكم بالصبر والسكينة والتضرع[١] .

وقال ابن دريد عن الحسن بن الخضر عن ابن عائشة . قال : أتى الوليد بن عبد الملك رجل من الخوارج فقيل له : ما تقول في أبي بكر وعمر ؟ فأثنى خيراً ، قال فعثمان ؟ فأثنى خيراً [قيل له : فما تقول في علي ؟ فأثنى خيراً ، فذكر له الخلفاء واحداً بعد واحد ، فيثني على كل بما يناسبه][٢] حتى قيل له : فما تقول في عبد الملك بن مروان ؟ فقال : الآن جاءت المسألة ، ما أقول في رجل الحجاج خطيئة من بعض خطاياه ؟[٣] .

وقال الأصمعي : عن علي بن مسلم الباهلي قال : أُتي الحجاج بامرأة من الخوارج فجعل يكلمها وهي لا تنظر إليه ولا ترد عليه كلاماً ، فقال لها بعض الشرط : يكلمك الأمير وأنت معرضة عنه ؟ فقالت : إني لأستحي من الله أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه ، فأمر بها فقتلت[٤] .

وقد ذكرنا في سنة أربع وتسعين كيفية مقتل الحجاج لسعيد بن جبير ، وما دار بينهما من الكلام والمراجعة .

وقد قال أبو بكر بن أبي خيثمة : حدّثنا أبو ظفر ، حدّثنا جعفر بن سليمان ، عن بسطام بن مسلم ، عن قتادة قال قيل لسعيد بن جبير : خرجت على الحَجّاج ؟ قال : إني والله ما خرجت عليه حتى كفر[٥] . ويقال إنه لم يقتل بعده إلا رجلاً واحداً اسمه ماهان ، وكان قد قتل قبله خلقاً كثيراً ، أكثرهم ممن خرج مع ابن الأشعث .

وقال أبو عيسى الترمذي[٦] : حدّثنا أبو داود سليمان بن سَلْم[٧] البلخي ، حدّثنا النضر بن شميل ، عن هشام بن حَسَّان قال : أحصوا ما قتل الحجاج صبراً فبلغ مئة ألف وعشرين ألفاً .

قال الأصمعي : حدّثنا أبو عاصم ، عن عَبّاد بن كثير ، عن قَحْذَم قال : أطلق سليمان بن عبد الملك في غداة واحدة أحداً وثمانين ألف أسير ، وعرضت السجون بعد الحجَّاج فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفاً ، لم يجب على أحد منهم قطع ولا صلب[٨] .

---

(١) الخبر والذي قبله في تاريخ دمشق (١٢ / ١٧٥ ـ ١٧٦) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٧٩ ـ ٨٠) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٢٢) عن مالك بن دينار .
(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط .
(٣) الخبر في تاريخ دمشق (١٢/ ١٧٩ ـ ١٨٠) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٨١) .
(٤) المصدر نفسه .
(٥) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٢٣) .
(٦) جامع الترمذي رقم (٢٢٢٠) في الفتن ، وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٨٣) .
(٧) في ط : « سليمان بن مسلم » محرف ، وهو من رجال التهذيب .
(٨) تهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٨٣) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٢٣) .

وكان فيمن حبس أعرابي وُجد يبول في أصل ربض مدينة واسط ، وكان فيمن أُطلق فأنشأ يقول :

إذا نحنُ جاوزنا مدينةَ واسطٍ خرينا وصلينا بغير حسابِ[١]

وقد كان الحجاج مع هذا العنف الشديد لا يستخرج من خراج العراق كبير أمر .

قال ابن أبي الدنيا وإبراهيم الحربي : حدّثنا سليمان بن أبي شيخ[٢] ، حدّثنا صالح بن سليمان قال : قال عمر بن عبد العزيز : لو تخابثت الأمم فجاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم ، وما كان الحجاج يصلح لدنيا ولا لآخرة لقد ولي العراق وهو أوفر ما يكون في العمارة ، فأَخَسَّ به إلى أن صيَّره إلى أربعين ألف ألف ، ولقد أدّى إليّ عمالي في عامي هذا ثمانين ألف ألف ، وإن بقيت إلى قابل رجوت أن يؤدي إليّ ما أُدّي إلى عمر بن الخطاب مئة ألف ألف وعشرة آلاف ألف[٣] .

وقال أبو بكر بن المقري : حدّثنا أبو عروبة ، حدّثنا عمرو بن عثمان ، حدّثنا أبي : سمعت جدي قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة : بلغني أنك تستن بسنن الحجاج فلا تستن بسنته ، فإنه كان يصلِّي الصلاة لغير وقتها ، ويأخذ الزكاة من غير حقها ، وكان لما سوى ذلك أضيع[٤] .

وقال يعقوب بن سفيان : حدّثنا سعيد بن أسد ، حدّثنا ضمرة ، عن الرَّيَّان بن مسلم . قال : بعث عمر بن عبد العزيز بآل بيت أبي عقيل ـ أهل بيت الحجاج ـ إلى صاحب اليمن وكتب إليه : أما بعد فإني قد بعثت بآل أبي عقيل وهم شرّ بيت في العرب ، ففرّقهم في العمل على قدر هوانهم على الله وعلينا ، وعليك السلام . وإنما نفاهم[٥] .

وقال الأوزاعي : سمعت القاسم بن مُخيمرة يقول : كان الحجاج ينقض عرى الإسلام[٦] ، وذكر حكاية .

وقال أبو بكر بن عياش : عن عاصم : لم يبق لله حرمة إلا ارتكبها الحَجَّاج بن يوسف[٧] .

وقال يحيى بن عيسى الرملي ، عن الأعمش : اختلفوا في الحَجاج فسألوا مجاهداً فقال : تسألون عن الشيخ الكافر ؟! .

---

(١) الخبر في تاريخ دمشق (١٢/ ١٨٤) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٨٣) والعقد الفريد (٣/ ١٧) وفيه الشطر الثاني :
خرينا وبلنا لا نخاف عقابا

(٢) في ط : « سنح » محرف .

(٣) تاريخ دمشق (١٢/ ١٨٥) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٨٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٢٣ ـ ٣٢٤).

(٤) تاريخ دمشق (١٢/ ١٨٧) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٨٣) .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) تاريخ دمشق (١٢/ ١٨٨) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٨٤) .

(٧) تهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٨٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٢٤) .

وروى ابن عساكر[١] : عن الشعبي أنه قال : الحجاج مؤمن بالجبت والطاغوت ، كافر بالله العظيم . [كذا قال والله أعلم] .

وقال الثوري : عن معمر ، عن طاووس عن أبيه قال : عجباً لإخواننا من أهل العراق يسمون الحجاج مؤمناً[٢] ؟!

وقال الثوري : عن ابن عون : سمعت أبا وائل يسأل عن الحجاج : أتشهد أنه من أهل النار ؟ قال أتأمروني أن أشهد على الله العظيم .

وقال الثوري عن منصور : سألت إبراهيم عن الحَجّاج أو بعض الجبابرة فقال : أليس الله يقول ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود : ١٨] وبه قال إبراهيم وكفى بالرجل عمى أن يعمى عن أمر الحجاج[٣] .

وقال سلام بن أبي مطيع لأنا بالحجاج أرجى مني لعمرو بن عبيد ، لأن الحجاج قتل الناس على الدنيا ، وعمرو بن عبيد أحدث للناس بدعة شنعاء ، قتل الناس بعضهم بعضاً[٤] .

وقال الزبرقان : سببت الحَجّاج يوماً عند أبي وائل فقال : لا تسبه لعله قال يوماً اللهم ارحمني فيرحمه ، إياك ومجالسة من يقول أرأيت أرأيت .

وقال عوف : ذكر الحَجّاج عند محمد بن سيرين فقال : مسكين أبو محمد ، إن يعذبه الله عزَّ وجلَّ فبذنبه ، وإن يغفر له فهنيئاً له ، وإن يلق الله بقلب سليم فهو خير منا ، وقد أصاب الذنوب من هو خير منه . فقيل له : ما القلب السليم ؟ قال : أن يعلم الله تعالى منه الحياء والإيمان ، وأن يعلم أن الله حق ، وأن الساعة حق قائمة ، وأن الله يبعث من في القبور[٥] .

وقال أبو قاسم البغوي[٦] : حدّثنا أبو سعيد ، حدّثنا أبو أسامة قال : قال رجل لسفيان الثوري : أتشهد على الحجاج وعلى أبي مسلم[٧] أنهما في النار ؟ قال : لا ! إذا أقرّا بالتوحيد .

وقال الرياشي : حدّثنا عباس[٨] الأزرق ، عن السَّري بن يحيى ، قال : مَرّ الحجاج في يوم جمعة

---

(١) تاريخ دمشق (١٢/ ١٨٧) .
(٢) تاريخ دمشق (١٢/ ١٨٨) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٨٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٢٤) .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) تاريخ دمشق (١٢/ ١٨٩ ـ ١٩٠) .
(٥) تاريخ دمشق (١٢/ ١٩٠) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٨٤) .
(٦) رواه ابن عساكر في تاريخه (١٢/ ١٩٠) .
(٧) في ط : « أبي مسلم الخراساني » ، وهو بعيد والمقصود بأبي مسلم رحمه الله ـ والله أعلم ـ يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج وسيّافه ؛ فهذه كنيته .
(٨) تحرفت في (أ) إلى : عياش .

فسمع استغاثة فقال : ما هذا ؟ فقيل أهل السجون يقولون قتلنا الحر ، فقال : قولوا لهم : ﴿ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون : ١٠٨] قال : فما عاش بعد ذلك إلا أقل من جمعة(١) .

وقال بعضهم : رأيته وهو يأتي الجمعة وقد كاد يهلك من العلة .

وقال الأصمعي : لما مرض الحجاج أرجف الناس بموته فقال في خطبته : إن طائفة من أهل الشقاق والنفاق نزغ الشيطان بينهم(٢) فقالوا : مات الحجاج ، ومات الحجاج فمه ؟! فهل يرجو الحجاج الخير إلا بعد الموت ؟ والله ما يسرني أن لا أموت وأن لي الدنيا وما فيها ، وما رأيت الله رضي التخليد إلا لأهون خلقه عليه إبليس ، قال الله له ﴿ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٥] فأنظره إلى يوم الدين ، ولقد دعا الله العبد الصالح فقال ﴿ وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾ [ص : ٣٥] فأعطاه الله ذلك إلا البقاء(٣) . [ولقد طلب العبد الصالح الموت بعد أن تم له أمره ، فقال ﴿ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [يوسف : ١٠١] فما عسى أن يكون أيها الرجل ، وكلكم ذلك الرجل ، كأني والله بكل حي منكم ميتاً ، وبكل رطب يابساً ، ثم نقل في أثياب أكفانه [فخد له في الأرض] ثلاثة أذرع(٤) طولاً في ذراع عرضاً ، فأكلت لحمه ، ومصّت صديده ، وانصرف الحبيب من ولده يقسم الحبيب من ماله ، إن الذين يعقلون ما أقول ، ثم نزل(٥) .

وقال إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني ، عن أبيه ، عن جده ، عن عمر بن عبد العزيز أنه قال : ما حسَدْتُ الحَجَّاج عدو الله على شيء حَسَدي إياه على حُبّه القرآن وإعطائه أهله عليه ، وقوله حين حضرته الوفاة : اللهم اغفر لي فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل(٦) .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدّثنا علي بن الجعد ، حدّثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون ، عن محمد بن المنكدر . قال : كان عمر بن عبد العزيز يبغض الحجاج فنفس عليه بكلمة قالها عند الموت : اللهم اغفر لي فإنهم يزعمون أنك لا تفعل(٧) .

---

(١) تاريخ دمشق (١٢/ ١٩٢) وتهذيب تاريخ دمشق (٨٤ ـ ٨٥) ومروج الذهب (٣/ ١٦٧) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٢٥) .

(٢) في مروج الذهب وتاريخ الإسلام : نفخ الشيطان في مناخرهم .

(٣) في مروج الذهب (٣/ ١٦٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠/ ص٣٢٥) : ثم اضمحل فكأن لم يكن .

(٤) في مروج الذهب وتاريخ الإسلام : وبكل امرىء في ثياب طهور إلى بيت حفرته فخد له في الأرض خمسة أذرع طولاً في ذراعين عرضاً .

(٥) مروج الذهب (٣/ ١٤٢ ـ ١٤٣) والعقد الفريد (٣/ ١٧) وتاريخ دمشق (١٢/ ١٩٣) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٨٥) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٢٥) .

(٦) تاريخ دمشق (١٢/ ١٩٤) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٨٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٢٦) .

(٧) المصدر نفسه .

قال : وحدّثني بعض أهل العلم . قال : قيل للحسن : إن الحَجّاج قال عند الموت كذا وكذا ، قال : قالها ؟ قالوا : نعم ! قال : فما عسى[١] .

وقال أبو العباس المرّي : عن الرياشي عن الأصمعي قال : لما حضرت الحجاج الوفاة أنشأ يقول :

يا ربّ قدْ حلفَ الأعداءُ واجتهدوا ... بأنني رجل منْ ساكني النّارِ
أيحلفونَ على عمياء ويحهمُ ... ما علمهمْ بكثير العفو جَبَّار[٢]

قال فأخبر بذلك الحسن فقال : بالله إن نجا لينجونّ بهما . وزاد بعض الناس :

إنّ الموالي إذا شابتْ عبيدهم ... في رقهم عتقوهمْ عتقَ أبرارِ
وأنتَ يا خالقي أولى بذا كرماً ... قد شبتُ في الرِّق فاعتقني منَ النارِ

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثنا أحمد بن عبد الله التّيمي قال : لما مات الحجاج لم يعلم أحد بموته حتى أشرفت جارية فبكت فقالت : ألا إن مطعم الطعام [وميتم الأيتام ، ومرمل النساء] ومفلق الهام وسيد أهل الشام قد مات ، ثم أنشأت تقول :

اليوم يرحمنا من كان يبغضنا ... واليوم يأمننا من كان يخشانا[٣]

وروى عبد الرزاق[٤] : عن معمر ، عن ابن طاووس ، عن أبيه : أنه أخبر بموت الحجاج مراراً فلما تحقق وفاته قال : ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٤٥] .

وروى غير واحد أن الحسن لما بشر بموت الحجاج سجد شكراً لله عزَّ وجلَّ ، وكان مختفياً فظهر[٥] .

وقال : اللهم أمتّه فأذهب عنا سنته .

وقال حماد بن أبي سليمان : لما أخبرتُ إبراهيم النخعي بموت الحجاج بكى من الفرح .

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : حدّثنا سليمان بن أبي شيخ ، حدّثنا صالح بن سليمان قال : قال زياد بن الربيع بن الحارث لأهل السجن : يموت الحجاج في مرضه هذا في ليلة كذا وكذا ، فلما كانت الليلة لم ينم أهل السجن فرحاً ، جلسوا ينظرون حتى يسمعوا الناعية .

وذلك ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان ، وقيل كان ذلك لخمس بقين من رمضان ، وقيل في شوال

---

(١) تاريخ دمشق (١٢/ ١٩٤) وفي تاريخ الإسلام (ص٣٢٦) قريباً منه .

(٢) في ط : بعظيم العفو غفار . وكذلك في تهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٨٥) والخبر مع الأبيات في تاريخ دمشق (١٢/ ١٩٤ ـ ١٩٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٢٦) .

(٣) تاريخ دمشق (١٢/ ١٩٥) .

(٤) ومن طريق عبد الرزاق رواه ابن عساكر (١٢/ ١٩٥) .

(٥) تاريخ دمشق (٢/ ١٩٦) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٨٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٢٦) .

من هذه السنة ، وكان عمره إذ ذاك خمساً وخمسين سنة[١] ، لأن مولده كان عام الجماعة سنة أربعين ، وقيل بعدها بسنة ، وقيل قبلها بسنة ، توفي بواسط وعُفي قبره ، وأجري عليه الماء لكيلا ينبش ويحرق[٢] . والله أعلم .

وقال الأصمعي : ما كان أعجب حال الحجاج ، ما ترك إلا ثلاثمئة درهم .

وقال الواقدي : حدّثنا عبد الله بن محمد بن عبيد ، حدّثني عبد الرحمن بن عبيد الله بن فرق : حدّثنا عمي قال : زعموا أن الحجاج لما مات لم يترك إلا ثلاثمئة درهم ومصحفاً وسيفاً وسرجاً ورحلاً ومئة درع موقوفة[٣] .

وقال شهاب بن خراش : حدّثني عمي يزيد بن حوشب قال : بعث إليّ أبو جعفر المصنور فقال : حدّثني بوصية الحَجَّاج بن يوسف ، فقال : اعفني يا أمير المؤمنين ، فقال : حدِّثني بها ، فقلت : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به الحجاج بن يوسف أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأنه لا يعرف إلا طاعة الوليد بن عبد الملك ، عليها يحيا ، وعليها يموت ، وعليها يبعث ، وأوصى بتسعمئة درع حديد ، ستمئة منها لمنافقي أهل العراق يغزون بها ، وثلاثمئة للترك . قال : فرفع أبو جعفر رأسه إلى أبي العباس الطوسي ـ وكان قائماً على رأسه ـ فقال : هذه والله الشيعة لا شيعتكم .

وقال الأصمعي عن أبيه قال : رأيت الحجاج في المنام فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : قتلني بكل قتلة قتلت بها إنساناً[٤] ، قال : ثم رأيته بعد الحول فقلت : يا أبا محمد ما صنع الله بك ؟ فقال : يا ماص بظر أمه أما سألت عن هذا عام أول ؟ .

وقال القاضي أبو يوسف : كنت عند الرشيد فدخل عليه رجل فقال . يا أمير المؤمنين رأيت الحجاج البارحة في النوم ، قال : في أي زيّ رأيته ؟ قال : في زي قبيح . فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : ما أنت وذاك يا ماصّ بظر أمه ! فقال هارون : صدقت والله ، أنت رأيت الحجاج حقاً ، ما كان أبو محمد ليدع صَرَامته حياً وميتاً[٥] .

وقال حنبل بن إسحاق : حدّثنا هارون بن معروف ، حدّثنا ضمرة ، حدّثنا ابن شوذب ، عن أشعث الحُداني[٦] .

---

(١) قال الذهبي في تاريخ الإسلام : قلت عاش خمساً وخمسين سنة .
(٢) وفيات الأعيان (٢/ ٥٣) .
(٣) تاريخ دمشق (١٢/ ١٩١) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٨٤) .
(٤) تاريخ دمشق (١٢/ ٢٠١) .
(٥) المصدر نفسه .
(٦) في ط : الخراز ، وفي أ : الحراب ؛ وكلاهما تحريف ، والتصحيح من تاريخ دمشق .

قال : رأيت الحجاج في المنام في حال سيئة فقلت : يا أبا محمد ما صنع بك ربك ؟ قال : ما قتلت أحداً قتلة إلا قتلني بها . قال ثم أمر بي إلى النار ، قلت : ثم مه ، قال ثم أرجو ما يرجو أهل لا إله إلا الله . قال : وكان ابن سيرين يقول : إني لأرجو له ، فبلغ ذلك الحسن فقال : أما والله ليخلفن الله رجاءه فيه .

وقال أحمد بن أبي الحواري : سمعت أبا سليمان الداراني يقول : كان الحسن البصري لا يجلس مجلساً إلا ذكر فيه الحجاج فدعا عليه ، قال : فرآه في منامه فقال له : أنت الحجاج ؟ قال : أنا الحجاج ، قال : ما فعل الله بك ؟ قال : قتلت بكل قتيل قتلته ثم عزلت مع الموحدين . قال : فأمسك الحسن بعد ذلك عن شتمه(١) . والله أعلم .

[وقال ابن أبي الدنيا : حدّثنا حمزة بن العباس ، حدّثنا عبد الله بن عثمان ، أبنا ابن المبارك ، أنبأنا سفيان . قال : قدم الحجاج على عبد الملك بن مروان وافداً ومعه معاوية بن قرة ، فسأل عبد الملك معاوية عن الحَجّاج فقال : إن صدقناكم قتلتمونا ، وإن كذبناكم خشينا الله عزَّ وجلَّ ، فنظر إليه الحَجّاج فقال له عبد الملك : لا تعرض له ، فنفاه إلى السند فكان له بها مواقف](٢) .

وممن توفي في هذه السنة أعني سنة خمس وتسعين :

إبراهيم بن يزيد النخعي(٣) [قال : كنا إذا حضرنا جنازة أو سمعنا بميت عُرِف ذلك فينا أياماً ، لأنا قد عرفنا أنه نزل به أمر صيَّره إلى الجنة أو إلى النار ، وإنكم تتحدثون في جنائزكم بأحاديث دنياكم .

وقال : لا يستقيم رأي إلا بروِيَّة ، ولا روية إلا برأي .

وقال : إذا رأيت الرجل يتهاون بالتكبيرة الأولى فاغسل يديك من فلاحه .

وقال : إني لأرى الشيء مما يعاب فلا يمنعني من عيبه إلا مخافة أن أُبتلى به .

وبكى عند موته فقيل له ما يبكيك ؟ فقال : انتظار ملك الموت ، ما أدري يبشرني بجنة أو بنار](٤) .

والحسن بن محمد ابن الحنفية(٥) ، كنيته أبو محمد ، كان المقدم على إخوته ، وكان عالماً فقيهاً عارفاً بالاختلاف والفقه والتفسير .

---

(١) تاريخ دمشق (١٢/ ٢٠٢) .

(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط .

(٣) ترجمة ـ إبراهيم النخعي ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ٢٧٠ ـ ٢٨٤) وتاريخ خليفة (٣١٣) وطبقاته (١٥٧) وتاريخ البخاري (١/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤) وحلية الأولياء (٤/ ٢١٩ـ٢٤٠) وتهذيب الكمال (٢/ ٢٣٣ ـ ٢٤٠) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٧٩ ـ ٢٨٣) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٢٠ـ٥٢٩) والوافي بالوفيات (٦/ ١٦٩) وتهذيب التهذيب (١/ ١٧٧ ـ ١٧٩) وشذرات الذهب (١/ ٣٨٧) .

(٤) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وهي توافق ما ورد في حلية الأولياء .

(٥) ترجمة ـ الحسن بن محمد ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٣٢٨) وطبقات خليفة (٢٣٩) وتاريخ البخاري (٢/ ٣٠٥)=

وكان من ظرفاء بني هاشم وعقلائهم ، ولا عقب له .

قال أيوب السّختياني وغيره : كان أول من تكلَّم في الإرجاء ، وكتب في ذلك رسالة ثم ندم عليها[١] .

وقال غيرهم : كان يتوقف في عثمان وعلي وطلحة والزبير ، فلا يتولاهم ولا يذمهم ، فلما بلغ ذلك أباه محمد بن الحنفية ضربه فشجه وقال : ويحك ألا تتولى أباك علياً[٢] ؟

وقال أبو عبيد : توفي سنة خمس وتسعين .

وقال خليفة : توفي في أيام عمر بن عبد العزيز والله أعلم .

حميد بن عبد الرحمن[٣] بن عوف الزهري [وأمه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وهي أخت عثمان بن عفان لأمه ، وكان حميد فقيهاً نبيلاً عالماً ، له روايات كثيرة][٤] .

ومطرف بن عبد الله بن الشخير[٥] ، وكل هؤلاء لهم تراجم في كتابنا « التكميل »[٦] .

وفيها كان موت الحجاج [بواسط] كما تقدم ذلك مبسوطاً مستقصى ولله الحمد .

وفيها كان مقتل سعيد بن جبير في قول علي بن المدائني وجماعة ، والمشهور أنه كان في سنة أربع وتسعين كما ذكره ابن جرير[٧] وغير واحد والله أعلم .

= والمعرفة والتاريخ (١/ ٥٤٣) ومواضع أخرى ، وتاريخ دمشق (١٣/ ٣٧٣ ـ ٣٨١) وتهذيبه (٤/ ٢٤٨ ـ ٢٥٠) ووفيات الأعيان (٢/ ٣٩٩) وتهذيب الكمال (٦/ ٣١٩) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص٣٣١ ـ ٣٣٤) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٣٠ ـ ١٣١) والوافي بالوفيات (١٢/ ٢١٣ ـ ٢١٤) وتهذيب التهذيب (٢/ ٣٢٠ ـ ٣٢١) والنجوم الزاهرة (١/ ٢٢٧) .

(١) طبقات ابن سعد (٥/ ٣٢٨) وتهذيب الكمال (٦/ ٣٢١) .

(٢) تهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٣٤٩) وتهذيب الكمال (٦/ ٣٢١ ـ ٣٢٢) .

(٣) ترجمة ـ حميد بن عبد الرحمن ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ١٥٣) وتاريخ خليفة (٣٣٦) وطبقاته (٢٤٢) وتاريخ البخاري (٢/ ٣٤٥) ووفيات الأعيان (٤/ ٢٨٤) وأسد الغابة (٢/ ٥٤) وتهذيب الكمال (٧/ ٣٧٨ ـ ٣٨١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٣٧) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤) والوافي بالوفيات (١٣/ ١٩٥) وتهذيب التهذيب (٢/ ٥٤) .

(٤) ما بين معكوفين زيادة من ط وهي توافق ما في المصادر .

(٥) ترجمة ـ مطرف بن عبد الله ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ١٤١ ـ ١٤٦) وتاريخ خليفة (١٩٧) وطبقاته (١٩٧) وتاريخ البخاري (٧/ ٣٩٦) وحلية الأولياء (٢/ ١٩٨ ـ ٢١٢) وتهذيب الكمال (٢٨/ ٦٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٧٩ ـ ٤٨٢) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٨٧ ـ ١٩٥) والإصابة (٣/ ٤٧٨ ـ ٤٧٩) وتهذيب التهذيب (١٠/ ١٧٣ ـ ١٧٤) والنجوم الزاهرة (١/ ٢١٤) وشذرات الذهب (١/ ٣٨٧) .

(٦) سبق وأن عرّفنا بكتاب التكميل للمؤلف رحمه الله .

(٧) تاريخ الطبري (٦/ ٤٨٧) .

ثم دخلت سنة ست وتسعين

وفيها فتح قتيبة بن مسلم رحمه الله تعالى كاشغر[١] من أرض الصين وبعث إلى ملك الصين رسلاً يتهدده ويتوعده ويقسم بالله لا يرجع حتى يطأ بلاده ويختم ملوكهم وأشرافهم ، ويأخذ الجزية [منهم أو يدخلوا في الإسلام] فدخل الرسل على الملك [الأعظم فيهم ، وهو في مدينة عظيمة ، يقال إن عليها تسعين باباً في سورها المحيط بها يقال لها خان بالق ، من أعظم المدن وأكثرها ريعاً ومعاملات وأموالاً ، حتى قيل إن بلاد الهند مع اتساعها كالشامة في ملك الصين لا يحتاجون إلى أن يسافروا في ملك غيرهم لكثرة أموالهم ومتاعهم ، وغيرهم محتاج إليهم لما عندهم من المتاع والدنيا المتسعة ، وسائر ملوك تلك البلاد تؤدي إلى ملك الصين الخراج ، لقهره وكثرة جنده وعدده . والمقصود أن الرسل لما دخلوا على ملك الصين وجدوا مملكة عظيمة حصينة ذات أنهار وأسواق وحسن وبهاء ، فدخلوا عليه في قلعة عظيمة حصينة ، بقدر مدينة كبيرة ، فقال لهم ملك الصين : ما أنتم ؟ ـ وكانوا ثلاثمائة رسول عليهم هبيرة[٢] ـ فقال الملك لترجمانه : قل لهم : ما أنتم وما تريدون ؟ فقالوا : نحن رسل قتيبة بن مسلم ، وهو يدعوك إلى الإسلام ، فإن لم تفعل فالجزية ، فإن لم تفعل فالحرب . فغضب الملك وأمر بهم إلى دار ، فلما كان الغد دعاهم فقال لهم : كيف تكونون في عبادة إلٓهكم ؟ فصلّوا الصلاة على عادتهم فلما ركعوا وسجدوا ضحك منهم ، فقال : كيف تكونون في بيوتكم ؟ فلبسوا ثياب مهنهم ، فأمرهم بالانصراف ، فلما كان من الغد أرسل إليهم فقال : كيف تدخلون على ملوككم ؟ فلبسوا الوشي والعمائم والمطارف ودخلوا على الملك ، فقال لهم : ارجعوا فرجعوا ، فقال الملك لأصحابه ، كيف رأيتم هؤلاء ؟ فقالوا ، هذه أشبه بهيئة الرجال من تلك المرة الأولى ، وهم أولئك . فلما كان اليوم الثالث : أرسل إليهم فقال لهم كيف تلقون عدوكم ؟ فشدوا عليهم سلاحهم ولبسوا المغافر والبَيْضَ وتقلّدوا السيوف ونكبوا[٣] القسي وأخذوا الرماح وركبوا خيولهم ومضوا ، فنظر إليهم ملك الصين فرأى أمثال الجبال مقبلة ، فلما قربوا منه ركزوا رماحهم ثم أقبلوا نحوه مشمِّرين ، فقيل لهم : ارجعوا ـ وذلك لما دخل قلوب أهل الصين من الخوف منهم ـ فانصرفوا فركبوا خيولهم واختلجوا رماحهم ثم ساقوا خيولهم كأنهم يتطاردون بها ، فقال الملك

---

(١) كاشغر : بالتقاء الساكنين ، والشين المعجمة والغين أيضاً وراء : مدينة وقرى ورساتيق يسافر إليها من سمرقند وتلك النواحي ، وهي في وسط بلاد الترك وأهلها مسلمون . معجم البلدان (٤/ ٤٣٠) .

(٢) في الطبري (٦/ ٥٠١) فانتخب قتيبة من عسكره اثنى عشر رجلاً ، وقال بعضهم : عشرة .. فساروا وعليهم هبيرة بن المُشَمْرِج الكلابي . والخبر أيضاً في الكامل لابن الأثير (٥/ ٥ ـ ٦) .

(٣) في ابن الأثير (٥/ ٦) : وأخذوا السيوف والرماح والقسي وركبوا .

لأصحابه : كيف ترونهم ؟ فقالوا : ما رأينا كهؤلاء قط . فلما أمسوا بعث إليهم الملك أن ابعثوا إليّ زعيمكم وأفضلكم ، فبعثوا إليه هبيرة ، فقال له الملك حين دخل عليه : قد رأيتم عظم ملكي ، وليس أحد يمنعكم مني ، وأنتم بمنزلة البيضة في كفي ، وأنا سائلك عن أمر فإن تصدقني وإلا قتلتك ، فقال : سل ! فقال الملك : لم صنعتم ما صنعتم من زي أول يوم والثاني والثالث ؟ فقال : أما زينا أول يوم فهو لباسنا في أهلنا ونسائنا وطيبنا عندهم ، وأما ما فعلنا ثاني يوم فهو زينا إذا دخلنا على ملوكنا ، وأما زينا ثالث يوم فهو إذا لقينا عدونا . فقال الملك : ما أحسن ما دبرتم دهركم ، فانصرفوا إلى صاحبكم ـ يعني قتيبة ـ وقولوا له ينصرف راجعاً عن بلادي ، فإني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه ، وإلا بعثت إليكم من يهلككم عن آخركم . فقال له هبيرة : تقول لقتيبة هذا ؟! فكيف يكون قليل الأصحاب مَنْ أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون ؟ وكيف يكون حريصاً من خلّف الدنيا قادراً عليها ، وغزاك في بلادك ؟ وأما تخويفك إيانا بالقتل فإنا نعلم أن لنا أجلاً إذا حضر فأكرمها عندنا القتل ، فلسنا نكرهه ولا نخافه . فقال الملك : فما الذي يرضي صاحبكم ؟ فقال : قد حلف أنه لا ينصرف حتى يطأ أرضك ، ويختم ملوكك ، ويجبي الجزية من بلادك ، فقال أنا أبرُّ يمينه وأخرجه منها ، أرسل إليه بتراب من أرضي ، وأربع غلمان من أبناء الملوك ، وأرسل إليه ذهباً كثيراً وحريراً وثياباً صينية لا تقوّم ولا يدري قدرها][1] ثم جرت لهم معه مقاولات كثيرة ، ثم اتفق الحال على أن بعث بصحافٍ من ذهب متسعة فيها تراب من أرضه ليطأه قتيبة ، وبعث بجماعة من أولاده وأولاد الملوك ليختم رقابهم ، وبعث بمال جزيل ليبرَّ بيمين قتيبة [وقيل إنه بعث أربعمئة[2] من أولاده وأولاد الملوك] فلما انتهى إلى قتيبة ما أرسله ملك الصين قبل ذلك منه ، وذلك لأنه كان قد انتهى إليه خبر موت الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين[3] ، فانكسرت همته لذلك ، وقد عزم قتيبة بن مسلم الباهلي على ترك مبايعة سليمان بن عبد الملك ، وأراد الدعوة إلى نفسه[4] [لما تحت يده من العساكر ، ولما فتح من البلاد والأقاليم] فلم يمكنه ذلك ، ثم قُتل في آخر هذه السنة رحمه الله تعالى ، فإنه يقال إنه ما كسرت له راية ، وكان من المجاهدين في سبيل الله ، واجتمع له من العساكر ما لم يجتمع لغيره .

وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك الصائفة ، وغزا العباس بن الوليد الروم ، ففتح طولس والمرزبانين من بلاد الروم][5] .

---

(١) ما بين معكوفين ساقط من أ ، ب وهو يوافق ما في المصادر .

(٢) في الطبري (٦/ ٥٠٣) وابن الأثير (٥/ ٧) : وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم .

(٣) في الطبري وابن الأثير : فأوفد قتيبة إلى الوليد فمات بقرية من فارس .

(٤) في الطبري (٦/٥٠٧ ـ ٥٠٨) ما ملخصه : أن قتيبة أرسل إلى سليمان ؛ لئن وليت يزيد بن المهلّب خراسان لأخلعنك .

(٥) ما بين معكوفين ساقط من أ ، ب والخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٦٤) .

وفيها تكامل بناء الجامع الأموي بدمشق على يد بانيه أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان جزاه الله عن المسلمين خيراً ، وكان أصل موضع هذا الجامع قديماً معبداً بنته اليونان والكلدانيون الذين كانوا يعمرون دمشق ، وهم الذين وضعوها وعمروها أولاً ، فهم أول من بناها[١] ، وقد كانوا يعبدون الكواكب السبعة المتميزة ، وهي القمر في السماءالدنيا ، وعطارد في السماء الثانية ، والزهرة في السماء الثالثة ، والشمس في الرابعة ، والمريخ في الخامسة ، والمشتري في السادسة ، وزحل في السابعة . وقد كانوا صوّروا على كل باب من أبواب دمشق هيكلاً لكوكب من هذه الكواكب السبعة ، وكانت أبواب دمشق سبعة وضعوها قصداً لذلك [فنصبوا هياكل سبعة لكل كوكب هيكل] وكان لهم عند كل باب من أبواب دمشق عيد في السنة ، وهؤلاء هم الذين وضعوا الأرصاد وتكلّموا على حركات الكواكب واتصالاتها ومقارنتها ، وبنوا دمشق واختاروا لها هذه البقعة إلى جانب الماء الوارد من بين هذين الجبلين ، وصرفوه أنهاراً تجري إلى الأماكن المرتفعة والمنخفضة ، وسلكوا الماء في أثناء[٢] أبنية الدور بدمشق [فكانت دمشق في أيامهم من أحسن المدن ، بل هي أحسنها ، لما فيها من التصاريف العجيبة ، وبنوا هذا المعبد وهو الجامع اليوم في جهة القطب ، وكانوا يصلون إلى القطب الشمالي ، وكانت محاريبهم تجاه الشمال ، وكان باب معبدهم يفتح إلى جهة القبلة ، خلف المحراب اليوم ، كما شاهدنا ذلك عياناً ، ورأينا محاريبهم إلى جهة القطب ، ورأينا الباب وهو باب حسن مبني بحجارة منقوشة ، وعليه كتاب بخطهم ، وعن يمينه ويساره بابان صغيران بالنسبة إليه ، وكان غربي المعبد قصر منيف جداً تحمله هذه الأعمدة التي بباب البريد ، وشرقي المعبد قصر جيرون الملك ، الذي كان ملكهم ، وكان هناك داران عظيمتان معدتان لمن يتملك دمشق قديماً[٣] منهم ، ويقال إنه كان مع المعبد ثلاث دور عظيمة للملوك ، ويحيط بهذه الدور والمعبد سور واحد عال منيف ، بحجارة كبار منحوتة ، وهن دار المطبق ، ودار الخيل ، ودار كانت تكون مكان الخضراء التي بناها معاوية .

قال الحافظ ابن عساكر[٤] فيما حكاه عن كتب بعض الأوائل : إنهم مكثوا يأخذون الطالع لبناء دمشق وهذه الأماكن ثماني عشرة سنة ، وقد حفروا أساس الجدران حتى واتاهم الوقت الذي طلع فيه الكوكبان

---

(١) ذكر ياقوت في معجم البلدان (٢/ ٤٦٣ ـ ٤٦٤) الخلاف فيمن بنى دمشق ، وأوسع في ذلك ابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ١١ـ٢٣) ط : دار الفكر .

(٢) في ط : أفناء . وقال ياقوت في معجمه (٢/ ٤٦٥) : ومن خصائص دمشق التي لم أر في بلد آخر مثلها كثرة الأنهار بها وجريان الماء في قنواتها ، فقلّ أن تمر بحائط إلّا والماء يخرج منه في أنبوب إلى حوض يشرب منه ويستقي الوارد والصادر ، وما رأيت مسجداً ولا مدرسة ولا خانقاهاً إلا والماء يجري في بركة في صحن هذا المكان ويسحُ في ميضأة .

(٣) مكان العبارة في ب : وشرقيه داران يكونان لمن يتملك دمشق قديماً . وثمة خلافات بسيطة بين النسخ ضربنا صفحاً عنها ، وأثبتنا ما تأكدنا مطابقته للمصادر .

(٤) تاريخ دمشق (٢/ ٢٥٧) .

اللذان أرادوا أن هذا المعبد لا يخرب أبداً ولا تخلو منه العبادة ، وأن هذه الدار إذا بنيت لا تخلو من أن تكون دار الملك والسلطنة .

قلت : أما المعبد فلم يخل من العبادة .

قال كعب الأحبار : لا يخلو منها حتى تقوم الساعة .

وأما دار الملك التي هي الخضراء فقد جدد بناءها معاوية ، ثم أحرقت في سنة إحدى وستين وأربعمائة كما سنذكره ، فبادت وصارت مساكن لأضعف الناس وأراذلهم في الغالب إلى زماننا هذا وبالله المستعان . والمقصود أن اليونان استمروا على هذه الصفة التي ذكرناها بدمشق مدداً طويلة ، تزيد على أربعة آلاف سنة ، حتى أنه يقال إن أول من بنى جدران هذا المعبد الأربعة هود عليه الصلاة والسلام ، وقد كان هود قبل إبراهيم الخليل بمدد طويلة ، وقد ورد إبراهيم الخليل عليه السلام شمالي دمشق عند برزة[1] ، وقاتل هناك قوماً من أعدائه فظفر بهم ، ونصره الله عليهم ، وكان مقامه لمقاتلتهم عند برزة ، فهذا المكان المنسوب إليه بها منصوص عليه في الكتب المتقدمة يأثرونه كابراً عن كابر وإلى زماننا ، والله أعلم .

وكانت دمشق إذ ذاك عامرة آهلة بمن فيها من اليونان [وكانوا خلقاً لا يحصيهم إلا الله] وهم خصماء الخليل ، وقد ناظرهم في عبادتهم الأصنام والكواكب وغيرها في غير موضع ، كما قررنا ذلك في التفسير ، وفي قصة الخليل من كتابنا هذا « البداية والنهاية » ولله الحمد وبالله المستعان .

والمقصود أن اليونان لم يزالوا يعمرون دمشق ويبنون فيها وفي معاملاتها من أرض حوران والبقاع وبعلبك وغيرها ، البنايات الهائلة الغريبة العجيبة ، حتى إذا كان بعد المسيح بمدة نحو من ثلاثمئة سنة تنصر أهل الشام على يد الملك قسطنطين بن قسطنطين ، الذي بنى المدينة المشهورة به ببلاد الروم التي تنسب إليه وهي القسطنطينية ، وهو الذي وضع لهم القوانين [وقد كان أولاً هو وقومه وغالب أهل الأرض يونانا] ووضعت له بطاركته النصارى ديناً مخترعاً مركباً من أصل دين النصرانية ، ممزوجاً بشيء من عبادة الأوثان ، وصلّوا به إلى الشرق ، وزادوا في الصيام ، وأحلّوا الخنزير ، وعلّموا أولادهم الأمانة الكبيرة فيما يزعمون ، وإنما هي في الحقيقة خيانة كبيرة ، وجناية كثيرة حقيرة ، وهي مع ذلك في الحجم صغيرة . وقد تكلّمنا على ذلك فيما سلف وبيّناه . فبنى لهم الملك الذي ينتسب إليه الطائفة الملكية من النصارى ، كنائس كبيرة في دمشق وفي غيرها ، حتى يقال إنه بنى اثنتي عشرة ألف كنيسة [وأوقف عليها أوقافاً دارّة] ، من ذلك كنيسة بيت لحم ، وقمامة في القدس ، بنتها أم هيلانة الغندقانية ، وغير ذلك .

---

(١) ذكر ياقوت في معجمه (٢/ ٤٦٤) إن إبراهيم عليه السلام ولد في غوطة دمشق في قرية يقال لها برزة في جبل قاسيون .

والمقصود أنهم حولوا بناء هذا المعبد الذي هو بدمشق معظماً عند اليونان فجعلوه كنيسة مريحنا ، وبنوا بدمشق كنائس كثيرة غيرها مستأنفة ، واستمر النصارى على دينهم بدمشق وغيرها نحواً من ثلاثمئة سنة ، حتى بعث الله محمداً ﷺ ، فكان من شأنه صلوات الله وسلامه عليه ما تقدم بعضه في كتاب السيرة [من هذا الكتاب] وقد بعث إلى ملك الروم في زمانه ـ وهو قيصر ذلك الوقت ـ واسمه هرقل يدعوه إلى الله عزَّ وجلَّ ـ وكان من مراجعته ومخاطبته إلى أبي سفيان صخر بن حرب ما تقدم ـ ثم بعث أمراءه الثلاثة ، زيد بن حارثة مولاه ، وجعفر بن أبي طالب ، وابن رواحة ، إلى البلقاء من تخوم الشام ، فبعث الروم إليهم جيشاً كبيراً فقتلوا هؤلاء الأمراء وجماعة ممن معهم من الجيش ، فعزم النبي ﷺ على قتال الروم ودخول الشام عام تبوك ، ثم رجع عام ذلك لشدة الحر ، وضعف الحال ، وضيقه على الناس . ثم لما توفى الله نبيه ﷺ بعث الصدّيق الجيوش قبل الشام ، وإلى العراق كما تقدم تفصيل ذلك في كتابنا هذا ولله الحمد ، ففتح الله على المسلمين الشام بكمالها ، ومن ذلك مدينة دمشق بأعمالها ، وقد بسطنا القول في ذلك عند ذكر فتحها ، فلما استقرت اليد الإسلامية عليها وأنزل الله رحمته فيها ، وساق برّه إليها ، وكتب أمير الحرب وهو أبو عبيدة إذ ذاك ، وقيل خالد بن الوليد ، لأهل دمشق كتاب أمان ، أقروا أيدي النصارى على أربع عشرة كنيسة ، وأخذوا منهم نصف هذه الكنيسة التي كانوا يسمونها كنيسة مريحنا ، بحكم أن البلد فتحه خالد من الباب الشرقي بالسيف ، وأخذت النصارى الأمان من أبي عبيدة ، وكان على باب الجابية الصلح ، فاختلفوا ثم اتفقوا على أن جعلوا نصف البلد صلحاً ونصفه عنوة ، فأخذوا نصف هذه الكنيسة الشرقي فجعله أبو عبيدة مسجداً ـ وكان قد صارت إليه إمرة الشام لعزل عمر خالداً وتوليته أبا عبيدة ـ ، وكان أول من صلى في هذا المسجد أبو عبيدة ثم الصحابة بعده في البقعة الشرقية منه ، التي يقال لها محراب الصحابة . ولكن لم يكن الجدار مفتوقاً بمحراب محني ، وإنما كانوا يصلّون عند هذه البقعة المباركة ، والظاهر أن الوليد هو الذي فتق المحاريب في الجدار القبلي . وقد كره كثير من السلف مثل هذه المحاريب ، وجعلوه من البدع المحدثة ، وكان المسلمون والنصارى يدخلون هذا المعبد من باب واحد ، وهو باب المعبد الأعلى من جهة القبلة ، مكان المحراب الكبير [الذي في المقصورة اليوم] فينصرف النصارى إلى جهة الغرب إلى كنيستهم ، ويأخذ المسلمون يمنة إلى مسجدهم ، ولا يستطيع النصارى أن يجهروا بقراءة كتابهم ، ولا يضربوا بناقوسهم ، إجلالاً للصحابة ومهابة وخوفاً . وقد بنى معاوية في أيام ولايته على الشام دار الإمارة قبلي المسجد الذي كان للصحابة ، وبنى فيها قبة خضراء ، فعرفت الدار بكمالها بها ، فسكنها معاوية أربعين سنة كما قدمنا . ثم لم يزل الأمر على ما ذكرنا من سنة أربع عشرة ، إلى سنة ست وثمانين في ذي القعدة منها ، وقد صارت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك في شوال منها ، فعزم الوليد على أخذ بقية هذه الكنيسة وإضافتها إلى ما بأيدي المسلمين منها ؛ وجعل الجميع مسجداً واحداً ، وذلك لأن بعض المسلمين كان يتأذى بسماع قراءة النصارى للإنجيل ، ورفع أصواتهم في صلواتهم ، فأحب أن يبعدهم عن المسلمين ، وأن يضيف ذلك المكان إلى هذا فيكبر به

المسجد الجامع ، فيصير كله معبداً للمسلمين ، ويتسع المسجد لكثرة المسلمين ، فعند ذلك طلب النصارى وسأل منهم أن يخرجوا له عن هذا المكان ، ويعوضهم إقطاعات كثيرة ، عرضها عليهم ، وأن يقر لهم أربع كنائس لم تدخل في العهد ، وهي كنيسة مريم ، وكنيسة المصلّبة داخل باب شرقي ، وكنيسة تل الجبن ، وكنيسة حميد بن درّة التي بدرب الصقل ، فأبوا ذلك أشد الإباء ، فقال : ائتوني بعهدكم ، فأتوا بعهدهم الذي بأيديهم من زمن الصحابة ، فقرىء بحضرة الوليد ، فإذا كنيسة توما ـ التي كانت خارج باب توما على حافة النهر ـ لم تدخل في العهد ، وكانت فيما يقال أكبر من كنيسة مريحنا ، فقال الوليد : أنا أهدمها وأجعلها مسجداً ، فقالوا : بل يتركها أمير المؤمنين وما ذكر من الكنائس ونحن نرضى ونطيب له نفساً ببقية هذه الكنيسة ، فأقرَّهم على تلك الكنائس ، وأخذ منهم بقية هذه الكنيسة .

ويقال إن الوليد لمَّا أهمّه ذلك وعرض ما عرض على النصارى فأبوا من قبوله . دخل عليه بعض الناس فأرشده إلى أن يقيس من باب شرقي ومن باب الجابية ، فوجدوا أن الكنيسة قد دخلت في العنوة وذلك أنهم قاسوا من باب شرقي ومن باب الجابية فوجدوا منتصف ذلك عند سوق الريحان تقريباً ، فإذا الكنيسة قد دخلت في العنوة ، فأخذها[1] .

[وحكي عن المغيرة مولى الوليد قال : دخلت على الوليد فوجدته مهموماً فقلت : ما لك يا أمير المؤمنين مهموماً ؟ فقال : إنه قد كثر المسلمون وقد ضاق بهم المسجد ، فأحضرت النصارى وبذلت لهم الأموال في بقية هذه الكنيسة لأضيفها إلى المسجد فيتسع على المسلمين فأبوا ، فقال المغيرة : يا أمير المؤمنين عندي ما يزيل همك ، قال : وما هو ؟ قلت : الصحابة لما أخذوا دمشق دخل خالد بن الوليد من باب شرقي بالسيف ، فلما سمع أهل البلد بذلك فزعوا إلى أبي عبيدة يطلبون منه الأمان فأمنهم ، وفتحوا له باب الجابية ، فدخل منه أبو عبيدة بالصلح ، فنحن نماسحهم إلى أي موضع بلغ السيف أخذناه ، وما بالصلح تركناه بأيديهم ، وأرجو أن تدخل الكنيسة كلها في العنوة ، فتدخل في المسجد . فقال الوليد : فرجت عني ، فتول أنت ذلك بنفسك ، فتولاه المغيرة ومسح من الباب الشرقي إلى نحو باب الجابية إلى سوق الريحان فوجد السيف لم يزل عاملاً حتى جاوز القنطرة الكبيرة بأربع أذرع وكسر ، فدخلت الكنيسة في المسجد ، فأرسل الوليد إلى النصارى فأخبرهم وقال : إن هذه الكنيسة كلها دخلت في العنوة فهي لنا دونكم ، فقالوا : إنك أولاً دفعت إلينا الأموال ، وأقطعتنا الإقطاعات فأبينا ، فمن إحسان أمير المؤمنين أن يصالحنا فيبقي لنا هذه الكنائس الأربعة بأيدينا ، ونحن نترك له بقية هذه الكنيسة ، فصالحهم على إبقاء هذه الأربع الكنائس ، والله أعلم .

وقيل : إنه عوضهم منها كنيسة عند حمام القاسم[2] عند باب الفراديس داخله فسموها مريحنا باسم التي هُدمت لهم ، وأخذوا شاهدها فوضعوه فوق التي أخذوها بدلها ، فالله أعلم .

---

(١) تاريخ دمشق (٢/ ٢٥٥) .

(٢) في ب : السقيم ؛ تحريف . والخبر في تاريخ دمشق (٢/ ٢٥٢) ط : دار الفكر .

ثم أمر الوليد بإحضار آلات الهدم واجتمع إليه الأمراء والكبراء من رؤوس الناس ، وجاء إليه أساقفة النصارى وقساوستهم فقالوا : يا أمير المؤمنين إنا نجد في كتابنا أن من يهدم هذه الكنيسة يجن[١] ، فقال الوليد : أنا أحب أن أجن في الله عزَّ وجلَّ ، ووالله لا يهدم فيها أحد قبلي ، ثم صعد المنارة الشرقية ذات الأضالع المعروفة بالساعات ، وكانت صومعة هائلة فيها راهب عندهم ، فأمره الوليد بالنزول منها فأكبر الراهب ذلك ، فأخذ الوليد بقفاه فلم يزل يدفعه حتى أنزله ، ثم صعد الوليد على أعلى مكان في الكنيسة فوق المذبح الأكبر منها ، الذي يسمونه الشاهد ، وأخذ أذيال قبائه وكان لونه أصفر سفرجلياً فغرزها[٢] في المنطقة ، ثم أخذ فأساً بيده فضرب بها في أعلى حجر فألقاه ، فتبادر الأمراء إلى الهدم ، وكبر المسلمون ثلاث تكبيرات ، وصرخت النصارى بالعويل على درج جيرون ، وكانوا قد اجتمعوا هنالك ، فأمر الوليد أمير الشرطة وهو أبو نائل رياح الغساني ، أن يضربهم حتى يذهبوا من هنالك ، ففعل ذلك وأمر نائبه على الخراج يزيد بن تميم بن حجر السُّلمي بإحضار اليهود ليساعدوا في هذه الكنيسة ؛ فجاؤوا فكانوا كالفعول . ذكره الحافظ ابن عساكر[٣] في ترجمة يزيد بن تميم هذا[٤] .

فهدم الوليد والأمراء جميع ما جدده النصارى في تربيع هذا المعبد من المذابح والأبنية والحنايا ، حتى بقي المكان صرحة مربعة ، ثم شرع في بنائه بفكرة جيدة على هذه الصفة الحسنة الأنيقة ، التي لم يشتهر مثلها قبلها على ما سنذكره ونشير إليه .

وقد استعمل الوليد في بناء هذا المسجد خلقاً كثيراً من الصناع والمهندسين والفعلة ، وكان المستحث على عمارته أخوه وولي عهده من بعده سليمان بن عبد الملك ، ويقال إن الوليد بعث إلى ملك الروم يطلب منه صُنّاعاً في الرخام وغير ذلك ، ليعمروا المسجد على ما يريد ، وأرسل يتوعده لئن لم يفعل ليغزونّ بلاده بالجيوش ، وليخربن كل كنيسة في بلاده ، حتى كنيسة القدس ، وكنيسة الرُّها ، وسائر آثار الروم ، فبعث ملك الروم إليه صناعاً كثيرة جداً ، مئتي صانع ، وكتب إليه يقول : إن كان أبوك فهم هذا الذي تصنعه وتركه فإنه لوصمة عليك ، وإن لم يكن فهمه ، وفهمته أنت لوصمة عليه ، فلما وصل ذلك الكتاب إلى الوليد أراد أن يجيب عن ذلك ، واجتمع الناس عنده لذلك ، وكان فيهم الفرزدق الشاعر ، فقال : أنا أجيبه يا أمير المؤمنين من كتاب الله . قال الوليد : وما هو ويحك ؟ فقال : قال الله تعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء : ٧٩] وسليمان هو ابن داود ، ففهّمه الله ما لم يفهمه

---

(١) في معجم البلدان (٢/ ٤٦٦) : خُنِقَ .

(٢) مكانها في ط : وهو ـ أي الشاهد ـ تمثال في أعلى الكنيسة ، فقال له الرهبان : احذر الشاهد ، فقال : أنا أول ما أضع فأسي في رأس الشاهد ، ثم كبَّر وضربه فهدمه ، وكان على الوليد قباء أصفر سفرجلي قد غرز أذياله . .

(٣) تاريخ دمشق (٦٥/ ١٣٤ و٢/ ٢٥٤) .

(٤) من قوله : وأمر نائبه على الخراج . . . إلى هنا زيادة من ب .

أبوه . فأعجب ذلك الوليد فأرسل به جواباً إلى ملك الروم . وقد قال الفرزدق في ذلك :

فرَّقتَ بينَ النصارى في كنائسهمْ والعـابـديـنَ مـعَ الأسحـارِ والعتـمِ
وهـمْ جميعـاً إذا صلـوا وأوجههـمْ شتـــى إذا سجـــدوا لله والصنـــمِ
وكيـف يجتمـعُ النـاقـوسُ يضـربـهُ أهـلُ الصليـبِ مـعَ القـراءِ لـم تنـمِ
فهمـــك الله تحـــويـــلاً لبيعتهـــمْ عـنْ مسجـدٍ فيـه يتلى طيِّبُ الكلـمِ
فهمـتَ تحـويلهـا عنهـم كمـا فهمـا إذ يحكمانِ لهمْ في الحرثِ والغنمِ
داود والملـــك المهـــدي إذْ جـزأا أولادها واجتزاز الصوفِ بالجَلَمِ[١]
مـا مـن أبٍ حملتـهُ الأرضُ نعلمـهُ خيـر بنيـنٍ ولا خيـرٌ مـنْ الحكـمِ[٢]

قال الحافظ عبد الرحمن بن إبراهيم دُحَيم الدمشقي : بنى الوليد ما كان داخل حيطان المسجد وزاد في سمك الحيطان .

وقال الحسن بن يحيى الخشني : إن هوداً عليه السلام هو الذي بنى الحائط القبلي من مسجد دمشق[٣] .

وقال غيره : لما أراد الوليد بناء القبة التي وسط الرواقات ـ وهي قبة النسر ، وهو اسم حادث لها ، وكأنهم شبهوها بالنسر في شكله ، لأن الرواقات عن يمينها وشمالها كالأجنحة لها ـ حفر لأركانها حتى وصلوا إلى الماء وشربوا منه ماءً عذباً زلالاً ، ثم إنهم وضعوا فيه جرار[٤] الكرم ، وبنوا فوقها بالحجارة ، فلما ارتفعت الأركان بنوا عليها القبة فسقطت ؛ فقال الوليد لبعض المهندسين : أريد أن تبني لي أنت هذه القبة ، فقال : على أن تعطيني عهد الله وميثاقه على أن لا يبنيها أحد غيري ، ففعل . فبنى الأركان ثم غلَّفها بالبواري ، وغاب عنها سنة كاملة لا يدري الوليد أين ذهب ، فلما كان بعد السنة حضر ، فهمّ به الوليد فأخذه ومعه رؤوس الناس ، فكشف البواري عن الأركان فإذا هي قد هبطت بعد ارتفاعها حتى ساوت الأرض ، فقال له : مِن هذا أُتيت ، ثم بناها فانعقدت .

وقال بعضهم : أراد الوليد أن يجعل بيضة القبة من ذهب خالص ليعظم بذلك شأن هذا المسجد ، فقال له المعمار : إنك لا تقدر على ذلك ، فضربه خمسين سوطاً ، وقال له : ويلك ! أنا أعجز عن ذلك وخراج الأرض وأموالها تجبى إليّ ؟ قال : نعم أنا أُبيّن لك ذلك ، قال : فبين ذلك ، قال : اضرب لبنة واحدة من الذهب وقس عليها ما تريد هذه القبة من ذلك ، فأمر الوليد فأحضر من الذهب ما أسبك منه لبنة

---

(١) في أ : بالحلم ـ بالحاء ـ خطأ ، والجلم : ما يُجزبه ، وجلم الصوف : أي جزَّه . القاموس : (جلم) .
(٢) الأبيات في تاريخ دمشق (٢/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠) مع الخبر ، وديوان الفرزدق (٢/ ٢٠٩) .
(٣) الخبر في تاريخ دمشق (٢/ ٢٦٠) .
(٤) في ط : زيادة الكرم . وجرار الكرم : أصل الجبل . القاموس (جرر) . والخبر في ابن عساكر (٢/ ٢٦١) .

فإذا هي قد دخلها ألوف من الذهب ، فقال : يا أمير المؤمنين إنا نريد مثل هذه اللبنة كذا وكذا ألف لبنة ، فإن كان عندك ما يكفي من ذلك عملناه ، فلما تحقق صحة قوله أطلق له الوليد خمسين ديناراً[١] [وقال إني لا أعجز عما قلت ، ولكن فيه إسراف وضياع مال في غير وجهه اللائق به ، ولأن يكون ما أردنا من ذلك نفقة في سبيل الله ، ورداً على ضعفاء المسلمين خير من ذلك . ثم عقدها على ما أشار به المعمار] . ولما سقف الوليد الجامع جعلوا سقفه جملونات ، وباطنها مسطحاً مقرنصاً بالذهب ، فقال له بعض أهله : أتعبت الناس بعدك في تطيين أسطحة هذا المسجد في كل عام ، فأمر الوليد أن يجمع ما في بلاده من الرصاص ليجعله عوض الطين ، ويكون أخف على السقف . فجمع من كل ناحية من الشام وغيره من الأقاليم ، فعازوا فإذا عند امرأة منه قناطير مقنطرة ، فساوموها فيه ، فقالت : لا أبيعه إلا بوزنه فضة[٢] ، فكتبوا إلى أمير المؤمنين بذلك فقال : اشتروه منها ولو بزنته[٣] ، فلما بذلوا لها ذلك قالت : أما إذا قلتم ذلك فهو صدقة لله يكون في سقف هذاالمسجد ، فكتبوا على ألواحها بطابع « لله » ويقال إنها كانت إسرائيلية ، وإنه كتب على الألواح التي أخذت منها : هذا ما أعطته الإسرائيلية[٤] .

وقال محمد بن عائذ : سمعت المشايخ يقولون : ما تم بناء مسجد دمشق إلا بأداء الأمانة ، لقد كان يفضل عند الرجل القومة يعنون الفعلة الفلس ورأس المسمار فيجيء حتى يضعه في الخزانة .

وقال بعض مشايخ الدماشقة : ليس في الجامع من الرخام شيء إلا الرخامتان اللّتان في المقام من عرش بلقيس والباقي كله مرمر[٥] .

وقال بعضهم : اشترى الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين العمودين الأخضرين اللذين تحت النسر ، من حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية بألف وخمسمائة دينار .

وقال دُحيم ، عن الوليد بن مسلم : حدّثنا مروان بن جناح عن أبيه قال : كان في مسجد دمشق اثنا عشر ألف مُرَخِّم .

وقال أبو قصي عن دُحيم ، عن الوليد بن مسلم ، عن عمرو بن مهاجر الأنصاري : إنهم حسبوا ما أنفقه الوليد على الكرمة[٦] التي في قبلة المسجد فإذا هو سبعون ألف دينار .

---

(١) تاريخ دمشق (٢/ ٢٦٢) .
(٢) في معجم البلدان (٢/ ٤٦٦) : بوزنه ذهباً .
(٣) في معجم البلدان : ولو بوزنه مرتين .
(٤) تاريخ دمشق (٢/ ٢٦٣) .
(٥) تاريخ دمشق (٢/ ٢٦٦) .
(٦) يقصد بذلك تلك الرسوم الملونة والمنمقة التي صنعت من قطع زجاجية صغيرة مربعة مبطنة بالذهب والألوان المختلفة ، رُصَّت أمام بعضها بتنسيق في غاية الاتقان ، فأظهرت رسومات رائعة للأشجار والقصور والورود وغير ذلك مما يسمى بالفسيفساء .

وقال أبو قصي : أنفق في مسجد دمشق أربعمئة صندوق من الذَّهب ، في كل صندوق أربعة عشر ألف دينار ، ـ قلت : وذلك خمسة آلاف ألف دينار وستمئة ألف دينار ـ .

وفي رواية في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار[١] : قلت : فعلى هذا يكون المصروف في عمارة الجامع الأموي أحد عشر ألف ألف دينار ، ومائتي ألف دينار . [وقيل إنه صرف أكثر من ذلك بكثير] والله أعلم .

قال أبو قصي : وأتى الحرسي إلى الوليد فقال : يا أمير المؤمنين إن الناس يقولون أنفق أمير المؤمنين بيوت الأموال في غير حقها . فنودي في الناس : الصلاة جامعة . فاجتمع الناس فصعد الوليد المنبر وقال : إنه بلغني عنكم أنكم قلتم أنفق الوليد بيوت الأموال في غير حقها ، ثم قال : يا عمرو بن مهاجر ، قم فأحضر أموال بيت المال ، فحملت على البغال إلى الجامع ، ثم بسط لها الأنطاع تحت قبة النسر ، ثم أفرغ عليها المال ذهباً صبيباً ، وفضة خالصة ، حتى صارت كوماً ، حتى كان الرجل إذا قام من الجانب الواحد لا يرى الآخر من الجانب الآخر ، وهذا شيء كثير ، ثم جيء بالقبانين فوزنت الأموال فإذا هي تكفي الناس ثلاث سنين مستقبلة ، وفي رواية ست عشرة سنة مستقبلة ، لو لم يدخل للناس شيء بالكلية ؛ ففرح الناس وكبروا وحمدوا الله عزَّ وجلَّ على ذلك ، ودعوا للخليفة وانصرفوا شاكرين داعين . فقال لهم الوليد : يا أهل دمشق ، والله ما أنفقت في بناء هذا المسجد شيئاً من بيوت المال ، وإنما هذا كله من مالي ، لم أرزأكم من أموالكم شيئاً . ثم قال الخليفة : يا أهل دمشق ، إنكم تفخرون على الناس بأربع ، بهوائكم ومائكم وفاكهتكم وحماماتكم ، فأحببت أن أزيدكم خامسة وهي هذا الجامع[٢] .

وقال بعضهم : كان في قبلة جامع دمشق ثلاث صفائح مذهبة بلاذورد ، في كل منها : بسم الله الرحمن الرحيم ، الله لا إله إلا هو الحي القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم . لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولا نعبد إلا إياه ، ربنا الله وحده ، وديننا الإسلام ، ونبينا محمد ﷺ أمر ببنيان هذا المسجد وهدم الكنيسة التي كانت فيه عبد الله أمير المؤمنين الوليد ، في ذي القعدة سنة ست وثمانين .

وفي صفيحة أخرى رابعة من تلك الصفائح : الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم إلى آخر السورة . ثم النازعات ، ثم عبس ، ثم إذا الشمس كورت . قالوا : ثم مُحيت بعد مجيء المأمون إلى دمشق[٣] .

وذكروا أن أرضه كانت مفضضة كلّها ، وأن الرخام كان في جدرانه إلى قامات ، وفوق الرخام كرمة عظيمة من ذهب ، وفوق الكرمة الفصوص المذَهَّبة والخضر والحمر والزرق والبيض ، قد صوروا بها سائر

---

(١) تاريخ دمشق (٢/ ٢٦٨) .

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٢٦٩) .

(٣) المصدر السابق .

البلدان المشهورة ، الكعبة فوق المحراب ، وسائر الأقاليم يمنة ويسرة ، وصوروا ما في البلدان من الأشجار الحسنة المثمرة والمزهرة وغير ذلك ، وسقفه مقرنص بالذهب ، والسلاسل المعلقة فيها جميعها من ذهب وفضة ، وأنوار الشموع في أماكنه مفرقة . قالوا : وكان في محراب الصحابة منه برنية[١] حجر من بلور ، ويقال بل كانت حجراً من جوهر وهي الدرة ، وكانت تسمى القُليلة ، وكانت إذا طُفئت القناديل تضيء لمن هناك بنورها ، فلما كان زمن الأمين بن الرشيد ـ وكان يحب البلور وقيل الجوهر ـ بعث إلى سليمان والي شرطة دمشق أن يبعث بها إليه ، فسرقها وسيّرها إلى الأمين ، فلما ولي المأمون ردّها إلى دمشق ليشنع بذلك على الأمين .

قال الحافظ ابن عساكر[٢] ثم ذهبت بعد ذلك فجعل مكانها برنية من زجاج ، قال : وقد رأيت تلك البرنية ثم انكسرت بعد ذلك فلم يجعل مكانها شيء .

قالوا : وكانت الأبواب الشارعة من داخل الصحن ليس عليها أغلاق ، وإنما كان عليها الستور مرخاة ، وكذلك الستور على سائر جدرانه إلى حد الكرمة التي فوقها الفصوص المذهبة ، ورؤوس الأعمدة مطلية بالذهب الخالص الكثير ، وعملوا له شرفات تحيط به ، وبنى الوليد المنارة الشمالية التي يقال لها مأذنة العروس ، فأما الشرقية والغربية فكانتا فيه قبل ذلك بدهور متطاولة ، وقد كان في كل زاوية من هذا المعبد صومعة شاهقة جداً ، بنتها اليونان للرصد ، فسقطت الشماليتان وبقيت القبليتان إلى الآن ، وقد أحرق بعض الشرقية بعد الأربعين وسبعمئة ، فنقضت وجدد بناؤها من أموال النصارى ، حيث اتهموا بحريقها ، فقامت على أحسن الأشكال[٣] ، بيضاء بذاتها وهي والله أعلم الشرفة التي ينزل عليها عيسى بن مريم في آخر الزمان بعد خروج الدجال ، كما ثبت ذلك في صحيح مسلم[٤] عن النواس بن سمعان .

والمقصود أن الجامع الأموي لما كمل بناؤه لم يكن على وجه الأرض بناء أحسن منه ، ولا أبهى ولا أجمل منه ، بحيث إنه إذا نظر الناظر في أي جهة منه أو إلى بقعة أو مكان منه تحير فيما ينظر إليه لحسنه وجماله ولا يمل ناظره ، بل كلما أدمن النظر بانت له أعجوبة ليست كالأخرى ، وكانت فيه طلسمات من أيام اليونان فلا يدخل هذه البقعة شيء من الحشرات بالكلية ، لا من الحيات ولا من العقارب ، ولا الخنافس ولا العناكيب ، ويقال ولا العصافير أيضاً تعشش فيه ، ولا الحمام ولا شيء مما يتأذى به

---

(١) البرنية : إناء من خزف . القاموس (برن) .

(٢) تاريخ دمشق (٢/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩) .

(٣) قال الذهبي في العبر ـ ضمن أحداث سنة ٧٤٠هـ ـ وفي سادس عشر شوال وقع بدمشق حريق كبير شمل سوق اللبادين القبلية وما تحتها ومافوقها إلى عند سوق الكتب ، واحترق سوق الوراقين وسوق الذهب وحاصل الجامع وما حوله والمأذنة الشرقية وعدم للناس فيه من الأموال والمتاع ما لا يحصر ، وقد ذهب بهذا الحريق أموال الناس وأتى على المباني بأجمعها .

(٤) صحيح مسلم رقم (٢٩٣٧) في الفتن وأشراط الساعة .

الناس ، وأكثر هذه الطلسمات أو كلها كانت مودعة في سقف الجامع ، ممايلي السبع ، فأحرقت لما أحرق ليلة النصف من شعبان بعد العصر سنة إحدى وستين وأربعمئة[(١)] [في دولة الفاطميين] كما سيأتي ذلك في موضعه . وقد كانت بدمشق طلسمات وضعتها اليونان بعضها باقٍ إلى يومنا هذا ، والله أعلم .

فمن ذلك العمود الذي في رأسه مثل الكرة بسوق الشعير عند قنطرة أم حكيم وهذا المكان يعرف اليوم بالعلبيين ، ذكر أهل[(٢)] دمشق أنه من وضع اليونان لعسر بول الحيوان ، فإذا داروا بالحيوان حول هذا العمود ثلاث دورات انطلق بوله ، وذلك مجرب من عهد اليونان[(٣)] .

وما زال سليمان بن عبد الملك يعمل في تكملة الجامع المعمور وزيادته مدة ولايته ، وجددت له فيه المقصورة ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز عزم على أن يجرده مما فيه من الذهب ، ويقلع السلاسل والرخام والفسيفساء[(٤)] ، ويردّ ذلك كله إلى بيت المال ، ويجعل مكان ذلك كله طيناً ، فشق ذلك على أهل البلد واجتمع أشرافهم إليه .

وقال خالد بن عبد الله القسري : أنا أكلمه لكم فلما اجتمعوا قال له خالد : يا أمير المؤمنين بلغنا عنك أنك تريد أن تصنع كذا وكذا ، قال : نعم ! فقال خالد : ليس ذلك لك يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : ولم يا بن الكافرة ؟ ـ وكانت أمه نصرانية رومية أم ولد ـ فقال : يا أمير المؤمنين إن كانت كافرة فقد ولدت رجلاً مؤمناً ، فقال : صدقت ، واستحيا عمر ثم قال له : فلم قلت ذلك ؟ قال : يا أمير المؤمنين لأن غالب ما فيه من الرخام إنما حمله المسلمون من أموالهم من سائر الأقاليم ، وليس هو لبيت المال ، فأطرق عمر . قالوا : واتفق في ذلك الزمان قدوم جماعة من بلاد الروم رسلاً من عند ملكهم ، فلما دخلوا من باب البريد وانتهوا إلى الباب الكبير الذي تحت النسر ، ورأوا ما بهر عقولهم من حسن الجامع الباهر ، والزخرفة التي لم يسمع بمثلها ، صعق كبيرهم وخر مغشياً عليه ، فحملوه إلى منزلهم ، فبقي أياماً مدنفاً ، فلما تماثل سألوه عما عرض له فقال : ما كنت أظن أن يبني المسلمون مثل هذا البناء ، وكنت أعتقد أن

---

(١) قال القلانسي في تاريخ (١٦٢) : سبب الحريق خلاف وقع بين العسكر وأهل دمشق ، بين المغاربة والمشارقة ؛ وطرحت النار في جانب دمشق فاحترقت واتصلت النار بجامعها فاحترق . والخبر في تاريخ دمشق (٢/ ٢٨١) .

(٢) في أ : مشايخ .

(٣) في ط زيادة من النساخ آثرنا إثباتها هنا لفائدتها : قال ابن تيمية عن هذا العمود : إن تحته مدفون جبار عنيد ، كافر يعذب ، فإذا داروا بالحيوان حوله سمع العذاب فراث وبال من الخوف ، قال : ولهذا يذهبون بالدواب إلى قبور النصارى واليهود والكفار ، فإذا سمعتْ أصوات المعذّبين انطلق بولها . والعمود المشار إليه ليس له سر ، ومن اعتقد أن فيه منفعة أو مضرة فقد أخطأ خطأً فاحشاً .

وقيل : إن تحته كنزاً وصاحبه عنده مدفون ، وكان ممن يعتقد الرجعة إلى الدنيا كما قال تعالى : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [المؤمنون : ٣٧] والله سبحانه وتعالى أعلم .

(٤) مكانها في أ : والسقوف ، والخبر بأتمه في تاريخ دمشق (٢/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥) .

مدتهم تكون أقصر من هذا ، فلما بلغ ذلك عمر بن عبد العزيز قال : أو إن هذا ليغيظ الكفار ، دعوه .

وسألت النصارى في أيام عمر بن عبد العزيز أن يعقد لهم مجلساً في شأن ما كان أخذه الوليد منهم فأدخله في الجامع ، فحقق عمر القضية ، ثم نظر فإذا الكنائس التي هي خارج البلد لم تدخل في الصلح الذي كتبه لهم الصحابة وكان عمر عادلاً ، فرأى أن يرد عليهم ما أُخذ منهم ، مثل كنيسة دير مران [بسفح قاسيون ، وهي بقرية المعظمية] وكنيسة الراهب ، وكنيسة توما خارج الباب ، وسائر الكنائس التي بقرى الحواجز ، فخيرهم بين رد ما سألوه وتخريب هذه الكنائس كلها ، أو تبقى تلك الكنائس ويطيبوا نفساً للمسلمين بهذه البقعة ، فاتفقت آراؤهم بعد ثلاثة أيام على إبقاء تلك الكنائس ، ويكتب لهم كتاب أمان بها ، ويطيبوا نفساً بهذه البقعة ، فكتب لهم كتاب أمان من عمر بن عبد العزيز[١] .

والمقصود أن الجامع الأموي كان حين تكامل بناؤه ليس له في الدنيا مثيل في حسنه وبهجته .

قال الفرزدق : أهل دمشق في بلادهم قصر من قصور الجنة ـ يعني الجامع ـ .

وقال أحمد بن أبي الحواري : عن الوليد بن مسلم ، عن ابن ثوبان : ما ينبغي لأحد من أهل الأرض أن يكون أشد تشوقاً إلى الجنة من أهل دمشق ، لما يرون من حسن مسجدها[٢] .

قالوا : ولما دخل أمير المؤمنين المهدي دمشق يريد زيارة القدس نظر إلى جامع دمشق فقال لكاتبه أبي عبيد الله الأشعري : سبقنا بنو أمية بثلاث ، بهذا المسجد الذي لا أعلم على وجه الأرض مثله ، وبنبل الموالي ، وبعمر بن عبد العزيز ، لا يكون والله فينا مثله أبداً . ثم لما أتى بيت المقدس فنظر إلى الصخرة ـ وكان عبد الملك بن مروان هو الذي بناها ـ قال لكاتبه : وهذه رابعة[٣] .

ولما دخل المأمون دمشق فنظر إلى جامعها وكان معه أخوه المعتصم ، وقاضيه يحيى بن أكثم ، قال : ما أعجب ما فيه ؟ فقال أخوه : هذه الأذهاب التي فيه ، وقال يحيى بن أكثم : الرخام وهذه العقد ، فقال المأمون : إني إنما أعجب من حسن بنيانه على غير مثال متقدم ، ثم قال المأمون لقاسم التمار : أخبرني باسمٍ حسن أسمي به جاريتي هذه ، فقال : سمها مسجد دمشق ، فإنه أحسن شيء[٤] .

وقال عبد الرحمن : عن ابن عبد الحكم ، عن الشافعي قال : عجائب الدنيا خمسة : أحدها منارتكم هـذه ـ يعني منارة ذي القرنين بإسكندرية ـ والثانية أصحاب الرقيم وهم بالروم اثنا عشر رجلاً ، والثالثة مرآة ببلاد الأندلس على باب مدينتها ، يجلس الرجل تحتها فينظر فيها صاحبه من مسافة مئة فرسخ . وقيل ينظر مَن بالقسطنطينية ، والرابع مسجد دمشق وما يوصف من الإنفاق عليه ، والخامس الرخام

---

(١) تاريخ دمشق (٢٧٣ ـ ٢٧٤) .
(٢) تاريخ دمشق (٢/ ٢٤٦) .
(٣) المصدر نفسه (٢/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧) .
(٤) المصدر السابق (٢/ ٢٤٧) .

والفسيفساء ، فإنه لا يدرى لها موضع ، ويقال إن الرخام معجون ، والدليل على ذلك أنه يذوب على النار[١] .

قال الحافظ ابن عساكر[٢] : وذكر إبراهيم بن أبي اللّيث الكاتب ـ وكان قدم دمشق سنة اثنتين وثلاثين وأربعمئة ـ في رسالة له قال : ثم أمرنا بالانتقال فانتقلت منه إلى بلد تمت محاسنه ، ووافق ظاهره باطنه ، أزقته أرجة ، وشوارعه فرجة ، فحيث ما مشيت شممت طيباً ، وأين سعيت رأيت منظراً عجيباً ، وإن أفضيت إلى جامعه شاهدت منه ما ليس في استطاعة الواصف أن يصفه ، ولا الرائي أن يعرفه ، وجملته أنه كنز الدهر ، ونادرة الوقت ، وأعجوبة الزمان ، وغريبة الأوقات ، ولقد أثبت الله عزَّ وجلَّ به ذكراً يدرس ، وخلف به أمراً لا يخفى ولا يدرس .

قال ابن عساكر : وأنشدني بعض أهل الأدب المحدِّثين في جامع دمشق عَمره الله بذكره [وفي دمشق فقال][٣] :

دمشقُ قد شاعَ حسنُ جامعها ... وما حوته رُبى مرابعها
بديعةُ الحسنِ في الكمالِ لما ... يدركهُ الطرفُ منْ بدائعها
طيبةٌ أرضها مباركةٌ ... باليمنِ والسعدِ أخذ طالعها
جامعها جامعُ المحاسنِ قدْ ... فاقتْ به المدن في جوامعها
بنية بالاتقانِ قدْ وضعتْ ... لا ضيَّعَ الله سعيَ واضعها
تذكرُ في فضلهِ ورفعتهِ ... آثارُ صدقٍ راقتْ لسامعها
قدْ كانَ قبلَ الحريقِ مدهشةٌ ... فغيرتْ ناره بلاقعها
فأذهبتْ بالحريقِ بهجتهُ ... فليسَ يرجى إيابُ راجعها
إذا تفكرتَ في الفصوصِ وما ... فيها تيقنتَ حذقَ راصعها
أشجارها لا تزالُ مثمرةً ... لا ترهبُ الريحَ منْ مدافعها
كأنها من زمردٍ غرستْ ... في أرضِ تبرٍ تغشى بنافعها[٤]
فيها ثمارٌ تخالها ينعتْ ... وليسَ يخشى فسادُ يانعها
تقطفُ باللحظِ لا بجارحةِ الـ ... أيدي ولا تجتني لبائعها
وتحتها من رخامةٍ قطعٌ ... لا قطعَ الله كف قاطعها
أحكم ترخيمها المرخمُ قد ... بانَ عليها إحكامُ صانعها

---

(١) تاريخ دمشق (٢/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨) .
(٢) المصدر السابق (٢/ ٢٤٨) .
(٣) تاريخ دمشق (٢/ ٢٧١ ـ ٢٧٢) .
(٤) في أ : بقاقعها . وكذلك في تاريخ دمشق .

وإنْ تفكرتَ في قناطرهِ وسقفهِ بانَ حذقُ رافعها
وإنْ تبينتَ حسنَ قبتهِ تحيرَ اللبُّ في أضالعها
تخترقُ الريحُ في مخارمها[١] عصفاً فتقوى على زَعازعها
وأرضهُ بالرخامِ قدْ فرشتْ ينفسحُ الطرفُ في مواضعها
مجالسُ العلمِ فيه مؤنَّقةٌ ينشرحُ الصدرُ في مجامعها
وكلُّ بابٍ عليهِ مطهرةٌ قدْ أمنَ الناسُ دفعَ مانعها
يرتفقُ الناسُ من مرافقها ولا يصدونَ عنْ منافعها
ولا تزال المياهُ جاريةً فيها لما شقَّ منْ مشارعها
وسوقها لا تزالُ آهلةً يزدحمُ الناسُ في شوارعها
لما يشاؤون مِنْ فواكهها وما يريدون منْ بضائعها
كأنها جنةٌ معجَّلةٌ في الأرضِ لولا مسرى فجائعها
دامتْ برغمِ العدى مسلَّمةً وحاطها الله منْ قوارعها

فصل
فيما وُجد فيه من الآثار وما روي في فضله من الأخبار عن جماعة من السادة الأخيار

رُوي عن قتادة أنه قال في قوله تعالى : ﴿ وَٱلتِّينِ ﴾ قال : هو مسجد دمشق ﴿ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ قال : هو مسجد بيت المقدس ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ حيث كلم الله موسى ﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ [التين : ١ ـ ٣] وهو مكة[٢] .

ونقل عثمان بن أبي عاتكة عن أهل العلم أنهم قالوا في قوله تعالى : ﴿ وَٱلتِّينِ ﴾ قالوا : هو مسجد دمشق . رواه ابن عساكر .

وقال صفوان بن صالح ، عن عبد الخالق بن زيد بن واقد ، عن أبيه ، عن عطية بن قيس الكلابي قال : قال كعب الأحبار : ليبنين في دمشق مسجد يبقى بعد خراب الدنيا أربعين عاماً[٣] .

وقال الوليد بن مسلم، عن عثمان بن أبي العاتكة ، عن علي بن يزيد[٤] ، عن القاسم أبي عبد الرحمن قال : أوحى الله تعالى إلى جبل قاسيون أن هب ظلك وبركتك إلى جبل بيت المقدس ، قال ففعل

(١) في ط : منافذها .
(٢) تاريخ دمشق (٢/ ٢٣٧) ط : دار الفكر .
(٣) المصدر نفسه (٢/ ٢٣٨) .
(٤) في الأصل : علي بن زيد ، وهو خطأ ، لأن علي بن يزيد الألهاني هو الذي يروي عن القاسم أبي عبد الرحمن .

فأوحى الله إليه أما إذا فعلت فإني سأبني لي في حضنك بيتاً أُعبد فيه بعد خراب الدنيا أربعين عاماً، ولا تذهب الأيام والليالي حتى أرد عليك ظلك وبركتك ، قال فهو عند الله بمنزلة الرجل الضعيف المتضرع(١) .

وقال دحيم : حيطان المسجد الأربعة من بناء هود عليه السلام ، وما كان من الفسيفساء إلى فوق فهو من بناء الوليد بن عبد الملك(٢) ـ يعني أنه رفع الجدار فعلاه من حد الرخام والكرمة إلى فوق إلى آخر الجدار ـ وقال غيره : إنما بنى هود الجدار القبلي فقط .

وقال أبو بكر أحمد بن عبد الله بن الفرج المعروف بابن البرامي الدمشقي : حدّثنا إبراهيم بن مروان ، سمعت أحمد بن إبراهيم بن ملاس يقول : سمعت عبد الرحمن بن يحيى بن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر قال : كان خارج باب الساعات صخرة يوضع عليها القربان ، فما تقبل منه جاءت نار فأحرقته ، وما لم يتقبل منه بقي على حاله . قلت : وهذه الصخرة نقلت إلى داخل باب الساعات ، وهي موجودة الآن ، وبعض العامة يزعم أنها الصخرة التي وضع عليها ابنا آدم قربانهما فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، فالله أعلم(٣) .

وقال هشام بن عمار : حدّثنا الحسن بن يحيى الخُشَني أن رسول الله ﷺ ليلة أسري به صلى في موضع مسجد دمشق. قال ابن عساكر : وهذا منقطع ومنكر جداً ، ولا يثبت أيضاً لا من هذا الوجه ولا من غيره .

وقال أبو بكر البرامي : حدّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الملك بن المغيرة المقري ، حدّثني أبي ، عن أبيه : أن الوليد بن عبد الملك تقدم إلى القوام ليلة من الليالي فقال : إني أريد أن أصلي في المسجد ، فلا تتركوا فيه أحداً يصلي اللّيلة ، ثم إن الوليد أتى باب الساعات فاستفتح الباب ففتح له ، فإذا رجل قائم بين الساعات وباب الخضراء الذي يلي المقصورة يصلي ، وهو أقرب إلى باب الخضراء منه إلى باب الساعات ، فقال الوليد للقوام : ألم آمركم أن لا تتركوا أحداً الليلة يصلي في المسجد ؟ فقال له بعضهم : يا أمير المؤمنين هذا الخضر يصلي كل ليلة في المسجد . في إسناد هذه الحكاية وصحتها نظر ، ولا يثبت بمثلها وجود الخضر بالكلية ، ولا صلاته في المكان المذكور والله أعلم .

وقد اشتهر في الأعصار المتأخرة أن الزاوية القبلية عند باب المِئذنة الغربية تسمى زاوية الخضر ، وما أدري ما سبب ذلك ، والذي ثبت بالتواتر صلاة الصحابة فيه ، وكفى بذلك شرفاً له ولغيره من المساجد التي صلّوا فيها ، وأول من صلّى فيه إماماً أبو عبيدة بن الجراح ، وهو أمير الأمراء بالشام ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأمين هذه الأمة، وصلّى فيه خلق من الصحابة مثل معاذ بن جبل وغيره، لكن قبل أن يغيره الوليد إلى هذه الصفة ، فأما بعد أن غُيِّر إلى هذا الشكل فلم يره أحد من الصحابة كذلك إلا أنس بن

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٢٣٩) .
(٢) تاريخ دمشق (٢/ ٢٣٩) .
(٣) المصدر نفسه (٢/ ٢٣٨) .

مالك ، فإنه ورد دمشق سنة ثنتين وتسعين ، وهو يبني فيه الوليد ، فصلّى فيه أنس ، ورأى الوليد وأنكر أنس على الوليد تأخير الصلاة إلى آخر وقتها كما قدّمنا ذلك في ترجمة أنس ، عند ذكر وفاته سنة ثلاث وتسعين ، وسيصلي فيه عيسى ابن مريم إذا نزل في آخر الزمان ، وذلك زمن الدجال وعموم البلوى به ، وانحصار الناس منه بدمشق ، فينزل مسيح الهدى فيقتل مسيح الضلالة ، ويكون نزوله على المنارة الشرقية بدمشق وقت صلاة الفجر[١] ، فيأتي وقد أقيمت الصلاة فيقول له إمام الناس : تقدم يا روح الله ، فيقول : إنما أُقيمت لك ، فيصلي عيسى تلك الصلاة خلف رجل من هذه الأمة ، يقال إنه المهدي ، فالله أعلم .

ثم يلتفت الناس على المسيح ويخرجون معه لقتال الدجال فيلحقه عند عقبة أَفيق ، فيدركه بباب لد فيقتله بيده هنالك . وقد ذكرنا ذلك مبسوطاً عند قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ [النساء : ١٥٩] وفي الصحيح[٢] عن النبي ﷺ : « والذي نفسي بيده لينزلن فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً ، وإماماً عادلاً ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، ولا يقبل إلا الإسلام » .

والمقصود أن عيسى ينزل ـ والبلد محصن من الدجال ويكون نزوله على المنارة الشرقية بدمشق ـ وهي هذه المنارة المبنية في زماننا من أموال النصارى حيث أحرقوها فجددت من أموالهم ـ ثم يكون نزول عيسى حتفاً لهم [وهلاكاً ودماراً] عليهم ، ينزل بين ملَكين واضعاً يديه على مناكبهما ، وعليه مهرودتان[٣] ، وفي رواية ممصرتان يقطر رأسه ماء كأنما خرج من ديماس ، وذلك وقت الفجر ، فينزل على المنارة وقد أقيمت الصلاة ، وهذا إنما يكون في المسجد الأعظم بدمشق ، وهو هذا الجامع . وما وقع في صحيح مسلم من رواية النواس بن سمعان الكلابي : فينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق ، كأنه والله أعلم مروي بالمعنى بحسب ما فهمه الراوي ، وإنما هو ينزل على المنارة الشرقية بدمشق ، وقد أُخبرت ولم أقف عليه إلى الآن أنه كذلك، في بعض ألفاظ هذا الحديث، في بعض المصنفات، والله المسؤول المأمول أن يوفقني فيوقفني على هذه اللفظة ، وليس في البلد منارة تعرف بالشرقية سوى هذه ، وهي بيضاء بنفسها ، ولا يعرف في بلاد الشام منارة أحسن منها ، ولا أبهى ولا أعلى منها ، ولله الحمد والمنة[٤] .

---

(١) الحديث في صحيح مسلم رقم (٢٩٣٧) في الفتن وأشراط الساعة .

(٢) صحيح مسلم رقم (١٥٥) في الإيمان رواه بمعناه ، وانظر مسند أحمد (٢/ ٤٣٧) .

(٣) مهرودتان : وتروى مهروذتان ، والوجهان مشهوران . وبالدال أكثر ومعناها : ثوبان مصبوغان بورس ثم بزعفران ، وقيل هما شقتان والشقة نصف الملاءة . وممصَّرتان : الثياب التي فيها صفرة خفيفة .

(٤) في ط زيادة من النساخ هذا نصها : قلت : نزول عيسى على المنارة التي بالجامع الأموي غير مستنكر ، وذلك أن البلاء بالدجال يكون قد عم فيحصر الناس داخل البلد ، ويحصرهم الدجال بها ، ولا يتخلف أحد عن دخول البلد إلا أن يكون متبعاً للدجال ، أو مأسوراً معه ، فإن دمشق في آخر الزمان تكون معقل المسلمين وحصنهم من الدجال ، فإذا كان الأمر كذلك فمن يصلي خارج البلد والمسلمون كلهم داخل البلد ، وعيسى إنما ينزل وقد أقيمت الصلاة ، فيصلي مع المسلمين ، ثم يأخذهم ويطلب الدجال ليقتله ، وبعض العوام يقول : إن المراد بالمنارة الشرقية بدمشق ، منارة مسجد بلاشو ، خارج باب شرقي . وبعضهم يقول : المنارة التي على نفس باب شرقي ؛ فالله أعلم=

الكلام على ما يتعلق برأس يحيى بن زكريا عليهما السلام

وروى ابن عساكر[١] : عن زيد بن واقد قال : وكلني الوليد على العمال في بناء جامع دمشق ، فوجدنا مغارة فعرَّفنا الوليد ذلك ، فلما كان اللّيل وافانا وبين يديه الشمع ، فنزل فإذا هي كنيسة لطيفة ، ثلاثة أذرع في ثلاثة أذرع ، وإذا فيها صندوق ، ففتح الصندوق فإذا فيه سفط ، وفي السفط رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام . مكتوب عليه : هذا رأس يحيى بن زكرياء ، فأمر به الوليد فرد إلى مكانه ، وقال : اجعلوا العمود الذي فوقه مغيراً من بين الأعمدة ، فجعل عليه عمود مسفط الرأس .

وفي رواية عن زيد بن واقد : أن ذلك الموضع كان تحت ركن من أركان القبة ـ يعني قبل أن تبنى ـ قال : وكان على الرأس شعر وبشر[٢] .

وقال الوليد بن مسلم : عن زيد بن واقد قال : حضرت رأس يحيى بن زكريا وقد أُخرج من الليطة القبلية الشرقية التي عند مجلس بجيلة ، فوضع تحت عمود الكاسك[٣] .

قال الأوزاعي والوليد بن مسلم : هو العمود الرابع المسفط .

وروى أبو بكر بن البرامي : عن أحمد بن أنس بن مالك ، عن حبيب المؤذن ، عن أبي زياد وأبي أمية الشَّعبانيين[٤] ، عن سفيان الثوري أنه قال : صلاة في مسجد دمشق بثلاثين ألف صلاة . وهذا غريب جداً .

وروى ابن عساكر من طريق أبي مسهر ، عن المنذر بن نافع ـ مولى أم عمرو بنت مروان ـ عن أبيه ـ وفي رواية عن رجل قد سماه ـ أن واثلة بن الأسقع خرج من باب المسجد الذي يلي باب جيرون فلقيه كعب الأحبار فقال : أين تريد ؟ قال واثلة : أريد بيت المقدس ؟ فقال : تعال أريك موضعاً في المسجد من صلّى فيه فكأنما صلّى في بيت المقدس ، فذهب به فأراه ما بين الباب الأصفر[٥] الذي يخرج منه الوالي ـ يعني الخليفة ـ إلى الحنية ـ يعني القنطرة الغربية ـ فقال : من صلّى فيما بين هذين فكأنما صلى في بيت المقدس ، فقال واثلة : إنه لمجلسي ومجلس قومي . قال كعب : هو ذاك . وهذا أيضاً غريب جداً ومنكر ولا يعتمد على مثله .

= بمراد رسول الله ﷺ ، وهو سبحانه العالم بكل شيء ، المحيط بكل شيء ، القادر على كل شيء ، القاهر فوق كل شيء ، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض .

(١) تاريخ دمشق (٢/ ٢٤١) .

(٢) تاريخ دمشق (٢٤١) .

(٣) في ط : الكاسة ؛ خطأ ، والخبر في تاريخ دمشق (٢/ ٢٤٢) .

(٤) في تاريخ ابن عساكر والخبر فيه (٢/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤) : الشغفاني .

(٥) في تاريخ دمشق والخبر فيه (٢/ ٢٤٥) : الأصغر .

وعن الوليد بن مسلم قال : لما أمر الوليد بن عبد الملك ببناء مسجد دمشق وجدوا في حائط المسجد القبلي لوحاً من حجر فيه كتاب نقش ، فبعثوا به إلى الوليد فبعثه إلى الروم فلم يستخرجوه ، ثم بعث إلى من كان بدمشق من بقية الأشنان[١] فلم يستخرجوه ، فدُلَّ على وهب بن منبه فبعث إليه ، فلما قدم عليه أخبره بموضع ذلك اللّوح فوجدوه في ذلك الحائط ـ ويقال ذلك الحائط بناه هود عليه السلام ـ فلما نظر إليه وهب حرّك رأسه وقرأه فإذا هو :

بسم الله الرحمن الرحيم ، ابن آدم لو رأيت يسير ما بقي من أجلك ، لزهدت في طول ما ترجو من أملك ، وإنما تلقى ندمك لو قد زل بك قدمك . وأسلمك أهلك وحشمك ، وانصرف عنك الحبيب وودعك القريب ، ثم صرت تدعى فلا تجيب ، فلا أنت إلى أهلك عائد ، ولا إلى عملك زائد ، فاعمل لنفسك قبل يوم القيامة ، وقبل الحسرة والندامة ، قبل أن يحل بك أجلك ، وتنزع منك روحك ، فلا ينفعك مال جمعته ، ولا ولد ولدته ، ولا أخ تركته ، ثم تصير إلى برزخ الثرى ، ومجاور الموتى ، فاغتنم الحياة قبل الموت ، والقوة قبل الضعف ، والصحة قبل السقم ، قبل أن تؤخذ بالكظم ويحال بينك وبين العمل ، وكتب في زمن سليمان بن داود عليهما السلام[٢] .

وقال الحافظ ابن عساكر[٣] : قرأت على أبي محمد السُّلمي ، عن عبد العزيز التميمي ، أبنا تمام الرازي ، ثنا ابن البِرَامي قال : سمعت أبا مروان عبد الرحيم بن عمر المازني يقول : لما كان في أيام الوليد بن عبد الملك وبنائه المسجد احتفروا فيه موضعاً فوجدوا باباً من حجارة مغلقاً ، فلم يفتحوه وأعلموا به الوليد ، فخرج من داره حتى وقف عليه ، وفُتِحَ بين يديه ، فإذا داخله مغارة فيها تمثال إنسان من حجارة ، على فرس من حجارة ، في يد التمثال الواحدة الدرَّة التي كانت في المحراب ، ويده الأخرى مقبوضة ، فأمر بها فكسرت ، فإذا هي حبتان ، حبة قمح وحبة شعير ، فسأل عن ذلك ، فقيل له لو تركت الكف لم تكسرها لم يسوس في هذا البلد قمح ولا شعير .

وقال الحافظ أحمد[٤] الورّاق ـ وكان قد عمر مئة سنة ـ : سمعت بعض الشيوخ يقول : لما دخل المسلمون دمشق وجدوا على العمود الذي على المقسلاط ـ على السفود الحديد الذي في أعلاه ـ صنماً ماداً يده بكف مطبقة ، فكسروه فإذا في يده حبة قمح ، فسألوا عن ذلك ، فقيل لهم : هذه الحبة قمح جعلها حكماء[٥] اليونان في كف هذا الصنم طلسماً ، حتى لا يسوس القمح في هذه البلاد ، ولو أقام سنين كثيرة .

---

(١) كذا في تاريخ دمشق وفي المختصر (١/ ٢٥٦) : الأشبال .
(٢) تاريخ دمشق (٢/ ٢٣٩ـ٢٤٠) .
(٣) تاريخ دمشق (٢/ ٢٧٩) ط : دار الفكر .
(٤) في ط : وقال الحافظ أبو حمدان ، خطأ ، والتصحيح من (أ) وتاريخ دمشق (٢/ ٢٧٩) والخبر منه .
(٥) في تاريخ دمشق : خلفاء .

قال ابن عساكر[١] : وقد رأيت أنا في هذا السفود على قناطر كنيسة المقسلاط كانت مبنية فوق القناطر التي في السوق الكبير ، عند الصابونيين والعطارين اليوم ، وعندها اجتمعت جيوش الإسلام يوم فتح دمشق ، أبو عبيدة من باب الجابية ، وخالد من باب الشرقي ، ويزيد بن أبي سفيان من باب الجابية الصغير .

وقال عبد العزيز التميمي[٢] ، عن أبي نصر عبد الوهّاب بن عبد الله المزني[٣] : سمعت جماعة من شيوخ أهل دمشق يقولون : إن في سقف الجامع طلاسم عملها الحكماء في السقف مما يلي الحائط القبلي ، فيها طلاسم للصنونيات ، لا تدخله ولا تعشش فيه من جهة الأوساخ التي تكون منها ، ولا يدخله غراب ، وطلسم للفأر والحيات والعقارب ، فما رأى الناس من هذا شيئاً إلا الفأر ، ويشك أن يكون قد عدم طلسمها[٤] ، وطلسم العنكبوت حتى لا ينسج في زواياه ويركبه الغبار والوسخ .

قال الحافظ ابن عساكر[٥] : وسمعت جدّي أبا الفضل يحيى بن علي يذكر أنه أدرك في الجامع قبل حريقه طلسمات لسائر الحشرات ، معلّقة في السقف فوق البطائن ممايلي السبع ، وأنه لم يكن يوجد في الجامع شيء من الحشرات قبل الحريق . فلما احترقت الطلسمات حين أحرق الجامع ليلة النصف من شعبان بعد العصر سنة إحدى وستين وأربعمئة .

وقد كانت بدمشق طلسمات كثيرة ، ولم يبق منها سوى العمود الذي بسوق العلبيين الذي في أعلاه مثل الكرة العظيمة ، وهي لعسر بول الدواب ، إذا داروا بالدابة حوله ثلاث مرات انطلق باطنها . وقد كان شيخنا العلامة أبو العباس ابن تيمية رحمه الله يقول : إنما هذا قبر مشرك متمرد مدفون هنالك يعذب ، فإذا سمعت الدابة صياحه فزعت فانطلق ضبعها ، قال : ولهذا يذهبون بالدواب إلى مقابر اليهود والنصارى إذا مغلت فتنطلق ، وما ذاك إلا لأنها تسمع أصواتهم وهم يعذبون ، والله أعلم .

ذكر الساعات التي على بابه

قال القاضي عبد الله بن أحمد بن زَبْر[٦] : إنما سمي باب الجامع القبلي باب الساعات لأنه عمل هناك

---

(١) تاريخه (٢/ ٢٨٠) وتمام الخبر فيه : وقد رأيت أنا هذا السفود على عمود قائم بالمقسلاط ، وطرح في سنة أربع وستين وخمسمئة ، وعمل منه أسكُفَّة لباشورة الباب الصغير .

(٢) تاريخ دمشق (٢/ ٢٨١) .

(٣) في ط : المري ، وما أثبت عن تاريخ دمشق .

(٤) العبارة في تاريخ دمشق : ويوشك أن يكون تغير طلسمها .

(٥) تاريخ دمشق (٢/ ٢٨١) .

(٦) تاريخ دمشق (٢/ ٢٨٠) .

بلكار[١] الساعات ، كان يُعلم بها كل ساعة تمضي من النهار ، عليها عصافير من نحاس ، وحَيّة من نحاس وغراب ، فإذا تمت الساعة خرجت الحيَّة فصفَّرت العصافير وصاح الغراب وسقطت حصاة في الطست [فيعلم الناس أنه قد ذهب من النهار ساعة ، وكذلك سائرها][٢] .

قلت : هذا الكلام يدل على أحد شيئين إما أن تكون الساعات كانت في الباب القبلي من الجامع ، وهو الذي يسمى باب الزيادة ، ولكن قد قيل إنه محدث بعد بناء الجامع ، وهو لا ينفي أن الساعات كانت عنده في زمن القاضي ابن زَبْر ، وإما أنه قد كان في الجامع في الجانب الشرقي منه في حائطه القبلي باب آخر في محاذاة باب الزيادة ، وعنده الساعات ثم نقلت بعد هذا كله إلى باب الورّاقين اليوم ، وهو باب الجامع من الشرق ، والله أعلم .

قلت : فأما القبة التي في وسط صحن الجامع التي فيها الماء الجاري ، ويقول العامة لها قبة أبي نواس فكان بناؤها في سنة تسع وستين وثلاثمئة أرَّخَ ذلك ابن عساكر[٣] عن خط بعض الدماشقة .

وأما القبة الغربية العالية التي في صحن الجامع التي يقال لها قبة عائشة ، فسمعت شيخنا الحافظ أبا عبد الله الذهبي يقول : إنها إنما بنيت في حدود سنة ستين ومئة في أيام المهدي بن المنصور العباسي ؛ وجعلوها لحواصل الجامع وكتب أوقافه .

وأما القبة الشرقية التي على باب مسجد علي فيقال : إنها بنيت في زمن الحاكم العبيدي في حدود سنة أربعمئة .

وأما الفَوَّارة التي تحت درج جيرون فعملها الشريف فخر الدولة أبو علي حمزة بن الحسين بن العباس الحسيني[٤] ، وكأنه كان ناظراً بالجامع ، وجَرَّ إليها قطعة من حجر كبير من قصر حَجّاج ، وأجرى فيها الماء ليلة الجمعة لسبع ليال خلون من ربيع الأول سنة سبع عشرة وأربعمئة وعملت حولها قناطر ، وعقد عليها قبة ، ثم سقطت القبة بسبب جِمَال تحاكَّت عندها [وازدحمت] وذلك في صفر سنة سبع وخمسين وأربعمئة ، فأعيدت ثم سقطت عمدها وما عليها في حريق اللبادين ودار الحجارة في شوال سنة اثنتين وستين وخمسمئة ، ذكر ذلك كله الحافظ ابن عساكر[٥] .

قلت : وأما القصعة التي كانت في الفوارة ، فما زالت وسطها ، وقد أدركتها كذلك ، ثم رفعت بعد ذلك . وكان بطهارة جيرون قصعة أخرى مثلها ، فلم تزل بها إلى أن تهدمت اللبادين بسبب حريق النصارى

---

(١) في تاريخ دمشق : بركار ، وفي ط : بلشكار ! !
(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وهي في مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (١/ ٢٧٢) .
(٣) تاريخ دمشق (٢/ ٢٦٤) .
(٤) في الأصول : الحسني ، والمثبت من تاريخ دمشق ومختصره .
(٥) تاريخ دمشق (٢/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥) .

في سنة إحدى وأربعين وسبعمئة ، ثم استؤنف بناء الطهارة على وجه آخر أحسن مما كانت ، وذهبت تلك القصعة فلم يبق لها أثر .

ثم عمل الشاذروان[1] الذي شرقي فوارة جيرون ، بعد الخمسمئة ـ أظنه ـ سنة أربع عشرة وخمسمئة والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر ابتداء أمر السُّبْع[2] بالجامع الأموي

قال أبو بكر بن أبي داود : حدّثنا أبو عامر[3] موسى بن عامر المري ، حدّثنا الوليد ـ هو ابن مسلم ـ قال قال أبو عمر الأوزاعي ، عن حسان بن عَطيّة قال : الدراسة مُحدثة أحدثها هشام بن إسماعيل المخزومي ، في قدمته على عبد الملك ، فحجبه عبد الملك فجلس بعد الصبح في مسجد دمشق فسمع قراءة فقال : ما هذا ؟ فأخبر أن عبد الملك يقرأ في الخضراء ، فقرأ هشام بن إسماعيل[4] ، فجعل عبد الملك يقرأ بقراءة هشام ، فقرأ بقراءته مولى له ، فاستحسن ذلك من يليه من أهل المسجد فقرأوا بقراءته .

وقال هشام بن عمار خطيب دمشق : حدّثنا أيوب بن حسّان ، حدّثنا الأوزاعي ، حدّثنا خالد بن دهقان قال : أول من أحدث القراءة في مسجد دمشق هشام بن إسماعيل بن المغيرة المخزومي ، وأول من أحدث القراءة بفلسطين الوليد بن عبد الرحمن الجُرَشي[5] .

قلت : هشام بن إسماعيل كان نائباً على المدينة النبوية ، وهو الذي ضرب سعيد بن المسيِّب لما امتنع من المبايعة للوليد بن عبد الملك ، قبل أن يموت أبوه ، ثم عزله عنها الوليد وولّى عليها عمر بن عبد العزيز ، كما ذكرنا .

وقد حضر هذا السُّبْع جماعات من سادات السَّلف من التابعين بدمشق ، منهم هشام بن إسماعيل ، ومولاه رافع ، وإسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر ـ وكان مكتّباً لأولاد عبد الملك بن

---

(١) الشاذروان : لوحة من حجر مزخرفة ومحفورة بأقنية ، تُركز مائلة في صدر قاعة تجري عليها الماء خفيفة لترطب الجو ، وقد سميت أيضاً بـ السلسبيل . موسوعة العمارة الإسلامية (ص٢٣٢) .

(٢) المقصود بالسُّبْع : سُبْعٌ من القرآن . ثم أطلق على المكان الذي كان يقرأ السُّبْع فيه . وكان موضع السُّبْع في المسجد على ما ذكر ابن جبير الجهة الشرقية من مقصورة الصحابة . وقراءة السُّبع لا تتعدى ذلك الموضع متصلاً مع جدار القبلة إلى الجدار الشرقي ، ووقت قراءته كل يوم إثر صلاة الصبح . رحلة ابن جبير (ص٢٩٤) .

(٣) في الأصول : عباس ، والتصحيح من ابن عساكر .

(٤) كان نائباً لعبد الملك على المدينة المنورة . ترجمته في هذا الجزء ضمن وفيات سنة ٨٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢١٤) .

(٥) الخبر بسنده في تاريخ دمشق (٢/ ٢٨٣) .

مروان ، وقد ولي إمرة إفريقية لهشام بن عبد الملك وابنيه عبد الرحمن ومروان[١] .

وحضره من القضاة أبو إدريس الخولاني ، ونمير بن أوس الأشعري ، ويزيد بن أبي مالك الهمداني ، وسالم بن عبد الله المحاربي ، ومحمد بن عبد الله بن لبيد الأسدي .

ومن الفقهاء والمحدثين والحفاظ المقرئين أبو عبد الرحمن القاسم بن عبد الرحمن مولى آل معاوية ، ومكحول ، وسليمان بن موسى الأشدق ، وعبد الله بن العلاء بن زَبْر ، وأبو إدريس الأصغر عبد الرحمن ابن عراك ، وعبد الرحمن بن عامر اليحصبي ـ أخو عبد الله بن عامر ـ ويحيى بن الحارث الذِّماري[٢] ، وعبد الملك بن نعمان المُزَني ، وأنس بن أنيس العذري ، وسليمان بن بزيع[٣] القارىء ، وسليمان بن داود الخُشني ، وعران ـ أو هزّان ـ بن حكيم القرشي ، ومحمد بن خالد بن أبي ظبيان الأزدي ، ويزيد بن عبيدة بن أبي المهاجر ، وعَيّاش بن دينار وغيرهم .

هكذا أوردهم ابن عساكر[٤] . قال : وقد روي عن بعضهم أنه كره اجتماعهم وأنكره ، ولا وجه لإنكاره .

ثم ساق من طريق أبي بكر بن أبي داود : حدّثنا عمرو[٥] بن عثمان ، حدّثنا الوليد ـ هو ابن مسلم ـ عن عبد الله بن العلاء قال : سمعت الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزب[٦] ينكر هذه الدراسة ويقول : ما رأيت ولا سمعت وقد أدركت أصحاب النبي ﷺ .

قال ابن عساكر[٧] : وكان الضحاك بن عبد الرحمن أميراً على دمشق في أواخر سنة ست وثمانين[٨] في خلافة عمر بن عبد العزيز .

فصل

كان ابتداء عمارة جامع دمشق في أواخر سنة ست وثمانين ، هدمت الكنيسة في ذي القعدة منها ، فلما فرغوا من الهدم شرعوا في البناء ، وتكامل في عشر سنين[٩] ، فكان الفراغ منه في هذه السنة ـ أعني سنة

---

(١) أي ولدا إسماعيل بن عبيد الله .
(٢) في الأصول : الدماري ـ بالدال ـ والمثبت من تاريخ دمشق والضبط من تقريب التهذيب .
(٣) في الأصول : بذيغ ، والمثبت من تاريخ دمشق ، وسليمان بن بزيع من حملة القرآن .
(٤) تاريخ دمشق (٢/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤) ط : دار الفكر .
(٥) في تاريخ دمشق : عمر .
(٦) في ط : عروب ، والمثبت من أ ، ب ويوافق تاريخ دمشق .
(٧) تاريخ دمشق (٢/ ٢٨٥) .
(٨) كذا ورد في الأصول ؛ والصحيح في سنة تسع وتسعين ، ولم يذكر ابن عساكر السنة .
(٩) في معجم البلدان (٢/ ٤٦٥) : تسع سنين .

ست وتسعين ـ وفيها توفي بانيه الوليد بن عبد الملك ، وقد بقيت فيه بقايا فكملها أخوه سليمان بن عبد الملك كما ذكرنا . فأما قول يعقوب بن سفيان : سألت هشام بن عمار عن قصة مسجد دمشق وهدم الكنيسة قال : كان الوليد قال للنصارى : ما شئتم ، إنا أخذنا كنيسة توما عنوة وكنيسة الداخلة صلحاً ، فأنا أهدم كنيسة توما ـ قال هشام وتلك أكبر من هذه الداخلة ـ قال فرضوا أن يهدم كنيسة الداخلة وأدخلها في المسجد ، قال : وكان بابها قبلة المسجد اليوم ، وهو المحراب الذي يصلى فيه ، قال : وهدم الكنيسة في أول خلافة الوليد سنة ست وثمانين ، ومكثوا في بنائها سبع سنين حتى مات الوليد ولم يتم بناءه ، فأتمه هشام من بعده ففيه فوائد وفيه غلط ، وهو قوله إنهم مكثوا في بنائه سبع سنين ، والصواب عشر سنين ، فإنه لا خلاف أن الوليد بن عبد الملك توفي في هذه السنة ـ أعني سنة ست وتسعين ـ وقد حكى أبو جعفر بن جرير على ذلك إجماع أهل السير ، وقوله : لم يتم بناؤه في زمن الوليد بل قد تم ولكن بقيت بقيات من الزخرفة فأكملها أخوه سليمان لا هشام ، والله سبحانه وتعالى أعلم[١] .

وهذه ترجمة الوليد بن عبد الملك[٢] باني جامع دمشق ، وذكر وفاته في هذا العام

هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، أبو العباس الأموي ، بويع له بالخلافة بعد أبيه بعهدٍ منه في شوال سنة ست وثمانين ، وكان أكبر ولده ، والولي من بعده ، وأمه ولادة بنت العباس بن جزء[٣] بن الحارث بن زهير العبسي .

وكان مولده سنة خمسين ، وكان أبواه يترفانه ، فشب بلا أدب[٤] ، وكان لا يحسن العربية ، وكان طويلاً أسمر به أثر جدري خفي ، أفطس الأنف سائله ، وكان إذا مشى يتوكف[٥] في المشية ـ أي يتبختر ـ

---

(١) بعدها في ط ، ب : زيادة تذكر تواريخ بناء القباب التي في صحن المسجد وقد تقدم الكلام عن هذه القباب قبل صفحات ، وانفردت (ب) بزيادة هذا نصها : فمن ذلك القبة الغربية التي في صحنه ، ويسميها الناس قبة عائشة ، وغالب ظني أنها بنيت في سنة ستين ومئة في أيام المهدي بن المنصور ، وأما القبة الشرقية التي في صحنه تجاه مشهد علي بن الحسين فعمِّرت في أيام المستنصر العبيدي في سنة خمس وأربعمئة ، وكتب عليها اسمه واسم الاثني عشر ، يفور من وسطها الماء ، وتسميها العامة قبة أبي نواس ، فكان بناؤها في سنة بضع وخمسين وثلاثمئة ، ووضع العمودان اللذان في صحن الجامع لأجل التنوير لليالي الجمع في شهر رمضان سنة إحدى وأربعين وأربعمئة بأمر قاضي البلد أبي محمد فيما ذكره ابن عساكر في بعض تواريخهم ومن خطهم نقلت ذلك ، وهذه ترجمة . .

(٢) ترجمة ـ الوليد بن عبد الملك ـ في المعارف لابن قتيبة (٣٥٩) وتاريخ دمشق (٦٣/ ١٦٤ ـ ١٨٧) ووفيات الأعيان (٦/ ٢٥٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٩٦ ـ ٥٠٠) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٤٧ ـ ٣٤٨) والنجوم الزاهرة (١/ ٢٢٠ ـ ٢٣٤) وشذرات الذهب (١/ ٣٨٨) .

(٣) في ط ، ب : حزن وما أثبت عن الطبري (٦/ ٤١٩) وجمهرة أنساب العرب لابن حزم .

(٤) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٩٧) نقلاً عن فوات الوفيات .

(٥) في أ : يتوذف .

وكان جميلاً وقيل بل كان دميماً ، قد شاب في مقدم لحيته ، وقد رأى سهل بن سعد وسمع أنس بن مالك حين سأله ما سمع في أشراط الساعة ، كما تقدم في ترجمة أنس ، وسمع سعيد بن المسيّب ، وحكى عن الزهري وغيره .

وقد روي أن عبد الملك أراد أن يعهد إليه ثم توقف لأنه لا يحسن العربية ، فجمع الوليد جماعة من أهل النحو فأقاموا عنده ستة أشهر ، فخرج يوم خرج وهو أجهل ما كان ، فقال عبد الملك : قد أجهد وأعذر[١] [وقيل إن أباه عبد الملك أوصاه عند موته فقال له : لا ألفينك إذا مِتُّ تجلس تعصر عينيك ، وتحن حنين الأمة ، ولكن شمّر واتزر ، ودلني في حفرتي ، وخلني وشأني ، وادع الناس إلى البيعة ، فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا][٢] .

وقال اللّيث : وفي سنة ثمان وسبعين[٣] غزا الوليد بلاد الروم ، وفيها حج بالناس أيضاً . وقال غيره : غزا في التي قبلها وفي التي بعدها بلاد ملطية وغيرها .

وبويع له بالخلافة بعد أبيه في شوال من سنة ست وثمانين[٤] .

وكان نقش خاتمه : أومن بالله مخلصاً . وقيل كان نقشه يا وليد إنك ميت .

ويقال : إن آخر ما تكلّم به سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله .

وقال إبراهيم بن أبي عبلة : قال لي الوليد بن عبد الملك يوماً : في كم تختم القرآن ؟ قلت : في كذا وكذا ، فقال : أمير المؤمنين على شغله يختمه في كل ثلاث ، وقيل في كل سبع ، قال : وكان يقرأ في كل رمضان سبع عشرة ختمة[٥] . قال إبراهيم : رحم الوليد وأين مثله ؟ بنى مسجد دمشق ، وكان يعطيني قطاع الفضة فأقسمها على قراء بيت المقدس[٦] .

وروى ابن عساكر[٧] بإسناد رجاله كلهم ثقات عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن أبيه قال : خرج الوليد بن عبد الملك يوماً من الباب الأصغر فرأى رجلاً عند المئذنة الشرقية يأكل شيئاً ، فأتاه فوقف عليه فإذا هو يأكل خبزاً وتراباً ، فقال له : ما حملك على هذا ؟ قال : القُنُوع يا أمير المؤمنين ، فذهب إلى مجلسه ثم استدعى به فقال : إن لك لشأناً فأخبرني به وإلا ضربت الذي فيه عيناك ، فقال : نعم يا أمير

---

(١) فوات الوفيات (٤/ ٢٥٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٩٧) .
(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر بسنده في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٩٧ ـ ٤٩٨) .
(٣) في أ ، ط : وتسعين ، وهذا خطأ واضح ، حيث إن المشهور أن الوليد مات سنة ٩٦هـ ، وخبر غزو الوليد وحجه في تاريخ الطبري (٦/ ٣٢١) .
(٤) من قوله : وبويع له بالخلافة . . إلى هنا ساقط من ط .
(٥) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٤٧) .
(٦) تاريخ دمشق (٦٣/ ١٧٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٩٨) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٤٧) .
(٧) تاريخ دمشق (٦٣/ ١٧٧) والخبر أيضاً في تاريخ الإسلام .

المؤمنين ، كنت رجلاً جَمّالاً ، فبينما أنا أسير من مرج الصُّفَّر[١] قاصداً إلى الكسوة[٢] ، إذ أزرمني البول فعدلت إلى خربة لأبول ، فإذا سرب فحفرته فإذا مال صبيب ، فملأت منه غرائري ، ثم انطلقت أقود برواحلي ، وإذا بمخلاة معي فيها طعام فألقيته منها ، وقلت إني سآتي الكسوة ، ورجعت إلى الخربة لأملأ تلك المخلاة من ذلك المال فلم أهتد إلى المكان بعد الجهد الجهيد في الطلب ، فلما أيست رجعت إلى الرواحل فلم أجدها ولم أجد الطعام ، فآليت على نفسي أني لا آكل إلا خبزاً وتراباً . قال : فهل لك عيال ؟ قال نعم ، ففرض له في بيت المال .

قال ابن جابر[٣] : وبلغنا أن تلك الرواحل سارت حتى أتت بيت المال فتسلمها حارسه فوضعها في بيت المال .

[وقيل إن الوليد قال له : ذلك المال وصل إلينا واذهب إلى إبلك فخذها ، وقيل إنه دفع إليه شيئاً من ذلك المال يُقيته وعياله][٤] .

وقال نمير بن عبد الله الصَّنعاني[٥] عن أبيه قال : قال الوليد بن عبد الملك : لولا أن الله ذكر قوم لوط في القرآن ما ظننت أن أحداً يفعل هذا[٦] .

قالوا : وكان الوليد لحاناً كما جاء من غير وجه أن الوليد خطب يوماً فقرأ في خطبته ﴿ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴾ [الحاقة : ٢٧] فضم التاء من ليتها . فقال عمر بن عبد العزيز : يا ليتها كانت عليك وأراحتنا منك[٧] .

وكان يقول : يا أهلُ المدينة .

---

(١) مرج الصفّر : تل بحوران .

(٢) الكسوة : قرية ، أول منزل تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر . معجم البلدان (٤/ ٤٦١) .

(٣) في ط : جرير ؛ خطأ . والمثبت من أ ، ب وتاريخ دمشق (٦٣/ ١٧٨) .

(٤) زيادة من ط .

(٥) في أ ، ب : الشعباني ، وفي ط : الشعناني ، وما أثبت عن تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٩٩) وفي تاريخ دمشق (٦٣/ ١٧٨) : السمعاني .

(٦) بعدها في ط زيادة تحتوي كلاماً عن فاحشة اللواط مبدأها : قلت : فنفى عن نفسه هذه الخصلة القبيحة الشنيعة ، والفاحشة المذمومة ، التي عذب الله أهلها .
ولا شك أن هذه من زيادات النساخ ، وبعد هذه الفقرة ، يذكر حكم الإسلام في هذه الفعلة الشنيعة ، وهل تقبل توبة المفعول به والفاعل أم لا ، وهكذا . . وقد رأيت حذفها لأنها ليست من أصل الكتاب أولاً فهي ساقطة من أ ، ب وموضوعها خلاف موضوع الكتاب ثانياً ؛ فهذا كتاب تاريخ وقلّما يتطرّق إلى المسائل الفقهية والوعظية بهذه السَّعة ، وأكبر دليل على إقحام هذه الزيادة تحامل كاتبها على الوليد رحمه الله واتهامه بهذا الفعل الشنيع . نسأل الله العافية والسلامة .

(٧) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٩٩) .

وقال عبد الملك يوماً لرجل من قريش : إنك لرجل لولا أنك تلحن ، فقال : وهذا ابنك الوليد يلحن ، فقال : لكن ابني سليمان لا يلحن ، فقال الرجل : وأخي أبو فلان لا يلحن[١] .

وقال ابن جرير[٢] : حدّثني عمر ، حدّثنا علي ـ يعني ابن محمد المدائني ـ قال : كان الوليد بن عبد الملك عند أهل الشام أفضل خلائفهم ، بنى المساجد بدمشق[٣] ، ووضع المنائر ، وأعطى الناس ، وأعطى المجذومين ، وقال لهم : لا تسألوا الناس ، وأعطى كلَّ مُقْعِدٍ خادماً ، وكل ضرير قائداً[٤] ، وفُتح في ولايته فتوحات كثيرة عظاماً ، وكان يرسل بنيه في كل غزوة إلى بلاد[٥] الروم ، ففتح الهند والسند والأندلس وأقاليم بلاد العجم ، حتى دخلت جيوشه إلى الصين وغير ذلك .

قال : وكان مع هذا يمر بالبقال فيأخذ حزمة البقل بيده ويقول : بكم تبيع هذه ؟ فيقول : بفلس ، فيقول : زد فيها فإنك تربح .

وذكروا أنه كان يبر حَمَلَة القرآن ويكرمهم ويقضي عنهم ديونهم ، قالوا : وكانت همَّة الوليد في البناء ، وكان الناس كذلك ، يلقى الرجل الرجل فيقول : ماذا بنيت ؟ ماذا عمرت ؟ وكانت همّة أخيه سليمان في النساء ، وكان الناس كذلك ، يلقى الرجل الرجل فيقول : كم تزوجت ؟ ماذا عندك من السراري ؟ وكانت همة عمر بن عبد العزيز في قراءة القرآن ، وفي الصلاة والعبادة ، وكان الناس كذلك ، يلقى الرجل الرجل فيقول : كم وردك ؟ كم تقرأ كل يوم ؟ ماذا صليت البارحة[٦] ؟

قلت : بنى الوليد بن عبد الملك جامع دمشق على الوجه الذي ذكرنا فلم يكن له في الدنيا نظير ، في حسنه وشكله ، وبنى صخرة بيت المقدس عقد عليها القبة[٧] ، وبنى مسجد النبي ﷺ ، ووسعه حتى دخلت الحجرة النبوية التي فيها القبر فيه ، وله آثار حسان كثيرة جداً ، ثم كانت وفاته في يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة من هذه السنة . أعني سنة ست وتسعين .

---

(١) تقدم سرد هذه الحادثة ، وقد جرت بين عبد الملك وخالد بن يزيد بن معاوية .
(٢) تاريخ الطبري (٦/ ٤٩٦) .
(٣) في الطبري : بنى المساجد مسجد دمشق ومسجد المدينة .
(٤) قال القاضي ابن خلكان في الوفيات (٦/ ٢٥٤) : رتب للزمنى والأضرَّاء من يقودهم ويخدمهم . لأنه أصابه رمد بعينيه فأقام مدة لا يبصر شيئاً ، فقال : إن أعادهما الله تعالى عليَّ قمت بحقه فيهما . فلما برىء رأى أن شكر هذه النعمة الإحسان إلى العميان .
(٥) العبارة الأخيرة ليست في الطبري .
(٦) تاريخ الطبري (٦/ ٤٩٧) : وبعدها في ط زيادة ، وهي تعليق من النساخ عما ذكر قبلها ، ولا قيمة لهذه الزيادة ، ولا محل لها هنا ، ثم نقل عن الواقدي خبراً فيه إساءة للوليد بن عبد الملك ، ولا شك أن المقصود بهذا الخبر الوليد بن يزيد الفاسق .
(٧) المعروف أن الذي بنى قبة الصخرة إنما هو عبد الملك بن مروان .

قال ابن جرير[١] : هذا قول جميع أهل السير .

وقال عمر[و] بن علي الفلاس وجماعة : كانت وفاته يوم السبت للنصف من ربيع الأول من هذه السنة ، عن ست وقيل ثلاث وقيل تسع وقيل أربع وأربعين سنة ، وكانت وفاته بدير مران ، فحمل على أعناق الرجال حتى دفن بمقابر باب الصغير ، وقيل : بمقابر باب الفراديس ، حكاه ابن عساكر[٢] .

وكان الذي صلى عليه عمر بن عبد العزيز لأن أخاه سليمان كان بالقدس الشريف ، وقيل : صلى عليه ابنه عبد العزيز . وقيل بل صلّى عليه أخوه سليمان ، والصحيح عمر بن عبد العزيز ، والله أعلم . وهو الذي أنزله إلى قبره وقال حين أنزله : لننزلنه غير موسَّد ولا ممهد ، قد خلفت الأسلاب ، وفارقت الأحباب ، وسكنت التراب وواجهت الحساب ، فقيراً إلى ما تقدم عليه ، غنياً عما تخلف[٣] .

وجاء من غير وجه عن عمر بن عبد العزيز أنه أخبره أنه لما وضعه ـ يعني الوليد ـ في لحده ارتكض في أكفانه ، وجمعت رجلاه إلى عنقه[٤] .

وكانت خلافته تسع سنين وثمانية أشهر على المشهور . والله أعلم .

قال المدائني : وكان له من الولد تسعة عشر ولداً ذكراً ، وهم عبد العزيز ، ومحمد ، والعباس ، وإبراهيم ، وتمام ، وخالد ، وعبد الرحمن ، ومبشر ، ومسرور ، وأبو عبيدة ، وصدقة ، ومنصور ، ومروان ، وعنبسة ، وعمر ، وروح ، وبشر ، ويزيد ، ويحيى . فأم عبد العزيز ومحمد أم البنين[٥] بنت عمه عبد العزيز بن مروان ، وأم أبي عبيدة فزارية ، وسائرهم من أمهات أولاد شتى[٦] .

قال المدائني : وقد رثاه جرير فقال :

يا عينُ جودي بدمعٍ هاجَهُ الذِّكر ... فما لدمعكِ بعد اليومِ مُدَّخرُ
إنَّ الخليفةَ قدْ وارتْ شمائلهُ ... غبراءُ مُلْحَدَةٌ في جُولها زورٌ[٧]
أضحى بنوهُ وقد جلت مصيبتُهُمْ ... مثلَ النجومِ هَوَى من بينها القمرُ
كانوا جميعاً فلم يدفع منيتهُ ... عبدُ العزيزِ ولا رَوْحٌ ولا عمرُ[٨]

---

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٤٩٥) .
(٢) تاريخ دمشق (٦٣/ ١٨٢) .
(٣) المصدر نفسه (٦٣/ ١٨٠) .
(٤) الخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٥٠٠) وتاريخ دمشق (٦٣/ ١٨٠ ـ ١٨١) .
(٥) في أ : المؤمنين ، وما هنا مطابق للمصادر .
(٦) الخبر في تاريخ الطبري (٦/ ٤٩٦) .
(٧) في أ : زرر ؛ تحريف ، والزور : الاعوجاج .
(٨) الأبيات في ديوان جرير (٣٦٢) ط : دار الكتب اللبنانية ، وتاريخ الطبري (٦/ ٤٩٧ ـ ٤٩٨) .

ومن هلك أيام الوليد بن عبد الملك :

زياد بن جارية التميمي[١] الدمشقي ، كانت داره بها غربي قصر الثقفيين .

روى عن حبيب بن مسلمة الفهري في النهي عن المسألة وله ما يغديه ويعشيه ، وفي النفل .

ومنهم من زعم أن له صحبة ، والصحيح أنه تابعي .

روى عنه : عطية بن قيس ومكحول ويونس بن ميسرة بن حلبس ، ومع هذا قال فيه أبو حاتم : شيخ مجهول .

ووثقه النسائي وابن حبان .

روى ابن عساكر[٢] : أنه دخل يوم جمعة إلى مسجد دمشق وقد أخرت الصلاة ، فقال : والله ما بعث الله نبياً بعد محمد ﷺ أمركم بهذه الصلاة هذا الوقت ، قال : فأُخذ فأدخل الخضراء فقطع رأسه ، وذلك في زمن الوليد بن عبد الملك .

عبد الله بن عمرو بن عثمان[٣] ، أبو محمد ، كان قاضي المدينة ، وكان شريفاً كثير المعروف جواداً ممدَّحاً ، والله أعلم[٤] .

خلافة سليمان بن عبد الملك

بويع له بالخلافة بعد موت أخيه الوليد يوم مات ، وكان يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ، وكان سليمان بالرَّملة ، وكان ولي العهد من بعد أخيه عن وصية أبيهما عبد الملك بن مروان كما تقدم .

وقد كان الوليد بن عبد الملك قد عزم قبل موته على خلع أخيه سليمان ، وأن يجعل ولاية العهد من بعده لولده عبد العزيز بن الوليد ، وقد كان الحجاج طاوعه على ذلك وأمره به ، وكذلك قتيبة بن مسلم

---

(١) ترجمة ـ زياد بن جارية ـ في تاريخ البخاري (٣/ ٣٤٨) والثقات لابن حبان (٤/ ٢٥٢) وتاريخ دمشق (١٩/ ١٣٢ ـ ١٣٦) وفيه : زياد بن حارثة ، وتهذيبه (٥/ ٤١) وأسد الغابة (٢/ ٣١٢) وتهذيب الكمال (٩/ ٤٣٩ ـ ٤٤١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٥٩ ـ ٣٦٠) والوافي بالوفيات (١٥/ ١٣ ـ ١٤) والإصابة (١/ ٥٨٦) وتهذيب التهذيب (٣/ ٣٥٦ ـ ٣٥٧) .

وقد تحرف في ط إلى : حارث ، وفي أ ، ب : حارثة ، والتصحيح من المصادر .

(٢) تاريخ دمشق (١٩/ ١٣٦) .

(٣) ترجمة ـ عبد الله بن عمرو ـ في المعارف (١٩٩) وتاريخ البخاري (٥/ ١٥٣ ـ ١٥٤) ونسب قريش (١١٨) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٠٣) والوافي بالوفيات (١٧/ ٣٨٤ ـ ٣٨٨) والنجوم الزاهرة (١/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤) وتهذيب التهذيب (٥/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩) .

(٤) الترجمة الأخيرة ساقطة من أ ، ب .

وجماعة من أهل الشام ، وقد أنشد في ذلك جرير[١] وغيره من الشعراء قصائد ، فلم ينتظم ذلك له حتى مات ، وانعقدت البيعة إلى سليمان ، فخافه قتيبة بن مسلم وعزم على أن لا يبايعه ، فعزله سليمان وولّى على إمرة العراق ثم خراسان يزيد بن المهلّب[٢] ، فأعاده إلى إمرتها بعد عشر سنين ، وأمره بمعاقبة آل الحجاج بن يوسف ، وكان الحجاج هو الذي عزل يزيد عن خراسان . [ولسبع بقين من رمضان من هذه السنة عزل سليمان عن إمرة المدينة عثمان بن حيان وولّى عليها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وكان أحد العلماء][٣] .

وقد كان قتيبة بن مسلم حين بلغه ولاية سليمان بن عبد الملك للخلافة كتب إليه كتاباً يعزّيه في أخيه ، ويهنئه بولايته ، ويذكر فيه بلاءه وعناه وقتاله وهيبته في صدور الأعداء ، وما فتح الله من البلاد والمدن والأقاليم الكبار على يديه ، وأنه له على مثل ما كان للوليد من الطاعة والنصيحة ، إن لم يعزله عن خراسان ، ونال في هذا الكتاب من يزيد بن المهلّب ، ثم كتب كتاباً ثانياً يذكر ما فعل من القتال والفتوحات وهيبته في صدور الملوك والأعاجم ، ويذم يزيد بن المهلّب أيضاً ، ويقسم فيه لئن عزله وولى يزيد ليخلعن سليمان عن الخلافة ، وكتب كتاباً ثالثاً فيه خلع سليمان عن الخلافة بالكلية ، وبعث بها مع البريد[٤] وقال له : ادفع إليه الكتاب الأول ، فإن قرأه ودفعه إلى يزيد بن المهلّب فادفع إليه الثاني ، فإن قرأه ودفعه إلى يزيد بن المهلّب فادفع إليه الثالث ، فلما قرأ سليمان الكتاب الأول ـ واتفق حضور يزيد عند سليمان ـ دفعه إلى يزيد فقرأه ، فناوله البريد الكتاب الثاني فقرأه ودفعه إلى يزيد ، فناوله البريد الكتاب الثالث فقرأه ، فإذا فيه التصريح بعزله وخلعه ، فتغيّر وجهه ، ثم ختمه وأمسكه بيده ولم يدفعه إلى يزيد ، وأمر بإنزال البريد في دار الضيافة ، فلما كان من اللّيل بعث إلى البريد فأحضره ودفع إليه ذهباً وكتاباً فيه ولاية قتيبة على خراسان ، وأرسل مع ذلك البريد بريداً آخر من جهته ليقرره عليها ، فلما وصلا بلاد خراسان[٥] بلغهما أن قتيبة قد خلع الخليفة ، فدفع بريد سليمان الكتاب الذي معه إلى بريد قتيبة ، ثم بلغهما مقتل قتيبة قبل أن يرجع بريد سليمان .

---

(١) يقول جرير :

إذا قيل أي النـاس خيـر خليفـة	أشارت إلى عبد العزيز الأصابع
رأوه أحـق النـاس كلّهـم بهـا	وما ظلموا ، فبايعوا وسارعوا

والأبيات في ديوان جرير (٣٥٧) وتاريخ الطبري .

(٢) الخبر في الطبري (٦/ ٥٠٦) وابن الأثير (٥/ ١١) وفيهما : أن سليمان عزل يزيد بن أبي مسلم عن العراق ، وأمّر عليه يزيد بن المهلّب ، وجعل صالح بن عبد الرحمن على الخراج .

(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر في الطبري (٦/ ٥٠٥) وابن الأثير (٥/ ١١) .

(٤) في الطبري وابن الأثير : مع رجل من باهلة .

(٥) في الطبري وابن الأثير : فلما كان بحلوان .

مقتل[١] قتيبة بن مسلم[٢] رحمه الله

وذلك أنه جمع الجند والجيوش وعزم على خلع سليمان بن عبد الملك من الخلافة وترك طاعته ، وذكر لهم همته وفتوحه وعدله فيهم ، ودفعه الأموال الجزيلة إليهم ، فلما فرغ من مقالته ، لم يجبه أحد من الناس ، فشرع في تأنيبهم وذمِّهم ، قبيلة قبيلة ، وطائفة طائفة ، فغضبوا عند ذلك ونفروا عنه وتفرَّقوا ، وعملوا على مخالفته ، وسَعَوا في قتله ، وكان القائم بأعباء ذلك رجل يقال له وكيع بن أبي سودٍ[٣] ، فجمع جموعاً كثيرة ، ثم ناهضه فلم يزل به حتى قتله في ذي الحِجَّة من هذه السنة ، وقتل معه أحد عشر رجلاً من إخوته وأبناء إخوته ، ولم يبق منهم سوى ضرار بن مسلم ، وكانت أمه الغراء بنت ضرار بن القعقاع بن معبد بن سعد بن زُرارة ، فحمته أخواله ، وعمرو بن مسلم كان عامل الجوزجان وقتل قتيبة وعبد الرحمن وعبد الله وعبيد الله[٤] وصالح ويسار[٥] ، وهؤلاء أبناء مسلم ، وأربعة من أبنائهم ، فصلبهم كلهم وكيع بن أبي سود .

وقد كان قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين بن ربيعة أبو حفص الباهلي ، من سادات الأمراء وخيارهم ، وكان من القادة النجباء الكبراء ، والشجعان وذوي الحروب والفتوحات السعيدة ، والآراء الحميدة [وقد هدى الله على يديه خلقاً لا يحصيهم إلا الله ، فأسلموا ودانوا لله عزَّ وجلَّ ، وفتح من البلاد والأقاليم الكبار والمدن العظام شيئاً كثيراً كما تقدم ذلك مفصلاً مبيناً ، والله سبحانه لا يضيع سعيه ولا يخيب تعبه وجهاده][٦] .

ولكن زلّ زلّة كان فيها حتفه ، وضلّ ضلّة رغم فيه أنفه ، وخلع الطاعة فبادرت المنية إليه ، وفارق الجماعة فمات ميتة جاهلية ، لكن سبق له من الأعمال الصالحة ما قد يكفر الله به سيئاته ، ويمحو بها عنه

---

(١) في ب : ذكر سبب مقتله .

(٢) ترجمة ـ قتيبة بن مسلم ـ في تاريخ خليفة (٣١٨) والمعارف (٤٠٦) والبيان والتبيين للجاحظ (٢/ ١٣٢) ومعجم الشعراء للمرزباني (٢١٢) ووفيات الأعيان (٤/ ٨٦ ـ ٩١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٥٤) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤١٠ ـ ٤١١) والنجوم الزاهرة (١/ ٢٣٣) وشذرات الذهب (١/ ٣٨٩) .

(٣) لم يذكر الطبري وابن الأثير من اسمه سوى وكيع ، وذكر ابن خلكان في الوفيات (٤/ ٨٧) : أنه وكيع بن حسان بن قيس بن يوسف .
وكذلك ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام وقال : ولما بلغه موت الوليد نزع الطاعة ، فلم يوافقه أكثر من معه من الجند ، وكان قد عَزَلَ وكيعَ بن حسان بن قيس الغدّاني عن رياسة تميم ، فسعى في تأليب الجند ثم وثب على قتيبة في أحد عشر من أهله فقتلوه .

(٤) في الطبري وابن الأثير : عبد الله .

(٥) زاد الطبري (٦/ ٤١٦) : وابن الأثير (٥/ ١٧) : عبد الكريم وحضين .

(٦) ما بين معكوفين زيادة من ط .

من خطيئاته ، والله يسامحه ويعفو عنه ، ويتقبل منه ما كان يكابده من مناجزة الأعداء ، وكانت وفاته بفرغانة من أقصى بلاد خراسان ، في ذي الحجة من هذه السنة ، وله من العمر ثمان وأربعون سنة ، وكان أبوه أبو صالح مسلم فيمن قتل مع مصعب بن الزُّبير ، وكانت ولايته على خراسان عشر سنين ، وقد قال فيه بعض الشعراء يرثيه ، وهو رثاء عبد الرحمن بن جمانة الباهلي فقال :

كأن أبا حفصٍ قتيبة لم يسرْ ... بجيشٍ إلى جيشٍ ولم يعلُ منبرا
ولم تخْفِقِ الراياتُ والقومُ حولهُ ... وقوفٌ ولم يشهدْ له الناسُ عسكرا
دعتهُ المنايا فاستجاب لربِّهِ ... وراحَ إلى الجنَّاتِ عَفَّاً مطهَّرا
فما رُزِئَ الإسلامُ بعد محمدٍ ... بمثلِ أبي حفصٍ فبكّيهِ عَبْهَرا[1]

ولقد بالغ هذا الشاعر في بيته الأخير . وعبهر ولد له .

وقال الطِّرماح في هذه الوقعة التي قتل فيها على يد وكيع بن أبي سود :

لولا فوارسُ مَذحِجَ ابنة[2] مذحجٍ ... والأزد زُعزعَ واستبيحَ العسكرُ
وتقطعتْ بهمُ البلادُ ولم يَؤُبْ ... منهم إلى أهلِ العراقِ مخبِّرُ
واستضلعت[3] عقد الجماعةِ وازدرى ... أمرُ الخليفةِ واستحلَ المنكرُ
قومٌ همو قتلوا قتيبة عنوةً ... والخيلُ جامحةٌ عليها العِثْيرُ[4]
بالمرجِ مرجِ الصينِ حيثُ تبيّنتْ ... مُضرُ العراقِ مَن الأعزُّ الأكبرُ
إذ حالَفَتْ جزعاً ربيعةُ كلها ... وتفرقتْ مضرٌ ومنْ يتمضرُ
وتقدمتْ أزدُ العراقِ ومَذْحِجٌ ... للموتِ يجمعُها أبوها الأكبر
قحطانُ تضربُ رأسَ كل مدججٍ ... تحمي بصائرهنَّ إذْ لا تبصرُ
والأزدُ تعلمُ أنَّ تحتَ لوائها ... مُلكاً قُرَاسِيَةً وموتٌ أحمرُ
فبعزِّنا نُصِرَ النبيُّ محمدٌ ... وبنا تثبَّتَ في دمشقَ المِنبرُ[5]

وقد بسط ابن جرير[6] هذه القصة بسطاً كثيراً وذكر أشعاراً كثيرة جداً . وقال القاضي ابن خلكان[7] وقال جرير يرثي قتيبة بن مسلم رحمه الله وسامحه ، وأكرم مثواه وعفا عنه :

(١) الأبيات في الطبري (٦/ ٥٢١) وابن الأثير (٥/ ١٩ ـ ٢٠) وفيهما : عبهر : أم ولد له .
(٢) في أ ، ب : أثبت .
(٣) في أ ، ب : واستطلقت .
(٤) في أ : العنبر ، وفي الطبري : جانحة بدل جامحة .
(٥) الأبيات في الطبري (٦/ ٥٢٠ ـ ٥٢١) .
(٦) تاريخ الطبري (٦/ ٥٠٦ـ٥٢٢) .
(٧) وفيات الأعيان (٤/ ٨٨) .

ندمتمْ على قتلِ الأغر[١] ابنِ مسلمٍ   وأنتـــمْ إذا لاقيتـــمُ الله أنـــدمُ
لقـدْ كنتـمُ مـن غـزوهِ فـي غنيمـةٍ   وأنتـمْ لمـنْ لاقيتـمُ اليـومَ مغنـمُ
علـى أنـه أفضـى إلـى حـورِ جنـةٍ   وتطبـقُ بـالبلـوى عليكـمْ جهنـمُ

قال : وقد ولي من أولاده وذريته جماعة الإمرة في البلدان ، فمنهم عَمْرو[٢] بن سعيد بن قتيبة بن مسلم وكان جواداً ممدحاً ، رثاه حين مات أبو عمر أشجع بن عمرو السلمي المري[٣] نزيل البصرة بقوله :

مضى ابنُ سعيدٍ حيثُ لم يبقَ مشرقٌ   ولا مغـــربٌ إلا لـــه فيـــه مـــادحُ
ومـا كنـتُ أدري مـا فـواضـلُ كفـهِ   على الناسِ حتى غيبتهُ الصفائحُ[٤]
وأصبحَ في لحد من الأرضِ ضيقٍ   وكانتْ به حياً تضيقُ الضحاضحُ
سأبكيكَ ما فاضتْ دموعي فإن تغضْ   فحسبكَ مني ما تجن[٥] الجوانحُ
فما أنا منْ رزئي وإن جلّ جازعٌ   ولا بسـرورٍ بعـدَ مـوتـكَ فـارحُ
كأن لم يمتْ حيٌّ سواكَ ولم تقمْ   علـى أحـدٍ إلا عليـكَ النـوائـحُ
لئنْ حسنتْ فيكَ المراثي وذِكرها   لقد حسنتْ منْ قبل فيكَ المدائحُ

قال ابن خلكان[٦] : وهي من أحسن المراثي وهي في الحماسة[٧] ، ثم تكلم على باهلة وأنها قبيلة مرذولة عند العرب ، قال : وقد رأيت في بعض المجاميع أن الأشعث بن قيس قال : يا رسول الله أتتكافأ دماؤنا ؟ قال : « نعم ! ولو قتلت رجلاً من باهلة لقتلتك » .

وقيل لبعض العرب : أيسرك أن تدخل الجنة وأنت باهلي ؟ قال : بشرط أن لا يعلم أهل الجنة بذلك .

وسأل بعض الأعراب رجلاً ممن أنت ؟ فقال : من باهلة ، فجعل يرثي له قال : وأزيدك أني لست من الصميم وإنما أنا من مواليهم . فجعل يقبّل يديه ورجليه ، فقال : ولم تفعل هذا ؟ فقال : لأن الله تعالى ما ابتلاك بهذه الرزية في الدنيا إلا ليعوّضك الجنة في الآخرة[٨] .

---

(١) في ط : الأمير ؛ وما أثبت من أ والوفيات .
(٢) في ط : « عمر » محرف ، وما أثبتناه من م ووفيات الأعيان (٤/ ٨٩) وهو عمرو بن سعيد بن مسلم بن قتيبة بن مسلم ، وقد تولى أبوه سعيد أرمينية والموصل والسِّند وطبرستان وسجستان والجزيرة وتوفي سنة سبع عشرة ومئتين .
(٣) في الوفيات : الرَّقي .
(٤) الصفائح : أحجار عراض تسقف بها القبور .
(٥) في ط : تجر .
(٦) وفيات الأعيان (٤/ ٩٠) .
(٧) الحماسة للتبريزي (٢/ ١٦٨) .
(٨) قال الإمام الذهبي بعد أن ساق هذا الخبر في السير (٤/ ٤١١) : قلت : لم ينل قتيبة أعلى الرتب بالنسب ، بل بكمال الحزم والعزم والإقدام والسَّعد ، وكثرة الفتوحات ووفور الهيبة .

ثم قال ابن جرير[١] :

وفي هذه السنة توفي :

قرَّة بن شريك العبسي[٢] أمير مصر وحاكمها . قلت : هو قرة بن شريك أمير مصر من جهة الوليد [وهو الذي بنى جامع الفيوم][٣] .

وفيها حج بالناس أبو بكر محمد بن عمرو بن حَزْم ، وكان هو الأمير على المدينة .

وكان على مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد .

وعلى حرب العراق وصلاتها يزيد بن المهلّب ، وعلى خراجها صالح بن عبد الرحمن .

وعلى نيابة البصرة ليزيد بن المهلّب سفيان بن عبد الله الكندي ، وعلى قضائها عبد الرحمن بن أُذينة .

وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن أبي موسى .

وعلى حرب خراسان وكيعُ بن أبي سود ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين

وفيها جَهَّز سليمان بن عبد الملك الجيوش إلى القسطنطينية ، وفيها أمَّر ابنه داود على الصائفة ، ففتح حصن المرأة .

قال الواقدي : وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الوضاحية ، ففتح الحصن الذي [بناه][٤] الوضاح صاحب الوضاحية .

---

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٥٢٢) .

(٢) ترجمة ـ قرة بن شريك ـ في تاريخ خليفة (٣١١) والمعرفة والتاريخ (١/ ٦٠٩) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٥٦) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٠٩ ـ ٤١٠) والنجوم الزاهرة (١/ ٢١٧) وشذرات الذهب (١/ ٣٨٨) .
وفي ب : القيسي ، وكذلك في سير أعلام النبلاء .

(٣) ما بينهما زيادة من ط ، وفي تاريخ الإسلام والسير : وهو الذي بنى جامع الفسطاط والزيادة فيه .

(٤) في ب والطبري (٦/ ٥٢٣) وابن الأثير (٥/ ٢٦) فتحه .
قال ياقوت : والوضاحية : قرية منسوبة إلى بني وضاح مولى لبني أمية وكان بربرياً ؛ قال ذلك السكري في قول جرير :
لقد جاهد الوضاح بالحق معلناً ... فأورث مجداً باقياً آل بربرا
معجم البلدان (٥/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩) .

وفيها غزا مسلمة أيضاً برجمة[١] ففتح حصوناً : برجمة وحصن الحديد وسرراً[٢] ، وشتا بأرض الروم .

وفيها غزا عمر بن هُبيرة الفزاري في البحر أرض الروم وشتا بها .

وفيها قتل عبد العزيز بن موسى بن نصير ، وقدم برأسه على سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين . مع حبيب بن أبي عبيد الفهري .

وفيها ولى سليمان نيابة خراسان ليزيد بن المهلَّب مضافاً إلى ما بيده من إمرة العراق ، وكان سبب ذلك أن وكيع بن أبي سود لما قتل قتيبة بن مسلم وذريته ، بعث برأس قتيبة إلى سليمان فحظي عنده وكتب له بإمرة خراسان ، فبعث يزيد بن المهلَّب عبد الرحمن[٣] بن الأهتم إلى سليمان بن عبد الملك ليحسن عنده أمر يزيد بن المهلَّب في إمرة خراسان ، وينتقص عنده وكيع بن أبي سود ، فسار ابن الأهتم ـ وكان ذا دهاءٍ ومكر ـ إلى سليمان بن عبد الملك ، فلم يزل به حتى عزل وكيعاً عن خراسان وولى عليها يزيد مع إمرة العراق ، وبعث بعهده مع ابن الأهتم ، فسار في سبع حتى جاء يزيد ، فأعطاه عهد خراسان مع العراق ، وكان يزيد وعده بمئة ألف فلم يف له بها ، وبعث يزيد ابنه مخلداً بين يديه إلى خراسان ، ومعه كتاب أمير المؤمنين مضمونه أن قيساً زعموا أن قتيبة بن مسلم لم يكن خلع الطاعة ، فإن كان وكيع قد تعرض له وثار عليه بسبب أنه خلع ولم يكن خلع فقيِّده وابعث به إليّ ، فتقدّم مخلد فأخذ وكيعاً فعاقبه وحبسه قبل أن يجيء أبوه ، وكانت إمرة وكيع بن أبي سود على خراسان تسعة أشهر ، أو عشرة أشهر ، ثم قدم يزيد بن المهلَّب فتسلم خراسان وأقام بها ، واستناب في البلاد نواباً ذكرهم ابن جرير[٤] .

[قال : ثم سار يزيد بن المهلَّب ، فغزا جرجان ولم تكن يومئذ مدينة بأبواب وسور ، وإنما هي جبال وأودية ، وكان ملكها يقال له : صول ، فتحولوا عنها إلى قلعة هناك ، وقيل إلى جزيرة في بحيرة هناك ، ثم أخذوه من البحيرة ، وقتلوا من أهلها خلقاً كثيراً وأسروا وغنموا][٥] .

قال : وفيها حج بالناس سليمان بن عبد الملك ، ونواب البلاد هم المذكورون في التي قبلها ، غير أن خراسان عزل عنها وكيع بن أبي سود ، ووليها يزيد بن المهلَّب بن أبي صفرة مع العراق .

---

(١) برجمة : حصن للروم في شعر جرير . معجم البلدان (١/ ٣٧٤) .
وحصن الحديد وسرر حصون تقع على الطريق إلى القسطنطينية التي قصدها مسلمة في هذا العام .

(٢) في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٦٦) : سرد وسل .

(٣) في الطبري (٦/ ٥٢٥) وابن الأثير (٤/ ٢٤) : عبد الله .

(٤) تاريخ الطبري (٦/ ٥٢٦_٥٢٧) .

(٥) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر في تاريخ خليفة (٣١٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٦٥ ـ ٢٦٦) .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

الحسن بن الحسن[١] بن علي بن أبي طالب ، أبو محمد القرشي الهاشمي ، روى عن أبيه عن جده مرفوعاً : « من عال أهل بيت من المسلمين يومهم وليلتهم غفر الله له ذنوبه »[٢] .

وعن عبيد الله بن جعفر عن علي في دعاء الكرب[٣] ، وعن زوجته فاطمة بنت الحسين .

وعنه : ابنه عبد الله وجماعة .

وفد على عبد الملك بن مروان فأكرمه ونصره على الحجاج ، وأقرّه وحده على ولاية صدقة علي ، وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر فأحسن ، وذكر عنه آثاراً تدل على سيادته وعمله وتسننه رحمه الله [قيل إن الوليد بن عبد الملك[٤] كتب إلى عامله بالمدينة : إن الحسن بن الحسن كاتب أهل العراق ، فإذا جاءك كتابي هذا فاجلده مئة ضربة ، وقفه للناس ، ولا تراني إلا قاتله . فأرسل خلفه فعلَّمه علي بن الحسين كلمات الكرب فقالها حين دخل عليه فنجاه الله منهم : وهي : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، لا إله إلا الله العلي العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب الأرض رب العرش العظيم[٥] .

توفي بالمدينة ، وكانت أمه خولة بنت منظور الفزاري][٦] .

وقال يوماً لرجل من الرافضة : والله إن قتلك لقربة إلى الله عزَّ وجلَّ ، فقال له رجل : إنك تمزح ، فقال : والله ما هذا مني بمزح ولكنه الجد[٧] .

وقال له آخر منهم : ألم يقل رسول الله ﷺ : « من كنت مولاه فعلي مولاه » ؟. فقال : بلى ، ولو أراد الخلافة لخطب الناس فقال : أيها الناس اعلموا أن هذا ولي أمركم من بعدي ، وهو القائم عليكم ،

---

(١) ترجمة ـ الحسن بن الحسن ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٣١٩ ـ ٣٢٠) وطبقات خليفة (٢٤٠) وتاريخ البخاري (٢/ ٢٨٩) والمعارف (٢١٢) وتاريخ بغداد (٧/ ٢٩٣) وتاريخ دمشق (١٣/ ٦١ ـ ٧١) وتهذيبه (٤/ ١٦٥ ـ ١٦٩) وتهذيب الكمال (٦/ ٨٩ ـ ٩٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٢٨ ـ ٣٣٠) . وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٨٣ـ٤٨٧) والوافي بالوفيات (١١/ ٤١٦ ـ ٤١٨) وتهذيب التهذيب (٢/ ٢٦٣) .

(٢) الحديث في تاريخ دمشق لابن عساكر (١٣/ ٦١) وهو حديث ضعيف جداً ، فيه المنذر بن زياد الطائي ، وهو متروك كما في ميزان الذهبي (٤/ ١٨١) .

(٣) سيرد هذا الدعاء بعد قليل .

(٤) في تاريخ الإسلام والسير : عبد الملك بن مروان .

(٥) الحديث أخرجه أحمد (١/ ٢٥٤) و(١/ ٢٨٠) ومواضع أخرى ، والبخاري في صحيحه رقم (٦٣٤٥ ـ ٦٣٤٦) في الدعوات ومسلم في صحيحه رقم (٢٧٣٠ و٢٧٣١) في الذكر والدعاء .

(٦) ما بين معكوفين زيادة من ط توافق الأصول .

(٧) تاريخ دمشق (١٣/ ٦٧) .

فاسمعوا له وأطيعوا ، والله لئن كان الله ورسوله اختار علياً لهذا الأمر ثم تركه علي لكان أول من ترك أمر الله ورسوله[١] .

وقال لهم أيضاً : والله لئن ولينا من الأمر شيئاً لنقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ، ثم لا نقبل لكم توبة ، ويلكم غررتمونا من أنفسنا ، ويلكم لو كانت القرابة تنفع بلا عمل لنفعت أباه وأمه[٢] ، لو كان ما تقولون فينا حقاً لكان آباؤنا قد غشونا إذ لم يعلمونا بذلك [قد ظلمونا وكتموا عنّا أفضل الأمور] والله إني لأخشى أن يضاعف العذاب للعاصي منا ضعفين ، كما أني لأرجو للمحسن منا أن يكون له الأجر مرتين ، ويلكم أحبونا إن أطعنا الله على طاعته ، وأبغضونا إن عصينا الله على معصيته .

موسى بن نصير[٣] ، أبو عبد الرحمن اللّخمي ، مولاهم كانت مولاته امرأة منهم ، وقيل كان مولى لبني أمية ، افتتح بلاد المغرب [وغنم منها أموالاً لا تعد ولا توصف ، وله بها مقامات مشهورة هائلة] ، ويقال إنه كان أعرج ، ويقال إنه ولد سنة تسع عشرة ، وأصله من عين التمر ، وقيل إنه من أراشة من بليّ ، سُبي أبوه من جبل الخليل من الشام في أيام الصديق ، وكان اسم أبيه نصراً فصغر .

روى عن تميم الداري ، وروى عنه ابنه عبد العزيز ، ويزيد بن مسروق اليحصبي .

وولي غزو البحر لمعاوية ، فغزا قبرص ، وبنى هنالك حصوناً كالماغوصة وحصن بانس وغير ذلك من الحصون بقبرص ، وكان نائب معاوية عليها بعد أن فتحها معاوية في سنة سبع وعشرين ، وشهد مرج راهط مع الضحاك بن قيس ، فلما قتل الضحاك لجأ موسى بن نصير لعبد العزيز بن مروان ، ثم لما دخل مروان بلاد مصر كان معه فتركه عند ابنه عبد العزيز ، ثم لما أخذ عبد الملك بلاد العراق جعله وزيراً عند أخيه بشر بن مروان .

وكان موسى بن نصير هذا ذا رأي وتدبير وحزم وخبرة بالحرب ، قال الفسوي[٤] : ولي موسى بن نصير إمرة بلاد إفريقية سنة تسع وسبعين فافتتح بلاداً كثيرة جداً مدناً وأقاليم .

وقد ذكرنا أنه افتتح بلاد الأندلس ، وهي بلاد ذات مدن وقرى وريف ، فسبى منها ومن غيرها خلقاً كثيراً ، وغنم أموالاً كثيرة جزيلة ، ومن الذهب والجواهر النفيسة شيئاً لا يحصى ولا يعد ، وأما الآلات والمتاع والدواب فشيء لا يدرى ما هو ، وسبى من الغلمان الحسان والنساء الحسان شيئاً كثيراً ، حتى قيل

---

(١) المصدر نفسه (١٣/ ٦٩) .

(٢) يقصد أبا رسول الله ﷺ وأمه . والخبر بأطول مما هنا في تاريخ دمشق (١٣/ ٧٠) .

(٣) ترجمة ـ موسى بن نصير ـ في تاريخ علماء الأندلس (٢/ ١٤٦) وجذوة المقتبس (٣١٧) والمعرفة والتاريخ (٣/ ٣٣٢) وتاريخ دمشق (٦١/ ٢١١ ـ ٢٢٤) والبيان المغرب (١/ ٣٩ ـ ٤٩) ووفيات الأعيان (٥/ ٣١٨ ـ ٣٢٨) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٨٥ ـ ٤٩٠) .

(٤) في ط : البغوي ؛ تحريف والخبر في المعرفة والتاريخ (٣/ ٣٣٢) .

إنه لم يسلب أحد مثله من الأعداء[١] ، وأسلم أهل المغرب على يديه ، وبث فيهم الدين والقرآن ، وكان إذا سار إلى مكان تحمل الأموال معه على العَجَل لكثرتها وعجز الدواب عنها .

[وقد كان موسى بن نصير هذا يفتح في بلاد المغرب ، وقتيبة يفتح في بلاد المشرق ، فجزاهما الله خيراً ، فكلاهما فتح من الأقاليم والبلدان شيئاً كثيراً ، ولكن موسى بن نصير حظي بأشياء لم يحظ بها قتيبة ، حتى قيل إنه لما فتح الأندلس جاءه رجل فقال له : ابعث معي رجالاً حتى أدلك على كنز عظيم ، فبعث معه رجالاً فأتى بهم إلى مكان فقال : احفروا ، فحفروا فأفضى بهم الحفر إلى قاعة عظيمة ذات لواوين حسنة ، فوجدوا هناك من اليواقيت والجواهر والزبرجد ما أبهتهم ، وأما الذهب فشيء لا يعبَّر عنه ، ووجدوا في ذلك الموضع الطنافس ، الطنفسة منها منسوجة بقضبان الذهب ، منظومة باللؤلؤ الغالي المفتخر ، والطنفسة منظومة بالجوهر المثمن ، واليواقيت التي ليس لها نظير في شكلها وحسنها وصفاتها ، ولقد سمع يومئذ منادٍ ينادي لا يرون شخصه : أيها الناس ، إنه قد فتح عليكم باب من أبواب جهنم فخذوا حذركم . وقيل إنهم وجدوا في هذا الكنز مائدة سليمان بن داود التي كان يأكل عليها][٢]
وقد جمع أخباره وما جرى له في الحروب والغزوات رجل من ذريته يقال له أبو معاوية معارك بن مروان بن عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير النصيري .

وروى الحافظ ابن عساكر[٣] : أن عمر بن عبد العزيز سأل موسى بن نصير حين قدم دمشق أيام الوليد عن أعجب شيء رآه في البحر ، فقال : انتهينا مرة إلى جزيرة فيها ست عشرة جرة خضراء مختومة بخاتم سليمان بن داود عليهما السلام ، قال : فأمرت بأربعة منها فأخرجت ، وأمرتُ بواحدة منها فنقبت ، فإذا قد خرج منها شيطان ينفض رأسه ويقول : والذي أكرمك بالنبوة لا أعود بعدها أفسد في الأرض ، قال : ثم إن ذلك الشيطان نظر فقال : إني لا أرى بهاء سليمان وملكه ، فانساخ في الأرض فذهب . قال : فأمرت بالثلاث البواقي فردت إلى مكانها .

[وقد ذكر السمعاني وغيره عنه أنه سار إلى مدينة النحاس التي بقرب البحر المحيط الأخضر ، في أقصى بلاد المغرب ، وأنهم لما أشرفوا عليها رأوا بريق شرفاتها وحيطانها من مسافة بعيدة ، وأنهم لما أتوها نزلوا عندها ، ثم أرسل رجلاً من أصحابه ومعه مئة فارس من الأبطال ، وأمره أن يدور حول سورها لينظر هل لها باب أو منفذ إلى داخلها ، فقيل : إنه سار يوماً وليلة حول سورها ، ثم رجع إليه فأخبره أنه لم يجد باباً ولا منفذاً إلى داخلها ، فأمرهم فجمعوا ما معهم من المتاع بعضه على بعض ، فلم يبلغوا أعلى

---

(١) قال ابن عذاري في البيان المغرب (١/ ٤٣) : لم يسمع قط بمثل سبايا موسى بن نصير في الإسلام ، وثمة بعض الخلافات اللفظية بين النسخ آثرنا عدم ذكرها لتوافق المعنى ، وبالله المستعان .

(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٨٦) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٩٧) عن الليث بن سعد .

(٣) تاريخ دمشق (٦١/ ٢٢٢) .

سورها ، فأمر فعمل سلالم فصعدوا عليها ، وقيل إنه أمر رجلاً فصعد على سورها ، فلما رأى ما في داخلها لم يملك نفسه أن ألقاها في داخلها فكان آخر العهد به ، ثم آخر فكذلك ، ثم امتنع الناس من الصعود إليها ، فلم يحط أحد منهم بما في داخلها علماً ، ثم ساروا عنها فقطعوها إلى بحيرة قريبة منها ، فقيل : إن تلك الجرار المذكورة وجدها فيها ، ووجد عليها رجلاً قائماً ، فقال له : ما أنت ؟ قال : رجل من الجن وأبي محبوس في هذه البحيرة حبسه سليمان ، فأنا أجيء إليه في كل سنة مرة أزوره . فقال له : هل رأيت أحداً خارجاً من هذه المدينة أو داخلاً إليها ؟ قال : لا ، إلا أن رجلاً يأتي في كل سنة إلى هذه البحيرة يتعبد عليها أياماً ثم يذهب فلا يعود إلى مثلها ، والله أعلم ما هو . ثم رجع إلى إفريقية ، والله أعلم بصحة ذلك ، والعهدة على من ذكر ذلك أولًا][1] .

وقد استسقى موسى بن نصير بالناس في سنة ثلاث وتسعين حين أقحطوا بإفريقية ، فأمرهم بصيام ثلاثة أيام قبل الاستسقاء ، ثم خرج بالناس وميَّز أهل الذمة عن المسلمين ، وفرق بين البهائم وأولادها ، ثم أمر بارتفاع الضجيج والبكاء ، وهو يدعو الله تعالى حتى انتصف النهار ، ثم نزل فقيل له : ألا دعوت لأمير المؤمنين ؟ فقال : هذا موطن لا يذكر فيه إلا الله عزَّ وجلَّ ، فسقاهم الله عزَّ وجلّ[2] .

وقد وفد موسى بن نصير على الوليد بن عبد الملك في آخر أيامه ، فدخل دمشق في يوم جمعة والوليد على المنبر ، وقد لبس موسى ثياباً حسنة وهيئة حسنة ، فدخل ومعه ثلاثون غلاماً [من أبناء الملوك الذين أسرهم] والأسبان[3] ، وقد ألبسهم تيجان الملوك مع ما معهم من الخدم والحشم والأُبَّهة العظيمة ، فلما نظر إليهم الوليد وهو يخطب الناس على منبر جامع دمشق بهت إليهم لما رأى عليهم من الحرير والجواهر والزينة البالغة ، وجاء موسى بن نصير فسلم على الوليد وهو على المنبر ، وأمر أولئك فوقفوا عن يمين المنبر وشماله ، فحمد الله الوليد وشكره على ما أيده به ووسَّع ملكه ، وأطال الدعاء والتحميد والشكر حتى خرج وقت الجمعة ، ثم نزل فصلى بالناس ، ثم استدعى بموسى بن نصير فأحسن جائزته وأعطاه شيئاً كثيراً[4] .

وكان موسى بن نصير قدم بمائدة سليمان بن داود عليهما السلام ، التي كان يأكل عليها [وكانت من خليطين ذهب وفضة ، وعليها ثلاثة أطواق لؤلؤ وجوهر لم ير مثله ، وجدها في مدينة طليطلة من بلاد الأندلس مع أموال كثيرة .

وقيل إنه بعث ابنه مروان على جيش فأصاب من السبي مئة ألف رأس ، وبعث ابن أخيه في جيش فأصاب من السبي مئة ألف رأس أيضاً من البربر ، فلما جاء كتابه إلى الوليد وذكر فيه أن خمس الغنائم

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط .

(٢) الخبر في وفيات الأعيان (٥/ ٣١٩ ـ ٣٢٠) وتاريخ دمشق (٦١/ ٢٢٢) وتاريخ الإسلام وسير أعلام النبلاء .

(٣) في تاريخ الإسلام : وقد ألبس ثلاثين رجلاً التيجان على كل واحد تاج الملك وثيابه .

(٤) تاريخ دمشق (٦١/ ٢٢٣) .

أربعون ألف رأس ، قال الناس : إن هذا أحمق ، من أين له أربعون ألف رأس خمس الغنائم ؟ فبلغه ذلك فأرسل أربعين ألف رأس وهي خمس ما غنم ، ولم يُسمع في الإسلام بمثل سبايا موسى بن نصير أمير المغرب[١] .

وقد جرت له عجائب في فتحه بلاد الأندلس وقال : ولو انقاد الناس لي لقُدتهم حتى أفتح بهم مدينة رومية[٢] ـ وهي المدينة العظمى في بلاد الفرنج ـ ثم ليفتحها الله على يدي إن شاء الله تعالى ، ولما قدم على الوليد قدم معه بثلاثين ألفاً من السبي ، وذلك خمس ما كان أصابه في آخر غزاة غزاها ببلاد المغرب ، وقدم معه من الأموال والتحف واللآلىء والجواهر ما لايحد ولا يوصف ، ولم يزل مقيماً بدمشق حتى مات الوليد وتولى سليمان ، وكان سليمان عاتباً على موسى فحبسه عنده وطالبه بأموال عظيمة . ولم يزل في يده حتى حج بالناس سليمان في هذه السنة وأخذه معه فمات بالمدينة ، وقيل بوادي القرى[٣] ، وقد قارب[٤] الثمانين ، وقيل توفي في سنة تسع وتسعين[٥] ، فالله أعلم ، ورحمه الله وعفا عنه بمنه وفضله آمين .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين

ففي هذه السنة جَهَّز سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين أخاه مسلمة بن عبد الملك لغزو القسطنطينية وراء الجيش الذين هم بها ، فسار إليها ومعه جيش عظيم ، وقد أمر كل رجل من الجيش أن يحمل معه على ظهر فرسه مدّين من طعام ، فلما وصل إليها جمعوا ذلك فإذا هو أمثال الجبال ، فقال لهم مسلمة : اتركوا هذا الطعام وكلوا مما تجدونه في بلادهم ، وازرعوا في أماكن الزرع واستغلّوه ، وابنوا لكم بيوتاً من خشب ، فإنا لا نرجع عن هذا البلد إلا أن نفتحها إن شاء الله . وقد داخل مسلمة رجل من النصارى يقال له إليون ، وواطأه في الباطن ليأخذ له بلاد الروم ، فظهر منه نصح في بادىء الأمر ، ثم إنه توفي ملك القسطنطينية ، فدخل إليون في رسالة من مسلمة وقد خافته الروم خوفاً شديداً ، فلما دخل إليهم إليون قالوا له : رده عنا ونحن نملكك علينا فخرج فأعمل الحيلة في الغدر والمكر ، ولم يزل قبحه الله حتى أحرق ذلك الطعام الذي للمسلمين ، وذلك أنه قال لمسلمة : إنهم ما داموا يرون هذا الطعام يظنون أنك تطاولهم في القتال ، فلو أحرقته لتحققوا منك العزم ، وسلَّموا إليك البلد سريعاً ، فأمر مسلمة بالطعام فأحرق ، ثم انشمر إليون في السفن وأخذ ما أمكنه من أمتعة الجيش في اللّيل ، وأصبح وهو في البلد محارباً للمسلمين ، وأظهر العداوة الأكيدة ، وتحصن بالبلد واجتمعت عليه الروم ، وضاق الحال على المسلمين

---

(١) الخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٨٦) عن الليث بن سعد .

(٢) في تاريخ الإسلام والسير : القسطنطينية .

(٣) الخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٨٩) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٩٨) .
وقال الذهبي في السير : حج موسى مع سليمان ومات بالمدينة .

(٤) في أوحدها : جاوز .

(٥) في تاريخ دمشق (٦١/ ٢٢٤) : توفي موسى بن نصير بوادي القرى في سنة سبع وتسعين .

حتى أكلوا كل شيء إلا التراب ، فلم يزل ذلك دأبهم حتى جاءتهم وفاة سليمان بن عبد الملك وتولية عمر بن عبد العزيز ، فكروا راجعين إلى الشام ، وقد جهدوا جهداً شديداً[١] ، لكن لم يرجع مسلمة حتى بنى مسجداً بالمدينة[٢] شديد البناء محكماً ، رحب الفناء شاهقاً في السماء .

[وقال الواقدي : لما ولي سليمان بن عبد الملك أراد الإقامة ببيت المقدس ، ثم يرسل العساكر إلى القسطنطينية ، فأشار عليه موسى بن نصير بأن يفتح ما دونها من المدن والرساتيق والحصون ، حتى يبلغ المدينة ، فلا يأتيها إلا وقد هدمت حصونها ووهنت قوتها ، فإذا فعلت ذلك لم يبق بينك وبينها مانع ، فيعطوا بأيديهم ويسلموا لك البلد ، ثم استشار أخاه مسلمة فأشار عليه بأن يدع ما دونها من البلاد ويفتحها عنوة ، فمتى ما فتحت فإن باقي ما دونها من البلاد والحصون بيدك ، فقال سليمان : هذا هو الرأي ، ثم أخذ في تجهيز الجيوش من الشام والجزيرة فجهز في البر مئة وعشرين ألفاً ، وفي البحر مئة وعشرين ألفاً من المقاتلة ، وأخرج لهم الأعطية ، وأنفق فيهم الأموال الكثيرة ، وأعلمهم بغزو القسطنطينية والإقامة إلى أن يفتحوها ، ثم سار سليمان من بيت المقدس فدخل دمشق وقد اجتمعت له العساكر فأمّر عليهم أخاه مسلمة ، ثم قال : سيروا على بركة الله ، وعليكم بتقوى الله والصبر والتناصح والتناصف . ثم سار سليمان حتى نزل مرج دابق ، فاجتمع إليه الناس أيضاً من المتطوعة المحتسبين أجورهم على الله ، فاجتمع له جند عظيم لم ير مثله ، ثم أمر مسلمة أن يرحل بالجيوش وأخذ معه إليون الرومي المرعشي ، ثم ساروا حتى نزلوا على القسطنطينية فحاصرها إلى أن برح بهم وعرض أهلها الجزية على مسلمة فأبى إلا أن يفتحها عنوة ، قالوا : فابعث إلينا إليون نشاوره ، فأرسله إليهم ، فقالوا له : رد هذه العساكر عنا ونحن نعطيك ونملكك علينا ، فرجع إلى مسلمة : فقال : قد أجابوا إلى فتحها غير أنهم لا يفتحونها حتى تتنحّى عنهم ؛ فقال مسلمة : إني أخشى غدرك ، فحلف له أنه يدفع إليه مفاتيحها وما فيها ، فلما تنحّى عنهم أخذوا في ترميم ما تهدم من أسوارها واستعدوا للحصار . وغدر إليون بالمسلمين قبحه الله][٣] .

قال ابن جرير[٤] : وفي هذه السنة أخذ سليمان بن عبد الملك العهد لولده أيوب أنه الخليفة من بعده ، وذلك بعد موت أخيه مروان بن عبد الملك بن مروان ، فعدل عن ولاية أخيه يزيد إلى ولاية ولده

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري (٦/ ٥٣٠ ـ ٥٣١) وابن الأثير (٥/ ٢٧ ـ ٢٨) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٧١) .

(٢) في ط : بالقسطنطينية ، والصحيح أن مسلمة كان قد بنى مدينة حذاء القسطنطينية سماها مدينة القهر ، وبنى بها مسجداً عظيماً حيث إن القسطنطينية لم تفتح بعد ، ولم يذكر الطبري ولا ابن الأثير خبر المسجد هذا في هذه السنة ، إنما ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٧١) في ترجمة سليمان بن عبد الملك نقلاً عن ابن عساكر في مختصر تاريخ دمشق (١٠/ ١٧٣ ـ ١٧٤) .

(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص٢٦٩ ـ ٢٧٠) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠١ ـ ٥٠٢) ولكن الرواية ليست عن الواقدي ؛ وإنما عن سعيد بن عبد العزيز .

(٤) تاريخ الطبري (٦/ ٥٣١ ـ ٥٣٢) والخبر أيضاً في ابن الأثير (٥/ ٢٨) .

أيوب ، وتربص بأخيه الدوائر ، فمات أيوب في حياة أبيه ، فبايع سليمان إلى ابن عمه عمر بن عبد العزيز أن يكون الخليفة من بعده ، ولنعمّا فعل[١] . وفيه فتحت مدينة الصقالبة . قال الواقدي : وقد أغارت البرجان على جيش مسلمة وهو في قلة من الناس في هذه السنة . فبعث إليه سليمان جيشاً فتقاتل البرجان حتى هزمهم الله عزَّ وجلَّ .

وفي هذه السنة غزا يزيد بن المهلّب قهستان[٢] من أرض الصين فحاصرها وقاتل عندها قتالاً شديداً ، ولم يزل حتى تسلمها ، وقتل من الترك الذين بها أربعة آلاف صبراً[٣] ، وأخذ منها الأموال والأثاث والأمتعة ما لا يحد ولا يوصف كثرة وقيمة وحسناً ، ثم سار منها إلى جرجان فاستجاش صاحبها بالدّيلم ، فقدموا لنجدته فقاتلهم يزيد بن المهلّب وقاتلوه ، فحمل محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي ـ وكان فارساً شجاعاً باهراً ـ على ملك الديلم فقتله وهزمهم الله ، ولقد بارز ابن أبي سبرة هذا يوماً بعض فرسان الترك ، فضربه التركي بالسيف على البيضة فنشب فيها ، وضربه ابن أبي سبرة فقتله ، ثم أقبل إلى المسلمين وسيفه يقطر دماً وسيف التركي ناشب في خوذته ، فنظر إليه يزيد بن المهلّب فقال : ما رأيت منظراً أحسن من هذا ، من هذا الرجل ؟ قالوا : ابن أبي سبرة . فقال : نعم الرجل لولا انهماكه في الشراب[٤] . ثم صمم يزيد بن المهلّب في محاصرة جرجان وما زال يضيّق على صاحبها حتى صالحه على سبعمئة ألف درهم وأربعمئة ألف دينار ، ومئتي ألف ثوب ، وأربعمئة حمار موقرة زعفراناً ؛ وأربعمئة رجل على رأس كل رجل ترس : على الترس طيلسان وجام من فضة وسرقة من حرير ، وقد كان سعيد بن العاص حين فتحها صلحاً على أن يؤدوا الخراج فكانوا يحملون في كل سنة مئة ألف ، وفي سنة مئتي ألف ، وفي بعض السنين ثلاثمئة ألف ، ويمنعون ذلك في بعض السنين ، ثم امتنعوا جملة وكفروا ، فغزاهم يزيد بن المهلّب وردّها صلحاً على ما كانت عليه في زمن سعيد بن العاص . قالوا : وأصاب يزيد بن المهلّب من غيرها أموالاً كثيرة جداً ، فكان من جملتها تاج فيه جواهر نفيسة ، فقال : أترون أحداً يزهد في هذا ؟ قالوا : لا نعلمه ، فقال : والله إني لأعلم رجلاً لو عرض عليه هذا وأمثاله لزهد فيه ، ثم دعا بمحمد بن واسع ـ وكان في الجيش مغازياً ـ فعرض عليه أخذ التاج فقال : لا حاجة لي فيه ، فقال : أقسمت عليك لتأخذنه ، فأخذه وخرج به من عنده ، فأمر يزيد رجلاً أن يتبعه فينظر ماذا يصنع بالتاج ، فمر بسائل فطلب منه شيئاً فأعطاه التاج بكماله وانصرف ، فبعث يزيد إلى ذلك السائل فأخذ منه التاج وعوضه عنه مالاً كثيراً .

---

(١) في الأخبار الطوال (٣٢٩) قال : لما ثقل سليمان كتب كتاباً وختمه ثم قال لصاحب شرطته : إن هشام ويزيد لم يبلغا أن يؤتمنا على الأمة ، فجعلتها للرجل الصالح ، عمر بن عبد العزيز ؛ فإذا توفي عمر رجع الأمر إليهما .

(٢) في تاريخ الطبري (٦/ ٥٣٦) : دهستان .

(٣) في الطبري (٦/ ٥٣٨) وابن الأثير (٥/ ٣٠) : وقتل أربعة عشر ألف تركي صبراً .

(٤) في الطبري (٦/ ٥٣٣) فقال : لله أبوه ! أي رجل هو لولا إسرافه على نفسه .

وقال علي بن محمد المدائني : قال أبو بكر الهذلي : كان شهر بن حوشب على خزائن يزيد بن المهلب فرفعوا إليه أنه أخذ خريطة فيها مئة دينار ، فسأله عنها فقال : نعم وأحضرها ؛ فقال له يزيد : هي لك ، واستدعى بالذي وشى به فشتمه ، فقال في ذلك القُطامي الكلبي ، ويقال إنها لسنان بن مكمّل النميري :

لقدْ باعَ شهرٌ دينهُ بخريطةٍ فمنْ يأمنُ القرّاءُ بعدك يا شَهْرُ

أخذت بهِ شيئاً طفيفاً وبِعْتَهُ من ابنِ جونبوذ إنَّ هذا هو الغدرُ

وقال مرة بن النخعي[1] :

يابنَ المهلبِ ما أردتَ إلى امرىءٍ لولاكَ كان كصالحِ القراءِ[2]

قال ابن جرير[3] : ويقال إن يزيد بن المهلب كان في غزوة جرجان في مئة ألف وعشرين ألفاً ، منهم ستون ألفاً من جيش الشام أثابهم الله ، وقد تمهدت تلك البلاد بفتح جرجان وسلكت الطرق ، وكانت قبل ذلك مخوفة جداً ، ثم عزم يزيد على المسير إلى طبرستان[4] ، وقدَّم بين يديه سرية في أربعة آلاف من سراة الناس ، فلما التقوا اقتتلوا قتالاً شديداً ، وقتل من المسلمين في المعركة أربعة آلاف ثم عزم يزيد على فتح البلاد لا محالة ، وما زال حتى صالحه صاحبها ـ وهو الأصبهبذ ـ بمال كثير ، سبعمئة ألف في كل عام ، وغير ذلك من المتاع والرقيق .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عبيد الله بن عبد الله بن عتبة[5] ، كان إماماً حجة ، وكان مؤدب عمر بن عبد العزيز ، وله روايات كثيرة عن جماعات من الصحابة .

أبو الحفص النخعي[6]

---

(١) في أ وابن الأثير (٥/ ٣٣) : الحنفي ، وما أثبت موافق للطبري .

(٢) الخبر مع الشعر في تاريخ الطبري (٦/ ٥٣٨ ـ ٥٣٩) وابن الأثير (٥/ ٣٣) .

(٣) تاريخ الطبري (٦/ ٥٣٩) .

(٤) في ط : خوزستان ، وما أثبت من أ ، ب ومصادر المؤلف .

(٥) ترجمة ـ عبيد الله بن عبد الله ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٢٥٠) وتاريخ خليفة (٣٢٠) وطبقاته (٢٤٣) وتاريخ البخاري (٥/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦) والمعرفة والتاريخ (١/ ٥٦٠ ـ ٥٦٣) وحلية الأولياء (٢/ ١٨٨ ـ ١٨٩) ووفيات الأعيان (٣/ ١١٥ ـ ١١٦) وصفة الصفوة (٢/ ١٠٢ ـ ١٠٣) وتهذيب الكمال (١٩/ ٧٣ ـ ٧٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٢١ ـ ٤٢٣) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٧٥ ـ ٤٧٩) ونكت الهميان للصفدي (ص١٩٧) وتهذيب التهذيب (٧/ ٢٣ ـ ٢٤) وشذرات الذهب (١/ ٣٩٤) .
وقد تحرف اسمه في ط : إلى عبد الله .

(٦) ترجمة ـ أبي الحفص النخعي ، واسمه (عبد الرحمن بن الأسود) ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ٢٨٩) وتاريخ خليفة=

عبد الله بن محمد ابن الحنفية[١] وقد ذكرنا تراجمهم في « التكميل » والله سبحانه وتعالى أعلم[٢] .

ثم دخلت سنة تسع وتسعين

فيها كانت وفاة سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين يوم الجمعة لعشر مضين ، وقيل بقين من صفر منها ، عن خمس وأربعين سنة ، وقيل عن ثلاث وأربعين ، وقيل إنه لم يجاوز الأربعين . وكانت خلافته سنتين وثمانية أشهر .

وزعم أبو أحمد الحاكم : أنه توفي يوم الجمعة لثلاث عشرة بقيت من رمضان منها ، وأنه استكمل في خلافته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وخمسة أيام ، وله من العمر تسع وثلاثون سنة ، والصحيح قول الجمهور وهو الأول ، والله أعلم .

وهو سليمان بن عبد الملك[٣] بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي ، أبو أيوب . كان مولده بالمدينة في بني جديلة ، ونشأ بالشام عند أبيه .

وروى الحديث عن أبيه عن جده عن عائشة أم المؤمنين في قصة الإفك ، رواه ابن عساكر[٤] من طريق ابنه عبد الواحد بن سليمان عنه .

وروى عن عبد الرحمن بن هنيدة أنه صحب عبد الله بن عمر إلى الغابة قال فسكت فقال لي ابن عمر : ما لك ؟ فقلت : كنت أتمنى . فقال ابن عمر : فما تتمنى يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال لي : لو أن لي أُحُداً هذا ذهباً أعلم عدده وأخرج زكاته ما كرهت ذلك ، أو قال : ما خشيت أن يضرّني[٥] . رواه محمد بن

= (٣٢٠) وطبقاته (١٥٧) وتاريخ البخاري (٥/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣) وتهذيب الكمال (١٦/ ٥٣٠ـ٥٣٣) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤١٢ ـ ٤١٣) وسير أعلام النبلاء (٥/ ١١ ـ ١٢) وتهذيب التهذيب (٦/ ١٤٠ ـ ١٤١) وشذرات الذهب (١/ ٣٩٣) .

(١) ترجمة ـ عبد الله بن محمد ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨) وتاريخ خليفة (٣١٦ ـ ٣٢٠) وطبقاته (٢٣٩) وتاريخ البخاري (٥/ ١٨٧) وتهذيب الكمال (١٦/ ٨٥ ـ ٨٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٠٥ ـ ٤٠٧) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٢٩) والوافي بالوفيات (١٧/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥) وتهذيب التهذيب (٥/ ١٦٦) وشذرات الذهب (١/ ٣٩٣) .

(٢) من قوله : وممن توفي فيها . . إلى هنا ساقط من أ .

(٣) ترجمة ـ سليمان بن عبد الملك ـ في تاريخ خليفة (٣١٦ ـ ٣١٩) وأنساب الأشراف (ق٣/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩) وتاريخ البخاري (٤/ ٢٥) ووفيات الأعيان (٢/ ٤٢٠ ـ ٤٢٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٧٧ ـ ٣٨٢) وسير أعلام النبلاء (٥/ ١١١ ـ ١١٣) والوافي بالوفيات (١٥/ ٤٠٠ـ٤٠٤) وتاريخ الخلفاء للسيوطي (٢٢٥ ـ ٢٢٨) وغيرها كثير .

(٤) مختصر تاريخ دمشق (١٠/ ١٧٠) .

(٥) المصدر نفسه .

يحيى الذُهلي ، عن أبي صالح عن اللّيث عن عبد الرحمن بن خالد بن مسافر ، عن الزُّهري عنه .

قال الحافظ ابن عساكر[١] : وكانت داره بدمشق موضع ميضأة جيرون[٢] الآن [في تلك المساحة جميعها] وبنى داراً كبيرة ممايلي باب الصغير ، موضع الدرب المعروف بدرب محرز ، وجعلها دار الإمارة ، وعمل فيها قبة صفراء تشبيهاً بالقبة الخضراء ، قال : وكان فصيحاً مؤثراً للعدل محباً للغزو ، وقد أنفذ الجيش لحصار القسطنطينية حتى صالحوهم على بناء الجامع بها .

وقد روى أبو بكر الصولي : أن عبد الملك جمع بنيه ، الوليد وسليمان ومسلمة ، بين يديه فاستقرأهم القرآن فأجادوا القراءة ، ثم استنشدهم الشعر فأجادوا ، غير أنهم لم [يكملوا أو] يحكموا شعر الأعشى ، فلامهم على ذلك ، ثم قال : لينشدني كل رجل منكم أرق بيت قالته العرب ولا يفحش ، هات يا وليد ، فقال الوليد : [من البسيط]

ما مركبٌ وركوبُ الخيلِ يعجبني كمركبٍ بينَ دملوجٍ وخلخالِ

فقال عبد الملك : وهل يكون من الشعر أرفث من هذا ؟ هات يا سليمان ، فقال : [من الخفيف]

حبَّذا رجعُها يديها إليها في يدي درعها تحلُّ الإزارا

فقال : لم تصب ، هات يا مسلمة ، فأنشده قول امرىء القيس :

وما ذرفتْ عيناكِ إلا لتضربي بسهمَيكِ في أعشارِ قلبٍ مُقتَّلِ

فقال : كذب امرؤ القيس ولم يُصب ، إذا ذرفت عيناها بالوجد فما بقي إلا اللقاء ، وإنما ينبغي للعاشق أن يغتضي منها الجفاء ويكسوها المودة ، ثم قال : أنا مؤجلكم في هذا البيت ثلاثة أيام فمن أتاني به فله حكمه ، أي : مهما طلب أعطيته ، فنهضوا من عنده فبينما سليمان في موكب إذا هو بأعرابي يسوق إبله وهو يقول :

لو ضربوا[٣] بالسَّيفِ رأسي في مودَّتها لمالَ يهوي سريعاً نحوَها رأسي

فأمر سليمان بالأعرابي فاعتقل ، ثم جاء إلى أبيه فقال : قد جئتك بما سألت ، فقال : هات ، فأنشده البيت فقال : أحسنت ، وأنى لك هذا ؟ فأخبره خبر الأعرابي ، فقال : سل حاجتك ولا تنس صاحبك . فقال : يا أمير المؤمنين إنك عهدت بالأمر من بعدك للوليد ، وإني أحب أن أكون ولّي العهد من بعده ، فأجابه إلى ذلك ، وبعثه على الحج في إحدى وثمانين ، وأطلق له مئة ألف درهم ، فأعطاها سليمان لذلك الأعرابي [الذي قال ذلك البيت من الشعر][٤] .

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (١٠/ ١٧٠) .
(٢) جَيرون ـ بالفتح ـ الباب الشرقي للجامع الأموي بدمشق . معجم البلدان (٢/ ١٩٩) .
(٣) في مختصر تاريخ دمشق : لو حزَّ .
(٤) القصة بكاملها في مختصر تاريخ دمشق (١٠/ ١٧١ ـ ١٧٢) .

فلما مات أبوه سنة ست وثمانين وصارت الخلافة إلى أخيه الوليد ، كان بين يديه كالوزير والمشير ، وكان هو المستحث على عمارة جامع دمشق ، فلما توفي أخوه الوليد يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ، كان سليمان بالرملة ، فلما أقبل تلقاه الأمراء ووجوه الناس ، وقيل إنهم ساروا إليه إلى بيت المقدس فبايعوه هنالك ، وعزم على الإقامة بها ، وأتته الوفود إلى بيت المقدس فلم يروا وفادة كانت أهيأ من الوفادة إليه[١] ، وكان يجلس في قبة في صحن المسجد مما يلي الصخرة من جهة الشمال ، وتجلس أكابر الناس على الكراسي ، وتقسم فيهم الأموال ، ثم عزم على المجيء إلى دمشق . فدخلها وكمل عمارة الجامع .

وفي أيامه جددت المقصورة واتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز مشاوراً ووزيراً ، وقال له : إنا قد ولينا ما ترى وليس لنا علم بتدبيره ، فما رأيت من مصلحة العامة فمر به فليكتب ، وكان من ذلك عزل نواب الحجاج وإخراج أهل السجون منها ، وإطلاق الأسرى ، وبذل الأعطية بالعراق ، ورد الصلاة إلى ميقاتها الأول ، بعد أن كانوا يؤخرونها إلى آخر وقتها ، مع أمور حسنة كان يسمعها من عمر بن عبد العزيز رحمهما الله[٢] ، وأمر بغزو القسطنطينية فبعث إليها من أهل الشام والجزيرة والموصل في البر نحواً من مئة ألف وعشرين ألف مقاتل ، وبعث من أهل مصر وإفريقية ألف مركب في البحر عليهم عمر بن هبيرة ، وعلى جماعة الناس كلهم أخوه مسلمة ، ومعه ابنه داود بن سليمان بن عبد الملك في جماعة من أهل بيته ، وذلك كله عن مشورة موسى بن نصير ، حين قدم من بلاد المغرب ، والصحيح أنه قدم في أيام أخيه الوليد كما قدمنا ، والله أعلم .

قال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدَّثني محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الكوفي ، عن جابر بن عون الأسدي . قال : أول كلام تكلّم به سليمان بن عبد الملك [حين ولي الخلافة] أن قال : الحمد لله الذي ما شاء صنع وما شاء رفع وما شاء وضع ، ومن شاء أعطى ومن شاء منع . إن الدنيا دار غرور ، ومنزل باطل ، وزينة تقلب ، تضحك باكياً ، وتبكي ضاحكاً ، وتخيف آمناً ، وتؤمن خائفاً ، تفقر مثريها ، وتثري فقيرها ، ميّالة لاعبة بأهلها . يا عباد الله اتخذوا كتاب الله إماماً ، وارضوا به حكماً ، واجعلوه لكم قائداً ، فإنه ناسخ لما قبله ولن ينسخه كتاب بعده . اعلموا عباد الله أن هذا القرآن يجلو كيد الشيطان وضغائنه كما يجلو ضوء الصبح إذا تنفس إدبار الليل إذا عسعس[٣] .

وقال يحيى بن معين : عن حجّاج بن محمد ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس قال : سمعت سليمان بن عبد الملك يقول في خطبته : فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه .

---

(١) مكانها في الأصول : فلم يرو وفادة هناك . . . ، ولا يكتمل المعنى بها وأثبتنا عبارة الذهبي في تاريخ الإسلام ، ومختصر تاريخ دمشق .

(٢) الخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٧٨) .

(٣) نص الخطبة مع خلافات يسيرة في مروج الذهب (٣/ ٢١٣) والعقد الفريد (٢/ ١٤٣) .

وقال حماد بن زيد عن يزيد بن حازم . قال : كان سليمان بن عبد الملك يخطبنا كل جمعة لا يدع أن يقول في خطبته : وإنما أهل الدنيا على رحيل ، لم تمض لهم نية ولم تطمئن بهم حتى يأتي أمر الله ووعده وهم على ذلك ، كذلك لا يدوم نعيمها ، ولا تؤمن فجائعها ولا تبقي من شر أهلها ثم يتلو ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ۝ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٠٥ ـ ٢٠٧][١] .

وروى الأصمعي أن نقش خاتم سليمان كان : آمنت بالله مخلصاً .

وقال أبو مسهر : عن أبي مسلم سلمة بن العَيّار الفزاري . قال : كان محمد بن سيرين يترحم على سليمان بن عبد الملك ، ويقول : افتتح خلافته بخير وختمها بخير ، افتتحها بإحيائه الصلاة لمواقيتها ، وختمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز[٢] .

قد أجمع علماء السير والتواريخ أنه حجّ بالناس في سنة سبع وتسعين وهو خليفة[٣] .

قال الهيثم بن عدي : قال الشعبي : حجّ سليمان بن عبد الملك فلما رأى الناس بالموسم قال لعمر بن عبد العزيز : ألا ترى هذا الخلق الذي لا يُحصي عددهم إلا الله ، ولا يسع رزقهم غيره ، فقال : يا أمير المؤمنين هؤلاء رعيتك اليوم ، وهم غداً خصماؤك عند الله ، فبكى سليمان بكاءً شديداً ثم قال : بالله أستعين[٤] .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا إسحاق بن إسماعيل ، حدّثنا جرير ، عن عطاء بن السائب . قال : كان عمر بن عبد العزيز في سفر مع سليمان بن عبد الملك فأصابتهم السماء برعد وبرق وظلمة وريح شديدة ، حتى فزعوا لذلك ، وجعل عمر بن عبد العزيز[٥] يضحك ، فقال له سليمان : ما يضحكك يا عمر ؟ أما ترى ما نحن فيه ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين هذه آثار رحمته فيها شدائد ما نرى ، فكيف بآثار سخطه وغضبه ؟

ومن كلامه الحسن رحمه الله قوله : الصمت منام العقل والنطق يقظته ، ولا يتم هذا إلا بهذا .

ودخل عليه رجل فكلمه فأعجبه منطقه ثم فتشه فلم يحمد عقله ، فقال : فضل منطق الرجل على عقله خدعة ، وفضل عقله على منطقه هجنة ، وخير ذلك ما أشبه بعضه بعضاً .

وقال : العاقل أحرص على إقامة لسانه منه على طلب معاشه .

---

(١) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٧٩) .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) كذلك قال الذهبي في تاريخ الإسلام .
(٤) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٧٩) .
(٥) من قوله : في سفر مع سليمان . . إلى هنا ساقط من أ .

وقال أيضاً : إن من تكلّم فأحسن قادر على أن يسكت فيحسن ، وليس كل من سكت فأحسن قادراً على أن يتكلم فيحسن[١] .

ومن شعره يتسلى عن صديق له مات فقال[٢] : [من الطويل]

وهوَّن وجدي في شراحيل أنَّني ... متى شئتُ لاقيتُ امرءاً مات صاحبهُ

ومن شعره أيضاً : [من الطويل]

ومن شِيمتي ألّا أفارقَ صاحبي ... وإنْ ملَّني إلا سألتُ لهُ رُشْداً

وإنْ دامَ لي بالودِّ دمتُ ولم أكُنْ ... كآخرَ لا يرعَى ذِماماً ولا عهداً

وسمع سليمان ليلة صوت غناء في معسكره فلم يزل يفحص حتى أتى بهم ، فقال سليمان : الفرس ليصهل فتستودق له الرَّمَكة ، وإن الجمل ليهدر فتضبَع له الناقة ، وإن التيس لينبّ فتستخرم له العنز ، وإن الرجل ليتغنى فتشتاق له المرأة، ثم أمر بهم ليخصوهم، فيقال إن عمر بن عبد العزيز قال: يا أمير المؤمنين إنها مثلة ، فتركهم . وفي رواية أنه خصى أحدهم ثم سأل عن أصل الغناء فقيل إنه بالمدينة ، فكتب إلى عامله بها وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم يأمره أن يخصي من عنده من المغنين المخنثين[٣] .

وقال الشافعي : دخل أعرابي على سليمان فدعاه إلى أكل الفالوذج وقال له : إن أكلها يزيد في الدماغ فقال : لو كان هذا صحيحاً لكان ينبغي أن يكون رأس أمير المؤمنين مثل رأس البغل[٤] .

وذكروا أن سليمان كان نهماً في الأكل ، وقد نقلوا عنه أشياء في ذلك غريبة ، فمن ذلك أنه اصطبح في بعض الأيام بأربعين دجاجة مشوية ، وأربع وثمانين كلوة بشحمها ، وثمانين جردقة ، ثم أكل مع الناس على العادة في السِّماط العام[٥] .

ودخل ذات يوم بستاناً له وكان قد أمر قيِّمه أن يجني ثماره ، فدخل ومعه أصحابه فأكل القوم حتى ملوا ، واستمرَّ هو يأكل أكلاً ذريعاً من تلك الفواكه ، ثم استدعى بشاة مشوية فأكلها ثم أقبل على الفاكهة ، ثم أتي بدجاجتين فأكلهما ، ثم عاد إلى الفاكهة فأكل منها ثم أُتي بقعب يقعد فيه الرجل مملوءاً بسويق وسمن وسكر فأكله ثم صار إلى دار الخلافة ، وأتي بالسماط فما فقد من أكله شيء . وقد رُوي أنه عرضت له حمى عقب هذا الأكل أدته إلى الموت[٦] .

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (١٠/ ١٧٥) .
(٢) الأبيات في مختصر تاريخ دمشق (١٠/ ١٧٥ ـ ١٧٦) .
(٣) مختصر تاريخ دمشق (١٠/ ١٧٦ ـ ١٧٧) .
(٤) المصدر نفسه (١٠/ ١٧٧) .
(٥) الخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٧٩) والجردقة : الرغيف (فارسي) وجمعها جرادق . القاموس (جردق) .
(٦) الخبر بأطول مما هنا في مختصر تاريخ دمشق (١٠/ ١٧٧ ـ ١٧٨) .

وقد قيل إن سبب مرضه كان من أكل أربعمئة بيضة وسلتين من تين ، فالله أعلم .

وذكر المفضّل[١] بن المهلّب أنه لبس في يوم جمعة حلّة صفراء ، ثم نزعها ولبس بدلها حلّة خضراء ، واعتم بعمامة خضراء ، وجلس على فراش أخضر ، وقد بسط ما حوله بالخضرة ، ثم نظر في المرآة فأعجبه حسنه ، وشمّر عن ذراعيه وقال : أنا الخليفة الشاب[٢] .

[وقيل : إنه كان ينظر في المرآة من فرقه إلى قدمه ويقول : أنا الملك الشاب][٣] .

وفي رواية أنه قال : كان محمد نبياً ، وكان أبو بكر صدّيقاً ، وكان عمر فاروقاً ، كان عثمان حيياً ، وكان علي شجاعاً ، وكان معاوية حليماً ، وكان يزيد صبوراً ، وكان عبد الملك سائساً ، وكان الوليد جبّاراً ، وأنا الملك الشاب . قالوا : فما حال عليه بعد ذلك شهر ، وفي رواية جمعة ، حتى مات[٤] .

قالوا : ولما حم شرع يتوضأ فدعا بجارية فصبت عليه ماء الوضوء ثم أنشدته :

أنتَ نعمَ المتاعُ لو كنتَ تبقى   غيرَ أنْ لا بقاءَ للإنسانِ
أنتَ خلوٌ من العيوبِ ومما   يكره الناسُ غيرَ أنك فانِ[٥]

قالوا : صاح بها وقال : عزيتني في نفسي وصرفها ، ثم أمر خاله الوليد بن القعقاع العبسي[٦] أن يصب عليه وقال : [من الكامل]

قرِّبْ وضوءكَ يا وليدُ فإنما   دنياكَ هذي بلغةٌ[٧] ومتاع

[فقال الوليد][٨] :

فاعمل لنفسك في حياتكَ صالحاً   فالدهرُ فيهِ فرقةٌ وجماعُ

---

(١) في ط : الفضل ؛ تحريف ، وما أثبت موافق للطبري ، والخبر فيه (٦/ ٥٤٦) .
(٢) في الطبري : أنا الملك الفتي .
(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط .
(٤) الرواية الأخيرة في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٨٠) ومختصر تاريخ دمشق (١٠/ ١٧٩) .
(٥) الأبيات في تاريخ الطبري (٦/ ٥٤٧) وليس فيه بقية القصة ، وابن الأثير (٥/ ٣٧) مع اختصار في القصة ، والبيت الثاني فيهما :

ليس فيما علمته فيك عيب   كان في الناس غير أنك فان

وفي الوفيات لابن خلكان (٢/ ٤٢١) ومختصر تاريخ دمشق (١٠/ ١٧٥) :

ليس فيما بدا لنا منك عيب   عابه الناس غير أنك فان

(٦) في ط : العنسي ؛ وما أثبت هو الصحيح لأن أخواله بنو عبس .
(٧) في تاريخ الإسلام : تَعِلَّةٌ .
(٨) ما بينهما زيادة من مختصر تاريخ دمشق (١٠/ ١٧٩) حيث إن البيت الثاني قاله الوليد خال سليمان ، وكذلك في تاريخ الإسلام .

ويروى أن الجارية لما جاءته بالطست جعلت تضطرب من الحمى ، فقال : أين فلانة ؟ فقالت : محمومة ، قال : ففلانة ؟ قالت : محمومة ، وكان بمرج دابق من أرض قنسرين ، فأمر خاله فوضأه ثم خرج يصلي بالناس فأخذته بحة في الخطبة ، ثم نزل وقد أصابته حمى فاستمر بها حتى مات في الجمعة المقبلة[١] .

ويقال : إنه أصابه ذات الجنب[٢] فمات بها رحمه الله وأكرم مثواه .

[وكان قد أقسم أنه لا يبرح بمرج دابق حتى يرجع إليه الخبر بفتح القسطنطينية ، أو يموت قبل ذلك فمات قبل ذلك رحمه الله وأكرم مثواه][٣] .

قالوا وجعل يلهج في مرضه ويقول :

إنَّ بنـــيَّ صبيـــةٌ صغــارُ أفلــحَ مــنْ كــانَ لــهُ كبــارُ

فيقول له عمر بن عبد العزيز : قد أفلح المؤمنون يا أمير المؤمنين ، ثم يقول :

إن بنـــيَّ صبيـــةٌ صيفيـــون قـدْ أفلحَ مـنْ كـانَ لـهُ شتـويـونْ[٤]

ويروى أن هذا آخر ما تكلّم به ، والصحيح أن آخر ما تكلم به أن قال : أسألك منقلباً كريماً ، ثم قضى .

وروى ابن جرير[٥] عن رجاء بن حيوة ـ وكان وزير صدق لبني أمية ـ قال : استشارني سليمان بن عبد الملك وهو مريض أن يولي له ابناً صغيراً لم يبلغ الحُلُم ، فقلت : إن مما يحفظ الخليفة في قبره أن يولي على المسلمين الرجل الصالح ، ثم شاورني في ولاية ابنه داود ، فقلت : إنه غائب عنك بالقسطنطينية ولا تدري أحي هو أو ميت ، فقال : من ترى ؟ فقلت : رأيك يا أمير المؤمنين قال : فكيف ترى في عمر بن عبد العزيز ؟ فقلت : أعلمه والله خيراً فاضلاً مسلماً يحب الخير وأهله ، ولكن أتخوف عليه إخوتك أن لا يرضوا بذلك ، فأشار رجاء[٦] أن يجعل يزيد بن عبد الملك ولي العهد من بعد عمر بن عبد العزيز ليُرضي بذلك بني مروان ، فكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز ، إني قد

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (١٠/ ١٧٨) .
(٢) المصدر نفسه (١٠/ ١٨١) .
(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط .
(٤) في مختصر تاريخ دمشق (١٠/ ١٨١) : أفلح من كان له شتويون ـ بحذف قد ـ وفي ط : ربيعيون .
(٥) تاريخ الطبري (٦/ ٥٥٠ ـ ٥٥٣) .
(٦) في ط : لا يرضوا بذلك ، فقال : هو والله على ذلك ، وأشار رجال أن .. وما أثبت من أ ، ب وهي توافق المصادر .

وليته الخلافة من بعدي ومن بعده يزيد بن عبد الملك ، فاسمعوا له وأطيعوا ، واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم عدوكم[١] . وختم الكتاب وأرسل إلى كعب بن حامد العبسي صاحب الشرطة ، فقال له : اجمع أهل بيتي [فمرهم فليبايعوا على ما في هذا الكتاب مختوماً ، فمن أبى منهم فاضرب عنقه][٢] . فاجتمعوا ودخل رجال منهم فسلّموا على أمير المؤمنين ، فقال لهم : هذا الكتاب عهدي إليكم ، فاسمعوا له وأطيعوا وبايعوا من وليت فيه ، فبايعوا لذلك رجلاً رجلاً .

قال رجاء : فلما تفرقوا جاءني عمر بن عبد العزيز فقال : أنشدك الله وحرمتي ومودتي إلّا أعلمتني إن كان كتب لي ذلك حتى أستعفيه الآن قبل أن يأتي حال لا أقدر عليه الساعة ، فقلت : والله لا أخبرك حرفاً واحداً .

قال : ولقيه هشام بن عبد الملك فقال : يا رجاء إن لي بك حرمةً ومودةً قديمةً ، فأخبرني هذا الأمر إن كان إليّ علمت ، وإن كان لغيري فما مثلي قصّر به عن هذا . فقلت : والله لا أخبرك حرفاً واحداً مما أُسِرَّ إليَّ .

قال رجاء : دخلت على سليمان فإذا هو يموت ، فجعلت إذا أخذته السَّكْرة من سكرات الموت أحرفه إلى القبلة ، فإذا أفاق يقول : لم يأن لذلك بعد يا رجاء ، فلما كانت الثالثة قال : من الآن يا رجاء إن كنت تريد شيئاً ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، قال : فحرفته إلى القبلة فمات رحمه الله . قال : فغطيته بقطيفة خضراء وأغلقت الباب عليه وأرسلت إلى كعب بن حامد فجمع الناس في مسجد دابق ، فقلت : بايعوا لمن في هذا الكتاب ، فقالوا : قد بايعنا ، فقلت : بايعوا ثانية ، ففعلوا ، ثم قلت : قوموا إلى صاحبكم فقد مات ، وقرأت الكتاب عليهم ، فلما انتهيت إلى ذكر عمر بن عبد العزيز تغيرت وجوه بني مروان ، فلما قرأت وإن يزيد[٣] بن عبد الملك بعده ، تراجعوا بعض الشيء . ونادى هشام لا نبايعه أبداً ، فقلت : أضرب عنقك والله ، قم فبايع ، ونهض الناس إلى عمر بن عبد العزيز وهو في مؤخر المسجد ، فلما تحقق ذلك قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ولم تحمله رجلاه حتى أخذوا بضبعيه فأصعدوه على المنبر ، فسكت حيناً ، فقال رجاء بن حيوة : ألا تقوموا إلى أمير المؤمنين فتبايعوه ، فنهض القوم فبايعوه ، ثم أتى هشام فصعد المنبر ليبايع وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فقال عمر : نعم ! إنا لله وإنا إليه راجعون الذي صرت أنا وأنت نتنازع هذا الأمر . ثم قام فخطب الناس خطبة بليغة وبايعوه [فكان مما قال في خطبته : أيها الناس ، إني لست بمبتدع ولكني متبع ، وإن من حولكم من

---

(١) نص الكتاب في الطبري (٦/ ٥٥٢) وابن الأثير (٥/ ٣٩) ، وثمة بعض الخلافات اللفظية بين النسخ لم نشر إليها ، لأننا غالباً ما نثبت ما اتفق عليه أصلان ، ووافق مصادر المؤلف رحمه الله .

(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٨١) .

(٣) في الأصول : هشام : خطأ ، والتصحيح من تاريخ الإسلام والخبر فيه ، وغيره من المصادر .

الأمصار والمدن إن أطاعوا كما أطعتم فأنا واليكم ، وإن هم أبوا فلست لكم بوالٍ][1] . ثم نزل ، فأخذوا في جهاز سليمان .

قال الأوزاعي : فلم يفرغوا منه حتى دخل وقت المغرب ، فصلى عمر بالناس صلاة المغرب ، ثم صلى على سليمان ودفن بعد المغرب ، فلما انصرف عمر أُتي بمراكب الخلافة فأبى أن يركبها وركب دابته وانصرف مع الناس [حتى أتوا دمشق] فمالوا به نحو دار الخلافة فقال : لا أنزل إلا في منزلي حتى تفرغ دار أبي أيوب ، فاستحسن[2] ذلك منه ، ثم استدعى بالكاتب فجعل يملي عليه نسخة الكتاب الذي يبايع عليه الأمصار[3] ، قال رجاء : فما رأيت أفصح منه .

قال محمد بن إسحاق : وكانت وفاة سليمان بن عبد الملك بدابق من أرض قنسرين يوم الجمعة لعشر ليالٍ خلت من صفر سنة تسع وتسعين ، على رأس سنتين وتسعة أشهر وعشرين يوماً من متوفى الوليد ، وكذا قال الجمهور في تاريخ وفاته ، ومنهم من يقول : لعشر بقين من صفر ، وقالوا : كانت ولايته سنتين وثمانية أشهر ، زاد بعضهم إلا خمسة أيام والله أعلم[4] .

وقول الحاكم أبي أحمد : إنه توفي يوم الجمعة لثلاث عشرة بقين من رمضان سنة تسع وتسعين وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وخمسة أيام وتوفي وهو ابن تسع وثلاثين سنة فقد حكاه الحافظ ابن عساكر[5] ، وهو غريب جداً ، وقد خالفه الجمهور في كل ما قاله ، وعندهم أنه جاوز الأربعين فقيل بثلاث وقيل بخمس ، والله أعلم .

قالوا : وكان طويلاً جميلاً أبيض نحيفاً ، حسن الوجه ، مقرون الحاجبين ، كان فصيحاً بليغاً ، يحسن العربية ، ويرجع إلى دين ، وخير ، ومحبة للحق وأهله ، واتباع القرآن والسنة ، وإظهار الشرائع الإسلامية رحمه الله .

وقد كان الخليفة سليمان بن عبد الملك رحمه الله آلى على نفسه حين خرج من دمشق إلى مرج دابق ـ ودابق قرية من بلاد حلب ـ وقد جهزت الجيوش إلى مدينة الروم العظمى المسماة بالقسطنطينية ، وحلف أن لا يرجع إلى دمشق حتى تفتح أو يموت ، فمات هنالك كما ذكرنا وبهذه النية مات مرابطاً رحمه الله وبلّ بالرحمة ثراه[6] .

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط ، ونص الخطبة في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٨٢) .
(٢) أي رجاء بن حيوة .
(٣) نص الكتاب في ابن الأثير (٥/ ٦٦) .
(٤) أقوال المؤرخين في سنة موته في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٨٢) .
(٥) الذي في مختصر تاريخ دمشق (١٠/ ١٧١) : فكانت ولايته ثلاث سنين وثلاثة أشهر ، وهو ابن تسع وثلاثين سنة .
(٦) مكانها في ط : فحصل له بهذه النية أجر الرباط في سبيل الله ، فهو إن شاء الله ممن يجري له ثوابه إلى يوم القيامة رحمه الله .

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر[١] في ترجمة شراحيل بن عبيدة بن قيس العقيلي ما مضمونه : إن مسلمة بن عبد الملك لما ضيَّق بمحاصرته على أهل القسطنطينية ، وتتبع المسالك واستحوذ على ما هنالك من الممالك ، كتب إليون ملك الروم إلى ملك البرجان يستنصره على مسلمة ، ويقول له : إن هؤلاء القوم ليس لهم همة إلا في الدعوة إلى دينهم ، الأقرب منهم فالأقرب ، وإنهم متى فرغوا مني خلصوا إليك ، فمهما كنت صانعاً حينئذٍ فاصنعه الآن ، فعند ذلك شرع لعنه الله في المكر والخديعة ، فكتب إلى مسلمة يقول له : إن إليون كتب إليّ يستنصرني عليك ، وأنا معك فمرني لما شئت . فكتب إليه مسلمة : إني لا أريد منك رجالاً ولا عدداً ، ولكن أرسل إلينا بالميرة فقد قلّ ما عندنا من الأزواد . فكتب إليه : إني قد أرسلت إليك بسوق عظيمة إلى مكان كذا وكذا ، فأرسل من يتسلمها ويشتري منها . فأذن مسلمة لمن شاء من الجيش أن يذهب إلى هناك فيشتري له ما يحتاج إليه ، فذهب خلق كثير فوجدوا هنالك سوقاً هائلة ، فيها من أنواع البضائع والأمتعة والأطعمة ، فأقبلوا يشترون ، واشتغلوا بذلك ، ولا يشعرون بما أرصد لهم الخبيث من الكمائن بين تلك الجبال التي هنالك ، فخرجوا عليهم بغتة واحدة فقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين وأسروا آخرين ، وما رجع إلى مسلمة إلا القليل منهم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، فكتب مسلمة بذلك إلى أخيه سليمان يخبره بما وقع من ذلك ، فأرسل جيشاً كثيفاً صحبة شراحيل بن عبيدة هذا ، وأمرهم أن يعبروا خليج القسطنطينية أولاً فيقاتلوا ملك البرجان ، ثم يعودوا إلى مسلمة ، فذهبوا إلى بلاد البرجان وقطعوا إليهم تلك الخلجان ، فاقتتلوا معهم قتالاً شديداً ، فهزمهم المسلمون بإذن الله ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وسبوا وأسروا خلقاً كثيراً ، وخلّصوا أسرى المسلمين ، ثم تحيزوا إلى مسلمة فكانوا عنده حتى استقدم الجميع عمر بن عبد العزيز خوفاً عليهم من غائلة الروم وبلادهم ، ومن ضيق العيش ، وقد كان لهم قبل ذلك مدة طويلة أثابهم الله .

خلافة عمر بن عبد العزيز أشجّ بني مروان[٢] رضي الله عنه وأكرمه

قد تقدم أنه بويع له بالخلافة يوم الجمعة لعشر مضين ، وقيل بقين من صفر من هذه السنة ـ أعني سنة تسع وتسعين ـ يوم مات سليمان بن عبد الملك ، عن عهد منه إليه من غير علم من عمر كما قدَّمنا ، وقد ظهرت عليه مخايل الورع والدين والتقشف والصيانة والنزاهة ، من أول حركة بدت منه ، حيث أعرض عن ركوب مراكب الخلافة ، وهي الخيول الحسان الجياد المعدّة لها ، والاجتزاء بمركوبه الذي كان يركبه ، وسكنى منزله رغبة عن منزل الخلافة .

---

(١) تاريخ دمشق (٢٢/ ٤٤٣) .

(٢) ذكر ابن سعد في الطبقات (٥/ ٣٣١) عن ثروان مولى عمر بن عبد العزيز : أنه دخل إلى اصطبل أبيه وهو غلام ، فضربه فرسه فشجَّه ، فجعل أبوه يمسح عنه الدم ويقول : إن كنت أشج بني أمية لسعيد . وذكره الذهبي في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ١٠١ ـ ١٢٠/ ص١٨٨) .

ويقال : إنه خطب الناس فقال في خطبته : أيها الناس ، إن لي نفساً تواقة لا تُعطى شيئاً إلا تاقت إلي ما هو أعلى منه ، وإني لمَّا أُعطيت الخلافة تاقت نفسي إلى ما هو أعلى منها وهي الجنة ، فأعينوني عليها يرحمكم الله . وستأتي ترجمته عند وفاته إن شاء الله .

وكان مما بادر إليه عمر بن عبد العزيز في هذه السنة أن بعث إلى مسلمة بن عبد الملك ومن معه من المسلمين وهم بأرض الروم محاصرو القسطنطينية ، وقد اشتد عليهم الحال وضاق عليهم المجال ، لأنهم عسكر كثير ، فأمرهم بالقفول إلى منازلهم . وبعث إليهم بطعام كثير وخيول كثيرة عتاق ، يقال خمسمئة فرس ، ففرح الناس بذلك .

وفي هذه السنة أغارت الترك على أذربيجان فقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين ، فوجه إليهم عمرُ حاتم بن النعمان الباهلي فقتل أولئك الأتراك ، ولم يفلت منهم إلا اليسير ، وبعث منهم أسارى إلى عمر بن عبد العزيز وهو بخناصرة[(١)] .

وقد كان المؤذنون يذكِّرونه بعد أذانهم باقتراب الوقت وضيقه لئلا يؤخرها كما كان يؤخرها من قبله ، لكثرة الأشغال ، وكان ذلك عن أمره لهم بذلك ، والله أعلم .

فروى ابن عساكر[(٢)] في ترجمة جرير بن عثمان الرّحبي الحمصي قال : رأيت مؤذني عمر بن عبد العزيز يسلّمون عليه في الصلاة : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، حي على الصلاة حي على الفلاح ، الصلاة قد قاربت .

وفي هذه السنة عزل عمر يزيد بن المهلّب عن إمرة العراق ، وبعث عدي بن أرطاة الفزاري على إمرة البصرة ، فاستقضى عليه الحسن البصري ، ثم استعفاه فأعفاه ، واستقضى مكانه إياس بن معاوية الذكي المشهور .

وبعث على إمرة الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، وضم إليه أبا الزناد كاتباً بين يديه ، واستقضى عليها عامراً الشعبي .

قال الواقدي[(٣)] : فلم يزل قاضياً عليها مدة خلافة عمر بن عبد العزيز .

وجعل على إمرة خراسان الجرَّاح بن عبد الله الحَكَمي .

وكان نائب مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد .

---

(١) خناصرة : بليدة من أعمال حلب تحاذي قنسرين نحو البادية . معجم البلدان (٢/ ٣٩٠) ، والخبر والذي قبله في الطبري (٦/ ٥٥٣ ـ ٥٥٤) وابن الأثير (٥/ ٤٣) .
(٢) مطبوعة دار الفكر من تاريخ دمشق الكثير من حرف الجيم ، ولم أجده في المختصر أو التهذيب .
(٣) تاريخ الطبري (٦/ ٥٥٤) .

وعلى إمرة المدينة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم [وهو الذي حج بالناس في هذه السنة .

وعزل عن إمرة مصر عبد الملك بن أبي وداعة وولّى عليها أيوب بن شرحبيل ، وجعل الفتيا إلى جعفر بن ربيعة ويزيد بن أبي حبيب وعبيد الله بن أبي جعفر ، فهؤلاء الذين كانوا يفتون الناس .

واستعمل على إفريقية وبلاد المغرب إسماعيل بن عبد الله المخزومي ، وكان حسن السيرة ، وأسلم في ولايته على بلاد المغرب خلق كثير من البربر ، والله سبحانه وتعالى أعلم][1] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحسن بن محمد ابن الحنفية[2] ، تابعي جليل ، يقال إنه أول من تكلّم في الإرجاء ، وقد تقدم أن أبا عبيد قال : توفي في سنة خمس وتسعين . وذكر خليفة أنه توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز ، وذكر شيخنا الذهبي في الإعلام أنه توفي هذا العام ، والله أعلم .

وفيها توفي : سليمان بن عبد الملك بن مروان كما تقدم .

وعبد الله بن محيريز[3] بن جنادة بن عبيد[4] ، القرشي الجُمَحي المكّي ، نزيل بيت المقدس ، تابعي جليل .

روى عن زوج أمه[5] أبي محذورة المؤذّن ، وعبادة بن الصامت ، وأبي سعيد ، ومعاوية ، وغيرهم .

وعنه خالد بن معدان ، ومكحول ، وحسان بن عطية ، والزّهري ، وآخرون .

وقد وثقه غير واحد ، وأثنى عليه جماعة من الأئمة ، حتى قال رجاء بن حيوة : إن يفخر علينا أهل المدينة بعابدهم ابن عمر ، فإنا نفخر عليهم بعابدنا عبد الله بن محيريز .

وقال بعض ولده : كان يختم القرآن كل جمعة ، وكان يفرش له الفراش فلا ينام عليه .

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وهي توافق تاريخ خليفة (٣٢٠) والذهبي في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٧٣ ـ ٢٧٤) .

(٢) تقدمت ترجمته مع وفيات سنة خمس وتسعين .

(٣) ترجمة ـ عبد الله بن محيريز ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٤٧) وطبقات خليفة (٢٩٤) وتاريخ البخاري (٥/ ١٩٣ ـ ١٩٤) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٣٣٥ ـ ٣٦٤) وحلية الأولياء (٥/ ١٣٨ ـ ١٤٩) وتاريخ دمشق (٣٣/ ٦ ـ ٢٥) ط : دار الفكر ، وأسد الغابة (٣/ ٢٥٢) وصفة الصفوة (٤/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٠٧ ـ ٤٠٩) وسير أعلام النبلاء (٤٠/ ٤٩٤ ـ ٤٩٦) والوافي بالوفيات (١٧/ ٥٩٩ ـ ٦٠٠) وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٢ـ٢٣) وشذرات الذهب (١/ ٣٩٨) .

(٤) في تاريخ الإسلام والسير : بن وهب .

(٥) في الأصول : أم ، والتصحيح من تاريخ الإسلام والسير وباقي المصادر .

قالوا : وكان صموتاً معتزلاً للفتن ، وكان لا يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا يذكر شيئاً من خصاله المحمودة .

ورأى على بعض الأمراء حلّة من حرير(١) فأنكر عليه ، فقال : إنما ألبسها من أجل هؤلاء ـ وأشار إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين ـ فقال له ابن محيريز : لا تعدل بخوفك من الله خوف أحد من الناس .
وقال الأوزاعي : من كان مقتدياً فليقتد بمثله ، فإن الله لا يضل أمة فيها مثله(٢) .

قال بعضهم : توفي أيام الوليد .

وقال خليفة بن خياط : توفي أيام عمر بن عبد العزيز ، وذكر الذهبي في الإعلام أنه توفي في هذا العام . [والله سبحانه أعلم .

دخل ابن محيريز مرة حانوت بزاز ليشتري منه ثوباً فرفع في السَّوم ، فقال له جاره : ويحك هذا ابن محيريز ضع له ، فأخذ ابن محيريز بيد غلامه وقال : اذهب بنا إنما جئت لنشتري بأموالنا لا بأدياننا ، فذهب وتركه](٣) .

ومحمود بن لبيد بن عقبة(٤) ، أبو نعيم الأنصاري الأشهلي . ولد في حياة النبي ﷺ ، روى عنه أحاديث لكن حكمها حكم الإرسال .

وقال البخاري : له صحبة .

وقال ابن عبد البر : هو أسن(٥) من محمود بن الربيع .

قيل : إنه توفي سنة ست وقيل سبع وتسعين ، وذكر الذهبي في الإعلام أنه توفي في هذا العام والله أعلم باليقين .

نافع بن جبير بن مطعم(٦) بن عدي بن نوفل القرشي النوفلي المدني .

---

(١) في تاريخ الإسلام من خزٍّ .
(٢) تاريخ دمشق (٣٣/ ٩) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٩٦) .
(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر في تاريخ دمشق (٣٣/ ١٩) .
(٤) ترجمة ـ محمود بن لبيد ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٧٧) وتاريخ خليفة (٣٠٦) وطبقاته (٢٣٨) وتاريخ البخاري (٧/ ٤٠٢) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٥٦) والاستيعاب (٣/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤) وأسد الغابة (٥/ ١١٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٧٣) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٨٥ـ٤٨٦) وتهذيب التهذيب (١٠/ ٦٥ ـ ٦٦) وشذرات الذهب (١/ ٣٩٠) .
(٥) تحرفت في ط : إلى : أحسن .
(٦) ترجمة ـ نافع بن جبير ـ في ابن سعد (٥/ ٢٠٥) وطبقات خليفة (٢٤١) وتاريخ البخاري (٨/ ٨٢ ـ ٨٣) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٦٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ٤٩١ ـ ٤٩٣) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٤١ ـ ٥٤٣) وتهذيب التهذيب (١٠/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥) وشذرات الذهب (١/ ٣٩٨) .

روى عن أبيه : وعثمان وعلي والعباس وأبي هريرة وعائشة وغيرهم .

وروى عنه جماعة من التابعين وغيرهم .

وكان ثقة عابداً يحج ماشياً ومركوبه يقاد معه .

قال غير واحد : توفي سنة تسع وتسعين بالمدينة .

كريب بن أبي مسلم[١] ، مولى ابن عباس .

روى عن جماعة من الصحابة وغيرهم .

وكان عنده حمل كتب[٢] ، وكان من الثقات المشهورين بالخير والديانة .

محمد بن جبير بن مطعم[٣] ، كان من علماء قريش وأشرافها ، وله روايات كثيرة ، وكان يعقل مجّةً مجّها النبي ﷺ في وجهه وعمره أربع سنين .

توفي وعمره ثلاث وتسعون سنة بالمدينة .

مسلم بن يسار[٤] ، أبو عبد الله البصري ، الفقيه الزاهد .

له روايات كثيرة ، كان لا يفضل عليه أحد في زمانه ، وكان عابداً ، ورعاً ، زاهداً ، كثير الصلاة ، كثير الخشوع .

وقيل إنه وقع في داره حريق فأطفؤوه وهو في الصلاة لم يشعر به . وله مناقب كثيرة رحمه الله .

---

(١) ترجمة ـ كريب بن أبي مسلم ـ في ابن سعد (٥/ ٢٩٣) وتاريخ خليفة (٣١٦) وطبقاته (٢٨٠) وتاريخ البخاري (٧/ ٢٣١) والمعرفة والتاريخ (١/ ٤١٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٦٢ ـ ٤٦٣) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٧٩ ـ ٤٨٠) وتهذيب التهذيب (٨/ ٤٣٣) وشذرات الذهب (١/ ٣٩٤) وفيات سنة ثمان وتسعين .
وقال الذهبي في السير (٤/ ٤٨٠) : قال الواقدي والمدائني وخليفة وجماعة : مات سنة ثمان وتسعين .

(٢) أورد ابن سعد في الطبقات (٥/ ٢٩٣) عن موسى بن عقبة : وضع عندنا كريب حمل بعير ـ أو عدل بعير ـ من كتب ابن عباس ، فكان علي بن عبد الله بن عباس إذا أراد الكتاب كتب إليه ابعث إليَّ بصحيفة كذا وكذا ، قال : فينسخها فيبعث إليه بإحداهما ، والخبر في تاريخ الإسلام أيضاً .

(٣) ترجمة ـ محمد بن جبير ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٢٠٥) وتاريخ خليفة (٢٤٦) وطبقاته (٢٤١) وتاريخ البخاري (١/ ٥٢) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٦٣) وتاريخ دمشق (٥٢/ ١٨٠ ـ ١٨٨) وتاريخ الإسلام (٦/ ٤٦٦ ـ ٤٦٧) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٤٣ ـ ٥٤٤) والوافي بالوفيات (٢/ ٢٨٤) وتهذيب التهذيب (٩/ ٩١ ـ ٩٢) .

(٤) ترجمة ـ مسلم بن يسار ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ١٨٦ ـ ١٨٨) وتاريخ خليفة (٢٨٦) وطبقاته (٢٠٦) وتاريخ البخاري (٧/ ٢٧٥) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٨٥) وحلية الأولياء (٢/ ٢٩٠ ـ ٢٩٨) وتاريخ دمشق (٥٨/ ١٢٤ ـ ١٥٠) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٧٥ ـ ٤٧٨) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥١٠ ـ ٥١٤) وتهذيب التهذيب (١٠/ ١٤٠ ـ ١٤١) وشذرات الذهب (١/ ٤٠٥) مع وفيات سنة مئة .
وقال الذهبي في تاريخ الإسلام : قال خليفة والفلاس : مات سنة مئة . وقال الهيثم : سنة إحدى ومئة .

قلت : وانهدمت مرة ناحية في المسجد ففزع أهل السوق لهدتها ، وإنه لفي المسجد في صلاته فما التفت .

وقال ابنه : رأيته ساجداً وهو يقول : متى ألقاك وأنت عني راضٍ ، ثم يذهب في الدعاء ، ثم يقول : متى ألقاك وأنت عني راض ، وكان إذا كان في غير صلاة كأنه في الصلاة ، وقد تقدمت ترجمته .

حنش بن عمرو الصنعاني[١] ، كان والي إفريقية وبلاد المغرب ، وبإفريقية توفي غازياً ، وله روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة .

خارجة بن زيد[٢] بن الضحَّاك الأنصاري المدني الفقيه .

كان يفتي بالمدينة ، وكان من فقهائها المعدودين ، كان عالماً بالفرائض وتقسيم المواريث ، وهو أحد الفقهاء السبعة الذين مدار الفتوى على قولهم[٣] .

سنة مئة من الهجرة النبوية

قال الإمام أحمد[٤] : حدّثنا علي بن حفص ، أبنا وَرْقاء ، عن منصور ، عن المِنْهال بن عمرو ، عن نُعَيْم بن دجاجة قال : دخل أبو[٥] مسعود على علي فقال : أنت القائل قال رسول الله ﷺ : « لا يأتي على الناس مئة عام وعلى الأرض نفس منفوسة ؟ » إنما قال رسول الله ﷺ : « لا يأتي على الناس مئة عام وعلى الأرض نفس منفوسة ممن هو حي [اليوم] ، وإن رخاء هذه الأمة بعد المئة » . تفرّد به أحمد .

---

(١) ترجمة ـ حنش بن عمرو ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٥٣٦) وتاريخ البخاري (٣/ ٩٩) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٥٣٠) وتاريخ علماء الأندلس (١/ ١٤٨) وجذوة المقتبس (٢٠١ ـ ٢٠٣) والمعجب في أخبار المغرب (٣٧) وتهذيب الكمال (٧/ ٤٢٩ ـ ٤٣١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٣٩) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٩٢) والوافي بالوفيات (١٣/ ٢٠٦) وتهذيب التهذيب (٣/ ٥٧) وشذرات الذهب (١/ ٤٠٤) مع وفيات سنة مئة .
وقال الذهبي في السير (٤/ ٤٩٣) : نزل إفريقية مرابطاً ، وتوفي سنة مئة .

(٢) ترجمة ـ خارجة بن زيد ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٢٦٢) وتاريخ خليفة (٣٢١) وطبقاته (٢٥١) وتاريخ البخاري (٣/ ٢٠٤) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٠٠ و٣٥٢) وحلية الأولياء (٢/ ١٨٩) وتاريخ دمشق (١٥/ ٣٨٩ ـ ٣٩٩) وتهذيب الكمال (٨/ ٨ ـ ١٣) وصفة الصفوة (٢/ ١٨٩) وتاريخ الإسلام (٦/ ٣٤٢ ـ ٣٤٤) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٣٧ ـ ٤٤١) والوافي بالوفيات (١٣/ ٢٤١) وتهذيب التهذيب (٣/ ٧٤ ـ ٧٥) والنجوم الزاهرة (١/ ٢٤٢) وشذرات الذهب (١/ ٤٠٤) وتهذيب تاريخ دمشق (٥/ ٢٧ـ٢٩) .

(٣) من أول ترجمة كريب بن مسلم . . إلى هنا ساقط من أ ، ب وثمة خلاف في سنة وفاة أصحاب التراجم .

(٤) مسند الإمام أحمد (١/ ٩٣) وهو حديث صحيح .

(٥) تحرفت في ط ، أ : إلى ابن . وأبو مسعود هو : عقبة بن عمرو الأنصاري .

وفي رواية لابنه عبد الله[١] أن علياً قال له : يا فروخ ، أنت القائل : لا يأتي على الناس مئة سنة وعلى الأرض عين تطرف ، وإنما رخاء هذه الأمة وفَرَجها بعد المئة ؟ إنما قال رسول الله ﷺ : « لا يأتي على الناس مئة سنة وعلى الأرض عين تطرف » ـ أخطأت استُك الحُفْرة ـ وإنما أراد ممن هو اليوم حي . تفرّد به .

وهكذا جاء في الصحيحين[٢] عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « أريتكمْ لَيْلَتكمْ هذه ، فإنَّ رأسَ مئة سنة منها لا يبقى ممَّن هو اليوم على ظهر الأرض أحد » . فوهل الناس في مقالة رسول الله ﷺ ، وإنما أراد رسول الله ﷺ انخرام قرنه[٣] .

ففيها خرجت خارجة من الحرورية بالعراق ، فبعث أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد نائب الكوفة ، يأمره بأن يدعوهم إلى الحق ، ويتلطف بهم ، ولا يقاتلهم حتى يفسدوا في الأرض ، فلما فعلوا ذلك بعث إليهم جيشاً فكسرتهم الحرورية ، فبعث عمر إليه يلومه على جيشه ، وأرسل عمر ابن عمه مسلمة بن عبد الملك من الجزيرة إلى حربهم ، فأظفره الله بهم ، وقد أرسل عمر إلى كبير الخوارج ـ وكان يقال له بسطام ـ يقول له : ما أخرجك عليّ ؟ فإن كنت خرجت غضباً لله فأنا أحق بذلك منك ، ولست أولى بذلك مني ، وهلمَّ أناظرك ، فإن رأيتُ حقاً اتبعته ، وإن أبديتَ حقاً نظرنا فيه . فبعث طائفة من أصحابه إليه فاختار منهم عمر رجلين فسألهما : ماذا تنقمون ؟ فقالا : جعلت يزيد بن عبد الملك من بعدك ، فقال : إني لم أجعله أبداً وإنما جعله غيري . قالا : فكيف ترضى به أميناً للأمة من بعدك ؟ فقال : أنظراني ثلاثة ، فيقال إن بني أمية دست إليه سماً فقتلوه خشية أن يخرج الأمر من أيديهم ويمنعهم الأموال ، والله أعلم[٤] .

وفيها أغزا عمر بن عبد العزيز الوليد بن هشام المُعَيطي ، وعمرو بن قيس الكِندي من أهل حمص ، الصائفة .

وفيها ولّى عمر بن عبد العزيز عمر بن هبيرة نيابة الجزيرة فسار إليها .

وفيها حُمِل يزيد بن المهلّب إلى عمر بن عبد العزيز من العراق ، فأرسله عدي بن أرطاة نائب البصرة مع موسى بن وجيه ، وكان عمر يبغض يزيد بن المهلّب وأهل بيته ، ويقول : هؤلاء جبابرة ولا أحب مثلهم ، فلما دخل على عمر طالبه بما قِبَله من الأموال التي كان قد كتب إلى سليمان أنها حاصلة عنده ، فقال : إنما كتبت ذلك لأرهب الأعداء بذلك ، ولم يكن بيني وبين سليمان شيء ، وقد عرفت مكانتي عنده . فقال له عمر : لا أسمع منك هذا ، ولست أطلقك حتى تؤدي أموال المسلمين ، وأمر بسجنه .

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ١٤٠) وهو حديث صحيح .

(٢) صحيح الإمام البخاري (٦٠١) في مواقيت الصلاة . وصحيح الإمام مسلم رقم (٢٥٣٧/٢١٧) في فضائل الصحابة .

(٣) من قوله : أن رسول الله ﷺ قال : . . . إلى هنا زيادة من ب . والانخرام : الانقطاع .

(٤) الخبر في تاريخ الطبري (٦/ ٥٥٥ ـ ٥٥٦) وابن الأثير (٥/ ٤٦ ـ ٤٧) ومروج الذهب (٣/ ٢٣٣) وما بعدها .

وكان عمر قد بعث على إمرة خراسان الجرَّاح بن عبد الله الحكمي عوضه ، وقدم ولد يزيد بن المهلّب ، مَخْلَد بن يزيد ، فقال : يا أمير المؤمنين إن الله عزَّ وجلَّ قد منّ على هذه الأمة بولايتك عليها ، فلا نكونن نحن أشقى الناس بك ، فعلام تحبس هذا الشيخ وأنا أقوم بما تصالحني عنه ؟ فقال عمر : لا أصالحك عنه إلا أن تقوم بجميع ما يطلب منه ، ولا آخذ منه إلا جميع ما عنده من مال المسلمين . فقال : يا أمير المؤمنين إن كانت لك بيِّنة عليه بما تقول ، وإلا فاقبل يمينه أو فصالحني عنه ، فقال : لا آخذ منه إلا جميع ما عنده . فخرج مخلد بن يزيد من عند عمر[(١)] ، فلم يلبث أن مات مخلد . وكان عمر يقول : هو خير من أبيه . ثم إن عمر أمر بأن يلبس يزيد بن المهلّب جبَّة صوف ويركب على بعير إلى جزيرة دَهْلَك[(٢)] التي كان يُنفى إليها الفُسّاق ، فشفعوا فيه[(٣)] فردّه إلى السجن ، فلم يزل به حتى مرض عمر بن عبد العزيز رحمه الله[(٤)] .

وفي هذه السنة في رمضان منها عزل عمر بن عبد العزيز الجرّاح بن عبد الله الحكمي عن إمرة خراسان ، بعد سنة وخمسة أشهر ، وإنما عزله لأنه كان يأخذ الجزية ممن أسلم من الكفار ويقول : أنتم إنما تسلمون فراراً منها[(٥)] . فامتنعوا من الإسلام وثبتوا على دينهم وأدّوا الجزية ، فكتب إليه عمر : إن الله إنما بعث محمداً ﷺ داعياً ، ولم يبعثه جابياً . وعزله وولى بدله عبد الرحمن بن نعيم القشيري[(٦)] على الحرب ، وعبد الرحمن بن عبد الله على الخراج[(٧)] . وفيها كتب عمر إلى عماله يأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر ، ويبين لهم الحق ويوضحه لهم ويعظمهم فيما بينه وبينهم ، ويخوفهم بأس الله وانتقامه ، كان فيما كتب إلى عبد الرحمن بن نعيم القشيري :

أما بعد فكن عبداً ناصحاً لله في عباده ، ولا تأخذك في الله لومة لائم ، فإن الله أولى بك من الناس ، وحقه عليك أعظم ، ولا تولّين شيئاً من أمور المسلمين إلا المعروف بالنصيحة لهم ، والتوقير عليهم .

---

(١) من قوله : فقال يا أمير المؤمنين . . . إلى هنا ساقط من أ .

(٢) دَهْلَك : ـ بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، ولام مفتوحة ، وآخره كاف ـ اسم أعجمي معرب ، ويقال له : دهيك أيضاً . وهي جزيرة في بحر اليمن ، وهو مرسىً بين بلاد اليمن والحبشة بلدة ضيقة حرجة حارة ، كان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها . معجم البلدان (٢/ ٤٩٢) .

(٣) في الطبري (٦/ ٥٥٧) : فدخل على عمر سلامة بن نعيم الخولاني ، فقال : يا أمير المؤمنين ، اردد يزيد إلى محبسه ، فإني أخاف إن أمضيته أن ينتزعه قومه ؛ فإني رأيت قومه غضبوا له . فرده إلى محبسه .

(٤) العبارة في ط وما بعدها : حتى مرض عمر مرضه الذي مات فيه ، فهرب من السجن وهو مريض ، وعلم أنه يموت في مرضه ذلك ، وبذلك كتب إليه كما سيأتي ، وأظنه كان عالماً أن عمر سُقي سماً .

(٥) في الطبري (٦/ ٥٥٩) وابن الأثير (٥/ ٥١) : انظر منْ صلّى قبلَك إلى القبلة ، فضع عنه الجزية ، فسارع الناس إلى الإسلام ، وقيل للجراح إن الناس سارعوا إلى الإسلام نفوراً من الجزية ، فامتحنهم بالختان . فكتب عمر : إن الله بعث محمداً داعياً ولم يبعثه خاتناً .

(٦) في الطبري : الغامدي ، وفي ابن الأثير : العامري .

(٧) في الطبري : وعلى جزيتها عبيد الله ـ أو عبد الله ـ بن حبيب .

وأدّى الأمانة فيما استُرعي ، وإياك أن يكون ميلك ميلاً إلى غير الحق ، فإن الله لا تخفى عليه خافية ، ولا تذهبن عن الله مذهباً ، فإنه لا ملجأ من الله إلا إليه . [وكتب مثل ذلك مواعظ كثيرة إلى العمال . وقال البخاري في « صحيحه »[1] : وكتب عمر إلى عدي بن عدي : إن للإيمان فرائِضَ وشرائعَ وحدوداً وسُنناً ، من استكملها استكمل الإيمان ، ومن لم يستكمِلْها لم يستكمل الإيمان ، فإن أعش فسأُبينها لكم حتى تعملوا بها ، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص][2] .

وفي هذه السنة كان بدء دعوة بني العباس :

وذلك أن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ـ وكان مقيماً بأرض الشراة[3] ـ بعث من جهته رجلاً يقال له ميسرة ، إلى العراق ، وأرسل طائفة أخرى : وهم محمد بن خُنَيس وأبو عكرمة السراج ، وهو أبو محمد[4] الصادق ، وحيان العطار ـ خال إبراهيم بن سلمة ـ إلى خراسان ، وعليها يومئذ الجرّاح بن عبد الله الحكمي قبل أن يُعزل في رمضان ، وأمرهم بالدعوة إليه وإلى أهل بيته ، فلقوا من لقوا ثم انصرفوا بكُتُب من استجاب منهم إلى ميسرة الذي بالعراق ، فبعث بها إلى محمد بن علي ففرح بها واستبشر وسرَّه أن ذلك أول مبادىء أمر قد كتب الله إتمامه ، وأول رأي قد أحكم الله إبرامه ، أن دولة بني أمية قد بان عليها مخايل الوهن والضعف ، ولاسيما بعد موت عمر بن عبد العزيز ، كما سيأتي بيانه .

وقد اختار أبو محمد الصادق لمحمد بن علي اثني عشر نقيباً ، وهم سليمان بن كثير الخزاعيّ ، ولاهز بن قريظ التميميّ ، وقحطبة بن شبيب الطائيّ ، وموسى بن كعب التميميّ ، وخالد بن إبراهيم أبو داود من بني عمرو بن شيبان بن ذُهل ، والقاسم بن مجاشع التميمي ، وعمران بن إسماعيل أبو النجم ـ مولى لآل أبي مُعيط ـ ومالك بن الهيثم الخزاعي ، وطلحة بن زريق الخزاعي ، وعمرو بن أعين أبو حمزة ـ مولى لخزاعة ـ ، وشِبْل بن طهمان أبو علي الهرويّ ـ مولىً لبني حنيفة ـ وعيسى بن أعين مولى لخزاعة أيضاً . واختار سبعين رجلاً أيضاً . وكتب إليهم محمد بن علي كتاباً يكون مثالاً وسيرة يقتدون بها ويسيرون بها[5] .

وقد حج بالناس في هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، نائب المدينة . والنواب على الأمصار هم المذكورون في التي قبلها ، سوى من ذكرنا ممن عزل وتولى غيره ، والله أعلم . ولم يحج

---

(١) صحيح البخاري (الفتح ١/ ٦٧) أول كتاب الإيمان . باب قول النبي ﷺ : « بني الإسلام على خمس » .

(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط .

(٣) قال ياقوت : السراة : صقع بالشام بين دمشق ومدينة رسول الله ﷺ ومن بعض نواحيه القرية المعروفة بالحميمة التي كان يسكنها ولد علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلّب في أيام بني مروان . معجم البلدان (٣/ ٣٣٢) .

(٤) في أ : أبو بكر ؛ وما أثبت يوافق المصادر .

(٥) الخبر في تاريخ الطبري (٦/ ٥٦٢) وابن الأثير (٥/ ٥٣ ـ ٥٤) .

عمر بن عبد العزيز في أيام خلافته لشغله بالأمور ، ولكنه كان يبرد البريد إلى المدينة فيقول له : سلِّم على رسول الله ﷺ عني ، وسيأتي بإسناده إن شاء الله .

ممن توفي فيها من الأعيان :

سالم بن أبي الجعد الأشجعي[١] ، مولاهم الكوفي . أخو زياد ، وعبد الله ، وعبيد الله ، وعمران ، ومسلم ، وهو تابعي جليل .

روى عن : ثوبان وجابر ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، والنعمان بن بشير وغيرهم .

وعنه : قتادة والأعمش وآخرون ، وكان ثقة نبيلاً جليلاً .

أبو أمامة أسعد بن سهل بن حنيف[٢] ، الأنصاري ، الأوسي ، المدني ، ولد في حياة النبي ﷺ ، ورآه .

وحدَّث عن : أبيه ، وعمر ، وعثمان ، وزيد بن ثابت ، ومعاوية ، وابن عباس .

وعنه : الزُّهري ، وأبو حازم ، وجماعة .

قال الزُّهري : كان من عليّة الأنصار وعلمائهم ، ومن أبناء الذين شهدوا بدراً .

وقال يوسف بن الماجشون ، عن عتبة بن مسلم ، قال : آخر خرجة خرجها عثمان بن عفان إلى الجمعة حَصَبَهُ الناس وحالوا بينه وبين الصلاة ، فصلّى بالناس يومئذ أبو أمامة بن سهل بن حنيف[٣] .

قالوا : توفي سنة مئة ، والله أعلم .

أبو الزَّاهرية[٤] **حُدَير بن كُرَيب الحمصيّ** ، تابعي جليل ، سمع أبا أمامة صدي بن عجلان ،

---

(١) ترجمة ـ سالم بن أبي الجعد ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ٢٩١) وتاريخ خليفة (٣٢٠) وطبقاته (١٥٦) وتاريخ البخاري (٤/ ١٠٧) والمعرفة والتاريخ (١/ ٤٩٠) ومواضع أخرى ، وتهذيب الكمال (١٠/ ١٣٠ ـ ١٣١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٦١ ـ ٣٦٢) وسير أعلام النبلاء (٥/ ١٠٨ ـ ١١٠) والوافي بالوفيات (١٥/ ٩٥) وتهذيب التهذيب (٣/ ٤٣٢) .

(٢) ترجمة ـ أبي أمامة ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٧٢) وتاريخ خليفة (٥٦) وطبقاته (١٠٦ و٢٥٠) وتاريخ البخاري (٢/ ٦٣) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٧٥) والاستيعاب (١/ ٨٤ ـ ٨٥) وتاريخ دمشق (٨/ ٣٢٥ ـ ٣٣٦) وأسد الغابة (٣/ ٤٧٠) وتهذيب الكمال (٢/ ٥٢٥ ـ ٥٢٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٥١٠ ـ ٥١١) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٥١٧ ـ ٥١٩) والوافي بالوفيات (٩/ ٢٧ ـ ٢٨) والإصابة (٤/ ٩) وتهذيب التهذيب (١/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤) وشذرات الذهب (١/ ٤٠٣) .

(٣) الخبر في طبقات ابن سعد (٥/ ٨٢) وابن الأثير (٥/ ٥٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٥١١) .

(٤) ترجمة ـ أبي الزاهرية ـ في طبقات خليفة (٣١١) وتاريخ البخاري (٣/ ٩٨) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٤٤٨) وتاريخ دمشق (١٢/ ٢٤٣ ـ ٢٥٠) وحلية الأولياء (٦/ ١٠٠ ـ ١٠١) وتهذيب الكمال (٥/ ٤٩١ ـ ٤٩٢) وتاريخ الإسلام =

وعبد الله بن بُسر ، ويقال إنه أدرك أبا الدرداء والصحيح أن روايته عنه وعن حذيفة مرسلة ، وقد حدَّث عنه جماعة من أهل بلده .

وقد وثقه ابن معين وغيره .

ومن أغرب ما روي عنه قول قتيبة : حدّثنا شهاب بن خِراش ، عن حُميد ، عن أبي الزاهرية قال : أغفيت في صخرة بيت المقدس فجاءت السَّدنةُ فأغلقوا عليَّ الباب ، فما انتبهت إلَّا بتسبيح الملائكة فوثبت مذعوراً فإذا الملائكة صفوف ؛ فدخلت معهم في الصف[١] .

قال أبو عبيدة وغيره : مات سنة مئة .

أبو الطفيل[٢] عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو اللَّيْثي الكِناني ، صحابي ، وهو آخر من رأى النبي ﷺ وفاةً بالإجماع .

روى عن النبي ﷺ أنه رآه يستلم الركن بمحجنه[٣] ، وذكر صفة النبي ﷺ .

وروى عن : أبي بكر ، وعمر ، وعلي ، ومعاذ ، وابن مسعود .

وحدّث عنه : الزُّهري ، وقتادة ، وعمرو بن دينار ، وأبو الزُّبير ، وجماعة من التابعين .

وكان من أنصار علي بن أبي طالب ، شهد معه حروبه كلّها ، لكن نقم بعضهم عليه كونه كان مع المختار بن أبي عبيد ، ويقال إنه كان حامل رايته .

وقد روي أنه دخل على معاوية فقال : ما أبقى لك الدَّهْرُ من ثكلك علياً ؟ فقال : ثكل العجوز المقلاة والشيخ الرقوب ، فقال : كيف حبك له ؟ قال حب أم موسى لموسى ، وإلى الله أشكو التقصير[٤] .

= (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٥١٧ ـ ٥١٨) وسير أعلام النبلاء (٥/ ١٩٣) وتهذيب التهذيب (٢/ ٢١٨ ـ ٢١٩) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٩٣ ـ ٩٥) .

(١) الخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٥١٨) وسير أعلام النبلاء (٥/ ١٩٣) .

(٢) ترجمة ـ أبي الطفيل ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٤٥٧) وتاريخ خليفة (٢٦٢) وطبقاته (٣٠ و١٢٧) وتاريخ البخاري (٦/ ٤٤٦ ـ ٤٤٧) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢٣٣ و٢٣٤) ومواضع أخرى ، والاستيعاب (٣/ ١٤ ـ ١٥) وتاريخ دمشق (٢٦/ ١١٣ ـ ١٣٤) وأسد الغابة (٣/ ٩٦) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٥٢٦ ـ ٥٢٨) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٦٧ ـ ٤٧٠) والوافي بالوفيات (١٦/ ٥٨٤ ـ ٥٨٥) والإصابة (٤/ ١١٣) وتهذيب التهذيب (٥/ ٨٢ ـ ٨٤) والنجوم الزاهرة (١/ ٢٤٣) وشذرات الذهب (١/ ٤٠٣) .

(٣) الخبر أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٤٥٤) ومسلم في صحيحه (١٢٧٥) في الحج ، وأبو داود في سننه (١٨٧٩) في المناسك ، وابن ماجه في سننه (٢٩٤٩) .

(٤) الخبر في تاريخ دمشق (٢٦/ ١١٦) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٥٢٧) .

قيل: إنه أدرك من حياة النبي ﷺ ثمان سنين، ومات سنة مئة وقيل سنة سبع ومئة وقيل: سنة عشر ومئة[١] فالله أعلم.

قال مسلم بن الحجاج: وهو آخر من مات من الصحابة مطلقاً ومات سنة مئة[٢].

أبو عثمان النهدي[٣]، واسمه: عبد الرحمن بن مُلٍّ البصري، أدرك الجاهلية وحَجَّ في زمن الجاهلية مرتين، وأسلم في حياة النبي ﷺ ولم يره، وأدى في زمانه الزكاة ثلاث سنين إلى عمال النبي ﷺ، ومثل هذا يسميه أئمة الحديث مخضرماً، وهاجر إلى المدينة في زمان عمر بن الخطاب، فسمع منه، ومن علي، وابن مسعود، وخلق من الصحابة، وصحب سلمان الفارسي ثنتي عشرة سنة حتى دفنه.

وروى عنه: جماعة من التابعين وغيرهم، منهم أيوب، وحميد الطويل، وسليمان بن طرخان التَّيمي.

وقال عاصم الأحول: سمعته يقول: أدركت في الجاهلية يغوثَ صنماً من رصاص يُحمل على جمل أجرد، فإذا بلغ وادياً برك فيه فيقولون: قد رضي ربكم لكم هذا الوادي فينزلون فيه[٤].

قال: وسمعته وقد قيل له أدركت النبي ﷺ؟ فقال: نعم! أسلمت على عهده، وأديت إليه الزكاة ثلاث مرات، ولم ألقه، وشهدت اليرموك والقادسية وجلولاء ونهاوند وتستر وأذربيجان ورستم.

وقال غيره: كان البشير إلى عمر في فتح نهاوند[٥].

كان أبو عثمان صوّاماً بالنهار يسرده، قواماً باللّيل لا يتركه، وكان يصلّي حتى يغشى عليه، وحجَّ ستين مرة ما بين حجة وعمرة.

قال سليمان التيمي: إني لأحسبه لا يصيب ذنباً، لأنه [يقضي] ليله قائماً ونهاره صائماً[٦].

---

(١) أورد الذهبي الخلاف في سنة موته في تاريخ الإسلام.

(٢) الكنى والأسماء لمسلم (١/ ٤٠).

(٣) ترجمة ـ أبي عثمان النهدي ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٩٧ ـ ٩٨) وتاريخ خليفة (٣٢١) وطبقاته (٢٠٥) وتاريخ البخاري (٩/ ٨٣) والاستيعاب (٢/ ٤٢٧ ـ ٤٢٩) وتاريخ بغداد (١٠/ ٢٠٢) وتاريخ دمشق (٣٥/ ٤٦٠ ـ ٤٨٥) وأسد الغابة (٣/ ٣٢٤) وتهذيب الكمال (١٧/ ٤٢٤ ـ ٤٣٠) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص٥٣٥ ـ ٥٣٦) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٧٥ ـ ١٧٨) والإصابة (٣/ ٩٨ ـ ٩٩) وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٧٧ـ٢٧٨) وشذرات الذهب (١/ ٤٠٤).

(٤) تاريخ دمشق (٣٥/ ٤٧٢).

(٥) من قوله: وتستر.. إلى هنا ساقط من ط، والخبر في تاريخ بغداد (١٠/ ٢٠٤) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٧٧) ونحوه في تاريخ دمشق (٣٥ ـ ٤٧٠ و٤٧٤ و٤٧٦).

(٦) تاريخ دمشق (٣٥/ ٤٧٧).

وقال بعضهم : سمعت أبا عثمان النَّهدي يقول : أتت عليّ ثلاثون ومئة سنة وما مني شيء إلا وقد أنكرته خلا أملي فإني أجده كما هو[(١)] .

وقال ثابت البُناني ، عن أبي عثمان ، قال : إني لأعلم حين يذكرني ربي عزَّ وجلَّ ، قال فيقول : من أين تعلم ذلك ؟ فيقول قال الله تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة : ١٥٢] فإذا ذكرت الله ذكرني[(٢)] .

قال : وكنا إذا دعونا الله قال : والله لقد استجاب الله لنا ، قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [المؤمن : ٦٠] .

قالوا : وعاش مئة وثلاثين سنة ، قاله هشيم وغيره . قال المدائني وغيره : توفي سنة مئة ، وقال الفلاّس : توفي سنة خمس وتسعين ، والصحيح سنة مئة ، والله أعلم .

[وفيها توفي :

عبد الملك بن عمر[(٣)] بن عبد العزيز ، وكان يفضل على والده في العبادة والانقطاع عن الناس ، وله كلمات حسان مع أبيه ووعظه إياه][(٤)] .

•••

---

(١) المصدر نفسه (٣٥/ ٤٧٥) .

(٢) الخبر والذي بعده في تاريخ دمشق (٣٥/ ٤٧٩) .

(٣) ترجمة ـ عبد الملك بن عمر ـ في المعرفة والتاريخ (١/ ٥٧٣ ـ ٥٧٤) وصفة الصفوة (٢/ ١٢٧ ـ ١٣٠) وحلية الأولياء (٥/ ٣٥٣ ـ ٣٦٤) والكامل في التاريخ (٥/ ٦٤ ـ ٦٥) وتاريخ دمشق (٣٧/ ٣٨ ـ ٥٣) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤١٨ ـ ٤٢٠) والأخبار الموفقيات (٦٢٣) .

(٤) ما بين معقوفين زيادة من ط . وانظر تاريخ دمشق (٣٧/ ٥٠ ـ ٥١) . وبعون الله وتوفيقه تم تحقيق الجزء التاسع من كتاب البداية والنهاية ، وذلك بتاريخ السابع عشر من ربيع الأنور عام ١٤٢١ لهجرة سيد الخلق ﷺ ، الموافق للتاسع عشر من حزيران عام ٢٠٠٠ لميلاد المسيح عليه السلام . المكتبة العامة ـ كلباء ـ الشارقة

محمد حسان عبيد

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

* * *



البداية والنهاية

١٠١ هـ - ٢٠٠ هـ



الطبعة الأولى

1428 هـ ـ 2007 م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع
والتصوير و النقل و الترجمة و التسجيل المرئي و المسموع
و الحاسوبي و غيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من

دار ابن كثير

للطباعة و النشر و التوزيع
دمشق ـ بيروت

الرقم الدولي :
الموضوع : تاريخ
العنوان : البداية و النهاية 20/1
التأليف : الإمام الحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير
نوع الورق : شاموا
ألوان الطباعة : لونان
عدد الصفحات : 10128
القياس : 17×24
نوع التجليد : فني - كعب لوحة
الوزن : 16 كغ

التنفيذ الطباعي : مطبعة ايبكس
التجليد : مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد



دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا ـ بناء الجابي
ص.ب : 311 ـ هاتف : 2225877 ـ 2228450 ـ فاكس : 2243502
بيروت ـ برج أبي حيدر ـ خلف دبوس الأصلي ـ بناء الحديقة
ص.ب : 113/6318 ـ تلفاكس : 01/817857 - جوال : 03/204459
www.ibn-katheer.com - info@ibn-katheer.com



البداية والنهاية

١٠١هـ - ٢٠٠هـ

تأليف

الإمام الحافظ المؤرخ أبي الفداء إسماعيل بن كثير

٧٠١ - ٧٧٤هـ

حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه

مأمون محمد سعيد الصاغرجي

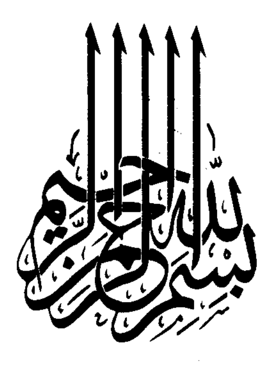
راجعه

الشيخ عبد القادر الأرناؤوط — الدكتور بشار عواد معروف

الجزء العاشر

دار ابن كثير

دمشق - بيروت



تنبيه : الرموز المستخدمة : ح = الأحمدية . ب = برلين . ظ = الظاهرية .
ق = طبعة القاهرة .

ثم دخلت سنة إحدى ومئة

فيها كان هربُ يزيدَ بنِ المُهَلَّب من السجن حين بَلَغهُ مرضُ عمرَ بن عبد العزيز ، فواعد غلمانَهُ يَلْقَوْنه بالخيل في بعض الأماكن ، وقيل بإبلٍ[١] ، ثم نزل من مَحْبِسه ومعه جماعة ، وامرأتُه عاتكةُ بنت الفُرَاتِ العامريَّة ، فلما جاء غِلْمانُهُ رَكِبَ رَوَاحلَهُ وسار ، وكتب إلى عمرَ بنِ عبد العزيز : إنِّي والله ما خرجتُ من سجنك إلَّا حين بَلَغني مرضُكَ ، ولو رَجوتُ حياتَكَ ما خرَجْتُ ، ولكنِّي خَشيتُ من يزيدَ بن عبد الملك فإنَّه يتوعَّدُني بالقَتْل ، وكان يزيد بن عبد الملك يقول : لئن وَلِيْتُ لأقطعنَّ من يزيدَ بنِ المهلَّبِ طائفاً[٢] ؛ وذلك أنه لما وَلِيَ العراقَ عاقبَ أصهارَهُ آل أبي عقيل ، وهم بيتُ الحجَّاج بن يوسف الثَّقفيِّ ، وكان يزيدُ بن عبد الملك مزوجاً [بأمِّ الحجَّاج][٣] بنتِ محمد بن يوسف [أخي الحجاج بن يوسف][٣] ، وله منها ابنهُ الوليد بن يزيد الفاسق المقتول كما سيأتي .

ولما بلغَ عمرَ بنَ عبد العزيز أنَّ يزيدَ بن المهلَّب هرَبَ من السجن قال : اللهمَّ إنْ كان يُريدُ بهذه الأمَّةِ سوءاً فاكفِهمْ شرَّه ، وارْدُدْ كَيْدَه في نحرِه ، ثم لم يزلِ المرضُ يتزايدُ بعمرَ بنِ عبد العزيز حتى مات وهو بخُنَاصِرَة ، من دَيْرِ سمعان بين حماة وحَلَب ، في يوم الجمعة ، وقيل في يوم الأربعاء لخمس بقينَ من رجب من هذه السنة ـ أعني سنةَ إحدى ومئة ـ عن تسعٍ وثلاثين سنة وأشهر ، وقيل إنه جاوز الأربعين بأشهر فالله أعلم .

وكانت خلافتُه فيما ذَكَر غيرُ واحدٍ سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام ، وكان حكماً مُقْسطاً ، وإماماً عادلاً وورِعاً ديِّناً ، لا تأخذُه في الله لومةُ لائم . رحمه الله تعالى .

---

(١) في (ح ، ب) : « يلقونه إلى بعض الأماكن بإبلٍ له » وليس فيهما ذكر الخيل .

(٢) في (ق) : « طائفة » ، والمثبت من (ح ، ب) ، وقوله : لأقطعن منه طائفاً . أي بعض أطرافه . والطائفة : القطعة من الشيء . اللسان (طوف) .

(٣) ما بين حاصرتين زيادة من (ح ، ب) ؛ وهذه الزيادة مثال على زيادات كثيرة سوف تأتي ولا أشير إليها تخففاً من الحواشي التي لا طائل وراءها فكل زيادة على (ق) هي من (ح ، ب ، ظ) ولا أثبت من هذه الزيادات إلا ما أراه ضرورياً للنص ، وبالمقابل فإن في (ق) زيادات ليست مثبتة في (ح ، ب ، ظ) فأبقيتها على ما هي عليه .

وهذه ترجمةُ عمر بن عبد العزيز الإمام المشهور رحمه الله[١]

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بنِ أمية بنِ عبد شمس بنِ عبدِ مَنَاف ، أبو حفص القُرَشيُّ الأمويُّ المعروف ، أميرُ المؤمنين ، وأمه أمُّ عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما . ويقال له : أَشَجُّ بني مروان ؛ وكان يُقال : الأشجُّ والناقص أعْدَلا بني مروان ، فهذا هو الأشج ، وسيأتي ذكر الناقص .

كان عمر تابعيّاً جليلاً ، روى عن أنس بنِ مالك ، والسائب بنِ يزيد ، ويوسف بن عبد الله بن سلام ـ وهو صحابيٌّ صغير ـ وروى عن خلقٍ من التابعين . وعنه جماعةٌ من التابعين وغيرِهم .

قال الإمام أحمد بن حنبل : لا أرى[٢] قولَ أحدٍ من التابعين حُجَّةً إلا قولَ عمر بن عبد العزيز .

بويع له بالخلافة بعد ابنِ عمِّهِ سليمان بن عبد الملك ، عن عهْدٍ منه له في ذلك كما تقدَّم .

ويقال : كان مولده في سنةِ إحدى وستين ، وهي السنة التي قتل فيها الحُسين بن علي رضي الله عنهما بمصر ؛ قاله غير واحد . وقال محمد بن سعد[٣] : ولد سنة ثلاثٍ وستين . وقيل : ولد سنة تسع وخمسين . فالله أعلم .

وكان له جماعةٌ من الإخوة ، ولكنَّ الذين هم من أبويه ، أبو بكر ، وعاصم ، ومحمَّد .

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة ، عن يحيى بن معين ، عن يحيى بن بُكير ، عن الليث ، قال : بلَغَني أنَّ عِمْران[٤] بن عبد الرحمن بن شُرَحْبيل بن حسنة ، كان يحدِّثُ أنَّ رجلاً رأى في المنام ليلةَ ولد عمر بن عبد العزيز ـ أو ليلة وَلِيَ الخلافة شكَّ أبو بكر ـ أنَّ منادياً بين السماء والأرض ينادي : أتاكم اللِّينُ

(١) ترجمة عمر بن عبد العزيز في : سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم (ط أحمد عبيد) ، تاريخ يحيى بن معين (٢/ ٤٣٢) ، تاريخ خليفة (١/ ٢٨٦) ، (٢/ ٢٦١) ، التاريخ الكبير (٦/ ١٧٤) ، المعرفة والتاريخ (١/ ٥٦٨ ، ٦٢٠) ، تاريخ الطبري (٦/ ٥٦٥ ، ٥٧٣) ، الجرح والتعديل (٦/ ١٢٢) ، الأغاني (٩/ ٢٥٤) ، حلية الأولياء (٥/ ٢٥٣) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٠٠) ، طبقات الشيرازي (٦٤) ، الكامل في التاريخ لابن الأثير (٥/ ٥٨ ، ٦٦) مختصر ابن منظور (١٩/ ٩٨) ، تهذيب الكمال (٢١/ ٤٣٢) ، تاريخ الإسلام (٤/ ١٦٤) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ١١٤) ، تذكرة الحفاظ (١/ ١١٨) ، الوافي بالوفيات (٢٢/ ٥٠٦) ، العقد الثمين (٦/ ٣٣١) ، غاية النهاية (١/ ٥٩٣) ، تهذيب التهذيب (٧/ ٤٧٥) ، تاريخ الخلفاء (٢٢٨) .

(٢) في بعض النسخ : لا أدري .

(٣) في الطبقات (٥/ ٣٣٠) .

(٤) هنا يبدأ خرم في (ب) وينتهي في ص(١٠) موضع الحاشية (١) وهو بمقدار صفحة من هذه النسخة ورقمها (١١٦/ب) .

والدِّين ، وإظهارُ العمل الصالح في المصلِّين . فقلت : ومَنْ هو ؟ فنزل فكتب في الأرض ع م ر[١] .

وقال آدمُ بن أبي إياس : حدثنا ضَمْرة ، حدثنا أبو علي ثَرْوان مولى عمر بن عبد العزيز . قال : دخل عمر بن عبد العزيز إلى إصْطَبْلِ أبيه وهو غلام ، فضربه فَرسٌ فشَجَّه ، فجعلَ أبوهُ يمسحُ الدَّمَ عنه ويقول : إنْ كنتَ أشجَّ بني أميَّة إنَّكَ إذاً لسعيد . رواه الحافظ ابنُ عساكر من طريقِ هارونَ بنِ معروف عن ضَمْرَة[٢] .

وقال نُعيم بن حمَّاد : حدثنا ضِمَامُ بن إسماعيل عن أبي قَبيل ، أنَّ عمر بن عبد العزيز بكى وهو غلامٌ صغير ، فبلغ أمَّه ، فأرسلتْ إليه فقالت : ما يُبكيك ؟ قال : ذكرتُ الموت ، فبكَتْ أُمُّه . وكان قد جمع القرآن وهو غلام صغير[٢] .

وقال الضحَّاك بن عثمان الحِزَامي[٣] . كان أبوه قد جعلَه عند صالح بن كَيْسان يؤدِّبُه ، فلما حجَّ أبوه اجتازَ به في المدينة فسأله عنه فقال : ما خَبَرْتُ أحداً الله أعظمُ في صدرِه من هذا الغلام[٤] .

وروى يعقوبُ بن سفيان[٥] ، أنَّ عمرَ بن عبد العزيز تأخَّر عن الصلاة مع الجماعةِ يوماً ، فقال له صالحُ بن كَيْسان : ما شغلَكَ ؟ فقال : كانت مُرَجِّلتي تُسكِّنُ شعري . فقال له : أقدَّمت ذلك على الصلاة ؟ وكتب إلى أبيه وهو على مصر يُعلِمهُ بذلك ، فبعث أبوه رسولاً ، فلم يكلِّمْه حتى حلَقَ رأسه .

وكان عمر بنُ عبد العزيز يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله يسمعُ منه ، فبلغ عُبيدَ الله أنَّ عمرَ ينتقصُ علياً ، وأتاه مَرَّةً فأعرض عنه وقام يُصلِّي ، فجلس عمرُ ينتظرُه ، فلما سلَّم أقبل على عمر مُغضباً وقال له : متى بلغَكَ أنَّ الله سخطَ على أهلِ بَدْر بعدَ أنْ رضي عنهم ؟! قال ففهِمَها عمر وقال : معذرةً إلى الله ثم إليك ، والله لا أعود . قال : فما سمع بعد ذلك يذكرُ علياً إلا بخير[٦] .

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : حدثنا أبي ، حدثنا المفضَّل بن عبد الله ، عن داودَ بنِ أبي هند . قال : دَخَلَ علينا عمرُ بن عبد العزيز من هذا الباب ـ يعني باباً من أبواب مسجد النبيِّ ﷺ[٧] ـ فقال رجل من

---

(١) تاريخ ابن عساكر (٥٤/١٠٦ ، ١٠٧) .
(٢) تاريخ ابن عساكر (٥٤/١٠٧) .
(٣) في (ق) : « الخزامي » تصحيف ، والمثبت من (ح) والمشتبه وتبصير المنتبه .
(٤) تاريخ ابن عساكر (٥٤/١٠٧) .
(٥) في المعرفة والتاريخ (١/٥٦٨) . وفيه على خلاف في بعض الألفاظ .
(٦) تاريخ ابن عساكر (٥٤/١٠٨) بنحوه .
(٧) في (ق) : « وأشار إلى باب من أبواب مسجد النبي ﷺ » وما أثبته من (ح) وتاريخ ابن عساكر . وهكذا قد أغير في متن (ق) بآخر من (ح ، ب ، ظ) عندما يوافق المصدر الذي سبق المؤلف ونقل عنه دونما إشارة إلى ذلك فهو كثير تخففاً من الحواشي .

القوم : بعث إلينا الفاسقُ بابنه هذا يتعلَّم الفرائضَ والسنن ، ويزعمُ أنه لن يموت حتى يكونَ خليفة ، ويَسير بسيرةِ عمرَ بنِ الخطَّاب ! قال داود : واللهِ ما ماتَ حتى رأينا ذلك فيه[١] .

وقال الزُّبير بن بكَّار : حدثني العُتْبيُّ قال : إنَّ أولَ ما استُبينَ من رُشْدِ عمرَ بنِ عبد العزيز حِرْصُه على العِلْم ، ورغبتُهُ في الأدب ، أنَّ أباه وَلي مصر وهو حديثُ السِّنّ ، يشكُّ في بلوغه ، فأراد أبوهُ إخراجَهُ مَعهُ إلى مصر من الشام ، فقال : يا أبَهْ ـ أو غيرَ ذلك ـ لعلَّه يكونُ أنفعَ لي ولك ؟ قال : وما هو ؟ قال : ترحِّلُني إلى المدينة ، فأقعد إلى فقهائها ، وأتأدَّبَ بآدابهم ، فعند ذلك أرسله أبوه إلى المدينة ، وأرسلَ معه الخُدَّام ، فقعد مع مشايخِ قريش ، وتجنَّب شبابَهُم ، وما زال ذلك دأبه حتى اشتهر ذِكْرُه ، فلمَّا مات أبوه أخذه عمه أمير المؤمنين عبدُ الملك بن مروان فخلَطَهُ بولدِه ، وقدَّمه على كثيرٍ منهم ، وزوَّجَهُ بابنته فاطمة ، وهي التي يقولُ الشاعرُ فيها :

بنتُ الخليفةِ والخليفةُ جدُّها أُخْتُ الخلائفِ والخليفةُ زوجُها

قال : ولا نعرف امرأة بهذه الصفة إلى يومنا هذا سواها .

قال العُتْبيّ : ولم يكن حاسدُ عمرَ بنِ عبد العزيز ينقمُ عليه شيئاً سوى متابعته في النعمة ، والاختيالِ في المشية ، وقد قال الأحنفُ بن قيس : الكامل من عُدَّتْ هفَوَاتُه ، ولا تُعدُّ إلَّا من قلَّة . وقد ورث عمر من أبيه من الأموالِ والمتاع والدوابّ هو وإخوتُه ما لم يرثْهُ غيرُه فيما نعلم ، كما تقدَّم ذلك ، ودخل يوماً على عمِّه عبد الملك وهو يتجانَفُ في مشيته فقال له : يا عمر ما لك تمشي غيرَ مشيتك ؟! قال : إن فيَّ جُرْحاً ، فقال : وأينَ هو من جسدك ؟ قال : بين الرَّانِفَةِ[٢] والصَّفَنِ ـ يعني بين طرَفِ الأَلْيَةِ وجِلْدَةِ الخُصْيَة ـ فقال عبدُ الملك لِرَوْح بنِ زِنْبَاع : تا لله لو رجلٌ من قومك سُئل عن هذا ما أجابَ بمثل هذا الجواب[٣] .

قالوا : ولما ماتَ عمُّه عبدُ الملك حَزِنَ عليه ولبِسَ المُسوحَ تحت ثيابِه سبعينَ يوماً ، ولما وليَ الوليدُ عامَلَهُ بما كان أبوهُ يعامله به ، وولاه المدينة ومكة والطائف من سنة ست وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين ، وأقام للناس الحجَّ سنةَ تسعٍ وثمانين ، وسنة تسعين ، وحجَّ الوليدُ بالناس سنة إحدى وتسعين ، ثم حج بالناس عمرُ سنة ثنتين وثلاثٍ وتسعين[٤] .

وبنى في مُدَّة ولايته هذه مسجدَ النبيِّ ﷺ . . ووسَّعه عن أمرِ الوليدِ له بذلك ، فأدخل فيه الحُجْرة

---

(١) تاريخ ابن عساكر (٥٤/١٠٩) .
(٢) في (ق) : « الرانقة » بالقاف ، وهو تصحيف .
(٣) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/١٠٩) .
(٤) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/١١٠) .

النبويَّة ، وقد كان في هذه المدَّة من أحسن الناسِ معاشرةً ، وأعدَلِهم سيرةً ، كان إذا وقَعَ له أمرٌ مُشكلٌ جمَعَ فقهاءَ المدينة عليه ، وقد عيَّنَ عشرةً منهم ، وكان لا يقطعُ أمراً بدونهم ، أو منْ حضر منهم ، وهم : عروة ، وعُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وأبو بكر بن سليمان بن [أبي] حَثْمَة[1] ، وسُليمان بن يسار ، والقاسم بن محمد ، وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم ، وسالم بن عبد الله ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة ، وخارجة بن زيد بن ثابت . وكان لا يخرجُ عن قولِ سعيدِ بن المُسَيَّب ، وقد كان سعيد بن المسيِّب لا يأتي أحداً من الخلفاء ، وكان يأتي إلى عمرَ بنِ عبد العزيز وهو بالمدينة .

قال ابن وَهْب : عن عبد الجبار الأيلي ، عن إبراهيم بن أبي عبْلَة : قدمتُ المدينة وبها ابنُ المُسَيَّب وغيره ، وقد بَذَّهم[2] عمر يومئذٍ رَأْياً[3] .

وقال ابنُ وَهْب : حدّثني اللَّيث ، حدّثني قادِمٌ البَرْبَرِيّ أنه ذاكرَ ربيعةَ بن أبي عبدِ الرحمن يوماً شيئاً من قضاءِ[4] عمرَ بنِ عبد العزيز إذْ كانَ بالمدينة ، فقال له الربيع : كأنك تقول : أخطأ ، والذي نفسي بيده ما أخطأ قط .

وثبَتَ من غيرِ وَجْهٍ عن أنسِ بنِ مالك . قال : ما صلَّيتُ وراءَ إمامٍ قط أشبهَ بصلاةِ رسولِ الله ﷺ من هذا الفتى ـ يعني عمرَ بن عبد العزيز ـ حين كانَ على المدينة . قالوا : وكان يُتمُّ الركوعَ والسجود ويخفِّفُ القيام والقعودَ[5] .

وفي روايةٍ صحيحة : أنه كان يُسبِّح في الركوع والسُّجود عشراً عشراً .

وقال ابنُ وَهْب : حدّثني الليث ، عن أبي النَّضْر المَدِيني ، قال : رأيتُ سليمانَ بنَ يسار خارجاً من عندِ عمرَ بنِ عبد العزيز فقلت له : مِن عند عمر خرجتَ ؟ قال : نعم ! قلت : تعلِّمونه ، قال : نعم ، فقلت : هو والله أعلمكم[6] .

---

(١) في (ق) : « خيثمة » ، وفي (ح) : « حزم » وكلاهما تصحيف ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر وترجمته في تهذيب الكمال (٣٣/ ٩٣) والإكمال .

(٢) في (م) ندبهم .

(٣) في أول الخبر سقط وفي آخره تصحيف وتحريف في (ق) والاستدراك والتصحيح من (ح) ويعضدها ما جاء في تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١١٢) .

(٤) في (ق) : « قضايا » ، والمثبت من (ح) وتاريخ ابن عساكر . ومثل هذا التصحيف كثير في هذا الجزء وسوف أصححه من غير ما إشارة إليه فيما سيأتي تخففاً من الحواشي .

(٥) تاريخ ابن عساكر ٥٤/ ١١٤ .

(٦) تاريخ ابن عساكر ٥٤/ ١١٧ .

وقال مجاهد : أتينا عمرَ نعلِّمه ، فما برِحْنا حتى تعلَّمنا[١] منه . وقال ميمونُ بن مِهْرَان : كانت العلماءُ عند عمرَ بنِ عبدِ العزيز تلامذةً[٢] .

وفي روايةٍ : قال ميمون : كان عمرُ بن عبد العزيز معلِّمَ العلماء[٣] .

وقال اللَّيث : حدّثني رجلٌ كان قد صحب ابنَ عمرَ وابنَ عباس ، وكان عمر بن عبد العزيز يستعملُه على الجزيرة ، قال : ما التمَسْنا علمَ شيءٍ إلَّا وجَدْنا عمرَ بن عبدِ العزيز أعلمَ الناس بأصله وفرعه ، وما كان العلماء عند عمر بن عبد العزيز إلا تلامذة .

وقال عبد الله بن طاوس : رأيتُ أبي تواقَفَ هو وعمر بنُ عبد العزيز من بعد صلاةِ العشاء حتى أصبحنا ، فلما افترَقَا قلت : يا أبه من هذا الرجل ؟ قال هذا عمر بن عبد العزيز ، وهو من صالحي هذا البيت ـ يعني بني أمية[٤] ـ .

وقال عبدُ اللهِ بن كثير : قلت[٥] لعمرَ بنِ عبد العزيز : ما كان بَدْءُ إنابتك ؟ قال : أردتُ ضربَ غلامٍ لي فقال لي : اذكُرْ ليلةً صَبيحتُها يومُ القيامة[٣] .

وقال الإمام مالك : لما عُزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة ـ يعني في سنةِ ثلاثٍ وتسعين ـ وخرج منها التفَتَ إليها وبكى . وقال لمولاه : يا مُزَاحِم ، نخشى أن نكونَ ممن نفَتِ المدينة[٦] ـ [يعني أن المدينة تنفي خُبْثَها كما يَنْفي الكِيرُ خَبَثَ الحديد ـ وينصع طِيبُها] .

قلتُ : خرجَ من المدينة فنزل بمكانٍ قريب منها يقال له السويداء حيناً[٧] . ثم قدم دمشق على بني عمِّه .

قال محمد بن إسحاق عن إسماعيل بن أبي حكيم . قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول : خرجتُ من المدينة وما من رجلٍ أعلم مني ، فلمَّا قدمتُ الشام نُسِّيت[٣] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا عفَّان ، حدّثنا حماد بن زيد ، عن معمر ، عن الزُّهْرِيّ قال : سهرتُ مع

---

(١) هنا ينتهي الخرم المشار إليه في ص(٦) موضع الحاشية (٤) .
(٢) تاريخ ابن عساكر ١١٧/٥٤ .
(٣) تاريخ ابن عساكر (١١٨/٥٤) .
(٤) تاريخ ابن عساكر (١٢٠/٥٤) .
(٥) في تاريخ ابن عساكر : « قيل » بدل « قلت » .
(٦) إلى هنا الخبر في تاريخ ابن عساكر (١٢٠/٥٤) بنحوه ، وما يأتي بين معقوفين ليس في (ح ، ب) ولا تاريخ ابن عساكر . وهو مثبت من (ق) وحسب .
(٧) السويداء أرض كان يملكها عمر بن عبد العزيز ، واستنبط فيها من عطائه عين ماءٍ ، وله فيها قصر مبني وهي على ليلتين من المدينة [معجم البلدان] . ولما تنازل لبيت المال عن جميع ما ورثه عن آبائه أبقى (السويداء) و (خيبر) لأنه اطمأنّ إلى أنهما حلال خالص ليس فيه أية شبهة . وكان وهو خليفة يأكل من غلّتها وينفق ما يزيد عن الضرورة . انظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص(٦١ ، ٦٢) وتاريخ ابن عساكر (١٤٦/٥٤) .

عمرَ بنِ عبد العزيز ذاتَ ليلة فحدَّثته ، فقال : كلُّ ما حدثتَ فقد سمعتُه ، ولكنْ حفظتَ ونُسِّيتُ[١] .

وقال ابن وَهْب ، عن اللَّيث ، عن عقيل ، عن الزُّهري قال : قال عمر بنُ عبد العزيز : بعث إليَّ الوليد ذاتَ ساعةٍ من الظهيرة ، فدخلتُ عليه ، فإذا هو عابس ، فأشار إليَّ أن اجلسْ ، فجلستُ بين يديه فقال : ما تقولُ فيمنْ يَسُبُّ الخلفاء أيُقتل ؟ فسكتُّ ، ثم أعادَ فسكتُّ ، ثم أعادَ فقلت : أَقَتَل يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : لا ، ولكنْ سبَّ ، فقلت : يُنَكَّلُ به ، فغَضِبَ وانصرف إلى أهله ، وقال لي ابنُ الرَّيَّان السيَّافُ : اذهَبْ . قال : فخرجتُ من عندِه وما تهبُّ ريحٌ إلا وأنا أظنُّ أنه رسولٌ يردُّني إليه .

وقال عثمان بن زُفَر[٢] : أقبل سليمان بن عبد الملك وهو أميرُ المؤمنين ومعه عمر بن عبد العزيز على معسكر سليمان ، وفيه تلك الخيول والجمال والبغال والأثقال والرجال ، فقال له سليمان : ما تقولُ يا عمرُ في هذا ؟ فقال : أرى دنيا يأكلُ بعضُها بعضاً وأنت المسؤول عن ذلك كلِّه ، فلما اقتربوا من المعسكر إذا غرابٌ قد أخذ لقمة في فيه من فسطاط سليمان وهو طائرٌ بها ، ونَعَبَ نعبةً ، فقال له سليمان : ما تقولُ في هذا يا عمر ؟ فقال : لا أدري ، فقال : ما ظنُّك أنه يقول ؟ قال[٣] : كأنَّه يقول : من أين جاءَتْ وأين يُذهَبُ بها ؟ فقال له سليمان : ما أعجبَك ؟ فقال عمر : أعجَبُ منِّي مَنْ عَرَف الله فعصاه ، ومن عرف الشيطانَ فأطاعَه ، ومن عرف الدنيا فركن إليها[٤] .

وتقدَّم أنه لما وقف سليمانُ وعمر بعَرَفة[٥] ، فجَعَلَ سليمان يعجبُ من كثرةِ الناس ! فقال له عمر : يا أمير المؤمنين ، هؤلاء رعيَّتُكَ اليوم وأنت مسؤولٌ عنهم غداً . وفي رواية : وهم خصماؤك يومَ القيامة . فبكى سليمان وقال : بالله نستعين .

وتقدم أنه لما أصابهم في بعض الأسفار رَعْدٌ شديد ، وبَرْقٌ وظلمةٌ شديدة ، فجعل عمر يضحك من ذلك ، فقال له سليمان : أتضحك ونحن فيما ترى ؟! فقال : نعم هذه آثارُ رحمتِه ونحنُ في هذه الحال ، فكيف بآثارِ غضَبه وعقابِه ؟

وذكر الإمام مالك ، أنَّ سليمان وعُمر تقاولا مرَّةً فقال له سليمان في جملةِ الكلام : كذبتَ ، فقال : تقول لي كذبت ؟ والله ما كذبتُ منذُ عرفتُ أنَّ الكذبَ يضرُّ أهلَه . ثم هجره عمر وعزم على الرحيل إلى

---

(١) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٢٠) .

(٢) في (ح ، ق) : « عثمان بن زبر » تصحيف والمثبت من (ب) وتاريخ ابن عساكر ٥٤/ ١٢١ وترجمته فيه (٤٥/ ٢١٧) .

(٣) في (ق) : « قلت » تصحيف ، والمثبت من (ح ، ب) وتاريخ ابن عساكر .

(٤) الخبر في تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٢١) بنحوه .

(٥) انظر ٩/ ١٧٩ (ق) .

مصر ، فلم يمكِّنه سليمان ، ثم بعث إليه فصالحه وقال له : ما عَرَض لي أمرٌ يهمُّني إلا خطرتَ على بالي[١] .

وقد ذكرنا[٢] أنَّه لما حضرتْ سليمانَ بن عبد الملك الوفاة أوصى بالأمر من بعده إلى عمر بن عبد العزيز ، فانتظم الأمر على ذلك ، ولله الحمد .

فصــل

وقد كان منتظراً فيما يؤثر من الأخبار[٣]

قال أبو داود الطيالسي : حدّثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجِشُون ، حدّثنا عبد الله بن دينار قال : قال ابنُ عمر : يا عجباً !! يزعمُ الناسُ أنَّ الدنيا لا تنقضي حتى يليَ رجلٌ من آلِ عمر ، يعمل بمثلِ عَملِ عمر ، قال : وكانوا يرَونَهُ بلالَ بنَ عبد الله بن عمر ـ قال : وكان بوجهه أثر ـ فلم يكنْ هو ، وإذا هو عمر بن عبد العزيز ، وأمُّه ابنةُ عاصم بن عبد الله بن عمر بنِ الخطاب[٤] .

وقال البيهقي[٥] : أنبأ الحاكم ، أنبأ أبو حامد أحمد بن علي المقرىء ، حدّثنا أبو عيسى الترمذي ، حدّثنا أحمد بن إبراهيم ، حدّثنا عفان ، حدّثنا عثمان بن عبد الحميد بن لاحق ، عن جويرية بن أسماء ، عن نافع ، قال : بلَغَنا أنَّ عمر بن الخطاب قال : إنَّ من ولدي رجلاً بوجهِهِ شَيْن ، يَلي فيملأُ الأرضَ عدلاً . قال نافع من قِبَله : ولا أحسبُه إلَّا عمرَ بنَ عبد العزيز .

ورواهُ مبارك بن فضالة عن عبيد الله عن نافع ، قال : كان ابنُ عمر يقول : ليت شعري مَنْ هذا الذي من ولدِ عمر في وجهه علامة يملأُ الأرضَ عَدْلاً[٦] ؟

قال وهيب بن الورد : بينما أنا نائمٌ رأيتُ كأنَّ رجلاً دخلَ من باب بني شيبةَ وهو يقول : يا أيها الناس ! ولي عليكم كتاب الله . فقلت : مَنْ ؟ فأشار بيده إلى ظهره ، فإذا مكتوبٌ عليه ع م ر ؛ قال : فجاءَتْ بيعةُ عمر بن عبد العزيز[٧] .

وقال : بَقِيَّةُ عن عيسى بن أبي رَزين : حدّثني الخُزَاعي عن عمر بن عبد العزيز ، أنه رأى رسول الله ﷺ

---

(١) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٢٢) .
(٢) انظر ٩/ ١٨١ ، ١٨٢ (ق) .
(٣) هذا العنوان ليس في (ح) ، وهو من (ب ، ق) .
(٤) الخبر في تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٢٣) من طريق الطيالسي وغيره .
(٥) في دلائل النبوة (٦/ ٤٩٢) .
(٦) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٢٣) .
(٧) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٢٤) عن حلية الأولياء (٥/ ٣٣٧) .

في روضةٍ خضراء فقال له : « إنَّك سَتَلي أمرَ أمتي فرُغْ عن الدم ، فرُغْ عن الدم[١] ، فإنَّ اسمك في الناس عمر بن عبد العزيز ، واسمك عند الله جابر » .

وقال أبو بكر بن المقري : حدّثنا أبو عَرُوبة الحسين بن محمد بن مَوْدود الحرّاني ، حدّثنا أيوب بن محمد الوزّان ، حدّثنا ضَمْرة بن ربيعة ، حدّثنا السَّريُّ بن يحيى ، عن رياح بن عبيدة . قال : خرج عمر بن عبد العزيز إلى الصلاة ، وشيخ متوكّىءٌ على يده ، فقلت في نفسي : إنَّ هذا الشيخ جافٍ ، فلمَّا صلَّى ودخل لحقتُه فقلت : أصلحَ الله الأمير ، من هذا الشيخ الذي كان متكئاً على يدك ؟ فقال : يا رياح رأيتَه ؟ قلت : نعم ! قال : ما أحسبك يا رياح إلَّا رجلاً صالحاً ، ذاك أخي الخَضر ، أتاني فأعلمني أنِّي سألي أمرَ هذه الأمة ، وأني سأعدلُ فيها[٢] .

وقال يعقوب بن سفيان[٣] : حدّثنا أبو عمير ، حدّثنا ضمرة ، عن علي بن أبي حملة[٤] عن أبي أعْيَس[٥] ، قال : كنتُ جالساً مع خالد بن يزيد بن معاوية فجاء شاب عليه مُقَطَّعات[٦] فأخذ بيدِ خالد ، فقال : هل علينا من عَيْن ؟ فقال أبو أعْيَس : فقلت عليكما من الله عينٌ بصيرة ، وأُذنٌ سميعة ، قال : فترقرقَتْ عينا الفتى ، فأرسلَ يده من يدِ خالد وولَّى ، فقلت : من هذا ؟ قال : هذا عمر بن عبد العزيز ، ابنُ أخي أميرِ المؤمنين ، ولئن طالَتْ بك حياة لترينَّه إمامَ هُدى .

قلتُ : وقد كان عند خالد بن يزيد بن معاوية شيءٌ جيِّدٌ من أخبار الأوائل وأقوالهم ، [وكان ينظر في النجوم والطب][٧] . وقد ذكرنا في ترجمة سليمان بن عبد الملك[٨] أنه لما حضرَتْهُ الوفاة عزَمَ أن يكتب العهد باسم أحد أولاده ، فما زال به وزيرُه الصادق رجاء بن حَيْوَة حتى صرفه عن ذلك وأشار عليه أن يجعل الأمر من بعده لأصلح الناس لهم ، فألهم الله الخليفة رشده فعيَّن لها ابن عمه عمرَ بن عبد العزيز

---

(١) في (ق) : « فزع عن الدم » والمثبت من (ح ، ب) وتاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٢٤) ومعناهما متقارب .

(٢) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٢٤) .

(٣) في المعرفة والتاريخ (١/ ٥٧٨) ونقله عنه ابن عساكر في التاريخ (٥٤/ ١٢٤ ، ١٢٥) ، وأخرجه أحمد في الزهد ص(٢٩٠ ، ٢٩١) بنحوه .

(٤) في (ق) : « علي بن خولة » تصحيف ، والمثبت من (ح ، ب) وتاريخ ابن عساكر وترجمته في تاريخ ابن عساكر المختصر (١٧/ ٢٧٦) .

(٥) في (ق) : « أبي عنبس » ، وفي (ح) بالإهمال ، وفي (ب) : « عن أبي الأعبس » بالباء الموحدة في الموضعين ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر وترجمته في الإكمال (١/ ١٠٠) وتهذيب الكمال (١٧/ ١٥٠ و٣٣/ ٤٧) ، وهو أبو الأعيس الخولاني اسمه عبد الرحمن بن سلمان من أصحاب عمر بن عبد العزيز ، يروي عنه وعن خالد بن يزيد بن معاوية .

(٦) المقطَّعات : القصار من الثياب ، الواحد : ثوب ، ولا واحد له من لفظه ، أو بُرد عليه وشي . القاموس (قطع) .

(٧) ما بين معقوفين ليس في (ب ، ح) ، وهو مثبت من (ق) .

(٨) انظر ٩/ ١٨١ ، ١٨٢ (ق) وموضع الحاشية (٢) من الصفحة السابقة . والعبارة المثبتة من (ب ، ح) .

فجوَّد رأيَه رجاء بن حيوة وصوَّبه ، وكتب سليمـان العهد من بعده لعمر بن عبد العزيز في صحيفة وختمها ، ولم يشعر بذلك عمر ولا أحدٌ من بني مروان سوى الخليفة سليمان والوزير رجاء ، ثم أمر صاحبَ الشرطة بإحضار الأمراء ورؤوس الناس من بني مروانَ وغيرهم ، فبايعوا سليمان على ما في الصحيفة المختومة ، ثم انصرفوا ، ثم لما مات الخليفة استدعاهم رجاءُ بن حَيْوةَ فبايعوا ثانية لمن في الصحيفة ثم فتحَها فقرأها عليهم ، فإذا فيها البيعة لعمر بن عبد العزيز ، فأخذوهُ فأجلسوه على المِنْبر وبايعوه فانعقدت له البيعة .

وقد اختلف العلماءُ في مثل هذا الصنيع في الرجل يُوصي الوصيَّةَ في كتاب ، ويُشهد على ما فيه ، من غيرِ أن يُقرأ على الشهود . ثم يشهدون على ما فيه فيُنفَّذ ، فسوَّغَ ذلك جماعاتٌ من أهل العلم ، قال القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا الجَريري : أجاز ذلك وأمضاه ، وأنفذ الحكم به جمهورُ أهلِ الحِجاز ، ورُوي ذلك عن سالم بن عبد الله . وهو مذهب مالك ومحمد بن مسلمة المخزومي ، ومكحول ، ونمير بن أوس ، وزُرعة بن إبراهيم ، والأوزاعي ، وسعيد بن عبد العزيز ، ومن وافقهم من فقهاء الشام . وحكى نحو ذلك خالدُ بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه وقضاة جُندِه ؛ وهو قول الليثِ بن سعد فيمن وافقه من فقهاء أهلِ مصر والمغرب ، وهو قول فقهاءِ أهل البصرة وقضاتهم . ورُوي عن قتادةَ ، وعن سوَّار بن عبد الله ، وعبيد الله بن الحسن ، ومعاذ بن معاذ العَنْبريّ فيمن سلك سبيلهم ؛ وأخذ بهذا عددٌ كثيرٌ من أصحابِ الحديث ، منهم أبو عبيد وإسحاق بن راهويه . قلت : وقد اعتنى به البخاري في صحيحه .

قال المعافى الجَريري : وأبَى ذلك جماعةٌ من فقهاءِ العراق ، منهم إبراهيم وحماد والحسن ، وهو مذهب الشافعي وأبي ثَوْر قال : وهو قول شيخِنا أبي جعفر ، وكان بعضُ أصحابِ الشافعي بالعراق يذهب إلى القول الأول . قال الجَريري : وإلى القول الأول نذهب[1] .

وتقدَّم[2] أن عمر بن عبد العزيز لما رجع من جنازة سليمان أُتي بمراكب الخلافة ليركبها فامتنع من ذلك وأنشأ يقول :

فلولا التُّقى ثم النُّهى خشيةَ الرَّدَى ... لعاصَيْتُ في حُبِّ الصِّبَا كلَّ زاجِر
قَضَى ما قَضى فيما مَضَى ثم لا تُرَى ... لـه صبـوة أخرى الليـالـي الغـوابـر

ثم قال : ما شاءَ الله لا قوة إلا بالله . قدِّموا إليَّ بغلتي .

---

(١) ساق اختلاف العلماء في ذلك ابن عساكر في تاريخه (٥٤/ ١٣٢) . نقلاً عن المعافى بن زكريا الجريري .
(٢) انظر ٩/ ١٨٣ (ق) . وليس فيه ذكر البيتين ، والخبر والبيتان في تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٣٥ ، ١٣٦) .

ثم أمر ببيع تلك المراكب الخليفيَّة فيمن يزيد ، وكانت من الخيول الجياد المثمَّنة ؛ فباعها وجعل أثمانها في بيت المال .

قالوا : ولما رجع من الجنازة وقد بايعه الناس واستقرَّتِ الخلافة باسمه ، انقلب وهو مغتمٌّ مهموم ، فقال له مولاه : مالك هكذا مغتماً مهموماً وليس هذا بوقت هذا ؟ فقال : ويحك ! وما لي لا أغتمُّ وليس أحدٌ من أهل المشارق والمغاربِ من هذه الأمة إلا وهو يطالبُني بحقِّه أنْ أُؤدِّيهُ إليه ؛ كتبَ إليَّ في ذلك أو لم يكتبْ ، طلبه مني أو لم يطلبْ ؟! قالوا : ثم إنه خَيَّرَ امرأته فاطمةَ بَيْنَ أنْ تُقيمَ معه على أنه لا فراغ له إليها ، وبَيْنَ أنْ تلحقَ بأهلها ؛ فبكَتْ وبكى جواريها لبكائها ، فسمعت ضجة في داره ، ثم اختارت مقامها معه على كلِّ حالٍ رحمها الله .

وقال له رجل : تفرُغُ لنا يا أمير المؤمنين ؟ فأنشأ يقول :

قـدْ جـاءَ شغـلٌ شـاغـلُ ... وعدَلْتَ عن طرقِ السلامَهْ

ذهـبَ الفـراغُ فـلا فـرا ... غَ لنـا إلـى يـومِ القيـامَـهْ[1]

وقال الزُّبير بن بكَّار : حدّثني محمد بن سلاَّم عن سلاَّم بن سُليم قال : لما وَلي عمر بن عبد العزيز صعِدَ المنبر وكان أوَّل خطبةٍ خطبَها ، حمِدَ الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، من صحبنا فليصحَبْنا بخمس ، وإلاَّ فَلْيفارِقْنا . يَرفع إلينا حاجةَ مَنْ لا يستطيعُ رفعَها ، ويُعيننا على الخير بجهده ، ويدلُّنا من الخير على ما لانهتدي إليه ؛ ولا يغتابنَّ عندنا الرعيَّة ، ولا يعرضنَّ فيما لا يَعنيه . فانقشع عنه الشعراءُ والخطباء ، وثبتَ معه الفقهاءُ والزُّهَّاد ، وقالوا : ما يسَعُنا أن نفارقَ هذا الرجلَ حتى يخالفَ فعله قوله[1] .

وقال سفيانُ بن عيينة : لما ولي عمرُ بن عبد العزيز بعث إلى محمد بن كعب ورجاءِ بن حَيْوَة وسالم بن عبد الله فقال لهم : قد تَرَوْنَ ما ابتُليتُ به ، وما قد نزلَ بي ، فما عندكم ؟ فقال محمد بن كعب : اجعل الشيخَ أباً ، والنَّصَفَ أخاً ، والشابَّ ولداً[2] ، فبِرَّ أباكَ وصِلْ أخاك ، وتعطَّفْ على ولدِك .

وقال رجاء : ارضَ للناسِ ما تَرْضَى لنفسك ، وما كرهتَ أن يؤتى إليك فلا تأتِهِ إليهم ، واعلم أنك أوَّل خليفةٍ تموت .

---

(١) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٣٨) .

(٢) في (ح) : « والضعيف أخاً والشابَّ ولداً » ، وفي (ب) : « والضيف أخاً والشابَّ ولداً » ، وفي (ق) : « والشاب أخاً والصغير ولداً » ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٣٩) ، والنصف : الكهل ، كأنه بلغ نصف عمره . اللسان (نصف) .

وقال سالم : اجعلِ الأمر يوماً واحداً ، وصُمْ فيه عن شهواتِ الدنيا ، واجعلْ آخرَ فِطْرِكَ فيه الموت ، فكأنّ قد . فقال عمر : لا حول ولا قوة إلا بالله[١] .

وقال غيرُه : خطب عمر بن عبد العزيز يوماً الناسَ فقال ـ وقد خنقَتْهُ العَبْرة ـ : أيُّها الناس أصلحوا آخرتكم يُصلحْ لكم دنياكم ، وأصلحوا سرائركم يُصلحْ لكم علانيتكم ، والله إنَّ عبداً ليس بينه وبين آدمَ أبٌ إلَّا قد مات ، إنه لمُعْرَقٌ له في الموت[٢] .

وقال في بعض خطبه : كم من عامرٍ موثقٍ[٣] عمَّا قليلٍ يَخْرَب ، وكم من مقيمٍ مغتبطٍ عمَّا قليلٍ يظعَن . فأحسِنوا رحمكم الله من الدنيا[٤] الرِّحلةَ بأحسنِ ما بحضرَتِكم من النُّقْلة ، بينا ابنُ آدمَ في الدنيا ينافسُ قرير العين فيها قانع ، إذْ دعاهُ الله بقدَرِه ، ورماه بيوم حَتْفه ، فسلبه آثاره ودُنياه ، وصيَّر إلى قومٍ آخرينَ مصانعه ومَغْناه ، إنَّ الدُّنيا لا تَسُرُّ بقدَرِ ما تَضُرّ ، تسرُّ قليلاً وتُحزِن طويلاً .

وقال إسماعيل بن عياش عن عمرو بن مهاجر قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز قام في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! إنه لا كتابَ بعد القرآن ، ولا نبيَّ بعد محمدٍ ﷺ ، وإني لستُ بقاضٍ ، ولكنِّي مُنفِّذ ، وإني لستُ بمُبتدع ، ولكنِّي متَّبع ، إنَّ الرجل الهاربَ من الإمام الظالمِ ليس بظالم ، ألا أنَّ الإمامَ الظالمَ هو العاصي ، ألا لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ عزَّ وجلّ[٥] .

وفي روايةٍ أنه قال فيها : وإني لستُ بخيرٍ من أحدٍ منكم ، ولكنِّي أثقلكم حملا ، ألا لا طاعةَ لمخلوق في معصيةِ الله ، ألا هل أسمعت .

وقال أحمد بن مروان : حدّثنا أحمد بن يحيى الحلواني ، حدّثنا محمد بن عبيد ، حدّثنا إسحاق بن سليمان ، حدّثنا شعيب بن صفوان حدّثني ابنٌ لسعيد بنِ العاص قال : كان آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز ، حَمِدَ الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإنَّكم لم تُخلقوا عبثاً ، ولم تُتركوا سُدَى ، وإنَّ لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم فيكم والفَصْل بينكم ، فخابَ وخسِرَ منْ خرج من رحمةِ الله تعالى ، وحُرم جنَّة عَرْضُها السمواتُ والأرض ، ألم تعلموا أنه لا يأمنُ غداً إلا من حَذِرَ اليومَ الآخِرَ وخافه ، وباع نافِذاً بباقٍ[٦] ، وقليلاً بكثير ، وخوفاً بأمان ، ألا ترَوْنَ أنَّكم في أسلاب الهالكين ، وستكون من بعدِكم

---

(١) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٣٩) .

(٢) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٤٠) . وقوله : « معرق له في الموت » أي : إنَّ له فيه عرقاً وأنه أصيل في الموت . النهاية (عرق) .

(٣) في (م) مؤنَّق .

(٤) في (ح ، ب) وتاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٤٠) : « فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة » ، والمثبت من (ق) .

(٥) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٤٠) .

(٦) في (ق) : « وباع فانياً بباق ، ونافذاً بما لا نفاد له ، وقليلاً بكثير » ، والمثبت من (ح ، ب) وتاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٤٢) .

للباقين ، كذلك حتى تُرَدَّ إلى خيرِ الوارثين ؛ ثم إنكم في كلِّ يوم تُشَيِّعُون غادياً ورائحاً إلى الله لا يرجع ، قد قَضَى نحبَه ، حتى تُغَيِّبوه في صَدْعٍ من الأرض ، في بطنِ صَدْعٍ غير مُوَسَّد ولا مُمهَّد ، قد فارق الأحباب ، وباشَرَ التراب وواجه الحساب ، فهو مُرْتَهنٌ بعمله ، غنيٌّ عما ترك ، فقيرٌ إلى ما قدَّم ، فاتقوا الله قبل انقضاءِ مُراقبته ، ونزولِ[(١)] الموت بكم ، أما إني أقول هذا ، ثم وضع[(٢)] طَرَف ردائه على وجهه ، فبكى وأبكى مَنْ حولَه[(٣)] .

وفي رواية : وايمُ الله ، إني لأقول قولي هذا ولا أعلم عند أحدٍ منكم من الذنوبِ أكثرَ مما أعلم من نفسي ، ولكنها سُننٌ من الله عادلة ، أمرَ فيها بطاعته ، ونهى فيها عن معصيتِه ، وأستغفرُ الله ، ووضع كُمَّه على وجهه فبكى حتى بلَّ لحيته ، فما عاد لمجلسه حتى مات رحمه الله[(٤)] .

وروى أبو بكر بن أبي الدنيا عن عمرَ بن عبد العزيز أنه رأى رسولَ الله ﷺ في النوم وهو يقول له : « ادْنُ يا عمر ، ادن يا عمر ، ادن يا عمر ، قال : فدنوتُ حتى خشيتُ أنْ أصيبه » ، فقال : « إذا وَليت فاعملْ نحواً من عمل هـٰذين » ، فإذا كهلانِ قدِ اكتَنفاهُ ، فقلت : ومَنْ هذان ؟ قال : « هذا أبو بكر وهذا عمر »[(٥)] .

ورُوِّينا أنه قال لسالم بن عبد الله بن عمر : اكتبْ لي سيرةَ عمر حتى أعمل بها . فقال له سالم : إنك لا تستطيعُ ذلك . قال : ولم ؟ قال : إنك إن عملت بها كنتَ أفضلَ من عمر ، لأنه كان يجدُ على الخير أعواناً ، وأنت لا تجدُ مَنْ يعينكَ على الخير[(٦)] .

وقد رُوي أنه كان نقشُ خاتمه لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وفي رواية : آمنت بالله . وفي رواية : الوفاء عزيز[(٧)] .

وقد جمعَ يوماً رؤوسَ الناس فخطبهم فقال : إنَّ فَدَكَ[(٨)] كانتْ بيدِ رسولِ الله ﷺ يضَعُها حيثُ أراه

---

(١) في (ق) : « قبل القضاء ، راقبوه قبل الموت » وفي (ب) : « قبل القضاء تراقبه وترون الموت » ، وكلاهما تصحيف ، والمثبت من (ح) وتاريخ ابن عساكر .

(٢) في تاريخ ابن عساكر : « رفع طرف ردائه » ، وهو أشبه بالصواب .

(٣) الخبر في تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٤١ ، ١٤٢) وتخريجه ثمة .

(٤) الخبر في تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٤٢) .

(٥) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٤٣) .

(٦) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٤٣) .

(٧) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٤٥) .

(٨) فَدَك : قرية بالحجاز ، بينها وبين المدينة يومان ـ وقيل ثلاثة ـ أفاءها الله على رسوله ﷺ في سنة سبع منصرفه من خيبر صلحاً ، وفيها عين فوارة ونخيل كثيرة . وذكر ياقوت في معجم البلدان (٤/ ٢٣٨ ـ ٢٤٠) قصتها مع الخلفاء وما آلت إليه .

الله ، ثم وليها أبو بكر وعمر كذلك ـ قال الأصمعي : وما أدري ما قال في عثمان ـ قال : ثم إنَّ مروانَ أقطَعها فحصَلَ لي منها نصيب ، ووهبني الوليدُ وسليمانُ نصيبَهما ، ولم يكنْ من مالي شيءٌ أرد عليَّ منها ، وقد ردَدْتُها في بيتِ المال على ما كانتْ عليه في زمانِ رسول الله ﷺ . قال : فيئسَ الناسُ عند ذلك من المظالم .

ثم أمر بأموالِ جماعةٍ من بني أمية فردَّها إلى بيت المال وسمَّاها أموال المظالم ، فاستشفعوا إليه بالناس ، وتوسلوا إليه بعمته فاطمة بنت مروان فلم ينجَعْ فيه شيءٌ ، ولم يرده عن الحق شيء ، وقال لهم : لتَدَعُنِّي وإلا ذهبتُ إلى مكة فنزلتُ عن هذا الأمر لأحقِّ الناسِ به . وقال : والله لو أقمتُ فيكم خمسينَ عاماً ما أقمتُ فيكم إلا ما أريدُ من العَدْل ، وإني لأريدُ الأمر فما أُنفِذُه إلا مع طَمعٍ من الدنيا حتى تسكنَ قلوبُهم[١] .

وقال الإمام أحمد عن عبد الرزاق عن أبيه عن وهب بن منبه أنه قال : إن كان في هذه الأمة مهديٌّ فهو عمر بن عبد العزيز . ونحو هذا قال قتادة وسعيد بن المُسيِّب وغيرُ واحد[٢] .

وقال طاوس : هو مهديٌّ وليس به ، إنه لم يستكملِ العَدْلَ كلَّه ، إذا كان المهديُّ تيب[٣] على المسيءِ من إساءته ، وزيد المحسن في إحسانه ، سمحٌ بالمال ، شديدٌ على العمال ، رحيمٌ بالمساكين .

وقال مالك عن عبد الرحمن بن حَرْمَلة ، عن سعيد بن المسيِّب ، أنه قال : الخلفاء أبو بكر والعُمَرَان ، فقيل له : أبو بكر وعمر قد عرفناهما ، فمنْ عمرُ الآخر ؟ قال : يوشكُ إنْ عشتَ أن تعرفه . يريدُ عمرَ بن عبد العزيز[٤] .

وفي رواية أخرى عنه أنه قال : هو أشجُّ بني مروان .

وقال عبَّاد السمَّاك وكان يجالسُ سفيان الثوري ـ : سمعتُ الثوريَّ يقول : الخلفاءُ خمسة ، أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعمر بن عبد العزيز[٥] .

وهكذا روي عن أبي بكر بن عياش والشافعي وغير واحد[٥] .

وأجمع العلماء قاطبة على أنه من أئمةِ العَدْل وأحدِ الخلفاء الراشدين والأئمة المهديِّين . وذكره غيرُ

---

(١) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٤٨) .
(٢) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٥٣) .
(٣) في (ق) : « ثبت » ، وفي (ح) بمهملات ، والمثبت من (ب) وتاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٥٤) .
(٤) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٥٥) .
(٥) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٥٦) .

واحدٍ في الأئمة الاثني عشرَ ، الذين جاء فيهم الحديث الصحيح : « لا يزال أمرُ هذه الأمةِ مستقيماً حتى يكون فيهم اثنا عشر خليفةً كلُّهم من قريش »[١] .

وقد اجتهد رحمه الله في مُدَّة ولايته ـ مع قِصَرِها ـ حتى ردَّ المظالم ، وصرف إلى كلِّ ذي حقٍّ حقه ، وكان مناديه في كلِّ يوم ينادي : أين الغارمون ، أين الناكحون ؟ أين المساكين ؟ أين اليتامى ؟ حتى أغنى كلاًّ من هؤلاء[٢] .

وقد اختلف العلماء أيَّ الرجل أفضل هو أو معاوية بن أبي سفيان ؟ ففضَّل بعضُهم عمر لسيرته ومَعْدِلته وزهده وعبادته . وفضَّل آخرون معاوية لسابقته وصحبته ، حتى قال بعضهم : ليومٌ شهده معاوية من رسول الله ﷺ خيرٌ من عمر بن عبد العزيز وأيامه وأهل بيته .

وذكر الحافظ ابنُ عساكر في تاريخه[٣] أنَّ عمر بن عبد العزيز كان يُعجبه جارية من جواري زوجته فاطمة بنت عبد الملك ، فكان سألها إياها إمَّا بيعاً أو هِبَةً ، فكانتْ تأبَى عليه ذلك ، فلما ولي الخلافة ألبسَتْها وطيَّبَتْها وأهدَتْها إليه ووهبتها منه ، فلما أخلتْها به أعرضَ عنها ، فتعرَّضت له الجارية فصدف عنها ، فقالت له : يا سيدي فأين ما كان يظهر لي من محبَّتك إيَّاي ؟ فقال : والله إنَّ محبَّتَكِ لباقيةٌ كما هي ؟ ولكنْ لا حاجة لي فيك ، فقد جاءني أمرٌ شَغلني عنك وعن غيرِك ، ثم سألها عن أصلها ومن أين جلبوها ، فقالت : يا أمير المؤمنين إنَّ أبي أصابَ جنايةً ببلادِ المغرب[٤] فصادره موسى بن نُصير فأُخذتُ في الجناية ، وبعث بي إلى الوليد فوهَبَني الوليدُ إلى أخته فاطمةَ زوجتِك ، فأهدَتْني إليك . فقال عمر : إنا لله وإنا إليه راجعون ، كِدْنا والله نفتضح ونَهْلِك ، ثم أمرَ بردِّها مكرَّمةً إلى بلادها وأهلها .

وقالت زوجته فاطمة : دخلتُ يوماً عليه وهو جالس في مُصَلاَّه ، واضعاً خدَّه على يده ، ودموعه تسيلُ على خدَّيه ، فقلت : ما لك ؟ فقال : ويحك يا فاطمة ، قد وُلِّيتُ من أمر هذه الأمة ما وُلِّيت ، فتفكَّرت في الفقير الجائع ، والمريض الضائع ، والعاري المجهود[٥] ، والمظلوم المقهور ، والغريبِ الأسير ، والشيخ الكبير ، وذي العيال الكثير ، والمال القليل ، وأشباهِهم في أقطار الأرض وأطرافِ

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢١ و١٨٢٢) في الإمارة : باب الناس تبع لقريش ؛ وأبو داود (٤٢٧٩) في كتاب المهدي ؛ وأحمد (٢٠٢٨١ و٢٠٢٩٠ و٢٠٢٩٨ و٢٠٣٠٧ و٢٠٣١٩ و٢٠٣٤٧ و٢٠٥٠٨ و٢٠٥٢٨) مطولاً ومختصراً ، كلهم عن جابر بن سمرة .

(٢) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/١٥٨) .

(٣) تاريخ ابن عساكر (٥٤/١٥٨ ، ١٥٩) ، والخبر فيه بألفاظ مقاربة .

(٤) في تاريخ ابن عساكر أنها كانت جارية من البربر .

(٥) زادت (ق) هنا ما نصه : « واليتيم المكسور ، والأرملة الوحيدة » وليست هذه الزيادة في (ح ، ب) ولا في تاريخ ابن عساكر .

البلاد ، فعلمتُ أنَّ ربِّي عزَّ وجلَّ سيسألُني عنهم يوم القيامة ، وأنَّ خَصْمي دونهم محمد ﷺ ، فخشيتُ أنْ لا يثبت لي حجَّة عند خصومته ، فرحمتُ نفسي فبَكيت[١] .

وقال ميمون بن مِهْران : ولَّاني عمر بن عبد العزيز عمالة ثم قال لي : إذا جاءك كتابٌ مني على غير الحق فاضرِبْ به الأرض[٢] .

وكتب إلى بعض عماله : إذا دَعتْكَ قدرتُك على الناس إلى ظلمهم ، فاذكُرْ قدرةَ الله عليك ، ونفادَ ما تأتي إليهم ، وبقاءَ ما يأتون إليك[٣] .

وقال عبد الرحمن بن مَهْدي عن جرير بن حازم عن عيسى بن عاصم قال: كتب عمرُ بن عبد العزيز إلى عديِّ بن عديّ : إنَّ للإسلام سُنناً وشرائع وفرائض ، فمن استكملَها استكملَ الإيمان ، ومن لم يستكمِلْها لم يستكملِ الإيمان ، فإنْ أعشْ أبيِّنْها لكم لتعملوا بها ، وإنْ أمتْ فما أنا على صحبتِكم بحريص[٣] .

وذكره البخاري في صحيحه تعليقاً مجزوماً به[٤] .

وذكَرَ الصُّوليُّ أنَّ عمرَ كتب إلى بعض عمَّاله : عليك بتقوى الله ، فإنها هي التي لا يقبلُ غيرَها ولا يرحم إلا أهلَها ، ولا يثابُ إلَّا عليها ، وإنَّ الواعظين بها كثير ، والعاملين بها قليل[٣] .

وقال : منْ علم أنَّ كلامه من عمله ، قلَّ كلامُه إلَّا فيما يعنيه وينفعه ، ومن أكثر ذكر الموت اجتزأ من الدنيا باليسير[٥] .

وقال أيضاً : من لم يعدَّ كلامه من عمله كثرت خطاياه ، ومن عبدَ الله بغيرِ علم كان ما يُفسده أكثرَ مما يصلحه[٥] .

وكلَّمه رجلٌ يوماً حتى أغضبه ، فهمَّ به عمر ثم أمسك نفسه ، ثم قال للرجل : أردتَ أنْ يستفزَّني الشيطانُ بعزَّةِ السلطان ، فأنال منك ما تنالُه مني غداً ؟ قم ـ عافاك الله ـ لا حاجة لنا في مقاولتك[٦] .

وكان يقول : إنَّ أحبَّ الأمور إلى الله القَصْدُ في الجِد[٧] ، والعفو في المَقْدرة ، والرفق في الولاية ، وما رَفَق عبدٌ بعبدٍ في الدنيا إلَّا رفق الله به يوم القيامة .

---

(١) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٥٩ ، ١٦٠) .
(٢) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٦٢) .
(٣) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٦٤) .
(٤) أخرجه البخاري معلقاً مجزوماً في الإيمان : باب قول النبي ﷺ « بني الإسلام على خمس » في ترجمة الباب في أوله .
(٥) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٦٥) .
(٦) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٦٦) .
(٧) كذا في (ق ، ح ، ب) ، وفي تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٦٧) . « الجِدَة » وهو أشبه بالصواب .

وخرج ابنٌ له وهو صغير يلعب مع الغلمان فشجَّه صبيٌّ منهم ، فاحتملوا الصبيَّ الذي شجَّ ابنه وجاءوا به إلى عمر ، فسمع الجَلَبَة فخرج إليهم ، فإذا مُرَيْئَةٌ تقول : إنه ابني وإنه يتيم . فقال لها عمر : هوِّني عليك . ثم قال لها عمر : أله عطاء في الديوان ؟ قالت : لا ! قال : فاكتبوه في الذرِّيَّة . فقالت زوجته فاطمة : أتفعل هذا به وقد شجَّ ابنك ؟ فعل الله به وفعل ، المرة الأخرى يشجُّ ابنَك ثانية . فقال : ويحك ، إنه يتيم وقد أفزعتموه[١] .

وقال مالك بن دينار : يقولون مالكٌ زاهد ، أيُّ زهدٍ عندي[٢] ؟ إنما الزاهدُ عمر بن عبد العزيز ، أَتَتْهُ الدنيا فاغرةً فاها فتركها جملةً[٣] .

قالوا : ولم يكن له سوى قميصٍ واحد ، فكان إذا غسلوه جلسَ في المنزل حتى ييبس ، وقد وقف مرة على راهبٍ فقال له : ويحك عظني ، فقال له : عليك بقول الشاعر :

تجـرَّدْ مـن الـدنيـا فـإنَّـكَ إنمـا خرجتَ إلى الدنيا وأنتَ مُجرَّدُ

قال : وكان يعجبه ويكرره وعمل به حق العمل[٣] .

قالوا : ودخل على امرأته يوماً فسألها أنْ تُقرضه درهماً أو فلوساً يشترى له بها عنباً ، فلم يجدْ عندَها شيئاً ، فقالت له : أنت أميرُ المؤمنين وليس في خزانتِك ما تشتري به عنباً ؟ فقال : هذا أيسر من معالجة الأغلال والأنكال غداً في نار جهنَّم[٤] .

قالوا : وكان سراجُ بيتِه على ثلاث قصباتٍ في رأسهن طين[٥] .

قالوا : وبعث يوماً غلامَهُ ليشويَ له لحمةً ، فجاءه بها سريعاً مشويَّةً ، فقال : أين شويتَها ؟ قال : في المطبخ ، فقال : في مطبخ المسلمين ؟ قال : نعم . فقال : كُلْها فإنِّي لم أُرزَقْها ، هي رزقُك[٦] .

وسخَّنوا له ماءً في المطبخ العام ، فرَدَّ بدلَ ذلك بدرهمٍ حطباً[٥] .

وقالت زوجتُه : ما جامع ولا احتلم وهو خليفة[٦] .

قالوا : وبلَغَ عمرَ بن عبد العزيز عن أبي سلام الأسود أنه يحدِّثُ عن ثوبان بحديثِ الحَوْض ، فبعثَ إليه فأحضره على البريد وقال له كالمتوجِّع يا أبا سلام ما أَرَدْنا المشَقَّة عليك ، ولكنْ أردْتُ أنْ تشافهَني

---

(١) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٦٧ ، ١٦٨) .
(٢) في تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٦٨) : « أي زهد عند مالك وله جبة وكساء !؟ » .
(٣) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٦٩) .
(٤) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٧٢) .
(٥) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٧٣) .
(٦) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٧٤) .

بالحديثِ مُشافهةً ، فقال : سمعت ثوبانَ يقول : قال رسولُ الله ﷺ : « حَوْضي ما بينَ عدَنَ إلى عمَّان البَلْقاء ، ماؤه أشدُّ بياضاً من اللَّبَن ، وأحْلَى من العسَل ، أكاويبُه عددُ نجوم السماء ، مَنْ شرِبَ منه شربة لم يظمَأْ بعدَها أبداً ، وأوَّل الناسِ وروداً عليه فقراءُ المهاجرين ، الشُّعْثُ رؤوساً ، الدُّنس ثياباً ، الذين لا ينكِحون المتنعِّمات ، ولا تُفتح لهم السُّدد » . فقال عمر : لكني نكحت المتنعِّمات ، فاطمة بنت عبد الملك ، فلا جَرَم لا أغسل رأسي حتى يَشْعث ، ولا أُلْقي ثوبي حتى يتَّسخ[١] .

قالوا : وكان له سراجٌ يكتبُ عليه حوائجَه ، وسراجٌ لبيتِ المال يكتبُ عليه مصالحَ المسلمين ، لا يكتبُ على ضوئه لنفسِه حرفاً . وكان يقرأ في المصحف كلَّ يوم أوَّلَ النهار ، ولا يُطيلُ القراءة ، وكان له ثلاث مئة شرطي ، وثلاث مئة حَرَسيّ . وأهدى له رجل من أهل بيتِهِ تفاحاً فاشتمَّه ثم ردَّه مع الرسول ، وقال له : قل له قد بلغَتْ محلَّها ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين إنَّ رسول الله ﷺ كان يقبلُ الهدية ، وهذا رجلٌ من أهلِ بيتك ، فقال : إنَّ الهديَّةَ كانتْ لرسولِ الله ﷺ هديَّةً ، فأمَّا نحن فهي لنا رِشْوَة[٢] .

قالوا : وكان يُوسعُ على عمَّاله في النفقة ، يُعطي الرجلَ منهم في الشهر مئة دينار ، ومئتي دينار ، وكان يتاوَّلُ أنهم إذا كانوا في كفاية تفرَّغوا لأشغالِ المسلمين ، فقالوا له : لو أنفقتَ على عيالك كما تُنفق على عُمَّالك ؟ فقال : لا أمنعُهم حقّاً لهم ، ولا أُعطيهم حقَّ غيرِهم .

وكان أهلُه قد بقُوا في جهدٍ عظيم ، فاعتذر بأنَّ معهم سلفاً كثيراً من قبل ذلك ، وقال يوماً لرجلٍ من ولدِ علي : إني لأستحي من الله أن تقفَ ببابي ولا يؤذنُ لك . وقال لآخر منهم : إني لأستحي من الله وأرغبُ بك أن أدنِّسك بالدنيا لما أكرمكم الله به .

وقال أيضاً : كنَّا نحن وبنو عمنا بنو هاشم مرَّةً لنا ومرَّةً علينا ، نلجَأُ إليهم ويلجَؤون إلينا ، حتى طلعت شمسُ الرسالة فأكسدتْ كلَّ نافق ، وأخرسَتْ كلَّ منافق ، وأسكتَتْ كل ناطق[٣] .

وقال أحمد بن مروان : ثنا أبُو بكر أخو[٤] خطَّاب حدّثنا خالد بن خداش حدّثنا حماد بن زيد عن موسى بن أعْيَن الراعي ـ وكان يرعى الغنمَ لمحمد بن أبي عُيينة ـ قال : كانتِ الأُسد والغنمُ والوحش

---

(١) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٧٤) ، وحديث الحوض عن أبي سلام عن ثوبان أخرجه الترمذي (٢٤٤٤) في صفة القيامة والرقائق والورع ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح غريب ؛ وابن ماجه (٤٣٠٣) في الزهد . وأحمد في المسند (٢١٨٦٢) ؛ وأحمد في المسند (٢٢٣٦٧) . والمرفوع منه صحيح ، دون قوله (أول الناس . . . إلى آخره) وفي الباب من حديث الحوض عن حذيفة بن اليمان وعبد الله بن عمر وأبي برزة الأسلمي وحارثة بن وهب والمستورد بن شداد .

(٢) انظر هذه الأخبار بأسانيدها في تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٧٤ ـ ١٧٧) .

(٣) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٧٩) .

(٤) في (ق) : « حدثنا أبو بكر بن أخي خطاب » ، والمثبت من (ح ، ب) وتاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٨٠) .

تَرْعى في خلافةِ عمرَ بنِ عبدِ العزيز في موضع واحد ، فعرض ذاتَ يوم لشاةٍ منها ذئبٌ ، فقلتُ : إنَّا لله ، ما أرى الرجلَ الصالح إلَّا قد هلَكَ . قال فحسَبنا[١] ، فوجدناه قد هلك في تلك الليلة . ورواهُ غيره عن حمَّاد فقال : كنَّا نَرْعى الشاءَ بكَرْمان ، فذكر نحوه ؛ وله شاهدٌ من وجهٍ آخر .

ومن دعائه : اللهم إنَّ رجالاً أطاعوك فيما أمرتهم وانتهَوْا عما نهيتَهم ، اللهمَّ وإنَّ توفيقَك إيَّاهم كان قبل طاعتهم إياك ، فوفِّقْني[٢] . ومنه : اللهمَّ إنَّ عمر ليس بأهلٍ أنْ تنالَهُ رحمتُك ، ولكنَّ رحمتك أهلٌ أنْ تنالَ عمر[٢] .

وقال له رجل : أبقاك الله ما كان البقاءُ خيراً لك . فقال : هذا شيء قد فُرغ منه ، ولكنْ قلْ : أحياكَ الله حياةً طيبةً ، وتوفَّاك مع الأبرار[٣] .

وقال له رجل : كيف أصبحتَ يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أصبحتُ بطيئاً بطيناً ، متلوثاً بالخطايا ، أتمنَّى على الله عزَّ وجلَّ[٣] .

ودخل عليه رجلٌ . فقال : يا أمير المؤمنين إنَّ مَنْ كان قبلك كانتِ الخلافةُ لهم زيناً ، وأنت زين الخلافة ، وإنما مثلك يا أمير المؤمنين كما قال الشاعر :

وإذا الــدُّرُّ زانَ حُسْــنَ وجــوهٍ ... كــانَ للــدرِّ حســنُ وجهِــكَ زَيْنـا

قال : فأعرضَ عنه عمر[٣] .

وقال رجاءُ بن حَيْوَة : سمَرْتُ عند عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فعشي السراجُ فقلت : يا أمير المؤمنين : ألا أنبه هذا الغلام يصلحه ؟ فقال : لا ! دعه ينام ، لا أحب أن أجمع عليه عملين . فقلت : أفلا أقومُ أُصلحه ؟ فقال : لا ! ليس من المروءةِ استخدامُ الضَّيف . ثم قام بنفسه فأصلحَه وصبَّ فيه زيتاً ثم جاء وقال : قمتُ وأنا عمر بن عبد العزيز ، وجلستُ وأنا عمر بن عبد العزيز[٤] .

وقال : أكثروا ذكرَ النعم ، فإنَّ ذكرَها شكرُها[٥] .

وقال : إنه ليمنعني من كثرة الكلام[٦] مخافةُ المباهاة .

وبلغه أنَّ رجلاً من أصحابه تُوفي ، فجاء إلى أهله ليعزِّيهم فيه ، فصرخوا في وجهه بالبُكاء عليه ،

---

(١) في (ح ، ق) : « فحسبناه » ، والمثبت من (ب) وتاريخ ابن عساكر ٥٤/ ١٨٠ .
(٢) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٨٠) .
(٣) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٨١) .
(٤) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٨٤ ، ١٨٥) .
(٥) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٨٦) .
(٦) في (ق) : « من كثرة ذكرها » تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) وتاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٨٧) .

فقال : مَهْ ، إنَّ صاحبَكم لم يكنْ يرزقُكم ، وإنَّ الذي يرزقُكم حيٌّ لا يموت ، وإنَّ صاحبَكم هذا ، لم يسدَّ شيئاً من حُفَركم ، وإنما سدَّ حفرةَ نفسِه ، ألا وإنَّ لكلِّ امرىءٍ منكم حفرةً لا بدَّ والله أن يسدَّها ، إنَّ الله عزَّ وجلَّ لما خلَقَ الدنيا حكم عليها بالخرَاب ، وعلى أهلها بالفناء ، ما امتلأتْ دارٌ حَبْرَةً[١] إلا امتلأتْ عَبْرَةً ، ولا اجتمعوا إلا تفرَّقوا ، حتى يكونَ الله هو الذي يرثُ الأرضَ ومَنْ عليها ، فمن كان منكم باكياً فليبكِ على نفسه ، فإنَّ الذي صار إليه صاحبُكم كلُّ الناس يصيرون إليه غداً .

وقال ميمون بن مِهْرَان : خرجتُ مع عمرَ إلى القبور فقال لي : يا أبا أيوب ! هذه قبورُ آبائي بني أمية ، كأنهم لم يشاركوا أهلَ الدنيا في لذَّتهم وعيشِهم ، أما تراهم صَرْعَى قد خَلَتْ فيهم المَثُلات[٢] ، واستحكم فيهم البلاءِ ؟ ثم بكى حتى غُشي عليه ، ثم أفاق فقال : انطلقوا بنا ، فوالله لا أعلمُ أحداً أنعمَ ممَّنْ صار إلى هذه القبور ، وقد أمِنَ من عذابِ الله ، [ينتظر ثواب الله][٣] .

وقال غيرُه : خرج عمر بن عبد العزيز في جنازة فلما دُفنت قال لأصحابه : قفوا حتى آتي قبورَ الأحبَّة . فأتاهم فجعل يبكي ويدعو ، إذْ هتفَ به الترابُ فقال : يا عمر ألا تسألُني ما فعلتُ بالأحبَّة ؟ قال : قلتُ : وما فعلتَ بهم ؟ قال : مزَّقْتُ الأكفان ، وأكلتُ اللحوم ، وشدَخْتُ المقلتين ، وأكلتُ الحدقَتَيْن ، ونَزَعْتُ الكفَّين من السَّاعدَيْنِ ، والساعدَيْن من العَضُدَيْن ، والعضدَيْن من المنكبَيْن ، والمنكبينِ من الصُّلب ، والقدَمَيْنِ من الساقَيْن ، والساقينِ من الفخِذَيْن ، والفخذينِ من الوَرْك ، والوَرْكَ من الصُّلب . وعمر يبكي ، فلما أراد أن يذهب قال له : يا عمر ، أدلُّك على أكفانٍ لا تبلَى ؟ قال : وما هي ؟ قال : تقوى الله والعمل الصالح[٤] .

وقال مرة لرجلٍ من جلسائه : لقد أرقتُ الليلةَ مفكِّراً ، قال : وفيمَ يا أمير المؤمنين ؟ قال : في القبر وساكنِه ، إنك لو رأيتَ الميت بعد ثلاث في قبره ، وما صار إليه ، لاستوحشتَ من قربِه بعد طولِ الأُنس منك بناحيته ، ولرأيتَ بيتاً تجولُ فيه الهوامُّ ويجري فيه الصديد ، وتخترقُ فيه الديدان ، مع تغيُّر الريح ، وبِلَى الأكفان بعد حُسن الهيئة وطيب الريح ، ونقاء الثوب ، قال : ثم شهق شهقة خرَّ مغشيّاً عليه[٥] .

---

(١) في (ق ، ح) : « خبرة » تصحيف ، والمثبت من (ب) وتاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٨٧) ؛ والحبرة : أثر النعمة والسرور .

(٢) في (ح) وتاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٨٩) : « حلت فيهم المثلات » ، وفي (ق) : « خلت بهم » ، والمثبت من (ب) والمثلات : العقوبات التي يقع بها الاعتبار . وخلت : مضتْ إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ ﴾ [الرعد : ٦] وتقديره : خلت المثلات بأقوام أو خلا أصحاب المثلات فحذف المضاف . انظر مجمع البيان (٣/ ٢٧٨) .

(٣) ما بين الحاصرتين ليس في الأصول ولا تاريخ ابن عساكر وهو من (ق) .

(٤) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٨٩) .

(٥) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٩٠) .

وقال مقاتلُ بن حيَّان : صلَّيتُ وراءَ عمرَ بنِ عبد العزيز فقرأ : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ [الصافات : ٢٤] فجعل يكرِّرها وما يستطيعُ أنْ يتجاوزها[١] .

وقالتِ امرأتُه فاطمة : ما رأيتُ أحداً أكثرَ صلاةً وصياماً منه ، ولا أحداً أشدَّ فرَقًا من ربِّه منه ، كان يصلِّي العشاء ثم يجلسُ يبكي حتى تغلِبَه عيناه ، ثم ينتبه فلا يزالُ يبكي حتى تغلبه عيناه[١] .

قالت : ولقد كان يكون معي في الفراش ، فيذكرُ الشيء من أمر الآخرة فينتفضُ كما ينتفضُ العصفور في الماء ، ويجلسُ يبكي ، فأطرَحُ عليه اللحاف رحمة الله له ، وأنا أقول : يا ليتَ كان بيننا وبين الخلافة بعدُ المشرقَيْن ، فو الله ما رأينا سروراً منذ دخلنا فيها[٢] .

وقال علي بن زيد : ما رأيتُ رجلينِ كأنَّ النار لم تُخلَقْ إلا لهما مثل الحسن وعمر بن عبد العزيز[٣] .

وقال بعضُهم : رأيتُه يبكي حتى بكى[٤] دماً . قالوا : وكان إذا أوى إلى فراشه قرأ : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [الأعراف : ٥٤] . الآية ، ويقرأ : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾ [الأعراف : ٩٧] . ونحو هذه الآيات[٤] .

وكان يجتمع إليه كلَّ ليلة أصحابُه من الفقهاء ، فلا يذكرون إلَّا الموتَ والآخرة . ثم يبكون حتى كأنَّ بينهم جنازة[٥] .

وقال أبو بكر الصولي عن المبرِّد : كان عمر بن عبد العزيز يتمثَّلُ بقولِ الشاعر :

فمـا تـزودَ ممـا كـانَ يجمعـهُ ... سوى حَنُوطٍ غداةَ البينِ في خِرَقِ
وغيـرَ نفحـةِ أعـوادٍ تُشـبُّ لـهُ ... وقـلَّ ذلـكَ مـن زادٍ لمنطلـقِ
بـأيِّمـا بلـدٍ كـانـتْ منيتُـه ... إنْ لا يسِرْ طائعاً في قصدِها يُسَقِ[٦]

ونظر عمر بن عبد العزيز وهو في جنازةٍ إلى قوم قد تلثَّموا من الغُبار والشمس ، وانحازوا إلى الظِّلّ ، فبكى وأنشأ يقول[٧] :

مَنْ كانَ حينَ تصيبُ الشمسُ جبهتَهُ ... أو الغبـارُ يخـافُ الشَّيْـنَ والشَّعَثـا

(١) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٩١) .
(٢) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٩١ ، ١٩٢) .
(٣) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٩٢) .
(٤) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٩٣) .
(٥) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٩٤) .
(٦) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٩٥) .
(٧) في (ق) : « وأنشد » ، وفي تاريخ ابن عساكر : « وقال » ، والمثبت من (ب ، ح) .

ويألفُ الظلَّ كي تبقى بشاشتُهُ فسوفَ يسكنُ يوماً راغِماً جَدَثا
في قعر مظلمةٍ غبراءَ موحشةٍ يُطيلُ في قعرِها تحتَ الثرى لَبَثا[١]
تجهزي بجهازٍ تبلغينَ بهِ يا نفسُ قبلَ الرَّدَى لم تُخلقي عَبَثا[٢]

وقال المفضَّل بن غسَّان الغَلابي[٣] : كان عمر بن عبد العزيز لا يجفُّ فُوهُ من هذا البيت :

ولا خيرَ في عيشِ امرىءٍ لم يكنْ لهُ مِنَ اللهِ في دارِ القرارِ نصيبُ

وزاد غيره معه بيتاً حسناً وهو قوله :

فإنْ تُعجبِ الدنيا أناساً فإنَّها متاعٌ قليلٌ والزوالُ قريبُ

ومن شعره الذي أنشدَهُ ابنُ الجَوْزي :

أنا مَيْتٌ وعزَّ مَنْ لا يموتُ قدْ تيقَّنْتُ أنَّني سأموتُ

---

(١) في (ق) : « اللبثا » ، والمثبت من (ب ، ح) وتاريخ ابن عساكر .

(٢) بعد هذه الأبيات في (ق) زيادة ليست في (ب ، ح) ولا في تاريخ ابن عساكر وضعناها هنا في الحاشية وهذه هي : هذه الأبيات ذكرَها الآجُرِّي في « أدب النفوس » بزيادةٍ فيها فقال : أخبرنا أبو بكر أنبأنا أبو حفص عمر بن سعد القَرَاطيسي ، حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي الدنيا ، حدّثني محمد بن صالح القرشي ، أخبرني عمر بن الخطاب الأزدي ، حدّثني ابنٌ لعبد الصمد بن عبد الأعلى بن أبي عمرة قال : أرادَ عمر بن عبد العزيز أن يبعثَه رسولاً إلى أليون طاغيةِ الرُّوم يدعوهُ إلى الإسلام ، فقال له عبد الأعلى : يا أمير المؤمنين ! إئذن لي في بعض بنيَّ يخرجُ معي ـ وكان عبدُ الأعلى له عشرةٌ من الذكور ـ فقال له : انظر من يخرجُ معك من ولدك . فقال : عبد الله ، فقال له عمر : إني رأيتُ ابنك عبدَ الله يمشي مشيةً كرهتُها منه ومقتُّه عليها ، وبلَغني أنه يقولُ الشعر . فقال عبدُ الأعلى : أما مشيته تلك فغريزة فيه ، وأما الشعر فإنما نوَّاحةٌ ينوحُ بها على نفسه ، فقال له : مُرْ عبدَ الله يأتيني وخذْ معك غيره ، فراح عبدُ الأعلى بابنه عبد الله إليه ، فاستنشده فأنشده ذلك الشعرَ المتقدِّم :

تجهَّزي بجهازٍ تبلغينَ بهِ يا نفسُ قبلَ الرَّدَى لمْ تُخلقي عَبَثَا
ولا تكدِّي لمن يبقى وتفتقري إنَّ الردَى وارثُ الباقي وما وَرِثا
واخشَيْ حوادثَ صَرْفِ الدهر في مهلٍ واستيقظي لا تكوني كالذي بحثا
عن مُديةٍ كان فيها قطعُ مدَّتهِ فوافتِ الحرثَ موفوراً كما حُرِثا
لا تأمني فجعَ جهرٍ مترفٍ خَتِلٍ قدِ استوى عندهُ منْ طابَ أو خَبُثا
يا رُبَّ ذي أملٍ فيه على وجلٍ أضحى بهِ آمناً أمسى وقدْ حدثا
مَنْ كانَ حينَ تصيبُ الشمسُ جبهتَهُ أو الغبارُ يخافُ الشينَ والشَّعَثا
ويألفُ الظلَّ كي تبقى بشاشتهُ فكيفَ يسكنُ يوماً راغماً جِدَثا
قفراءَ موحشةٍ غبراءَ مظلمة يُطيلُ تحتَ الثرى منْ قعرها اللَّبَثا

وقد ذكرها ابنُ أبي الدنيا ، فعمر أنشدَها عنه ، والله سبحانه وتعالى أعلم . وكان عمر يتمثَّل بها كثيراً ويبكي .

(٣) في (ق) : « الفضل بن عباس الحلبي » تحريف ، والمثبت من (ح ، ب) ، والخبر في تاريخ ابن عساكر (١٩٦/٥٤) .

لَيسَ مُلْكٌ يزيلهُ الموتُ مُلْكاً إنما الملكُ مُلْكُ مَنْ لا يموتُ

وقال عبد الله بن المبارك : كان عمر بن عبد العزيز يقول :

تُسرُّ بما يَبْلَى[(١)] وتفرحُ بالمُنى كما اغترَّ باللذاتِ في النومِ حالمُ
نهارُكَ يا مغرورُ سهوٌ وغفلةٌ وليلكَ نومٌ والردى لكَ لازمُ
وسعيُكَ فيما سوفَ تكرهُ غِبَّهُ كذلكَ في الدنيا تعيشُ البهائمُ[(٢)]

وقال محمد بن كثير : قال عمر بن عبد العزيز يلومُ نفسه ويعاتبُها :

أيقظانُ أنتَ اليومَ أم أنتَ نائمُ وكيفَ يطيقُ النَّومَ حيرانُ هائمُ
فلو كنتَ يقظانَ الغداة لحرَّقتْ مدامع[(٣)] عينيكَ الدموعُ السواجمُ
نهارك يا مغرورُ سَهْوٌ وغفلةٌ وليلك نوم والرَّدَى لك لازمُ
وتُشغلُ فيما سوف تكرَهُ غِبَّهُ كذلك في الدنيا تعيش البهائمُ[(٤)]

وروى ابنُ أبي الدنيا بسنده عن فاطمة بنتِ عبدِ الملك قالت : انتبه عمر ذات ليلةٍ وهو يقول : لقد رأيت الليلة رؤيا مُعجبة ، فقلت : أخبرني بها ، فقال : حتى نُصبح ؛ فلمَّا صلَّى الصبحَ بالمسلمين ، ثم دخل سألته عنها ، فقال : رأيتُ كأني دُفعت إلى أرضٍ خضراءَ واسعة ، كأنها بساطٌ أخضر وإذا فيها قصرٌ كأنَّه الفضة ، فخرج منه خارج فنادَى أين محمد بن عبد الله ، أين رسولُ الله ؟ إذْ أقبل رسولُ الله ﷺ ، حتى دخل ذلك القصر ، ثم خرج آخرُ فنادى : أين أبو بكر الصديق ؟ فأقبل فدخل ، ثم خرج آخرُ فنادَى : أين عمر بن الخطاب ؟ فأقبل فدخل ، ثم خرج آخرُ فنادى أين عثمان بن عفان ؟ فأقبل فدخل ، ثم خرج آخر فنادى أين عليُّ بن أبي طالب ؟ فأقبل فدخل ، ثم خرج آخرُ فنادى أين عمر بن عبد العزيز ؟ فقمتُ فدخلت فجلست إلى جانب أبي عمرَ بنِ الخطاب ، وهو عن يسارِ رسول الله ﷺ ، وأبو بكر عن يمينه ، وبينه وبين رسول الله ﷺ رجل ، فقلت : لأبي : منْ هذا ؟ قال : هذا عيسى ابنُ مريم ، ثم سمعتُ هاتفاً يهتِفُ بيني وبينه نورٌ لا أراه ، وهو يقول : يا عمر بن عبد العزيز تمسَّكْ بما أنتَ عليه ، واثبُتْ على ما أنت

---

(١) في (ق) : « يفنى » ، والمثبت من (ب ، ح) وتاريخ ابن عساكر .
(٢) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٩٧) .
(٣) في (ق) : « محاجر عينيك » ، والمثبت من (ب ، ح) وتاريخ ابن عساكر .
(٤) في (ق) بدل البيتين الأخيرين هذه الأبيات الثلاثة :
أصبحت في النوم الطويل وقد دنت إليك أمور مفظعات عظائم
وتكدح فيما سوف تكره غبه كذلك في الدنيا تعيش البهائم
فلا أنت في النوام يوماً بسالم ولا أنت في الأيقاظ يقظان حازم
والمثبت من (ب ، ح) وتاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٩٧ ، ١٩٨) .

عليه ، قال : ثم كأنه أذنَ لي في الخروج فخرجتُ ، فالتفتُّ فإذا عثمانُ بن عفَّان وهو خارج من القصر وهو يقول : الحمد لله الذي نصرَني ربي ، وإذا عليٌّ في إثره وهو يقول : الحمد لله الذي غفَرَ لي ربي(١) .

فصـــل(٢)

وقد ذكرنا في دلائلِ النبوة الحديث الذي رواهُ أبو داود في سُننه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ الله يبعثُ لهذه الأمة على رأس كلِّ مئة سنة منْ يجدِّدُ لها أمرَ دينها »(٣) . فقال جماعةٌ من أهل العلم منهم أحمدُ بن حنبل ـ فيما ذكرهُ ابنُ الجوزي وغيره ـ : إنَّ عمرَ بن عبد العزيز كان على رأسِ المئةِ الأولى ؛ وقال آخرون : هو من جملة من جدَّد الله به أمر الدين على رأس المئة الأولى ـ وإنْ كان هو أوْلَى منْ دخل في ذلك وأحق ، لإمامته وعموم ولايته ، وقيامه واجتهادِه في تنفيذِ الحق ، فقد كانتْ سيرتُه شبيهةً بسيرةِ عمر بن الخطاب ، وكان كثيراً ما يتشبَّهُ به .

وقد جمعَ الشيخ أبو الفرج ابن الجَوْزي سيرة العمرين ، عمر بن الخطاب ، وعمر بن عبد العزيز ، وقد أفردْنا سيرةَ عمر بن الخطاب في مجلدٍ على حِدة ، ومسندَه في مجلدٍ ضَخْم ؛ وأمَّا سيرة عمر بن عبد العزيز ، فقد ذكرنا منها طرفاً صالحاً هنا ، يُستدلُّ به على ما لم نذكره .

وقد كان عمر رحمه الله يُعطي منِ انقطعَ إلى المسجد الجامع من بلده وغيرها ، للفقهِ ونشرِ العلم وتلاوة القرآن ، في كلِّ عام من بيت المال مئة دينار ، وكان يكتبُ إلى عُمَّاله أنْ يأخذوا النَّاسَ بالسنَّة ، ويقول : إنْ لم تصلحْهم السُّنَّة فلا أصلحَهم الله . وكتب إلى سائر البلاد أنْ لا يركبَ ذِمِّيٌّ من اليهود والنصارى(٤) وغيرِهم على سرج ، ولا يلبس قباءً ولا طيلساناً ولا سراويل ذات خَدَمَة(٥) ، ولا يمشينَّ أحدٌ منهم إلا بزُنَّار من جلْد ، وهو مقرون الناصية ، ومن وُجد منهم في منزله سلاحٌ أخذ منه .

وكتب أيضاً أنْ لا يُستعمل على الأعمال إلا أهلُ القرآن ، فإنْ لم يكنْ عندَهم خيرٌ فغيرهم أولى أنْ لا يكون عنده خير .

---

(١) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ٢٠٠) .

(٢) أقحمت النسخة (ب) هنا ما جاء في ص(٣٤) عند قوله : « وقد رئيت له منامات . . » إلى قوله : « رحمه الله » من هذا الجزء .

(٣) أخرجه أبو داود برقم (٤٢٩١) في الملاحم : باب ما يذكر في قرن المئة ، والحاكم (٤/ ٥٢٢) وهو حديث صحيح صححه جمع من العلماء منهم الحافظ العراقي والحافظ ابن حجر .

(٤) ليست كلمة « اليهود » في (ب ، ح) .

(٥) الخَدَمَة : رباط السراويل عند أسفل رجل المرأة ، أو الخلخال . القاموس (خدم) . والخبر في سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص(١٥٩) .

وكان يكتبُ إلى عمَّاله : اجتنبوا الأشغال عند حضورِ الصلوات ، فإنَّ منْ أضاعَها فهو لما سواها من شرائع الإسلام أشدُّ تضييعاً .

وقد كان يكتبُ الموعظةَ إلى العامل من عماله فينخَلِعُ منها ، وربما عزَلَ بعضُهم نفسَه عن العمالة وطوى البلاد من شدَّة ما تقعُ موعظتُه منه ، وذلك أنَّ الموعظة إذا خرجتْ من قلب الواعظ دخلتْ قلبَ الموعوظ[١] . وقد صرَّح كثيرٌ من الأئمة بأنَّ كلَّ من استعمله عمر بن عبد العزيز ثقة ، وقد كتب إليه الحسن البصري بمواعظَ حسان ولو تقصَّينا ذلك لطال به هذا الفصل . ولكن قد ذكرنا ما فيه إشارةٌ إلى ذلك .

وكتب إلى بعض عماله : أما بعد ، فإني أذكِّرك ليلة تمخَّضُ بالساعةِ وصباحُها القيامة ، فيا لها من ليلة ، ويا له من صباح ، ﴿ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴾ [الفرقان : ٢٦] وكتب إلى آخر : أذكِّركَ طولَ سهرِ أهل النار في النار مع خلودِ الأبد ، وإيَّاك أنْ ينصرفَ بك من عند الله ، فيكون آخر العهد بك ، وانقطاع الرجاءِ منك . قالوا : فخلَعَ هذا العاملُ نفسَه من العمالة ، وقدم على عمر فقال له : ما لك ؟ فقال : خلعتَ قلبي بكتابك يا أمير المؤمنين ، والله لا أعودُ إلى ولايةٍ أبداً .

فصـــل

وقد ردَّ جميعَ المظالم كما قدَّمنا[٢] ، حتى إنَّه ردَّ فصَّ خاتم كان في يدِه ، وقال : أعطانيه الوليدُ من غير حقِّه ؛ وخرج من جميع ما كان فيه من النعيم في المَلْبس والمأكل والمتاع ، حتى إنَّه ترك التمتُّع بزوجته فاطمة ، وكانت من أحسن النساء ، وبنت عمه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، ويقال : إنه ردَّ جهازها وما كان من أموالها إلى بيتِ المال ، والله أعلم . وقد كان دخْلُه في كلِّ سنة قبل أن يلي الخلافة أربعين ألف دينار ، فترَك ذلك كلَّه حتى لم يبقَ له دَخْلٌ سوى أربعمئة دينار في كلِّ سنة ، وكان حاصله حين ولي الخلافة ثلاثمئة درهم ، وكان له من الأولاد جماعة ، وكان ابنُه عبدُ الملك أجلَّهم ، فماتَ في حياته في زمن خلافته ، ويقال إنه كان خيراً من أبيه ، فلما مات لم يُظهر عليه حُزناً ، وقال : أمر رضيه الله فلا أكرهه ، وكان قبل الخلافة يؤتى بالقميص الرفيع اللين جداً فيقول : ما أحسنه لولا خشونة فيه ، فلما ولي الخلافة كان بعد ذلك يلبس القميص الغليظ المرقوع ولا يغسله حتى يتسخ جداً ، ويقول : ما أحسنَه لولا لينه . وكان يلبسُ الفروةَ الغليظة ، وكان سراجُه على ثلاث قصبات في رأسهن طين ، ولم يَبن شيئاً

---

(١) في (ب ، ح) : « . . . موعظته منه ، وما ذاك إلا لأنها تخرج من قلب الواعظ فتدخل في قلب الآخر » .

(٢) انظر ص(١٨) من هذا الجزء .

في أيام خلافته ، وكان يخدُم نفسَه بنفسه ، وقال : ما تركتُ شيئاً من الدنيا إلا عوَّضني الله ما هو خيرٌ منه ، وكان يأكل الغليظ من الطعام أيضاً ، ولا يُبالي بشيءٍ من النعيم ، ولا يُتبعه نفسَه ولا يودُّه . حتى قال أبو سليمان الداراني : كان عمر بن عبد العزيز أزهدَ من أويس القَرَني ، لأنَّ عمر ملك الدنيا بحذافيرِها وزَهِد فيها ، ولا ندري حالَ أويسٍ لو ملك ما ملكَهُ عمر كيف يكون ؟ ليس منْ جرّب كمن لم يجرّب .

وتقدَّم[1] قولُ مالك بن دينار كان يقول الناس : مالك زاهد ، إنما الزاهدُ عمر بن عبد العزيز . أتته الدنيا فاغرة فاها فردَّها .

وقال عبدُ الله بن دينار : لم يكنْ عمر يرتزقُ من بيت المال شيئاً ؛ وذكروا أنه أمر جارية تروّحه حتى ينام فروَّحته ، فنامتْ هي ، فأخذ المِرْوحة من يدها وجعل يروِّحُها ويقول : أصابكِ من الحرِّ ما أصابني .

وقال له رجل : جزاك الله عن الإسلام خيراً . فقال : بل جزى الله الإسلام عني خيراً .

ويقال : إنه كان يلبسُ تحت ثيابه مِسْحاً غليظاً من شعر ، ويضع في رقبته غُلاً إذا قام يصلِّي من الليل ، ثم إذا أصبح وضعه في مكان وختم عليه فلا يشعر به أحد ، وكانوا يظنُّونه مالاً أو جوهراً من حِرْصه عليه ، فلما مات فتحوا ذلك المكان فإذا فيه غُلٌّ ومِسْح .

وكان يبكي حتى بكى الدَّمَ مع الدموع ، ويقال : إنه بكى فوق سطح حتى سال دمعُه من الميزاب .

وكان يأكلُ من العدَس ليرقَّ قلبُه ويغزر دمعه ؛ وكان إذا ذُكر الموت اضطربتْ أوصاله .

وقرأ رجلٌ عنده ﴿ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ [الفرقان : ١٣] فبكى بكاءً شديداً ، ثم قام فدخل منزله وتفرَّق الناس عنه .

وكان يُكثر أن يقول : اللهمَّ سلِّمْ سلِّمْ ، وكان يقول : اللهمَّ أصلحْ منْ كان في صلاحِه صلاحٌ لأمة محمد ﷺ ، وأهلِك منْ كان في هلاكه صلاحُ أمةِ محمد ﷺ .

وقال : أفضلُ العبادةِ أداءُ الفرائضِ واجتنابُ المحارم .

وقال : لو أنَّ المرء لا يأمرُ بالمعروف ، ولا ينهى عن المنكر حتى يُحكم أمرَ نفسه لتواكَلَ الناس الخير ، ولذهب الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكر .

ولقلَّ الواعظون والساعون لله بالنصيحة .

وقال : الدنيا عدوَّةُ أولياء الله ، وعدوَّةُ أعداءِ الله ، أمَّا الأولياء فغمَّتهم وأحزنتْهم ، وأمَّا الأعداء فغرَّتْهم وشتَّتَتْهم وأبعدَتْهم عن الله .

---

(١) انظر ص٢١ من هذا الجزء .

وقال : قد أفلح منْ عُصم من المِرَاء والغضَب والطمع .

وقال لرجل : منْ سيِّدُ قومك ؟ قال : أنا . قال : لو كنتَ كذلك لم تقلْه .

وقال : أزهدُ الناس في الدنيا عليُّ بن أبي طالب .

وقال : لقد بورك لعبدٍ في حاجةٍ أكثرَ فيها سؤالَ ربِّه ، أُعطي أو مُنع[١] .

وقال : قيِّدوا العلم بالكتاب .

وقال لرجُل : علِّمْ ولدَك الفقه الأكبر : القناعةَ وكفَّ الأذى . وتكلَّم رجلٌ عنده فأحسن ، فقال : هذا هو السحرُ الحلال .

وقصَّتُه مع أبي حازم مطوَّلةٌ حين رآه خليفةً وقد شَحُبَ وجهُه من التقشُّف : وتغيَّرَ حالُه ، فقال له : ألم يكنْ ثوبُك نقيّاً ؟ ووجهُك وضيّاً ؟ وطعامُك شهيّاً ؟ ومركبك وطيّاً ؟ فقال له : ألم تخبرْني عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إنَّ من ورائكم عقبةً كئوداً لا يجوزها إلَّا كلُّ ضامرٍ مَهْزولٍ » ؟ ثم بكى حتى غُشي عليه . ثم أفاق فذكر أنه لقي في غشيته تلك أنَّ القيامة قد قامتْ ، وقد استُدعي بكلٍّ من الخلفاء الأربعة ، فأُمر بهم إلى الجنة ، ثم ذكر من بينه وبينهم فلم ير ما صُنع بهم ، ثم دُعي هو فأُمِرَ به إلى الجنة ، فلما انفصل لقيه سائلٌ فسأله عما كان من أمره فأخبره ، ثم قال للسائل : فمن أنت ؟ قال : أنا الحجَّاج بن يوسف ، قتلني ربِّي بكلِّ قتلة قتلة ، ثم ها أنا أنتظر ما ينتظره الموحدون[٢] .

وفضائلُه ومآثرُه كثيرةٌ جدّاً . وفيما ذكرنا كفاية ولله الحمد والمنة ، وهو حسبُنا ونعم الوكيل . ولا حول ولا قوة لنا إلا به .

ذكر سبب وفاته رحمه الله

كان سببها السِّلّ ، وقيل : سَبَبُها أنَّ مولًى له سمَّهُ في طعامٍ أو شراب ، وأُعطي على ذلك ألف دينار ، فحصل له بسبب ذلك مرض ، فأخبر أنه مسموم ، فقال : لقد علمتُ يوم سُقيت السُّم ، ثم استدعَى مولاه الذي سقاه ، فقال له : ويحك !! ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : ألفُ دينار أُعطيتها . فقال : هاتها ، فأحضرَها فوضعها في بيت المال ، ثم قال له : اذهبْ حيثُ لا يراك أحد فتهلِك . ثم قيل لعمر : تداركْ نفسَك ، فقال : والله لو أنَّ شفائي أنْ أمسَّ شحمةَ أُذني أو أُوتى بطِيب فأشمَّه ما فعلتُ . فقيل له : هؤلاء بنوك ـ وكانوا اثني عشر ـ ألا تُوصي لهم بشيء فإنهم فقراء ؟ فقال : ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى

---

(١) في (ب ، ح) : « لقد بورك لك في حاجة أكثرت فيها من الدعاء ، أُعطيت أو مُنعت » .

(٢) قصة عمر مع أبي حازم أوردها ابن عساكر في تاريخه ، انظر مختصر ابن منظور (٢٨/ ٢٢٤) في ترجمة أبي حازم .

﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦] والله لا أعطيتُهم حقَّ أحد، وهم بين رجُلَيْن: إمَّا صالح، فالله يتولَّى الصالحين، وإما غير صالح فما كنتُ لأعينَه على فسقه.

وفي رواية: فلا أبالي في أيِّ وادٍ هلكَ. وفي رواية: أفأدعُ له ما يستعينُ به على معصيةِ الله فأكونَ شريكه فيما يعملُ بعد الموت؟ ما كنتُ لأفعل. ثم استدعى بأولاده فودَّعهم وعزَّاهم بهذا، وأوصاهم بهذا الكلام ثم قال انصرفوا عصمَكم الله وأحسنَ الخلافةَ عليكم. قال: فلقد رأينا بعضَ أولادِ عمر بن عبد العزيز يحملُ على ثمانين فرس في سبيل الله، وكان بعضُ أولادِ هشام بن عبد الملك ـ مع كثرةِ ما ترك لهم من الأموال ـ يتعاطى ويسأل من أولاد عمر بن عبد العزيز، لأنَّ عمر وكَلَ ولدَهُ إلى الله عزَّ وجلَّ، وهشام وغيرُه إنما يكِلُون أولادَهم إلى ما يدَعُون لهم، فيضيعون وتذهب أموالُهم في شهواتِ أولادِهم[١].

وقال يعقوبُ بن سفيان[٢]: حدّثنا أبو النعمان حدّثنا حمَّاد بن زيد، عن أيوب قال: قيل لعمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين لو أتيتَ المدينة، فإنْ قضَى الله موتاً كنت موضعَ[٣] القبرِ الرابع مع رسول الله ﷺ وأبي بكرٍ وعمر. فقال: والله لأنْ يعذِّبني الله بكلِّ عذاب، إلا النار، فإنَّه لا صبر لي عليها، أحبُّ إليَّ من أنْ يعلم الله من قلبي أني لذلك الموضع أهل.

قالوا: وكان مرضُه بدير سَمْعان من قرى حمص وكانت مدة مرضه عشرين يوماً، ولما احتضر قال: أجلسوني، فأجلسوه فقال: إلَهي أنا الذي أمرتني فقصَّرت، ونهيتني فعصَيْت ـ ثلاثاً ـ ولكن لا إله إلا الله، ثم رفع رأسه فأحدَّ النظر، فقالوا: إنك لتنظر نظراً شديداً يا أمير المؤمنين، فقال: إني لأرى حضرة ما هم بإنسٍ ولا جان، ثم قبض من ساعته[٤].

وفي رواية أنه قال لأهله: اخرجوا عني، فخرجوا وجلس على الباب مسلمةُ بن عبد الملك وأخته فاطمة، فسمعوه يقول: مرحباً بهذه الوجوه التي ليستْ بوجوه إنسٍ ولا جانٍ ثم قرأ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣] ثم هدأ الصوت، فدخلوا عليه فوجدوه قد غُمض وُسوِّي إلى القِبلة وقُبض[٤].

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: حدّثنا عبد الملك بن عبد العزيز، عن الدَّرَاوَرْديّ، عن عبد العزيز بن أبي سَلَمة، أنَّ عمرَ بن عبد العزيز لما وضع عند قبره هبَّتْ ريح شديدة فسقطت صحيفة بأحسن كتاب،

---

(١) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ٢٠٣، ٢٠٤).
(٢) المعرفة والتاريخ (١/ ٦٠٨) وساقه ابن عساكر عنه في تاريخه (٦٥/ ٢٠٤، ٢٠٥).
(٣) في (ق): «دفنت في القبر»، وفي تاريخ ابن عساكر «دفنت موضع القبر»، والمثبت من (ب، ح).
(٤) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ٢٠٦).

فقرؤوها ، فإذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، براءةٌ من الله لعمرَ بن عبد العزيز من النار . فأدخلوها بين أكفانه ودفنوها معه[١] .

وقد روي نحو هذا من وجهٍ آخر[٢] .

وروى ابنُ عساكر في ترجمة عبد الصمد بن إسماعيل[٣] بسنده عن عُمير بن حُباب السُّلَمي[٤] ، قال : أُسرتُ أنا وثمانية في زمن بني أميَّة ، فأمر ملك الروم بضرْب رقابِنا ، فقُتل أصحابي وشفع فيَّ بطريقٌ من بطارقةِ الملك ، فأطلقني له ، فأخذني إلى منزله ، وإذا له ابنةٌ مثل الشمس ، فعرَضها عليَّ وعلى أنْ يقاسمني نعمتَه وأدخل معه في دينه ، فأبيت ، وخلَتْ بي ابنتُه ، فعرَضتْ نفسَها عليَّ فامتنعتُ ، فقالت : ما يمنعُكَ من ذلك ؟ فقلت : يمنعني ديني ، فلا أترك ديني لامرأةٍ ولا لشيء . فقالت : تريدُ الذهابَ إلى بلادك ؟ قلت : نعم ، فقالت : سرْ على هذا النجم بالليل واكمُنْ بالنهار ، فإنَّه يلقيك[٥] إلى بلادك . قال : فسرتُ كذلك ، قال فبينا أنا في اليوم الرابع مُكْمنٌ إذا بخيلٍ مقبلة فخَشيتُ أنْ تكون في طلبي ، فإذا أنا بأصحابي الذين قُتلوا معهم آخرون على دوابَّ شُهب ، فقالوا : عمير ؟ فقلت : عمير . فقلت لهم : أو ليس قد قُتلتم ؟ قالوا : بلى ، ولكن الله عزَّ وجلَّ نشر الشهداء وأذِنَ لهم أن يشهدوا جنازةَ عمرَ بنِ عبد العزيز . قال : ثم قال لي بعضُهم : ناولْني يدَك يا عُمير . فأردفَني ، فسرْنا يسيراً ثم قذف بي قذفةً وقعتُ قربَ منزلي بالجزيرة ، من غير أن يكون لحقني شرّ .

وقال رجاء بن حَيْوة : كان عمر بن عبد العزيز قد أوصى إليَّ أنْ أغسِّله وأكفِّنه وأدفنه ، فإذا حللتُ عقدةَ الكفَن أن أنظر في وجهه قال : ففعلتُ فإذا وجهه مثل القراطيس بياضاً ، وكان قد أخبرني أنه دفن ثلاثة من الخلفاء فيحلُّ عن وجوههم فإذا هي مسودَّةٌ[٦] .

وروى ابن عساكر في ترجمة يوسف بن ماهك[٧] قال : بينما نحن نسوِّي الترابَ على قبر عمر بن عبد العزيز إذْ سقط علينامن السماء كتاب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم : أمانٌ من الله لعمر بن عبد العزيز

---

(١) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ٢٠٩) .

(٢) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ٢٠٩ ، ٢١٠) .

(٣) تاريخ ابن عساكر (٤٢/ ٢٦١) ، وأورده ابن عساكر أيضاً في ترجمة عمير بن الحباب السلمي أيضاً ، انظر المختصر (١٩/ ٣٢٧) .

(٤) في (ق ، ب ، ح) : « عمير بن حبيب السلمي » ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر .

(٥) في تاريخ ابن عساكر ترجمة عبد الصمد « يبلغك » ، وفي ترجمة عمير « يلقيك » كما هنا .

(٦) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ٢٠٧) .

(٧) ترجمة يوسف بن ماهك في المختصر من تاريخ ابن عساكر لابن منظور ، والخبر فيه (٢٨/ ٩٢) .

من النار . ساقه من طريق إبراهيم بن بشار عن عباد بن عمرو عن محمد بن يزيد البصري عن يوسف بن ماهك . . . فذكره ؛ وفيه غرابة شديدة والله أعلم .

وقد[١] رُئيتْ له منامات صالحة ، وتأسَّف عليه الخاصَّةُ والعامَّة ، لا سيما العلماء والزهاد والعباد ، ورثاه الشعراء ، فمن ذلك ما أنشده أبو عمرو الشيباني لكُثَيِّر عزَّة يرثي عمر :

عمَّتْ صنائعُهُ فعمَّ هلاكُهُ ... فالناسُ فيهِ كلُّهمْ مأجورُ
والناسُ مأتمهمْ عليهِ واحدٌ ... في كلِّ دارٍ رَنَّةٌ وزفيرُ
يُثني عليكَ لسانُ منْ لم توله ... خيراً لأنَّكَ بالثناءِ جديرُ
ردَّتْ صنائعُهُ عليه حياتَهُ ... فكأنَّهُ منْ نشرها منشورُ

وقال جرير[٢] يرثي عمرَ بن عبد العزيز رحمه الله :

يَنْعى النعاةُ أميرَ المؤمنينَ لنا ... يا خيرَ منْ حجَّ بيتَ اللهِ واعتمرا
حُمِّلتَ أمراً عظيماً فاضطلعتَ بهِ ... وسرتَ فيهِ بأمرِ اللهِ يا عمرا
الشمسُ كاسفةٌ ليستْ بطالعةٍ ... تبكي عليكَ نجومُ الليلِ والقمرا[٣]

وقال محاربُ بن دِثَار رحمه الله يَرثي عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى :

لو أعظمَ الموتُ خلقاً أن يواقعهُ ... لعدلِه لمْ يصبكَ الموتُ يا عمر
كمْ منْ شريعةِ عَدْلٍ قدْ نعشتَ لهم ... كادَتْ تموتُ وأخرى منكَ تنتظرُ
يا لهفَ نفسي ولهفَ الواجدينَ معي ... على العُدولِ التي تغتالها الحفرُ
ثلاثةٌ ما رأتْ عيني لهم شبهاً ... تضمُّ أعظُمَهم في المسجدِ الحُفَرُ
وأنتَ تتبعهمْ لمْ تألُ مجتهداً ... سقياً لها سننٌ بالحقِّ تُفْتقرُ
لوْ كنتُ أملكُ والأقدارُ غالبةٌ ... تأتي رواحاً وتبياناً وتبتكرُ
صرفتُ عن عمر الخيراتِ مصرعَهُ ... بديرِ سمعانَ لكنْ يغلِبُ القدَرُ[٤]

قالوا : وكانت وفاته بدَيْر سَمْعان من أرضِ حمص ، يوم الخميس ، وقيل الجمعة لخمس مضَيْن ، وقيل بقينَ من رجب ، وقيل لعشر بقينَ منه ، سنة إحدى وقيل ثنتين ومئة . وقال الهيثم بن عدي : توفي في جمادى سنة ثنتين ومئة ، وصلَّى عليه ابنُ عمه مَسْلمة بنُ عبد الملك ؛ وقيل : صلى عليه يزيد بن

(١) انظر ص(٢٨) ح (٢) من هذا الجزء .
(٢) ديوان جرير ص(٣٠٤) .
(٣) في (ب ، ح) : الشمس طالعة ليست بطالعة ، والمثبت من الديوان وتاريخ ابن عساكر (٥٤/ ٢١٢) .
(٤) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ٢١٣) .

عبد الملك ؛ وقيل : ابنُه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وكان عمره يومَ مات تسعاً وثلاثين سنة وأشهراً ، وقيل إنه جاوز الأربعين بأشهر ، وقيل بسنة . وقيل بأكثر ، وقيل إنه عاش ثلاثاً وثلاثين سنة[١] ، وقيل ستاً وثلاثين ، وقيل سبعاً وثلاثين ، وقيل ثمانياً وثلاثين سنة ، وقيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين ولم يبلغْها .

وقال أحمد عن عبد الرزاق عن معمر : مات على رأس خمسٍ وأربعين سنة . قال ابن عساكر[٢] : وهذا وهم ، والصحيح الأول ، تسعاً وثلاثين سنة وأشهراً . وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام ، وقيل أربعة عشر يوماً ، وقيل سنتان ونصف .

وكان رحمه الله أسمر ، دقيقَ الوجه حسنهُ ، نحيفَ الجسم ، حسنَ اللحية ، غائرَ العينين ، بجبهته أثرُ شجَّة وكان قد شابَ وخضب رحمه الله[٣] ، والله سبحانه أعلم[٤] .

---

(١) في (ق) : « ثلاثاً وستين » ، وهو تحريف ، والمثبت من (ب ، ح) وتاريخ ابن عساكر ، وانظر رواياته المختلفة في ذلك (٥٤/ ٢١٣ ـ ٢٢٠) .

(٢) في تاريخه (٥٤/ ٢٢٠) .

(٣) انظر ص(٢٨) ح (٢) من هذا الجزء .

(٤) ذكر في (ق) هنا فصل ليس في (ب ، ح) إلى خلافة يزيد بن عبد الملك ص(٢١٩) ، ويرجح أن يكون مقحماً في الكتاب ، ففيه أيضاً سبق إيرادها بألفاظ مقاربة ، وفيه قرائن تدل على أنه ليس لابن كثير كقوله عقيب الخبر الأول : « ذكره ابن أبي الدنيا وأبو نعيم وغيرهما وقد أشار إليه المؤلف إشارة خفية » لذلك جعلناه في الحاشية .

فصل

لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة جاءه صاحبُ الشُّرْطة ليسيرَ بين يديه بالحَرْبة على عادته مع الخلفاء قبله ، فقال له عمر : مالي ولك ؟ تنحَّ عنِّي ، إنما أنا رجلٌ من المسلمين . ثم سار وساروا معه حتى دخل المسجد ، فصعِد المنبر واجتمع الناس إليه فقال : أيها الناس ! إني قد ابتُليت بهذا الأمر عن غير رأي كان مني فيه ، ولا طلبة له ، ولامشورةٍ من المسلمين ، وإني قد خلعتُ ما في أعناقكم من بيعتي ، فاختاروا لأنفسكم ولأمركم من تريدون . فصاح المسلمون صيحة واحدة : قد اخترناك لأنفسنا وأمرنا ، ورضينا كلُّنا بك . فلما هدأتْ أصواتُهم حمِدَ الله وأثنى عليه وقال : أوصيكم بتقوى الله ، فإنَّ تقوى الله خلَفٌ من كلِّ شيء ، وليس من تقوى الله خلف ، وأكثروا من ذكر الموت ، فإنَّه هاذمُ اللذات ، وأحسنوا الاستعداد له قبل نزوله ، وإنَّ هذه الأمة لم تختلفْ في ربها ولا في كتابها ولا في نبيها ، وإنما اختلفوا في الدينارِ والدرهم ، وإني والله لا أُعطي أحداً باطلاً ، ولا أمنعُ أحداً حقاً . ثم رفع صوته فقال : أيها الناس ! منْ أطاع الله وجبَتْ طاعته ، ومنْ عصَى الله فلا طاعة له ، أطيعوني ما أطعتُ الله ، فإذا عصيتُ الله فلا طاعة لي عليكم . ثم نزل فدخل فأمر بالستور فهُتِكت ، والثياب التي كانت تُبسط للخلفاء أمر بها فبيعت ، وأدخل أثمانها في بيت المال ، ثم ذهب يتبوَّأ مقيلاً ، فأتاه ابنُه عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، ماذا تريد أن تصنع ؟ قال : يا بني أقيل ، قال : تُقيل ولا تردُّ المظالم إلى أهلها ؟ فقال : إني سهرتُ البارحة في أمر سليمان ، فإذا صلَّيتُ الظهر رددتُ المظالم . فقال له ابنه : ومَنْ لك أن تعيش إلى الظهر ؟ قال : ادْنُ منِّي أي بُني . فدنا منه فقبَّلَ بين عينيه وقال : الحمد لله الذي أخرجَ من صُلْبي مَنْ يُعينني على ديني . ثم قام وخرج وترك القائلة ، وأمر مناديهُ فنادَى : ألا منْ كانتْ له مَظْلمةٌ فليرفَعْها . فقام إليه رجل ذِمِّيٌّ من أهل حمص فقال : يا أمير المؤمنين أسألك=

. . . .

= كتابَ الله . قال : ما ذاك ؟ قال : العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي . والعباسُ جالس ، فقال له عمر : يا عباس ما تقول ؟ قال : نعم ! أقطعَنيها أميرُ المؤمنين الوليد ، وكتب لي بها سجلاً ، فقال عمر : ما تقول يا ذِمّي ؟ قال : يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله تعالى . فقال عمر : نعم كتاب الله أحقُّ أن يُتَّبع من كتاب الوليد ، قم فارْدُدْ عليه ضيعتَه . فردَّها عليه .

ثم تتابع الناس في رفع المظالم إليه ، فما رُفعت إليه مظلِمة إلا ردَّها ، سواء كانتْ في يده أو في يدِ غيره حتى أخذ أموالَ بني مروانَ وغيرهم ، مما كان في أيديهم بغير استحقاق ، فاستغاث بنو مروان بكلِّ واحدٍ من أعيان الناس ، فلم يُفدْهم ذلك شيئاً ، فأتَوْا عمتهم فاطمة بنت مروان ـ وكانت عمَّته ـ فشكَوْا إليها ما لَقُوا من عمر ، وأنه قد أخذ أموالهم ويُستنقصون عنده ، وأنه لا يرفع بهم رأساً ، وكانت هذه المرأة لا تُحجبُ عن الخلفاء ، ولا تُردُّ لها حاجة ، وكانوا يكرمونها ويعظِّمونها ، وكذلك كان عمر يفعل معها قبل الخلافة ، وقامَتْ فركبت إليه ، فلما دخلتْ عليه عظَّمها وأكرمها ، لأنها أختُ أبيه ، وألقى لها وسادة ، وشرع يحادثُها ، فرآها غضبى وهي على غير العادة ، فقال لها عمر : يا عمَّة ، ما لك ؟ فقالت : بنو أخي عبد الملك وأولادهم يُهانون في زمانك وولايتك ؟ وتأخذ أموالهم فتعطيها لغيرهم ، ويُسبُّون عندك فلا تُنكر ؟ فضحك عمر وعلم أنها متحمّلة ، وأنَّ عقلها قد كبر ، ثم شرع يحادثها والغضب لا يتحيز عنها ، فلما رأى ذلك أخذ معها في الجدّ ، فقال : يا عمَّة ! اعلمي أنَّ النبيَّ ﷺ ماتَ وترك الناس على نهرٍ مَوْرود ، فوليَ ذلك النهر بعده رجلٌ فلم يستنقِصْ منه شيئاً حتى مات ، ثم ولي ذلك النهر بعد ذلك الرجل رجلٌ آخر ، فلم يستنقص منه شيئاً حتى مات ، ثم ولي ذلك النهر رجلٌ آخر ، فكَرى منه ساقية ، ثم لم يزلِ الناسُ بعده يكرون السواقيَ حتى تركوه يابساً لا قطرةً فيه ، وايم الله لئن أبقاني الله لأردَّنه إلى مجراهُ الأول ، فمنْ رضي فله الرضا ، ومن سَخِطَ فله السخط ، وإذا كان الظلم من الأقارب الذين هم بِطانةُ الوالي ، والوالي لا يُزيل ذلك ، فكيف يستطيعُ أنْ يُزيل ما هو ناءٍ عنه في غيرهم ؟ فقالت : فلا يُسبُّوا عندك ؟ قال : ومنْ يسبُّهم ؟ إنما يرفع الرجل مظلِمته فآخذ له بها .

ذكر ذلك ابنُ أبي الدنيا وأبو نُعيم وغيرُهما ، وقد أشار إليه المؤلف إشارةً خفية .

وقال مسلمة بن عبد الملك : دخلتُ على عمر في مرضه فإذا عليه قميصٌ وسخ ، فقلت لفاطمة : ألا تغسلُوا قميصَ أميرِ المؤمنين ؟ فقالت : والله ماله قميص غيره ، وبكى فبكتْ فاطمة فبكى أهلُ الدار ، لا يَدري هؤلاء ما أبكى هؤلاء ، فلما انجلَتْ عنهمُ العَبْرة قالت فاطمة : ما أبكاك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إني ذكرتُ منصرَفَ الخلائق من بين يدي الله ، فريقٌ في الجنة ، وفريقٌ في السعير ، ثم صرخ وغُشيَ عليه .

وعُرض عليه مرَّة مِسْكٌ من بيتِ المال فسدَّ أنفه حتى وضع ، فقيل له في ذلك فقال : وهل ينتفع من المسك إلا بريحه ؟ ولما احتُضر دعا بأولاده وكانوا بضعة عشر ذكراً ، فنظر إليهم فذرفت عيناه ثم قال : بنفسي الفتية . وكان عمر بن عبد العزيز يتمثل كثيراً بهذه الأبيات :

يُرى مستكيناً وهوَ للقولِ ماقتُ ... بهِ عن حديثِ القوم ما هوَ شاغلُهْ
وأزعجَه علمٌ عنِ الجهلِ كلِّهِ ... وما عالمٌ شيئاً كمَنْ هو جاهلُهْ
عبوسٌ عنِ الجُهَّالِ حينَ يراهمُ ... فليسَ له منهمْ خدينٌ يهازلُهْ
تذكَّرَ ما يبقى منَ العيشِ فارعَوى ... فأشغلهُ عنْ عاجلِ العيشِ آجلُهْ

وروى ابنُ أبي الدنيا عن ميمون بن مِهْران قال : دخلتُ على عمر بنِ عبد العزيز وعنده سابقٌ البَرْبري وهو ينشدُه شعراً ، فانتهى في شعره إلى هذه الأبيات :

فكمْ من صحيحٍ باتَ للموتِ آمناً ... أتَتْهُ المنايا بغتةً بعدما هجَعْ =

فلمْ يستطعْ إذ جاءهُ الموتُ بغتةً ... فِـراراً ولا منـهُ بقـوَّتـهِ امتنَـعْ
فـأصبـحَ تبكيـهِ النسـاءُ مقنَّعـاً ... ولا يسمعُ الداعي وإنْ صوتهُ رفَعْ
وقُـرِّب مـن لحـدٍ فصـارَ مَقِيلـهُ ... وفارقَ ما قدْ كان بالأمسِ قدْ جمَعْ
فـلا يتـركُ المـوتُ الغنـيَّ لمـالـهِ ... ولا مُعْدِماً في المالِ ذا حاجةٍ يدعْ

وقال رجاء بن حيوة : لما مات أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وقام يزيدُ بن عبد الملك بعده في الخلافة ، أتاه عمر بن الوليد بن عبد الملك فقال ليزيد : يا أمير المؤمنين ! إنَّ هذا المُرائي ـ يعني عمرَ بن عبد العزيز ـ قد خان من المسلمين [جمع] كل ما قدر عليه من جوهرٍ نفيس ، ودر ثمين ، في بيتين في داره مملوءين ، وهما مقفولان على ذلك الدر والجوهر . فأرسل يزيدُ إلى أخته فاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر : بلغني أن عمر خلَّف جوهراً ودُرّاً في بيتينِ مقفولين . فأرسلت إليه : يا أخي ما ترك عمر من سَبَدٍ ولا لَبَد ، إلا ما في هذا المنديل . وأرسلتْ إليه به ، فحلَّه فوجد فيه قميصاً غليظاً مرقوعاً ، ورداءً قِشبا ، وجُبَّة محشوَّة غليظة واهية البطانة . فقال يزيد للرسول : قلْ لها : ليس عن هذا أسأل ، ولا هذا أريد ، إنما أسأل عما في البيتين . فأرسلتْ تقول له : والذي فجعني بأمير المؤمنين ما دخلتُ هذين البيتين منذُ ولي الخلافة ، لعلمي بكراهته لذلك ، وهذه مفاتيحُهما فتعال فحوِّلْ ما فيهما لبيت مالك . فركب يزيد ومعه عمر بن الوليد حتى دخل الدار ففتح أحد البيتين فإذا فيه كرسيٌّ من أدَم ، وأربع آجُرَّات مبسوطاتٌ عند الكرسي ، وقُمْقُم . فقال عمر بن الوليد : أستغفر الله . ثم فتح البيت الثاني فوجَدَ فيه مسجداً مفروشاً بالحصا ، وسلسلةً معلقة بسقف البيت ، فيها كهيئةِ الطَّوْق بقدر ما يدخل الإنسان رأسه فيها إلى أن تبلغ العنق ، كان إذا فتر عن العبادة أو ذكر بعض ذنوبه وضعها في رقبته ، وربما كان يضعُها إذا نَعَس لئلا ينام ، ووجدوا صندوقاً مقفلاً ، ففتح فوجدوا فيه سفطا ففتحه فإذا فيه دُرَّاعه وتُبَّان ، كلُّ ذلك من مُسوحٍ غليظ ، فبكى يزيد ومنْ معه وقال : يرحمك الله يا أخي ، إنْ كنتَ لنقيَّ السَّريرة ، نقيَّ العلانية . وخرج عمر بن الوليد وهو مخذول وهو يقول : أستغفر الله . إنما قلت ما قيل لي .

وقال رجاء : لما احتُضر جعلٍ يقول : اللهم رضِّني بقضائك ، وبارك لي في قدَرِك ، حتى لا أحبَّ لما عجَّلتَ تأخيراً ، ولا لما أخَّرتَ تعجيلاً . فلا زال يقول ذلك حتى مات . وكان يقول : لقد أصبحتُ ومالي في الأمور هَوىً إلا في مواضع قضاء الله فيها .

وقال شُعيب بن صفوان : كتب سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب إلى عمر بنِ عبد العزيز لما ولي الخلافة . أما بعد يا عمر ، قد وَلي الخلافةَ والملكَ قبلك أقوامٌ ، فماتوا على ما قد رأيت ، ولقُوا الله فُرادى بعدَ الجموع والحفدة والحشَم ، وعالجوا نَزْعَ الموت الذي كانوا منه يفرُّون ، فانفقأتْ أعينهم التي كانت لا تفتأ تنظر لذاتها ، واندفنتْ رقابهم غيرَ موسَّدين بعدَ لين الوسائد ، وتظاهر الفرش والمرافق والسُّرُر والخدَم ، وانشقَّتْ بطونُهم التي كانت لا تشبع من كلِّ نوع ولَوْنٍ من الأموال والأطعمة ، وصاروا جيفاً بعد طيبِ الروائح العطِرة ، حتى لو كانوا إلى جانبِ مسكينٍ ممن كانوا يحقرونه وهم أحياء لتأذَّى بهم ، ولنفر منهم ، بعد إنفاق الأموال على أغراضهم من الطيب والثيابِ الفاخرة اللينة ، كانوا يُنفقون الأموالَ إسرافاً في أغراضهم وأهوائهم ، ويقتِّرون في حقِّ الله وأمره ، فإنِ استطعتَ أنْ تلقاهم يوم القيامة وهم محبوسون مرتهَنون بما عليهم ، وأنت غير محبوس ولا مرتهنٍ بشيءٍ فافعل ، واستعنْ بالله ولا قوة إلا بالله سبحانه .

ومـا مَلِـكٌ عمـا قليـل بسـالـمٍ ... ولـو كثـرتْ أحـراسُـهُ ومـواكبُـهْ
ومنْ كان ذا بابٍ شديدٍ وحاجبٍ ... فعمـا قليـل يَهْجُـرُ البـابَ حـاجبُـه
وما كانَ غيرُ الموتِ حتى تفرقتْ ... إلـى غيـرِهِ أعـوانُـه وحبـائبـهُ

. . . .

=

فأصبحَ مسروراً به كلُّ حاسدٍ   وأسلمَهُ أصحابُهُ وحبائبُهُ

وقيل : إنَّ هذه الأبيات لغيره .

وقال ابنُ أبي الدنيا في كتاب الإخلاص : حدثنا عاصم بن عامر حدّثنا أبي عن عبد ربّه بن أبي هلال عن ميمون بن مِهران قال : تكلَّمَ عمر بن عبد العزيز ذات يوم وعنده رَهْطٌ من إخوانه ، ففتح له منطق وموعظة حسنة ، فنظر إلى رجلٍ من جلسائه ، وقد ذرَفَتْ عيناه بالدموع ، فلما رأى ذلك عمر قطع منطقه ، فقلت له : يا أمير المؤمنين امضِ في موعظتك ، فإني أرجو أن يمنَّ الله به على منْ سمعه أو بلغه . فقال إليك عني يا أبا أيوب ، فإنَّ في القول على الناس فتنة لا يخلص من شرها متكلِّمٌ عليهم ، والفَعَال أولى بالمؤمن من المقال . وروى ابنُ أبي الدنيا عنه أنه قال : استعملنا أقواماً كنا نرى أنهم أبرار أخيار ، فلما استعملناهم إذا هم يعملون أعمالَ الفجّار ، قاتلهم الله ، أما كانوا يمشون على القبور !!

وروى عبد الرزاق قال : سمعتُ مَعمراً يذكر قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عَديٍّ بن أرطاة ـ وبلغه عنه بعضُ ما يكره ـ : أما بعد فإنه غرَّني بك مجالستك القرّاء ، وعمامتك السوداء ، وإرسالك إياها من وراءِ ظهرك ، وإنك أحسنتَ العلانية فأحسَنَّا بك الظن ، وقد أطلعنا الله على كثيرٍ مما تعملون .

وروى الطبرانيّ والدارَقطنيّ وغيرُ واحدٍ من أهل العلم بأسانيدِهم إلى عمرَ بن عبد العزيز أنه كتب إلى عامل له : أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله واتباعِ سنةِ رسوله ، والاقتصاد في أمره ، وترك ما أحدث المُحدثون بعده . ممن قد حارب سُنَّته ، وكُفوا مؤنته ، ثم اَعلَمْ أنه لم تكنْ بدعةٌ إلا وقد مضى قبلَها ما هو دليلٌ على بُطلانها ـ أو قال دليلٌ عليها ـ فعليك لزومَ السنة ، فإنه إنما سنَّها منْ قد علم ما في خلافها من الزَّيغ والزلل ، والحُمق والخطأ والتعمُّق ، ولهم كانوا على كشف الأمور أقوى ، وعلى العمل الشديد أشدّ ، وإنما كان عملهم على الأسدّ ، ولو كان فيما تحملون أنفسكم فضل لكانوا فيه أحرى ، وإليه أجرى ، لأنهم السابقون إلى كلِّ خير ، فإن قلت : قد حدث بعدهم خير ، فاعلم أنه إنما أحدثه منْ قدِ اتبع غيرَ سبيلِ المؤمنين ، وحادَ عن طريقهم ، ورغبت نفسُه عنهم ، ولقد تكلَّموا منه ما يكفي ، ووصفوا منه ما يشفي ، فأين لا أين ، فمن دونهم مقصّر ، ومن فوقهم غير مُحسن ، ولقد قصَّر أقوامهم دينهم فحُفُّوا ، وطمحَ عنهم آخرون فغَلَوْا ، فرحم الله ابنَ عبد العزيز . ما أحسنَ هذا القول الذي ما يخرجُ إلا من قلب قد امتلأ بالمتابعة ! ومحبَّة ما كان عليه الصحابة ! فَمنِ الذي يستطيعُ أنْ يقولَ مثل هذا من الفقهاء وغيرهم ؟ فرحمه الله وعفا عنه .

وروى الخطيبُ البغدادي من طريق يعقوبَ بنِ سفيان الحافظ عن سعيد بن أبي مريم عن رشيد بن سعيد قال : حدّثني عقيل عن شهاب عن عمر بن عبد العزيز . قال : سنَّ رسولُ الله ﷺ وخلفاؤه بعدهُ سُنناً ، الأخذُ بها تصديقٌ لكتاب الله ، واستعمالٌ لطاعة الله ، ليس على أحد تغييرُها ولا تبديلُها ، ولا النظر في رأي منْ خالفها ، فمنِ اقتدَى بما سبق هُدي ، ومنِ استبصر بها أبصر ، ومنْ خالفَها واتَّبع غيرَ سبيلِ المؤمنين ولاّه الله ما تولَّى ، وأصلاه جهنَّم وساءتْ مصيراً .

وأمر عمر بن عبد العزيز مناديَهُ ذاتَ يوم فنادَى في الناس : الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فخطبَهم ، فقال في خطبته : إني لم أجمعْكم إلا أنَّ المصدِّق منكم بما بين يديه من لقاء الله والدار الآخرة ولم يعمل لذلك ويستعدَّ له أحمق ، والمكذِّب له كافر . ثم تلا قوله تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ﴾ [فصلت : ٥٤] وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٦] .

وروى ابنُ أبي الدنيا عنه أنه أرسل أولادَه مع مؤدِّبٍ لهم إلى الطائف يعلِّمهم هناك ، فكتب إليه عمر : بئس ما علَّمت ، إذ قدَّمت إمام المسلمين صبياً لم يعرفِ النية ـ أو لم تدخله النية ـ ذكره في كتاب النية له .

=

= وروى ابنُ أبي الدنيا في كتاب « الرقة والبكاء » عن مولًى لعمر بن عبد العزيز أنه قال له : يا بني ، ليس الخير أنْ يُسمع لك وتُطاع ، وإنما الخير أن تكون غفَلْتَ عن ربك عزَّ وجلَّ ثم أطعتَه ، يا بني لا تأذنِ اليومَ لأحدٍ عليَّ حتى أصبح ويرتفع النهار ، فإني أخافُ أنْ لا أعقِل عن الناس ولا يفهمون عنِّي . فقال له مولاه : رأيتُك البارحة بكيتَ بكاءً ما رأيتُك بكيتَ مثلَه ، قال فبكى ثم قال : يا بني إني والله ذكرتُ الوقوفَ بين يدي الله عزَّ وجلَّ . قال : ثم غُشي عليه فلم يُفقْ حتى علا النهار ، قال : فما رأيتُه بعد ذلك متبسماً حتى مات .

وقرأ ذات يوم : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا ﴾ [يونس : ٦١] الآية ؛ فبكى بكاءً شديداً حتى سمعه أهلُ الدار ، فجاءتْ فاطمة فجلسَتْ تبكي لبكائه ، وبكى أهلُ الدار لبكائهما ، فجاء ابنه عبد الملك فدخل عليهم وهم على تلك الحال ، فقال له : يا أبة ما يبكيك ؟ فقال : يا بني خير ، ودَّ أبوك أنه لم يعرِف الدنيا ولم تعرفه ، والله يا بني لقد خَشيتُ أنْ أهلِكَ وأنْ أكون من أهلِ النار .

وروى ابن أبي الدنيا عن عبد الأعلى بن أبي عبد الله العنبري ، قال : رأيتُ عمر بن عبد العزيز خرج يوم الجمعة في ثياب دسمة ، ووراءه حبشي يمشي ، فلما انتهى إلى الناس رجَعَ الحبشي ، فكان عمر إذا انتهى إلى الرجلين قال : هكذا رحمكما الله ، حتى صعد المنبر ، فخطَب فقرأ : ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ [التكوير : ١] فقال : وما شأنُ الشمس ﴿ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾ [التكوير : ١٢ ـ ١٣] فبكى وبكى أهلُ المسجد ، وارتجَّ المسجد بالبكاء ، حتى رأيت حيطانَ المسجد تبكي معه .

ودخل عليه أعرابي فقال : يا أمير المؤمنين جاءت بي إليك الحاجة ، وانتهيتُ إلى الغاية ، والله سائلك عني . فبكى عمر وقال له : كم أنتم ؟ فقال : أنا وثلاثُ بنات . ففرض له على ثلاثمئة ، وفرض لبناته مئة مئة ، وأعطاه مئة درهم من ماله ، وقال له : اذهبْ فاستنفِقْها حتى تخرج أعطياتُ المسلمين فتأخذ معهم .

وجاءه رجل من أهلِ أذْرَبيجان فقام بين يديه وقال : يا أمير المؤمنين اذكرْ بمقامي هذا بين يديك مقامَك غداً بين يدي الله ، حيث لا يشغلُ الله عنك فيه كثرةُ منْ يخاصمُ ، من يومٍ تلقاه بلا ثقةٍ من العمل ، ولا براءةٍ من الذنب ، قال : فبكى عمر بكاءً شديداً ثم قال له : ما حاجتك . فقال : إنَّ عاملك بأذْرَبيجانَ عَدَا عليَّ فأخذ مني اثني عشرَ ألفَ درهم فجعلها في بيت المال . فقال عمر : اكتبوا له الساعةَ إلى عاملها ، فليردَّ عليه . ثم أرسله مع البريد .

وعن زياد مولى ابنِ عياش قال : دخلتُ على عمر بن عبد العزيز في ليلة باردةٍ شاتية ، فجعلتُ أصطلي على كانونٍ هناك ، فجاء عمر ـ وهو أمير المؤمنين ـ فجعل يصطلي معي على ذلك الكانون ، فقال لي : يا زياد ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : قصَّ عليّ ، قلت : ما أنا بقاصّ . فقال : تكلَّمْ . فقلت : زياد . فقال : ما له . فقلت : لا ينفعه منْ دخل الجنة إذا دخلَ النار ، ولا يضرُّه منْ دخل النار إذا دخل الجنة . فقال : صدقت ، ثم بكى حتى أطفأ الجمر الذي في الكانون .

وقال له زياد العَبْدي : يا أميرَ المؤمنين لا تعملْ نفسك في الوصف واعملْها في المخرج مما وقعت فيه ، فلو أنَّ كل شعرةٍ فيك نطقَتْ بحمد الله وشكره والثناءِ عليه ما بلغتَ كنه ما أنتَ فيه . ثم قال له زياد : يا أمير المؤمنين أخبرْني عن رجلٍ له خَصْمٌ ألدّ ما حاله ؟ قال : سيِّىء الحال . قال : فإنْ كانا خصمَيْن ألدَّين ؟ قال : فهو أسوأ حالاً ، قال : فإنْ كانوا ثلاثة ؟ قال : ذاك حيث لا يهنته عيش . قال : فوالله يا أمير المؤمنين ما أحدٌ من أمة محمدٍ ﷺ إلا وهو خصمك . قال : فبكى عمر حتى تمنَّيت أني لم أكن حدثته ذلك .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عديٍّ بن أرطاة وأهل البصرة : أما بعد فإن من الناس من شاب في هذا الشراب ، ويغشون عنده أموراً انتهكوها عند ذهاب عقولهم ، وسفه أحلامهم ، فسفكوا له الدمَ الحرام ، وانتهكوا فيه الفروج الحرام ، والمالَ الحرام ، وقد جعل الله عن ذلك مندوحةً من أشربةٍ حلال ، فمن انتبذ فلا ينتبذْ إلا من أسقيةِ الأدَم ،

خلافة يزيد بن عبد الملك

بُويع له بعهدٍ من أخيه سليمان بن عبد الملك أنْ يكونَ وليَّ الأمر من بعد عمر بن عبد العزيز ، فلما توفي عمر في رجب من هذه السنة ـ أعني سنة إحدى ومئة ـ بايعه الناس البيعةَ العامَّة ، وعمره إذ ذاك تسعٌ وعشرون سنة ، فعزَل في رمضان منها عن إمرة المدينة أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم ، وولَّى عليها عبدَ الرحمن بن الضحَّاك بن قيس ، فجرَتْ بينه وبين أبي بكر بن حَزْمٍ منافسات وضغائن ، حتى آل الأمر إلى أنِ استدرك عليه حكومة ، فحدَّهُ حدَّين فيها .

وفيها كانت وقعةٌ بين الخوارج ، وهم أصحاب بسطام الخارجي ، وبين جند الكوفة ، وكان الخوارجُ جماعة قليلة ، وكان جيش الكوفة نحواً من عشرة آلاف فارس ، وكادت الخوارج أن تكسرهم ، فتذامروا بينهم فطحنوا الخوارج طحناً عظيماً ، وقتلوهم عن آخرهم ، فلم يبقوا منهم ثائراً[1] .

وفيها خرج يزيدُ بن المهلب فخلَع يزيدَ بن عبد الملك ، واستحوذ على البصرة ، وذلك بعد محاصرةٍ طويلة ، وقتالٍ طويل ؛ فلما ظهر عليها بسط العدلَ في أهلها ، وبذَلَ الأموال ، وحبس عاملَها عديَّ بنَ أرْطاة ، لأنه كان قد حبس آلَ المهلَّب الذين كانوا بالبصرة ، حين هرب يزيدُ بن المهلَّب من محبس عمر بن عبد العزيز ، كما ذكرنا[2] ، وكان لما ظهر على قصر الإمارة أتى بعديٍّ بن أرطاة فدخل عليه وهو يضحك ، فقال يزيدُ بن المهلب : إني لأعجبُ من ضَحِكك ، أنك هربتَ من القتالَ كما تهربُ النساء ! وإنك جئتني وأنت تُتَلُّ كما يُتَلُّ العبد ! فقال عدي : إني لأضحكُ لأنَّ بقائي بقاءٌ لك ، وأنَّ منْ ورائي طالباً لا يتركُني ، قال : ومنْ هو ؟ قال : جنودُ بني أمية بالشام ، ولا يتركونك ، فدارِكْ نفسَك قبل أنْ يرميَ إليك البحر بأمواجه ، فتطلب الإقالةَ فلا تُقال . فردَّ عليه يزيدُ جوابَ ما قال ، ثم سجنه كما سجن أهله ، واستقرَّ أمرُ يزيدَ بنِ المهلَّب على البصرة ، وبعث نوابه في النواحي والجهات ، واستناب في الأهواز ، وأرسل أخاه مدرك بن المهلَّب على نيابة خُراسان ، ومعه جماعةٌ من المقاتلة ، فلما بلغ خبره على الجليَّة إلى أمير المؤمنين[3] يزيد بن عبد الملك جهَّز ابنَ أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك في أربعة آلاف ، مقدّمةً بين يدي عمه مَسْلمة بن عبد الملك ، وهو في جنود الشام ، قاصدين البصرة لقتال يزيد بن

= واستغنوا بما أحلَّ الله عما حرَّم ، فإنا منْ وجدْناه شرب شيئاً مما حرَّم الله بعدما تقدَّمنا إليه ، جعلْنا له عقوبةً شديدة ، ومن استخف بما حرم الله عليه فالله أشدُّ عقوبة له وأشدُّ تنكيلا .

(١) في (ق) : « ثائرة » ، وفي (ب) : « تأثيراً » ، والمثبت من (ح) .

(٢) انظر ص(٥) من هذا الجزء .

(٣) في (ق) : « ... خبره الخليفة يزيد بن عبد الملك » وفي (ح) ؛ « ... على الخليفة إلى أمير المؤمنين .. » والمثبت من (ب) والجلية : الخبر اليقين ، والحقيقة . اللسان (ج ل ا) .

المهلب ، ولما بلغ يزيدَ بن المهلب مخرجُ الجيوش إليه خرج من البصرة واستناب عليها أخاه مروان بن المهلَّب ، وجاء حتى نزل واسط ، واستشار من معه من الأمراء في ماذا يعتمده ؟ فاختلفوا عليه في الرأي ، فأشار عليه بعضُهم بأن يسيرَ إلى الأهْواز فيتحصَّن في رؤوس الجبال ، فقال : إنما تريدون أنْ تجعلوني طائراً في رأسِ جبل ؟ وأشار عليه بعضُهم أن يسير إلى الجزيرة فينزلها ويتحصّن بأجودِ حصنٍ فيها ، وينغِّص عليه رجالُ أهلِ العراق ، ويجتمعُ عليه أهل الجزيرة فيقاتل بهم أهل الشام في سفرٍ رفيقٍ رخيص .

وانسلختْ هذه السنة وهو نازلٌ بواسط والجيشُ الشامي قاصدٌ إليه .

وحجَّ بالناس في هذه السنة عبدُ الرحمن بن الضحاك بن قيس أمير المدينة ، وعلى مكة عبدُ العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، وعلى قضائها عامر الشعبي ، وعلى البصرة يزيدُ بن المهلب ، قد استحوذ عليها وخلع أمير المؤمنين يزيدَ بن عبد الملك .

وفيها توفي مع عمر بن عبد العزيز :

رِبْعيُّ بن حِرَاش ، ومسلم بن يسار ، وأبو صالح السمان ، وكان عابداً صادقاً ثبتاً ، وقد ترجمناه في كتابنا التكميل ولله الحمد والمنّة .

ثم دخلت سنة ثنتين ومئة

فيها كان اجتماعُ مَسْلَمة بنِ عبد الملك مع يزيدَ بنِ المهلب ، وذلك أنَّ يزيدَ بن المهلب ركب من واسط ، واستخلف عليها ابنهُ معاوية ، وسار هو في جيش ، وبين يديه أخوه عبد الملك بن المهلب ، حتى بلغ مكاناً يقالُ له العَقْر ، وانتهى إليه مسلمة بن عبد الملك في جنودٍ لا قِبلَ ليزيدَ بها ، وقد التقتِ المقدّمتان أولّاً فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فهزم أهلُ البصرة أهلَ الشام ، ثم تذامر أهلُ الشام فحملوا على أهل البصرة فكشفوهم وهزموهم ، وقتلوا منهم جماعةً من الشجعان ، منهم المَنْتُوف ، وكان شجاعاً مشهوراً ، وكان من موالي بكرِ بن وائل ، فقال في ذلك الفرزدق[١] :

تُبَكِّي على المَنْتُوف بكرِ بنِ وائلٍ وتنهَى عن ابني مسمعٍ مَنْ بكاهما

فأجابه الجَعْد بن دِرهم مولى الثوريين من هَمْدان ، وهذا الرجل هو أولُ الجَهْميَّة ، وهو الذي ذبحه خالدُ بن عبد الله القسري يوم عيد الأضحى فقال الجعد :

---

(١) الديوان (٢/٢٠٣) . (ط . صادر) .

نُبكّي على المنتوفِ في نصرِ قومهِ ولسنا نبكّي الشائدَيْنِ أباهما[١]
أرادا فناءَ الحيِّ بكرِ بنِ وائلٍ فعزُّ تميمٍ لو أُصيبَ فِناهما
فلا لقيا روحاً من اللهِ ساعةً ولا رقأتْ عينا شجيٍّ بكاهما
أفي الغشِّ نبكي إنْ بكينا عليهما وقد لقيا بالغِشِّ فينا رداهما[٢]

ولما اقترب مَسْلمةُ وَابْنُ أخيه العباس بن الوليد من جيش يزيدَ بنِ المهلب ، خطب يزيدُ بن المهلَّب الناس وحرَّضهم على القتال ـ يعني قتالَ أهلِ الشام ـ وكان مع يزيد نحوٌ من مئة ألف ، وعشرين ألفاً ، وقد بايعوه على السمع والطاعة ، وعلى كتابِ الله وسنة رسوله ﷺ ، وعلى أن لا يطأ الجنود بلادهم ، وعلى أن لا تُعاد عليهم سيرة الفاسق الحجَّاج ، ومنْ بايعَنا على ذلك قبلنا منه ، ومن خالفَنا قاتلْناه .

وكان الحسن البصريّ في هذه الأيام يحرِّضُ الناس على الكفّ وترك الدخول في الفتنة ، وينهاهم أشدَّ النهي ، وذلك لما وقع من الشرِّ الطويل العريض في أيام ابنِ الأشعث ، وما قُتل بسببها من النفوس العديدة ، وجعل الحسن يخطبُ الناسَ ويعظهم في ذلك ، ويأمرُهم بالكفّ ، فبلغ ذلك نائبَ البصرة عبدَ الملك بن المهلَّب[٣] ، فقام في الناس خطيباً ، فأمرهم بالجدِّ والجِهاد ، والنفير إلى القتال ، ثم قال : ولقد بلَغني أنَّ هذا الشيخ الضالَّ المُرائي ـ ولم يسمِّه ـ يثبِّطُ الناس ، أما والله ليكفَّنَّ عن ذلك أو لأفعلنَّ ولأفعلنّ ، وتوعَّد الحسن ، فلما بلغ الحسنَ قولُه قال : أما والله ما أكره أنْ يكرمني الله بهوانه ، فسلَّمه الله منه ، حتى زالتْ دولتهم ، وذلك أنَّ الجيوش لما تواجهتْ تبارزَ الناسُ قليلاً ، ولم تنشَب الحَرْبُ شديداً ، فلم يثبُتْ أهلُ العراق حتى فرُّوا سريعاً ، وبلغهم أنَّ الجسر الذي جاؤوا عليه قد خرق فانهزموا ، فقال يزيد بن المهلب : ما بال الناس ؟ ولم يكن من الأمر ما يضر من مثله ، فقيل له : إنه بلغهم أن الجسر الذي جاؤوا عليه قد خرق . فقال : قبَّحهم الله . ثم رامَ أنْ يردَّ المنهزمين فلم يمكنه ذلك ، فثبَتَ في عصابةٍ من أصحابه وجعل بعضُهم يتسلَّلون منه حتى بقي في شِرْذمة منهم ، وهو مع ذلك يسيرُ قُدماً لا يمرُّ بخيل إلا هزمهم ، وأهلُ الشام يَنْحازون عنه يميناً وشمالاً ، وقد قُتل أخوه حبيب بن المهلب ، فازداد حَنَقاً وغيظاً ، وهو على فرس له أشْهب ، ثم قصد نحو مَسْلمة بن عبد الملك لا يُريدُ غيره ، فلما واجهه حملتْ عليه خيولُ الشام فقتلوه ، وقتلوا معه أخاه محمد بن المهلَّب ، وقتلوا

---

(١) في (ق) : « وليتنا نبكي الشائدين أباهما » ، وفي تاريخ الطبري « ولسنا . . . » ، والمثبت من (ب ، ح) ، والأبيات في تاريخ الطبري (٦/ ٥٦١) ؛ وفي الشطر الثاني من البيت الأول زحاف إلا إذا فك إدغام الباء تصبح « السابين » .

(٢) في (ب) : « إلى العين نبكي . . » ، وفي (ح) : « إن العينُ تبكي . . » ، وفي (ب ، ح) : « وفي لقيا بالعيش فينا رداهما » ، والمثبت من (ق) والطبري (٦/ ٥٦١) .

(٣) في (م) مروان بن المهلّب .

السمَيْذَع ، وكان من الشجعان ، وكان الذي قتَلَ يزيدَ بن المهلب رجلٌ يقال له القَحْل بن عياش ، فقُتل إلى جانب يزيد بن المهلَّب ، وجاؤوا برأس يزيدَ إلى مسلمة بن عبد الملك ، فأرسله مع خالد بن الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيط إلى أخيه أمير المؤمنين يزيدَ بن عبد الملك ، واستحوذ مسلمة على ما كان في معسكر يزيدَ بنِ المهلَّب ، وأسر منهم نحواً من ثلاث مئة ، فبعث بهم إلى الكوفة ، وبعث إلى أخيه فيهم ، فجاء كتابه بقتلهم ، فسار مسلمة فنزل الحيرة .

ولما انتهَتْ هزيمةُ يزيد بن المهلب إلى ابنه معاوية وهو بواسط ، عمَدَ إلى نحوٍ من ثلاثين أسيراً في يده فقتلهم ، منهم نائب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، عديُّ بن أرطاة رحمه الله وابنه ، ومالك وعبدُ الملك ابنا مسمع ، وجماعةٌ من الأشراف ، ثم أقبل حتى أتى البصرة ومعه الخزائنُ من الأموال ، وجاء معه عمُّه المفضَّل بن المهلَّب إليه ، فاجتمع آلُ المهلَّب بالبصرة فأعدُّوا السُّفن وتجهَّزوا أتمَّ الجهاز ، واستعدُّوا للهرَب ، فساروا بعِيالهم وأثقالهم فلم يزالوا سائرين حتى أتَوْا جبال كَرْمان فنزلوها ، واجتمع عليهم جماعةٌ ممن فلَّ من الجيش الذي كان مع يزيدَ بنِ المهلب ، وقد أمَّروا عليهم المفضَّل بن المهلَّب ، فأرسل مَسْلمةُ جيشاً عليهم هلال بن أحوزَ[1] المازني في طلب آل المهلب ، ويقال إنهم أمَّرُوا عليهم رجلاً يقال له مُدْرِك بن ضَبّ الكلبي ، فلحقهم بجبال كَرْمان فاقتتلوا هنالك قتالاً شديداً ، فقتل جماعةً من أصحابِ المفضَّل ، وأسر جماعةً من أشرافهم وانهزم بقيَّتُهم ، ثم لحقوا المفضَّل فقتلوه ، وحمل رأسه إلى مسلمةَ بنِ عبد الملك ، وأقبل جماعةٌ من أصحاب يزيد بنِ المهلَّب فأخذوا لهم أماناً من أميرِ أهلِ الشام ، منهم مالك بن إبراهيم بن الأشتر النَّخَعي ، ثم أرسلوا بالأثقال والأموال والنساء والذرية فوردَتْ على مسلمةَ بنِ عبد الملك ومعهم رأسُ المفضَّل ورأس عبدِ الملك ابني المهلَّب ، فبعث مسلمةُ بالرؤوس وتسعةٍ من الصبيان الأحداث إلى أخيه يزيد ، فأمر بضربِ أعناق أولئك ، ونُصبت رؤوسهم بدمشق ثم أرسلها إلى حلب فنُصبت بها ، وحلف مَسْلَمة بن عبد الملك ليبيعنَّ ذَراريَّ آلِ المهلب ، فاشتراهم بعضُ الأمراء إبراراً لقسمه بمئة ألف ، فأعتقهم وخلَّى سبيلَهم ، ولم يأخذ مسلمة من ذلك الأمير شيئاً ، وقد رثا الشعراء يزيدَ بن المهلَّب بقصائد ذكرها ابنُ جرير[2] .

ولاية مسلمة على بلاد العراق وخُراسان

وذلك أنه لما فرغ من حرب آلِ المهلَّب كتب إليه أخوه يزيد بن عبد الملك أمير المؤمنين بولايةِ الكوفة

---

(١) في (ق) : ماجور . وفي (ح) : الماحوز . وكله تحريف صوابه ما أثبتناه ، فقد قيده العلامة ابن ناصر الدِّين في توضيح المشتبه ١/ ١٦٣ . وجاء على الصواب في المطبوع من تاريخ الطبري ٦/ ٦٠٢ ، ومعجم ما استعجم للبكري ٣/ ١٠٩٧ ، ومختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ٢٥/ ١٩٤ في ترجمة مفضل بن المهلب (بشار) .

(٢) انظر تاريخ الطبري (٦/ ٦٠٣ ، ٦٠٤) .

والبصرة وخراسان في هذه السنة ، فاستناب على الكوفة وعلى البصرة ، وبعث إلى خراسان خَتَنَهُ ـ زوج ابنته ـ سعيدَ بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص ، الملقَّب بخُذينة[1] ، فسار إليها فحرض أهلَها على الصبر والشجاعة ، وعاقب عمالاً ممن كان ينوبُ ليزيد بن المهلب ، وأخذ منهم أموالاً جزيلة ، ومات بعضُهم تحت العقوبة .

ذكر وقعة جرَتْ بين التُّرك والمسلمين

وذلك أنَّ خاقانَ الملك الأعظم ملك الترك ، بعث جيشاً إلى الصُّغْد لقتال المسلمين ، عليهم رجلٌ منهم يقال له كورصول[2] ، فأقبل حتى نزل على قصر الباهلي ، فحصرَهُ وفيه خَلْقٌ من المسلمين ، فصالحهم نائبُ سَمرْقَنْد ـ وهو عثمان بن عبد الله بن مطرِّف ـ على أربعين ألفاً ، ودفع إليهم سبعة عشر دهقاناً رهائنَ عندهم ، ثم ندب عثمانُ الناسَ فانتدب له رجلٌ يقال له المسيّب بن بشر الرِّياحي في أربعةِ آلاف ، فساروا نحو الترك ، فلما كان في بعض الطريق خطبَ الناسَ فحثَّهم على القتال وأخبرهم أنه ذاهبٌ إلى الأعداء لطلب الشهادة ، فرجع عنه أكثر من ألف ، ثم لم يزلْ في كلِّ منزل يخطبُهم ويرجع عنه بعضهم ، حتى بقي في سبع مئة مقاتل ، فسار بهم حتى غالقَ جيش الأتراك ، وهم محاصرو ذلك القصر ، وقد عزم المسلمون الذين هم فيه على قتل نسائهم وذبحِ أولادِهم أمامَهم ، ثم ينزلون فيقاتلون حتى يُقتلوا عن آخرهم ، فبعث إليهم المسيب يثبّتهم يومَهم ذلك ، فثبتوا ومكث المسيب حتى إذا كان وقت السَّحَر كبَّرَ وكبَّر أصحابه ، وقد جعلوا شعارَهم يا محمد ، ثم حملوا على الترك حملة صادقة ، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وعقروا دوابَّ كثيرة ، ونهض إليهم الترك فقاتلوهم قتالاً شديداً ، حتى فرَّ أكثر المسلمين ، وضُربت دابّةُ المسيّب في عجُزها ، فترجَّل وترجَّل معه الشجعان ، فقاتلوا وهم كذلك قتالاً عظيماً ، والتفَّ الجماعةُ بالمسيّب ، وصبروا حتى فتح الله عليهم ، وفرَّ المشركون بين أيديهم هاربين لا يَلْوون على شيء ، وقد كان الأتراك في غاية الكثرة ، فنادَى منادي المسيّب : أن لا تتبعوا أحداً ، وعليكم بالقصر وأهله ، فاحتملوهم وحازوا ما في معسكر أولئك الأتراك من الأموال والأشياء النفيسة ، وانصرفوا راجعين سالمين بمن معهم من المسلمين الذين كانوا محصورين ، وجاءتِ الترك من الغد إلى القصر ، فلم يجدوا به داعياً ولا مجيباً ، فقالوا فيما بينهم : هؤلاء الذين لَقُونا بالأمس لم يكونوا إنساً ، إنما كانوا جِنّاً . ثم غزا

---

(١) وقع في بعض المصادر « خدينة » بخاء معجمة ودال مهملة ، ولقب بذلك ـ فيما ذكر ـ أنه كان رجلاً ليناً سهلاً متنعماً ، قدم خراسان على بختية معلقاً سكيناً في منطقته ، فدخل عليه ملك أبغر وسعيد متفضّل في ثياب مصبّغة ، حوله مرافق مصبّغة ، فلما خرج من عنده قالوا له : كيف رأيت الأمير ؟ قال : خُذينيّةٌ لمّته سُكينيّة . فلُقّب خذينة . قاله ابن جرير الطبري في تاريخه (٦/ ٦٠٥) .

(٢) في (ب) : « لورضول » ، ولم أقف على ضبطه .

سعيد الملقب خُذينة أمير خراسان بلادَ الصُّغْد ، وذلك لأنهم أعانوا الترك[١] على المسلمين في هذه الغزوة التي ذكرناها ، فسار إليهم فقاتلهم قتالاً شديداً حتى نصره الله عليهم ، وولَّوْا مدبرين ، واحتاز منهم أموالاً جزيلة ، وقبض ما وجد لهم من الأموال والحواصل .

وفيها عزل أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة بن عبد الملك عن إمرة العراق وخراسان ، وذلك لأنه كان يصرف أموال الغنيمة فيما يريد ، ولم يصرف إلى أخيه شيئاً في هذه المدة ، فطمع في أخيه فعزله عنها وولَّى بدله عليها عمر بن هُبيرة على العراق وخراسان .

وحجَّ بالناس في هذه السنة أمير المدينة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس .

وممن توفي فيها من الأعيان والسادة :

الضحَّاك بن مُزاحم الهلالي[٢] أبو القاسم ، ويقال أبو محمد ، الخُراساني ، كان يكون ببَلْخ وسمَرْقَنْد ونَيْسابور ، وهو تابعيٌّ جليل روى عن أنس وابن عباس وابن عمر وأبي هريرة ، وجماعةٍ من التابعين ؛ وقيل : إنه لم يصحَّ له سماعٌ من الصحابة حتى ولا من ابنِ عباس[٣] ، وإنْ كان قد رُوي عنه أنه جاوز سبعَ سنين .

وكان الضحَّاك إماماً في التفسير ، قال الثوري : خذوا التفسيرَ عن أربعة ، مجاهد وعِكْرمة وسعيدِ بن جُبير والضحَّاك .

وقال الإمام أحمد : هو ثقة مأمون . وقال ابن معين وأبو زرعة : هو ثقة ، وأنكر شعبة سماعَهُ من ابن عباس ، وقال : إنما أخذ عن سعيدٍ عنه . وقال يحيى بن سعيد القطَّان : كان ضعيفاً . وذكره ابنُ حِبَّان في الثقات ، وقال : لم يشافِهْ أحداً من الصحابة ، ومنْ قال : إنه لقي ابنَ عباس فقد وهم .

وحملَتْ به أمُّه سنتَيْن ، ووضعَتْه وله أسنان ، وكان يعلِّم الصبيان حِسْبَةً ؛ قيل : إنه كان في مكتبه ثلاثة آلاف صبي ، وكان يركب حماراً ويدور من العَلْياء[٤] عليهم . وقيل : إنه مات سنةَ خمس ، وقيل سنةَ ستٍّ ومئة ، وقد بلغ الثمانين ، والله أعلم .

---

(١) في (م) الكفار .

(٢) ترجمته في طبقات ابن سعد (٦/ ٣٠٠ و٧/ ٣٦٩) ، طبقات خليفة ت(٢٩٥٠) ، التاريخ الكبير للبخاري (٤/ ٣٣٢) ، الجرح والتعديل (٤/ ٤٥٨) ، تهذيب الكمال (١٣/ ٢٩١) تاريخ الإسلام (٤/ ١٢٥) ، العبر (١/ ١٢٤) ، ميزان الاعتدال (٢/ ٣٢٥) ، المغني في الضعفاء (١/ ٣١٢) ، مرآة الجنان (١/ ٢١٣) ، غاية النهاية ت(١٤٦٧) ، تهذيب التهذيب (٤/ ٤٥٣) ، النجوم الزاهرة (١/ ٢٤٨) ، طبقات المفسرين (١/ ٢١٦) ، شذرات الذهب (١/ ١٢٤) .

(٣) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩٩) : وبعضهم يقول : لم يلق ابن عباس فالله أعلم .

(٤) العلياء هنا : المكان العالي ، وكل ما علا من شيء ، وليست اسم مكان معلوم ، إذ جاء في تهذيب الكمال (١٣/ ٢٩٥) ، كان يعلم الصبيان ببلخ بقرية يقال لها بروقان ، وسقطت العبارة من (ق) .

وأبو المتوكِّل النَّاجِي[١] اسمه علي بن داود الناجي البصري ، تابعيٌّ جليل ، ثقة ، رفيعُ القدر[٢] .

ثم دخلت سنة ثلاث ومئة

فيها عَزل أمير العراق وهو عمر بن هُبيرة سعيداً ـ الملقب خُذينة ـ عن نيابةِ خُراسان ، وولَّى عليها سعيدَ بن عمرو الحَرَشي[٣] ، بإذن أمير المؤمنين ، وكان سعيدٌ هذا من الأبطال المشهورين ، انزعج منه الترك وخافوه خوفاً شديداً ، وتقهقروا من بلاد الصُّغد إلى ما وراء ذلك ، من بلاد الصين وغيرها . وفيها جمعَ يزيدُ بن عبد الملك لعبد الرحمن بن الضحَّاك بن قيس بين إمْرة المدينة وإمرةِ مكة ، وولَّى عبد الواحد بن عبد الله النَّصْري[٤] نيابة الطائف . وحجَّ بالناس فيها أميرُ الحرمَيْن عبدُ الرحمن بن الضحاك بن قيس . والله سبحانه وتعالى أعلم .

وممن توفي فيها من الأعيان :

يزيد بن أبي مسلم[٥] ، أبو العلاء المدني .

عطاء بن يَسار الهلالي[٦] : أبو محمد القاصُّ المدني ، مولى ميمونة ، وهو أخو سليمان ،

---

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٢٢٥) ، طبقات خليفة ص(٢٠٦) التاريخ الكبير (٦/ ٢٧٣) ، الجرح والتعديل (٦/ ١٨٤) ، تهذيب الكمال (٢٠/ ٤٢٤ و٣٤/ ٢٥٠) تاريخ الإسلام (٤/ ٢٢٣) ، تهذيب التهذيب (١٢/ ٩٩) ، خلاصة تذهيب الكمال (٤٥٠) .

(٢) أقحمت طبعة (ق) هنا عبارة نصُّها : « مات وقد بلغ الثمانين رحمه الله تعالى » ، وليست العبارة موجودة في (ب ، ح) ، وقد لوحظت عبارة « وقد بلغ الثمانين » في ترجمة الضحاك بن مزاحم السابقة قد سقطت من طبعة (ق) التي أثبتُّها فيها كما يُرى ، فلعل تغيير موضعها سهو من الناسخ . يؤيد ذلك ما جاء في تهذيب الكمال (١٣/ ٢٩٧) ، عن الضحاك قوله : « كنتُ ابن ثمانين جَلْداً غزَّاءً » .

(٣) في (ق) : « الجريشي » تصحيف ، والمثبت من (ح ، ب) .

(٤) في (ق) : « عبد الرحمن الواحد بن عبد الله النضري » ، وفي (ح) : « عبد الواحد بن عبد الله البصري » ، وفي (ب) : « عبد الرحمن بن عبد الله النضري » وكله تصحيف وما أثبته من ترجمته في تاريخ ابن عساكر (٤٤/ ٨) والأنساب للسمعاني (٥/ ٤٩٥) (ط دار الجنان بيروت) .

(٥) هذه الترجمة ليست في (ب ، ح) . ويزيد بن أبي مسلم ترجمته في تاريخ الطبري (٦/ ٦١٧) ، الكامل لابن الأثير (٥/ ١٠١) تاريخ ابن عساكر (المختصر ٢٨/ ١٥) ، وفيات الأعيان (٦/ ٣٠٩) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩٣) ، تاريخ الإسلام (٤/ ٢١٥) ، مرآة الجنان (١/ ٢١٢) ، النجوم الزاهرة (١/ ٢٤٥) ، شذرات الذهب (١/ ١٢٤) ، الاستقصاء (١/ ٤٦) ، رغبة الآمل (٥/ ١٦٧ ، ١٦٩) .

(٦) ترجمته في طبقات ابن سعد (٥/ ١٧٣) ، طبقات خليفة ت(٢١٣٢) ، التاريخ الكبير (٦/ ٤٦١) ، المعارف ص(٤٥٩) ، المعرفة والتاريخ (١/ ٥٦٤) ، الجرح والتعديل (٥/ ٣٣٥) ، مختصر تاريخ ابن عساكر (١٧/ ٨٠) ، تهذيب الكمال (٢٠/ ١٢٥) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤٨) ، غاية النهاية ت(٢١٢٢) ، تهذيب=

وعبد الله ، وعبد الملك ، وكلهم تابعي . وروى هذا عن جماعةٍ من الصحابة ، ووثقه غير واحدٍ من الأئمة ، وقيل إنه توفي سنة ثلاثٍ أو أربع ومئة ، وقيل : توفي قبل المئة بالإسكندرية ، وقد جاوز الثمانين والله سبحانه أعلم .

مجاهد بن جَبْر المكِّي[1] أبو الحجَّاج القُرشي المَخْزومي ، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي ، أحدُ أئمةِ التابعين والمفسِّرين ، كان من أخصَّاء أصحاب حَبْر هذه الأمة ، وترجمان القرآن عبد الله بن عباس ، وكان أعلمَ أهلِ زمانه بالتفسير ، حتى قيل إنه لم يكنْ أحدٌ يُريد بالعلم وَجْهَ الله إلا مجاهد وعطاء وطاوس ؛ وقال مجاهد : أخذَ ابنُ عمر بركابي وقال : ودِدْتُ أنَّ ابني سالماً وغلامي نافعاً يحفظانِ حفظك .

وقيل : إنه عرَضَ القرآن على ابنِ عباس ثلاثين مرَّة .

قال مجاهد : عرضت القرآن على ابن عباس مرتَيْن ، أقفُهُ عند كلِّ آيةٍ وأسأله عنها[2] .

مات مجاهد وهو ساجد سنة مئة ، وقيل : إحدى ، وقيل : ثنتَيْن ، وقيل : ثلاث ومئة ، وقيل أربع ومئة ، وقد جاوز الثمانين والله أعلم .

فصــل[3]

[أسند مجاهدٌ عن أعلام الصحابة وعلمائهم ، عن ابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وابنِ عمرو وأبي سعيد ورافع بن خَديج . وعنه خلق من التابعين .

قال الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدّثنا عبد الرزاق عن أبي بكر بن عياش قال : أخبرني أبو يحيى أنه سمع مجاهداً يقول : قال لي ابن عباس : لا تنامَنَّ إلا على وضوء ، فإنَّ الأرواحَ تُبعث على ما قُبضت عليه .

= التهذيب (٧/ ٢١٧) ، طبقات الحفاظ للسيوطي ص(٣٤) .

(١) ويقال مجاهد بن جُبير ، ترجمته في : طبقات ابن سعد (٥/ ٤٦٦) ، طبقات خليفة ت(٢٥٣٥) ، التاريخ الكبير (٧/ ٤١١) ، المعارف ص(٤٤٤) ، المعرفة والتاريخ (١/ ٧١١) ، الجرح والتعديل (٧/ ٣١٩) ، الحلية (٣/ ٢٧٩) ، طبقات الفقهاء للشيرازي ص(٦٩) ، تاريخ ابن عساكر (١٦/ ١٢٥) ب (المختصر ٢٤/ ٨٧) ، تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ٨٣) ، تهذيب الكمال (٢٧/ ٢٢٨) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤٩) ، تاريخ الإسلام (٤/ ١٩٠) ، العقد الثمين (٧/ ١٣٢) ، غاية النهاية ت(٢٦٥٩) ، الإصابة ت(٨٣٦٣) ، تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٢) ، طبقات الحفاظ للسيوطي ص(٣٥) .

(٢) الخبر في سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٥٠ ، و٤٥٦ ، ٤٥٧) ، وفيه : « ثلاث عرضات » .

(٣) هذا الفصل إلى ترجمة مصعب بن سعد ليس في (ح ، ب) .

وروى الطبراني عنه أنه قال في قوله تعالى : ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [فصلت : ٣٤] قال : يسلِّم عليه إذا لقيه ، وقيل هي المصافحة .

وروى عَمرو بن مرَّةَ عنه أنه قال : أوْحى الله عزَّ وجلَّ إلى داودَ عليه السلام : اتقِ لا يأخُذك الله على ذَنْبٍ لا ينظرُ فيه إليك ، فتلقاه حين تلقاه وليستْ لك حاجة .

وروى ابنُ أبي شيبة عن أبي أمامة عن الأعمش عن مجاهد ، قال : كان بالمدينة أهلُ بيتٍ ذوي حاجة ، عندهم رأسُ شاة ، فأصابوا شيئاً ، فقالوا : لو بعثنا بهذا الرأس إلى منْ هو أحوجُ إليه منَّا ؛ فبعثوا به ، فلم يزلْ يدورُ بالمدينة حتى رجَعَ إلى أصحابه الذين خرجَ من عندِهم أولاً .

وروى ابنُ أبي شيبة عن أبي الأحوص عن منصور عن مجاهد قال : ما من مؤمن يموتُ إلا بكى عليه السماءُ والأرضُ أربعينَ صباحاً . وقال : ﴿ فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ ﴾ [الروم : ٤٤] ، قال : في القبر .

وروى الأوزاعي ، عن عَبْدةَ بنِ أبي لُبابة ، عن مجاهد ، قال : كان يحجُّ من بني إسرائيل مئة ألف ، فإذا بلغوا أرصاف الحرم خلعوا نِعالهم ثم دخلوا الحرَم حُفاة .

وقال يحيى بن سعيد القطان قال مجاهد في قوله تعالى : ﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ ﴾ [آل عمران : ٤٣] قال : اطلبي الركود .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ ﴾ [الإسراء : ٦٤] قال : المزامير .

وقال في قوله تعالى : ﴿ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ﴾ [المزمل : ١٢] قال : قيود .

وقال في قوله : ﴿ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ﴾ [الشورى : ١٥] قال : لا خصومة .

وقال : ﴿ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر : ٨] قال : عن كلِّ لذةٍ في الدنيا .

وروى ابن الدَّيبع ، عن جرير بن عبد الحميد[1] ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : رنَّ إبليس أربعَ رنَّات : حين لُعن ، وحين أُهبط ، وحين بُعث النبيُّ ﷺ وحين أُنزلت الحمد لله ربّ العالمين وأُنزلت بالمدينة . وكان يقال : الرنَّة والنَّخرة من الشيطان ، فلُعن من رنَّ أو نَخر .

وروى ابنُ نُجيح عنه في قوله تعالى : ﴿ أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ﴾ [الشعراء : ١٢٨] قال : بروج الحمام .

وقال في قوله تعالى : ﴿ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ ﴾ [البقرة : ٢٦٧] قال : التجارة .

---

(١) في (ق) : « جرير بن عبد الحسيب » تصحيف ، والمثبت من ترجمته في تهذيب الكمال (٤/ ٥٤٠) ، وترجمة منصور بن المعتمر في تهذيب الكمال أيضاً (٢٨/ ٥٤٨) ومصادر ترجمتهما فيه .

وروى لَيثٌ عن مجاهد قال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ ﴾ [فصلت : ٣٠] قال : استقاموا فلم يشركوا حتى ماتوا .

وروى يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، عن ابن أبجر ، عن طلحة بن مُصَرِّف ، عن مجاهد : ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾ [الإخلاص : ٤] قال : صاحبة .

وقال ليث عن مجاهد قال : النملةُ التي كلَّمتْ سليمان كانت مثل الذئبِ العظيم .

وروى الطبراني عن أبي نَجيح عن مجاهد . قال : كان الغلامُ من قومِ عادٍ لا يحتلمُ حتى يبلغَ مئتي سنة .

وقال : ﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ ﴾ [المعارج : ١] دعا داع .

وفي قوله : ﴿ مَّآءً غَدَقٗا ١٦ لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ ﴾ [الجن : ١٦ـ١٧] حتى يرجعوا إلى علمي فيه .

﴿ لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ ﴾ [النور : ٥٥] ، قال : لا يحبُّون غيري .

﴿ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [فاطر : ١٠] ، قال هم المراؤون .

وفي قوله تعالى : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ ﴾ [الجاثية : ١٤] ، قال : هم الذين لا يدرون أنعم الله عليهم أم لم يُنعِم . ثم قرأ ﴿ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ ﴾ [إبراهيم : ٥] قال : أيامُه نِعَمُه ونِقمُه .

﴿ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [النساء : ٥٩] . فرُدُّوه إلى كتاب الله وإلى رسوله ما دامَ حيّاً ، فإذا مات فإلى سُنَّتِه .

﴿ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ ﴾ [لقمان : ٢٠] قال : أما الظاهرة فالإسلام والقرآن والرسول والرِّزق ؛ وأما الباطنة فما سَتَرَ من العيوب والذنوب .

وروى الحكم عن مجاهد قال : لما قدِمَتْ مكةَ نساءٌ على سليمان عليه السلام رأتْ حطباً جَزْلاً فقالت لغلام سليمان : هل يعرفُ مولاك كم وَزْنُ دُخان هذا الحطب ؟ فقال الغلام : دعي مولاي ، أنا أعرفُ كم وزنُ دخانِه ، فكيف مولاي ؟ قالت : فكم وَزْنُه ؟ فقال الغلام : يوزن الحطبُ ، ثم يُحرق الحطب ، ويوزن رمادُه ، فما نقصَ فهو دُخانُه .

وقال في قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الحجرات : ١١] قال : منْ لم يتُبْ إذا أصبح وإذا أمسى فهو من الظالمين .

وقال : ما من يومٍ ينقضي من الدنيا إلا قال ذلك اليوم : الحمد لله الذي أراحني من الدنيا وأهلها ، ثم يُطوى عليه فيُختم إلى يوم القيامة ، حتى يكون الله عزَّ وجلَّ هو الذي يفضُّ خاتمه .

وقال في قوله تعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة : ٢٦٩] قال : العلم والفقه ؛ وقال : إذا ولي الأمرَ منكم الفقهاء .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] ، قال : البِدَع والشُّبهات .

وقال : أفضل العبادةِ الرأيُ الحسَن - يعني اتباعَ السُّنَّة .

وقال : ما أدري أيُّ النعمتَيْنِ أفضل ، أنْ هداني للإسلام ، أو عافاني من الأهواء .

وقال في رواية ﴿ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء : ٥٩] ، أصحاب محمد ، وربما قال : أولو العقل والفضل في دين الله عزَّ وجلَّ .

﴿ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ ﴾ [الرعد : ٣١] قال : السرية .

﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٨] . قال : السُّوس في الثياب .

﴿ وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ﴾ [مريم : ٤] قال : الأضْراس .

﴿ حَفِيًّا ﴾ [مريم : ٤٧] ، قال : رحيماً .

وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : وجدتُ في كتاب محمد بن أبي حاتم بخط يده : حدّثنا بشر بن الحارث حدّثنا يحيى بن يمان عن عثمان بن الأسود عن مجاهد ، قال : لو أنَّ رجلاً أنفق مثلَ أُحدٍ في طاعة الله عزَّ وجلَّ لم يكن من المسرفين .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ [الرعد : ١٣] قال : العداوة .

﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ [الرحمن : ٢٠] قال : بينهما حاجزٌ من الله فلا يبغي الحُلو على المالح ولا المالحُ على الحلو .

وقال ابنُ مَنْدَه : ذكره محمد بن حُميد : حدّثنا عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش قال : كان مجاهد لا يسمَعُ بأعجوبةٍ إلا ذهب فنظرَ إليها ؛ قال : وذهب إلى حَضْرَمَوْتَ إلى بئرِ بَرَهُوتَ ، قال : وذهب إلى بابل ، قال : وعليها والٍ صديقٌ لمجاهد : فقال مجاهد : تعرضُ عليَّ هاروتَ وماروتَ ، قال : فدعا رجلاً من السحرة فقال : اذهب بهذا فاعرِضْ عليه هاروتَ وماروت . فقال اليهودي : بشَرْط أنْ لا تدعو الله عندَهما . قال مجاهد : فذهب بي إلى قلعة ، فقطَعَ منها حجَراً ثم قال : خذ برجلي ، فهَوى بي حتى انتهى إلى حَوْبه[1] ، فإذا هما معلَّقين منكَّسَيْن كالجبلَيْنِ العظيمَيْن ، فلما رأيتُهما قلت :

---

(١) الحَوْبَة : وسط الدار . القاموس (حوب) .

سبحان الله خالقكما ! قال : فاضطربا ، فكأنَّ جبالَ الدنيا قد تدكدكتْ ، قال : فغُشي عليَّ وعلى اليهوديّ ، ثم أفاق اليهودي قبلي ، فقال : قُمْ ، كِدْتَ أن تُهلك نفسَك وتهلكَني .

وروى ابن فُضيل ، عن ليث ، عن مجاهد قال : يؤتى يوم القيامة بثلاثةِ نفر ، بالغَنيّ ، والمريض ، والعَبْد المملوك . قال : فيقول الله عزَّ وجلَّ للغني : ما شغلَكَ عن عبادتي التي إنما خلقتُك لها ؟ فيقول : يا رب أكثرتَ لي من المال فطغَيْت . فيؤتَى بسليمانَ عليه السلام في ملكه فيقول لذا : أنت كنتَ أكثرَ مالاً وأشدَّ شُغلاً أم هذا ؟ قال : فيقول : بل هذا يا رب . فيقول الله له : فإنَّ هذا لم يمنعْه ما أوتي من المُلْك والمال والشُّغل عن عبادتي . قال : ويؤتى بالمريض فيقول : ما منعك عن عبادتي التي خلقتُك لها ؟ فيقول : يا رب شغلني عن هذا مرضُ جسَدي . فيؤتى بأيُّوب عليه السلام في ضُرِّهِ وبلائه ، فيقول له : أأنت كنتَ أشدَّ ضرّاً ومرَضاً أم هذا ؟ فيقول : بل هذا . فيقول : إنَّ هذا لم يَشْغلْهُ ضرُّه ومرَضُه عن عبادتي . ثم يؤتى بالمملوك فيقول الله له : ما منعك من عبادتي التي خلقتُك لها ؟ فيقول ربِّ فضَّلت عليّ أرباباً فملكوني وشغلوني عن عبادتك . فيؤتى بيوسف عليه السلام في رِقِّه وعبوديته فيقول الله له : أأنتَ كنتَ أشدَّ في رِقِّك وعبوديَّتك أم هذا ؟ فيقول : بل هذا يا رب ، فيقول الله : فإنَّ هذا لم يشغَلْهُ ما كان فيه من الرِّقِّ عن عبادتي .

وروى حُميد ، عن الأعرج ، عن مجاهد ، قال : كنت أصحبُ ابنَ عمر في السفر ، فإذا أردتُ أنْ أركبَ مسَكَ ركابي ، فإذا ركبتُ سوَّى عليّ ثيابي ؛ فرآني مرَّةً كأني كرهتُ ذلك فيّ ، فقال : يا مجاهد ، إنك لضيِّق الخُلق .

وفي رواية : صحبتُ ابنَ عمر وأنا أريدُ أنْ أخدُمه ، فكان يخدمُني[١] .

وقال الإمامُ أحمدُ[٢] : حدّثنا عبد الرزاق ، حدّثنا الثوري ، عن رجل ، عن مجاهد ، قال : جُعلتِ الأرضُ لملك الموتِ مثل الطَّسْت ، يتناولُ منها حيث شاء ، وجُعل له أعْوان يتوفَّون الأنفسَ ثم يقبضُها منهم .

وقال : لما هبَطَ آدمُ إلى الأرض قال له : ابنِ للخرَاب وَلِدْ للفَنَاء[٣] .

وروى قُتيبة عن جرير ، عن منصور ، عن مجاهد : ﴿ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٩] قال : تلعَنُ

---

(١) ذكره ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم ص(٣٤١) .
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٢١٧) في تفسير الآية (٦١) من سورة الأنعام عن سفيان ، وأخرجه أبو نعيم عن أحمد بن حنبل في الحلية (٣/ ٢٨٦) .
(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد ص (٨٧) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٢٨٦) .

عصاةَ بني آدمَ دوابُّ الأرض وما شاء الله ، حتى الحيات والعقارب ، يقولون : مُنعنا القَطْرَ بذنوبِ بني آدمَ[(١)] .

وقال غيره : تَسَلَّط الحشراتُ على العصاة في قبورهم ، لما كان ينالُهم من الشِّدَّة بسبب ذنوبهم ؛ فتلك الحشراتُ من العقارب والحيات هي السيئاتُ التي كانوا يعملونها في الدنيا ويستلذُّونها ، صارَتْ عذاباً عليهم ؛ نسأل الله العافية .

وقال : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ [العاديات : ٦] لكفور .

وقال الإمام أحمد[(٢)] : حدّثنا عمر بن سليمان ، حدّثني مسلم أبو عبد الله عن ليث عن مجاهد قال : منْ لم يستحي من الحلال خَفَّتْ مؤونتُه وأَرَاح نفسَه .

وقال عمرو بن زروق ، حدّثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، قال : ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ [الأنبياء : ٨٧] ، أن لن نعاقبَهُ بذنبه[(٣)] .

وبهذا الإسناد قال : لم أكنْ أُحسنُ ما الزُّخْرفُ حتى سمعتُها في قراءة عبدِ الله : بيتاً من ذهب[(٤)] .

وقالَ قتيبة بن سعيد : حدّثنا خلف بن خليفة عن ليث ، عن مجاهد إن الله عزَّ وجلَّ ليُصلحُ بصلاح العبد ولدَهُ[(٥)] .

قال : وبلغني أنَّ عيسى عليه السلام كان يقول : طُوبى للمؤمن ! كيف يخلفه الله فيمنْ ترك بخير .

وقال الفُضيل بن عِيَاض عن عُبيد المُكْتِب، عن مجاهد، في قوله تعالى : ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة : ١٦٦] الأوصال التي كانتْ بينهم في الدنيا[(٦)] .

وروى سفيان بن عُيينة ، عن سفيان الثوري ، عن ابنِ أبي نَجيح ، عن مجاهد ، في قوله تعالى : ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ [التوبة : ١٠] قال : الإلُّ الله عزَّ وجلَّ[(٧)] .

وقال في قوله تعالى : ﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [هود : ٨٦] طاعةُ الله عزَّ وجلَّ . وفي قوله تعالى :

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٥/ ٥٤ و٥٥) في تفسير الآية .

(٢) في الورع ص(٢١) : باب ترك الكبر ولزوم العمل ؛ وأخرجه ابن أبي عاصم في الزهد ص(٣٧٨) وأبو نعيم في الحلية (٣/ ١٤) عن ليث عن مجاهد .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٧٨) في تفسير الآية ؛ والسيوطي في الدر المنثور .

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٨٤) .

(٥) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١/ ٢٧٤) وفيه زيادة : « وولد ولده » .

(٦) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٤١) .

(٧) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٨٥) ، وذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٣٩) .

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن : ٤٦] قال : هو الذي يذكر الله عند الهمِّ بالمعاصي .

وقال الفُضيل بن عياض عن منصور ، عن مجاهد : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم ﴾ [الفتح : ٢٩] الخشوع .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨] قال : القنوت : الركود والخشوع وغض البصر ، وخفض الجناح من رهبة الله[١] .

وكان العلماء إذا قام أحدُهم في الصلاة هابَ الرحمنَ أن يشدَّ بصره ، أو يلتفت ، أو يقلب الحصا ، أو يعبث بشيء ، أو يحدِّثَ نفسه بشيءٍ من الدنيا ، إلا خاشعاً ما دام في صلاته .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدّثنا أبو مَعْمر[٢] حدّثنا ابن إدريس ، حدّثني عُقبة بن إسحاق ـ وأثنى عليه خيراً ـ حدّثنا ليث عن مجاهد ، قال : كنت إذا رأيتُ العرب استَجْفَيْتُها[٣] [وإنْ فتشتها] وجدتُها من وراءِ دينها ؛ فإذا دخلوا في الصلاة فكأنما أجسادٌ ليسَتْ فيها أرواح[٤] .

وروى الأعمش عنه قال : إنما القلبُ منزلة الكفّ ، فإذا أذنب الرجل ذنباً قُبض هكذا ـ وضمَّ الخِنْصر حتى ضم أصابعه كلها إصبعاً إصبعاً ـ قال : ثم يطبع ، فكانوا يرَوْنَ ذلك الرَّان : قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين : ١٤] .

وروى قَبيصةُ عن سفيان الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ [البقرة : ٨١] قال : الذنوب تُحيط بالقلوب كالحائط المبني على الشيء المحيط ، كلما عمل ذنباً ارتفعتْ ، حتى تغشى القلب حتى تكون هكذا ـ ثم قبض يده ـ ثم قال : هو الرَّان[٥] .

وفي قوله : ﴿ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ [القيامة : ١٣] قال : أولُ عمَلِ العبدِ وآخرُه . ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴾ [الشرح : ٨] قال : إذا فرغتَ من أمرِ الدنيا ، فقمتَ إلى الصلاة ، فاجعلْ رغبتَكَ إليه ، ونيّتَكَ له[٦] .

وعن منصور عن مجاهد ﴿ النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ [الفجر : ٢٧] قال : هي النفسُ التي قد أيقنتْ أنَّ الله ربُّها ، وضربَتْ جأشاً لأمرِه وطاعتِه[٧] .

---

(١) أخرجه محمد بن نصر بن الحجاج المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ١٨٨) ؛ وأخرجه أيضاً المحاملي في الآمالي ص(٤٤٦) بنحوه .

(٢) في (ق) : « حدثنا أبو عمرو » ، والمثبت من الحلية (٣/ ٢٨٢) ؛ وهو أبو معمر الهذلي القطيعي إسماعيل بن إبراهيم ، محدث بغداد ، ترجمته في تذكرة الحفاظ (٢/ ٢٧١) .

(٣) في (ق) : « استخفيتها » ، وهو تصحيف ، والمثبت من الحلية .

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٨٢) وما مرَّ بين معقوفين منه .

(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٨٣) .

(٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٨٣) .

(٧) أورده ابن منظور في لسان العرب (٦/ ٢٦٩) (جأش) ، وقد صُحِّف في (ط) إلى : « وضربت حاشا » . وزاد=

وروى عبدُ الله بن المبارك عن ليث ، عن مجاهد : قال : ما منْ ميتٍ يموت إلَّا عُرِضَ عليه أهلُ مجلسِه ، إنْ كان من أهل الذِّكْر فمن أهل الذِّكْر ، وإنْ كان منِ أهلِ اللَّهْو فمن أهل اللهو[١] .

وقال أحمد : حدّثنا هاشم بن القاسم ، حدّثنا محمد بن طلحة ، عن زبيد ، عن مجاهد ، قال : قال إبليس : إنْ يُعجزني ابنُ آدم فلن يعجزني من ثلاثِ خِصال : أخْذُ مالٍ بغيرِ حقِّه ، [ومنعه عن حقِّه][٢] ، و [إضاعة] إنفاقه في غيرِ حقِّه .

وقال أحمد : حدّثنا ابن نمير قال قال الأعمش : كنتُ إذا رأيتُ مجاهداً ظننتُ أنه خربندج[٣] ، قد ضلَّ حمارُهُ فهو مهتمٌ[٤] .

وعن ليث ، عن مجاهد ، قال : منْ أكرم نفسه وأعزَّها أذلَّ دينه ، ومنْ أذلَّ نفسه أعزَّ دينه[٥] .

وقال شعبة عن الحكم ، عن مجاهد ، قال : قال لي [ابن عمر] : يا أبا الغازي ، كم لبثَ نوحٌ في الأرض ؟ قال : قلتُ ألف سنةٍ إلَّا خمسين عاماً . قال : فإنَّ الناس لم يزدادوا في أعمارهم وأجسادهم وأخلاقهم إلا نقصاً[٦] .

وروى أبو بكر بن أبي شيبة[٧] عن ابن عُلَيَّة ، عن ليث ، عن مجاهد قال : ذهبتِ العلماء ، فما بقي إلا المتعلِّمون ، وما المجتهد فيكم إلا كاللاعب فيمن كان قبلكم .

وروى ابنُ أبي شيبة أيضاً عن ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد قال : لو لم يصب المسلم من أخيه إلا أنَّ حياءً منه يمنعُه من المعاصي ، لكان في ذلك خير .

وقال : الفقيه منْ يخافُ الله وإنْ قلَّ علْمُه ؛ والجاهلُ منْ عصى الله وإن كَثُرَ علمُه . وقال : إنَّ العبد إذا أقبل على الله بقلبه أقبل الله بقلوبِ المؤمنين إليه .

= في آخره : قال الأزهري : معناه ؛ قرَّتْ يقيناً واطمأنت كما يضرب البعير بصدره الأرض إذا برك وسكن .

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد ص(٣٢٩) ؛ وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٨٣) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٨٤) ، وما بين معقوفين منه .

(٣) في (ق) : « حر مندح » ، والمثبت من مصادر التخريج ، والخربندج : كلمة فارسية أصلها « خَرْبَنْدَه » ، وهو صاحب الحمار .

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٥/ ٤٦٦) ، وابن حبان في الثقات (٥/ ٤١٩) ، والذهبي في تذكرة الحفاظ (١/ ٩٢) ، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٥٢) ، وميزان الاعتدال (٦/ ٢٥) .

(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٧٩) ، وابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٢٠٨) .

(٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٨٠) ، وما بين معقوفين منه ، وبنحوه أخرجه في الحلية أيضاً (١/ ٣١١) ، وابن الجعد في مسنده (١/ ٥٥) . ولفظهم جميعاً « وأحلامهم » بدل « وأخلاقهم » .

(٧) في المصنف (٧/ ٢١٤) (٣٥٤٤٨) . وأخرجه بنحوه ابن المبارك في الزهد ص(٥٩) ، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٦٩) .

وقال في قوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ [المدثر : ٤] ، قال : عملَكَ فأَصْلِحْ[(١)] .

﴿ وَسْئَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ﴾ [النساء : ٣٢] ، قال : ليس من عرض الدنيا .

﴿ وَالَّذِى جَآءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ [الزمر : ٣٣] ، قال : هم الذين يجيئون بالقرآن قد اتبعوه وعملوا بما فيه .

وقال : يقول القرآن للعبد إني معك ما اتَّبعتني ، فإذا لم تعمل بي اتبعتك .

﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ [القصص : ٧٧] قال : خُذْ من دنياك لآخرتك ؛ وذلك أن تعمل فيها بطاعة الله عزَّ وجلَّ[(٢)] .

وقال داود بن المحبَّر عن عبَّاد بن كثير عن عبد الوهاب بن مجاهد ، عن أبيه مجاهد بن جَبْر[(٣)] ، قال : قلت لابن عمر : أيُّ حجَّاج بيتِ الله أفضلُ وأعظم أجراً ؟ قال : من جمَعَ ثلاثَ خصال ، نيَّةً صادقة ، وعقلاً وافراً ، ونفقةً من حلال . فذكرتُ ذلك لابن عباس فقال : صدق . فقلت : إذا صدقتْ نيتُه وكانتْ نفقته من حلال ، فماذا يضرُّه قلَّةُ عقله ؟ فقال : يا أبا حجَّاج ، سألتني عما سألتُ عنه رسولَ الله ﷺ . فقال : « والذي نفسي بيده ، ما أطاع العبدُ الله بشيءٍ أفضلَ من حُسن العقل ، ولا يقبلُ الله صومَ عبدٍ ولا صلاته ، ولا شيئاً مما يكونُ من عمله من أنواع الخير إنْ لم يعمل بعَقْل ؛ ولو أنَّ جاهلاً فاق المجتهدين في العبادة ، كان ما يفسد أكثر مما يصلح »[(٤)] .

قلت : ذِكْر العقلِ في هذا الحديث ، ورفعُهُ إلى النبي ﷺ من المنكرات والموضوعات ، والثلاثُ الخصال موقوفةٌ على ابن عمر ، من قوله من جمع ثلاث خصال ، إلى قوله : قال ابن عباس : صدق ؛ والباقي لا يصحُّ رفعُه ولا وَقْفُه ؛ وداود بن المُحبَّر كنيته أبو سليمان ، قال الحاكم : حدث ببغداد عن جماعةٍ من الثقات بأحاديثَ موضوعة ، حدث بها عنه الحارث بن أبي أسامة ، وله كتاب « العقل » ، وأكثرُ ما أودع ذلك الكتاب موضوعٌ على رسولِ الله ﷺ ؛ وذِكْرُ العقلِ مرفوعاً في هذه الرواية لعله من جملتها ، والله أعلم . وقد كذَّبه أحمد بن حنبل][(٥)] .

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٩/ ١٤٦) في تفسير الآية ، وابن كثير أيضاً .

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد ص(٣٧٧) ؛ وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٨١) .

(٣) في (ق) : « جبير » تصحيف .

(٤) أخرجه الحارث في مسنده (٢/ ٢٠٩) ؛ وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٠٣ ، ٣٠٤) وقال : هذا حديث غريب من حديث مجاهد ، لم نكتبه إلا من حديث عباد عن عبد الوهاب . وانظر تعليق المؤلف عليه .

(٥) من ص(٤٧) إلى هنا ليس في (ح ، ب) . انظر الحاشية (٣) ثمة .

مصعب بن سعد بن أبي وقَّاص[١] : تابعي ، ثقة ، جَلِيل ، كبير القَدْر .

موسى بن طلحة بن عُبيد الله التيمي[٢] ، كان يلقَّبُ بالمَهْديِّ لصلاحه ؛ كان تابعيّاً جليلَ القدرِ من ساداتِ المسلمين رحمه الله[٣] .

ثم دخلت سنة أربع ومئة

فيها قاتل سعيدُ بن عمرو الحَرَشي نائبُ خراسان أهلَ الصُّغْد ، وحاصر أهل خُجَنْدَةَ[٤] ، وقتل خلقاً كثيراً ، وأخذ أموالاً جَزيلة ، وأسر رقيقاً كثيراً جدّاً ، وكتب بذلك إلى يزيدَ بنِ عبد الملك ، أمير المؤمنين ؛ فوجَدَ عليه أميرُ العراق عمر بن هُبيرة إذْ لم يكتب إليه ؛ فكتب هو إلى أمير المؤمنين لأنه هو الذي ولَّاه . وفي ربيع الأول منها عزل يزيدُ بن عبد الملك أمير المؤمنين عن إمرةِ الحرمين عبدَ الرحمن بنَ الضحَّاك بن قيس ؛ وكان سببه أنه خطب فاطمةَ بنتَ الحسين فامتنعتْ من قَبول ذلك ، فألحَّ عليها وتوعَّدها ، فأرسلتْ إلى يزيد بن عبد الملك تشكوه إليه ، فبعث إلى عبد الواحد بن عبد الله النَّصْري[٥] نائب الطائف ، فولَّاه المدينة ، وأنْ يضربَ عبدَ الرحمن بن الضحاك حتى يسمعَ صوتَهُ أميرُ المؤمنين وهو متكىءٌ على فراشه بدمشق ، وأنْ يأخذَ منه أربعين ألفَ دينار ، فلمَّا بلغ ذلك عبدَ الرحمن ركب إلى دمشق واستجار بمسلمةَ بن عبدِ الملك ؛ فدخل على أخيه فقال : إنَّ لي إليك حاجة . فقال : كلُّ حاجةٍ تقولها فهي لك إلا أنْ تكونَ ابنَ الضحَّاك ، فقال : هو والله حاجتي . فقال : والله لا أقبلهُ[٦] ، ولا أعفو عنه .

---

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٥/ ١٦٩) ، التاريخ الكبير للبخاري (٧/ ٣٥٠) ، الكنى والأسماء لمسلم ص(٣٤٩) ، معرفة الثقات للعجلي (٢/ ٢٨٠) ، الثقات لابن حبان (٥/ ٤١١) ، مشاهير علماء الأمصار ص(٦٨) ، رجال صحيح البخاري لأبي نصر الكلاباذي (٢/ ٧٣٢) ، رجال مسلم لأحمد بن منجويه (٢/ ٢٥٧) ، التعديل والتجريح لأبي وليد الباجي (٢/ ٧٩٥) ، تهذيب الكمال (٢٨/ ٢٤) ، الكاشف للذهبي (٢/ ٢٦٧) ، تحفة التحصيل لأحمد بن عبد الرحيم ص(٣٠٥) ، تهذيب التهذيب (١٠/ ١٤٥) ، تقريب التهذيب ص(٥٣٣) .

(٢) في (ق) : « التميمي » تصحيف ، والمثبت من (ح ، ب) ومصادر ترجمته .

(٣) ترجمته في طبقات ابن سعد (٥/ ١٦١) ، طبقات خليفة ص(١٥٤) ، التاريخ الكبير (٨/ ٢٨٦) ، الجرح والتعديل (٨/ ١٤٧) ، معرفة الثقات للعجلي (٢/ ٣٠٤) ، مشاهير علماء الأمصار ص(٧٥) ، الثقات لابن حبان (٥/ ٤٠١) ، التعديل والتجريح (٢/ ٧٠٦) ، تهذيب الكمال (٢٩/ ٨٢) ، الكاشف (٢/ ٣٠٥) ، تهذيب التهذيب (١٠/ ٣١٢) ، تقريب التهذيب ص(٥٥١) .

(٤) خُجندة : بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطىء سيحون بينها وبين سمرقند عشرة أيام مشرقاً وهي مدينة نزهة . معجم البلدان (٢/ ٣٤٧) .

(٥) في (ح) : « البصري » ، وفي (ب ، ق) : « النضري » ، وهو تصحيف ، والمثبت من مصادر ترجمته .

(٦) في (ق) : « لأقبلها » ، وفي (ح) : « لا أقتله » ، والمثبت من (ب) .

فردَّه إلى المدينة فتسلَّمه عبدُ الواحد فضربه وأخذ ماله حتى تركه في جبَّة صوف ، يسألُ الناسَ بالمدينة ؛ وكان قد باشر نيابةَ المدينة ثلاثَ سنين وأشهراً ؛ وكان الزهريُّ قد أشارَ عليه برأي سديد ، وهو أن يسألَ العلماء إذا أشكلَ عليه أمر ، فلم يقبلْ ، ولم يفعلْ ، فأبغضهُ الناس ، وذمَّهُ الشعراء ، ثم كان هذا آخر أمره .

وفيها عزَلَ عمرُ بن هُبيرة عن إمرة خراسان سعيدَ بن عمرٍو الحَرَشي ؛ وذلك أنه كان يستخفُّ بأمرِ عمرَ بنِ هُبيرة ؛ فلما عزله أحضرهُ بين يديه وعاقبه وأخذَ منه أموالاً كثيرة ، وأمر بقتْله ، ثم عفا عنه ، وولَّى على خُراسان مسلمَ بن سعيد بن أسلم بن زُرعة الكلابي ، فسار إليها فاستخلص أموالاً كانتْ منكسرة في أيام سعيد بن عمرو الحَرَشي .

وفيها غزا الجرَّاحُ بن عبد الله الحَكمي نائبُ أرمينيةَ وأذْربيجان ، أرضَ الترك ، ففتح بَلَنْجر ، وهزم الترك وغرَّقهم وذَراريَّهُمْ في الماء ، وسَبَى منهم خلقاً كثيراً ، وافتتح عامة الحصون التي تلي بَلَنْجَر[١] ، وأجلى عامة أهلها ، [والتقى هو والخاقان الملك ، فجرَتْ بينهم وقعةٌ هائلة ، آل الأمرُ فيها إلى أن انهزم خاقان ، وتبعهم المسلمون ، فقتلوا منهم مقتلةً عظيمة ، قُتل فيها خلقٌ كثيرٌ لا يُحصَوْن][٢] .

وحجَّ بالناس في هذه السنة عبدُ الواحد بن عبد الله النَّصْري[٣] أميرُ الحرمين والطائف ، وعلى نيابةِ العراق وخراسان عمر بنُ هبيرة ، ونائبه على خراسان مسلم بن سعيد يومئذ .

وفي هذه السنة ولد السفاح وهو أبو العباس عبدُ الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الملقَّب بالسفَّاح ، أول خلفاء بني العباس ، وقد بايَعَ أباه في الباطن جماعةٌ من أهل العراق .

وفيها توفي من الأعيان :

خالد بن مَعْدان الكَلاعي[٤] : [له رواياتٌ عن جماعة من الصحابة ، وكان تابعيّاً جليلاً ، وكان من

---

(١) بَلَنْجر : مدينة ببلاد الخزر ، خلف باب الأبواب . معجم البلدان (١/ ٤٨٩) .

(٢) ليس ما بين القوسين في (ب ، ح) ، وهو في (ق) .

(٣) في (ب ، ق) : « النضري » ، وفي (ح) : « البصري » ، والمثبت مما سيأتي في المتن ص(٦٤) . ح(٥) ومصادر ترجمته ، انظر الصفحة السابقة ح (٥) .

(٤) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٥٥) ، طبقات خليفة ص(٣١٠) ، التاريخ الكبير (٣/ ١٧٦) ، المعارف ص(٦٢٥) ، المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٣٢) ، الثقات لابن حبان (٤/ ١٩٦) ، ذيل المذيل ص(٦٣٢) . الجرح والتعديل (٣/ ٣٥١) ، الحلية (٥/ ٢١٠) المختار في مناقب الأخبار (٢/ ٢٥١) ، صفة الصفوة (٤/ ٢١٥) ، مختصر تاريخ ابن عساكر (٧/ ٣٩٤) ، تهذيب الكمال (٨/ ١٦٧) ، طبقات علماء الحديث (١/ ١٦٣) (ت٨٢) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٣٦) ، تاريخ الإسلام (٤/ ١٠٩) ، الوافي (١٣/ ٢٦٣) ، تهذيب التهذيب (٣/ ١١٨) ، النجوم الزاهرة (١/ ٢٥٢) ، طبقات الحفاظ ص(٣٦) ، شذرات الذهب (١/ ١٢٦) .

العلماء وأئمة الدِّين المعدودين المشهورين ، وكان يسبِّحُ كلَّ يوم أربعين ألف تسبيحة وهو صائم ، وكان إمامَ أهلِ حمص ، وكان يُصلِّي التراويح في شهر رمضان ، فكان يقرأُ فيها في كلِّ ليلة ثلثَ القرآن ، وروى الجُوزَجاني عنه أنه قال : من اجترأ على الملاوم في مُراد الحق ، قلب الله تلك المحامد عليه ذمّاً .

وروى ابنُ أبي الدنيا عنه قال : ما من عبد إلّا وله أربعةُ أعين . عينانِ في وجههِ يُبصر بهما أمرَ دنياه ، وعينانِ في قلبه يُبصر بهما أمرَ آخرتِه ؛ فإذا أرادَ الله بالعبد خيراً فتح عينيه اللتين في قلبه فأبصر بهما أمرَ آخرتِه وهما غيب ، فأمن الغيبَ بالغيب ؛ وإذا أرادَ الله بالعبدِ خلافَ ذلك ترك العبد القلب على ما هو عليه ، فتراه ينظرُ فلا ينتفع ، فإذا نظر بقلبه نفع .

وقال : بصَرُ القلب من الآخرة ، وبصَرُ العينَيْن من الدنيا . وله فضائل كثيرة رحمه الله تعالى][1] .

وعامر بن سعد [بن أبي وقاص الليثي[2] : له راوياتٌ كثيرة عن أبيه وغيرِه ، وهو تابعيٌّ جليل ، ثقة مشهور][1] .

وعامر بن شَرَاحيل الشعبي[3] : توفي فيها في قول [كان الشعبيُّ من شَعْبِ هَمْدان ، كنيته أبو عمرو ، وكان علاَّمةَ أهلِ الكوفة ، كان إماماً حافظاً ، ذا فنون ، وقد أدرك خلقاً من الصحابة ، وروى عنهم ، وعن جماعةٍ من التابعين . وعنه أيضاً روى جماعةٌ من التابعين .

قال أبو مِجْلَز : ما رأيتُ أفقهَ من الشعبي .

وقال مكحول : ما رأيتُ أحداً أعلمَ بسنَّةٍ ماضيةٍ منه .

وقال داود الأَوْدي : قال لي الشعبي : قم معي هاهنا حتى أفيدَك علماً ، بل هو رأسُ العلم . قلت : أيَّ شيءٍ تفيدني ؟ قال : إذا سُئلتَ عما لا تعلم فقل : الله أعلم ؛ فإنَّه عِلْمٌ حسن .

---

(١) ما بين المعقوفين ليس في (ب ، ح) ، وهو من (ق) .

(٢) ترجمته في طبقات ابن سعد (٥/ ١٦٧) ، التعديل والتجريح (٣/ ٩٩١) ، تهذيب الكمال للمزي (١٤/ ٢١) ، العبر (١/ ١٢٧) ، الكاشف (١/ ٥٢٢) ، تقريب التهذيب ص(٢٨٧) ، التحفة اللطيفة للسخاوي (٢/ ٧) .

(٣) ترجمته في طبقات ابن سعد (٦/ ٢٤٦) ، تاريخ خليفة (١٤٩ و٣٣٠) ، طبقات خليفة (١٥٧) ، التاريخ الكبير (٦/ ٤٥٠) ، المعارف (٤٤٩) ، المعرفة والتاريخ (٢/ ٥٩٢) ، أخبار القضاة (٢/ ٤١٣ و٣/ ٦٠) الجرح والتعديل (٦/ ٣٢٢) ، الثقات لابن حبان (٥/ ١٨٥) ، حلية الأولياء (٤/ ٣١٠) ، تاريخ بغداد (١٢/ ٢٢٧) ، تاريخ مدينة دمشق (عاصم ـ عايذ) (١٣٨) ، صفة الصفوة (٣/ ٧٥) ، جامع الأصول (١٤/ ٥٨٠) ، المختار من مناقب الأخبار (٣/ ٣٣٣) ، وفيات الأعيان (٣/ ١٢) ، مختصر تاريخ دمشق (١١/ ٢٤٩) ، تهذيب الكمال (١٤/ ٢٨) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٩٤) ، تاريخ الإسلام (٤/ ١٣٠) ، العبر (١/ ١٢٧) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٧٩) ، الوافي بالوفيات (١٦ت ٦٢٩) ، غاية النهاية (١/ ٣٥٠) ، تهذيب التهذيب (٥/ ٦٥) ، طبقات الشعراني (١/ ٤٣) ، شذرات الذهب (١/ ١٢٦) .

وقال : لو أنَّ رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن لحفظ كلمةٍ تنفَعُه فيما يستقبلُ من عمره ما رأيتُ سفَرَهُ ضائعاً ؛ ولو سافر في طلب الدنيا أو الشهوات إلى خارج هذا المسجد ، لرأيتُ سفَرَهُ عقوبةً وضياعاً .

وقال : العلم أكثر من عدد الشعر ، فخذ من كلِّ شيء أحسنَه][1] .

وأبو بُرْدَة بن أبي موسى الأشعري[2] : [تولَّى قضاءَ الكوفة قبلَ الشعبي ، فإنَّ الشعبيَّ تولَّى في خلافةِ عمر بن عبد العزيز ، واستمرَّ إلى أن مات ، وأمَّا أبو بُردة فإنه كان قاضياً في زمنِ الحجَّاج ، ثم عزله الحجاج وولَّى أخاه أبا بكر ، وكان أبو بردة فقيهاً حافظاً عالماً ، له روايات كثيرة][3] .

أبو قلابة الجَرْمي[4] [عبد الله بن زيد[5] البصري ، له رواياتٌ كثيرة عن جماعة من الصحابة وغيرهم ، وكان من كبار الأئمة والفقهاء ، وطُلب للقضاء فهرب منه وتغرَّب ؛ قدم الشام فنزل داريًا ، وبها مات رحمه الله .

قال أبو قلابة : إذا أحدث الله لك علماً فأحدث له عبادة ، ولم يكنْ همُّك ما تحدِّثُ به الناس ، فلعلَّ غيرَك ينتفعُ ويستغني ، وأنت في الظلمة تتعثَّر . وإني لأرى هذه المجالس إنما هي مناخُ البطَّالين .

وقال : إذا بلغك عن أخيك شيءٌ تكرهه فالتمِسْ له عُذراً جهدَك ، فإنْ لم تجد له عذراً فقل : لعل لأخي عُذراً لا أعلَمُه] .

---

(١) ما بين معقوفين ليس في (ب ، ح) ، وهو من (ق) .

(٢) ترجمته في طبقات ابن سعد (٦/ ٢٦٨) ، الكنى والأسماء لمسلم (١/ ١٤٩) ، معرفة الثقات للعجلي (٢/ ٣٨٧) ، تهذيب الكمال (٢٣/ ٦٦) ، الكاشف (٢/ ٤٠٧) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٩٥) ، تهذيب التهذيب (١٢/ ٢١) ، تقريب التهذيب ص(٦٢١) ، تعجيل المنفعة ص(٥٥١) ، طبقات الحفاظ ص(٤٣) .

(٣) ما بين معقوفين ليس في (ب ، ح) ، وهو مستدرك من (ق) .

(٤) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ١٨٣) ، طبقات خليفة (٢١١) ، التاريخ الكبير (٥/ ٩٢) ، المعارف ص(٤٤٦) ، المعرفة والتاريخ (٢/ ٦٥) ، الجرح والتعديل (٥/ ٥٧) ، الثقات لابن حبان (٥/ ٢) ، حلية الأولياء (٢/ ٢٨٢) ، تاريخ مدينة دمشق ص(٥٣٥) ، صفة الصفوة (٣/ ٢٣٨) ، جامع الأصول (١٤/ ٦٥٨) ، مختصر تاريخ دمشق (١٢/ ٢١٤) ، تهذيب الكمال (١٤/ ٥٤٢) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٦٨) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٩٤) ، تاريخ الإسلام (٤/ ٢٢١) ، ميزان الاعتدال (٢/ ٤٢٥) ، الوافي بالوفيات (١٧/ ت١٦٨) ، تهذيب التهذيب (٥/ ٢٢٤) .

(٥) في (ق) : « عبد الله بن يزيد » تصحيف ، والمثبت من مصادر ترجمته .

ثم دخلت سنة خمس ومئة

فيها غزا الجرَّاح بن عبد الله الحكمي بلادَ اللاَّن[(١)] ، وفتح حصوناً كثيرة ، وبلاداً متسعةَ الأكناف من وراء بلَنجَر ، وأصاب غنائم جَمَّة ، وسبى خلقاً من أولاد الأتراك .

وفيها غزا مسلم بنُ سعيد بلادَ التُّرْكِ وحاصر مدينةً عظيمة من بلادِ الصُّغْد ، فصالحه مَلِكُها على مالٍ كثير يحمِلهُ إليه .

وفيها غزا سعيدُ بن عبد الملك بن مروان بلادَ الرُّوم ، فبعث بين يديه سَرِيَّةً ألفَ فارس ، فأُصيبوا جميعاً .

وفيها لخمسٍ بَقينَ من شعبان منها توفي أميرُ المؤمنين يزيدُ بن عبد الملك بن مروان بأَرْبَدَ[(٢)] من أرضِ البَلْقاء ، وكان ذلك يوم الجمعة ، وعمره ما بين الثلاثين والأربعين ، وهذه ترجمته :

[يزيد بن عبد الملك بن مروان][(٣)]

هو يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو خالد القرشيُّ الأمويّ ، أميرُ المؤمنين ؛ وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية ؛ قيل إنها دُفنت بقبر عاتكة فنُسبتِ المَحَلَّةُ إليها . والله أعلم .

بويع له بالخلافة بعد عمر بن عبد العزيز في رجب من سنة إحدى ومئة بعَهْدٍ من أخيه سليمان ، أنْ يكون الخليفةَ بعدَ عمر[(٤)] بن عبد العزيز رحمه الله ، يوم الجمعة لخمس بَقينَ من رجب .

قال محمد بن يحيى الذُّهْلي : حدّثنا كثير بن هشام ، حدّثنا جعفر بن بُرْقان ، حدّثني الزُّهْري قال : كان لا يَرِثُ المسلمُ الكافرَ ولا الكافرُ المسلمَ في عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، فلما ولي الخلافة معاويةُ ورَّث المسلمَ من الكافر ، ولم يورِّثِ الكافرَ من المسلم ، وأخذ بذلك الخُلفاءُ من بعده ؛ فلما قام عمر بن عبد العزيز راجع السُّنَّة الأولى ، وتبعه في ذلك يزيدُ بن

---

(١) اللاَّن : بلاد واسعة في طرف أرمينية قرب باب الأبواب ، مجاورة للخزر . معجم البلدان (٥/ ٨) .

(٢) أرْبَد : قرية بالأردن قرب طبرية . معجم البلدان (١/ ١٣٦) .

(٣) ترجمته في تاريخ الطبري (٤/ ٧٢) ، الكامل لابن الأثير (٤/ ٣٣١) ، تاريخ اليعقوبي(٢/ ٣١٠) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ١٥٠) تاريخ الإسلام (٤/ ٢١٢) ، فوات الوفيات (٤/ ٣٢٢) ، مآثر الإنافة (١/ ١٤٥) ، تاريخ الخلفاء ص(٢٤٦) .

(٤) في (ب ، ح) : « أن يكون من وراء عمر » بدل « أن يكون الخليفة بعد عمر » .

عبد الملك ؛ فلما قام هشام أخذ بسُنَّةِ الخلفاء ـ يعني أنه ورَّثَ المسلمَ من الكافر[١] .

وقال الوليد بن مسلم عن ابنِ جابر قال : بينما نحن عند مكحول إذْ أقبل يزيدُ بن عبد الملك فهمَمْنا أنْ نوسِّع له ، فقال مكحول : دعوه يجلسْ حيثُ انتهى به المجلس ، يتعلَّم التواضع[٢] .

وقد كان يزيد هذا يُكثر من مجالسةِ العلماء قبل أنْ يلي الخلافة ، فلما وُلِّي عزَمَ على أنْ يتأسَّى بعمر بن عبد العزيز ، فما تركه قرناء السَّوْء ، وحسَّنوا له الظُّلم .

قال حَرْملة عن ابن وهْب ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، قال : لما ولي يزيدُ بن عبد الملك قال : سيروا بسيرة عمر ، فمكث كذلك أربعين ليلة ، فأُتي بأربعين شيخاً فشهدوا له أنه ما على الخلفاء من حسابٍ ولا عذاب[٣] .

وقد اتهمه بعضُهم في الدين ، وليس بصحيح ، إنما ذاك ولَدُه الوليد بن يزيد الفاسق كما سيأتي .

أما يزيد هذا فما كان به بأس .

وقد كتب إليه عمر بن عبد العزيز وهو في مرض موته : أما بعد ، فإني لا أُراني إلا لِمَا بي[٤] ، وما أرَى الأمرَ إلا سيُفضي إليك ، فاللهَ اللهَ في أمَّةِ محمد ، فإنك عَمَّا قليلٍ ميت ، فتدَعُ الدنيا إلى من لا يَحْمَدك ، وتُفضي إلى منْ لا يَعْذِرك ، والسلام[٥] .

وكتب يزيدُ بن عبد الملك إلى أخيه هشام : أما بعد ، فإن أمير المؤمنين قد بلغَهُ أنك استبطأتَ حياتَه ، وتمنَّيتَ وفاته ، ورُمْتَ الخلافة . وكتب في آخره[٦] :

تمنَّى رجالٌ أن أموتَ وإنْ أمتْ ... فتلكَ سبيلٌ لستُ فيها بأوحَدِ
وقد علموا لو ينفعُ العلمُ عندهمْ ... متى مُتُّ ما الباغي[٧] عليَّ بمُخْلَدِ
منيتهُ تجري لوقتٍ وحَتْفُهُ ... يصادفُه يوماً على غيرِ موعدِ
فقلْ للذي يبغي خلافَ الذي مضَى ... تهيَّأ لأُخرى مِثْلِها فكأن قدِ[٨]

---

(١) تاريخ ابن عساكر ٦٥/ ٣٠٠ (ط . دار الفكر) .

(٢) تاريخ ابن عساكر ٦٥/ ٣٠٢ .

(٣) تاريخ ابن عساكر ٦٥/ ٣٠٤ ، وسير أعلام النبلاء (٥/ ١٥٠ ، ١٥١) .

(٤) في (ق) : « إلا ملمّا بي » وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) وطبقات ابن سعد (٥/ ٤٠٥) ، وتاريخ ابن عساكر ٦٥/٣٠٦ .

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٥/ ٤٠٥) ، وابن عساكر في تاريخه ٦٥/ ٣٠٦ .

(٦) تاريخ ابن عساكر ٦٥/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧ .

(٧) في سير أعلام النبلاء (١٠/ ٧٢) ومصادر غيره « ما الداعي » .

(٨) الأبيات الأول والثاني والأخير عزيت إلى الشافعي وهي في ديوانه ص(٩٠ و٩٣) ، وذكرت في مصادر كثيرة ، =

فكتب إليه هشام : جعلَ الله يومي قبلَ يومِك ، وولدي قبلَ ولدِك ، فلا خير في العيش بعدَك .

وقد كان يزيد هذا يحبُّ حَظِيَّةً من حظاياه ، يقالُ لها حَبابَة ـ بتشديد الباء الأولى ، والصحيح تخفيفها ـ واسمُها العالية ؛ وكانت جميلةً جدّاً ؛ وكان قد اشتراها في زمن أخيه سليمان بن عبد الملك بأربعة آلاف دينار ، من عثمان بن سهل بن حُنَيف ، فقال له أخوه سليمان : لقد هَمَمْتُ أنْ أحْجُرَ على يزيد[١] ؛ فباعها ، فلما أفضتْ إليه الخلافة قالت له امرأتُه سعدةُ يوماً : يا أمير المؤمنين ، هل بقي في نفسِك من أمر الدنيا شيءٌ ؟ قال : نعم ، حَبابة ، فبعثتِ امرأتُه فاشترَتْها له ، ولبستها وصنعَتْها وأجلستها من وراءِ الستارة ، وقالت له أيضاً يا أمير المؤمنين هل بقي في نفسك من أمر الدنيا شيءٌ ؟ قال : أوما أخبرتك أنها حبابة ؟ فقالت : هذه حبابة ـ وأبرزَتْها له ، وأخلَتْه بها وتركته وإيَّاها ـ فحظيتِ الجاريةُ عنده ، وكذلك زوجتُه أيضاً ؛ فقال يوماً : أشتهي أنْ أخلوَ بحبابة في قصرٍ مدَّةً من الدهر ، لا يكونُ عندنا أحد . ففعل ذلك ، وجمع إليه في قصره ذلك حبابة ، وليس عنده فيه أحد ، وقد فُرش له بأنواع الفُرش والبُسط الهائلة ، والنعمة الكثيرة السابغة ، فبينما هو معها في ذلك القصر على أسرِّ حال وأنعم بال ، وبين يديهما عِنَبٌ يأكلانِ منه ، إذْ رماها بحَبَّةِ رُمَّان ، ويُروى بحبة عِنَب وهي تضحك ، فشرِقَتْ بها فماتَتْ ، فمكَثَ أياماً يُقبِّلُها ويَرْشُفها وهي ميتة ، حتى أنتنَتْ وجيَّفَتْ ؛ فأمر بدفنها وما كاد ، فلما دفنها أقام أياماً عندها على قبرها هائماً ، ثم رجع إلى المنزل ، ثم عاد إلى قبرِها فوقف عليه وهو يقول :

فإنْ تَسْلُ عنكِ النفسُ أو تدَعِ الصِّبَا ... فباليأسِ تَسْلو عنكِ لا بالتجلُّدِ
وكلُّ خليلٍ زارني[٢] فهو قائلٌ ... من أجلكِ هذا هامةُ اليوم أو غدِ

ثم رجع . فما خرَجَ من منزله حتى خرَجَ بنعشِه وكان مرَضُه بالسِّل[٣] .

وذلك بالسَّوَاد سوادِ الأُرْدُنّ ، يوم الجمعة لخمسٍ بقينَ من شعبان من هذه السنة ـ أعني سنةَ خمسٍ ومئة .

وكانت خلافتُه أربعَ سنين وشهراً على المشهور ، وقيل أقلّ من ذلك ، وكان عمره ثلاثاً وثلاثين سنة ، وقيل خمساً ، وقيل ستّاً ، وقيل ثمانياً ، وقيل تسعاً وثلاثين . وقيل : إنه بلغ الأربعين ، فالله أعلم .

= وكلها ينص على أنه كان يتمثل بها . وذكر البيت الأول منها الطبري في تفسيره (٣٠/ ٢٢٧) في تفسير الآية (١٧) من سورة الليل ، وعزاه لطرفة بن العبد وكذا القرطبي في تفسيره (٢٠/ ٨٨) ، ولم نجدها في ديوانه المطبوع .

(١) في (ق) : « على يديك » ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) ، وتاريخ الطبري (٤/ ١١٠) .

(٢) كذا في (ب ، ح ، ق) ، وفي الأغاني وديوان كثير « راءني » .

(٣) الخبر والبيتان بنحوه في الأغاني (١٥/ ١٤٠) ، والبيتان لكثير عزة وهما في ديوانه ص(٨٦) .

وكان طويلاً جسيماً أبيض مدوَّرَ الوجه ، أفْقم الفم[١] ، لم يشب .

وقيل إنه مات بالجَوْلان ؛ وقيل بحَوْران ، وصلى عليه ابنُه الوليدُ بن يزيد ، وعمرُه خمسَ عشرةَ سنة . وقيل : بل صلَّى عليه أخوه هشامُ بن عبد الملك أمير المؤمنين ، وهو الخليفةُ بعدَه ، وحُمل على أعناقِ الرجال حتى دُفن بين باب الجابية وباب الصَّغِير بدمشق ، وكان قد عهد بالأمرِ من بعدِه لأخيه هشام ، ومن بعدِه لولدِهِ الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، فبايع الناسُ من بعده هشاماً .

خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان[٢]

بويع له بالخلافة يوم الجمعة بعد موت أخيه ، لخمسٍ بَقِينَ من شعبان من هذه السنة ـ أعني سنةَ خمسٍ ومئة ـ وله من العمر أربعٌ وثلاثون سنة وأشهر ، لأنه كان مولدُه حين[٣] قَتَلَ أبوه عبدُ الملك مُصعبَ بنَ الزُّبير في سنةِ ثنتين وسبعين ، فسمَّاهُ منصوراً تفاؤلاً ؛ ثم قدم فوجَدَ أمَّه قد أسمَتْه باسم أبيها هشام ، فأقر اسمه هشاماً .

قال الواقدي : أَتَتْهُ الخلافةُ وهو بالزيتونة[٤] في منزلٍ له ، فجاءه البريدُ بالعصا والخَاتم ، فسُلِّم عليه بالخلافة ، فركب من الرصافة حتى أتى دمشق ، فقام بأمرِ الخلافة أتمَّ القيام ، فعزَلَ في شوال منها عن إمْرةِ العراق وخراسان عمرَ بنَ هُبيرة ، وولَّى عليها خالد بن عبدِ الله القسري ؛ وقيل : إنه استعمله على العراق في سنة ستٍّ ومئة ، والمشهور ما ذكرناه[٥] . وحجَّ بالناس فيها إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي خالُ أميرِ المؤمنين ، أخو أُمِّه عائشة بنتِ هشام بن إسماعيل ، ولم تلِدْ من عبد الملك سواهُ حتى طلقها ، لأنها كانتْ حمقاء .

وفيها قَوِيَ أمرُ دعوةِ بني العباس في السِّرّ بأرض العراق ، وحصل لدعاتهم أموالٌ جزيلة يستعينون بها على أمرهم ، وما هم بصدده .

---

(١) الفَقَم في الفم : أن تتقدم الثنايا السفلى فلا تقع عليها العليا إذا ضم الرجل فاه . لسان العرب . (فقم) وفي القاموس : تقدّم الثنايا العليا فلا تقع على السفلى .

(٢) ترجمته في تاريخ الطبري (٤/ ١١١) ، تاريخ اليعقوبي (٢/ ٣١٦) ، الكامل لابن الأثير (٤/ ٣٧٠) ، مروج الذهب (٢/ ١٤٢ ، ١٤٥) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٥١) ، تاريخ الخلفاء ص(٢٤٧) .

(٣) في (ق) : « ولد لما قتل . . » ، والمثبت من (ب ، ح) .

(٤) في (ب ، ق) : « بالديثونة » ، وفي (ح) بالرسم نفسه مهملة الحروف ، وهو تصحيف ، والمثبت من تاريخ اليعقوبي (٢/ ٣١٦) ، ولفظه : « وأتته الخلافة وهو بقرية يقال لها الزيتونة من الجزيرة » يؤيد ذلك معجم البلدان (٣/ ١٦٣) إذ جاء فيه : « الزيتونة موضع كان ينزله هشام بن عبد الملك في بادية الشام ، فلما عمر الرصافة انتقل إليها فكانت منزله إلى أن مات » .

(٥) في (ق) : « الأول » بدل « ما ذكرناه » ، والمثبت من (ب ، ح) .

وفيها توفي من الأعيان :

أبَانُ بن عثمان بن عفَّان[١] : تقدَّم ذكر وفاته سنةَ خمسٍ وثمانين ، كان من فقهاءِ التابعين وعلمائهم .

قال عمرو بن شعيب : ما رأيتُ أعلمَ منه بالحديثِ والفقه . وقال يحيى بن سعيد القطَّان : فقهاء المدينة عشرة ، فذكر أبان بن عثمان أحدَهم ، وخارجةَ بن زيد ، وسالم بن عبد الله ، وسعيدَ بن المسيِّب ، وسُليمان بن يَسَار ، وعُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة ، وعروة ، والقاسم ، وقَبيصة بن ذؤيب ، وأبا سَلَمةَ بن عبد الرحمن .

قال محمد بن سعد[٢] : كان به صَممٌ ووَضح ، وأصابه الفالجُ قبلَ أنْ يموتَ بسنة ، وتوفي سنة خمس ومئة .

وممَّنْ توفِّي فيها :

أبو رجاء العُطَارِديّ[٣] ، من رجال الصحيحين .

وعامر بن شراحيل الشعبي ، في قول ، وقد تقدَّم[٤] .

وكُثَيِّر عَزَّة ، في قول . وقيل : في التي بعدها كما سيأتي .

ثم دخلت سنة ست ومئة

ففيها عزَلَ هشامُ بن عبد الملك عن إمرة المدينة ومكة والطائف ، عبدَ الواحد بن عبد الله النَّصْري[٥] ، وولَّى على ذلك كلِّه ابنَ خالِه إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي .

وفيها غزا سعيدُ بن عبد الملك الصائفة ، وفيها غزا [مسلم بن سعيد مدينة فرغانة ومعاملتها ، فلَقِيَهُ

---

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٥/ ١٥١) ، طبقات خليفة ت(٢٠٥٨) ، تاريخ البخاري (١/ ٤٥٠) ، المعارف ص(٢٠١) ، أخبار القضاة (١/ ١٢٩) ، الجرح والتعديل (٢/ ٢٩٥) ، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٩٧) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٥١) ، تهذيب التهذيب (١/ ٩٧) .

(٢) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٥٢) .

(٣) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٨) ، طبقات خليفة ت(١٥٦٤) ، تاريخ البخاري (٦/ ٤١٠) ، المعارف ص(٤٢٧) ، حلية الأولياء (٢/ ٣٠٤) ، الاستيعاب ت(١٩٧١) ، أسد الغابة (٤/ ١٣٦) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٥٣) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٦٢) ، تهذيب التهذيب (٨/ ٩٤٠) ، طبقات الحفاظ ص(٢٥) .

(٤) تقدم في ص(٥٨) من هذا الجزء .

(٥) في (ق) : « النضري » ، وفي (ح) : « البصري » ، والمثبت من (ب) ، وانظر ص(٥٦) ح(٥) وص(٥٧) ح(٣) .

عندها الترك ، وكانتْ بينهم وقعةٌ هائلة ، قُتل فيها الخاقان وطائفةٌ كبيرة من الترك .

وفيها أوغل الجَرَّاحُ الحَكَمي في أرض الخَزَر ، فصالحوه وأعطَوْهُ الجِزْيَة والخراج . وفيها غزا [(١) الحجَّاجُ بن عبد الملك اللان ، [فقتل خلقاً كثيراً ، وغَنِم وسَلِم](١) .

وفيها عزَل خالدُ بن عبد الله القَسْري عن إمرةِ خراسان مسلمَ بنَ سعيد ، وولَّى عليها أخاه أسد بن عبد الله القَسْري .

وحجَّ بالناس في هذه السنة أميرُ المؤمنين هشامُ بن الملك ، وكتب إلى أبي الزِّناد قبلَ دخولِه المدينة ليتلقَّاهُ ويكتبَ له مناسك الحجّ ، ففعل ، وتلقَّاهُ الناسُ من المدينة إلى أثناء الطريق ، وفيهم أبو الزناد قد امتثل ما أُمر به ، وتلقَّاه فيمن تلقاه سعيد بن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان ، فقال له : يا أمير المؤمنين إنَّ أهل بيتِك في مثلِ هذه المواطنِ الصالحة لم يزالوا يلعَنُونَ أبا تراب ، فالْعَنْهُ أنتَ أيضاً ، قال أبو الزناد : فشقَّ ذلك على هشام واستثقله ، وقال : ما قدمتُ لِشَتْم أحد ، ولا للعنةِ أحد(٢) . إنما قدمنا حُجَّاجاً . ثم أعرض عنه وقطع كلامه ، وأقبل على أبي الزناد يحادِثُه ، ولما انتهى إلى مكة عرض له إبراهيمُ بن طلحة فتظلَّم إليه في أرض ، فقال له : أين كنت عن عبد الملك ؟ قال : ظلمني . قال : فالوليد ؟ قال : ظلمني . قال : فسليمان ؟ قال : ظلمني . قال فعمر بن عبد العزيز ؟ قال : ردَّها عليّ . قال : فيزيد ؟ قال : انتزعها من يدي ، وهي الآن في يدك . فقال له هشام : أما لو كان فيك مَضْربٌ لضربتُك . فقال : بلى فيَّ مضربٌ بالسَّوْط والسيف . فانصرف عنه هشام وهو يقول لمن معه : ما رأيتُ أفصح من هذا .

وفيها كان العامل على مكة والمدينة والطائف ، إبراهيمُ بن هشام بن إسماعيل ؛ وعلى العراق وخراسان خالد بن عبد الله القَسْري [والله سبحانه أعلم](٣) .

ومِمن تُوفي فيها :

سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب(٤) .

---

(١) ما بين المعقوفين ليس في (ب ، ح) ، والمثبت من (ق) .

(٢) في (ح) : « ولا للعنه » ؛ وفي (ق) : « ولا لعنة أحد » ، والمثبت من (ب) .

(٣) ما بين المعقوفين ليس في (ب ، ح) ، والمثبت من (ق) .

(٤) ترجمته في طبقات ابن سعد (٥/ ١٩٥) ، طبقات خليفة ص(٢٤٦) ، تاريخ خليفة ص(٢٣٨) ، التاريخ الكبير (٤/ ١١٥) ، المعارف ص(١٨٦) ، المعرفة والتاريخ (١/ ٥٥٤) ، الجرح والتعديل (٤/ ١٨٤) حلية الأولياء (٢/ ١٩٣) ، صفة الصفوة (٢/ ١٩٠) ، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٠٧) ، وفيات الأعيان (٢/ ٣٤٩) ، تهذيب الكمال (١٠/ ١٤٥) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٥٧) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٨٨) الوافي بالوفيات (١٥/ ت٨٣) . وما سيأتي هنا بين معقوفين ليس في (ب ، ح) وهو زيادة أقحمت على المتن في نسخة (ق) =

وطاوس بن كَيْسان اليماني[(١)] : من أكبر أصحاب ابن عباس رضي الله عنه . وقد

= فوضعناه هنا في الحاشية وهي : [أبو عمرو الفقيه ، أحدُ الفقهاء وأحدُ العلماء وله روايات عن أبيه وغيره ، وكان من العُبّاد الزُّهّاد ، ولما حجَّ هشامُ بن عبد الملك دخلَ الكعبةَ ، فإذا هو بسالم بن عبد الله ، فقال له : سالم ، سَلْني حاجةً . فقال : إني لأستحي من الله أن أسأل في بيته غيرَه . فلما خرج سالم خرج هشامٌ في أثره فقال له : الآن قد خرجتَ من بيتِ الله فسلني حاجة . فقال سالم : من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة ؟ قال : من حوائج الدنيا ، فقال سالم : إني ما سألتُ الدنيا منْ يَمْلِكُها ، فكيف أسألُها من لا يملكها . (ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٦٦) .

وكان سالمٌ خَشنَ العيش ، يَلْبسُ الصوف الخَشِن ، وكان يعالجُ بيده أرضاً له وغيرَها من الأعمال ، ولا يقبلُ من الخلفاء ، وكان متواضعاً ، وكان شديدَ الأُدْمَة ، وله من الزُّهْد والوَرَع شيءٌ كثير] .

(١) ترجمته في : طبقات ابن سعد (٥/ ٥٣٧) ، تاريخ خليفة ص(٣٣٦) ، طبقات خليفة ص(٢٨٧) ، الزهد لأحمد بن حنبل ص(٣٧٥) ، التاريخ الكبير (٤/ ٣٦٥) ، المعارف (٤٥٥) ، المعرفة والتاريخ (١/ ١٥) . الجرح والتعديل (٤/ ٥٠٠) ، الثقات لابن حبان (٤/ ٣٩١) ، حلية الأولياء (٤/ ٣) ، صفة الصفوة (٢/ ٢٨٤) ، وفيات الأعيان (٢/ ٥٠٩) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٨) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٩٠) ، الوافي بالوفيات (١٦/ ت ٤٥١) ، العقد الثمين (٥/ ٥٨) . وما سيأتي أقحم على المتن في (ق) فأثبتناه هنا في الحاشية وهو : [انتهى . وقد زِدْنا هنا في ترجمة سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب زيادةً حسنة . فأمّا طاوس فهو أبو عبد الرحمن طاوس بن كَيْسان اليماني ، فهو أول طبقةِ أهلِ اليمن من التابعين ، وهو من أبناء الفرس الذي أرسلهم كسرى إلى اليمن .

أدرك طاوس جماعةً من الصحابة وروى عنهم ، وكان أحدَ الأئمة الأعلام ، قد جمع العبادة والزهادة ، والعلم النافع ، والعمل الصالح ، وقد أدرك خمسين من الصحابة ، وأكثر روايته عن ابن عباس ؛ وروى عنه خَلْقٌ من التابعين وأعلامهم ، منهم مجاهد ، وعطاء ، وعمرو بن دينار ، وإبراهيم بن ميسرة ، وأبو الزبير ، ومحمد بن المنكدر ، والزُّهري ، وحبيب بن أبي ثابت ، وليث بن أبي سُليم ، والضحاك بن مزاحم ، وعبد الملك بن مَيْسرة ، وعبد الكريم بن المخارق ، ووَهْب بن مُنبِّه ، والمغيرة بن حكيم الصَّنعاني ، وعبد الله بن طاوس ، وغير هؤلاء .

تُوفي طاوس بمكة حاجّاً ، وصلى عليه الخليفة هشام بن عبد الملك ، ودُفن بها رحمه الله تعالى .

قال الإمام أحمد : حدّثنا عبد الرزاق قال : قال أبي : مات طاوس بمكة فلم يصلُّوا عليه حتى بعث هشام ابنه بالحرس ، قال : فلقد رأيتُ عبد الله بن الحسن واضعاً السريرَ على كاهِله ، قال : ولقد سقطتْ قَلَنسوةٌ كانتْ عليه ، ومُزِّقَ رداؤه من خلفِه . (أخرجه أبو نعيم في الحلية ٤/ ٣) .

يعني من كثرةِ الزِّحام . فكيف لا وقد قال النبيُّ ﷺ : « الإيمان يمان » (خرجه البخاري (٤٣٨٩) في المغازي : باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن ؛ ومسلم (٥٢) في الإيمان : باب تفاضل أهل الإيمان) . وقد خرَجَ من اليمن خَلْقٌ من هؤلاء المشارِ إليهم في هذا وغيرِه ، ومنهم أبو مسلم ، وأبو إدريس ، ووَهْب ، وكعب ، وطاوس وغير هؤلاء كثير .

وروى ضَمْرَةُ عن ابن شَوْذَب قال : شهدتُ جنازةَ طاوس بمكة سنة خمسٍ ومئة ، فجعلوا يقولون : رحم الله أبا عبد الرحمن ، حجَّ أربعين حجّة (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣) ، وابن عبد البر في التمهيد (١٢/ ١٩٢) به) .

وقال عبدُ الرزاق : حدّثنا أبي قال : تُوفِّي طاوُس بالمُزْدَلفة ـ أو بمنى ـ حاجّاً ، فلما حُمل أَخَذَ عبدُ الله بن =

. . . .

الحسن بن علي بقائمةِ سريره . فما زايله حتى بلَغَ القَبْر (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣)) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا عبد الرزاق قال : قدم طاوس بمكة ، فقدم أمير المؤمنين ، فقيل لطاوس : إنَّ منْ فضلِه ومِنْ ، ومِنْ ، فلو أتيتَهُ . قال : ما لي إليه حاجة . فقالوا : إنا نخافُ عليك . قال : فما هو إذاً كما تقولون (أخرجه المزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٧١)) .

وقال ابنُ جُرَيج (في (ق) : « وقال ابن جرير » وهو تصحيف ، والمثبت من مصادر تخريج الخبر .) : قال لي عطاء : جاءني طاوس فقال لي : يا عطاء ، إياك أنْ ترفعَ حوائجكَ إلى منْ أغلَقَ دونَكَ بابَه ، وجعَلَ دونَهُ حُجَّابه ؛ وعليك بطلَبِ مَنْ بابُه لك مفتوحٌ إلى يوم القيامة ، طلَبَ منك أنْ تدعوَهُ ، ووعدكَ الإجابَةَ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١١) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٥)) .

وقال ابنُ جُريج عن مجاهد ، عن طاوس : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤٤] ، قال : بعيد من قلوبهم (أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٤/ ١٢٨) في تفسير الآية ، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١١)) .

وروى الأحجري (كذا في (ق) وأظنه تصحيفاً ، انظر الحاشية التالية وأسانيد الخبر .) عن سفيان عن ليث قال قال لي طاوس : ما تعلَّمتَ من العلم فتعلَّمْهُ لنفسِك ، فإنَّ الأمانةَ والصدق قد ذهبا من الناس (أخرجه ابن سعد في الطبقات (٥/ ٥٤١) ، بسنده إلى قبيصة بن عقبة قال : أخبر سفيان به . والرامهرمزي في المحدث الفاصل ص(٥٣٩) بسنده إلى زيد بن أخزم عن أبي أحمد به ، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١١) بسنده إلى علي بن قادم حدّثنا سفيان به) .

وقال عبد الرحمن بن مهدي عن حماد بن زيد ، عن الصلت بن راشد ، قال : كُنَّا عند طاوس ، فجاءه سَلْمُ (في (ق) : « مسلم بن قتيبة بن مسلم » وهو تصحيف ، والمثبت من مصادر تخريج الخبر .) بن قُتيبة بن مسلم ، صاحبُ خُرَاسان ، فسأله عن شيء ، فانتهره طاوس ، فقلت : هذا سَلْمُ بن قُتيبة بن مسلم صاحبُ خراسان ، قال : ذاك أهوَنُ له علي (أخرجه ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٢٨٧) ، والمزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٦٨)) .

وقيل (في (ق) : « وقال » ، وهو تصحيف ، والمثبت من شعب الإيمان (٧/ ٤٠٤) ، وحلية الأولياء (٤/ ٧) .) لطاوس : إنَّ منزلك قد استرمَّ ، فقال : أمسيْنا .

وروى عبد الرزاق عن معمر ، عن ابن طاوس في قوله تعالى : ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٢٨] ، قال : في أمور النساء ، ليس يكونُ في شيءٍ أضعفَ منه في النساء (أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٣٠) ، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٢)) .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدّثنا يحيى بن بُكير ، حدّثنا إبراهيم بن نافع ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، قال : لقي عيسى بنُ مريم عليه السلام إبليس ، فقال إبليسُ لعيسى : أما علمتَ أنه لن يُصيبَك إلَّا ما كَتَبَ الله لك ؟ قال : نعم ، قال إبليس : فأوْفِ بذِرْوةِ هذا الجبل فتردَّ منه ، فانظرْ ، أتعيشُ أمْ لا ؟ قال عيسى : أما علمتَ أنَّ الله تعالى قال : لا يُجَرِّبْني عبدي ، فإني أفعلُ ما شئت ؟ وفي روايةٍ عن الزُّهري عنه قال قال عيسى : إنَّ العبدَ لا يختبرُ ربَّه ، ولكنَّ الربَّ يختبرُ عبدَه . وفي رواية أخرى : إنَّ العبدَ لا يبتلي ربَّه ، ولكنَّ الربَّ يبتلي عبدَه . قال : فخصَمَهُ عيسى عليه السلام (أخرجه معمر بن راشد في الجامع (المصنف لعبد الرزاق) : (١١/ ١١٣) ، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٤/ ٦١٩) ، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٢) .) .

وقال فُضيل بن عياض عن ليث عن طاوس قال : حجّ الأبرار على الرِّحال . رواه عبد الله بن أحمد عنه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٦ و١٣)) .

=

. . . .

= وقال الإمام أحمد : حدّثنا أبو تُمَيْلَة عن ابن أبي رَوَّاد (في (ق) : « عن ابن أبي داود » ، وهو تصحيف ، والمثبت من مصادر تخريج الخبر . وترجمة أبي تميلة يحيى بن واضح في تهذيب الكمال (٣٢/ ٢٢) وابن أبي رواد هو عبد العزيز .) ، قال : رأيت طاوساً وأصحاباً له إذا صلَّوا العصرَ استقبلوا القبلة ولم يكلِّموا أحداً ، وابتهلوا إلى الله تعالى في الدعاء (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٣) ، والمزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٧٠) .) .

وقال : من لم يبخلْ ولم يلِ مال يتيم لم ينَلْهُ جَهْدُ البلاء . رواهُ عنه أبو داود الطيالسي (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٣) ، والمزي في تهذيب الكمالَ (١٣/ ٣٧٠) .) .

وقد رواه الطبراني عن محمد بن يحيى بن المنذر عن موسى بن إسماعيل عن أبي داود . . . فذكره .

وقال لابنه : يا بني ، صاحبِ العقلاءَ تُنسَبْ إليهم وإنْ لم تكنْ منهم ، ولا تصاحبِ الجُهَّال فتنسَبَ إليهم وإنْ لم تكن منهم ؛ واعلَمْ أنَّ لكلِّ شيءٍ غايةً ؛ وغايةُ المرء حُسْنُ عَقْلِه .

وسأله رجلٌ عن مسألة فانتهره ، فقال : يا أبا عبد الرحمن إني أخوك ، قال : أخي من دون الناس ؟ .

وفي رواية أنَّ رجلاً من الخوارج سأله فانتهره ، فقال : إني أخوك ، قال : أَمِنْ بينِ المسلمين كلِّهم ؟

وقال عفَّان عن حماد بن زيد ، عن أيُّوب ، قال : سأل رجلٌ طاوساً عن شيءٍ فانتهره ، ثم قال : تريدُ أنْ تجعلَ في عنقي حبلاً ثم يطافُ بي ؟

ورأى طاوسُ رجلاً مسكيناً في عينه عمشٌ ، وفي ثوبِهِ وسَخ ، فقال له : عُدَّ أنَّ الفقرَ من الله ، فأين أنت من الماء ؟ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٤) .)

وروى الطبرانيُّ عنه قال : إقرارٌ ببعض الظلم خيرٌ من القيام فيه (تهذيب الكمال (١٣/ ٣٦٩) .) .

وعن عبد الرزاق ، عن داودَ بنِ إبراهيم أنَّ الأسد حَبَسَ الناسَ ليلةً في طريقِ الحَجّ ، فدَقَّ الناسُ بعضُهم بعضاً ، فلما كان السَّحَرُ ذهب عنهم الأسد ، فنزل الناسُ يميناً وشمالاً فألقَوْا أنفسَهم ، وقام طاوسُ يُصلِّي ، فقال له رجل ـ وفي رواية فقال ابنه ـ : ألا تنام ؟ فإنَّك قد سَهرتَ ونَصبْتَ هذه الليلة . فقال : وهل ينامُ السَّحَرَ أحد ؟ وفي رواية : ما كنتُ أظنُّ أحداً ينامُ السَّحَر (أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد ص(٣٧٧) ، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٤) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ١٦٦) (٣٢٣١) .) .

وروى الطبراني من طريق عبد الرزاق ، عن ابن جُرَيج (في (ق) : « أبي جريج » ، تصحيف ، والمثبت من مصادر تخريج الخبر .) وابنِ عُيَيْنة ، قالا : حدّثنا ابنُ طاوس قال : قلتُ لأبي : ما أفضلُ ما يقالُ على الميت ؟ قال الاستغفار (أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٣/ ٤٩٣) (٦٤٤٢) ؛ وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٤) ، والمزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٧٠) .) .

وقال الطبراني : حدّثنا عبدُ الرزاق قال : سمعتُ النعمانَ بن الزُّبير الصنعاني يحدث ، أنَّ محمد بن يوسف ـ أو أيُّوب بن يحيى ـ بعث إلى طاوس بسبعمئة دينار وقال للرسول : إنْ أخذها منك فإنَّ الأميرَ سَيَكْسُوكَ ويُحسنُ إليك . قال : فخرج بها حتى قدِم على طاوس الجند ، فقال : يا أبا عبد الرحمن نفقةٌ بعث بها الأميرُ إليك . فقال : ما لي بها من حاجة ، فأرادَهُ على أخذِها بكلِّ طريق فأبى أنْ يقبلَها ، فغفَلَ طاوس فرَمَى بها الرجلُ في كوَّةٍ في البيت ثم ذهبَ راجعاً إلى الأمير ، وقال : قد أخذها ، فمكثوا حيناً ثم بلغَهُمْ عن طاوس ما يكرهون ـ أو شيءٌ يكرهونه ـ فقالوا : ابعثوا إليه فليبعث إلينا بمالنا . فجاءه الرسولُ فقال : المال الذي بعثه إليك الأمير رُدَّهُ إلينا . فقال : ما قبضتُ منه شيئاً . فرجع الرسولُ إليهم فأخبرهم . فعرفوا أنه صادق ، فقالوا : انظُروا الذي ذهب بها إليه ، فأرسلوه إليه ، فجاءه فقال : المالُ الذي جئتك به يا أبا عبد الرحمن ، قال : هل قبضتُ منك شيئاً ؟ قال : لا ! قال : فقام إلى المكان الذي رمَى به فيه فوجدَها كما هي ، وقد بنَتْ عليها العنكبوت ، فأخذها فذهبَ بها إليهم =

. . . .

= (أخرجه معمر بن راشد في الجامع (المصنف لعبد الرزاق) (١١/ ٤٧١) (٢١٠٣٢) ، والزهد لابن أبي عاصم ص(٣٧٥) ، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٤) ، والمزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٧٠) .) .

ولما حجَّ سليمانُ بن عبد الملك قال : انظروا إليَّ فقيهاً أسألُه عن بعض المناسك . قال : فخرج الحاجبُ يلتمس له ، فمرَّ طاوس فقالوا : هذا طاوس اليماني ، فاخذه الحاجبُ فقال : أجبْ أميرَ المؤمنين ، فقال : اعفني . فأبَى ، فأدخله عليه ؛ قال طاوس : فلما وقفتُ بين يديه قلت : إنَّ هذا المقامَ يسألُني الله عنه . فقال : يا أمير المؤمنين إنَّ صخرةً كانتْ على شفيرِ جهنَّم هوَتْ فيها سبعين خريفاً حتى استقرَّتْ في قرارها ، أتدري لمن أعدَّها الله ؟ قال : لا !! وَيْلك لمن أعدها الله ؟ قال : لمن أشرَكَهُ الله في حُكْمِه فجار (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٥) ، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٢) ، وابن رجب في التخويف من النار ص(٩١) .) .

وفي روايةٍ ذكرها الزُّهري ، أنَّ سليمان رأى رجلاً يطوفُ بالبيت ، له جَمالٌ وكمال ، فقال : مَنْ هذا يا زهري ؟ فقلت : هذا طاوس ، وقد أدرك عدَّةً من الصحابة . فأرسل إليه سليمان ، فأتاه فقال : لو ما حدثتنا ؟ فقال : حدّثني أبو موسى قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ أهوَنَ الخلقِ على الله عزَّ وجلَّ مَنْ وَليَ من أمورِ المسلمين شيئاً فلم يَعْدِلْ فيهم » . فتغيَّرَ وجهُ سليمان ؛ فأطرق طويلاً ثم رفَعَ رأسَهُ إليه فقال : لو ما حدثتنا ؟ فقال : حدّثني رجلٌ من أصحاب النبي ﷺ ـ قال ابن شهاب : ظننتُ أنه أرادَ عليّاً ـ قال : دعاني رسولُ الله ﷺ إلى طعام في مجلسٍ مَن مجالس قريش ، ثم قال : « إنَّ لكم على قُريشٍ حقّاً ، ولهم على الناسِ حقّ ، ما إذا استُرحموا رَحِمُوا ، وإذا حكموا عدَلوا ، وإذا ائتُمنوا أدَّوْا ، فمنْ لم يفعلْ فعلَيه لعنةُ اللهِ والملائكة والناسِ أجمعين ، لا يقبل الله منه صَرْفاً ولا عَدْلاً » . قال : فتغيَّر وَجْهُ سليمان ، وأطرق طويلاً ثم رفع رأسه إليه وقال : لو ما حدثتنا ؟ فقال : حدّثني ابنُ عباس أنَّ آخر آيةٍ نزلَتْ من كتاب الله : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨١] (أخرجه بطوله أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٥ ، ١٦) .) .

وقال عبدُ الله بنُ أحمد بن حنبل : حدّثني أبو مَعمر عن ابنِ عُيينة ، عن إبراهيم بنِ مَيْسرة ، قال : قال عمر بن عبد العزيز لطاوس : ارفعْ حاجتَك إلى أميرِ المؤمنين ـ يعني سُليمان ـ فقال طاوس : ما لي إليه من حاجة . فكأنَّه عجبَ من ذلك ؛ قال سفيان : وحلف لنا إبراهيم وهو مستقبلٌ الكعبة : ورَبِّ هذا البيت ، ما رأيتُ أحداً الشريفُ والوضيعُ عنده بمنزلةٍ واحدة إلّا طاوس (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٦) .) .

قال : وجاء ابنٌ لسليمان بن عبد الملك ، فجلس إلى جَنْب طاوس فلم يلتفِتْ إليه ، فقيل له : جلس إليك أميرُ المؤمنين فلم تلتفتْ إليه ؟ قال : أردتُ أنْ يعلَم هو وأبوه أنَّ لله عباداً يزهدون فيهم وفيما في أيديهم (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٦) .) .

وقد روى عبدُ الله بن أحمد عن ابن طاوس قال : خرَجْنا حُجَّاجاً فنزَلْنا في بعضِ القُرَى ، وكنتُ أخافُ أبي من الحُكّام لشدَّتِه وغِلْظته عليهم ، قال : وكان في تلك القرية عاملٌ لمحمد بن يوسف ـ أخي الحجّاج بن يوسف ـ يقالُ له أيوب بن يحيى ، وقيل : يقالُ له : ابن نجيح ، وكان من أخبث عُمّالهم كِبْراً وتجبُّراً ، قال : فشهدنا صلاةَ الصُّبح في المسجد ، فإذا ابنُ نجيح قد أُخبر بطاوس ، فجاء فقعَدَ بين يديْ طاوس ، فسلَّم عليه فلم يُجِبْه ، ثم كلَّمه فأعرض عنه ، ثم عدَلَ إلى الشِّقِّ الآخر ، فأعرض عنه ، فلما رأيتُ ما به قمتُ إليه وأخذتُ بيده ، ثم قلت له : إنَّ أبا عبد الرحمن لم يعرفْك ، فقال طاوس : بلى ! إني به لعارف ، فقال الأمير : إنه بي لعارف ، ومعرفتُه بي فعلَتْ بي ما رأيت . ثم مَضَى وهو ساكتٌ لا يقولُ شيئاً ؛ فلما دخلتُ المنزل قال لي أبي : يا لُكَع ، بينما أنت تقولُ أريد أخرُج عليهم بالسيف ، لم تستطِعْ أنْ تحبسَ عنهم لسانَك (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٦) ، والمزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٧٢) .) . =

. . . .

=

وقال أبو عبد الله الشامي : أتيتُ طاوساً فاستأذنتُ عليه فخرجَ إليَّ ابنهُ شيخٌ كبير ، فقلت : أنت طاوس ؟ فقال : لا ، أنا ابنه ، فقلت : إنْ كنتَ أنت ابنَهُ فإنَّ الشيخَ قد خَرِف ، فقال : إنَّ العالم لا يَخْرَف . فدخلتُ عليه فقال طاوس : سَلْ فأوجزْ . فقلت : إنْ أوْجَزْتَ أوجزتُ لك ، فقال : تريد أنْ أجمعَ لك في مجلسي هذا التوراةَ والإنجيلَ والفُرْقان ؟ قال : قلتُ : نعم . قال : خف الله مخافةً لا يكونُ عندكَ شيءٌ أخوفَ منه ، وارْجُهُ رجاءً هو أشدُّ من خوفِكَ إيّاه ، وأحِبَّ للناس ما تحبُّ لنفسِك (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١١) .) .

وقال الطبراني : حدّثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدّثنا عبد الرزاق عن معمر ، عن ابنِ طاوس ، عن أبيه ، قال : يُجاءُ يومَ القيامة بالمالِ وصاحبِهِ فيتحاجّان ، فيقول صاحبُ المال للمال : جمعتُك في يوم كذا في شهر كذا في سنةِ كذا . فيقولُ المال : ألم أقضِ لك الحوائج ؟ أنا الذي حلتُ بينك وبين أنْ تصنعَ فيما أمرَكَ الله عزَّ وجلَّ من حُبِّكَ إيَّاي . فيقول صاحبُ المال : إنَّ هذا الذي (في (ق) : « إن هذا الذي نفد » ، وهو تصحيف ، والمثبت من مصادر تخريج الخبر .) عليَّ حِبالٌ أُوثَقُ بها وأقيّد (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٠) ، والمزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٦٧) ، وتتمته عندهما : « فيقول المال : أنا الذي حلتُ بينك وبين أن تصنع فيَّ ما أمرك الله به » .) .

وقال عثمان بن أبي شيبة : حدّثنا أبي ، حدّثنا يحيى بن الضُّرَيس ، عن أبي سنان ، عن حبيب بن أبي ثابت قال : اجتمع عندي خمسةٌ لا يجتمعُ عندي مثلهم قطّ : عطاء ، وطاوس ، ومجاهد ، وسعيد بن جُبير ، وعِكْرِمة (أخرجه المزي في تهذيب الكمال (٢٠/ ٢٧٣) ، وتتمته فيه : « فأقبل مجاهد وسعيد بن جبير يلقيان على عكرمة التفسير ، فلم يسألاه عن آية إلا فسرها لهما ، فلما نفد ما عندهما جعل يقول : أنزلت آية كذ في كذا ، وأنزلت آية كذا في كذا . قال : ثم دخلوا الحمام ليلاً » .) .

وقال سفيان : قلتُ لعُبيدِ الله بن أبي يزيد : مع مَنْ كنتَ تَدخل على ابن عباس ؟ قال : مع عطاء والعامة . وكان طاوسُ يدخلُ مع الخاصَّة (أخرجه ابن سعد في الطبقات (٥/ ٤٨١) ، والإمام أحمد في العلل (٣/ ١٣٩) ، والرامهرمزي في المحدث الفاصل ص(٥٦٩) ، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٩) .) .

وقال حبيب : قال لي طاوس : إذا حدَّثْتُك حديثاً قد أثبتُّه [لك] فلا تسألْ عنه أحداً - وفي رواية - فلا تسأل عنه غيري (أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٣٨٦) ، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٩) ، وما بين معقوفين منه .) .

وقال أبو أسامة ، حدّثنا الأعمش عن عبد الملك بن مَيْسرة ، عن طاوس ، قال : أدركتُ خمسين مِنْ أصحابِ رسول الله ﷺ (أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (٢/ ٩٨٢) ، وتتمته فيه : « إذا اختلفوا في شيء ردُّوه إلى ابن عباس » . وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٠) .) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا عبدُ الرزاق ، حدّثنا معمر ، أخبرني ابنُ طاوس قال : قلت لأبي : أريدُ أن أتزوَّجَ فلانة . قال : اذهبْ فانظُرْ إليها . قال : فذهبتُ فلبستُ من صالح ثيابي ، وغسلتُ رأسي ، وادَّهَنْتُ ، فلما رآني في تلك الحال قال : اجلسْ فلا تذهَبْ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٠) .) .

وقال عبد الله بن طاوس : كان أبي إذا سار إلى مكةَ سار شهراً ، وإذا رجَعَ رجَعَ في شهر[ين] ؛ فقلتُ له في ذلك ، فقال : بلغني أنَّ الرجلَ إذا خرج في طاعةٍ لا يزالُ في سبيلِ الله حتى يرجعَ إلى أهله (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٠) ، وما بين معقوفين منه .) .

وقال حمزة عن هلال بن كعب ، قال : كان طاوسُ إذا خرج من اليمن لم يشربْ إلَّا من تلك المياهِ القديمةِ الجاهليَّة (أخرجه الإمام أحمد في الورع ص(٢٨) ، وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٠) .) .

وقال له رجل : ادْعُ الله لي . فقال : ادعُ لنفسِك ، فإنَّهُ يُجيبُ المضطرَّ إذا دعاه (أخرجه الخطيب في كتابه تلخيص المتشابه (١/ ٢٢٠) ، وابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٢٨٩) .) .

=

. . . .

= وقال الطبراني : حدّثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدّثنا عبدُ الرزاق عن مَعْمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، قال : كان رجلٌ فيما خلا من الزمان ، وكان عاقلاً لبيباً ، فكَبِرَ ، فقعَدَ في البيت ، فقال لابنه يوماً : إني قد اغتممتُ في البيت ، فلو أدخلتَ عليَّ رجالاً يكلِّمونني ؟ فذهب ابنُهُ فجمَعَ نفراً ، فقال : ادخلوا على أبي فحدِّثوه ، فإنْ سمعتمْ منه مُنكراً فاعذُروه فإنَّه قد كَبر ، وإنْ سمعتُم منه خيراً فاقبلُوه . قال : فدخلوا عليه ، فكان أولَ ما تكلَّم به أنْ قال : إنَّ أكْيَسَ الكَيْس التُّقَى ، وأعجزَ العَجْزِ الفُجور ، وإذا تزوَّج الرجلُ فليتزوَّجْ من مَعْدِنٍ صالح ، فإذا اطلعتُمْ على فجرةِ رجلٍ فاحذروه ، فإنَّ لها أخَوَات (أخرجه معمر بن راشد في الجامع (المصنف لعبد الرزاق) (١١/ ٤٥٥) ، وأبو نعيم (٤/ ٨) ، والمزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٦٦) .) .

وقال سلمة بن شبيب : حدّثنا أحمد بن نصر بن مالك ، حدّثنا عبد الله بن عمرو بن مسلم الجَنَدي (في (ق) : « عبد الله بن عمر بن مسلم الجيري » ، وفي الحلية : « عبد الله بن عمر الجيزي » وكلاهما تصحيف ، والمثبت من ترجمة أحمد بن نصر بن مالك في تهذيب الكمال (١/ ٥٠٧) وترجمة عمرو بن مسلم (٢٢/ ٢٤٣) ، والإكمال لابن ماكولا (٢/ ٢٢٠) ، وتقريب التهذيب ص(٤٢٧) .) ، عن أبيه ، قال : قال طاوس لابنه : إذا أقبرتَني فانظُرْ في قبري ، فإنْ لم تجدْني فاحمد الله تعالى ؛ وإنْ وجدتَني فإنَّا لله وإنا إليه راجعون . قال عبدُ الله : فأخبرني بعضُ ولدِهِ أنه نظَرَ فلم يرَهُ ، ولم يجدْ في قبرِه شيئاً ، ورُئي في وجهه السُّرور (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٩) .) .

وقال قبيصة : حدّثنا سفيان عن سعيد بن محمد قال : كان من دعاء طاوس يدعو : اللهمَّ احرِمني كثرةَ المالِ والولدِ ، وارزُقْني الإيمانَ والعمل (ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٢) .) .

وقال سفيان عن معمر : حدّثنا الزهري قال : لو رأيتَ طاوسَ بنَ كيسان علمتَ أنه لا يكذب .

وقال عون بن سلام : حدّثنا جابر بن منصور ـ أخو إسحاق بن منصور ـ السَّلُولي عن عمران بن خالد الخُزاعي ، قال : كنتُ جالساً عند عطاء ، فجاء رجلٌ فقال : أبا محمد ، إنَّ طاوساً يزعُمُ أنَّ منْ صلَّى العشاء ، ثم صلَّى بعدَها ركعتَيْن يقرأُ في الأولى : الّم تنزيل السجدة ، وفي الثانية : تبارك الذي بيده الملك ، كُتب له مثلُ وقوفِ عرفَة ، وليلةِ القدر . فقال عطاء : صدَقَ طاوس ما تركتُهما .

وقال ابنُ أبي السَّريّ : حدّثنا [عبد الرزاق ، حدّثنا] معمر عن ابن طاوس ، عن أبيه ، قال : كان رجلٌ من بني إسرائيل ، وكان ربما داوَى المجانين ، وكانتِ امرأةٌ جميلة ، فأخذها الجنون ، فجيءَ بها إليه ، فتُركتْ عنده فأعجَبَتْه ، فوقع عليها فحملَتْ ، فجاءه الشيطانُ فقال : إنْ عُلم بها افتضحت ، فاقْتُلها وادْفِنْها في بيتك ، فقتَلَها ودَفَنها ، فجاء أهلُها بعد ذلك بزمانٍ يسألونه عنها ، قال : ماتَتْ . فلم يتَّهموهُ لصلاحِه ومنزلته ، فجاءهم الشيطان فقال : إنها لم تمتْ ، ولكنْ قد وقَعَ عليها فحملَتْ ، فقتلها ودفنها في بيته ، في مكانِ كذا وكذا ، فجاء أهلُها فقالوا : ما نتَّهمُك ولكنْ أخبِرْنا أين دفنتَها ، ومنْ كان معك ؟ فنبشوا بيته فوجدوها حيث دفنها ؛ فأخذوه ، فحبسوه وسجنوه ، فجاءه الشيطان فقال : أنا صاحبك ، فإن كنت تريد أن أخرجك مما أنت فيه فاكفر بالله ، فأطاع الشيطان ، فكفر بالله عزَّ وجلَّ ، فقُتل فتبرَّأ منه الشيطانُ حينئذٍ . وقال طاوس : ولا أعلمُ أنَّ هذه الآية نزلَتْ إلَّا فيه وفي مثلِه : ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الحشر : ١٦] (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٧) ، وما مرَّ بين معقوفين منه . وأخرجه أيضاً الطبري في تفسيره (٢٨/ ٥٠) في تفسير الآية ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٣٧٢) (٥٤٤٩) والمزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٦٤) .) .

وقال الطبراني : حدّثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدّثنا عبد الرزاق ، حدّثنا معمر ، عن ابنِ طاوس عن أبيه . قال : كان رجلٌ من بني إسرائيل له أربعةُ بنين ، فمرض ، فقال أحدُهم : إمَّا أنْ تُمرِّضوا أبانا وليس لكم من ميراثِهِ شيء ؛ وإمَّا أنْ أمرِّضَهُ وليس لي من ميراثه شيء . فمرَّضَهُ حتى مات ، ودفنه ولم يأخذْ من ميراثِهِ شيئاً ، وكان فقيراً وله=

. . . .

= عِيَال ، فأتي في النوم ، فقيل له : ائتِ مكانَ كذا وكذا فاحفِرْهُ تجدْ فيه مئة دينارٍ فخُذْها . فقال للآتي في المنام : ببركةٍ أو بلا بركة ؟ فقال : بلا بركة . فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته فقالت : اذهَبْ فخُذْها ، فإنَّ من بركتها أنْ تكسُوَني منها ونعيشُ منها ، فأبَى وقال : لا آخذُ شيئاً ليس فيه بركة . فلما أمسى أُتي في منامه ، فقيل له : ائتِ مكانَ كذا وكذا ، فخذْ منه عشرةَ دنانير . فقال : ببركةٍ أو بلا بركة ؟ قال : بلا بركة . فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته ، فقالتْ له مثلَ ذلك ، فأبى أنْ يأخذها ؛ ثم أُتي في الليلةِ الثالثة ، فقيل له : ائتِ مكانَ كذا وكذا فخذْ منه ديناراً ، فقال : ببركة أو بلا بركة ؟ قال : ببركة . قال : نعمْ إذاً . فلما أصبح ذهب إلى ذلك المكان الذي أُشير إليه في المنام فوجدَ الدينارَ فاخذَه ، فوجدَ صيَّاداً يحملُ حُوتَيْن ، فقال : بكم هما ؟ قال : بدينار ، فأخذهما منه بذلك الدينار ، ثم انطلَقَ بهما إلى امرأته فقامت تصلِحُهما ، فشقَّتْ بطنَ أحدِهما فوجدَتْ فيه دُرَّةً لا يقومُ بها شيء ، ولم يرَ الناسُ مثلها ؛ ثم شقَّتْ بطنَ الآخر ، فإذا فيه دُرَّةٌ مثلُها . قال : فاحتاجَ ملكُ ذلك الزمان دُرَّةً ، فبعث يطلبُها حيثُ كان ليشتريَها ، فلم توجد إلا عندَه ، فقال الملك : ائتِ بها ، فأتاه بها ، فلما رآها حلاَّها الله عزَّ وجلَّ في عينَيْه ، فقال : بِعْنيها . فقال : لا أنقصها عن وِقْرِ ثلاثينَ بغلاً ذهباً ، فقال الملك : ارضوه ، فخرجوا به فوقَّروا له ثلاثين بغلاً ذهباً ، ثم نظر إليها الملك فأعجبَتْه إعجاباً عظيماً ، فقال : ما تصلح هذه إلَّا بأختِها ، اطلبوا لي أُختها ، قال : فأتوه ، فقالوا له : هل عندَك أختها ونعطيك ضعفَ ما أعطيناك ؟ قال : وتفعلون ؟ قالوا : نعم . فأتي الملك بها ، فلما رآها أخذَتْ بقلبه فقال أرضوه ، فأضعِفُوا له ضعفَ أختِها . والله أعلم (أخرج القصة معمر بن راشد في الجامع (المصنف لعبد الرزاق) (١١/ ٤٦٨ ، ٤٦٩) (٢١٠٢٧) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٠٨) (٧٩٢٣) والمزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٦٥) .) .

وقال عبد الله بن المبارك (في كتابه : « الزهد » ص(٢٠) (٥٩) .) : حدَّثنا وُهَيب بن الوَرْد حدّثنا عبدُ الجبار بن الوَرْد (في الزهد : « أخبرنا وهيب بن الورد أو قال عبد الجبار بن الورد » .) ، قال : حدّثني داود بنُ شابور (في (ق) : « سابور » بسين مهملة ، والمثبت من مصادر التخريج وتقريب التهذيب ص(١٩٨) .) قال : قلنا لطاوس : ادْعُ بدعوات . فقال : لا أجدُ لذلك حِسْبة (وأخرجه أيضاً ابن سعد في الطبقات (٥/ ٢٤١) ، والمزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٦٤) .) .

وقال ابنُ جُريج (في (ق) : « قال ابن جرير » ، وهو تصحيف ، والمثبت من مصادر التخريج .) عن ابن طاوس ، عن أبيه ، قال : البُخْل أن يبخلَ الإنسانُ بما في يده ؛ والشُّحُّ أنْ يُحبَّ أن له ما في أيدي الناس بالحرام ؛ لا يَقْنَع (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٦) ، والطبري في تفسيره بنحوه (٥/ ٨٥) في تفسير الآية (٣٦) من سورة النساء ، وفيه : « والشح أن يشح على ما في أيدي الناس .. يحب أن يكون له ما في أيدي الناس بالحل والحرام » ، ومثله القرطبي في تفسيره (١٨/ ٣٠) في تفسير الآية (٩) من سورة الحشر .) .

وقيل : الشُّحُّ هو تَرْكُ القناعة . وقيل : هو أن يَشُحَّ بما في يَدِ غيره . وهو مرضٌ من أمراضِ القلب ، ينبغي للعبد أن يعزلَهُ عن نفسه ، ويَنْفيَهُ ما استطاع ، وهو (يعني الشحّ .) يأمُرنا بالبُخل كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال : « اتقوا الشح فإنَّ الشُّحَّ أهلكَ منْ كان قبلَكم ، أمرَهُمْ بالبخلِ فبَخِلوا ، وبالقطيعة فقطعوا » (أخرجه أحمد في المسند (٢/ ١٥٩) وابن حبان (٥١٧٦) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، وللحديث تتمة فيهما ، وهو حديث صحيح وروى أوله مسلم رقم (٢٥٧٨) وأحمد في المسند (٣/ ٣٢٣) من حديث جابر .) . وهذا هو الحِرْصُ على الدنيا وحُبُّها .

وقال ابنُ أبي شيبة (في المصنف (٧/ ٢٠٢) (٣٥٣٤١) تحت عنوان : « كلام طاوس » .) : حدَّثنا المحاربي عن لَيْث ، عن طاوس ، قال : ألا رجلٌ يقومُ بعشرِ آياتٍ من الليل ، فيُصبح قد كُتب له مئة حسنة أو أكثرُ من ذلك ، =

. . . .

= ومن زاد زِيدَ في ثوابه (وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٦) .) .

وقال قُتيبة بن سعيد : حدّثنا سفيان بن عُيينة عن هشام بن حُجَير ، عن طاوس ، قال : لا يتمُّ نسك الشاب حتى يتزوَّج (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٦) ، وسعيد بن منصور في سننه (١/ ١٦٥) (٤٩٧) ، والمزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٦٣) .) .

وعن سفيان عن إبراهيم بن ميسرة قال : قال لي طاوس : لتَنْكِحَنَّ أو لأقولَنَّ لك ما قال عمر بن الخطاب لأبي الزوائد : ما يمنعُك من النكاح إلا عَجْزٌ أو فُجور (أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٤٥٣) (١٥٩١٠) ، وعبد الرزاق في مصنفه (٦/ ١٧٠) (١٠٣٨٤) ، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٦) . وذكره ابن حجر في الإصابة (٧/ ١٥٧) في ترجمة أبي الزوائد اليماني .) .

وقال طاوس : لا يحرزُ دينَ المؤمنِ إلَّا حُفْرَتُهُ .

وقال عبدُ الرزاق عن معمر [عن] ابنِ طاوس أو غيره ، أنَّ رجلاً كان يسيرُ مع طاوس ، فسمع الرجل غراباً يَنْعبُ ، فقال : خير . فقال طاوس : أيُّ خَيْرٍ عند هذا أو شَرّ !؟ لا تصحَبْني ولا تمشِ معي (أخرجه معمر بن راشد في الجامع (المصنف لعبد الرزاق) (١٠/ ٤٠٦) (١٩٥١٣) ، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٤) ، والمزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٦٢) ، وما مرَّ بين معقوفين منها .) .

وقال بشرُ بن موسى : حدّثنا الحميدي ، حدّثنا سفيان عن ابن طاوسٍ ، عن أبيه ، قال : إذا غدا الإنسانُ اتبعه الشيطان ، فإذا أتى المنزل فسَلَّم نَكَص الشيطانُ وقال : لا مَقِيل ؛ فإذا أُتي بغَدَائه فذكرَ اسمَ الله قال : لا غَدَاء ولا مَقيل ؛ فإذا دَخلَ ولم يسلِّم . قال الشيطان : أدرَكْنا المَقيل ؛ فإذا أُتي بغَدائه ولم يذكرِ اللهَ عليه قال الشيطان : مَقيلٌ وغَدَاء ؛ وفي العشاء مثل ذلك . وقال : إنَّ الملائكة ليكتبونَ صلاةَ بني آدم : فلان زادَ فيها كذا وكذا ؛ وفلان نقَصَ فيها كذا وكذا . وذلك في الركوع والخشوع والسجود (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥) ، وذكره المزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٦٢) ، (٣٦٣) .) .

وقال : لما خُلقتِ النار طارَتْ أفئدةُ الملائكة ، فلما خُلق آدم سكنَتْ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥) ، والمزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٦٣) .) .

وكان إذا سَمِعَ صوتَ الرعد يقول : سبحانَ منْ سبَّحَتْ له (أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٢٧) ، وعبد الرزاق في المصنف (١١/ ٨٩) .) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا سفيان عن ابن أبي نجيح قال : قال مجاهد لطاوس : يا أبا عبد الرحمن ، رأيتُك تصلِّي في الكعبة والنبيُّ ﷺ على بابها يقول لك : اكشِفْ قناعَك ، وبيِّنْ قراءتك . فقال له : اسكُتْ لا يسمع هذا منك أحَد . ثم تخيَّل إليَّ أن انبسَطَ في الحديث (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥) بهذا اللفظ ، وأخرجه بنحوه الدارمي في سننه (١/ ١٠٦) ، والفاكهي في أخبار مكة (٢/ ٣٢٠) .) .

وقال أحمد (في كتابه الزهد ص(٣٥) .) أيضاً بهذا الإسناد : إنَّ طاوساً قال لأبي نجيح : يا أبا نجيح ، مَنْ قالَ واتَّقَى الله خَيْرٌ ممن صمَتَ واتَّقى (أخرجه أيضاً ابن المبارك في الزهد ص(٢٨٩) ، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٥) .) .

وقال مسعر عن رجل : إنَّ طاوساً أتى رجلاً في السَّحَر فقالوا : هو نائم . فقال : ما كنتُ أرَى أنَّ أحداً ينامُ في السحر (تقدم في ص(٦٨) .) .

وقال عبدُ الله بن أحمد بن حنبل : حدّثنا محمد بن يزيد حدّثنا ابني مان عن مسعود . . . فذكره .

قال الثوري : كان طاوس يجلسُ في بيته ، فقيل له في ذلك ، فقال : حَيْفُ الأئمة وفسادُ الناس (أخرجه أبو نعيم=

. . . .

= في الحلية (٤/ ٤) ، والمزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٦٢) .) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا عبدُ الرزاق قال : أخبرني أبي ، قال : كان طاوس يُصلِّي في غداةٍ باردةٍ مُغَيِّمة ، فمرَّ به محمد بن يوسف صاحبُ اليمن وحاجبُها ـ وهو أخو الحجَّاج بن يوسف ـ وطاوس ساجد ، والأمير راكبٌ في مركبه ، فأمر بساج أو طيلسانٍ مرتفع القيمة ، فطُرح على طاوسَ وهو ساجد ، فلم يرفع رأسَهُ حتى فرغ من حاجتِه ، فلما سلم نظر فإذا الساجُ عليه ، فانتفضَ فألقاهُ عنه ، ولم ينظر إليه ومضى إلى منزله وتركه مُلْقًى على الأرض (أخرجه المزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٦١ ، ٣٦٢) وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٧) .) .

وقال نُعيم بن حماد : حدّثنا سفيان بن عيينة (في (ق) : « حدثنا حماد بن عيينة » تصحيف والمثبت من الحلية وكتب الرجال .) عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن طاوس ، عن ابن عباس : ما من شيءٍ يتكلم به ابنُ آدم إلا كُتب عليه ، حتى أنينه في مرضه ؛ فلما مرض الإمامُ أحمد أنَّ ، فقيل له : إنَّ طاوساً كان يكرهُ أنينَ المرض ؛ فتركه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٤) ، والمزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٦٢) .) .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدّثنا الفضل بن دُكين ، حدّثنا سفيان عن أبيه ، عن داود بن شابور ، قال : قال رجلٌ لطاوس : ادعُ الله لنا ، فقال : ما أجدُ بقلبي خشيةً فأدعوَ لك .

وقال ابن طالوت : حدّثنا عبد السلام بن هاشم عن الحسن بن الحصين بن أبي الحُرّ العَنْبَري (في (ق) ؛ « الحسنِ بن أبي الحصين العنبري » ، وفي سير أعلام النبلاء : « الحر بن أبي الحصين » كلاهما تصحيف ، والمثبت من تهذيب الكمال ، وكتب الرجال .) ، قال : مَرَّ طاوس بروَّاسٍ قد أخرج رؤوساً ، فغُشي عليه . وفي رواية : كان إذا رأى الرؤوس المشويَّة لم يتعشَّ تلك الليلة (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٤) ، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٠) ، والمزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٦٢) .) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا هاشم بن القاسم ، حدّثنا الأشجعي ، عن سفيان الثوريّ ، قال : قال طاوس : إنَّ المَوْتَى يُفْتنون في قبورهم سَغَباً ، وكانوا يستحبُّون أنْ يطعم عنهم تلك الأيام (ذكره السيوطي في الديباج (٢/ ٤٩١) ، وفيه : « في قبورهم سبعاً » .) .

وقال ابنُ إدريس : سمعتُ ليثاً يذكرُ عن طاوس ، وذكر النساء فقال : فيهن كفر من مضى وكفر من بقي (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١١) ، وابن أبي شيبة بنحوه في المصنف (٤/ ٤٦) (١٧٦٤٣) .) .

وقال أبو عاصم عن زَمْعَة (في (ق) : « بقية عن سلمة بن وهرام » وهو تصحيف ، والمثبت من مصادر التخريج وترجمة كل من زمعة وسلمة في تهذيب الكمال (٩/ ٣٨٦ و١١/ ٣٢٨) .) ، عن سلمة بن وهرام ، عن طاوس قال : كان يقال : اسجُدْ للقردِ في زمانِه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١١) ، والمزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٦٧) .) . أيْ أطِعْهُ في المعروف .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة (في المصنف (٧/ ٢٠٢) (٣٥٣٣٩) .) : حدّثنا أسامة ، حدّثنا نافع بن عمر عن بشر بن عاصم ، قال : قال طاوس : ما رأيتُ مثلَ أحدٍ أمِنَ على نفسه ، ولقد رأيتُ رجلاً لو قيل لي : منْ أفضَلُ منْ تعرف ؟ لقلت : فلانٌ ذلك الرجل ، فمكَثْتُ على ذلك حيناً ، ثم أخذهُ وجَعٌ في بطنه ، فأصاب منه شيئاً استنضح بطنه عليه ، فاشتهاه ، فرأيتُه في نِطْع ، ما أدري أيُّ طرفيْه أسرعُ ، حتى مات عَرَقاً (وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٢) .) .

وروى أحمد حدّثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن طاوس أنه رأى فِتيةً من قريش يرفلون في مِشْيتهم ، فقال : إنكم لتلبسُونَ لبسةً ما كانتْ آباؤكم تَلْبَسُها ، وتمشون مشيةً ما يُحسن الزَّفَّافون أنْ يمشوها (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٠) ، وفيه : « تحسن الرقاص » .) . =

. . . .

= وقال أحمد : حدّثنا عبد الرزاق ، حدّثنا معمر ، أنّ طاوساً قام على رفيقٍ له مرض ، حتى فاتَهُ الحجّ ـ لعله هو الرجلُ المتقدِّم قبلَ هذا استنضح بطنه ـ.

وقال مِسْعَر بن كِدَام عن عبد الكريم المعلم (في (ق) : « عبد الكبير المعلم » وهو تصحيف ، والمثبت من سنن سعيد بن منصور (١/ ١٩٤) ، ومصنف ابن أبي شيبة (٢/ ٢٥٧) ، ومصنف عبد الرزاق (٢/ ٤٨٨) ، وشعب الإيمان للبيهقي (٢/ ٣٨٨) ، وترجمته في الكنى والأسماء لمسلم (١/ ٨٢) ، والتاريخ الكبير (٦/ ٨٩) ، والجرح والتعديل (٦/ ٥٩) ، وهو عبد الكريم بن أبي المخارق أبو أمية البصري المعلم .) ، قال طاوس : قال ابنُ عباس : سئل النبيُّ ﷺ : مَنْ أحسنُ قراءةً ؟ قال : « منْ إذا سمعتَهُ يقرأُ رأيتَ أنه يخشى الله عزَّ وجلَّ » (إسناده ضعيف ، وهذا الحديث لا يصح موصولاً ؛ أخرجه موصولاً : أبو نعيم في الحلية ٤/ ١٩ وفي أخبار أصبهان ٢/ ٩٠ ، والبيهقي في شعب الإيمان (١٩٥٨) . وأخرجه عن طاووس مرسلاً : عبد الرزاق (٤١٨٥) ، وابن أبي شيبة ١٠/ ٤٦٤ ، والدارمي ٢/ ٤٧١ ، والبيهقي في الشعب (١٩٥٩) . وقال البزار عقيب إخراجه : « لم يتابع حميد على روايته هذه ، إنما يرويه مسعر عن عبد الكريم عن مجاهد مرسلاً ، ومسعر لم يحدث عن عبد الله بن دينار بشيء ، ولم نسمع هذا إلا من محمد بن معمر ، أخرجه إلينا من كتابه » (كشف الأستار ٢٣٢٦) . وقال ابن عدي عقيب ذكره لرواية ابن عباس هذه ٢/ ٦٩٣ : « والصحيح مرسل عن طاووس . . . رواه أبو أسامة مرسلاً » (بشار) . ورواه أيضاً ابن ماجه رقم (١٣٣٩) من حديث جابر بن عبد الله مرفوعاً ، وإسناده ضعيف (ع) .) .

وقد رُوي هذا أيضاً من طريق ابن لَهيعة عن عمرو بن دينار ، عن طاوس ، قال : قال ابن عباس : إنّ النبيّ ﷺ قال : « إنَّ أحسَنَ الناسِ قراءةً منْ قرأ القرآنَ يتحزَّنُ به » (أخرجه من هذا الوجه الطبراني في الكبير (١٠٨٥٢) وعنه أبو نعيم في الحلية ٤/ ١٩ ، وإسناده ضعيف . وقد روي من طرق أخرى لا يفرح بمجملها فهي لا تخلو من ضعف . وينظر كلامنا في تاريخ الخطيب ٤/ ٣٤١ (بشار) .) .

وعنه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : رآني رسولُ الله ﷺ وعليَّ ثوبان معصفران ، فقال : « أُمُّك أمرتك بهذا » ؟ قلت : أغسلُهما ؟ قال : « بل أحرِقْهما » (في (ق) : « أحدهما » بدل « احرقهما » ، وهو تحريف ، والمثبت من صحيح مسلم .) . رواه مسلم في صحيحه (صحيح مسلم (٢٠٧٧) في اللباس والزينة : باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر .) عن داود بن رُشَيد (في (ق) : « داود بن راشد » ، وهو تصحيف ، والمثبت من صحيح مسلم .) ، عن عمر بن أيُّوب ، عن إبراهيم بن نافع ، عن سليمان الأحْوَل ، عن طاوسَ به .

ورَوَى محمد بن مسلم عن إبراهيم بن مَيْسَرة عن طاوس ، عن ابن عمرو ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « الجَلاوِزَةُ (في (ق) : « الجلاوذة » بالذال المعجمة ، وهو تصحيف ، والمثبت من مصادر تخريج الحديث . والجلاوزة : جمع جِلواز ، وهو الشرطي .) والشُرَطُ ، وأعوانُ الظَّلمةِ ، كلابُ النار » . انفرد به محمد بن مسلم الطائفي (في (ق) : « الطالقي » ، وهو تصحيف ، والمثبت من الحلية (٤/ ١) ، والإكمال لابن ماكولا (١/ ٢٩٤) ، وتقريب التهذيب ص(٥٠٦) . والحديث أخرجه الديلمي في الفردوس (٢/ ١١٨) (٢٦٢١) ؛ وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢١) وقال : غريب من حديث طاوس ؛ تفرد به محمد بن مسلم الطائفي عن إبراهيم عنه . قال بشار : هو حديث موضوع ، ساقه ابن الجوزي في الموضوعات ٣/ ١٠٠ .) .

وقال الطبراني : حدّثنا محمد بن الحُسَين (في (ق) : « محمد بن الحسن » تصحيف ، والمثبت من كتب الرجال وهو شيخ للطبراني معروف .) الأنماطي البغدادي ، حدّثنا عبد المنعم بن إدريس ، حدّثنا أبي ، عن وَهْبِ بن مُنَبِّه ، عن طاوس عن أنس بن مالك قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ لعليِّ بن أبي طالب : « يا عليّ ، استكثرْ من المعارفِ من المؤمنين ، فكم من معرفةٍ في الدنيا بركةٌ في الآخرة » . فمضى عليٌّ فأقام حيناً لا يَلْقى أحداً إلا اتخذَهُ

ترجمناهما[١] في كتابنا « التكميل » ولله الحمد والمنّة .

ثم دخلت سنة سبع ومئة

فيها خَرَج باليمن رجلٌ يُقالُ له : عَبَّاد الرُّعَيْني ، فدَعَا إلى مذهب الخوارج ، واتَّبعه فرقةٌ من الناس ، وحملوا ، فقاتلهم يوسف بن عمر فقتله وقتَلَ أصحابَه ، وكانوا ثلاث مئة ، ولله الحمد .

وفيها وَقَعَ بالشام طاعونٌ شديد ؛ وفيها غزا معاويةُ بن هشام الصائفة ، وعلى جيش أهل الشام مَيْمون بن مِهْرَان ، فقطعوا البحر ، إلى قُبْرُص ، وغزا مَسْلَمةُ في البرّ في جيشٍ آخر .

وفيها ظَفِرَ أَسَدُ بن عبد الله القَسْري بجماعةٍ من دعاةِ بني العباس بخراسان فصلبهم وأشهرهم .

وفيها غزا أَسَدٌ القَسْريُّ جبالَ نُمروذَ[٢] ، ملك الغَرْشِسْتَان[٣] مما يلي جبال الطالقان ، فصالحه نُمروذ وأسلم على يدَيْه .

وفيها غزا أَسَدٌ الغَوْر ـ وهي جبالُ هَرَاة ـ فعَمَد أهلُها إلى حواصلهم وأموالهم وأثقالهم ، فجعلوا ذلك كلَّه في كهفٍ مَنِيع ، لا سبيلَ لأحدٍ إليه ، وهو مُسْتَفِلٌ[٤] جداً ، فأمر أسد بالرجال فجعلوا في توابيت ، ودلَّاهم إليه ، وأمرهم بوضع ما هنالك في التوابيت ، فلما أخذ ما هنالك قعد الرجال في التوابيت ، ورفعوهم ، فسلموا وغنموا ، وهذا رأيٌ سَديد .

= للآخرة ، ثم جاء من بعد ذلك فقال له رسولُ الله ﷺ : « ما فعلتَ فيما أمرتُكَ به » ؟ قال : قد فعلتُ يا رسولَ الله . فقال له النبيُّ ﷺ : « اذهبْ فابْلُ أخبارَهم » ، فذهب ، ثم أتى النبيَّ ﷺ وهو منكّسٌ رأسَه ، فقال له النبيُّ ﷺ وهو (كررت في (ق) العبارة : « اذهب فابل أخبارهم » وسقط منها لفظ « وهو » ، فألجأت الناسخ إلى زيادة « فقال » . والمثبت من الحلية .) يتبسَّم : « ما أحسبُ يا عليُّ ثَبَتَ معَكَ إلا أبناءُ الآخرة » فقال له علي : لا والذي بعثَكَ بالحق ، فقال له النبي ﷺ : « ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ۝ يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ﴾ [الزخرف : ٦٧ ـ ٦٨] يا عليُّ ، أقبِلْ على شأنِك ، وامْلِكْ لسانَك ، وأغفل من (كذا في (ق) ، وفي الحلية : « وأعقل من » .) تعاشر من أهلِ زمانك تكنْ سالماً غاذماً » لم يُرْوَ إلا من هذا الوجه فيما نعلم والله أعلم] (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٢ ، ٢٣) ، وقال : غريب من حديث طاوس ، لم نكتبه إلا من هذا الوجه (قال بشار : إسناده ضعيف جداً ، فيه عبد المنعم بن إدريس بن سنان اليماني (ميزان ٢/ ٦٦٨) وأبوه إدريس بن سنان ضعيف) . وهنا ينتهي القسم الذي زادته (ق) وهو محصور بين معقوفين فتح في ص(٦٥) موضع الحاشية (٤) ، وأغلق هنا .) .

(١) في (ق) : « وقد ترجمناهم » ، والمثبت من (ب ، ح) ، إشارة إلى سالم بن عبد الله وطاوس بن كيسان .

(٢) في تاريخ الطبري : نمرون .

(٣) في (ق) : « القرقيسيان » وهو تحريف ، والمثبت من (ب ، ح) ، وتاريخ خليفة ص(٣٣٧) ؛ ومعجم البلدان (٤/ ١٩٣) ، وهي ولاية تقع بين هراة في غربيها ، والغور في شرقيها ، ومرو الروذ عن شماليها ، وغزنة عن جنوبيها .

(٤) في (ق) : « لأحد عليه ، وهو مستعلٍ » ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) .

وفيها أمر أسدٌ بجمعِ ما حَوْلَ بَلْخ إليها ؛ واستناب عليها بَرْمَك ، والدَ خالدِ بن بَرْمك ، وبناها بناءً جيداً جديداً محكماً ، وحصَّنها وجعَلَها مَعْقِلاً للمسلمين .

وفيها حجَّ بالناس إبراهيمُ بن هشام بن إسماعيل أمير الحرمين .

ومِمن توفِّي فيها من الأعيان :

سليمان بن يسَار أحَد التابعين(١) .

وعِكْرمة مولى ابن عباس(٢) : أحدُ التابعين ، والمفسِّرين المكثرين والعلماء الربَّانيِّين ، والرحَّالين الجوَّالين(٣) .

---

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٥/ ١٧٤) ، طبقات خليفة ص(٢٧٤) ، تاريخ خليفة ص(٣٣٠ و٣٤٠) ، التاريخ الكبير (٤/ ٤١) ، المعرفة والتاريخ (١/ ٥٤٩) ، الجرح والتعديل (٤/ ١٤٩) ، حلية الأولياء (٢/ ١٩٠) ، طبقات الفقهاء ص(٦٠) ، صفة الصفوة (٢/ ٨٢) ، وفيات الأعيان (٢/ ٣٩٩) ، مختصر تاريخ دمشق (١٠/ ٩٢)١ ، تهذيب الكمال (١٢/ ١٠٠) ، تاريخ الإسلام (٤/ ١٢٠) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤٤) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٩١) ، الوافي بالوفيات (١٥/ ت٥٩٣) ، طبقات الحفاظ ص(٣٥) . وما سيأتي هنا ليس في (ب ، ح) أقحمته (ق) في المتن فوضعناه في الحاشية وهو : [هو أخو عطاء بن يسار ، له رواياتٌ كثيرة ، وكان من المجتهدين في العبادة ؛ وكان من أحسنِ الناسِ وَجْهاً ؛ تُوفِّي بالمدينة وعمره ثلاثٌ وسبعون سنة ، دخلَتْ عليه امرأةٌ من أحسن الناسِ وجهاً ، فأرادَتْهُ على نفسِها ، فأبَى وتركها في منزلِهِ وخرَجَ هارباً منها ، فرأى يُوسفَ عليه السلام في المنام ، فقال له : أنتَ يوسف ؟ فقال : نعم أنا يوسف الذي هَمَمْتُ ، وأنت سُليمان الذي لم تَهُمَّ .
وقيل : إنَّ هذه الحكايةَ إنما وقعَتْ في بعضِ منازل الحُجَّاج ، وكان معه صاحبٌ له ، فبعثه إلى سوقِ الحُجَّاج ليشتريَ شيئاً ، فانحطَّتْ على سليمان امرأةٌ من الجَبَل حسناء ، فقالت له : هَيْتَ لك ، فبكى واشتدَّ بكاؤه ، فلما رأَتْ ذلك منه ارتفعَتْ في الجبل ؛ وجاء صديقُهُ ، فوجده يبكي ، فقال له : ما لك تبكي ؟ فقال : خير ، فقال : لعلك ذكرتَ بعضَ ولدِك أو بعضَ أهلك ؟ فقال : لا . فقال : واللهِ لَتخبرَنِّي ما أبكاك أنت . قال : أبكاني حُزْني على نفسي ، لو كنتُ مكانك لم أصبِرْ عنها . ثم ذكر أنه نام فرأى يوسُفَ في منامه كما تقدَّم ، والله أعلم] .

(٢) ترجمته في طبقات ابن سعد (٢/ ٣٨٥ و٥/ ٢٧٨) ، تاريخ ابن معين (٢/ ٤١٢) ، طبقات خليفة (٢٨٠) ، تاريخ خليفة ص(٣٣٦) ، التاريخ الكبير (٧/ ٤٩) ، المعرفة والتاريخ (٢/ ٥) ، الجرح والتعديل (٧/ ٧) ، الثقات لابن حبان (٥/ ٢٢٩) ، حلية الأولياء (٣/ ٣٢٦) ، صفة الصفوة (٢/ ١٠٣) المختار من مناقب الأخيار (٤/ ١٠) ، وفيات الأعيان (٣/ ٢٦٥) ، مختصر تاريخ دمشق (١٧/ ١٤٠) ، تهذيب الكمال (٢٠/ ٢٦٤) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ١٢) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٩٥) ، العقد الثمين (٦/ ١٢٣) ، تهذيب التهذيب (٧/ ٢٦٣) ، طبقات الحفاظ ص(٣٧) ، طبقات الشعراني (١/ ٣٩) .

(٣) هنا تبدأ زيادة نسخة (ق) وتنتهي في ص(٨٤) قبل موضع الحاشية (١) وهي :
[وهو أبو عبد الله ، وقد روى عن خَلْقٍ كثيرٍ من الصحابة ، وكان أحد أوعيةِ العلْم ، وقد أفتى في حياةِ مولاهُ ابنِ عباس ، قال عكرمة : طلبتُ العلم أربعين سنة . وقد طاف عكرمةُ البلاد ، ودخل إفريقيَةَ واليمن والشام والعراق وخُراسان ، وبَثَّ عِلْمَه هنالك ، وأخذَ الصِّلاتِ وجوائزَ الأمراء ، وقد روى ابنُ أبي شيبةَ عنه قال : كان ابن عباس يجعَلُ في رجلي الكَبْلَ يعلِّمُني القرآنَ والسُّنَن (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٢٦) ، وأخرجه بإسناد آخر ابن =

. . . .

= سعد في الطبقات (٥/ ٢٨٧) ، وذكره ابن حجر في فتح الباري (٥/ ٧٥) .) .

وقال حَبيب بنُ أبي ثابت : اجتمع عندي خمسةٌ لا يجتمع عندي مثلُهم أبداً ، عطاء ، وطاوس ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، ومجاهد ؛ فأقبل سعيدٌ ومجاهد يُلقيان على عكرمةَ التفسير ، فلم يسألاه عن آيةٍ إلّا فسَّرَها لهما ، فلما نَفِدَ ما عندهما جعل يقول : أُنزلت آيةُ كذا في كذا ، قال : ثم دخلوا الحمَّامَ ليلاً (ذكره المزي في تهذيب الكمال (٢٠/ ٢٧٣) .) .

قال جابر بن زيد : عكرمةُ أعلمُ الناس . وقال الشعبي ، ما بقي أحدٌ أعلَمُ بكتاب الله من عكرمة .

وروى الإمامُ أحمد عن عبد الصمد عن سلاَّم بن مسكين سمعت قتادة يقول : أعلمهم بالتفسير عكرمة (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٢٦) .) .

وقال سعيد بن جبير نحوه .

وقال عكرمة : لقد فسَّرتُ ما بين اللوحين .

وقال ابنُ عُلَيَّة عن أيوب : سأل رجلٌ عكرمةَ عن آيةٍ فقال : نزلَتْ في سفح ذلك الجبل - وأشار إلى سَلْع (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٢٧) ، والإمام أحمد في معرفة الرجال (٢/ ٣٨٧) .) -

وقال عبد الرزاق عن أبيه : لما قدم عكرمةُ الجَنَد (في الحلية : « الحيرة » ، والمثبت من (ق) وسير أعلام النبلاء (٥/ ١٥) ، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٢٧٠) والمختار لابن الأثير (٤/ ١١) . والجند : من أعمال اليمن ، بينه وبين صنعاء ثمانية وخمسون فرسخاً . انظر معجم البلدان (٢/ ١٦٩) .) حمله طاوس على نجيبٍ ، فقال : ابتعتُ عِلْمَ هذا الرجل .

وفي رواية أنَّ طاوساً حمله على نجيبٍ ثمنهُ ستون ديناراً ، وقال : ألا نشتري عِلْمَ هذا العبد بستين ديناراً (أخرجه الإمام أحمد في العلل ص(١٥٤) ، وأخرجه عنه الخطيب في الكفاية في علم الرواية ص(١٥٥) .) .

ومات عكرمةُ وكُثَيِّرُ عَزَّة في يومٍ واحد ، فأُخرجت جنازتُهما ، فقال الناس : مات أفقهُ الناس وأشعَرُ الناس (أخرجه ابن سعد في الطبقات (٥/ ٢٩٢) ، وابن عبد البر في الاستيعاب (٢/ ٣٥) .) .

وقال عكرمة : قال لي ابن عباس : انطلِقْ فأفتِ الناس ، فمنْ سألك عما يعنيه فأفتِه ، ومنْ سألك عما لا يعنيه فلا تُفْتِه ، فإنك تطرَحُ عني ثُلُثَيْ مؤنةِ الناس (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٢٧) .) .

وقال سفيان عن عمرو قال : كنتُ إذا سمعتُ عكرمة يحدِّثُ عن المغازي ، كأنه مشرفٌ عليهم ينظرُ كيف يَصْنعون ويقتتلون (انظر تهذيب الكمال (٢٠/ ٢٧٢) ، وسير أعلام النبلاء (٥/ ١٦) .) .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : حدّثنا عبدُ الرزاق قال : سمعتُ معمراً يقول : سمعتُ أيوب يقول : كنتُ أريدُ أنْ أرحلَ إلى عكرمة ، إلى أُفقٍ من الآفاق ، قال : فإني لفي سوق البصرة فإذا رجلٌ على حمار ، فقيل : هذا عكرمة ، قال : واجتمع الناسُ إليه فما قدَرْتُ أنا على شيءٍ أسأله عنه ، ذهبَتْ مني المسائل ، وشردَتْ عني ، فقمتُ إلى جنب حماره ، فجعل الناس يسألونه وأنا أحفظه (ذكره المزي في تهذيب الكمال (٢٠/ ٢٧٤) ، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ١٨) .) .

وقال شعبةُ عن خالد الحَذَّاء ، قال : قال عكرمة لرجلٍ وهو يسأله : ما لك أجبلتَ (في (ق) : « أخبلت » ، والمثبت من مصادر التخريج ، والنهاية في غريب الحديث ، وفيه : « ما لك أجبلت ؟ أي انقطعت ، من قولهم أجبل الحافر ، إذا أفضى إلى الجبل أو الصخر ، الذي لا يحيك فيه المعول » .) ؟ أي فُتنت (أخرجه ابن سعد في الطبقات (٥/ ٢٩١) ، وفيه : « أجبلت يعني أكديت ، أي نفد ما عندك » ، والإمام أحمد في العلل ص(١٥٤) ، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٢٨) ، وفيه : « ما لك أجبلت ؟ قال : إني تعبت » .) . =

. . . .

= وقال زياد بن أبي أيوب : حدّثنا أبو تُمَيلة ، حدّثنا عبد العزيز بن أبي رَوَّاد ، قال : قلت لعكرمة بنيسابور : الرجل يريدُ الخلاء وفي إصبعه خاتمٌ فيه اسم الله ؟ قال : يجعلُ فَصَّه في باطنِ يده ثم يقبِضُ عليه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٢٨) .) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا أمية بن خالد قال : سمعتُ شعبة يقول : قال خالد الحذَّاء : كلُّ شيءٍ قال فيه محمد بن سيرين : نُبِّئتُ (في (ق) : « ثبت » ، تصحيف ، والمثبت من مصادر تخريج الخبر .) عن ابن عباس ؛ إنما سَمِعَهُ من عكرمة ، لقيه أيام المختار بالكوفة (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٢٨) ، والخطيب في تاريخ بغداد (٥/ ٣٣٤) ، وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٧/ ١٩٤) عن أمية به ، وذكره المزي في تهذيب الكمال (٢٥/ ٣٤٨) .) .

وقال سفيان الثوري : خذوا المناسِكَ عن سعيد بن جُبير ، ومُجاهد ، وعِكْرمة .

وقال أيضاً : خذوا التفسير عن أربعة : سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك .

وقال عكرمة : أدركتُ مئتينِ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ في هذا المسجد .

وقال محمد بن يوسف الفِرْيابي : حدّثنا إسرائيل عن سعيد بن مسروق ، عن عكرمة ، قال : كانتِ الخيلُ التي شغلَتْ سليمانَ بن داود عليه السلام عشرين ألفاً فعقرَها (أخرجه محمد بن نصر بن الحجاج المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ١٠٢) .) .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدّثنا معتمر بن سليمان ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة : ﴿ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾ [النساء : ١٧] ، قال : الدنيا كلُّها قريب ، وكلُّها جهالة (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٢٩) .) .

وفي قوله : ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [القصص : ٨٣] قال : عند سلاطينِها وملوكِها ؛ ﴿ وَلَا فَسَادًا ﴾ لا يعملون بمعاصي الله عزَّ وجلَّ ، ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ ﴾ هي الجنة (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٢٩ ، ٣٣٠) .) .

وقال في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ ﴾ أي تركوا ما وُعظوا . ﴿ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ ﴾ أي شديد . ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ ﴾ أي تمادَوْا وأصرُّوا . ﴿ خَٰسِـِٔينَ ﴾ [الأعراف : ١٦٥ ـ ١٦٦] صاغِرين . ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾ أي من الأمم الماضية ﴿ وَمَا خَلْفَهَا ﴾ من الأمم الآتية ، من أهل زمانهم وغيرهم ﴿ وَمَوْعِظَةً ﴾ [البقرة : ٦٦] تقِي من اتعظ بها الشركَ والمعاصي (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٣١) .) .

وقال ابن عباس : إذا كان يومُ القيامة بعث الله الذين اعتدوا ، ويُحاسب الذين تركوا الأمر والنهي ، كان المسخُ لهم عقوبةً في الدنيا حين تركوا الأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٣١) .) .

وقال عكرمة : قال ابنُ عباس : هلَكَ والله القومُ جميعاً ، قال ابن عباس فالذين أمَروا ونَهَوْا نجوْا ؛ الذين لم يأمُروا ولم ينهَوْا هلكوا فيمن هلك من أهل المعاصي . قال : وذلك أهلُ أيْلة ـ وهي قريةٌ على شاطىء البحر ـ وكان الله قد أمر بني إسرائيلَ أن يتفرَّغوا ليوم الجمعة ، فقالوا : بل نتفرَّغ ليوم السبت ، لأنَّ الله فرَغَ من الخَلْق يومَ السبت ، فأصبحتِ الأشياء مسبوتة (في الحلية « مستوية » ، والخبر فيه (٣/ ٣٣٠) .) .

وذكروا (قوله : « ذكروا » لعله يشير إلى عكرمة وابن عباس ومن روى عنهما في الخبر السابق ؛ لأن ما جاء هنا متصل بالخبر السابق كما في الحلية .) قصة أصحابِ السبت ، وتحريم الصيد عليهم ، وأنَّ الحيتانَ كانتْ تأتيهم يومَ السبت ولا تأتيهم في غيره من الأيام ، وذكروا احتيالَهم على صيدِها في يوم السبت ، فقال قوم : لا ندعُكم تصيدون في يوم السبت ، ووعظوهم ، فجاء قومٌ آخرون مداهِنون فقالوا : ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ قال الناهون : ﴿ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف : ١٦٤] أي ينتهون عن الصيد في يوم السبت

. . . .

= (انظر الحلية (٣/ ٣٣٠ ، ٣٣١) .) .
وقد ذكر عكرمةُ أنه لما قال لابنِ عباس : إنَّ المداهنين هلكوا مع الغافلين ؛ كساه ثوبَيْن (انظر الحلية (٣/ ٣٣١) .) .
وقال جَرير (في (ق) : « حوثرة عن مغيرة » ، وهو تصحيف ، والمثبت من حلية الأولياء (٣/ ٣٣١) ، وكتب الرجال .) : عن مُغيرة ، عن عكرمة ، قال : كانتِ القضاةُ ثلاثة - يعني في بني إسرائيل - فمات واحد ، فجعل الآخر مكانه ، فقَضَوا ما شاء الله أن يَقْضُوا ، فبعث الله ملَكاً على فرس ، فمرَّ على رجلٍ يَسْقي بقرةً معها عِجْل ، فدعا المَلكُ العجلَ ، فتبع العجلُ الفرس ، فجاء صاحبه ليردَّه فقال : يا عبد الله ! عِجْلي وابن بقرتي ، فقال الملك : بل هو عجلي وابنُ فرسي ، فخاصمَهُ حتى أعياه ، فقال : القاضي بيني وبينك . قال : لقد رضيت ، فارتفعا إلى أحد القضاة فتكلَّم صاحبُ العِجْلِ فقال له : مَرَّ بي على فرس ، فدعا عِجْلي فتبعَهُ ، فأبى أنْ يردَّه . قال : ومع الملك ثلاثُ دُرَّاتٍ لم ير الناسُ مثلها ، فأعطى القاضيَ دُرَّةً وقال : اقضِ لي . فقال : كيف يَسُوغُ هذا ؟ فقال : نرسل العِجْلَ خلفَ الفرس والبقرة ، فأيهما تبعها فهو ابنُها . ففعل ذلك ، فتبع الفرس فقضَى له . فقال صاحبُ العِجْلِ : لا أرضَى ، بيني وبينك القاضي الآخر . ففعلا مثل ذلك ، ثم أتيا الثالث فقصَّا عليه قصتهما ، وناوله الملَكُ الدُّرَّة الثالثة فلم يأخُذها . وقال : لا أقضي بينكما اليوم . فقالا : ولم لا تقضي بيننا ؟ فقال : لأني حائض ، فقال الملَكُ : سبحان الله !! رجلٌ يحيض !؟ . فقال القاضي : سبحان الله ! وهل تُنتجُ الفرَسُ عِجلاً ؟ فقضَى لصاحبِ البقرة . فقال الملك : إنكم إنما ابتُليتم ، وقد رَضيَ الله عنك وسخِطَ على صاحبَيْك (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٣١ ، ٣٣٢) .) .
وقال أبو بكر بن عياش عن أبي حمزة الثُّمَالي ، عن عكرمة ، أنَّ مَلِكاً من الملوك نادَى في مملكته : إني إنْ وجدتُ أحداً يتصدَّق بصدقةٍ قُطعتْ يدُه . فجاء سائلٌ إلى امرأة فقال : تصدقي عليَّ بشيء . فقالت : كيف أتصدَّق عليك والملكُ يقطعُ يَدَ منْ يتصدَّق ؟ قال : أسألكِ بوجهِ الله إلَّا تصدقتِ عليَّ بشيء ، فتصدقَتْ عليه برغيفَيْن ، فبلغ ذلك الملك ، فأرسل إليها فقطع يدَيْها ، ثم إنَّ الملك قال لأمه : دُلِّيني على امرأةٍ جميلةٍ لأتزوَّجها . فقالت : إنَّ هاهنا امرأةً ما رأيتُ مثلها ، لولا عَيْبٌ بها . قال : أيُّ عيبٍ هو ؟ قالت : مقطوعة اليدَيْن . قال : فأرسلي إليها . فلما رآها أعجَبتْه - وكان لها جمال - فقالتْ : إنَّ الملك يُريد أن يتزوَّجك : قالت : نعم إنْ شاء الله ، فتزوَّجها وأكرَمها ، فنهَدَ إلى الملكِ عدوٌّ فخرج إليهم (منِ المناهدة في الحرب ، وهي المناهضة ؛ ونهد القوم لعدوهم : أي صمدوا . اللسان (نهد) .) ؛ ثم كتَبَ إلى أمِّه : انظري فلانة فاستوصي بها خيراً ، وافعلي وافعلي معها ، فجاء الرسولُ فنزل على بعضِ ضَرائرها فحسَدْنَها ، فأخَذْنَ الكتابَ فغيَّرْنَه وكتَبْنَ إلى أمه : انظري فلانة ، فقد بلغني أنَّ رجالًا يأتونها ، فأخرجيها من البيت وافعلي وافعلي . فكتبتْ إليه الأمُّ : إنك قد كذبتَ ، وإنها لامرأةُ صِدْق ، فذهب الرسول إليهن فنزَلَ بهنَّ فأخَذْنَ الكتاب فغيَّرْنَهُ ، فكتبنَ إليه : إنها فاجرة وقد ولدَتْ غلاماً من الزنا ، فكتب إلى أمه ، انظري فلانة فاجعلي ولدَها على رقبتها واضربي على جيبها وأخرجيها . قال : فلما جاءها الكتاب قرَأتْهُ عليها وقالت لها : اخرجي . فجعلتِ الصبيَّ على رقبتَها وذهبَتْ ، فمرَّتْ بنهرٍ وهي عطشانة ، فنزلتْ لتشربَ والصبيُّ على رقبتها ، فوقع في الماء فغرِق ، فجلسَتْ تبكي على شاطىء النهر ، فمرَّ بها رجلان فقالا : ما يُبكيك ؟ فقالت : ابني كان على رقبتي ، وليس لي يدان ، فسقط في الماء فغرِق . فقالا لها : أتحبِّينَ أنْ يردَّ الله عليك يديك كما كانتا ؟ قالتْ : نعم . فدَعَوا الله ربَّهما لها فاستوتْ يداها ؛ ثم قالا لها : أتدرين منْ نحن ؟ قالتْ : لا . قالا : نحن الرغيفانِ اللذانِ تصدَّقتِ بهما (أخرج القصة أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٣٢ ، ٣٣٣) .) .
وقال في قوله : ﴿ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ [الفيل : ٣] قال : طيرٌ خرجَتْ من البحر لها رؤوس كرؤوس السباع ، فلم تزَلْ=

. . . .

= ترميهم حتى جدرَتْ جلودَهم ، وما رُئي الجُدَريُّ قبلَ يومئذٍ ، وما رُئي الطيرُ قبل يومئذٍ ولا بَعْدُ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٣٣) ، وفيه تتمة .) .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [فصلت : ٦ ـ ٧] قال : لا يقولون لا إله إلا الله . وفي قوله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [الأعلى : ١٤] قال : من يقول لا إله إلا الله . وفي قوله : ﴿ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾ [النازعات : ١٨] إلى أنْ تقول لا إله إلا الله . وفي قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ ﴾ [فصلت : ٣٠] على شهادةِ أنْ لا إله إلا الله . وفي قوله : ﴿ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ [هود : ٧٨] أليس منكم من يقول : لا إله إلا الله . وفي قوله : ﴿ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النبأ : ٣٨] قال : لا إله إلا الله . وفي قوله : ﴿ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران : ١٩٤] لمن قال : لا إله إلا الله (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٣٣ ، ٣٣٤) .) .

وفي قوله : ﴿ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٣] على من لا يقول : لا إله إلا الله (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٣٤) .) .

وفي قوله : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [الكهف : ٢٤] قال : إذا غضبت (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٣٤) .) .

[وفي قوله :] ﴿ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم ﴾ [الفتح : ٢٩] قال : السَّهر (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٣٤).) .

وقال : إنَّ الشيطانَ لَيُزَيِّنُ للعبد الذنب ، فإذا عمِلَه تبرَّأ منه ، فلا يزالُ يتضرَّعُ إلى ربِّه ويتمَسْكن له ويبكي حتى يغفرَ الله له ذلكَ وما قبلَه .

وقال : قال جبريلُ عليه السلام : إنَّ ربِّي ليبعَثُني إلى الشيء لأمضِيَه فأجدُ الكونَ قد سبقَني إليه . وسُئل عن الماعون ، قال : العاريَّة : قلتُ : فإنْ منَعَ الرجلُ غرבالاً أو قِدْراً أو قَصْعةً أو شيئاً من متاع البيت فله الوَيْل ؟ قال : لا ، ولكن إذا سَهَا (في (ق) : « إذا نهى » ، والمثبت من الحلية ، ولكن فيه كتبت الألف على شكل الياء هكذا « سهى » .) عن الصلاةِ ومنَعَ الماعونَ فلهُ الوَيْل (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٣٥) .) .

وقال : البضاعةُ المُزجاة : التي فيها تَجوُّز . وقال : السائحون : همْ طلبة العلم . وقال : ﴿ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾ [الممتحنة : ١٣] قال : إذا دخل الكفار القبور ، وعاينُوا ما أعدَّ الله لهم من الخِزْي ، يئسوا من نعمةِ الله .

وقال غيره : ﴿ يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾ أي من حياتهم وبعثهم بعدَ موتهم .

وقال : كان إبراهيمُ عليه السلام يُدْعَى (في الحلية : « يكنى » .) أبا الضِّيفان ؛ وكان لقصرِه أربعةُ أبواب لكيلا يفوتَهُ أحد . وقال : أنكالاً ، أيْ قيوداً (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٣٦) .) .

وقال في كاهِنِ سَبَأ : إنه قال قومه لما دنا منهم العذاب : منْ أراد سفراً بعيداً وحملاً شديداً ، فعليه بعُمَان ، ومن أراد الخمر والخمير ، وكذا وكذا والعصير ، فعليه ببُصْرى ـ يعني الشام ـ ومن أراد الراسخاتِ في الوَحْل ، والمقيماتِ في المَحْل ، فعليه بيثرب ذاتِ النَّخْل . فخرج قومٌ إلى عُمان ، وقومٌ إلى الشام ، وهم غسَّان ، وخرج الأوْس والخَزْرَج ـ وهم بنو كعبِ بن عمرو ـ وخُزاعة حتى نزلوا يثرب ، ذاتِ النَّخْل ، فلما كانوا ببطْنِ مَرّ قالتْ خُزاعة : هذا موضعُ صالح لا نريدُ به بَدَلاً ، فنزلوا ، فمن ثمَّ سُمِّيتْ خُزاعة ، لأنهم تخزَّعوا من أصحابهم . وتقدَّمتِ الأوسُ والخزرجُ حتى نزلوا بيثرب (أخرجه مطولاً أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٣٦ ، ٣٣٧) .) .

وقال الله عزَّ وجلَّ ليوسفَ عليه السلام يا يوسف ! بعفوك عن إخوتك رفعتُ لك ذِكرَك مع الذاكرين (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٣٧) .) .

وقال : قال لقمان لابنه : قد ذقتُ المرار فلم أذُقْ شيئاً أمرَّ من الفقر ، وحملتُ كلَّ حملٍ ثقيل فلم أحملْ أثقل من=

. . . .

= جارَ السَّوْء . ولو أنَّ الكلام من فضَّة لكان السكوتُ من ذهب . رواهُ وكيع بن الجرَّاح عن سفيان عن أبيه عن عكرمة .

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال : ١٧] قال : ما وقع شيءٌ منها إلَّا في عَيْنِ رجل منهم .

وقال : في قوله تعالى : ﴿ زَنِيمٍ ﴾ [القلم : ١٣] هو اللئيم الذي يُعرف للؤمه كما تُعرف الشاةُ بزَنَمتِها (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٣٧ ، ٣٣٨) .) .

وقال في قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [الأحزاب : ٥٧] قال : هم أصحاب التصاوير (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٣٨) .) .

﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾ [الأحزاب : ١٠] قال : لو أن القلوب تحرَّكتْ أو زالَتْ لخرجت نفسه ، وإنما هو الخَوْفُ والفَزَع .

﴿ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [الحديد : ١٤] أي بالشهوات . ﴿ وَتَرَبَّصْتُمْ ﴾ بالتَّوبة . ﴿ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ ﴾ أي التَّسْويف ﴿ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ الموت ﴿ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ الشيطان (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٣٨) .) .

وقال : من قرأ يس والقرآن الحكيم لم يزَلْ ذلك اليوم في سرور حتى يُمسي .

قال سلمة بن شَبِيب (في (ق) : « سلمة بن شعيب » تصحيف ، والمثبت من الحلية وكتب الرجال منها الجرح والتعديل (٢/ ٩٤) في ترجمة إبراهيم بن الحكم ، وتهذيب الكمال (١١/ ٢٨٤) في ترجمته .) : حدَّثنا إبراهيمُ بن الحكم عن أبيه عن أبان ، قال : كنتُ جالساً مع عكرمة عند البحر (في الحلية : « مع عكرمة عند منزل ابن داود ، وكان عكرمة نازلاً مع ابن داود نحو الساحل » .) فذكروا الذين يغرقون في البحر ، فقال عكرمة : الذين يغرقون في البحار تقتَسِمُ لحومَهم الحِيتانُ فلا يَبْقَى منهم شيءٌ إلَّا العظام ، حتى تصيرَ حائلاً نَخرةً ، فتمرُّ بها الإبلُ فتأكلُها ، ثم تسيرُ الإبلُ فتَبْعَرها ، ثم يَجيءِ بعدَهم قوم فينزلون ذلك المنزل ، فيأخذون ذلك البعر فيوقدونه ، ثم يصيرُ رَماداً فتَجيءُ الريحُ فتأخذه فتُذْريه في كلِّ مكان من الأرض ، حيث يشاءُ الله من بَرِّه وبحره ، فإذا جاءتِ النفخة ـ نفخة المبعث ـ فيخرج أولئك وأهلُ القبور المجموعين سَوَاء (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٣٩ ، ٣٤٠) مطولاً .) .

وبهذا الإسناد عنه قال : إنَّ الله أخرَجَ رجُلَيْنِ ، رجلاً من الجنة ورجلاً من النار ، فقال لصاحب الجنة : عَبدي ! كيف وجدتَ مَقِيلك ؟ قال : خيرَ مَقيل . ثم قال لصاحب النار : عبدي كيف وجدتَ مَقيلك ؟ فقال : شرَّ مَقيل قالَهُ القائلون . ثم ذكر من عقاربها وحيَّاتها وزنابيرها ، ومن أنواع ما فيها من العذاب وألوانه ، فيقول الله تعالى لصاحب النار : عبدي ! ماذا تُعطيني إنْ أنا أعفَيْتُكَ من النار ، فيقول العبدُ : إلَهي ، وماذا عندي ما أعطيك ؟ فقال له الربُّ تعالى : لو كان لك جبلٌ من ذَهب ، أكنتَ تُعطيني فأعفِيَكَ من النار ؟ فقال : نعم . فقال له الرب : كذبتَ ، لقد سألتُكَ في الدنيا ما هو أيسَرُ من ذلك ! تدعوني فأستجيب لك ، وتستغفرني فأغفر لك ، وتسألني فأعطيك ، فكنتَ تتولَّى ذاهباً (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٤٠) .) .

وبهذا الإسناد قال : ما من عبدٍ يُقرِّبهُ الله عزَّ وجلَّ يومَ القيامة للحساب إلَّا قام من عند الله بعفوه .

وبه عنه : لكلِّ شيءٍ أساس ، وأساسُ الإسلام الخُلق الحسَن .

وبه عنه قال : شكا نبيٌّ من الأنبياء إلى ربِّهِ عزَّ وجلَّ الجوعَ والعُري ، فأوْحى الله إليه : أما تَرْضَى أني سدَدْتُ عنك باب الشِّرْك (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٤١) ، وفي (ق) : « الشر الناشىء عنها » بدل « الشرك » وهو تحريف وزيادة من الناسخ . والمثبت من الحلية .) .

وبه عنه قال : إنَّ في السماء ملكاً يقالُ له إسماعيل ، لو أذنَ الله له بفتح أُذُنٍ من آذانه يُسبِّح الرحمنَ عزَّ وجلَّ =

. . . .

= لمات من في السموات والأرض (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٤١) .) .

وبه عنه قال : سَعةُ الشمس سعةُ الأرض وزيادة ثلاث مرّات ؛ وسعة القمر سعة الأرض مرّة ؛ وإنَّ الشمسَ إذا غرَبَتْ دخلَتْ بحراً تحت العرش ، تُسَبِّحُ الله ، حتى إذا أصبحَتْ استعفَتْ ربَّها تعالى من الطلوع ، فيقول لها : ولم ذاك ـ وهو أعلم ـ فتقول : لئلا أُعْبَدَ من دونِك . فيقول لها : اطلعي فليس عليك شيء من ذلك ؛ حَسْبُهم جهنم أبعثها إليهم مع عشرةِ آلافِ مَلَكٍ يقودونها حتى يُدخلوهم فيها (في (ق) : « مع ثلاث عشرة ألف ملك تقودها » ، وهو تحريف وتصحيف ، والمثبت من الحلية .) وهذا خلافُ ما ثبتَ في الحديث الصحيح « إنَّ جهنم يُؤتى بها تُقاد بسبعين ألفِ زِمام ، مع كلِّ زِمام سبعونَ ألفَ ملك » (أخرجه مسلم في صحيحه (٢٨٤٢) في الجنة وصفة نعيمها : باب في شدة حر جهنم ، والترمذي (٢٥٧٣) في صفة جهنم : باب ما جاء في صفة النار ؛ عن عبد الله بن مسعود .) .

وقال مَنْدَل عن أسد بن عطاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا يَقفَنَّ أحَدُكم على رَجُلٍ يُضربُ ظلماً ، فإنَّ اللعنةَ تنزلُ من السماء على منْ يَحْضُره إذا لم تدفعوا عنه . ولا يقفَنَّ أحَدُكم على رجلٍ يُضربُ ظلماً ، فإنَّ اللعنةَ تنزلُ من السماء على منْ يَحْضُره إذا لم تدفعوا عنه . ولا يقفَنَّ أحَدُكم على رجلٍ يُقتل ظلماً ، فإنَّ اللعنة تنزِلُ من السماء على منْ يحضُرُه إذا لم تدفعوا عنه » . لم يرفعه إلَّا مَنْدَلٌ هذا (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٤٥) وقال : « غريب من حديث أسد وعكرمة ، لم يروه عنه فيما أعلم إلا مندل بن علي العنبري » وقال فيه ابن حجر في التقريب ص(٥٤٥) : ضعيف .) .

وروى شُعبة عن عمارة بن أبي حَفْصَة ، عن عكرمة ، عن أبي هريرة أنَّ رسولَ الله ﷺ ، كان إذا عطَسَ غَطَّى وَجْهَهُ بثَوْبه ، ووضَعَ يدَيْه على حاجِبَيْه (إسناده ضعيف ، وهو غريب من هذا الوجه كما قال أبو نعيم في الحلية ٣/ ٣٤٦ . لكن ورد الحديث بإسناد حسن من طريق أبي صالح عن أبي هريرة ؛ أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ٤٣٩ وأبو داود (٥٠٣٩) ، والترمذي (٢٧٤٥) وغيرهم ، ولفظه عند الترمذي : « أن النبي ﷺ كان إذا عطس غطى وجهه بيده أو بثوبه وغض بها صوته » وليس عندهم ذكر الحاجبين ، وقال الترمذي : « حسن صحيح » ، وإنما صححه لأن محمد بن عجلان ثقة عنده . وانظر تمام تخريجه في تعليقنا على جامع الترمذي ٤/ ٤٦١ من طبعتنا (بشار) .) .

هذا حديثٌ عالٍ من حديثِ شُعبة .

وروى بقية عن إسحاق بن مالك الحَضْرَميّ ، عن عكرمة ، عن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ قال : « منْ حَلَفَ على أحدٍ يميناً ، وهو يَرَى أنه سيبرُّه فلم يفعلْ ، فإنما إثمُهُ على الذي لم يبرَّه » (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٤٦) ، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٤١) ، وساقه الذهبي في الميزان (١/ ٣٤٩) وابن حجر في لسانه (١/ ٣٧٠) وقالا : إسحاق بن مالك الحضرمي شامي هو من شيوخ بقية . قال الأزدي : ضعيف . وذكر الحديث ، وبقية بن الوليد ضعيف أيضاً ، كما في تحرير التقريب .) . تفرد به بقيَّةُ بن الوليد مرفوعاً .

وقال عبد الله بن أحمد في مسند أبيه (الذي في مسند أحمد (٦/ ١٤٧) : حدّثني أبي حدّثنا محمد بن جعفر حدّثنا شعبة عن عمارة فذكره . وأما بهذا الإسناد فقد أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد ص(١٦) . وأخرجه أيضاً بإسنادهم إلى عمارة ، به كل من الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٨) ، والترمذي (٣/ ٥١٨) (١٢١٣) باب ما جاء في الرخصة في الشراء إلى أجل ، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٣/ ٦٢٤) (١٢٠٠) ، وهو حديث صحيح .) : حدّثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدّثنا يزيد بن زُرَيْع (في (ق) : « يزيد بن ربيع » تصحيف ، والمثبت من مصادر التخريج السالفة الذكر .) حدّثنا عُمارة بن أبي حفصة ، حدّثنا عكرمة ، حدّثتنا عائشة ، أنَّ النبيَّ ﷺ كان عليه بُرْدَان قطريَّان ، خَشِنَانِ غَلِيظان ، فقالتْ عائشة : يا رسول الله ، إنَّ ثوبيك هذين غَليظانِ

القاسم بن محمد بن أبي بكر الصدِّيق[(١)] : كان أحدَ الفقهاء المشهورين .

وكُثَيِّر عَزَّةَ ، الشاعر المشهور[(٢)] : وهو كُثَيِّرُ بنُ عبد الرحمن بن الأسود بن عامر ، أبو صخر الخُزَاعيُّ الحجازيّ ، المعروف بابن أبي جُمعة ، وعَزَّةُ هذه المشهورُ بها المنسوب هو إليها ، لِتَغزُّله فيها ، هي أم عمرو عزَّة ـ بالعين المهملة ـ بنتُ جَميل بن حَفْص ، من بني حاجب بن غِفَار ، وإنما صُغِّر اسمُه ، فقيل كُثَيِّر ، لأنه كان دَميمَ الخَلْق قصيراً ، طولُه ثلاثةُ أشبار .

قال ابنُ خِلِّكان[(٣)] : كان يقالُ له زُبّ الذباب .

وكان إذا مَشَى يُظنُّ أنه صغيرٌ من قِصَره ، وكان إذا دخل على عبد الملك بن مروان يقول له : طأطىء رأسَك لا يؤذيك السقف ؛ وكان يضحكُ إليه ، وكان يَفِد على عبدِ الملك ، ووفد على عبد الملك بن مروان مرَّاتٍ ، ووفد على عمر بن عبد العزيز ، وكان يقال : إنه أشعر الإسلاميين ، على أنه كان فيه

= خَشِنان ، تَرْشحُ (ترشح : تعرق .) فيهما فيثقلان عليك . فأرسِلْ إلى فلان فقد أتاه بُرُدٌ من الشام فاشترِ منه ثوبَيْنِ إلى مَيْسرة . فأرسَلَ إليه ، فأتاه الرسول فقال : إنَّ رسول الله ﷺ بعث إليك لتبيعَهُ ثوبَيْنِ إلى مَيْسَرة ؟ فقال : قد علمتَ والله ، ما يريدُ نبيُّ الله إلا أنْ يذهبَ بثوبيَّ ويُمْطِلُني بثمنهما ، فرجَعَ الرسولُ إلى رسولِ الله ﷺ ، فأخبره ، فقال ﷺ : « كذبَ ! قد علموا أني أتْقَاهُمْ لله ، وآداهُمْ للأمانة » .

وفي هذا اليوم قال النبيُّ ﷺ : « لأن يَلْبَسَ أحدُكم من رِقاعِ شَتَّى خيرٌ له من أن يستدينَ ما ليسَ عندَه » (لعل هذا القول « في مثل هذا اليوم » لأبي نعيم في الحلية (٣/ ٣٤٧) ، والحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٢٤٣) ، وابن أبي عاصم في الزهد ص(٢٦) ، والديلمي في مسند الفردوس (٥/ ١٦٩) (٧٨٤٨) ؛ قال ابن أبي حاتم في العلل (١/ ٣٧٧) بعد سياق الحديث : حديث منكر وسليمان بن سليم وسفيان الزيات مجهولان .) .

والله سبحانه أعلم] (هنا تنتهي الزيادة التي ابتدأت في الصفحة (٧٧) في موضع الحاشية (٣) .) .

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٥/ ١٨٧) ، التاريخ الكبير (٧/ ١٥٧) ، رجال صحيح البخاري للكلاباذي (٢/ ٦١٦) ، تهذيب الكمال (٢٣/ ٤٢٧) ، رجال مسلم لأبي بكر بن منجويه (٢/ ١٤٠) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٩٦) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٥٣) . وما سيأتي هنا زيادة من (ق) أقحمت على المتن وضفناه هنا وهو : [له رواياتٌ كثيرة ، عن الصحابة وغيرهم ، وكان من أفضلِ أهلِ المدينة ، وأعلم أهلِ زمانه ، قُتل أبوه بمصر وهو صغير ، فأخذَتْهُ خالتُه ، فنشأ عندَها ، وساد ، وله مناقبُ كثيرة . وأبو رجاء العُطاردي] (ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ١٣٨) ، رجال صحيح البخاري (٢/ ٥٧٢) ، التاريخ الكبير (٦/ ٤١٠) ، الجرح والتعديل (٦/ ٣٠٣) ، الاستيعاب (٤/ ١٦٥٧) رجال مسلم (٢/ ٩٣) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٥٣) ، الثقات لابن حبان (٥/ ٢١٧) ، طبقات الحفاظ ص(٣٢) .) .

(٢) ترجمته في طبقات ابن سلام ص(٤٥٧) ، الشعر والشعراء ص(٤١٠) ، الأغاني (٩/ ٥) ، معجم الشعراء ص(٢٥٠) ، شرح ديوان الحماسة (٣/ ١٤٠) ، وفيات الأعيان (٤/ ١٠٦) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ١٥٢) ، خزانة الأدب (٢/ ٣٨١) .

(٣) في وفيات الأعيان (٤/ ١١٣) ، وصحف في (ق) : « رب الدبان » ، وفي (ب ، ح) على الصواب .

تشيُّع ، وربما نسبه بعضُهم إلى مذهب التناسخيَّة ، وأنه كان يحتجُّ على ذلك ـ من جهلِهِ وقِلَّةِ عقلهِ إنْ صحَّ النقلُ عنه ـ بقوله تعالى : ﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار : ٨] وقد استأذن يوماً على عبد الملك ، فلما دخل عليه قال عبد الملك : تَسمَعُ بالمعيدي خيرٌ من أنْ تراه ، فقال : مَهْلاً[١] يا أمير المؤمنين إنما المرءُ بأصغَرَيْه قلبِهِ ولسانِهِ ، إنْ نطَقَ نطَقَ ببيان ، وإنْ قاتل قاتل بجَنَان ، وأنا الذي أقول[٢] :

وجـربـتُ الأمـورَ وجـرَّبتْنـي ... وقـدْ أبـدَتْ عـريكتـيَ الأمـورُ

ومـا تَخْفَـى الـرجـالُ علـيَّ أنـي ... بهـمْ لأخـو مُثَـاقَفَـةٍ خَبيـرُ

تـرى الـرجـلَ النحيـفَ فتزدَريـهِ ... وفـي أثـوابـهِ أسَـدٌ يَـزِيـرُ[٣]

ويعجبـكَ الطـريـرُ فتجتبيـهِ[٤] ... فيخلـفُ ظنـكَ الـرجـلُ الطـريـرُ

ومـا عِلْـمُ[٥] الـرجـالِ لهـا بـزَيْـنٍ ... ولكـنْ زَيْنُهـا كـرَمٌ وخيـرُ[٦]

بُغـاثُ الطيـر أطـولهـا جسـومـاً ... ولـم تطُـلِ البُـزَاةُ ولا الصُّقـورُ

وقـدْ عَظُـمَ البعيـر بغيـر لـبٍّ ... فلـم يستغـن بـالعِظَـمِ البَعيـرُ

فيُـركَـبُ ثـم يُضـربُ بـالهـرَاوَى ... ولا عُـرْفٌ لـديـهِ ولا نَكيـرُ

وعـودُ النَّبْـعِ ينبُـتُ مستمـرّاً ... وليـسَ يطـولُ والعَضْبـاءُ خُـورُ

وقد تكلم أبو الفرج بن طَرَارا[٧] على غريب هذه الحكاية وشعرها بكلامٍ طويل ، قالوا : ودخل كُثَيِّر عزَّةَ يوماً على عبدِ الملك بن مروان فامتدحه بقصيدته التي يقول فيها :

على ابن أبي العاصي دُروعٌ حصينةٌ ... أجـاد المُسَـدِّي سَـرْدَهـا وأذَالَهـا[٨]

---

(١) في (ق) : « حيهلا » ، تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) ، والمنتظم .

(٢) كذا في الأصول ، والمنتظم (٧/ ١٠٤) ، والقصيدة تنسب للعباس بن مرداس ما عدا الأبيات الأول والثاني والأخير ، وهي في ديوانه ص(١٧٢) ، ونسب بيتان منها لعمرو بن قميئة في ديوانه ص(١٣٠) .

(٣) في (ق) : « زئير » ، والمثبت من (ب ، ح) . والبيت في اللسان منسوب للعباس أيضاً ومعنى « يزمر » : يزْئِرُ مضارع زأرَ ، وهو أن يردد صوته في جوفه .

(٤) في (ق ، ب) : « فتختبره » ، وفي ديوان العباس : « فتبتليه » ، والمثبت من (ح) .

(٥) في بعض النسخ : وما عِظَم ، وفي بعضها : وما هام .

(٦) في (ق) : « دين وخير » ، والمثبت من (ب ، ح) ، وديوان العباس .

(٧) في (ق) : « طرار » تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) ومصادر ترجمته ، وهو أبو الفرج المعافى بن زكريا الجريري المعروف بابن طرارة أو طرارا ـ كما ذكره محمد بن عبد الغني البغدادي في تكملة الإكمال (٤/ ١٧) . ولعله ذكر ذلك في كتابه الجليس الصالح الكافي .

(٨) البيت في ديوان كثير ص(١٤٥) ، وفيه : « دِلاصٌ حصينة » . ومعنى أذالها : أطال ذيلها ، واستشهد بهذا البيت على هذا المعنى صاحب لسان العرب في مادة (ذيل) .

قال له عبد الملك : أفلا قُلْت كما قال الأعشى لقيس بن مَعْدِيكَرِب :

وإذا تجيءُ كتيبةٌ مَلْمُومةٌ شَهْباءُ يَخْشَى الذائدونَ صِيَالَها[١]
كنتَ المقدَّم غيرَ لابسِ جُنَّةٍ بالسيفِ تَضْرِبُ مُعْلماً أبطالَها[٢]

فقال : يا أمير المؤمنين وصفَهُ بالخَرَق ووصفتُك بالحَزْم .

ودخل يوماً على عبدِ الملك وهو يتجهَّزُ للخروج إلى مُصعب بن الزُّبير فقال : وَيْحك يا كُثَيِّر ، ذكرتك الآنَ بشعرِك ، فإنْ أصبتَهُ أعطيْتُكَ حكمك . فقال : يا أمير المؤمنين ، كأنَّك لما ودَّعت عاتكةَ بنت يزيد بكَتْ لفراقِك فبكَى لبكائها حشَمُها فذكرتَ قولي :

إذا ما أرادَ الغَزْوَ لم تَثْنِ عَزْمَهُ حَصَانٌ عليها نَظْمُ دُرٍّ يَزِينُها
نهَتْهُ فلمّا لم ترَ النَّهيَ عاقَهُ بكَتْ فبكى ممَّا عَرَاها قَطِينُها[٣]

قال : أصبتَ فاحتكِمْ ، قال : مئة ناقة من نُوقك المختارَة . قال : هي لك . فلما سار عبدُ الملك إلى العراق نظرَ يوماً إلى كُثَيِّر عزَّةَ وهو مفكِّرٌ في أمره فقال : عليَّ به . فلما جيء به قال له : أرأيتَ إنْ أخبرتُك بما كنتَ تفكِّر به تُعطيني حُكْمي ؟ قال : نعم . قال : والله ! قال : والله . قال له عبد الملك : إنك تقولُ في نفسك : هذا رجلٌ ليس هو على مذهبي ، وهو ذاهبٌ إلى قتالِ رجلٍ ليس هو على مذهبي ، فإنْ أصابَني سَهْمٌ غَرْبٌ من بينهما خَسِرْتُ الدنيا والآخرة . فقال : إي والله يا أمير المؤمنين فاحتكمْ ، قال : أحتكمُ حُكْمي أنْ أرُدَّك إلى أهلك وأُحسنُ جائزتَك . فأعطاهُ مالاً وأذِن له بالانصراف .

وقال حمَّادُ الراوية عن كُثَيِّر عزَّة : وَفَدْتُ أنا والأحْوَص ونُصَيب إلى عمرَ بنِ عبدِ العزيز حينَ ولي الخلافة ، ونحن نمُتُّ إليه بصحبتنا إياه ومعاشرتنا له ، [لما كان بالمدينة] ، فكلٌّ منَّا يظنُّ أنه سيشرَكهُ في الخلافة . فنحنُ نسيرُ ونختالُ في رحالِنا ، فلما انتهينا إلى خُناصِرَة ولاحَتْ لنا أعلامُها ، تلقَّانا مَسْلمةُ بنُ عبدِ الملك فقال : ما أقدمَكم ؟ أو ما علمتم أنَّ صاحبكم لا يحبُّ الشعرَ ولا الشعراء ؟ قال : فوجَمْنا لذلك ، فأنزلَنا مسلمةُ عندَه ، وأجْرَى علينا النفقات ، وعلَفَ دوابَّنا ، وأقمْنا عندَه أربعةَ أشهر ، لا يمكنُه أنْ يستأذِنَ لنا على عمر ، فلما كان في بعض الجُمَع دنوت من الخليفة لأسمعَ خطبته فأسلّم عليه بعد الصلاة ، فسمعتُه يقول في خطبته : لكلِّ سفرٍ زادٌ لا محالة ، فتزوَّدوا لسفرِكم من الدنيا إلى الآخرة بالتقوى ، وكونوا كمنْ عايَنَ ما أعدَّ الله له من عذابه وثوابِه فترْغَبوا وترْهَبوا ، ولا يطولَنَّ عليكم الأمدُ

---

(١) في (ب ، ح) : « شمالها » بدل « صيالها » ، والمثبت من (ق) . ورواية الديوان « خرساءُ تُغشي من يزودُ نهالَها » .

(٢) في (ق) : « جبة . . . يضرب » ، تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) وديوان الأعشى ص(١٥٠) .

(٣) البيتان من قصيدة يمدحه فيها في ديوان كثير ص(٢٣٠) .

فتقسُو قلوبكم ، وتنقادوا لعدوِّكم ، فإنه والله ما بُسِطَ أَمَلُ منْ لا يَدْري لعله لا يُمسي بعد إصباحِه ولا يُصبح بعدَ إمسائه ؛ وربما كانتْ له من ذلك خَطَراتُ الموتِ والمنايا ، وإنما يطمئنُّ من وَثِقَ بالنجاة من عذابِ اللهِ وأهوالِ يوم القيامة ؛ فأمَّا منْ لا يُداوي من الدنيا كَلْماً إلَّا أصابه جارحٌ من ناحيةٍ أخرى ، فكيف يطمئنّ ؟ أعوذُ بالله أنْ آمرَكم بما أنهى عنه نفسي فتخسَر صَفْقتي ، وتَبْدو مسكنتي في يوم لا ينفَعُ فيه إلا الحقُّ والصِّدْقُ . ثم بكى حتى ظننَّا أنه قاضٍ نَحْبَه ؛ وارتجَّ المسجدُ وما حوله بالبُكاءِ والعَويل[١] .

قال : فانصرفتُ إلى صاحبيَّ فقلت : خُذَا سرحاً[٢] من الشعر غير ما كُنَّا نقول لعمر وآبائه ، فإنَّه رجلُ أُخرَى ليس برجلِ دُنيا . قال : ثم استأذن لنا مسلمةُ عليه يومَ الجمعة ، فلما دخلنا عليه سلَّمتُ عليه ثم قلت : يا أمير المؤمنين ، طال الثواءُ وقلَّت الفائدة ، وتحدَّثَ بجفائك إيانا وفودُ العرب . فقال : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ [التوبة : ٦٠] وقرأ الآية ، فإنْ كنتم من هؤلاء أُعطيتم وإلَّا فلا حقَّ لكم فيها . فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، إني مسكينٌ وعابرُ سبيل ومنقَطِعٌ به . فقال : ألستم عندَ أبي سعيد ؟ ـ يعني مَسْلَمة بن عبد الملك ـ فقلنا : بلى . فقال : إنه لا ثواءَ على من هو عندَ أبي سعيد . فقلت : ائذنْ لي يا أمير المؤمنين بالإنشاد ، قال : نعم ولا تقولنَّ إلَّا حقّاً . فأنشدتُهُ قصيدةً فيه :

وليتَ فلم تَشْتِمْ علياً ولم تُخِفْ	بريئاً ولم تقبَلْ إشارةَ مُجْرِمِ
وصدَّقْتَ بالفعلِ المقالَ مع الذي	أتيت فأمسى راضياً كلُّ مسلم
ألا إنما يكفي الفَتَى بعدَ زَيْغِهِ	من الأوَدِ البَادي ثِقافُ المقوِّمِ
وقد لبسَتْ تسعَى إليك ثيابَها	تراءى لكَ الدنيا بكفٍّ ومِعْصَمِ[٣]
وتُومضُ أحياناً بعينٍ مريضةٍ	وتَبْسمُ عن مثل الجُمان المنظَّمِ
فأعرضتَ عنها مشمئزاً كأنما	سقَتْكَ مَذوقاً من سمامٍ وعَلْقَمِ
وقد كنتَ من أجْبَالها في مُمَنَّعٍ	ومنْ بحرِها في مُزْبِدِ المَوْجِ مُفْعَمِ
وما زلتَ تَوَّاقاً إلى كُلِّ غايةٍ	بلغتَ بها أعلى البناءِ المقدَّمِ
فلمَّا أتاكَ الملكُ عَفْواً ولم يَكُنْ	لطالبِ دُنْيا بعدَهُ في تكلُّمِ
تركتَ الذي يَفْنى وإنْ كان مونقاً	وآثرتَ ما يَبقَى برأيٍ مُصَمِّمِ
وأضررتَ بالفاني وشَمَّرْتَ للذي	أمامَكَ في يومٍ من الشرِّ مظلمِ
ومالكَ إذ كنتَ الخليفةَ مانعٌ	سوى اللهِ من مالٍ رعَيْتَ ولا دَمِ

(١) أخرج أبو نعيم في الحلية (٥/ ٢٩١) خطبة عمر هذه بنحو من هذه الرواية .

(٢) جاء في لسان العرب : « التسريح : التسهيل ، وشيء سريح : سهل » (مادة سرح) ، فيكون معناه : خذا السهل من الشعر . وذكر الزمخشري في (سرح) من أساس البلاغة : سرح الشاعر الشِّعْرَ » ، ومعناه سَهَّله . (بشار) .

(٣) رواية الأغاني وديوان كثير : « وقد لبست لبس الهَلُوكِ ثيابها » .

سما لكَ همٌّ في الفؤاد مؤرِّقٌ بلغتَ بهِ أعلى المعالي بسُلَّمِ
فما بينَ شَرْقِ الأرض والغرب كلِّها منادٍ ينادي من فصيحٍ وأعجمِ
يقولُ أميرَ المؤمنينَ ظلمتني بأخذِكَ ديناري ولا أخذِ دِرْهمي
ولا بَسْطِ كفٍّ لامرئٍ غير مجرمٍ ولا السَّفْكِ منهُ ظالماً مِلْءَ مِحْجَمِ
ولو يستطيعُ المسلمونَ لقسَّمُوا لكَ الشَّطْرَ من أعمارهمْ غيرَ نُدَّمِ
فَعِشْتَ بها ما حَجَّ للهِ راكبٌ مُغِذٌّ[1] مُطيفٌ بالمَقامِ وزَمْزَمِ
فأرْبِحْ بها من صَفْقةٍ لمبايعٍ وأعظِمْ بها أعْظِمْ بها ثمَّ أعظِمِ[2]

قال : فأقبل عليَّ عمر بن عبد العزيز وقال : إنك تُسأل عن هذا يومَ القيامة .

ثم استأذنه الأحوصُ فأنشده قصيدةً أخرى فقال له : إنك تُسألُ عن هذا يومَ القيامةِ[3] .

ثم استأذنه نُصَيب فلم يأذنْ له ، وأمر لكلِّ واحدٍ منهم بمئة وخمسين درهماً ، وأغْزَى نُصَيباً إلى مَرْج دابِق[4] .

وقد وَفَدَ كثيرُ عزَّة بعدَ ذلك على يزيدَ بنِ عبد الملك ، فامتدحه بقصائد ، فأعطاه سبعَ مئةِ دينار .

وقال الزُّبير بن بكار : كان كُثيِّر عزَّةَ شيعيّاً خَشَبيّاً[5] ، يرى الرَّجْعة ، وكان يَرَى التناسُخ ، ويحتجُّ بقوله تعالى : ﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار : ٨][6] .

وقال موسى بن عُقْبَة : هُوِّلَ كُثيِّرُ عزَّة ليلةً في منامه ، فأصبح يمتدحُ آل الزُّبير ، ويَرْثي عبدَ الله بن الزُّبير ، وكان سيِّىء الرأي فيه :

بمفتضحِ البطحاءِ ثاوٍ لوَ انَّه أقامَ بها ما لم تَرُمْها الأخاشبُ
سَرَحْنا سُروباً آمنينَ ومنْ يخفْ بوائِقَ ما يخشى تَنُبْهُ النوائبُ

---

(١) في بعض النسخ : مُلَبٍّ .

(٢) القصيدة في ديوان كثير ص(٢١٤) ، والأغاني (٩/ ٢٩٦ ، ٢٩٧) ؛ وكثير من ألفاظها مصحَّف في (ق) ، وما أثبتناه من الصواب فيها من (ب ، ح) والديوان .

(٣) ذكر أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني (٩/ ٢٩٧) قدراً صالحاً من أبياتها .

(٤) الخبر بطوله أخرجه أبو الفرج في الأغاني (٩/ ٢٩٥ ـ ٢٩٨) وفي آخره : « ثم تقدم إليه نصيب فاستأذن في الإنشاد فأبى أن يأذن له ، وغضب غضباً شديداً ، وأمره باللحاق بدابق ، وأمر لي وللأحوص لكل واحد بمئة وخمسين درهماً » .

(٥) في (ق) : « خبيثاً » تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) ؛ والخشبية هم أصحاب المختار بن أبي عبيد . ويقال لضرب من الشيعة الخشبية ، قيل : لأنهم حفظوا خشبة زيد بن علي حين صُلب ، والوجه الأول . النهاية في غريب الحديث (خشب) .

(٦) ذكره المزي في تهذيب الكمال (٢٦/ ١٥٠) .

تبرَّأتُ من عَيْبِ ابن أسماءَ إنني ... إلى اللهِ من عَيْبِ ابنِ أسماءَ تائبُ
هوَ المرءُ لا تُزْري بهِ أمهاتُه ... وآباؤهُ فينا الكرامُ الأطايبُ[(١)]

وقال مُصعب بن عبد الله الزبيري : قالتْ عائشةُ بنتُ طَلْحة لكُثيِّر عَزَّة : ما الذي يدعوك إلى ما تقولُ من الشعر في عزَّة وليستْ على ما تَصِفُ من الحُسن والجمال ؟ فلو قلت ذلك فيّ وفي أمثالي فأنا أشرفُ وأفضلُ وأحسَنُ منها[(٢)] وإنما أرادتْ أنْ تختبرَه وتبلوَه ، فقال :

صَحَا قلبُهُ يا عزُّ أو كادَ يذهلُ ... وأضحى يريدُ الصُّرْمَ أو يتبدَّلُ
وكيف يُريدُ الصُّرْمَ منْ هوَ وامِقٌ ... لعزَّةَ لا قالٍ ولا متبذِّلُ
إذا واصلَتْنا خُلَّةٌ كي تُزيلَنا ... أبَيْنا وقلنا الحاجبيَّةُ أوَّلُ
سنوليكِ عُرْفاً إنْ أردتِ وصالَنا ... ونحنُ لِتيكَ الحاجبيَّةِ أوْصلُ
وحدَّثَها الواشونَ أني هجرتُها ... فحمَّلها غَيْظاً عليَّ المحمِّلُ[(٣)]

فقالتْ له عائشة : قد جعلْتَني خُلَّةَ ولستُ لك بِخُلَّة ؛ وهلاَّ قلتَ كما قال جميل ، فهو والله أشعرُ منك حيثُ يقول :

يا ربَّ عارضةٍ علينا وصلَها ... بالجِدِّ تخلِطُهُ بقولِ الهازِلِ
فأجبتُها بالقولِ بعدَ تستُّرٍ ... حُبِّي بُثينةَ عن وصالِكِ شاغِلي
لو كانَ في قلبي بقَدْرِ قُلامةٍ ... فَضْلٌ وصَلْتُكِ أو أتَتْكِ رسائلي[(٤)]

فقال : والله ما أُذكر فضلَ جَميل ، وما أنا إلا حسنة من حسناتِه ، واستحيا .

ومما أنشدَهُ ابنُ الأنباري لكُثيِّر عزَّة :

بأبي وأُمِّي أنتِ من معشوقةٍ ... طَبِنَ العدوُّ لها فغيَّرَ حالَها
ومشى إليَّ بعيبِ عزةَ نسوةٌ ... جعلَ الإلَهُ خدودهن نِعالَها
اللهُ يعلمُ لو جمعْنَ ومُثِّلَتْ ... لاخترْتُ قبلَ تأمُّلٍ تمثالَها
ولو أنَّ عزةَ خاصمتْ شمسَ الضُّحى ... في الحُسْنِ عندَ موفَّقٍ لقَضى لها[(٥)]

---

(١) لم أجد الأبيات في ديوان كثير .

(٢) وهذه زيادة في (ق) ليس في (ب ، ح) وهي : [وكانت عائشةُ بنتُ طلحةَ قد فاقَتِ النساءَ حُسْناً وجمالاً وأصالةً] .

(٣) الأبيات من قصيدة في ديوان كثير ص(١٥٩) ما عدا البيت الثاني .

(٤) الأبيات من قصيدة في ديوان جميل بثينة ص(٥٤) .

(٥) الأبيات في ديوان كثير عزة ص(١٥٣) ما عدا البيت الثالث .

وأنشد غيره لكثيّر عزّة[١] :

فما أحدثَ النأيُ الذي كانَ بيننا ... سُلُوّاً ولا طولُ اجتماعٍ تقاليا
وما زادني الواشونَ إلا صَبابةً ... ولا كثرةُ الناهينَ إلّا تماديا

وقال كُثيِّر أيضاً :

فقلتُ لها يا عزُّ كلُّ مصيبةٍ ... إذا وُطِّنَتْ يوماً لها النفسُ ذَلَّتِ
هَنيئاً مَريئاً غيرَ داءٍ مخامرٍ ... لِعَزَّةَ من أعراضِنا ما استحلَّتِ[٢]

وقال كُثير عزّة أيضاً ، وفيه حِكْمةٌ أيضاً :

ومنْ لا يُغمِّضْ عَيْنَهُ عن صديقهِ ... وعن بعضِ ما فيه يمُتْ وهْو عَاتبُ
ومن يتتبَّعْ جاهداً كلَّ عَثْرةٍ ... يَجِدْها ولا يَبْقَى له الدَّهْرَ صاحبُ[٣]

وذكروا أنَّ عزَّةَ بنت جميل بن حفص أحدِ بني حاجب بن عبد الله بنِ غفَار ، أمُّ عمرو الضَّمرِيَّة ؛ وفدَتْ على عبدِ الملك بن مروان تشكو إليه ظُلامة ، فقال : لا أقضيها لكِ حتى تنشديني شيئاً من شعره ، فقالت : لا أحفظ لكثير شعراً ، لكني سمعتُهم يَحْكونَ عنه أنه قال فيَّ هذه الأبيات :

قَضَى كلُّ ذي دَيْنٍ علمتُ غَريمَهُ ... وَعزَّةُ مَمْطُولٌ معنًّى غَريمُها[٤]

فقال : ليس عن هذا أسألكِ ولكنْ أنشديني قوله :

وقد زعمتْ أني تغيَّرْتُ بعدَها ... ومَنْ ذا الذي يا عَزُّ لا يتغيَّرُ
تغيَّر جِسْمي والخليقةُ كالذي ... عَهِدْتِ ولَمْ يُخْبَرْ بِسِرِّكِ مخبَرُ[٥]

قال فاستحيَتْ وقالتْ : أما هذا فلا أحفَظُه ، ولكنْ سمعتُهم يحكونهُ عنهُ ، ولكنْ أحفظُ له قولَه :

كأنِّي أُنادي صخرةً حينَ أعرَضَتْ ... منَ الصُّمِّ لو تمشي بها العُصْمُ زلَّتِ
صَفُوحٌ فما تلقاكَ إلا بَخيلةً ... ومنْ ملَّ منها ذلكَ الوَصْلَ مَلَّتِ[٦]

---

(١) كذا في الأصول ، والشعر لجميل بثينة ، والبيتان من قصيدة له فيها في ديوانه ص(٤٧) . وكذلك رواهما صاحب الأغاني (٨/ ١٣٤) وعزاهما لجميل أيضاً ، وكذا في ديوان الحماسة (٢/ ١٢٩) .

(٢) البيتان من قصيدة في ديوان كثير ص(٥٤) والأغاني (٩/ ٣٨) .

(٣) البيتان من قصيدة في ديوان كثير ص(٣١) ؛ وذكرهما صاحب جمهرة الأمثال (٢/ ٥٦) .

(٤) البيت من قصيدة في ديوان كثير ص(٢٠٥) .

(٥) البيتان من قصيدة في ديوان كثير ص(١٠٠) ، وقد صحفت في (ق) بعض ألفاظهما فأثبتنا ما جاء في (ب ، ح) وديوان كثير ، والأغاني (٩/ ٣٦) .

(٦) البيتان من قصيدة في ديوان كثير ص٥٤ على خلاف في ألفاظ الشطر الأخير من البيت الثاني ، وفي الأغاني (٩/ ٣٦ و٣٨) موافق لما هنا .

قال فقَضَى لها حاجتَها وردَّها وردَّ عليها ظُلامتها وقال : أدْخِلُوها على الحُرَم ليتعلَّموا من أدبها[١] .

ورُوي عن بعض نساءِ العرب قالت قالت : اجتازتْ بنا عزَّة ، فاجتمع نساءُ الحاضر إليها لينظُرْنَ حُسْنها ، فإذا هي حُميراء ، حلوةٌ لطيفة ؛ فلم تقعْ من النساءِ بذاك الموقع ، حتى تكلَّمَتْ ، فإذا هي أبرَعُ النساءِ وأحلاهنَّ حديثاً ، فما بقيَ في أعيننا امرأةٌ تفوقُها حسناً وجمالاً وحلاوةً .

وذكر الأصمعيُّ عن سفيانَ بن عُيينة ، قال : دخلتْ عزَّةُ على سُكينةَ بنتِ الحسين فقالتْ لها : إني أسألُكِ عن شيءٍ فاصدُقيني ، ما الذي أراد كُثيِّرٌ في قوله لك :

قَضَى كُلُّ ذي دَيْنٍ فَوَفَّى غَريمهُ وعَزَّةُ مَمْطولٌ مُعنًّى غَريمُها

فقالتْ : كنتُ وعدتُه قُبْلةً فمطلْتُه بها ، فقالت : أنجزيها له وإثمها عليَّ[٢] .

وقد [كانتْ سُكينةُ بنتُ الحسين من أحسنِ النساء ، حتى كان يُضربُ بحُسْنها المَثَل][٣] .

ورُوي أنَّ أُمَّ البنين أخت عمر بن عبد العزيز قالت لها مثل هذا سواء . والله أعلم . وروي أنَّ عبدَ الملك بن مروان أراد أن يزوِّج كثيراً من عَزَّة ، فأبتْ عليه وقالتْ : يا أميرَ المؤمنين أبعدَ ما فَضَحني بين الناس وشهرني في العرب ؟ وامتنعتْ من ذلك كلَّ الامتناع ! رواه ابن عساكر[٤] .

وروى[٥] أنها اجتازَتْ مرَّةً بكُثيِّر وهو لا يعرفُها فتنكَّرتْ عليه وأرادَتْ أن تختبر ما عندَه . فتعرَّض لها ، فقالتْ : فأين حُبُّك عَزَّة ؟ فقال : أنا لك الفِداء ، لو أنَّ عزَّةَ أمةٌ لي لوهبتُها لك . فقالتْ : وَيْحكَ ، لا تفعلْ ، ألستَ القائل :

إذا وصلتْنا خُلَّةٌ كي تُزيلنا أبَيْنا وقُلْنا الحاجِبيَّةُ أوَّلُ ؟

فقال : بأبي أنتِ وأُمي ، أقصِري عن ذكرِها واسمعي ما أقول :

هل وصلُ عزَّةَ إلَّا وصلُ غانيةٍ في وصلِ غانيةٍ منْ وَصْلِها بدَلُ[٦]

قالت : فهل لك في المجالسة ؟ قال : ومنْ لي بذلك ؟ قالت : فكيف بما قلتَ في عزَّة ؟ قال : أقلِبُه فيتحَوَّلُ لكِ . قال فسفَرتْ عن وجهِها وقالت : أغدْراً وتنكاثاً يا فاسق ، وإنَّك لها هنا يا عدوَّ الله ،

---

(١) أخرج الخبر أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني (٩/ ٣٥ ـ ٣٨) بألفاظ مقاربة .
(٢) أخرجه ابن عساكر (المختصر لابن منظور (٢٠/ ١٨٩)) وأبو الفرج في الأغاني (٩/ ٣٦) بنحوه .
(٣) ما بين معقوفين زيادة من النسخة (ق) .
(٤) في ترجمة عزة ، انظر مختصره لابن منظور (٢٠/ ١٨٨) وهو بتحقيقي .
(٥) يعني ابن عساكر في تاريخه انظر المصدر السابق ص(١٨٩) .
(٦) البيت في ديوان كثير ص(٥١٦) وتروى قافيته « خلف » ، انظر الديوان ص(٥٠٥) .

فبُهتَ وأبلَس ولم ينطِقْ ، وتحيَّر وخَجِل ، ثم قالت : قاتل الله جميلاً حيثُ يقول :

لحَـا اللهُ مـنْ لا ينفـعُ الـوُدُّ عنـدَهُ   ومـن حَبْلُـهُ إنْ صُـدَّ غَيْـرُ مَتيـنِ
ومـنْ هـو ذو وجهَيْـنِ ليـسَ بـدائـمٍ   علـى العَهْـدِ حَـلاَّفٌ بكـلِّ يميـنِ(١)

ثم شرَعَ كثير يعتذِرُ ويتنصَّل مما وقع منه ويقول في ذلك الأشعارَ ذاكراً وآثراً(٢) .

وقد ماتَتْ عَزَّةُ بمصرَ في أيام عبد العزيزِ بنِ مروان ، وزار كُثَيِّرٌ قبرَها ، ورثاها ، وتغيَّرَ شعرُه بعدَها ، فقال له قائل : ما بالُ شعرِك تغيَّر وقد قصَّرْتَ فيه ؟ فقال : ماتتْ عزَّةُ ولا أطرب ، وذهب الشبابُ فلا أعجَب ، وماتَ عبدُ العزيز بن مروان فلا أرغَب ، وإنما ينشأُ الشعرُ عن هذه الخِلال .

وكانت وفاتُه ووفاة عِكرمة في يومٍ واحد ، ولكنْ في سنةِ خمسٍ ومئة على المشهور . وإنما ذكره شيخنا أبو عبد الله الذهبي في هذه السَّنة ـ أعني سنة سبعٍ ومئة ـ والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان ومئة

ففيهـا افتتح مَسْلَمةُ بن عبد الملك قَيْساريَّة من بلاد الروم ، وفتح إبراهيمُ بن هشام بن عبد الملك حصناً من حصون الرُّوم أيضاً ، وفيها غزا أسدُ بن عبد الله القَسْريُّ أميرُ خراسان ، فكسَرَ الأتراك كسرةً فاضحة .

[وفيها زحَفَ خاقانُ إلى أذْربيجان ، وحاصر مدينةَ وَرْثانَ(٣) ، ورماها بالمَنَاجيق ، فسار إليه أميرُ تلك الناحية الحارث بن عمرو نائبُ مسلمةَ بنِ عبد الملك ، فالتقى مع خاقان ملكِ الترك فهزمَهُ ، وقُتل من جيشه خَلْقٌ كثير ، وهرب الخاقانُ بعد أنْ كان قُتل في جملة من قتل جيشه ، وقُتل الحارثُ بن عمرو شهيداً ، وذلك بعد أنْ قتلوا من الأتراك خَلْقاً كثيراً .

وفيها غزا معاويةُ بنُ هشام بن عبد الملك أرضَ الروم ، وبعث البَطَّال على جيشٍ كثيف ، فافتتَح جَنْجَرةَ(٤) ، وغَنِم منها شيئاً كثيراً](٥) .

---

(١) البيتان في ديوان جميل ص(٢١٠) بخلاف يسير .
(٢) والخبر بنحوه في الأغاني (٩/ ٤١ ، ٤٢) .
(٣) ورثان : آخر حدود أذربيجان انظر معجم البلدان (٥/ ٣٧٠) .
(٤) جنجرة : مدينة قرب حضرموت . انظر معجم البلدان (٢/ ١٦٨) .
(٥) ما بين معقوفين زيادة من (ق) .

وفيها تُوفي من الأعيان :

بَكْرُ بن عبد الله المُزني البصري[(١)] .

وراشد بن سعد المقرائي الحمصي[(٢)] .

ومحمد بن كعب القُرظي[(٣)] : توفي فيها في قولٍ .

---

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٢٠٩) ، مشاهير علماء الأمصار ص(٩٠) ، معرفة الثقات للعجلي (١/ ٢٥١) ، الثقات لابن حبان (٤/ ٧٤) ، التاريخ الكبير (٢/ ٩٠) ، الجرح والتعديل (٢/ ٣٨٨) ، الحلية (٢/ ٢٢٤) ، صفة الصفوة (٢/ ٢٤٨) ، المختار من مناقب الأخيار (١/ ٤٧٦) ، تهذيب الكمال (٤/ ٢١٦) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٣٢) ، الوافي (١٠/ ٢٠٧) تقريب التهذيب ص(١٢٧) ، تهذيب التهذيب (١/ ٤٨٤) .
وما سيأتي من زيادات (ق) التي أقحمت في المتن وهي : [كان عالماً عابداً زاهداً متواضعاً قليلَ الكلام ، وله رواياتٌ كثيرة عن خَلْقٍ من الصحابة والتابعين .
قال بكرُ بن عبد الله : إذا رأيتَ منْ هو أكبَرُ منك من المسلمين فقل : سبَقْتُه إلى المعاصي فهو خيرٌ منِّي ، وإذا رأيتَ إخوانَك يُكرمونك ويُعظِّمونك فقل : هذا من فَضْل ربِّي ، وإذا رأيتَ منهم تقصيراً فقل : هذا بذنْبٍ أحدثته (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٢٦) .) .
وقال : منْ مثلُكَ يا ابن آدم ؟ خُلِّي بينك وبين الماء والمحراب ، متى شئتَ تطهَّرْتَ ودخلتَ على ربك عزَّ وجلَّ ، ليس بينك وبينه تَرْجُمانٌ ولا حاجِب .
وقال : لا يكونُ العبدُ تقيّاً حتى يكون بطيء الطَّمَع ، بطيء الغَضَب (في (ق) : « تقي الطمع ، تقي الغضب » ، والمثبت من الحلية (٢/ ٢٢٥) .) .
وقال : إذا رأيتُمُ الرجلَ موكلاً بعيوبِ الناس ناسياً لعيبه فاعلموا أنه قد مُكِر به .
وقال : كان الرجل من بني إسرائيل إذا بلَغَ المبلغَ الصالح من العمل فمشى في الناس تُظَلِّلُه غمامة ؛ قال : فمرَّ رجلٌ قد أظلَّته غمامة على رجل ، فأعظمه لما رآه مما آتاه الله ، فاحتقره صاحبُ الغَمَامة ، فأمرَها الله أنْ تتحوَّل عن رأسه إلى رأسِ الذي احتقره ، وهو الذي عظَّم أمرَ الله عزَّ وجلَّ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٢٦) .) .
وقال : ما سبقهم أبو بكرٍ بكثيرِ صلاةٍ ولا صيام ، ولكنْ بشيءٍ قرَّ في صَدْرِه .
وله كلامٌ حسنٌ كثير ، يطولُ ذِكرُه] .

(٢) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٥٦) ، التاريخ الكبير (٢/ ٢٩٢) ، الجرح والتعديل (٣/ ٤٨٣) ، حلية الأولياء (٦/ ١١٧) ، تهذيب الكمال (٩/ ٨) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٩٠) . وهذه الزيادة من (ق) وهي : [عُمِّرَ دهراً ، وروى عن جماعةٍ من الصحابة ، وقد كان عابداً صالحاً زاهداً . رحمه الله تعالى ، وله ترجمة طويلة] .

(٣) ترجمته في طبقات ابن سعد (القسم المتمم ص(١٣٤)) ، تاريخ خليفة (٣٤٨) ، طبقات خليفة ص(٢٦٤) ، التاريخ الكبير (١/ ٢١٦) ، المعارف ص(٤٥٨) ، الجرح والتعديل (٨/ ٦٧) ، حلية الأولياء (٣/ ٢١٢) ، المختار من مناقب الأخيار (٤/ ٤٣٢) . مختصر تاريخ دمشق (٢٣/ ١٧٩) ، تهذيب الكمال (٢٦/ ٣٤٠) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٦٥) ، تهذيب التهذيب (٩/ ٤٢٠) ، الكواكب الدرية (١/ ٤٢٩) . وما سيأتي هنا من زيادات (ق) التي أشرت إليها وهي : [وهو أبو حمزة ، له رواياتٌ كثيرةٌ عن جماعةٍ من الصحابة ، وكان عالماً بتفسير القرآن ، صالحاً عابداً .
=

. . . .

= قال الأصمعي : حدّثنا أبو المقدام ـ هشام بن زياد ـ عن محمد بن كعب القرظي أنه سئل : ما علامة الخِذْلان ؟ قال : أن يقبحَ الرجلُ ما كان يستحسن ، ويستحسن ما كان قبيحاً .

وقال عبدُ الله بن المبارك (أخرجه ابن المبارك في الزهد ص(٩٧) وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢١٤) .) : حدّثنا عبد الله بن عبدِ الله بن موهب قال : سمعتُ ابنَ كعبٍ يقول : لأنْ أقرأ في ليلةٍ حتى أصبح إذا زُلزلت والقارعة لا أزيدُ عليهما ، وأردِّدَ فيهما الفكر ، أحبُّ إليَّ من أن أهذَّ القرآن هَذّاً ـ أوْ قال : أنثُره نثراً ـ .

وقال : لو رُخِّصَ لأحدٍ في تَرْك الذِّكر لرُخِّص لزكريا عليه السلام ؛ قال تعالى : ﴿ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ [آل عمران : ٤١] فلو رُخِّص لأحدٍ في ترك الذكر لرُخِّصَ له ، ولرُخِّصَ للذين يقاتلون في سبيل الله ؛ قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال : ٤٥] (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢١٥) .) .

وقال في قوله تعالى : ﴿ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾ قال : اصبروا على دينِكم وصابروا لوعدِكم الذي وعدتم ، ورابطوا عدوَّكم الظاهرَ والباطن ، ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ فيما بيني وبينكم . ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] إذا لَقيتُموني .

وقال في قوله تعالى : ﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ [يوسف : ٢٤] : علْمَ ما أحلَّ القرآنُ مما حرَّم (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢١٥) ؛ وفيه : « ما أُحلَّ في القرآن . . . » .) .

﴿ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ [هود : ١٠٠] قال : القائم ما كان من بنائهم قائماً ، والحَصيد ما حُصِد فهُدِم (كذا في (ق) ، والذي في الحلية (٣/ ٢١٥) : « من نباتهم قائماً ، والحصيد ما قد حصد » .) .

﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٥] قال : غرموا ما نعموا به من النعم في الدنيا ، وفي رواية سألهم ثمن نعمةٍ فلم يقدروا عليها ولم يؤدُّوها ، فأغرَمَهم ثمنَها . فأدخلهم النار (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢١٦) .) .

وقال قُتيبة بن سعيد : حدّثنا عبدُ الرحمن بن أبي الموالي قال : سمعتُ محمد بن كعب في هذه الآية ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الروم : ٣٩] ، قال : هو الرجل يُعطي الآخَرَ من ماله ليكافئه به أو يزداد ، فهذا الذي لا يربو عند الله ، والمضعِفون هم الذين يُعطون لوجهِ الله ، لا يَبْتَغي مكافأةَ أحدٍ .

وفي قوله تعالى : ﴿ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ [الإسراء : ٨٠] ، قال : اجعلْ سريرتي وعلانيتي حسنة .

وقيل : أدْخِلْني مُدْخَلَ صدقٍ ، في العمل الصالح ، أي الإخلاص ، وأخرجْني مخرجَ صدقٍ ، أي سالماً .

﴿ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق : ٣٧] ، أي يسمعُ القرآن وقلبه معه ، لا يكون في مكانٍ آخر .

﴿ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة : ٩] ، قال : السَّعْيُ العملُ ليس بالشَّدِّ .

وقال : الكبائر ثلاثة ، أنْ تأمنَ مكر الله ، وأن تقنطَ من رحمةِ الله ، وأن تيأس من روح الله .

وقال عبدُ الله بن المبارك (أخرجه ابن المبارك في الزهد ص(٩٦) ، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢١٣) .) : حدّثنا موسى بن عُبيدة عن محمد بن كعب ، قال : إذا أرادَ الله بعبدٍ خيراً جعل فيه ثلاثَ خصال ، فقهاً في الدِّين ، وزَهادةً في الدنيا ، وبصَراً بعيوبِ نفسه .

وقال : الدنيا دارُ قَلَق ، رَغِبَ عنها السعداء ، وانتُزعتْ من أيدي الأشقياء ، فأشقى الناس بها أرْغَبُ الناسِ فيها ، وأزْهدُ الناسِ فيها أسعَدُ الناس بها ، هي الغاويَةُ لمنْ أضاعَها ، المُهْلِكةُ لمن اتَّبعها ، الخائنةُ لمنِ انقادَ لها ؛ عِلْمُها جَهْل ، وغناؤها فَقر ، وزيادتُها نُقْصان ، وأيامُها دُوَل (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢١٣) .) .

وروى ابنُ المبارك (في كتابه الزهد ص(١٥٠) .) عن داودَ بنِ قيس ، قال : سمعتُ محمد بن كعب يقول :

. . . .

= إنَّ الأرض لتبكي من رجلٍ ، وتبكي على رجل ؛ تبكي على منْ كان يعمَلُ على ظهرِها بطاعةِ الله ؛ وتبكي ممنْ كان يعملُ على ظهرِها بمعصيةِ الله ، قد أثقلها ؛ ثم قرأ : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ [الدخان : ٢٩] .

وقال في قوله تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة : ٧ ـ ٨] : منْ يعملْ مثقالَ ذرَّةٍ خيراً من كافرٍ يرى ثوابَها في نفسِهِ وأهلِه ومالِه حتى يخرجَ من الدنيا وليس له خير ؛ ومنْ يعمل مثقالَ ذرةٍ شراً يرَه ، من مؤمن يرى عقوبتها في نفسه وأهله وماله حتى يخرجَ من الدنيا وليس له شرّ (أخرجه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٢٦٨) ، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢١٣) .) .

وقال : ما يؤمنني أنْ يكونَ الله قدِ اطلع عليَّ في بعض ما يكره فمقتنَي ، وقال : اذهبْ لا أغفرُ لك ؛ معَ أنَّ عجائبَ القرآن تَرِدُني على أمور ، حتى إنه لينقضي الليلُ ولم أفرُغْ من حاجتي (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢١٤) ، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ٦٥ ، ٦٦) .) .

وكتب عُمر بن عبد العزيز إلى محمد بن كعب يسألُه أنْ يبيعَه غلامه سالماً ـ وكان عابداً خيراً زاهداً ـ فكتب إليه : إني قد دَبَّرْتُه (دبَّرَ العَبْدَ : أعتقه بعد الموت .) ، قال : فأزْرنيهِ (في (ق) : « فازدد فيه » ، والمثبت من الحلية (٥/ ٣٢٩) ، وأزرنيه : من الزيارة .) ، فأتاه سالم فقال له عمر : إني قد ابتُليتُ بما تَرَى ، وأنا والله أتخوَّفُ أنْ لا أنجو . فقال له سالم : إنْ كنتَ كما تقول فهي نجاتُك ، وإلا فهو الأمرُ الذي تخاف . قال : يا سالم ، عِظْني ، قال : آدمُ عليه السلام أخطأ خطيئة واحدةً خرج بها من الجنة ، وأنتم مع عَملِ الخطايا ترجونَ دخولَ الجنة . ثم سكت (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢١٤ و٥/ ٣٢٩) .) .

قلتُ : والأمر كما قيل في بعض كتب الله : تزرعون السيئات وترجونَ الحسنات ، لا يُجتنى من الشَّوك العنب .

تَصِلُ الذنوبَ إلى الذنوبِ وتَرْتَجي ... دَرَجَ الجنانِ وطِيبَ عيشِ العابِدِ
ونَسيتَ أنَّ اللهَ أخرجَ آدماً ... منها إلى الدنيا بذنبٍ واحِدِ

(ذكره المؤلف في تفسيره (١/ ٨٢) وقبل البيتين :

يا ناظراً يرنو بعيني راقدٍ ... ومشاهداً للأمر غير مشاهدِ)

وقال : منْ قرأ القرآنَ مُتِّعَ بعقلِهِ وإنْ بلغَ من العمر مئتي سنة (ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ١٣٣) .) .

وقال له رجل : ما تقولُ في التوبة ؟ قال : لا أُحسنها ، قال : أفرأيت إن أعطيتَ الله عهداً أنْ لا تعصيَه أبداً ؟ قال : فمنْ أعظمُ جُرْماً منك ؟ تتألَّى على الله أن لا يُنفذَ فيك أمرَه !

وقال الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني : حدّثنا ابنُ عبدِ العزيز ، حدّثنا أبو عُبيد القاسمُ بن سلاَّم ، حدّثنا عبَّاد بن عباد ، عن هشام بن زياد أبي المِقْدام ، قالوا كلُّهم : حدّثنا محمد بن كعب القُرَظي قال : حدّثنا ابن عباس ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « منْ أحبَّ أنْ يكونَ أغنى الناس فليَكُنْ بما في يدِ الله أوثقَ ممَّا في يده ؛ ألا أُنبئُكم بشرارِكم » ؟ قالوا : نَعَمْ يا رسولَ الله . قال : « منْ نزلَ وحدَه ، ومنَعَ رِفْدَه ، وجَلَدَ عبدَه ؛ أفأنبئُكم بِشَرٍّ من هذا » ؟ قالوا : نَعَمْ يا رسولَ الله . قال : « منْ لا يُقيلُ عَثْرةً ولا يقبَلُ معذرَةً ، ولا يغفرُ ذنباً » . ثم قال : « ألا أُنبئُكم بشرٍّ منْ هذا » ؟ قالوا : نعم يا رسول الله . قال : « مَنْ لا يُرْجَى خَيْرُه ، ولا يُؤمنُ شرُّه ؛ إنَّ عيسى بن مريم قام في بني إسرائيلَ خطيباً فقال : يا بني إسرائيل ، لا تكلَّموا بالحِكْمةِ عند الجُهَّال فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلَها فتظلموها ـ وقال مرَّةً فتظلموهُمْ ـ ولا تظلموا ظالماً ، ولا تكافئوا (في (ق) : « ولا تطاولوا » ، تصحيف ، والمثبت من الحلية ومصادر التخريج .) ظالماً فيبطُلَ فَضْلُكم عند ربِّكُمْ ، يا بني إسرائيل ، الأمورُ ثلاثة ، أمْرٌ تبيَّنَ رُشْدُه فاتَّبعوه ، وأمرٌ تبيَّن غِيُّه فاجتنبوه ، وأمْرٌ اختُلِف فيه فردُّوه إلى الله » . وهذه الألفاظُ لا تحفظ عن النبيِّ ﷺ

وأبو نَضْرَةَ المنذرُ بن مالك بن قطعة العبدي[(١)] : وقد ذكرنا تراجمهم في كتابنا التكميل[(٢)] .

وحجَّ بالناس فيها إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي أمير الحرمين والطائف ، والعمال فيها هم العمال في التي قبلها بأعيانهم[(٣)] .

ثم دخلت سنة تسع ومئة

ففيها عَزل هشامُ بن عبدِ الملك أَسَدَ بنَ عبد الله القَسْريَّ عن إمرة خُراسان ، وأمَرهُ أن يقدَم إلى الحجّ ، فأقبَلَ منها في رمضان ، واستخلف على خراسان الحكم بن عَوَانة الكَلْبي ، واستناب هشامُ على خراسان ، أشرَسَ بن عبد الله السلمي ، وأمره أن يكاتب خالد بن عبد الله القَسْري ، وكان أشرسُ فاضلاً خيِّراً ، وكان يُسمَّى الكامل لذلك ، وكان أولَ من اتخذ المرابطة بخراسان ، واستعمل عليها عبد الملك بن دثار الباهلي ، وتولَّى هو الأمورَ بنفسِه كبيرَها وصغيرَها ، ففَرِح بهِ أهلُها[(٤)] .

وفيها حجَّ بالناس إبراهيم بن هشام أمير الحرمين والطائف .

سنة عشر ومئة من الهجرة النبويَّة

فيها قاتل مَسْلَمةُ بن عبدِ الملك ملكَ التُّرْكِ الأعظم خاقان ، فزحف إلى مسلمةَ في جموعٍ عظيمة فتواقفوا نحواً من شهر ، ثم هزَمَ الله خاقان زمنَ الشتاء ، ورجع مسلمةُ سالماً غانماً ، فسلك على مسلك ذي القَرْنين في رجوعه إلى الشام ، وتُسمَّى هذه الغَزَاةُ غزاةَ الطِّين ، وذلك أنهم سلكوا على مغارق

= بهذا السياق إلَّا من حديث محمد بن كعب عن ابن عباس (هذا لفظ أبي نعيم في الحلية (٣/ ٢١٩) ، والقول بعد الحديث له .) .

وقد رُوي أولُ الحديث إلى ذكر عيسى من غير طريقه ، وسيأتي أنَّ هذا الحديث تفرَّد به الطبراني بطوله والله سبحانه وتعالى أعلم] (والحديث أخرجه من غير طريق الطبراني عبد بن حميد في مسنده (١/ ٢٢٥) (٦٧٥) ، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٠١) (٧٧٠٧) ، وابن عدي في الكامل (٤/ ٣٤٠) في ترجمة هشام بن زياد بن سعدويه المروزي أبي المقدام . وأورده الزيلعي في نصب الراية (٣/ ٦٢) ، وإسناده ضعيف) .

(١) ترجمته في الجرح والتعديل (٨/ ٢٤١) ، ومعرفة الثقات للعجلي (٢/ ٢٩٨) ، ومشاهير علماء الأمصار ص(٩٦) ، ميزان الاعتدال (٦/ ٥١٥) ، تقريب التهذيب ص(٥٤٦) .

(٢) انظر ص(٦٥ ـ ٧٦) .

(٣) هذه الفقرة سقطت من (ق) وأثبتها من (ب ، ح) .

(٤) انظر تاريخ الطبري (٤/ ١٢٧) .

ومواضع غَرِق فيها دواب كثيرة ، وتوحَّل فيها خَلْقٌ كثير ، فما نجَوْا حتى قاسَوْا شدائدَ وأهوالاً صِعاباً ، وشدائد عظاماً[١] .

وفيها دعا أشرسُ بن عبدِ الله السلمي نائبُ خراسان أهلَ الذِّمَّة بسَمَرْقَنْد ومنْ وراءَ النهر إلى الدخولِ في الإسلام ، على أن يضعَ عنهم الجِزية ، فأجابوهُ إلى ذلك ، وأسلم غالبهم[٢] ، ثم طالبهم بالجِزْية فنَصبوا له الحَرْب وقاتلوه ؛ ثم كانت بينه وبين الترك حروبٌ كثيرة ، أطال ابنُ جريرٍ بسطَها وشرحها فوق الحاجة[٣] .

وفيها [أرسل أميرُ المؤمنين هشامٌ عُبيدةً[٤] إلى إفْريقيةَ متولِّياً عليها ؛ فلما وصل جَهَّزَ ابنه وأخاه في جيش ، فالتقَوْا مع المشركين ، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وأسروا بطريقهم وانهزم باقيهم ، وغنم المسلمون منهم شيئاً كثيراً .

وفيها افتتح معاويةُ بن هشام حِصْنَيْنِ من بلاد الرُّوم ، وغنم غنائمَ جَمَّة .

وفيها][٥] حجَّ بالناس إبراهيم بن هشام بن إسماعيل ، أمير الحرمين والطائف ، وعلى العراق خالد القَسْري ، وعلى خُراسان أشْرَسُ السُّلَمي .

ذكر من تُوفي فيها من الأعيان :

جَرير الشاعر[٦] : وهو جَرير بنُ الخَطَفَى ويقال : جرير بن عَطيَّة بن الخَطَفَى ، واسمُ الخَطَفى حُذيفة بن بدر بن سلمة بن عَوْف بن كُليب بن يَرْبوع بن حَنْظَلة بن مالك بن زيد مَنَاة بن تميم بن مُرِّ بن أُدِّ بن طابخة بن إلياس بن مُضَر بن نزار ، أبو حَزْرَةَ[٧] الشاعر البَصْري ، قدِم دمشق مراراً عدَّة ، وامتدح يزيدَ بن معاوية ، وعبد الملك بن مروان وبنيه الوليد وسليمان ويزيد ، ووفد على عمر بن عبد العزيز ؛ وكان في عصرِهِ من الشعراء الذين يقارنونه الفرَزْدَقُ والأخْطَل ، وكان جريرٌ أشعرَهم وأخْيَرَهم . قال غيرُ واحدٍ : هو أشعرُ الثلاثة .

---

(١) انظر تاريخ خليفة ص(٣٣٩) .
(٢) في (ب ، ح) : « وأسلموا » ، والمثبت من (ق) .
(٣) انظر تاريخ الطبري (٤/ ١٢٩) وما بعدها .
(٤) في (ق) : « هشام بن عبيدة » ، والمثبت من تاريخ اليعقوبي (٢/ ٣١٨) ومعجم البلدان (١/ ٢٢٩) ، والحلة السيراء (١/ ٦٤) والنجوم الزاهرة (١/ ٢٤٥) . وهو عبيدة بن عبد الرحمن ابن أخي الأعور السلمي ، صاحب خيل معاوية بصفين ؛ انظر ترجمته في الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (١/ ١٦٠) .
(٥) ما بين معقوفين زيادة من (ق) .
(٦) ترجمته في طبقات فحول الشعراء (٢/ ٢٩٧) ، وفيات الأعيان (١/ ٣٢١) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩٠) .
(٧) في (ق) : « أبو حرزة » وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) والإكمال لابن ماكولا (٢/ ٤٦٠ ، ٤٦١) .

قال أبو بكر بنُ دريد : حدّثنا الأشْنَانْدَاني ، حدّثنا التوَّزيّ[١] عن أبي عُبيدة عن عثمان البَتّي ، قال : رأيتُ جريراً وما تضم شفتاه من التسبيح ، فقلت : وما ينفعك هذا وأنت تقذفُ المحصنة ؟ فقال : « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، إنَّ الحسناتِ يُذهبنَ السيئات » ، وَعْدٌ من الله حَق[٢] .

وقال هشام بن محمد الكلبي عن أبيه قال : دخل رجلٌ من بني عُذْرة على عبد الملك بن مروان يمتدحُه بقصيدة وعنده الشعراء الثلاثة ، جرير والفرزدق والأخطل ، فلم يعرِفْهُم الأعرابي ، فقال عبد الملك للأعرابي : هل تعرفُ أهجى بيتٍ قالتْه العرب في الإسلام ؟ قال : نعم ! قولُ جرير :

فَغُضَّ الطرفَ إنكَ من نُمَيْرٍ فلا كَعْباً بلغتَ ولا كِلابا

فقال : أحسنت ؛ فهل تعرفُ أمدحَ بيتٍ قيل في الإسلام ؟ قال نعم ! قولُ جرير :

ألستمْ خيرَ من ركبَ المطايا وأندَى العالمينَ بطونَ راحِ

فقال : أصبتَ وأحسنت ، فهل تعرفُ أرقَّ بيتٍ قيل في الإسلام ؟ قال : نعم ! قولُ جرير :

إنَّ العيونَ التي في طَرْفِها مَرضٌ قَتَلْنَنا ثُمَّ لم يُحيينَ قَتلانا
يصرَعْنَ ذا اللُّبِّ حتى لا حَرَاكَ به وهنَّ أضْعفُ خلْقِ الله أرْكانا

فقال : أحسنت ؛ فهل تعرفُ جريراً ؟ قال : لا والله ، وإني إلى رؤيتِه لمشتاق . قال : فهذا جرير وهذا الفرزدق ، وهذا الأخطل ، فأنشأ الأعرابي يقول :

فحَيَّا الإلَهُ أبا حَزْرَةٍ[٣] وأرغمَ أنفكَ يا أخطلُ
وجدُّ الفرزدقِ أتعِسْ بهِ ودَقَّ خياشيمَهُ الجَنْدلُ

فأنشأ الفرزدق يقول :

يا أرغمَ اللهُ أنفاً أنتَ حاملُهُ يا ذا الخَنا ومَقَالِ الزُّورِ والخطَلِ
ما أنتَ بالحكمِ التُّرْضَى حكومَتُهُ ولا الأصيلِ ولا ذي الرَّأْيِ والجدَلِ

ثم أنشأ الأخطل يقول :

يا شرَّ منْ حملَتْ ساقٌ على قدمٍ ما مثلُ قولِكَ في الأقوامِ يُحتَملُ

---

(١) في بعض النسخ : « الثوري » ، وهو تصحيف لا ريب فيه ، فقد استدرك ابن الأثير نسبة « الأشنانداني » في اللباب على أبي سعد السمعاني في الأنساب ، ونسب إليها أبا عثمان سعيد بن هارون الأشنانداني صاحب كتاب المعاني ، فذكر أنه أخذ العلم عن أبي محمد التوزي وأن أبا بكر بن دريد روى عنه (بشار) .

(٢) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩١) ، وتحرف فيه « البتي » إلى « التميمي » .

(٣) في (ق ، ب) : « حرزة » تصحيف ، انظر الحاشية (٧) من الصفحة السابقة .

إنَّ الحكومةَ ليستْ في أبيكَ ولا … في معشرٍ أنتَ منهمْ إنهمْ سفَلُ

فقام جرير مغضباً وقال :

شتمتما قائلاً بالحقِّ مبتدئاً … عند الخليفةِ والأقوالُ تنتضلُ

أتشتمانِ سَفاهاً خَيْرَكمْ حسباً … ففيكما ـ وإلَهي ـ الزُّورُ والخطَلُ

شتمتماهُ على رَفْعي ووضْعِكما … لا زِلتما في سفَالٍ أيُّها السَّفَلُ[١]

ثم وَثَبَ جريرٌ فقبَّلَ رأسَ الأعرابي وقال : يا أمير المؤمنين جائزتي له ؛ وكانت خمسة عشر ألفاً . فقال عبد الملك : وله مثلُها من مالي ، فقبض الأعرابيُّ ذلك كلَّه وخرَجَ[٢] .

وحكى يعقوبُ بن السِّكِّيت ، أنَّ جريراً دخل على عبد الملك مع وَفدِ أهلِ العراق من جهة الحجاج فأنشده مديحَهُ الذي يقولُ فيه :

ألستمْ خيرَ من رَكبَ المطايا … وأندى العالمين بطونَ راحِ[٣]

فأطلَق له مئة ناقة وثمانيةً من الرِّعاء ، أربعة من النوبة ، وأربعة من السبي الذين قدم بهم من الصُّغْد . قال جرير : وبين يدي أمير المؤمنين عبد الملك جاماتٌ[٤] من فضَّة قد أُهديَتْ له ، وهو لا يعبأ بها شيئاً ، فهو يقرَعُها بقضيبٍ في يده ، فقلت : يا أمير المؤمنين المحلب ، فألقى إليَّ واحداً من تلك الجامات ، ولما رجع إلى الحجَّاج أعجبَهُ إكرامُ أميرِ المؤمنين له ، فأطلق الحجَّاج له خمسين ناقةً تحملُ طعاماً لأهله .

وحكى نِفطوَيْه أنَّ جريراً دخل يوماً على بشر بن مروان وعنده الأخطل ، فقال بشر لجرير : أتعرفُ هذا ؟ قال : لا ، ومنْ هذا أيها الأمير ؟ فقال : هذا الأخطل . فقال الأخطل : أنا الذي شتمتُ عِرْضَك وأسهرت ليلك ، وآذيت قومك . فقال جرير : أما قولك شتمت عرضك ؛ فما ضرَّ البحرَ أنْ يشتمَهُ منْ غَرِق فيه ، وأما قولك وأسهرتُ ليلك ، فلو تركتني أنامُ لكانَ خيراً لك ، وأما قولك وآذيتُ قومك ، فكيف تؤذي قوماً أنت تؤدِّي الجِزْية إليهم ؟ وكان الأخطل من نصارَى العرب المتنصِّرة ، قَبَّحهُ الله وأبعدَ مثواه ، [وهو الذي أنشدَ بشر بن مروان قصيدته التي يقولُ فيها :

---

(١) الأبيات في ديوان جرير ص(٣٩١) .
(٢) الخبر أورده ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة (١/ ٢٦٩ ، ٢٧٠) . وأخرجه أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني (٨/ ٤٤ ـ ٤٦) مطولاً بغير هذا السياق ، ولم يكن في المجلس الفرزدق والأخطل .
(٣) البيت من قصيدة مشهورة في ديوان جرير ص(٧٦) .
(٤) في (ق) : « جامانِ » بالنون ، تصحيف ، والمثبت من (ح) .

قَـدِ استـوى بِشْـرٌ علـى العـراقِ مـن غيـرِ سيـفٍ ودمٍ مُهْـرَاقِ[١]

وهذا البيت تستدلُّ به الجهميَّةُ على أنَّ الاستواءَ على العرش بمعنى الاستيلاء؛ وهذا من تحريفِ الكَلِم عن مواضعِه، وليس في بيت هذا النصرانيِّ حُجَّةٌ ولا دليلٌ على ذلك، ولا أراد الله عزَّ وجلَّ باستوائه على عرشه استيلاءه عليه، تعالى الله عن قولِ الجهميَّة علوّاً كبيراً، فإنَّه إنما يقال استوى على الشيء إذا كان ذلك الشيء عاصياً عليه قبل استيلائه عليه، كاستيلاء بِشْرٍ على العراق، واستيلاء المَلِك على المدينة بعد عصيانِها عليه، وعَرْشُ الربِّ لم يكنْ ممتنعاً عليه نفَساً واحداً، حتى يقال استوى عليه، أو معنى الاستواء الاستيلاء، ولا تجد أضعف من حُجج الجَهْمية، حتى أدَّاهم الإفلاس من الحُجَج إلى بيتِ هذا النصرانيِّ المقبُوح، وليس فيه حجة والله أعلم][٢].

وقال الهيثم بن عَدي عن عوانة بن الحكم قال: لما استُخلف عمر بن عبد العزيز وفَدَ إليه الشعراء، فمكثوا ببابه أياماً لا يؤذَنُ لهم ولا يُلتفتُ إليهم، فساءهم ذلك، وهمُّوا بالرجوع إلى بلادهم، فمرَّ بهم رجاءُ بن حَيْوَة، فقال له جرير:

يـا أيُّهـا الـرجـلُ المُـرْخـي عِمَـامتَـهُ هـذا زمـانُـكَ فـاستـأذِنْ لنـا عُمـرا

فدخل ولم يذكُرْ لعمرَ مِنْ أمرهم شيئاً، فمرَّ بهم عديُّ بن أرْطَاة فقال له جرير منشداً:

يا أيها الراكبُ المرخي مَطِيَّتَهُ[٣] هـذا زمـانـكَ إنـي قـدْ مَضَـى زمنـي
أبلـغْ خليفَتنـا إنْ كنـتَ لاقيَـه أني لدى البابِ كالمَصْفودِ في قَرَنِ
لا تنـسَ حـاجتَنـا لاقَيْـتَ مغفـرةً قد طالَ مُكْثي عن أهلي وعن وطني[٤]

فدخل عديٌّ على عمر بن عبد العزيز فقال: يا أمير المؤمنين الشعراء ببابك، وسهامُهم مسمومة، وأقوالُهم نافذة، فقال: ويحك يا عدي، مالي وللشعراء؟ فقال: يا أمير المؤمنين إنَّ رسولَ الله ﷺ قد كان يسمَعُ الشعر ويُجْزي عليه، وقد أنشده العباسُ بن مِرْداس مِدْحةً فأعطاه حُلَّة، فقال له عمر: أتَرْوي منها شيئاً؟ قال: نعم فأنشده:

رأيتُـكَ يـا خيـرَ البـريَّـةِ كلِّهـا نشَـرْتَ كتـابـاً جـاءَ بـالحـقِّ معلَمـا
شرعتَ لنا دينَ الهُدَى بعدَ جَوْرنا عنِ الحقِّ لما أصبحَ الحقُّ مظلما

---

(١) ذكره أبو بكر بن أبي الدنيا في قرى الضيف (٥/ ٢٧٦).
(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ق).
(٣) كذا في (ب، ح)، وفي الديوان «عمامته».
(٤) الأبيات في ديوان جرير ص (٤٨٦).

ونـوَّرتَ بـالبرهـانِ أمـراً مـدلَّسـاً واطفـأتَ بـالبرهـانِ[١] نـاراً تضـرَّمـا
فمـنْ مبلـغٌ عنّـي النبـيَّ محمـداً وكلُّ امرىءٍ يُجْزى بما كانَ قدَّما
أقمتَ سبيلَ الحقِّ بعدَ اعوجاجِه وكـانَ قـديمـاً رُكْنـه قـد تهـدَّمـا
تعـالـى عُلـوَّاً فـوقَ عـرشٍ إلَـهنـا وكـانَ مكـانُ الله أعلـى وأعظَمـا

فقال عمر : منْ بالباب منهم ؟ فقال عمر بن أبي ربيعة ، فقال : أليس هو الذي يقول :

ثـم نَبَّهتُهـا فهبَّـتْ كعـابـاً طفلـةٌ مـا تُبيـنُ رَجْـعَ الكـلامِ
سـاعـةً ثـم إنهـا بعـدُ قـالـتْ وَيْلَنـا قـد عجلـتَ يـا ابـنَ الكـرام
أعلى غيـرِ مـوعـدٍ جئـتَ تسـري تتخطَّـى إلـى رؤوسِ النيـام
مـا تجشَّمـتَ مـا تـريـدُ مـن الأمـرِ ولا جئـتَ طـارقـاً لخصـامِ[٢]

فلو كان عدوُّ الله إذْ فجَرَ ، كَتَم ، وستَرَ على نفسه ، لا يدخل [عليَّ] والله أبداً ، فمن بالبابِ سواه ؟
قال : همَّام بن غالب ـ يعني الفَرَزْدَق ـ فقال عمر : أو ليس هو الذي يقولُ في شعره :

همـا دلَّيـانـي مـن ثمـانيـنَ قـامـةً كما انقضَّ بازٍ أقْتَمُ الريش كاسِرُهْ
فلما استوَتْ رجلايَ بالأرضِ قالتا أحـيٌّ فيُـرجَـى أمْ قتيـلٌ نُحَـاذِرُهْ[٣]

لا يطأُ والله بساطي وهو كذاب ، فمنْ سواه بالباب ؟ قال : الأخطل ، قال : أو ليس هو الذي يقول :

ولسـتُ بصـائـمٍ رمضـانَ طـوعـاً[٤] ولسـتُ بـآكـلٍ لحـمَ الأضـاحـي
ولسـتُ بـزاجـرٍ عِيسـاً بكـوراً إلـى بَطْحَـاءِ مكّـةَ للنجـاحِ
ولسـتُ بـزائـرٍ بيتـاً بعيـداً بمكـةَ أبتغـي فيـهِ صَـلاحـي
ولسـتُ بقـائـمٍ كـالعَيْـرِ أدْعـو قُبَيـلَ الصُّبحِ حَـيَّ علـى الفـلاحِ
ولكنّـي سـأشـربهـا شَمُـولاً وأسجُـدُ عنـدَ منبلـجِ الصبـاحِ[٥]

والله لا يدخلُ عليَّ وهو كافرٌ أبداً ؛ فهل بالبابِ سوى منْ ذكرتَ ؟ قال : نعم الأحْوَص ، قال : أليس هو الذي يقول :

---

(١) في (ق) : « بالقرآن » ، والمثبت من (ب ، ح) .
(٢) في (ح) : « مخصام » ، والمثبت من (ب ، ق) . والبيتان الأولان في ديوان عمر ص(٣٩٤) . والثلاثة في المنتظم (٧/ ٣٦) لابن الجوزي .
(٣) البيتان من قصيدة للفرزدق في ديوان ص(٢٠٨) .
(٤) في (ح) : « رمضان عمري » ، والمثبت من (ب ، ق) والديوان .
(٥) الأبيات في ديوان الأخطل ص(٤٨٦) ما عدا الثاني والثالث ، وهما في المنتظم(٧/ ٣٦) .

اللهُ بيني وبينَ سيِّدِها يفرُّ منِّي بها وأتْبَعُهُ

فما هو دونَ منْ ذكرت ، فمَنْ هاهنا غيره ؟ قال جَمِيل بن مَعْمَر ، قال : الذي يقول :

ألا ليتنا نَحْيَا جَميعاً وإنْ نَمُتْ يوافقُ في الموتى ضريحي ضَريحُها
فما أنا في طولِ الحياةِ براغبٍ إذا قيلَ قد سُوِّي علَيْها صَفِيحُها[١]

فلو كان عدوُّ الله تمنَّى لقاءَها في الدنيا ليعمل بعد ذلك صالحاً ويتوب ؛ والله لا يدخل عليَّ أبداً ؛ فهل بالباب أحدٌ سوى ذلك ؟ قلت : جَرير ، قال : أما إنه الذي يقول :

طرَقَتْك صائدةُ القلوبِ وليس ذا حينَ الزيارةِ فارْجِعي بسلامِ[٢]

فإنْ كان لا بدَّ فأذَنْ لجرير ، فأذن له ، فدخل على عمر وهو يقول :

إنَّ الذي بعثَ النبيَّ محمداً جعلَ الخلافةَ للإمامِ العادلِ
وسعَ الخلائقَ عَدْلُهُ ووفاؤه حتى ارْعوى وأقامَ ميلَ المائلِ
إني لأرجو منكَ خيراً عاجلاً والنفسُ مولَعةٌ بحُبِّ العاجلِ[٣]

فقال له : ويحك يا جرير ، اتَّقِ الله فيما تقول ، ثم إنَّ جريراً استأذن عمرَ في الإنشاد فلم يأذنْ له ، ولم يَنْهه ، فأنشده قصيدةً طَويلة يمدَحُهُ بها[٤] ، فقال له : ويحك يا جَرير لا أرى لك فيما هاهنا حقاً ، فقال : إني مِسْكين وابنُ سَبيل . قال : إنَّا وَلينا هذا الأمر ونحنُ لا نملكُ إلا ثلاثَ مئة درهم ، أخذتْ أمُّ عبد الله مئة ، وابنها مئة ، وقد بقيَتْ مئة ، فأمر له بها ، فخرج على الشعراء فقالوا : ما وراءك يا جرير ؟ فقال : ما يسوؤكم ، خرجتُ من عندِ أمير المؤمنين وهو يُعطي الفقراء ، ويمنعُ الشعراء وإني عنه لراضٍ ، ثم أنشأ يقول :

رأيتُ رُقَى الشيطانِ لا تستفزُّه وقدْ كانَ شيطاني منَ الجِنِّ راقيا[٥]

وقال بعضُهم فيما حكاه المعافَى بنُ زكريا الجريري قالتْ جاريةٌ للحجّاج بنِ يوسف : إنك تُدخل هذا علينا ! فقال : إنه ما علمتُ عفيفاً ، فقالت : أما إنك لو أخليتَني أنا وإياه سترى ما يصنع ، فأمر باخلائها مع جرير في مكان يراهما الحجّاج ولا يريانِه ، ولا يشعُر جرير بشيءٍ من ذلك ، فقالتْ له : يا جرير ،

---

(١) البيتان في ديوان جميل ص(٦٧) .
(٢) البيت في ديوان جرير ص(٤٥٢) .
(٣) الأبيات في ديوان جرير ص(٣٣١) .
(٤) انظرهما في المنتظم (٧/ ٣٧) ، وهي في ديوانه ص(٢١٠) ومطلعها :
لجَّتْ أمامة في لومي وما علمت عَرْضَ السماوةِ رَوْحاتي ولا بُكَري
(٥) أخرج الخبر بطوله ابن الجوزي في المنتظم (٧/ ٣٥ ـ ٣٨) .

فأطرَقَ رأسَه ، وقال : هأنذا ، فقالت : أنشدني من قولك كذا وكذا ـ لشعرٍ فيه رِقَّةٌ وتحنن ـ فقال : لستُ أحفظه ولكنْ أحفَظُ كذا وكذا ـ ويُعرضُ عن ذاك ، ويُنشدُها شعراً في مَدْحِ الحجَّاج ـ فقالت : لستُ أُريدُ هذا ، إنما أريدُ كذا وكذا ـ فيُعرض عن ذاك ويُنشدها في الحجاج ـ حتى انقضى المجلس ، فقال الحجاج : لله دَرُّك ، أبَيْتَ إلا كرماً وتكرُّماً .

وقال أبو عكرمة[1] : أنشدتُ أعرابيّاً بيتاً لجرير بن الخَطَفى :

أبدَّلَ الليلُ لا تَسْري كواكبُهُ   أو طالَ حتى حَسِبْتُ النَّجْمَ حَيْرانا[2]

فقال الأعرابي : إنَّ هذا حسنٌ في معناه ، وأعوذُ بالله من مثله ، ولكنِّي أُنشدُك في ضدِّه من قولي :

وليلٍ لم يُقَصِّرْهُ رُقادٌ   وقصَّرهُ لنا وَصْلُ الحبيبِ
نعيمُ الحبِّ أورقَ فيهِ حتى   تناوَلْنَا جَنَاهُ مِنْ قَريبِ
بمجلسِ لذَّةٍ لم نقفُ فيهِ   على شكوى ولا عَيْبِ الذنوبِ
خَشينا أنْ نقطِّعهُ بلفظٍ   فترجمَتِ العيونُ عن القلوبِ

فقلت له : زِدْني ، قال : أما من هذا فحسبك ، ولكنْ أنشدك غيرَه ، فأنشدني :

وكنتُ إذا عقدتُ حِبال قومٍ   صحبتُهُمُ وشيمتيَ الوفاءُ
فأُحسنُ حينَ يُحسنُ مُحسنوهمْ   وأجتنبُ الإساءةَ إنْ أساؤوا
أشاءُ سوى مشيئتهمْ فآتي   مشيئتَهمْ وأتركُ ما أشاءُ

قال ابنُ خلِّكان[3] : كان جرير أشعر من الفرزدق عند الجمهور ، وأفخر بيت قاله جرير :

إذا غَضبتْ عليكَ بنو تميمٍ   حسبتَ الناسَ كلَّهمُ غِضابا

قال : وقد سأله رجلٌ : منْ أشعرُ الناس ؟ فأخذ بيدِه وأدخلَهُ على أبيه ، وإذا هو يرتضعُ من ثَدْي عَنْز ، فاستدعاه ، فنهَضَ واللبَنُ يَسيلُ على لحيته ، فقال جريرٌ للذي سأله : أتُبْصرُ هذا ؟ قال : نعم . قال : أتعرفه ؟ قال : لا . قال : هذا أبي ، وإنما يشربُ من ضَرْعِ العَنْز لئلا يَحْلِبَها فيسمعَ جيرانُه حِسَّ الحَلْب ، فيطلبوا منه لبناً ؛ فأشْعرُ الناسِ مَنْ فاخرَ بهذا ثمانينَ شاعراً فغلَبَهُم[4] .

وقد كان بين جرير والفرزدق مُقاولاتٌ ومهاجاةٌ كثيرة جدّاً ، يطولُ ذكرُها ، وقد ماتَ في سنةِ

---

(١) في (ق) : « عكرمة » ، والمثبت من (ب ، ح) ، وهو أبو عكرمة عامر بن عمران الضبي .
(٢) البيت من قصيدة في ديوان جرير ص(٤٩٠) .
(٣) انظر وفيات الأعيان (١/ ٣٢١) .
(٤) أخرجه أبو الفرج في الأغاني (٨/ ٥٣ ـ ٥٤) .

عشرٍ ومئة ، قاله خليفةُ بنُ خياط[١] وغير واحد ، قال خليفة[١] : مات الفرزدقُ وجريرٌ بعدَهُ بأشهر .

وقال الصُّولي : ماتا في سنةِ إحدى عشرةَ ومئة ، ومات الفرزدق قبل جرير بأربعينَ يوماً[٢] .

وقال الكريمي عن الأصمعي ، عن أبيه ، قال : رأى رجلٌ جريراً في المنام بعد موته ، فقال له : ما فعلَ الله بك ؟ فقال : غفرَ لي . فقيل : بماذا ؟ قال : بتكبيرةٍ كبَّرْتُها بالبادية . قيل له : فما فعل الفرزدق ؟ قال : أيهات ! أهلَكَهُ قَذْفُ المُحْصَنات . قال الأصمعي : لم يدَعْهُ في الحياةِ ولا في الممات .

وأما الفرزدق[٣] : فاسمه همَّام بن غالب بن صَعْصَعة بْنِ ناجيةَ بنِ عِقَالِ بن محمد بن سفيان بن مُجَاشع بن دارِم بن مالك بن حنظلة بن زيد بن مناة بن تَميم بن مُرِّ بنِ أُدِّ بن طابخة ، أبو فراس بن أبي خطل[٤] التيميُّ البصريُّ ، الشاعرُ المعروف بالفرزدق ، وجدُّهُ صَعْصَعةُ بن ناجية صحابيٌّ وَفَدَ إلى رسولِ الله ﷺ وكان يحيي الموءودة في الجاهلية .

حدث الفرزدقُ عن عليّ ، أنَّه وَفَدَ[٥] مع أبيه عليه ، فقال له : منْ هذا ؟ قال : ابني وهو شاعر . قال : علِّمْهُ القراءة فهو خيرٌ لَهُ من الشعر[٦] .

وسمع الفرزدق الحسينَ بن عليّ ـ ورآهُ وهو ذاهبٌ إلى العراق ـ وأبا هريرة ، وأبا سعيدٍ الخُدْري وعَرْفجة بن أسعد ، وزُرَارة بنَ كَرِب ، والطِّرِمَّاح بن عديّ الشاعر .

وروى عنه خالد الحذَّاء ومروان الأصْفر[٧] ، وحجاج بن حجاج الأحول ، وجماعة .

وقد وَفَدَ على معاوية يطلبُ ميراثَ عمِّه الحُتَات[٨] ، وعلى الوليد بن عبد الملك ، وقيل : على هشام بن عبد الملك ، ولم يصحَّ ذلك .

---

(١) في تاريخه ص(٣٤٠) .
(٢) انظر المنتظم (٧/ ١٤٨) .
(٣) ترجمته في : طبقات ابن سلام (١/ ٢٩٩) ، الشعر والشعراء ص(٣٨١) ، الأغاني (٩/ ٣٦٧) ، معجم المرزباني ص(٤٦٥) ، المبهج ص(٥٠) ، سمط اللآلي ص(٤٤) ، وفيات الأعيان (٦/ ٨٦) ، تاريخ الإسلام (٤/ ١٧٨) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩٠) ، لسان الميزان (٦/ ١٩٨) ، مرآة الجنان (١/ ١٣٨) ، سرح العيون ص(٣٨٩ و٤٦٤) ، النجوم الزاهرة (١/ ٢٦٨) الإصابة (٥/ ٣٩٤) ، خزانة الأدب (بتحقيق هارون) (١/ ٢١٧) .
(٤) في (ح) : « حنظل » والمثبت من « ب ، ق » .
(٥) في (ق) : « ورد » ، والمثبت من « ب ، ح » .
(٦) انظر الإصابة (٥/ ٣٩٥) .
(٧) في (ق ، ب) : « الأصغر » بالغين ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ح) والإكمال لابن ماكولا (٧/ ٤٥) ، وتقريب التهذيب ص(٥٢٦) .
(٨) في (ح ، ق) : « الحباب » ، تصحيف ، والمثبت من (ب) والاستيعاب (١/ ٤١٢) ، والإصابة (٢/ ٢٩) في ترجمة الحتات ، والخبر فيه .

قال أشعث بن عبد الملك[١] عن الفرزدق ، قال : نظر أبو هريرة إلى قدميَّ فقال : يا فرزدق ، إنِّي أرى قدَمَيْكَ صغيرتَيْن ، فاطلبْ لهما موضعاً في الجنة . فقلت : إنَّ ذنوبي كثيرة . فقال : لا بأس[٢] فإني سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول : « إنَّ بالمَغْربِ باباً مفتوحاً للتوبةِ لا يُغلق حتى تطلُعَ الشمسُ منْ مَغْرِبها »[٣] .

وقال معاوية بن عبد الكريم عن أبيه قال : دخلتُ على الفرزدق فتحرَّك ، فإذا في رِجْله قَيْد ، فقلت : ما هذا ؟ فقال : حلفتُ أنْ لا أنزِعَهُ حتى أحفظَ القرآن .

وقال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيتُ بدوياً أقامَ بالحضَر إلَّا فسَدَ لسانُه إلَّا رؤبة بن العجَّاج والفرزدق ، فإنهما زادا على طولِ الإقامة جدةً وحِدَّة .

وقال راويته أبو سهل : طلَّقَ الفرزدقُ امرأته النَّوَار ثلاثاً ، ثم جاء فأشهدَ على ذلك الحَسَن البصري ، ثم نَدمَ على طلاقها وإشهادِه الحسنَ على ذلك ، فأنشأ يقول :

نَـدِمْـتُ نَـدَامـةَ الكُسَعِـيِّ لَمَّـا ... غَـدَتْ منِّـي مُطَلَّقَـةً نَـوارُ
وكـانـتْ جنَّتي فخرجْـتُ منهـا ... كـآدَمَ حيـن أخـرجَـهُ الضـرارُ
فلـو أنِّـي مَلَكْـتُ يـدي وقلبـي ... لكَـانَ علـيَّ للقَـدَرِ الخِيـارُ[٤]

وقال الأصمعي وغيرُ واحد : لما ماتتْ النَّوَارُ بنتُ أعين بن ضُبيعة المُجَاشعي امرأةُ الفرزدق ، وكانت قد أوصَتْ أن يصلِّيَ عليها الحسنُ البصري ، فشهدها أعيانُ أهلِ البصرةِ مع الحسن ، والحسنُ على بغلته ، والفرزدقُ على بعيرِه ، فسارَ ، فقال الحسنُ للفرزدق : ماذا يقولُ الناس ؟ قال : يقولونَ شهدَ هذه الجنازةَ اليومَ خيرُ الناس ـ يعنونك ـ وشرُّ الناسِ ـ يعنوني ـ فقال له : يا أبا فِرَاس ، لستُ أنا بخيرِ الناس ، ولستَ أنتَ بشرِّ الناس . ثم قال له الحسن : ما أعددتَ لهذا اليوم ؟ قال : شهادةَ أنْ لا إله إلا الله منذ ثمانينَ سنة . فلمَّا أنْ صلَّى عليها الحسن ، مالوا إلى قبرها ، فأنشأ الفرزدقُ يقول :

أخافُ وراءَ القبرِ إنْ لم يُعافِني ... أشـدَّ مـن القبـرِ التهـاباً وأضيقـا

---

(١) في (ق) : « عبد الله » ، والمثبت من (ب ، ح) وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٧) .

(٢) في الكامل للضعفاء : « فلا تيأس » ، وفي سير أعلام النبلاء : « لا تأس » ، وفي لسان الميزان : « فلا تقنطن » .

(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل للضعفاء (٤/ ٨٧) ، والذهبي في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٧) ، وذكره ابن حجر في لسان الميزان . وفي سنده صلة بن سليمان ، وهو ضعيف ، ويعتبر بحديثه عن أشعث بن عبد الملك . ويغني عنه الحديث الثابت في صحيح مسلم (٢٧٠٣) من حديث أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه » .

(٤) في (ق) ورد البيت الثالث الأول ، والمثبت من (ب ، ح) ، وديوان الفرزدق ص(٢٩٤) . وأوردها صاحب الأغاني (١٠/ ٢٩٤) في سياق القصة بألفاظ مقاربة .

إذا جاءَني يومَ القيامةِ قائدٌ عَنيفٌ وسوَّاقٌ يسوقُ الفرزدقا
لقد خابَ منْ أولادِ دارِمٍ[١] مَنْ مَشَى إلى النار مغلولَ القلادةِ أزرقا
يُساقُ إلى نارِ الجحيمِ مُسَربَلاً سَرابيلَ قطرانٍ لباساً مخرَّقا
إذا شربوا فيها الصَّديدَ رأيتَهم يذوبون من حرِّ الصَّديدِ تَمَزُّقا[٢]

قال : فبكى الحسنُ حتى بلَّ الثَّرى . ثم التزمَ الفرزدقَ وقال : لقد كنتَ من أبغضِ الناسِ إليّ ، وإنّك اليومَ من أحبِّ الناسِ إليَّ[٣] .

وقال له بعضُ الناس : ألا تخافُ منَ الله في قذفِ المُحْصنات ؟ فقال : واللهِ للهُ أحبُّ إليَّ مِنْ عينيَّ اللتينِ أُبصرُ بهما ، فكيف يُعَذِّبُني ؟ .

وقد قدَّمْنا أنه ماتَ سنةَ عشرٍ ومئة ، وأنه تُوفي قبلَ جرير بأربعين يوماً . وقيل : بأشهر . فالله أعلم .

وأما الحسنُ وابنُ سيرين فقد ذكَرْنا ترجمةَ كلٍّ منهما في كتابنا « التكميل » مبسوطةً . وحسْبُنا الله ونعم الوكيل .

فأما الحسن بن أبي الحسن[٤] : فاسمُ أبيه يَسَار ، أبو سعيد البصري مولى زيد بن ثابت ، ويقال : مولى جابر بن عبد الله ، وقيل غيرُ ذلك ؛ وأمُّه خيرة مولاةٌ لأمِّ سلمة ، كانت تخدمها ، وربما أرسلتها في الحاجةِ فتشتغلُ عن ولدِها الحسن وهو رضيع ، فتشاغلهُ أمُّ سَلَمة بثديَيْها فيدرَّانِ عليه ، فيرتضع منهما ، فكانوا يَرَوْنَ أنَّ تلك الحكمةَ والعلومَ التي أوتيهاالحسنُ من بركةِ تلك الرَّضاعة من الثدي المنسوبِ إلى رسولِ الله ﷺ . ثم كان وهو صغير تُخرجه أمُّه إلى الصحابةِ فيدعونَ له ، وكان في جملةِ منْ يدعو له عمرُ بن الخطاب قال : اللهمَّ فقِّهْهُ في الدِّين ، وحبِّبْهُ إلى الناس . وسئل مرةً أنسُ بنُ مالكٍ عن مسألةٍ فقال : سلُوا عنها مولانا الحسن ، فإنَّه سمع وسمعْنا ، فحفِظَ ونَسِينا .

(١) في (ب ، ح) : « آدم » بدل « دارم » .
(٢) الأبيات في ديوان الفرزدق ص(٣٩) .
(٣) أخرج الخبر أبو الفرج في الأغاني (٢١/ ٣٩٤) .
(٤) ترجمته في : طبقات ابن سعد (٧/ ١٥٦) ، طبقات خليفة ص(٢١٠) ، الزهد لأحمد ص(٢٥٨) ، تاريخ البخاري (٢/ ٢٨٩) ، المعارف لابن قتيبة ص(٤٤٠) ، المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٢) ، أخبار القضاة لوكيع (٢/ ٣) ، الجرح والتعديل (٣/ ٤٠) ، حلية الأولياء (٢/ ١٣١) ، الفهرست لابن النديم ص(٢٠٢) ، الحسن البصري لابن الجوزي (كتاب مستقل) ، صفة الصفوة (٣/ ٢٣٣) ، المختار من مناقب الأخيار (١/ ١٨٦) ، وفيات الأعيان (٢/ ٦٩) ، تهذيب الكمال (٦/ ٩٥) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٦٣) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٦٦) ، الوافي بالوفيات (١٢/ ٣٠٦) ، تهذيب التهذيب (٢/ ٢٦٣) ، طبقات الحفاظ ص(٢٨) ، طبقات الشعراني (١/ ٢٩) ، الكواكب الدرية (١/ ٥٦) .

وقال أنسٌ مرَّةً : إني لأغبِطُ أهلَ البصرةِ بهذَيْنِ الشيخَيْن : الحسَنِ وابنِ سيرين .

وقال قتادة : ما جالستُ رجلاً فقيهاً إلَّا رأيتُ فضلَ الحسَنِ عليه .

وقال أيضاً : ما رأت عيناي أفقهَ من الحسن .

وقال أيوب : كان الرجلُ يجالسُ الحسنَ ثلاثَ حِجَجٍ ما يسألُه عن مسألةٍ هيبةً له .

وقال الشعبيُّ لرجلٍ يريدُ قدومَ البصرة : إذا نظرتَ إلى رجلٍ أجملِ أهلِ البصرةِ ، وأهْيَبِهم فهو الحسن ؛ فأقرئهُ مني السلام .

وقال يونس بن عُبيد : كان الرجلُ إذا نظرَ إلى الحسنِ انتفَعَ بهِ وإنْ لم يرَ عملَه ، ولم يسمعْ كلامَه .

وقال الأعمش : ما زال الحسنُ يعي الحكمةَ نطق بها .

وكان أبو جعفر إذا ذكرَهُ يقول : ذاك الذي يُشبه كلامُهُ كلامَ الأنبياء .

وقال محمد بن سعد[١] : قالوا : كان الحسنُ جامعاً للعلم والعمل ، عالماً رفيعاً فقيهاً ثقةً مأموناً ، عابداً زاهداً ناسكاً ، كثيرَ العلمِ والعمل ، فصيحاً ، جميلاً ، وسيماً ، وقدمَ مكةَ[٢] ، فأُجلس على سرير ، وجلس العلماء حولَه ، واجتمع الناسُ إليه فحدَّثهم . وكان فيهم مجاهد ، وعطاء ، وطاوس ، وعمرو بن شعيب ، فقالوا : لم نر مثل هذا قط .

قال أهل التاريخ : مات الحسنُ عن ثمانٍ وثمانينَ سنة ، عامَ عشرٍ ومئة ، في مستهلِّ رجبٍ منها ، بينه وبين محمد بن سيرين مئة يوم .

وأما : ابنُ سيرين[٣] : فهو محمد بن سيرين ، أبو بكر بن أبي عمرو الأنصاري مولى أنس بن مالك النَّضْريّ . كان أبو محمد من سَبْي عينِ التَّمْر ، أسرَهُ خالد بن الوليد في جملةِ السَّبْي ، فاشتراه أنسٌ ثم كاتبه ، ثم وُلد له من الأولاد الأخيار جماعةٌ : محمد هذا ، وأنس بن سيرين ، ومعبد ،

---

(١) في الطبقات الكبرى (٧/ ١٥٧) .

(٢) زاد ابن سعد هناك « وكان ما أسند من حديثه وروى عمن سمع منه فحسنٌ حُجَّة ؛ وما أرسل من الحديث فليس بحُجَّة » .

(٣) ترجمته في : طبقات ابن سعد (٧/ ١٩٣) ، الزهد لأحمد بن حنبل ص(٤٣٠) ، تاريخ خليفة ص(١١٨ ، ٣٤٠) ، طبقات خليفة ص(٢١٠) ، المعارف (٤٤٢) ، التاريخ الكبير (١/ ٩٠) ، أخبار القضاة لوكيع (٢/ ٣٢٦) ، الجرح والتعديل (٧/ ٢٨٠) ، الثقات لابن حبان (٥/ ٣٤٨) ، حلية الأولياء (٢/ ٢٦٣) ، تاريخ بغداد (٥/ ٣٣١) ، صفة الصفوة (٣/ ٢٤١) ، المختار من مناقب الأخيار (٤/ ٣٧٧) ، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٨٢) ، وفيات الأعيان (٤/ ١٨١) ، مختصر تاريخ دمشق (٢٢/ ٢١٧) ، تهذيب الكمال (٢٥/ ٣٤٤) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٠٦) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٧٣) ، مرآة الجنان (١/ ٢٣٢) ، الوافي بالوفيات (٣/ ١٤٦) ، طبقات الشعراني (١/ ٣٦) ، الكواكب الدرية (١/ ٤٢٦) .

ويحيى ، وحفصة ، وكريمة ؛ وكلُّهم تابعيُّون ، ثقاةٌ أجلاء ، رحمهم الله .

قال البخاري[١] : ولد محمد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان .

وقال هشام بن حسان : هو أصدقُ مَنْ أدركتُ من البشر .

وقال محمد بن سعد[٢] : كان ثقةً مأموناً ، عالماً رفيعاً ، فقيهاً إماماً ، كثيرَ العلم ، ورعاً ، وكان به صَمَم .

وقال مؤَرِّق العجلي : ما رأيتُ رجلاً أفقهَ في ورَعِه ، وأورعَ في فقهِه منه .

قال ابن عون : كان محمد بن سيرين أرجى الناس لهذه الأمة ، وأشدَّ الناسِ إزراءً على نفسه ، وأشدَّهم خوفاً عليها[٣] .

قال ابن عون : ما بكى في الدنيا مثلُ ثلاثة : محمد بن سيرين في العراق ، والقاسم بن محمد في الحجاز ، ورجاء بن حَيْوة بالشام ؛ وكانوا يأتون بالحديثِ على حروفه .

وكان الشعبيُّ يقول : عليكم بذاك الأصمّ ـ يعني محمد بن سيرين .

وقال ابن شَوْذَب : ما رأيتُ أحداً أجرأ على تعبيرِ الرؤيا منه .

وقال عثمان البَتِّي : لم يكن بالبصرة أعلم بالقضاء منه .

قالوا : وماتَ في تاسعِ شوال من هذه السنة ، بعدَ الحسن بمئة يوم[٤] .

---

(١) في التاريخ الكبير (١/ ٩١) .

(٢) في الطبقات (٧/ ١٩٣) .

(٣) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤/ ٦١٥) .

(٤) هنا تبتدىء زيادة من (ق) أقحمت على المتن أثبتناها هنا في الحاشية وهي :

[كان اللائقُ بالمؤلِّف أنْ يذكرَ تراجمَ هؤلاء العلماء الأخيار قبلَ تراجم الشعراءِ المتقدِّم ذكرُهم ، فيبدأ بهم ثم يأتي بتراجم الشعراء . وأيضاً فإنَّه أطالَ القولَ في تراجم الشعراء ، واختصرَ تراجمَ العلماء ؛ ولو كان فيها حسن وحِكَمٌ ينتفعَ بها مَنْ وقف عليها ، ولعلّها أفيَدُ من مَدْحِهم والثناءِ عليهم ولا سيما كلام الحسن ، وابنِ سيرين ، ووَهْب بن مُنبِّه ، كما ذكره بعد ، وكما سيأتي ذكرُ ترجمتِه في هذه الزيادة ؛ فإنَّه قدِ اختصرَهُ جداً وإنَّ المؤلِّفَ أقدرُ وأوسع علماً . فما ينبغي أن يُخِلَّ ببعضِ كلامهم وحِكَمِهم ، فإنَّ النفوسَ مستشرفةٌ إلى معرفةِ ذلك ، والنظرِ فيه . فإنَّ أقوالَ السلفِ لها موقعٌ من القلوب . والمؤلِّفُ ـ غالباً في التراجم ـ يُحِيلُ على ما ذَكَرَ في « التكميل » الذي صنَّفَهُ في أسماءِ الرجال . وهذا الكتاب لم نقفْ عليه نحنُ ولا منْ سألْناه عنه من العلماء . فإنَّا قد سألنا عنه جماعةً من أهلِ الفنِّ ، فلم يذكرْ غيرُ واحدٍ أنه اطَّلع عليه ، فكيف حالُ غيرهمْ (هكذا قال ، وقد ذكر كتاب التكميل أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدمشقي في ذيل تذكرة الحفاظ ص(٥٨) في ترجمة ابن كثير ، فقال : فمن تصانيفه « كتاب التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل » ، جمَعَ بين كتاب التهذيب والميزان ، وهو خمس مجلدات . وذكرهُ أيضاً أبو الطيب محمد بن أحمد الفاسي المكي في ذيل التقييد (١/ ٤٧٢) في ترجمة ابن =

. . . .

= كثير ، وأنه من مؤلفاته ، وهو كتاب معروف مذكور مشهور وصل إلينا مخطوطاً ، فتنظر مقدمة « تهذيب الكمال » بتحقيق الدكتور بشار عواد .) . وقد ذكرتُ في غالب التراجم زياداتٍ على ما ذَكَره المؤلف ، مما وصلتْ إليه معرفتي ، واطلعنا عليه ، ولو كان عندي كتبٌ لأشبعتُ القولَ في ذلك ؛ إذِ الحكمةُ هي ضالَّةُ المؤمن ، ولعلَّ أنْ يقفَ على هذا راغبٌ في الآخرة ، طالبٌ ما عندَ الله عزَّ وجلَّ ، فينتفع به أعظم مما ينتفعُ به منْ تراجم الخلفاء والملوك والأمراء ، وإنْ كانتْ تلك أيضاً نافعةً لمعتبرٍ ومزدجر ، فإنَّ ذكرَ أئمةِ العَدْلِ والجَوْر بعدَ موتِهم فيها فضلُ أولئك وغمُّ هؤلاء ، ليعلمَ الظالمُ أنَّه وإن ماتَ لم يمتْ ما كان متلبِّساً به من الفسادِ والظلم ، بل هو مدوَّنٌ في الكتب عندَ العلماء . وكذلك أهلِ العدلِ والصلاح والخير ، فإنَّ الله قد قصَّ في القرآن أخبارَ الملوكِ والفراعنةِ والكفارِ والمفسدين ، تحذيراً من أحوالهم ، وما كانوا يعملون ؛ وقصَّ أيضاً أخبارَ الأتقياء والمحسنينَ والأبرار والأخيارِ والمؤمنين ، للاقتداء والتأسِّي بهم ، والله سبحانه أعلم . فنقولُ وبالله التوفيق :

أما : الحسن (تقدمت مصادر ترجمته في ص(٢٦٦) في الحاشية .) : فهو أبو سعيد البصري الإمام الفقيه المشهور ، أحد التابعينَ الكبارِ الأجلاءِ عِلْماً وعملاً وإخلاصاً .

فروى ابنُ أبي الدنيا عنه قال : كان الرجلُ يتعبَّدُ عشرين سنةً لا يَشْعُر بهِ جارُه ، وأحَدُهم يصلِّي ليلةً أو بعضَ ليلةٍ ، فيصبحُ وقد استطالَ على جارِه . وإنْ كان القومُ ليجتمعون فيتذاكرون ، فتجيءُ الرجل عَبْرَتُهُ فيردُّها ما استطاع ، فإن غُلب قامَ عنهم .

وقال الحسن : تنفَّس رجلٌ عندَ عمرَ بنِ عبد العزيز فلَكَزَهُ عمرُ ـ أو قال : لكمه ـ وقال : إنَّ في هذا لفتنة . وقد ذكره ابنُ أبي الدنيا عن الحسن ، عن عمر بن الخطاب .

وروى الطبرانيُّ عنه أنه قال : إنَّ قوماً ألْهَتْهُمْ أمانيُّ المغفرة ، ورجاءُ الرحمة ، حتى خرجوا من الدنيا وليستْ لهم أعمالٌ صالحة ؛ يقولُ أحدهم إني لَحَسنُ الظنِّ بالله ، وأرجو رحمةَ الله ؛ وكَذَبَ ، لو أحسن الظنَّ بالله لأحْسَنَ العمل لله ، ولو رجا رحمة الله لطلبها بالأعمالِ الصالحة ، يوشكُ منْ دخل المفازةَ من غيرِ زادٍ ولا ماءٍ أن يَهْلِك .

وروى ابنُ أبي الدنيا عنه قال : حادثوا هذه القلوب فإنها سريعةُ الدُّثُور ، وأقنِعُوا هذه الأنفُسَ فإنها تَنْزِعُ إلى شرِّ غاية .

وقال مالكُ بن دينار : قلت للحسن : ما عقوبةُ العالم إذا أحبَّ الدنيا ؟ قال : موتُ القلب ، فإذا أحبَّ الدنيا طلبها بعمَلِ الآخرة (أخرجه عبد الله بن المبارك في الزهد ص(٥٣٢) ؛ والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٩٦) (١٨٣٧) .) .

فعند ذلك تَرْحلُ عنه بركاتُ العِلْم ، ويبقى عليه رَسْمُه .

وروى العُتْبي عن أبيه قال : عادَ الحسنُ عليلاً ، فوجدَهُ قد شُفي من علَّته ، فقال : أيها الرجل ، إنَّ الله قد ذكرَكَ فاذْكُرْه ، وقد أقالَكَ فاشكُرْه . ثم قال الحسن : إنما المرضُ ضربةُ سَوْطٍ مِنْ ملَكٍ كَريم ، فإما أنْ يكونَ العليلُ بعدَ المرضِ فَرَساً جواداً ، وإمَّا أنْ يكونَ حماراً عثوراً مَعْقُوراً .

وروى العتبي عن أبيه أيضاً قال : كتب الحسنُ إلى فرقد : أمَّا بعد ، فإنِّي أوصيك بتقوى الله ، والعملِ بما علَّمَكَ الله ، والاستعدادِ لما وعدَ الله مما لا حيلَةَ لأحدٍ في دفعه ، ولا ينفعُ الندمُ عند نزولِه ، فاحْسِرْ عن رأسِكَ قِناعَ الغافلين ، وانتبهْ من رَقْدَةِ الجاهلين ، وشمِّرِ الساق ، فإنَّ الدنيا ميدانُ مسابقة ، والغايةُ الجنةُ أو النار ، فإن لي ولك من الله مقاماً يسألُني وإياكَ فيه عن الحقيرِ والدقيق ، والجليلِ والخافي ، ولا آمنُ أنْ يكونَ فيما يسألني وإياك عنه ، =

. . . .

= وساوسَ الصُّدور ، ولحظَ العيون ، وإصغاءَ الأسماع ، وما أعجز عنه (انظر حلية الأولياء (٨/ ٢٤١) ، وصفة الصفوة (٤/ ٢٦٣) ، وإحياء علوم الدين (٢/ ١٨٣) ، فبعض ما روي في هذا الخبر كتبه يوسف بن أسباط إلى حذيفة المرعشي .) .

وروى ابنُ قتيبة (كذا في (ق) ، والذي يرويه عن الحسن كما في الحلية (٢/ ١٥٠ ، ١٥١) هو فضيل بن جعفر . وفي رواية عند ابن الجوزي في صفة الصفوة (٣/ ٢٣٦) الذي يرويه عنه أبو همام الكلاعي .)عنه ، أنه مرَّ على بابِ ابنِ هُبَيرة ، فرأى القرّاء ـ وكانوا همُ الفقهاء ـ جلوساً على باب ابنِ هُبيرة فقال : فَرْطَحْتُم (في (ق) : « طفحتم » ، والمثبت من صفة الصفوة .) نعالَكم ، وبيَّضْتُمْ ثيابَكم ، ثم أتيتمْ إلى أبوابهم تسعَوْن ؟! ثم قال لأصحابه : ما ظنُّكم بهؤلاء الحذّاء ؟ ليست مجالسهُم من مجالسِ الأتقياء ، وإنما مجالسُهم مجالسُ الشرط (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ١٥٠ ، ١٥١) ، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٣/ ٢٣٦) .) .

وروى الخرائطي عن الحسن ، أنه كان إذا اشترى شيئاً وكان في ثمنه كسرٌ جبرَهُ لصاحبه .

ومرَّ الحسنُ بقوم يقولون : نقَصَ دانِقٌ ـ أيْ عن الدرهم الكامل والدينار الكامل ـ أما أنْ يكونَ درهماً ينقُصُ نصفاً أو رُبعاً ، والعشرةُ تِسعة ونصف ، وقِسْ على هذا ؛ فكان الحسنُ يستحبُّ جبرانَ هذه الأشياء ، وإن كان اشترى السلعةَ بدرهم ينقص دانقاً كمَّلَهُ درهماً أو بتسعةٍ ونصف كمَّلَها عشرةً مروءةً وكرماً .

وقال عبدُ الأعلى السمسار : قال الحسن : يا عبدَ الأعلى ، أما يبيعُ أحدُكُمُ الثوبَ لأخيه فيُنقِص درهمَيْنِ أو ثلاثة ؟ قلت : لا والله ولا دانِقٌ واحد ، فقال الحسن : إنَّ هذه الأخلاق ، فما بقي من المروءة إذاً ؟ قال : وكان الحسنُ يقولُ لا دينَ إلا بمروءة . وباع بغلةً له فقال له المشتري : أما تحطُّ لي شيئاً يا أبا سعيد ؟ قال : لك خمسون درهماً ، أزيدُك ؟ قال : لا رَضيت . قال : بارك الله لك .

وروى ابنُ أبي الدنيا عن حمزةَ الأعمى قال : ذهبَتْ بي أمِّي إلى الحسن فقالت : يا أبا سعيد ، ابني هذا قد أحببتُ أن يلزمَك . فلعل الله أنْ ينفعَهُ بك . قال : فكنتُ أختلف إليه فقال لي يوماً : يا بُني أدِم الحُزنَ على خيرِ الآخرة ، لعله أن يوصلَك إليه ؛ وابكِ في ساعاتِ الليلِ والنهارِ في الخَلْوة لعلّ مولاك أن يطَّلِعَ عليكَ فيرحمَ عبرَتَك فتكون من الفائزين . قال : وكنتُ أدخل على الحسن منْزله وهو يبكي ، وربما جئتُ إليه وهو يصلِّي فأسمع بكاءه ونَحيبه ، فقلتُ له يوماً : إنك تُكثرُ البكاء ! فقال : يا بُني ، ماذا يصنعُ المؤمنُ إذا لم يبكِ ؟ يا بُني ، إنَّ البكاء داعٍ إلى الرحمة ، فإنِ استطعتَ أنْ تكون عمرَكَ باكياً فافعلْ ، لعله تعالى أنْ يرحمَك ؛ فإذا أنتَ نَجوتَ من النار .

وقال : ما هو إلا حلول الدار ، إمَّا الجنة ، وإمَّا النار ، ما هناك منْزلٌ ثالث .

وقال : بلغنا أنَّ الباكي من خشيةِ الله لا تقطرُ من دموعِه قطرةٌ حتى تُعتق رقبتُه من النار . وقال : لو أنَّ باكياً بكى في ملأٍ من خشيةِ الله لرُحموا جميعاً ، وليس شيءٌ من الأعمال إلا له وَزْن ، إلا البكاء من خشية الله ، فإنه لا يقوِّمُ الله بالدمعةِ منه شيئاً . وقال : ما بكى عبدٌ إلَّا شهد عليه قلبُهُ بالصدق أو الكذب .

وروى ابن أبي الدنيا عنه في كتاب « اليقين » قال : من علاماتِ المسلم قوَّةُ دين ، وحزمٌ في لين ، وإيمانٌ في يَقين ، وحكمٌ في عِلْم ، وحبسٌ في رِفْق ، وإعطاءٌ في حَقّ ، وقَصْدٌ في غِنًى ، وتحمُّل في فاقة ، وإحسانٌ في قُدْرَة ، وطاعةٌ معها نصيحة ، وتورُّعٌ في رَغْبَةٍ وتعفُّف ، وصَبْرٌ في شدَّةٍ لا تُزْديهِ رغبته ، ولا يبدُرُهُ لسانُه ، ولا يسبقه بصرُه ، ولا يَغلِبه فرْجه ، ولا يَميلُ به هواه ، ولا يفضَحُهُ لسانُه ، ولا يستخفُّه حِرصُه ، ولا تقصُرُ به نيَّتُه .

كذا ذكَرَ هذه الألفاظَ عنه ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن صالح عن الحكم بن ظهير ، عن يحيى بن المختار عن الحسن . . . فذكره (يعني ابن أبي الدنيا ؛ انظر إحياء علوم الدين (٣/ ١٦٦) .) .

وقال فيه أيضاً عنه : يا بن آدم ، إنَّ مِنْ ضَعف يقينك أنْ تكونَ بما في يدِك أوثقَ منك بما في يدي اللهِ عزَّ وجلَّ . =

. . . .

= وقال ابنُ أبي الدُّنيا : حدثنا علي بن إبراهيم اليشكري ، حدثنا موسى بن إسماعيل الجبلي ، حدثنا حفصُ بن سليمان أبو مقاتلٍ ، عن عون بنِ أبي شدَّاد ، عن الحسن ، قال لقمان لابنه : يا بُني ، العمَلُ لا يستطاعُ إلا باليقين ، ومَنْ يضعفْ يقينُه يضعفْ عملُه . وقال : يا بُني ، إذا جاءك الشيطانُ من قِبَلِ الشكِّ والرِّيَب ، فاغلِبْهُ باليقين والنصيحة ، وإذا جاءكَ من قِبَلِ الكَسَلِ والسآمة فاغلِبْهُ بذكر القبر والقيامة ، وإذا جاءك من قِبَلِ الرغبةِ والرَّهْبةِ فأخبِرْهُ أنَّ الدنيا مفارقةٌ متروكة .

وقال الحسن : ما أيقنَ عبدٌ بالجنةِ والنارِ حقَّ يقينِهما إلَّا خشَعَ وذَبُل ، واستقام واقتصد ، حتى يأتيَهُ الموت .

وقال : باليقين طلبتُ الجنة ، وباليقين هربتُ من النار ، وباليقين أدَّيتُ الفرائضَ على أكمل وجهها ، وباليقين أصبرُ على الحقّ ، وفي معافاةِ اللهِ خيرٌ كثير ، قد والله رأيناهم يتعاونونَ في العافية ، فإذا نزل البلاء تفارقوا .

وقال : الناسُ في العافية سواء . فإذا نزل البلاءُ تبيَّنَ عنده الرجال . وفي رواية : فإذا نزل البلاء تبيَّنَ مَنْ يعبُد الله وغيره . وفي رواية : فإذا نزل البلاء سكنَ المؤمن إلى إيمانه ، والمنافق إلى نفاقه .

وقال الفِرْيَابي في « فضائل القرآن » : حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا معمر ، عن يحيى بن المختار ، عن الحسن قال : إنَّ هذا القرآن قد قرأهُ عَبيدٌ وصِبْيان ، لا علمَ لهم بتأويله ، لم يأتوا الأمر من قبل أوله ؛ قال الله عزّ وجلّ : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص : ٢٩] . وما تدبُّرُ آياتِهِ إلا اتِّباعُه ، أما والله ما هو بحِفْظِ حروفِهِ وإضاعةِ حدودِه ، حتى إنَّ أحدَهم ليقول : قد قرأتُ القرآنَ كلَّه ، فما أسقط منه حرفاً واحداً . وقد والله أسقطَهُ كلَّه ، ما يرى له القرآن في خُلُقٍ ولا عمل ، حتى إنَّ أحدَهم ليقول : والله إني لأقرأ السورةَ في نفَس ، لا والله ما هؤلاءِ بالقرَّاء ولا بالعلماء ولا الحكماء ولا الورَعَة . ومتى كانتِ القراءةُ هكذا ـ أو يقول مثل هذا ـ لاَ أكثرَ الله في الناس مثلَ هؤلاء (أخرجه عبد الله بن المبارك في الزهد ص(٢٧٤) برقم (٧٩٣) ، وأبو بكر البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٥٤١) برقم (٢٦٥٣) .) .

ثم روى الحسن عن جُندَب ، قال : قال لنا حذيفة : هل تخافونَ من شيء ؟ قال : قلتُ والله إنَّك وأصحابَكَ لأهوَنُ الناسِ عندنا . فقال : أمَا والذي نفسي بيده ، لا تؤتَوْنَ إلا من قِبَلنا ومع ذلك نَشءٌ آخر يقرؤون القرآن ، يكونون في آخر هذه الأمَّة ينثرونه نَثْرَ الدَّقَل (الدَّقَلُ : أردأ التمر .) ، لا يجاوزُ تراقيَهم تسبقُ قراءتُهم إيمانَهم (أخرج البخاري في التاريخ الكبير (٤/ ٣٠١) في ترجمة صلت بن مهران ، بإسناده إلى معتمر : سمعت أبي عن قتادة عن الحسن عن جندب بلغه عن حذيفة أو سمعه عن النبي ﷺ ذكر ناساً يقرؤون القرآن ينثرونه نثر الدقل يتأولونه على غير تأويله . وقال موسى : حدّثنا حماد أنبأنا يونس عن الحسن عن جندب عن حذيفة قوله بهذا . وقال : ابن أبي الأسود حدّثنا ابن علية عن يونس بهذا . اهـ .) .

وروى ابنُ أبي الدنيا عنه في « ذم الغيبة » له قال : والله لَلْغِيبةُ أسرعُ في دينِ المؤمن من الأكلة في جسده (ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٣/ ١٤٣) .) .

وكان يقول : ابنَ آدم ، إنك لن تُصيبَ حقيقةَ الإيمانِ حتى لا تُصيبَ الناسَ بعَيبٍ هو فيك ، وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب ، فتصلحَهُ من نفسك ، فإذا فعلتَ ذلك كان ذلك شغلك في طاعة نفسك وأحبُّ العباد إلى الله منْ كانَ هكذا (أخرجه أبو بكر بن أبي الدنيا في الصمت ص(١٣١) برقم (١٩٧) والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٣١٢) برقم (٦٧٦٢) ، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٣/ ٢٣٤) ، والغزالي في إحياء علوم الدين (٣/ ١٤٣) .) .

وقال الحسن : ليس بينك وبين الفاسق حُرْمة . وقال : ليس لمبتدع غِيبَة . وقال أصلت بن طريف : قلت للحسن : الرجل الفاجر المعلِنُ بفجوره ذِكري له بما فيه غِيبة ؟ قال : لا ولا كرامة . وقال : إذا ظهرَ فجورُهُ فلا غِيبةَ =

. . . .

= له (أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت ص(١٤٤) برقم (٢٣١) ، وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٣/ ١٥٣) .) .

وقال : ثلاثةٌ لا تَحْرُمُ عليك غيبتُهم : المجاهرُ بالفِسْق ، والإمامُ الجائر ، والمبتدِع (ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٣/ ١٥٣) .) .

وقال له رجل : إنَّ قوماً يجالسونك ليجدوا بذلك إلى الوقيعة فيك سبيلاً . فقال : هَوِّن عليك يا هذا ، فإني أطمعتُ نفسي في الجنان فطمِعَتْ ، وأطمعتُها في النجاةِ من النار فطمِعَت ، وأطمعتُها في السلامةِ من الناس فلم أجدْ إلى ذلك سبيلاً ؛ فإنَّ الناسَ لم يَرْضوا عن خالقِهم ورازقِهم ، فكيف يرضَوْنَ عن مخلوقٍ مثلِهم ؟ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٠٥) .)

وقال كانوا يقولون : منْ رَمى أخاهُ بذنبٍ قد تاب منه ، لم يمتْ حتى يصيبَ ذلك الذنبَ (أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت ص(١٧٠) برقم (٢٨٩) بنحوه .) .

وقال الحسن : قال لقمانُ لابنِه : يا بُني ، إياكَ والكَذِب ، فإنه شهيٌّ كلَحْمِ العُصفور ، عما قليل يقلاهُ صاحبُه (أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت ص(٢٥٧) برقم (٥٣٨) . وأخرجه ضمن حديث طويل البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢٣١) برقم (٤٨٩١) .) .

وقال الحسن : اعتبروا الناسَ بأعمالِهم ، ودعوا أقوالَهم ، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يدَعْ قولاً إلَّا جعل عليه دليلاً من عمَل ، يصدِّقه أو يكذِّبه ، فإنْ سمعتَ قولاً حسناً فرويداً بصاحبه ، فإنْ وافقَ قولٌ عملاً فنعمَ ونعمةُ عَيْن ! آخِهِ وأحْبِبْه (في (ق) صحفت العبارة إلى « نعمت عين أخته وأخيه » ، والصواب المثبت من مصادر التخريج .) ؛ وإذا خالف قولٌ عملاً فماذا يشبه عليك منه ؟ أم ماذا يَخفى عليك منه ؟ إياك وإياه لا يخدعَنَّكَ كما خدَع ابنَ آدم . إنَّ لك قولاً وعملاً ، فعملك أحقُّ بك من قولِك ؛ وإنَّ لك سريرةً وعلانيةً فسريرتكَ أحقُّ بكَ من علانيتك ، وإنَّ لك عاجلةً وعاقبة ، فعاقبتُك أحقُّ بك من عاجلتك (أخرجه ابن المبارك في الزهد ص(٢٦) برقم (٧٧) ، وابن أبي الدنيا في الصمت ص(٢٨٠) ، برقم (٦٢٦) .) .

وقال ابنُ أبي الدنيا (في الصمت ص٢٨١ برقم (٦٢٨) ، وما يأتي بين معقوفين منه .) حدثنا حمزة بن العباسِ ، أنبأنا عبدان بن عثمان ، [أنبأنا عبد الله] ، أنبأنا معمر ، عن يحيى بن المختار ، عن الحسن ، قال : إذا شئتَ لَقيتَ الرجلَ أبيضَ ، حديدَ اللسان ، حديدَ النظر ، ميتَ القلبِ والعمل ، أنتَ أبصرُ به من نفسِه ، ترى أبداناً ولا قلوباً ، وتسمعُ الصوت ولا أنيس ، أخصب ألسنةً ، وأجدب قلوباً ؛ يأكلُ أحدُهم من غيرِ مالِه ، ويبكي على عمَّاله ، فإذا كَظَّتْهُ البِطْنةُ قال : يا جارية ـ أو يا غلام ـ إيتني بهاضم ، وهل هضمتَ يا مسكينُ إلا دينَك .

وقال : منْ رَقَّ ثوبُه رَقَّ دِينُه ، ومنْ سَمِنَ جَسَدُه هَزُلَ دينُه ، ومن طاب طعامُه أنتَنَ كسبُه .

وقال فيما رواه عنه الآجُرِّيّ : رأسُ مالِ المؤمن دينٌ حيثُ ما زالَ زالَ منعه لا يُخَلِّفُهُ في الرِّحال (الرِّحال : مفردها رَحْل وهو منزل الرجل ومسكنه وبيته . والرَّحْل أيضاً : مَرْكبٌ للبعير والناقة . اللسان (رحل) .) ولا يأتمنُ عليه الرجال .

وقال في قوله تعالى : ﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ [القيامة : ٢] ، قال : لا تلقَى المؤمنَ إلا يلومُ نفسَه : ما أردتِ بكلمةِ كذا ؟ ما أردتِ بأكْلَةِ كذا ؟ ما أردتِ بمجلسِ كذا ؟ وأمَّا الفاجرُ فيَمْضي قُدُماً قُدُماً ، لا يلومُ نفسَه (ذكره ابن القيم في مدارج السالكين (٢/ ٧) .) .

وقال : تصبَّروا وتشدَّدوا ، فإنما هي ليالٍ تُعَدّ ، وإنَّما أنتم رَكْبٌ وقوف ، يوشكُ أنْ يُدعَى أحدُكم فيُجيب ولا يلتفت ؛ فانقلِبُوا بصالحِ ما بحضرَتِكم ، إنَّ هذا الحقَّ أجهدَ الناس ، وحالَ بينهم وبين شهواتهم ؛ وإنما يصبرُ على=

. . . .

= هذا الحقّ منْ عرَفَ فضلَه وعاقبتَه (ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٤٦٠) .) .

وقال : لا يزالُ العبدُ بخيرٍ ما كان له واعظٌ من نفسِه ، وكانتِ المحاسبةُ من هِمَّتِه (أخرجه ابن المبارك في الزهد ص(٣٨٩) برقم (١١٠٣) ، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١٤٥ ، ١٤٦) .) .

وقال ابن أبي الدنيا في « محاسبة النفس » : حدثنا عبد الله ، حدثنا إسماعيل بن زكريا ، حدثنا عبد الله بن المبارك عن معمر ، عن يحيى بن المختار ، عن الحسن ، قال : المؤمنُ قوَّامٌ على نفسه ، يحاسِبُ نفسَه للهِ عزَّ وجلَّ ، وإنما خفَّ الحسابُ يومَ القيامةِ على قوم حاسبوا أنفسَهم في الدنيا ، وإنما شقَّ الحسابُ يومَ القيامةِ على أقوام أخذوا هذا الأمرَ من غيرِ محاسبة ؛ إنَّ المؤمنَ يَفْجَؤهُ الشيءُ ، ويعجبه فيقول : واللهِ إنَّكَ لَمِنْ حاجتي ، وإني لأشتهيك ، ولكنْ واللهِ ما مِنْ صِلَةٍ إليك ، هيهاتَ ! حِيلَ بيني وبينك . ويفرطُ منه الشيءُ فيرجعُ إلى نفسِه فيقول : ما أردتُ إلى هذا [ما لي ولهذا ؟ واللهِ لا أعودُ إلى هذا] (سقط ما بين المعقوفين من (ق) استدركناه من مصادر التخريج .) أبداً إن شاء الله . إنَّ المؤمنين قومٌ قد أوثقَهم القرآن ، وحالَ بينَهُمْ وبينَ هلكتِهم ، إنَّ المؤمنَ أسيرٌ في الدنيا . يسعَى في فكاكِ رقَبته ، لا يأمنُ شيئاً حتى يَلْقَى الله عزَّ وجلَّ ، يعلمُ أنه مأخوذٌ عليه في سمعه وبصَرِهِ ولسانه ، وفي جَوَارِحِه كلِّها (أخرجه ابن المبارك في الزهد ص(١٠٣) برقم (٣٠٧) ، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١٥٧) ، وذكره ابن القيم في إغاثة اللهفان (١/ ٧٩) ، وابن الجوزي في صفة الصفوة (٣/ ٢٣٤ ، ٢٣٥) .) .

وقال : الرضا صعبٌ شديد ، وإنما معوَّل المؤمنِ الصبر .

وقال : ابنَ آدم ، عن نفسك فكَايِسْ (فكايسْ : من كايسَ ، يقال كايَسني فكِسْتُه أي كنتُ أكْيَس منه ، وفي حديث جابر « إنما كِسْتُك لآخُذَ جملك » أي غَلَبْتُك بالكَيْس . النهاية (كيس) .) ، فإنك إنْ دخلتَ النارَ لم تُجْبَرْ بعدَها أبداً (أخرجه ابن المبارك في الزهد ص(٥٤٥) برقم (١٥٦٤) .) .

وقال ابنُ أبي الدنيا : أنبأ إسحاق بن إبراهيم قال : سمعتُ حمَّاد بن زيد يذكر عن الحسن ، قال : المؤمنُ في الدنيا كالغريب ، لا ينافسُ في عِزِّها (صحفت اللفظة في (ق) إلى « غيرها » والصواب المثبت من مصادر التخريج .) ولا يجزَعُ من ذُلِّها ؛ للناسِ حال ، وله حال ، الناسُ منه في راحة ، ونفسه منه في شُغل (أخرج شطره الأول الآجري في الغرباء ص(٢٣) برقم (٧) ، وذكره ابن القيم بتمامه في مدارج السالكين (٣/ ١٩٧) .) .

وقال : لولا البلاء ما كان في أيام قلائل ما يُهلكُ المرءُ نفسه .

وقال : أدركتُ صدرَ هذه الأمة وَخيارَها ، وطالَ عُمري فيهم ، فواللهِ إنَّهم كانوا فيما أحلَّ اللهُ لهم أزهدَ منكم فيما حرَّم الله عليكم ؛ أدركتُهم عاملينَ بكتابِ رَبِّهم ، مُتَّبعين سنَّةَ نبيِّهم ، ما طوى أحدُهُمْ ثوباً ، ولا جعل بينه وبين الأرضِ شيئاً ، ولا أمرَ أهله بصُنع طعام ؛ كان أحدُهم يدخلُ منْزله ، فإنْ قُرِّبَ إليه شيءٌ أكل ، وإلَّا سكت ، فلا يتكلَّمُ في ذلك (أخرج بعضه ابنَ أبي الدنيا في الورع ص(٥٦) برقم (٤٥) وابن الجوزي في صفة الصفوة (٣/ ٢٢٧) .) .

وقال : إنَّ المنافقَ إذا صلَّى صلَّى رِيَاءً ، أو حياءً من الناسِ أو خَوْفاً ، وإذا صلَّى صلَّى فقراؤهم للدنيا ، وإن فاتَتْهُ الصلاةُ لم يندَمْ عليها ، ولم يحزُنْهُ فواتُها .

وقال الحسن فيما رواه عنه صاحب كتاب « النُكت » : منْ جعلَ الحمد لله على النعم حِصْناً وحابساً ، وجعل أداءَ الزكاةِ على المالِ سياجاً وحارساً ، وجعل العلمَ له دليلاً وسائساً ، أمِنَ العَطَب ، وبلغ أعلى الرُّتَب ؛ ومن كان للمالِ قانصاً ، وله عن الحقوق حابساً ، وشغلَهُ وألهاه عن طاعةِ الله كان لنفسِه ظالماً ، ولقلبِه بما جَنَتْ يداهُ وسلَّطهُ اللهُ على مالِهِ سالباً وخالساً ، ولم يأمَنِ العطَبَ في سائرِ وجودِ الطلب . وقيل : إنَّ هذا لغيره واللهُ أعلم .

وقال الحسن : أربعٌ منْ كُنَّ فيه ألقى الله عليه محبَّتَه ، ونشر عليه رحمتَه : مَنْ رَقَّ لوالديه ، ورَقَّ لِمَمْلُوكِه ، =

. . . .

= وكَفَلَ اليتيم ، وأعان الضعيف .

وسئل الحسنُ عن النفاق فقال : هو اختلافُ السرِّ والعلانية ، والمدخل والمخرج .

وقال : ما خافَهُ إلا مؤمن ، ولا أمِنَهُ إلا منافق . يعني النفاق . وحلف الحسن ما مَضَى مؤمنٌ [قط] ، ولا بقي إلا وهو يخاف النفاق ؛ وفي رواية : إلَّا وهو من النفاق مشفِق ؛ ولا مضى منافقٌ [قط] ولا بقي إلا وهو من النفاق آمن (ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص(٤٣٤) ، وروى أوله ابن القيم في مدارج السالكين (١/ ٣٥٨) .) .

وكتبَ عمرُ بن عبد العزيز إلى الحسن : كيف حبُّك الدينارَ والدرهم ؟ قال : لا أحبُّهما . فكتب إليه : تولَّ فإنك تعدل .

وقال إبراهيم بن عيسى : ما رأيتُ أطولَ حُزْناً من الحسن ، وما رأيتُه قطُّ إلَّا حسبتهُ حديثَ عهدٍ بمصيبة (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ١٣٣) .) .

وقال مسمع : لو رأيتَ الحسن لقلتَ قد بُثَّ عليه حُزنُ الخلائق .

وقال يزيدُ بن حَوْشَب : ما رأيتُ أحزَنَ من الحسنِ وعمرَ بنِ عبد العزيز ، كأنَّ النارَ لم تُخلقْ إلَّا لهما .

وقال ابن أسباط : مكث الحسن ثلاثين سنةً لم يضحكْ ، وأربعين سنةً لم يمزحْ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٢٤٠) ، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٣/ ٢٣٤) .) .

وقال : ما سمع الخلائقُ بعورةٍ بادية ، وعينٍ باكية ، مثلَ يوم القيامة .

وقال : ابنَ آدم ، إنَّك ناظرٌ غداً إلى عملك ، يُوزن خيرُه وشرُّه ، فلا تحقِرَنَّ شيئاً من [الخير وإن هو صَغُر ، فإنَّكَ إذا رأيتَه سرَّكَ مكانُه ، ولا تحقِرَنَّ من] الشرِّ أنْ تتَّقِيَه ، فإنَّكَ إذا رأيتَهُ غداً في ميزانِك ساءَكَ مكانُه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ١٤٣) ، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٣/ ٢٣٥) ، وما مرَّ بين معقوفين والتصحيح منهما .) .

وقال : ذهبتِ الدنيا [يحالي مآلها] وبقيَتْ أعمالُكم قلائدَ في أعناقكم (الحلية (٢/ ١٤٣) ، وما بين معقوفين منه .) .

وقال : ابنَ آدم ، بِعْ دنياك بآخرتِك تربَحْهما جميعاً ، ولا تبعْ أخرتَك بدنياك فتخسرهما جميعاً (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ١٤٣ ، و٧/ ٣٥) ، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٣/ ٢٣٦) .) . وهذا مأثورٌ عن لقمانَ أنه قاله لولدِه .

وقال الحسن : تجدُ الرجلَ قد لبس الأحمر والأبيض ، وقال : هلُمُّوا فانظروا إلي . قال الحسن : قد رأيناك يا أفسق الفاسقين ، فلا أهلاً بكَ ولا سهلاً ؛ فأمَّا أهلُ الدنيا فقدِ اكتسبوا بنظرِهم إليك مزيدَ حرْصٍ على دنياهم ، وجراةً على شهواتِ الغنَى في بطونهم وظهورهم ؛ وأما أهلُ الآخرة فقد كرهوكَ ومقتوك .

وقال : إنَّهم وإنْ هملجتْ بهمُ البَرَاذين ، وزفرَتْ بهمُ البِغالُ ، ووَطِئَتْ أعقابهم الرجال ، إنَّ ذُلَّ المعاصي لا يفارقُ رقابَهم ، يأبَى الله إلا أنْ يُذِلَّ مَنْ عصاه (ذكره ابن القيم في إغاثة اللهفان (١/ ٤٨ و١٨٨) ، والجواب الكافي له ص(٣٨ ، ٣٩) ، بنحوه .) .

وقال فرقد : دخلنا على الحسن فقلنا : يا أبا سعيد ، ألا يعجبك من محمد بن الأهتم ؟ فقال : ما له ؟ فقلنا : دخلنا عليه آنفاً وهو يجودُ بنفسِه فقال : انظروا إلى ذاك الصندوق ـ وأومأ إلى صندوق في جانبِ بيتِه ـ فقال : هذا الصندوق فيه ثمانونَ ألف دينار ـ أو قال درهم ـ لم أؤدِّ منها زكاةً ، ولم أصِلْ منها رحماً ، ولم يأكلْ منها محتاج .

فقلنا : يا أبا عبد الله ، فلِمَنْ كنتَ تجمَعُها ؟ قال : لرَوْعَةِ الزمان ، ومُكاثرةِ الأقران ، وجفوةِ السلطان . فقال : =

. . . .

= انظروا من أين أتاهُ شيطانُه ، فخوَّفَهُ روعةَ زمانِه ومكاثرةَ أقرانِه ، وجفوةَ سلطانِه . ثم قال : أيُّها الوارث ، لا تُخدَعَنَّ كما خُدِعَ صُوَيْحِبُكَ ؛ بالأمس جاءك هذا المال ، لم تتعبْ لك فيه يَمين ، ولم يعرَقْ لكَ فيه جَبين ، جاءك ممن كان له جَمُوعاً مَنُوعاً ، من باطلِ جمعَه ، من حقٍّ مَنَعَه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ١٤٥) بنحوه .) . ثم قال الحسن : إنَّ يومَ القيامةِ لذو حَسَرات ؛ الرجل يجمَعُ المالَ ثم يموتُ ويدَعُهُ لغيرِه ، فيرزقه الله فيه الصلاحَ والإنفاق في وجوهِ البِرّ ، فيجدُ مالَه في ميزانِ غيرِه . وكان الحسن يتمثل بهذا البيت في أول النهار يقول :

ومـا الـدنيـا ببـاقيـةٍ لحـيٍّ ولا حـيٌّ علـى الـدنيـا ببـاقِ

وبهذا البيت في آخر النهار :

يسرُّ الفتى ما كان قدَّم من تُقًى إذا عـرفَ الـداءَ الـذي هـو قـاتِلُـهْ

(ذكر البيتين البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٤٠٨) .)

ولد الحسن في خلافةِ عمرَ بنِ الخطاب وأُتيَ به إليه ، فدعا له وحنَّكه ، ومات بالبصرة في سنة عشرٍ ومئة . والله سبحانه وتعالى أعلم .

محمد بن سيرين (تقدمت مصادر ترجمته في ص(١٠٧) حاشية (٣) .) أبو بكر بن أبي عمرو الأنصاري : مولى أنس بن مالك النَّضْري . كان أبوه من سَبْي عينِ التَّمْر . أسرَهُ في جملةِ السَّبْي خالدُ بنُ الوليدُ ، فاشتراه أنس ، ثم كاتَبَه ، وقد وُلد له من الأخيار جماعةٌ : محمد هذا ، وأنس بن سيرين ، ومَعْبد ، ويحيى ، وحفصة ، وكريمة ، وكلُّهمْ تابعيُّونَ ، ثقاتٌ أجلاّء ، رحمهم الله تعالى .

قال البخاري (انظر ما سبق في ص(١٠٨) موضع الحاشية (١) .) : ولد محمد لسنتَيْنِ بقيتا من خلافة عثمان . وقال هشام بنِ حسان : هو أصدقُ مَنْ أدركتُ من البشر . وقد تقدم هذا كلُّه فيما ذكره المؤلف .

كان ابنُ سيرين إذا ذُكر عنده رجلٌ بسُوءٍ ذَكَرَهُ بأحسنِ ما يَعلم .

وقال خلف بن هشام : كان محمد بن سيرين قد أُعْطِيَ هَدْياً وسَمْتاً وخُشوعاً . وكان الناس إذا رأوهُ ذَكَروا الله . ولما ماتَ أنسُ بن مالك أوصَى أنْ يغسِّلَه محمد بن سيرين ؛ وكان محمدٌ محبوساً ، فقالوا له في ذلك ، فقال : أنا محبوس . فقالوا : قد استأذنّا الأميرَ في إخراجِك . قال : إنَّ الأمير لم يحبِسْني إنما حبسني مَنْ له الحق ، فأذِنَ له صاحبُ الحقِّ ، فغسَّله .

وقال يونس : ما عرضَ لمحمد بن سيرين أمرانِ إلَّا أخذ بأوثقِهما في دِينه ، وقال : إني لأعلمُ الذنبَ الذي حُملتُ بسببه ، إني قلتُ يوماً لرجلٍ يا مُفْلس . فذُكر هذا لأبي سليمان الداراني ، فقال قلَّتْ ذنوبُهم فعرفوا من أين أُتوا . ومثلُنا قد كثرتْ ذنوبنا فلم نَدْرِ من أين نُؤتى ، ولا بأيِّ ذنبٍ نُؤخذ (انظر سير أعلام النبلاء (٤/ ٦١٦) .) .

وكان إذا دُعيَ إلى وَلِيمة يدخلُ منزلَهُ فيقول : ائتوني بشربةِ سَوِيق . فيشربها ويقول : إنِّي أكرَهُ أنْ أحملَ جُوعي إلى موائدهم وطعامِهم .

وكان يدخلُ السوقَ نصفَ النهار ، فيكبِّرُ الله ويسبِّحُه ويذكره ويقول : إنَّها ساعةُ غَفلةِ الناس . وقال : إذا أراد الله بعبدٍ خيراً جعلَ له واعظاً من قلبه ، يأمرُه وينهاه .

وقال : ظلمٌ لأخيك أن تذكرَ منه أسوأ ما تعلمُ منه ، وتكتم خيرَه .

وقال : العُزْلة عبادة . وكان إذا ذكر الموتَ ماتَ منه كلُّ عضو على حِدَتِه . وفي رواية : كان يتغيَّرُ لَوْنه ، ويُنكَرُ حالُه ، حتى كأنه ليس بالذي كان .

وكان إذا سئل عن الرؤيا قال للسائل : اتَّقِ اللهَ في اليقظة ، ولا يغرَّكَ ما رأيتَ في المنام . =

. . . .

= وقال له رجل : رأيتُ كأني أصبُّ الزيتَ في الزيتون . فقال : فتِّشْ على امرأتك ، فإنَّها أُمُّك . ففتَّشَ فإذا هي أمُّه ، وذلك أنَّ الرجلَ أُخِذَ من بلادِه صغيراً سَبِيّاً ، ثم مكثَ في بلاد الإسلام ، إلى أن كَبِر ، ثم سُبِيَتْ أمُّه ، فاشتراها جاهلاً أنَّها أمُّه ، فلما رأى هذه الرؤيا وذكرها لابنِ سيرين ، فأمره أن يفتِّش على ذلك ، ففتَّش فوجدَ الأمرَ على ما ذكرَه .

وقال له آخر : رأيتُ كأني دَسْت ، أو قال : وطئتُ تمرةً فخرجتْ منها فأرة . فقال له : تزوَّج امرأةً . أو قال : تطأُ امرأةً صالحةً تلِدُ بنتاً فاسقة . فكان كما قال .

وقال له آخر : رأيتُ كأنَّ على سطح بيتي حبَّاتُ شعير ، فجاء ديكٌ فلقَطَها . فقال له : إنْ سُرق لك شيءٌ في هذه الأيام فأتِني . فوضعوا بساطاً على سطحهم ، فسُرق ؛ فجاء إليه فأخبره ، فقال : اذهبْ إلى مؤذِّن محلَّتِك ، فخذْهُ منه . فجاء إلى المؤذِّن ، فأخذَ البِساطَ منه .

وقال له رجل : رأيتُ الحمَامَ تلقُطُ الياسمين . فقال : مات علماءُ البصرة .

وأتاه رجلٌ فقال : رأيتُ رجلاً عُرْياناً واقفاً على مزبلة ، وبيده طُنْبورٌ يضربُ به ، فقال له ابنُ سيرين : لا تصلحُ هذه الرؤيا في زمانِنا هذا إلا للحسَنِ البصري . فقال : الحسَن هو واللهِ الذي رأيت . فقال : نعم ، لأنَّ المزبلةَ الدنيا ، وقد جعلها تحتَ رجلَيْهِ وعُرْيُه تجرُّده عنها ، والطُّنبور يضرب به هي المواعظُ التي يَقْرَعُ بها آذانَ الناس .

وقال له آخر : رأيتُ كأنِّي أستاكُ والدمُ يَسيل . فقال له : أنت رجلٌ تقعُ في أعراض الناس ، وتأكلُ لحومَهم ، وتخرج في بابه وتأتيه (كذا في الأصول ولم نقف على مصدر للخبر .) .

وقال له آخر : رأيتُ كأني أرى اللؤلؤ في الحَمْأة . فقال له : أنت رجلٌ تضعُ القرآنَ والعلم عندَ غيرِ أهلِه ومَنْ لا ينتفعُ به .

وجاءته امرأةٌ فقالتْ رأيتُ كأنَّ سِنَّوْراً أدخل رأسَه في بطنِ زوجي فأخذَ منه قطعةً . فقال لها ابن سيرين : سُرق لزوجِك ثلاثُ مئةِ درهم وستةَ عشرَ درهماً . فقالت : صدقت ، من أين أخذته ؟ فقال : من هجاء حروفه ، وهي حسابُ الجُمَّل ؛ فالسين ستون ، والنون خمسون ، والواو ستة ، والراء مئتان ، وذلك ثلاث مئة وستة عشر ، وذكرت السِّنَّور أسودَ ، فقال : هو عبدٌ في جوارِكم . فالزموا عبداً أسود كان في جوارِهم ، وضُرب فأقرَّ بالمال المذكور .

وقال له رجل : رأيتُ لحيتي قد طالتْ وأنا أنظرُ إليها . فقال له : أمؤذِّنٌ أنت ؟ قال : نعم . قال له : اتق الله ولا تنظرْ إلى دُور الجيران .

وقال له آخر : رأيتُ كأنَّ لحيتي قد طالتْ حتى جزَزْتُها ونسجتُها كساءً وبعتُهُ في السوق . فقال له : اتقِ الله فإنَّك شاهدُ زور .

وقال له آخر : رأيتُ كأني آكلُ أصابعي . فقال له : تأكلُ من عمل يدِك .

وقال لرجل : انظرْ هل ترى في المسجد أحداً ؟ فذهب فنظر ثم رجع إليه فقال : ليس في المسجد أحد . فقال : أليس أمرتُك أنْ تنظرَ هل ترى أحداً قد يكون في المسجد من الأمراء ؟

وقال عن رجلٍ ذُكر له : ذلك الأسود ؟ ثم قال : أستغفرُ الله ، ما أراني إلا قد اغتبتُ الرجل . وكان الرجل أسود .

وقال : اشترك سبعةٌ في قتل امرأة، فقتلهم عمر ، فقال : لو أنَّ أهلَ صنعاء اشتركوا في قتلِها لأبَدْتُ خضراءَهم].

وفيها توفي :

وَهْبُ بن مُنَبِّه اليَمَاني[١] : تابعيٌّ جليل ، وله معرفةٌ بكُتُبِ الأوائل ؛ وهو يُشْبه كعب الأحبار ؛ وله صلاحٌ وعبادة ، وتُروى عنه أقوالٌ حسنة ، وحِكَمٌ ومواعظ . وقد بسَطْنا ترجمته في كتابنا « التكميل » ولله الحمد .

قال الواقدي[٢] : تُوفي بصنعاء سنة عشرٍ ومئة . وقال غيره : بعدَها بسنة . وقيل بأكثر ، والله أعلم . ويزعم بعضُ الناس أنَّ قبرَهُ غربيٌّ بصري بقريةٍ يُقال لها عُصْم[٣] ؛ ولم أجدْ لذلك أصلاً . والله أعلم[٤] .

---

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٥/ ٥٤٣) ، تاريخ خليفة ص(٣٤٠) ، طبقات خليفة ص(٢٨٧) ، الزهد للإمام أحمد ص(٣٧١) ، التاريخ الكبير (٨/ ١٦٤) ، المعارف ص(٤٥٩) ، الجرح والتعديل (٩/ ٢٤) ، ثقات ابن حبان (٥/ ٤٨٧) ، حلية الأولياء (٤/ ٢٣) ، طبقات الشيرازي ص(٧٤) ، الأنساب (١/ ١٢٢) ، صفة الصفوة (٢/ ٢٩١) ، المختار من مناقب الأخيار (٥/ ١٠٨) ، معجم الأدباء (١٩/ ٢٥٩) ، وفيات الأعيان (٦/ ٣٥) ، مختصر تاريخ دمشق (٢٦/ ٣٨٥) ، تهذيب الكمال (٣١/ ١٤٠) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٤٤) ، تذكرة الحفاظ (١/ ١٠٠) ، ميزان الاعتدال ، (٤/ ٣٥٢) ، تهذيب التهذيب (١١/ ١٦٦) ، طبقات الحفاظ ص(٤١) ، طبقات الشعراني (١/ ٤٠) ، الكواكب الدرية (١/ ٤٧٧) ، شذرات الذهب (١/ ١٥٠) .

(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ٥٤٣) .

(٣) عُصْم : حصن لبني زبيد باليمن . معجم البلدان (٤/ ١٢٨) .

(٤) هنا تبدأ زيادة أخرى من زيادات نسخة (ق) وليست في (ب ، ح) ، وهي :

[أدرك وَهْبُ بن مُنَبِّه عدَّةً من الصحابة ، وأسندَ عن ابن عباس ، وجابر ، والنعمان بن بشير . وروى عن معاذ بن جَبَل ، وأبي هريرة ، وعن طاوس . وعنه من التابعين عدَّة .

وقال وَهْب : مَثَلُ مَنْ تعلَّم علماً لا يعمل به كمثَلِ طبيبٍ معه شفاءٌ لا يتداوى به .

وعن مُنير مولى الفضل بن أبي عياش قال : كنتُ جالساً مع وَهْب بن مُنَبِّه فأتاه رجلٌ فقال له : إني مررتُ بفلانٍ وهو يشتُمُك . فغضِبَ وقال : ما وَجَد الشيطانُ رسولاً غيرَك ؟ فما برحتُ من عندِه حتى جاءه ذلك الشاتم ، فسلَّم على وهب ، فردَّ عليه السلام ، ومدَّ يدَه إليه وصافحه وأجلسهُ إلى جنبه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٧١) ، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٢٩٥) .) .

وقال ابن طاوس : سمعتُ وهباً يقول : ابنَ آدم ، احتلْ لدينك ، فإنَّ رزقكَ سيأتيك (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٧٢) .) .

وقال وهب : كُسي أهلُ النار ، والعُرْيُ كان خيراً لهم ، وطَعِموا والجوعُ كان خيراً لهم ، وأُعطوا الحياةَ والموتُ كان خيراً لهم (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٧١) .) .

وقال : قال داود عليه السلام : اللهمَّ أيُّما فقيرٍ سأل غَنِيّاً فتصامَّ عنه فأسألك إذا دعاك فلا تُجِبْه ، وإذا سألك فلا تُعطِه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٧١) .) .

وقال : قرأتُ في بعضِ كُتب الله : ابنَ آدم ، لا خيرَ لك في أنْ تعلمَ ما لم تعلمْ ، ولم تعملْ بما قد علمت ؛ فإنَّ مثلك كمثَلِ رجلٍ احتطب حَطباً ، فحزم حُزمةً ، فذهب يحملُها فعجز عنها ، فضمَّ إليها أخرى (أخرجه أبو نعيم في =

. . . .

= الحلية (٤/ ٧١) .) .

وقال : إنَّ لله ثمانية عشر ألف عالَم ، الدنيا منها عالمٌ واحد ، وما العِمَارةُ في الخراب إلا كفُسْطاطٍ في الصحراء (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٧٠) .) .

وروى الطبراني عنه أنه قال : إذا أردتَ أن تعملَ بطاعةِ الله عزَّ وجلَّ ، فاجتهدْ في نُصحك وعملك لله ، فإنَّ العملَ لا يقبلُ ممنْ ليس بناصح ، والنُّصْحُ لله لا يكمُل إلا بطاعةِ الله ، كمثَل الثمرة الطَّيِّبة ، ريحُها وطعمُها ، كذلك مثلُ طاعةِ الله ، النُّصح ريحُها ، والعمَل طعمُها . ثم زَيِّنْ طاعتَك بالحِلْم والعقل ، والفِقْه والعمَل ؛ ثم أَكْبِرْ نفسَك عن أخلاق السفهاء ، وعبيدِ الدنيا ، وعبِّدْها على أخلاقِ الأنبياء والعلماء العاملين ، وعَوِّدْها فعلَ الحكماء ، وامنَعْها عمَلَ الأشقياء ، وألزِمْها سيرةَ الأتقياء واعزُبْها (في الحلية : « فاعزلها » .) عن سُبلِ الخبثاء ؛ وما كان لك من فَضْل فأعِنْ به مَنْ دونك ، وما كان فيمن دونك من نَقْص فأعِنْهُ عليه حتى يبلغَه ، فإنَّ الحكيمَ منْ جَمَعَ فواضلَه ، وعاد بها على منْ دونه . وينظُر في نقائصِ ، دونَه فيقوِّيها ، ويُرَجِّبُها حتى يبلغَه ؛ إنْ كان فقيهاً حمَلَ منْ لا فقه له إذا رأى أنه يريدُ صحابته ومعونتَه ، وإذا كان له مالٌ أعطى منه منْ لا مالَ له ، وإذا كان مصلحاً استغفر للمذنب ورجا تَوْبته ، وإذا كان محسناً أحسنَ إلى منْ أساء إليه ، واستوجبَ بذلك أجرَه ؛ ولا يغترّ بالقول حتى يُحسن منه الفعل ، فإذا أحسنَ الفعلَ نظرَ إلى فَضْلِ الله وإحسانِه إليه ؛ ولا يتمنَّى الفعلَ حتى يفعله ، فإذا بلغ من طاعةِ الله مبلغاً حَمِدَ الله على ما بلغَ منها فيها ؛ ثم طلَبَ ما لم يبلغْ منها ، وإذا ذكر خطيئةً سترَها عن الناس ، واستغفر اللهَ الذي هو قادرٌ على أن يغفرَها ، وإذا علم من الحكمة شيئاً لم تُشْبِعْهُ ، بل يطلبُ ما لم يبلغْ منها ، ثم لا يستعين بشيءٍ من الكذب ، فإنَّ الكذب كالأَكَلَةِ في الجسد ، تكادُ تأكلُه ، أو كالأَكَلَةِ في الخشب ، يُرى ظهرُها حسناً ، وجوفها نَخِرٌ ، تَغُرُّ من يراها حتى تنكسر على ما فيها ، وتُهلك من اغترَّ بها ؛ وكذلك الكذب في الحديث ، لا يزالُ صاحبُه يغترُّ به ، يظنُّ أنَّهُ مُعينُه على حاجته ، ورائدٌ له في رغبته ، حتى يعرفَ ذلك منه ، ويتبيَّن لذوي العقول غرورُه . فتستنبط الفقهاءُ ما كان يستخفي له عنه ، فإذا اطلعوا على ذلك من أمره ، وتبيَّن لهم كذَّبوا خبَرَه ، وأباروا شهادتَه ، واتهموا صِدْقَه ، وحقروا شأنه ، وأبغضوا مجلسَه ، واستخفُّوا منه بسرائرِهم . وكتموهُ حديثَهم ، وصرفوا عنه أماناتِهم ، وغيَّبوا عنه أمرَهم ، وحَذِروه على دينهم ومعيشتِهم ، ولم يحضروه شيئاً من محاضرهم ، ولم يأمنوه على شيءٍ من سرِّهم ، ولم يُحَكِّموه فيما شجر بينهم (أخرجه بطوله أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٦ ، ٣٧) .) .

وروى عبدُ المنعم بن إدريس عن أبيه ، عن وَهْب ، قال : قال لقمانُ لابنه : إنَّ مثلَ أهلِ الذِّكر والغفلة كمَثَل النُّور والظُّلمة .

وقال : قرأتُ في التوراة أربعةَ أسطرٍ متواليات : منْ قرأ كتابَ الله ، فظنَّ أنه لا يُغفر له فهو من المستهزئين بآيات الله ؛ ومنْ شكا مصيبةً نزلَتْ به ، فإنما يشكو ربَّه عزَّ وجلَّ من أسفٍ على ما فاته من الدنيا ، سخِطَ قضاءَ ربِّه عزَّ وجلّ ، ومن تَضَعْضَع لِغَنِيٍّ ذهب ثلثُ (في شعب الإيمان : « ثلثا » .) دينه (أخرجه الإمام أحمد في الزهد ص(٨٥) ، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢١٣) برقم (١٠٠٤٣) .) .

وقال وهب : قرأتُ في التوراة : أيُّما دارٍ بُنيت بقوةِ الضعفاء جُعلت عاقبتُها إلى الخراب ؛ وأيُّما مالٍ جُمع من غيرِ حلِّه أسرع الفقر إلى أهله .

وقال عبد الله بن المبارك (في كتابه الزهد ص(١٠٨) برقم (٣١٨) .) : حدَّثنا معمر عن محمد بن عمرو ، قال : سمعتُ وَهْبَ بن مُنَبِّه يقول : وجدتُ في بعض الكتب ؛ يقول الله تعالى : إذا أطاعني عبدي استجبتُ له من =

....

= قَبْلِ أنْ يدعُوَني ، وأعطيتُه من قبلِ أن يسألني ؛ وإنَّ عبدي إذا أطاعني ، لو أنَّ أهلَ السماواتِ وأهلَ الأرض أجلبوا عليه جعلتُ له المخرجَ من ذلك ؛ وإنَّ عبدي إذا عَصَاني قطعتُ يدَيْهِ من أبوابِ السماء ، وجعلتُه في الهواء ، فلا يمتنعُ من شيءٍ أرادَهُ مِنْ خَلْقي (وأخرجه أيضاً أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٨) .) .

وقال ابنُ المبارك أيضاً (في كتابه الزهد ص(١٦١) برقم (٤٧٠) .) : حدّثنا بكّارُ بنُ عبد الله ، قال : سمعتُ وَهْبَ بن مُنبِّه يقول : قال الله تعالى فيما يَعيبُ به أحبارَ بني إسرائيل : تفقَّهون لغير الدين ، وتتعلَّمون لغير العمل ، وتبتغونَ (في (ق) والزهد لابن المبارك : « وتبتاعون » ، وفي الحلية : « وتتنازعون » ، والمثبت من الزهد لأحمد .) الدنيا بعمل الآخرة ، وتلبسون جلودَ الضأن ، وتخفون أنفس الذئاب ، وتنفون القَذَى من شرابكم (في (ق) : « وتحملون نفس الذباب ، وتتغذون الغذاء من شرابكم » وهو تصحيف ، والمثبت من الزهد لابن المبارك .) ، وتبتلعون أمثالَ الجبالِ من الحرام ، وتُثقلون الدِّينَ على الناس أمثالَ الجبال ، ثم لا تعينونَهم برفع الخناصر ؛ تطيلون الصلاة ، وتبيِّضون الثياب ، تنتقصون بذلك مالَ اليتيم والأرمَلة ؛ فبعزَّتي حلفتُ ، لأضربنَّكم بفتنةٍ يَضِلُّ فيها رأيُ ذي الرأي ، وحكمةُ الحكيم (وأخرجه أيضاً الإمام أحمد في الزهد ص(٥٣) ، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٨ ، ٣٩) .) .

وقال الطبراني : حدّثنا عبد الله بن محمد الصنعاني ، حدّثنا همَّام بن مَسْلَمة ، حدّثنا غَوْث بن جابر ، حدّثنا عَقيل بن مَعْقل ، قال : سمعتُ وهبَ بن مُنبِّه يقول : إنَّ الله ليس يَحْمَدُ أحداً على طاعة ، ولا ينالُ أحدٌ من الله خيراً إلا برحمته ، وليس يرجو الله خيرَ الناسِ ولا يخافُ شرَّهم ، ولا يعطِفُ الله على الناس إلا برحمتِهِ إياهم ، إنْ مَكَروا به أبادَ مكرَهم ، وإنْ خادعوه ردَّ عليهم خداعَهم ، وإنْ كاذبوه كُذِب بهم ، وإن أدبروا قطعَ دابرهم ، وإن أقبلوا قَبِل منهم ، ولا يقبلُ منهم شيئاً من حيلة ، ولا مَكْر ، ولا خداع ، ولا سُخط ، ولا مشادَّة ، وإنما يأتي بالخير من الله تعالى رحمتُه (في الحلية : « ولا يستخرج أحد من الله شيئاً من الخير بحيلةٍ ولا مكرٍ ولا مخادعةٍ ولا أوبةٍ ولا سخطٍ ولا مشاورةٍ ولكن يأتي بالخير من الله رحمته » .) ؛ ومَنْ لم يبتغِ الخيرَ من قبلِ رحمته لا يجدُ باباً غيرَ ذلك يدخلُ منه ؛ فإنَّ الله تعالى لا ينالُ الخيرَ منه إلا بطاعته ، ولا يعطِفُ الله على الناس شيئاً إلا تعبدهم له ، وتضرعهم إليه حتى يرحمهم ، فإذا رَحِمَهم استخرجتْ رحمتُه منه حاجتَهم ، وليس ينالُ الخيرَ من الله مِنْ وجهٍ غير ذلك ، وليس إلى رحمة الله سبيلٌ تؤتى من قِبَله إلا تعبدَ العبادَ له وتضرعهم إليه ، فإنَّ رحمةَ الله عزَّ وجلَّ بابُ كلِّ خير يُبتغَى من قِبَلهِ ، وإنَّ مفتاحَ ذلك البابِ التضرُّعُ إلى الله عزَّ وجلَّ ، والتعبُّد له ؛ فمنْ تركَ المفتاحَ لم يُفتحْ له ؛ ومن جاء بالمفتاح فُتح له به ؛ وكيف يُفتح البابُ بغير مفتاح ؟ ولله خزائنُ الخيرِ كلِّه ، وبابُ خزائنِ الله رحمتُه . ومفتاحُ رحمةِ الله التذلُّلُ والتضرُّع والافتقار إلى الله ؛ فمنْ حَفِظ ذلك المفتاح فُتحت له الخزائن ودخل ، فله فيها ما تشتهي الأنفس ، وتلذُّ الأعين ، وفيها ما تشاؤون ، وما تدعونَ في مقامٍ أمين ، لا يجلون عنه ، ولا يخافون ، ولا يَنْصَبُون ، ولا يَهرمون ، ولا يفتقرون ، ولا يموتون ، في نعيمٍ مقيمٍ ، وأجرٍ عظيم ، وثوابٍ كريم ، نزلاً من غفورٍ رحيم (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٩ ، ٤٠) .) .

وقال سفيان بن عُيَينة : قال وهب : أعونُ الأخلاقِ على الدِّين الزهادةُ في الدنيا ، وأسرعُها ردّاً اتباعُ الهوى ، وحبُّ المالِ والشرف ؛ ومِنْ حُبِّ المالِ والشرف تُنتهكُ المحارم ، ومن انتهاكِ المحارم يَغضَبُ الربّ ، وغضَبُ الله ليس له دواء (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٤١) .) .

وقال : يقولُ الله تعالى في بعضِ كتبه يعتبُ به بني إسرائيل : إني إذا أُطعت رَضيت ، وإذا رَضيتُ باركتُ ، وليس=

. . . .

= لَبَركتي نهاية ، وإذا عُصيت غَضبت ، وإذ غضبت لعنتُ ، وإنَّ اللعنةَ مني تبلغُ السابعَ من الولد (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٤١) ، وأبو الفرج بن الجوزي في ذم الهوى ص(١٨٢) ، وابن القيم في الجواب الكافي ص(٣٤) .) .

وقال : كان في بني إسرائيل رجلٌ عصى الله عزَّ وجلَّ مئتي سنة ، ثم مات ، فأخذوا برِجلِه فألقَوْهُ على مزبلة ، فأوحى الله إلى موسى أنْ صلِّ عليه ، فقال : يا ربِّ ، إنَّ بني إسرائيل شهدوا أنه قد عصاك مئتي سنة . قال الله له : نعم هكذا كان ، إلا أنه كان كلَّما نَشَر التوراةَ ورأى اسم محمد ﷺ قبَّله ووضعَهُ على عينيه ، وصلَّى عليه ، فشكرتُ ذلك له ، فغفرتُ له ذنوبَه ، وزوَّجته سبعين حَوْراء ، كذا رُوي ، وفيه عِلَل ، ولا يصحُّ مثلُه ، وفي إسناده غرابة ، وفي مَتْنه نَكارةٌ شديدة (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٤٢) .) .

وروى ابنُ إدريس عن أبيه ، عن وهب قال : قال موسى : يا رب ، احبِسْ عنِّي كلامَ الناس ، فقال الله له : يا موسى ، ما فعلتُ هذا بنفسي (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٤٢) .) .

وقال : لما دُعي يوسفُ إلى الملِك وقف بالباب وقال : حَسْبي ديني من دنياي ، حَسْبي رَبِّي من خَلْقِه ، عزَّ جارُك ، وجلَّ ثناؤك ، ولا إله غيرك . ثم دخلَ على الملك ، فلما نظر إليه الملك نزَل عن سريره ، وخرَّ له ساجداً ، ثم أقعدَه الملكُ معه على السرير وقال : ﴿ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف : ٥٤ ـ ٥٥] ، حفيظٌ بهذه السنين وما استودعتَني فيها ، عليمٌ بلغةِ منْ يأتيني (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٤٢) .) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا منذرُ بن النعمان الأفطس ، أنه سمع وَهْباً يقول : لما أمرَ الله الحوت أن لا يضرَّه ، ولا يكلِّمَه ـ يعني يونس ـ قال : ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الصافات : ١٤٣ ـ ١٤٤] ، قال : من العابدين قبل ذلك ، فذكَّره الله بعبادتِه المتقدِّمة ، فلما خرج من البحر نام ، فأنبت الله شجرةً من يَقْطين ، وهو الدُّبَّاء ، فلما رآها قد أظلَّته ، ورأى خُضْرتها فأعجبَتْه ، ثم نام ، فاستيقظ فإذا هي قد يَبِسَتْ ، فجعل يتحزَّنُ عليها ، فقيل له : أنت لم تخْلُقْ ، ولم تسقِ ، ولم تُنبت ، وتحزَنُ عليها !؟ وأنا الذي خلقتُ مئةَ ألفٍ من النار أو يزيدون ، ثم رَحِمْتُهم ، فشقَّ ذلك عليك (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٤٢ ، ٤٣) ، وذكره القرطبي في تفسيره (١٥/ ١٣٠) بنحوه .) ؟!

وقال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن خالد الغسَّاني ، حدثنا رباح ، حدثني عبد الملك بن عبد المجيد بن خشك ، عن وهب ، قال : لما أُمر نوح أن يحمل من كل زوجين اثنين قال : يا رب ، كيف أصنع بالأسد والبقر ؟ وكيف أصنع بالعناق والذئب (العناق : الأنثى من أولاد المعزى إذا أتت عليه سنة .) ؟ وكيف أصنع بالحمام والهرِّ ؟ قال : من ألقى بينهم العداوة ؟ قال : أنت يا رب . قال : فإني أؤلِّف بينهم حتى لا يتضرَّرون (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٤٣) .) .

وقال وهب لعطاء الخراساني : ويحك يا عطاء ! ألم أُخبَرْ أنك تحمل علمك إلى أبواب الملوك وأبناء الدنيا وأبواب الأمراء ؟! ويحك يا عطاء ، أتأتي من يغلق عنك بابه ، ويُظهرُ لك فقرَه ، ويواري عنك غناه ، وتترك باب من يقول : ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] ؟ ويحك يا عطاء ، إن كان يغنيك ما يكفيك ، فأوهَى (في الحلية : (فأدنى) وهو أشبه بالصواب .) ما في الدنيا يكفيك ، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك ، فليس في الدنيا شيء يكفيك . ويحك يا عطاء ، إنما بطنك بحر من البحور ، ووادٍ من الأودية ، لا يَملؤه شيءٌ إلَّا التراب (أخرجه=

. . . .

= أبو نعيم في الحلية (٤/ ٤٣) .) .

وسئل وَهْبٌ عن رجلين يصليان ، أحدهما أطول قنوتاً وصمتاً ، والآخر أطول سجوداً ، فأيُّهما أفضل ؟ فقال : أنصَحُهما لله عز وجل (المصدر السابق .) .

وقال : من خصال المنافق أن يحبَّ الحمدَ ويكرَهَ الذمَّ ، أيْ يحبُّ أنْ يحمدَ على ما لم يفعلْ ، ويكره أن يُذَمَّ بما فيه .

قال : وقال لقمان لابنه : يا بني ، اعقل عن الله ، فإن أعقل الناس من عقل عن الله ، وإن الشيطان ليَفِرُّ من العاقل ، ما يستطيعُ أن يكايدَه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٥) .) .

وقال لرجل من جلسائه : ألا أُعلِّمُكَ طِبّاً لا يتعايا فيه الأطباء ، وفقهاً لا يتعايا فيه الفقهاء ، وحلماً لا يتعايا فيه الحُلَمَاء ؟ قال : بلى يا أبا عبد الله . قال : أما الطبُّ فلا تأكلْ طعاماً إلا سَمَّيتَ الله على أوَّله ، وحَمِدْتَهُ على آخره ؛ وأما الفقه فإنْ سئلتَ عن شيءٍ عندك فيه علمٌ فأخبِرْ بما تعلم ، وإلا فقل لا أدري ، وأمَّا الحِلْم فأكثِرِ الصَّمْت ، إلَّا أن تُسألَ عن شيء (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٥) .) .

وقال : إذا كان في الصبيِّ خُلُقان : الحياءُ والرَّهْبة ، طُمِعَ في رُشْدِه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٦) .) .

وقال : لما بلغ ذو القرنين مطلع الشمس قال له ملك هناك : صف لي الناس . فقال : محادثتك من لا يعقل كمن يُغَنِّي لموتى (في الحلية (محادثتك من لا يعلم كمن يعلم الموتى) .) ، ومحادثتك مَن لا يعقل كمن يَبُلُّ الصخر الأصمَّ كي يَلين ، وكمن يطبخُ الحديدَ يلتَمسُ أُدْمَه ، ومحادثتك من لا يعقل (في الحلية « ومحادثتك من لا يُصغي » .) كَمَنْ يضعُ المائدة لأهلِ القبور ، ونقلُ الحجارة من رؤوسِ الجبال أيسرُ من محادثتك مَنْ لا يعقل (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٦) .) .

وقال : قرأت في بعض الكتب أنَّ منادياً ينادي من السماء الرابعة كل صباح : أبناء الأربعين ، زرعٌ قد دَنَا حصادُه ؛ أبناء الخمسين ، ماذا قدّمتم ؟ أبناءَ الستين ، لا عُذْرَ لكم . ليت الخلق لم يُخلقوا ، وليتهم إذ خُلقوا عَلِموا لماذا خلقوا ، قد أتتكم الساعة ؛ فخذوا حِذْرَكم (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٣) ، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٢٩٣) .) .

وقال : قال دانيال : يا لهفي على زمنٍ يُلتمسُ فيه الصالحون فلا يوجد منهم أحد إلا كالسنبلة في أثرِ الحاصد ، أو كالخصلة في أثر القاطف ، يوشكُ نوائح أولئك وبواكيهم أن تبكيَهُم (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٣) .) .

وروى عبد الرزاق عن عبد الصمد بن معقل ، قال : سمعتُ وَهْباً يقولُ في قوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [الأنبياء : ٤٧] قال : إنما يوزن من الأعمال خواتيمُها ، وإذا أراد الله بعبدٍ خيراً ختمَ له بخيرِ عمَلِه ، وإذا أراد الله بعبدٍ شرّاً ختم له بشرِّ عمله (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٣) .) .

وقال وَهْب : إن الله تعالى لما فرغ من الخَلْق نظرَ إليهم حين مَشَوا على وجهِ الأرض فقال : أنا الله لا إله إلا أنا الذي خلقتُكم وأُفنيكم بحُكْمي ، حَقٌّ قضائي ، ونافذٌ أمري ، أنا أُعيدكم كما خلقتكم وأفنيكم ، حتى أبقى وَحْدي ، فإن الملك والخلود لا يحق إلا لي ، أدعو خَلْقي ، وأجمعهم بقضائي يوم أحشرُ أعدائي ، وتَجِلُّ القلوبُ من هيبتي ، تتبرَّأ الآلهةُ ممن عَبَدَها دوني (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٤) .) .

قال : وذكر وهب ، أن الله لما فرغ من خَلْقِه يوم الجمعة أقبل يوم السبت فمدح نفسه بما هو أهله ، وذكر عَظَمَته =

. . . .

= وجبروته وكبرياءه وسلطانه وقدرته وملكه وربوبيَّته، فأنصَتَ كلُّ شيءٍ وأطرق له، فقال : أنا الملك لا إله إلا أنا ، ذو الرحمة الواسعة ، والأسماء الحسنى ، أنا الله لا إله إلا أنا ، ذو العرش المجيد ، والأمثال العلا ، أنا الله لا إله إلا أنا ، ذو الطول والمنِّ والآلاء والكبرياء ، أنا الله لا إله إلا أنا بديع السموات والأرض ، ملأت كلَّ شيءٍ عظمتي ، وقَهَر كلَّ شيءٍ مُلكي ، وأحاطت بكل شيءٍ قدرتي ، وأحصى كل شيءٍ علمي ، ووسعت كلَّ شيءٍ رحمتي ، وبلغ كل شيءٍ لُطفي ، فأنا الله يا معشر الخلائق فاعرفوا مكاني ، فليس شيء في السماوات والأرضين إلا أنا وخَلقي ، كلهم لا يقومُ ولا يدومُ إلَّا بي ، ويتقلَّبُ في قبضتي ، ويعيش برزقي ، وحياتُهُ وموته وبقاؤه وفناؤه بيدي ، فليس له مَحِيص ولا ملجأ غيري ، لو تخلَّيتُ عنه طرفة عينٍ لدُمِّر كُلُّه ، وكنت أنا على حالي ، لا ينقُصني ذلك شيئاً ، ولا يُنقص ذلك ملكي شيئاً وأنا مستغنٍ بالعزِّ كلِّه في جبروتي وملكي ، وبرهان نوري ، وشديد بطشي ، وعلوّ مكاني ، وعظمة شأني ، فلا شيء مثلي ، ولا إلَه غيري ، وليس ينبغي لشيءٍ خلقتُه أن يعدِلَ بي ، ولا ينكرُني ، وكيف ينكرني مَن خلقتُه يوم خلقتُه على معرفتي ؟ أم كيف يكابرني من قهرَهُ ملكي ؟ أم كيف يُعجزني مَن ناصيتُه بيدي ؟ أم كيف يعدلُ بي من أُعمِّره وأسقمُ جسمَه ، وأنقص عقلَه ، وأتوفَّى نفسه ، وأخلقه وأهرمه ، فلا يمتنعُ مني ؟ أم كيف يستنكفُ عن عبادتي عبدي وابنُ عبدي وابن أَمَتِي ؟ ومَن لا ينسب إلى خالقٍ ولا وارثٍ غيري ؟ أم كيف يعبدُ دوني من تُخلقه الأيام ، ويُفنِي أجلَهُ اختلاف الليل والنهار ، وهما شعبة يسيرة من سلطاني ؟ فإليَّ إليَّ يا أهل الموت والفناء ، لا إلى غيري ، فإني كتبتُ الرحمةَ على نفسي ، وقضيتُ العفوَ والمغفرة لمن استغفرني ، أغفرُ الذنوب جميعاً صغيرَها وكبيرَها لمن استغفرني ، ولا يكبُر ذلك عليَّ ولايتعاظَمُني ، فلا تلقوا بأيديكم إلى التهلُكة ، ولا تقنَطُوا من رحمتي ، فإنَّ رحمتي سبقت غضَبي ، وخزائن الخير كلُّها بيدي ، ولم أخلق شيئاً مما خلقتُ لحاجةٍ كانت منِّي إليه ، ولكن لأُبينَ به قدرتي وليَنظُر الناظرون في مُلكي ، ويتدبَّروا حكمتي ، وليسبِّحوا بحمدي ، ويعبدوني لايشركوا بي شيئاً ، ولتَعنُو الوجوه كلُّها إليّ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٤ ، ٣٥) بألفاظ مقاربة .) .

وقال أشرس عن وهب قال : قال داود : إلَهي أين أجدُك ؟ قال : عندَ المنكَسِرة قلوبُهم من مخافتي (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٢) .) .

وقال : كان رجل من بني إسرائيل صام سبعين أسبوعاً يُفطرُ في كلِّ أسبوع يوماً ، وهو يسألُ الله أن يُريَهُ كيف يُغوي الشيطانُ الناس ، فلما أن طال ذلك عليه ، ولم يجب ، قال في نفسه : لو أقبلتُ على خطيئتي وعلى ذنوبي وما بيني وبين ربِّي لكان خيراً من هذا الأمر الذي أطلب . ثم أقبل على نفسه فقال : يا نفس ، من قِبَلكِ أُتيتُ . لو علم الله فيك خيراً لقضى حاجتك . فأرسل الله مَلَكاً إلى نبيِّهم أن قل لفلان العابد : إزراؤك على نفسِك ، وكلامُك الذي تكلَّمت به أعجبُ إليَّ مما مضى من عبادتك ، وقد أجاب الله سؤالك ، وفتح بصرك فانظرِ الآن ، فنظر فإذا أُحبولةٌ لإبليسَ قد أحاطتْ بالأرض ، وإذا ليس أحدٌ من بني آدم إلا وحوله شياطينُ مثلُ الذُّباب فقال : أي رب ، ومن ينجو من هؤلاء ؟ قال : صاحبُ القلبِ الوادِعِ اللَّيِّن (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٢) .) .

وقال وهب : كان رجلٌ من السائحين ، فأتى على أرضٍ فيها قِثاء ، فدعَتهُ نفسُه إلى أخذ شيءٍ منه ، فعاقبها ، فقام مكانَهُ يُصَلِّي ثلاثة أيام ، فمرَّ به رجلٌ وقد لوَّحتهُ الشمسُ والريح ، فلمّا نظر إليه قال : سبحان الله ! لكأنَّما أُحرق هذا الإنسان بالنار . فقال السائح : هكذا بلغَ مني ما ترى خوفُ النار ، فكيف بي لو دخلتُها ؟ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٢) .) .

وقال : كان رجلٌ من الأولين أصاب ذنباً فقال : للهِ عليَّ أن لا يُظلَّني سقفُ بيتٍ أبداً حتى تأتيني براءةٌ من النار ، =

. . . .

= فكان بالصحراء في الحَرِّ والقَرِّ ، فمرَّ بهِ رجل فرأى شدَّة حاله فقال : يا عبد الله ما بلغ بك ما أرى ؟ فقال : بلغ ما ترى ذكرُ جهنَّم ، فكيف بي إذا أنا وقعتُ فيها (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٢ ، ٣٣) .) !.

وقال : لا يَكُونُ البطَّالُ من الحكماء أبداً ، ولا يرثُ الزناةُ من ملكوتِ السماء (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٠) .) .

وقال وهب في موعظته : اليوم يَعِظُ السعيد ، ويستكثرُ من منافعِه اللبيبُ ، يابنَ آدم ، إنما جمعتُ من منافعِ هذا اليوم لدفعِ ضررِ الجهالة عنك ، وإنما أوقدت فيه مصابيحُ الهدى لِتُنبِّه لحزبك ، فلم أر كاليوم ضلَّ مع نوره مُتحيِّرٌ داعٍ لمداواة سليم ، يا بنَ آدم ، إنه لا أقوى من خالقٍ ولا أضعف من مخلوق ، ولا أقدر ممن طَلِبَتُه في يده ، ولا أضعف ممن هو في يد طالبه ، يا بن آدم ، إنه قد ذهب منك مالا يرجعُ إليك ، وأقام عندك ما سيذهب ، فما الجزع مما لا بدَّ منه ، وما الطمع فيما لا يرتجى ، وما الحيلةُ في بقاء ما سيذهب . يا بن آدم ، أقصِر عن طلب ما لا تُدركُ ، وعن تناول ما لا تنالُه ، وعن ابتغاء ما لا يوجد ، واقطع الرجاءَ عنك ، كما قعدت به عنك الأشياء ، واعلم أنه رُبَّ مطلوبٍ هو شرٌّ لطالبه . يا بن آدم إنما الصبرُ عند المصيبة ، وأعظمُ من المصيبة سوءُ الخُلق منها . يا بنَ آدم إنما الصبرُ عند المصيبة ، يا بن آدم ، أيَّ أيام الدهر ترتجي ؟ يومٌ يجيءُ في عَتم ، أو يوم تستأخر عاقبته عن أوان مجيئه ، فانظر إلى الدهر تَجِدهُ ثلاثة أيام : يومٌ مضى لا ترجوه ، ويومٌ لا بدَّ منه ، ويوم يجيءُ لا تأمَنُه ، فأمْسِ شاهدٌ عليك مقبولٌ ، وأمين مُؤدٌّ ، وحكيم مؤدِّب ، قد فجعك بنفسه ، وخلَّف فيك حكمته ، واليوم صديقٌ مودَّع ، كان طويل الغَيْبَة عنك ، وهو سريع الظَّعن ، أتاك ولم تأتِه ، وقد مضى قبلَهُ شاهدٌ عَدلٍ ، فإن كان ما فيه لكَ فاشفعه بمثِله ، أوثقُ لك باجتماع شهادتهما عليك . يابنَ آدم إنما أهلُ الدنيا سَفْرٌ لا يحلُّون عقد رِحالهم إلا في غيرها ، وإنما يتبلَّغون بالعواري ، فما أحسنَه ـ يعني الشكرَ ـ للمنعم ، والتسليم للمعاد! . يابنَ آدم إنما الشيءُ من مثِله ، وقد مضت قبلَنا أصولٌ نحن فروعُها ، فما بقاءُ الفَرعِ بعد ذهابِ أصله ، إنما يقرُّ الفرعُ بعد الأصل . يابنَ آدم ، إنه لا أعظم رَزيَّةً في عقلِه مِمَّن ضيَّعَ اليقينَ وأخطأ العملَ ، أيها الناس ، إنما البقاءُ بعدَ الفناء ، وقد خُلقنا ولم نكن ، وسَنبلَى ثم نعود ، ألا وإنما العواري اليوم والهناتُ غداً ، ألا وإنه قد تقارب مِنَّا سَلَبٌ فاحش ، أو عطاءٌ جزيل ، فأصلحوا ما تُقدِمون عليه بما تَظعنون عنه ، أيها الناس ، إنما أنتم في هذه الدنيا غَرَضٌ تَنتَضِلُ فيها المنايا (تنتضل : تختار وتتبارى . انظر لسان العرب (نضل) .) ، وإن ما أنتم فيه من دنياكم نَهبٌ للمصائب ، لا تنالون فيها نعمةً إلا بفراقِ الأخرى ، ولا يستقبلُ منكم معمَّرٌ يوماً من عُمره إلا بهدم آخَرَ من أجَلِه ، ولا يتخذُ له زيادة في ماله إلا بَنفَادِ ما قبلَهُ من رزقه ، ولا يحيا له أثر إلا مات له أثر ، نسألُ الله أن يُباركَ لنا ولكم فيما مضى من هذه العِظَة (أخرجه بطوله بألفاظ مقاربة أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٠ ، ٣١) .) .

وقال قُتيبة بن سعيد : حدثنا كثير بن هشام ، حدثنا جعفر بن مروان ، عن وهب بن منبِّه ، [أنه كان يقول : الإيمان قائد ، والعمل سائق ، والنفس حَرُون ، إن فترَ قائدُها صَدَّت] عن الطريق ، ولم تستقم لسائقها ، وإنْ فـتَر سائقُها حَزنَت ولم تَتبَعْ قائدها ، فإذا اجتمعا استقامت طوعاً أو كرهاً ، ولا تستطيعُ الدِّين إلا بالطوع والكُره ، وإن كان كلَّما كَره الإنسانُ شيئاً من دينه ترَكَه أوشك أن لا يبقى معه من دِينِه شيء (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣١) ، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٢١٥) بنحوه .) .

وقال وهب : إنَّ من حكمة الله عز وجلَّ أنه خلق الخَلقَ مختلفاً خَلقهُ ومقاديره ، فمنه خَلقٌ يدومُ ما دامت الدنيا ، لا تُنقِصه الأيام ولاتُهرِمُه وتُبليه ويموت ، ومنه خلقٌ لا يُطعم ولايرزق ، ومنه خَلقٌ يُطعم ويرزق ، خلَقه الله وخلَق=

. . . .

= معه رِزقه ، ثم خلق الله من ذلك خلقاً في البَرّ ، وخلقاً في البحر ، ثم جعل رزقَ ما خلق في البحر وفي البر ، ولا ينفعُ رزقُ دوابِّ البر دوابَّ البحر ، ولا رزقُ دوابِّ البحرِ دوابَّ البَرّ ، لو خرج ما في البحر إلى البرِّ هلك ، ولو دخل ما في البَرّ إلى البحرِ هلَك ، ففي ذلك ممَّن خلق الله في البَرّ والبحر عِبرَةٌ لمن أهمَّته قسمةُ الأرزاق والمعيشة ، فليعتبر ابنُ آدمَ فيما قسم الله من الأرزاق ، فإنه لا يكونُ فيها شيءٌ إلا كما قَسمَهُ سبحانه بين خَلقِه لا يستطيعُ أحد أن يُغيِّرها ولا أن يَخلطَها ، كما لا تستطيعُ دوابُّ البَرّ أن تعيش بأرزاقِ دوابِّ البحر ، ولا دوابُّ البحرِ بأرزاق دوابِّ البَرّ ، ولو اضطرت إليه هَلَكت كلُّها ، فإذا استقرت كل دابةٍ منها فيما رُزقت أصلحها ذلك وأحياها ، وكذلك ابنُ آدم إذا استقر وقَنِعَ بما قَسَم الله له من رزقه أحياه ذلك وأصلحه ، فإذا تعاطى رزق غيرِه نَقَصه ذلك وضرَّهُ وفَضَحَه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٩) .) .

وقال لعطاء الخراساني : كان العلماء قبلكم قد استَغنوا بعلمِهم عن دنيا غيرهم ، فكانوا لا يلتفتون إلى أهل الدنيا ، ولا إلى ما في أيديهم ، فكان أهلُ الدنيا يبذلون إليهم دنياهم رغبةً في علمِهم ، فأصبح أهلُ العلم فينا اليوم يبذلون لأهلِ الدنيا علمَهم رغبةً في الدنيا ، فأصبح أهلُ الدنيا قد زَهدوا في علمِهم ، لِمَا رأوا من سوء موضعه عندَهم ، فإياك يا عطاءُ وأبوابَ السلطان ، فإنَّ عندَ أبوابهم فتناً كمَبَارِكِ الإبل ، لا تُصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينك مثلَه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٩ ، ٣٠) . وفيه تتمة (ثم قال : يا عطاء إن كان يغنيك ما يكفيك فكلُّ عيشك يكفيك ، وإن كان لا يغنيك فليس شيءٌ يكفيك ، إنما بطنك بحر من البحور ، وواد من الأودية ، لا يسعه إلا التراب) .) .

وقال إبراهيم الجنيد : حدثنا عبد الله بن أبي بكر المقدَّمي ، حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثنا عمر بن عبد الرحمن الصنعاني ، قال : سمعت وهبَ بن منبِّه يقول : لَقِيَ عالمٌ عالماً هو فوقَهُ في العلم فقال : كيف صلاتُك ؟ فقال : ما أحسبُ أحداً سمع بذكر الجنة والنار يأتي عليه ساعةٌ لا يصلِّي فيها . قال : فكيف ذكرُك للموت ؟ قال : ما أرفعُ قدماً ولا أضعُ أخرى إلا رأيت أني ميتٌ . فقال : فكيف صلاتك أنت أيها الرجل ؟ فقال : إني لأُصلِّي وأبكي حتى ينبت العُشب من دموعي . فقال العالم : أما إنك إن تضحك وأنت معترف بخطيئتك خيرٌ لك من أن تبكي وأنت مُدِلٌّ بعلمك ، فإن المُدِلَّ لا يُرفعُ له عمل . فقال : أوصِني فإني أراك حكيماً . فقال : ازهَد في الدنيا ولا تُنازع أهلها فيها ، وكن فيها كالنَّحلَةِ إن أكلت أكلتَ طيِّباً وإن وضعتَ وضعتَ طيِّباً ، وإن وقعتَ على عُودٍ لم تكسِرهُ ، وانصَح لله نُصح الكلب لأهله ، فإنهم يُجيعونه ويطردونه ويضربونه وهو يأبى إلا أن يَحُوطَهم ويحفظَهُم وينصح لهم . فكان وَهبُ إذا ذكر هذا الحديث قال : واسوأتاهُ إذا كان الكلبُ أنصحَ لأهله منك يابنَ آدم للهِ عزَّ وجلّ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٨) .) .

وفي رواية أنه قال : إني لأصلِّي حتى تَرِمَ قَدَماي . فقال له : إنك أن تَبيتَ نائباً وتصبحَ نادماً خيرٌ لك من أن تبيت قائماً وتصبح مُعْجَباً (ذكر هذا القول ابن القيم في مدارج السالكين (١/ ١٧٧) .) . إلى آخره .

وروى سفيان عن رجلٍ من أهل صنعاء ، عن وهب ، فذكر الحديثَ كما تقدَّمَ (المصدر السابق .) .

وقال عثمان بن أبي شَيبة : حدثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى ، حدثنا الصلتُ بنُ عاصم المرادي ، عن أبيه ، عن وهب ، قال : لما أُهبط آدمُ من الجنة استوحش لفقد أصوات الملائكة ، فهبط عليه جبريل فقال : يا آدم ، ألا أُعلِّمك شيئاً تنتفع به في الدنيا والآخرة ؟ قال : بلى . قال : قل اللهمَّ تَمِّم لي النعمة حتى تُهنِّئني المعيشة ، اللهم اختم لي بخير حتى لا تَضرَّني ذنوبي ، اللهمَّ اكفني مؤنة الدنيا ، وكلَّ هولٍ في القيامة حتى تدخلني الجنة في عافية =

. . . .

= (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٨ ، ٢٩) .) .

وقال عبد الرزاق : حدثني بكار بن عبد الله عن وهب ، قال : قرأتُ في بعض الكتب فوجدتُ الله تعالى يقول : يا بن آدم ، ما أنصفتني ، تُذكَّرُ بي وتنساني ! وتدعو إليَّ وتَفِرُّ مني ! خيري إليك نازل ، وشرُّكَ إليَّ صاعد ، ولا يزال ملك كريمٌ قد نزل إليك من أجلك . يا بن آدم ، إنَّ أحبَّ ما تكون إليَّ وأقربَ ما تكونُ مني إذا رضيتَ بما قسمتُ لك ، وأبغضُ ما تكونُ إليَّ ، وأبعدُ ما تكونُ مني إذا سَخطت بما قسمتُ لك . يا بن آدم أطِعني فيما أمرتُك ، ولا تُعلمني بما يُصلحُك ، إني عالمٌ بخَلقي ، وأنا أعلمُ بحاجتك التي ترفعُك من نفسك ، إني إنما أكرم من أكرمني ، وأُهينُ من هان عليه أمري . لستُ بناظرٍ في حقِّ عبدي حتى ينظر العبدُ في حقِّي (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٧) .) .

وقال وهب : قرأتُ نيفاً وتسعين كتاباً من كتبِ الله تعالى [منها سبعون ، أو نيفٌ وسبعون ظاهرةٌ في الكتابَين ، ومنها عشرون لا يعلَمُها إلا قليلٌ من الناس] ، فوجدتُ في جميعها أنَّ مَن وَكَلَ إلى نفسه من المشيئة فقد كَفر (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٤) ، وما بين معقوفين منه .) .

وقال : لا يسكنُ ابنَ آدم أنَّ الله هو قَسَم الأرزاق متفاضلةً ومختلفة ، فإن تقلَّل ابنُ آدمَ شيئاً من رزقه فليزدد إلى الله رغبةً ، ولا يقولن : لو اطَّلع الله على هذا من حالي أو شعر به غيَّره . فكيف لا يطَّلع على شيءِ الذي خلقَهُ وقدَّره ؟ أوَ [لا] يعتبرُ ابن آدمَ في غير ذلك مما يتفاضلُ فيه الناس ؟ كأن الله فاضل بينهم في الأجسام والأموال والألوان والعقول والأحلام ، فلا يَكبُر على ابن آدم أن يُفضَّل عليه في الرزق والمعيشة ، ولا يَكبُر عليه أن يُفضَّل عليه في الحِلم والعِلم والعقل والدِّين . أوَلا يعلم ابن آدم أنَّ الذي رزقه في ثلاثة أزمانٍ من عُمره لم يكن له في واحدٍ منها كَسبٌ ولا حِيلة ، أنه سوف يرزُقُه في الزمن الرابع ؟ أولُ زمانٍ من أزمانه حين كان في بطن أمِّه ، يُخلق فيه ويُرزق من غير مالٍ كَسبَه ، وهو في قرارٍ مكين ، لا يؤذيه فيه حَرٌّ ولا بردٌ ولاشيء ، ولا هَمٌّ ولاحُزنٌ ، وليس له هناك يدٌ تبطش ولا رِجلٌ تسعى ، ولا لسانٌ ينطِق ، فساقَ الله عز وجلَّ إليه رزقه هناك على أتم الوجوه وأهناها وأمراها ، ثم إنَّ الله عزَّ وجلَّ أراد أن يحوِّلهُ من تلك المنزلة إلى غيرها ، ويحدث له في الزمن الثاني رزقاً من أُمِّه ، يَكفيه ويُغنيه ، من غير حَولٍ منه ولا قوةٍ ولا بطشٍ ولا سُمعة ، بل تفضُّلاً من الله ، وجوداً ورزقاً أجراه ، وساقه إليه ، ثم أراد الله سبحانه أن ينقله من الزمن الثاني إلى الزمن الثالث من ذلك اللبن إلى رزق يُحدثه له من كَسب أبويه ، بأن يجعل له الرحمة في قلوبهما حتى يؤثراهُ على نفسِهما بكَسبهما ، ويُغنياه ويغذِّياهُ بأطيب ما يقدران عليه من الأغذية ، وهو لايُعينُهما على شيءٍ من ذلك بكسب ولا حيلة ، حتى إذا عَقَلَ حدَّث نفسه بأنه يُرزق بحيلته ومكسبه وسعيه ، ثم يدخل عليه في الزمن الرابع إساءة الظنِّ بربِّه عزَّ وجلَّ ، فيُضَيِّعُ أوامر الله في طلب المعاش ، وزيادة المال وكثرته ، وينظرُ إلى أبناء الجنس وما عليه من التنافس في طلب الدنيا ، فيكسبُ بذلك ضعف اليقين والإيمان ، ويمتلىءُ قلبه فقراً وخوفاً منه مع المتاع ، ويُبتلى بموت القلب ، وعدم العقل . ولو نظر ابنُ آدم نظَرَ معرفةٍ وعقل ، لَعَلِم أنه لن يُغنيهُ في الزمن الرابع إلا من أغناه ورزقه في الأزمان الثلاثة قبلُ ، فلا مقالَ له ولا معذرةَ مما سُلِّط عليه في الزمان الرابع إلا برحمة الله ، فإن ابن آدم كثيرُ الشكِّ ، يُقصِّرُ به حُكمُهُ وعِلمه عن علم الله والتفكر في أمره ، ولو تفكر حتى يفهم ، وتفهم حتى يعلم ، عَلِمَ أنَّ علامة الله التي بها يُعرف خلقه الذي خلق ، ثم رِزقُهُ لِمَا خلق ، وقَدَرُهُ لِمَا قَدَّر (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٥) .) .

وقال عطاء الخراساني : لَقيتُ وهباً في الطريق فقلت : حدِّثني حديثاً أحفَظُه عنك في مقامي هذا وأوجز . قال : أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى داود عليه السلام : يا داود ، أما وعزَّتي وعظمتي لا يَنتصرُ بي عبدٌ من عبادي دون خلقٍ أعلمُ ذلك من نيَّته ، فتكيده السماوات السبعُ ومن فيهنّ والأرضون السبع ومن فيهن إلا جعلت له منهنَّ فرجاً ومخرجاً ، أما وعزَّتي وجلالي ، لا يعتصم عبدٌ من عبادي بمخلوق دوني أعلم ذلك من نيَّته إلا قطعت أسباب السماوات من

. . . .

= يده ، وأسخت الأرض من تحته ولا أبالي في أيِّ وادٍ هَلَك (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٥ ، ٢٦) .) .

وقال أبو بلال الأشعري عن أبي هشام الصَّنعاني ، حدثني عبدُ الصمد بن معقل ، قال : سمعتُ وهب بن منبِّه يقول : وجدتُ في بعض الكتب ، أن الله تعالى يقول : كفاني للعبد مآلا ، إذا كان عبدي في طاعتي أعطيتُه قبل أن يسألني ، وأستجيبُ له من قبل أن يدعوني ، فإني أعلمُ بحاجتِهِ التي ترفقُ به من نفسه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٦).) .

وقال : قرأتُ في بعض الكتب أنَّ الشيطان لم يكابد شيئاً أشدَّ عليه من مؤمنٍ عاقل ، لأنه إذا كان مؤمناً عاقلاً ذا بصيرةٍ فهو أثقلُ على الشيطان من الجبال الصُّمِّ ، إنه ليُزاِلِلُ المؤمنَ العاقلَ فلا يستطيعُه ، فيتحوَّلُ عنه إلى الجاهل ، فيستأمره ويتمكَّنُ من قيادِهِ (المصدر السابق .) .

وقال : قام موسى عليه السلام ، فلما رأتهُ بنو إسرائيل قاموا فقال : على مكانِكم . ثم ذهب إلى الطُّور ، فإذا هو بنهرٍ أبيض ، فيه مثلُ رؤوس الكُثبان (في الحلية : (مثل رؤوس الكباش) .) ، كافورٌ محفوفٌ بالرياحين ، فلما رآه أعجبه ، فدخل عليه فاغتسل ، وغسل ثوبَه ثم خرج ، وجفَّف ثوبه ثم رجعَ إلى الماء ، فاستنضحَ فيه إلى أن جفَّ ثوبُه فلَبِسه ثم أخذ نحو الكثيب الآخر الذي فوق الطُّور ، فإذا هو برجلين يَحفِران قبراً ، فقام عليهما ، فقال ألا أُعينُكما ؟ قالا : بلى . فنزل فَحَفر ، فقال لهما : لِتُحَدِّثاني مِثلُ مَنِ الرجلُ ؟ فقالا : على طولك وهيئتك . فاضطجعَ فيه لينظروا ، فالتأمَتْ عليه الأرضُ ، فلم ينظر إلى قبر موسى عليه السلام إلا الرَّخم فأصَمَّها الله وأبكمها ، وقال : يقول الله عزَّ وجلَّ : لولا أني كتبتُ النَّتن على الميت ، لحَبَسَهُ الناسُ في بيوتهم ، ولولا أني كتبتُ الفسادَ على اللحم ، لحرَّمه الأغنياءُ على الفقراء (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٧) .) .

وقال : مرَّ عابدٌ براهبٍ فقال له : منذُ كم أنتَ في هذه الصومعة ؟ قال : منذُ ستين سنة . قال : وكيف صبرتَ فيها ستين سنة ؟ قال : مُرَّ فإن الزمان يَمُرّ ، وإن الدنيا تمُرّ . ثم قال له : يا راهب ، كيف ذكرُك للموت ؟ قال : ما أحسبُ عبداً يعرفُ الله تأتي عليه ساعةٌ إلا يذكرُ الموتَ فيها ، وماأرفعُ قدماً إلا وأنا أظنُّ أن لا أضعهَا حتى أموت ، وما أضعُ قدماً إلَّا وأنا أظنُّ أن لا أرفعها حتى أموت . فجعل العابدُ يبكي ، فقال له الراهب : هذا بكاؤك إذا خلَوتَ ـ أو قال : كيف أنت إذا خلوت ـ؟ فقال العابد : إني لأبكي عند إفطاري ، فأشربُ شرابي بدموعي ، ويصرعُني النَّومُ فأبلُّ متاعي بدموعي . فقال له الراهب : إنك إنْ تضحك وأنتَ معترفٌ بذنبك خيرٌ لك من أن تبكي وأنتَ مُدلٌّ على الله بعلمِك . فقال : أوصني بوصية . قال: كنْ في الدنيا بمنزلة النحلة، إنْ أكلتْ أكلتْ طيباً، وإن وضعتْ وضعَتْ طيباً، وإن سقطَتْ على شيءٍ لم تضرَّه، ولا تكن في الدنيا بمنزلة الحمار، إنما همته أن يشبع ثم يرمي نفسه في التراب وانصَحْ للهِ نُصْحَ الكلبِ لأهله، فإنهم يُجيعونه ويطردونه وهو يأبى إلَّا أنْ يحرسَهم ويحفظهم. قال أبو عبد الرحمن أشرس: وكان طاوس ذكر هذا الحديث بكى وقال: عزَّ علينا أنْ تكونَ الكلابُ أنصحَ لأهلِها منَّا لمولانا عزَّ وجلَّ. وقد تقدَّمَ نحو هذا المتن (انظر ص٢٨٤ موضع الحاشية (١) .) . وقال وهب: تخلَّى راهبٌ في صومعتِهِ في زمنِ المسيح، فأراد إبليسُ أن يكيدَه، فلم يقدِرْ عليه، فأتاه بكلِّ مُرادٍ فلم يقدر عليه ، فأتاهُ متشبِّهاً بالمسيح ، فناداه : أيُّها الراهب ، أشرفْ عليَّ أكلِّمك ، فأنا المسيح . فقال : إنْ كنتَ المسيح فمالي إليك من حاجة ، أليس قد أمرتَنا بالعبادة ، ووعدتَنا القيامة ؟ انطلقْ لشأنك ، فلا حاجة لي فيك . قال : فذهب عنه الشيطانُ خاسئاً وهو حسير ؛ فلمْ يَعُدْ إليه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٤٤) بنحوه .) .

ومن طريق أخرى عنه قال : أتى إبليسُ راهباً في صومعته ، فاستفتح عليه ، فقال له : مَنْ أنت ؟ قال : أنا المسيح . فقال الراهب : والله لئنْ كنتَ إبليس لأخلونَّ بك ، ولئن كنتَ المسيح ما عسى أنْ أصنعَ بك اليوم شيئاً لقد بلَّغتَنا رسالةَ ربِّك عزَّ وجلَّ فقبِلْناها عنك ، وشرعتَ لنا الدِّين فنحن عليه ، فاذهبْ فلستُ بفاتحٍ لك . فقال : صدقتَ ، أنا

. . . .

= إبليسُ ولا أريدُ إضلالَكَ بعدَ اليومِ أبداً ، فسَلْني عمَّا بدا لك أخبرْك به . قال : وأنت صادق ؟ قال : لا تسألني عن شيءٍ إلَّا صَدَقْتُكَ فيه . قال : فأخبِرْني أيُّ أخلاقِ بني آدمَ أوثقُ في أنفسِكم أنْ تضلُّوهم به ؟ قال : ثلاثة أشياء : الحِدَّةُ ، والشُّحُّ ، والسُّكر (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٤٤ ، ٤٥) .) .

وقال وهب : قال موسى : يا ربِّ ، أيُّ عبادك [أشقى] ؟ قال : منْ لا تنفعُه موعظة ، ولا يذكُرني إذا خلا . قال : إلٰهي ، فما جزاءُ منْ ذكرَكَ بلسانِه وقلبِه ؟ قال : يا موسى ، أُظِلُّهُ يومَ القيامة بظلِّ عرشي ، وأجعلُه في كَنَفي (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٤٥) بتقديم الشطر الثاني للخبر على الأول .) .

وقال وهب : لَقِيَ عالمٌ عالماً هو فوقَهُ في العلم فقال له : رحمكَ الله ، ما هذا البناء الذي لا إسرافَ فيه ؟ قال : ما ستَرَكَ من الشمس ، وأكنَّكَ من الغَيْث . قال : فما هذا الطعامُ الذي لا إسراف فيه ؟ قال : فوقَ الجُوع دونَ الشِّبَع ، من غيرِ تكلُّف . قال : فما هذا اللباسُ الذي لا إسرافَ فيه ؟ قال : هو ما سترَ العورة ، ومنَعَ الحرَّ والبرد ، من غيرِ تنوُّعٍ ولا تلوُّن . قال : فما هذا الضحكُ الذي لا إسرافَ فيه ؟ قال : هو ما أسفَرَ وجهَك ولا يُسمعُ صوتك . قال : فما هذا البكاءُ الذي لا إسرافَ فيه ؟ قال : لا تَمَلَّ من البكاءِ من خشيةِ الله عزَّ وجلَّ ، ولا تبكِ على شيءٍ من الدنيا . قال : كم أُخْفي من عملي ؟ قال : ما أظنَّ بكَ أنَّكَ لم تعمَلْ حسنةً . قال : ما أُعلِنُ من عملي ؟ قال : الأمرَ بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وما يَأتم بكَ الحَريص ؛ واحذرِ النظرَ إلى الناس (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٤٥) بنحوه مختصراً .) .

وقال : لكلِّ شيءٍ طرفانِ ووسط ، فإذا أمسكتَ بأحَدِ الطرفَيْن مال الآخر ، وإذا أمسكت بالوسط اعتدلا ، فعليكم بالوسَطِ من الأشياء (المصدر السابق .) .

وقال : أربعةُ أحرفٍ في التوراة : منْ لم يشاوِرْ يندَمْ ، ومنِ استغنَى استأثَر ، والفقرُ الموتُ الأحمر ، وكما تَدينُ تُدان ، ومن تَجَرَ فَجَر (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٤٨) ، وليست الجملة الأخيرة فيه .) .

وقال عبدُ الله بنُ المبارك (في كتابه الزهد ص(٥١٤) . وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٤٨) .) : حدّثنا بكار بن عبد الله ، أنه سمع وَهْب بن منبِّهٍ يقول : كان رجلٌ من أفضلِ أهل زمانه ، وكان يُزارُ فيعظِهُمْ ، فاجتمعوا إليه ذاتَ يوم فقال : إنَّا قد خرجْنا عن الدنيا ، وفارَقْنا الأهلَ والأموالَ مخافةَ الطُّغْيان ، وقد خِفْنا أنْ يكونَ قد دخلَ علينا في حالِنا هذه من الطُّغْيان أعظمُ وأكثرُ ممّا يدخل على أهلِ الأموالِ في أموالهم ، وعلى الملوكِ في مُلكِهم ؛ أُرَانا يُحبُّ أحدُنا أنْ تُقضى له الحاجة ، وإذا اشترى شيئاً أنْ يُحابَى لمكانِ دينِه ، وأنْ يُعظَّمَ إذا لَقِيَ الناسَ لمكانِ دينِه ؛ وجعل يُعدِّدُ آفاتِ العلماءِ والعِباد الذين يدخلُ عليهم في دينهم مِنْ حلِّ الشرَفِ والتعظيم . قال : فشاعَ ذلك الكلامُ عنه ، حتى بلَغَ مَلِكَ تلكَ البلاد ، فعَجِبَ منه الملكُ وقالَ لرؤوسِ دولته : ينبغي لهذا أنْ يُزار . ثم اتَّعَدوا لزيارتِهِ يوماً ، فركب إليه الملكُ ليسلِّمَ عليه ، فأشرف العابدُ ـ وكان عالماً جيد العلم بآفاتِ العلومِ والأعمالِ ودسائسِ النفوس ، فرأى الأرضَ التي تحتَ مكانِه قد سُدَّتْ بالخيلِ والفُرسان ، فقال : ما هذا ؟ فقيلَ له : هذا الملكُ قاصدٌ إليكَ يُسلِّمُ عليك ، لِمَا بلغَهُ من حُسنِ كلامِك . فقال : إنَّا لله ! وما أصنَعُ به ؟ هلَكْنا واللهِ إنْ لم نُلَقَّنِ الحُجَّةَ من عندِ الله معَ هذا الرجل ، وينصرفْ عنا وهو ماقتٌ لنا . ثم سأَلَ خادِمَهُ : هل عندك طعامٌ ؟ قال : نعم . قال : فأْتِ بهِ ، فضَعْهُ بين أيدينا . قال : هو شيءٌ من ثَمَرِ الشجر ، وهو شيءٌ من بَقْلٍ وزيتون . قال : فأتِ به ، فأتى به ، ثم أمرَ بجماعته فاجتمعوا حولَ ذلك الطعام ؛ فقال : إذا دخلَ عليكم هذا الرجلُ فلا يلتفِتْ أحدٌ منكم إليه ، ولا يقُمْ له أحد ، وأقبلُوا على الأكلِ العَنيف ، ولا يرفَعْ أحدٌ منكمْ رأسَه ، لعلَّ الله أنْ يصرفَهُ عنّا وهو كارِهٌ لنا . فإني أخافُ الفِتْنةَ والشُّهرة ، وامتلاءَ القلبِ منهما ، فلا نخلُصُ إلَّا بنارِ جهنّم . قال : فبكى القوم ، وبكى ذلك

. . . .

= الرجلُ العالم ، فلما اقتربَ الملك من جبلهمُ الذي هُمْ فيه ، ترجَّلَ الملِكُ ومنْ معه من أعيانِ دولتِه ، وصَعِدَ في الجبل ، فلما وصل إلى قُرب مكانهم أخذوا في الأكلِ العنيف ، فدخل عليهم الملك وهم يأكلون ، فلم يرفعوا رؤوسَهم إليه ، وجعل ذلك العالِمُ الفاضلُ يلفُّ البقلَ مع الزيتون مع الكسرةِ الكبيرةِ من الخبز ويُدخلُها في فمه ، فسلَّم عليهمُ الملِكُ وقال : أيكم العابد ؟ فأشاروا إليه ، فقال له الملك : كيف أنت أيها الرجل ؟ فقال له : كالناس ـ وهو يأكل ذلك الأكلَ العنيف ـ فقال الملك : ليس عندَ هذا خير . ثم أدبرَ الملكُ خارجاً عنه وقال : ما عند هذا من عِلْم . فلما نزل الملكُ من الجبل نظرَ إليه العابدُ من كُوَّةٍ وقال : أيها الملك ، الحمدُ لله الذي صرفكَ عني وأنتَ لي كارِه ـ أو قال : الحمد لله الذي صرفك عني بما صرفك به .

وفي رواية : ذكر ابنُ المبارك أنه قال : الحمدُ لله الذي صرفَهُ عني وهو لي لائم (الزهد لابن المبارك ص(٥١٥) .) .

وفي رواية : أنَّ هذا العابد كان ملكاً وكان قد زَهِدَ في الدنيا وتركها ، لأنه كان قد دخل عليه رجلٌ من بقايا أهلِ الجنة والعمَلِ الصالح فوعظه ، فاتَّعد معه أنْ يصحبَهُ ، وأنه يَخرُجُ عن المُلْكِ طلباً لِمَا عندَهُ في الدارِ الآخرة ، وأنه وافقَهُ جماعةٌ من بَنِيه وأهلِه ورؤوسِ دولتِه ، فخرجوا برُمَّتِهم لا يدري أحدٌ أين ذهبوا . وكان هذا الملكُ من أهلِ العَدْلِ والخير والخَوْفِ من الله عزَّ وجلَّ ، وكان متسعَ الملكِ والمملكة ، كثيرَ الأموالِ والرجال ؛ فساروا حتى أتَوْا جبلاً في أطرافِ مملكتِه كثير الشجرِ والمياه ، فأقاموا به حيناً . فقال الملك : إنْ نحنُ طالَ أمرُنا ومُقامُنا في هذا الجبل سَمِعَ بنا الناسُ من أهلِ مملكتنا ، فلا يدعونا ؛ وإني أرى أن نذهبَ إلى غيرِ مملكتنا ، فنَنْزِل مكاناً بعيداً عن الناس ، لعلَّ أنْ نسلمَ منهم ويسلموا منّا . فساروا من ذلك الجبل طالبين بلاداً لا يُعرفون ، فوجدوا بها جبلاً نائياً عن الناس ، كثير الأشجار والمياه ، قليلَ الطوارق ، وإذا في ذِروتِهِ عينُ ماءٍ جارية ، وأرضٌ متَّسِعة ، تُزرَعُ لمن أراد الزَّرْعَ بها ؛ فنزَلوا به وبنَوْا به أماكنَ للعبادةِ والسُّكنى ، وزرعوا لهم على ماءِ تلك العَين بعضَ بُقولٍ يأتَدِمُونَ بها ، وأشجارَ زيتون ، وجعلوا يزرعون بأيديهم ويأكلون ، ثم شاع أمرُهم في بعض تلك البلاد القريبة من جبلِهم ، فجعلوا يأتونهم ويزورونهم إلى أنَ شاع ذلك الكلام المتقدِّم عن ذلك العالم ، فبلَغَ ملكَ تلك البلاد ، فقصَدَهم للزيارةِ فذكر القصةَ كما تقدَّم ، والله أعلم .

وقال وهب : أزهدُ الناسِ في الدنيا وإنْ كان عليها حريصاً منْ لم يرضَ منها إلا بالكَسْبِ الحلال الطيِّب ، مع حفظ الأمانات ، وأرغَبُ الناسِ فيها وإنْ كان عنها معرضاً منْ لم يبالِ من أين كَسْبُه منها حلالاً كان أو حراماً ؛ وإنَّ أجودَ الناسِ في الدنيا من جادَ بحقوقِ الله عزَّ وجلَّ ، وإنْ رآه الناسُ بخيلاً فيما سوى ذلك ؛ وإنَّ أبخل الناسِ في الدنيا من بَخِلَ بحقوقِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، وإنْ رآه الناسُ جواداً فيما سوى ذلك (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٤٩) ، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٤٠٧) (١٠٧٨١) بسنده معزوّاً إلى أبي أمية .) .

وقال الطبراني (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٠) بهذا الإسناد عن الطبراني .) : حدّثنا معاذ بن المثنى ، حدّثنا عليُّ بن المديني ، حدّثنا محمد بن عمرو بن مِقْسم ، قال : سمعتُ عطاء بن مسلم يقول : سمعتُ وَهْبَ بن مُنَبِّه يقول : إنَّ الله تعالى كلَّمَ موسى عليه السلام في ألفِ مَقَام ، وكان إذا كلَّمَهُ رُئِيَ النورُ على وجه موسى ثلاثةَ أيام ، ولم يمسَّ موسى امرأةً منذُ كلَّمَهُ رَبُّه عزَّ وجلَّ .

وقال عثمان بن أبي شيبة : حدّثنا عبد الله بن عامر بن زُرَارة ، حدّثنا عبد الله بن الأَجْلَح ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثني ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، قال : سمعتُ ابن مُنَبِّه اليماني يقول : إنَّ للنبوةِ أثقالاً ومؤونة ، لا يحملُها إلا القويّ ، وإنَّ يونُسَ بنَ متَّى كان عبداً صالحاً ، وكان في خُلُقِهِ ضيق ، فلما حُمِلَتْ عليه =

. . . .

= النبوّة تفسَّخَ تحتها تفسُّخَ الرُّبَع تحت الحِمْل (الرُّبَعُ : الفَصيلُ الذي يُنتجُ في الربيع ، وهو أولُ النِّتاج ، سُمِّيَ رُبَعاً لأنه إذا مشى ارْتَبَعَ وربَع ، أيْ وَسَّعَ خَطْوَهُ وعَدَا ؛ وتفسَّخَ الرُّبَع تحت الحِمل الثقيل : وذلك إذا لم يُطِقْه . اللسان (فسخ ، ربع) .) ، فرفَضَها مِنْ يدِهِ وخرج هارباً ؛ فقال الله تعالى لنبيِّه ﷺ : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف : ٣٥] ؛ وقال : ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ [القلم : ٤٨] الآية (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٠) .) .

وقال يونس بن بُكَير عن أبي إسحاق بن وهب بن مُنَبِّه ، عن أبيه ، قال : أمرَ الله الريحَ أنْ لا يتكلَّمَ أحدٌ من الخلائق بشيءٍ في الأرض إلا ألقتْهُ في أُذُنِ سليمان ، فلذلك سَمِعَ كلامَ النَّمْلة (المصدر السابق .) .

وروى سفيان عن عمرو بن دينار ، عن وهب ، قال : كان الرجلُ من بني إسرائيل إذا ساح أربعين سنةً أُري شيئاً ، كأن يرَى علامةَ القَبُول ؛ قال : فساحَ رجلٌ من ولدِ زَنْيَةٍ (في (ق) : « من ولد ربيعة » تصحيف ، والمثبت من الحلية .) أربعينَ سنةً ، فلم يرَ شيئاً ، فقال : يا رب ، إنْ أحسنتُ وأساءَ والداي ، فما ذنبي ؟ قال : فأُرِيَ ما كان يَرَى غيرُه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥١) .) .

وفي رواية : أنه قال : يا ربّ ، إذا كان والدايَ قد أكلا أضْرَسُ أنا ؟

وفي رواية : عنه أنه قال : يا ربّ ، إذا كان والدايَ قد أساءا أُحرَمُ أنا إحسانَك وبرَّك ؟ فأظَلَّتْهُ غَمَامة .

وروى عبد الله بنُ المبارك عن رَبَاح بن زيد ، عن عبد العزيز بن حَوْران (في (ق) : « عبد العزيز بن مروان » تصحيف ، والمثبت من الحلية ، وترجمته في التاريخ الكبير (٦/ ١٨) ، والجرح والتعديل (٥/ ٣٨٠) ، والثقات لابن حبان (٧/ ١١١) ، وميزان الاعتدال (٤/ ٣٦٣) ، وفيه : بحاء مهملة ضبطه بعضهم ، والأصح بجيم . أهـ .) ، قال : سمعتُ وَهْبَ بنَ مُنَبِّه يقول : مثلُ الدنيا والآخرة مثلُ ضرَّتَين ، إن أرضيتَ إحداهما أسخطتَ الأخرى (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥١) .) .

وقال : إنَّ أعظمَ الذنوبِ عند الله بعدَ الشِّرْكِ بالله السُّخْر (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥١) وفيه : « بعد الشرك بالله السخرية بالناس » .) .

وروى عبد الرزاق قال : أخبرني أبي عن وهبٍ قال : إذا صام الإنسانُ زاغَ بصَرُه ، فإذا أفطرَ على حلاوةٍ عاد بصَرُه (المصدر السابق .) .

وقال ابنُ المبارك عن بكَّار (في (ق) : « عن بكر بن عبد الله » تصحيف والمثبت من الحلية ، وترجمته في التاريخ الكبير (٢/ ١٢١) .) بن عبد الله ، قال : سمعتُ وهباً يقول : مرَّ رجلٌ عابدٌ على رجلٍ عابد ، فرآهُ مفكِّراً ، فقال له : ما لك ؟ فقال له : أعجبُ من فلان أنه كان قد بلَغَ من عبادتهِ ما بلَغ ، ثم مالَتْ به الدنيا ؟ فقال : لا تعجَبْ مِمَّنْ مالَ كيف مال ، ولكنِ اعْجبْ ممَّنِ استقامَ كيف استقام (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥١) .) ؟

وقال عبدُ الله بن الإمام أحمدَ بنِ حَنْبَل : حدّثني عبدُ الرزاق ، حدّثنا بكّار بن عبد الله قال : سمعتُ وَهْبَ بنَ منبِّه يقول : إنَّ بني إسرائيلَ أَصَابَتْهم عقوبةٌ وشِدَّة ، فقالوا لنبيٍّ لهم : وَدِدْنا أنْ نعلمَ ما الذي يُرضي ربَّنا فنتَّبِعَه . فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه : إنَّ قومَكَ يقولون ، [فأخبِرْهم إنْ أرادوا رضائي فَلْيُرضوا المساكين ، فإنَّهم] إذا أرضَوْهُمْ رَضِيت ، وإذا أسخطوهُمْ سَخِطت (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٢) ، وما بين معقوفين منه .) .

وقال عبد الله بن أحمد أيضاً : حدّثنا أبي ، حدّثنا إبراهيم بن خالد ، حدّثني عمر بن عبد الرحمن ، قال : سمعتُ وهب بن منبِّه يقول : إنَّ عيسى عليه السلام كان واقفاً على قبرٍ ومعه الحواريُّون ـ أو نفَرٌ من أصحابه ـ قال : =

. . . .

= وصاحبُ القبرِ يُدَلَّى فيه ؛ قال : فذكروا من ظلمةِ القبر وضيقِه . فقال عيسى : قد كنتُمْ فيما هو أضيق من ذلك ، في أرحامِ أمهاتِكم ، فإذا أحبَّ الله أنْ يُوسِّعَ وسَّع . أو كما قال (المصدر السابق .) .

وقال عبد الله بن المبارك : حدّثنا بكّار بن عبد الله قال : سمعتُ وَهْبَ بن منبِّه يقول : كان رجلٌ عابدٌ من السُّيَّاح أرادَهُ الشيطانُ من قِبَلِ الشهوةِ والرغبةِ والغضَب ، فلم يستطعْ منه شيئاً من ذلك ، فتمثَّل له حيَّةً وهو يصلِّي ، فمضى ولم يلتفتْ إليه ، فالتوَى على قدمَيْه ، فلم يلتفتْ إليه ، فدخلَ ثيابَهُ وأخرجَ رأسَه من عندِ رأسه ، فلم يلتفتْ ولم يستأخِرْ ، فلما أراد أنْ يسجُد التوَى في موضعِ سجودِه ، فلمّا وضع رأسه ليسجُدَ فَتح فاهُ لِيلتقمَ رأسَه ، فوضع رأسه ، فجعل يعرِكُه حتى استمكن من السجود على الأرض ، ثم جاءَهُ على صورةِ رجلٍ فقال له : أنا صاحبُكَ الذي أخوِّفُك ، أتيتك من قِبَلِ الشهوةِ والغضَبِ والرغبة ، وأنا الذي كنتُ أتمثَّلُ لك بالسباعِ والحيَّات فلم أستطعْ منك شيئاً ، وقد بدَا لي أن أصادقَك ، ولا آتيكَ في صلاتك بعدَ اليوم . فقال له العابد : لا يومَ خوَّفتني خفتُك ، ولا اليومَ بي حاجةٌ في مصادقتِك . قال : سَلْني عمَّا شئت أخبِرْك . قال : فما عسيتَ أنْ أسألك ؟ قال : ألا تسألُني عن مالِكَ ما فُعِل به بعدَك ؟ قال : لو أردتُ ذلك ما فارقتُه . قال : أفلا تسألُني عن أهلِكَ مَنْ ماتَ منهم ومَنْ بَقِي ؟ قال : أنا متُّ قبلَهم . قال أفلا تسألُني عمَّا أُضِلُّ به الناس ؟ قال : أنتَ أضَلُّهم ؛ فأخبِرْني عن أوثقِ ما في نفسِك تُضلُّ به بني آدم ؟ قال : ثلاثةُ أخلاق : الشُّحّ ، والحِدَّة ، والسُّكْر ؛ فإنَّ الرجلَ إذا كان شحيحاً قلَّلْنا مالَهُ في عِينه ، ورغَّبْناه في أموال الناس ؛ وإذا كان حَديداً تداولناه بيننا كما يتداوَلُ الصبيانُ الكُرَة ؛ ولو كان يُحيي الموتى بدعوته لم نيأسْ منه ، وكلُّ ما يبنيهِ تَهْدِمُه لنا كلمةٌ واحدة ؛ وإذا سَكِرَ قُدْناهُ إلى كلِّ شرٍّ وفَضيحة ، وخِزْيٍ وهوَان ، كما تُقادُ القِطَّةُ إذا أُخذ بأذنِها كيف شئنا (أخرجه ابن المبارك في الزهد ص(٥١٨ ، ٥١٩) ؛ أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٢ ، ٥٣) .) .

وقال وهب : أصاب أيوبَ البلاءُ سبعَ سنين ، وتُرِك يوسفُ في السجن سبعَ سنين ، ومسخ بختنصر في السباع سبع سنين (كذا في (ق) ، وفي الحلية (٤/ ٥٣) : « وعذب بختنصر وحول في السباع سبع سنين » .) .

وسئل وهبٌ عن الدنانيرِ والدراهم فقال : هي خواتيمُ ربِّ العالمين في الأرضِ لِمَعايشِ بني آدم ، لا تُؤكل ولا تُشرب ، فأينما ذهبتَ بخاتمِ ربِّ العالمين قُضِيَتْ حاجتُك . وهي أزِمَّةُ المنافقين ، بها يقادون إلى الشهوات (المصدر السابق .) .

وروى داود بن عمر الضبيّ ، عن ابن المبارك ، عن معمر ، عن سِمَاك بن الفَضْل (في (ق) : « سماك بن المفضل » تصحيف ، والمثبت من الحلية ، وترجمته في التاريخ الكبير (٤/ ١٧٤) ، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٢٤٩) .) ، عن وهب ، قال : مَثَلُ الذي يدعو بغيرِ عمَل ، مثل الذي يرمي بغيرِ وَتَر .

وقال ابن المبارك (في كتابه الزهد ص(٧٢ ، ٧٣) .) : أخبرني عمر بن عبد الرحمن بن مهرب (وقع في الحلية : « عمر بن عبد الرحمن بن مهدي » وهو تصحيف ، وهو على الصواب في الزهد ، وترجمته في التاريخ الكبير (٦/ ١٧٣) ، والجرح والتعديل (٦/ ١٢١) ، ومشاهير علماء الأمصار ص(١٩٢) .) قال : سمعتُ وهباً يقول : قال حكيمٌ من الحكماء : إني لأستحي من الله عزَّ وجلَّ أن أعبُدَهُ رجاءَ ثوابِ الجنةِ فقط ، فأكون كالأجير السَّوْء ، إنْ أُعْطي عَمِل ، وإنْ لم يعطَ لم يعمل ؛ وإني لأستحي من الله أن أعبدَهُ مخافةَ النار فقط ، فأكونُ كالعبد السَّوْء ، إنْ رَهِبَ عَمِل ، وإنْ تُرِك لم يعملْ ؛ وإني لَيستخرِج مني حُبُّ الله ما لا يستخرج مني غيرُه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٣ ، ٥٤) .) .

وقال السَّريُّ بن يحيى : كتب وَهْبٌ إلى مكحول : إنك قد أصبتَ بما ظهر من علم الإسلام عند الناس محبةً وقال=

. . . .

= وشرفاً ، فاطلب بما بطن من علم الإنسان (كذا في (ق) ، وفي الحلية : « من علم الإسلام » .)
عند الله محبةً وزُلْفَى ، واعلمْ أنَّ إحدى المحبَّتَيْن تمنعُ الأخرى . أو قال : سوف تمنعُك الأخرى (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٤) .) .

وقال زافر بن سليمان : عن أبي سنان الشيباني ، قال : بلغَنا أنَّ وهبَ بن منبِّه قال : قال لقمانُ لابنه : يا بني ، اتخذْ طاعةَ الله تجارةً تزيدُ بها ربحَ الدنيا والآخرة ، والإيمانَ سفينتَك التي تحملُ عليها ، والتوكُّلَ على الله شراعَها ، والدنيا بحرَك ، والأيامَ موجَك ، والأعمالَ الصالحةَ تجارتَكَ التي ترجو رِبْحَها ؛ والنافلةَ هديَّتَك التي ترجو بها كرامتَك ، والحِرْصَ عليها [الرِّيحَ التي] تُسيِّرُها وتُزْجيها ، ورَدَّ النفسِ عن هواها مراسِيَها ، والموتَ ساحلَها ، والله مَالِكها وإليه مصيرُها . وأحبُّ التجار إلى الله وأفضلُهم وأقربُهم منه أكثرُهم بضاعةً ، وأصفاهم نيةً ، وأخلصهمْ هديةً ، وأبغضُهم إليه أقلُّهم بضاعةً وأردَؤهم هديةً وأخبَثُهم طويةً ؛ فكلَّما حسَّنْتَ تجارتَك ازدادَ رِبْحُك ؛ وكلَّما خلصَتْ هديتُك تُكْرَم (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٤) ، وما بين معقوفين منه .) .

وفي رواية عنه أنه قال : قال لقمانُ لابنِه : يا بُنيَّ ، اتخذْ طاعةَ الله بضاعةً تأتِك الأرباحُ من كلِّ مكان ، واجعلْ سفينتَكَ تقوى الله ، وحشوَها التوكُّلَ على الله ، وشراعَها الإيمان بالله ، وبحرَك العِلْم النافع ، والعمل الصالح ، لعلَّكَ أنْ تنجو ، وما أراك بناج (أخرجه ابن المبارك في الزهد ص(١٩٠) بنحوه .) .

وقال عبد الله بن المبارك (في كتابه الزهد ص(١٩) برقم (٥٦) .) : عن رباح بن زيد ، عن رجل ، قال : إنَّ للعلم طُغياناً كطغيانِ المال .

وقال الطبراني : حدّثنا عبيد بن محمد الصنعاني ، حدّثنا أبو قدامة همام بن مسلمة بن عقبة ، حدّثنا غوثُ بن جابر ، حدّثنا عقيل بن منبِّه قال : سمعتُ عمِّي وهبَ بن منبِّه يقول : الأجرُ من الله عزَّ وجلَّ معروض ، ولكنْ لا يستوجبُهُ منْ لا يعمَل ، ولا يَجدُهُ من لا يَبتغيه ، ولا يُبصِرهُ من لا ينظرُ إليه ، وطاعةُ الله قريبةٌ ممّنْ يرغبُ فيها ، بعيدةٌ ممن زَهِدَ فيها ، ومنْ يحرِصْ عليها يَصِلْ إليها ، ومنْ لا يُحبُّها لا يَجدُها ، لا تسبقُ منْ سعى إليها ، ولا يُدْركُها منْ أبطأ عنها ، وطاعةُ الله تُشرِّفُ منْ أكرَمَها وتُهينُ مَنْ أضاعها ، وكتابُ الله يدُلُّ عليها ، والإيمان بالله يَحُضُّ عليها (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٤) .) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا إبراهيم بنُ خالد ، حدّثنا عمر بن عبد الرحمن ، سمعت وهب بن منبِّه يقول : قال داود عليه السلام : يا رب ، أيُّ عبادِكَ أحبُّ إليك ؟ قال : مؤمنٌ حسنُ الصورة ، حسَنُ العمَل . قال : يا ربّ ، أيُّ عبادِك أبغضُ إليك ؟ قال : كافرٌ حسنُ الصورة ، كفَرَ أو شَكَر ، هذان (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٥) ، وروايته : « كفر هذا وشكر هذا » .) .

وفي روايةٍ ذكرها أحمد بن حنبل : أيُّ عبادك أبغضُ إليك ؟ قال : عبدٌ استخارَني في أمرٍ فخرتُ له ، فلم يرضَ به (المصدر السابق .) .

وقال إبراهيم بن الجُنيد : حدّثني إبراهيم بن سعيد ، عن عبد المنعم بن إدريس ، حدّثنا عبد الصمد بن معقل ، عن وهب بن منبِّه ، قال : كان سائحٌ يعبدُ الله تعالى ، فجاءه إبليسٌ أو شيطانٌ فتمثَّلَ بإنسان ، فجعل يُريه أنه يعبدُ الله تعالى ، وجعلَ يزيدُ عليه في العبادة ، فأحبَّه ذلك السائح ، لِمَا رأى من اجتهادِهِ وعبادتِه ، فقال له الشيطان والسائحُ في مصلاَّه : لو دخلنا إلى المدينة فخالَطْنا الناس ، وصبَرْنا على أذاهم ، وأمَرْنا ونَهَيْنا ، كان أعظمَ لأجرِنا . فأجابَهُ السائحُ إلى ذلك ، فلما أخرج السائح إحدى رجلَيْه من بابِ مكانِهِ لينطلقَ معه هَتفَ به هاتف فقال : =

. . . .

= إنَّ هذا شيطانٌ أرادَ أن يَفتِنَك . فقال السائح : رجُلٌ خرجَتْ في معصيةِ الله وطاعةِ الشيطان لا تَدخُلُ معي . فما حوَّلها من موضعها ذلك حتى فارقَ الدنيا ، فأنزل الله تعالى ذِكرَه في بعضِ كتبهِ فقال : وذو الرِّجْل (المصدر السابق .) .

وقال وهب : أتى رجلٌ من أهلِ زمانهِ إلى مَلِكٍ كان يَفتِنُ الناسَ على أكلِ لحم الخِنْزير ، فأعظمَ الناسُ مكانَه ، وهالَهُمْ أمرُه ، فقال له صاحبُ شُرْطَةِ الملِكِ سِرّاً بينه وبينه : أيها العالم ، اذبَحْ جَدْياً مما يَحلُّ لك أكلُه ، ثم ادفَعْهُ إليَّ أصنعه لك على حِدَتِه ؛ فإذا دَعَا المَلِكُ بلحم الخِنْزير أمرتُ به فوُضع بين يديك ، فتأكلُ منه حلالاً ويَرَى الملِكُ والناسُ أنك إنما أكلتَ لحمَ الخِنْزير . فذبح ذلك العالِمُ جَدْياً ثم دفعه إلى صاحبِ الشرطة ، فصنعه له ، وأمر الطبَّاخين إذا أمَرَ المِلكُ بأنْ يُقَدَّمَ إلى هذا العالم لحم الخِنْزير أنْ يضَعوا بين يدَيْهِ لحمَ هذا الجَدْي ؛ واجتمع الناسُ لينظروا أمْرَ هذا العالِم فيه ، أيأكلُ أم لا ؟ وقالوا : إنْ أكَلَ أكَلْنا ، وإن امتنعَ امتنعْنَا . فجاء الملك فدعا لهم بلحوم الخنازير فوُضعت بين أيديهم ، ووضع بين يدي ذلك العالِم لحمُ ذلك الجَدْي الحلال المُذَكَّى ، فألهمَ الله ذلكَ العالم ، فأُلقيَ في رُوْعِه وفكرِه فقال : هَبْ أني أكلتُ لحمَ الجدي الذي أعلم حِلَّه أنا ، فماذا أصنعُ بِمَن لا يعلم ، والناسُ إنما ينتظرونَ أكْلي ليقتدوا بي وهم لا يعلمون إلا أني إنما أكلتُ لحمَ الخِنْزير ، فيأكلونَ اقتداءً بي ، فأكونُ مِمنْ يحمِلُ أوزارَهم يومَ القيامة ؛ لا أفعلُ واللهِ ، وإنْ قُتلت وحُرِّقتُ بالنار . وأبَى أن يأكل ، فجعلَ صاحبُ الشرطةِ يَغمِزُ إليه ويُومي إليه ويأمرُه بأكلِه ، أيْ إنما هو لحمُ الجَدْي ؛ فأبَى أن يأكل ، ثم أمرَهُ الملكُ أنْ يأكلَ فأبى ، فألَحُّوا عليه ، فأبى ، فأمر الملكُ صاحبَ الشرطةِ بقتْلِه ، فلما ذهبوا بهِ ليقتلوه قالَ له صاحبُ الشرطة : ما منعكَ أنْ تأكلَ من اللحم الذي ذَكَّيْتَهُ أنتَ ودفعتَه إليّ ؟ أظننتَ أني أتيتُكَ بغيره وخُنْتُكَ فيما ائتمنتني عليه ؟ ما كنتُ لأفعلَ والله . فقال له العالم : قد علمتُ أنه هو ولكنْ خفتُ أنْ يتأسَّى الناسُ بي ، وهم إنما ينتظرونَ أكْلي منه ، ولا يعلمون إلَّا أني إنما أكلتُ لحمَ الخِنْزير ، وكذلك كلُّ منْ أُريد على أكلِه فيما يأتي من الزمان يقول : قد أكلَهُ فلان ، فأكونُ فتنةً لهم . فقُتل رَحِمَهُ الله (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٥ ، ٥٦) .) .

فينبغي للعالم أنْ يحذرَ المعايب ، ويجتنبَ المحذورات ، فإنَّ زلَّتَهُ وناقِصتهُ مَنْظورةٌ يَقتدي بها الجاهل .

وقال معاذ بنَ جَبَل : اتقوا زَيْغَة الحكيم (ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (١/ ٤٩٥) ضمن كلام لمعاذ . وابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم ص(٢٥٣) ، وبعده : « فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالةِ على لسان الحكيم » .) .

وقال غيرُه : اتقوا زَلَّةَ العالم فإنه إذا زَلَّ زَلَّ بزلَّتِهِ عالَم كثير (أخرجه ابن المبارك في الزهد ص(٥٢٠) معزوّاً لعيسى صلوات الله عليه .) .

ولا ينبغي له أن يستهينَ بالزَّلَّةِ وإنْ صَغُرَتْ ، ولا يفعلُ الرُّخَصَ التي اختلفَ فيه العلماء ، فإنَّ العالِمَ هو عَصَاةُ كلِّ أعمى من العوام ، بها يصولُ على الحق ليَدْحَضهُ ويقول : رأيتُ فلاناً العالم وفلاناً وفلاناً يفعلونَ ويفعلون . وَلْيَجْتَنبِ العوائدَ النفسية ، فإنَّهُ قد يفعلُ أشياءَ على حُكم العادة ، فيظنُّها الجاهلُ جائزةً أو سنةً أو واجبة ، كما قيل : سَلِ العالم يَصْدُقْكَ ، ولا تقتدِ بفعلِهِ الغريب ، ولكنْ سَلْه عنه يَصْدُقْكَ إنْ كان ذا دِين . وكم أفسدَ النظرُ إلى غالبِ علماءِ زمانِكَ هذا من خَلْق . فما الظنُّ بمخالطتِهِمْ ومجالستِهِمْ ، ولكنْ ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ [الكهف : ١٧] .

وقال محمد بن عبد الملك بن زَنْجَوَيْه : حدّثنا عبد الرزاق عن أبيه ، قال : قلت لوهب بن منبّه : كنتَ ترى =

. . . .

= الرؤيا فتخبرنا بها ، فلا نلبثُ أن نراها كما رأيتها ؟ قال : ذهب ذلك عني منذُ وَليتُ القضاء . قال عبد الرزاق : فحدثت به مَعْمَراً فقال : والحسنُ بعدَ مَا وَليَ القضاءَ لم يحمَدُوا فهمَه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٦) .) .

فمَنْ يأمنُ القراءَ بعدَكَ يا شَهْرُ

(هذا عجز بيت قاله أحدهم لشهر بن حوشب ، من كتب الزيادة هنا هو الذي ساقه ، وأصله : أنه روى يحيى بن أبي بكير الكرماني عن أبيه قال : كان شهر بن حَوْشَب على بيتِ المال ، فأخذ خَريطةً فيها دراهم ، فقيل فيه :

لقد باع شهرٌ دينَهُ بخَريطةٍ فمَنْ يأمَنِ القُرَّاءَ بعدَكَ يا شَهْرُ

أخذتَ بها شيئاً طفيفاً وبعتَهُ من ابنِ جريرٍ إنَّ هذا هو الغَدْرُ

قال الذهبي : قلت إسنادها منقطع ولعلها وقعتْ وتابَ منها أو أخذها متأولاً أن له في بيت مال المسلمين حقاً نسأل الله الصفح . سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٧٥) ، وهو بتحقيقي . وانظر ما سيأتي في ترجمة حوشب ص(٣٠٤) .)

فكيف حالُ مَنْ قد غرق في قاذوراتِ الدُّنيا من علماء زمانكَ هذا ! ولا سيما من بعدِ فتنةِ تيمورلنك ، فإنَّ القلوبَ قد امتلأتْ بحبِّ الدنيا فلا يجد العلمُ فيها مَوْضِعاً ، فجالِسْ مَنْ شئتَ منهم لتنظر مبادىء مجالستهم وغاياتها ولا تستخفك البَدَوات ، فإنما الأمورُ بعواقبها وخواتيمِها ونتائجها وغاياتها . ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ [الطلاق : ٢ و٣] .

وقال وهب : البلاءُ للمؤمن كالشِّكَالِ للدَّابَّة (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٦) ، والشكال : الحبل الذي تُشدُّ به قوائم الدابة . اللسان (شكل) .) .

وقال أبو بلال الأشعري : عن أبي هشام (في (ق) : « عن أبي شهاب » تصحيف والمثبت من الحلية ، ومما سبق من هذا الإسناد ، وترجمته في الجرح والتعديل (٢/ ١٨٧) ، وهو إسماعيل بن عبد الكريم بن معقل بن منبه أبو هشام الصنعاني .) الصنعاني ، عن عبد الصمد ، عن وهب ، قال : مَنْ أُصيب بشيءٍ من البلاء فقد سُلك به طريقُ الأنبياء (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٦) .) .

وقال عبدُ الله ابن الإمام أحمد بن حنبل : حدّثنا عبد الرزاق ، قال : أنبأنا منذر ، قال : سمعتُ وهباً يقول : قرأتُ في كتابِ رجلٍ من الحواريين : إذا سُلك بك طريقٌ ـ أو قال : سبيل أهلِ البلاء ـ فطِبْ نفساً ، فقد سُلك بها طريقُ الأنبياء والصالحين (المصدر السابق .) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا أحمد بن جعفر ، حدّثنا إبراهيم بن خالد ، حدّثني أمية بن شبل ، عن عثمان بن يزدويه ، قال : كنتُ مَعَ وَهْب ، وسعيدِ بن جُبير يومَ عَرَفة تحتَ نَخيلِ ابنِ عامر ، فقال وهب لسعيد : يا أبا عبد الله كم لك منذُ خفتَ من الحجاج ؟ فقال : خرجتُ عن امرأتي وهي حامل ، فجاءني الذي في بطنِها وقد خرَجَ وجهُه (في (ق) : « خرج [شعر] وجهه » ، وهذه الزيادة لا داعي لها ، ومعنى خرج وجهه : أي خرج شعر وجهه وبَقَل . انظر اللسان (خرج) .) . فقال له وهب : إنَّ مَنْ كانَ قبلَكُمْ كان إذا أصابه بلاءٌ عَدَّهُ رخَاءً ، وإذا أصابه رخاءٌ عدَّهُ بلاءً (أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد ص(٣٧٣) ، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٦ ، ٥٧ ، و٢٩٠) .) .

وروى عبد الله بن أحمد بسنده ، عن وهب ، قال : قرأتُ في بعضِ الكتب : ليس من عبادي مَنْ سَحَر أو سُحِرَ له ، أو تكَهَّنَ أو تُكُهِّنَ له ، أو تَطَيَّرَ أو تُطُيِّرَ له ، فمنْ كان كذلك ، فَلْيَدعُ غيري ، فإنما هو أنا ، وخَلْقي كلُّهمْ لي (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٧) . وأخرج البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٦٤) برقم (١١٧٦) عن عبد الرزاق أنا معمر بن قتادة ، أن كعباً قال قال الله عزَّ وجلَّ : ليس من عبادي من سحر أو سحر له أو كهن أو كهن له=

. . . .

= أو تطير أو تطير له ، لكنْ من عبادي من آمن وتوكل علي .) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا إبراهيم بن خالد ، حدّثنا رباح ، عن جعفر بن محمد ، عن التيمي ، عن وهب ، أنه قال : دخولُ الجَمَلِ في سَمِّ الخياط أيْسَرُ من دخولِ الأغنياءِ الجنَّةَ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٧) .) .

قلت (القائل هنا هو الذي زاد في نسخة (ق) المطبوعة .) : هذا إنما هو لشدة الحساب ، وطول وقوف الأغنياء في الكُرَب ، كما قد ضُربت الأمثال للشدائد . والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا عبدُ الرزاق ، حدّثنا بكّار ، قال : سمعتُ وهباً يقول : تَرْكُ المكافأةِ من التَّطْفِيفِ (أخرجه أبو بكر بن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق ص(١١١) برقم (٣٦٥) ، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٨) .) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا الحجاج وأبو النضر ، قالا : حدّثنا محمد بن طلحة ، عن محمد بن جُحادة ، عن وهب ، قال : من يتعبَّدْ يَزْدَدْ قوَّةً ، ومن يكسَلْ يَزْدَدْ فَتْرَةً (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٨) .) .

وقد قال غيره : إنَّ حوراء جاءته في المنام في ليلةٍ باردة فقالت له : قُمْ إلى صلاتِك ، فهي خيرٌ لك من نومةٍ توهنُ بدَنَك . ورأيتُ في ذلك حديثاً لم يحضُرْني الآن وهذا أمرٌ مُجَرَّب ، إنَّ العبادة تنشِّطُ البدَن ، وتُلَيِّنُه وإن النومَ يُكْسِلُ البدَن فيُقَسِّيه ؛ وقد قال بعضُ السلف : لما تبع صِلَةَ بنَ أشْيَم حين دخل تلك الغيضة ، وأنه قام ليلتَه إلى أنْ أصبح قال : فأصبح كأنه باتَ على الحشايا ، وأصبحتُ ولي من الكَسَلِ والفُتور ما لا يعلمه إلا الله عزَّ وجلَّ (انظر قصة صلة بن أشيم والذي تبعه زيد العبدي في شعب الإيمان للبيهقي (٣/ ١٦٠ ، ١٦١) ، برقم (٣٢١١) .) .

وقد قيل للحسن : ما بالُ المتعبِّدين أحسَنُ الناسِ وجوهاً ؟! قال : لأنهم خَلَوْا بالجليل ، فألبسَهُمْ نوراً من نورِه (ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٤١٢) .) .

وقال يحيى بن أبي كثير : والله ما رجلٌ يَخْلو بأهلِه عَروساً أقرَّ ما كانتْ نفسُهُ وآنَسَ بأشدَّ سروراً منهم بمناجاةِ ربِّهم تعالى إذا خَلَوْا به .

وقال عطاء الخراساني : قيامُ الليلِ محْياةٌ للبدَن ، ونورٌ في القلب ، وضياءٌ في الوجه ، وقوَّةٌ في البصرِ والأعضاءِ كلِّها . وإنَّ الرجلَ إذا قام بالليل أصبح فرحاً مسروراً ، وإذا نام عن حِزْبه أصبح حزيناً مكسورَ القلب ، كأنه قد فقَدَ شيئاً ، وقد فقد أعظمَ الأمور له نفعاً .

وقال ابنُ أبي الدنيا : حدّثنا أبو جعفر أحمد بن مَنِيع ، حدّثنا هاشم بن القاسم أبو النضر ، حدّثنا بكر بن حبيش ، عن محمد القرشي ، عن ربيعة بن يزيد ، عن أبي إدريس الخَوْلاني ، عن بلال ، قال : قال رسول الله ﷺ : « عليكم بقيام الليلِ فإنه دأبُ الصالحين قبلَكُمْ ؛ وإنَّ قيامَ الليلِ قُرْبَةٌ إلى الله تعالى ، ومَنْهاةٌ عن الإثم ، وتكفيرٌ عن السيئات ، ومَطْرَدَةٌ للشيطان عن الجسد » (أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ١٢٧) برقم (٣٠٨٧) بنحوه ؛ وابن رجب في جامع العلوم والحكم ص(٢٧٢) ، وفي إسناده ضعف .) .

وقد رواه غيره (أخرجه الترمذي (٣٥٤٩) في الدعوات عن رسولِ الله : باب في دعاء النبي ﷺ عن أبي إدريس الخولاني عن أبي أمامة بلفظ (عليكم بقيام الليل ، فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وهو قرب إلى ربكم ، ومكفرة للسيئات ، ومنهاة للإثم) وهو حديث حسن بطرقه وشواهده ، وانظر (الإحياء) .) من طُرق « عليكم بقيام الليل ، فإنَّه دأب الصالحين قبلكم » . ويكفي في هذا الباب ما رواه أهل الصحيح والمسانيد عن أبي هريرة أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « يَعْقِدُ الشيطانُ على قافيةِ أحدِكم إذا هو نامَ ثلاثَ عُقَد ، يَضرِبُ مكانَ كلِّ عُقْدةٍ : عليك ليلٌ =

. . . .

= طويلٌ فارْقُدْ ، فإذا استيقظَ وذَكَرَ الله انحَلَّتْ عُقْدة ، وإذا توضأ انحلتْ عُقدة ، فإنْ صلَّى انحلَّتْ عُقْدَة ، فأصبح نشيطاً طيِّبَ النفس ، وإلا أصبح خَبيثَ النفس كَسْلان » (أخرجه البخاري في صحيحه (١٠٩١) في الجمعة : باب عقد الشيطان على قافية الرأس ، و(٣٠٩٦) في بدء الخلق : باب صفة إبليس وجنوده ؛ ومسلم (٧٧٦) في صلاة المسافرين : باب ما روي فيمن قام الليل ؛ والنسائي (١٦٠٧) في قيام الليل وتطوع النهار : باب الترغيب في قيام الليل ؛ وأبو داود (١٣٠٦) في الصلاة : باب قيام الليل ؛ وابن ماجه (١٣٢٩) في إقامة الصلاة والسنة فيها : باب ما جاء في قيام الليل ؛ والإمام أحمد في مسنده (٢/ ٢٤٣ و٢٥٣) (٧٢٦٦ و٧٣٩٢) .) .

وهذا بابٌ واسع ، وقد قال هودٌ فيما أخبر الله عنه : ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ [هود : ٥٠] ، ثم قال : ﴿ وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ ﴾ [هود : ٥٢] ، وهذه القوة تشمَلُ جميعَ القوى ، فيزيدُ الله عابديهِ قوةً في إيمانِهم ويقينهم ودينِهم وتوكلِهم ، وغيرِ ذلك مما هو من جنسِ ذلك ؛ ويزِدْهُمْ قوةً في أسماعِهم وأبصارِهم وأجسادِهم وأموالِهم وأولادِهم وغيرِ ذلك ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا إسماعيل بن عبدِ الكريم ، حدّثني عبد الصمد ، أنه سمع وهباً يقول : تصدَّقْ صدقةَ رجلٍ يعلمُ أنه إنما قدَّمَ بين يديهِ مالَه ، وما خلَّف مالَ غيرِه .

قلت : وهذا كما في الحديث : « أيُّكُمْ مالُ وارثِهِ أحبُّ إليه من مالِه » ؟ فقالوا : كُلُّنا مالُه أحبُّ إليه من مال وارثِه . فقال : « إنَّ مالَهُ ما قدَّم ، ومالَ وارثِهِ ما أخَّر » (أخرجه البخاري عن عبد الله بن مسعود (٦٠٧٧) في الرقاق : باب ما قدم من ماله فهو له ؛ والنسائي (٣٦١٢) في الوصايا : باب الكراهية في تأخير الوصية ؛ والإمام أحمد في المسند (١/ ٣٨٣) (٣٦١٩) .) .

قال : وسمعتُ وَهْباً على المنبرِ يقول : احفظوا عني ثلاثاً : إياكم وهوًى متَّبعاً ، وقريبَ سَوْء ، وإعجابَ المرءِ بنفسِه .

وقد رُوِيَتْ هذه الألفاظُ في حديث (ولفظه « ثلاث مهلكات ، شح مطاع ، وهوىً مُتَّبع ، وإعجاب المرء بنفسه » رواه الطبراني في الأوسط وغيره ، من حديث أنس وهو حديث حسن بطرقه وشواهده .) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا يونس بن عبد الصمد بن مَعْقِل ، حدّثنا إبراهيم بن الحجَّاج ، قال : سمعتُ وهباً يقول : أحبُّ بني آدمَ إلى الشيطان النؤومُ الأكول (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٨) .) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا غوث بن جابر ، حدّثنا عمران بن عبد الرحمن أبو الهذيل ، أنه سمع وهباً يقول : إنَّ الله عزَّ وجلَّ يحفظُ بالعبدِ الصالح القَبِيلَ (في (ق) : « القيل » ، وهو تصحيف ، والمثبت من الحلية (٤/ ٥٨) .) من الناس .

وقال أحمد أيضاً : حدّثنا إبراهيم بن عقيل ، حدّثنا عمران أبو الهذيل ـ من الأبناء ـ عن وهب بن منبّه ، قال : ليس من الآدميين أحدٌ إلا ومعه شيطانٌ مُوَكَّلٌ به ؛ فأمَّا الكافرُ فيأكلُ معه ، ويشرب معه ، وينام معه على فراشه ؛ وأمَّا المؤمنُ فهو مجانبٌ له ينتظرُ متى يُصيبُ منه غَفْلَةً أو غِرَّةً ؛ وأحبُّ الآدميِّين إلى الشيطان الأكول النؤوم (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٨ ، ٥٩) .) .

وقال محمد بن غالب : حدّثنا أبو المعتمر ابن أخي بشر بن منصور ، عن داودَ بن أبي هند ، عن وهب ، قال : قرأتُ في بعضِ الكتب التي أُنزلتْ من السماء على بعضِ الأنبياء ، أن الله تعالى قال لإبراهيم عليه الصلاة والسلام : أتدري لِمَ اتخذتُكَ خليلاً ؟ قال : لا يا رب . قال : لِذُلِّ مَقَامِكَ بين يدي في الصلاة (أخرجه أبو نعيم في الحلية =

. . . .

= (٤/٥٩) .) .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدّثنا محمد بن أيوب ، حدّثنا أبو بكر بن عياش ، عن إدريس بن وَهْب بن مُنَبّه ، قال : حدّثني أبي قال : كان لسليمانَ بنِ داود ألفُ بيت ، أعلاهُ قوارير ، وأسفله حديد ، فركبَ الرِّيح يوماً ، فمرَّ بحرَّاث ، فنظر إليه الحراث فاستعظم ما أوتي سليمانُ من الملْكِ ! فقال : لقد أوتي آل داود ملكاً عظيماً ، فحملتِ الريحُ كلام الحرَّاث ، فألقته في أُذنِ سليمان ، قال : فأمر الريحَ فوقفَتْ ؛ ثم نزل يمشي حتى أتى الحرَّاث ، فقال له : إني قد سمعتُ قولك ، وإنما مشَيْتُ إليك لئلا تتمنَّى ما لا تقدِرُ عليه مما أقدَرَني اللهُ عليه تفضُّلاً وإحساناً منه عليّ ، لأنه هو الذي أقامني لهذا وأعانني . ثم قال : والله لَتَسْبيحةٌ واحدةٌ يَقْبَلُها الله عزَّ وجلَّ منكَ أو منْ مؤمنٍ خيرٌ ممَّا أُوتيَ آلُ داودَ من الملك ، لأنَّ ما أُوتِيَ آلُ داودَ من مُلكِ الدنيا يَفْنَى ، والتسبيحةُ تَبْقى ؛ وما يَبْقى خيرٌ مما يَفْنَى . فقال الحرَّاث : أذهبَ الله همَّكَ كما أذهبتَ همِّي (المصدر السابق .) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا إبراهيم بن عَقيل بن مَعْقِل ، حدّثني أبي ، عن وهب بن منبّه ، قال : إنَّ الله عزَّ وجلَّ أعطى موسى عليه السلام نوراً ، فقال له هارون : هَبْهُ لي يا أخي . فوهبَهُ له . فأعطاهُ هارونُ ابنَيْه ، وكان في بيت المقدس آنيةٌ تُعظِّمُها الأنبياءُ والملوك ، فكان ابنا هارونَ يسقيان في تلك الآنية الخمر ، فنزلَتْ نارٌ من السماء فاختطفَتِ ابنَيْ هارون ، فصَعِدَتْ بهما ، ففَزِعَ هارونُ لذلك ، فقام مستغيثاً متوجِّهاً بوجهه إلى السماء بالدعاءِ والتضرُّع ، فأوحى الله إليه : يا هارون ، هكذا أفعل بمَنْ عصاني من أهلِ طاعتي ، فكيف فعلي بمَنْ عصاني من أهلِ معصيتي (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٩) .) ؟.

وقال الحكمُ بن أبان : نزلَ بي ضيفٌ من أهلِ صنعاء فقال : سمعتُ وَهْبَ بن منبّه يقول : إن لله عزَّ وجلَّ في السماء السابعة داراً يُقال لها البيضاء ، يَجْمعُ فيها أرواحَ المؤمنين ، فإذا ماتَ الميتُ من أهلِ الدنيا تَلَقَّتْهُ الأرواح ، فيسألونه عن أخبار الدنيا كما يسألُ الغائبَ أهلُهُ إذا قَدِم عليهم (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٦٠) .) .

وقال : من جعل شهوتَهُ تحتَ قدمِه فَزِعَ الشيطانُ من ظِلّه ؛ ومَنْ غلب علمُهُ هواه فذلك العالِم الغلاَّب (المصدر السابق .) .

وقال فُضيل بن عِيَاض : [قال وهب بن منبّه] : أوحى الله تعالى إلى بعضِ أنبيائه : بعيني ما يتحمَّلُ المتحمِّلون من أجلي ، وما يكابدون في طلبِ مرضاتي ؛ فكيف بهم إذا صاروا إلى داري ؟ وتَبَحْبَحُوا في رياضِ نعمتي ! هنالك فَلْيُبَشَّرِ المضعِفُون لله أعمالَهم بالنظرِ العَجيب من الحبيبِ القريب ؛ أتُراني أنسَى لهم عملاً ، وكيفَ وأنا ذو الفَضْلِ العظيم ؟! أجودُ على المُوَلِّينَ المُعْرِضينَ عني ، فكيف بالمُقْبلينَ عليّ ؟ وما غضِبتُ على شيءٍ كغضَبي على مَنْ أخطأ خطيئةً فاستعظمَها في جَنْبِ عَفْوي ، ولو تعاجَلْتُ بالعقوبة أحداً أو كانتِ العجلةُ من شأني لعاجلتُ القانِطينَ من رحمتي ؛ ولو رآني عبادي المؤمنين كيف أستوهبُهم ممن اعتدَوا عليه ، ثم أحكمُ لِمَنْ وهبَهم بالخُلد المقيم ، [لَمَا] اتهموا فَضْلي وكرمي ! أنا الديَّانُ الذي لا تحلُّ معصيتي ، والذي أطاعني أطاعني برحمتي ، ولا حاجة لي بهوانِ مَنْ خاف مقامي ؛ ولو رآني عبادي يومَ القيامةِ كيف أرفعُ قصوراً تحارُ فيها الأبصار ، فيسألوني لِمَنْ ذا ؟ فأقول : لِمَنْ وَهَبَ لي ذنباً ما لم يُوجبْ على نفسِه معصيتي والقنوطَ من رحمتي ، وإني مكافىءٌ على المدح فامدحوني (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٦٠ ، ٦١) ، وبرواية أخرى في (١٠/ ٨١) .) .

وقال سلمة بن شبيب : حدّثنا سلمة بن عاصم ، حدّثنا عبد الله بن محمد بن عقبة ، حدّثنا عبد الرحمن أبو طالوت ، حدّثني مهاجر الأسدي ، عن وَهْب ، قال : مرَّ عيسى بنُ مريم ومعه الحواريُّون بقريةٍ قد مات أهلُها ، =

. . . .

= إنسُها وجنُّها وهوامُّها وأنعامُها وطيورُها ، فقام عليها ينظرُ إليها ساعةً ، ثم أقبلَ على أصحابه فقال : إنما ماتَ هؤلاءِ بعذابٍ من عندِ الله ، ولولا ذلك لماتوا متفرِّقين . ثم ناداهم عيسى : يا أهلَ القرية ؛ فأجابه مُجيب : لبيكَ يا روحَ الله . فقال : ما كانتْ جنايَتُكم وسبَبُ هلاكِكُمْ ؟ قال : عبادةُ الطاغوت ، وحبُّ الدنيا . قال : وما كانتْ عبادتُكم للطاغوت ؟ قال : طاعة أهل المعاصي هي عبادة الطاغوت . قال : وما كان حُبُّكم للدنيا ؟ قال : كحبِّ الصبيِّ لأمِّه ، كنا إذا أقبلتْ فرِحْنا ، وإذا أدبرتْ حَزِنَّا معَ أملٍ بعيد ، وإدبارٍ عن طاعةِ الله ، وإقبالٍ على مَسَاخِطِه . قال : فكيف كان هلاكُكُمْ ؟ قال : بِتْنا ليلةً في عافية ، وأصبحنا في هاوية . قال : وما الهاوية ؟ قال : سِجِّين . قال : وما السِّجِّين ؟ قال : جَمْرةٌ من نارٍ مثلُ أطباقِ الدنيا كُلِّها ، دُفِنَتْ أرواحُنا فيها . قال : فما بالُ أصحابِك لا يتكلَّمون ؟ قال : لا يستطيعونَ أن يتكلَّموا . قال : وكيف ذلك ؟ قال : هم مُلْجَمون بِلُجُم من نار . قال : وكيف كلَّمْتني أنتَ من بينهم ؟ قال : كنتُ فيهم لَمَّا أصابهم العذاب ، ولم أكنْ منهم ولا على أعمالِهم ، فلمَّا جاء البلاءُ عَمَّني معهم وأنا مُعلَّقٌ بشعرةٍ في الهاوية ، لا أدري أكردَسُ فيها أم أنجو ؟ فقال : عيسى عليه السلام عند ذلك لأصحابه : بحقٍّ أقولُ لكم ، لخُبزُ الشعير ، [و] شُربُ الماءِ القَرَاح ، والنومُ على المزابل ، كثيرٌ على عافيةِ الدنيا والآخرة (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٦١ ، ٦٢) .) .

وروى الطبراني عنه ، أنه قال : لا يكونُ المرءُ حكيماً حتى يطيعَ اللهَ عزَّ وجلَّ ، وما عصى اللهَ حكيمٌ ، ولا يَعصي اللهَ إلَّا أحمق ، وكما لا يكمُلُ النهارُ إلا بالشمس ، ولا يعرفُ الليلُ إلا كذلك لا تكملُ الحكمة إلا بطاعة الله عزَّ وجلَّ ، ولا يعصي الله حكيمٌ ، كما لا يطيرُ الطيرُ إلا بجناحَيْن ، ولا يستطيعُ مَنْ لا جناحَ له أنْ يطير ، كذلك لا يطيعُ الله منْ لا يعملُ له ، ولا يُطيق عملَ اللهِ منْ لا يُطيعه ، وكما لا مُكْثَ للنار في الماء حتى تُطفأ ، كذلك لا مُكثَ لعمَلِ الرِّياء حتى يبور ، وكما يُبدي سرَّ الزانيةِ وفضيحتَها فعلُها ، كذلك يُفتضَحُ بالفعلِ السيِّءِ منْ كان يُقرِّ لِجليسه بالقولِ الحسن ولم يعملْ به (في الحلية : « يغر الجليس بالقول الحسن إذا قال ما لا يفعل » .) ، وكما تكذبُ معذرةُ السارقِ بالسرقةِ إذا ظهرَ عليها عندَه ، كذلك تكذِبُ معصيةُ القارىءِ لله قراءتَه إذا كان يقرؤها لغيرِ الله تعالى (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٦٢) .) .

وقال الطبراني : حدّثنا محمد بن النضر ، حدّثنا علي بن بحر بن برِّي ، حدّثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، حدّثنا عبدُ الصمد بن مَعْقِل ، قال : سمعتُ وَهْباً يقولُ في مزاميرِ آلِ داود : طُوبَى لِمنْ يسلك سبيلَ الحطَّابين ، ولا يجالس البطَّالين ، وطوبى لِمَنْ يسلُكُ طريقَ الأئمة ، ويستقيمُ على عبادةِ ربِّه ؛ فمثلُه كمثَلِ شجرةٍ نابتةٍ على ساقيةٍ لا تزالُ فيها الحياة ، ولا تزالُ خضراء (المصدر السابق .) .

وروى الطبراني أيضاً عنه ، قال : إذا قامتِ الساعةُ صرَختِ الحجارةُ صُراخَ النساء ، وقطَرَتِ العِضَاهُ دَماً (العِضاه : كلُّ شجرٍ له شوك ، مثل الطَّلْح والسَّلم والسَّمُر والسِّدر ، والخبر أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٦٣) .) .

ورُوي عنه أنه قال : ما من شيءٍ إلا يَبدو صغيراً ثم يكبَر إلّا المصيبة ، فإنها تبدو كَبيرةً ثم تصغُر (المصدر السابق .) .

ورُوي عنه أيضاً أنه قال : وقف سائلٌ على بابِ داودَ عليه السلام فقال : يا أهلَ بيتِ النبوَّة ، تصدَّقوا علينا بشيءٍ رزَقَكمُ الله رِزْقَ التاجرِ المقيمِ في أهله . فقال داود : أعْطُوه ، فو الذي نفسي بيدِه ، إنَّها لفي الزَّبُور (المصدر السابق .) . =

. . . .

= وقال : منْ عُرفَ بالكذب لم يَجُزْ صِدْقُه ؛ ومنْ عُرف بالصِّدْق اؤتُمنَ على حديث ؛ ومنْ أكثر الغِيبة والبغضاءَ لم يوثَقْ منهُ بالنَّصيحة ؛ ومنْ عُرف بالفُجور والخديعة لم يؤمنْ إليه في المِحْنة ؛ ومنِ انتحلَ فوقَ قدرِه جُحِدَ قدرُه . ولا تستحسِنْ فيكَ ما تستقبِحُ في غيرِك (في الحلية (٤/ ٦٣) : « ولا يحسن فيه ما يقبح في غيره » .) .

هذه الآثارُ رواها الطبرانيُّ عنه من طُرق .

وروى داود بن عمرو ، عن إسماعيل بن عياش ، عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيْم ، قال : قدم علينا وَهْبٌ مكة ، فطفِقَ لا يشربُ ولا يتوضأُ إلّا من زَمْزم ، فقيل له : ما لَكَ في الماء العذب ؟ فقال : ما أنا بالذي أشربُ وأتوضَّأُ إلّا من زمزمَ حتى أخرجَ منها ؛ إنكم لا تدرونَ ما ماءُ زَمْزم ، والذي نفسي بيده ، إنها لفي كتاب الله : طَعَامُ طُعْم ، وشفاء سُقْم ، ولا يَعْمِدُ أحدٌ إليها يتضلَّع منها ريّاً ابتغاءَ بركتِها إلا نَزَعتْ منه داءً وأحدثَتْ له شفاءً . وقال : النظرُ في زمزمَ عبادة . وقال : النظرُ فيها يحُطُّ الخطايا حطّاً (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٦٣ ، ٦٤) .) .

وقال وهب : مُسِخَ بُخْتَنَصَّرُ أسداً فكان مَلِكَ السِّبَاع ، ثم مُسخ نَسْراً فكان مَلِكَ الطيور ، ثم مُسخ ثوراً فكان مَلِكَ الدوابّ ، وهو في كلِّ ذلك يَعْقِلُ عَقْلَ الإنسان ؛ وكان مُلكُه قائماً يُدبَّر ، ثم رَدَّ الله عليهِ رُوحَهُ إلى حالةِ الإنسان ، فدعا إلى توحيدِ الله وقال : كلُّ إلَهٍ باطلٌ إلا إلَهَ السماء . فقيل له : أماتَ مؤمناً ؟ فقال : وجدتُ أهلَ الكتاب قدِ اختلفوا فيه ، فقال بعضُهم : آمَنَ قبلَ أنْ يموتَ . وقال بعضهم : قَتَلَ الأنبياءَ وحرَّقَ الكتب ، وحرَّقَ بيتَ المقدِس ، فلم يُقْبَلْ منه التوبة (المصدر السابق (٤/ ٦٤) .) .

هكذا رواه الطبراني عن محمد بن أحمد بن الفرج ، عن عباس بن يزيد ، عن عبد الرزاق ، عن بكّار بن عبد الله ، قال : سمعتُ وَهْبَ بن مُنبِّه يقول . . فذكره . .

وقال وَهْب : كان رجلٌ بمصر ، فسألهم ثلاثةَ أيام أن يُطعِموه فلم يُطعِموه ، فمات في اليوم الرابع ، فكفَّنوه ودفنوه ، فأصبحوا فوجدوا الكفَنَ في مِحرابِهم مكتوباً عليه : قتلتموه حَيّاً وبرَزْتُموهُ ميتاً . قال يحيى : فأنا رأيتُ القريةَ التي ماتَ فيها ذلك الرجل وما بها أحدٌ إلا وله بيتُ ضِيافة ، لا غني ولا فقير (المصدر السابق .) .

هكذا رواه يحيى بن عبد الباقي ، عن علي بن الحسن عن عبد الله بن أخي وهب ، قال : حدّثني عمِّي وَهْب بن منبِّه . . فذكره . . قال : وأهلُ القرية يعترفونَ بذلك ؛ فمن ثمَّ اتَّخذوا بيوتاً للضِّيفانِ والفقراء ، خوفاً من ذلك .

وقال عبد الرزاق : عن بكار ، عن وَهْب ، قال : إذا دخلَتِ الهديةُ من الباب خرجَ الحقُّ من الكُوَّة (المصدر السابق .) .

وقال إبراهيم بن الجنيد : حدّثنا إبراهيم بن سعيد ، عن عبد المنعم بن إدريس ، عن عبد الصمد ، عن وَهب بن منبِّه ، قال : مرَّ نبيٌّ من الأنبياء على عابدٍ في كهف جبل ، فمال إليه فسلَّم عليه وقال له : يا عبد الله ، منذُ كم أنت هاهنا ؟ قال : منذُ ثلاثمئة سنة . قال : من أينَ معيشتك ؟ قال : من ورَقِ الشجر . قال : فمن أين شرابُك ؟ قال : من ماءِ العيون . قال : فأين تكونُ في الشتاء ؟ قال : تحت هذا الجبل . قال : فكيف صبرُك على العبادة ؟ قال : وكيف لا أصبر ؟ وإنما هو يومي إلى الليل ، وأما أمسِ فقد مضى بما فيه ، وأما غدٌ فلم يأتِ بعدُ . فعجب النبيُّ من قوله : إنما هو يومي إلى الليل (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٦٥) .) .

وبهذا الإسناد أنَّ رجلاً من العُبَّاد قال لمعلِّمه : قطعتُ الهوَى ، فلستُ أهوى من الدنيا شيئاً . فقال له معلِّمهُ : أتفرِّقُ بين النساءِ والدوابِّ إذا رأيتهُنَّ معاً ؟ قال : نعم . قال : أتفرِّقُ بين الدنانير والدراهم والحصا ؟ قال : نعم . قال : يا بُني ، إنك لم تقطعِ الهوى عنك ، ولكنَّك قد أوثقته ، فاحذرِ انفلاتَه وانقلابَه (المصدر السابق .) . =

. . . .

= وقال غوث بن جابر بن غيلان بن مُنبِّه : حدثني عَقِيل بن مَعقِل ، عن وهب ، قال : اعمل في نواحي الدِّين لثلاث ، فإنَّ للدِّين نواحِي ثلاثاً ، هُنَّ جِمَاعُ الأعمالِ الصالحة لِمَن أرادَ جمعَ الصالحات : أولاهنَّ تعملُ شكراً لله على الأنعُم الكثيراتِ الغاديات الرائحاتِ الظاهراتِ الباطناتِ الحادثاتِ القديمات ، يعملُ المؤمنُ شكراً لهنّ ، ورجاءَ تَمَامِهنّ . والناحيةُ الثانيةُ من الدِّين رغبةٌ في الجنةِ التي ليس لها ثَمَن ، وليس لها مِثْلٌ ، ولايَزهَدُ فيها وفي العمَلِ لها إلا سفيه فاجر ، أو منافقٌ كافر . والناحيةُ الثالثة من الدِّين أن يعملَ المومنُ فِراراً من النارِ التي ليس لأحدٍ عليها صَبر ، ولا لأحدٍ بها طاقةٌ ولايدَان ، وليست مصيبتُها كالمصيبات ، ولا حُزنُ أهلِها كالأحزان ، نبَؤها عَظيم ، وشأنُها شديد ، والآخرةُ وحزنُها فظيع ، ولايَغفُلُ عن الفِرار والتعوُّذ بالله منها إلا سفيه أحمقُ خاسِر ، قد ﴿ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الحج : ١١] (المصدر السابق .) .

وقال إسحاق بنُ راهويه : حدثنا عبد الملك بن محمد الذِّمَارِي (في الأصل (ق) : (الدمادي) تصحيف ، والمثبت من التاريخ الكبير (١/ ٩٥) في ترجمة (٢٦١) محمد بن سعيد بن رمانة ، والمقتنى في سرد الكنى (٢/ ١٢٦) ، وتقريب التهذيب ص(٣٦٦) . ويقال فيه عبد الملك بن عبد الرحمن أيضاً .) قال : أخبرني محمد بن سعيد بن رمانة ، قال : أخبرني أبي ، قال : قيل لوَهب : أليس مِفتاحُ الجنةِ لا إله إلا الله ؟ قال : بلى ، ولكن ليس مِن مفتاح إلا ولهُ أسنان ، فمن أتى الباب بمفتاحٍ بأسنانه فُتح له ، ومن لم يأتِ البابَ بمفتاحٍ بأسنانهِ لم يُفتَحْ له (أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٩٥) ، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٦٦) .) .

وقال محمد : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، حدثنا عبد الصمد بن مَعقِل ، أنه سمع وَهباً يقول : ركب ابنُ ملكٍ في جُند من قومه وهو شابٌّ ، فصُرع عن فَرَسِه ، فدُقَّ عُنُقه ، فمات في أرضٍ قريبةٍ من القُرى ، فغَضب أبوهُ وحَلَف أن يقتُلَ أهلَ تلك القرية عن آخرهم ، وأن يطأهم بالأفيال ، فما أبقتِ الأفيالُ وطِئتهُ الخيل ، فما أبقتِ الخيلُ وطِئتهُ الرجال . فتوجَّه إليهم بعد أن سقى الأفيالَ والخيل الخمرَ وقال : طؤوهُم بالأفيال ، وإلا فما أبقتِ الأفيالُ فلتَطأهُ الخيل ، فما أخطأتهُ الخيل فَلتطأه الرجال ، فلما سمع بذلك أهلُ تلك القرية ، وعرَفوا أنه قصدَهم لذلك خرجوا بأجمعِهم ، فجأروا إلى الله سبحانه ، وعَجُّوا إليه وابتَهلوا يدعونَه تعالى ليَكشِف عنهم شرَّ هذا الملك الظالم وما قَصَدَهُ من هلاكِهم ، فبينما الملكُ وجيشهُ سائرون على ذلك ، وأهل القريةِ في الابتهال والدعاء والتضرُّع إلى الله تعالى ، إذ نَزَلَ فارسٌ من السماء ، فوقع بينهم ، فنفرتِ الأفيال ، فطغت على الخيل ، وطغتِ الخيلُ على الرجال ، فقُتل الملك ، ومن معه وُطيء بالأفيالِ والخيل ، ونَجَّى الله أهلَ تلك القريةِ من بأسِهم وشَرِّهم (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٦٦) .) .

وروى عبدُ الرزاق ، عن المنذر بن النعمان ، أنه سمع وهباً يقول : قال الله تعالى لصخرةِ بيت المقدس : لأضَعَنَّ عليكِ عرشي ، ولأحشُرَنَّ عليكِ خَلقي ، وليأتينَّك داودُ يومئذ راكباً (المصدر السابق .) .

وروى سِمَاكُ بن الفضل ، عن وهب ، قال : إني لأتفقَّدُ أخلاقي ، وما فيها شيءٌ يُعجِبُني (المصدر السابق .) .

وروى عبد الرزاق عن أبيه ، قال : قال وهب : رُبَّما صلَّيتُ الصُّبحَ بوضوءِ العَتَمة (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٦٦ ، ٦٧) .) .

وقال بَقِيَّةُ بن الوليد : حدثنا ثور بن يزيد (في (ق) : (بقية بن الوليد حدثنا زيد بن خالد) ، وفي الحلية : (بقية بن الوليد عن زيد بن خالد بن معدان) . وكلاهما تصحيف ، والمثبت من كتب الرجال .) ، عن خالد بن مَعدَان ، عن وهب ، قال : كان نُوحٌ عليه السلام من أجملِ أهل زمانه ، وكان يلبس البُرقُع ، فأصابَهُم =

. . . .

= مجاعةٌ في السفينة ، فكان نوحٌ إذا تجَلّى لهم شَبِعوا (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٦٧) ، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٥١) .) .

وقال : قال عيسى : الحق أقولُ لكم : إن أشدَّكم جزعاً على المُصيبة أشدُّكم حُبّاً للدنيا (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٦٧) .) .

وقال جعفر بن بُرقان : بلغنا أن وهباً كان يقول : طُوبى لِمن نظر في عيبِهِ عن عَيب غيرِه ، وطُوبى لمن تواضع لله من غيرِ مَسكنة ، ورحِم أهلَ الذُّل والمَسكنة ، وتصدَّق من مالٍ جَمَعَهُ من غيرِ مَعصية ، وجالسَ أهلَ العلمِ والحِلم والحكمة ، ووَسعَتْهُ السُّنَّة ، ولم يتعدَّها إلى البِدْعَة (المصدر السابق .) .

وروى سيَّار ، عن جعفر ، عن عبد الصمد بن مَعقِل ، عن وهب ، قال : وجدتُ في زَبُورِ داود : يا داود ، هل تدري من أسرَعُ الناسِ مَرّاً على الصِّراط ؟ الذين يَرضَونَ بِحُكمي ، والسنتهم رَطْبَةٌ بذِكْري (المصدر السابق ، وتتمته فيه :(هل تدري أي الفقراء أفضل ؟ الذين يرضون بحكمي وبقسمي ويحمدونني على ما أنعمت عليهم ؛ هل تدري يا داود أي المؤمنين أعظم عندي منزلةً ؟ الذي هو بما أعطى أشدّ فرحاً منه بما حبس) .) .

وقيل : إنَّ عابداً عَبَدَ اللهَ تعالى خمسين سنة ، فأوحى الله إلى نبيِّهم : إني قد غفرتُ له ، فأخبَره ذلك النبيُّ فقال : أي ربِّ ، وأيُّ ذنبٍ تغفرُ لي [ولم أذنب] ؟ فأمر عِرقاً في عُنقه فضَرَبَ عليه ، فلم يَنم ولم يهدأ ولم يصلِّ ليلَته ، ثم سكنَ العِرقُ ، فشكا ذلك إلى النبيِّ فقال : ما لاقيتُ من عرقٍ ضرَبَ علي في عُنقي ثم سكن ؟ فقال له النبي : إنَّ الله يقول : إنَّ عبادتَك خمسين سنة ما تَعدِلُ سكون هذا العِرْق (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٦٨) .) .

وقال وهب : رؤوس النعم ثلاثة : إحداها نعمة الإسلام التي لا تتمُّ نعمةٌ إلا بها ، والثانية نعمةُ العافية التي لا تطيبُ الحياةُ إلا بها ، والثالثة نعمةُ الغِنَى التي لا يتمُّ العيشُ إلَّا بها (المصدر السابق .) .

ومرَّ وهبٌ بِمُبتَلى أعمى ، مجذوم ، مُقعد ، عُريان ، به وَضَح ، وهو يقول : الحمد لله على نِعَمِه . فقال له رجلٌ كان مع وهب : أيُّ شيءٍ بَقِيَ عليكَ من النعمَة تحمدُ اللهَ عليه ؟ فقال المبتلى : ادِم بصرَكَ إلى أهل المدينةِ وانظر إلى كثرة أهلها ، أولا أحمد الله أنه ليس فيها أحدٌ يعرِفُه غيري (المصدر السابق .) .

وقال وهب : المؤمن يخالطُ لِيعلم ، ويَسكت ليسلَم ، ويتكَّلم ليفهَم ، ويخلو لِيَنْعَم (في الأصل (ق) : (ليفقههم ويخلو ليقيم) والمثبت من المصدر السابق .) .

وقال : المؤمن مُفكِّر مُذكِّر مُدَّخِر ، تذكَّر فغلبتهُ السَّكينة ، سكنَ فتواضع فلم يُتَّهَم ، رفضَ الشهوات فصار حُراً ، ألقى عنه الحسدَ فظهرت له المحبَّة ، زهِدَ في كلِّ فانٍ فاستكمل العقل ، رغب في كلِّ باقٍ فعَقَل المعرفة ، قلبُه متعلِّق بهمِّه ، وهمُّهُ موكَّلٌ بِمَعَادِه ، لا يفرحُ إذا فرحَ أهلُ الدنيا ، بل حُزْنهُ عليه سَرمَد ، وفرحُه إذا نامتِ العيونُ ، يتلو كتاب الله ويُرَدِّدُهُ على قلبه ، فمرَّةً يفرُغُ قلبُه ، ومرَّةً تدمَعُ عينُه ، يقطع عنه الليل بالتلاوة ، ويقطع عنه النهار بالخلوةِ والعزلة ، مفكِّراً في ذنوبه ، مستصغراً لأعمالِه (المصدر السابق .) .

وقال وهب : فهذا ينادى يومَ القيامة في ذلك الجمع العظيم على رؤوس الخلائق : قُم أيها الكريم ، فادخل الجنة .

وقال إبراهيم بن سعيد ، عن عبد الرحمن بن مسعود ، عن ثور بن يزيد ، قال : قال وهبُ بن منبِّه : الويل لكم إذا سمَّاكمُ الناس صالحين ، وأكرموكم على ذلك (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٦٩) .) .

وقال الطبراني : حدثنا عُبيد بن محمد الكشوري ، حدثنا همام بن سلمة بن عقبة ، حدثنا غوث بن جابر ، حدثنا=

. . . .

= عقيل بن مَعقل بن مُنبه ، قال : سمعتُ عمّي وهب بن منبّه يقول : يابُني ، أخلص طاعة الله بسريرةٍ ناصحة ، يَصدُق بها فعلُكَ في العلانية ، فإنَّ من فعلَ خيراً ثم أسَرَّهُ إلى الله فقد أصابَ مَوَاضعَه ، وأبلغهُ قراره ، ووضعهُ عند حافظه ، وإن من أسَرَّ عملاً صالحاً لم يَطَّلع عليه إلا الله ، فقد اطَّلع عليه مَن هو حَسْبُه ، واستحفظه واستودعه حفيظاً لايُضيع أجره . فلا تخافَنَّ يا بُني على مَن عَمِل صالحاً أسَرَّهُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ضَيَاعاً ، ولاتخافنَّ ظُلمَهُ ولا هَضمَه ، ولا تظنَّنَّ أنَّ العلانية هي أنجح من السريرة ، فإن مثلَ العلانيةِ مع السريرة كمثَلِ ورق الشجر مع عِرقها ، العلانيةُ وَرَقُها والسريرةُ عِرقُها (في الأصل : (والسريرة أصلها) المثبت من الحلية .) ، إن يُحرَقِ العِرق هلكت الشجرةُ كلُّها ، وإن صَلَحَ الأصلُ صلَحت الشجرةُ ثَمرها وورَقُها ، والورقُ يأتي عليه حِينٌ يَجفُّ ويصيرُ هَبَاءً تَذروهُ الرياح ، بخلافِ العِرق فإنه لا يزالُ ما ظهرَ من الشجرة في خيرٍ وعافية ما كان عِرقُها مستخفياً لايُرى منه شيء ، كذلك الدِّين والعِلم والعمل ، لا يزالُ صالحاً ما كان له سريرةٌ صالحة ، يصدِّقُ الله بها علانية العبد ، فإنَّ العلانية تنفعُ مع السريرة الصالحة ، ولا تنفعُ العلانية مع السريرة الفاسدة ، كما ينفعُ عرق الشجرة صلاحُ فَرعِها ، وإن كان حياتُه من قِبَل عِرقِها ، فإنَّ فَرعَها زينتُها وجمالُها ، وإن كانت السريرةُ هي مِلاكُ الدِّين فإنَّ العلانية معها تُزيِّنُ الدِّين وتُجمِّلُهُ إذا عَمِلَها مؤمنٌ لا يريدُ بها إلا رضاءَ ربِّهِ عزَّ وجلَّ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٦٩ ، ٧٠) .) .

وقال الهيثم بن جميل : حدثنا صالحٌ المُرِّيّ ، عن أبان ، عن وَهب ، قال : قرأتُ في الحكمة : الكُفرُ أربعةُ أركان ، رُكنٌ منه الغضَب ، وركنٌ منه الشهوة ، وركنٌ منه الطمع ، وركنٌ منه الخَوْف (الحلية (٤/ ٧٠) .) .

وقال : أوحى الله تعالى إلى موسى : إذا دعوتني فكن خائفاً مشفقاً وَجِلاً ، وعَفِّر خَدَّكَ بالتراب ، واسجُد لي بمكارم وجهك ويديك ، وسلني حين تسألني بخشيةٍ من قلبكَ ووَجَل . واخشَنِي أيامَ الحياة ، وعلِّم الجُهَّالَ آلائي ، وقل لعبادي لا يتمادَوا في غيٍّ ما هُم فيه ، فإنَّ أخذي أليمٌ شَديد (المصدر السابق .) .

وقال وهب : إذا هَمَّ الوالي بالجَور ، أو عَمِل به ، دخل النقصُ على أهلِ مملكته ، وقلَّتِ البركاتُ في التجارات والزراعاتِ والضروع والمواشي ، ودخلَ المَحقُ في ذلك ، وأدخل الله عليه الذُّلَّ في ذاته وفي مُلكه ، وإذا هَمَّ بالعدلِ والخير كان عكس ذلك من كثرةِ الخير ، ونُموُّ البركات .

وقال وهب : كان في مصحف (كذا في (ق) ، وفي مصادر التخريج (صحف) ، وهو أشبه بالصواب .) إبراهيم عليه السلام : أيها المَلِك المبتلَى إني لم أبعثكَ لتجمعَ الدنيا بعضها على بعض ، ولا لتَبنيَ البنيان ، وإنَّما بعثتُكَ لترفعَ لي دعوةَ المظلوم ، فإني لا أرُدُّها ولو كانت من كافر (وقد جاء هذا المعنى في حديث مرفوع رواه أحمد في المسند (٣/ ١٥٣) من حديث أنس بلفظ « اتقوا دعوة المظلوم ، وإن كان كافراً ، فإنه ليس دونها حجاب » وفي إسناده ضعف .) .

وروى ابنُ أبي الدنيا عن محمد بن إسحاق ، عن وهب بن منبّه ، أنَّ ذا القرنين قال لبعض الملوك : ما بالُ مِلَّتِكم واحدة ، وطريقتُكم مستقيمة ؟ قال : من قِبَلِ أنَّا لا نُخادِعُ ولا يغتابُ بعضُنا بعضاً .

وروى ابنُ أبي الدنيا عنه ، أنه قال : ثلاثٌ من كُنَّ فيه أصاب البِرّ ، سخاوةُ النفس ، والصبرُ على الأذى ، وطِيبُ الكلام (أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ٤٧) .) .

وقال ابنُ أبي الدنيا (في كتابه الصمت ص(٣١١) .) : حدثني سلمة بن شبيب ، حدثنا سهل بن عاصم بن سلمة بن ميمون ، عن المعافى بن عمران ، عن إدريس ، عن ، قال : سمعتُ وهباً يقول : كان في بني إسرائيل رجلان ، بلغَت بهما عبادتُهما أنَّهما مشيَا على الماء ، فبينما هما يمشيان على البحر ، إذا هما برجلٍ يمشي في الهواء ، فقالا =

ثم دخلت سنة إحدى عشرة ومئة

ففيها غزا معاويةُ بن هشام الصائفةَ اليسرى[1] ، وغزا سعيدُ بن هشام الصائفة

= له : يا عبد الله ، بأيِّ شيءٍ أدركتَ هذه المنزلة ؟ قال : بيسيرٍ من البِرِّ فعلْتُه ، ويسيرٍ من الشرِّ تركتُه ، فَطَمْتُ نفسي عن الشهوات ، وكففتُ لِساني عمّا لا يعنيني ، ورغبت فيما دعاني إليه خالقي ، ولزِمْتُ الصمت ، فإنْ أقسمتُ على الله عزَّ وجلَّ أبَرَّ قَسَمي ، وإنْ سألتُهُ أعطاني (وأخرج الخبر أيضاً ابن الجوزي في ذم الهوى ص(٢١) ، وذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص(١١٦) .) .

وقال : حدثني أبو العباس البَصْري الأزدي ، عن شيخ من الأزد ، قال : جاء رجلٌ إلى وَهْب بن منبِّه ، فقال : علِّمني شيئاً ينفعُني الله به . قال : أكثِرْ من ذكرِ الموت ، وأقصِرْ أملَك ، وخَصْلةٌ ثالثة إن أنت أصبتَها بلغتَ الغاية القُصوَى ، وظفِرْتَ بالعبادةِ الكبرى . قال : وما هي ؟ قال : التوكُّل .

ومِمَّنْ تُوفي فيها من الأعيان :

سليمان بن سعد (ترجمته في الجرح والتعديل (٤/ ١١٩) ، معرفة الثقات للعجلي (١/ ٤٢٩) ، الثقات لابن حبان (٦/ ٣٨٩) ، الإصابة (٣/ ٢٩٦) ، الفهرست لابن النديم ص(٣٣٨) .) : كان جميلاً فصيحاً عالماً بالعربية ، وكان يعلِّمُها الناسَ هو وصالح بن عبد الرحمن الكاتب ، وتُوفي صالح بعدَهُ بقليل . وكان صالح فصيحاً جميلاً عارفاً بكتابةِ الديوان ، وبه تخرَّجَ أهلُ العراق من كتابةِ الديوان . وقد ولّاه سليمان بن عبد الملك خراجَ العراق .

أم الهذيل (ترجمتها في طبقات ابن سعد (٨/ ٤٨٤) ، رجال صحيح البخاري (٢/ ٨٥٤) ، معرفة الثقات للعجلي (٢/ ٤٥٠) تهذيب الكمال (٣٥/ ٥١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠٧) الكاشف (٢/ ٥٠٥) ، تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٣٨) ، الإصابة (٨/ ٣١٩) .) : لها رواياتٌ كثيرة ، وقد قرأتِ القرآن وعمرُها اثنتا عشرة سنة ، وكانت فقيهةً عالمة ، من خيارِ النساء ، عاشت سبعين سنة .

عائشة بنت طلحة بن عبدالله التميمي (ترجمتها في طبقات ابن سعد (٨/ ٤٦٧) ، الثقات لابن حبان (٥/ ٢٨٩) معرفة الثقات (٢/ ٤٥٥) ، رجال صحيح البخاري (٢/ ٨٥٥) ، رجال مسلم (٢/ ٤٢٤) ، تهذيب الكمال (٣٥/ ٢٣٧) ، الكاشف (٢/ ٥١٣) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٦٩) ، تقريب التهذيب ص(٧٥٠) .) : أمُّها أمُّ كُلثوم بنتُ أبي بكر ، تزوجت بابنِ خالها عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، ثم تزوجت بعده بمصعب بن الزبير ، وأصدقها مئة ألف دينار ، وكانتْ بارعةَ الجمال ، عظيمةَ الحُسن ، لم يكنْ في زمانها أجمَلَ منها . تُوفيت بالمدينة .

عبدالله بن سعيد بن جُبير (ترجمته في التاريخ الكبير (٥/ ١٠٣) ، رجال صحيح البخاري (١/ ٤٠٧) ، التعديل والتجريح (٢/ ٨٤٦) ، تهذيب الكمال (١٥/ ٢٦) ، الكاشف (١/ ٥٥٨) ، تقريب التهذيب ص(٣٠٥) .) : له رواياتٌ كثيرة ، وكان من أفضلِ أهلِ زمانه .

عبد الرحمن بن أبان (ترجمته في طبقات ابن سعد (القسم المتمم) ص(٢٠٨) ، طبقات خليفة ص(٢٥٩) ، التاريخ الكبير (٥/ ٢٥٤) ، الجرح والتعديل (٥/ ٢١٠) ، الثقات لابن حبان (٧/ ٦٦) ، صفة الصفوة (٢/ ١٤٨) تهذيب الكمال (١٦/ ٤٩٢) ، تهذيب التهذيب (٦/ ١١٩) ، تقريب التهذيب ص(٣٢٥) .) بن عثمان بن عفان : له رواياتٌ كثيرةٌ عن جماعةٍ من الصحابة] .

(١) جاء في هامش (ق) ما نصه : (أي : البلاد الواقعة في ساحل بلاد الأناضول) .

اليمنى[١] حتى بلغَ قَيْسَارِيَّةَ من بلادِ الروم .

وفيها عزلَ هشامُ بنُ عبد الملك أشرس بن عبد الله السُّلمي عن إمرةِ خُراسان ، وولَّى عليها الجُنيد بن عبد الرحمن المُرِّي ، وولَّى الجرَّاح بن عبد الله الحَكَمي أرْمِينيَّة .

وفيها قصدتِ التُّركُ بلاد أذْرَبيجان ، فلَقِيَهُمُ الحارث بن عمرو فهزَمَهُم ، ولما وصَلَ الجُنيد بن عبد الرحمن إلى خراسان تلقَّتْهُ خيولُ الأتراكِ منهزمين من المسلمين ، وهو في سبعةِ آلاف ، فتصافُّوا واقتتلوا قتالاً شديداً ، وطمِعوا فيه وفيمن معه لقلَّتِهم بالنسبة إليهم ، ومعهم مَلِكُهم خاقان ، وكادَ الجنيدُ أن يَهْلك ، ثم أظفَرَهُ الله بِهم فهزمهم هزيمةً مُنكرَة ، وأسرَ ابن أخي ملكِهم ، وبعث به إلى الخليفة .

وحجَّ بالناسِ في هذه السنة إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي ، وهو أميرُ الحرمَيْن والطائف ، وأمير العراق خالدٌ القَسْرِيّ ، وأميرُ خراسان الجُنيد بن عبد الرحمن المُرِّيّ[٢] .

ثم دخلت سنة ثنتي عشرة ومئة

فيها غزا معاويةُ بن هشام الصائفة ، فافتتح حصوناً من ناحيةِ مَلَطية . وفيها سارَت التُّركُ من اللاَّن فلقيهم الجرَّاح بن عبد الله الحَكَمِيّ فيمَنْ معهُ من أهلِ الشام ، وأذْرِبيجان ، فاقتتلوا قبلَ أن يتكاملَ إليه جيشُه ، فاستشهد الجرَّاح رحمه الله وجماعةٌ معه بمَرْجِ أرْدَبيل ، وأخذَ العدوُّ أرْدَبِيل ، فلما بلغ ذلك هشامَ ابن عبد الملك بعث سعيدَ بن عمرو الحَرَشي[٣] بجيش، وأمرَهُ بالإسراع إليهم ، فلحق التُّرك وهم يَسِيرون بأسارى المسلمين نحو ملكِهم خاقان ، فاستنقذ منهم الأسارى ومَنْ كانَ معهم من نساءِ المسلمين ، ومن أهلِ الذِّمَّة أيضاً، وقتلَ من التُّرك مقتلةً عظيمةً جدّاً ، وأسرَ منهم خلقاً كثيراً ، فقتلَهم صَبْراً ، وشَفَى ما كان تغلث[٤] من القلوب ، ولم يكتفِ الخليفة بذلك ، حتى أرسل أخاه مسلمة بن عبد الملك في إثْرِ التُّرك فسار إليهم في بردٍ شديد ، وشتاءٍ عظيم ، فوصل إلى باب الأبواب . واستخلف عنه أميراً ، وسار بمَنْ معَهُ في طلب الأتراك مَلِكِهم خاقان ، وكان من أمْرِه معهم ما سنذكرُه ، ونهض أمير خراسان في طلَبِ الأتراك أيضاً في جيشٍ كثيف ، فوصلَ إلى نهر بَلْخ ، ووجَّه إليهم سريَّةً ثمانيةَ عشرَ ألفاً ، وأخرى عشرة آلاف يمنةً ويسرة ، وجاشتِ التركُ وجيَّشَتْ ، فأتَوا سَمَرْقَند ، فكتب أميرُهم إليه يُعلمه بِهم ، وأنَّه لا يقدِرُ على صَوْنِ

---

(١) جاء في هامش (ق) ما نصه : (أي بر الأناضول من جهة البلاد الداخلية) .

(٢) ينظر تاريخ الطبري ٧/ ٦٧ ـ ٦٩ .

(٣) في (ح ، ق) : (الجرشي) بالجيم ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب) والإكمال لابن ماكولا (٢/ ٢٣٨) .

(٤) كذا في (ق) وسقطت العبارة من (ب ، ح) . ومعنى تَغَلَّثَ : خالطه السّمّ ، وهو من الغَلْثَى ، مقصور ، على مثال السلوى وهو طعامٌ يُخلَط للنسر فيه سم فيأكله فيقتله فيؤخذ ريشه فتراش به السهام . وقيل : العَلْثَى اسم شجرة إذا أطعم ثمرها السباع قتلتها . اللسان (غلث) .

سمرقنْدَ منهم ، ومعهم ملِكُهم الأعظم خاقان ، فالغوثَ الغوثَ . فسار الجُنيدُ مسرعاً في جيشٍ كثيف نحو سمرقند ، حتى وصل إلى شِعب سَمَرْقند ، وبقي بينه وبينها أربعةُ فراسخ ، فصبَّحَه خاقانُ في جَمعٍ عظيم، فحمل خاقان على مقدمة الجُنيد ، فانحازوا إلى العسكر ، والتركُ تتبَعُهم من كلِّ جانب ، فتراءى الجَمعَان والمسلمون يتغدَّون ، ولايشعرونَ بانهزامِ مقدّمتهم وانحيازها إليهم ، فنهضوا إلى السلاح واصطفُّوا على منازِلهم ، وذلك في مجالٍ واسع ، ومكانٍ بارز ، فالتقَوْا ، وحملتِ التركُ على ميمنةِ المسلمين وفيها بنو تميم والأزْد ، فقتل منهم ومن غيرِهم خَلْقٌ كثيرٌ ممن أراد الله كرامتَهُ بالشهادة ، وقد برزَ بعضُ شجعانِ المسلمين لجماعةٍ من المشركين[١] ، فناداهُ ترجمان الملك خاقان إنْ صِرْتَ إلينا جعَلْناك ممن يرفضُ الصنمَ الأعظم فنعبدَك . فقال : ويحكم ! إنما أقاتلكم على أن تعبدوا الله وحدَهُ لا شريكَ له . ثم قاتلهم حتى قُتل رحمه الله ، ثم تَنَاخَى المسلمون ، وتداعَتِ الأبطالُ والشجعانُ من كلِّ مكان ، وصبروا وصابروا ، وحملوا على التُّرك حملةَ رجلٍ واحد ، فهزمَهم الله عزَّ وجلَّ ، وقتلوا منهم خَلْقاً كثيراً ، ثم عطفتِ التُّركُ عليهم ، فقتلوا من المسلمين خَلقاً ، حتى لم يبقَ سوى ألفين ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وقُتل يومئذٍ سَوْرةُ بن الحرِّ ، واستأسروا من المسلمين جماعةً كثيرة ، فحملوهم إلى الملِك خاقان ، فأمَرَ بقَتْلِهم عن آخرِهم فإنا لله وإنا إليه راجعون . وهذه الوقعة يُقالُ لها وقعةُ الشِّعْب ، وقد بسطها ابنُ جريرٍ جداً[٢] .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

رجاء بن حَيْوَةَ الكِنْدِيّ[٣] أبو المِقْدام : ويقال أبو نَصْر الشامي ، وهو تابعيٌّ جَلِيل ، كبيرُ القَدْر ، ثقةٌ فاضلٌ عادل ، ووزيرُ صِدقٍ لخلفاءِ بني أمية . وكان مَكْحُول إذا سُئل يقول : سَلُوا شيخَنا وسيدنا رجاء بن حَيْوَة . وقد أثنى عليه غيرُ واحدٍ من الأئمة ، ووثَّقوه في الرواية ، وله رواياتٌ وكلامٌ حَسن ، رحمه الله .

شَهْرُ بن حَوْشَب الأشعريُّ الحِمْصِيّ[٤] ويقال : إنه دمشقيٌّ تابعيٌّ جليل ، روى عن مولاتِه أسماء بنت يزيد بن السَّكَن وغيرِها .

---

(١) في (ق) : (وقد برز شجعان المسلمين لجماعة من شجعان الترك فقتلهم ، فناداه منادي خاقان : إن . . .) ، والمثبت من (ب ، ح) .

(٢) انظر تاريخ الطبري (٤/ ١٤٦) .

(٣) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٥٤) ، طبقات خليفة (٣١٠) ، التاريخ الكبير (٣/ ٣١٢) ، المعارف (٤٧٢) ، الجرح والتعديل (٣/ ٥٠١) ، ثقات ابن حبان (٤/ ٢٣٧) ، تاريخ دمشق (٨/ ٣١٢) ، المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير (٢/ ٣٨٨) ، تهذيب الكمال (٩/ ١٥١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٥٧) ، تذكرة الحفاظ (١/ ١١٨) ، العبر (١/ ١٣٨) الوافي بالوفيات (١٤/ ت١٢٤) ، تهذيب التهذيب (٣/ ٢٦٥) .

(٤) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٤٩) ، التاريخ الكبير (٤/ ٢٥٨) ، الجرح والتعديل (١/ ١٤٤ ، و٤/ ٣٨٢) ، معرفة الثقات للعجلي (١/ ٤٦١) ، الكامل في الضعفاء لابن عدي (٤/ ٣٦) ، الضعفاء للعقيلي (٢/ ١٩١) ، رجال مسلم (١/ ٣١٢) ، تهذيب الكمال (١٢/ ٥٧٨) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٧٢) ، ميزان=

وحدث عنه جماعةٌ من التابعين وغيرِهم ، وكان عالماً عابداً ناسكاً ، لكنْ تكلَّم فيه جماعةٌ بسبب أخذِه خريطةً من بيتِ المالِ بغيرِ إذنِ وليِّ الأمر ، فعابوه ونزكوا عرضه[١] ، وتركُوا حديثَه ، وأنشدوا فيه الشعر[٢] ؛ منهم شُعبة وغيرُه . ويقال إنه سرق غيرَها ، فالله أعلم . وقد وثَّقه جماعةٌ آخرون[٣] ، فالله أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومئة

ففيها غزَا مُعاويةُ بن هشام أرضَ الرُّوم من ناحيةِ مَرْعَش ، وفيها صار جماعةٌ من دُعاة بني العباس إلى خُراسان ، وانتشروا فيها وقد أخذ أميرُها رجلاً منهم فقتلَه ، وتوعَّدَ غيرَه بمثلِ ذلك ، وفيها وَغَلَ مسلمةُ بن عبدِ الملك في بلاد التُّرْك فقتَلَ منهم خلقاً كثيراً ، وأُمَماً منتشرةً ، حتى قتلَ ابنَ خاقان ، وفتح بلاداً كثيرة ، ودانَتْ له تلك الممالكُ من ناحيةِ بَلَنْجَر[٤] وأعمالِها .

وفيها حجَّ بالناس سليمان بن هشام بن عبد الملك . قاله الواقدي ، وأبو معشر ؛ وقال ابن جرير عن بعضهم : إنه حج بالناس إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي ؛ فالله أعلم[٥] .

ونوَّاب البلاد هم المذكورون في التي قبلَها .

ومِمن تُوفي فيها من الأعيان :

قال ابن جرير[٦] : فيها كان مَهْلِكُ :

الأمير عبد الوهاب بن بخت[٧] : وهو مع البطَّال عبدِ الله بأرضِ الروم ، قُتل شهيداً . وهذه ترجمته ،

= الاعتدال (٣/ ٣٨٩)، تهذيب التهذيب (٤/ ٣٢٤) ، تقريب التهذيب ص(٢٦٩) ، تعجيل المنفعة ص(٥٤١).

(١) أي : طعنوا في عرضه .

(٢) انظر ما تقدم ص(١٣٣) .

(٣) وهذه زيادة أخرى مقحمة من زيادات (ق) وهي :

[وقَبِلُوا روايَتَه وأثنَوْا عليه ، وعلى عبادَتِه ودينِه واجتهادِه ، وقالوا : لا يَقدحُ في روايتِه ما أخذَهُ من بيتِ المالِ إنْ صحَّ عنه ، وقد كان والياً عليه ، متصرِّفاً فيه ، فالله أعلم .

قال الواقدي (انظر طبقات ابن سعد (٧/ ٤٤٩) .) : تُوفي شهرٌ في هذه السنة . أعني سنة اثنتي عشرةَ ومئة ، وقيل قبلَها بسنة ، وقيل سنة مئة] .

(٤) تقدم التعريف ببلنجر في ص(٥٧) حاشية (١) .

(٥) انظر تاريخ الطبري (٤/ ١٤٩) . وصحفت وسقطت بعض الألفاظ من (ق) ، والمثبت من (ب ، ح) وتاريخ الطبري .

(٦) في تاريخ الطبري (٤/ ١٤٩) .

(٧) أخباره في تاريخ الطبري (٤/ ١٤٩) ؛ شذرات الذهب (١/ ١٤٦) ، التحفة اللطيفة للسخاوي (٢/ ٢٢١) .

هو عبدُ الوهاب بن بُخت أبو عُبيدة ، ويقال أبو بكر مولى آلِ مروان ، مَكّيٌّ سكنَ الشام . ثم تحوَّل إلى المدينة ، روى عن ابن عُمر ، وأنس ، وأبي هريرة ، وجماعةٍ من التابعين ، وعنه خَلْق ، منهم أيُّوب ، ومالك بن أنس ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وعُبيد الله العمري . حديثُهُ عن أنس مرفوعاً : « نَضَّرَ الله امرأً سمع مَقَالتي هذه فوَعَاها ، ثم بلَّغها غيرَه ، فرُبَّ حامِلِ فِقْهٍ إلى مَنْ هو أفقهُ منه . ثلاثٌ لا يَغلُّ عليهنَّ صَدْرُ مؤمن : إخْلاصُ العمَلِ لله ، ومُنَاصَحَةُ أولي الأمر ، ولزومُ جماعةِ المسلمين ، فإنَّ[1] دَعْوَتَهُمْ تُحيطُ من ورائهم »[2] .

وروي عن أبي الزِّناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا لَقِيَ أحدُكم أخاهُ فَلْيُسَلِّمْ عليه ، فإنْ حالَتْ بينهما شجرة ، ثم لَقيه ، فَلْيُسلِّمْ عليه »[3] . وقد وثَّق عبدَ الوهاب هذا جماعاتٌ منْ أئمَّةِ العلماء .

وقال مالك : كان كثيرَ الحَجِّ والعُمْرَة والغَزْو حتى استشهد ، ولم يكنْ أحقَّ بما في رَحْلهِ من رفقائِه . وكان سَمْحاً جَوَاداً . استشهد ببلادِ الروم مع الأمير أبي محمد عبدِ الله البطَّال ، ودُفِن هناك رحمه الله . وكانتْ وفاتُه في هذه السنة . قاله خَليفةُ وغيرُه . وذلك أنَّهُ لَقيَ العدو ، ففرَّ بعضُ المسلمين ، فجعلَ يُنادي ويركض فرسَهُ نحو العدوّ أنْ هَلُمُّوا إلى الجنَّة ، ويْحكمْ ! أفِراراً من الجنَّة ؟! أتفِرُّونَ من الجنة !؟ إلى أين ؟ ويحكم ! لا مُقامَ لكم في الدنيا ولا بقاء . ثم قاتَلَ حتى قُتل رحمه الله .

مكحول الشامي[4] : تابعيٌّ جليلٌ ، كَبير القَدْر ، إمامُ أهلِ الشام في زمانه ، وكان مولًى لامرأةٍ من هُذيل ، وقيل : مولى امرأةٍ من آلِ سعيدِ بن العاص ، وكان نُوبيّاً ؛ وقيل : من سَبْي كابُل ؛ وقيل : كان من الأبناء ، من سُلالةِ الأكاسرة . وقد ذكرنا نسَبه في كتابنا « التكميل » .

وقال محمد بن إسحاق : سمعتُهُ يقول : طُفتُ الأرض كلَّها في طلبِ العلم[5] .

---

(١) في (ق) : « كأن » ، والمثب من (ب ، ح) ومسند أحمد .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٢٢٥) (١٢٩٣٧) ؛ ابن ماجه (٢٣٦) في المقدمة : باب من بلغ علماً ، وهو حديث صحيح .

(٣) رواه أبو داود رقم (٥٢٠٠) وأبو يعلى في مسنده رقم (٦٣٥١) وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .

(٤) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٥٣) ، طبقات خليفة (٣١٠) ، تاريخ خليفة (٢٠٦) ، (٣٤٥) ، التاريخ الكبير (٨/ ٢١) ، التاريخ الصغير (١/ ٣٠٦ ، ٣٠٧) ، المعارف (٤٥٢) ، الجرح والتعديل (٨/ ٤٠٧) ، ثقات ابن حبان (٥/ ٤٤٦) ، حلية الأولياء (٥/ ١٧٧) ، طبقات الشيرازي (٧٥) ، المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير (٥/ ٥٢) ، وفيات الأعيان (٥/ ٢٨٠) ، مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٢٢٤) ، تهذيب الكمال (٢٨/ ٤٦٤) ، ، سير أعلام النبلاء (٥/ ١٥٥) ، تذكرة الحفاظ (١/ ١٠٧) ، ميزان الاعتدال (٤/ ١٧٧) ، النجوم الزاهرة (١/ ٢٧٢) ، طبقات الحفاظ (٤٢) ، طبقات الشعراني (١/ ٤٥) ، الكواكب الدرية (١/ ٤٥٥) ، شذرات الذهب (١/ ١٤٦) .

(٥) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٣/ ٥١١) ؛ وذكره الخطيب في الرحلة في طلب الحديث ص(١٩٩) رقم (٩٧) وغيره .

وقال الزهري : العلماء أربعة : سعيد بن المُسيِّب بالحِجاز ، والحسن البصري بالبصرة ، والشعبي بالكوفة ، ومكحول بالشام[١] .

وقال بعضهم : كان لا يستطيعُ أن يقول : قُلْ ، وإنما يقول : كُلْ . وكان له وجاهةٌ عند الناس مهما أمَرَ به من شيء يُفعل .

وقال سعيد بن عبد العزيز : كان أفقهَ أهلِ الشام ، وكان أفقهَ من الزهري[٢] .

وقال غير واحد : توفي في هذه السنة ـ وقيل بعدَها ـ والله أعلم[٣] .

ثم دخلت سنة أربع عشرة ومئة

فيها غَزَا معاويةُ بن هشام الصائفةَ اليسرى ، وعلى اليمنى سليمانُ بن هشام بن عبدِ الملك ، وهما ابنا أميرِ المؤمنين هشام ، وفيها التقى عبدُ الله البطّال وملكُ الروم المسمَّى فيهم قُسْطَنْطِين ، وهو ابنُ هِرَقْلَ الأول الذي كتب إليهِ النبيُّ ﷺ ، فأسرَهُ البطّال ، فأرسلَهُ إلى سليمان بن هشام ، فسار به إلى أبيه .

وفيها عَزَلَ هشامٌ عن إمرةِ مكةَ والمدينةِ والطائفِ إبراهيم بن هشام بن إسماعيل ، وولّى عليها أخاهُ محمدَ بن هشام ؛ فحجَّ بالناس في هذه السنة ـ في قول ـ وقال الواقدي وأبو معشر : إنما حجَّ بالناس خالد بن عبد الملك بن مروان . والله أعلم[٤] .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٧٨ ، ١٧٩) ؛ والخطيب في تاريخ بغداد (١٢/ ٢٢٨) ؛ والمزي في تهذيب الكمال (٢٨/ ٤٧١) .

(٢) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ١٥٩) .

(٣) وهذه زيادة أيضاً مقحمة وهي :

[مَكْحُول الشامي : هو ابن أبي مسلم ، واسم أبي مسلم شهراب (في (ق) : « شهزاب » ، بالزاي ، وهو تصحيف والمثبت من الإكمال لابن ماكولا (٥/ ١) .) بن شاذل . كذا نقلْتُهُ من خطِّ عبدِ الهادي .

وروى ابنُ أبي الدنيا عنه ، أنه قال : من نظَّف ثوْبَه قلَّ همُّه ، ومَنْ طابَ رِيحُه زِيدَ في عَقْلِه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٨٤) . ونسب القول إلى الشافعي في صفة الصفوة (٢/ ٢٥٦) وإحياء علوم الدين (١/ ١٨١) .) .

وقال مكحول : في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر : ٨] ، قال : باردِ الشراب ، وظلالِ المساكن ، وشِبَعِ البطون ، واعتدالِ الخَلْق ، ولَذَاذةِ النَّوْم (ذكره السيوطي في الدر المنثور في تفسير الآية ، عن عياض بن غنم مرفوعاً ، ولم يذكر مكحولاً .) .

وقال : إذا وضع المجاهدون أثقالَهم عن دوابِّهم أتَتْها الملائكةُ فمسحَتْ ظهورَها ، ودعَتْ لها بالبَرَكة إلّا دابّة في عُنقها جرَس] .

(٤) ينظر تاريخ الطبري ٧/ ٩٠ ـ ٩١ .

ومممن تُوفي فيها من الأعيان :

عطاء بن أبي رباح[1] الفِهْري : مولاهم أبو محمد المكّيّ ، أحدُ كبارِ التابعينَ الثقاتِ الرفعاء . يُقال : إنَّه أدرك مئتي صحابي . وقال ابن سعد[2] : سمعت بعضَ أهل العِلم يقول : كان عطاء أسودَ أعورَ أفْطس أشلَّ أعرج ، ثم عَمي بعد ذلك ؛ وكان ثقةً فقيهاً عالماً كثيرَ الحديث .

وقال أبو جعفر الباقر وغيرُ واحد : ما بَقي أحدٌ في زمانِهِ أعلمَ بالمناسكِ منه . وزاد بعضهم : وكان قد حجَّ سبعين حجَّة ، وعُمِّرَ مئةَ سنة ؛ وكان في آخرِ عُمرِهِ يُفطرُ في رمضان من الكِبَرِ والضعف ، ويَفْدي إفطارَهُ ويتأول الآية : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ [البقرة : ١٨٤] ؛ وكان يُنادي منادي بني أمية في أيّامِ مِنَى : لا يُفْتي الناسَ في الحجِّ إلّا عَطاءُ بنُ أبي رَبَاح .

وقال أبو جعفر الباقر : ما رأيتُ فيمَنْ لَقيتُ أفقهَ منه ! وقال الأوزاعي : مات عطاء يومَ مات وهو أرْضى أهلِ الأرضِ عندَهم .

وقال ابن جُريج : كان في المسجد فراش عطاء عشرين سنةً ، وكان من أحسَنِ الناسِ به صلاةً[3] .

وقال قتادة : كان سعيدُ بن المُسَيِّب ، والحسن ، وإبراهيم ، وعطاء ، هؤلاءِ أئمَّةُ الأمصار .

وقال عطاء : إنَّ الرجلَ ليُحدِّثني بالحديث فأُنْصتُ له ، كأني لم أكنْ سمعتُهُ وقد سمعتُهُ قَبْلَ أن يُولد ، فأُريه أنِّي إنما سمعتُهُ الآن منه . وفي رواية : أنا أحفظُ منه له ، فأريهِ أني لم أسمَعْه[4] .

والجمهور على أنه ماتَ في هذه السنة . رحمه الله تعالى . والله أعلم[5] .

---

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٢/ ٣٨٦ و٥/ ٤٦٧) ، تاريخ ابن معين (٢/ ٤٠٢) ، طبقات خليفة (٢٨٠) ، تاريخ خليفة (٣٤٦) ، التاريخ الكبير (٦/ ٤٦٣) ، المعارف (٤٤٤) ، المعرفة والتاريخ (١/ ٧٠١) ، الجرح والتعديل (٦/ ٣٣٠) . الثقات لابن حبان (٥/ ١٩٨) ، طبقات الشيرازي (٦٩) ، حلية الأولياء (٣/ ٣١٠) ، صفة الصفوة (٢/ ٢١١) ، تاريخ مدينة دمشق (١١/ الورقة ٣١٥ب) ، المختار من مناقب الأخيار (٣/ ٥٦٥) ، وفيات الأعيان (٣/ ٢٦١) ، مختصر تاريخ دمشق (١٧/ ٦٥) ، تهذيب الكمال (٢٠/ ٦٩) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٧٨) ، ميزان الاعتدال (٣/ ٧٠) ، تذكرة الحفاظ (٩٨) ، العقد الثمين (٦/ ٨٤) ، غاية النهاية (١/ ٥١٨) ، النجوم الزاهرة (١/ ٢٧٣) ، طبقات الحفاظ (٣٠٩) ، طبقات الشعراني (١/ ٣٩) .

(٢) في الطبقات الكبرى (٥/ ٤٧٠) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣١٠) ؛ وذكره المزي في تهذيب التهذيب (٢٠/ ٨٠) ، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ٨٤) .

(٤) ذكره الذهبي في السير (٥/ ٨٦) .

(٥) وهنا زيادة أيضاً وهي :

أسنَدَ أبو محمد عطاء بنُ أبي رَبَاح ـ واسم أبي رباح أسلم ـ عن عددٍ كثيرٍ من الصحابة ، منهم ابن عُمَر ، وابنُ =

. . . .

= عَمْرو، وعبد الله بن الزُّبير، وأبو هريرة، وزيد بن خالد الجُهَني، وأبو سعيد. وسمع مِن ابنِ عباس التفسيرَ وغيرَه.

وروى عنه من التابعين عِدَّة ؛ منهم الزُّهري ، وعمرو بن دِينار ، وأبو الزُّبير ، وقَتَادة ، ويحيى بن كثير ، ومالك بن دينار ، وحَبيب بن أبي ثابت ، والأعمش ، وأيوب السَّخْتِيَاني ، وغيرُهم من الأئمة والأعلام كثير .

قال أبو هِزَّان : سمعتُ عطاء بن أبي رباح يقول : منْ جلسَ مجلسَ ذِكْر ، كَفَّرَ الله عنه بذلك المجلس عشرَ مجالسَ من مجالِس الباطل (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣١٣) ؛ ذكره ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم ص(١٦٨) .) .

قال أبو هِزَّان : قلت لعطاء : ما مجلسُ الذكر ؟ قال : مجالسُ الحلالِ والحرام (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٩٥) .) . كيف تُصَلِّي ، كيف تصوم ، كيف تَنْكِحُ وتُطَلِّق ، وتَبيع وتَشْتَري ؟ .

وقال الطبراني : حدّثنا إسحاق بن إبراهيم ، أخبرنا عبد الرزاق (في المصنف (٨/ ١٣٠) برقم (١٤٥٩٦) إلى قوله : « يقرضون الدراهم » .) ، عن يحيى بن ربيعة الصَّنْعاني ، قال : سمعتُ عطاء بنَ أبي رباح يقول في قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ [النمل : ٤٨] ، قال : كانوا يُقرِضُونَ الدراهم (إلى هنا أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ٣١٥) من طريق عبد الرزاق . وأورده المصنف في التفسير (٣/ ٣٦٩) في تفسير الآية ، وفيه بعد هذه العبارة : يعني أنهم كانوا يأخذون منها وكأنهم كانوا يتعاملون بها عدداً كما كان العرب يتعاملون .) . قيل : كانوا يقصُّونَ منها ويقطعونها .

وقال الثوري : عن عُبيد الله (في (ق) وحلية الأولياء : « عبد الله » تصحيف ، والمثبت من الإكمال لابن ماكولا (٧/ ٣٠٧) ، وتقريب التهذيب ص(٣٧٥) .) بن الوليد - يعني الوَصَّافي - قال : قلتُ لعطاء : ما ترى في صاحبِ قلَم إنْ هو كتبَ به عاش هو وعيالُه في سَعَة ، وإنْ هو تركه افتقر ؟ قال : من الرأس ؟ قلت : القَسْري لِخالد . قالَ عطاء : قال العبدُ الصالح : ﴿ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ [القصص : ١٧] (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣١٥) .) .

وقال : أفضلُ ما أُوتي العبادُ العقلَ عن الله وهو الدِّين (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣١٥) ، وروايته : قيل لعطاء : ما أفضل ما أُعطي العباد ؟ قال : العقل عن الله عزَّ وجلَّ ، وهو المعرفة بالدين .) .

وقال عطاء : ما قال العبدُ يا رب يا رب - ثلاث مرات - إلا نظرَ الله إليه . قال : فذكرتُ ذلك للحسن ، فقال : أما تقرؤون القرآن : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا ﴾ إلى قوله : ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ [آل عمران : ١٩٣ - ١٩٥] . الآيات (أورده ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص(١٠٦) .) .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدّثنا أبو عبد الله السلمي ، حدّثنا ضمرةُ عن عمر بن الورد (كذا في (ق) والحلية : « عمر بن الورد » ، وفي الزهد لابن أبي عاصم ص(٣٧٧) : « عمرو بن الورد » ولم نقف على ترجمة له .) ، قال : قال عطاء : إنِ استطعتَ أن تخلوَ بنفسِكَ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ فافعَلْ (أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد ص(٣٧٧) ؛ وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣١٤) ؛ كلاهما بهذا الإسناد .) .

وقال سعيد بن سلام البصري : سمعتُ أبا حنيفة النعمان يقول : لَقِيتُ عطاء بمكة ، فسألتُهُ عن شيء ، فقال : من أين أنت ؟ فقلت : من أهلِ الكوفة . قال : أنتَ من أهلِ القرية الذين فرَّقوا (في (ق) : « فارقوا » ، والمثبت من الحلية .) دينهم وكانوا شِيعاً ؟ قلت : نعم ، فمنْ أيِّ الأصناف أنتَ ؟ قلت : ممن لا يسبُّ السَّلف ، ويؤمنُ =

. . . .

= بالقدَر ، ولا يُكَفِّرُ أحداً من أهلِ القِبْلَة بذَنْب . فقال عطاء : عرفتَ فالْزَمْ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣١٤) .) .

وقال عطاء : ما اجتمعتْ عليه الأمة أقوَى عندَنا من الإسناد (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣١٤) .) .

وقيل لعطاء : إنَّ هاهنا قوماً يقولون : الإيمانُ لا يزيدُ ولا يَنْقُصُ . فقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى ﴾ [محمد : ١٧] ، فما هذا الهُدَى الذي زادَهمْ ؟ قلت : ويزعمون أنَّ الصلاةَ والزكاةَ ليستَا من دينِ الله . فقال : قال تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة : ٥] ، فجعل ذلك دِيناً (المصدر السابق .) .

وقال يَعلَى بن عُبيد : دخلنا على محمد بن سُوقَة فقال : ألا أحدِّثكم بحديثٍ لعله أنْ ينفعَكم ، فإنَّه نفعَني ، قال لي عطاءُ بن أبي رباح : يا بنَ أخي ، إنَّ منْ كانَ قبلَكم كانوا يكرهون فُضولَ الكلام ، وكانوا يعدُّونَ فضولَ الكلامِ إثماً ما عدا كتاب الله أنْ يُقرَأ ، أو أمْرٍ بمعروف ، أو نَهْي عن منكر ، أو ينطِقَ العبدُ بحاجتهِ في معيشتهِ التي لابدَّ له منها ؛ أتُنكرون ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴾ [الانفطار : ١٠ ـ ١١] ، و ﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق : ١٧ ـ ١٨] ، أمَا يَستحي أحدُكم لو نُشِرَتْ عليه صَحِيفتُهُ التي أملاها صَدْرَ نَهارِه ، فرأى أكثرَ ما فيها ليس مِنْ أمْرِ دينِه ولا دُنياه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣١٥) .) .

وقال : إذا أنتَ خِفتَ الحَرَّ مِنَ اللَّيل ، فاقرَأْ بسم الله الرحمن الرحيم ، أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم (كذا في (ق) وفي الحلية : إذا تناهقت الحمر من الليل فقولوا بسم الله الرحمن الرحيم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .) .

وروى الطبراني وغيرُه ، إنَّ الحَلْقَة في المسجد الحرام كانتْ لابنِ عباس ، فلما ماتَ ابنُ عباس كانتْ لِعَطاء بنِ أبي رباح .

وروى عثمان بن أبي شيبة عن أبيه ، عن الفضل بن دُكَين ، عن سفيان ، عن سلمةَ بنِ كُهَيْل ، قال : ما رأيتُ أحداً يَطلُبُ بعمَلِه ما عندَ الله تعالى إلّا ثلاثةً : عطاء ، وطاوس ، ومجاهد (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣١١) .) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا ابنُ نمير ، حدّثنا عمر بن ذَرّ ، قال : ما رأيتُ مثلَ عطاءٍ قطُّ ، وما رأيتُ على عطاءٍ قميصاً قطُّ ، ولا رأيتُ عليه ثوباً يساوي خمسةَ دراهم (ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٢١٢) والذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ٨٧) .) .

وقال أبو بلال الأشعري : حدّثنا قيس ، عن عبد الملك بن جُريج ، عن عطاء ، أنَّ يَعْلَى بنَ أمية كانتْ لهُ صُحبة ، وكان يَقعدُ في المسجد ساعةً يَنْوي فيها الاعتكاف (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣١٢) .) .

وروى الأوزاعي عن عطاء ، قال : إنْ كانتْ فاطمةُ بنتُ رسولِ الله ﷺ لتَعْجن ، وإنْ كانتْ قُصَّتُها (القُصَّة : شعر الناصية ، وقُصَّة المرأةِ : ناصيتُها .) لتَضْربُ بالجَفْنَة (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣١٢) .) .

وعن الأوزاعي ، عنه ، قال : ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ ﴾ [النور : ٢] ، قال : ذلك في إقامةِ الحَدِّ عليهما (المصدر السابق .) .

وقال الأوزاعي : كنتُ باليمامة وعليها رجلٌ والٍ يَمْتحنُ الناسَ [برجلٍ] من أصحابِ رسولِ الله ﷺ أنه منافق وما هو بمؤمِن ، ويأخذُ عليهمْ بالطلاقِ والعَتاق ، أنْ يُسمِّيَ المسيءَ منافقاً ، وما يُسمِّيه مؤمناً ؛ فأطاعوه على ذلك وجعلوه له . قال : فلَقيتُ عطاء فيها بعدُ ، فسألتُهُ عن ذلك فقال : ما أرى بذلك بأساً يقولُ الله تعالى : ﴿ إِلَّآ أَن

ثم دخلت سنة خمس عشرة ومئة

ففيها وقع طاعونٌ بالشام ، وحجَّ بالناسِ فيها محمد بن هشام بن إسماعيل ، وهو نائبُ الحرمَيْن والطائف ، والنُّوَّابُ في سائرِ البلاد هُمُ المذكورون في التي قبلَها . والله أعلم .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

أبو جعفر البَاقِر(١) : وهو محمد بن عليِّ بن الحسين بن عليِّ بنِ أبي طالب القرشيُّ الهاشميُّ أبو جعفر

= تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ [آل عمران : ٢٨] (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣١٢ ، ٣١٣) ، وما مرّ بين معقوفين منه .) .

وقال الإمامُ أحمد : حدّثنا سفيان بن عُيَينة ، حدّثنا إسماعيل بن أمية ، قال : كان عطاء يُطيل الصَّمْت ، فإذا تكلّم يُخيَّلُ إلينا أنَّه يؤيَّد (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣١٣) .) .

وقال في قولِهِ تعالى : ﴿ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [النور : ٣٧] ، قال : لا يلهيهم بيعٌ ولا شراءٌ عن مواضِعِ حُقوقِ الله تعالى التي افْتَرَضها عليهم أنْ يؤدُّوها في أوقاتِها ، وأوائِلِها (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣١٢) .) .

وقال ابنُ جَرير : رأيتُ عطاء يَطُوفُ بالبيت ، فقال لقائده : أَمْسِكوا ، احفظوا عني خمساً : القَدَرُ خيرُهُ وشرُّه حُلوهُ ومُرُّه منَ اللهِ عزَّ وجلَّ ، وليس للعبادِ فيهِ مَشيئةٌ ولا تَفْويض ؛ وأهلُ قِبْلَتنا مؤمنون ، حَرَامٌ دماؤهم وأموالُهم إلّا بِحقِّها ؛ وقتالُ الفئةِ الباغيةِ بالأيدي والنعالِ والسلاح (كذا في (ق) ، وفي الحلية : « بالأيدي والنعال ، لا بالسلاح » .) ؛ والشهادةُ على الخوارجِ بالضَّلالةِ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣١٢) .) .

وقال ابن عمر : تجمعون لي المسائل وفيكم عطاءُ بن أبي رباح (المصدر السابق (٣/ ٣١١) .) ؟! .

وقال معاذ بن سعد : كنتُ جالساً عند عطاء ، فحدَّث بحديث فعرض رجلٌ له في حديثه ، فغضِبَ عطاء وقال : ما هذه الأخلاق ؟! وما هذه الطبائع ؟ والله إني لأسمعُ الحديثَ من الرجل وأنا أعلمُ بِهِ منه ، فأُريهِ أني لا أُحسن شيئاً منه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣١١) .) .

وكان عطاء يقول : لأنْ أرى في بيتي شيطاناً خيرٌ من أنْ أرَى فيه وسادة ، لأنَّها تَدْعو إلى النوم .

وروى عثمان بن أبي شيبة عن علي بن المَديني ، عن يحيى بن سعيد ، عن ابنِ جرير ، قال : كان عطاء بعدما كَبِرَ وضَعُف يقومُ إلى الصلاة ، فيقرأ مئتي آيةٍ من سورةِ البقرة وهو قائمٌ لا يزولُ منه شيء ، ولا يتحرَّك (أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٧٧ و٣/ ١٤٨ و٣١٠) ؛ وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ٨٧) .) .

وقال ابن عُيينة : قلتُ لابن جَرير : ما رأيتُ مصلِّياً مثلك ! فقال : لو رأيتَ عطاء (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣١٠) ، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٢١٣) .) ! .

وقال عطاء : إنَّ الله لا يُحبُّ الفتى يَلْبسُ الثوب المشهور ، فيُعرضُ اللهعنه حتى يضعَ ذلك الثوب .

وكان يقال : ينبغي للعبد أنْ يكونَ كالمريض ، لا بدَّ له من قُوت ، وليس كلُّ الطعام يوافقُه .

وكان يقول : الدعوةُ تعمي عينَ الحكيم ، فكيف بالجاهل ؟ ولا تَغبطَنَّ ذا نِعْمةٍ بمَا هو فيه ، فإنك لا تدري إلى ماذا يصيرُ بعدَ الموت] .

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٥/ ٣٢٠) ، تاريخ خليفة (٣٤٩) ، طبقات خليفة (٢٥٥) ، التاريخ الكبير (١/ ١٨٣) ، =

البَاقِر . وأُمُّه أمُّ عبدِ الله بنتُ الحُسين بن علي وهو تابعيٌّ جَلِيلُ القَدْر ، كثيرُ العِلْم ، أحَدُ أعلامِ هذه الأمّةِ عِلْماً وعمَلاً وسيادةً وشرفاً ، وهو أحَدُ مَنْ تَدَّعِي فيه طائفةُ الشيعةِ أنَّهُ أحَدُ الأئمة الاثني عَشَر ، ولم يكنِ الرجلُ على طريقِهم ، ولا على مِنْوَالِهم ، ولا يَدينُ بما وقع في أذْهانِهم وأوْهامِهم وخيالِهم ، بل كان مِمَّنْ يُقَدِّمُ أبا بكرٍ وعمر ، وذلك صحيحٌ عنهُ في الأثَر ، وقال أيضاً : ما أدركتُ أحَداً مِنْ أهلِ بيتي إلّا وهو يتولّاهما . رضي الله عنهما .

وقد روى عن غيرِ واحدٍ من الصحابة ، وحدَّث عنه جماعةٌ من كبارِ التابعين وغيرِهم ، فَمِمَّن رَوَى عنه ابنُه جعفر الصادِق ، والحكم بن عتيبة ، وربيعة ، والأعمش ، وأبو إسحاق السَّبِيعي ، والأوزاعي ، والأعرج ـ وهو أسَنُّ منه ـ وابنُ جُريج ، وعَطاء ، وعمرو بن دِينار ، والزُّهْرِي .

وقال سفيان بن عيينة : عن جعفر الصادق ، قال : حدثني أبي وكان خيرَ محمديٍّ يومئذٍ على وجه الأرض[1] .

وقال العِجْلي : هو مدنيٌّ تابعيٌّ ثقة .

وقال محمد بن سعد[2] : كان ثقةً كثيرَ [العلم و] الحديث ، وكانتْ وفاتُه في هذه السنةِ في قول ، وقيل في التي قبلها ، وقيل في التي بعدها أو في التي هي بعدَها ، وبعدَ بعدِها ، والله أعلم . وقد جاوزَ السبعين . وقيل : لم يجاوزِ الستين . فالله أعلم[3] .

= المعارف (٢١٥) ، الجرح والتعديل (٨/ ٢٦) ، الثقات لابن حبان (٥/ ٣٤٨) ، حلية الأولياء (٣/ ١٨٠) ، طبقات الفقهاء (٦٤) ، صفة الصفوة (٢/ ١٠٨) ، المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير (٤/ ٤٠٩) ، مختصر تاريخ دمشق (٢٣/ ٧٧) ، تهذيب الكمال (٢٦/ ١٣٦) ، تذكرة الحفاظ (١/ ١١٧) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٠١) ، العبر (١/ ١٤٢) ، الوافي بالوفيات (٤/ ١٠٢) تهذيب التهذيب (٩/ ٣٥٠) ، طبقات الشعراني (١/ ٣٢) ، طبقات الحفاظ (٤٩) ، شذرات الذهب (١/ ١٤٩) ، الكواكب الدرية (١/ ٤٤٠) .

(١) أخرجه الرامهرمزي في المحدث الفاصل ص(١٩٨) ، وساق حديثاً بإسناده . وذكره المزي بهذا الإسناد في تهذيب الكمال (٢٦/ ١٤٠) .

(٢) في كتابه الطبقات الكبرى (٥/ ٣٢٣) وما بين معقوفين منه .

(٣) وهنا زيادة مقحمة وهي :

[فصــل :

أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن عليٍّ بن أبي طالب ، كان أبوهُ عليٌّ زينُ العابدين وجَدُّهُ الحسين قُتلا شهيدَيْنِ بالعراق ، وسُمِّيَ الباقِرَ لِبَقْرِهِ العلومَ ، واستنباطِهِ الحُكْم .

كان ذاكراً خاشعاً صابراً ، وكانَ من سُلالةِ النبوّة ، رفيعَ النسَب ، عاليَ الحسَب ، وكان عارفاً بالخَطَرات ، كثيرَ البُكاءِ والعَبَرات ، مُعْرِضاً عن الجِدَالِ والخُصومات .

قال أبو بلال الأشعري : حدثنا محمد بن مروان عن ثابت ، عن محمد بن علي بن الحسين في قوله تعالى : =

. . . .

= ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ [الفرقان : ٧٥] ، قال : الغُرْفَةُ الجَنَّة ، بما صبروا على الفقرِ في الدنيا (أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٤٧ و٣/ ١٨١ ، ١٨٢) .) .

وقال عبد السلام بن حَرْب ، عن زيد بن خَيْثَمة ، عن أبي جعفر ، قال : الصواعِقُ تُصيب المؤمنَ وغيرَ المؤمن ، ولا تُصِيبُ الذاكرَ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٨١) ، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥/ ٤٣٠) (١١٦٢) عن زياد الجعفي عن أبي جعفر ، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ١٠٨) ، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٠٨) .) .

قلت : وقد رُوي نحو هذا عن ابنِ عباس قال : لو نزلَ من السماءِ صواعِقُ عَدَدَ النجوم ، لم تُصِبِ الذاكرَ .

وقال جابر الجعفي : قال لي محمد بن علي : يا جابر ، إني لَمَحزون ، وإني لَمُشتغِلُ القَلْب . قلت : وما حُزْنُكَ وشُغْلُ قلبِك ؟ قال : يا جابر ، إنَّه مَنْ دخلَ قلبَهُ صافي دينِ الله عزَّ وجلَّ شغَلَهُ عمَّا سواه ، يا جابر ، ما الدنيا وماعسى أنْ تكون ؟ هل هي إلا مركباً رَكِبْتَه ؟ أو ثوباً لبسته ؟ أوِ امرأة أَصَبْتَها ؟ ياجابر ، إنَّ المؤمنين لم يطمئنُّوا إلى الدنيا لِبَقاءٍ فيها ، ولم يأمنوا قدومَ الآخرةِ عليهم ، ولم يَصِمَّهُمْ عن ذكرِ اللهِ ما سمعوا بآذانهمْ من الفِتْنَة ، ولم يُعْمِهِمْ عن نورِ الله ما رأوا بأعينِهم من الزِّينة ، ففازوا بثوابِ الأبرار ، إنَّ أهلَ التقوى أيسَرُ أهلِ الدنيا مؤونةً ، وأكثرُهم لكَ مَعُونةً ، إنْ نَسِيتَ ذكَّروك ، وإنْ ذكرتَ أعانوك ، قَوَّالينَ بحق الله ، قوَّامينَ بأمْرِ الله ، قُطعوا لمحبة ربِّهم عزَّ وجلَّ ، ونظروا إلى الله وإلى محبتهِ بقلوبهم ، وتوحَّشوا من الدنيا لطاعةِ محبوبهم ، وعلموا أنَّ ذلك من أمْرِ خالِقهم ، فأنزلوا الدنيا حيثُ أنزلَها مَلِيكُهم ، كمَنْزِلٍ نزلوهُ ثم ارتحلوا عنه وتركوه ، وكما أصبتَهُ في منامِك ، فلما استيقظتَ إذا ليس في يدِكَ منه شيء ، فاحفظِ الله فيما استرعاك من دِينه وحكمتِه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٨٢) ، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ١٠٨ ، ١٠٩) .) .

وقال خالدُ بن يزيد : سمعتُ محمد بن عليٍّ يقول : قال عمر بن الخطاب : إذا رأيتُمُ القارىءَ يُحِبُّ الأغنياء ، فهو صاحبُ الدنيا ، وإذا رأيتُموه يلزَمُ السلطانَ فهو لِصٌّ (كذا في (ق) ورواية أبي نعيم في الحلية (٣/ ١٨٤) وإسناده فيه هكذا : « حدثنا حبيب بن الحسن حدّثنا أبو شعيب الحراني ، حدّثنا خالد بن يزيد ، حدّثنا أبو داود أنه سمع محمد بن علي يقول إذا رايتم القارىء يحب الأغنياء فهو صاحب الدنيا ، وإذا رأيتموه يلزم السلطان من غير ضرورة فهو لص » .) .

وكان أبو جعفر يصلِّي كلَّ يومٍ وليلةٍ [خمسين ركعة] بالمكتوبة (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٨٢) ، وما بين معقوفين منه ، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٠٤ ، ٤٠٥) .) .

وروى ابنُ أبي الدنيا عنه قال : سلاحُ اللئام قَبِيحُ الكلام (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٨٢ ، ١٨٣) ، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ١٠٩) .) .

وروى أبو الأحوص عن منصور ، عنه قال : لكلِّ شيءٍ آفة وآفة العلم النسيان (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٨٣) .) .

وقال لابنه : إياك والكسلَ والضجر ، فإنَّهما مفتاحُ كلِّ خَبِيثة ، إنك إذا كسلت لم تؤدِّ حقاً ، وإنْ ضَجِرتَ لم تصبرْ على حَقّ (المصدر السابق .) .

وقال : أشدُّ الأعمال ثلاثة : ذكرُ اللهِ على كلِّ حال ، وإنصافُكَ من نفسِك ، ومواساةُ الأخِ في المال (المصدر السابق .) . =

. . . .

= وقال خلف بن حوشب : قال أبو جعفر : الإيمان ثابتٌ في القلب ، واليقينُ خَطَرات ، فيمرُّ اليقينُ بالقلب فيصيرُ كأنَّهُ زُبَرُ الحَدِيد (الزُّبَرُ : جمع زُبْرَة ، وهي قطعة الحديد . وزُبَرُ الحديد : قِطَعُه . مختار الصحاح (زبر) .) ، ويخرج منه فيصير كأنَّه خِرقَةٌ بالية (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٨٠) .) .

ومادخل قلبَ عبدٍ شيءٌ من الكِبْر إلَّا نَقَصَ من عَقْلِهِ بقَدْرِهِ أو أكثر منه (المصدر السابق ، وذكره المصنف في تفسيره (٣/ ١٨٠) .) .

وقال لجابر الجعفي : ما يقولُ فقهاءُ العراق في قوله تعالى : ﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ [يوسف : ٢٤] ؟ قال : رأى يعقوبَ عاضاً على إبْهامه . فقال : لا ، حدَّثني أبي عن جَدِّي عليِّ بنِ أبي طالب أنَّ البرهانَ الذي رآه أنَّها حين هَمَّتْ بهِ وهَمَّ بِها ، أيْ طَمِعَ فيها ، قامتْ إلى صَنَمٍ لها مكَلَّلٍ بالدُّرِّ والياقوت في ناحيةِ البيت ، فستَرَتْهُ بثوبٍ أبيض ، خشيةَ أنْ يراها أو استحياءً منه ، فقال لها يوسف : ما هذا ؟ فقالت إلَهي أستحي منه أنْ يراني على هذه الصورة . فقال يوسف : تستحينَ من صنَمٍ لا ينفعُ ولا يَضُرّ ، ولا يسمَعُ ولا يُبصِر ، أفلا أستحي أنا من إلَهي الذي هو قائمٌ على كلِّ نفسٍ بما كسبت !؟ ثم قال : والله لا تنالينَ مني أبداً . فهو البرهان [الذي رأى] (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٨١) وما بين معقوفين منه .) .

وقال بشرُ بن الحارث الحافي : سمعتُ سفيانَ الثوريَّ يقول : سمعت منصوراً يقول : سمعتُ محمد بن عليٍّ يقول : الغِنَى والعِزُّ يجولانِ في قلبِ المؤمن ، فإذا وصلا إلى مكانٍ فيه التوكُّل أوطَنَاه (أوطناه : أيْ اتخذ الغنى والعز قلبَ المؤمنِ وطناً . والخبر أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٨١) .) .

وقال : إنَّ الله يُلقِي في قلوب شيعتِناالرُّعْب ، فإذا قام قائمُنا وظهرَ مَهْدِيُّنا (في (ق) : « مدينا » ، تصحيف ، والمثبت من الحلية .) كان الرجلُ منهم أجرأَ من لَيث ، وأمضَى من سيف (في الحلية : « وأمضى من سنان » والخبر فيه (٣/ ١٨٤) .) .

وقال : شيعتُنا من أطاعَ الله عزَّ وجلَّ واتقاه (المصدر السابق .) .

وقال : إياكم والخصومة ، فإنها تُفسِدُ القلب ، وتُورِثُ النِّفاق (المصدر السابق .) .

وقال : الذين يخوضون في آياتِ الله هم أصحابُ الخصومات (المصدر السابق .) .

وقال عروة بن عبد الله : سألتُ أبا جعفر محمد بن علي عن حِلْيَةِ السيف فقال : لا بأسَ به ، قد حَلَّى أبو بكرٍ الصديقُ سيفَه . قال : قلتُ وتقولُ الصِّدِّيق ؟! قال : فوثب وثبةً واستقبل القِبْلَةَ ثم قال : نَعَمْ الصِّدِّيق (العبارة في الحلية « نعم الصديق » قيلت مرة واحدة .) ، نعم الصِّدِّيق ، فمَنْ لم يقل الصِّدِّيق فلا صدَّق الله له قولاً في الدنيا والآخرة (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٨٥) .) .

وقال جابر الجُعفي : قال لي محمد بن علي : يا جابر ، بلغَني أنَّ قوماً بالعراق يزعمون أنَّهم يُحِبُّونا ، ويتناولون أبا بكرٍ وعمر ، ويزعمون أني أمَرْتُهم بذلك ، فأبلِغْهُمْ عني أنِّي إلى الله منهم بَريء ، والذي نفسُ محمد بيدِه ـ يعني نفسه ـ لو وُلِّيتُ لتقرَّبْتُ إلى الله بدمائهم ، ولا نالَتْني شفاعةُ محمد ﷺ إنْ لم أكنْ أستغفِرُ لهما وأتَرَحَّم عليهما . إن أعداءَ الله لغافلونَ عن فضلِهما وسابقتِهما ، فأبلِغْهُمْ أني بريءٌ منهم ومِمَّن تبرَّأ من أبي بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما (المصدر السابق .) .

وقال : مَنْ لم يعرفْ فضلَ أبي بكرٍ وعمر فقد جَهِل السُّنَّة (المصدر السابق .) .

وقال في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [المائدة : ٥٥] الآية ، قال : هم أصحابُ محمدٍ ﷺ =

= قال : قلتُ يقولون هو عليّ ؟ قال : عليٌّ من أصحاب محمد (المصدر السابق .) .

وقال عبد الله بن عطاء : ما رأيتُ العلماءَ عند أحدٍ أصغرَ منهم عند أبي جعفر محمد بن علي . قال : رأيتُ الحكيم عنده كأنه مُتعلِّم (الحلية (٣/ ١٨٥ ، ١٨٦) .) .

وقال : كان لي أخٌ في عيني عظيم ، وكان الذي عظَّمَه في عيني صِغَرُ الدنيا في عينِه (الحلية (٣/ ١٨٦) .) .

وقال جعفر بن محمد : ذهبتْ بَغْلَةُ أبي . فقال لئن ردَّها الله علي لأحمَدَنَّهُ بمحامدَ يرضاها . فما كان بأسرع من أنْ أُتيَ بها بسَرْجِها لم يُفقَدْ منها . فقامَ فركِبَها ، فلما استوى عليها وجمع إليه ثيابَه رفع رأسه إلى السماء وقال : الحمد لله . لم يَزِدْ على ذلك ، فقيل له في ذلك ، فقال : فهل تركْتُ أو أبْقَيْتُ شيئاً ؟ جعلتُ الحمدَ كلَّه للهِ عزَّ وجلَّ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٨٦) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٩٦) (٤٣٩٢) .) .

وقال عبد الله بن المبارك : قال محمد بن علي : مَنْ أُعطِيَ الخُلُقَ والرِّفْق فقد أُعْطِيَ الخيرَ والراحةَ ، وحَسُنَ حالُه في دنياه وآخرتِه ، ومَنْ حُرِمَهُما كان ذلك سبيلاً إلى كُلِّ شَرٍّ وبَلِيَّة ، إلَّا مَنْ عصَمَهُ الله (أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣/ ١٨٦) .) .

وقال : أَيُدْخِلُ أحَدُكُمْ يدَهُ في كُمِّ صاحبِه فيأخذُ مايُريد تامّاً ؟ قال : قلنا : لا (في (ق) : « إلا قال » بدل « قال : قلنا : لا » ، وهو تحريف ، والمثبت من الحلية .) . قال : فلستم إخواناً كما تزعمون (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٨٧) .) .

وقال : اعرِف مودَّةَ أخيكَ لكَ ، بما لَهُ في قلبِك من المودَّة فإنَّ القلوبَ تتكافأ (المصدر السابق ، وليست فيه الجملة الأخيرة « فإن القلوب تتكافأ » .) .

وسمع عصافيرَ يَصِحْنَ فقال : أتدري ماذا يَقُلْن ؟ قلت : لا . قال : يُسَبِّحْنَ الله ، ويسألْنَهُ رزقَهُنَّ يوماً بيوم (المصدر السابق .) .

وقال : ندعو الله بما نُحب ، وإذا وقع الذي نكره لم نخالفِ الله عزَّ وجلَّ فيما أَحَبّ (في (ق) : « تدعو الله بما يحب ، وإذا وقع الذي تكره لم تخالف الله عز وجل فيما أحب » ، والمثبت من الحلية والخبر فيه (٣/ ١٨٧) .) .

وقال : ما مِنْ عبادةٍ أفضلُ من عِفَّةِ بَطْنٍ أو فَرْج ، وما من شيءٍ أَحَبُّ إلى الله عزَّ وجلَّ من أنْ يُسأل ، ومايدَفعُ القضاءَ إلا الدُّعاء ، وإنَّ أسرعَ الخيرِ ثواباً البِرّ ، وأسرعَ الشرِّ عقوبةً البَغْي ، وكفى بالمرء عَيباً أنْ يُبصِرَ من الناس ما يَعْمَى عليه من نفسه ، وأنْ يأمُرَ الناسَ بما لا يَستطيعُ أنْ يفعلَه ، ويَنهَى الناسَ بما لا يستطيعُ أنْ يتحوَّل عنه ، وأنْ يؤذي جليسَهُ بما لا يَعْنِيه (الحلية (٣/ ١٨٨) .) .

هذه كلماتٌ جوامعُ موانع ، لا ينبغي لعاقلٍ أنْ يفعلَها (كذا ، ولعل الصواب يغفلها) .

وقال : القرآنُ كلامُ اللهِ عزَّ وجلَّ غيرُ مخلوق (المصدر السابق .) .

وقال أبو جعفر : صَحِب عمرَ بن الخطاب رجلٌ إلى مكة ، فمات في الطريق ، فاحتبس عليه عمر حتى صلَّى عليه ودَفنه ، فقلَّ يومٌ إلَّا كان عمرُ يتمثَّلُ بهذا البيت :

وبالغُ أمْرٍ كانَ يأمُلُ دونَهُ ... وَمُخْتَلَجٌ من دونِ ما كان يَأمُلُ

(المصدر السابق .)

وقال أبو جعفر : والله لَمَوْتُ عالم أَحَبُّ إلى إبليسَ من موتِ ألفِ عابد .

وقال : ما اغرورقَتْ عينُ عبدٍ بمائِها إلا حرَّمَ الله وجهَ صاحبها على النار ، فإنْ سالَت على الخدَّين لم يَرْهَقْ وجهَهُ

ثم دخلت سنة ست عشرة ومئة

ففيها غزا معاويةُ بن هشام الصائفةَ ، وفيها وقع طاعونٌ عظيمٌ بالشامِ والعراق ، وكان عُظْمُ ذلك في واسط .

وفي المحرَّم منها تُوفِّي الجُنيد بن عبد الرحمن المُرِّي أميرُ خُراسان من مرضٍ أصابَه في بطنِه ، وكان قد تزوَّجَ الفاضلةَ بنتَ يزيدَ بنِ المهلَّب ، فتغضَّبَ عليه أميرُ المؤمنين هشامُ بن عبد الملك ، فعزلَهُ وولَّى مكانَهُ عاصمَ بنَ عبدِ الله على خُراسان وقال له : إنْ أدركتَهُ قبلَ أن يموتَ فأزهِقْ رُوحه . فما قَدِمَ عاصمُ بن عبد الله خُراسان حتى مات الجُنيد في المحرَّم منها بِمَرْو . وقد قال فيه أبو الجرير[1] عيسى بنُ عِصْمَةَ يَرْثيه :

هَلَكَ الجُودُ والجُنَيْدُ جميعاً ... فعلى الجُودِ والجُنيدِ السلامُ

أصبحا ثاوِيَيْنِ في بَطْنِ مَرْوٍ ... ما تَغَنَّى على الغصونِ الحَمَامُ

كنتُما نُهْزَةَ[2] الكرامِ فلمَّا ... مُتَّ مات النَّدَى وماتَ الكرامُ[3]

ولما قَدِم عاصم بنُ عبد الله خُراسانَ أخَذَ نُوَّابَ الجُنيد بالضربِ البَلِيغ وأنواعِ العقوبات ، وعَسَفَهُم[4] في المصادراتِ والجنايات ، فخرج عن طاعتِه الحارثُ بن شريح ، فبارَزَهُ بالحَرْب ، وجرَتْ بينهما أمورٌ يطولُ ذكرُها . ثم هُزِمَ في آخرِ الأمر الحارثُ بن شُريح ، وظهر عاصمٌ عليه .

قال الواقدي : وفيها حَجَّ بالناس الوليد بن يزيد بن عبد الملك[5] وهو وليُّ الأمرِ من بعد عَمِّهِ

= قترٌ ولا ذِلَّة ، وما من شيءٍ إلّا وله جزاء ، إلّا الدمعةَ فإنَّ الله يُكفِّرُ بها بحورَ الخطايا ، ولو أنَّ باكياً بكى من خشيةِ الله في أُمَّةٍ ، رَحِم اللهُ تلك الأمَّة (أخرجه ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ١٠٩) بنحوه .) .

وقال : بئس الأخُ أخٌ يَرْعاك غَنِيّاً ويَقْطَعُكَ فقيراً (أخرجه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق ص(٩٤) والإخوان له ص(٢١٧) ، وابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ١١٢) .) .

قلت (القائل هو من كتب الزيادة التي في (ق) .) : البيتُ الذي يتمثَّل قبلَه بيتانِ وهو ثالثُهما ، وهذه الأبيات تتضمَّنُ حِكَماً وزُهْداً في الدنيا . قال :

لقد غرَّت الدُّنيا رجالاً فأصبحوا ... بِمَنْزِلَةٍ ما بعدَها متحوَّلُ

فساخِطُ أمْرٍ لا يُبَدَّلُ غيرُهُ ... وراضٍ بأمرٍ غيرُهُ سَيُبَدَّلُ

وبالغُ أمْرٍ كانَ يأمُلُ دونَهُ ... ومُخْتَلَجٌ من دونِ ما كان يَأمُلُ]

(١) كذا في الأصول (ب ، ح ، ق) ، وفي تاريخ الطبري : « أبو الجُوَيْرِية » ولم أقف على ترجمته .

(٢) في (ق) وتاريخ الطبري : « نزهة » والمثبت من (ب ، ح) .

(٣) أخرجه الطبري في تاريخه (٧/ ٩٤) والأبيات فيه بألفاظٍ مقاربة

(٤) « عسفَهُم » : أخذهم بلا تدبيرٍ ولا رَوِيَّة ، من العَسف ، وهو ركوب الأمرِ بلا تدبُّرٍ ولا رَوِيَّة ، يقال : عسَفَه يعسِفُهُ عَسفاً . اللسان (عسف) .

(٥) كذا في الأصول ، وتاريخ الطبري (٧/ ٩٨) ، وفي تاريخ خليفة (٣٤٧) : « وأقام الحج الوليد بن يزيد بن =

هشام بن عبد الملك أمير المؤمنين كما سيأتي إنْ شاء الله تعالى .

ثم دخلت سنة سبع عشرة ومئة

فيها غزا معاويةُ بن هشام الصائفة اليسرى ، وسليمانُ بن هشام الصائفةَ اليُمنى ، وهما ابنا أمير المؤمنين هشام .

وفيها بعث مروان بن محمد ـ وهو مروانُ الحمار[1] ـ وهو على أرْمِينِيَةَ بَعْثَيْن ، ففتح حصوناً من بلاد اللاَّن ، ونزل كثيرٌ منهم على الأمان ، وفيها عَزَلَ هشامٌ عاصمَ بن عبد الله الهلالي عن إمرةِ خُراسان ، وضمَّها إلى خالد بن عبدِ الله القسري مع العراق[2] ، مُعادةً إليه جَرْياً على ما سبق له من العادة ، وكان ذلك عن كتاب عاصم بن عبد الله الهلالي المعزول عنها ، وذلك أنه كتب إلى أمير المؤمنين هشام ، أنَّ ولايةَ خُراسان لا تصلحُ إلاّ مع ولايةِ العراق ، رجاءَ أنْ يُضيفَها إليه ، فانعكس الأمرُ عليه ، فأجابه هشام إلى ذلك قبولاً لِنَصيحتِه وأضافَها إلى خالدِ القَسْري .

وفيها توفي :

قَتَادَةُ بنُ دِعَامَةَ السَّدُوسِيُّ[3] أبو الخطاب البصري الأعمَى : أحد علماء التابعين ، والأئِمَّة العاملين .

= عبد الملك ويقال عيسى بن مقسم مولى الوليد بأمر الوليد » والذي في الطبقات الكبرى (القسم المتمم ص(١٦٤)) عن الواقدي محمد بن عمر قال : حدثني محمد بن عبد الله ، عن الزهري أن هشاماً استعمل ابنه أبا شاكر واسمه مسلمة بن هشام على الحج سنة ست عشرة ومئة ، وأمر الزهري أن يسير معه إلى مكة .

(١) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٦/ ٧٤) في سبب تلقيبه بالحمار : وكان مروان بطلاً شجاعاً داهية رزيناً جباراً ، يصل السير بالسرى ولا يجف له لبد ، دوَّخ الخوارج بالجزيرة ، ويقال : بل العرب تسمي كل مئة عام حماراً ، فلما قارب ملكُ آلِ أمية مئةَ سنة لقَّبوا مروان بالحمار ، وذلك مأخوذٌ من موتِ حمارِ العزير عليه السلام وهو مئة عام ثم بعثهم الله تعالى .

(٢) في (ق) في هذا الموضع زيادة وتحريف ، وأثبتنا ما جاء في (ب ، ح) .

(٣) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٢٢٩) ، طبقات خليفة (٢١٣) ، تاريخ خليفة (٢٣٢) ، (٣٤٨) ، التاريخ الكبير (٧/ ١٨٥) ، التاريخ الصغير (١/ ٣١٨) ، المعارف (٤٦٢) ، المعرفة والتاريخ (٢/ ٢٧٧) ، الجرح والتعديل (٧/ ١٣٣) ، ثقات ابن حبان (٥/ ٣٢١) ، حلية الأولياء (٢/ ٣٣٣) ، طبقات الفقهاء (٨٩) ، الأنساب (٧/ ٥٨) ، صفة الصفوة (٣/ ٢٥٩) ، المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير (٤/ ٢٢٤) ، معجم الأدباء (١٧/ ٩) ، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٥٧) ، وفيات الأعيان (٤/ ٨٥) ، تهذيب الكمال (٢٣/ ٤٩٨) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٩) ، تذكرة الحفاظ (١/ ١٢٢) ، ميزان الاعتدال (٣/ ٣٨٥) ، العبر (١/ ١٤٦) ، مرآة الجنان (١/ ٢٥١) ، طبقات القراء (٢/ ٢٥) ، تقريب التهذيب (٤٥٣) ، النجوم الزاهرة (١/ ٢٧٦) ، الكواكب الدرية (١/ ٤٠٦ و٤/ ٥٠٨) ، شذرات الذهب (١/ ١٥٣) .

روَى عن أنس بن مالك ، وجماعةٍ من التابعين ، منهم سعيدُ بن المُسَيِّب ، والبصري ، وأبو العالية ، وزُرَارَةُ بنُ أوفى ، وعطاء ، ومجاهد ، ومحمد بن سيرين ، ومسروق ، وأبو مِجْلَز ، وغيرهم .

وحدَّث عنه جماعاتٌ من الكبار ، كأيُّوب ، وحماد بن سَلَمة ، وحُمَيد الطويل ، وسعيد بن أبي عَروبة ، والأعمش ، وشُعبة ، والأوزاعي ، ومِسْعَر ، ومَعْمَر ، وهَمَّام .

قال سعيد بن المسيِّب : ما جاءني عراقيٌّ أفضلُ منه ، وقال بكر المزني : ما رأيتُ أحفظَ منه . وقال محمد بن سِيرين : هو من أحفَظِ الناس ، وقال مَطَر الورَّاق : كان قتادةُ إذا سمع الحديث يأخذُه العَوِيلُ والزَّوِيل[1] حتى يحفظَه .

وقال الزُّهْري : هو أعلَمُ من مَكْحُول . وقال معمر : ما رأيتُ أفقهَ من الزُّهري وحَمّاد وقتادة .

وقال قتادة : ما سمعتُ شيئاً إلَّا وعاهُ قلبي .

وقال أحمد بن حنبل : هو أحفظُ أهلِ البصرة ، لا يسمع شيئاً إلَّا حَفِظه . وقُرِىءَ عليه صحيفةُ جابرٍ مرَّةً واحدة ، فحفِظَها . وذُكر يوماً فأثنى على علمِهِ وفقههِ ومعرفتهِ بالاختلاف والتفسير وغير ذلك .

وقال أبو حاتم[2] : كانت وفاتُه بِوَاسط في الطاعون . يعني في هذه السنة ، وعمرُه ستٌّ أو سبعٌ وخمسون سنة[3] .

وفيها تُوفي :

أبو الحُبَاب سعيدُ بن يَسَار ، والأعرج .

---

(١) جاء في غريب الحديث للخطابي (٣/ ١٥٤) : عن مطر الوراق : الزَّوِيل : الزماع والقلق وهو أن لا يستقر على المكان وأصله من زال الشيء عن مكانه يزول عنه زوالاً وزويلا . وفي لسان العرب (زول) : وورد في حديث قتادة أخذَه العَوِيلُ والزَّوِيلُ : أي القَلَق والانزعاج بحيث لا يستقرُّ على المكان ، وهو والزَّوَال بمعنى .

(٢) في الجرح والتعديل (٧/ ١٣٣) .

(٣) وهذه زيادة مقحمة أيضاً وهي :

[قال قتادة : منْ وَثِقَ بالله (كذا في (ق) ، وفي الحلية (٢/ ٣٤٠) وصفة الصفوة (٣/ ٢٥٩) : « من يتق الله » .) كان الله معه ، ومنْ يكنِ الله معه تكنْ معَهُ الفئةُ التي لا تُغلب ، والحارسُ الذي لا ينام ، والهادي الذي لا يَضِلّ ، والعالم الذي لا يَنْسى .

وقال : في الجنة كُوًى إلى النار ، [فيطلع أهل الجنة من تلك الكُوَى إلى النار] فيقولون : ما بالُ الأشقياء دخلوا النار ؟ وإنما دخلنا الجنة بفضلِ تأديبكم ؟ فقالوا : إنَّا كنَّا نأمرُكُمْ ولا نأتمر ، وننهاكم ولا نَنْتَهي (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٤٠) ، وابن الجوزي في صفة الصفوة (٣/ ٢٥٩) ، وما بين معقوفين منهما .) .

وقال : بابٌ من العلم يحفَظُه الرجلُ يطلبُ به صلاحَ نفسِه ، وصلاحَ دينِه ، وصلاحَ الناس ، أفضلُ من عبادةِ حَوْلٍ كامل (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٤١) .) .

وقال قتادة : لو كان يُكتفى من العلم بشيء لاكتَفَى موسى عليه السلام بما عنده ؛ ولكنَّه طلبَ الزِّيادة] .

وابنُ أبي مُلَيكة .

وعبد الله بن أبي زكريا الخُزَاعي .

ومَيْمون بن مِهْران بن موسى بن وردان(١) .

---

(١) وهذه زيادة أيضاً وهي :

[فصل :

فأما سعيدُ بن يسار فكان من العُبَّاد الزُّهَّاد ؛ روَى عن جماعةٍ من الصحابة ، وكذلك الأعرج ، وابنُ أبي مُلَيكة .

وأمَّا مَيمون بن مِهْران (ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٧٧) ، طبقات خليفة (٣١٩) ، تاريخ خليفة (٣٤٧) ، التاريخ الكبير (٧/ ٣٣٨) ، التاريخ الصغير (١/ ٣١٩ ، ٣٢١) ، الجرح والتعديل (٨/ ٢٣٣) ، ثقات ابن حبان (٥/ ٤١٧) ، حلية الأولياء (٤/ ٨٢) ، طبقات الشيرازي (٧٧) ، صفة الصفوة (٤/ ١٩٣) ، المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير (٥/ ٧٩) ، مختصر تاريخ دمشق (٢٦/ ٦٠) ، تهذيب الكمال (٢٩/ ٢١٠) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٧١) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٩٨) ، العبر (١/ ١٤٧) ، تهذيب التهذيب (١٠/ ٣٩٠) ، طبقات الحفاظ (٣٩) ، طبقات الشعراني (١/ ٤٠) ، الكواكب الدرية (١/ ٤٦٣) ، شذرات الذهب (١/ ١٥٤) .) : فهو من أجلاَّءِ علماءِ التابعينَ وزُهَّادِهم وعُبَّادِهم وأئمَّتِهم . كان ميمون إمامَ أهلِ الجَزيرة .

روى الطبرانيُّ عنه أنه قيل له : ما لك لا يُفارقك أخٌ لك عن قِلىً ؟ قال : لأني لا أماريه ولا أُشاريه (أورده المزي في تهذيب الكمال (٢٩/ ٢٢١) .) .

قال عمرو بن ميمون : ما كان أبي يُكثر الصلاةَ ولا الصيام ، ولكنْ كان يكرَهُ أن يُعصى الله عزَّ وجلَّ (ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٤/ ١٩٣) .) .

وروى ابنُ أبي عَدِي عن يونس ، عنه قال : لا تُمارينَّ عالماً ولا جاهلاً ، فإنكَ إنْ ماريْتَ عالماً خَزَنَ عنكَ عِلْمَه ، وإنْ مَا رَيْتَ جاهلاً خَشِنَ بصدرِك (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٢) ، وذكره المزي في تهذيب الكمال (٢٩/ ٢٢٢) .) .

وقال عمرو بن ميمون : خرجتُ بأبي أقودُهُ في بعضِ سككِ البصرة ، فمرَرْنا بجَدْول ، فلم يستطعِ الشيخُ أنْ يتخطَّاه ، فاضجَعْتُ له فمرَّ على ظَهْري ، ثم قمتُ فأخذتُ بيدِه ، ثم دَفَعْنا إلى مَنْزل الحسن ، فطرقتُ الباب ، فخرجَتْ إلينا جاريةٌ سُدَاسية فقالت : منْ هذا ؟ فقلت : هذا مَيمونُ بن مِهران أرادَ لقاءَ الحسن . فقالت : كاتبُ عمر بن عبد العزيز ؟ قلت لها : نعم . قالتْ : يا شَقيّ ، ما بقاؤك إلى هذا الزمان السوء ؟ قال : فبكى الشيخ ، فسمع الحسنُ بكاءَه ، فخرجَ إليه فاعتنقا ، ثم دخلا ، فقال ميمون : يا أبا سعيد ، إني قد أنسْتُ من قلبي غِلْظة ، فاستلِنْ (في (ق) : « فاستكن » ، والمثبت من الحلية .) لي منه . فقرأ الحسنُ : ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ۝ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٠٥ ـ ٢٠٧] . فسقطَ الشيخ مغشياً عليه ، فرأيتهُ يَفْحصُ برجلَيْه كما تفحصُ الشاةُ إذا ذُبحت ، فأقامَ طويلاً ، ثم جاءتِ الجاريةُ فقالت : قد أتعبتُمُ الشيخ ، قوموا تفرَّقوا . فأخذتُ بيدِ أبي ، فخرجتُ فقلت : يا أبتِ أهذا هو الحسن ؟ قال : نعم . قلت : قد كنتُ أحسبُ في نفسي أنَّهُ أكبرُ من هذا . قال : فوكَزَ في صدري وَكْزةً ثم قال : يا بُني ، لقد قرأ علينا آيةً لو فهمتَها بقلبك لألفَيْتَ لها فيه كلوماً (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٢ ، ٨٣) .) . =

. . . .

= وروى الطبراني عنه أنه قال : ما أُحبُّ أني أعطَيْتُ درهماً في لَهْو ، وأنَّ لي مكانه مئةَ ألف ، أخشَى أنْ تصيبَني هذه الآية : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [لقمان : ٦] ، الآية (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٣) .) .

وقال جعفر بن برقان عن ميمون بن مِهْران قال : كنتُ عند عمر بن عبد العزيز ، فلما قمتُ قال عمر : إذا ذهب هذا وأضرابُه لم يبقَ من الناس إلَّا رَجَاج (في (ق) : « مجاجة » ، والمثبت من المصدر السابق ، ولسان العرب إذ جاء فيه : في حديث عمر بن عبد العزيز : الناس رجاجٌ بعد هذا الشيخ ، يعني مَيْمون بنَ مِهْرانَ ؛ هم رَعاعُ الناس وجُهَّالُهم . اللسان (رجج) .) .

وروى الإمام أحمد عن معمر بن سليمان الرَّقِّي ، عن فُرَات بن سليمان ، عن ميمون بن مِهْران ، قال : ثلاثٌ لا تبلو نفسَك بهنّ : لا تدخلْ على سلطان ، وإن قلتَ آمُرُه بطاعةِ الله ؛ ولا تدخلْ على امرأةٍ وإنْ قلتَ أعلِّمُها كتابَ الله ؛ ولا تُصغيَنَّ بسمعكَ إلى ذي هَوًى ، فإنك لا تدري ما يَعْلَقُ بقلبك من هواه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٤ ، ٨٥) ، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ٧٧) .) .

وروى عبد الله بن أحمد عنه في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾ [النبأ : ٢١] ، و ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر : ١٤] ، فقال : التَمِسوا هذين المِرْصادَيْن جوازاً (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٤) .) .

وفي قوله : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [إبراهيم : ٤٢] ، فيها وَعيدٌ شديد للظَّالم وتعزيةٌ للمظلوم (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٣ ، ٨٤) .) .

وقال : لو أنَّ أهلَ القرآن صلَحُوا لصَلَحَ الناس .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبلٍ : حدّثنا عيسى بن سالم الشاشي ، حدّثنا أبو الْمَليح قال : سمعتُ ميمون بن مِهْران يقول : لا خيرَ في الدنيا إلَّا لِرجلَيْن : رجل تائب ـ أو قال : يتوب ـ من الخطيئات ؛ ورجل يعملُ في الدرجات (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٣) ، وابن الجوزي في صفة الصفوة (٤/ ١٩٤) .) .

فلا خيرَ في العيش والبقاء في الدنيا إلَّا لهذَيْن الرجلَيْن ؛ رجل يعملُ في الكفَّارات ؛ ورجل يعملُ في الدرجات ، وبقاءُ ما سواهما وبالٌ عليه .

وقال جعفر بن بُرْقان : سمعتُ ميمونَ بن مِهْران يقول : إنَّ هذا القرآن قد خُلق في صدور كثيرٍ من الناس ، فالتَمسوا ما سواه من الأحاديث ، وإنَّ فيمن يتبع هذا العلم قوماً يتخذونه بضاعة يلتمس بها الدنيا ؛ ومنهم منْ يُريد أن يُماري به ، وخيرُهم منْ يتعلَّمه ويُطيع اللهَ عزَّ وجلَّ به .

وقال : مَنِ اتَّبَعَ القرآن قادَهُ القرآنُ حتى يحلَّ به الجنة ، ومنْ ترك القرآنَ لم يدعْهُ القرآنُ يتْبعُه حتى يَقذِفَهُ في النار (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٤) .) .

وقال الإمامُ أحمد : حدّثنا خالد بن حيان ، حدّثنا جعفر بن بُرْقان ، عن مَيمون بن مِهْران ، قال : لا يَسْلمُ للرجلِ الحلالُ حتى يجعلَ بينهُ وبينَ الحَرَام حاجزاً من الحَلال (المصدر السابق .) .

وقال ميمون : منْ كان يُريد أنْ يعلمَ ما مَنْزلتُهُ عندَ الله فَلْيَنظُرْ في عمَلِه ، فإنه قادمٌ عليه كائناً ما كان (المصدر السابق .) .

وقال عبدُ الله بن أحمد بن حنبل : حدّثنا يحيى بن عثمان الحَرْبي ، حدّثنا أبو المَليح عن ميمون بن مِهْران قال : نظرَ رجلٌ من المهاجرينَ إلى رجلٍ يُصلِّي ، فأخفَّ (في (ق) : « فأخفى » ، والمثبت من الحلية (٤/ ٨٤) والخبر

. . . .

= فيه .) الصلاة فعاتبهُ فقال : إني ذكرتُ ضيعةً لي . فقال : أكبرُ الضَّيعة أضعتَه .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدّثنا جعفر بن محمد الرَّسْعَني (في (ق) : « الدسعني » وفي الحلية : « الرسغني » ، وكلاهما تصحيف ، والمثبت من تقريب التهذيب ص(١٤١) في ترجمته .) ، حدّثنا أبو جعفر النُّفيلي ، حدّثنا عثمان بن عبد الرحمن ، عن طلحة بن زيد ، قال : قال ميمون : لا تعرفِ الأمير ، ولا تعرفْ مَنْ يعرفُه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٥) .) .

وروَى عبد الله بن أحمد ، عنه أيضاً ، قال : لأنْ أُوْتَمَنَ على بيتِ مالٍ أحبُّ إليَّ منْ أنْ أؤتمنَ على امرأة (المصدر السابق .) .

وقال أبو يعلى المَوْصلي : حدّثنا هاشم بن الحارث ، حدّثنا أبو المليح الرَّقّيّ ، عن حبيب بن أبي مَرْزوق ، قال : قال ميمون : وَدِدْتُ أنَّ إحدى عينيَّ ذهبَتْ وبقيتِ الأخرى أتَمَتَّعُ بها ، وأنّي لم ألِ عملاً قطّ . قلتُ : ولا لِعُمَرَ بنِ عبدِ العزيز ؟ قال : ولا لعمرَ بنِ عبد العزيز ؛ لا خيرَ في العملِ لا لِعُمر ، ولا لِغَيْرِه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٦) .) .

وقال أحمد : حدّثنا زيدُ بن الحُبَاب ، حدّثنا سفيان ، حدّثنا جعفر بن بُرْقان ، عن ميمون بن مِهْران ، قال : ما عرضتُ قولي على عمَلي إلَّا وجدتُ من نفسِي اعتِراضاً (المصدر السابق .) .

وقال الطبراني : حدّثنا المِقْدام بن داود ، حدّثنا عليُّ بنُ مَعْبد ، حدّثنا خالد بن حيَّان ، حدّثنا جعفر ، عن ميمون ، قال : قال لي مَيمون : قُلْ لي في وجهي ما أكره ، فإنَّ الرجلَ لا يَنْصحُ أخاهُ حتى يقولَ لهُ في وجهِهِ ما يَكرَه (المصدر السابق .) .

وروى عبدُ الله بن أحمد ، عنه ، في قوله تعالى : ﴿ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾ [الواقعة : ٣] ، قال : تَخْفِضُ أقواماً وترفَعُ آخرين (المصدر السابق .) .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدّثني عيسى بن سالم ، حدّثنا أبو المَليح ، حدّثنا بعضُ أصحابي قال : كنتُ أمشي مع مَيمون ، فنظَرَ ، فرأى عليَّ ثوْبَ كَتَّان ، فقال : أمَا بلغَكَ أنَّه لا يَلْبسُ الكَتَّانَ إلَّا غَنِيٌّ أو غاوٍ (المصدر السابق .) ؟.

وبهذا الإسناد ، سمعتُ مَيمون بنَ مِهْران يقول : أولُ منْ مَشَتِ الرِّجالُ معهُ وهو راكِبٌ الأشعثُ بن قيس الكِنْديّ ، ولقد أدركتُ السَّلَفَ وهم إذا نظروا إلى رجلٍ راكبٍ ورجلٍ [ماشٍ] يحضُرُ معهُ قالوا : قاتله [الله] ، جَبَّار (المصدر السابق ، وما بين معقوفين منه .) .

وقال عبد الله بن أحمد : بَلَغني عن عبد الله بن كريم بن حيان وقد رأيته ، حدّثنا أبو المَليح ، قال : قال ميمون : ما أُحبُّ أنَّ لي ما بين بابِ الرُّهَا إلى حَوْران بخمسة دراهم . وقال ميمون : يقولُ أحدُهم : اجلِسْ في بيتك ، وأغلقْ عليك بابَك ، وانظُرْ هل يأتيكَ رِزْقُك ؟ نعَمْ والله ، لو كان له مثلُ يقينِ مَرْيمَ وإبراهيمَ عليه السلام ، وأغلق عليه بابَه ، وأرخَى عليه سِتْرَه لجاءَهُ رزقُه . وقال : لو أنَّ كلَّ إنسانٍ منّا يتعاهدُ كَسْبَه ، فلم يَكْسِبْ إلَّا طيِّباً فأخرجَ ما عليه ، ما احتيجَ إلى الأغنياء ، ولا احتاجَ الفقراء (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٧) .) .

وقال أبو المليح عن ميمون ، قال : ما بَلَغني عن أخٍ لي مكروهٌ قطُّ إلَّا كانَ إسقاطُ المكروهِ عنه أحَبَّ إليَّ من تَخفيفِهِ عليه ؛ فإنْ قال : لم أقُلْ ، كان قولُهُ : لم أقُلْ أحَبَّ إليَّ من ثمانيةٍ يشهدونَ عليه ؛ فإنْ قال : قلتُ ولم يعتذِرْ أبغضْتُهُ من حيثُ أحبَبْتُه .

. . . .

= وقال : سمعتُ ابن عباس يقول : ما بَلغني عن أخ لي مكروهٌ قطُّ إلَّا أنزلْتُه إحدى ثلاث منازل : إنْ كان فَوْقي عرَفْتُ له قَدْرَه ؛ وإنْ كان نَظيري تفضَّلْتُ عليه ؛ وإنْ كانَ دُوني لم أحْفِلْ به . هذه سيرتي في نفسي ، فمن رَغبَ عنها فإنَّ أرضَ الله واسعة (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٥) .) .

وقال أبان بن أبي راشد القُشَيري : كنتُ إذا أردتُ الصائفةَ أتيتُ ميمونَ بن مِهْران أوَدِّعُه ، فما يزيدُني على كلمتَيْن : اتَّقِ الله ، ولا يغرَّنَّك طمعٌ ولا غَضَب (المصدر السابق ، وفيه : « ولا يغيرك طمع . . » .) .

وقال أبو المليح عن ميمون قال : العلماءُ هُمْ ضالَّتي في كلِّ بلدة ، وهم أحِبَّتي في كلِّ مِصْر ، ووجدتُ صلاحَ قلبي في مجالسةِ العلماء (المصدر السابق .) .

وقال في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] ، قال : غُرَفاً (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٧) .) .

وقال : لأنْ أتصدَّقَ بدِرهم في حياتي أحبُّ إليَّ من أنْ أتصدَّق بمئةِ درهم بعد موتي (المصدر السابق .) .

وقال : كان يُقال : الذِّكْرُ ذِكْران : ذِكْرُ اللهِ باللِّسان ، وأفضلُ من ذلك أنْ تذكرَهُ عند ما أحلَّ وحَرَّم ، وعند المعصية ، فتكفُّ عنها وقد أشرفتَ [عليها] (المصدر السابق ، ومابين معقوفين منه .) .

وقال : ثلاثٌ الكافرُ والمؤمنُ فيهنَّ سواء : الأمانةُ تؤدِّيها إلى مَنِ ائتمَنَكَ عليها منْ مسلمٍ وكافر ، وبرُّ الوالدَيْن وإنْ كانا كافرَيْن ؛ والعَهْدُ تَفي بهِ للمؤمن والكافر (المصدر السابق .) .

وقال أبو المليح (في (ق) : « وقال صفوان عن خلف بن حوشب عن ميمون » . والمثبت من مصادر التخريج .) ، عن ميمون ، قال : أدركتُ منْ لم يكنْ يملأُ عينيهِ من السماء فَرَقاً من ربِّه عزَّ وجلَّ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٨) ، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٤/ ١٩٤) ، والذهبي في السير (٥/ ٧٧) .) .

وقال أحمد بن بَزيع : حدّثنا يعلى بن عُبيد ، حدّثنا هارون أبو محمد البربري ، أنَّ عمرَ بن عبدِ العزيز استعملَ مَيْمونَ بنَ مِهْران على الجزيرةِ وعلى قضائها وخراجِها ؛ فمكثَ حِيناً ، ثم كتب إلى عمر يستعفيهِ عن ذلك وقال : كلَّفْتَني ما لا أُطيق ، أقْضي بين الناس وأنا شيخٌ كبيرٌ ضعيفٌ رَقيق . فكتب إليه عمر اجْبِ من الخراجِ الطَّيِّب ، واقضِ بما استبانَ لك ، فإذا التبسَ عليكَ أمرٌ فارْفَعْهُ إليّ ، فإنَّ الناسَ لو كان إذا كَبُرَ عليهم أمرٌ تركوه ما قام لهم دِينٌ ولا دُنيا (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٨) .) .

قال قُتيبة بنُ سعيد : حدّثنا كثير بن هشام ، حدّثنا جعفر بن بُرْقان ، قال : سمعتُ ميمونَ بن مِهْران يقول : إنَّ العبدَ إذا أذنبَ ذنباً نُكتَ في قلبه نُكتة سوداء ، فإذا تابَ مُحِيَتْ من قلبه ، فتَرَى قلبَ المؤمن مَجْليّاً مثلَ المرآة ، ما يأتيه الشيطانُ من ناحيةٍ إلا أبصرَه ؛ وأمّا الذي يتتابَعُ في الذنوب فإنه كلَّما أذنبَ نُكِتَتْ في قلبِه نُكْتةٌ سوداء ، حتى يسوَدَّ قلبُه ، فلا يُبصِرُ الشيطانَ من أينَ يأتيه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٩) .) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا عليُّ بن ثابت ، حدّثنا جعفر ، عن ميمون ، قال : ما أقلَّ أكياسَ الناس ! لا يُبصرُ الرجلُ أمرَه حتى ينظرَ إلى الناسِ وإلى ما أُمِروا بِهِ (في (ق) : « ما أدوا به » ، والمثبت من الحلية (٤/ ٨٩) .) ، وإلى ما قد أكبُّوا عليه من الدنيا ، فيقول : ما هؤلاء إلا أمثال الأباعر ، لا همَّ لها إلَّا ما تجعلُ في أجوافِها ، حتى إذا أبصرَ غفلتَهم ، نظرَ إلى نفسِهِ فقال : والله إني لأُراني من شرِّهم بعيراً واحداً . وبهذا الإسناد عنه : ما مِنْ صدَقَةٍ أفضلَ من كلمةِ حَقٍّ عندَ إمام جائر (المصدر السابق .) .

وقال : لا تُعذِّبِ المملوكَ ولا تضربْهُ على كلِّ ذنب ، ولكنِ احفَظْ ذلك له ، فإذا عَصَى اللهَ عزَّ وجلَّ فعاقِبْهُ على

. . . .

= معصيةِ الله ، وذِكْرُهُ الذنوبَ التي أذنبَ بينك وبينه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٨ ، ٨٩) .) .
وقال قُتيبة : حدّثنا جعفر بن بُرْقان : سمعتُ مَيمون بن مِهْران يقول : لا يكونُ الرجلُ منَ المتَّقين حتى يُحاسبَ نفسَهُ أشدَّ من محاسبةِ الشَّريك شَرِيكَه ، حتى يعلمَ من أين مَطْعَمُه ؟ ومن أين مَشْربُه ؟ [ومن أين مَلْبَسُه ؟] أمِنْ حلالٍ ذلك أمْ من حرام (المصدر السابق ص(٨٩) .) ؟.
وقال أبو زُرْعة الرازي (في (ق) : « أبو زرعة الدارمي » ، والمثبت من الحلية .) : حدّثنا سعيدُ بن حَفْص النُفَيلي ، حدّثنا أبو المليح عن ميمون ، قال : الفاسقُ بِمَنْزلةِ السَّبُع ، فإذا كلمتَ فيه فخلَّيْتَ سبيلَهُ ، فقد خَلَّيْتَ سَبُعاً على المسلمين (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٩١) .) .
وقال جعفر بن بُرْقان : قلت لميمون بن مِهران : إنَّ فلاناً يستبطىءُ نفسَهُ في زيارتِك ، قال : إذا ثبتَتِ المودةُ في القلوب فلا بأسَ وإنْ طالَ المُكْثُ (المصدر السابق .) .
وقال أحمد : حدّثنا مَيمون الرَّقِّي ، حدّثنا الحسن أبو المَليح ، عن مَيمون ، قال : لا تَجِدُ غريماً أهونَ عليك من بطنِكَ أو ظَهْرِك (المصدر السابق .) .
وقال الإمام أحمد أيضاً : حدّثنا عبد الله بن مَيمون ، حدّثنا الحسن ، عن حَبيب بن أبي مَرْزوق ، قال : رأيت على مَيمون جُبَّةَ صوفٍ تحتَ ثيابِه ، فقلتُ له : ما هذا ؟ قال : نعَمْ ، فلا تُخبِرْ بِهِ أحداً (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٩١ ، ٩٢) .) .
وقال عبد الله بن أحمد : حدّثني يحيى بن عثمان ، حدّثنا أبو المليح عن ميمون ، قال : منْ أساءَ سِرّاً فَلْيَتُبْ سِرّاً ، ومنْ أساءَ علانيةً فَلْيَتُبْ علانيةً ، فإنَّ الله يغفِرُ ولا يعيِّر ، وإنَّ الناسَ يُعَيِّرونَ ولا يغفِرون (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٩٢) .) .
وقال جعفر : قال ميمون : في المال ثلاثُ آفات : إنْ نَجَا صاحبُه من واحدة لم ينْجُ من اثنتَيْن ، وإنْ نَجا من اثنتَيْن كان قَميناً أنْ لا يَنْجوَ من الثالثة ، يَنبغي أنْ يكونَ حَلالاً طيِّباً ؛ فأيُّكمُ الذي يَسْلمُ كَسْبُه فلم يُدخِلْهُ إلا طيِّباً ، فإنْ سَلِم من هذه فينبغي أنْ يؤدِّيَ الحقوقَ التي تَلْزَمُهُ في مالِه ؛ فإنْ سلم من هذه فينبغي أنْ يكونَ في نفقَتِه ليس بِمُسْرِفٍ ولا مُقتِّر . وقال : سمعتُ ميموناً يقول : أهونُ الصَّوم تَرْكُ الطعام والشراب (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٩ ، ٩٠) .) .
وقال عبد الله بن أحمد : حدّثنا يحيى بن عثمان الحَرْبي ، حدّثنا أبو المليح عن مَيمون بن مِهران ، قال : ما نالَ رجلٌ من جَسيم الخير ـ نبيٌّ أو غيرُه ـ إلَّا بالصبر (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٩٠) .) .
وبهذا الإسناد قال : الدنيا حُلوة خَضِرَة ، قد حُفَّتْ بالشهوات ، والشيطانُ عدوٌّ حاضر ، فيظنُّ (في الحلية : « فطن » .) أنَّ أمْرَ الآخرة آجِل ، وأمرَ الدنيا عاجل (المصدر السابق .) .
وقال يونس بن عُبيدة : كان طاعونٌ قِبَلَ بلادِ مَيمون بن مِهران ، فكتبتُ إليه أسألُهُ عن أهله ، فكتب إلي : بلغَني كتابُكَ تسألُني عن أهلي ، وإنَّه ماتَ من أهْلي وخاصَّتي سبعةَ عشرَ إنساناً ، وإني أكرهُ البلاءَ إذا أقبلَ ، فإذا أدبر لم يَسُرَّني أنه لم يكنْ ؛ وأمَّا أنت ، فعليك بكتابِ الله ، فإن النَّاسَ قد بَهَوْا به ـ يعني أنِسُوا ـ واختاروا الأحاديثَ أحاديثَ الرجال ؛ وإياك والمِرَاءَ في الدين . قال أبو عُبيد في الغريب (هو القاسم بن سلاّم في كتابه غريب الحديث (٤/ ٤٧٣) . وقد صُحفت العبارة في الحلية و (ق) ، وأثبتُّ ما جاء في غريب الحديث .) : بَهَؤوا به ـ مَهْموزاً ـ ومعناه أنِسُوا به .
وقال عمرو بن مَيمون : كنتُ مع أبي ونحنُ نطوفُ بالكعبة فلَقيَ أبي شيخٌ فعانقه ، ومع الشيخ فَتىً نَحْوٌ مِنِّي . فقال

نافع مولى ابن عمر[1] أبو عبد الله المدني : من بلاد المغرب ، وقيل من نيسابور ، وقيل من كابُل ، وقيل غيرُ ذلك .

= له أبي : منْ هذا ؟ قال : ابني . قال : كيف رِضاكَ عنه ؟ فقال : ما بَقيتْ خَصْلةٌ يا أبا أيّوب من خصال الخير إلّا وقد رأيتُها فيه إلّا واحدة . قال : وما هي ؟ قال : أنْ يموتَ فأُوجَرَ فيه ـ أو قال : فأحتسبه ـ ثم فارَقَهُ أبي ؛ فقلتُ منْ هذا الشيخ ؟ فقال : مَكْحول (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٩٠ ، ٩١) .) .

وقال : شرُّ الناسِ العيَّابون ، ولا يَلْبسُ الكَتَّانَ إلّا غَنيٌّ أو غَويّ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٩٢) .) .

وروى الإمام أحمد عنه قال : يا بنَ آدم ، خَفِّفْ عن ظَهرِك ، فإنَّ ظهرَك لا يُطيقُ كلَّ هذا الذي يَحْمِلُ مِنْ ظُلْم هذا ، وأكْلِ مالِ هذا ، وغَشْم هذا ، وكلُّ هذا على ظهرِك تَحْمِلُه ، فخَفِّفْ عن ظهرِك . وقال : إن أعمالَكُمْ قليلة فأخلِصُوا هذا القليل . وقال : ما أتَى قومٌ في نادِيهمُ المُنْكَرَ إلّا حَقَّ هَلاكُهُمْ (المصدر السابق .) .

وروى عبدُ الله بن أحمد عنه ، أنَّه قرأ : ﴿ وَٱمْتَـٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يس : ٥٩] ثم فارَقَ حتى بَكَى ، ثم قال : ما سَمِعَ الخلائقُ بَنَعْتٍ أشدَّ منه (المصدر السابق ، وفيه « بعتبٍ قط . . . » .) .

وقال أبو عوانة : ح إبراهيم (في (ق) : « حدثنا إبراهيم » وهو تحريف ، هنا في إسناد أبي نعيم في الحلية علامة تحويل للسند ، وما يأتي بين معقوفين منه يبين ذلك .) بن عبد الله ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثنا قُتيبة بن سعيد ، حدثنا خالد ، [قالا] : عن حُصين بن عبد الرحمن ، عن مَيمون ، قال : أربعٌ لا تكلمَ فيهم : عليٌّ ، وعثمان ، والقدر ، والنجوم (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٩٢) .) .

وقال : احذروا كلَّ هوىً يسمَّى بغيرِ الإسلام (المصدر السابق .) .

ورَوَى شَبابَةُ عن فرات بن السائب ، قال : سألتُ ميمونَ : أعَلِيٌّ أفضَلُ عندَك أمْ أبو بكرٍ وعمر ؟ فارتعد حتى سقطَتْ عصاهُ من يدهِ ، ثم قال : ما كنتُ أظُنُّ أنْ أبقَى إلى زمان يُعْدَلُ بهما غيرُهما ، إنهما كانا رِدأَي الإسلام ، ورأسَ الإسلام ، ورأسَ الجماعة . فقلتُ : فأبو بكرٍ كانَ أولَ إسلاماً أمْ علي ؟ فقال : والله لقد آمنَ أبو بكرٍ بالنبيِّ ﷺ زَمَنَ بَحيرا الرَّاهب حين مَرَّ به ، وكان أبو بكر هو الذي يختلفُ بينه وبينَ خَديجة ، حتى أنْكَحَها إيَّاه ، وذلك كُلُّه قَبْلَ أنْ يُولَدَ علي ، وكان صاحِبَهُ وصديقَهُ قبلَ ذلك (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٩٢ ، ٩٣) .) .

وروى مَيمون بن مِهران عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « قَلَّما يوجَدُ في آخر الزمان درهمٌ من حلال ، أو أخٌ يُوثَقُ به » (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٩٤) ، وإسناده ضعيف .) .

ورَوَى عن ابن عُمرَ أيضاً ، عن النبيِّ ﷺ ، قال : « شَرُّ المالِ في آخرِ الزمانِ المماليكُ » (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٩٤) وهو حديث موضوع ساقه ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٢٣٥) .) .

وروى ابنُ أبي الدنيا عنه قال : مَنْ طلبَ مرضاةَ الإخوانِ بلا شيءٍ فَلْيصادِقْ أهلَ القبور .

وقال : من ظَلَمَ أحداً ففاته أنْ يَخرُج من مَظْلِمَتِه ، فاستغفر له دُبُرَ كل صلاةٍ ، خَرَج من مَظْلِمَته ، وهذا إنْ شاء الله يدخل فيه الأعراضُ والأموالُ وسائرُ المظالم .

وقال ميمون : القاتلُ والآمِرُ والمأمورُ والظالِمُ والراضي بالظُّلم ، كلُّهم في الوِزْرِ سَوَاء .

وقال : أفضلُ الصبرِ الصبرُ على ما تكرَهُ نفسُكَ من طاعةِ الله عزَّ وجلّ .

روى مَيمون عن جماعةٍ من الصحابة ، وكان يسكنُ الرَّقَّة . رحمه الله تعالى] .

(١) ترجمته في التاريخ الكبير (٨/ ٨٤) ، معرفة الثقات للعجلي (٢/ ٣١٠) ، الثقات لابن حبان (٥/ ٤٦٧) ، الجرح والتعديل (٨/ ٤٥١) ، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٢٣) ، وفيات الأعيان (٥/ ٣٦٧) ، سير أعلام =

روى عن مولاه عبد الله بن عمر ، وجماعةٍ من الصحابة ، مثل رافع بن خَدِيج ، وأبي سعيد ، وأبي هريرة ، وأمّ سَلَمة ، وغيرِهم . ورَوَى عنه خَلْقٌ من التابعينَ وغيرِهم ، وكان من الثقاتِ النُّبلاء ، والأئمةِ الأجِلاَّء .

قال البخاري : أَصَحُّ الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر[١] .

وقال غيرُه : كان عمرُ بن عبد العزيز قد بعثَهُ إلى مصر يعلِّمُ الناسَ السُّنن ، وقد أثنى عليه غيرُ واحدٍ من الأئمة ووثّقوه .

ومات في هذه السنة على المشهور :

ذو الرُّمَّة الشاعر[٢] : واسمه غَيلان بن عُقْبَة بن بُهَيش[٣] ، من بني عبدِ مَنَاة بن أُدِّ بن طابخةَ بنِ إلْياس بن مُضَر ، أبو الحارث ، أحدُ فُحولِ الشعراء ، وله ديوانٌ مشهور ، وكان يتغزَّل في ميّ بنت مقاتل بن طِلْبة بن قيس بن عاصم المِنْقَري ، وكانتْ جميلة ، وكان هو دَمِيمَ الخَلق ، أسودَ اللَّون ، ولم يكنْ بينهما فُحْشٌ ولا خَنَا ، ولم يكنْ رآها قطُّ ولا رأَتْهُ ، وإنما كانتْ تسمَعُ به ويَسمعُ بها . ويقال : إنَّها كانت تنذُرُ إنْ هي رأَتْهُ أنْ تذبح جَزُوراً ، فلمّا رأتْه قالتْ : واسوأتاه ! ولم تُبدِ له وَجْهَها قطُّ إلّا مرَّةً واحدة ، فأنشأ يقول :

علـى وجـهِ مَـيٍّ لَمْحَـةٌ مـن حـلاوةٍ وتحتَ الثيابِ العارُ لو كان بادِيَا

قال : فانسلخَتْ من ثيابها ، فقال :

ألـم تـرَ أنَّ المـاءَ يَخْبُـثُ طَعمُـهُ وإنْ كـان لـونُ المـاءِ أبيضَ صـافِيَـا

فقالت : تريدُ أنْ تذوقَ طعمَه ؟ فقال : إي والله . فقالت : تذوقُ الموتَ قبلَ أنْ تذوقَه . فأنشأ يقول :

فوَاضَيعةَ الشعرِ الذي راحَ وانقضى بِمَـيٍّ ولـم أملِـكْ ضـلالَ فـؤادِيَـا[٤]

قال ابن خَلِّكان[٥] : ومن شعرِهِ السائر بين الناس ما أنشده :

= النبلاء (٥/ ٩٥) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٩٩) ، العبر (١/ ١٤٧) ، مرآة الجنان (١/ ٢٥١) ، تهذيب التهذيب (١٢/ ٤١٤) ، طبقات الحفاظ ص(٤٧) ، شذرات الذهب (١/ ١٥٤) .

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٨٣)(٢١١٦٩) ، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ٩٧) .

(٢) ترجمته في طبقات فحول الشعراء (٢/ ٥٣٤) ، الأغاني (١٨/ ٥) ، المنتظم (٧/ ٧٢) ، وفيات الأعيان (٤/ ١١) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٧) نزهة الألباب (٢٩١) ، الإكمال (١/ ٣٧٦) ، النجوم الزاهرة (١/ ٢٤٨) .

(٣) صُحِّف اسمه في الأصول كلها ، والمثبت من مصادر ترجمته .

(٤) أخرجه أبو الفرج الأصبهاني بنحوه في الأغاني (١٨/ ٣٢) .

(٥) في كتابه وفيات الأعيان (٤/ ١٣) .

إذا هبت الأرياحُ من نحوِ جانبٍ بـهِ أهـلُ مَـيٍّ هـاجَ شَـوْقِي هُبـوبُهـا
هَـوًى تَـذْرِفُ العَيْنـانِ منـه وإنمـا هَوَى كلِّ نفسٍ أينَ حَلَّ حَبِيبُها[١]

ثم دخلت سنة ثماني عشرة ومئة

فيها غزا معاويةُ وسليمانُ ابنا أميرِ المؤمنين هشامِ بن عبد الملك بلادَ الرُّوم . وفيها قصَدَ شخصٌ يُقالُ له عمار بن يزيد ، ثم تَسَمَّى بِخِدَاش إلى بلادِ خُراسان ، ودعا الناسَ إلى خلافةِ محمدِ بنِ علي بن عبد الله بن عباس ، فاستجابَ لَهُ خَلْقٌ كثير ، فلما التفُّوا عليه دعاهم إلى مَذْهَبِ الخُرَّمِيَّةِ الزنادقة[٢] وأباح لهم نساءَ بعضِهم بعضاً ، وزعم لهم أنَّ محمد بن علي يقولُ ذلك ، وقد كذَبَ عليه ، فأظهر الله عليه الدولةَ فأُخذ فجيءَ به إلى خالد بن عبد الله القَسْري أميرِ العراق وخُراسان ، فأمر به فقُطِعَتْ يدُه ، وسُلَّ[٣] لسانُه ، ثم صُلب بعدَ ذلك[٤] .

وفيها حجَّ بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي ، أمير المدينة ومكة والطائف .

وقيل إنَّ إمْرَةَ المدينة كانتْ مع خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم ، والصحيح أنه كان قد عُزل ووُلِّي مكانَهُ محمد بن هشام بن إسماعيل ، وكانتْ إمْرَةُ العراق إلى خالد بن عبد الله القَسْري ، ونائبه على خراسان وأعمالها أخوهُ أسد بن عبد الله القسري .

وفيها كانت وَفَاةُ :

عليِّ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عباس[٥] بن عبد المطلب : القرشيُّ الهاشميُّ أبو الحسن ، ويُقال أبو محمد ، وأمُّه

---

(١) وهذه زيادة مقحمة أيضاً وهي :
[وأنشدَ عند الموت :
يا قابض الرُّوح في جسمي إذا احتُضِرَتْ وغـافـرَ الـذنـبِ زَحْـزِحْني عـن النَّـارِ]

(٢) الخُرَّمِيَّة : وخُرَّم : لفظ أعجمي يُنبي عن الشيء المستلَذّ المستطاب ، الذي يرتاح الإنسان له ، ومقصود هذا الاسم تسليطُ اللسانِ على اتباع اللذّات وطلب الشهوات كيف كانتْ ، وطيُّ بساطِ التكليف ، وحطُّ أعباء الشرع عن العِبَاد . وقد كان هذا الاسم لقباً للمَزْدَكية ، وهم أهلُ الإباحةِ من المجوس الذين اتبعوا في أيام قُبَاذ ، وأباحوا النساء المحرّمات ، وأحلّوا كلّ محظور ، فسُمُّوا هؤلاء بهذا الاسم لمشابهتهم إياهم في نهاية هذا المذهب وإن خالفوهم في مقدماته . تلبيس إبليس ص(١٢٨) .

(٣) في (ح) : « وانتثل » ، وفي (ب) : و « وأرسل » ، والمثبت من (ق) .

(٤) انظر تاريخ الطبري (٤/ ١٦٤) في حوادث هذه السنة .

(٥) ترجمته في طبقات ابن سعد (٥/ ٣١٢) ، طبقات خليفة (٢٣٩ و٢٥٥) ، تاريخ خليفة (١٩٩و٣٤٩) ، التاريخ الكبير (٦/ ٢٨٢) ، المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٨١) ، تاريخ أبي زرعة الدمشقي (٢/ ٧١٣) ، الكامل للمبرد =

زرْعَة بنتُ مِشْرَح بن مَعْدِيْكَرِب الكِنْدي أحد مُلوك الأربعةِ الأقيال ، المذكور في الحديث الذي رواه أحمد ، وهم مِشْرَح وجَمْد ومِخْوَس وأبْضَعَة[١] وأختهم العَمَرَّدة ، وكان مَوْلِد عليٍّ هذا يومَ قُتل عليُّ بنُ أبي طالب ، فسماه أبوهُ باسمِه ، وكنَّاهُ بكنيتِه ، وقيل : إنه وُلد في حياةِ عليّ ، وهو الذي سمّاه وكنَّاه ولقَّبَهُ بأبي الأملاك ، فلمَّا وَفَدَ على عبدِ الملك بنِ مروان أجلَسَه معه على السَّرير ، وسألهُ عن اسِمه وكنيتِه ، فأخبره ، فقال له : أَلَكَ ولد ؟ قال : نعم ، وُلد لي ولد سَمَّيتُه محمداً . فقال له : أنت أبو محمد ، وأجْزَلَ عطيتَه ، وأحسَنَ إليه ، وقد كان هذا في غايةِ العبادةِ والزهادةِ والعِلم والعمَل ، وحُسنِ الشَّكْلِ والعدالةِ والثِّقَة ، وكانَ يُصَلِّي في كلِّ يومٍ وليلةِ ألف رَكْعَةٍ .

قال عمرو بن علي الفَلاَّس : كان من خيرِ الناس ، وكانت وفاتُه بالحُمَيْمَة من أرض الشَّرَاة[٢] ، في هذه السنة وقد قارب الثمانين .

وقد ذكر ابن خَلِّكان[٣] أنه تزوَّجَ لُبابة بنتَ عبدِ الله بن جعفر التي كانتْ تحتَ عبدِ الملك بن مروان فطلَّقها ، وكان سببُ طلاقِهِ إياها أنَّه عَضَّ تفاحةً ثم رَمَى بها إليها ، فأخذَتِ السِّكِّينَ فحزَّتْ من التفاحةِ مامَسَّ فمَهُ منها فقال : ولِمَ تفعلين هذا ؟ قالت : أزِيلُ الأذَى عنها . وذلك لأنَّ عبدَالملك كان أبْخَر ، فطلَّقها عبدُ الملك ، فلما تزوَّجها عليُّ بن عبد الله بن عباس هذا نَقَم عليه الوليدُ بن عبدِ الملك لأجلِ ذلك ، فضرَبَهُ بالسِّيَاط وقال : إنما أرَدْتَ أن تُذِلَّ بنيها من الخلفاء ، وضربه مرَّةً ثانيةً لأنه اشتهر عنه أنه قال : الخلافةُ صائرةٌ إلى بيتِه . فوقع الأمرُ كذلك .

وذكر المُبَرِّد[٤] أنَّه دخلَ على هشام بن عبد الملك ومعه ابناه السَّفَّاح والمنصور ، وهما صغيران ، فأكرَمَهُ

= (١٢٤ ، ٣٢٧ ، ٧٥٦) ، الجرح والتعديل (٦/ ١٩٢) ، الثقات لابن حبان (٥/ ١٦٠) ، حلية الأولياء (٣/ ٢٠٧) ، تاريخ مدينة دمشق (١٢/ ٢٢٦)ب ، صفة الصفوة (٢/ ١٠٧) ، المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير (٤/ ٦٣) ، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٥٠) ، وفيات الأعيان (٣/ ٢٧٤) ، مختصر تاريخ دمشق (١٨/ ١١٧) ، تهذيب الكمال (٢١/ ٣٥) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٥٢ و٢٨٤) ، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٧) ، شذرات الذهب (١/ ١٤٨) .

(١) هذه الأسماء صُحِّفت في الأصول ، فأثبتنا ما في الإكمال لابن ماكولا (٢/ ٥٤١ و٧/ ١٧٥ و١٩٤) وغيره من كتب الضبط .

(٢) في (ق) : « بالجهمة من أرض البلقاء » ، وهو تصحيف ما عدا « البلقاء » ، لأن البلقاء هي مدينة الشراة كما في معجم البلدان (١/ ٤٨٩) ، والحُمَيْمَة ـ كما جاء تعريفها في معجم البلدان أيضاً (٢/ ٣٠٧) ـ : بلفظ تصغير الحُمَة ، بلد من أرض الشراة من أعمال عمان في أطراف الشام كانتْ مَنْزِلَ بني العباس .

(٣) في كتابه وفيات الأعيان (٣/ ٢٧٥) .

(٤) في كتابه الكامل (٢/ ٧٥٨) ، والنص هنا منقول بألفاظ مقاربة .

هشامٌ وأدْنَى مجلسَه ، وأطْلَقَ له مئةً وثلاثين ألفاً[١] ، وجعل عليُّ بنُ عبدالله يُوصيهِ بابنَيْه خَيْراً ، ويقول : إنَّهما سيليانِ الأمر ، فجعل هشامٌ يتعجَّبُ من سلامةِ باطنِه ، وينسُبُه في ذلك إلى الحُمْق ! فوَقَع الأمرُ كما قال .

قالوا : وقد كان عليٌّ في غايةِ الجمال ، وتمام القامة ، كان بين الناس كأنَّه راكبٌ ، وكان إلى مَنْكِبِ أبيه عبدِ الله ، وكان عبدُ الله إلى مَنْكِبِ أبيه العباس ، وكان العباسُ إلى مَنْكِبِ أبيه عبد المطلب ، وقد بايع كثيرٌ من الناس لابنهِ محمدٍ بالخلافة قبلَ أن يموتَ عليٌّ هذا قبلَ هذه السنة بسنوات ، ولكنْ لم يظهرْ أمرُهُ حتى مات ، فقام بالأمرِ مِنْ بعدِه ولَدُه عبدُ الله أبو العباس السفَّاح ، وكان ظهورُه في سنةِ اثنتين وثلاثين كما سيأتي إنْ شاء الله تعالى .

وممن تُوفِّي في هذه السنة :

عمرو بن شُعيب .

وعُبَادَة بن نُسَيّ .

وأبو صخرة جامعُ بن شدَّاد .

وأبو عياش المعافري .

ثم دخلت سنة تسع عشرة ومئة

ففيها غزا الوليد بن القعقاع العَبْسي أرضَ الروم ، وفيها قتل أَسَدُ بن عبد الله القَسْريُّ مَلِكَ التُّرْكِ الأعظم خاقان ، وكان سببَ ذلك أنَّ أسَدَ بن عبد الله أميرَ خُراسان عَمِلَ نيابةً عن أخيه خالد بن عبد الله على العراق ، ثم سار بجيوشهِ إلى مدينةِ خُتَّل[٢] فافتتحها وتفرَّقتْ في أرضها جنودُه يقتلون ويأسِرون ويغنمون ، فجاءتِ العيونُ إلى ملك الترك خاقان ، أنَّ جيشَ أسد قد تفرَّقَ في بلاد خُتَّل ، فاغتنم خاقانُ هذه الفرصة ، فركب من فَوْرِهِ في جنودِهِ قاصداً إلى أسد ، وتزوَّدَ خاقانُ وأصحابُه سلاحاً كثيراً وَقَدِيداً ومِلْحاً ، وساروا في خَلْقٍ عظيم . وجاءتِ العين الصافيةُ إلى أسد ، فأعلمَتْهُ بقَصْدِ خاقانَ له في جيشٍ عظيمٍ كثيف ، فتجهَّزَ لذلك ، وأخذَ أُهْبَتَه ، وأرسلَ من فَوْرِهِ إلى أطرافِ جيشِهِ ، فلَمَّها وأشاع بعضُ الناس أنَّ خاقانَ قد هَجَمَ على أَسَدِ بن عبد الله فقتَلَهُ وأصحابَه ، ليحصلَ بذلك خِذْلانٌ لأصحابِهِ فلا يجتمعون

(١) الذي في الكامل : « ثلاثون ألف درهم » .

(٢) خُتَّل ـ بضم أوله وتشديد ثانيه وفتحه ـ كورة واسعة كثيرة المدن ، على تخوم السند يقال لقصبتها هلبك . قال الإصطخري : أول كورةٍ على جيحون من وراء النهر الختل والوخش ، وهما كورتان ، غير أنهما مجموعتان في عمل واحد ، انظر معجم البلدان (٢/ ٣٤٦) .

إليه ، فرَدَّ الله كيدَهُمْ في نحورِهم ، وجعل تدميرَهم في تدبيرِهم ، وذلك أنَّ المسلمينَ لَمّا سمعوا بذلك أخذَتْهُمْ حَمِيَّةُ الإسلام وازدادوا حَنَقاً على عدوِّهم ، وعَزَموا على الأخْذِ بالثأر ، فقصدوا الموضعَ الذي فيه أسَد ، فإذا هو حَيّ ، قد اجتمعتْ عليه العساكرُ من كلِّ جانب ، وسار أسَدٌ نحوَ خاقان ، حتى أتى جبل المِلْح ، وأراد أنْ يخوضَ نهرَ بَلْخ ، وكان معهم أغنامٌ كثيرة ، فكَرِه أسَدٌ أنْ يتركَها وراءَ ظهرِه ، فأمر كلَّ فارسٍ أنْ يحمِلَ بين يديه شاةً وعلى عُنُقِهِ شاة ، وتوعَّدَ مَنْ لم يفعلْ ذلك بقَطْع اليد ، وحَمَل هو معه شاةً ، وخاضوا النهر ، فما خلَصُوا منه جيداً حتى دَهِمَهُم خاقانُ من ورائهم في خيلٍ دُهْم ، فقتلوا مَنْ وجدوه لم يقطَعِ النهرَ وبعضَ الضَّعَفَة ، فلما وقفوا على حافةِ النهر أحجموا وظَنَّ المسلمون أنَّهم لا يقطعون إليهم النهر ، فتشاور الأتراكُ فيما بينهم ثم اتفقوا على أنْ يحمِلوا حملةً واحدة ، وكانوا خمسين ألفاً ، فيقتحمون النهر فضربوا بكُوساتِهم[1] ضرباً شديداً حتى ظَنَّ المسلمون أنَّهم معهم في عسكرِهم ، ثم رَمَوا بأنفسِهم في النهر رَمْيَةَ رجلٍ واحد ، فجعلَتْ خيولهُم تَنْخُرُ أشدَّ النَّخِيرِ ، وخرجوا منه إلى ناحيةِ المسلمين ، فثبتَ المسلمونَ في معسكرِهم ، وكانوا قد خَنْدَقوا حولَهم خندقاً لا يَخلُصون إليهم منه ، فباتَ الجيشانِ تتراءى ناراهما ، فلما أصبحا مالَ خاقان على بعض الجيوش ، فَقَتلَ منهم خَلقاً ، وأسَرَ أُمَماً ، وأخَذَ أموالاً كثيرةً وإبلاً مُوقَرَة ، ثم إنَّ الجيشَيْنِ تواجهوا في يوم عيدِ الفِطْر ، حتى خاف جيشُ أسَدٍ أنْ لا يُصَلُّوا صلاةَ العِيد ، فما صلَّوها إلَّا على وَجَل ، ثم سار أسَدٌ بِمَنْ معه حتى نزلَ مَرْجَ بلخ ، حتى انقضَى الشتاء ، فلما كان يومُ عيدِ الأضحى خَطَبَ أسَدٌ الناس واستشارَهم في الذهاب إلى مَرْو أو في لقاء خاقان ، أو في التحصُّنِ ببَلْخ ، فمنهم مَنْ قال نتحصَّنُ ببلخ ، ونبعثُ إلى خالدٍ والخليفة ، ومن قائل يشير بالذهابِ إلى مَرْو ، وأشار آخرون بِمُلتقاه والتوكُّلِ على الله ، فوافق ذلك رأيَ أسَدِ الأسَدّ ، فقَصَد بجيشِهِ نحوَ خاقان ، وصلَّى بالناسِ ركعَتَيْنِ أطالَ فيهما ، ثم دعا بدعاءٍ طويل ، ثم انصرف وهو يقول : نُصرتُمْ إن شاء الله ـ ثلاثاً . ثم سار بِمَنْ معه من المسلمين ، فالتقَتْ مقدِّمَتُهُ بمقدِّمةِ خاقان ، فقَتَل المسلمون منهم بشراً كثيراً ، وأسروا أميرَهم ، وسبعةً معه ، ثم ساق أسدٌ فانتهى إلى أغنامِهم ، فاستاقها فإذا هي مئةُ ألف وخمسون ألف شاة ، ثم التقى معَهم ، وكان خاقانُ في هذا اليوم إنما معه أربعةُ آلاف أو نحوُها ومعه رجلٌ من العرَب قد خَامرَ إليه يقالُ له الحارث بن شُرَيح ، فهو يدُلُّه على عَوْراتِ المسلمين ، فلما أقبَلَ الناسُ هَرَبتِ الأتراك في كلِّ جانب ، وانهزم خاقانُ ومعه الحارث بنُ شريح يحمِّيه ويُثبِّتُه ، فتبعَهم أسد فلمَّا كان عندَ الظهيرة انخذلَ خاقانُ في أربعِمئةٍ من أصحابِهِ ، عليهمُ الخزّ ، ومعَهم الكُوسات[2] فلما أدركَهُ المسلمون أمرَ بالكوساتِ فضُربَتْ ضرباً شديداً ضَرْبَ الانصرافِ ثلاثَ مرَّات ، فلم يستطيعوا الانصراف ، فتقدَّم المسلمون فاحتاطوا على مُعسكرِهم فاحتازوه بما فيه من الأمتعةِ العَظيمة ، والأواني من الذهب

---

(١) الكوسات : مفردها كُوس ، بالضم ، الطَّبْل . ويقال : هو معرَّب . لسان العرب (كوس) .

(٢) تقدم شرح معناها في الحاشية السابقة .

والفِضَّة ، والنساء والصِّبْيانِ من الأتراك ومَنْ معَهم من الأسارى ، من المسلماتِ وغيرِهم مما لا يُحَدُّ ولا يُوصَف لِكثْرَتِه ، وعِظَم قِيمَتِهِ وحُسْنِه ، غيرَ أنَّ خاقان لَمَّا أحَسَّ بالهلاك ضرَب امرأتَهُ بخِنجَرٍ فقتلَها ، فوصلَ المسلمون إلى المعسكر وهي في آخرِ رَمَق ، تتحرَّك . ووجدوا قدورَهُم تغلي بأطعِماتِهم ، وهرب خاقانُ بمَنْ معه ، حتى دخل بعضَ المدن فتحصَّنَ بِها ، فاتَّفَق أنه لعب بالنَّرد مع بعضِ الأمراءِ فغَلبه الأمير ، فتوعَّدَه خاقانُ بقطعِ اليد ، فحَنِقَ عليه ذلك الأمير ، ثم عَمِلَ على قتله فَقتله ، وتفرَّقَتِ الأتراكُ فِرَقاً يَعْدو بعضُهم على بعض ، وينهَبُ بعضُهم بعضاً ، وبعثَ أسَدٌ إلى أخيه خالد يُعلِمه بما وقع من النصر والظَّفَرِ بخاقان ، وبعث إليه بطبول خاقان ، وكانتْ كِباراً لها أصواتٌ كالرَّعْد وبشيءٍ كثيرٍ من حَواصله وأمتعتِه فَوَفدَ بها خالدٌ إلى أمير المؤمنين هشام ، ففَرِح بذلك فرحاً شديداً ، وأطلقَ للرُّسُلِ أموالاً جَزِيلة كثيرة من بيتِ المال . وقد قال بعضُ الشعراء في أسَدٍ يَمْدَحُه على ذلك :

لو سرتَ في الأرضِ تَقِيسُ الأرضا ... تبيـنُ منهـا طـولَهـاوالعَـرْضَـا
لـم تلـقَ خيـراً إمْـرَةً ونقضـا ... مـن الأميـرِ أسـدٍ وأمْضَـى
أفضـى إلينـا الخيـرَ حتـى أفضـى ... وجمَـعَ الشَّمْـلَ وكـان ارْفَضَّـا
مـافـاتَـهُ خـاقـانُ إلا رَكْضَـا ... قـد فَـضَّ مـن جموعِـهِ مـا فَضَّـا
يـا بـنَ شُـريـحٍ قـد لَقِيـتَ حَمْضَـا ... حمْضـاً بـه تَشفِـي صُـدَاعَ المَـرْضَـى

وفيها قتل خالدُ بن عبدِ الله القسري المغيرةَ بن سعيد وجماعةً من أصحَابِهِ الذين تابعوهُ على باطِله ، وكان هذا الرجلُ ساحراً فاجراً شِيعِيّاً خَبِيثاً .

قال ابنُ جرير[١] : حدّثنا ابنُ حُميد ، حدّثنا جرير عن الأعمش قال : سمعتُ المغيرةَ بنَ سعيد يقول : لو أرادَ عليٌّ[٢] أنْ يُحيي عاداً وثمودَ وقُروناً لأحياهم . قال الأعمش : وكان المغيرةُ هذا يَخرجُ إلى المَقْبُرَةِ فيتكلّم فيرَى مثلَ الجَرَاد على القبور أو نحو هذا من الكلام .

وذكر ابنُ جَرِيرٍ له غيرَ ذلك من الأحوال[٣] التي تدلُّ على سِحْرِه وفُجورِه ، ولما بلغ خالداً أمرُه أمرَ بإحضاره ، فجيء به في ستةِ نفر أو سبعةِ نفر ، فأمر خالد فأبرزَ سريره إلى المسجد ، وأمرَ بإحضار أطنانِ[٤] القَصَب والنِّفط فصُبَّ فوقها ، وأمَر المغيرةَ أنْ يحتضنَ طناً منها فامتنع ، فضُرب حتى احتضَن منها واحداً وصُبَّ فوقَ رأسِه النِّفط ، ثم أُضرم بالنار ، وكذلك فعل ببقيَّة أصحابه .

وفي هذه السنة خرج رجلٌ يُقال له بهلول بن بشر ، ويُلَقَّب بكثارة ، واتبعه جماعاتٌ من الخوارج دون

(١) يعني الطبري في تاريخه (٤/ ١٧٤) .
(٢) سقطت كلمة « علي » من تاريخ الطبري ، و (ق) ، وهي مثبتة في (ب ، ح) .
(٣) في (ق) الأشياء ، والمثبت من (ب ، ح) .
(٤) في (ق) : « أطناب » والمثبت من (ب) وتاريخ الطبري (٤/ ١٧٥) .

المئة ، وأمرهم أن يقتلوا خالداً القَسْري ، فبعث إليهم البُعوث ، فكسروا الجيوش واستفحل أمرُهم جدّاً لشجاعتهم وجلَدِهم ، وقلةِ نُصح من يقاتلُهم من الجيوش ، فردُّوا العساكرَ من الألوفِ المؤلَّفة ذواتِ الأسلحةِ والخيل المسوَّمة ، هذا وهم لم يبلغوا المئة ، ثم إنَّهم راموا قدومَ الشام لقَتْلِ الخليفة هشام فصَمَدوا[١] نحوَها ، فاعترضهم جيشٌ بأرضِ الجزيرة ، فاقتَتَلوا معهم قتالاً عظيماً ، وقُتل عامَّةُ أصحابِ بُهلول الخارجي ، ثم إنَّ رجلاً من جَدِيلةَ يُكْنَى أبا الموت ، ضرَبَ بُهلولاً ضربةً فصَرَعه ، وتفرَّقَتْ عنه بقيةُ أصحابه ، وكان جميعُهم سبعين رجلاً ، وقد رثاهُمْ بعض أصحابِهم فقال :

بـدلـت بعـد أبـي بشـر وصحبتـه ... قـومـاً علـيَّ مـع الأحـزابِ أعـوانـا
بانوا كأنْ لم يكونوا من صحابَتِنا ... ولـم يكـونـوا لنـا بـالأمْـسِ خِـلاَّنـا
يـا عيـنُ أذْرِي دمـوعـاً منكِ تهتانـاً ... وابكـي لنـا صُحبـةً بـانُـوا وجيـرانـا
خَلُّـوا لنـا ظـاهـرَ الـدنيـا وبـاطنَهـا ... وأصبحوا في جِنانِ الخُلْدِ جِيرانا[٢]

ثم تجمَّع طائفةٌ منهم أخرى على بعضِ أُمرائهم فقاتلوا وقُتلوا ، وجهَّزَ إليهم خالدٌ الجيوش ، ولم يَزلْ حتى أباد خضراءَهم ، ولم يبق لهم باقية .

وفيها غزا أَسَدٌ القَسْريُّ بلادَ التُّرك ، فعرض عليه مَلِكُهم بدر طُرْخان ألف ألف فلم يقبَلْ منه شيئاً ، وأخَذَهُ قَهْراً فقتلَهُ صبراً بين يديه ، وأخذَ مدينتَه وقلعتَه ، وحَوَاصلَهُ ونساءَه وأموالهُ وأملاكَه .

وفيها خرج الصَّحاريُّ بن شَبِيب الخارجي ، واتبعه طائفةٌ قليلة نحوٌ من ثلاثينَ رجلاً ، فبعث إليهم خالدٌ القَسْري جُنداً ، فقتلوهُ وجميعَ أصحابه ، فلم يتركوا منهم رجلاً واحداً .

وحجَّ بالناسِ في هذه السنة أبو شاكر مسلمة بن هشام بن عبد الملك ، وحجَّ معه ابنُ شهابِ الزُّهْرِيّ ليُعَلِّمهُ مناسكَ الحَجِّ وشؤونه ، وكان أميرُ مكةَ والمدينةِ والطائفِ محمدَ بن هشام بن إسماعيل ، وأميرُ العراق والمشرق بكمالِه خالد بن عبد الله القسري ، ونائبه على خُراسان بكمالِها أخوهُ أسد بن عبد الله القسري ، وقد قيل ؛ إنَّه تُوفِّي في هذه السنة ، وقيل في سنةِ عشرين . فالله أعلم . ونائبُ أرْمِينيةَ وأذْرَبيجان مروان بن محمد بن مروان الملقب بالحمار . والله أعلم .

سنة عشرين ومئة من الهجرة

فيها غزا سُليمان بن هشام بن عبد الملك بلادَ الروم وافتتح هنالكَ حُصوناً .

وفيها غزا إسحاق بن مسلم العُقيلي تومان شاه وافتتحها وخرَّب أراضيَها .

---

(١) في (ق) : « فقصدوا » والمثبت من (ب ، ح) وهما بمعنى .

(٢) الخبر والأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ١٧٧) .

وفيها غزا مروانُ بن محمد الحمار بلادَ الترك .

وفيها كانتْ وفاةُ أسد بن عبد الله القَسْري أمير خُراسان وأعمالها ، نيابةً عن أخيه خالد بن عبد الله ، وكانتْ وفاته بسببِ أنَّه كانتْ لهُ دُبيلة في جَوْفِه ، فلما كان مِهْرجانُ هذه السنة قَدِمَتِ الدَّهاقينُ ـ وهم أُمراء المدن الكبار ـ من سائر البلدان بالهدايا والتُّحَف على أسَد ، وكان فيمن قَدِم نائبُ هَرَاةَ ودِهْقانُها واسم دهقانها خُراسان شاه ، فقَدِمَ بِهدايا عظيمة ، وتُحَفٍ عَزيزة[١] ، وكان من جُملةِ ذلك قصرٌ من ذهب ، وقصر من فِضَّة ، وأباريق من ذهب ، وصِحَافٌ من ذهبٍ وفِضَّة ، وتفاصيلَ من حَريرِ تلك البلاد ، ألوان ملونة[٢] ، فوَضع ذلك كُلَّه بين يدَيْ أسد ، حتى امتلأ المجلس ، ثم قام الدِّهْقانُ خَطِيباً ، فامتدح أسَداً بخصالٍ حسَنة ، على عَقْلِه ورياسَتِه وعَدْلِه ، ومَنْعِه أهلَهُ وخاصَّتَهُ أن يظلِمُوا أحداً من الرَّعَايا بشيءٍ قَلَّ أو كَثُر ، وأنه قهر الخاقان الأعظم ، وكان في مئة ألف فكسرَهُ وقتَلَه ، وأنَّهُ يَفرَحُ بما يَفِدُ إليه من الأموال ، وهو بما خرج من عِندِه أفرَحُ وأشدُّ سُروراً ، فأثنى عليه أسَد ، وأجلَسَهُ ، ثم فرَّقَ أسَدٌ جميعَ تلك الهدايا والأموال ، وما هناك أجمَع على الأمراء والأكابرِ بين يديه ، حتى لم يبقَ منه شيء ، ثم قام من مجلسِه وهو عليلٌ من تلك الدُّبَيْلة ، ثم أفاقَ إفاقةً وجيء بهديَّةِ كُمَّثرَى ، فجعل يفرِّقُها على الحاضرينَ واحدةً واحدة ، فألقَى إلى دِهْقانِ خُراسانَ واحدة ، فانفجرَت دُبَيْلَتُه ، وكان فيها حَتْفُه ، واستخلف على عملِه جعفرَ بن حَنْظَلَةَ البَهْراني ، فمكثَ أميراً أربعةَ أشهر ، حتى جاء عَهْدُ نصرِ بن سَيَّار في رجبٍ منها ، فعلى هذا تكونُ وفاةُ أسدٍ في صفَر من هذه السنة ، وقد قال ابنُ عرس العَبْدي يرثيه :

نَعَى أسدَ بنَ عبد الله ناعٍ ... فريعَ القلب للمَلِكِ المُطَاعِ
بِبلْخٍ وافَقَ المقدار[٣] يسري ... وما لقضاء رَبِّكَ من دِفَاعِ
فجودي عينُ بالعَبَراتِ سَحّاً ... ألم يَحْزُنْكِ تَفْرِيقُ الجِمَاعِ
أتاهُ حِمَامُهُ في جَوْفِ صِيْغٍ[٤] ... وكم بالصِّيغِ من بطلٍ شُجاعِ
كتائبُ قد يُجيبونَ المنادي ... على جُردٍ مُسَوَّمَةٍ سِرَاعِ
سُقيتَ الغَيْثَ إنَّكَ كُنتَ غَيْثاً ... مَريعاً عند مُرْتادِ النُّجَاعِ

وفيها عزل هشامٌ خالدَ بنَ عبدِ الله القَسْري عن نيابةِ العراق ، وذلك أنَّه انحصرَ منه ، لما كان يَبْلُغه من إطلاقِ عبارةٍ فيه ، وأنه كان يقول عنه : ابن الحمقاء ، وكتب إليه كتاباً فيه غِلْظة ، فردَّ عليه هشامٌ ردّاً

---

(١) في (ح) : « غزيرة » ، والمثبت من (ب ، ق) .

(٢) « ألوان ملونة » ليست في (ب ، ح) .

(٣) في (ب ، ح) : « المرار » .

(٤) صيغ ـ بالكسر ثم السكون وآخره غين معجمة بلفظ لم يسم فاعله من ماضي صاغ يصوغ ـ : ناحيةٌ من نواحي خُراسان . قال ياقوت : كان بها مَهْلِكُ أسد بن عبد الله القسري . معجم البلدان (٣/ ٤٣٩) .

عَنِيفاً . ويقال : إنَّه حسَدَه على سَعَةِ ما حَصَل له من الأموال والحواصل والغَلاّت ، حتى قيل إنه كان دَخْلُه في كلِّ سنةٍ ثلاثةَ عشرَ ألف ألف دينار ، وقيل : دِرْهَم . ولِولدِهِ يزيد بن خالد عشرة آلاف ألف . وقيل إنه وفَد إليه رجلٌ من ألزامِ أمير المؤمنين من قريش يقالُ له ابنَ عمرو ، فلم يُرحِّبْ به ولم يَعْبأ به ، فكتب إليه هشامٌ يُعنِّفُه ويُبَكِّتُه على ذلك ، وأنَّه حالَ وصولِ هذا الكتاب إليه يقومُ مِن فَوْرِهِ بِمَنْ حَوْلَه من أهلِ مجلسِه ، فينطلق على قدمَيْهِ حتى يأتيَ بابَ ابن عمرو صاغراً ذليلاً مستأذناً عليه ، متنصِّلاً إليه مما وقع ، فإن أَذِنَ لك ، وإلاَّ فَقِفْ على بابِه حَوْلاً غيرَ مُتَحَلِّلٍ من مكانِكَ ولا زائل ، ثم أمْرُكَ إليه إنْ شاء عزلك ، وإن شاء أبْقاك ، وإن شاء انتصر ، وإنْ شاء عَفَا ، وكتب إلى ابن عمرٍو يُعلِمُه بما كتب إلى خالد ، وأمَرَهُ إنْ وقف بين يديه أنْ يَضْربَهُ عشرين سَوْطاً على رأسه إنْ رأى ذلك مصلحة .

ثم إنَّ هشاماً عزَلَ خالداً وأخفَى ذلك ، وبعث البريدَ إلى نائبهِ على اليَمن ، وهو يوسف بن عمر ، فولاَّهُ إمْرَةَ العراق ، وأمَرَهُ بالمَسيرِ إليها والقدومِ عليها في ثلاثينَ راكباً ، فقدموا الكوفة وقت السَّحَر ، فدخلوها ، فلما أذَّنَ المؤذِّنُ أمَرَهُ يوسفُ بالإقامة ، فقال : إلى أنْ يأتيَ الإمامُ ـ يعني خالداً ـ فانتهرَهُ ، وأمرَهُ بالإقامة ، وتقدَّمَ يوسفُ فصلَّى وقرأ : ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴾ ، و ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ ﴾ ثم انصرف ، فبعثَ إلى خالدٍ وطارقٍ وأصحابِهما فأُحضِروا ، فأخذ منهم أموالاً كثيرة ، صادَرَ خالداً بمئة ألف ألف دِرْهَم .

وكانتْ وِلايةُ خالدٍ على العراق في شوالَ سنةَ خمسين ومئة ، وعزل عنها في جمادى الأولى من هذه السنة ، أعني سنة عشرين ومئة ، وفي هذا الشهر قَدِمَ يوسفُ بنُ عمر على ولاية العراق مكانَ خالد بن عبد الله القسري ، واستنابَ على خُراسان جُدَيْع بن علي الكِرْماني ، وعَزَل جعفرَ بن حَنْظلةَ الذي كان استنابَهُ أسَد ، ثم إنَّ يوسف بن عمر عزل جُدَيعاً في هذه السنة عن خُراسان وولَّى عليها نَصْرَ بن سَيَّار ، وذهب جميعُ ما كان اقتناهُ وحَصَّلَهُ خالدٌ من العَقَار والأملاك وَهْلَةً واحدة ، وقد كان أشار عليه بعضُ أصحابِه لما بلغهم عَتْبُ هشامٍ عليه ، أنْ يبعثَ إليه يعرِضُ عليه بعضَ أملاكِه ، فما أحَبَّ منها أخَذَه ، وما شاء تَرَكَ ، وقالوا له : لأنْ يذهبَ البعضُ ويبقَى البعضُ خيرٌ من أنْ يذهبَ الجميعُ مع العَزْل والإخراق ، فامتنع من ذلك واغترَّ بالدنيا ، وعزَّتْ نفسُهُ عليه أنْ يَذِلّ ، ففجأَهُ العَزْل ، وذهب ما كان حَصَّلَهُ وجمعَه ومنعَه ، واستقرَّتْ ولايةُ يوسفَ بنِ عمر على العِراقِ وخُراسان ، واستقرَّتْ ولايَتُهُ لِنَصْرِ بن سَيَّار على خُراسان ، فتمهَّدَتِ البلاد ، وأمِنَ العباد ولله الحمد والمنة .

وقد قال سوار بن الأشعر[1] في ذلك :

أَضْحَتْ خُراسانُ بعدَ الخَوْفِ آمنةً ... مـن ظُلـم كـلِّ غَشُـومِ الحُكْـمِ جَبَّـارِ

---

(١) في ق : « الأشعري » ، وفي (ب ، ح) « الأشقر » ، وما أثبتناه موافق لما في تاريخ الطبري وكامل ابن الأثير . وذكره ابن ماكولا في الإكمال ١/ ٨٩ فقال : « سوار بن الأشعر التميمي كان يلي شرطة سجستان فغلب عليها أيام الفتنة » (بشار) .

لَمَّا أَتَى يوسفاً أخبارُ ما لَقِيَتْ اِختارَ نَصْراً لها نصرَ بنَ سَيَّارِ

وفي هذه السنة استبطأتْ شيعةُ آلِ العباس كتابَ محمدِ بن علي إليهم ، وقد كان عَتَبَ عليهم في اتباعِهم ذلك الزِّنْدِيق الملقَّب بَخِدَاش ، وكان خُرَّمِيّاً ، وهو الذي أحلَّ لهمُ المُنكراتِ ، وولى[١] المحارم والمصاهرات ، فقتله خالدُ القَسْري كما تقدَّم ، فَعَتَب عليهم محمد بن علي في تصديقِهم له ، واتباعِهم إيَّاه على الباطل ، فلما استبطؤوا كتابَهُ إليهم بعثوا إليهِ رسولاً يخبر لهم أمرَه ، فلما جاء الرسول أعلمه محمدٌ بماذا عَتَب عليهم في قضية خِدَاش الخُرَّمي ، وأرسل مع الرسول كتاباً مختوماً ، فلما فتحوه لم يجدوا فيه سوى : بسم الله الرحمن الرحيم ، تعلَّموا أنَّه إنما تعتَّبَ عليكم بسبب الخُرَّمي ، ثم أرسلَ رسولاً إليهم ، فلم يصدِّقْه كثيرٌ منهم وهَمُّوا به ، ثم جاءتْ من جهتِه عَصا مَلْوِيٌّ عليها حديدٌ ونُحاس ، فعلموا أنَّ هذا إشارةٌ لهم إلى أنَّهم عصاة ، وأنَّهم مختلفون كاختلافِ ألوانِ النُّحاسِ والحديد .

قال ابنُ جَرير[٢] : وحجَّ بالناسِ في هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل المَخْزومي فيما قالهُ أبو معشر . قال : وقد قيل : إنَّ الذي حجَّ بالناس سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وقيل : ابنُه يزيد بن هشام . فالله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومئة

ففيها غزا مسلمةُ بنُ هشام بلاد الرُّوم ، فافتتحَ مَطَامِير ـ وهو حِصْن ـ وافتتح مروان بن محمد بلادَ صاحبِ الذهب . وأخذ قِلاعَهُ وخرَّب أرضَه ، فأذعن له بالجِزْيَةِ في كُلِّ سنة بألف رأسٍ يؤدِّيها إليه وأعطاه رَهْناً على ذلك .

وفيها في صَفَر قُتل زيدُ بن علي بن الحسين بن عليِّ بن أبي طالب الذي تنتسبُ إليه الطائفةُ الزَّيدية في قولِ الواقدي ، وقال هشام الكلبي : إنما قُتل في صفر من سنةِ ثنتينِ وعشرين . فالله أعلم .

وقد ساقَ محمدُ بنُ جرير[٣] سببَ مَقتَله في هذه السنة تبعاً للواقدي ، وهو أنَّ زيداً هذا وفَدَ على يوسف بن عمر ، فسأله : هل أودَعَ خالدُ القَسْريُّ عندَك مالاً ؟! فقال له زيد بن علي : كيف يودعني الرجل مالاً وهو يشتم آبائي على منبره في كل جمعة ؟ فأحلَفَهُ أنَّه ما أودعَ عنده شيئاً ، فأمر يوسف بن عمر بإحضار خالدٍ من السجن ، فجيء به في عباءة ، فقال : أنتَ أودعتَ هذا شيئاً نستخلصُه منه ؟ قال : لا ، وكيف وأنا أشتُمُ أباهُ كلَّ جمعة ؟! فتركه عمر ، وأعلمَ أميرَ المؤمنين بذلك ، فعفا عن ذلك . يقال : بلِ

(١) كذا في (ب ، ح) ، وفي (ق) : « ودنَّس » .
(٢) في كتابه تاريخ الطبري (٤/ ١٩٢) .
(٣) في تاريخه (٤/ ١٩٣) .

استحضرَهم فحلفوا بما حلفوا ، ثم إنَّ طائفةً من الشِّيعة التفَّتْ على زيد بن علي ، وكانوا نحواً من أربعين ألفاً ، فنهاهُ بعضُ النُّصحَاءِ عن الخروج ، وهو محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، وقال له : إنَّ جدَّكَ خيرٌ منكَ ، وقد التفَّتْ على بيعَتِه من أهل العراق ثمانون ألفاً ، ثم إنّهم خانوهُ أحوجَ ما كان إليهم ، وإني أحَذِّرُكَ من أهلِ العراق . فلم يقبَلْ ، بلِ استمرَّ يبايع الناس في الباطن في الكوفة على كتابِ الله وسنةِ رسولِه ، حتى استفحلَ أمرُهُ بها في الساكن ، وهو يتحوَّلُ من مَنْزل إلى مَنْزل ، وما زال كذلك حتى دخلت سنةُ ثنتين وعشرين ومئة ، فكان فيها مَقتَلُه كما سنذكر قريباً .

وفيها غزا نَصْرُ بنُ سَيَّار أميرُ خراسانَ غزَوَاتٍ متعدِّدةٍ في التُّرْك ، وأسَرَ مَلِكَهم كورصول في بعض تلك الحروب وهو لا يعرفهُ ، فلما تيقَّنَهُ وتحقَّقه سأل منه كورصول أن يُطلقَه على أنْ يُرسلَ له ألفَ بعيرٍ من إبلِ التُّرك ـ وهي البَخَاتِيّ ـ وألف بِرْذَوْن ، وهو مع ذلك شيخٌ كبيرٌ جدّاً ، فشاورَ نصرٌ مَنْ بحضرتِهِ من الأمراء في ذلك ، فمنهم مَنْ أشارَ بإطلاقِه ، ومنهم من أشارَ بقتلِه ، ثم سأله نَصْرُ بن سيَّار : كم غزَوْتَ من غزوة ؟ فقال : ثنتين وسبعين غزوة . فقال له نصر : ما مِثْلُكَ يُطلق ، وقد شهدتَ هذا كلَّه ! ثم أمَرَ به فضُربَتْ عُنقه ، وصَلَبَه . فلما بلغَ ذلك جيشَهُ من قَتْلِه باتوا تلك الليلة يجعُرون ويبكون عليه وجَذُّوا لِحاهم وشعورَهم وقطَعوا آذانَهم ، وحرقوا خياماً كثيرةً وقتلوا أنعاماً كثيرة . فلما أصبح أمرَ نصرٌ بإحراقِهِ لئلا يأخذوا جُثَّته ، فكان حريقُه أشدَّ عليهم من قتلِه . وانصرفوا خائبين صاغرين خاسرين ، ثم كرَّ نصرٌ على بلادِهم فقتل منهم خلقاً وأسَرَ أُمَماً لا يُحصَوْنَ كثرةً ، وكان فيمَنْ حضر بين يديه عجوزٌ كبيرةٌ جدّاً من الأعاجم أو الأتراك . وهي من بيت مملكة ، فقالت لنصرِ بن سَيَّار : كلُّ ملكٍ لا يكونُ عندَهُ ستةُ أشياء فهو ليس بملك : وزيرٌ صادقٌ يَفصِلُ خصوماتِ الناس ، ويشاوِرُه ويناصحُه ، وطبَّاخٌ يصنَعُ له ما يشتهيه ، وزوجةٌ حسناءُ إذا دخل عليها مغتمّاً فنظر إليها سَرَّتْهُ وذهبَ غَمُّه ، وحِصْنٌ مَنِيعٌ إذا فَزِعَ رعاياهُ لجَؤوا إليه فيه ، وسيفٌ إذا قارعَ به الأقرانَ لم يخشَ خيانتَه ، وذخيرةٌ إذا حملها فأينَ ما وقع من الأرض عاش بِها .

وحجَّ بالناس فيها محمد بن هشام بن إسماعيل نائبُ مكةَ والمدينةِ والطائف ، ونائبُ العراق يوسف بن عمر ، ونائبُ خُراسان نصرُ بن سَيَّار ، وعلى أرْمِينيَةَ مروان بن محمد بن مروان الحمار .

ذكرُ مَنْ تُوفِّيَ فيها من الأعيان :

زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[1] : والمشهور أنه قُتل في التي بعدَها كما سيأتي بيانُه إنْ شاء الله .

---

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٥/ ٣٢٥) ، طبقات خليفة (٢٥٨) ، التاريخ الكبير (٣/ ٤٠٣) ، الجرح والتعديل (٣/ ٥٦٨) ، مشاهير علماء الأمصار ص(٦٣) ، مقاتل الطالبيين (١٢٧) ، بغية الطلب في تاريخ حلب (٩/ ٤٠٢٧) ، البدء والتاريخ (٦/ ٤٩) ، وفيات الأعيان (٥/ ١٢٢) ، تهذيب الكمال (١٠/ ٩٥) ، الرياض النضرة (١/ ٣٨٤) ، تهذيب التهذيب (٣/ ٣٦٢) ، تقريب التهذيب ص(٢٢٤) .

مسْلَمة بن عبد الملك[١] بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القُرَشيُّ الأمَويّ ، أبو سعيد وأبو الأصْبَغ الدمشقي .

قال ابن عساكر[٢] : وداره بدمشق في مَحَلَّةِ القِباب عند بابِ الجامعِ القبْلي ، ووَلِيَ المَوْسِمَ أيَّام أخيه الوليد، وغزا الرُّوم غزواتٍ، وحاصرَ القُسْطَنْطِينيَّةَ وولاَّهُ أخوهُ يزيدُ إمرةَ العِراقينِ ثم عزله ، ووُلِّي أرمينية .

وروى الحديث عن عمرَ بن عبد العزيز . وعنه عبدُ الملك بن أبي عثمان ، وعُبيد الله بن قُزَعَة ، وعُيينة والدُ سفيانَ بنِ عينية بن أبي عمران[٣] ، ومعاوية بن حُدَيج[٤] ، ويحيى بن يحيى الغساني .

قال الزُّبير بن بكَّار : كان مسلمةُ من رجالِ بني أمية ، وكان يلقب بالجرَادةِ الصفراء ، وله آثارٌ كثيرة وحروبٌ ونِكَايةٌ في الرُّوم .

قلت : وقد فَتَح حصوناً كثيرةً من بلادِهم ، ولما وَلِي أرْمينيَة غزا التُّرك فبلغ بابَ الأبواب فهدَم المدينة التي عندَه ، ثم أعادَ بناءَها بعد تسعِ سنين . وفي سنة ثمانٍ وتسعين غزا القُسْطنطينِيَّة فحاصرَها وافتتحَ مدينةَ الصَّقالِبَة ، وكسر مَلِكَ البُرْجَان[٥] ، ثم عاد إلى محاصرة القُسْطنطِينيَّة .

قال الأوزاعي : فأخذَهُ وهو يُغازيهم صُدَاعٌ عظيمٌ في رأسِهِ ، فبعث ملكُ الرُّوم إليه بقَلَنْسُوَة ، وقال : ضعَها على رأسِكَ يذْهَبْ صُداعُك . فخَشي أنْ تكونَ مَكِيدةً ، فوضعها على رأسِ بهيمةٍ فلم يرَ إلَّا خيراً ، ثم وضعها على رأسِ بعض أصحابِه فلم يرَ إلَّا خيراً ، فوضعَها على رأسِه فذَهَبَ صُدَاعُه ، ففتقَها فإذا فيها سبعون سطراً هذه الآية : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر : ٤١] ، مكررة ، لا غير . رواهُ ابنُ عساكر[٦] .

وقد لَقِيَ مسْلمةُ في حصاره القُسْطنطينيَّة شدَّةً عظيمة ، وجاع المسلمونَ عندَها جُوعاً شديداً ، فلما وُلِّيَ عمرُ بن عبد العزيز أرسل إليهمُ البريدَ يأمرُهم بالقُفول ، فحَلَفَ مَسْلمةُ أنْ لا يُقلِعَ عنهم حتى يبنوا له

---

(١) ترجمته في تاريخ خليفة (٣٠١) ، التاريخ الكبير (٣/ ٣٨٧) ، الجرح والتعديل (٨/ ٢٦٦) ، تهذيب الكمال (٢٧/ ٥٦٢) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٤١) ، تاريخ الإسلام (٤/ ٣٠٢) ، تهذيب التهذيب (١٠/ ١٤٤) .

(٢) انظر مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٢٤/ ٢٦٣) .

(٣) في (ق) : « وابن أبي عمران » تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) ، ومصادر ترجمة سفيان .

(٤) صحفت في (ق) إلى « خديج » .

(٥) بُرْجَان : جنس من الروم يُسمَّون كذلك . قال الأعشى :

وهـرقـل يـوم ذي سـاتـيـدمـا   مـن بني بـرجـان فـي البـأس رجـح

لسان العرب (برج) .

(٦) انظر مختصره لابن منظور (٢٤/ ٢٦٦) .

جامعاً كبيراً بالقُسْطنطِينيَّة[١] . فَبَنوا بها جامعاً ومنارةً ، فهو بها إلى الآن يُصلِّي فيه المسلمون الجُمعة والجماعة .

قلتُ : وهي آخر ما يفتَحُه المسلمونَ قبلَ خروجِ الدجَّال في آخرِ الزمان ، كما سنورِدُه في الملاحم والفِتَن من الحديث الصحيح عند مسلم رحمه الله[٢] . وبالجملة كانت لمسلمةَ مواقفُ مشهورةٌ مشهودة ، وغزوات متتالية منثورة محمودة ، وقد افتتح حصوناً وقلاعاً ، وأحيا بعزمِهِ قصوراً وبقاعاً ، وكان في زمانه في الغزوات نظيرَ خالدِ بن الوليد في أيامه في كثرةِ مَغَازيه ، وكثرةِ فُتوحه ، وقوَّةِ عزمه ، وشدةِ بأسِه ، وجَوْدَةِ تصرُّفِه في نقضِهِ وإبرامِه ، وهذا مع الكرمِ والفصاحة ، والرياسةِ والسَّماحة ، والأصالةِ والرجاحة .

ومن كلام الحسن قوله : مروءتان ظاهرتان : الرياش والفصاحة . وقال يوماً لِنُصَيبِ الشاعر : سلني . قال : لا . قال : ولم ؟ قال : لأنَّ كفَّكَ بالجزيلِ أكثرُ من مسألتي باللسان . فأعطاهُ ألفَ دينار .

وقال أيضاً : الأنبياءُ لا يتثاءَبونَ كما يتثاءبُ الناس ، ما تثاءَبَ نبيٌّ قَطّ .

وقد أوصىَ بثُلثِ مالِه لأهلِ الأدب وقال : إنها صِناعةٌ مَجْفُوٌّ أهلُها .

وقال الوليد بن مسلم وغيرُه : توفي يوم الأربعاء لسبعٍ مَضَيْنَ من المحرَّم ، سنة إحدى وعشرين ومئة . وقيل : في سنة عشرين ومئة . وكانت وفاته بموضعٍ يُقالُ له الحانوت . وقد رثاه بعضُهم وهو ابنُ أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك فقال :

أقـول ومـا البعـدُ إلَّا الـرَّدَى ... أمَسْلَـمُ لا تَبْعِـدَنْ مَسْلَمَـهْ
فقد كنتَ نوراً لنا في البلادِ ... مضِيئاً فقـد أصبحـتْ مُظلِمَـهْ
ونَكْتُمُ مَوْتَكَ نخشَى اليقينَ ... فأبْدَى اليقينُ عنِ الجُمْجُمَه

نُمَيْر بن أُوَيس[٣] الأشعري ، قاضي دمشق ، تابعيٌّ جَلِيل ، روى عن حُذيفة مرسلاً ، وأبي موسى مرسلاً ، وأبي الدرداء ، وعن معاوية مرسلاً ، وعن غيرِ واحدٍ من التابعين . وحدَّث عنه جماعةٌ كثيرون ، منهم الأوزاعي ، وسعيد بن عبد العزيز ، ويحيى بن الحارث الذِّمَارِي .

---

(١) جاء في معجم البلدان لياقوت (١/ ٢٦١) في رسم « أندس » بضم الدال المهملة والسين مهملة أيضاً مدينة على غربي خليج القسطنطينية بين جبلين بينها وبين القسطنطينية ميل ، في مستو من الأرض ، وبأندس مسجدٌ بناهُ مسلمةُ بن عبد الملك في بعضِ غزواته .

(٢) في (ق) : « من كتابنا هذا إن شاء الله . ونذكر الأحاديث الواردة في ذلك هناك » بدل « الحديث الصحيح عند مسلم رحمه الله » والمثبت من (ب ، ح) . على أن السلطان محمداً الفاتح قد افتتحها سنة ١٤٥٣م .

(٣) في (ق) : « نمير بن قيس » تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) ، ومصادر ترجمته وهي : طبقات ابن سعد (٧/ ٤٥٦) ، التاريخ الكبير (٨/ ١١٧) ، الجرح والتعديل (٨/ ٤٩٨) ، الاستيعاب (٤/ ١٥١١) ، تهذيب الكمال (٣٠/ ٢١) ، الكاشف (٢/ ٣٢٦) ، تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل ص(٣٢٩) ، تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٢٤) ، الإصابة (٦/ ٥١١) .

ولَّاهُ هشام بنُ عبد الملك القضاءَ بعدَ عبد الرحمن بن الخشخاش العُذْري ، ثم استعفى هشاماً فأعفاهُ ، وولّى مكانه يزيدَ بن عبد الرحمن بن أبي مالك ، وكان نُمَيرٌ هذا لا يحكمُ باليمينِ مع الشاهد ، وكان يقول : الأدبُ من الآباء ، والصلاحُ من الله .

وقال غيرُ واحد : تُوفِّي سنة إحدى وعشرين ومئة . وقيل : سنة ثنتين وعشرين ومئة . وقيل : سنة خمس عشرة ومئة ـ وهذا غريب جدّاً ـ والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين ومئة

ففيها كان مَقْتَلُ زيدِ بن عليِّ بنِ الحُسين بن عليِّ بن أبي طالب[1] ، وكان سببُ ذلك أنَّه لَمَّا أخذَ البَيْعَةَ مِمَّنْ بايَعَهُ من أهلِ الكوفة أمرَهم في أوّلِ هذه السنةِ بالخُروجِ والتأهُّبِ له . فشرَعوا في أخذِ الأُهْبَةِ لذلك ، فانطلق رجلٌ يقالُ له سليمان بن سُرَاقة إلى يوسف بنِ عمر نائبِ العراق ، فأخبره ـ وهو بالحِيرَةِ يومئذٍ ـ خبرَ زيدِ بن علي على هذا ، وعندَ مَنْ يكونُ من أهلِ الكوفة ، فبعثَ يوسفُ بن عمر يتطلَّبُه ويُلِحُّ في تطلُّبِه ، فلما علمتِ الشيعةُ ذلك اجتمعوا عند زَيد بن عليٍّ فقالوا له : ما قولُك ـ يرحمك الله ـ في أبي بكرٍ وعمر ؟ فقال : غفر الله لهما ، ما سمعتُ أحداً من أهلِ بيتي تبرَّأ منهما ، ولا يقولُ فيهما إلا خيراً . قالوا : فلم تطلُبْ إذاً بِدَمِ أهل البيت ؟ فقال : إنَّا كُنَّا أحقَّ الناسِ بهذا الأمر ، ولكنَّ القومَ استأثروا علينا به ، ودفعونا عنه ، ولم يبلُغْ ذلك عندنا بِهم كُفراً ، وقد وَلُوا فعَدَلوا ، وعمِلوا بالكتاب والسنَّة . قالوا : فلِمَ تُقاتِلُ هؤلاءِ إذاً ؟ قال : إنَّ هؤلاءِ ليسوا كأولئك ، إنَّ هؤلاءِ ظلموا الناسَ وظلموا أنفسَهم ، وإني أدعو إلى كتابِ الله وسنةِ نبيه ﷺ ، وإحياء السُّنَن ، وإماتةِ البِدَع ، فإن تسمعوا يَكُنْ خيراً لكم ولي ، وإن تأبَوْا فلستُ عليكم بوَكِيل . فرفضوهُ وانصرفوا عنه ، ونقَضُوا بيعتَه وتركوه . فلهذا سُمُّوا الرَّافِضَةَ يومئذٍ ، ومَنْ تابعه من الناس على قولِهِ سُمُّوا الزَّيْدِيَّة ، وغالب أهلِ الكوفةِ منهم رافضة ، وغالبُ أهلِ مكةَ إلى اليوم على مذهبِ الزَّيدية ، وفي مذهبهم حق ، وهو تَعْدِيلُ الشيخَيْن ، وباطلٌ وهو اعتقادُ تقديمِ عليٍّ عليهما ، وليس عليٌّ مقدَّماً عليهما ، بل ولا عثمان على أصحِّ قَوْلَيْ أهلِ السنَّةِ الثابتة والآثار الصحيحة الثابتةِ عن الصحابة رضي الله عنهم . وقد ذكرنا ذلك في سيرةِ أبي بكرٍ وعمر فيما تقدَّم . ثم إنَّ زيداً عزَمَ على الخروج بِمَنْ بَقِيَ معه من أصحابِهِ ، فواعَدَهم ليلةَ الأربعاء مُستَهَلَّ صَفَر من هذه السنة ، فبلغ ذلك يوسفَ بنَ عمر فكتب إلى نائبِهِ على الكوفة ـ وهو الحكم بن الصَّلت ـ يأمرُهُ بِجَمْعِ الناسِ كلِّهم في المسجدِ الجامع ، فجمعَ الناسَ لذلك في يوم الثلاثاء سَلْخَ المحرَّم ، قبلَ خروجِ زيدٍ بيوم ، وخرج زيدٌ بِمَنْ معَهُ ليلةَ الأربعاء في بردٍ شديد ، ورفع أصحابُهُ النِّيرانَ وجعلوا ينادُون ، يا منصور ، يا منصور ، فلمَّا طلَعَ

---

(١) تقدمت مصادر ترجمته في حاشية ص(١٧٥) .

الفجرُ إذا قدِ اجتمع معه مئتانِ وثمانيةَ عشرَ رجلاً فجعل زيدٌ يقول : سبحان الله ! أينَ الناس ؟ فقيل : هم في المسجد مَحْصورون . وكتب الحكمُ إلى يوسف بن عمر يعلِمهُ بخروجِ زيدِ بن عليّ ، فبعث إليه سَرِيَّةً إلى الكوفة ، وركبتِ الجيوشُ مع نائبِ الكوفة ، وجاء يوسف بن عمر أيضاً في طائفةٍ كبيرةٍ من الناس ، فالتقى بِمَنْ معه جُرْثومةً منهم فيهم خمسُ مئةِ فارس فهزمهم ، ثم أتَى الكُنَاسةَ ، فحلَّ على جَمعٍ من أهلِ الشام فهزمهم ، ثم اجتازَ بيوسفَ بنِ عمر وهو واقفٌ فوقَ تلّ ، وزيدٌ في مئتي فارس ، ولو قصد يوسفُ بن عمر لقَتَلَه ، ولكنْ أخذ ذاتَ اليمين ، وكلَّما التقى طائفةً من أهلِ الكوفةِ هزمهم ، وجعل أصحابُهُ ينادون : يا أهلَ الكوفة ، اخرجوا إلى الدِّينِ والعِزِّ والدنيا ، لستم في دينٍ ولا عِزٍّ ولا دنيا ، ثم لما أمسَوْا انضاف إليه جماعةٌ من أهلِ الكوفة وقد قُتل بعضُ أصحابِه في أولِ يوم ، فلما كان في اليوم الثاني اقتتل هو وطائفةٌ من أهلِ الشام ، فقتلَ منهم سبعين رجلاً ، وانصرفوا عنه بشرِّ حال ، وأمسَوْا ، فعبَّأ يوسفُ بن عمر جيشَه جيداً ، ثم أصبحوا فالتقَوْا مع زيد بن عليٍّ في أصحابه ، فكشفَهم حتى أخرجهم إلى السَّبَخَة ، ثم شدَّ عليهم حتى أخرجهم إلى بني سُليم ، ثم تَبِعهم في خيلِه ورَجِله ، حتى أخذوا على المُسَنَّاة[1] ثم اقتتلوا هناك قتالاً شديداً جداً حتى كان جُنحُ الليل ، فرُمِيَ زيدٌ بسهمٍ فأصاب جانبَ جَبهتِه اليُسرى ، فوصل إلى دِمَاغِه ، فرجع ورجع أصحابُه . ولا يَظنُّ أهلُ الشامِ أنَّهم رجعوا إلَّا للمساء والليل ، وأُدخل زيدٌ في دار سكةِ البَريد ، وجيء بطبيب فانتزعَ ذلك السهمَ من جبهتِه ، فما عَدَا أن انتزعه حتى ماتَ في ساعتِه رحمه الله .

فاختلف أصحابُهُ أين يدفِنُونَه ؟ فقال بعضهم : ألبِسُوهُ دِرْعَهُ وأَلْقُوهُ في الماء . وقال بعضُهم : احتزُّوا رأسَهُ واتركوه في القتلَى . فقال ابنُه : لا والله لا تأكلُ أبي الكلاب . وقال بعضُهم : ادفِنوه في الكناسة[2] وقال بعضهم : ادفِنُوهُ في الحفرةِ التي يؤخذُ منها الطِّين . ففعلوا ذلك ، وأجرَوْا على قبرِهِ الماءَ لئلا يُعرَف ، وتفلَّلَ أصحابُه[3] ، حيثُ لم يبقَ لهم رأسٌ يقاتلون به ، فما أصبح الفجرُ ولهم قائمةٌ ينهضون بها وتتبَّعَ يوسف بن عمر الجَرْحَى هل يجدُ زيداً بينهم ؛ وجاء مولًى لِزَيْد سِنْديّ ، قد شَهِدَ دفنَه ، فدلَّ على قبره ، فأُخِذَ من قبرِه ، فأمر يوسفُ بن عمر بصَلْبِه على خشبةٍ بالكُناسة ، ومعه نصرُ بن خُزيمة ، ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري ، وزياد النَّهْدي ؛ ويُقال : إنَّ زيداً مكَثَ مصلوباً أربعَ سنين ، ثم أُنزل بعدَ ذلك وأُحرق ، والله أعلمُ .

---

(١) في (ق) : « الساه » ، وفي (ب) : « اكناه » ، وكلاهما تصحيف ، والمثبت من (ح) وتاريخ الطبري ، والمسنَّاة : ضُفَيرة تُبنى للسَّيل لتردَّ الماء سميت مُسَنَّاة لأن فيها مفاتيح للماء بقدر ما تحتاج إليه مما لا يَغلِب ، مأخوذٌ من قولك سنَّيتُ الشيءَ والأمر إذا فتحتَ وجهه . لسان العرب (سنن) . وجاء فيه مادة (نجف) : النجفةُ المسنَّاة ، والنجف : التل . قال الأزهري : والنجفة التي بظهر الكوفة وهي كالمسناة تمنع ماء السيل أن يعلو منازل الكوفة ومقابرها .

(٢) في (ب ، ق) : « العباسة » وهو تحريف . والكناسة محلة معروفة بالكوفة .

(٣) في (ق) : « وانفتل أصحابه » ، والمثبت من (ب ، ح) ، والفَلُّ : المنهزمون . وفَلَّ القومَ يفُلّهم فلاً : هزمهم فانفَلُّوا وتَفَلَّلوا . وهم قوم فَلٌّ : منهزمون ، والجمع فُلول وفُلَّال . لسان العرب (فلل) .

وقد ذكر أبو جعفر بن جرير الطبري[١] ، أنَّ يوسفَ بن عمر لم يعلمْ بشيءٍ من شأنِ زيدِ بن علي حتى كتب إليه هشامُ بن عبد الملك يقول له : إنَّك لغافل ، وإنَّ زيد بن علي غارزٌ ذَنَبَهُ بالكوفة يُبايعُ له ، فألِحَّ في طلبه وأعطِهِ الأمان ، وإنْ لم يقبلْ فقاتِلْهُ . فتطلَّبه يوسف بن عمر حتى كان من أمْرِهِ ما تقدَّم ، فلما ظهر على قبرِهِ حزَّ رأسَهُ وبعث به إلى هشام بن عبد الملك ، فنصبه على باب دمشق ؛ ثم أمر به فسارَ إلى المدينة حتى نصبوه على أحدِ أبوابها . وأمّا جثته فلم تزلْ مصلوبةً تُحرسُ ليلاً ونهاراً ، حتى انقضَتْ دولةُ هشام ، وقام من بعدِه الوليدُ بن يزيد ، فأمر به فأُنزل وحُرِّق في أيامِه ، قبَّح الله الوليدَ هذا .

فأمَّا ابنُه يحيى بن زيد بن علي فاستجار بعبدِ الملك بن بشر بن مروان ؛ فبعث إليه يوسفُ بن عمر يتهدَّدُهُ حتى يحضرَه ، فقال له عبدُ الملك بنُ بشر : ما كنتُ لآوي مثل هذا الرجل ، وهو عدوُّنا وابنُ عدوِّنا . فصدَّقَهُ يوسفُ بن عمر في ذلك . ولما هدأ الطلَبُ عنه سيَّرهُ إلى خُراسان ، فخرج يحيى بنُ زيد في جماعةٍ من الزيديَّة إلى خراسان ، فأقاموا بها هذه المدة[٢] .

قال أبو مِخْنَف : ولما قُتل زيد خطَبَ يوسفُ بن عمر أهلَ الكوفةِ فتهدَّدَهم وتوعَّدهم وشتمهم وأنَّبهم ، وقال لهم فيما قال : واللهِ لقد استأذنتُ أميرَ المؤمنين في قَتْلِ خَلْقٍ منكم ، ولو أذِنَ لي لقتلتُ مقاتلتكم وسبيتُ ذرارِيَّكم ، وما صعِدْتُ لهذا المنبر إلا لأسمعَكم ما تكرهون .

قال ابنُ جرير[٣] : وفي هذه السنة قُتل عبدُ الله البطال في جماعةٍ من المسلمين بأرضِ الروم .

ولم يَزِدِ ابنُ جريرٍ على هذا ، وقد ذكر هذا الرجلَ الحافظُ ابنُ عساكر في تاريخه الكبير فقال :

عبد الله أبو يحيى المعروف بالبَطَّال[٤]

كان يَنْزِل أنطاكِية ، حكى عنه أبو مروان الأنْطَاكي ، ثم روى بإسناده أنَّ عبد الملك بن مروان حينَ عقَدَ لابنهِ مَسْلَمة على غزوِ بلادِ الروم ولَّى على رؤساءِ أهلِ الجزيرةِ والشام البَطَّال ، وقال لابنه مسلمة : سَيِّرْهُ على طلائعِك ، وأمُرْهُ فليعُسَّ بالليل العسكر ، فإنَّهُ أمينٌ ثقةٌ مِقْدامٌ شجاع . وخرج معهم عبدُالملك يُشيِّعُهم إلى بابِ دِمَشق . قال : فقدَّم مسلمةُ البطَّالَ على عشرةِ آلافٍ يكونونَ بين يديه تُرْساً من الرُّوم أنْ يصلوا إلى جيشِ المسلمين .

قال محمد بن عائذ الدمشقي : حدّثنا الوليد بن مسلمة ، حدّثني أبو مروان شيخٌ من أهلِ أنطَاكِيَةَ قال :

---

(١) في تاريخه (٤/ ٢٠٨) .

(٢) في (ب ، ح) : « كانوا بها مقيمين » .

(٣) هو الطبري في تاريخه (٤/ ٢١٠) .

(٤) ترجمته في مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (١٤/ ١٣٧) ، الكامل (٤/ ٤٥٦) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٨) ، العبر (١/ ١٤٠) ، النجوم الزاهرة (١/ ٢٧٢) ، شذرات الذهب (١/ ١٥٩) .

كنتُ أغازي مع البَطَّال ، وقد أوطأ الرُّومَ ذُلّاً . قال البطال : فسألني بعضُ ولاةِ بني أمية عن أعجَبِ ما كان من أمري في مغازيَّ فيهم ، فقلت فيهم : خرجتُ في سَرِيَّةٍ ليلاً ، فدفعنا إلى قرية ، فقلتُ لأصحابي : أرْخُوا لُجُمَ خيلِكم ، ولا تحرِّكوا أحداً بقتلٍ ولا بشيء حتى تَشْحَنوا[١] القرية فإنَّهم في نَوْبة . ففعلوا ، وافترقوا في أزِقَّتِها ، فدفعتُ في أناسٍ من أصحابي إلى بيتٍ يَزْهرُ سِرَاجُه[٢] ، وإذا امرأةٌ تُسكِّتُ ابنَها من بكائه وهي تقول له : لَتسكتَنَّ أو لأدفعنَّكَ إلى البطَّال يذهَبُ بك . وانتشلَتْهُ من سريره وقالتْ : خُذْهُ يا بَطَّال . قال : فأخذتُه[٣] .

وروى محمد بن عائذ عن الوليد بن مسلم ، عن أبي مروان الأنطاكي ، عن البطال ، قال : انفردتُ مرَّةً على فرسي ليس معي أحدٌ من الجُند ، وقد سمطتُ[٤] خلفي مِخْلاةً فيها شعير ، ومعي مِنديل فيه خُبز وشِوَاء ، فبينا أنا أسير لعلِّي ألقى أحداً منفرداً ، أو أطَّلِعُ على خبر ، إذا أنا ببستانٍ فيه بُقولٌ حسنة ، فنَزلْتُ وأكلتُ من ذلك بالخبزِ والشِّوَاء مع البَقْل ، فأخذَني إسهالٌ عظيم ، قمتُ منه مِراراً ، فخفتُ أنْ أضعُفَ من كثرةِ الإسهال ، فركبتُ فرسي والإسهالُ مستمِرٌّ على حالِه ، وجعلتُ أخشى إنْ أنا نزلْتُ عن فرسي أنْ أضعُفَ عن الرُّكوب ، وأفرطَ بي الإسهالُ في السَّرْج حتى خَشيتُ أنْ أسقُطَ من الضَّعْف ، فأخذتُ بعِنَانِ الفرس ، ونمتُ على وجهي ، لا أدري أين يسيرُ الفرسُ بي ، فلم أشعر إلا بِقَرْعِ نعالِهِ على بَلاط ، فأرفعُ رأسي فإذا دَيْر ، وإذا قد خرج منه نِسْوةٌ صحبةَ امرأةٍ حسناء جميلةٍ جدّاً ، فجعلَتْ تقولُ بِلسانها أنزِلْـنَه . فأنزَلْنني ، فغسَلْنَ عني ثيابي وسَرْجي وَفَرَسي ، ووضَعْنَني على سرير ، وعَمِلْنَ لي طعاماً وشراباً ، فمكثتُ يوماً وليلةَ مَسْبوتاً[٥] ثم أقمتُ بقيةَ ثلاثةِ أيام حتى تُردَّ إليَّ حالي ، فبينا أنا كذلك إذْ قيل : جاء البِطْريقُ ، وهو يريد أنْ يتزوَّجَها ، فأمرَتْ بفرَسي فحُوِّلَ وعُلِّق على الباب الذي أنا فيه ، وإذا هو بِطْريقٌ كبيرٌ فيهم ، وقد جاء لخطبتها ، فأخبرَهُ منْ كان هنالك بأنَّ هذا البيتَ فيه رجلٌ وله فرَس ، فهمَّ بالهجومِ عليّ ، فمنعَتْهُ المرأةُ من ذلك ، وأرسلَتْ تقولُ له : إنْ فَتح عليه الباب لم أقضِ حاجَته . فثناهُ ذلك عن الهجومِ عليّ ؛ وأقامَ البِطْريقُ إلى آخرِ النهارِ في ضيافتهم ، ثم ركبَ فرسَه ، وركب معه أصحابُهُ وانطلق .

---

(١) في (ق) : « تستمنوا من القرية ومن سكانها » ، والمثبت من (ب ، ح) ومختصر تاريخ ابن عساكر ، ومعنى تشحنوا : من شَحَنَ البلدَ بالخَيل : مَلأه . وبالبلد شَحْنةٌ من الخيل أي رابطة . لسان العرب (شحن) .

(٢) زهَرَ السراجُ يَزْهرُ زُهُوراً : ازْدَهَرَ وتلألأ ، وكذلك الوجه والقمر والنجم . لسان العرب (زهر) .

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر (١٤/ ١٣٧) .

(٤) سَمطَ الشيءَ سَمْطاً عَلَّقَهُ . والسِّمْطُ الدِّرْعُ يُعلِّقُها الفَارسُ على عَجُزِ فرسه . والسُّمُوطِ هي سُيور تُعلَّقُ من السرج سَمَّطْتُ الشيءَ عَلَّقْتُه على السُّموط . لسان العرب (سمط) .

(٥) في (ب ، ق) : « مستويا » ، والمثبت من (ح) ، يقال : سُبتَ المريضُ فهو مَسْبُوت لا يَتحرَّكُ ؛ والمَسْبُوتُ المَيِّتُ وَالمَغْشيُّ عليه ، وكذلك العليل إذا كان مُلْقًى كالنائم يُغمِّضُ عينيه في أكثر أحواله . والسُّباتُ نوم المريضِ والشيخِ المُسنِّ ، وهو النَّومةُ الخَفيفة ، وأصْلُه من السَّبْتِ الراحة والسُّكون . لسان العرب (سبت) .

قال البطال : فنهضتُ في أثَرِهم ، فهَمَّتْ أنْ تمنعَني خوفاً عليَّ منهم ، فلم أقبلْ ، وسقتُ حتى لَحِقتُهم ، فحمَلْتُ عليه ، فانفرجَ عنه أصحابُه ، وأرادَ الفِرَار ، فألحقُهُ فأضرب عُنقَه ، و استلَبْتُهُ ، وأخذتُ رأسَه مُسْمطاً على فرسي ، ورجعتُ إلى الدَّيْر ، فخَرَجْنَ إليَّ ووقَفْنَ بين يديّ ، فقلتُ اركَبْنَ ، فرَكِبْنَ ما هنالكَ من الدوابّ ، وسقتُ بهنَّ حتى أتَيْتُ أميرَ الجيش ، فدفعتُهن إليه ، فنفلَني ما شئتُ منهنَّ ، فأخذتُ تلك المرأةَ الحسناءَ بعينِها ، فهي أمُّ أولادي . والبِطْريقُ في لغةِ الرُّوم عبارةٌ عن الأميرِ الكبيرِ فيهم . وكان أبوها بِطْريقاً كبيراً فيهم . يعني تلك المرأة ، وكان البطالُ بعدَ ذلك يُكاتبُ أباها ويُهادِيه .

وذكر محمد بن عائذ عن الوليد ، سمعتُ عبدَ الله بن راشد مولى خزاعة ، يُخبر عمَّن سمعه من البطال ، أنَّ هشامَ بن عبد الملك بن مروان لما ولاه المِصِّيصَة بعثَ البطالُ سَرِيَّةً إلى أرض الروم ، فغابَ عنهُ خبَرُها ، فلم يَدْرِ ما صنعوا ، فركب بنفسِهِ وحدَهُ على فرسٍ له ، وسار حتى وصل عَمُّوريَّة ، فطرَقَ بابَها ليلاً فقال له البواب : منْ هذا ؟ قال البطال : فقلتُ أنا سيَّافُ المَلِك ورسولُهُ إلى البِطْريق ، فأخذَ لي طريقاً إليه ، فلما دخلتُ عليه إذا هو جالسٌ على سرير ، فجلستُ معه على السَّرير إلى جانبِه ، ثم قلتُ له : إنِّي قد جئتُكَ في رسالة ، فمُرْ هؤلاءِ فَلْيَنصرِفوا . فأمَرَ منْ عندَهُ فذهبُوا ، قال : ثم قام فأغلقَ بابَ الكنيسة عليَّ وعليه ، ثم جاء فجلس مكانه ، فاخترطتُ سيفي وضربتُ به رأسَه صفحاً وقلتُ له : أنا البطال ، فاصْدُقْني عمّا أسألُكَ عنه ، وإلَّا ضربتُ عُنقكَ الساعة . قال : وما هو ؟ قلتُ : السَّريَّة التي بعثتُها ما خبَرُها ؟ فقال : هم في بلادي يَنتهبونَ ما تهيَّأ لهم ، وهذا كتابٌ قد جاءني يُخبرُ أنهم في وادي كذا وكذا ، واللهِ لقد صدقتُك . فقلت : هاتِ الأمان . فأعطاني الأمان ، فقلت : ائتني بطعام . فأمر أصحابَهُ فجاؤوا بطعام ، فوُضعَ لي ، فأكلتُ ، فقمتُ لأنصرف ، فقال لأصحابه : اخرُجوا بين يدَيْ رسولِ الملك . فانطلقوا يتعادَوْنَ بين يديّ ؛ وانطلقتُ إلى ذلك الوادي الذي ذكر ، فإذا أصحابي هنالك ، فأخذتُهم ، ورجعتُ إلى المِصِّيصَة . فهذا أغربُ ما جرَى .

قال الوليد : وأخبرني بعضُ شيوخِنا أنَّهُ رأى البطالَ وهو قافلٌ من حجَّتِه ، وكان قد شُغل بالجهادِ عن الحَجّ ، وكان يسأل الله دائماً الحَجَّ ثم الشهادة ، فلم يتمكَّنْ من حجَّةِ الإسلام إلا في السنة التي استشهد فيها . رحمه الله تعالى . وكان سببُ شهادَتِه أنَّ ليون مَلِكَ الرُّوم خرج من القُسْطَنْطينيَّةِ في مئةِ ألفِ فارس ، فبعث البِطْريق ـ الذي البطالُ متزوِّجٌ بابنتِه التي ذكَرْنا أمرَها ـ إلى البطال يُخبرُه بذلك . فأخبرَ البطالُ أميرَ عساكرِ المسلمين بذلك ، وكان الأميرُ مالك بن شَبيب ، وقال له : إنَّ المصلحةَ تقتضي أنْ نتحصَّنَ في مدينةِ حرَّان ، فنكونُ بها حتى يقدَمَ علينا سُليمان بن هشام في الجيوش الإسلامية ، فأبَى عليهِ ذلك ودَهِمَهُمُ الجيش ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، والبطَّالُ بين يدَي الأبطال ، ولا يتجاسَرُ أحدٌ أنْ يُنوِّهَ باسمه خوفاً عليه من الروم ؛ فاتَّفقَ أن فَداهُ بعضُهم ، وذكر اسمَه غلطاً منه ، فلما سمع ذلك فُرسان الرُّوم حَمَلوا عليه حملةً واحدة ، فاقتلعوهُ من سَرْجِهِ برماحِهم ، فألقَوْهُ إلى الأرض ، وساقوا وراءَ الناسِ يقتلون ويأسرون ،

وقُتل الأميرُ الكبير مالك بنِ شَبيب ، وانكسر المسلمون ، وانطلقوا إلى تلك المدينةِ الخرَاب ، فتحصَّنوا فيها ، وأصبح ليون ، فوقف على مكانِ المعركة ، فإذا البطَّالُ بآخرِ رَمَق ، فقال له ليون : ما هذا يا أبا يحيى !؟ فقال : هكذا تُقتلُ الأبطال . فاستدعى ليون بالأطباء ليداووه ، فإذا جراحُهُ قد وصلَتْ إلى مَقَاتِلِه ، فقال له ليون : هل من حاجةٍ يا أبا يحيى ؟ قال : نعم . قال : وما هي ؟ قال : تأمر منْ معَكَ من الأسارى من المسلمين ، أنْ يلُوا غَسْلي والصلاةَ عليَّ ودَفْني . ففعل الملكُ ذلك . وأطلقَ لأجلِ ذلك أولئك الأسارى ، وانطلقَ ليون إلى جيشِ المسلمين الذين تحصَّنوا فحاصرَهم ، فبينما هم في تلك الشِّدَّةِ والحِصار إذْ جاءَتْهُم البُرُدُ بقدومِ سليمان بنِ هشام في الجيوش الإسلامية ، ففرَّ ليون في جيشِهِ الخبيث هارباً ، راجعاً إلى بلاده ، قبَّحه الله ، فدخل القُسْطَنْطينيَّةَ وتحصَّنَ بها .

قال خليفةُ بن خياط[١] : كانتْ وفاةُ البَطَّال ومَقْتَلهُ بأرضِ الرُّوم في سنةِ إحدى وعشرين ومئة .

وقال ابنُ جرير[٢] : في سنةِ ثنتين وعشرين ومئة .

وقال ابنُ حسانَ الزيادي : قُتل في سنةِ ثلاثَ عشرةَ ومئة . قلتُ : وقد قاله غيرُه ، وأنه قُتل هو والأمير عبد الوهاب بن بُخت في سنةِ ثلاثَ عشرةَ ومئة ، كما ذكرنا ذلك ، فالله أعلم ، ولكنَّ ابنَ جرير لم يؤرِّخْ وفاتَهُ إلَّا في هذه السنة . والله أعلم .

وقال أبو بكر بن عياش : قيل للبطَّال : ما الشجاعة ؟ قال : صَبْرُ ساعة .

قلتُ : هذا مُلخَّصُ ابنِ عساكر في ترجمةِ البطَّال ، مع تقَصِّيهِ للأخبار واطِّلاعِه عليها ، وأمَّا ما يذكره العامَّةُ عن البطَّالِ من السيرةِ المنسوبة إلى دلهمة والبطال والأمير عبد الوهاب والقاضي عُقبة ، فكَذِبٌ وافتراء ، ووضعٌ بارد ، وجهلٌ كبير ، وتخبُّطٌ فاحش ، لا يُرَوِّجُ ذلك إلَّا على غَبيٍّ أو جاهلٍ رَديء ؛ كما يُرَوِّجُ عليهم سيرةُ عنترةَ العَبْسي المكذوبة ؛ وكذلك سيرة البَكْري والدنف وغير ذلك . والكَذِبُ المفتعلُ في سيرةِ البكري أشدُّ إثماً وأعظَمُ جُرماً من غيرها ، لأنَّ واضعَها يدخل في قول النبي ﷺ : « منْ كَذَبَ عليَّ متعمِّداً فلْيَتَبوَّأ مَقْعَدَهُ من النار »[٣] .

ومِمن تُوفِّي في هذه السنةِ من الأعيان :

إياسُ الذَّكِي[٤] وهو إياسُ بن معاوية بن ....

(١) في تاريخه ص(٣٥٢) .

(٢) هو الطبري في تاريخه (٤/ ٢١٠) ، كما تقدم ص(١٨٠) .

(٣) أخرجه البخاري (١١٠) في باب إثم من كذب على النبي ﷺ ، مسلم (٣) عن أبي هريرة في المقدمة : باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ .

(٤) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٢٣٤) ، التاريخ الكبير (١/ ٤٤٢) ، الجرح والتعديل (٢/ ٢٨٢) ، حلية =

قُرَّة[١] بن إيَاس بن هلال بن رئاب بن عَبْد[٢] بن دُرَيد بن أوْس بن سُوَاءَةَ بن عمرو بن سارية بن ثعلبة بن ذُبيان بن ثعلبةَ بنِ أوْس بن عثمان بن عمرو بن أُدِّ بنِ طابِخَة بن إلياس بن مُضَر بن نزار بن معَد بنِ عدنان .

هكذا نسبَهُ خليفة بن خياط[٣] ، وقيل غيرُ ذلك في نسبه ، وهو أبو واثلة المُزَني ، قاضي البصرة ، وهو تابعيّ ، ولجَدِّهِ صُحبة ، وكان يُضربُ المثلُ بذكائه .

روى عن أبيه عن جَدِّهِ مرفوعاً في الحياء ، وأنس بن مالك ، وسعيد بن جُبير ، وسعيد بن المُسيِّب ، ونافع ، وأبي مِجْلز . وعنه الحمَّادان ، وشعبة ، والأصمعي ، وغيرُهم .

قال عنه محمد بن سيرين : إنَّه لَفَهِم ، إنَّه لَفَهِم . وقال محمد بن سعد والعِجْلي وابنُ مَعين والنسائي : ثقة . زادَ ابنُ سعد[٤] : وكان عاقلاً من الرجال فَطِناً . وزاد العِجْلي[٥] : وكان فقيهاً عَفيفاً .

وقد قدم دمشق في أيامِ عبدِ الملك بن مروان ، ووفد على عمر بن عبد العزيز ، ومرَّةً أخرى حين عزَلَهُ عَديُّ بن أرْطاة عن قضاءِ البَصْرة . قال أبو عُبيدة وغيرُه : تحاكَمَ إياسٌ ـ وهو صبيٌّ شابٌّ ـ وشيخٌ إلى قاضي عبدِ الملك بن مروان بدمشق ، فقال له القاضي : إنَّهُ شيخٌ وأنتَ شابّ ، فلا تُساوِهِ في الكلام . فقال إياس : إنْ كان كَبيراً فالحقُّ أكبر منه . فقال له القاضي : اسكُتْ . فقال : ومنْ يتكلَّمُ بحُجَّتي إذا سكتُّ ؟ فقال القاضي : ما أحسبكَ تنطقُ بحقٍّ في مجلسي هذا حتى تقوم . فقال إياس : أشهدُ أنْ لا إله إلَّا الله . زاد غيرُه : فقال القاضي : ما أظنُّك إلَّا ظالماً له . فقال : ما على ظنِّ القاضي خرجتُ من منزلي . فقام القاضي ، فدخل على عبدِ الملك ، فأخبرَهُ خبرَه . فقال : اقضِ حاجتَه ، وأخرِجْهُ الساعةَ من دمشق لا يُفسد عليَّ الناس .

وقال بعضُهم : لما عزَلَهُ عدِيُّ بن أرطاة عن قضاء البصرة فرَّ منه إلى عمر بنِ عبد العزيز فوجدَهُ قد مات . فكان يَجْلسُ في حَلْقَةٍ في جامعِ دمشق ؛ فتكلَّم رجلٌ من بني أمية ، فردَّ عليه إياس ، فأغلظ له الأموي ، فقام إياس ، فقيل للأموي : هذا إياسُ بن معاوية المزني . فلما عاد من الغد اعتذَر له الأمويُّ

= الأولياء (٣/ ١٢٣) ، معرفة الثقات للعجلي (١/ ٢٤٠) ، مشاهير علماء الأمصار ص(١٥٣) ، الثقات لابن حبان (٤/ ٣٥) ، صفة الصفوة (٣/ ٢٦٣) ، تهذيب الكمال (٣/ ٤٠٧) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ١٥٥) ، الكاشف (١/ ٢٥٩) ، ميزان الاعتدال (١/ ٤٥٠) ، لسان الميزان (٧/ ١٨١) ، مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٥/ ٩٢) ، تهذيب التهذيب (١/ ٣٤١) ، تقريب التهذيب ص(١١٧) .

(١) وقع في (ق) تصحيف وتحريف في الأسماء كثير ، فأثبتُّ الصواب وأضربتُ عن إثقال الحواشي به .

(٢) وقيل : « عُبيد » كما في تاريخ ابن عساكر انظر مختصر ابن منظور (٥/ ٩٢) ، وهو بتحقيق كاتب هذه السطور .

(٣) في طبقاته (١/ ٣٧) .

(٤) في الطبقات الكبرى (٧/ ٢٣٤) .

(٥) في معرفة الثقات (١/ ٢٤٠) .

وقال : لم أعرِفْكَ وقد جلستَ إلينا بثيابِ السُّوقة ، وكلَّمتَنا بكلامِ الأشراف فلم نحتمِلْ ذلك .

وقال يعقوبُ بن سفيان : حدّثنا نعيم بن حمّاد ، حدّثنا ضَمْرَة ، عن ابن شَوْذَب ، قال : كان يقال : يُولدُ في كلِّ مئةِ سنةٍ رجلٌ تامُّ العَقْل . فكانوا يرَوْنَ أنَّ إياسَ بن معاويةَ منهم .

وقال العِجْليّ : دخل على إياس ثلاثُ نِسْوة ، فلما رآهنَّ قال : أمَّا إحداهنَّ فمُرْضِع ، والأخرى بِكْر ، والأخرى ثيِّب . فقيل له : بمَ علمتَ هذا ؟ فقال : أمَّا المُرضع فكلما قعدَتْ أمسكتْ ثديَها بيدِها ، وأمَّا البِكْر فكلَّما دخلتْ لم تلتفتْ إلى أحد ، وأمَّا الثيِّبُ فكلَّما دخلتْ نظرَتْ ورَمَتْ بعينها .

وقال يونس بن حَبيب[1] : حدّثنا الأحنفُ بن حَكيم بأصبهان ، حدّثنا حماد بن سَلَمة : سمعتُ إياسَ بنَ معاوية يقول : أعرفُ الليلةَ التي وُلدتُ فيها ، وضعَتْ أُمِّي على رأسي جَفْنة .

وقال المدائني : قال إياسُ بن معاويةَ لأُمِّه : ما شيءٌ سمعتُهُ وأنا صغير ، وله جَلَبَةٌ شديدة ؟ قالت : ذاك طَسْتٌ من نُحاس ، سقطَ من فَوْقِ الدَّارِ إلى أسفل ، ففَزِعْتُ فوضعتُكَ تلكَ الساعة .

وقال أبو بكر الخرائطي عن عمر بن شَبَّةَ النُّمَيْري ، قال : بلغني أنَّ إياساً قال : ما يَسُرُّني أنْ أكذب كَذْبَةً يَطَّلِعُ عليها أبي معاوية لا أُحاسبُ عليها يوم القيامة ، وأنَّ الدنيا لي بحذافيرها .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدّثنا خلف بن هشام ، حدّثنا حمّاد بن زيد ، عن حبيب بن الشهيد ، عن إياس بن معاوية قال : ما خاصمتُ أحداً من أهلِ الأهواء بعَقْلي كُلِّه ، إلَّا القدَريَّة ، قلتُ لهم : أخبروني عن الظلم ما هو ؟ قالوا : أخذُ الإنسانِ ما ليس له . قلت : فإنَّ الله له كلُّ شيء .

قال بعضُهم عن إيَاس قال : كنتُ في الكُتَّاب وأنا صبي ، فجعل أولادُ النصارى يضحكونَ من المسلمين ويقولون : إنهم يزعمون أنَّهُ لا فَضلةَ لطعام أهلِ الجنة . فقلت للفقيه ـ وكان نصرانياً ـ ألستَ تزعمُ أنَّ في الطعامِ ما ينصرفُ في غذاءِ البَدَن ؟ قال : بَلَى . قلت : فما يُنكرُ أنْ يجعلَ اللهُ طعامَ أهلِ الجنةِ كلَّهُ غذاءً لأبدانِهم ؟ فقال له معلِّمُهُ : ما أنتَ إلَّا شيطان .

وهذا الذي قاله إياس وهو صغير بعقله قد ورَدَ به الحديثُ الصحيح كما سنذكُره إنْ شاء الله في صفةِ أهلِ الجنة أنَّ طعامَهم ينصرفُ جُشاءً وعَرَقاً كَالمِسْك ، فإذا البطنُ ضامر[2] .

وقال سفيان : وحين قدم إياس واسط فجاءه ابنُ شُبْرمة بمسائلَ قد أعدَّها ، فقال له : أتأذنُ لي أنْ أسألكَ ؟ قال : سَلْ وقد ارتبتُ حين سألته عن سبعين مسألةً يُجيبُهُ فيها ، ولم يختلفا إلَّا في أربعِ مسائل ؛

---

(١) في (ق) : « صلعب » تصحيف والمثبت من (ب ، ح) ، وطبقات المحدثين بأصبهان (٢/ ٨٨) ، والخبر فيه .

(٢) رواه مسلم في « صحيحه » رقم (٢٨٣٥) من حديث جابر بن عبد الله ، وأحمد في « مسنده » (٤/ ٣٦٧ و٣٧١) من حديث زيد بن أرقم .

ردَّهُ إياسٌ إلى قوله ، ثم قال له إياس : أتقرأُ القرآن ؟ قال : نعم . قال : أتحفظُ قولَهُ : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة : ٣] ؟ قال : نعم . قال : وما قَبلَها وما بعدَها ؟ قال : نعم . قال : فهل أبقَتْ هذه الآية لآلِ شُبْرُمة رأياً ؟ .

وقال عباس عن يحيى بن مَعِين[١] : حدّثنا سعيد بن عامر ، حدّثنا عمر بن علي قال : قال رجلٌ لإياسِ بنِ مُعاوية : يا أبا واثلة ، حتى متى يبقى الناسُ وحتى متى يتوالَدُ الناسُ ويموتون ؟ فقال لجلسائه : أجيبوه . فلم يكن عندَهم جواب ، فقال إياس : حتى تتكاملَ العِدَّتان ، عدَّةُ أهلِ الجنة وعِدَّةُ أهلِ النار .

وقال بعضُهم : اكترى إياسُ بن معاويةَ من الشام قاصداً الحجَّ ، فركب معه في المحارة[٢] غَيلانُ القدَريّ ، ولا يعرفُ أحدُهما صاحبَه ، فمكثا ثلاثاً لا يُكلِّمُ أحدُهما الآخر ، فلما كان بعد ثلاث ، تحادثا فتعارفا ، وتعجَّبَ كلُّ واحدٍ منهما من اجتماعِهِ مع صاحبه ، لمباينةِ ما بينهما في الاعتقادِ في القدَر ؛ فقال له إياس : هؤلاء أهلُ الجنة يقولون حين يدخلون الجنة : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف : ٤٣] ؛ ويقول أهلُ النار : ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ﴾ [المؤمنون : ١٠٦] ؛ وتقول الملائكة : ﴿ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ [البقرة : ٣٢] . ثم ذكر له من أشعارِ العرَب وأمثالِ العجَم ما فيه إثباتُ القدَر ؛ ثم اجتمع مرَّةً أخرى إياسٌ وغَيلان عندَ عمر بن عبد العزيز ، فناظر بينهما ، فقهره إياس ، وما زال يحصُرُهُ في الكلام حتى اعترفَ غَيلانُ بالعجز ، وأظهرَ التوبة ، فدعا عليه عمر بن عبد العزيز إنْ كان كاذباً ؛ فاستجاب الله منه ، فأمكنَ من غَيلان ، فقُتل وصُلب بعد ذلك ، ولله الحمد والمنة .

ومن كلام إياس الحسَن : لأنْ يكونَ في فعالِ الرجلِ فَضْلٌ عن مقالِهِ خيرٌ من أنْ يكونَ في مقالِهِ فضلٌ عن فعالِه .

وقال سفيان بن حسين : ذكرتُ رجلاً بسُوءٍ عندَ إياسِ بنِ معاوية ، فنظرَ في وَجْهي وقال ؛ أغزوت الرُّوم ؟ قلت : لا . قال : السِّنْدَ ؟ قلت : لا ، قال : والهند ؟ قُلتُ : لا . قال : والتُّرك ؟ قلت : لا . قال : أفَسَلِمَ منك الرُّومُ والسِّندُ والهندُ والترك ، ولم يسلَمْ منك أخوك المسلم ؟! قال : فلم أعُدْ بعدَها .

وقال الأصمعي عن أبيه : رأيتُ إياسَ بن معاوية في بيتِ ثابتٍ البناني ؛ وإذا هو أحمرُ طويلُ الذِّراع ، غليظ الثياب ، يلُوثُ عِمَامَته[٣] ، وهو قد غلب على الكلام ، فلا يتكلَّمُ معه أحدٌ إلَّا علاه . وقد قال له

---

(١) في تاريخه (رواية الدوري) (٤/ ٣٤٠) .

(٢) المحارة : شبه الهودج . القاموس (حور) .

(٣) في (ق) : « يلون عمامته » تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) ومعنى يلوثُ من اللَّوث : وهو الطيّ ؛ لُثت العمامة ألُوثها لَوْثاً : أدرتُها مرَّتين . لسان العرب (لوث) .

بعضُهم : ليس فيك عَيب سوى كثرةِ كلامِك . فقال : أفي حقٍّ أتكلَّمُ أمْ باطل ؟ فقيل : بل في حَقّ . فقال : كلَّما كثُرَ الحقُّ فهو خير .

ولامَهُ بعضُهم في لبسِهِ الثيابَ الغليظة ، فقال : إنما ألْبَسُ ثوباً يخدمني ولا ألبَسُ ثوباً أخدمُه .

وقال الأصمعي : قال إياسُ بن معاوية : إنَّ أشرفَ خِصَالِ الرجلِ صِدْقُ اللِّسان . ومنْ عُدِمَ فَضِيلة الصِّدق فقد فُجع بأكرمِ أخلاقه .

وقال بعضُهم : سأل رجلٌ إياساً عن النَّبيذِ فقال : هو حرام . فقال الرجل : فأخبِرْني عن الماء ؟ فقال : حلال . قال : فالكَشُوث[1] ؟ قال : حلال . قال : فالتمر ؟ قال : حلال . قال : فما بالُهُ إذا اجتمعَ حَرُم ؟ فقال إياس : أرأيتَ لو رَمَيتُكَ بهذه الحفنة من التراب ، أتوجعُك ؟ قال : لا . قال : فهذه الحفنة من التِّبْن ؟ قال : لا توجعني . قال : فهذه الغَرْفةُ من الماء ؟ قال : لا توجعني شيئاً . قال : أفرأيتَ إنْ خلطت هذا بهذا وهذا بهذا حتى صار طِيناً ، ثم تركته حتى استحجَر ، ثم رَمَيْتُكَ أيوجعُكَ ؟ قال : إي والله وتقتلُني . قال : فكذلك تلك الأشياءُ إذا اجتمعتْ[2] .

وقال المدائني : بعث عمر بن عبد العزيز عَدِيَّ بن أرطاة على البصرة نائباً ، وأمره أن يجمعَ بين إياس والقاسم بن ربيعة الجَوْشَني ، فأيُّهما كان أفقهَ فَلْيولِّهِ القضاء . فقال إياس ـ وهو يريدُ أن لا يتولَّى ـ : أيُّها الرجل ، سلْ فقيهي البصرةِ الحسنَ وابنَ سيرين . وكان إياسٌ لا يأتيهما ، فعرف القاسم أنَّه إنْ سألهما أشارَا به [يعني بالقاسم لأنه كان يأتيهما] فقال [القاسم][3] لعدي : والله الذي لا إله إلا هو ، إن إياساً أفضَلُ مني وأفقهُ مني وأعلمُ بالقضاء ، فإنْ كنتُ صادقاً فولِّه ، وإنْ كنتُ كاذباً فما ينبغي أن تُولِّيَ كاذباً القضاء . فقال إياس : هذا رجلٌ أوقف على شفيرِ جهنَّم ، فافتدَى منها بيمينٍ كاذبةٍ يستغفرُ الله منها ، فقال عدي : أما إذْ فَطِنتَ إلى هذا فقد وَلَّيتُكَ القضاء . فمكث سنةً يَفصِلُ بين الناس ويُصلحُ بينهم ، وإذا تبيَّنَ له الحقُّ حكم به ، ثم هرَبَ [إلى عمرَ بنِ عبد العزيز بدمشق][3] فاستعفاه القضاء ، فولَّى عَدِيٌّ بعدَهُ الحسَنَ البصري .

قالوا : لما تولَّى إياسٌ القضاءَ بالبَصْرةِ فَرِحَ بهِ العلماء ، حتى قال أيوب : لقد رَمَوها بحَجَرِها . وجاء

---

(١) في (ق) : « فالكسور » تصحيف ، والمثبت من (ح) وتهذيب الكمال . والكشُوثُ ، والأُكْشُوثُ ، والكشُوثَى : كلُّ ذلك نباتٌ مُجتثٌّ مقطوعُ الأصل ، وقيل : لا أصل له ، وهو أصْفرُ يتعلق بأطراف الشَّوْكِ وغيره ، ويُجْعلُ في النبيذ سوَاديَّةٌ ، وقال الجوهري : الكشُوثُ نبتٌ يتعلَّقُ بأغصانِ الشجرِ ، من غير أن يَضْربَ بعِرْقٍ في الأرض ؛ فلا أصلٌ ، ولا وَرَقٌ ، ولا نسيمٌ ، ولا ظِلٌّ ، ولا ثَمَرٌ . ويسميه الناسُ الكَشُوثَ ؛ قال : وبزْرٌ قطُونا ، قال : والمدُّ فيها أكثر ، وقد يقصران ، وفتح الكاف من كَشُوثاء . لسان العرب (كشث) .

(٢) ذكره المزي في تهذيب الكمال (٣/ ٤١٥) مسنداً مطوّلاً .

(٣) ما مرَّ بين معقوفين ليس في (ب ، ح) وهو من (ق) .

الحسنُ وابنُ سِيرين فسلَّمَا عليه ، فبكى إياس ، وذكر الحديث « القُضاةُ ثلاثة : قاضيانِ في النار وواحدٌ في الجنة »[1] . فقال الحسن : فقد قال الله تعالى : ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ ﴾ [الأنبياء : ٧٨] إلى قوله : ﴿ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء : ٧٩] ، قال : ثم جلس للناسِ في المسجد ، واجتمعَ عليه الناسُ للخصومات ، فما قام حتى فصل سبعين قضيَّة ، حتى كان يُشبَّهُ بشُرَيح القاضي .

ورُوِي عنه أنَّه كان إذا أشكلَ عليه شيءٌ بعث إلى محمد بن سيرين فسأله عنه .

وقال إياس : إني لأكلِّمُ الناسَ بنصفِ عَقْلي ، فإذا اختصم إليَّ اثنان جمعت لهما عقلي كُلَّه . وقال له رجل : إنَّك لَتعجَبُ بِرأيك . فقال : لولا ذلك لم أقْضِ به . وقال له آخر : إنَّ فيك خِصالاً لا تُعجبُني . فقال : تحكمُ قبلَ أنْ تفهم ، ولا تجالسُ كلَّ أحد ، وتَلبَسُ الثيابَ الغَلِيظة . فقال له : أيُّها أكثر ، الثلاثة أو الاثنان ؟ قال : الثلاثة . فقال ما أسرَعَ ما فهمتَ وأجبتَ ! فقال : أوَ يَجهَلُ هذا أحد ؟! فقال : وكذلك ما أحكمُ أنا بِه . وأما مجالستي لكلِّ أحَد فأنْ أجتمعَ بِمَنْ يَعرِفُ لي قدري أحَبُّ إلي من أنْ أجتمع بِمَنْ لا يَعرِفُني . وأما الثيابُ الغِلاظ فأنا ألْبَسُ منها ما يَقِيني لا ما أقِيه أنا .

قالوا : وتحاكمَ إليه اثنانِ قد أودَعَ أحدُهما عندَ الآخرِ مالاً ، وجحَدَهُ الآخر ، فقال إياس للمُودِع : أين أودعتَهُ ؟ قال : عند شجرةٍ في بُستان ، فقال انطِلقْ إليها فقِفْ عندَها لعلَّكَ تتذكَّرُ ـ وفي رواية : أنه قال له : هل تستطيعُ أنْ تذهبَ إليها فتأتيَ بورقٍ منها ؟ قال : نعم ـ قال : فانطلق وجلس الآخر ، فجعلَ إياسٌ يحكُمُ بين الناس ، ويلاحظُه ، ثم استدعاهُ فقال له : أوَصَلَ صاحبُكَ بعدُ إلى المكان ؟ فقال : لا بعدُ أصلحكَ الله . فقال له : قُمْ يا عَدُوَّ الله ، فأدِّ إليه حَقَّه ، وإلَّا جعلتُكَ نَكالاً . وجاء ذلك الرجل ، فقام معه فدفع إليه وديعتَهُ بكمالِها .

وجاء آخَرُ فقال له : إنِّي أودَعْتُ عندَ فلانٍ مالاً ، وقد جَحَدني . فقال له : اذهَبِ الآنَ وأْتِني غداً . وبعثَ من فَوْرِهِ إلى ذلك الرجل الجاحِدِ فقال له : إنَّه قدِ اجتمعَ عندَنا هاهنا مال ، فلم نرَ لَهُ أميناً نضَعُهُ عندَهُ إلَّا أنت ، فضَعْهُ عندَكَ في مكانٍ حَرِيز . فقال له : سمعاً وطاعةً . فقال له : اذهبِ الآن وأْتِني غداً . وأصبح ذلك الرجلُ صاحبُ الحق ، فجاء فقال له : اذهَبِ الآن إليه ، فقل له : أعطِني حَقِّي وإلَّا رفعتُكَ إلى القاضي . فقال له ذلك ، فخافَ أنْ لا يُودِعَ القاضي عنده المال فدفع إليه حقَّه وجاء إلى إياس فأعلَمَهُ ثم جاء ذلك الرجلُ من الغَدِ رجاءَ أنْ يُودِع ، فانتهرَهُ إياسٌ وطرَدَهُ وقال له : أنت خائن .

وتحاكَمَ إليه اثنان في جارية ، فادَّعَى المشتري أنَّها ضعيفةُ العَقْل ، فقال لها إياس : أيُّ رجلَيْكِ أطول ؟ فقالت : هذه . فقال لها : أتذكرينَ ليلةَ وُلدتِ ؟ فقالت : نعم . فقال للبائع : رُدَّ رُدّ .

---

(١) أخرجه الترمذي (٣/ ٦١٣) (١٣٢٢) عن بريدة في الأحكام : باب ما جاء عن رسول الله ﷺ في القاضي ، وأبو داود (٣/ ٢٩٩) (٣٥٧٣) في الأقضية : باب في القاضي يخطىء ، وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .

وروى ابن عساكر أنَّ إياساً سمع صوت امرأةٍ من بيتِها فقال : هذه امرأةٌ حامِلٌ بصَبي . فلمَّا ولدتْ ولدتْ كما قال ، فسئل : بِمَ عرفتَ ؟ قال : سمعتُ صوتَها ونفَسُها معه ، فعلمتُ أنَّها حامل ، وفي صوتِها صَحَل[1] ، فعلمتُ أنَّهُ غلام .

قالوا : ثم مرَّ يوماً ببعضِ المكاتب ، فإذا صبيٌّ هنالك فقال : إنْ كنتُ أدري شيئاً فهذا الصبيُّ ابنُ تلك المرأة . فإذا هو ابنُها .

وقال مالك عن الزهري ، عن أبي بكر ، قال : شهد رجلٌ عندَ إياس ، فقال له : ما اسمُك . فقال : أبو العُنْقُر[2] . فلم يقبلْ شهادتَه .

وقال سفيان الثوري عن الأعمش : دَعَوني إلى إياس ، فإذا رجلٌ كلَّما فرَغَ من حديثٍ أخَذَ في آخر .

وقال إياس : كلُّ رجلٍ لا يَعْرِفُ عَيبَ نفسِه فهو أحمق . فقيل له : ما عَيْبُك ؟ فقال : كثرةُ الكلام .

قالوا : ولما ماتت أمُّهُ بَكَى عليها ، فقيل له في ذلك ، فقال : كان لي بابانِ مفتوحانِ إلى الجنة ، فغُلِقَ[3] أحدُهما .

وقال له أبوه : إنَّ الناسَ يلدونَ أبناءَ ، ووَلَدْتُ أنا أباً .

وكان أصحابهُ يجلِسُون حولَه ويكتبون عنه الفِرَاسة ، فبينما هم حَوْلَه جلوس ، إذْ نظرَ إلى رجلٍ قد جاء ، فجلس على دَكَّةِ حانوت[4] ، وجعل كلَّما مَرَّ أحَدٌ ينظرُ إليه . ثم قام فنظر في وجه الرجل ، ثم عاد فقال لأصحابه : هذا فقيهُ كُتَّاب ، قد أبَقَ له غلامٌ أعور ، فهو يتطلَّبُه ، فقاموا إلى ذلك الرجل فسألوه ، فوجدوهُ كما قال إياس ، فقالوا لإياس : مِنْ أينَ عرفتَ ذلك ؟ فقال : لَمَّا جلسَ على دَكَّةِ الحانوت علمتُ أنَّهُ ذو ولاية . ثم نظرتُ فإذا هو لا يصلحُ إلا لفَقَاهةِ المكتب ، ثم جعل ينظرُ إلى كلِّ مَنْ مَرَّ بِه ، فعرفتُ أنَّهُ فَقَدَ غلاماً ، ثم لما قامَ فنظرَ إلى وجهِ ذلك الرجل من الجانب الآخر عرفتُ أنَّ غلامَهُ أعوَر .

وقد أورد ابنُ خَلِّكَان أشياء كثيرةً في ترجمته[5] ، من ذلك أنَّه قال : شَهِدَ عندَهُ رجلٌ في بستان فقال

---

(١) وفي صَوْتِها صَحَل : يريد فيه كالبُحَّة وهو أنْ لا يكون حادّاً ، والصَّحَلُ البُحَّة ، ومثله الجَشَّة : وهي شدة الصوت مع بحة ، غريب الحديث للخطابي (١/ ٤٣٧) ، ولابن قتيبة (١/ ٤٧٢) .

(٢) نقله من تاريخ دمشق (١٠/ ٣٠) . والعُنْقُر يضم القاف وفتحها أولاد الدهاقين ، وبالضم ناقة منجبة ، كما في القاموس المحيط .

(٣) أغلَقَ الباب فهو مُغْلَقٌ والاسم الغَلْقُ . وغَلَقَهُ لغة رديئة متروكة . وغَلَّق الأبواب : شُدِّدَ للكثرة . مختار الصحاح (غلق) .

(٤) الدَّكَّةُ : بناءٌ يسطح أعلاه يقعد عليه . لسان العرب (دكك) .

(٥) في وفيات الأعيان (١/ ٢٤٧ ـ ٢٥٠) .

له : كم عدَدُ أشجارِه ؟ فقال له : كم عدَدُ جذوعِ هذا المجلس الذي أنتَ فيه من مُدَّةِ سِنين ؟ فقلت : لا أدري . وأقرَرْتُ شهادتَه .

قال خليفةُ[١] وغيرُ واحد : توفي بواسط سنة ثنتين وعشرين ومئة .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومئة

ذكر المدائني عن شيوخه أنَّ خاقانَ ملكَ التُّرْك لما قُتل في ولايةِ أسَدِ بن عبد الله القَسْرِيّ على خُراسان تفرَّقَ شملُ الأتراك ، وجعل بعضُهم يُغِير على بعض ، وبعضُهم يقتلُ بعضاً ، حتى كادَتْ أنْ تخرَبَ بلادُهم . واشتغلوا عن المسلمين .

وفيها سأل أهلُ الصُّغْد من أمير خُراسان نصرِ بنِ سَيَّار أن يردّهُمْ إلى بلادهم ، وسألوه شروطاً أنكرها العلماء ، منها أن لا يعاقب من ارتدَّ منهمْ عن الإسلام ، ولا يؤخذُ أسيرُ المسلمينَ منهم ، وغير ذلك ، فأراد أنْ يوافِقَهم على ذلكِ لِشِدَّةِ نكايتِهم في المسلمين ، فعاب عليه الناسُ ذلك ، فكتب إلى هشامٍ في ذلك ، فتوقَّف ، ثم رأى أنَّ هؤلاءِ إذا استمرُّوا على معانَدَتِهم[٢] للمسلمين كان ضرَرُهم أشَدَّ أجابَهُمْ إلى ذلك . وقد بعثَ يوسفُ بن عمر أميرَ العراق وفداً إلى أميرِ المؤمنين يسألُ منه أنْ يَضُمَّ إليهِ نِيَابَةَ خُرَاسان ، وتكلَّموا في نَصْرِ بن سَيَّار ، بأنَّهُ وإنْ كانَ شَهْماً شجاعاً إلَّا أنَّه قد كَبِرَ وضَعُفَ بصَرُه ، فلا يَعرفُ الرجلَ إلَّا من قَرِيبٍ بصَوْتِه ، وتكلَّموا فيه كلاماً كثيراً ، فلم يَلْتَفِتْ إلى ذلك هشام ، واستمرَّ به على إمرَةِ خُراسانَ وولايتِها .

قال ابنُ جرير[٣] : وحجَّ بالناسِ فيها يزيدُ بن هشام بن عبدالملك .

والعُمَّالُ فيها مَنْ تقدَّمَ ذِكْرُهم في التي قبلَها .

وتُوفِّيَ في هذه السنة :

رَبيعةُ بن يزيد القصير من أهل دمشق .

وأبو يونس سليمان بن جُبير .

وسِمَاك بن حَرْب .

ومحمد بن واسع بن حيان ، وقد ذكَرْنا تراجِمَهم في كتابنا « التكميل » ولله الحمد[٤] .

---

(١) في طبقاته (١/ ٢١٢) .

(٢) في (ح) : « معاداتهم » .

(٣) هو الطبري في تاريخه (٤/ ٢١٤) .

(٤) وهذه زيادة مقحمة أيضاً وهي :

=

ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومئة

فيها غزا سليمانُ بن هشام بن عبد الملك بلادَ الروم فلقي اليون فقاتله ، فسَلِمَ سليمانُ وغَنِم .

وفيها قَدِمَ جماعةٌ من دُعاةِ بني العباس من بلاد خُراسان قاصدينَ إلى مكة ، فمرُّوا بالكوفة ، فبَلَغهم

= [قال محمد بن واسع (ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٢٤١) ، طبقات خليفة (٢١٥) ، تاريخ خليفة (٣٧٨) ، التاريخ الكبير (١/ ٢٥٥) ، التاريخ الصغير (٣٥٤) ، الجرح والتعديل (٨/ ١١٣) ، ثقات ابن حبان (٧/ ٣٦٦) ، حلية الأولياء (٢/ ٣٤٥) ، صفة الصفوة (٣/ ٢٦٦) ، المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير (٤/ ٤٦٩) ، مختصر تاريخ دمشق (٢٣/ ٢٨٦) ، تهذيب الكمال (٢٦/ ٥٧٦) ، سير أعلام النبلاء (٦/ ١١٩) ، العبر (١/ ٢٩٠) ، ميزان الاعتدال (٤/ ٢٥٨) ، الوافي بالوفيات (٥/ ١٧٢) ، تهذيب التهذيب (٩/ ٤٩٩) ، طبقات الشعراني (١/ ٣٦) ، الكواكب الدرية (١/ ٤٣٠) .) : أولُ من يُدْعَى يومَ القيامةِ إلى الحساب القُضاة . وقال : خمسُ خِصَالٍ تُميتُ القلب : الذنبُ على الذنب ، ومجالسةُ الموتى ـ قيل له : ومَنِ الموتَى ؟ قال : كلُّ غنيٍّ مُتْرَفٍ وسلطانٍ جائر ـ وكثرةُ مُشاقَّةِ النساء وحديثهنّ ، ومُخَالطةُ أهلِه .

وقال مالكُ بن دينار : إني لأغبطُ الرجلَ يكونُ عيشُهُ كَفَافاً فيقنَعُ به . فقال محمد بن واسع : أغبَطُ منهُ واللهِ عِندي مَنْ يُصبِحُ جائعاً وهو عن الله راضٍ .

وقال : ما آسى على الدنيا إلا على ثلاث : صاحبٌ إذا اعوجَجْتُ قوَّمَني ، وصلاةٌ في جَماعة يُحمَلُ عنّي سَهْوُها وأفوزُ بفضلِها ، وقُوتٌ من الدنيا ليس لأحدٍ فيه مِنَّة ، ولا للهِ عليَّ فيه تَبِعَة .

وروى زياد (في (ق) : « رواد بن الربيع » تصحيف ، والمثبت من مصادر تخريج الخبر .) بن الربيع [عن أبيه] قال : رأيتُ محمد بن واسع بسوق مرو (في (ق) : « بسوق بزور » ، والمثبت من مصادر تخريج الخبر ، وفي بعضها « بسوق مرَّة » .) وهو يعرِضُ حماراً له للبيع ، فقال له رجل : أتَرْضاهُ لي ؟ فقال : لو رضيتُه لم أبِعْه (أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٢٥٥) في ترجمة محمد بن واسع ، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٤٩) ، والخطيب في تاريخ بغداد (١٢/ ١٦) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٣٣٠) (٥٢٩٦) ، وابن الجوزي في صفة الصفوة (٣/ ٢٧٠) .) .

ولما ثَقُلَ محمد بن واسع كَثُرَ عليه الناسُ في العِيَادة ، قال بعضُ أصحابه : فدخلتُ عليه فإذا قومٌ قُعود ، وقومٌ قِيَام ، فقال : ماذا يُغني هؤلاء عنّي إذا أُخِذَ بناصيتي وقدَمي غداً ، وأُلقيت في النار ؟! .

وبعثَ بعضُ الخلفاء مالاً مستكثَراً إلى البصرة ليفرَّقَ في فقراء أهلها ، وأمرَ أنْ يُدفَعَ إلى محمد بن واسع منه ، فلم يقبَلْهُ ولم يلتمِسْ منه شيئاً . وأمَّا مالك بن دينار فإنه قَبِلَ ما أُمِرَ له به ، واشترى به أرِقَّاء وأعتقهم ولم يأخذْ لنفسِهِ منه شيئاً ، فجاءه محمد بن واسع يلومُه على قَبُولِهِ جوائزَ السلطان ، فقال له : يا مالك ، قَبِلتَ جوائزَ السلطان !؟ فقال له مالك : يا أبا عبد الله ، سَلْ أصحابي ماذا فعلتُ منه ، فقالوا له : إنه اشترى به أرِقَّاء وأعتقهم . فقال له : سألتُكَ باللهِ أقلبُكَ الآنَ لهم مثلُ ما كانَ قبلَ أنْ يَصِلوك ؟ فقام مالك وحَثَى على رأسِهِ الترابَ وقال : إنما يعرفُ اللهَ محمدُ بن واسع ، إنما مالِكٌ حمار ، إنما مالك حمار .

وكلامُ محمدِ بن واسع كثيرٌ جِدّاً رحمه الله] .

أنَّ في السجنِ جماعةً من الأمراء من نُوَّابِ خالد بن عبد الله القَسْري ، قد حبسَهم يوسفُ بن عمر ، وفيهم عيسى بن معقل العجلي ، فاجتمعوا بهم في السجن ، فدعَوْهُمْ إلى البيعةِ لبني العباس وإذا عندَهم من ذلك جانبٌ كبير ، فقَبِلوا منهم ، ووجدوا عندهم في السجن أبا مسلمٍ الخُراساني ، وكان إذْ ذاكَ غلاماً يَخدِمُ عيسى بن معقل العِجْلي ، وكان محبوساً فأعجَبَهم شهامَتُه وقوَّتُه ، واستجابته مع مولاه إلى هذا الأمر ، فاشتراهُ بكرُ بن ماهان بأربعمئةِ درهم ، خرَجوا بهِ معَهم ، فاستندَبُوهُ لهذا الأمر ، فكانوا لا يوجِّهونَهُ إلى مكان إلَّا ذهب ونَتَج ما يوجِّهونه إليه ، ثم كان من أمرِهِ ما سنذكرُه إن شاء الله تعالى فيما بعد .

قال الواقدي : ومات في هذه السنة محمد بن علي بن عبدالله بن عباس ، وهو الذي يدعو إليه دعاةُ بني العباس ، فقام مقامَهُ ولدُه أبو العباس السَّفَّاح ، والصحيح أنَّهُ إنَّما تُوفِّي في التي بعدَها .

قال الواقدي وأبو معشر : وحجَّ بالناس فيها عبدُ العزيز بن الحجَّاج بن عبد الملك ومعه امرأته أم سلمة بنت هشام بن عبد الملك . وقيل : إنما حجَّ بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل . قاله الواقدي ، والأول ذكره ابنُ جرير[١] ، والله أعلم .

وكان نائبُ الحجاز محمد بن هشام بن إسماعيل يَقِفُ على باب أم سلمة ويهدي إليها الألطاف والتُّحَف ، ويعتذِرُ إليها من التقصير ، وهي لا تلتفتُ إلى ذلك . ونوَّابُ البلاد هُمُ المذكورون في التي قبلَها .

وفيها تُوفِّيَ :

القاسم بن أبي بَزَّة[٢] أبو عبد الله المكِّي القارىء ، مولى عبدِ الله بن السائب ، تابعيٌّ جليل .

روى عن أبي الطُّفيل عامرِ بن واثلة ، وعنهُ جماعة ، ووثَّقَه الأئمة .

وكانتْ وفاتُهُ في هذه السنة على الصحيح ، وقيل بعدَها بسنة ، وقيل : سنةَ أربعَ عشرة ، وقيل : سنة خمسَ عشرة ، فالله أعلم .

الزُّهرِيّ[٣] محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زُهْرَة بن

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٢١٥) .

(٢) ترجمته في طبقات ابن سعد (٥/ ٤٧٩) ، التاريخ الكبير (٧/ ١٦٧) ، معرفة الثقات للعجلي (٢/ ٢٠٩) ، رجال صحيح البخاري (٢/ ٦١٧) ، تهذيب الكمال (٢٣/ ٣٣٨) ، الكاشف (٢/ ١٢٧) ، تهذيب التهذيب (٨/ ٢٧٨) ، تقريب التهذيب ص(٤٤٩) .

(٣) ترجمته في طبقات ابن سعد (٢/ ٣٨٨) ، والقسم المتمم (١٥٧) ، طبقات خليفة (٢٦١) ، تاريخ خليفة (٢١٨) ، (٣٥٦) ، التاريخ الكبير (١/ ٢٢٠) ، التاريخ الصغير (١/ ٣٥٦) ، الجرح والتعديل (٨/ ٧١) ، ثقات ابن حبان (٥/ ٣٤٩) ، حلية الأولياء (٣/ ٣٦٠) ، الأنساب (٦/ ٣٢٨) ، طبقات الشيرازي (٦٣) ، صفة الصفوة (٢/ ١٣٦) ، المختار من مناقب الأخيار (٤/ ٤٣٨) ، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٩٠) ، وفيات الأعيان (٤/ ١٧٧) ، مختصر تاريخ دمشق (٢٣/ ٢٢٧) ، تهذيب الكمال (٢٦/ ٤١٩) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٢٦) ، =

كِلاب بن مُرَّة ، أبو بكر القُرَشيُّ الزُّهْري ، أَحَدُ الأعلام من أئمةِ الإسلام . تابعيٌّ جليل ، سمع غيرَ واحدٍ من التابعين وغيرِهم .

روى الحافظُ ابنُ عساكر عن الزُّهْري ، قال : أصابَ أهلَ المدينةِ جَهْدٌ شَديد ، فارتحلتُ إلى دمشق ، وكان عندي عِيَالٌ كثيرة ، فجئتُ جامعَها ، فجلستُ في أعظم حَلْقَة ، فإذا رجلٌ قد خرج من عندِ أميرِ المؤمنين عبدِ الملك فقال : إنَّهُ قد نزلَ بأميرِ المؤمنين مسألة ـ وكان قد سمع من سعيدِ بن المسيِّب فيها شيئاً وقد شذَّ عنه في أمَّهاتِ الأولاد يرويهِ عن عمر بن الخطاب ـ فقلتُ : إنِّي أحفظُ عن سعيد بن المسيِّب عن عمرَ بن الخطاب ، فأخذني ، فأدخلني على عبدِ الملك ، فسألني مِمَّنْ أنت ؟ فانتسبتُ له ، وذكرتُ له حاجتي وعِيَالي فسألني : هل تحفَظُ القرآن . قلت : نَعَمْ والفرائضَ والسُّنَن ، فسألَني عن ذلك كلِّه فأجبتُه[1] ، فقَضَى دَيْنِي ، وأمَرَ لي بجائزةٍ وقال لي : اطلبِ العِلم ، فإني أرَى لكَ عَيناً حافظة ، وقلباً ذَكيّاً . قال : فرجعتُ إلى المدينةِ أطلبُ العِلْم وأتتبَّعُه ، فبلغني أنَّ امرأةً بقُبَاء رأتْ رؤيا عَجيبة فأتيتُها فسألتُها عن ذلك ، فقالتْ : إنَّ بعلي ماتَ وترك لنا خادماً وداجناً ونُخيلاتٍ نشربُ من لبنها ، ونأكلُ من ثمرها ، فبينما أنا بين النائمةِ واليقظَى رأيتُ كأنَّ ابني الكبير وكان مشتدّاً قد أقبل ، فأخذ الشفرةَ فذبح ولدَ الداجنِ وقال : إنَّ هذا يُضَيِّقُ علينا اللَّبَن ، ثم نَصَب القِدْرَ ، وقطَّعها ووضعها فيه ، ثم أخذ الشفرةَ فذبح بها أخاه ، وأخوه صغير ، كما قد جاء ، ثم استيقظتُ مذعورةً ، فدخل ولدي الكبير فقال : أين اللَّبَن ؟ فقلت : يا بُني ، شَرِبَهُ ولدُ الدَّاجن . فقال : إنَّهُ قد ضَيَّقَ علينا اللبن ، ثم أخذ الشفرةَ فذبحَهُ وقطَّعَهُ في القِدْر ، فبَقِيتُ مشفِقَةً خائفةً ممَّا رأيت ، فأخذتُ ولديَ الصغير ، فغَيَّبْتُهُ في بعضِ بيوتِ الجيران ، ثم أقبلتُ إلى المنْزِل وأنا مشفِقةٌ جداً مِمَّا رأيت ، فأخذَتْني عيني فنِمت ، فرأيتُ في المنام قائلاً يقول : ما لك مغتمَّة ؟ فقلت : إنِّي رأيتُ مناماً ، فأنا أحذَرُ منه ، فقال : يا رؤيا يا رؤيا ، فأقبلتِ امرأةٌ حسناءُ جميلةٌ ، فقال : ما أردتِ من هذه المرأةِ الصالحة ؟ قالتْ : ما أردتُ إلَّا خيراً . ثم قال : يا أحلام ، يا أحلام ، فأقبلتِ امرأةٌ دونها في الحُسن والجمال ، فقال : ما أردتِ إلى هذ المرأة الصالحة ؟ فقالت : ما أردتُ إلا خيراً . ثم قال : يا أضغاث ، يا أضغاث ، فأقبلتِ امرأةٌ سوداءُ شَعِثَة ، فقال : ما أردتِ إلى هذه المرأة الصالحة ؟ فقالت : إنها امرأةٌ صالحة ، فأحببتُ أنْ أعَلِّمَها ساعة . ثم استيقظتُ ، فجاء ابني فوضعَ الطعامَ وقال : أين أخي ؟ فقلت : إنّه درَجَ إلى بيوتِ الجيران ، فذهب وراءه ، فكأنما هُدِيَ إليه ، فأقبل به يُقَبِّلُه ، ثم جاء فوضَعَه ، وجلَسْنا جميعاً ، فأكلنا من ذلك الطعام[2] .

= تاريخ الإسلام (٥/ ١٣٦) ، تذكرة الحفاظ (١/ ١٠٨) ، ميزان الاعتدال (٤/ ٤٠) ، العبر (١/ ١٥٨) ، الوافي بالوفيات (٥/ ٢٤) ، طبقات القراء (٢/ ٢٦٢) ، تهذيب التهذيب (٩/ ٤٤٥) ، النجوم الزاهرة (١/ ٢٩٤) ، طبقات الحفاظ (٤٢) ، شذرات الذهب (١/ ١٦٢) ، الكواكب الدرية (١/ ٤٣٩ ، و٤/ ٥٤١) .

(١) في (ب ، ح) : « وسأله عن ذلك كله فأجاد » .

(٢) انظر مختصر تاريخ دمشق (٢٣/ ٢٢٩ ـ ٢٣١) .

ولد الزُّهري في سنةِ ثمانٍ وخمسين في آخرِ خلافةِ معاوية ، وكان قصيراً قليلَ اللِّحْية ، له شعراتٌ طوال ، خفيفَ العارضَيْن . قالوا : وقد قرأ القرآن في نَحوِ من ثمانٍ وثمانينَ يوماً . وجالس سعيدَ بن المُسيِّب ثمانَ سنين ، تَمَسُّ ركبتُه ركبتَه ، وكان يخدمُ عبدَ الله[١] بن عبدِ الله يستقي له الماء المالح ، ويدورُ على مشايخِ الحديث ومعه ألواحٌ يكْتُبُ عنهم فيها الحديث ، ويكتبُ عنهم كلَّ ما سمِعَ منهم ، حتى صار من أعلمِ الناس ، وأعلمهم في زمانه ، وقد احتاج أهلُ عصرِهِ إليه .

وقال عبدُ الرزاق : أخبرنا معمرٌ عن الزُّهري قال : كُنَّا نكرَهُ كتابَ العلم حتى أكرَهَنا عليه هؤلاءِ الأمَراء ، فرأينا أنْ لا نَمْنعَهُ أحداً من المسلمين[٢] .

وقال ابنُ إسحاق : كان الزُّهري يرجِعُ من عندِ عُروةَ فيقولُ لجاريةٍ عندَه فيها لُكْنَة : حدثنا عروة ، ثنا فلان . ويسرُدُ عليها ما سَمِعَهُ منه ، فتقول له الجارية : والله ما أدري ما تقول . فيقول لها : اسكتي لَكَاعِ فإني لا أريدُك ، إنما أُريدُ نفسي[٣] .

ثم وفد على عبدِ الملك بن مروان بدمشق ـ كما تقدَّم ـ فأكرمَهُ وقضى دَينه ، وفرَضَ له في بيتِ المال ، ثم كان بعدُ من أصحابِهِ وجلسائه ، ثم كان كذلك عندَ أولادِهِ من بعدِه الوليدُ وسليمان ، وكذا عند عُمر بن عبد العزيز ، وعند يزيد بن عبد الملك ، واستقضاهُ يزيدُ مع سليمانَ بن حَبيب ، ثم كان حَظِيّاً عند هشام ، وحجَّ معَه ، وجعله معلِّم أولادِهِ إلى أنْ تُوفي في هذه السنة قبلَ هشام بسنة .

وقال ابنُ وَهْب : سمعتُ اللَّيثَ يقول : قال ابنُ شهاب : ما استودعتُ قلبي شيئاً قطُّ فنَسِيتُه . قال : وكان يكرَهُ أكلَ التفَّاح وسؤرَ الفَأْرِ ويَقُول : إنَّهُ يُنْسِي ، كان يشربُ العَسَلَ ويقول : إنَّهُ يُذكِّر[٤] .

وفيه يقولُ فائدُ بنُ أقْرم :

زُرْ ذا وأثْنِ على الكريم محمدٍ ... واذكرْ فواضِلَهُ على الأصحابِ
وإذا يقالُ مَنِ الجوادُ بمالِهِ ... قِيلَ الجوادُ محمدُ بنُ شهابِ
أهلُ المدائنِ يعرفونَ مَكانَهُ ... وربيعُ ناديِه على الأعرابِ
يَشْري وفاءَ جِفَانِهِ ويَمُدُّها ... بكُسورِ أثباجٍ[٥] وفَتْقِ لُبَابِ

---

(١) في بعض النسخ : عُبيد الله .
(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٣٨٩) ، والقسم المتمم ص(١٦٩) .
(٣) مختصر تاريخ دمشق (٢٣/ ٢٣٢) .
(٤) أخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ٢٦٤) (١٨٠٣) ، وذكره المزي في تهذيب الكمال (٢٦/ ٤٣٤) ، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٣٢) .
(٥) في (ق) : « انتاج » ، والمثبت من (ب ، ح) ، والأثباج : جمع ثَبَج ، وهو ما بين الكاهل إلى الظهر . لسان العرب (ثبج) . والأبيات ما عدا الأخير في سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٣٢) .

وقال ابنُ مَهْدي : سمعتُ مالكاً يقول : حدَّث الزهريُّ يوماً بحديث ، فلما قام أخذتُ بِلِجامِ دابته فاستفهمته ، فقال : أتستفهمُني ؟! ما استفهمتُ عالماً قطّ ، ولا ردَدْتُ على عالمٍ قطّ . ثم جعل ابنُ مهدي يقول : فتلك الطِّوَال ، وتلك المغازي(١) .

وروى يعقوبُ بن سُفيان عن هشام بن خالد السلامي ، عن الوليد بن مسلم ، عن سعيد ـ يعني ابنَ عبد العزيز ـ أنَّ هشام بن عبد الملك سأل الزُّهريَّ أن يكتُبَ لِبَنيهِ شيئاً من حديثِه ، فأملَى على كاتِبِه أربع مئة حديث ، ثم خرج على أهلِ الحديث فحدَّثهم بها ، ثم إنَّ هشاماً قال للزُّهْري : إنَّ ذلك الكتابَ ضاع ، فقال : لا عليك . فأملى عليهم تلك الأحاديث ، فأخرج هشامٌ الكتابَ الأول ، فإذا هو لم يغادرْ حَرفاً واحداً ، وإنما أرادَ هشامٌ امتحانَ حِفظِه(٢) .

وقال عمر بنُ عبد العزيز : ما رأيتُ أحداً أحسَنَ سَوْقاً للحديث إذا حدَّث من الزُّهري .

وقال سفيان بنُ عُيَينة عن عمرو بن دينار : ما رأيتُ أحداً أنصَّ للحديثِ من الزُّهري ، ولا أهونَ من الدينارِ والدرهم عندَه ! وما الدراهمُ والدنانيرُ عندَ الزُّهريِّ إلا بِمَنْزلةِ البَعْر . قال عمرو بن دينار : ولقد جالستُ جابراً وابنَ عباس وابنَ عمر وابنَ الزبير ، فما رأيتُ أحداً أسْيَقَ للحديثِ من الزُّهري .

وقال الإمامُ أحمد : أحسنُ الناسِ حديثاً وأجوَدُهم إسناداً الزُّهري .

وقال النسائي : أحسنُ الأسانيد : الزُّهريُّ عن علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن جدِّه عليّ ، عن رسول الله ﷺ .

وقال سعيد عن الزهري : مكثتُ خمساً وأربعينَ سنةً أختلفُ من الحجازِ إلى الشام ، ومن الشام إلى الحجاز ، فما كنتُ أسمعُ حديثاً أستطرفُه .

وقال الليث : ما رأيتُ عالماً قطُّ أجمعَ من ابن شهاب ، ولو سمعتَه يحدِّثُ في الترغيبِ والترهيب لقلتَ : ما يُحسنُ غيرَ هذا ؛ وإن حدث عن الأنبياء وأهلِ الكتاب قلت : لا يُحسنُ إلَّا هذا ؛ وإنْ حدَّثَ عن الأعرابِ والأنسابِ قلت : لا يُحسنُ إلَّا هذا ؛ وإنْ حدَّث عن القرآن والسُّنَّة كانَ حديثُهُ بِدْعاً جامعاً ؛ وكان يقول : اللهمَّ إني أسألكَ من كلِّ خيرٍ أحاطَ به عِلمُك ، وأعوذُ بك من كلِّ شرٍّ أحاطَ به علمُكَ في الدنيا والآخرة .

قال الليث : وكان الزهريُّ أسخَى منْ رأيت ، يُعطِي كلَّ منْ جاءَ وسألَه ، حتى إذا لم يبقَ عندَهُ شيءٌ

---

(١) انظر مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٢٣/ ٢٣٣) .
(٢) انظر مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٢٣/ ٢٣٤) .

استسلف . وكان يُطعم الناسَ الثَّريد ، ويسقيهم العسَل ، وكان يسمُرُ على شرابِ العَسَل كما يسمُرُ أهلُ الشرابِ على شرابهم ويقول : اسقونا وحدِّثونا . فإذا نَعَسَ أحدُهم يقول له : ما أنتَ من سمَّارِ قُريش . وكانتْ له قُبَّةٌ معصفَرة ، وعليه مِلْحفةٌ معصفَرة ، وتحتَهُ بساطٌ معصفرٌ .

وقال الليث : قال يحيى بن سعيد : ما بقي عندَ أحدٍ من العلم ما بقي عندَ ابنِ شهاب .

وقال عبد الرزاق : أنبأ معمر قال : قال عمر بن عبد العزيز : عليكم بابنِ شهاب ، فإنه ما بقي أحدٌ أعلمُ بسنَّةٍ ماضيةٍ منه ، وكذا قال مَكْحول .

وقال أيوب : ما رأيتُ أحداً أعلَمَ من الزُّهري ! فقيل له : ولا الحسَن ؟ فقال : ما رأيتُ أعلمَ من الزهري !

وقيل لمكحول : منْ أعلَمُ من لَقيت ؟ قال الزهري : قيل : ثم منْ ؟ قال : الزهري . قيل : ثم منْ ؟ قال : الزهري .

وقال مالك : كان الزهريُّ إذا دخل المدينةَ لم يحدِّثْ بها أحداً حتى يخرج .

وقال عبدُ الرزاق عن ابنِ عُيَينة : محدِّثو أهلِ الحجاز ثلاثة : الزهري ، ويحيى بن سعيد ، وابنُ جُريج .

وقال عليُّ بن المَدِيني : الذين أفتَوْا أربعة : الزُّهري ، والحكَم ، وحماد ، وقتادة ، والزُّهري أفقَهُهُمْ عندي .

وقال الزهري : ثلاثةٌ إذا كُنَّ في القاضي فليس بقاضٍ : إذا كَرِهَ المَلاوم ، وأحبَّ المحامِد ، وكَرِهَ العزْل .

وقال أحمد بن صالح : كان يُقال : فُصَحاء زمانِهم الزُّهري ، وعمر بن عبد العزيز ، وموسى بن طلحة ، وعُبيد الله ، رحمهم الله .

وقال مالك عن الزهري أنه قال ؛ إنَّ هذا العلم الذي أَدَّبَ اللهُ بهِ رسولَ الله ﷺ ، وأَدَّب رسولُ الله بهِ أُمَّتَه أمانةُ الله إلى رسولِهِ ليؤدِّيَهُ على ما أُدِّيَ إليه ، فمنْ سَمِعَ علماً فَلْيَجعَلْهُ أمامَهُ حُجَّةً فيما بينه وبين الله عزَّ وجلَّ .

وقال محمد بن الحسين عن يونس ، عن الزهريِّ قال : الاعتصام بالسنَّةِ نجاة[١] .

وقال الوليد عن الأوزاعي عن الزهري ، قال : أَمِرُّوا أحاديثَ رسولِ الله ﷺ كما جاءت .

---

(١) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (١/ ٥٦) .

وقال محمد بن إسحاق عن الزهري : إنَّ من غوائلِ العلم أنْ يُترَكَ العالِمُ حتى يذهبَ عِلمه[١] .

وقال أبو زرعة عن نعيم بن حماد ، عن محمد بن ثَوْر ، عن معمر ، عن الزهري ، قال : القراءةُ على العالِمِ والسماعُ عليه سواءٌ إن شاء الله تعالى .

وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال : إذا طال المجلسُ كان للشيطانِ فيه حظٌّ ونَصيب . وقد قضَى عنه هشامٌ مرَّةً ثمانين ألف درهم . وفي رواية : سبعةَ عشرَ ألفاً . وفي رواية : عشرين ألفاً .

وقال الشافعي : عَتَبَ رجاءُ بنُ حَيْوة على الزُّهري في الإسراف ، وكان يَدَّانُ[٢] ، فقال له : لا آمنُ أنْ يحبِسَ هؤلاء القومُ ما بأيديهم عنك ، فتكون قد حملتَ على أمانيك . قال : فوعده الزهريُّ أنْ يُقصِر ، فمَرَّ به بعد ذلك وقد وضعَ الطعامَ ونصبَ موائدَ العَسَل ، فوقف به رجاء وقال : يا أبا بكر ، ما هذا بالذي فارقْتَنا عليه . فقال له الزهري : انزِلْ فإنَّ السَّخيَّ لا تؤدِّبُهُ التجارِب[٣] .

وقد أنشدَ بعضُهم في هذا المعنى :

لـه سحـائـبُ جـودٍ فـي أنـامِلِـهِ   أمطـارُهـا الفِضَّـةُ البيضـاءُ والـذهـبُ
يقـول فـي العُسْـرِ إنْ أيسَـرتُ ثـانيـةً   أقصَرْتُ عن بعضِ ما أُعطي وما أَهَبُ
حتـى إذا عـادَ أيـامُ اليسَـارِ لَـهُ   رأيـتَ أمـوالَـهُ فـي النـاسِ تُنْتَهَـبُ

وقال الواقدي[٤] : ولد الزهريُّ سنة ثمانٍ وخمسين ، [في آخرِ خلافةِ معاوية بن أبي سفيان ، وهي السنةُ التي ماتتْ فيها عائشةُ زوجُ النبيِّ ﷺ] ، وقَدِمَ في سنةِ أربعٍ وعشرين ومئة إلى أمواله بثلاث[٥] : بِشَغْب وبَدَا[٦] فأقام بها ، فمرض هناك ومات . وأوصَى أنْ يُدفَنَ على قارعةِ الطريق وكانتْ وفاتُه لسبعَ عشرةَ من رمضان في هذه السنة ، وهو ابنُ خمسٍ وسبعين سنة . قالوا : وكان ثقةً كثيرَ الحديث والعلم

---

(١) وهذه زيادة مقحمة أيضاً وهي :
[وفي رواية : أنْ يترُكَ العالِمُ العمَل بالعلم حتى يذهب ، فإنَّ منْ غوائِلِهِ قِلَّةَ انتفاعِ العالِمِ بعِلْمِه] ، و [من غوائله] النِّسيان والكذب ، وهو أشدُّ الغوائل .

(٢) في (ق) : « يستدين » والمثبت من (ب ، ح) ، وكلاهما بمعنى يستقرض .

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٤٥١) .

(٤) انظر قول الواقدي في طبقات ابن سعد القسم المتمم ص(١٨٥) وما بين معقوفين منه .

(٥) كذا في (ق) ، وفي (ب ، ح) : « بثلثة » ، وفي طبقات ابن سعد (بثلية) ، ولم أهتد إلى وجه الصواب فيه .

(٦) شَغْب ـ بفتح أوله وسكون ثانيه وآخره باء موحدة ـ : هي ضيعة خلف وادي القرى ، كانت للزُّهري وبها قبره ، يُروى مقصوراً ، ويروى بغير ألف ، يُنسب إليها زكرياء بن عيسى الشغبي مولى الزهري . وقيل : شَغْبَى ـ وبَدَا بالفتح والقصر ـ موضعان بين المدينة وأيْلَة من ساحل البحر . وقيل بوادي القرى ، وقيل بوادي عذرة . معجم البلدان (١/ ٣٥٦ ، و٣/ ٣٥١ و٣٥٢) .

والرواية ، فقيهاً جامعاً . وقال الحسين بن المتوكِّل العَسْقلاني : رأيتُ قبرَ الزهري بشَغْب وبَدَا[١] من فِلَسْطينَ مُسَنَّماً مُجَصَّصاً .

وقد وقف الأوزاعي يوماً على قبرِهِ فقال :

يا قبر كم فيك من علم ومن حلم يا قبر كم فيك من علم ومن كرم
وكـم جمعـتَ روايـاتٍ وأحكـامـا .... [٢]

وقال الزُّبير بن بكار : توفي الزهري بأموالِهِ بِشَغْب[٣] ليلةَ الثلاثاء لسبعَ عشرةَ ليلةً خلتْ من رمضان سنة أربعٍ وعِشرين ومئة ، عن ثنتين وسبعينَ سنة ، ودُفن على قارعةِ الطريق ، ليدعُوَ له المارَّة . وقيل : إنه تُوفي سنةَ ثلاثٍ وعشرين ومئة . وقال أبو معشر : سنةَ خمسٍ وعشرين ومئة . والصحيح الأول . والله أعلم[٤] .

---

(١) في طبقات ابن سعد (القسم المتمم) ص(١٨٦) : « رأيت قبر الزهري بأُدْمى وهي خلف شَغْب وبَدا ، وهي أول أعمال فلسطين . . » .

(٢) كذا في (ق) ، وأما (ب ، ح) فلم يذكر سوى قوله : « يا قبر كم فيك من علم وحلم » .

(٣) في (ق) : « بشغب ثنين » ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) ، وقد تقدم التعريف بشغب .

(٤) وهذه زيادة مقحمة أيضاً وهي :

[فصل (هذا الفصل ليس في (ب ، ح) ، وهو زيادة من (ق) .) :

وروى الطبراني عن إسحاق بن إبراهيم ، حدّثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، قال : أخبرني صالح بن كَيْسان ، قال : اجتمعتُ أنا والزهري ونحن نطلبُ العِلْم ، فقلنا : نحنُ نكتُبُ السُّنَن ؛ فكتبنا ما جاء عن النبي ﷺ . ثم قال لي : هَلُمَّ فَلْنكتُبْ ما جاء عن أصحابه ، فإنه سُنَّة . فقلت : إنه ليس بِسُنَّة ، فلا نكتبُه . قال : فكتب ما جاء عنهم ولم أكتب ، فأنجحَ وضَيَّعتُ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٦٠) عن الطبراني . وأخرجه وابن سعد في طبقاته (القسم المتمم) ص(١٦٨) ؛ وأبو الوليد الباجي في التعديل والتجريح (٢/ ٧٨٣) عن عبد الرزاق .) .

وروى الإمام أحمد عن معمر ، قال : كنَّا نرى أنَّا قد أكثَرْنا عن الزُّهري حتى قُتل الوليد ، فإذا الدفاترُ قد حُمِلَتْ على الدوابِّ من خزانته ، يقول : من علم الزُّهري (حلية الأولياء (٣/ ٣٦١) .) .

ورُوي عن الليث بن سعد قال : وضع الطَّسْتُ بين يدي ابنِ شهاب ، فتذكَّر حديثاً ، فلم تزلْ يدُهُ في الطَّسْت حتى طلعَ الفَجْر [حتى] صحَّحَه (المصدر السابق ، وما بين معقوفين منه .) .

وروى أصبغ بن الفرج عن ابن وَهْب ، عن يونس ، عن الزُّهري ، قال : للعلم وادٍ ، فإذا هبطتَ واديَهُ فعليك بالتُّؤدة ، حتى تخرجَ منه ، فإنك لا تَقطَعُه حتى يقطعَ بك .

وقال الطبراني : حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب ، حدّثنا الزُّبير بن بكَّار ، حدّثني محمد بن الحسن بن زَبَالَة ، عن مالك بن أنس ، عن الزُّهري ، قال : خدَمْتُ عُبيد الله بن عُتْبة ، حتى إنْ كان خادمُه ليخرُجُ فيقول : منْ بالباب ؟ فتقول الجارية : غلامُك الأعمش ، فتظنُّ أنِّي غلامُه ، وأنِّي كنتُ لأخدمه حتى أستقيَ وضوءَه .

وروى عبدُ الرحمن بن أحمد ، عن محمد بن عبّاد ، عن الثوري ، عن مالك بن أنس ـ أُراهُ عن الزُّهري ـ قال : تبعت سعيدَ بن المُسيِّب ثلاثةَ أيَّامٍ في طلَبِ حديث .

=

. . . .

= وروى الأوزاعيُّ عن الزهري قال : كنَّا نأتي العالِم ، فما نتعلَّمُ من أدبِه أحبُّ إلينا من عِلْمه .

وقال سفيان : كان الزُّهري يقول : حدّثني فلان وكان من أوعيةِ العِلم . ولا يقول : كان عالماً .

وقال مالك : أولُ مَنْ دَوَّنَ العِلم ابنُ شهاب . وقال أبو المَلِيح : كان هشامٌ هو الذي أكرَهَ الزهريَّ على كتابةِ الحديث ، فكان الناسُ يكتبونَ بعد ذلك .

وقال رشيد بن سعد (كذا في (ق) ، ولعل الصواب فيه : « رشدين بن سعد » .) : قال الزهري : العلمُ خزائن ، وتفتحُها المسائل .

وقال الزهري : كان يُصطادُ العلمُ بالمسألة كما يُصادُ الوحش .

وكان ابنُ شهاب يَنْزلُ بالأعراب يُعلِّمُهم لئلا يَنسَى العلم . وقال : إنما يُذهبُ العلمَ النسيانُ وتَرْكُ المذاكرة .

وقال : إنَّ هذا العلم إنْ أخذتَهُ بالمُكابرَةَ غلبَكَ ولم تظفَرْ منه بشيء ، ولكنْ خُذْهُ مع الأيامِ والليالي أخذاً رَفيقاً تظفرْ به .

وقال : ما أحدَث الناسُ مروءةً أعجبَ إليَّ من الفصاحة .

وقال : العلمُ ذكَرٌ ، لا يُحبُّهُ إلَّا الذكورُ من الرجال ، ويكرَهُهُ مؤنَّثُوهم .

ومرَّ الزُّهريُّ على أبي حازمٍ وهو يقول : قال رسولُ الله ﷺ ، فقال : ما لي أرى أحاديثَ ليس لها خُطُمٌ ولا أزِمَّة ؟ .

وقال : ما عُبِدَ اللهُ بشيءٍ أفضلَ من العلم .

وقال ابن مسلم أبي عاصم (كذا في (ق) ، والخبر في حلية الأولياء (٣/ ٣٦٥ ، ٣٦٦) ، وفيه : عبد الله بن محمد بن جعفر عن أبي عاصم .) : حدّثنا دُحَيم ، حدّثنا الوليد بن مسلم ، عن القاسم بن هِزَّان ، أنَّه سمع الزُّهري يقول : لا يوثقُ الناسُ بعلم عالمٍ لا يعمل به ، ولا يؤمن بقولِ عالمٍ لا يرضى .

وقال ضمرة عن يونس ، عن الزهريِّ ، قال : إياك وغلولَ الكُتب . قلت : وما غلولُها ؟ قال : حَبْسُها عن أهْلِها .

وروى الشافعيُّ عن الزهري قال : حضور المجلِسِ بلا نُسخةٍ ذُلّ .

وروى الأصمعي عن مالك بن أنس ، عن ابن شهاب قال : جلستُ إلى ثعلبةَ بنِ أبي مَعين ، فقال : أراكَ تُحبُّ العلم . قلتُ : نعم . قال : فعليك بذاك الشيخ . يَعني سعيدَ بن المُسيَّب . قال : فلزِمْتُ سعيداً سبعَ سنين ، ثم تحوَّلْتُ عنه إلى عروة ، ففجَّرتُ ثَبَجَ بحرِه .

وقال الليث : قال ابنُ شهاب : ما صبرَ أحدٌ على علم صَبْري ، وما نشرهُ أحدٌ قطُّ نشري . فأمَّا عروةُ بن الزُّبير فبئرٌ لا تُكدِّرُهُ الدِّلاء ، وأمَّا ابنُ المسيَّب فانتصب للناس ، فذهب اسمُه كلَّ مذهب .

وقال مكي بن عبدان : حدّثنا محمد بن عبد العزيز بن عبد الله الأوسي ، حدثنا مالك بن أنس أنَّ ابنَ شهاب سأله بعضُ بني أمية عن سعيد بن المسيَّب ، فذكر علمَهُ بخير ، وأخبرَهُ بحالِه ؛ فبلغ ذلك سعيداً ، فلما قدم ابنُ شهاب المدينةَ جاء فسلَّم على سعيد ، فلم يردَّ عليه ولم يكلِّمْه ، فلما انصرف سعيد مَشَى الزهريُّ معه ، فقال : ما لي سلَّمْتُ عليك فلم تكلِّمْني ؟ ماذا بلغك عني ؟ وما قُلتُ إلَّا خيراً . قال له : ذكرتَني لبني مروان .

قال أبو حاتم : حدّثنا مكي بن عبدان ، حدّثنا محمد بن يحيى ، حدّثني عطَّاف بن خالد المخزومي ، عن عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة ، عن ابن شهاب قال : أصاب أهلَ المدينةِ حاجةٌ زمانَ فتنةِ عبدِ الملك بنِ =

. . . .

= مروان ، فعمَّتْ أهلَ البلد ، وقد خُيِّلَ إليَّ أنَّه قد أصابنا أهلَ البيتِ من ذلك ما لم يصِبْ أحداً من أهلِ البلد ؛ وذلك لخبرتي بأهلي ، فتذكَّرْتُ هل من أحدٍ أمُتُّ إليهِ برَحِمٍ أو موَدَّةٍ أرجو إنْ خرَجْتُ إليه أنْ أُصيبَ عندَهُ شيئاً ؛ فما علمتُ من أحدٍ أخرُجُ إليه . ثم قلتُ إن الرزقَ بيدِ الله عزَّ وجلَّ . ثم خرجتُ حتى قدمتُ دمشق ، فوضعتُ رَحْلي ، ثم أتيتُ المسجدَ ، فنظرتُ إلى أعظم حَلْقةٍ رأيتُها وأكبرها ، فجلست فيها ، فبينا نحنُ على ذلك إذْ خرجَ رجلٌ من عندِ أميرِ المؤمنين عبد الملك كأجسمِ الرجالِ وأجمَلِهم وأحسنِهم هيئةً ! فجاء إلى المجلس الذي أنا فيه فتَحثحثوا له ـ أي أوسعوا ـ فجلس ، فقال : لقَد جاء أميرَ المؤمنين اليومَ كتابٌ ما جاءه مثله منذُ استخلفَهُ الله . قالوا : ما هو ؟ قال : كتب إليه عاملُهُ على المدينة هشام بن إسماعيل يذكر أنَّ ابناً لمُصعب بنِ الزُّبير من أمِّ ولد مات ، فأرادتْ أمُّه أنْ تأخذَ ميراثاً منه ، فمنعَهُ عروةُ بن الزبير ، وزعم أنَّهُ لا ميراثَ لها . فتوهَّم أميرُ المؤمنين حديثاً في ذلك سمِعَهُ من سعيدِ بن المسيَّب يذكرُ عن أمير المؤمنين عمرَ بن الخطاب في أمَّهات الأولاد ، ولا يحفَظُهُ الآن ، وقد شذَّ عنه ذلك الحديث . قال ابنُ شهاب : فقلتُ : أنا أحدِّثُه به . فقام إليَّ قَبيصةُ حتى أخذ بيدي ، ثم خرج حتى دخل الدارَ على عبد الملك فقال : السلام عليك . فقال له عبد الملك مجيباً : وعليك السلام . فقال قبيصة : أَنَدْخل ؟ فقال عبدُ الملك : ادخلْ . فدخلَ قَبيصَةُ على عبدِ الملك وهو آخذٌ بيدي . وقال : هذا يا أميرَ المؤمنين يحدِّثُكَ بالحديث الذي سمعتَهُ من ابنِ المُسَيَّب في أمَّهاتِ الأولاد . فقال عبدُ الملك : إيهِ . قال الزهري : فقلت : سمعتُ سعيد بن المسيَّب يذكر أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر بأُمَّهات الأولاد أن يقوَّمْنَ في أموال أبنائهنَّ بقيمةِ عَدْلٍ ثم يُعتقن . فكتبَ عمرُ بذلك صدراً من خلافتِهِ ، ثم توفي رجلٌ من قريش كان لهُ ابنٌ من أمِّ ولَد ، وقد كان عمر يعْجبُ بذلك الغُلام . فمرَّ ذلك الغلامُ على عمرَ في المسجد بعدَ وفاةِ أبيهِ بليالٍ ، فقال له عمر : ما فعلتَ يا بنَ أخي في أمِّك ؟ قال : فعلتُ يَا أميرَ المؤمنين خيراً ؛ خيَّروني بين أنْ يَسترقُّوا أمِّي [أو يُخرِجوني من مِيراثي من أبي ، فكان ميراثُ أبي أهونَ عليَّ من أنْ يسترقُّوا أمي] (ما بين معقوفين ناقص في (ق) واستدركتُهُ من حلية الأولياء (٣/ ٣٦٨) .) . فقال عمر : أو لستُ إنما أمرتُ في ذلك بقيمةِ عَدْل ؟ ما أرى رأياً وما أمرتُ بأمرٍ إلَّا قلتم فيه . ثم قام فجلَسَ على المِنْبَر ، فاجتمعَ الناسُ إليه ، حتى إذا رَضيَ من جماعتِهم قال : أيُّها الناس ، إنّي قد كنتُ أمَرْتُ في أمَّهاتِ الأولاد بأمرٍ قد علمتموه ، ثم حدَثَ رأيٌ غيرُ ذلك ، فأيُّما امرىءٍ كان عندَهُ أمُّ ولد ، فملَكَها بيمينه ما عاش ، فإذا ماتَ فهي حُرَّةٌ لا سبيلَ لهُ عليها . فقال لي عبدُ الملك : منْ أنت ؟ قلتُ : أنا محمد بن مُسلم بن عُبيد الله بن شهاب . فقال : أمَا واللهِ إنْ كان أبوكَ لأباً نعَّاراً في الفتنة ، مؤذياً لنا فيها . قال الزهري : فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، قلْ كما قال العبدُ الصالحُ : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [يوسف : ٩٢] . فقال : أجل . ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ .

قال : فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، افرضْ لي فإني منقطعٌ من الديوان . فقال : إنَّ بلدك ما فرَضْنا فيه لأحدٍ منذُ كان هذا الأمر . ثم نظر إلى قَبيصة وأنا وهو قائمان بين يديه ، فكأنه أومأ إليه أن افرضْ له ؛ فقال : قد فرَضَ إليك أميرُ المؤمنين . فقلت : إني واللهِ ما خرَجْتُ من عندِ أهلي إلَّا وهم في شدَّةٍ وحاجةٍ ما يعلمُها إلا الله وقد عمَّتِ الحاجةُ أهلَ البلد . قال : قد وصلك أميرُ المؤمنين . قال : قلت : يا أميرَ المؤمنين ، وخادمٌ يخدمُنا فإنَّ أهلي ليس لهم خادمٌ إلَّا أختي فإنها الآن تعجنُ وتخبزُ وتطحَن . قال : قد أخدمكَ أميرُ المؤمنين .

وروى الأوزاعي عن الزهري ، أنه روى أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « لا يَزني الزَّاني حين يَزْني وهو مؤمن » . فقلتُ للزُّهْري : ما هذا ؟ فقال : من اللهِ العِلْم ، وعلى رسولِهِ البَلاغ ، وعلينا التسليم ، أمرُّوا أحاديثَ رسولِ الله ﷺ كما=

. . . .

= جاءتْ (أخرجه بهذا الإسناد واللفظ أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٦٩) . والحديث مسنداً أخرجه البخاري (٢/ ٨٧٥) (٢٣٤٣) في المظالم : باب النهبى بغير إذن صاحبه ؛ ومسلم (١/ ٧٦) (٥٧) في الإيمان : باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي .) .

وعن ابن أخي ابنِ شهاب ، عن عمِّه قال : كان عمرُ بن عبد الخطاب يأمُرُ بروايةِ قصيدةِ لَبيد بنِ رَبيعة التي يقول فيها :

إنَّ تَقْـوى رَبِّنـا خَيْـرُ نَفَـلْ   وبـإذنِ اللهِ رَيْثـي والعَجَـلْ
أحمـدُ اللهَ فـلا نِـدَّ لَـهُ   بيـديـهِ الخيـرُ مـا شـاءَ فَعَـلْ
مَنْ هداهُ سُبُلَ الخيرِ اهتدَى   نـاعـمَ البـالِ ومـنْ شـاءَ أضَـلْ

(الأبيات من قصيدة للبيد في ديوانه ص(١٣٩) .)

وقال الزهري : دخلتُ على عُبيد الله بن عبدِ الله بن عُتبة مَنْزله ، فإذا هو مغتاظٌ ينفُخ ! فقلت : ما لي أراكَ هكذا ؟! فقال : دخلتُ على أميركمْ آنفاً ـ يعني عمرَ بن عبدِ العزيز ـ ومعه عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فسلَّمْتُ عليهما ، فلم يَرُدَّا عليَّ السلام ، فقلت :

لا تَعْجَبـا أنْ تُـؤتَيـا فتكلَّمـا   فما حُشيَ الأقوامُ شرّاً من الكِبْرِ
ومُسَّا تُرابَ الأرضِ منهُ خُلِقتُما   وفيها المعادُ والمصيرُ إلى الحَشْرِ

فقلت : يرحمك الله ، مِثْلُك في فقهِكَ وفضلِكَ وسنِّك تقولُ الشِّعر ؟! فقال : إنَّ المصدورَ إذا نفَثَ بَرَأ (الخبر والأبيات في التمهيد (٩/ ١٣) لابن عبد البر وزاد في الأبيات بيتين آخرين وهما :

فلو شئتُ أنْ ألقى عدوّاً وطاعناً   لـلاقَيْتُـهُ أو قـال عنـديَ فـي السـرِّ
فإنْ أنا لم آمُرْ ولم أنه عنكما   ضحكتُ له حتى يلجَّ وَيَسْتَشْري)

وجاء شيخٌ إلى الزُّهريِّ فقال : حدِّثني . فقال : إنك لا تعرفُ اللغة . فقال الشيخ : لعلِّي أعرفُها . فقال : فما تقولُ في قولِ الشاعر :

صَريع نَدامَى يَرفَعُ الشَّرْبُ رأسَهُ   وقد ماتَ منهُ كلُّ عُضوٍ ومِفْصَلِ

ما المِفصل ؟ قال : اللسان . قال : عُدْ عليَّ أُحدِّثْكَ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٧٠) وروايته : « اغدُ عليَّ أحدِّثك » .) .

وكان الزُّهريُّ يتمثَّلُ كثيراً بهذا .

ذهـب الشبـابُ فـلا يعـودُ جُمـانـا   وكـأنَّ مـا قـد كـانَ لـم يَـكُ كـانـا
فطويتُ كَفِّي يا جُمانُ على العصَا   وكَفَـى جُمـانُ بطيِّهـا حَـدَثـانـا

(الخبر والشعر في الحلية (٣/ ٣٧٠) وروايته : « فطويت كفاً يا جمان على الغضا » .)

وكان نقشُ خاتم الزهري : محمدٌ يسألُ اللهَ العافية .

وقيل لابنِ أخي الزهري : هل كان عمُّك يتطيَّب ؟ قال : كنتُ أشمُّ ريحَ المسكِ منْ سَوْطِ دابَّةِ الزهري .

وقال : استكثروا من شيءٍ لا تَمسُّه النار . قيل : وما هو ؟ قال : المعروف .

وامتدحه رجلٌ مرَّةً فأعطاهُ قميصَه ، فقيل له : أتُعطي على كلام الشيطان ؟ فقال : إنَّ من ابتغاءِ الخيرِ اتِّقاءَ الشرِّ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٧١) ، وروايته : « إن من ابتغى الخير اتقى الشر » .) .

ومِمنْ تُوفِّي في خِلافةِ هشام بن عبد الملك كما أوردَهُ ابنُ عساكر :

بلال بن سعد[١] بن تميم السَّكوني أبو عمرو ، ويقال : أبو زُرْعة ، إمامُ جامع دمشق أيامَ هشام ، وقاصُّ أهلِ الشام ؛ وكان من الزُّهاد الكِبَار ، والعُبَّاد الصُّوَّام القُوَّام .

روَى عن أبيه ، وكان أبوهُ له صُحْبَة ، وعن جابر ، وابنِ عمر ، وأبي الدرداء ، وغيرهم . وعنه جماعةٌ ، منهم أبو عمرو الأوزاعي ، وكان الأوزاعي يكتبُ عنه ما يَقُولُه من الفوائدِ العظيمةِ من قَصَصِهِ ووَعْظِه ، وقال : ما رأيتُ واعِظاً قطُّ مِثلَه .

وقال أيضاً : ما بلَغَني عن أحدٍ من العبادةِ ما بلَغَني عنه ، كان يُصلِّي في اليومِ والليلةِ ألفَ رَكْعَة ، قال غيره - وهو الأصمعي - : كان إذا نَعَسَ في ليلِ الشتاء ألقَى نفسَهُ في ثِيابِهِ في البِرْكَة ، فعاتَبَهُ بعضُ أصحابِهِ في ذلك فقال : إنَّ ماء البِرْكةِ أهونُ من صَديدِ جهنم .

وقال الوليدُ بن مسلم : كان إذا كبَّرَ في المِحراب سمعوا تكبيرَهُ من الأوْزاع ، قلت : وهي خارج بابِ الفرادِيس ، بِمَحلَّةِ سوق قُميلة اليوم ، قال : وكنّا نتبيّنُ قراءتَهُ من عقَبَة الشيخ عند دار الضيافة[٢] . يعني من عند دار الذهب داخل باب الفراديس .

وقال أحمد بن عبد الله العِجْلي - وهو شامي - تابعيٌّ ثِقَة .

وقال أبو زرعة الدمشقي : كان أحدَ العلماء ، وكان قاصّاً ، حسَنَ القَصَص ، وقد اتَّهمَهُ رجاءُ بن

= وقال سفيان : سئل الزهريُّ عن الزاهد ، فقال : منْ لم يمنَع الحلالُ شُكْرَه ، ولم يغلبِ الحرامُ صبرَه .

وقال سفيان : قالوا للزهري : لو أنك الآن في آخرِ عُمرِكَ أقمتَ بالمدينة فغدَوْتَ (في (ق) : « فقعدت . . . ودرجت » ، والمثبت من الحلية (٣/ ٣٧١) .) إلى مسجدِ رسولِ الله ﷺ ، ورُحْتَ وجلسنا إلى عمودٍ من أعمدتِه ، فذكَّرت الناسَ وعلَّمتَهم . فقال : لو أني فعلتُ ذلك لوُطِّيءَ عَقِبي ، ولا ينبغي لي أنْ أفعلَ ذلك حتى أزهدَ في الدُّنيا ، وأرغبَ في الآخرة .

وكان الزهري يحدِّثُ أنه هلك في جبال بيتِ المقدِس بضعةٌ وعشرون نبيّاً ماتوا من الجُوع والعمل ، كانوا لا يأكلونَ إلَّا ما عرفوا ، ولا يَلْبسُونَ إلَّا ما عَرفوا . وكان يقول : العِبَادة هي الوَرَعُ والزُّهْد ، والعِلْمُ هو الحسَنَةُ ، والصَّبْرُ هو احتمالُ المكارِه ، والدعوةُ إلى الله على العمل الصالح] .

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٦١) ، التاريخ الكبير (٢/ ١٠٨) ، الكنى لمسلم ص(١٥١) ، الجرح والتعديل (٢/ ٣٩٨) ، الثقات لابن حبان (٤/ ٦٦) ، الحلية (٥/ ٢٢١) ، تاريخ ابن عساكر (١٠/ ٣٥٤) ، صفة الصفوة (٤/ ٢١٧) ، المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير (١/ ٤٨١) ، مختصر تاريخ ابن عساكر (٥/ ٢٦٨) ، تهذيب الكمال (٤/ ٢٩١) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٩٠) ، تاريخ الإسلام (٤/ ٢٣٤) ، الوافي (١٠/ ٢٧٧) ، تهذيب التهذيب (١/ ٥٠٣) ، الكواكب الدرية (١/ ٩١) .

(٢) كذا في الأصول (ب ، ح ، ق) وتاريخ دمشق ، وفي سير أعلام النبلاء (٥/ ٩٢) : « دار الصيارفة » .

حَيْوَة بالقَدَر ، حتى قال بلال يوماً في وَعظِه : رُبَّ مسرورٍ مَغْبُون ، ورُبَّ مَغْبُونٍ[١] لا يَشْعُر ، فوَيلٌ لِمَنْ له الوَيْلُ وهو لا يَشْعُر ، يأكلُ ويشرَبُ ويَضْحَك وقد حَقَّ عليه في قضاءِ الله أنَّهُ من أهلِ النار ، فياوَيْل لك جسداً ! فلْتبكِ ولْتبكِ عليك البواكي لطولِ الأبَد .

وقد ساق ابنُ عساكر شيئاً حَسناً من كلامه في مواعظهِ البليغة ، فمنْ ذلك قولُه : واللهِ لكفَى به ذنباً أنَّ اللهَ يُزَهِّدُنا في الدنيا ونحنُ نرغَبُ فيها . زاهِدُكم راغب ، وعالمكم جاهل ، ومجتهدُكم مقصِّر .

وقال أيضاً : أخٌ لك كلَّما لَقِيَكَ ذكَّركَ بنصيبكَ من الله ، وأخبركَ بعَيْبٍ فيك أحَبُّ إليك وخيرٌ لك مِنْ أخٍ كلَّما لَقِيَكَ وضعَ في كفِّكَ ديناراً .

وقال أيضاً : لا تكنْ وَلِيّاً للهِ في العلانية ، وعدوَّهُ في السِّرّ ، [ولا تكنْ عدُوَّ إبليسَ والنفسِ والشَّهَواتِ في العلانية ، وصديقَهم في السِّرّ][٢] . ولا تَكُنْ ذا وجهَيْنِ وذا لسانين فتظهرَ للناس أنك تخشَى الله ليحمَدُوك ، وقلبُكَ فاجر .

وقال أيضاً : أيها الناس ، إنّكم لم تُخلقُوا للفَنَاء وإنَّما خُلقتُمْ للبقاء ، ولكنَّكم تَنْتقِلُون من دارٍ إلى دار ، كما نُقلتمْ من الأصلابِ إلى الأرحام ، ومن الأرحام إلى الدنيا ، ومن الدنيا إلى القبور ، ومن القبورِ إلى المَوْقف ، ومن الموقف إلى الجنَّةِ أو النار .

وقال أيضاً : عبادَ الرحمن ، إنكم تعملونَ في أيامٍ قصار لأيامٍ طِوَال ، وفي دارِ زَوَالٍ إلى دارِ مُقَام ، وفي دارِ حُزْنٍ ونَصَب ، لِدارِ نعيمٍ وخلُود ، فمن لم يعمَلْ على يقين فلا يتعَنَّ ، عبادَ الرحمن ، لو قد غُفرَتْ خطاياكمُ الماضية لكان فيما تستقبلون لكمْ شُغْلاً ، لو عَمِلتم بما تعلمون لكنتم عبادَ الله حَقّاً . عبادَ الرحمن ، أمَّا ما وكَّلَكُم بهِ فتضيِّعونَه ، وأمَّا ما تكفَّلَ الله لكُمْ بهِ فتطلبونه ! ما هكذا نعتَ اللهُ عبادَهُ المُوقِنِين ، أذوُو عَقْلٍ في الدنيا وبُلْهٌ في الآخرة ، عُمْيٌ عَمَّا خُلقتمْ له ، بُصَراء في أمرِ الدُّنيا ! فكما ترجونَ رحمةَ الله بما تؤدُّونَ من طاعتِه ، فكذلك أشفِقُوا من عَذَابِه بما تنتهِكُونَ من معَاصِيه . عبادَ الرحمن ، هل جاءكم مُخبِرٌ يُخبرُكم أنَّ شيئاً من أعمالِكُمْ قد تُقُبِّلَ منكم ؟ أو شيئاً مِنْ خطاياكم قد غُفِرَ لكم ؟ ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون : ١١٥] ، واللهِ لو عَجَّلَ لكم الثوابَ في الدنيا لاستقلَلْتُمْ ما فرض عليكم ، أترغبون في طاعةِ الله لتعجيلِ دار هَمّ ، ولا ترغبون وتُنافِسونَ في جنَّةٍ أكُلُها دائمٌ وظِلُّها ؟ وعَرْضُها عرضُ الأرض والسماوات . ﴿ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾ [الرعد : ٣٥] .

وقال أيضاً : الذِّكرُ ذِكْران ، ذكرُ اللهِ باللِّسان حَسَنٌ جميل ، وذكرُ اللهِ عندما أحَلَّ وحرَّم أفضل . عبادَ

---

(١) في (ق) : « مغرور » ، في الموضعين ، والمثبت من (ب ، ح) .

(٢) ما بين معقوفين ليس في (ب ، ح) وهو من (ق) .

الرحمن ، يقالُ لأحَدِنا تُحِبُّ أن تموت ؟ فيقول : لا . فيقال له : لِمَ ؟ فيقول : حتى أعمَل . فيُقال له : اعمَلْ . فيقول : سوف أعمل . فلا تُحِبُّ أنْ تموتَ ولا تُحبُّ أنْ تعمَل ! وأحَبُّ شيْءٍ إليه يُحِبُّ أنْ يؤخِّرَ عمَلَ الله ، ولا يُحِبُّ أنْ يؤخِّرَ الله عنهُ عَرَضَ الدنيا ! .

عبادَ الرحمن ، إنَّ العبدَ ليعمَلُ الفريضةَ الواحدةَ من فرائضِ الله ، وقد أضاعَ ما سِواها ، فما يزالُ يُمَنِّيهِ الشيطانُ ويُزَيِّنُ له حتى ما يَرَى شيئاً دونَ الجنة مع إقامَتِهِ على مَعَاصي الله . عبادَ الرحمن ، قبلَ أنْ تعمَلُوا أعمالَكُمْ فانظروا ماذا تُريدون بها ، فإنْ كانَتْ خالصةً فامْضُوها ، وإنْ كانت لغيرِ الله فلا تَشُقُّوا على أنفسكم ، فإنَّ الله لا يقبلُ من العملِ إلَّا ما كان لهُ خالصاً ، فإنه قال : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر : ١٠] .

وقال أيضاً : إنَّ الله ليس إلى عذابِكم بِسَرِيع ، يقبَلُ المُقبِل ويَدْعو[(١)] المُدْبِر .

وقال أيضاً : إذا رأيتَ الرجلَ مُتحرِّجاً لَجُوجاً ممارياً مُعجباً برأيه فقد تَمَّتْ خسارَتُه .

وقال الأوزاعي : خرج الناسُ بدمشقَ يَسْتَسقون ، فقام بهم بلالُ بنُ سعدٍ فقال : يا معشر مَنْ حَضَر ، ألستُمْ مقِرِّينَ بالإساءة ؟ قالوا : نعم . فقال : اللهمَّ إنَّكَ قلت : ﴿ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾ [التوبة : ٩١] ، وقد أقرَرْنا بالإساءة فاعفُ عنَّا واغفِرْ لنا . قال : فسُقُوا يومَهمْ ذلك .

وقال أيضاً : سمعتُه يقول : لقد أدركْتُ أقواماً يشتدُّونَ بين الأغراض ، ويضحَكُ بعضُهم إلى بعض ، فإذا جَنَّهُمُ الليلُ كانوا رُهْباناً[(٢)] .

وسمعتُهُ أيضاً يقول : لا تَنظُرْ إلى صِغَرِ الذنب ، وانظُرْ إلى مَنْ عصَيْت .

وسمعتُه يقول : من بادأَكَ بالوُدِّ فقدِ استرَقَّكَ بالشُّكْر .

وكان من دعائه : اللهمَّ إني أعوذُ بكَ من زَيْغِ القُلوب ، ومن تَبِعاتِ الذنوب ، ومن مُرْدِياتِ الأعمال ، ومُضِلاّتِ الفِتَن[(٣)] .

---

(١) في (ح) : « ويدع » ، والمثبت من (ب ، ق) .

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد ص(٤٧) ، وأبو بكر بن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٣٠٣) (٢٦٣٢٦) ، وابن أبي عاصم في الزهد ص(٢١٠) .

(٣) وهذه من الزيادة المقحمة وهي :

[وقال الأوزاعي عنه ، أنه قال : عبادَ الرحمن ، لو أنتم لم تَدعوا إلى الله طاعةً إلَّا عَمِلْتُموها ، ولا مَعْصِيَةً إلَّا اجْتَنَبْتُموها إلَّا أنكم تُحِبُّون الدنيا لَكفاكُمْ ذلك عقوبةً عندَ الله عزَّ وجلّ .

وقال : إنَّ الله يغفِرُ الذنوبَ لِمَنْ تابَ منها ، ولكنْ لا يَمْحوها من الصَّحِيفةِ حتى يوقَفُ العبدُ عليها يومَ القيامة . ترجمة] .

الجَعْدُ بنُ دِرْهَم[1] : هو أول من قال بِخَلْقِ القرآن ، وهو الذي يُنسَبُ إليه مروانُ الجَعْدِيّ ، وهو مروانُ الحمار آخرُ خلفاءِ بني أمية . كان شيخُه الجعدَ بن دِرْهم ، أصلُه من حَرَّان[2] ، ويقال : إنه من موالي بني مروان ، سكن الجعدُ دمشق ، وكان له بها دارٌ بالقُرب من القلانسيِّين إلى جانب الكنيسة ، ذكره ابنُ عساكر . قلت : وهي مَحَلَّةٌ بالقرب من الخوَّاصِين اليوم ، غربيها عند حمام القطَّانين الذي يقال له حمام قلينس .

قال ابنُ عساكر وغيرُه[3] : وقد أخذ الجَعْدُ بِدعَتَهُ عن أبان بن سمعان[4] ، وأخذها أبان عن طالوت ابن أخت لَبِيد بن أعصم زوجِ ابنتِه ، وأخذها لَبِيدُ بنُ أعصَم الساحر الذي سحرَ الرسولَ ﷺ عن يَهوديٍّ باليمن ، وأخذ عن الجَعْد الجَهْم بن صفوان الخزري وقيل الترمذي ، وقد أقامَ بِبلْخ ، وكان يُصلّي مع مُقاتِل بن سليمان في مسجدِه ، ويتناظران ، حتى نُفِيَ إلى تِرْمِذ ، ثم قُتل الجَهْم بأصبهان ، وقيل بِمَرْو ، قتله نائبُها سَلْم بن أحْوزَ رحمه الله وجزاه عن المسلمين خيراً ، وأخذَ بِشْرٌ المريْسِي عن الجهم ، وأخذ أحمد بنُ أبي دُوَاد عن بِشر . وأمَّا الجَعْدُ فإنه أقامَ بدمشق حتى أظهرَ القولَ بخَلقْ القرآن ، فتطلَّبه بنو أمية ، فهرب منهم ، فسكن الكوفة ، فلَقِيَهُ فيها الجَهْمُ بنُ صفوان ، فتقلَّد هذا القول عنه . ثم إنَّ خالد بن عبد الله القَسْري قَتَل الجعدَ يومَ عيدِ الأضحى بالكوفة ، وذلك أنَّ خالداً خطَبَ الناسَ فقال في خُطْبَتِهِ تلك : أيها الناس ، ضَحُّوا يَقْبل الله ضحاياكم ، فإني مُضَحٍّ بالجَعْدِ بنِ دِرْهَم ، إنَّه زعَمَ أنَّ الله لم يتَّخِذْ إبراهيمَ خليلاً ، ولم يكلِّمْ موسى تكْلِيماً ، تعالى اللهُ عمَّا يقولُ الجَعْدُ عُلُوّاً كَبِيراً . ثم نزلَ فَذَبحَهُ في أصْلِ المِنْبَر بيدِه ، أثابَهُ الله تعالى وتقبَّلَ منه ، وذلك في أيام هشام بن عبد الملك ، وقد كان هشامٌ صَلَبَهُ بدمشق حين أظهرَ ما أظهر ، ثم إنّه هربَ بعدَ ذلك ، فكَتَبَ إلى نائبِهِ خالد بن عبد الله القَسْري أنْ يقتُلَه ، فقتلَهُ كما ذكَرْنا .

---

(١) ترجمته في الفهرست لابن النديم ص(٤٧٢) ، الضعفاء للعقيلي (١/ ٢٠٦) ، مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٥٠) ، الكامل لابن الأثير (٤/ ٤٦٦) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٣٣) ، ميزان الاعتدال (٢/ ١٢٥) ، لسان الميزان (٢/ ١٠٥) ، المغني في الضعفاء ص(١٣١) ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٨٢) لأبي القاسم اللالكائي .

(٢) في (ق) : « خراسان » ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ح) ، ومختصر تاريخ دمشق (٦/ ٥٠) ، وتوحيد المقاصد في شرح قصيدة ابن القيم (١/ ٤٩) ، ومنهاج السنة (٢/ ١٩٢) لابن تيمية .

(٣) انظر مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٥١) .

(٤) في (ح ، ق) : « بيان بن سمعان » ، وما أثبتناه موافق لما في مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٥١) ، والكامل لابن الأثير (٦/ ١٢١) ، وتوحيد المقاصد في شرح قصيدة ابن القيم (١/ ٤٩) ، وأقاويل الثقات لمرعي بن يوسف ص(٢٣٠) ، والتحفة المدنية في العقيدة السلفية لحمد بن ناصر ص(١٦٦) وسيأتي ذكر الخبر مرة أخرى في ص٢٣٤ من هذا المجلد ، في ترجمة خالد بن عبد الله القسري .

وقد روى قصَّتَه مع خالد البخاري في [خَلْق] أفعال العباد[١] ، وابن أبي حاتم ، وغير واحدٍ مِمَّنْ صنَّف في السنَّة ، كالطبراني ، وابن أبي عاصم ، والبيهقي ، وعبد الله بن أحمد ، وذكرَهُ الحافظُ ابنُ عساكر في التاريخ[٢] ، وذكر أنَّهُ كان يتردَّدُ إلى وَهْب بن مُنَبِّه ، وأنه كان كلَّما راح إلى وَهْب يغتسل ويقول : أجْمَعُ للعَقْل . وكان يسألُ وَهْباً عن صفاتِ الله عزَّ وجَلّ ، فقال له وهبٌ يوماً : ويلك يا جعد ، أقصرِ المسألةَ عن ذلك ، إني لأظنُّكَ من الهالكين ، لو لم يُخبِرْنا الله في كتابه أنَّ لَهُ يداً ما قُلنا ذلك ، وأنَّ لَهُ عيناً ما قُلنا ذلك ، وأنَّ لَهُ نَفْساً ما قُلنا ذلك ، وأنَّ له سَمْعاً ما قُلنا ذلك . وذكَرَ الصفاتِ من العِلْمِ والكلامِ وغيرِ ذلك ، ثم لم يَلْبَثِ الجَعْدُ أنْ صُلِبَ ثم قُتِل . ذكره ابنُ عساكر وذكرَ في ترجمتِهِ أنَّه قال للحجَّاجِ بن يوسف ، ويُروَى لِعمْرانَ بنِ حِطَّان[٣] :

ليثٌ عليَّ وفي الحروب نَعَامةٌ ... فَتْخاءُ تَجْفُلُ من صَفِيرِ الصافِرِ
هلاَّ بَرَزْتَ إلى غزالةَ في الوَغَى ... بل كان قلبُكَ في جنَاحَيْ طَائِرِ

ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومئة

قال الحافظ أبو بكر البَزَّار[٤] ؛ حدثنا رزق الله بن موسى ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فُدَيك ، حدثنا عبدُ الملك بن زَيد ، عن مصعب بن مصعب ، عن الزُّهري ، عن أبي سَلَمَة بنِ عبدِ الرحمن ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « تُرفَعُ زِينةُ الدُّنيا سنةَ خمسٍ وعشرين ومئة » ، وكذا رواهُ أبو يعلى في مُسندِهِ[٥]

---

(١) صفحة (٢٩) بتحقيق د . عبد الرحمن عميرة ، طبعة دار المعارف السعودية ، الرياض (١٣٩٨/ ١٩٧٨) ، وسوف يذكره المؤلف في صفحة (١٩) من الجزء العاشر من نسخة (ق) .

(٢) انظر مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٥٠ ، ٥١) .

(٣) ذكر البيتين وعزاهما إلى عمران بن حطان خليفةُ بن خياط في تاريخه ص(٢٧٤ ، ٢٧٥) ، وذكر الخبر عبد الغني بن سعيد الأزدي في المتوارين ص(٧٢ ، ٧٣) وعزاهما إلى عمران أيضاً ، وزاد عليهما ثالثاً وهو قوله :

ذعرت غزالة قلبه بفوارس ... تركت فوارسه كأمس الغابر

وذكرهما مع هذا البيت ابن عساكر في ترجمة عمران (انظر مختصره لابن منظور (١٨/ ٢٣٩)) ، وذكرهما ابنُ خَلِّكان في وفيات الأعيان (٢/ ٤٥٥) ، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٤/ ١٤٧) من غير عزو ، وقد تقدّم ذكرُ البيتين في مقتل شبيب في سنة سبع وسبعين .

(٤) في البحر الزخار رقم (١٠٢٧) .

(٥) مسند أبي يعلى (٢/ ١٦٠)(٨٥١) ، وذكره الديلمي في مسند الفردوس (٢/ ٧٣)(٢٤١٤) ، وأخرجه ابن عدي في الكامل (٥/ ٣٠٨) في ترجمة عبد الملك بن زيد عن أبي العلاء ، حدثنا أبو الطاهر ، حدثنا ابن أبي فديك ، به ، وذكره الدارقطني في العلل (٩/ ٢٥٠ ، ٢٥١) وقال ؛ عن أبي سلمة عن أبيه وليس بمحفوظ . وسيعاد ذكر الحديث في الصفحة (٢١١) من هذا الجزء ، وثمة تفسير زينة الدنيا .

عن أبي كُرَيب ، عن ابنِ أبي فُديك ، عن عبد الملك بن زيد بن سعيد بن نُفَيل ، عن مصعب بن مصعب ، عن الزُّهري ، به .

قلتُ : وهذا حديثٌ غَرِيبٌ مُنْكَر ، ومُصْعَب بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزُّهري تكلَّمَ فيه وضعَّفَهُ عليُّ بن الحسين بن جنيد ، وكذا تكلَّم في الراوي عنه أيضاً . والله أعلم .

وفيها غزا النعمانُ بن يزيد بن عبد الملك الصائفةَ من بلادِ الروم ، وفي ربيع الآخِر منها تُوفِّي أميرُ المؤمنين :

هشامُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوَان[1]

ذكر وفاته وترجمته رحمه الله :

هو هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبدِ شمس أبو الوليد القُرشي الأموي الدمشقي أمير المؤمنين ، وأمه أمُّ هشام بنت هشام بن إسماعيل المخزومي ، وكانت دارُهُ بدِمَشق عند باب الخوَّاصين ، وبعضُها اليوم مدرسةُ نورِ الدينِ الشهيد التي يُقالُ لها النُّوريَّة الكبيرة ، وتُعرَفُ بدارِ القَبَّابِين - يعني الذين يبيعون القِبَاب وهي الخِيَام - فكانت تلك المحلَّةُ دارَه ، والله أعلم .

وقد بُويع له بالخِلافةِ بعدَ أخيه يزيدَ بنِ عبدِ الملك بعهدٍ منهُ إليه ، وذلك يومَ الجمعة لأربعٍ بَقِينَ من شعبان سنةَ خمسٍ ومئة ، وكان له من العمر يومئذٍ أربعٌ وثلاثون سنة ، وكان جميلاً أبيضَ أحْوَل ، يَخْضِبُ بالسَّوَاد ، وهو الرابعُ من ولَدِ عبد الملك لِصُلْبِهِ الذين وَلُوا الخِلافة ، وقد كان عبدُ الملك رأى في المنام كأنَّهُ بالَ في المِحراب أربعَ مرَّات ، فدسَّ إلى سعيدِ بن المسيَّب مَنْ سألَهُ عنها ، ففسَّرَها له بأنَّهُ يَلِي الخلافةَ مِنْ وَلَدِهِ أربعة ، فوقَعَ ذلك ، فكانَ هشامٌ آخِرَهُمْ ، وكان في خلافتِهِ حازمَ الرَّأي ، جَمَّاعاً للأموال يُبَخَّل ، وكان ذكيّاً مُدَبِّراً ، له بصَرٌ بالأمور جَلِيلِها وحَقيرِها ، وكان فيه حِلْمٌ وأَناة ، شتَمَ مرَّةً رجلاً من الأشرافِ فقال : أتشتُمُني وأنتَ خليفةُ اللهِ في الأرض !؟ فاستحيا وقال : اقتصَّ مِنِّي بدلَها - أو قال بمثلِها - قال : إذاً أكونُ سَفيهاً مثلَك . قال : فخذْ عِوَضاً منها . قال : لا أفعل . قال : فاتْرُكْها لله . قال : هي لله ، ثم لك . فقال هشامٌ عند ذلك : والله لا أعودُ إلى مثلِها .

وقال الأصمعي : أسمَعَ رجلٌ هشاماً كلاماً فقال له : أتقولُ لي مثل هذا وأنا خَلِيفتُك ؟!

وغَضِبَ مرَّةً على رجلٍ فقال له : اسكُتْ وإلَّا ضرَبْتُكَ سَوْطاً .

---

(١) ترجمته في تاريخ الطبري (٤/ ٢١٧) ، تاريخ اليعقوبي (٢/ ٣١٦) ، الكامل (٤/ ٣٧٠و٤٦٥) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٥١) ، تاريخ الخلفاء ص(٢٤٧) ، شذرات الذهب (١/ ١٦٣) .

وكان عليُّ بنُ الحسين قد اقترَضَ من مروان بنِ الحكم مالاً أربعةَ آلافِ دينار ، فلم يتعرَّضْ لَهُ أحَدٌ من بني مروان ، حتى استُخلف هشام ، فقال : ما فعَلَ حَقُّنا قِبَلَك ؟ قال : مَوْفورٌ مَشْكور . فقال : هو لك[١] .

وكان هشامٌ من أكرَهِ الناسِ لسَفْكِ الدماء ، ولقد دخلَ عليهِ من مَقْتَلِ زيدِ بن عليٍّ وابنه يحيى أمرٌ شديد وقال : وَدِدْتُ أني أفتديْتُهما [بجميع ما أملك] .

وقال المدائني عن رجلٍ من غَنِيٍّ[٢] عن بشر مولى هشام ، قال : أُتِيَ هشامٌ برجلٍ عندَهُ قِيَان وخَمْرٌ وبَرْبَط ، فقال : اكسِروا الطُّنْبُور على رأسه وقرنه ، فبَكَى الشيخ ، قال بشر : [فقلتُ له وأنا أُعَزِّيه : عليك بالصبر] فقال : أتُراني أبكي للضَّرْب ، إنما أبكي لاحتقارِك البربطَ حتى سمَّيْتَهُ طُنبوراً .

وأغلظ لهشامٍ رجلٌ يوماً في الكلام فقال : ليس لك أنْ تقولَ هذا لإمامك .

وتفقَّدَ أحدَ ولَدِهِ يومَ الجمعة ، فبعث إليه : ما لَكَ لم تشهدِ الجُمعة ؟ فقال : إنَّ بغلَتي عجزَتْ عني . فبعث إليه : أما كان يُمكِنكَ المشي ؟ وحرمَهُ[٣] أن يركبَ سنةً ، [وأن يشهدَ الجمعة ماشياً] .

وذكر المدائني أنَّ رجلاً أهدَى إلى هشام طيرَيْن ، فأتى بهما السفير إلى هشام وهو جالسٌ على سرير في وسطِ داره ، فقال له : أرسِلْهما في الدار . فأرسلهما ثم قال : جائزتي يا أميرَ المؤمنين فقال : ويحك ! وما جائزتُكَ على هديةِ طيرَيْن ؟ خُذْ أحدَهما ، فجعل الرجلُ يسعىَ خلفَ أحدِهما ، فقال : ويحك ! ما بالُك ؟ فقال : أختارُ أجودَهما . قال : وتختارُ أيضاً الجيِّدَ وتترُكُ الرديء ! ثم أمرَ له بأربعينَ أو خمسينَ درهماً . وذكر المدائني عن قحذم[٤] كاتب يوسف بن عمر ، قال : بعثني يوسفُ إلى هشام بياقوتةٍ حمراء ولؤلؤةٍ كانتا لرابعة[٥] جاريةِ خالد بن عبد الله القَسْري ، مُشْتَرَى الياقوتةِ ثلاثةٌ وسبعون ألف دينار ، قال : فدخلتُ عليه وهو على سريرٍ فَوْقَه فُرش ، لم أرَ رأسَهُ من عُلوِّ تلك الفُرش ، فأوردتها له ، فقال : كم زِنَتُها ؟ فقلت : إنَّ مثلَ هذهِ لا مِثْلَ لها . فسكت .

---

(١) وهذه زيادة مقحمة أيضاً وهي :
[قلتُ : هذا الكلامُ فيهِ نَظَر . وذلك أنَّ عليَّ بن الحسين مات سنةَ الفقهاء ، وهي سنةُ أربعٍ وتِسعينَ قبلَ أنْ يَلِيَ هشامٌ الخِلافة بإحدى عشرةَ سنة ، فإنه إنما وَلِيَ الخلافةَ سنةَ خمسٍ ومئة . فقَوْلُ المؤلف : إنَّ أحداً من خلفاءِ بني مروانَ لم يتعرَّضْ لِمُطالبة عليِّ بن الحسين حتى وَلِيَ هشام فطالب بالمال المذكور فيه نظر ، ولا يَصِحُّ لتقدُّمِ مَوْتِ عليٍّ على خلافةِ هشام . والله سبحانه وتعالى أعلم] .

(٢) في (ق) : « حي » وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) وتاريخ الطبري (٤/ ٢١٩) ، والخبر فيه وما بين معقوفين منه .

(٣) في (ق) : « ومنعه » ، والمثبت من (ب ، ح) .

(٤) في (ق) : « محرم » تصحيف والمثبت من (ب ، ح) وتاريخ الطبري (٤/ ٢٢١) والخبر فيه .

(٥) كذا في الأصول (ب ، ح ، ق) ، وفي تاريخ الطبري « لرائقة » .

قالوا : ورأى قوماً يَفْرُطُون الزيتون ، فقال : القطُوه لَقْطاً ولا تنفضوهُ نفضاً ، فتُفقأ عيونُه ، وتُكسرَ غصونُه .

وكان يقول : ثلاثةٌ لا يَضَعْنَ الشريف : تعاهُدُ الضَّيْعة[١] ، وإصلاحُ المعيشة ، وطلَبُ الحَقِّ وإنْ قلّ .

وقال أبو بكر الخرائطي : يُقالُ إن هشاماً لم يَقُلْ من الشعرِ سوَى هذا البيت :

إذا أنتَ لم تعصِ الهوَى قادَكَ الهوَى ... إلـى كُـلِّ مـا فيـهِ عليـكَ مَقَـالُ

وقد رُوِيَ له شعرٌ غيرُ هذا .

وقال المدائني عن ابن يسار[٢] الأعرجي ، حدثني ابنُ أبي بجيلة[٣] عن عقال بن شبة قال : دخلتُ على هشام وعليهِ قَبَاءُ فَنَكٍ[٤] أخضر ، فوجَّهَني إلى خراسان ، ثم جعل يُوصيني وأنا أنظُرُ إلى القباء ففَطِنَ فقال : ما لك ؟ قلتُ : عليك قَباءُ فَنَكٍ أخضر ، وكنتُ رأيتُ عليك مِثْلَهُ قبلَ أن تَلِيَ الخلافة ، فجعلتُ أتأمَّلُ هذا هو ذاك أمْ غيرُه ؟ قال : واللهِ الذي لا إله غيرُه هو ذاك ، مالي قَبَاءٌ غيرُه ، وما تَرَونَ مِنْ جَمْعِي لهذا المال وصَوْنهِ إلا لكم . قال عِقَال : وكان هشام مَحْشُوّاً عقلاً[٥] .

وقال عبدُ الله بن علي عَمُّ السَّفَّاح : جمعتُ دواوينَ بني أمية فلم أرَ أصلحَ للعامَّةِ والسُّلطانِ من ديوانِ هشام .

وقال المدائني عن غسان[٦] بن عبد الحميد : لم يكنْ أحَدٌ من بني مروانَ أشدَّ نَظَراً في أصحابِهِ ودواوينِه ولا أشدَّ مبالغةً في الفَحْصِ عنهم من هشام ! وهو الذي قتلَ غَيلانَ القَدَري ، ولما أُحضِرَ بين يديه قال له : وَيْحَك ! قُلْ ما عندَك ، إنْ كان حقّاً اتَّبَعْناه ، وإنْ كانَ باطلاً رجعتَ عنه . فناظرَهُ مَيمونُ بن مِهْران ، فقال لِمَيمون : أشاءَ اللهُ أنْ يُعْصَى ؟ فقال له ميمون : أفَعُصِيَ اللهُ كارهاً ؟ فسكتَ غَيلان ، فقَيَّدَهُ حينئذٍ هشامٌ وقتَلَه .

---

(١) في (ق) : « الصنيعة » والمثبت من (ب ، ح) .

(٢) كذا في الأصول (ب ، ح ، ق) ، وفي تاريخ الطبري « ابن وسنان » والخبر فيه (٤/٢١٨) وفي الكامل (٤/٤٦٥) .

(٣) كذا في (ق) ، وفي (ب ، ح) بمهملات لم يعجم منها سوى الجيم ، وفي تاريخ الطبري « نحيلة » .

(٤) الفَنَكُ : جلدٌ يُلْبَس ، معرَّب ، قال ابن دريد : لا أحسبه عربيّاً ، وقال كراع : الفَنَكُ دابه يُفْتَرى جلدُها أي يلبس جلدها فَرواً . لسان العرب (فنك) .

(٥) في (ق) : « بخلاً » ، والمثبت من(ب ، ح) .

(٦) في (ق) : « المدائني عن هشام بن عبد الحميد » والمثبت من (ب ، ح) .

وقال الأصمعي عن أبي الزِّناد ، عن منذر بن أبي ثَوْر ، قال : أَصَبْنا في خزائنِ هشام اثني عشرَ ألف قميص ، كلُّها قد أثر بها .

وشكى هشامٌ إلى أبيه ثلاثاً : إحداها أنه يَهابُ الصعودَ إلى المِنبر ، والثانية قِلَّةُ تناولِ الطعام ، والثالثة أنَّ عندَهُ في القصر مئةَ جاريةٍ من حسانِ النساء ، لا يكادُ يَصِلُ إلى واحدةٍ منهن . فكتب إليه أبوه : أمَّا صعودُكَ إلى المنبر فإذا علَوْتَ فوقَهُ فارم ببَصَرِكَ إلى مؤخَّرِ الناس ، فهو أهونُ عليك ، وأمَّا قِلَّةُ تناوُلِ الطعام فمُرِ الطبَّاخَ فَلْيُكْثِرِ الألوان ، فلعَلَّك أن تتناول من كلِّ لَوْنٍ لُقْمَةً ، وعليك بكلِّ بيضاءَ بَضَّة ، ذاتِ جَمالٍ وحُسْن .

وقال أبو عبد الله الشافعي : لما بَنَى هشامُ بن عبد الملك الرُّصَافةَ قال : أُحِبُّ أنْ أخلُوَ بِها يوماً لا يأتيني فيه خبَرُ غَمٍّ . فما انتصفَ النهار حتى أَتَتْهُ رِيشةُ دَمٍ من بعضِ الثُّغُور ، فقال : ولا يوماً واحداً ؟! .

وقد رُويتْ هذه الحِكاية من وَجْهٍ آخر لم يمكُثْ بعد ذلكَ إلّا شهراً واحداً .

وقال سفيان بن عُيينة : كان هشامٌ لا يُكتَبُ إليه بكتابٍ فيه ذكرُ الموت .

وقال أبو بكر بن أبي خَيْثَمة : حدثنا إبراهيم بن المنذر الحِزَامي ، حدثنا حُسين بن زيد ، عن شهاب بن عبد رَبِّه ، عن عمر بن علي ، قال : مشَيْتُ معَ محمدِ بن عليّ - يعني ابنَ الحسين بن علي بن أبي طالب - إلى دارِهِ عند الحمام ، فقلت له : إنَّهُ قد طالَ مُلكُ هشامٍ وسُلْطانُه ، وقد قَرُبَ من العشرين سنة ، وقد زَعَمَ الناسُ أنَّ سليمانَ سألَ ربَّهُ مُلكاً لا يَنبغي لأحدٍ من بعدِه ، فزعم الناسُ أنها العشرون . فقال : ما أدْري ما أحاديثُ الناس ، ولكنَّ أبي حدّثني عن أبيه ، عن عليٍّ ، عن النبيِّ ﷺ قال : « لَنْ يَعْمُرَ اللهُ مُلْكاً في أمَّةِ نبيٍّ مَضى قَبلَهُ ما بلَغَ ذلك النبيُّ من العُمر في أُمَّتِه ، فإن الله عمَّرَ نَبيَّهُ ﷺ ثلاثَ عشرةَ سنة بمكَّة ، وعشراً في المدينة » .

وقال أبو بكر بنُ أبي خَيْثمة : ليس حديثٌ فيه توقيتٌ غيرَ هذا ، قرأه يحيى بن مَعِين على كتابي فقال : منْ حدَّثك به ؟ فقلت : إبراهيم . فتلهَّف أنْ لا يكونَ سمعَه . وقد رواه ابنُ جرير في تاريخه[1] عن أحمد بن زهير ، عن إبراهيم بن المنذر الحِزَامي .

[وروى مسلم بن إبراهيم ، حدّثنا القاسم بن الفضل ، حدّثني عياد بن الْمَغْراء العَتَكي[2] عن عاصم بن المنذر بن الزبير ، حدّثني[3] عبدُ الله بن الزبير أنه سمع عليّاً يقول : هلاكُ مُلكِ بني أميةَ على رجلٍ أحول . يعني هشاماً][4] .

---

(١) في تاريخ الطبري (٤/ ٢٢١) ، وأخرجه أيضاً الحاكم في المستدرك (٣/ ٣) (٤٢٥٧) وإسناده ضعيف .

(٢) في (ق) : « عباد بن المعرا الفتكي » تصحيف ، والمثبت من لسان الميزان (٤/ ٣٨٩) في ترجمة عياد هذا ، والخبر فيه بالإسناد نفسه .

(٣) في (ق) : « عن عبد الله . . » والمثبت من لسان الميزان .

(٤) هذا الحديث محصور بين معقوفين من زيادات نسخة (ق) ، ليس في (ب ، ح) .

وروى أبو بكر بن أبي الدنيا عن عمر بن أبي معاذ النُّمَيري عن أبيه ، عن عمرِو بنِ كليع[١] عن سالم كاتبِ هشام بن عبد الملك ، قال : خرجَ علينا يوماً هشامٌ وعليه كآبةٌ وقد ظهر عليه الحُزْن ، فاستدعى الأبرشَ بنَ الوليد ، فجاءه فقال : يا أمير المؤمنين ، ما لي أراكَ هكذا ؟ فقال : ما لي لا أكونُ وقد زعم أهلُ العلم بالنجوم أني أموت إلى ثلاثٍ وثلاثينَ من يومي هذا ؟! قال : فكتَبْنا ذلك ، فلمّا كان آخرُ ليلةٍ من ذلك جاءني رسولُهُ في الليل يقول : أحضِرْ معك دواءً للذُّبْحَة . وكان قد أصابتْهُ قبلَ ذلك ، فاستعملَ منه فعُوفي فذهبتُ إليه ومعي ذلك الدواء ، فتناولَهُ وهو في وَجَعٍ شديد ، واستمرَّ فيه عامَّةَ الليل ، ثم قال : يا سالم ، اذهبْ إلى مَنْزلك ، فقد وجدتُ خِفَّةً ، وذرِ الدواءَ عِنْدي . فذهبتُ ، فما هو إلّا أنْ وصلتُ إلى منزلي حتى سمعتُ الصِّيَاحَ عليه ، فجئتُ فإذا هو قد مات .

ولما ماتَ جاءتِ الخَزنة ، فختموا على حواصله ، وأرادوا تسخينَ الماء ، فلم يقدِروا له على قُمْقُم[٢] حتى استعاروا له . وكان نقشُ خاتمِه الحكمُ للحَكَمِ الحَكيم . وكانتْ وفاتُه بالرُّصَافة يومَ الأربعاء ، لِستٍّ بَقِينَ من ربيعِ الآخِرِ سنةَ خمسٍ وعِشرين ومئة ، وهو ابنُ بِضْعٍ وخمسين سنة . وقيل : إنه جاوزَ الستين ، وصلَّى عليه الوليدُ بن يَزيد بن عبد الملك ، الذي وَلي الخلافةَ بعدَه ؛ وكانتْ خلافةُ هشام تسعَ عشرةَ سنة ، وسبعةَ أشهر وأحدَ عشرَ يوماً ؛ وقيل : وثمانية أشهر وأيام ، فالله أعلم .

وقال ابنُ أبي فُدَيك : حدّثنا عبد الملك بن زيد ، عن مُصْعب ، عن الزُّهْري ، عن أبي سَلَمَة بنِ عبدِ الرحمن ، عن أبيه ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « تُرْفَعُ زينةُ الدُّنيا سنةَ خمسٍ وعِشرينَ ومئة »[٣] . قال ابنُ أبي فُديك : زِينتُها نورُ الإسلامِ وبَهْجتُه . وقال غيرُه : يعني الرجالَ . والله أعلم .

قلت : لما مات هشامُ [بن عبدِ الملك ماتَ ملكُ بني أميةَ] وتولَّى ، [وأدبرَ أمرُ الجِهادِ في سبيلِ الله] ، واضطرَبَ أمرُهُمْ جدّاً وإنْ كانتْ قد تأخرَتْ أيامُهم بعدَهُ نحواً من سبعِ سنين ، ولكنْ في اختلافٍ وهَيْجٍ ، وما زالوا كذلك حتى خرجَتْ عليهم بنو العباس فاستلبوهم [نعمتَهم و] مُلْكَهم [وقتلوا منهم خَلْقاً وسَلَبوهُمْ] الخِلافة[٤] [كما سيأتي إنْ شاء الله تعالى ذلك مبسوطاً مقدَّراً في مواضع ، والله سبحانه وتعالى أعلم][٥] .

نهاية الجزء التاسع من نسخة القاهرة (ق)

---

(١) كذا في الأصول ، وتاريخ الطبري ، ولم أقف على ترجمة له .

(٢) في (ب ، ق) : « فحم » ، والمثبت من (ح) .

(٣) تقدم ذكر الحديث ص (٢٠٦) ، وتخريجه ثمة .

(٤) في (ب ، ح) : « خلافتهم » . وكل ما هو محصور بين معقوفين زيادة في (ق) ليس في (ب ، ح) .

(٥) جاء في نهاية هذا الجزء من نسخة (ق) المطبعة ما نصه : « بحمد الله قد تم الجزء التاسع من البداية والنهاية ويليه الجزء العاشر وأوله خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك » .

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك(١)

قال الواقدي والمدائني : بُويع له بالخلافةِ يومَ ماتَ عمُّهُ هشام بن عبد الملك يوم الأربعاء لستٍّ خلَوْنَ من ربيعِ الآخر سنةَ خمسٍ وعشرينَ ومئة .

وقال هشام بن الكلبي : بُويع له يومَ السبت في ربيع الآخر ، وكان عُمرُه إذْ ذاكَ أربعاً وثلاثين سنة ، وكان سببُ ولايتِهِ أنَّ أباه يَزيد بن عبد الملك كان قد جعلَ الأمرَ من بعدِهِ لأخيه هشام ، ثم من بعدِهِ لولَدِهِ الوليد هذا ، فلمَّا وَلِيَ هشامٌ أكرمَ ابنَ أخيه الوليد حتى ظهرَ عليه أمرُ الشراب وخُلَطَاءِ السَّوْءِ(٢) ، ومجالسِ اللَّهْو ، فأراد هشامٌ أنْ يقطعَ ذلك عنه ، فأمَّره على الحجِّ سنةَ ستَّ عشرةَ ومئة ، فأخذَ معهُ كلابَ الصَّيد خُفْيَةً من عمِّه ، حتى يُقال إنه جعلَها في صناديق ، فسقطَ منها صندوقٌ فيه كلب ، فسُمِع صَوْت ، فأحالوا ذلك على الجمَّال فضُرب على ذلك . قالوا : واصطنَعَ الوليدُ قُبَّةً على قَدْر الكعبة ، ومن عزمه أن ينصبَها فوقها ، ويجلس هو وأصحابُه هنالك ، واستصحَبَ معه الخمورَ [وآلاتِ الملاهي] وغيرَ ذلك من المنكرات ، فلما وصل إلى مكة هابَ أنْ يفعلَ ما كان قد عزمَ عليه من الجلوسِ فوقَ ظهرِ الكعبة خوفاً من الناس ومن إنكارِهم عليه ذلك ؛ فلما تحقَّق عمُّهُ ذلك منه نهاهُ مِراراً فلم ينتهِ ، واستمرَّ على حاله القبيحة ، وعلى فعلهِ الرَّديء ، فعزَم عمُّه على خَلْعِهِ من الخِلافة ـ [وليتَهُ فعَل] ـ وأنْ يولِّيَ بعدَه مَسْلمة بن هشام ، وأجابَهُ إلى ذلك جماعةٌ من الأمراء ، ومنْ أخوالِهِ ، ومن أهلِ المدينة ومن غيرِهم ـ وليتَ ذلك تمَّ ـ ولكنْ لم ينتظِمْ حتى قال هشامٌ يوماً للوليد : ويحك ! واللهِ ما أدري أَعَلى الإسلام أنتَ أم لا ؟ فإنك لم تدعْ شيئاً من المنكراتِ إلَّا أتَيْتَه ، غيرَ مُتحاشٍ ولا مُستَتِر . فكتبَ إليه الوليدُ بن يزيد :

يـا أيُّهـا السـائـلُ عـن دِينِنـا ... ديني علـى ديـنِ أبـي شـاكِـرِ
نشْـرَبُهـا صِـرْفـاً وممـزوجـةً ... بـالسُّخْـنِ أحيـانـاً وبـالفـاتـرِ

---

(١) ترجمته في تاريخ اليعقوبي (٢/ ٣٣١) ، تاريخ الطبري (٤/ ٢٢٢) ، مروج الذهب (٢/ ١٤٥) ، الأغاني (٧/ ٩٥١) ، الكامل لابن الأثير (٥/ ٢٦٤) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٧٠) ، تاريخ الإسلام (٥/ ١٧٣ ، ١٧٩) ، تاريخ ابن خلدون (٣/ ١٠٦) ، الوزراء والكتاب ص(٦٨) ، تاريخ الخميس (٢/ ٣٢٠) ، خزانة الأدب (١/ ٣٢٨) . وانظر ترجمته في هذا الكتاب ما سيأتي ص(٢١٦) في مطلع حوادث سنة ست وعشرين ومئة ، وفيها نبأ مقتله .

(٢) في (ب ، ح) : « والخلطاء » من غير كلمة « السوء » ، والمثبت من (ق) .

فغَضِبَ هشام على ابنِه مَسْلَمة ، وكان يُكنَى بأبي شاكر ، وقال له : يتشبَّهُ بكَ الوليد بن يزيد وأنا أرتَجيكَ للخلافة . وبعثَهُ على المَوْسم سنةَ تسعَ عشرةَ ومئة ، فأظهر النُّسُكَ والوَقَار ، وقسم بمكة والمدينة أموالًا ، فقال مولًى لأهلِ المدينة :

يـا أيهـا السـائـلُ عـن ديننـا   نحـنُ علـى ديـنِ أبـي شـاكِـرِ
الـواهـبِ الجُـرْدَ بـأرسَـانِهـا   لـيس بـزنْـديـقٍ ولا كـافِـرِ[1]

ووقعَتْ بين هشامٍ وبينَ الوليد بن يزيدَ وَحْشةٌ عظيمةٌ بسببِ تَعَاطي الوليدِ ما كانَ يَتعاطاهُ من الفواحِشِ والمنكرات ، فتنكَّرَ له هشامٌ وعزَمَ على خلْعِه وتوليةِ ولدِهِ مَسْلَمة ولايةَ العَهْد ؛ ففرَّ منهُ الوليدُ إلى الصحراء ، وجعلا يتراسلانِ بأقبحِ المراسلات ، وجعل هشامٌ يتوعَّده وعيداً شديداً ، ويتهدَّده ، ولم يزل كذلك حتى مات هشام والوليدُ في البرِّيَّة ، فلما كانتِ الليلةُ التي قدِمَ في صَبيحتِها عليه البُرُدُ بالخِلافة قَلِقَ الوليدُ تلك الليلةَ قلقاً شديداً وقال لبعض أصحابه : ويحك قد أخذَني الليلةَ قلقٌ عظيم ، فارْكَبْ بنا لعلَّنا ننشَط ، فسارَ مقدارَ ميلَيْن يتكلَّمانِ في هشام وما يتعلَّقُ بهِ من كُتبه إليه بالتهديدِ والوَعيد ، ثم رأيا من بُعْدٍ رَهَجاً وأصواتاً وَغُباراً ، ثم انكشف ذلك عن بُرُدٍ يَقْصدونَهُ بالولاية ، فقال لصاحبه : ويحك ، إنَّ هذه رُسُلُ هشام ؛ اللهمَّ أعطنا خيرها . فلما اقتربتِ البُرُدُ منه وتَبيَّنُوهُ ترجَّلُوا إلى الأرض ، وجاؤوا فسلَّموا عليه بالخِلافة ، فبُهتَ وقال : وَيْحكم ! أماتَ هشام ؟ قالوا : نعم . قال : فمنْ بعثَكُمْ ؟ قالوا : سالم بن عبد الرحمن صاحبُ ديوانِ الرسائل . وأعطَوْهُ الكتاب ؛ فقرأه ثم سألهم عن أحوالِ الناس ، وكيف مات عمُّه هشام ؟ فأخبروه ، فكتبَ من فَوْرِهِ بالاحتياطِ على أموالِ هشامٍ وحَوَاصِلِه بالرُّصَافة ، وقال في ذلك :

ليتَ هشامـاً عـاش حتى يرَى   مكيـالَـهُ الأوفـرَ قـد ضُيِّعـا[2]
كِلْنـاهُ بـالصَّـاع الـذي كـالَـهُ   ومـا ظلَمْنـاهُ بـهِ إصبعـا
ومـا أتينـا ذاك عـن بـدْعـةٍ   أحلَّـهُ الفُـرْقـانُ لـي أجمَعَـا[3]

[وقد كان الزهري يَحُثُّ هشاماً على خَلْعِ الوليد هذا ويستنهِضُهُ في ذلك ، فيُحجمُ هشام عن ذلك خَوْفَ الفَضيحةِ من الناس ، ولئلا تتنكَّر قلوبُ الأجنادِ من أجلِ ذلك . وكان الوليدُ يفهمُ ذلك من الزُّهري ويُبْغضُه ويتوعَّدهُ ويتهدَّدُه ، فيقول له الزهري : ما كانَ اللهُ ليُسلِّطَكَ عليَّ يا فاسق . ثم ماتَ الزهريُّ قبلَ ولايةِ الوليد ؛ ثم فرَّ الوليدُ من عمِّه إلى البرِّيَّة ، فلم يزَلْ بها حتى مات ، فاحتاطَ على أموالِ عمِّه ثم ركب من فَوْرِهِ من البرِّيَّة ، وقصَدَ دمشق ، واستعملَ العُمَّال ، وجاءَتْهُ البيعةُ من الآفاق ، وجاءَتْهُ الوفود ، وكتب

---

(١) الخبر والأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ٢٢٢) .
(٢) في (ق) وتاريخ الطبري : « قد طبعا » والمثبت من (ب ، ح) .
(٣) انظر الخبر والأبيات تاريخ الطبري (٤/ ٢٢٥ ، ٢٢٦) .

إليه مروانُ بن محمد ، وهو إذ ذاك نائبُ إرْمينية يُبارِكُ له في خلافةِ الله له على عبادِه ، والتمكينِ في بلاده ، ويهنّئه بموتِ هشام ، وظفَرِه به ، والتحكُّم في أمواله وحواصله ، ويذكر له أنه جدَّد البيعةَ له في بلاده ، وأنَّهم فرحوا واستبشروا بذلك ، ولولا خوفُهُ من الثَّغْر لاستنابَ عليه ورَكِبَ بنفسِهِ شوقاً إلى رؤيته ، ورغبةً في مُشَافَهتِه ، ثم إنَّ الوليدَ سارَ في الناسِ سيرةً حسنةً في بادىءِ الأمر ، وأعطَى الزَّمْنى والمَجْذومين والعُمْيان ، لكلِّ إنسانٍ خادماً ، وأخرج من بيتِ المال الطِّيبَ والتُّحَف لعيالات المسلمين ، وزادَ في أُعطِيَاتِ الناس ، ولاسيما أهل الشام والوفود ، وكان كريماً مُمَدَّحاً شاعراً مُجيداً ، لا يُسألُ شيئاً قَطُّ فيقول لا ، ومن شعرِهِ قولُه يَمْدحُ نفسَه بالكرم :

ضَمِنْتُ لكم إنْ لم تُعِقْني عوائقٌ ... بأنَّ سماءَ الضُّرِّ عنكم سَتُقْلِعُ

سيوشكُ إلحاقٌ معاً وزيادةٌ ... وأُعطيةٌ منِّي إليكم تَبَرُّعُ[1]

مُحَرَّمُكم ديوانُكم وعَطَاؤكم ... به يكتب الكُتَّاب شهراً وتَطْبَعُ[2]

وفي هذه السنة عقد الوليدُ البيعةَ لابنهِ الحكَم ، ثم عثمان على أنْ يكونا وليَّي العَهْدِ من بعدِه ، وبعثَ البيعة إلى يوسف بن عمر أميرِ العراق وخُراسان ، فأرسلها إلى نائبِ خراسان نصرِ بنِ سيَّار ، فخطَبَ بذلك نصرٌ خُطبةً عظيمةً بليغةً طويلة ، ساقها ابنُ جريرٍ بكمالِها[3] ، واستُوثِقَ للوليد الممالك في المشارِق والمغَارب ، وأُخذتِ البيعةُ لولديهِ من بعدهِ في الآفاق . وكتب الوليدُ إلى نصرِ بن سيار بالاستقلال بولايةِ خُراسان ، ثم وفد يوسف بن عمر على الوليد ، فسأله أن يردَّ إليه ولايةَ خُراسان ، فردَّها إليه كما كانتْ في أيامِ هشام ، وأن يكون نصرُ بن سيَّار وعُمَّاله من تحتِ يدِ يوسف بن عمر . فكتب عند ذلك يوسفُ بن عمر إلى نصرِ بن سَيَّار يَسْتوفِدُهُ إلى أميرِ المؤمنين بأهلِهِ وعِيَالهِ ، وأنْ يُكثِرَ من استصحابِ الهدايا والتُّحف ؛ فحمَلَ نصرُ بن سيَّار ألفَ مملوكٍ على الخيل ، وألفَ وَصيفة ، وشيئاً كثيراً من أباريقِ الفِضَّةِ والذهب وغيرِ ذلكَ من التُّحَف . وكتب إليه الوليدُ يَسْتَحِثُّهُ سريعاً ، ويطلبُ منه أن يحمِلَ معه طنابيرَ وبَرَابط ومُغنِّيات ، وبازات وبَرَاذين فُرْه ، وغير ذلكَ من آلاتِ الطَّرَب والفِسْق . فكرِه الناسُ ذلك منه ، وكَرِهوه ، وقال المنجِّمون لنصرِ بن سيار : إنَّ الفتنة قريباً ستقعُ بالشام ، فجعلَ يتثاقلُ في سيرِه ، فلما أنْ كانَ ببعضِ الطريق جاءَتْهُ البُرُد ، فأخبرُوهُ بأنَّ الخليفةَ الوليد قد قُتل ، وهاجَتْ فتنةٌ عظيمةٌ في الناسِ بالشام ، فعَدَلَ بمَا معَهُ من الهدايا والتحف والحواصل إلى بعضِ المُدُنِ فأقامَ بها ، وبلَغَهُ أنَّ يوسفَ بن عمر قد هرَبَ من العراق ، واضطرَبَتِ الأمور ، وذلك بسببِ قَتْلِ الخليفة على ما سنذكره ، وبالله المستعان .

---

(١) في (ب ، ح) : « تفرّع » ، والمثبت من (ق) .

(٢) الخبر والأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ٢٢٧) ، والأغاني (٧/ ٢٨) على خلاف في بعض الألفاظ .

(٣) انظر تاريخ الطبري (٤/ ٢٢٧) وما بعدها .

وفي هذه السنة ولَّى الوليدُ يوسفَ بن محمد بن يوسف الثقفي ولايةَ المدينةِ ومكةَ والطائف ، وأمرَهُ أنْ يُقيمَ إبراهيم ومحمداً ابني هشام بن إسماعيل المخزومي بالمدينة مُهانَيْن ، لكونِهما خالَيْ هشام ، ثم يبعثُ بهما إلى يوسُفَ بنِ عُمر نائب العراق ، فبعثهما إليه ، فما زالَ يعذِّبُهما حتى ماتا ، وأخذ منهما أموالاً كثيرة .

وفي هذه السنة وُلِّي يوسفُ بن محمد بن يحيى بن سعيد الأنصاري قضاءَ المدينة .

وفيها بعث الوليدُ بن يزيد إلى أهلِ قُبْرُصَ جيشاً مع أخيه وقال : خيِّرْهُمْ ، فمنْ شاءَ أنْ يتحوَّلَ إلى الشام ، ومنْ شاء أنْ يتحوَّل إلى الرُّوم . فكان منهم منِ اختارَ جِوَارَ المسلمين بالشام ، ومنهم من انتقلَ إلى بلادِ الرُّوم .

قال ابنُ جرير[1] : وفيها قَدِم سُليمان بن كثير ، ومالك بن الهيثم ، ولاهز بن قريظ ، وقَحْطبةُ بنُ شبيب مكة ، فلقُوا في قولِ أهلِ السِّيَر محمدَ بن علي فأخبرَهُ بقصةِ أبي مسلم ، فقال : أحُرٌّ هوَ أم لا ؟ فقالوا : أمَّا هو فيزعُمُ أنَّهُ حُرّ ، وأمَّا مولاه فيزعمُ أنه عبدُه ، فاشتروهُ فأعتقوه ، ودفعوا إلى محمد بن علي مئتي ألفِ درهم ، وكسوة بثلاثين ألفاً ، وقال لهم : لعلَّكم لا تلْقَوني بعدَ عامِكم هذا ، فإنْ متُّ فإنَّ صاحبَكمْ إبراهيمُ بن محمد ـ يعني ابنه ـ فإنِّي أثقُ به ، فأوصيكم به . وماتَ محمد بن علي في مُستهلِّ ذي القَعْدة في هذه السنة ، بعد أبيهِ بسبعِ سنين .

وفيها قُتل يحيى بن يزيد بن علي بخراسان . وحجَّ بالناس فيها يوسفُ بن محمد الثقفي أميرُ مكةَ والمدينةِ والطائفِ ، وأميرُ العراق يوسف بن عمر ، وأميرُ خراسان نَصْرُ بن سيَّار ، وهو في همَّةِ الوفودِ إلى الوليد بن يزيد أميرِ المؤمنين بما معهُ من الهدايا والتُّحف ؛ فقُتل الوليدُ قبل أن يجتمعَ به .

ومِمَّن تُوفِّي فيها من الأعيان :

محمد بن علي[2] بنِ عبدِ الله بن عباس بن عبد المطلب ، القرشي الهاشمي ، أبو عبد الله المدني ، وهو أبو السفَّاح والمنصور . روى عن أبيه ، وجدِّه ، وسعيد بن جُبير ، وجماعة . وحدث عنه جماعةٌ منهمُ ابناه الخَلِيفتان أبو العباس عبد الله السفَّاح ، وأبو جعفر عبد الله المنصور . وقد كان عبدُ الله بن محمد بن الحنَفيَّة أوصى إليهِ بالأمرِ من بعدِه ، وكان عنده علمٌ بالأخبار ، فبشَّرَهُ بأنَّ الخلافةَ ستكونُ في

(١) هو الطبري في تاريخه (٤/ ٢٣٢) .

(٢) ترجمته في التاريخ الكبير (١/ ١٨٣) ، ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم للدارقطني (٢/ ٢٢٩) ، تسمية من أخرج لهم البخاري ومسلم للحاكم ص(٢٢٢) ، التعديل والتجريح للباجي (٢/ ٦٦٨) ، تهذيب الكمال (٢٦/ ١٥٣) ، جامع التحصيل لأبي سعيد العلائي ص(٢٦٧) ، الكاشف (٢/ ٢٠٤) ، تقريب التهذيب ص(٤٩٧) .

وَلَدك . فدعَا إلى نفسِه في سنةٍ سبعٍ وثمانين ، ولم يزلْ أمرُهُ يتزايدُ حتى تُوفِّي في هذه السنة ، وقيل في التي قَبْلها ، وقيل في التي بعدَها ، عن ثلاثٍ وستينَ سنة ؛ وكان من أحسنِ الناسِ شَكْلاً ، فأوصى بالأمرِ من بعدِهِ لولَدِهِ إبراهيم ، فما أُبْرِمَ الأمرُ إلَّا لوَلَدِهِ السفَّاح ، فاستلبَ من بني أمية الأمرَ في سنةِ ثنتين وثلاثين كما سيأتي تفصيلُ ذلك .

وأمَّا : يحيى بن زَيْد[١] بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فإنَّهُ لمَّا قُتل أبوهُ زَيْد في إحدى وعشرين ومئة لم يزَلْ يحيى مُختفياً في خُراسان عند الحَريشِ بنِ عمرو بن داود بِبَلْخ ، حتى مات هشام ، فكتب عند ذلك يوسف بن عمر إلى نَصْر بن سيَّار يُخبرُه بأمرِ يحيى بن زيد ، فكتب نصرٌ بن سيار إلى نائب بَلْخٍ مع عقيل بن معقل العِجْلي ، فأحضر الحريش ، فعاقبه ستَّ مئةِ سوْط ، فلم يَدُلَّ عليه ، وجاء ولَدُ الحريش ، فدلَّهم عليه ، فحُبس ، فكَتَبَ نصرُ بن سيار إلى يوسفَ بذلك ، فبعث يوسفُ إلى الوليد بن يَزيد يُخبرُهُ بذلك ، فكتب الوليد إلى نصرِ بنِ سيَّار يأمرُه بأمانهِ وإطلاقِهِ من السِّجن ، صُحْبَةَ أصحابِهِ وتَجهيزهِم إليه ، فأطلقهم وأطلق لهم وجهَّزَهم ، فساروا إلى دمشق ، فلمّا كانوا ببعض الطريق توهَّمَ نصرٌ منه غَدْراً ، فبعث إليه جيشاً فيه عشرة آلاف ، فكسَرَهم يحيى بن زيد ، وإنما معه سبعون رجلاً ، وقتل أميرَهم ، واستلَبَ منهم أموالاً كثيرة ؛ ثم جاءَهُ جيشٌ آخر ، فقتلوه واحتزُّوا رأسَه ، وقتلوا جميعَ أصحابِهِ رَحِمَهم الله .

ثم دخلت سنة ست وعشرين ومئة

فيها كان مَقْتلُ الوليدِ بنِ يزيد بن عبد الملك وهذه ترجمته[٢] :

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، أبو العباس الأموي الدِّمَشْقي ، أمير المؤمنين ، بُويع لهُ بالخلافة بعدَ عمِّهِ هشام بن عبد الملك في السنة الخالية بعهدٍ من أبيه كما قدَّمْنا ، وأمُّه أمُّ الحجَّاج بنتُ محمد بن يوسف الثقفي ، وكان مولدُهُ سنةَ تسعين ، وقيل ثنتين وتسعين ، وقيل سبع وثمانين . وقُتل يومَ الخميس لليلَتيْنِ بقيتا من جُمَادى الآخرة ، سنةَ ستٍّ وعِشرين ومئة ، ووقعَتْ بسَببِ ذلك فتنةٌ عظيمةٌ بين الناسِ بسببِ قَتْله وهو خليفة ، وإنما قُتل لِفسْقِه ، وقيل وزَنْدَقتِه ، وقد قال الإمام أحمد : حدّثنا أبو المغيرة ، حدّثنا ابنُ عيَّاش حدّثني الأوزاعي وغيرُه ، عن

---

(١) تحرف في الأصول إلى « يحيى بن يزيد » ، والمثبت من مصادر ترجمته وهي : تاريخ الطبري (٤/ ٢٣٢) ، البداء والتاريخ (٦/ ٥٢) ، الكامل في التاريخ لابن الأثير (٤/ ٤٧١) ، وفيات الأعيان (٥/ ١٢٣) ، المنتظم (٧/ ٢٤٣) .

(٢) انظر مصادر ترجمته في حاشية (١) ص(٢١٢) .

الزهري ، عن سعيد بن المسيِّب ، عن عمرَ بنِ الخطاب ، قال : وُلِدَ لأخي أُمِّ سلمة ، زوجِ النبيِّ ﷺ غلامٌ فسمَّوْهُ الوليدَ ، فقال النبيُّ ﷺ : « سَمَّيْتُموهُ باسمِ فرَاعِنَتِكُم[1] ! لَيكونَنَّ في هذه الأمةِ رجلٌ يُقالُ له الوليد ، لهُوَ أشدُّ فساداً لهذِهِ الأمةِ من فِرْعونَ لِقومِه »[2] .

قال الحافظ ابنُ عساكر : وقد رواه الوليد بن مسلم ومَعقِل بن زياد ، ومحمد بن كثير ، وبشر بن أبي بكر عن الأوزاعي ، فلم يذكروا عمر في إسناده وأرسلوه ، ولم يذكر ابنُ كثير سعيدَ بن المسيِّب ، ثم ساق طُرُقَه هذه كلَّها بأسانيدها وألفاظِها ، وحُكي عن البيهقي أنه قال : هو مُرْسلٌ حسن ، ثم ساقَ من طريق محمد بن إسحاق ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن زينب بنت أم سلمة عن أمها قالتْ : دخل عليَّ النبيُّ وعندي غلامٌ من آلِ المغيرة اسمُه الوليد . فقال : منْ هذا يا أمَّ سَلَمة ؟ قالت : هذا الوليد . فقال النبيُّ ﷺ : « وقد اتخذتمُ الوليدَ حناناً ! غَيِّروا اسْمهُ ، فإنه سيكونُ في هذه الأمة فِرْعونٌ يُقالُ له الوليد »[3] .

وروى الحافظُ ابنُ عساكر من حديث عبدِ الله بن محمد بن مسلم ، حدّثنا محمد بن غالب الأنطاكي ، حدّثنا محمد بن سليمان بن أبي داود ، حدّثنا صدقة ، عن هشام بن الغاز ، عن مكحول ، عن أبي ثعلبةَ الخُشَني ، عن أبي عبيدة بن الجرَّاح ، عن النبيِّ ﷺ قال : « لا يزالُ هذا الأمرُ قائماً بالقِسْط ، حتى يَثْلُمَهُ رجلٌ من بني أميَّة »[4] .

صفة مقتله وزوال دولته :

كان هذا الرجل مجاهراً بالفواحش ، مُصرّاً عليها ، منتهكاً مَحارمَ الله [عزَّ وجلَّ ، لا يَتَحاشى من مَعْصية] ، وربما اتَّهمه بعضُهم بالزَّنْدقةِ والانحلال [من الدِّين][5] ، فالله أعلم ، لكنَّ الذي يظهر أنَّهُ كان

(١) لأنَّ اسم فرعون موسى الوليد ، المنتظم (٧/ ٢٤١) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٨) ؛ وإسناده ضعيف . وأخرجه الدارقطني في العلل (٢/ ١٥٩) (١٨٦) . وذكره ابن حجر في القول المسدد ص(٦) وقال : أورده أبو حاتم بن حبان البستي في تاريخ الضعفاء في ترجمة إسماعيل بن عياش وقال : هذا خبر باطل ، ما قال رسول الله ﷺ هذا ، ولا رواه عمر ، ولا حدث به سعيد ، ولا الزهري ، ولا هو من حديث الأوزاعي بهذا الإسناد ، وإسماعيل بن عياش لما كَبِر تغيَّر حفظه فكثر الخطأ في حديثه وهو لا يعلم . وقد أورده ابن الجوزي في موضعين من كتابه الموضوعات وقال : لعل هذا قد أدخل على ابن عياش لما كبر ، أو رواه وهو مختلط انتهى .

(٣) ذكره ابن حجر في فتح الباري (١٠/ ٥٨٠ ، ٥٨١) ، والقول المسدد ص(١٥) ، وإسناده ضعيف .

(٤) أخرجه أبو بكر البزار في مسنده (٤/ ١٠٩) (١٢٨٤) ؛ ونعيم بن حماد في الفتن (١/ ٢٨٠) (٨١٧) ؛ وأبو يعلى في مسنده (٢/ ١٧٦) (٨٧٠) وإسناده ضعيف ورواه أيضاً فيه (٢/ ١٧٦) (٨٧١) وفي آخره قوله : « يقال له يزيد » ؛ وأخرجه عبد الكريم بن محمد القزويني الرافعي في التدوين في أخبار قزوين (١/ ٤٧٥) ، وهو حديث ضعيف .

(٥) ما مرَّ بين معقوفين ليس في (ب ، ح) وهو في (ق) .

عاصياً ، شاعراً ماجناً ، متعاطياً للمَعَاصي لا يتحاشى بها من أحد ولا يَسْتحي من أحد قبلَ أنْ يَلي الخلافة ، وبعدَ أنْ وَلي ، وقد رُوي أنَّ أخاهُ سليمان كان في جملةِ منْ سَعَى في قتلِه ؛ قال : أشهدُ بعدالةِ أنه كان شَروباً للخمر ، ماجناً ، فاسقاً ، ولقد أرادني على نفسي الفاسق .

وحكى المعافَى بنُ زكريا عن ابنِ دُريد ، عن أبي حاتم ، عن العُتْبِيّ ، أنَّ الوليدَ بن يزيد نظَرَ إلى نصرانيّةٍ من حِسَان نساءِ النصارى ، اسمها سفرَى ، فأحبَّها ، فبعث يُراوِدُها عن نفسها ، فأبتْ عليه ، فألحَّ عليها وعَشِقها ، فلم تطاوِعْه ، فاتفق اجتماعُ النصارى في بعضِ كنائسهم لعيدٍ لهم ، فذهبَ الوليدُ إلى بستانٍ هناك ، فتنكَّرَ وأظهرَ أنه مُصَاب ، فخرج النساءُ من الكنيسةِ إلى البستان ، فرأينَهُ ، فأحدقنَ به ، فجعل يكلِّمُ سفرَى ويُحادِثُها[1] وتُضاحِكُهُ ولا تَعرِفُه ، حتى اشتفَى من النظرِ إليها ، فلما انصرفَتْ قيل لها : ويحكِ ! أتدرينَ منْ هذا الرجل ؟ فقالت : لا . فقيل لها : هو الوليد . فلمَّا تحقَّقتْ ذلك حنَّتْ عليه بعد ذلك وكانتْ عليه أحرصَ منه عليها قبلَ أن تحنَّ عليه ، فقال الوليد في ذلك أبياتاً :

أَضْحِكَ فؤادَكَ يا وليدُ عَمِيدا ... صبّاً قديماً للحسانِ صَيُودا

في حُبِّ واضحةِ العوارِضِ طَفْلَةٍ ... بَرَزَتْ لنا نحوَ الكنيسةِ عِيدا

ما زلتُ أرمُقُها بعينَيْ وامِقٍ ... حتى بَصُرْتُ بها تُقبِّلُ عُودا

عودَ الصليبِ فَوَيْحَ نفسي منْ رَأى ... منكمْ صَليباً مثلَهُ مَعْبُودا

فسألتُ رَبِّي أنْ أكونَ مكانَهُ ... وأكونَ في لَهَبِ الجَحيمِ وَقُودا

وقال فيها أيضاً لما ظهرَ أمرُهُ وَعَلِمَ بحالِهِ الناس ، وقيل إنَّ هذا وقعَ قبلَ أنْ يَليَ الخِلافة :

ألا حبذا سَفْرَى وإنْ قيلَ إنَّني ... كَلِفْتُ بنَصْرانيَّةٍ تشربُ الخَمْرا

يَهُونُ علينا أنْ نظلَّ نَهارَنا ... إلى الليلِ لا ظُهْراً نُصلِّي ولا عَصْرا

قال القاضي أبو الفرَج المعافَى بن زكريَّا الجَريري المعروف بابن طَرَارَةَ[2] النَّهْرَواني ثم البغدادي ، بعد إيرادِهِ هذه الأشياءَ للوليد في نحوِ هذا من الخَلاعةِ والمجون ، وسَخَافةِ الدِّين ، وما يطولُ ذكرُه . وقد ناقضْناهُ في أشياء منْ منظومِ شعرِهِ المتضمِّن رَكِيكَ ضلالِهِ وكُفره .

وروى ابنُ عساكرَ بسندِه ، أنَّ الوليد سمع بخمَّارٍ صَلِفٍ[3] بالحِيرة ، فقصَدهُ حتى شرب منه ثلاثةَ

---

(١) في (ح) : « ويمازحها » .

(٢) في الأصول : « طرار » تصحيف ، ومنهم من يثبت ألفاً بدلَ الهاء هكذا : « طرارا » ، والمثبت من تكملة الإكمال لمحمد بن عبد الغني البغدادي (٤/ ١٧) ، والمؤتلف والمختلف (١/ ٤٦) .

(٣) الصَّلَفُ : مُجاوزةُ القَدْر في الظَّرْف والبراعة ، والادِّعاءُ فوق ذلك تكبُّراً ، صَلِفَ صَلَفاً ، فهو صَلِف . لسان العرب (صلف) .

أرْطالٍ من الخَمْر وهو راكبٌ على فرَسِه ، ومعه اثنانِ من أصحابِه ، فلما انصرف أمَرَ للخَمَّار بخمس مئةِ دينار .

وقال القاضي أبو الفرج : أخبارُ الوليدِ كثيرة ، قد جمعَها الأخباريُّون مجموعةً ومُفْرَدَة ؛ وقد جمعتُ شيئاً من سيرَتِه وآثارِه ، ومن شعرِه الذي ضمَّنَه ما فَجَرَ به من جُرْأتِهِ وسَفَاهتِه وحُمْقِه ، وهَزْلِه ومُجُونِه ، وسخافةِ دينه ، وما صرَّح به من الإلحاد في القرآنِ العزيزِ والكُفْرِ بمنْ أنزلَهُ وأُنزلَ عليه ؛ وقد عارضتُ شعرَهُ السخيفَ بشعرٍ حَصِيف ، وباطلهُ بحَقٍّ نَبيهٍ شَرِيف ، وتوَخَّيتُ رضاءَ الله عزَّ وجلَّ ، واستيجابَ مغفرتِه .

وقال أبو بكر بن أبي خَيْثمة : حدّثنا سليمان بن أبي شيخ ، حدّثنا صالح بن سليمان ، قال : أرادَ الوليدُ بن يزيد الحجَّ وقال : أشربُ فوقَ ظهرِ الكعبةِ الخَمْر . فهمَّ قومٌ أنْ يَفْتكُوا بِهِ إذا خرج ، فجاؤوا إلى خالدِ بن عبدِ الله القَسْري ، فسألوهُ أنْ يكونَ معَهم ، فأبى ، فقالوا له : فاكتُمْ علينا . فقال : أمَّا هذا فنَعَمْ . فجاء إلى الوليد فقال : لا تخرُجْ فإنِّي أخافُ عليك . فقال : ومنْ هؤلاء الذين تخافُهم عليّ ؟ قال : لا أخبرُكَ بهم . قال : إنْ لم تخبرْني بهم بعثتُ بك إلى يوسفَ بنِ عمر . قال : وإنْ بعثْتَ بي إلى يوسفَ بنِ عمر . فبعثه إلى يوسف ، فعاقبه حتى قتلَه[1] .

وذكر ابنُ جرير[2] أنه لمَّا امتنع أنْ يُعلِمَه بهم سجنَهُ ثم سلَّمه إلى يوسف بن عمر يستخلصُ منه أموالَ العراق فقتله . وقد قيل : إنَّ يوسفَ لمَّا وفَدَ إلى الوليد اشترى منه خالدَ بن عبد الله القَسْري بخمسين ألف ألف يُخلِّصُها منه ، فما زال يعاقبُه ويستخلصُ منه حتى قتلَه ؛ فغَضِبَ أهلُ اليمن من قَتْلِه ، وخرجوا على الوليد .

قال الزبيرُ بنُ بكَّار : حدثنا مُصعبُ بن عبدِ الله ، قال : سمعتُ أبي يقول : كنتُ عندَ المَهْدي ، فذُكِرَ الوليدُ بن يزيد ، فقال رجلٌ في المجلس : كان زنديقاً . فقال المهدي : خِلافةُ اللهِ عندَه أجلُّ من أن يجعلَها في زِنْدِيق .

وقال أحمد بن عُمير بن جَوصاء الدِّمَشْقي : حدّثنا عبد الرحمن بن الحسن ، حدّثنا الوليد بن مسلم ، حدّثنا حصين بن الوليد ، عن الأزهر بن الوليد قال : سمعتُ أمَّ الدرداء تقول : [سمعتُ أبا الدرداء يقول] : إذا قُتل الخليفةُ الشابُّ من بني أمية بين الشام والعراق مظلوماً لم تزلْ طاعةً مُسْتَخَفّاً بِها ، ودَماً مَسْفُوكاً على وجهِ الأرض[3] بغَيْرِ حقٍّ[4] .

---

(١) أخرجه ابن أبي جرادة في بغية الطلب في تاريخ حلب (٧/ ٣٠٨٦) .
(٢) هو الطبري في تاريخه (٤/ ٢٣٦) .
(٣) في الأصل : لم تزل طاعةً مستخف بها ، ودم مسفوك على وجه الأرض . وما أثبتناه من بعض النسخ .
(٤) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (١/ ١٩٥) (٥٣٠) عن الوليد بن مسلم ، به ، وما بين معقوفين منه .

قال الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري[١] :

ذِكْرُ قَتْلِ يزيدَ بنِ الوليد الذي يقال له الناقص للوليد بن يزيد

قد ذكرنا بعضَ أمرِ الوَليد بن يزيد ، وخلاعتِه ، ومجانتِه ، وفسقِه ، وما ذُكر عن تَهاوُنِه بالصلوات ، واستخفافِه بأمرِ دينِه قَبْلَ خلافتِه ، ولمَّا وَليَ الخلافةَ وأفْضَتْ إليه لم يزْدَدْ في الخلافةِ إلَّا شرّاً ولَهْواً ولَذَّةً ، ورُكوباً للصيد ، وشُربَ المُسْكر ، ومنادمةَ الفُسَّاق ، فما زادَتْهُ الخلافةُ على ما كانَ قبلَها إلَّا تمادياً وغُروراً ، فثَقُل ذلك على الأمراءِ والرَّعيَّةِ والجُنْد ، وكرِهوهُ كراهةً شديدة ، وكان من أعظمِ ما جَنى على نفسِه حتى أورَثَهُ ذلك هلاكَه إفسادُهُ على نفسِه بني عمَّيهِ هشامٍ والوليد ابني عبدِ الملك ، مع إفسادِهِ اليمانية ، وهي أعظمُ جندِ خُراسان .

وذلك أنه لما قتل خالدَ بن عبد الله القَسْري ، وسلَّمَهُ إلى غَريمِهِ يوسف بن عمر ، الذي هو نائبُ العراق إذْ ذاك ، فلم يزَلْ يُعاقِبُهُ حتى هلَك ؛ انقلبوا عليه ، وتنكَّروا له وساءهم قَتلُه كما سنذكُرُه في ترجمته .

ثم روى ابنُ جَرير[٢] بسنده ، أنَّ الوليدَ بن يزيد ضرَبَ ابنَ عمِّه سليمانَ بن هشام مئةَ سوْط ، وحلَقَ رأسَهُ ولِحْيَتَه ، وغرَّبهُ إلى عُمان فحبَسَه بها ، فلم يزَلْ هناك حتى قُتل الوليد ، وأخذ جاريةً كانَتْ لآلِ عمِّه الوليدِ بن عبد الملك ، فكلَّمَهُ فيها عمرُ بن الوليد فقال : لا أردُّها . فقال : إذاً تكثُرُ الصواهلُ حَولَ عسكرِك . وحَبَس الأفقَم يزيدَ بن هشام ، وبايَعَ لولدَيْه الحكم ثم عثمان ، وكانا دونَ البُلوغ ، فشقَّ ذلك على الناسِ أيضاً ونصَحُوهُ فلم ينتصِحْ ، ونَهَوْهُ فلم يَرْتَدِعْ ولم يَقْبَلْ .

قال المدائني في روايته : ثَقُل ذلك على الناس ، ورماهُ بنو هاشم وبنو الوليدِ بالكفرِ والزندقة ، وغشيانِ أمَّهاتِ أولادِ أبيه ، [وباللِّوَاطِ وغيره] . وقالوا : اتَّخَذَ مئةَ جامعةٍ[٣] ، على كلِّ جامعةٍ اسمُ رجلٍ من بني هاشم ليقتُلَهُ بها . ورمَوْهُ بالزَّنْدقة ، وكان أشدَّهُم منه قولاً يزيدُ بن الوليد بن عبد الملك ، وكان الناسُ إلى قَوْلِهِ أمْيَل ، لأنه أظهرَ النُّسُكَ والتواضُع ، ويقول : ما يَسَعُنا الرِّضا بالوليد حتى حَمَلَ الناسَ على الفَتْكِ به . قالوا : وانتدَبَ للقيامِ عليهِ جماعةٌ من قُضاعَةَ واليمانيَّة ، وخلقٌ من أعيانِ الأمراء وآلِ الوليد بن عبد الملك ، وآلِ هشام بن عبد الملك ، وكانَ القائمُ بأعباءِ ذلك كلِّه ، والداعي إليه يَزيد بن الوليد بنِ عبد الملك ، وهو من ساداتِ بني أميَّة ، وكان يُنسبُ إلى الصلاحِ والدِّينِ والوَرَع ، فبايعه الناسُ

---

(١) في تاريخه (٤/ ٢٣٥) .
(٢) المصدر السابق .
(٣) الجامعةُ : الغُلُّ ، لأنَّها تَجْمعُ اليدين إلى العُنق . لسان العرب .

على ذلك ، وقد نَهَاهُ أخوهُ العباسُ بن الوليد فلم يقبَلْ ، فقال : والله لولا أنِّي أخافُ عليك الوليد لقيَّدتك وأرسلتك إليه . واتَّفَقَ خروج الناس من دمشق من وباء وقع بها ، فكان ممَّن خرج الوليدُ بن يزيد أميرُ المؤمنين في طائفةٍ من أصحابه نحو المثنَيَيْنِ إلى ناحيةِ مشارف دمشق[١] ، فانتظم لِيَزيدَ بنِ الوليد أمرُه ، وجعل أخوهُ العباسُ يَنْهاهُ عن ذلك أشدَّ النَّهْي فلا يَقبَلْ ، فقال العباسُ في ذلك :

إنـي أعيـذُكُـمُ بـالله مـن فِتَـنٍ مثـلَ الجبـالِ تَسَـامَـى ثـم تَنْـدفـعُ
إنَّ البـريَّـةَ قـد ملَّـتْ سياسَتَكُـمْ فاستمسِكُوا بعَمُودِ الدِّينِ وارتَدِعُوا
لا تُلْحِمُـنَّ ذئـابَ النـاس أنفسَكـم إنَّ الـذئـاب إذا مـا أُلْحِمَـتْ رَتَعُـوا
لا تَبْقُـرُنَّ بـأيـديكـم بُطُـونَكُـمُ فثَـمَّ لا حَسْـرَةٌ تُغْنـي ولا جَـزَعُ[٢]

فلما استوْثَقَ لِيَزيدَ بنِ الوليد أمْرُهُ ، وبايَعهُ منْ بايَعَهُ من الناس قَصَدَ دمشقَ ، فدخلها في غَيْبَةِ الوليد ، فبايَعهُ أكثرُ أهْلِها في الليل ، وبلَغهُ أنَّ أهلَ المِزَّةِ بايعوا كبيرَهم معاويةَ بنَ مصَاد ، فمضى إليه يزيدُ ماشياً في نفرٍ من أصحابه ، فأصابَهم في الطريق خطرٌ شديد ، فأتَوْهُ ، فطرقُوا بابَهُ ليلاً ، ثم دخلوا فكلَّمَهُ يزيدُ في ذلك ، فبايعَهُ ابنُ مصَاد ثم رجعَ يزيدُ من ليلتهِ إلى دمشق على طريقِ القَناة ، وهو على حمارٍ أسود ، فحَلَفَ أصحابُهُ أنه لا يدخلُ دمشقَ إلا في السلاح ، فلَبس سلاحاً من تحتِ ثيابه ، فدخلَها ، وكان الوليدُ قدِ استنابَ على دمشقَ في غَيْبَتِهِ عبدَ الملك بن محمد بن الحجَّاج بن يوسف الثقفي ، وقد خرج منها أيضاً من الوباء ، فهو مقيمٌ بِقَطَنا[٣] ، واستخلفَ ابنَهُ[٤] على دمشق ، وعلى شُرْطتِها أبو العاج كثير بن عبد الله السُّلَمي ، فلمَّا كان ليلة الجمعة اجتمَعَ أصحابُ يزيدَ بين العشاءَيْن ، عند بابِ الفرَادِيس ، فلمَّا أذَّن عشاءُ الآخرة دخلوا المسجد ، فلمَّا لم يبقَ في المسجد غيرُهم بعثوا إلى يزيدَ بنِ الوليد ، فجاءهم ، فقصدوا بابَ المقصورة ، ففتح لهم خادم ، فدخلوا فوجدوا أبا[٥] العاج وهو سكران ، فأخذوه وأخذوا خزائنَ بيتِ المال ، وتسلَّموا الحواصلَ ، وتقوَّوْا بالأسلحة ، وأمرَ يزيدُ بإغلاق أبوابِ البلد ، وأن لا يُفْتَح إلَّا لِمَنْ يُعرَف ، فلمَّا أصبح الناسُ قَدِمَ أهلُ الحَوَاضِرِ من كلِّ جانب فدخلوا من سائرِ أبواب البلدِ كلُّ أهلِ مَحلَّةٍ من البابِ الذي يَليهم ، فكثُرَتِ الجيوشُ حَوْلَ يزيدَ بنِ الوليد بنِ عبد الملك في نُصْرَتِه ، وكلُّهم قد بايَعَهُ بالخلافة ، وقد قال فيه بعضُ الشعراء في ذلك :

فجاءَتْهُمُ أنصارُهُمْ حينَ أصبحوا سَكَـاسِكَهـا أهـلُ البيـوتِ الصنـادِدِ

---

(١) في (ب ، ح) : « مشارق » .
(٢) الخبر والأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ٢٣٩ ، ٢٤٠) ، والكامل في التاريخ لابن الأثير (٤/ ٤٨١ ، ٤٨٢) .
(٣) قَطَنا : من قرى دمشق ، تقع إلى جنوبها الغربي ، وتبعدُ عنها نحو خمس وعشرين كيلومتراً .
(٤) في الأصل : أباه ، وفي بعض النسخ : ابنه .
(٥) في الأصل : أبو ، وفي بعض النسخ : أبا .

وكلبٌ فجاؤوهم بخيلٍ وعُدَّةٍ ... من البيضِ والأبدانِ ثم السواعِدِ
فأكْرِمْ بها أحياءَ أنصار سنَّةٍ[١] ... هُمُ مَنَعُوا حُرماتِها كُلَّ جاحِدِ
وجاءَتْهُمُ شيبانُ والأزْدُ شُرَّعاً ... وَعَبْسٌ وَلَخْمٌ بينَ حامٍ وذائدِ
وغَسَّانُ والحيَّانِ قيسٌ وتَغْلبٌ ... وأحْجمَ عنها كلُّ وانٍ وزاهِدِ
فما أصبحوا إلّا وهُمْ أهلُ مُلْكِها ... قدِ استَوْثَقُوا من كُلِّ عاتٍ ومارِدِ[٢]

وبعث يزيدُ بن الوليد عبدَ الرحمنِ بن مصّاد في مئتي فارسٍ إلى قَطَنا ، ليأتُوهُ بعبدِ الملك بن محمد بن الحجّاج نائبِ دمشق ، وله الأمان ، وكان قد تحصَّنَ في قصرٍ هناك ، فدخلوا عليه ، فوجدوا عنده جرَّتَيْن[٣] ، في كلِّ واحدةٍ منهما ثلاثون ألفَ دينار ، فلما مرُّوا بالمزَّة قال أصحابُ ابنِ مصّاد خُذْ هذا المالَ فهو خيرٌ من يزيدَ بنِ الوليد . فقال : لا والله لاتُحدِّثُ العرب أنّي أوَّلُ مَنْ خان . ثم أتَوْا بهِ يزيدَ بنِ الوليد ، فاستخدَمَ من ذلك المال جنداً للقتال قريباً من ألفَيْ فارس ، وبعثَ بهِ مع أخيه عبدِ العزيز بنِ الوليد بن عبد الملك خَلْفَ الوليدِ بن يزيد ليأتوا به ، وركب بعضُ موالي الوليد فرساً سابقاً ، فساق به حتى انتهى إلى مولاهُ من الليل ، وقد نَفَقَ الفرسُ من السَّوْق ، فأخبرَهُ الخبر ، فلم يُصدِّقْهُ وأمرَ بضَرْبِه ، ثم تواترتْ عليه الأخبار ، فأشارَ عليه بعضُ أصحابِهِ أن يتحوَّلَ من مَنْزلهِ ذاكَ إلى حِمص ، فإنها حَصينة ، وقال الأبرش سعيدُ بن الوليد الكلبي : انزلْ على قومي بتَدْمُر . فأبَى أن يقبَلَ شيئاً من ذلك ، بل ركب بمَنْ معهُ وهو في مئتي فارس ، وقصد أصحابَ يزيد ، فالتقوْا بِثَقَلِهِ في أثناءِ الطريقِ فأخذوه ، وجاء الوليدُ فنزَلَ حِصْنَ البَخْراء[٤] الذي كان للنعمانِ بن بَشير[٥] ، وجاءه رسولُ العباسِ بنِ الوليد أنّي آتيك ـ كان من أنصاره ـ فأمر الوليدُ بإبرازِ سريرِه ، فجلس عليه وقال : أعليَّ يتوثَّبُ الرِّجال وأنا أثِبُ على الأسدِ وأتخصَّرُ الأفاعي ؟! وقَدِمَ عبدُ العزيزِ بن الوليد بمَنْ معه ، وإنما كان قد خَلَصَ معه من الألفَيْ فارس ثمانُ مئةِ فارس ، فتصافُّوا فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقُتل من أصحاب العباس جماعةٌ حُملتْ رؤوسُهم إلى الوليد ، وقد كان جاء العباسُ بن الوليد لِنُصْرَةِ الوليدِ بن يزيد ، فبعث إليه أخوهُ عبدَ العزيز ، فجيء به قهراً حتى بايع لأخيه يزيدَ بنِ الوليد ، واجتمعوا على حرب الوليد بن يزيد ، فلما رأى الناسُ اجتماعَهم فرُّوا من الوليد إليهم ، وبقي الوليدُ في ذُلٍّ وقُلٍّ من الناس ، فلجأ إلى الحِصْن ، فجاؤوا إليه وأحاطوا بهِ من كلِّ جانبٍ يحاصرونَه ، فدَنَا الوليدُ من باب الحِصْن فنادَى : لِيُكَلِّمْني رجلٌ شريف . فكلَّمَهُ يزيدُ بن عَنْبَسَة

---

(١) في (ب ، ح) : « أنصار سيد » .
(٢) الأبيات والخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٢٤١) .
(٣) في (ب ، ق) : « خرجين » والمثبت من (ح) .
(٤) البخراء : أرض بالشام ، سميت بذلك لعفونةٍ في تربتها ونَتْنها . معجم ما استعجم (١/ ٢٣٠) .
(٥) في (ب ، ح) : « الذي كان للضحاك بن قيس » .

السَّكْسَكيُّ فقال الوليد : ألم أدفَعِ الموتَ عنكم ؟ ألم أُعطِ فقراءَكم ؟ ألم أخدمْ زَمْناكُمْ ؟ فقال يزيد : إنما نَنْقِمُ عليكَ انتهاكَ المحارِمِ ، وشُرْبَ الخمور ، ونكاحَ أمَّهاتِ أولادِ أبيك ، واستخفافَكَ بأمرِ الله عزَّ وجلَّ . فقال : حَسْبُكَ يا أخا السكاسك ، لقد أكثرتَ وأغرقْتَ ، وإنَّ فيما أحَلَّ اللهُ لي لَسَعةً عمَّا ذكرتَه . ثم قال : أما والله لئن قتلتموني لا تُرْتَقنَّ فتنتكُم وأقبل يقرَأُ فيه وقال : يومٌ كيوم عثمان . واستسلم ، وتسوَّرَ عليه أولئك الحائط ، فكان أوَّلَ من نزل إليه يزيدُ بن عَنْبَسة ، فتقدَّمَ إليه وإلى جانبه سيف ، فقال : نَحِّهِ عنك . فقال الوليد : لو أردتُ القتالَ به لكان غيرَ هذا . فأخذ بيده وهو يريدُ أنْ يحبِسَهُ حتى يبعثَ بهِ إلى يزيدَ بنِ الوليد ، فبادرَهُ عليه عشرةٌ من الأمراء ، فأقبلوا على الوليد يضربونه على رأسِهِ ووجهِهِ بالسيوفِ حتى قتلوه ، ثم جَرُّوهُ برِجْلِهِ لِيُخرِجوه ، فصاحَتِ النسوةُ فتركوه ، واحتزَّ أبو عِلاقة القُضَاعيُّ رأسَه وخاطوا ما كان جُرِحَ بهِ في وجْهِهِ ، وبعَثُوا بهِ إلى يزيدَ مع عشرةِ نفَر ، منهم منصورُ بن جُمهور ، ورَوْح بن مُقبل ، وبشر مولى كِنَانَةَ من بني كَلْب ، وعبد الرحمن الملقَّب بوَجْه الفَلْس ، فلما انتهَوْا إليه بشَّروهُ بقَتْلِ الوليد ، وسلَّموا عليه بالخلافة ، فأطلق لكلِّ رجلٍ من العشرة عشرةَ آلاف ، فقال له روح بن بشر بن مقبل : أبشرْ يا أمير المؤمنين بقتلِ الوليد الفاسق . فسجَدَ شكراً لله ، ورجعتِ الجيوش إلى يزيد ، فكان أولَ من أخذ يدَهُ للمبايعة يزيدُ بن عَنبسةَ السَّكْسَكي ، فانتزع يدَهُ من يده وقال : اللهم إنْ كان هذا رِضًى لك فأعِنِّي عليه . وكان قد جعلَ لِمنْ جاءه برأسِ الوليد مئة ألف دِرْهم ، فلما جيء به وكان ذلك ليلةَ الجمعة ـ قيل يوم الأربعاء لِلَيْلتَيْنِ بقيتا من جُمادى الآخرة سنةَ ستٍّ وعِشرين ومئة ، فأمر يزيدُ بنَصْب رأسِه على رُمْح ، وأنْ يُطافَ به في البلد . فقيل له : إنما يُنصبُ رأسُ الخارجي . فقال : والله لأنصبَنَّه . فشهَرَهُ في البلد على رُمْح ، ثم أودَعَهُ عند رجلٍ شهراً ثم بعثَ إلى أخيه سُليمانَ بنِ يزيد ، فقال أخوهُ عندَ ذلك : بُعْداً له ، أشهدُ أنَّكَ كنتَ شروباً للخمر ، ماجناً فاسقاً ؛ ولقد أرادَني على نفسي هذا الفاسق وأنا أخوه ، لم يأنَفْ من ذلك . وقد قيل : إنَّ رأسَهُ لم يزل معلَّقاً بحائطِ جامعِ دمشق الشرقي مما يلي الصَّحْن حتى انقضَتْ دولةُ بني أمية . وقيل إنما كان ذلك أثَر دَمِه ، وكان عمرُه يومَ قُتل ستاً وثلاثينَ سنة . وقيل ثمانياً وثلاثين ، وقيل : إحدى وثلاثين ـ وقيل ثنتَيْن ، وقيل خمساً ، وقيل ستاً وأربعين ـ سنة . ومُدَّةُ ولايَتِهِ سنةٌ وستةُ أشهرٍ على الأشْهَر ، وقيل : ثلاثة أشهر .

قال ابن جرير[1] : كان شديدَ البطش ، طويلَ أصابعِ الرجلَيْن ، كانت تُضربُ له سكَّةُ الحديد في الأرض ، ويُرْبطُ فيها خيطٌ إلى رجلِه ، ثم يَثِبُ على الفرس فيَرْكَبُها ولا يَمَسُّ الفرس ، فتنقَلِعُ تلك السِّكَّةُ من الأرض مع وَثْـبَتِـهِ .

(١) هو الطبري في تاريخه (٤/ ٢٤٧) .

خلافةُ يَزيدَ بنِ الوليد بنِ عبدِ الملك بن مَرْوان[١]

وهو الملقَّبُ بالنَّاقِصِ لِنَقْصِهِ الناسَ من أعطياتِهم ما كان زادَهُ الوليدُ بن يزيد في أُعْطياتِهم وهي عشرة عشرة ، ورَدِّهِ إياهم إلى ما كانوا عليه في زَمَنِ هشام . ويقال : إنَّ أوَّلَ منْ لَقَّبَهُ بذلك مروانُ بن محمد . بُويع له بالخِلافة بعدَ مقتَلِ الوليدِ بنِ يزيد ، وذلك ليلةَ الجمعة لِلَيْلتَيْنِ بَقِيتَا من جُمادَى الآخرة من هذه السنة ، أعني سنةَ ستٍّ وعشرين ومئة . وكان فيه صلاحٌ ووَرَعٌ قبل ذلك ، فأولُ ما عَمِلَ انتَقصَ من أرزاق الجُنْد ما كان الوليدُ زادَهُمْ وذلك في كلِّ سنةٍ عشرةً عشرةً ، فسُمِّيَ الناقصَ لذلك ، ويقال في المثل : الأشجُّ والناقِصُ أعْدَلا[٢] خلفاءِ بني مروان ، يعني عمرَ بنَ عبدِ العزيز ، وهذا ، ولكنْ لم تَطُلْ أيامُه ، فإنه تُوفِّيَ من آخِرِ هذه السنة ، واضطرَبَتْ عليه الأمور ، وانتشرَتِ الفِتَن ، واختلفَتْ كلمةُ بني مروان ، فنهض سليمانُ بن هشام وكان معتَقَلاً في سِجْنِ الوليد بعُمان ، فاستحوزَ على أموالِها وحَواصلِها ، وأقبلَ إلى دمشق ، فجعل يَلْعنُ الوليدَ ويَعيبُه ، ويَرْميهِ بالكُفْر ، فأكرَمَهُ يزيدُ وردَّ عليه أموالَهُ التي كان أخذها منه الوليد ، وتزوَّج يزيدُ أختَ سليمان ، وهي أُمُّ هشام بنتُ هشام .

ونهض أهلُ حمصَ إلى دارِ العباسِ بن الوليد التي عندَهم فهدموها ، وحبسوا أهلَهُ وبَنيه ، وهربَ هو من حمصَ ، فلَحِقَ بيزيدَ بنِ الوليد إلى دمشق ، وأظهر أهلُ حمْصَ الأخذَ بدَمِ الوليدِ بنِ يزيد ، وأغلقوا أبوابَ البلد ، وأقاموا النوائحَ والبواكي على الوليد ، وكاتبوا الأجنادَ في طلَبِ الأخذِ بالثأر ، فأجابَهم إلى ذلك طائفةٌ كبيرةٌ منهم على أن يكونَ الحكَمُ بنُ الوليد بن يزيد الذي أُخذ له العهد هو الخليفةَ ، وخلعوا نائبَهم وهو مروانُ بنُ عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، ثم قتلوهُ وقتلوا ابنَه . وأمَّروا عليهم معاويةَ بنِ

---

(١) ترجمته في تاريخ خليفة (٣٦٨) ، تاريخ اليعقوبي (٣/ ٧٤) ، تاريخ الطبري حوادث سنة (١٢٦) ، الكامل في التاريخ لابن الأثير ، تاريخ ابن خلدون (٣/ ١٠٦) ، النجوم الزاهرة (١/ ١٢٦) ، تاريخ الخميس (٢/ ٣٢١ ، ٣٢٢) .

(٢) كذا في الأصول ، وأفعل التفضيل يضاف إلى نحو ما يضاف إليه ، أي تقول : هو أفضل الرجلين ، وأفضل القوم ، وتقول : هو أفضلِ رجل ، وهما أفضل رجلين ، وهم أفضل رجال ، والمعنى في هذا إثبات الفضل على الرجال إذا فضلوا رجلاً رجلاً واثنين اثنين وجماعةً جماعةً . وله معنيان : أحدُهما أنْ يُرادَ أنه زائدٌ على المضاف إليهم في الخصلة ، هو وهم فيها شركاء ، والثاني أن يؤخذ مطلقاً له الزيادةَ فيها إطلاقاً ، ثم يضاف لا للتفضيل على المضاف إليهم ، لكنْ لمُجرَّدِ التخصيص ، كما يُضاف ما لا تفضيلَ فيه ، وذلك نحو قولك : الناقصُ والأشجُّ أعْدَلا بني مروان . كأنك قلت : عادِلا بني مروان ، فأنت على الأول يجوزُ لك توحيدُه في التثنية والجمع ، وعلى الثاني ليس لك إلَّا أن تثنيه وتجمعه وتؤنثه . وقد اجتمع الوجهان في قوله عليه السلام : « ألا أخبركم بأحبِّكم إلي وأقربكم مني مجالس يومَ القيامة أحاسنُكم أخلاقاً الموطؤون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون » اهـ المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري ص(١٢٠) .

يزيدَ بنِ حُصين ، فلما انتهى خبَرُهم إلى يزيدَ بنِ الوليد كتب إليهم كتاباً مع يعقوب بن هانىء ، ومضمونُ الكتاب أن يدعو إلى أن يكونَ الأمرُ شُورَى ، فقال عمرو بن قيس : فإذا كان الأمرُ كذلك ، فقد رَضِينا بوليِّ عهدِنا الحكمِ بنِ الوليد ، فأخذ يعقوبُ بلِحْيَتِه وقال : ويحك ! لو كان هذا الذي تدعو إليه يتيماً تحتَ حجرِك لم يَحِلَّ لك أن تدفعَ إليه مالَهُ ، فكيف أمرُ الأمّة ؟! فوثَبَ أهلُ حمص على رُسلِ يزيدَ بنِ الوليد فطرَدُوهُمْ عنهم ، وأخرجوهم من بين أظْهرِهم ، وقال لهم أبو محمد السُّفياني : لو قَدِمتُ دمشق لم يختلف عليَّ منهمُ اثنان . فركبوا معه وساروا نحو دمشق ، وقد أمَّروا عليهم السفيانيّ ، فتلقَّاهم سليمانُ بن هشام في جيشٍ كثيف ، قد جهَّزَهم معَه يزيدُ بن الوليد ، وجهز أيضاً عبدَ العزيزِ بن الحجاج في ثلاثةِ آلاف يكونون عندَ ثنيَّةِ العُقَابِ[1] وجهز هشام بن مصَاد المِزِّي في ألفٍ وخمسٍ مئة ، ليكونوا على عَقَبَةِ السَّلَمِيَّة[2] ، فخرج أهلُ حمصَ فساروا وتركوا جيشَ سليمان بن هشام ذاتَ اليسار وتعَدَّوْه ، فلما سمع بهم سُليمانُ ساقَ في طلَبِهم ، فلَحِقَهُمْ عند السُّلَيمانية[3] ، فجعلوا الزيتون عن أيمانِهم ، والجبلَ عن شمائِلهم، والجباب من خلفِهم، ولم يبقَ تخلُّصٌ إليهم إلا من جهةٍ واحدة، فاقتتلوا هنالك في قبالةِ الجِسر قتالاً شديداً ، فقُتل طائفةٌ كبيرةٌ من الفريقَيْن ، فبينما هم كذلك إذْ جاء عبدُ العزيز بنُ الحجاج بمن معه ، فحمل على أهلِ حِمص فاخترق جيشَهُم حتى ركب التلَّ الذي في وسطِهم ، وكانتِ الهزيمة ، فهرب أهلُ حِمص وتفرَّقوا ، فاتَّبَعَهُمُ الناسُ يقتلونَ ويأسِرون ، ثم تنادَوْا بالكَفِّ عنهم على أنْ يُبَايعوا ليزيدَ بنِ الوليد.

وأسروا منهم جماعةً ، منهم أبو محمد السفياني ، ويزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية ، ثم ارتحلَ سليمانُ وعبدُ العزيز فنزَلا عَذْراء ، ومعهمُ الجيوشُ وأشرافُ الناس وأشرافُ أهلِ حمص من الأسارَى ، ومنِ استجابَ من غيرِ أسْر ، بعدَما قُتل منهم ثلاث مئة نفس ، فدخلوا بهم على يزيدَ بنِ الوليد فأقبل عليهم ، وأحسن إليهم وصفَحَ عنهم ، وأطلق الأعطياتِ لهم ، لا سيما لأشرافِهم ، وولَّى عليهم الذي اختاروه ، وهو معاويةُ بن يزيدَ بنِ الحُصَين ، وطابَتْ عليه أنفسُهم ، وأقاموا عندَهُ في دمشق ، سامِعين مُطيعين له .

---

(١) ثَنِيَّةُ العُقَاب : بالضم ، وهي ثنيةٌ مشرفةٌ على غوطةِ دِمشق ، يَطَؤها القاصدُ من دمشقَ إلى حمص . ويقال : إنما سُمِّيتْ ثنية العُقاب بعُقَابٍ من الطير كان ساقطاً عليها بعُشِّهِ وفراخِه . سار خالد بن الوليد من العراق حتى أتى إليها ، فوقف عليها ساعةً ناشراً رايته وهي رايةٌ كانتْ لرسولِ الله ﷺ . معجم البلدان (٢/ ٨٥) . وتُعرف عند العامَّةِ اليوم بـ « طلوع التنايا » .

(٢) سَلَمْيَة : بفتح أوله وثانيه وسكون الميم وياء مثناة من تحت خفيفة ، كذا جاء به المتنبي في شعره ، وهي بُليدة في ناحية البرية من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين ، وكانت تُعدُّ من أعمال حمص . وأهلُ الشام يقولون : سَلَمِيَّة ـ بفتح أوله وثانيه وكسر الميم وياء النسبة . معجم البلدان (٣/ ٢٤٠ ، ٢٤١) . وفي نسخة « مقبة السلامة » .

(٣) السُّلَيمانية : مزرعة كانت لسليمان بن عبد الملك خلف عذراء من دمشق على أربعة عشر ميلا . تاريخ الطبري (٤/ ٢٥٣) ، والخبر فيه مفصلاً .

وفيها بايع أهلُ فلسطينَ يزيدَ بن سليمان بن عبد الملك ، وذلك أنَّ بني سليمان كانتْ لهم أملاكٌ هناك ، فكانوا يَنْزِلونها ، وكان أهلُ فِلَسْطين يُحبُّونَ مجاورَتهم ، فلما قُتل الوليد بن يزيد كتب سعيدُ بن رَوْح بن زِنْبَاع ـ وكان رئيسَ تلك الناحية ـ إلى يزيدَ بنِ سليمانَ بنِ عبد الملك يدعوهُ إلى المبايعة له ، فأجابَهُ إلى ذلك ، فلما بلَغَ أهلَ الأردُنِّ خبرُهم بايعوا أيضاً محمد بن عبد الملك بن مروان ، وأمَّروهُ عليهم ، فلما انتهى خبرُهُم إلى يزيدَ بن الوليد أميرِ المؤمنين بعث إليهم الجيوشَ مع سليمانَ بنِ هشام في الدماشقةِ وأهلِ حِمص الذين كانوا مع السُّفْياني ، فصالحهم أهلُ الأردنِّ أوَّلًا ورجعوا إلى الطاعة ، وكذلك أهلُ فلسطين . وكتب يزيدُ بن الوليد ولايةَ الإمرةِ بالرَّمْلةِ وتلك النواحي إلى أخيه إبراهيم بن الوليد ، واستقرَّتِ الممالكُ هنالك .

وقد خطبَ أميرُ المؤمنين يزيدُ بن الوليدِ الناسَ بدمشق ، فحمدَ الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أمَّا بعد ، أيها الناس ، أما والله ما خرجتُ أشراً ولا بَطراً ، ولا حِرْصاً على الدنيا ، ولا رغبةً في المُلك ، وما بي إطراء نفسي ، إني لظَلُومٌ لِنَفْسي إنْ لم يرحَمْني ربِّي فإني هالك ، ولكنِّي خرجتُ غَضَباً للهِ ورسولِهِ ولدينِه ، وداعياً إلى الله وكتابِه ، وسُنَّةِ نبيِّه محمدٍ ﷺ ، لمَّا هُدمَتْ معالمُ الدِّين ، وأُطفىءَ نورُ أهلِ التقوى ، وظهر الجبارُ العَنيد ، المستحلُّ لكُلِّ حُرْمة ، والراكبُ كلَّ بِدْعة ، مع أنه والله ما كان مُصدِّقاً بالكتاب ، ولا مؤمناً بيومِ الحساب ، وإنه لابنُ عمِّي في النسب ، وكُفئي بالحسَب ؛ فلمَّا رأيتُ ذلك استخرتُ الله في أمرِهِ ، وسألتُهُ أنْ لا يَكِلَني إلى نفسي ، ودَعَوْتُ إلى ذلك منْ أجابني من أهلِ ولايتي ، وسعَيْتُ فيه حتى أراحَ اللهُ منه العِبَادَ والبلاد ، بِحَوْلِ الله وقوَّتِه ، لا بِحَوْلي ولا بقُوَّتي . أيها الناس ، إنَّ لكم عليَّ أن لا أضعَ حجَراً على حجر ، ولا لَبِنةً على لَبِنَة ، ولا أكْرِي نَهْراً ، ولا أُكثِرَ مالًا ، ولا أُعطيَهُ زوجةً ولا وَلَداً ، ولا أنقلَ مالًا من بلد إلى بلد ، حتى أسُدَّ ثَغْرَ ذلك البلد ، وخصَاصةَ أهلِه بما يُغْنيهم ، فإنْ فضَلَ عن ذلك فَضْلٌ نقَلْتُهُ إلى البلدِ الذي يَليه ، ممَّن هو أحْوجُ إليه ، ولا أُجَمِّركم في ثُغوركم فأفتِنَكم وأفْتنَ أهليكم ، ولا أُغلِقَ بابي دونَكم ، فيأكلَ قويُّكمْ ضعيفَكُمْ ، ولا أحمِلَ على أهلِ جِزْيتكمْ ما يُجْليهم عن بلادِهم ، ويقطعُ نَسْلَهُم[1] ؛ وإنَّ لكم عِندي أُعطياتِكُمْ في كلِّ سنة ، وأرزاقَكمْ في كلِّ شهر ، حتى تستدِرَّ المعيشةُ بين المسلمين ، فيكونُ أقصاهم كأدناهم ، فإنْ أنا وفَيْتُ لكم بما قلت فعليكم السمعُ والطاعة ، وحُسنُ المؤازرة ، وإنْ أنا لم أوفِ لكم فلكم أنْ تخلعُوني وإلَّا أنْ تَسْتتيبوني ، فإنْ تُبتُ قَبلتم منِّي ، وإنْ عَلِمْتُمْ أحداً من أهلِ الصلاح والدِّين يُعطيكُمْ من نفسِه مثلَ ما أُعطيكم فأرَدْتُمْ أنْ تبايعُوهُ فأنا أوَّلُ منْ يُبايعُه ويدخُلُ في طاعتِه . أيُّها الناس ، إنه لا طاعةَ لِمَخْلوقٍ في معصيةِ الخالق ، إنما الطاعةُ طاعةُ الله ، فمن أطاعَ الله فأطيعوهُ ما أطاعَ الله ، فإذا عَصَى أو دَعَا إلى معصية ، فهو أهلٌ أنْ يُعْصى ولا يُطاع ، بل يُقتلُ ويُهانُ ، أقولُ قَوْلي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم .

---

(١) في (ق) : « سيلهم » ، والمثبت من (ب ، ح) وتاريخ الطبري .

وفي هذه السنة عَزَل يزيدُ بن الوليد يوسفَ بن عمر عن إمرةِ العِراق ، لِمَا ظهر منه من الحَنَق على اليمانيَّة ، وهم قومُ خالدِ بنِ عبدِ الله القَسْري ، حتى قتلوا الوليدَ بن يزيد ، وكان قد سجَنَ غالبَ منْ ببلادِه منهم ، وجعل الأرصادَ على الثغور خَوْفاً من جُندِ الخليفة ، فعزلهُ عنها أميرُ المؤمنين يزيدُ بن الوليد ، وولَّى عليها منصورَ بنَ جُمهور مع بلاد السِّنْد وسِجِسْتان وخُراسان . وقد كان منصور بن جُمهور أعرابيّاً جِلْفاً ، وكان يَدينُ بمَذْهبِ الغَيْلانيَّةِ القدَريَّة ، ولكنْ كانتْ لَهُ آثارٌ حسنة ، وعناءٌ كَثير في مَقْتلِ الوَليدِ بنِ يزيد ، فحَظيَ بذلك عند يَزيدَ بنِ الوليد . ويقال : إنه لما فرَغ الناسُ من الوليد ذهب من فَوْرِهِ إلى العراق ، فأخذ البيعةَ من أهلِها إلى يزيد ، وقرَّرَ بالأقاليم نُوَّاباً وعُمَّالاً وكَرَّ راجعاً إلى دمشق في آخرِ رمضان ؛ فلذلك ولَّاهُ الخليفةُ ما ولَّاه . والله أعلم .

وأما يوسف بن عمر فإنَّه فرَّ من العراق ، فلَحِقَ ببلادِ البَلْقاء ، فبعث إليه أميرُ المؤمنين يزيد ، فأحضروهُ إليه ، فلما وقف بين يديه أخَذَ بلِحيَتِه ، وكان كبيرَ اللِّحْيةِ جدّاً ، ربما كانتْ تُجاوزُ سُرَّتَه ، وكان قصيرَ القامة ، فوَبَّخهُ وأنَّبَه ثم سجنَه ، وأمرَ باستخلاصِ الحقوقِ منه . ولما انتهى منصورُ بن جُمهور إلى العراق قرأ عليهم كتابَ أميرِ المؤمنين إليهم في كيفية مَقْتل الوليد ، وأنَّ الله أخذَهُ أخْذَ عزيزٍ مُقتدِر ، وأنه قد ولَّى عليهم منصورَ بن جُمهور لما يعلمُ من شجاعتِه ومعرفتِه بالحَرْب ؛ فبايعَ أهلُ العراق ليزيدَ بنِ الوليد ، وكذلك أهلُ السِّنْد وسِجِسْتان .

وأمَّا نَصْرُ بن سَيَّار نائبُ خُراسان فإنه امتنعَ من السَّمْعِ والطاعةِ لِمَنصورِ بنِ جُمهور وأبَى أنْ ينقادَ لأوامرِهِ ، وقد كان نصرٌ هذا جَهَّزَ هدايا كبيرةً للوليدِ بن يزيد ، فاستمرَّتْ له .

وفي هذه السنة كتب مروانُ الملقب بالحِمار كتاباً إلى عمرَ بنِ يزيد أخي الوليد بن يزيد يَحُثُّه على القيامِ بطَلبِ دم أخيه الوليد ، وكان مروانُ يومئذٍ أميراً على أذْرَبِيجَان وأرْمِينيَة ، ثم إنَّ يزيدَ بن الوليد عزل منصورَ بن جُمهور عن ولايةِ العراق ، وولى عليها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وقال له : إنَّ أهل العِراقِ يُحِبُّونَ أباك ، فقد ولَّيتُكَها ، وذلك في شوال ، وكتب له إلى أُمراء الشام الذين بالعراق يوصيهم بِهِ خشيةَ أنْ يمتنِعَ منصورُ بن جُمهور من تسليم البلاد إليه فسلم إليه وأطاعَ وسلَّم ، وكتب الخليفةُ إلى نصرِ بن سَيَّار باستمرارِهِ بولايةِ خُراسان ، مستقِلاً بها فخرج عليه رجلٌ يُقالُ له الكَرْماني لأنَّهُ وُلِدَ بكَرْمان وهو أبو علي جديع بن علي بن شبيب المعني ، واتبعه خلقٌ كثير ، بحيثُ إنه كان يشهَدُ الجُمعة في نحوِ ألف وخمسمئة ، وكان يُسلِّمُ على نَصْرِ بن سَيَّار ولا يَجلِسُ عنده ، فتحيَّرَ نصرُ بن سيار وأمراؤه فيما يصنع به ، فاتفق رأيُهم بعدَ جَهْدٍ على سَجْنِه ، فسُجن قريباً من شهر ، ثم أطلقه ، فاجتمع إليه ناسٌ كثير ، وجَمٌّ غَفِير ، وركبوا معه ، فبعث إليهم نصرٌ مَنْ قاتلهم فقتلَهم وقهرَهم وكسرَهم ، واستخفَّ جماعاتٌ من أهلِ خَراسان

بأمرِ نَصْرِ بن سيَّار [وتلاشوا أمره وحرمته][1] وألَحُّوا عليه في أُعطياتِهم ، وأسمعوهُ غَلِيظَ ما يَكْرَه ، وهو على المِنبر بسفارةِ سَلْم بن أحوز أدنَى ذلك إليه ، وخرجت الباعَةُ من المسجد الجامع وهو يخطب ، وانفضَّ كثيرٌ من الناس عنه ، فقال لهم نصرٌ فيما قال : والله لقد نشَرْتُكم وطوَيْتُكم ، وطوَيْتُكم ونشَرْتُكم ، فما عِنْدي عشرةٌ منكم على دِين ، فاتقوا الله ، فو الله لئن اختلفَ فيكم سيفان لَيتمَنَّيَنَّ الرجلُ منكم أنْ ينخلعَ من أهلِهِ ومالِهِ وولدِه ، ولم يكنْ رآها . ثم تمثَّلَ بقولِ النابغة[2] :

فإنْ يغلِبْ شقاؤكُمْ عليكمْ ... فإني في صلاحِكُمْ سَعَيْتُ

وقال الحارث بن عبد الله بن الحشرج بن الورد بن المغيرة الجعدي :

أبيتُ أرْعَى النجومَ مُرْتَفِقاً ... إذا استقلَّتْ نَحْوِي أوائِلُها

مِن فِتْنَةٍ أصبحَتْ مُجَلِّلَةً ... قد عَمَّ أهْلَ الصلاةِ شامِلُها

مَنْ بِخُراسانَ والعراقِ ومَنْ ... بالشامِ كلٌّ شَجَاهُ شاغِلُها

يَمشي السفيهُ الذي يُعنِّفُ بالْـ ... ـجهلِ سواء فيها وعاقِلُها

فالناسُ منها في لَوْنِ مُظْلِمَةٍ ... دهماءَ مُلتجَّةٍ غَياطِلُها

والناسُ في كُرْبةٍ يكادُ لها ... تَنْبِذُ أولادَها حوامِلُها

يغدونَ منها في كُلِّ مُبْهَمَةٍ ... عمياءَ تَغْتالُهُمْ غَوائِلُها[3]

لا يُبْصِرُ الناسُ من عواقِبِها ... إلَّا التي لا يَبِينُ قائِلُها

كرَغْوَةِ البَكْرِ أو كَصَيْحَةِ حُبْـ ... ـلَى طَرَّقَتْ حَوْلَها قَوابِلُها

فجاء فينا تُزْرِي بوجهَتِهِ ... فيها خُطوبٌ حُمْرٌ زَلازِلُها

وفي هذه السنة أخذ الخليفةُ البيعةَ من الأمراء وغيرِهم بولايةِ العَهْدِ من بعدِهِ لأخيه إبراهيمَ بنِ الوليد بن عبد الملك ، ثم من بعدِ إبراهيم لعبدِالعزيز بن الحجَّاج بن عبدِ الملكِ بن مروان وذلك بسببِ مَرَضِهِ الذي ماتَ فيه ، وكان ذلك في شهرِ ذي الحِجَّةِ منها وقد حرَّضَهُ على ذلك جماعةٌ من الأمراءِ والأكابرِ والوزراء .

وفيها عزَلَ يزيدُ عن إمرَةِ الحجاز يوسُفَ بنَ محمد الثقفيّ ، وولَّى عليها عبدَ العزيز بنَ عمر بن عبد العزيز ، فقدِمَهَا في أواخرِ ذي القَعْدَةِ منها .

وفيها أظهر مروانُ الحِمار الخلافَ لِيَزيدَ بن الوليد وخرجَ من بلادِ إرْمينِيَةَ يُظْهِرُ أنه يطلُبُ بدَمِ الوليدِ بن يزيد ، فلما وصل إلى حَرَّان أظهر الموافقةَ ، وبايع لأميرِ المؤمنين يزيدَ بن الوليد .

---

(١) ما بين معقوفين زيادة في (ق) ليست في (ب ، ح) .

(٢) في تاريخ الطبري (٤/ ٢٦٥) : « النابغة الذبياني » ، ولم أجده في ديوانه .

(٣) في (ق) : « تمنى لهم غوائلها » ، والمثبت من (ب ، ح) وتاريخ الطبري (٤/ ٢٦٦) .

وفيها أرسلَ إبراهيمُ بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أبا هاشم بكرَ بنَ ماهان إلى أرض خُراسان ، فاجتمع بجماعةٍ من أهلِ خُراسانَ بِمَرْو . فقرأ عليهم كتابَ إبراهيمَ بنِ محمد الإمام إليه وإليهم ، ووصيَّتَه ، فتلقَّوْا ذلك بالقَبُول ، وأرسَلُوا معَهُ ما كان عندَهم من النفقَات .

وفي سَلْخِ ذي القَعْدَة ـ وقيل في سَلْخِ ذي الحِجَّة ، وقيل لعشرٍ مضَيْنَ منه ، وقيل بعدَ الأضحى منها كانت وفاةُ أميرِ المؤمنين :

يزيدَ بنِ الوليد بنِ عبدِ الملك بنِ مروان[١]

هو يزيدُ بنُ الوليدِ بنِ عبد الملك بنِ مروان بنِ الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مَنَاف بنِ قُصَيّ أبو خالد الأمَوي ، أميرُ المؤمنين ، بُويعَ بالخِلافة أولَ ما بويع بِها في قريةِ المِزَّةِ من قُرَى دمشق ، ثم دخل دمشقَ فغَلَبَ عليها ، ثم أرسلَ الجيوشَ إلى ابنِ عَمِّه الوليدِ بن يزيد ، فقَتَلَهُ واستحوَذَ على الخلافةِ في أواخرِ جُمَادَى الآخرة من هذه السنة ، وكان يُلَقَّبُ بالنَّاقِص لِنَقْصِهِ الناس العشراتِ التي زادَهُمْ إياها الوليدُ بن يزيد . وقيل : إنَّما سَمَّاهُ بذلك مروانُ الحِمَار ، وكان يقول : الناقص ابن الوليد ، وأمه شاهفرند[٢] بنت فيروز بن يَزْدَجِرْد بن كِسْرَى كِسْرَوَيْه .

وقال ابنُ جرير[٣] : وأمه شاه آفريد بنت فَيْرُوز بن يَزْدَجِرْد بن (شيرويه بن)[٤] شَهْرَيار بن كِسْرَى ، وهو القائل :

أنا ابنُ كِسْرَى وأبي مروان وقيصَرٌ جَدِّي وجَدِّي خاقان

وإنما قال ذلك لأنَّ جدَّهُ فيروز لأمّ أُمِّهِ بنت قيصر ، وأمُّ شيرويه وهي بنت خاقان ملك الترك . وكانتْ قد سباها قُتيبةُ بنُ مسلم هي وأختٌ لَها فبعثهما إلى الحجَّاج ، فأرسلَ بِهذِهِ إلى الوليد واستبقى عندَهُ الأخرى ، فولدت هذه للوليد يزيد الناقص هذا ؛ وهذه أخذها الحجاج فكانت عنده بالعراق . وكان مَوْلِدُهُ في سنةِ تسعين ، وقيل : في سنةِ ستٍّ وتسعين . وقد رَوَى عنه الأوزاعيُّ مسألةَ السَّلَم . وقد ذكرنا كيفية ولايتِه فيما سلَفَ في هذه السنة ، وأنه كان عادِلًا دَيِّناً مُحِبّاً للخير ، مُبْغِضاً للشر ، قاصداً للحق .

وقد خرج يومَ عيدِ الفِطْر من هذه السنة إلى صلاةِ العِيد بين صَفَّينِ من الخيَّالة ، والسيوفُ مُسَلَّلَة عن يَمِينه وشِمالِه ، ورجع من المُصَلَّى إلى الخضراء كذلك . كان رجلاً صالحاً يقالُ في المثَل : الأشَجُّ

---

(١) انظر مصادر ترجمته في حاشية ص(٢٢٤) .

(٢) كذا في (ب ، ق) وفي (ح) : « شاهفريد » .

(٣) هو الطبري في تاريخه (٤/ ٢٧٢) .

(٤) هذه الزيادة من (ب ، ح) وليست في (ق) ولا تاريخ الطبري .

والناقِصُ أعدَلا[١] بني مروان . والمُرادُ عمر بن عبد العزيز ، وهذا .

وقد قال أبو بكر بنُ أبي الدنيا : حدثني إبراهيمُ بن محمد المَرْوَزِيّ عن أبي عثمان اللَّيْثي قال ، قال يزيدُ بن الوليد الناقص : يا بني أمية ، إياكم والغناء ، فإنَّهُ يُنقِصُ الحياء ، وَيزِيدُ في الشَّهْوَة ، ويَهْدِمُ المروءة ، وإنَّهُ لينوبُ عن الخَمْر ، ويفعَلُ ما يفعَلُ المُسْكِر ، فإنْ كنتُمْ لا بدَّ فاعلين ، فجَنِّبُوهُ النِّسَاء ، فإنَّهُ داعِيَةُ الزِّنا[٢] .

وقال ابن عبد الحكيم عن الشافعي : لَما وَلِيَ يزيدُ بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الذي يقال له الناقص دعا الناسَ إلى القَدَر ، وحملَهُمْ عليه ، وقَرَّبَ غَيْلان . قاله ابنُ عساكر . قال : ولعلَّه قرَّبَ أصحابَ غَيْلان ، لأنَّ غيلان قتَلَهُ هشامُ بنُ عبد الملك .

وقال محمد بن المبارك : آخِرُ ما تكلَّم به يزيدُ بن الوليد الناقص : واحسرتاه ! وأسفاهُ[٣] !. وكان نقشُ خاتمه : العظمة لله .

وكانت وفاتُه بالخَضْراء من طاعونٍ أصابَه ، وذلك يوم السبت لسبعٍ مضَيْنَ من ذي الحِجَّة . وقيل : يوم الأضحى منه ، وقيل : بعده بأيام ، وقيل : لعشرٍ بَقِينَ منه ، وقيل : في سَلْخِه ، وقيل : في سَلْخِ ذي القَعْدَة من هذه السنة . وأكثرُ ما قيل في عُمره : ستٌّ وأربعون سنة ، وقيل : ثلاثون سنة ، وقيلَ غيرُ ذلك ، فالله أعلم . وكانت مُدة ولايته ستةَ أشهُر على الأشهر ، وقيل : خمسة أشهر وأيام . وصلَّى عليه أخوهُ إبراهيم بن الوليد ، وهو وليُّ العَهْدِ من بعدِه . رَحِمَهُ الله .

وذكر سعيدُ بن كثير بن عُفَير أنه دُفن بين باب الجابية وباب الصَّغِير . وقيل : إنه دُفن بباب الفَرَادِيس ، وكان أسمرَ نَحِيفاً ، حسنَ الجِسم ، حسنَ الوَجْه .

وقال علي بن محمد المديني : كان يَزِيدُ أسمرَ طويلاً صغيرَ الرأس ، بوجههِ خال ، وكان جميلاً ، وفي فَمِهِ بعضُ السَّعَةِ وليس بالمُفْرِط .

وحَجَّ بالناسِ فيها عبدُ العزيزِ بنُ عمرَ بن عبد العزيز ، وهو نائبُ الحِجاز ، وأخوه عبد الله نائب العِراق ، ونصرُ بن سَيَّار على نيابةِ خُراسان[٤] . والله سبحانه أعلم .

---

(١) انظر ما تقدَّم ص(٢٢٤) حاشية (٢) من هذا الجزء .

(٢) ذكره أبو حامد الغزالي في إحياء علوم الدين (٢/ ٢٨٦) ، وابن الجوزي في تلبيس إبليس ص(٢٨٩) ، وابن قيم الجوزية في إغاثة اللهفان (١/ ٢٤٥ ، ٢٤٦) .

(٣) في (ق) : « واحزناه ! واشقاآه » والمثبت من (ب ، ح) .

(٤) جاء في نهاية الصفحة (٤٥٢) وهي آخر صفحة من هذا الجزء من نسخة (ح) ما نصه : « آخر المجلد ، ويتلوه الذي بعدَه إن شاء الله تعالى من توفي في هذه السنة من الأعيان والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي=

[١] وممن تُوفِّي في هذه السنة من الأعيان :

خالد بن عبد الله بن يزيد[٢] بن أسد بن كُرْز بن عامر بن عَبْقَري ، أبو الهيثم البَجَليُّ القَسْرِيُّ الدمشقِيّ ، أميرُ مكَّةَ والحِجَاز للوليد ، ثم لِسُليمان ، وأميرُ العراقَيْنِ لهشام خمسَ عشرةَ سنة .

قال ابنُ عساكر : كانتْ دارُهُ بدمشق ، في مُربعة القز[٣] وتعرف اليوم بدار الشريف اليَزيدي ، وإليه يُنسب الحمَّامُ الذي داخلَ بابِ تُوما .

روى عن أبيه ، عن جَدِّه ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال له : « يا أسَد ، أتُحِبُّ الجنَّة » ؟ قال : نعم . قال : « فأَحِبَّ للمُسلمينَ ما تُحِبُّ لِنفسِك » . رواه أبو يَعْلَى[٤] عن عثمانَ بنِ أبي شيبة ، عن هُشَيْم ، عن سَيَّار أبي الحكم[٥] ، أنه سمعه على المِنبر يقولُ ذلك[٦] .

وممن روى عنه إسماعيل بن أوسط ، وإسماعيل بن أبي خالد ، وحبيب بن أبي حبيب ، وحُمَيد الطويل ، ورُوي أنه رَوَى عن جَدِّهِ عن النبيِّ ﷺ في تكفيرِ المرضِ الذنوبَ[٧] . وكانتْ أُمُّهُ نَصْرَانِيَّةً . وذكره أبو بكر بن عيَّاش في الأشراف فيمن أُمُّهُ نَصْرانيَّة .

وقال المدائني : أولُ ما عُرِف من رياستِهِ أنه وَطَأ صَبِياً[٨] بدمشق بفرسِه ، فحمَلَهُ ، فأشهدَ طائفةً من الناس أنه هو صاحبُه ، فإن ماتَ فعليهِ دِيَتُه .

= الأمي ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير » .

(١) جاء في بداية الصفحة الثانية من هذا الجزء من نسخة (ح) ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، رب يسر وأعِنْ يا كريم ، واختم بخير في عافية » .

(٢) ترجمته في التاريخ الكبير (٣/ ١٥٨) ، الجرح والتعديل (٣/ ٣٤٠) ، الأغاني (٢٢/ ٥ ، ٢٩) ، تاريخ ابن الأثير (٥/ ١٢٤ و٢٧٦) وما بعدها ، بغية الطلب في تاريخ حلب (٧/ ٣٠٦٨) وما بعدها ، وفيات الأعيان (٢/ ٢٢٦) ، تهذيب الكمال (٨/ ١٠٧) ، شذرات الذهب (١/ ١٦٩) .

(٣) ويقال : إن هذه المربعة بقرب القدم ، انظر الدارس (١/ ٤٣١) .

(٤) في (قُ) : « عن سيار من أبي الحكم » تحريف ، وسيار هو أبو الحكم ، والمثبت من (ب ، ح) ومصادر تخريج الحديث .

(٥) في مسنده رقم (٩١١) .

(٦) أخرجه عبد الله بن أحمد في زياداته على مسند أبيه (٤/ ٧٠) ، وأبو الحسين بن قانع في معجم الصحابة (١/ ٤٢) ، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٨٦) (٧٣١٣) وهو حديث حسن .

(٧) رواه عبد الله بن أحمد في زيادته على مسند أبيه ٤/ ٧٠ ، والطبراني في المعجم الكبير رقم (١٠٠٢) وهو حديث حسن .

(٨) في (ح) : « أوطى ذمّياً » .

وقد استنابَهُ الوليدُ على الحجاز من سنةِ تسعٍ وثمانين إلى أنْ تُوفِّيَ الوليد ، ثم سليمان من بعده . وفي سنة ستٍّ ومئة استنابَهُ هشامٌ على العراق إلى سنةِ عِشرينَ ومئة ، وسلَّمه إلى يوسف بن عمر الذي وَلَّاه مكانَهُ ، فعاقبَهُ وأخذَ منه أموالاً ، ثم أطلقَهُ ، وأقام بدمشق إلى المحرَّم من هذه السنة ، فسلَّمَهُ الوليدُ بن يزيدَ إلى يوسفَ بنِ عمرَ يستخلِصُ منه خمسين ألف ألف ، فماتَ تحتَ العُقوبةِ البليغة ، كسَرَ قدَمَيْه ثم ساقَيْه ثم فَخِذَيه ، ثم صدرَه ، فمات ولم يتكلَّمْ كلمةً واحدة ، ولا تَأَوَّهَ حتى خرَجَتْ رُوحُه . رَحِمهُ الله .

قال العُتْبي[١] عن أبيه خطَبَ خالدٌ القَسْريُّ يوماً فأُرْتِجَ عليه فقال : أيُّها الناس ، إنَّ هذا الكلامَ يَجِيءُ أحياناً ، ويعزُبُ أحياناً ، فيَتَسَبَّبُ عندَ مجيئهِ سَبَبُهُ ، ويتعذَّرُ عندَ عُزوبِهِ مَطْلَبُه ، وقدْ يرَدُّ إلى السَّلِيطِ بَيَانُه ، ويُنِيبُ[٢] إلى الحَصِرِ كلامُه ، وسيعودُ إلينا ما تُحِبُّون ، ونعودُ لكم كما تُريدون .

وقال الأصمعي وغيرُه : خطَبَ خالدٌ القَسْرِيُّ يوماً بواسطَ فقال : يا أيها الناس ، تنافسوا في المَكَارِمِ ، وسارعوا إلى المغانم ، واشتروا الحمدَ بالجُود ، ولا تَكْتَسِبوا بالمَطْلِ ذَمّاً ، ولا تعتدُّوا بمعروفٍ لم تُعَجِّلوه ، ومهما تكنْ لأحدٍ منكم نعمةٌ عندَ أحدٍ لم يبلُغْ شكرَها ، فالله أحسَنُ له جزاءً ، وأجزَلُ عطاءً . واعلموا أنَّ حوائجَ الناسِ إليكم نِعَمٌ فلاتَمَلُّوها ، فتُحَوَّلُ نِقَماً ، فإن أفضلَ المالِ ما كَسبَ أجراً ، وأورَثَ ذِكْراً . ولو رأيتم المعروفَ لرأيتموه رجلاً حسناً جميلاً ، يسرُّ الناظرين ، ويفوق العالمين ، ولو رأيتُم البُخْلَ لرأيتموهُ رجلاً مشَوَّهاً قَبيحاً ، تَنْفِرُ منهُ القلوب ، وتُغَضُّ دونه الأبصار ، إنَّهُ مَنْ جادَ ساد ، ومَنْ بَخِلَ ذَلّ . وأكرمُ الناسِ مَنْ أعطى مَنْ لا يَرْجُوه ، ومَنْ عَفَا عن قُدْرَة ، وأفضلُ الناسِ منْ وَصَلَ عن قَطِيعَة . ومَنْ لم يَطِبْ حَرْثُه ، لم يَزْكُ نَبْتُه ، والفُروعُ عندَ مغارِسِها تَنْمو ، وبأُصولِها تسمو .

وروى الأصمعي عن عمر بن الهيثم ، أنَّ أعرابيّاً قَدِمَ على خالد فأنشدَهُ قصيدةً امتدَحَهُ بِها يقول فيها :

إليكَ ابنَ كُرْزِ الخَيْرِ أقبلتُ راغباً ... لتَجبُرَ مني ما وَهَى وتَبَدَّدا
إلى الماجدِ البُهْلولِ ذي الحلمِ والنَّدَى ... وأكرَمِ خَلْقِ اللهِ فَرْعاً ومَحْتِدَا
إذا ما أُناسٌ قَصَّروا بفِعَالِهِم ... نَهَضْتَ فلم تَلْقَى هنالِكَ مَقْعَدَا
فيالَكَ بَحْراً يَغْمُرُ الناسَ مَوْجُهُ ... إذا يُسألُ المعروفَ جاشَ وأَزْبَدَا
بَلَوْتُ ابنَ عبدِالله في كُلِّ مَوْطِنٍ ... فألفَيْتُ خيرَ الناسِ نفساً وأمْجَدَا
فلو كان في الدنيا من الناسِ خالدٌ ... يَجُودُ بمعروفٍ لكنتَ مُخَلَّدَا
فلا تَحْرِمَنِّي منكَ ماقَدْ رَجَوْتُهُ ... فيصبحَ وجهي كالِحَ اللَّوْنِ أرْبَدَا

قال : فحَفِظَها خالد ، فلما اجتمع الناسُ عندَ خالد قام الأعرابيُّ يُنشِدها ، فابتدَرَهُ إليها خالدٌ فانشدَها

---

(١) في بعض النسخ : « الليثي » وهو تحريف . والخبر رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٦/ ١٤١ .

(٢) في بعض النسخ : « ويثيب » ، وما أثبتناه موافق لما في تاريخ دمشق .

قبلَه وقال : أيُّها الشيخ ، إنَّ هذا شعرٌ قد سبقْناكَ إليه ، فنَهضَ الشيخ ، فولَّى ذاهباً ، فأتْبَعَهُ خالدٌ مَنْ يَسْمَعُ مايقول ، فإذا هو يُنشِد هذه الأبيات :

ألا في سبيل الله ما كنتُ أرْتَجِي ... لَدَيْهِ وما لاقَيْتُ مِنْ نَكَدِ الجَهْدِ

دخلتُ على بَحْرٍ يَجُودُ بمالِه ... ويُعْطِي كثيرَ المالِ في طلَبِ الحَمْدِ

فخالَفَني الجَدُّ المَشُومُ لِشِقْوَتِي ... وقارَبَنِي نَحْسِي وفارَقَنِي سَعْدِي

فلو كان لي رِزْقٌ لَدَيْهِ لَنِلْتُهُ ... ولكنَّهُ أمْرٌ مِنَ الواحِدِ الفَرْدِ

فرَدَّهُ إلى خالد ، وأعلمَهُ بما كان يقول ، فأمر لَهُ بعشرةِ آلافِ درهم[١] .

وقال الأصمعي : سأل أعرابيٌّ خالداً القَسْرِيَّ أنْ يَمْلأَ له جِرَابَهُ دقِيقاً ، فأمرَ بِمَلْئِهِ دراهم ، فقيل للأعرابي حين خرج : ما فعلَ معك ؟ فقال ؛ سألتُهُ بما أشتهي فأمَرَ لي بما يَشْتَهِي هو .

وقال بعضُهم : بينما خالدٌ يَسِير في مَوْكِبه إذْ تلَقَّاهُ أعرابيٌّ فسألَهُ أنْ يَضْرِبَ عُنقَه ، فقال : وَيْحَك ! ولِمَ ؟ أقطَعْتَ السَّبِيل ؟ أأخرجتَ يداً من طاعَة ؟ فكلُّ ذلك يقول : لا . قال : فلِمَ ؟ قال : من الفقرِ والفاقة . فقال : سَلْ حاجتَك . قال : ثلاثين ألفاً ، فقال خالد : ما رَبِحَ أحَدٌ مثلَ ما ربحتُ اليوم . إني وضعتُ في نفسي أنْ يسألَني مئةَ ألف ، فسأل ثلاثين فربحتُ سبعين ، ارجِعُوا بنا اليوم . وأمَرَ لَهُ بثلاثين ألفاً .

وكان إذا جلس تُوضَعُ الأموالُ بين يديه ويقول : إنَّ هذِهِ الأموالَ ودائعُ لا بُدَّ من تَفْرِقَتِها .

وسقَطَ خاتمٌ لجارِيتهِ رائقة[٢] يُساوي ثلاثين ألفاً في بالوعَةِ الدار ، فسألتْ أنْ تؤتَى بِمَنْ يَستخرجُه ، فقال : إنَّ يدَكِ أكرَمُ عليَّ من أنْ تلبَسَهُ بعدَما صارَ إلى هذا المَوْضِعِ القَذِر . وأمرَ لها بخمسةِ آلافِ دينارٍ بدَلَه ، وقد كان لرائقةَ هذِهِ من الحُلِيِّ شيءٌ عظيم ، من جملةِ ذلك ياقوتةٌ وجوهرة ، كلُّ واحدةٍ بثلاثةٍ وسبعين ألف دينار .

وقد روى البخاري في كتاب « أفعال العباد »[٣] وابنُ أبي حاتم في كتاب السُّنَّة وغيرُ واحدٍ مِمَّنْ صنَّفَ في كُتُبِ السُّنَّة أنَّ خالد بن عبد الله القَسْري خطبَ الناسَ في عيدِ أضحى ، فقال : أيُّها الناس ، ضَحُّوا يَقْبَلُ اللهُ ضحاياكم ، فإنِّي مُضَحٍّ بالجَعْدِ بن دِرْهَم ، إنهُ زعَمَ أنَّ اللهَ لم يَتَّخِذْ إبراهيمَ خليلاً ، ولم يُكلِّمْ موسى

---

(١) الخبر والشعر في بغية الطلب في تاريخ حلب (٧/ ٣٠٧٩) .

(٢) في (ح ، ق) : « رابعة » ، والمثبت من « ب » وتاريخ دمشق ١٦/ ١٥٠ وبغية الطلب (٧/ ٣٠٨٢) .

(٣) هو كتاب « خلق أفعال العباد » في صفحة (٢٩) ، وقد سبق للمؤلف أن ذكره في الجزء التاسع ص(٣٥٠) من نسخة (ق) .

تَكْلِيماً ، تعالى اللهُ عمَّا يقولُ الجعدُ بن دِرْهَم عُلُوّاً كبيراً . ثم نزَلَ فذبحَهُ في أصلِ المِنْبَرِ[1] .

قال غيرُ واحدٍ من الأئمة : كان الجعدُ بنُ دِرْهَم من أهلِ الشام ، وهو مؤدِّبُ مروانَ الحِمار ، ولهذا يُقالُ له مروان الجَعْدِي ، فنُسب إليه ، وهو شيخُ الجَهْمِ بنِ صفوانَ الذي تُنسَب إليه الطائفةُ الجهميةُ الذين يقولون : إنَّ الله في كلِّ مكان بذاتِه ، تعالى الله عمَّا يقولونَ عُلُوّاً كبيراً .

وكان الجعدُ بن درهم قد تلقَّى هذا المذْهبَ الخبيثَ عن رجلٍ يُقالُ له أبَان بن سمعان ، وأخذه أبَانُ عن طالوت ابن أُختِ لَبيد بن أعْصَم ، عن خالِهِ لبيدِ بن أعصَم اليهودي ، الذي سَحَرَ النبيﷺ في مُشْط ومُشَاطَة ، وجُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ له[2] ، وتحتَ راعُوفَةٍ ببئرِ ذي أرْوَان[3] الذي كان ماؤها نُقَاعَة الحِنَّاء[4] ، وقد ثَبَتَ الحديثُ بذلك في الصحيحَيْن وغيرهما[5] وجاء في بعض الأحاديث أن الله تعالى أنزل بسبب ذلك سورتَي المعوِّذتَيْن .

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : حدثنا محمد بن يزيد الرفاعي ، سمعتُ أبا بكر بن عياش قال : رأيتُ

---

(١) سبقت الإشارة إلى رواية البيهقي وابن عساكر لخبر قتله في الصفحة المشار إليها في الحاشية السابقة من البداية والنهاية نسخة (ق) ، ويضاف إلى مصادر التخريج أبو القاسم اللالكائي في كتابه اعتقاد أهل السنة (٢/ ٣١٩)(٥١٢) ، والبخاري في التاريخ الكبير (٣/ ١٥٨) في ترجمة خالد القسري ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٢/ ٤٢٥) ، والمزي في تهذيب الكمال (٨/ ١١٨) والذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٣٢) .

(٢) في (ق) : « وماشطة » ، والمثبت من (ب ، ح) ومصادر تخريج الحديث ، ومُشَاطة : بضم الميم ، وهي الشعرُ الذي يسقطُ من الرأس أو اللحية عند تسريحِه ، وأما المُشط ففيه لغات : مُشْط ومُشُط ومِشْط ، وأما قوله « وجف » ، وفي رواية : « جب » بالجيم وبالباء الموحدة ، وهما بمعنى ، وهو وِعَاءُ طَلْع النخل ، وهو الغشاء الذي يكون عليه ، ويُطلق على الذكر والأنثى ، فلهذا قيَّدَهُ في الحديث بقوله : « طلعة ذكر » ، وهو بإضافة طَلْعَةِ إلى ذكر ، والله أعلم ، ووقع في البخاري من رواية ابن عُيينة « ومشاقة » بالقاف بدل « مشاطة » وهي المُشاطة أيضاً ، وقيل : مُشَاقَةُ الكَتَان . شرح النووي (١٤/ ١٧٧) .

(٣) راعوفة البئر : صخرة تترك في أسفل البئر إذا احتُفرت ، تكونُ ثابتةً هناك ، فإذا أرادوا تنقية البئر جلس المنْقِي عليها ، ويقال : بل هو حجرٌ ناتىء في بعض البئر يكون صُلباً ، لايمكنهم حفره فيُترك على حاله ، ويقال : هو حجرٌ يكون على رأس البئر يقوم عليه المستقي . وقد روى بعض المحدِّثين هذا الحديث أنه جعل سِحرَهُ في جُب طلعة ، ولا أعرف الجُبَّ إلا البئر التي ليست بمطوية ، ولا أرى المحفوظ في الحديث إلا الجف ـ بالفاء . قال أبو عبيد : يقال : أرعُوفة البئر وراعُوفه . غريب الحديث لابن سلام (٢/ ٢٦٨) . وبئر ذي أروان : ووقع في بعض روايات البخاري « ذروان » وكلاهما صحيح ، والأول أجود وأصحّ ، وهي بئر بالمدينة في بستان بني زريق . شرح النووي (١٤/ ١٧٧) .

(٤) النُّقاعة ، بضم النون : الماء الذي يُنقَع فيه الحناء ، شرح النووي (١٤/ ١٧٧) .

(٥) صحيح البخاري (٥/ ٢١٧٤ و٢١٧٦) (٥٤٣٠ و٥٤٣٣) ومسلم (٤/ ١٧٢٠)(٢١٨٩) ، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٥٤٥ـ ٥٤٦)(٦٥٨٣ و٦٥٨٤) .

خالداً القَسْريَّ حين أُتِيَ بالمغيرة وأصحابِه ، وقد وُضع له سريرٌ في المسجد ، فجلس عليه ثم أمر برجلٍ من أصحابه فضُربَتْ عُنقه ، ثم قال للمغيرة بن سعيد : أحْيِه ـ وكان المغيرةُ يزعمُ أنَّهُ يُحْيي الموتى ـ فقال له : واللهِ ـ أصلحك الله ـ ما أحيي الموتى . قال : لتُحيينَّهُ أو لأضربن عنقك . قال : والله ما أقدِرُ على ذلك . ثم أمَرَ بِطنِّ قَصَبٍ فأضرموا فيه ناراً ، ثم قال للمغيرة : اعتَنِقْهُ . فأبَى ، فعدا رجلٌ من أصحابِهِ فاعتنَقَه ، قال أبو بكر : فرأيتُ النارَ تأكلُهُ وهو يُشِيرُ بالسَّبَّابة . قال خالد : هذا واللهِ أحَقُّ بالرِّياسةِ منك . وقتلَ أصحابَه .

وقال المدائني : أُتِي خالدُ بنُ عبدِ الله برجلٍ تنَبَّأ بالكوفة ، فقيل له : ما علامةُ نُبُوَّتِك ؟ قال : قد أُنْزِلَ عليَّ قرآن . قيل : ما هو ؟ قال : إنَّا أعطيناكَ الجماهر ، فصلِّ لربِّكَ ولا تُجاهِرْ ، ولا تُطِعْ كلَّ كافرٍ وفاجر . فأمَرَ به فصُلب ، فقالَ وهو يُصْلَب : إنا أعطيناكَ العَمُود ، فصلِّ لِربِّكَ على عُود ، فأنا ضامِنٌ لكَ ألَّا تعُود .

وقال المبرِّد : أُتِيَ خالدٌ بشابٌ قد وُجد في دارِ قَوْم ، وادُّعِيَ عليه السرقة ، فسألَهُ ، فاعترَف ، فأمرَ بقطعِ يدِه ، فتقدَّمَتْ حَسْناءُ فقالت :

أخالدُ قد أُوطِئتَ واللهِ عَشْوَةً[1] ... وما العاشقُ المسكينُ فينا بسارِقِ
أقرَّ بما لم يَجْنِهِ غيرَ أنَّهُ ... رأى القَطْعَ أولَى من فَضِيحة عاشِقِ[2]

فأمر خالدٌ بإحضارِ أبيها ، فزَوَّجها من ذلك الغلام ، وأمهرَها عنه عشرةَ آلافِ درهم .

وقال الأصمعي : دخل أعرابيٌّ على خالدٍ فقال : إني قد مدَحْتُكَ ببيتَيْن ، ولستُ أُنشِدُهما إلَّا بعشرةِ آلاف وخادِم . فقال : نعَمْ . فأنشأ يقول :

لَزِمْتَ نَعَمْ حتى كأنَّكَ لم تَكُنْ ... سمعتَ من الأشياءِ شيئاً سوى نَعَمْ
وأنكرتَ لا حتى كأنَّكَ لم تكنْ ... سمعتَ بها في سالفِ الدَّهْرِ والأُمَمْ

قال : فأمرَ له بعشرةِ آلاف درهم وخادمٍ يَحمِلُها .

قال : ودخل عليه أعرابيٌّ فقالَ له : سَلْ حاجَتَك . فقال : مئةَ ألف . فقال : أكثَرْتَ ، حُطَّ منها .

---

(١) في (ق) : « عثرة » وفي (ح) : « عزة » ، وكلاهما تصحيف ، والمثبت من (ب) ، ومعناه مِنْ أَوطأَه العَشْوةَ وعَشْوةً : أي أرْكبَه على غير هُدىً . يقال : مَنْ أوطأكَ عَشْوةً ؟ وأَوطأْته الشيء فوَطِئَه . والوَطْأَةُ : موضع القَدَم . وقالوا في المثل « أوْطاتَه العَشْوة » : إذا سامه أمراً ملتبساً يَغتَرُّ به ، لأن مَنْ وطِىءَ الظلمةَ يطأُ مالايُبْصره ، فربما تردَّى في هُوَّة أو وضع قدمه على هامَّة . الفائق للزمخشري (١/ ٨٦) ، واللسان (وطأ) .

(٢) الخبر والبيتان في تاريخ دمشق (١٦/ ١٥٠) المستطرف لابن حجة الحموي (١/ ٤٥٣) .

قال : أضَعُ تسعين ألفاً فتعَجَّبَ منه خالد ! فقال : أيها الأمير ، سألتُك على قَدْرِك . ووَضَعْت على قدري ، فقال له : لن تغلِبَني أبداً ، وأمرَ له بمئةِ ألف .

قال : ودخلَ عليه أعرابيٌّ فقال : إنِّي قد قلتُ فيك شعراً وأنا أستصغِرُهُ فيك ، فقال : قُلْ . فأنشأ يقول :

تعرَّضتَ لي بالجُودِ حتى نعشْتَني وأعطيتَني حتى ظَنَنْتُكَ تَلْعَبُ
فأنتَ الندَى وابنُ الندَى وأخو الندَى حليفُ الندى ما للنَّدَى عنكَ مَذْهَبُ

فقال : سَلْ حاجتَك . قال : عليَّ خمسونَ ألفَ دينار . فقال : قد أمرتُ لك بها وأضْعَفْتُهَا لك[1] . فأعطاهُ مئةَ ألف .

قال أبو الطيب محمدُ بن إسحاق بن يحيى الوَشّاء[2] : دخل أعرابي على خالدٍ القَسْريِّ فأنشده :

كتبتَ نَعَمْ ببابِكَ فهي تَدْعُو إليكَ الناسَ مُسْفِرَةَ النِّقابِ
وقلتَ لِلاعليكِ بِبابِ غَيْرِي فإنَّكِ لَنْ تُرَيْ أبداً بِبابِي

قال : فأعطاهُ على كلِّ بيتٍ خمسين ألفاً .

وقد قال فيه ابنُ مَعِين : كان رَجُلَ سَوْء ، يَقَعُ في عليِّ بنِ أبي طالبٍ رَضِي الله عنه .

وذكر الأصمعيُّ عن أبيه ، أنَّ خالداً حَفَرَ بئراً بمكة ادَّعَى فَضْلَها على زَمْزَم . وله في رواية عنه تفضيلُ الخليفةِ على الرسول ، وهذا كفر ، إلا أنْ يُريدَ بكلامِهِ غيرَ ما يَبْدو منه ، والله أعلم . والذي يَظْهَر أنَّ هذا لا يَصِحُّ عنه ، فإنَّهُ كان قائماً في إطفاءِ الضَّلال والبِدَع كما قدَّمنا من قَتْلِهِ للجَعْدِ بنِ دِرْهَم وغيرِهِ من أهلِ الإلحاد .

وقد نَسَبَ إليه صاحبُ العِقْد أشياءَ لا تَصِحّ ، لأنَّ صاحبَ العِقْد كان فيه تشَيُّعٌ شَنِيع ، ومُغَالاةٌ في أهلِ البيت ، وربما لا يَفْهَمُ أحدٌ من كلامِهِ ما فيه من التشيُّع . وقد اغترَّ بِهِ شيخنا الذهبي فمَدَحَهُ بالحِفْظِ وغيره .

وقد ذكر ابنُ جرير وابنُ عساكر وغيرُهما[3] أن الوليدَ بن يزيد كان قد عزَمَ على الحَجِّ في إمارتِه ، فمن نِيَّتِهِ أن يشربَ الخمرَ على ظهرِ الكعبة ، فلما بلغ ذلك جماعةً من الأمراء اجتمعوا على قتلِه ، وتوليةِ غيرِهِ

---

(١) في (ب ، ح) : « وشفعتها لك » .

(٢) في (ق) : « الوساى » ، تصحيف ، وهو محمد بن إسحاق أبو الطيب النحوي ، يعرف بابن الوشاء ، كان من أهل الأدب ، حسن التصانيف ، مليح الأخبار ، وحدث عن عبد الله بن أبي سعد الوراق وأبي العباس ثعلب ، والمبرد وطبقته ، روت عنه منية جارية خلافة أم ولد المعتمد على الله . تاريخ بغداد (١/ ٢٥٣ ، ٢٥٤) .

(٣) انظر مختصر تاريخ ابن عساكر (٧/ ٣٨٤) ، وما تقدم ص(٢١٩) من هذا الجزء .

من الجماعة ، فحَذَّرَ خالدٌ أميرَ المؤمنين منهم ، فسأله أن يُسمِّيَهم فأبى عليه ، فعاقبه عقاباً شديداً ، ثم بعث بهِ إلى يوسفَ بن عمر ، فعاقبه حتى ماتَ شرَّ قِتْلَةٍ وأسوَأها ، وذلك في مُحَرَّم من هذه السنة . أعني سنةَ ستٍّ وعشرين ومئة .

وذكره القاضي ابنُ خَلِّكَان في الوفيات وقال[١] : كان مُتَّهماً في دينِه ، وقد بَنَى لأُمِّهِ كَنِيسةً في دارِهِ ، فنال منه بعضُ الشعراء بسببِ ذلك[٢] .

وقال صاحبُ الأعيان[٣] : كان في نسبِهِ يهود ، فانتمَوْا إلى العرب ، وكان يقرب إلى شِقٍّ وسَطِيح ، قال القاضي ابن خَلِّكان[٤] : وقد كانا ابنَي خالة ، وعاش كلٌّ منهما ستَّ مئة ، ووُلِدَا في يومٍ واحِد ، وذلك يوم ماتتْ طريفة بنت الخير بعدَما تفلَتْ في فمِ كلٍّ منهما وقالت : إنَّهُ سيقومُ مقامي في الكَهَانة . ثم ماتَتْ من يومِها .

وممن توفي في هذه السنة :

جَبَلَةُ بن سُحَيم[٥] .

ودَرَّاج أبو السَّمْح[٦] .

وسعيد بن مسروق[٧] في قول .

وسليمان بن حَبِيب المحاربي قاضي دمشق[٨] .

---

(١) وفيات الأعيان (٢/ ٢٢٨) .

(٢) وهو الفرزدق في قوله :

ألا قبح الرحمن ظهر مطية أتتنا تهادى من دمشقَ بخالدِ
وكيف يؤمُّ الناسَ مَنْ كانتِ امُّهُ تَدِينُ بأنَّ الله ليس بواحدِ
بَنَى بيعَةً فيها الصليبُ لأُمِّهِ وَيَهْدِمُ من بغضٍ منارَ المساجدِ

انظر وفيات الأعيان (٢/ ٢٢٨ ، ٢٢٩) . وانظر ديوان الفرزدق ص(٢٦) فروايته « وهدَّم من بغض الصلاةِ المساجدا » .

(٣) هو ابن خلِّكان السابق ذكره في الوفيات (٢/ ٢٣٠) .

(٤) في وفيات الأعيان (٢/ ٢٣٠) .

(٥) ترجمته في التاريخ الكبير (٢/ ٢١٩) ، الجرح والتعديل (١/ ١٣٦) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣١٥) .

(٦) هو ابن سمعان ، ترجمته في التاريخ الكبير (٣/ ٢٥٦) ، الجرح والتعديل (٣/ ٤٤١) ، مشاهير علماء الأمصار ص(١٨٩) ، تهذيب الكمال (٨/ ٤٧٧) ، تقريب التهذيب ص(٢٠١) .

(٧) ترجمته في التاريخ الكبير (٣/ ٥١٣) ، الجرح والتعديل (٤/ ٦٦) ، مشاهير علماء الأمصار ص(١٦٧) .

(٨) ترجمته في التاريخ الكبير (٤/ ٦) ، الجرح والتعديل (٤/ ١٠٥) ، مشاهير علماء الأمصار ص(١١٦) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٠٩) .

وعبد الرحمن بن قاسم شيخ مالك .

وعبيد الله بن أبي يزيد[١] .

وعمرو بن دينار[٢] . وقد ذكرنا تراجِمَهم في كتاب« التكميل » .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومئة

استُهلَّت هذه السنةُ والخليفةُ إبراهيم بن الوليدِ بن عبدِ الملك بوَصِيَّةٍ أخيه يزيدَ الناقصِ إليه ، ومبايَعَةِ الأمراءِ له بذلك ، وجميعِ أهل الشام ، إلَّا أهلَ حِمص فلم يُبايعوه ، وقد تقدَّمَ أنَّ مروانَ بن محمد الملقَّبَ بالحِمار كان نائباً بأذْرَبيجَانَ وإرْمِينيَة ، وتلك كانتْ لأبيه من قبلِه ، وكان نَقَمَ على يزيدَ بن الوليد في قَتْلِهِ الوليدَ بن يزيد ، وأقبل في طلبِ دَم الوليد ، فلما انتهَى إلى حَرَّان أنابَ وبايَعَ يزيدَ بنَ الوليد ، فلم يلبَثْ إلَّا قليلاً حتى بلغَهُ موتهُ ، فأقبل في أهلِ الجزيرة ، حتى وصل قِنَّسْرِين ، فحاصرَ أهلَها فنزَلوا على طاعته ، ثم أقبلَ إلى حمص وعليها عبدُ العزيز بن الحجَّاج من جهةِ أميرِ المؤمنين إبراهيمَ بنِ الوليد ، فحاصرهم حتى يبايعوا لإبراهيم بنِ الوليد ، وقد أصرُّوا على عدَمِ مُبايعته ، فلما بلغ عبدَ العزيز قربُ مروانَ بنِ محمد ترحَّلَ عنها ، وقدم مروانُ إليها ، فبايعوه وساروا معَهُ قاصِدينَ دمشق ، ومعهم جندُ الجزيرة وجُندُ قِنَّسْرِين ، فتوجَّهَ مروانُ إلى دمشقَ في ثمانينَ ألفاً وقد بعث إبراهيمُ بن الوليد سليمانَ[٣] بنَ هشام بن عبد الملك في مئةٍ وعشرينَ ألفاً ، فالتقى الجيشان عندَ عَيْنِ الجَرّ[٤] من البِقاع ، فدعاهُمْ مروانُ إلى الكفِّ عن القتال ، وأن يتخلَّوْا عنِ ابنَي الوليد بن يزيد ، وهما الحكم وعثمان اللذان قد أخذَ العهدَ لهما ، وكان يزيدُ قد سجنَهما بدمشق ، فأبَوْا عليه ذلك . فاقتتلوا قِتالاً شديداً ، من حين ارتفاعِ النهار إلى العصر ، وبعثَ مروانُ سريةً تأتي جيشَ سليمان بن هشام من ورائهم ، فتمَّ لهم ما أرادوه ، وأقبلوا من ورائهم يُكَبِّرون ، وحَمَلَ الآخرون من تلقائهم عليهم ، فكانتِ الهزيمةُ في أصحابِ سليمان ، فقتَلَ منهم أهلُ حمصَ خلقاً كثيراً ، واستُبيح عسكرُهم ، وكان مقدارُ ما قُتل من أهلِ دمشقَ في ذلك اليوم قريباً من سبعة عشر ألفاً أو ثمانيةَ عَشرَ ألفاً ، وأُسر منهم مثلُهم ، فأخذ عليهم مروانُ البيعة للغلامَيْنِ ابنَي الوليد الحكمِ

(١) ترجمته في التاريخ الكبير (٥/ ٤٠٣) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٤٢) .

(٢) ترجمته في التاريخ الكبير (٦/ ٣٢٨) ، الجرح والتعديل (٦/ ٢٣١) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٠٠) .

(٣) سقطت كلمة « سليمان » من نسخة (ق) ، وهو تحريف شنيع ، وأثبتُّها من (ب ، ح) ، وروي الخبر مفصلاً في تاريخ الطبري (٤/ ٢٧٤) .

(٤) الجَرّ ، بالفتح والتشديد : وهو في الأصل الجبل ، وعين الجر : جبلٌ بالشام ، من ناحية بَعْلَبَكّ . معجم البلدان (٢/ ١٢٤) .

وعثمان ، وأطلقَهم كلَّهم سوى رجلَيْن ، وهما يزيدُ بن العقار ، والوليد بن مصَاد الكلبيَّان ، فضربَهما بين يديه بالسياط وحبسهما ، فماتا في السجن ، لأنهما كانا مِمَّنْ باشرَ قتلَ الوليد بن يزيد حين قُتل . وأمَّا سليمان بن هشام وبقيةُ أصحابه فإنهم استمرُّوا منهزمين ، فما أصبحَ لهم الصبحُ إلا بدمشق فأخبروا أميرَ المؤمنين إبراهيم بن الوليد بما وقع ، فاجتمع معهم رؤوس الأمراء في ذلك الوقت وهم عبد العزيز بن الحجَّاج ، ويزيد بن خالد بن عبد الله القَسْري وأبو علاقة السَّكْسَكي ، والأصبغ بن ذؤالة الكلبي ، ونظراؤهم ، على أن يَعمِدوا إلى قتل ابني الوليد الحكم وعثمان خشيةَ أن يَلِيَا الخلافةَ فيُهْلِكا مَنْ عاداهما وقَتَل أباهما ، فبعثوا إليهما يزيدَ بن خالد بن عبد الله القسري فعمد إلى السجن وفيه الحكم وعثمان ابنا الوليد وقد بَلَغا ، ويقال : ولد لأحدِهما ولد ، فشدَخهما بالعُمُد ، وقتَلَ يوسفَ بن عُمر وكان مسجوناً معَهما ، وكان في سجنِهما أيضاً أبو محمد السفياني ، فهرب فدخل في بيتٍ داخلَ السجن ، وجعل وراء البابِ رَدْماً فحاصروه ، فامتَنع ، فأتَوْا بنارٍ ليحرقوا الباب ، ثم اشتغلوا عن ذلك بقُدومِ مروانَ بنِ محمد وأصحابِه إلى دمشق في طلب المنهزمين .

ذكرُ دخولِ مروانَ الحمار دمشقَ وولايَتِه الخلافةَ وعزلِهِ إبراهيمَ بنِ الوليدِ عنها

لما أقبل مروانُ بِمَنْ معَه من الجُنود من عينِ الجَرّ ، واقتربَ من دمشق وقد انهزمَ أهلُها بين يديه بالأمس ، هربَ إبراهيمُ بن الوليد ، وعمَدَ سليمانُ بن هشام إلى بيت المال ففتحه وأنفقَ ما فيه على أصحابِه ومَنِ اتَّبَعَهُ من الجيوش ، وثار موالي الوليدِ بن يزيد إلى دارِ عبد العزيز بن الحجَّاج فقتلوه فيها وانتهبوها ، ونبَشوا قبرَ يزيدَ بنِ الوليد وصلبوه على بابِ الجابية ، ودخل مروانُ بن محمد دمشق فنزَل في أعاليها ، وأُتِي بالغلامَيْن الحكم وعثمان وهما مقتولان ، وكذلك يوسف بن عمر ، فأمرَ بهم فدُفنوا ، وأُتِيَ بأبي محمد السُّفياني وهو في كُبوله ، فسلَّمَ على مروانَ بالخلافة ، فقال مروان : مَهْ . فقال : إنَّ هذَيْنِ الغلامَيْنِ جعَلاها لك من بعدِهما . ثم أنشد قصيدةً قالها الحكَمُ في السِّجْن ، وهي طويلة منها قوله :

أَلا مَـنْ مُبلِـغٌ مـروانَ عَنِّـي ... وعَمِّي الغَمْرَ طالَ بِذا حَنِينَا

بأنِّي قد ظُلمتُ وصارَ قومي ... علـى قَتْـلِ الـوليـد متـابعينـا

فإنْ أَهْلِكْ أنا ووليُّ عَهْدِي ... فمَـروانٌ أميـرُ المـؤمنينـا

ثم قال أبو محمد السُّفياني لمروان : ابْسُطْ يدَك . فكان أولَ مَنْ بايَعَهُ بالخِلافة معاويةُ[1] بن يزيد بن

(١) في (ق) : « فمعاوية » ، فعلى هذا يكون السفياني أول من بايعه ، ولكنْ ليست الفاء في (ب ، ح) ولا في تاريخ الطبري (٤/ ٢٨٠) ، ولفظه : « فكان أول من نهض معاوية . . . » والخبر والقصيدة فيه بتمامها .

حصين بن نمير ، ثم بايعه رؤوس أهلِ الشام من أهلِ دمشقَ وحمصَ وغيرِهم ، ثم قال لهم مروان : اختاروا أُمرَاء نُوَلِّيهمْ عليكم . فاختار أهلُ كلِّ بلَدٍ أميراً فوَلَّاهُ عليهم . فعلى دمشق زامِلُ بن عمرو الحُبْراني ، وعلى حمص عبد الله بن شجرة الكِنْدي ، وعلى الأُرْدُنِّ الوليد بن معاوية بن مروان ، وعلى فِلَسْطين ثابت بن نعيم الجذامي ، ولما استوَتِ الشامُ لمروانَ بن محمد رجَعَ إلى حَرَّان ، وعند ذلك طلَبَ منه إبراهيمُ بن الوليد الذي كان خليفةً وابنُ عمِّه سليمان بن هشام الأمانَ فأمَّنَهُما ، وقَدِمَ عليه سليمانُ بن هشام في أهلِ تدمرَ فبايَعُوه ، ثم لما استقرَّ مروانُ في حَرَّان أقامَ فيها ثلاثةَ أشهر ، فانتقضَ عليه ما كان انبرم له من مُبايعة أهل الشام ، فنقَضَ أهلُ حمصَ وغيرُهم ، فأرسلَ إلى أهلِ حمصَ جيشاً فوافَوْهُمْ ليلةَ عيدِ الفِطْر من هذه السنة ، وقَدِمَ مروانُ إليها بعد الفِطْرِ بيومَيْن ، فنازَلها مروانُ في جنودٍ كثيرة ، ومعه يومئذٍ إبراهيمُ بن الوليد المخلوع ، وسليمانُ بن هشام وهُما عندَهُ مُكَرَّمانِ خَصِيصَان ، لايَجلِسُ إلَّا بِهما وقتَ الغَدَاء والعَشَاء ، فلما حاصَرَ حمصَ نادَوْه : إنَّا على طاعَتِك . فقال : افتحوا بابَ البلد . ففتحوه ، ثم كان منهم بعضُ القتال ، فقُتل منهم نحو الخمسمئة ، أو الست مئة ، فأمَرَ بِهم فصُلِبوا حولَ البَلَد ، وأمَرَ بِهَدْم بعضِ سُورِها .

وأمَّا أهلُ دمشق ، فأمَّا أهلُ الغُوطة فحاصروا أميرَهم زاملَ بن عمرو ، وأمَّروا عليهم يزيدَ بن خالد القَسْري . وثبت في المدينةِ نائبُها ، فبعث إليه أمير المؤمنين مروان من حمص عسكراً نحوَ عشرة آلاف ، فلما اقتربوا من دمشق خرج النائبُ ومَنْ معَه ، والتقَوْا والعسكرَ بأهلِ الغُوطَةِ فهزموهم ، وحرقوا المِزَّة وقُرَى أخرى معها ، واستجار يزيدُ بن خالد القَسْرِيُّ وأبو علاقة الكلبي برجلٍ من أهلِ المِزَّة من لَخْم ، فدلَّ عليهم زاملُ بنُ عمرو فقتلَهما وبعثَ برأسَيْهما إلى أميرِ المؤمنين مروانَ وهو بحمص .

وخرج ثابتُ بنُ نُعيم في أهلِ فلَسْطين على الخليفة ، وأتَوْا طَبَرِيَّةَ فحاصروها ، فبعث الخليفةُ إليهم جيشاً فأجلَوْهُمْ عنها ، واستباحوا عسكرَهم ، وفرَّ ثابتُ بنُ نُعَيم هارباً إلى فِلَسطين ، فاتَّبَعَهُ الأمير أبو الوَرْد ، فهزمه ثانيةً ، وتفرَّقَ عنه أصحابُه . وأسر أبو الورد ثلاثةً من أولادِه ، فبعثَ بِهم إلى الخليفة وهم جرحَى ، فأمرَ بِمُدَاواتِهم ، ثم كتبَ أمير المؤمنينَ إلى نائبِ فِلَسْطِين ، وهو الرُّمَاحِسُ بن عبدالعزيز الكِنَاني يأمرُهُ بطَلَبِ ثابتِ بن نُعيم حيث كان ، فما زالَ يتلطَّفُ بهِ حتى أخذَهُ أسيراً . وذلك بعد شهرَيْن ، فبعثه إلى الخليفة ، وأمرَ بقطعِ يديه ورِجْلَيْه ، وكذلك جماعة كانوا معَه ، وبعثَ بهم إلى دمشق ، فأُقيموا على بابِ مسجدِها ، لأنَّ أهلَ دمشقَ كانوا قد أرْجَفوا بأن ثابتَ بن نُعيم ذهب إلى ديارِ مصر ، فتغلَّبَ عليها ، وقتلَ نائبَ مروانَ فيها ، فأُرسل إليهم مقطَّعَ اليدَيْن والرجلَيْن لِيعرفوا بُطلانَ ما كانوا به أرجفوا ، وأقام الخليفةُ مروانُ بدَيْر أيُّوب عليهِ السلام مُدَّةً ، حتى بايع لابنِهِ عبدِ الله ، ثم عُبيدالله ، وزوَّجَهما ابنتَيْ هشام ، وهما أمُّ هشام ، وعائشة ، وكانَ مَجْمَعاً حافِلاً ، وعَقْداً هائلاً ، ومُبايعةً عامَّةً ، ولكن لم تكنْ في نفسِ الأمرِ تامَّةً .

وقَدِمَ الخليفةُ إلى دمشق ، وأمر بثابتٍ وأصحابِهِ بعدَما كانوا تقطَّعوا أنْ يُصَلَّبوا على أبوابِ البلد ، ولم يستبقِ منهم أحداً إلا واحداً ، وهو عُمَرُ بن الحارث الكلبي ، وكان عندَهُ فيما زَعَمَ عِلْمٌ بودائعَ كان ثابتُ بنُ نُعيم أودَعَها عندَ أقوام ، واستوسَقَ أمرُ الشام لِمَروان ماعدا تَدْمُر ، فسار من دمشقَ فنزَل القَسْطَلَ من أرضِ حِمْص ، وبلَغَهُ أنَّ أهلَ تَدْمُرَ قد غوَّروا مابينَهُ وبينهم من المياه ، فاشتدَّ غَضَبُهُ عليهم ، ومعه جحافِلُ من الجيوش ، فتكلَّم الأبرشُ بنُ الوليد . وكانوا قومَه ، فسأل منه أنْ يُرْسِلَ إليهم أولاً ليُعْذِرَ إليهم ، فبعث عمرَو بن الوليد أخا الأبرش ، فلمَّا قَدِمَ عليهم لم يَلْتفِتُوا إليه ولا سمعوا له قولاً فرجع ، فهَمَّ الخليفةُ أنْ يبعثَ الجنود ، فسأله الأبرشُ أنْ يذهبَ إليهم بنفسِه ، فأرسلَهُ ، فلما قَدِمَ عليهم الأبرشُ كلَّمهم واستمالَهم إلى السمعِ والطاعة ، فأجابَهُ أكثَرُهم وامتَنَعَ بعضُهم ، فكتبَ إلى الخليفةِ يُعلِمُهُ بما وقع ، فأمرَهُ الخليفةُ أن يَهْدِمَ بعضَ سُورِها ، وأنْ يُقبِلَ بمَنْ أطاعَهُ منهم إليه ، ففعل ، فلمَّا حضروا عندَهُ سارَ بِمَنْ معَهُ من الجنود نحوَ الرُّصَافةِ على طريق البَرِّيَّة ، ومعه من الرؤوسِ إبراهيمُ بنُ الوليد المَخْلوع ، وسليمان بن هشام ، وجماعةٌ من ولدِ الوليد ويزيد وسليمان ، فأقام بالرُّصَافةِ أياماً ، ثم شخَصَ إلى الرَّقَّة ، فاستأذنه سليمانُ بن هشام أن يقيمَ هناكَ أيَّاماً ليستريحَ ويَحْمِي ظهرَه . فأذِنَ له ، فانحدرَ مروانُ فنزَلَ عندَ واسطَ على شَطِّ الفرات ، فأقام ثلاثاً ، ثم مضى إلى قَرْقِيسِيَا وابنُ هُبَيرةَ بها ليبعثَهُ إلى العراق لِمُحاربة الضحَّاك بن قيس الشيباني الخارجي الحَرُوري ، واشتغل مروانُ بِهذا الأمر ، وأقبلَ عشرةُ آلاف فارسٍ ممَّنْ كان مروانُ قد بعثَهم في بعض السرايا ، فاجتازوا بالرُّصَافة وفيها سليمانُ بن هشام بن عبد الملك الذي كان استأذن الخليفةَ في الْمُقَامِ هناك للرَّاحة ، فدعَوْهُ إلى البيعةِ له وخَلْعِ مَرْوانَ بن محمد ومحارَبَته ، فاستزَلَّهُ الشيطان ، فأجابهم إلى ذلك ، وخلعَ مروانَ ، وسارَ بالجيوشِ إلى قِنَّسْرِين ، وكاتَبَ أهلَ الشام ، فانتهوا[1] إليه من كلِّ وَجْه ، وكتب سليمانُ إلى ابنِ هُبيرةَ الذي جهَّزَهُ مروانُ لقتالِ الضحَّاك بن قيس الخارجي ، يأمرُهُ بالمسيرِ إليه ، فالتفَّ إليه نَحْوٌ من سبعين ألفاً ، وبعث مروانُ إليهم عيسى بنَ مسلم ، في نحوٍ من سبعين ألفاً ، فالتقَوْا بأرضِ قِنَّسْرين ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وجاء مروانُ والناسُ في حَرْب ، فقاتلهم أشدَّ قتالٍ فهزمهم ، وقَتَل يومئذٍ إبراهيمَ بنَ سليمان بن هشام ، وكانَ أكبرَ ولدِه ، وقتل منهم نيفاً وثلاثين ألفاً ، وذهب سليمانُ مغلوباً ، فأتى حِمص ، فالتفَّ عليه مَنِ انْهزم من الجيش ، فعسكر بهم فيها ، وبَنَى ما كان مروانُ هدَمَ من سُورِها ، فجاءهم مروان ، فحاصرهم بها ، ونصَبَ عليهم نيِّفاً وثمانين مَنْجَنيقاً ، فمكث كذلك ثمانيةَ أشهرٍ يَرْمِيهم ليلاً نهاراً ، ويخرجون إليه كلَّ يوم ، ويقاتلون ثم يَرْجِعون . هذا وقد ذهب سليمانُ وطائفةٌ من الجيشِ معَهُ إلى تدمرَ وقد اعترضوا جيشَ مروانَ في الطريق ، وهَمُّوا بالفَتْكِ به ، وأن ينتهبوه ، فلم يُمكِنهم ذلك ، وتَهيَّأ مروانُ فقاتلهم ، فقتلوا من جيشهِ قريباً من ستةِ آلاف ،

---

(١) في (ق) : « فانفصوا » ، والمثبت من (ب ، ح) .

وهم تسع مئة ، وانصرفوا إلى تدمر ، ولَزِمَ مروانُ محاصرةَ حِمص كمال عشرةِ أشهر ، فلمَّا تتابعَ عليهمُ البلاءُ ولَزِمَهُمُ الذُّلُّ سألوه أنْ يُؤمِّنَهم ، فأبَى إلَّا أنْ يَنْزِلوا على حُكْمِه ، ثم سألوه الأمانَ على أنْ يُمكِّنُوهُ من سعيدِ بنِ هشام[1] وابنَيْهِ مروانَ وعثمان ، ومن السَّكْسَكِيِّ الذي كان معه على جيشه ، ومن حُبْشِي ـ كان يفتري عليه ويشتمه ـ فأجابَهم إلى ذلك ، فأمَّنَهم وقتلَ أولئك ، ثم سار إلى الضحَّاك .

وكان عبدُ الله بن عمر بن عبد العزيز نائب العراق قد صالح الضحَّاكَ الخارجي على ما بيدِهِ من الكوفةِ وأعمالِها ، وجاءتْ[2] خيول مروانَ قاصدةً إلى الكوفة ، فتلقَّاهُمْ نائبُها من جهة الضحَّاك مِلْحَانُ الشيباني ، فقاتَلَهم ، فقُتِلَ مِلْحان ، واستنابَ الضحَّاكُ عليه المثنَّى بنَ عمران من بني عائدة ، وسار الضحَّاكُ في ذي القعدة إلى المَوْصِل ، وسار ابنُ هُبيرة إلى الكوفة ، فانتزَعَها من أيدي الخوارج ، وأرسل الضحَّاكُ جيشاً إلى الكوفة فلم يجدْ شيئاً .

وفي هذه السنة خرج الضحَّاكُ بن قيس الشيباني ، وكان سببَ خروجه أنَّ رجلاً يُقالُ له سعيدُ بن بَهْدَل ـ وكان خارجياً ـ اغتنمَ غفلةَ الناس ، واشتغالَهم بمقتلِ الوليد بن يزيد ، فثارَ في جماعةٍ من الخوارج بالعراق ، فالتفَّ عليه أربعةُ آلاف ـ ولم تجتمِعْ قبلَها لخارجيّ ـ فقصَدَتْهم الجيوش ، فاقتتلوا معهم ، فتارةً يَكْسِرون ، وتارةً يُكْسَرون ، ثم مات سعيد بن بهدل في طاعونٍ أصابه ، واستخلف على الخوارج من بعدِهِ الضحَّاكَ بنَ قيس هذا ، فالتفَّ أصحابُهُ عليه ، والتقى هو وجيشٌ كثير ، فغلبتِ الخوارجُ وقَتَلوا خلقاً كثيراً ، منهم عاصمُ بن عمر بن عبد العزيز ، أخو أميرِ العراق عبدِ الله بن عمر بن عبد العزيز ، فرثاه بأشعار ، ثم قصَدَ الضحَّاكُ بطائفةٍ من أصحابِهِ مروانَ ، فاجتازَ الكوفة ، فنهضَ إليهِ أهلُها فكسَرَهم ، ودخل الكوفَةَ فاستحوذَ عليها ، واستنابَ بِها رجلاً اسْمُهُ حسَّان ، ثم استنابَ مِلْحَان الشيبانيَّ في شعبانَ من هذه السنة ، وسار في طلب عبدِ الله بن عمر بن عبد العزيز نائبِ العراق ، فالتقَوْا ، فجرَتْ بينَهم حروبٌ كثيرةٌ يطولُ ذِكْرُها وتَفْصِيلُها .

وفي هذه السنة اجتمعَتْ جماعةٌ من الدُّعَاةِ إلى بني العباس عندَ إبراهيمَ بنِ محمد الإمام ، ومعهم أبو مُسلم الخُرَاساني ، فدفعوا إليهِ نفَقَاتٍ كثيرةً ، وأعطَوْهُ خُمْسَ أموالِهم ، ولم ينتَظِمْ لهمْ أمرٌ في هذه السنة لكثرَةِ الشُّرورِ المنتشرة ، والفِتَنِ الواقعة بين الناس .

وفي هذه السنة خرج بالكوفة معاويةُ بن عبدِ الله بن جعفر بن أبي طالب ، فدعا إلى نفسِه وخرجَ إلى محاربة أميرِ العراق وعبدِ الله بن عمر بن عبد العزيز ، فجَرتْ بينهما حروبٌ يطولُ ذكرُها ، ثم أجلاهُ عنها ، فلَحِقَ بالجِبال ، فتغلب عليها .

(١) جاء في (ق) من هذا الموضع علَّق عليها الناسخ أنها زيادة من النسخة المصرية ، قلتُ : هذه الزيادة المشار إليها بالحاصرتين والحاشية موجودة في نسختي (ب ، ح) .

(٢) في (ح) : « وكانت » .

وفي هذه السنة خرج الحارث بن سُرَيج الذي كان لَحِقَ ببلاد التُّرك ، ومالأَهُمْ على المسلمين ، فمَنَّ اللهُ عليه بالهِداية ، ووفَّقَهُ حتى خرج إلى بلادِ الشام ، وكان ذلك عن دعاءِ يزيدَ بنِ الوليد إلى الرجوع إلى الإسلام وأهلِه ، فاجابه إلى ذلك ، وخرج إلى خراسان فأكرَمَهُ نَصْرُ بن سيَّار نائبُها ، وفرح المسلمون به ، وجاؤوا لتهنئته ، ثم وقعَ بينه وبين نصر بن سيار سَوْرَةٌ[1] ، واستمرَّ الحارثُ بن سريج على الدعوةِ إلى الكتابِ والسنَّة ، وطاعةِ الإمام ، وعنده بعضُ المناوَأة لنصرِ بنِ سيار .

قال الواقدي وأبو معشر[2] : وحجَّ بالناسِ في هذه السنة عبدُ العزيز بنُ عمر بن عبد العزيز ، أميرُ الحجاز ومكة والمدينة والطائف ، وأمير العراق النَّضْرُ بن سعيد الحَرَشيّ ، وقد خرج عليه الضحَّاك الحَرُوريّ وعبد الله بن عبد العزيز ، وأميرُ خراسان نصر بن سَيَّار ، وقد خرج عليه الكَرْماني والحارثُ بن سُريج .

وممن تُوفي في هذه السنة :

بُكَير بن الأشج[3] ،

وسعد بن إبراهيم ،

وعبدالله بن دينار ،

وعبدالملك بن مالك الجزري ،

وعُمير بن هانىء ،

ومالك بن دينار ،

ووَهْب بن كَيْسان ،

وأبو إسحاق السَّبِيعِي .

---

(١) سَوْرَةُ السُّلْطان : سطوته واعتداؤه ، وفي حديث عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت زينب فقالت : كُلُّ خِلَالِهَا محمودٌ ما خلا سَوْرَةً مِنْ حِدَّة . اللسان (سور) . وما قبل هذه اللفظة في (ق) ساقط منها وهو مثبت في (ب ، ح) ولفظه فيهما« صورة » بدل « سورة » .

(٢) ذكر ذلك الطبري في تاريخه (٤/ ٢٩١) .

(٣) في (ق) : « بكر » وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) ، وهو بُكير بن عبد الله بن الأشج ، ترجمته في التاريخ الكبير (٢/ ١١٣) ، معرفة الثقات للعجلي (١/ ٢٥٤) ، الثقات لابن حبان (٦/ ١٠٦) ، التعديل والتجريح (١/ ٤٣٩) ، تهذيب الكمال (٤/ ٢٤٢) ، الكاشف (١/ ٢٧٥) ، تقريب التهذيب ص(١٢٨) .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومئة

فيها كان مقتلُ الحارثِ بن سُريج ، وكان سببُ ذلك أنَّ يزيدَ بن الوليد الناقص كان قد كتبَ إليه كتابَ أمانٍ حتى خرج من بلادِ التُّرك وصار إلى المسلمين ، ورجَعَ عن موالاةِ المشركينَ إلى نُصْرَةِ الإسلامِ وأهلِه ، وأنَّهُ وقع بينه وبين نصرِ بن سيَّار أميرِ خراسان وَحْشَةٌ ومُنَافسَاتٌ كثيرةٌ يطول ذكرُها ، فلما صارتِ الخلافةُ إلى مروانَ بنِ محمد استَوْحَش الحارثُ بن سُرَيج من ذلك ، وتولَّى ابنُ هُبيرة نيابةَ العراق ، وجاءتِ البيعةُ لمروان ، فامتنع الحارثُ من قَبُولِها ، وتكلَّمَ في مروان ، وجاءهُ مَسْلمةُ بن أَحْوَز أميرُ الشرطة ، وجماعةٌ من رؤوسِ الأجنادِ والأمراء ، وطلبوا منه أن يكفَّ لسانَهُ ويدَه ، وأن لا يُفرِّقَ جماعةَ المسلمين ، فأبَى وبرَزَ ناحيةً عن الناس ، ودعا نصرَ بنَ سيارٍ إلى ما هو عليهِ من الدعوةِ إلى الكتابِ والسنَّة ، فامتنع نصرٌ من موافقتِه ، واستمرَّ هو على خروجهِ على الإسلام ، وأمرَ الجَهْمَ بنَ صفوانَ مولى بني راسب ـ ويُكنَى بأبي محرز ، وهو الذي نُسبَتْ إليه الفرقةُ الجَهْمِيَّة ـ أن يقرأ كتاباً فيه سيرةُ الحارثِ على الناس ، وكان الحارثُ يقول : أنا صاحبُ الرايات السود ، فبعث إليه نصرٌ يقول : إنْ كنتَ ذاك فلعمري إنكمُ الذين تُخرِبونَ سُورَ دمشق ، وتُزيلون بني أمية ، فخُذْ مِنِّي خمسَ مئةِ رأس ، ومئتَي بَعِير ، وما شئتَ من الأموال ، وإنْ كنتَ تُريدُ غيرَه فقد أهلكتَ عشيرتَك . فبعث إليه الحارثُ يقول : لعمري إنَّ هذا الأمرَ لكائن ، فقال له نصر : فابدَأْ بالكَرْماني أولاً ، ثم سِرْ إلى الرَّيِّ وأنا في طاعتِكَ إذا وصلتَها .

ثم تناظَرَ نصرٌ والحارثُ ورَضِيَا أنْ يَحْكُمَ بينهما مُقاتِلُ بن حَيَّان ، والجَهْمُ بن صَفْوان ، فحكمَا أنْ يُعزَلَ نصرٌ ويكونَ الأمرُ شُورَى ، فامتنعَ نصرٌ من قَبُول ذلك ، ولَزِمَ الجَهْمُ بنُ صفوان وغيرُه قراءةَ سيرةِ الحارثِ على الناس في الجامعِ والطُّرُق ، فاستجابَ له خَلْقٌ كَثِير وجمعٌ غفير ، فعند ذلك انتدَبَ لقتالِهِ جماعاتٌ من الجيوش عن أمرِ نصرِ بن سَيَّار ، فقصَدوه ، فجاحَفَ[1] دونه أصحابُه ، فقُتل منهم طائفةٌ كثيرةٌ ، منهم الجَهْمُ بن صَفوان ، طعنَهُ رجلٌ في فيهِ فقتلَه .

مقتل الجَهْم بن صَفْوان

ويقال : بل أُسرَ الجهمُ ، فأوقف بين يدَيْ سَلْم بن أحوَز ، فأمرَ بقَتْلِه ، فقال : إنَّ لي أماناً من أبيك . فقال : ما كان له أنْ يؤمِّنَك ، ولو فعَل ما أمَّنْتُك ، ولو ملأتَ هذهِ المُلاءةَ كواكب ، وأنزلتَ عيسى ابنَ

(١) في (ق) : « فحارب » ، والمثبت من (ب ، ح) ، وجاحف من تَجَاحُف القوم في القِتال : هو تناوُلُ بعضهم بعضاً بالعِصِيّ والسُّيوف . والجحافُ : مُزاحمةُ الحَرْبِ . لسان العرب (جحف) .

مريم ما نجَوْت ؛ والله لو كنتَ في بطني لشقَقْتُ بَطْني حتى أقتُلَك . وأمرَ عبد ربه بنَ سيسن[١] فقتله ، ثم اتفق الحارثُ بن سُريج والكَرْماني على نصر ومخالفتِه ، والدعوةِ إلى الكتاب والسنَّة ، واتباعِ أئمةِ الهدى ، وتحريم المنكرات ، إلى غير ذلك مما جاءتْ به الشريعة ، ثم اختلفا فيما بينهما ، واقتتلا قتالاً شديداً ، فغلب الكَرْمانيُّ وانهزَم أصحابُ الحارث ، وكان راكباً على بغل ، فتحوَّل إلى فرس ، فحرنَتْ أنْ تمشي ، وهربَ عنه أصحابُه ، ولم يبقَ معهُ منهم سوى مئة ، فأدركه أصحابُ الكَرْماني فقتلوه تحتَ شجرةِ زيتون ، وقيل : تحت شجرة غُبَيْراء[٢] ، وذلك يوم الأحد لستٍّ بقينَ من رجب من هذه السنة ، وقُتل معه مئةٌ من أصحابه ، واحتاط الكرمانيُّ على حواصِله وأموالِه ، وأخذ أموالَ منْ خرجَ معَه أيضاً ؛ وأمر بصَلْبِ الحارث بلا رأس على بابِ مدينة مَرْو .

ولما بلغ نصرَ بنَ سيَّار مقتلُ الحارثِ قال في ذلك :

يا مُدْخلَ الذُّلِّ على قومِهِ ... بُعْداً وسُحْقاً لكَ منْ هالِكِ
شؤمُكَ أرْدَى مُضَراً كُلَّها ... وغَضَّ منْ قَومِكَ بالحارِكِ
ما كانتِ الأزْدُ وأشياعُها ... تطمعُ في عَمْرٍو ولا مالِكِ
ولا بني سَعْدٍ إذا أُلْجِمُوا ... كُلَّ طِمِرٍّ لَوْنُهُ حالِكِ[٣]

وقد أجابهُ عبَّادُ[٤] بن الحارث بن سُريج فيما قال :

ألا يا نصرُ قد بَرِحَ الخَفَاءُ ... وقد طالَ التمَنِّي والرجاءُ
وأصبحتِ المزونُ بأرضِ مَرْوٍ ... تُقضِّي في الحكومةِ ما تشاءُ
يجوزُ قضاؤها في كلِّ حُكْمٍ ... على مُضَرٍ وإنْ جارَ القضاءُ
وحِمْيَرُ في مجالسها قُعودٌ ... تَرقْرقُ في رقابِهمُ الدِّماءُ
فإنْ مُضَرٌ بذا رَضِيتْ وذَلَّتْ ... فطالَ لها المذلَّةُ والشَّقاءُ
وإنْ هي أعتَبَتْ فيها وإلَّا ... فحلَّ على عساكِرِها العَفَاءُ

---

(١) في (ق) : « وأمر ابن ميسر فقتله » . والمثبت من (ب ، ح) وتاريخ الطبري (٤/ ٢٩٥) .

(٢) في (ق) : « عبيرا » ، وفي (ح) : « عتبرا » ، والمثبت من (ب) ، والغبيراء : نباتٌ سُهْليّ ، وقيل : الغَبراء شجرته ، والغُبيراء ثمرته ؛ وهي فاكهة ، وقيل : الغُبيراء شجرته ، والغَبراء ثمرته ، بقلب ذلك ، الواحدُ والجمعُ فيه سواء . وأما هذا الثمر الذي يقال له الغُبيراء فدخيلٌ في كلام العرب . قال أبو حنيفة : الغُبيراء شجرةٌ معروفة ، سُمِّيَتْ غُبيراء لِلَوْن ورَقِها وثمرتِها إذا بدَتْ ، ثم تحمرُّ حمرةً شديدة . قال : وليس هذا الاشتقاق بمعروف . قال : ويُقال لثمرتِها الغُبيراء . قال : ولا تُذكر إلا مصغَّرة . لسان العرب (غبر) .

(٣) الخبر مفصلاً والأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ٢٩٨ ، ٢٩٩) ، والكامل لابن الأثير (٥/ ٢٠) .

(٤) في (ب ، ح) : « غياث بن الحارث » ، والمثبت من (ق) وتاريخ الطبري (٤/ ٢٩٩) .

وفي هذه السنة بعث إبراهيمُ بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أبا مسلم الخُراساني إلى خراسان وكتب معه كتباً إلى شيعتِهم بها ، إنَّ هذا أبا مسلم فاسمعوا له وأطيعوا ، وقد ولَّيتُهُ على ما غلَبَ عليه من أرضِ خُرَاسان ، فلمَّا قَدِمَ أبو مسلم خراسان ، وقرأ على أصحابه هذا الكتاب لم يلتفتوا إليه ، ولم يعملوا به ، وأعرضوا عنه ، ونَبَذوه وراءَ ظهورهم ، فرجع إلى إبراهيم بن محمد أيام الموسم فاشتكاهم إليه ، وأخبرهُ بما قابلُوهُ من المخالفة ، فقال له : يا عبدَ الرحمن إنَّك رجلٌ منا أهلَ البيت ، ارجعْ إليهم ، وعليك بهذا الحيِّ من اليمن ، فأكرِمْهُم[١] وانزلْ بين أظهرِهم ، فإنَّ الله لا يُتمِّمُ هذا الأمرَ إلَّا بهم . ثم حذَّرهُ من بقيَّةِ الأحياء وقال له : إنِ استطعتَ أنْ لا تدعَ بتلك البلادِ لساناً عربياً فافعلْ ، ومنْ بلَغَ من أبنائهم خمسةَ أشبار واتَّهمتَهُ فاقتُلْه ، وعليك بذاك الشيخ فلا تَعْصِهِ[٢] ـ سليمان بن كثير .

وسيأتي ما كان من أمرِ أبي مسلم الخُراساني فيما بعدُ إنْ شاء الله تعالى .

وفي هذه السنة قُتل الضحَّاكُ بن قيس الخارجي في قولِ أبي مِخْنَف ، وكان سببُ ذلك أنَّ الضحاك حاصرَ عبدَ الله بن عمر بن عبد العزيز بواسط ، ووافقه على مُحَاصرَتِه منصور بن جُمهور ، فكتب عبدُ الله بن عمر بن عبد العزيز إليه : إنه لا فائدةَ لك في محاصرتي ، ولكنْ عليك بمروان بن محمد ، فسرْ إليه ، فإن قتلتهُ اتبعتُك . فاصطلحا على مخالفةِ مروانَ بنِ محمد أميرِ المؤمنين . وترحَّل الضحاك عنه ، وسارَ قاصداً إلى قتالِ مروانَ بن محمد أميرِ المؤمنين ، فلما اجتازَ الضحَّاكُ بالمَوْصل كاتبهُ أهلُها فمالَ إليهم ، فدخلَها وقتَلَ نائبَها ، واستحوذَ عليها ، وبلغ ذلك مروانَ وهو مُحاصِرٌ حِمص ، ومشغولٌ بأهلها ، وعدمِ مبايعتِهم إياه ، فكتب إلى ابنه عبدِ الله بن مروان ـ وهو نائبُهُ على الجزيرة ـ يأمرُهُ أن يقاتلَ الضحاك بالموصل ، وسار الضحاكُ إلى عبد الله بن مروان ، وكان الضحاك قد التفَّ عليه مئةُ ألفٍ وعشرون ألفاً ، فحاصروا نَصيبين ، وساق مروانُ في طلبه ، فالتقَيَا هنالك ، فاقتتلا قتالاً شديداً جدّاً ، فاقتحمَ الضحاكُ عن فرسِه ، وترجَّلَ معه جماعةٌ من كُبَراء الأمراء ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقُتل الضحَّاكُ في المعركة ، وحجَز الليلُ بين الفريقَيْن ؛ وفقَدَ أصحابُ الضحاكِ الضحاكَ ، وشكُّوا في أمرِهِ حتى أخبرَهم منْ شاهدَهُ قد قُتل ، فبكَوْا عليه وناحوا ، وجاء الخبرُ إلى مروان ، فبعث إلى المعركةِ بالمشاعل ومَنْ يعرفُ مكانَهُ بين القتلى فلمّا وجدوه جاؤوا به إلى مروانَ وهو مقتول ، وفي رأسه ووجههِ نحوٌ من عشرين ضربة ، فأمرَ برأسِه فطِيفَ به في مدَائنِ الجزيرة . واستخلف الضحاكُ على جيشهِ من بعدِهِ رجلاً يُقالُ له الخَيْبَري ، فالتفَّ عليه بقيةُ جيشِ الضحَّاك ، والتفَّ مع الخيبري سليمانُ بن هشام بن عبدِ الملك وأهلُ بيتِه ومواليه ، والجيش الذي كانوا قد بايعوه في السنة الماضية على الخلافة ، وخلعوا مروانَ بنَ

---

(١) في (ح) : « فالزمهم » ، وما أثبتناه موافق لتاريخ الطبري .

(٢) في بعض النسخ : « تقصه » وما أثبتناه من (ح) وتاريخ الطبري .

محمد عن الخلافة لأجلِه ، فلما أصبحوا اقتتلوا مع مروان ، فحمل الخيبريُّ في أربعمئة من شجعان أصحابه على مروانَ وهو في القلب ، فكرَّ منهزماً ، واتَّبعوهُ حتى أخرجوه من الجيش ، ودخلوا عسكرَه ، وجلس الخيبريُّ على فُرُشِه ، هذا وميمنةُ مروانَ ثابتة ، وعليها ابنُه عبدُ الله ، وميسرتُهُ أيضاً ثابتةٌ وعليها إسحاق بن مسلم العقيلي ، ولما رأى عبدُ الله العسكر فارّين مع الخيبري ، وأنَّ الميمنةَ والميسرةَ من جهتهم[١] باقيتان ، طَمِعُوا فيه ، فأقبلوا إليه بعُمُد الخيام فقتلوه بها ، وبلغ قتلُهُ مروانَ وقد سارَ عن الجيش نحوَ خمسةِ أميال أو ستة ، فرجع مسروراً ، وانهزم أصحابُ الضحاك وقد ولَّوْا عليهم شَيبان ، فقصَدَهم مروانُ بعدَ ذلك بمكانٍ يُقال له الكراديس[٢] فهزمهم .

وفيها بعث مروانُ الحمار على إمارةِ العراق يزيدَ بن عمرَ بنِ هُبيرة ليقاتِلَ منْ بها من الخوارج .

وفي هذه السنة حجَّ بالناسِ عبدُ العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وهو نائبُ المدينةِ مكةَ والطائف ، وأميرُ العراق يزيدُ بن عمر بن هُبيرة ، وأميرُ خراسان نصر بن سيَّار .

ومِمن توفي في هذه السنة :

بكرُ بن سَوَادة ،

وجابرٌ الجُعْفيّ ،

والجَهْمُ بن صَفْوان مقتولاً كما تقدَّم ،

والحارثُ بن سُريج أحَدُ كُبَراء الأمراء ـ وقد تقدَّمَ شيءٌ من ترجمتِه ـ

وعاصمُ بنُ بَهْدَلة ،

وأبو حَصِين عثمان بن عاصم ،

ويَزِيد بنُ أبي حَبِيب ،

وأبو التَّيَّاح يزيد بن حُميد ،

وأبو جَمْرة الضُّبَعي[٣] ،

---

(١) في (ح) : « جيشهم » .

(٢) كذا في الأصول ، وصُحِّف في (ح) إلى « الكرادش » ، وهو وهمٌ من المؤلف ، فليس ثمة موضع يقال له الكراديس ، وعبارة الطبري تكشف عن هذا الوهم إذ قال في تاريخه (٤/ ٣٠٢) : « فقاتلهم مروانُ بعدَ ذلك بالكراديس وأبطلَ الصفَّ منذُ يومئذٍ » . فلا يقصد بالكراديس اسم الموضع ، وإنما قصدَ طريقةَ القتال بالكراديس . وهي جمع كُرْدُوس ، وهو القطعةُ من الخيل العظيمة ، ويقال : كَرْدَسَ القائدُ خيلَه : أيْ جعلَها كتيبةً كتيبة .

(٣) واسمه نصر بن عمران بن عصام . تقريب التهذيب ص(٥٦١) .

وأبو الزبير المكّي[١] ،

وأبو عِمْرانَ الجَوْني[٢] ،

وأبو قَبيل الْمَعَافِرِيّ[٣] ؛ وقد ذكَرْنَا تراجِمَهُم في « التكميل » .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومئة

فيها اجتمعتِ الخوارجُ بعدَ الخيبري على شيبانَ بنِ عبد العزيز بن الحليس اليشكري الخارجي ، فأشار عليهم سُليمان بن هشام أنْ يتحصَّنوا بالمَوصل ، ويجعلوها مَنْزلًا لهم ، فتحوَّلوا إليها ، وتَبِعهم مروانُ بن محمد أميرُ المؤمنين ، فعسكروا بظاهرها ، وخندقوا عليهم مما يلي جيشَ مروان ، وقد خندق مروانُ على جيشِهِ أيضاً من ناحيتِهم ، وأقام سنةً يُحاصِرُهم ويقتَتِلونَ في كُلِّ يومٍ بُكْرَةً وعشيَّة . وظَفِرَ مروانُ بابنِ أخٍ لسليمان بن هشام وهو أمية بن معاوية بن هشام ، أسرَهُ بعضُ جيشِه ، فأمر بهِ فقُطعتْ يدَاه ، ثم ضرب عُنقه ، وعمُّه سليمانُ والجيشُ ينظرون إليه ؛ وكتب مروان إلى نائبِهِ بالعراق يزيدَ بنِ عمر بن هُبيرة يأمُرُهُ بقتالِ الخوارجِ الذين في بلادِه ، فجرَتْ له معهم وقعاتٌ عديدة ، فظفر بهم ابنُ هُبيرة وأبادَ خَضْراءَهم ، ولم يبقَ لهم بقيَّةٌ بالعراق ، واستنقذَ الكوفة من أيدي الخوارج ، وكان عليها المثنى بن عمران العائذي ـ عائذة قريش ـ في رمضان من هذه السنة . وكتب مروانُ إلى ابنِ هُبيرة لما فَرَغ من الخوارج أنْ يمُدَّهُ بعامر بن ضُبَارة[٤] ـ وكان من الشجعان ـ فبعثه إليه في سبعةِ آلاف أو ثمانية آلاف ، فأرسلتِ الخوارجُ إليه سريَّةً في أربعةِ آلاف ، فاعترضوه في الطريق ، فهزمهم ابنُ ضُبارة ، وقتل أميرَهم الْجَوْنَ بن كلاب الشيباني الخارجي ، وأقبل نحو الموصل ، ورجعَ فَلُّ الخوارجِ إليهم ، فأشار سليمان بنُ هشام عليهم أنْ يرتحلوا عن الموصل ، فإنه لم يكنْ يُمكِنهُم الإقامةَ بها ؛ ومروانُ من أمامِهم وابنُ ضُبارةَ من ورائهم ، وقد قطع عنهم المِيرَة ، حتى يجدوا شيئاً يأكلونَه ، فارتحلوا عنها ، و ساروا على حُلْوان إلى الأهواز . فأرسل مروانُ بن ضُبَارة في آثارِهم في ثلاثةِ آلاف ، فاتَّبعَهم يقتلُ منْ تخلَّف منهم ، ويلحقهم في مواطن فيقاتلهم ، وما زال وراءهم حتى فرَّقَ شَمْلَهم شذَرَ مَذَر وهلك أميرُهم شيبان بن عبد العزيز اليَشْكُرِيُّ بالأهواز في السنة القابلة ، قتله خالدُ بن مسعود بن جعفر بن خُليد الأزدي . وركب سليمان بن هشام في مواليه وأهلِ بيتِه السُّفُنَ وساروا إلى السِّنْد .

---

(١) واسمه محمد بن مسلم بن تَدْرُس . تقريب التهذيب ص(٥٠٦) .

(٢) واسمه عبد الملك بن حبيب الأزدي . تقريب التهذيب ص(٣٦٢) .

(٣) واسمه حُييُّ بن هانىء . تقريب التهذيب ص(١٨٥) .

(٤) في الأصول : « عمار بن صبارة » ، وهو تصحيف والمثبت من تاريخ الطبري في مواضع عدة .

ورجعَ مروانُ من الموصل فأقام بِمَنْزِله بِحَرَّان ، وقد وجد سروراً بزوالِ الخوارج ، ولكنْ لم يتمَّ سرورُه ، بل أعقبه القدَرُ منْ هو أقوى شوكةً ، وأعظَمَ أتباعاً ، وأشدَّ بأساً من الخوارج ، وهو ظهور أبي مسلم الخُراساني ، الداعيةُ إلى دولةِ بني عباس .

أول ظهورِ أبي مسلم الخُرَاساني

وفي هذه السنة ورَدَ كتابُ إبراهيمَ بنِ محمد الإمام العباسي بطلَبِ أبي مسلم الخُراساني من خُراسان ، فسار إليه في سبعينَ من النُّقَبَاء ، لا يمرُّونَ ببلدٍ إلَّا سألوهم : إلى أين تذهبون ؟ فيقول أبو مسلم : نُريدُ الحجّ . وإذا توسَّمَ أبو مسلم من بعضِهم ميلاً إليهم دعاهم إلى ما هم فيه ، فيُجيبُهُ إلى ذلك ، فلما كان ببعضِ الطريق جاء كتابٌ ثانٍ من إبراهيمَ الإمام إلى أبي مسلم : إني بعثتُ إليك برايةِ النصر ، فارجعْ إلى خُراسان ، وأظهرِ الدَّعْوَة . وأمَرَ قحطبةَ بنَ شبيب أن يسيرَ بما معه من الأموال والتُّحَف إلى إبراهيم الإمام ، فيوافيه في الموسم .

فرجع أبو مسلم بالكتاب ، فدخلَ خُراسان في أولِ يومٍ من رمضان ، فرُفعَ الكتاب إلى سليمانَ بنِ كثير ، وفيه : أنْ أظهرْ دعوتَك ولا تتربَّصْ . فقدَّموا عليهم أبا مسلمٍ الخُراساني داعياً إلى بني العباس ، فبعث أبو مسلم دُعاتَهُ في بلاد خُراسان ، وأميرُ خُراسان نَصْرُ بن سَيَّار مشغولٌ بقتالِ الكَرْماني ، وشيبانَ بنِ سلمةَ الحَرُوريّ ، وقد بلغ من أمرِه أنه كان يُسلِّم عليه أصحابُه بالخلافة في طوائفَ كثيرةٍ من الخوارج .

فظهر أمْرُ أبي مسلم ، وقَصَدَهُ الناسُ من كلِّ جانب ، فكان ممَّنْ قصدَهُ في يومٍ واحدٍ أهلُ ستينَ قريةً ، فأقام هناك اثنين وأربعين يوماً ، ففُتحت على يديه أقاليمُ كثيرة ، ولما كان ليلةُ الخميس لخمسٍ بَقِين من رمضان في هذه السنة عقدَ أبو مسلم اللواءَ الذي بعثَهُ إليه الإمامُ - ويُدْعَى الظِّل - على رُمْحٍ طولُه أربعةَ عشرَ ذراعاً ؛ وعقَدَ الرايةَ التي بعَثَ بها بها الإمام أيضاً - وتُدْعى السحاب - على رُمح طولُه ثلاثةَ عشرَ ذراعاً ؛ وهما سَوْداوان ، وهو يتلو قولَهُ تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُـلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَـدِيرٌ ﴾ [الحج : ٣٩] ؛ ولَبِسَ أبو مسلم وسليمانُ بن كثير ومنْ أجابَهم إلى الدعوة السَّوَاد ، وصارت شعارَهم ؛ وأوْقَدوا في هذه الليلة ناراً عظيمةً يَدعونَ بها أهلَ تلكَ النواحي ؛ وكانتْ علامةً بينهم ، فتجمَّعوا ، ومعنى تسميةِ إحدَى الرايتَيْن بالسحاب ، أنَّ السحابَ كما يُطبقُ جميعَ الأرض ، كذلك بنو العباس تطبقُ دعوتُهم أهلَ الأرض . ومعنى تسميةِ الأخرى بالظِّلّ أنَّ الأرضَ كما أنَّها لا تخلو من الظِّلّ ، فكذلك بنو العباس لا تخلو الأرضُ من قائمٍ منهم . وأقبل الناسُ إلى أبي مسلمٍ من كلِّ جانب ، وكثُرَ جيشُه .

ولما كان يومُ عيدِ الفِطْر أمرَ أبو مسلمٍ سليمانَ بن كثير أنْ يُصلِّيَ بالناس ، ونَصَبَ له مِنبراً ، وأن يُخالفَ في ذلك بني أمية ، ويعملَ بالسُّنَّة ؛ فنُودِيَ للصلاة الصلاة جامعة ، ولم يؤذِّنْ ولم يُقِم ، خلافاً لهم ، وبدأ بالصلاةِ قبلَ الخُطْبة ، وكبَّرَ سبعاً في الأولى قبلَ القراءة لا أربعاً ؛ وخمساً في الثانية لا ثلاثاً ،

خلافاً لهم ، وابتدأ الخطبةَ بالذِّكْرِ والتكبير ، وختمها بالقراءة . وانصرفَ الناسُ من صلاةِ العيد وقد أعدَّ لهم أبو مسلمٍ طعاماً ، فوضعهُ بين يدي الناس ، وكتب إلى نصر بن سيَّار كتاباً بدأ فيه بنفسه ثم قال :

إلى نصرِ بنِ سَيَّار ، بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، فإن الله عَيَّرَ أقواماً في كتابِهِ فقال : ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ﴾ إلى قوله : ﴿ تَحْوِيلًا ﴾ [فاطر : ٤٢ ـ ٤٣] . فعَظُمَ على نصر أنْ قَدَّمَ اسمَهُ على اسمِه ، وأطال الفِكْرَ وقال : هذا كتابٌ لهُ جواب .

قال ابنُ جرير[١] : ثم بعث نصرُ بن سيار خيلاً عظيمةً لمحاربةِ أبي مسلم ، وذلك بعد ظهورِهِ بثمانيةَ عشرَ شهراً ، فأرسل أبو مسلم إليهم مالكَ بن الهيثم الخُزَاعي ، فالتقَوْا ، فدعاهُمْ مالكٌ إلى الرِّضا عن آلِ رسولِ الله ﷺ ، فأبوْا ذلك ، فتصافُّوا من أوَّلِ النَّهار إلى العصر ، فجاء إلى مالكٍ مدَد ، فقَوِي عليهم واستظهر ، فظَفِرَ بهم مالك ، وكان هذا أولُ موقفٍ اقتتَلَ فيه دعاةُ بني العباس وجندُ بني أمية .

وفي ذي القَعْدةِ من هذه السنة غلَبَ خازمُ بن خزيمة على مَرْوِ الرُّوذ ، وقَتَلَ عاملَها من جهةِ نصرِ بن سَيَّار ، وهو بِشْرُ بن جعفر السَّعدي ، وكتب بالفَتْحِ إلى أبي مسلم ، وكان أبو مسلم إذْ ذاك شاباً قد اختاره إبراهيمُ لدعوتِهم ، وذلك لشهامتِهِ وصرامتِه ، وقوةِ فَهْمِهِ وجَوْدةِ ذِهْنه ، وأصلُهُ من سوادِ الكُوفة ؛ وكان مولًى لإدريسَ بنِ مَعْقل العِجْلي ، فاشتراهُ بعضُ دعاةِ بني العباس بأربع مئةِ دِرْهم ، ثم أخذه محمدُ بن علي ، ثم آلَ وَلاؤهُ لآلِ العباس ، وزوَّجهُ إبراهيمُ الإمامُ بابنةِ أبي النَّجْم إسماعيلَ بنِ عمران ، وأصدَقَها عنه ، وكتب إلى دُعاتِهم بخراسان والعراق ، أنْ يسمعوا له . فامتثلوا أمرَهُ في هذه المدَّة ، وقد كانوا في السَّنة الماضية قبلَ هذه السنة ردُّوا عليه أمرَهُ لِصِغَرِهِ فيهم ؛ فلمَّا كانتْ هذه السنةُ أكَّدَ الإمام كتابهُ إليهم في الوصاةِ به وطاعته ، وكان في ذلك الخيرُ له ولهم ، ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب : ٣٨] .

ولمَّا فَشَا أمرُ أبي مسلم بخراسان تعاقدَتْ طوائفُ من أحياءِ العربِ الذين بها على حَرْبِه ومُقاتلته ، ولم يُكرِهِ الكرماني وشيبان لأنَّهما خرجا على نصر ، وأبو مسلم مخالفٌ لنصر كحالِهما ، وهو مع ذلك يَدْعو إلى خَلْعِ مروانَ الحمار ، وقد طلب نصرٌ من شيبانَ أنْ يكونَ معهُ على حَرْب أبي مسلم أو يكفَّ عنه حتى يتفرغَ لحَرْبه ، فإذا قتلَ أبا مسلم عادا إلى عداوتِهما ؛ فأجابه إلى ذلك فبلغَ ذلك أبا مسلم ، فبعث إلى الكَرْمانيِّ يُعلمُه بذلك ، فلام الكرمانيُّ شيبانَ على ذلك وثناه عن ذلك ، وبعث أبو مسلم إلى هَرَاة النضرَ بنَ نُعيم ، فأخذها من عاملها عيسى بن عقيل الليثيّ ، وكتب إلى أبي مسلم بذلك ، وجاء عاملُها إلى نصرٍ هارباً ، ثم إنَّ شيبانَ وادَعَ نصرَ بن سيَّارٍ سنةً على تَرْك الحرب بينه وبينه ، وذلك عن كُرْهٍ من الكَرْمانيّ ، فبعث ابنُ الكرماني إلى أبي مسلم : إني معك على قتالِ نصر ، ورَكِبَ أبو مسلم في خدمةِ ابنِ الكَرْمانيّ ، فنَزلَ عنده ، واجتمعا فاتفقا على حربِ نصرٍ ومخالفتِه ، وتحول أبو مسلمٍ إلى موضعٍ فسيح ،

---

(١) هو الطبري في تاريخه (٤/ ٣٠٨) .

وكَثُرَ جُندُه ، وعَظُمَ جيشُه ، واستعمل على الحَرَسِ والشُّرطِ والرسائلِ والديوان وغير ذلك مما يحتاج إليه الملك عمّالاً ، وجعل القاسمَ بن مجاشع التميميَّ ـ وكان أحد النقباء ـ على القضاء ؛ وكان يصلِّي بأبي مسلم الصلوات ، ويقصُّ بعض القصص ، فيذكر محاسن بني هاشم ، ويذم بني أمية ، ثم تحوَّل أبو مسلم إلى قريةٍ يُقالُ لها بالين ، وكان في مكانٍ منخفِض ، فخشيَ أنْ يقطعَ عنه نصرُ بن سيارٍ الماء ، وذلك في سادسِ ذي الحجَّة من هذه السنة ، وصلَّى بهم يوم النَّحْر القاضي القاسم بن مجاشع ، وسار نصرُ بنُ سيار في جحافلَ كالسحاب قاصداً قتالَ أبي مسلم ، واستخلف على البلاد نُوَّاباً ، وكان من أمرهما ما سنذكرُه في السنةِ الآتية .

مقتل ابن الكرماني

ونَشِبتِ الحرب بين نصرِ بن سيارٍ وبين ابنِ الكَرْماني ، وهو جديع بن علي الكَرْماني ، فقُتل بينهما من الفريقَيْن خَلْقٌ كَثير ، وجعل أبو مسلم يُكاتبُ كلاً من الطائفتين ، ويستميلُهم إليه ، يكتبُ إلى نصر ، وإلى ابنِ الكَرْماني : إنَّ الإمامَ قد أوصاني بكُمْ خيراً ، ولستُ أعدو رأيَهُ فيكم . وكتب إلى الكُور يَدْعو إلى بني العباس ، فاستجاب له خَلْقٌ كَثير ، وجَمٌّ غَفِير ، وأقبل أبو مسلمٍ فنزلَ بين خندقِ نصر ، وخندقِ ابن الكرماني ، فهابَهُ الفريقان جميعاً ، وكتب نصرُ بن سيَّارٍ إلى مروانَ يُعلِمُهُ بأمرِ أبي مسلم وكثرةِ منْ معه ، وأنه يدعو إلى إبراهيمَ بنِ محمد ، وكتب في جملةِ كتابِه :

أرى بين الرَّمَادِ وَمِيضَ جَمْرٍ ... وأحْرَى أنْ يكونَ لَهُ ضِرَامُ
فإنَّ النارَ بالعِيدانِ تُذْكَى ... وإنَّ الحربَ مَبْدؤها الكلامُ
فقلتُ من التعجُّب ليتَ شِعْري ... أأيقاظٌ أميةُ أمْ نيامُ[1]

فكتب إليه مروان : الشاهِدُ يرَى ما لا يراهُ الغائب . فقال نصر : إنَّ صاحبَكمْ قد أخبرَكم أنْ لا نَصْرَ عندَه .

وبعضُهم يرويها بلفظٍ آخر :

أرى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِيضَ نارٍ ... فيوشكُ أنْ يكونَ لَها ضِرَامُ
فإنَّ النارَ بالزَّيْدَيْنِ تُورَى ... ونارُ الحربِ أوَّلُها كلامُ
فإن لم يُطْفِها عقلاءُ قومٍ ... يكونُ وقودَها جُثَثٌ وهامُ
فقلتُ من التعجُّبِ ليتَ شِعْري ... أأيقاظٌ أميةُ أمْ نِيَامُ

---

(١) الخبر والأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ٣١٤) .

فَـإنْ كـانـوا لِحَيْنِهِـمُ نيـامـاً ... فقُلْ قوموا فقد حانَ القيامُ[١]

قال ابنُ خَلِّكان[٢] : وهذا كما قال بعضُ عَلَوِيَّةِ الكُوفة حين خرجَ محمدٌ وإبراهيمُ ابنا عبدِ الله بن الحسن على المنصور أخي السفاح :

أرى نـاراً تشبُّ على بِقَـاعٍ ... لهَـا فـي كـلِّ نـاحيـةٍ شُعَـاعُ
وقد رَقَدَتْ بنو العباسِ عنها ... وبـاتَـتْ وهـي آمنـةٌ رِتَـاعُ
كمـا رقـدَتْ أميـةُ ثـم هَبَّتْ ... تُـدَافـعُ حيـن لا يُغْنـي الـدِّفَاعُ

وكتبَ نصرُ بن سيَّار أيضاً إلى نائبِ العراق يزيدَ بنِ عمر بنِ هُبيرة يستمِدُّه ، وكتب إليه :

أبلـغْ يـزيـدَ وخيـرُ القـولِ أصـدقُـهُ ... وقد تبيَّنْتُ أنْ لا خيرَ في الكذِبِ[٣]
بـأنَّ أرضَ خُـراسـانٍ رأيـتُ بهـا ... بيْضاً لو افْرَخَ قد حدِّثْتُ بالعَجَبِ[٤]
فِـرَاخُ عـامَيْـنِ إلَّا أنَّهـا كَبِـرَتْ ... لَمَّـا يَطِـرْنَ وقـد سُـرْبِلْـنَ بـالـزَّغَـبِ
فـإنْ يَطِـرْنَ ولـم يُحْتـلْ لَهُـنَّ بهـا ... يُلْهبـنَ نِيـرانَ حَـرْب أيَّمـا لَهَـبِ[٥]

فبعث ابنُ هُبَيرةَ بكتابِ نصرٍ إلى مروان ، واتَّفَقَ في وصولِ الكتابِ إليه أنْ وجدوا رسولاً من جهةِ إبراهيم الإمام ، ومعه كتابٌ منه إلى أبي مسلم ، وهو يشتُمُه فيه ويسُبُّه ، ويأمرُهُ أنْ يُناهضَ نصرَ بنَ سَيَّارٍ وابنَ الكَرْماني ، ولا يترُك هناك منْ يُحْسنُ العربية . فعند ذلك بعثَ مروانُ وهو مقيمٌ بحَرَّانَ كتاباً إلى نائبِهِ بدمشق ، وهو الوليد بن معاوية بن عبد الملك ، يأمرُهُ أنْ يرسل كتاباً إلى نائبهمْ بالبَلْقاء ، أنْ يَذْهب إلى الحُمَيْمَة[٦] ـ وهي البلدةُ التي فيها إبراهيمُ بن محمد الإمام ـ فيُقَيِّدَه ويُرسلَهُ إليه . فبعثَ نائبُ دمشقَ إلى نائبِ البَلْقاء ، فذهب إلى مسجدِ البلدةِ المذكورة ، فوجدَ إبراهيمَ الإمام جالساً ، فقيَّدهُ وأرسل به إلى دمشق ، فبعثه نائبُ دمشقَ من فَوْرِهِ إلى مروان ، فأمرَ بِهِ فسُجنَ ثم قُتل كما سيأتي .

وأمَّا أبو مسلم فإنَّه لَمَّا توسَّطَ بين جيشِ نصرٍ وابنِ الكَرْمَانيّ ، كاتَبَ ابنَ الكرماني : إني معك . فمالَ إليه ، فكتبَ إليه نصر : وَيْحَكَ ! لا تَغْتَرَّ ، فإنَّهُ إنما يُريد قتلَكَ وقتلَ أصحابِك ، فهَلُمَّ حتى نكتبَ كتاباً بيننا بالْمُوَادَعَة . فدخلَ ابنُ الكَرْمانيِّ دارَهُ ثم خرج إلى الرَّحْبَةِ في مئةِ فارس ، وبعث إلى نصر هَلُمَّ حتى

---

(١) الأبيات والخبر في وفيات الأعيان (٣/ ١٤٩ ، ١٥٠) .
(٢) في وفيات الأعيان (٣/ ١٥٠) .
(٣) في (ق) : « وقد تحققت » ، والمثبت من (ب ، ح) .
(٤) في (ق) : « بيضاً إذا أفرخت » ، والمثبت من (ب ، ح) .
(٥) الأبيات والخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٣١٤) .
(٦) الحميمة : بلفظ تصغير الحَمَة . بلدٌ من أرض الشراة من أعمال عَمَّان ، في أطرافِ الشام ، كانتْ منزلَ بني العباس . معجم البلدان (٢/ ٣٠٧) .

نتكاتبَ ، فأبصرَ نَصْرٌ غِرَّةً من ابنِ الكَرْمانيِّ فنهض إليهِ في خلْقٍ كثير ، فحمَلوا عليه فقتلوه ، وقتلوا من جماعتِهِ جماعةً ، وقُتل ابنُ الكرمانيِّ في المعركة ، طعَنَهُ رجلٌ في خاصِرَتِه ، فخَرَّ عن دابَّتِهِ ، ثم أمر نصرٌ بصَلْبِه وصَلَب معه جماعةً ، وصلَبَ معه سمكة ، وانضافَ وَلَدُهُ إلى أبي مسلم الخُراساني ، ومعه طوائفُ من الناسِ من أصحابِ ابنِ الكَرْماني ، فصاروا كَتِفاً واحداً على نصر .

قال ابنُ جرير[١] : وفي هذه السنة تغلَّبَ عبدُ الله بن معاوية بنِ عبد الله بن جعفر على فارسَ وكُورِها ، وعلى حُلْوان ، وقُومس ، وإصْبهان ، والرَّيّ ، بعدَ حَرْبٍ يطولُ ذكرُها ؛ ثم التقى عامر بن ضُبَارة معه بإصْطَخر ، فهزمه ابنُ ضُبَارة وأَسَرَ من أصحابِهِ أربعينَ ألفاً ، فكان منهم عبدُ الله بن علي بن عبد الله بن عباس ، فنسبه ابنُ ضُبارة وقال له : ما جاء بكَ معَ ابنِ معاوية وقد علمتَ خِلافةَ لأميرِ المؤمنين ؟ فقال : كان عليَّ دَيْنٌ فأتَيْتُهُ فيه . فقامَ إليه حَرْب بن قَطَنِ بن وهب الهلالي فاستوهَبَهُ منه وقال : هو ابنُ أختنا . فوهَبَهُ لهُ وقال : ما كنتُ لأقدِمَ على رجلٍ من قريش . ثم استعلَمَ ابنُ ضُبارةَ منه أخبارَ ابنِ معاوية ، فذَمَّهُ ورَمَاهُ هو وأصحابَه باللِّوَاط ؛ وجيء من الأسارَى بمئةِ غلامٍ عليهم الثيابُ المصبغة ، وقد كان يعملُ معهمُ الفاحشة . وحمل ابنُ ضُبارة عبدَ الله بن علي على البريد لابن هُبيرة لِيُخبِرَهُ بما أخبر به ابنُ ضبارة عن ابنِ معاوية ، وقد كتب الله عزَّ وجلَّ أنَّ زوالَ مُلكِ بني أمية يكونُ على يديْ هذا الرجل ، وهو عبدُ الله بن علي بن عبد الله بن عباس ، ولا يَشْعُرُ واحدٌ منهم بذلك .

قال ابنُ جرير[٢] : وفي هذه السنة وافَى[٣] الموسمَ أبو حمزةَ الخارجي ، فأظهر التحكيمَ والمخالفة لمروانَ ، وتبرَّأ منه . فراسلهم عبدُ الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، وهو يومئذٍ أميرُ مكَّةَ والمدينةِ والطائف ، وإليهِ أمرُ الحَجِيج في هذه السنة ، ثم صالحهم على الأمانِ إلى يوم النَّفْر ، فوقفوا على حِدَةٍ بين الناس بعرفات ، ثم تحيَّزوا عنهم ، فلما كان يومُ النَّفْرِ الأولِ تعَجَّلَ عبدُ الواحِدِ وترَكَ مكةَ فدخلها الخارجيُّ بغيرِ قتال ، فقال بعضُ الشعراء في ذلك :

زارَ الحَجِيجَ عصابةٌ قد خالَفُوا ... دِينَ الإلَهِ فَفَرَّ عبدُ الواحدِ

تركَ الحلائلَ والإمارةَ هارباً ... ومَضَى يُخبِّطُ كالبعيرِ الشَّاردِ

لو كان والدُهُ تنصَّلَ عِرْقَهُ ... لصَفَتْ مَوارِدُهُ بِعِرْقِ الوالِدِ

ولما رجع عبدُ الواحِدِ إلى المدينة شرَعَ في تجهيز السرايا إلى قتالِ الخارجي ، وبَذْلِ النَّفَقات ، وزادَ

---

(١) في تاريخه (٤/ ٣١٥) .

(٢) هو الطبري في تاريخه (٤/ ٣١٧) .

(٣) في (ح ، ق) : « ولي » ، والمثبت من (ب) وتاريخ الطبري .

في أعطيةِ الأجناد ، وسيَّرَهم سريعاً ، وكان أمير العراق يزيد بن هُبيرة ، وأمير خُراسان نصر بن سَيَّار ، وقد استحوذَ على بعضِ بلادِه أبو مسلم الخراساني .

وممَّنْ تُوفِّي فيها من الأعيان :

سالم أبو النَّضْر .

وعليُّ بن زيد بن جُدْعان في قول .

ويحيى بن أبي كثير . وقد ذكَرْنا تراجِمَهم في « التكميل » ولله الحمد .

سنة ثلاثين ومئة

في يوم الخميس لتسعِ خلَوْنَ من جُمَادَى الأولى منها دخل أبو مسلم الخُراساني مدينةَ مَرْو ، ونزَلَ دارَ الإمارةِ بِها وانتزَعَها من يَدِ نَصْرِ بن سَيَّار ، وذلك بمساعدة علي بن الكَرْماني ، وهرَبَ نصرُ بن سيَّار في شِرْذِمةٍ قليلةٍ من الناس ، نحو من ثلاثة آلاف ، ومعه امرأتُهُ الْمَرْزُبانة ، ثم عجَّلَ الهَرَبَ حتى لَحِقَ سَرْخَس ، وترك امرأتَهُ وراءَهُ ونَجَا بنفسِه ، واستفحلَ أمْرُ أبي مسلمٍ جدّاً ، والتفَّتْ عليه الطوائفُ من الناس وجماعةٌ من أحياء العرب .

مَقْتَلُ شيبانَ بن سَلَمةَ الحَرُورِي

ولما هربَ نصرُ بن سيَّار بَقِيَ شيبان ، وكان مُمالئاً له على أبي مسلم ، فبعث إليه أبو مسلم رسلاً ، فحَبسَهم ، فأرسل أبو مسلم إلى بسَّام بن إبراهيم مولى بني ليث ، يأمرُه أنْ يركبَ إلى شيبانَ فيُقاتِلَه ، فسار إليه ، فاقتتلا ، فهزمه بسَّامٌ فقتَلَه ، واتَّبَعَ أصحابَهُ يقتُلُهم ويأسِرُهم ، ثم قتلَ أبو مسلمٍ عليّاً وعثمانَ ابني الكَرْماني . وكان سببُ ذلك أنَّ أبا مسلم كان وَجَّه موسى بن كعب إلى أَبِيوَرْدَ فافتتحهَا ، وكتبَ إلى أبي مسلم يعلمه بذلك ، ووجَّهَ أبا داودَ إلى بَلْخٍ فأخذَها من زياد بن عبد الرحمن القُشَيْري ، فجمعَ زيادٌ خلقاً من الجنود من أهلِ تلك الناحية لقتالِ السُّود ، فنهضَ إليهم أبو داود ، فقاتلهم حتى كَسَرَهم ، واستباحَ معسكرَهم ، وقتل منهم خلقاً واصطفى أموالاً جَزيلة ، واستفحلَ أمرُهُ هناك ، ثم وقعت كائنةٌ اقتضَتْ أن اتَّفَقَ رأيُ أبي مسلم مع أبي داود على قَتْلِ عثمان بن الكَرْماني في يومِ كذا وكذا ، وفي ذلك اليوم بِعَيْنِه يقتل أبو مسلم عليَّ بن جديع الكَرْماني ، فوقع ذلك كذلك .

وفي هذهِ السنةِ وجَّهَ أبو مسلم قَحْطَبَةَ بن شَبيب إلى نَيْسابورَ لقتالِ نَصْرِ بن سيَّار ، ومع قحطبةَ جماعةٌ من كبارِ الأمراء ، منهم خالدُ بن بَرْمَك ، وخلقٌ منهم ، فالتقَوْا مع تميم بن نَصْرِ بن سيَّار وقد وجَّهَهُ أبوهُ لقتالِهم بِطُوس ، فقتلَ قحطبةُ من أصحاب نصرٍ نحواً من سبعةَ عشرَ ألفاً في المعركة ، وقد كان أبو مسلم

بعث إلى قحطبةَ مدداً نحو عشرةِ آلاف فارس ، عليهم عليُّ بنُ مَعْقِل ، فاقتتلوا ، فقتلوا من أصحابِ نصرٍ خلقاً كثيراً ، وقتلوا تميمَ بنَ نَصْر ، وغنِموا أموالاً جَزِيلة جداً ، ثم إنَّ يزيدَ بنَ عمر بنِ هُبيرةَ نائبَ مروانَ على العراق ، بعث بسَرِيَّةٍ مدداً لنصرِ بنِ سيَّار ،فالتقى معهم قحطبةُ في مُستهَلِّ ذي الحِجَّة ، وذلك يوم الجُمعة ، فقام قحطبةُ في الناس خطيباً ، فحثَّهم على الجهادِ والقتال ، وذكَّرهم ، وأمرهم بالمصابَرَة ، ووعدَهم عن الإمام أنهم يُنصَرون في هذا اليوم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم جندُ بني أمية ، وقُتل من أهل الشام وغيرِهم عشرةُ آلاف ، منهم أميرُ المدد نُبَاتَةُ بن حنظلة عاملُ جُرْجان ورساتيقها لابن هُبيرة ، فبعث قحطبةُ برأسِهِ إلى أبي مسلم .

ذكرُ دخولِ أبي حمزةَ الخارجي المدينةَ النبويَّةَ واستيلائِـهِ عليها مدة ثلاثة أشهر حتى ارتحل منها

قال ابنُ جرير[1] : وفي هذه السنةِ كانت وقعةٌ بقُدَيد من أرض الحجاز ، بين أبي حمزةَ الخارجي الذي كان عامَ أول في أيامِ الموسم ، فقتل من أهلِ المدينة من قريش وغيرهم خلقاً كثيراً ، ثم دخل المدينةَ وهرَبَ نائبُها عبدُ الواحد بنُ سليمان ، فقتل الخارجيُّ من أهلِها خلقاً ، وذلك لتسعَ عشرةَ ليلةً خلَتْ من صفرَ من هذه السنة ، ثم خطبَ على مِنبرِ رسولِ الله ﷺ ، فوبَّخَ أهلَ المدينة وأنَّبهمْ ، وكان فيما وبَّخهمْ به أنْ قال : يا أهل المدينة ، إني مررتُ بكمْ أيامَ الأحول ـ يعني هشامَ بنَ عبدِ الملك ـ وقد أصابَتْكُمْ عاهةٌ في ثمارِكم فكتبتُمْ إليه تسألونَهُ أنْ يضَعَ الخَرْصَ[2] عن ثمارِكم فوضعه ، فزاد غَنيَّكم غِنىً ، وزاد فقيرَكم فقراً ، فكتبتم إليه : جزاكَ الله خيراً ، فلا جَزَاهُ الله خيراً . في كلام طويل . فأقام عندَهم ثلاثةَ أشهر بقيةَ صفر وشهرَيْ ربيع ، وبعض جُمَادَى الأولى فيما قال الواقدي وغيرُه[3] .

وقد روى المدائني ، أنَّ أبا حمزةَ رَقِي يوماً منبرَ رسولِ الله ﷺ فحمد الله ثم أثنى عليه ، ثم قال : تعلمون يا أهل المدينة أنَّا لم نخرُجْ من ديارِنا وأبنائنا بطَراً ولا أَشَراً ، ولا عبثاً ، ولا لِدَوْلةِ مَلِكٍ نُريد أن

(١) هو الطبري في تاريخه (٤/ ٣٢٨) .

(٢) الخَرْصُ : حَزْرُ ما على النَّخل من الرُّطَبِ تمراً ، وقد خَرَصْت النخلَ والكرْمَ أخْرُصُه خَرْصاً ، إذا حَزَرَ ما عليها من الرُّطب تمراً ، ومن العِنَبِ زبيباً ، وهو من الظنّ لأن الحَزْر إنما هو تقديرٌ بظَنٍ ، وخرَصَ العدَدَ يَخْرُصُه ويَخْرِصُه خَرْصاً وخِرْصاً : حَزَرَه ، وقيل : الخَرْصُ المصدرُ والخِرْصُ ، بالكسر ، الاسمُ . يقال : كم خِرْصُ أرْضِك وكم خِرْصُ نَخْلِكَ ؟ بكسر الخاء ، وفاعلُ ذلك الخارِصُ ، وكان النبيّ يبعَث الخُرَّاص على نَخيل خَيْبَر عند إدْراك ثَمرِها ، فيحزِرونه رُطباً كذا وتَمراً كذا ، ثم يأخذهم بمَكِيلة ذلك من التمر الذي يجب له وللمساكين . لسان العرب (خرص) .

(٣) انظر قول الواقدي في تاريخ الطبري (٤/ ٣٣٠) .

نخوضَ فيه ، ولا لِثأرٍ قَدِيم نِيلَ منَّا . ولكنَّا لما رأينا مصابيحَ الهُدَى عُطِّلَتْ[١] ، وضَعُفَ القائلُ بالحق ، وقُتل القائمُ بالقسط ، ضاقَتْ علينا الأرضُ بما رَحُبَتْ ، وسمعنا داعياً يدعو إلى طاعةِ الرحمن وحُكْم القرآن ، فأجَبْنا داعيَ الله ﴿ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأحقاف : ٣٢] ، أقبلْنا من قبائلَ شتَّى ، النَّفَرُ مِنَّا على بعيرٍ واحد ، عليهِ زادُهُمْ وأنفُسهم ، يتعَاوَرُونَ لِحَافاً واحداً ، قليلونَ مُسْتَضْعَفونَ في الأرض فآوانا الله وأيَّدَنا بنصرهِ ، فأصبَحْنا واللهِ بنعمةِ الله إخواناً ، ثم لَقِينا رجالَكُمْ بِقُدَيْد ، فدعَوْناهم إلى طاعةِ الرحمنِ وحُكْمِ القُرآن ، ودعَوْنا إلى طاعة الشيطانِ وحُكم بني مروان ، فشَتَّانَ لعمرُ الله ما بين الغَيِّ والرُّشْد ، ثم أقبلوا نحوَنا يُهْرَعُونَ ، قد ضربَ الشيطانُ فيهم بِجرَانِه ، وغلَتْ بدمائِهم مَرَاجِلُه ، وصدَق عليهم ظَنُّـهُ فاتَّبعوه ، وأقبلَ أنصارُ الله عصائبَ وكتائبَ ، بكُلِّ مُهَنَّدٍ ذي رونق ، فدارَتْ رَحَانا ، واستدارَتْ رَحَاهُمْ بضربٍ يَرْتابُ منه المُبْطِلون . وأنتم يا أهلَ المَدينة ، إنْ تَنْصُروا مروانَ يُسْحِتكُمُ الله بعذابٍ من عنده أو بأيدينا ويَشْفِ صدورَ قومٍ مؤمنين ، ياأهلَ المدينة ، أوَّلُكُمْ خيرُ أول ، وآخِرُكم شرُّ آخِر . ياأهلَ المدينة ، الناسُ مِنَّا ونحن منهم ، إلَّا مُشْركاً عابدَ وَثَن ، أو كافراً أهلَ كتاب ، أو إماماً جائراً ، يا أهلَ المدينة ، مَنْ زَعَم أنَّ الله يُكَلِّفُ نفساً فوق طاقَتِها ، أو يسألها ما لم يؤتِها فهو لله عدوّ ، وأنا له حَرْب ، يا أهلَ المدينة ، أخبِروني عن ثمانيةِ أسْهُمٍ فرَضَها الله في كتابهِ على القويِّ والضعيف ، فجاءَ تاسِعٌ ليس له منها ولا سهمٌ واحد ، فأخذها لنفسِهِ مُكابِراً محارِباً لِرَبِّه ، يا أهلَ المدينة ، بَلَغني أنكم تَنْتَقِصونَ أصحابي ، قلتُمْ شَبَابٌ أحداث ، وأعرابٌ جُفَاةٌ أجلاف ، وَيْحكم ! فهل كان أصحابُ رسولِ الله ﷺ إلَّا شباباً أحداثاً ؟ شُبَّانٌ والله مُكْتَهِلُون في شَبَابِهم ، غَضَّةٌ عن الشرِّ أعينُهم ، ثَقِيلةٌ عن السَّعْيِ في الباطل أقدامُهم ، قد باعوا اللهِ أنفساً تموت ، بأنفسٍ لا تموت ، قد خالطوا كلالَهم بكلالِهم ، وقيامَ ليلِهم بصيام نهارِهِم ، مُنحَنِيةٌ أصلابُهم على أجزاءِ القرآن ، كلَّما مرُّوا بآيةِ خوفٍ شَهَقُوا خوفاً من النار ، وإذا مرُّوا بآيةِ شَوْقٍ شَهَقوا شوقاً إلى الجنة ، فلما نظروا إلى السيوف قد انْتُضِيَتْ ، وإلى الرِّمَاح قد شُرِعتْ وإلى السهام قد فُوِّقَتْ ، وأرعدَتِ الكتيبةُ بصواعقِ الموت استخفُّوا واللهِ وَعِيدَ الكتيبةِ لِوَعِيدِ الله في القرآن ، ولم يستخفُّوا وَعِيدَ الله لِوَعيدِ الكتيبة ، فطُوبى لهم وحسنُ مآب . فكم من عينٍ في مناقيرِ الطيرِ طالما فاضَتْ في جَوْفِ الليلِ من خشيةِ الله ؟ وطالما بكَتْ خاليةً من خوفِ الله ! وكم من يدٍ زالَتْ عن مَفْصِلها طالما ضرَبَتْ في سبيل الله ! وجاهدَتْ أعداءَ الله ، وطالما اعتمَدَ بها صاحبُها في طاعةِ الله ! أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ من تقصيري ، وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكَّلتُ ، وإليه أُنِيب[٢] .

ثم روى المدائني عن العباس ، عن هارون ، عن جَدِّه ، قال : كان أبو حمزةَ الخارجي قد أحسن

---

(١) في (ق) : « مصابيح الحق طمست » ، والمثبت من (ب ، ح) .

(٢) أخرج الخبر الطبري في تاريخه (٤/ ٣٣٠) .

السيرةَ في أهلِ المدينة ، فمالوا إليه حتى سمعوهُ يقول : بَرِحَ الخَفَاء ، أين عن بابِك نذهب ؟ ثم قال : مَنْ زَنَا فهو كافر ، ومَنْ سَرَقَ فهو كافر . فعند ذلك أبغضوهُ ورجَعُوا عن محبَّتِه ، وأقام بالمدينةِ حتى بعث مروانُ الحمار عبدَ الملك بن محمد بن عَطِيَّة ، أحَدَ بني سعدٍ في خيلِ أهلِ الشام أربعة آلاف ، قدِ انتخَبَها مروانُ من جيشِه ، وأعْطَى كلَّ رجلٍ منهم مئةَ دينار ، وفرساً عربيَّةً ، وبَغْلاً لِثقَلِه ، وأمرَهُ أنْ يُقاتِلَهُ ولا يَرْجعَ عنه ، ولو لم يَلْحَقْهُ إلَّا باليمن فَلْيَتْبَعْهُ إليها ، ولْيُقاتِلْ نائبَ صنعاء عبدَ الله بن يحيى ، فسارَ ابنُ عطيَّة حتى بلَغَ وادي القُرَى ، فتلقَّاهُ أبو حمزةَ الخارجيّ قاصداً قتالَ مروانَ بالشام ، فاقتتلوا هنالكَ إلى الليل ، فقال له : وَيْحَكَ يا ابنَ عطيَّة ، إنَّ الله قد جعلَ الليلَ سَكَناً ، فأخِّرْ إلى غد . فأبى عليهِ أنْ يُقلعَ عن قتاله ، فما زال يُقاتلهم حتى كسرَهم فولَّوْا ، ورجع فَلُّهم إلى المدينة ، فنَهَضَ إليهم أهلُ المدينة ، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، ودخل ابنُ عطيةَ المدينة وقد انهزَمَ جيش أبي حمزةَ عنها ، فيقال إنه أقامَ بِها شهراً ثم استخلف عليها ، ثم استخلف على مكَّة وسار إلى اليمن ، فخرج إليه عبدُ الله بن يحيى نائبُ صنعاء فاقتتلا ، فقتَلَه ابنُ عَطِيَّةَ وبعث برأسِهِ إلى مروان ، وجاء كتابُ مروانَ إليه يأمرُهُ بإقامةِ الحجِّ للناس في هذِه السنة ، ويستعجلُه في المسيرِ إلى مكة ، فخرجَ من صنعاءَ في اثني عشر راكباً ، وتركَ جيشَه بصنعاء ومعه خُرْجٌ[1] فيه أربعون ألفَ دينار ، فلما كان ببعضِ الطريق نزلَ مَنْزِلًا إذْ أقبل إليه أميرانِ يُقال لهما ابنا جُمانة ، من ساداتِ تلك الناحية ، فقالوا : وَيْحكم ! أنتم لصوص . فقال : أنا ابنُ عَطِيَّةَ وهذا كتابُ أميرِ المؤمنينَ إليَّ بإمْرَةِ الحَجّ ، فنحن نُعَجِّلُ السيرَ لِنُدرِكَ المَوْسِم ، فقالوا : هذا باطل ، ثم حَمَلوا عليهم فقتلوا ابن عطيةَ وأصحابهُ ولم يُفلِتْ منهم إلَّا رجلٌ واحد ، وأخذوا مامعَهم من المال .

قال أبو معشر : وحجَّ بالناس في هذه السنة محمدُ بن عبد الملك بن مروان ، وقد جُعلت إليه إمرةُ المدينةِ ومكةَ والطائفِ ، ونائبُ العراق ابنُ هُبيرة ، وإمرةُ خُراسان إلى نَصْرِ بن سيار ، غيرَ أنَّ أبا مسلمٍ قدِ استحوَذَ على مُدُنٍ وقُرىً كثيرةٍ من خُراسان وكُوراً ورَسَاتِيق ، وقد أرسل نصرٌ إلى ابنِ هُبيرةَ يستَمِدُّهُ ويستنجِدُهُ ، ويطلبُ أن يُمِدَّهُ من عندِهِ بعشرةِ آلافٍ قبلَ أنْ لايكفيَهُ مئةُ ألف ، وكتبَ أيضاً إلى مروانَ يستَمِدُّه ، فكتب مروانُ إلى ابنِ هُبيرةَ يُمِدُّه بما أراد .

ومِمَّنْ تُوفِّي فيها من الأعيان :

شُعيب بن الحَبْحَاب .

وعبدُالعزيزِ بنُ صُهيب .

وعبدُالعزيزِ بنُ رُفَيع .

وكعب بن علقمة .

---

(١) الخُرْجُ : وعاء معروف ، عربيٌّ صحيح ، والجمع خِرَجَة ، وزان عنبة . المصباح المنير (خرج) .

ومحمد بن المُنْكَدِر .

والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومئة

في المحرَّمِ منها وجَّهَ قَحْطَبَةُ بن شَبِيب ولدَهُ الحسن إلى قُومِسَ لِقِتالِ نصرِ بنِ سيَّار ، وأردَفَهُ بالأمْداد ، فخامَرَ بعضُهم إلى نصر ، وارتحل نصرٌ فنزَلَ الرَّيّ ، فأقام بها يومين ، ثم مَرِضَ فسار منها إلى هَمَذَان ، فلمَّا كان بسَاوَة[١] ، قريباً من هَمَذان ، تُوفِّيَ لمُضِيِّ ثنتَيْ عشرةَ ليلةً خلَتْ من ربيعِ الأول من هذه السنة ، عن خمسٍ وثمانينَ سنة . فلَّما ماتَ نصرٌ تمكَّنَ أبو مسلمٍ وأصحابُه من بلادِ خُراسان ، وقَوِيَتْ شَوْكتُهم جداً ، وسار قحطبةُ من جُرْجَان ، وقَدِمَ أمامَهُ زيادُ بن زُرارَةَ القُشَيري ، وكان قد نَدِم على اتباعِ أبي مسلم ، فترك الجيشَ وأخذَ جماعةً معه ، وسلك طريقَ أصبَهَان ليأتِيَ ابنَ ضُبَارَة ، فبعثَ قحطبةُ وراءَهُ جيشاً ، فقتلوا عامَّةَ أصحابِه ، وأقبل قحطبةُ وراءَهُ ، فقَدِمَ قُومِسَ وقد افتتحها ابنُهُ الحسن ، فأقام بها وبعث ابنَهُ بين يديه إلى الرَّي ، ثم ساق وراءَهُ فوجدَهُ قد افتتحها ، فأقام بها . وكتبَ إلى أبي مسلمٍ بذلك ، وارتحلَ أبو مسلمٍ من مَرْوَ ، فنَزل نَيْسابور ، واستفحل أمرُه ، وبعث قحطبةُ بعدَ دخولِهِ الرَّي ابنَهُ الحسن بين يديه إلى هَمَذان ، فلما اقتربَ منها خرجَ منها مالكُ بن أدهم وجماعةٌ من أجنادِ الشام وخُراسان ، فنزَلوا نَهَاوَنْد ، فافتتح الحسنُ هَمَذان ، ثم سار وراءَهُم إلى نَهَاوَنْد ، وبعث إليه أبوهُ بالأمداد ، فحاصرَهم حتى افتتحَها .

وفي هذه السنة مات عامرُ بن ضُبَارة ، وكان سببُ ذلك أنَّ ابنَ هُبَيرةَ كتب إليهِ أنْ يسيرَ إلى قحطبةَ وأمَدَّهُ بالعساكر ، فسار ابنُ ضُبَارةَ حتى التقى مع قحطبة ، وابنُ ضُبَارةَ في مئةٍ وخمسين ألفاً ، وكان يقالُ له عسكر العساكر ، وقحطبة في عشرين ألفاً ، فلما تواجَهَ الفريقان رفَعَ قحطبةُ وأصحابُهُ المصاحفَ ونادى المنادي : يا أهلَ الشام إنَّا ندعوكم إلى ما في هذا المصحف ، فشَتَموا المنادِيَ وشتموا قحطبة ، فأمر قحطبةُ أصحابَهُ أنْ يحمِلوا عليهم ، فلم يكنْ بينَهم كبيرُ قتال حتى انهزم أصحابُ ابنِ ضُبَارَة ، واتَّبعهم أصحابُ قحطبةَ فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وقتلوا ابنَ ضُبَارةَ في العسكر [لشجاعَتِه ، فإنَّه لم يُوَلِّ][٢] وأخذوا منْ عسكرِهم ما لا يُحدُّ ولا يُوصَف .

---

(١) سَاوَةْ : بعد الألف واو مفتوحة ، بعدَها هاءٌ ساكنة : مدينةٌ حسنةٌ بين الرَّيِّ وهَمَذان ، في وَسَط ، بينها وبين كلِّ واحدٍ من همذان والري ثلاثون فرسخاً ، وكان بها دارُ كتب ، لم يكن في الدنيا أعظمُ منها ، بلغني أنهم أحرقوها ، اهـ معجم البلدان (٣/ ١٧٩) .

(٢) ما بين معقوفين ليس في الأصول ، وهو مثبت هكذا بين الحاصرتين في (ق) .

وفيها حاصرَ قحطبةُ نَهَاوَنْدَ حصاراً شديداً ، حتى سألَهُ أهلُ الشام الذين بها أنْ يُمْهِلَ[١] أهلَها حتى يفتحوا له الباب ، ففتحوا له الباب وأخذوا لهم منه أماناً ، فقال لهم مَنْ بها من أهلِ خُرَاسان : ما فعلتُمْ ؟ فقالوا : أخَذْنا لنا ولكم أماناً . فخرجوا ظانِّين أنهم في أمان ، فقال قحطبةُ للأمراء الذين معه : كلُّ مَنْ حَصَل عندَه أسيرٌ من الخراسانيِّين فَلْيضرِبْ عُنقَه ، وَلْيأتنَا برأسِه ، ففعلوا ذلك ، ولم يبقَ ممن كان هرَبَ من أبي مسلم أحدٌ . وأطلقَ الشاميِّين وأوفى لهم عَهْدَهم ، وأخذَ عليهمُ الميثاق أنْ لا يُمالئوا عليه عدوّاً . ثم بعث قحطبةُ أبا عَوْن إلى شَهْرَزُور عن أمر أبي مسلم في ثلاثين ألفاً ، فافتتحها وقتل نائبَها عثمانَ بن سفيان ، وقيل : لم يُقتَل ، بل تحوَّلَ إلى المَوْصِل والجزيرة ، وبعث إلى قحطبةَ بذلك ، ولما بلغ مروانَ خبَرُ قحطبةَ وأبي مسلم وما وقع من أمرِهما تحوَّلَ مروانُ من حَرَّان ، فنَزل بمكانٍ يُقال له الزابُ الأكبر .

وفيها قصد قحطبةُ في جيشٍ كثِيف نائبَ العراق يزيدَ بن عمر بن هُبيرة ، فلما اقتربَ منه تقهقر ابنُ هُبيرةَ إلى ورائه ، وما زال يتقهقَرُ إلى أنْ جاوز الفُرَات ، وجاء قحطبةُ فجازها وراءَه ، وكان من أمرِهما ما سنذكرُهُ في السنةِ الآتيةِ إنْ شاءَ الله تعالى .

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين ومئة

في المحرَّم منها جاز قحطبةُ بنُ شَبِيب الفرات ، ومعه الجنودُ والفرسان ، وابنُ هُبيرةَ مُخيِّمٌ على فَمِ الفرات مما يلي الفَلُّوجَة[٢] في خلقٍ كثير ، وجَمٍّ غَفِير ، وقد أمِدَّ مروان بجنودٍ كثيرة ، وانضاف إليه كلُّ مَنِ انهزَمَ من جيشِ ابن ضُبَارة ، ثم إنَّ قحطبةَ عدلَ إلى الكوفةِ ليأخذَها ، فاتبعهُ ابنُ هُبيرةَ ، فلما كانتْ ليلةُ الأربعاء لثمانٍ مضَيْنَ من المحرم اقتتلوا قتالاً شديداً ، وكَثُرَ القتلُ في الفريقَيْن ، ثم ولَّى أهلُ الشامِ مُنْهَزِمين ، واتبعهم أهلُ خُراسان ، وفُقد قحطبةُ من الناس ، فأخبرهم رجلٌ أنه قُتلَ وأوصى أنْ يكونَ أميرَ الناسِ من بعده ولدُهُ الحسنُ حاضراً عند الجيش ، فبايعوا حُمَيد بن قحطبةَ لأخيهِ الحسن ، وذهبَ البريدُ إلى الحسن ليحضُر ، وقُتل في هذه الليلةِ جماعةٌ من الأمراء ، والذي قتلَ قحطبةَ مَعْنُ بن زائدة ويحيى بنُ حصين ، وقيل : بل قتلَهُ رجلٌ ممن كان معه آخذاً بثأرِ ابني نصرِ بن سيَّار ، فالله أعلم ، ووُجدَ قحطبةُ في القتلى ، فدُفن هنالك .

---

(١) في (ب ، ح) : « يشغل » بدل « يمهل » .

(٢) الفَلُوجَة : بالفتح ثم التشديد ، وواو ساكنة ، وجيم : قال الليث : فَلاليجُ السواد قُراها ، وإحداها الفَلُّوجَة ، والفلوجة الكبرى ، والفلوجة الصغرى ، قريتان كبيرتان من سوادِ بغدادَ والكوفة ، قربَ عينِ التمر ، ويقال الفلوجة العليا ، والفلوجة السفلى أيضاً ، وفي الصحاح : الفلوجة : الأرض المصلحة للزرع ، ومنه سُمِّي موضعٌ على الفرات الفلوجة ، والجمع فلاليج . معجم البلدان (٤/ ٢٧٥) ، وهي اليوم مدينة معروفة بغربي بغداد تبعد عنها (٧٠) كيلومتراً .

وجاءَ الحسَنُ بنُ قحطبةَ فسار نحو الكوفة ، وقد خرج بها محمدُ بن خالد بن عبد الله القَسْري ، ودعا إلى بني العباسِ وسَوَّد ، وكان خروجُهُ ليلةَ عاشوراء المحرم من هذه السنة ، وأخرج عامِلَها من جهةِ ابنِ هُبيرةَ وهو زيادُ بن صالح الحارثي ، وتحول محمد بن خالد إلى قَصْرِ الإمارة ، فقصد حَوْثَرَةَ في عشرين ألفاً من جهةِ ابنِ هُبيرة ، فلما اقترب من الكوفة أصحابُ حَوْثَرَة يذهبون إلى محمد بن خالد ، فيبايعونه لبني العباس ، فلما رأى حوثرةُ ذلك ارتحل إلى واسط . ويقال : بل دخل الحسنُ بن قحطبةَ الكوفة ، وكان قحطبةُ قد جعل في وصيَّته أنْ تكون وزارةُ الخلافةِ إلى أبي سلمةَ حفصِ بنِ سليمان مولى السَّبِيع الكوفي الخلاَّل ، وهو بالكوفة ، فلمَّا قَدِموا عليه أشار إلى أن يذهب الحسنُ بن قحطبةَ في جماعةٍ من الأمراء إلى قتالِ ابنِ هُبيرة بِوَاسِط ، وأنْ يذهبَ أخوهُ إلى المدائن ، وبعثَ البعوثَ إلى كلِّ جانبٍ يفتتحونَها ، وفتحوا البصرة ، افتتحها مسلمُ بن قُتيبة لابنِ هُبيرة ، فلما قُتل ابنُ هُبيرةَ جاء أبو مالك عبدُ الله بنُ أسيد الخُزَاعي ، فأخذ البصرة لأبي مسلم الخُراساني[(١)] .

وفي هذه السنة ليلة الجمعة لثلاثَ عشرةَ خلَتْ من ربيعِ الآخر أُخذتِ البيعةُ لأبي العباس السفَّاح ، وهو عبدُ الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب . قاله أبو معشر وهشام الكلبي . وقال الواقدي : في جُمَادَى الأولى من هذه السنة ، فالله أعلم .

ذكر مقتل إبراهيم بن محمد الإمام

وقد ذكرنا في سنةٍ تسعٍ وعشرين ومئة ، أنَّ مروانَ اطَّلَعَ على كتابٍ من إبراهيمَ الإمام إلى أبي مسلم الخراساني يأمرُهُ فيه بأن لا يُبْقِي أحداً بأرضِ خُراسانَ مِمَّنْ يتكلَّمُ بالعربيةِ إلَّا أبادَهُ[(٢)] ، فلما وقف مروانُ على ذلك سأل عن إبراهيمَ فقيل له : هو في البَلْقاء ، فكَتَبَ إلى نائبِ دمشقَ أنْ يحضُر ، فبعث نائبُ دمشق بريداً ومعَهُ صِفَتُه ونَعْتُه ، فذهب الرسولُ فوجد أخاهُ أبا العباس السفَّاحَ ، فاعتقَدَ أنَّهُ هو ، فأخذَهُ ، فقيل له : إنه ليس به ، وإنما هو أخوه . فدُلَّ على إبراهيم ، فأخذَهُ وذهبَ معَهُ بأمِّ وَلَدٍ كان يُحِبُّها ، وأوصَى إلى أهلِهِ أنْ يكونَ الخليفةَ من بعدِهِ أخوهُ أبو العباس ، وأمرَهم بالمسيرِ إلى الكوفة ، فارتحلوا من يومِهم[(٣)] إليها ، وكانوا جماعةً ، منهم أعمامُه الستة ، وهم : عبدُ الله ، وداودُ ، وعيسى ، وصالح ، وإسماعيل ، وعبدُ الصمد بنو علي ، وأخواه أبو العباس عبد الله السفاح ، ويحيى ابنا محمد بن علي ، وابناه محمد وعبد الوهاب ابنا إبراهيم الإمام الممسوك ، وخَلْقٌ سِواهم ، فلمَّا دخلوا الكوفة أنزَلَهم أبو سلمة الخلاَّل

---

(١) انظر تاريخ الطبري (٤/ ٣٤٣) .

(٢) انظر ما سبق ص(٢٤٦ و٢٥٢) .

(٣) في (ب ، ح) : « فورهم » .

دارَ الوليدِ بن سعد مولى بني هاشم ، وكَتَم أمرَهم نحواً من أربعين ليلةً من القُوَّادِ والأمراء ، ثم ارتحلَ بِهِم إلى موضعٍ آخر ، ثم لم يزَلْ يَنقُلُهم من مكانٍ إلى مكان ، حتى فُتحت البلاد ، ثم بُويع للسَّفَّاح .

وأما إبراهيمُ بن محمد الإمام فإنَّه سِيرَ به إلى أميرِ المؤمنينَ في ذلك الزمان مروانَ بنِ محمد ، وهو بِحَرَّان ، فحبسَه ـ كما قدَّمنا[1] ـ وما زال في السِّجْن إلى هذهِ السنة ، فمات في صفر منها في السِّجن عن ثمانٍ وأربعينَ سنة ، وقيل : إنه غُمَّ بِمِرْفَقَةٍ[2] وُضِعتْ على وجهِهِ حتى ماتَ عن إحدى وخمسين سنةً ، وصلَّى عليهِ رجلٌ يُقال له بُهْلول بن صفوان ، وقيل : إنه هُدِمَ عليه بيتٌ حتى مات ، وقيل : بل سُقِيَ لبناً مسموماً فمات ، وقيل : إنَّ إبراهيم الإمام شَهِدَ الموسم عامَ إحدى وثلاثين ، واشتهَرَ أمرُه هنالك ، لأنَّهُ وقف في أُبَّهَةٍ عظيمة ، ونَجَائب كثيرة ، وحُرْمَةٍ وافرة ، فأُنْهِيَ أمره إلى مروان ، وقيل له : إنَّ أبا مسلمٍ يَدْعو الناسَ إلى هذا ، ويُسَمُّونَهُ الخليفة ، فبعثَ إليه في المحرَّم من سنةِ ثنتين وثلاثين ، وقتله في صفر من هذه السنة . وهذا أصَحُّ مِمَّا تقدَّم . وقيل : إنما أخذَهُ من الكوفةِ لا من حُمَيْمَةِ البلقاء ، والله أعلم .

وقد كان إبراهيمُ هذا كريماً وجواداً ، له فضائلُ وفواضل . وروَى الحديثَ عن أبيه ، عن جَدِّه ، وأبي هاشم عبدِ الله بن محمد بنِ الحنَفِيَّة . وعنه أخواه عبدُ الله السفاح ، وأبو جعفر عبدُ الله المنصور ، وأبو سلَمَة عبدُ الرحمن بن مسلم الخُراساني ، ومالك بن هاشم .

ومن كلامِهِ الحسَنِ : الكاملُ المروءة منْ أحرزَ دِينَه ، ووَصَلَ رَحِمَه ، واجتنبَ ما يُلامُ عليه .

خِلافةُ أبي العباس السَّفَّاح

لما بلَغَ أهلَ الكوفةِ مقتَلُ إبراهيمَ بن محمد أراد أبو سَلَمَةَ الخلاَّل أنْ يحَوِّلَ الخِلافةَ إلى آلِ عليٍّ بنِ أبي طالب ، فغلَبَهُ بقيَّةُ النُّقَباءِ والأمراء ، وأحضروا أبا العباس السفَّاح ، وسلَّمُوا عليهِ بالخِلافة ، وذلك بالكوفة ، وكان عمرُهُ إذ ذاك سِتّاً وعشرين سنةً . وكان أولَ مَنْ سَلَّمَ عليه بالخِلافة أبو سلمةَ الخَلاَّل ، وذلك ليلةَ الجُمعة ، لثلاثَ عشرةَ ليلة خلَتْ من ربيع الآخر من هذه السنة ، فلما كان وقتُ صلاةِ الجُمعة خرَجَ السفَّاحُ على بِرْذَوْنٍ أبْلَق ، والجنودُ مُلبَسَةٌ معه ، حتى دخل دارَ الإمارة ، ثم خرج إلى المسجدِ الجامع ، وصلى بالناس ثم صَعِدَ المِنبَر ، وبايَعَهُ الناسُ وهو على المِنْبَرِ في أعلاه ، وعَمُّهُ داودُ بن علي واقفٌ دونَهُ بثلاث درج ، وتكلَّمَ السفَّاحُ وكان أوَّلَ مانطَقَ به أنْ قال : الحمدُ للهِ الذي اصطَفَى لنفسهِ دِيناً ، وكرَّمَهُ وشرَّفَهُ وعَظَّمَهُ ، واختارَهُ لنا ، وأيَّدَهُ بنا ، وجعلنَا أهلَهُ وكَهْفَه ، والقُوَّامَ به ، والذَّابِّينَ عنه ،

---

(١) انظر ما سبق ص(٢٥٢) .

(٢) في (ق) : « بمرققة » تصحيف ، والمِرْفَقَة ـ بالكسر ـ والمِرْفَق : المُتَّكأ ، والمِخَدَّة ، وقد تَمَرْفق : إذا أخذَ مِرْفَقَة . لسان العرب (رفق) .

والناصرينَ له ، وألزمَنا كلمةَ التقوَى ، وجعلنَا أحقَّ بِها وأهلَها ، خَصَّنا بِرَحِمِ رسول الله ﷺ وقَرابَتِه ، ووضَعَنا بالإسلام وأهلِهِ في المَوْضِعِ الرَّفِيعِ ، وأنزلَ بذلك على أهلِ الإسلام كتاباً يُتلَى عليهم ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣] ، وقل : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى : ٢٣] . وقال : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] . وقال : ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ ﴾ [الحشر : ٧] ، الآية . فأعلمهم عزَّ وجلَّ فضلنَا وأوجَبَ عليهم حقَّنا ومودَّتنا ، وأجزل من الفَيْءِ والغَنِيمةِ نصيبنَا . تكرِمَةً لنا ، وتَفْضِلَةً[١] علينا ، والله ذو الفضلِ العظيم ، وزعمتِ السَّبَئِيَّة الضُّلاَّل أنَّ غيرَنا أحَقُّ بالرياسةِ والسِّياسةِ والخلافةِ منَّا ، فشاهتْ وجوهُهم .

أيُّها الناس ! بنا هَدَى الله الناسَ بعدَ ضلالَتِهم ونصرَهم بعد جهالَتِهم ، وأنقذَهُم بعد هَلَكَتِهم وأظهرَ بنا الحقَّ وأدْحَضَ بنا الباطل ، وأصلح بنا منهم ما كان فاسداً ورفَعَ بنا الخسيسة ، وأتمَّ النَّقِيصة ، وجمع الفُرْقة ، حتى عاد الناسُ بعد العداوةِ أهلَ تَعاطُفٍ وبِرٍّ ومواساةٍ في دنياهم ، وإخواناً على سُرُرٍ متقابِلِين في أخرَاهم ، فتَحَ اللهُ علينا ذلك مِنَّةً ومِنْحَةً بمحمدٍ ﷺ ، فلما قبَضَهُ إليه قام بذلك الأمرَ بعدَهُ أصحابُه ، وأمْرُهُمْ شُورى بينهم ، فحوَوْا مَوَاريثَ الأُمَم ، فعدَّلوا فيها ، ووضعوها مواضعها ، وأعطوها أهلها ، وخرجوا خماصاً منها ، ثم وثب بنو حربٍ ومروان ، فابتزوها لأنفسهم ، وتداوَلوها ، فجاروا فيها واستأثروا بها ، وظلموا أهلَها ، فأملى الله لهم حيناً ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ [الزخرف : ٥٥] ، فانتزع منهم ما بأيديهمْ بأيدينا ، وردَّ الله علينا حَقَّنا ، وتدارَكَ بنا أُمّتَنا ، وتولَّى أمرَنا والقيامَ بنصرِنا لِيَمُنَّ بنا على الذين استُضْعِفُوا في الأرض ، وختَمَ بنا كما افتتح بنا .

وإنِّي لأرجو أنْ لا يأتيَكُم الجَوْرُ من حيثُ جاءَكمُ الخير ، ولا الفسادُ من حيثُ جاءكمُ الصلاح ، وما توفيقُنا أهلَ البيتِ إلاَّ بالله ، يا أهلَ الكوفة ، أنتم مَحَلُّ مَحبَّتِنَا ، ومَنْزِلُ مودَّتِنا ، وأنتم أسعدُ الناسِ بنا ، وأكرمُهم علينا ؛ وقد زِدْتُكُمْ في أُعطياتِكم مئةَ دِرْهم ، فاستعدُّوا ، فأنا السَّفَّاحُ الهائج ، والثائرُ المُبير . وكان به وَعْك ، فاشتدَّ عليه حتى جلس على المنبر ، ونهَضَ عمُّه داود فقال : الحمدُ لله شكراً ، الذي أهلَكَ عدوَّنا ، وأصارَ إلينا مِيراثنا من بيتنا . أيها الناس ، الآنَ انقشعَتْ حَنادسُ الظلماتِ وانكشف غِطَاؤها ، وأشرقَتْ أرضُها وسماؤها ، فطلعتْ شمسُ الخِلافةِ مِنْ مَطْلعها ، وبَزَغَ القمرُ من مَبْزَغِه ، ورجَعَ الحقُّ إلى نصابِه ، في أهلِ نبيِّكُمْ ، أهلِ الرأفةِ والرحمةِ والعَطْف ، عليكم أيُّها الناس ، إنَّا واللهِ ما خرَجْنا لهذا الأمر ، لِنَكْنزَ لُجَيْناً ولا عِقْيَاناً ، ولا لِنحفِرَ نَهْراً ولا لِنَبْنِيَ قصراً ، ولا لنجمعَ ذهباً ولا فِضَّةً ، وإنما أخرجَتْنا الأنَفَةُ من انتزَاعِ حَقِّنا ، والغضَب لبني عَمِّنا ، ولِسُوءِ سيرةِ بني أمية فيكم ،

(١) في (ب ، ح) : « وفضله » .

واستذلالِهم لكم ، واستئثارِهم بفَيْئكمْ وصدَقَاتِكم ؛ فلكُمْ علينا ذِمَّةُ اللهِ وذمَّةُ رسولِه ، وذمَّةُ العباس أنْ نحكمَ فيكم بما أنزل الله ، ونعملَ بكتاب الله ، ونسيرَ في العامَّةِ والخاصَّةِ بسيرةِ رسولِ الله . تبّاً تبّاً لبني أميةَ وبني مروان ، آثروا العاجلةَ على الآجِلة ، والدارَ الفانيةَ على الدارِ الباقية ، فركبوا الآثام ، وظلموا الأنامَ ، وارتكبوا المحارِم ، وغَشُوا الجرائم ، وجاروا في سيرَتِهم في العباد ، وسُنَّتِهم في البلادِ التي بها استلذُّوا تسَرْبُلَ الأوزار ، وتجَلْبُبَ الآصار ، ومرَحُوا في أعِنَّةِ المعاصي ، وركضوا في ميادين الغي ، جهلاً منهم باستدراجِ الله ، وعُمياً عن أخذِ الله ، وأمناً لِمَكْرِ الله ، فأتاهم بأسُ الله بياتاً وهُمْ نائمون ، فأصبحوا أحاديثَ ومُزِّقوا كلَّ مُمَزَّق ؛ فبُعداً للقوم الظالمين ، وأدالَنَا اللهُ من مروان[١] ، وقد غرَّهُ باللهِ الغَرور ، أرسلَ عدوُّ الله في عِنَانه ، حتى عَثَرَ جوادُهُ في فَضْلِ خِطَامِه ، أظنَّ عدوُّ الله أنْ لن يَقدِرَ عليه أحَد؟ فنادَى حزبَه ، وجمعَ مكايدَهُ[٢] ، ورمَى بكتائبه[٣] ، فوجَدَ أمامَهُ ووراءَهُ وعن يمينِه وعن شمَالِه ، ومن فوقِهِ ومن تحتِه من مكرِ الله وبأسِهِ ونقمتِه ما أماتَ باطلَه ، ومَحَق ضلالَه ، وأحلَّ دائرَةَ السَّوْءِ به ، وأحيا شرفَنا وعزَّنا ، وردَّ إلينا حقَّنا وإرْثَنا . أيُّها الناس ، إنَّ أميرَ المؤمنين نصرَهُ الله نصراً عزيزاً ، إنما عادَ إلى المنبرِ بعدَ صلاةِ الجمعة لأنه كَرِه أن يخلِطَ بكلامِ الجُمعةِ غيرَه ، وإنما قطعَهُ عن استمامِ الكلام شدَّةُ الوَعْك ، فادْعوا اللهَ لأميرِ المؤمنين بالعافية ، فقد أبدَلَكم الله بمروانَ عدوِّ الرحمن ، وخليفةِ الشيطان ، المتَّبِعِ للسِّفْلَةِ الذين يُفسدون في الأرض ولا يُصلحون ، المتوكِّلَ على الله ، المقتدي بالأبرار الأخيار ، الذين أصلحوا الأرضَ بعدَ فسادِها بمعالمِ الهدى ومناهجِ التَّقوى . قال : فعَجَّ الناسُ له بالدُّعاءِ ثم قال : واعلموا يا أهلَ الكوفةِ ، أنه لم يصعَدْ مِنبرَكم هذا خليفةٌ بعد رسولِ الله ﷺ إلَّا أميرُ المؤمنين عليُّ بن أبي طالب وأميرُ المؤمنين هذا ـ وأشارَ بيده إلى السفَّاح ـ واعلموا أنَّ هذا الأمرَ فينا ليس بخارجٍ عنا حتى نُسْلِمَهُ إلى عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ والحمدُ لله ربِّ العالمين على ما أبلانا وأولانا[٤] .

ثم نزل أبو العباس وداود حتى دخلا القصر ، ثم دخلَ الناسُ يُبايعون إلى العَصْر ، ثم من بعدِ العصر إلى الليل ، ثم إنَّ أبا العباس خرج فعسكرَ بظاهرِ الكوفة ، واستخلَفَ عليها عمَّهُ داود بن علي ، وبعث عمَّه عبدَ الله بنَ علي إلى ابنِ عَوْن بن أبي يزيد ، وبعث ابن أخيه عيسى بن موسى إلى الحسنِ بن قَحْطَبة ، وهو يومئذٍ بواسط يُحاصرُ ابنَ هُبيرة ، وبعث يحيى بن جعفر بن تمام بن العباس إلى حُميد بن قَحْطبة بالمدائن ، وبعث أبا اليقظان عثمان بن عروة بن محمد بن عمار بن ياسر إلى بسام بن إبراهيم بن بسام بالأهواز ، وبعث سلمةَ بنَ عمرو بن عثمان إلى مالكِ بنِ الطواف ، وأقام هو بالعسكر أشهراً ؛ ثم ارتحل

---

(١) يقال : أدالَ اللهُ زيداً من عمرو ـ مجازاً ـ : نَزَع الله الدولة من عمرٍو فآتاها زيداً . الفائق للزمخشري (١/ ٤٤٦) .

(٢) في (ق) : « وجمع جنده » ، والمثبت من (ب ، ح) ، وتاريخ الطبري .

(٣) في (ب ، ح) : « ورمى بكنانته » .

(٤) خطبة السفاح وعمه في تاريخ الطبري (٤/ ٣٤٦ ـ ٣٤٨) بنحوه .

فنزل المدينةَ الهاشميةَ في قصرِ الإمارة وقد تنكَّر لأبي سلمةَ الخلاَّل ، وذلك لمَا كان بلَغَهُ عنه من العُدول بالخلافة عن ابن عباس إلى آلِ عليٍّ بن أبي طالب ؛ والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكرُ مَقْتَلِ مروانَ بنِ محمد بن مروان

آخرِ خلفاء بني أمية ، وتحوُّل الخلافةِ إلى بني العباس .

وذلك من قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة : ٢٤٧] ، وقوله : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ [آل عمران : ٢٦] ، الآية ، وقد ذكَرْنا أنَّ مروان لَمَّا بلغَهُ خبرُ أبي مسلم وأتباعِه ، وما جرَى بأرضِ خُراسان تحوَّلَ من حَـرَّان ، فنزل على نهرٍ قريبٍ من المَوْصل يقالُ له الزَّاب من أرضِ الجزيرة ، ثم أبلغَهُ أنَّ السفَّاحَ قد بُويع له بالكوفة ، والتفَّ عليه الجنود ، واجتمع له أمرُه اشتدَّ عليه ذلك جداً ، وجمع جنودَهُ ، فتقدَّم إليه أبو عَوْن بن أبي يزيد في جيشٍ كثيف وهو أحدُ أمراءِ السفَّاح ، فنازلهُ على الزَّاب ، وجاءتْهُ الأمدادُ من جهةِ السفَّاح ، ثم ندَبَ السفاحُ الناسَ ممن يلي القتال من أهل بيتِه ، فانتدَبَ له عبدَ الله بن علي ، فقال : سِرْ على بركةِ الله . فسار في جنودٍ كثيرة ، فقَدِم على أبي عَوْن ، فتحوَّل له أبو عَون عن سُرَادِقِه ، وخلاَّه لَهُ وما فيه ؛ وجعل عبدُ الله بن علي على شُرْطَتِه حَيَّاشَ بنَ حبيب الطائي ، ونَصيرَ بن الْمُحْتَفِز ، ووجَّه أبو العباس موسى بن كعب في ثلاثين رجلاً على البريد إلى عبدِ الله بن علي ، يحثُّهُ على مناجزَةِ مروان ، والمبادرةِ إلى قتالهِ ونِزالِهِ قبلَ أن تحدُثَ أمورٌ ، وتبردَ نيرانُ الحرب . فتقدَّمَ عبدُ الله بن علي بجنودِه حتى واجه جيشَ مروان ، ونهض مروانُ في جنودِه ، وتصافَّ الفريقانِ في أولِ النهار .

ويقال إنه كان مع مروان يومئذٍ مئةُ ألفٍ وخمسون ألفاً . ويقال : مئةٌ وعشرون ألفاً . وكان عبدُ الله بن علي في عشرين ألفاً ، فقال مروانُ لعبدِ العزيز بن عمر بن عبد العزيز : إنْ زالتِ الشمسُ يومئذٍ ولم يقاتلونا كنَّا نحنُ الذين ندفعُها إلى عيسى ابنِ مريم ، وإنْ قاتلونا قبل الزوال فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون .

ثم أرسل مروانُ إلى عبدِ الله بن علي يسألُهُ المُوادَعةَ . فقال عبدُ الله : كذَبَ ابنُ زُرَيق ، لا تزولُ الشمسُ حتى أوطئَهُ الخيلَ إنْ شاء الله . وكان ذلك يوم السبت لإحدى عشرةَ ليلةً خلَتْ من جُمادى الآخرة من هذه السنة ، فقال مروان لأهلِ الشام : قفوا ، لا تبتدئوهُمْ بقتال . وجعل ينظرُ إلى الشمس ، فخالفهُ الوليدُ بن معاويةَ بنِ مروان ـ وهو خَتَنُ مروانَ على ابنتِه ـ فحمَل ، فغَضِبَ مروانُ فشتمَه ، فقاتَلَ أهلُ الميمنة ، فانحاز أبو عون إلى عبدِ الله بنِ علي ، فقاتل موسى بن كعب لعبدِ الله بن علي ، فأمر الناسَ فنَزلوا ، ونُودي : الأرضَ الأرض . فنَزلوا وأشرعوا الرماحَ وجثَوْا على الرُّكَب ، وقاتلوهم ، وجعل أهلُ الشامِ يتأخَّرون ، كأنما يُدفعون ، وجعل عبدُ الله يمشي قُدُماً ، وجعل يقول : يا ربِّ ، حتى متى نُقتلُ فيك ؛ ونادَى : يا أهلَ خُراسان ، يا ثاراتِ إبراهيمَ الإمام ، يا محمد ، يا منصور . واشتدَّ القتالُ جداً بين

الناس ، فلا تَسْمعُ إلَّا وقعاً كالمرازب[1] على النحاس ، فأرسل مروانُ إلى قُضاعة يأمرُهم بالنُّزول ، فقالوا : قُلْ لبني سُليم فَلْيَنزلوا . وأرسلَ إلى السَّكاسِكِ أن احْمِلوا ، فقالوا : قُلْ لبني عامرٍ أنْ يحملوا . فأرسل إلى السَّكونِ أن احْمِلوا ، فقالوا : قُلْ إلى غَطَفانَ فَلْيحملوا . فقال لصاحبِ شُرْطتِه : انزِلْ . فقال : لا واللهِ لا أجعلُ نفسي غَرَضاً . قال : أمَا واللهِ لأسوءَنَّك . قال : وَدِدْتُ لو قدَرْت على ذلك .

ويُقال : إنه قال ذلك لابنِ هُبَيرة . قالوا : ثم انهزَمَ أهلُ الشام ، واتبعَتْهُمْ أهلُ خُراسانَ في أدبارِهم يقتلون ويأسِرون ، وكان منْ غَرِقَ من أهل الشّام أكثر ممَّنْ قُتل ؛ وكان في جُملةِ منْ غَرِق إبراهيمُ بن الوليد بن عبدِ الملك المخلوع ، وقد أمرَ عبدُ الله بنُ علي بعَقْدِ الجِسْر ، واستخرَجَ منْ غَرِق في الماء ، وجعلَ يتلو قولهُ تعالى : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة : ٥٠] . وأقام عبدُ الله بن علي في موضعِ المعركة سبعةَ أيام ، وقد قال رجلٌ من ولَدِ سعيدِ بنِ العاص في مروانَ وفِرَاره يومئذٍ :

لَـجَّ الفِـرَارُ بمـروانٍ فقلـتُ لـهُ ... عـادَ الظَّلُـومُ ظَليمـاً همُّـهُ الهَـرَبُ
أين الفِرَارُ وتَرْكُ الملكِ إذْ ذهبَتْ ... عنـك الهُـوَيْنـا فـلا ديـنٌ ولا حسَـبُ
فراشة الحِلْم فِرْعون العقاب وإنْ ... تطلـبْ نَـدَاهُ فكلـبٌ دونَـهُ كَلَـبُ[2]

واحتاز عبدُ الله ما في مُعَسْكرِ مروان من الأموالِ والأمتعةِ والحواصل ، ولم يجد فيه امرأةً سوى جاريةٍ كانتْ لعبدِ الله بن مروان . وكتب إلى أبي العباس السفاح بما فتحَ الله عليه من النصر ، وما حَصَلَ لهم من الأموال ، فصلَّى السفَّاحُ ركعتَيْنِ شكراً للهِ عزَّ وجلَّ ، وأطلقَ لكلٍّ من حضرَ الوقعة خمسَ مئةٍ خمسَ مئة ، ورفعَ في أرزاقِهم إلى ثمانين ، وجعل يَتْلو قوله : ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ ﴾ [البقرة : ٢٤٩] . الآية .

صِفَةُ مَقْتَلِ مَرْوان الحمار

ويقال له الجَعْدي ، لأنه تأدَّب على الجَعْدِ بنِ درهم ، وهو آخرُ خلفاء بني أمية :

لَمَّا انهزمَ مروانُ سارَ لا يَلْوي على أحد ، فأقامَ عبدُ الله بن علي في مكانِ المعركةِ سبعةَ أيام ، ثم سار خلفَهُ بمنْ معَهُ من الجنود ، وذلك عن أمرِ السَّفَّاح له بذلك ، فلمَّا مَرَّ مروانُ بحَرَّانَ اجتازَها ، وأخرجَ أبا محمدٍ السفيانيَّ من سِجنِه ، واستخلف عليها أبانَ بنَ يزيد ـ وهو ابنُ أُختِه وزوجُ ابنتِه أم عثمان ـ فلمَّا قَدِمَ عبدُ الله على حَرَّان خرجَ إليه أبانُ بنُ يزيد مُسوِّداً فأمَّنَه عبدُ الله بن علي ، وأقرَّهُ على عملِه ، وهدَمَ الدارَ التي سُجنَ فيها إبراهيم الإمام ، واجتازَ مروانُ قِنَّسرِينَ قاصداً حِمص ، فلمَّا جاءها خرج إليه أهلُها

(١) المرازب : جمع مِرْزَبَة ، وهي المطرقة الكبيرة تكون للحدّاد . لسان العرب (رزب) .
(٢) الأبيات والخبر في تاريخ الطبري ٤/ ٣٥١ والكامل في التاريخ (٥/ ٧١) .

بالأسواق والمعايش[١] ، فأقام بها يومَيْنِ أو ثلاثة ، ثم شَخَصَ منها ، فلمَّا رأى أهلُ حمصَ قلَّةَ مَنْ معَه اتَّبَعوهُ لِيَقتُلوه ، طمعاً فيه وقالوا : مَرْعُوبٌ مهزوم . فأدركوهُ بوَادٍ عندَ حِمْص ، فأكمَنَ لهم أميرَيْن ، فلما تلاحقوا بِمَرْوان عَطَفَ عليهم فأنشَدَهُمْ أنْ يَرْجِعوا ، فأبَوا إلاَّ مقاتَلَته ، فثارَ القتالُ بينهم وثارَ الكَمينان من ورائهم ، فانهزم الحِمْصيُّون ، وجاء مروانُ إلى دمشق وعلى نيابتِها من جهتِه زوجُ ابنتِهِ الوليدُ بن معاويةَ بنِ مروان ، فترَكَهُ بها واجتاز عنها قاصداً إلى الديارِ المِصْريَّة ، وجعل عبدُ الله بنُ علي لا يَمرُّ ببلدٍ إلا خرجوا إليه وقد سوَّدُوا ، فيُبايعونه ويعطيهمُ الأمان ، ولما وصل إلى قِنَّسْرينَ وصل إليه أخوهُ عبدُ الصمد بنُ علي في أربعةِ آلاف ، وقد بعثهمُ السفاح مدداً له ؛ ثم سار عبدُ الله حتى أتى حمصَ ، ثم سار منها إلى بَعْلَبَكّ ، ثم منها حتى أتى دمشق من ناحيةِ الْمِزَّة ، فنزل بها يومين أو ثلاثة ، ثم وصل إليه أخوه صالح بن علي في ثمانية آلاف مدداً من السفاح ، فنزل صالحُ بِمَرْجِ عَذْراء ، ولما جاء عبدُ الله بنُ علي دمشقَ نزلَ على البابِ الشرقي ، ونزَلَ صالحُ أخوه على بابِ الجابية ، ونزل أبو عَوْن على بابِ كَيْسان ، على الباب الصَّغِير ، وحُمَيْد بن قَحْطَبة على باب تُوما . وعبدُ الصمد وَيحيى بنُ صفوان والعباسُ بن يزيد على باب الفراديس ، فحاصرَها أياماً ثم افتتَحَها يومَ الأربعاء لعشرٍ خلَوْنَ من رمضان هذه السَّنَة ، فقتَلَ مِنْ أهلها خلقاً كثيراً وأباحَها ثلاثَ ساعاتٍ وهَدَمَ سُورَها . ويُقال إنَّ أهلَ دمشقَ لما حاصرهم عبدُ الله اختلفوا فيما بينهم ما بين عباسيٍّ وأُمويّ ، فاقتتلوا ، فقتَلَ بعضُهم بعضاً ، وقتلوا نائبَهم ، ثم سلَّموا البلد ، وكان أولَ منْ صَعِدَ السُّور من ناحيةِ البابِ الشرقي رجلٌ يُقال له عبدُ الله الطائي ، ومن ناحيةِ البابِ الصغير بسَّامُ بن إبراهيم . ثم أُبيحَتْ دمشقُ ثلاثَ ساعاتٍ حتى قيل : إنه قُتل بِها في هذه المُدَّة نحوٌ من خمسين ألفاً .

وذكر ابنُ عساكر في ترجمة عبيد بن الحسن الأعرج[٢] من ولدِ جعفر بن أبي طالب ، وكان أميراً على خمسةِ آلافٍ مع عبد الله بن علي في حصارِ دمشق ، أنَّهم أقاموا محاصريها خمسةَ أشهر ، وقيل مئةَ يوم ، وقيل شهراً ونصفاً ، وأنَّ البلد كان قد حصَّنهُ نائبُ مروان تحصيناً عظيماً ، ولكن اختلف أهلُها فيما بينهم بسبب اليمانية والمُضَريَّة ؛ وكان ذلك بسبب الفتح ، حتى إنهم جعلوا في كلِّ مسجدٍ مِحْرابَيْن للقِبْلَتَيْن ، حتى في المسجدِ الجامع منبرَيْن ، وإمامَينِ يَخطُبانِ يومَ الجُمعة على المنبرَيْن . وهذا من عَجيبِ ما وقَع ، وغَريب ما اتّفق ، وفَظيعِ ما أُحدث بسبب الفتنة والهوى والعصبية نسأل الله السلامة والعافية . وقد بسط ذلك ابنُ عساكر في هذه الترجمة المذكورة[٣] .

---

(١) في تاريخ الطبري (٤/ ٣٥٣) : « بالأسواق وبالسمع والطاعة » .

(٢) انظر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (٣٧/ ٤٢٣ ـ ٤٢٥) .

(٣) قال ابن عساكر في تاريخه : (٣٧/ ٤٢٥) بعد سياقه هذه الأخبار بإسناده : هذا منقطع ، والواقدي ضعيف ، والمدائني شيعي متهم . اهـ .

وذكر رحمه الله في ترجمة محمد بن سليمان بن عبد الله النَّوفَليّ قال[١] : كنتُ مع عبدِالله بن عليّ أولَ ما دخل دمشق ، دخلها بالسيف ، وأباح القتلَ فيها ثلاثَ ساعات ، وجعل جامعَها سبعينَ يوماً إسطبلاً لدوابِّه وجِمَاله ، ثم نَبَشَ قبورَ بني أمية ، فلم يَجدْ في قبرِ مُعاوية إلَّا خيطاً أسودَ مثلَ الهَبَاء ، ونَبشَ قبرَ عبدِ الملك بنِ مروان ، فوجَدَ جُمْجُمتَه ، وكان يجدُ في القبر العُضْوَ بعدَ العُضو ، إلَّا هشامَ بنَ عبدِ الملك فإنَّه وجدَهُ صحيحاً لم يَبْلَ منه غيرُ أرنبةِ أنفِه ، فضَرَبه بالسِّيَاطِ وهو ميت ، وصلَبَهُ أياماً ثم أحرَقَهُ ودَقَّ رمادَهُ ثم ذرَّهُ في الرِّيح ، وذلك أنَّ هشاماً كان قد ضرَبَ أخاهُ محمد بن عليٍّ حينَ كان قد اتُّهم بقتلِ ولدٍ له صغير سبعَ مئةِ سَوْط ثم نَفَاهُ إلى الحُمَيْمةِ بالبَلْقاء[٢] .

قال : ثم تتبَّع عبدُ الله بن عليٍّ بني أمية من أولادِ الخلفاءِ وغيرِهم ، فقتَل منهم في يوم واحدٍ اثنينِ وتسعين ألفاً عندَ نَهرٍ بالرَّمْلة ، وبسَطَ عليهمُ الأنطاع ، ومدَّ عليهم سماطاً ، فأكلَ وهم يَختلجون تحتَه . وهذا من الجَبَروتِ والظُّلم الذي يُجازيهِ الله عليه ؛ وقد مَضى ولم يَدُمْ لهُ ما أرادَهُ ورَجاه ـ كما سيأتي في ترجمته ـ وأرسل امرأةَ هشامِ بنِ عبدِ الملك وهي عبدةُ بنت عبد الله بن يزيدَ بنِ معاوية ، صاحبةُ الخال مع نفرٍ من الخُراسانيَّة إلى البرِّيَّة ماشيةً حافيةً حاسرةً [عن وَجْهها وجسدها وثيابها] ، أتَوْا بها ثم قتلوها ، ثم أُحرق ما وُجِدَ منْ عَظْم ميتٍ منهم ، وأقام بها عبدُ الله خمسةَ عشر يوماً .

وقد استدَعى بالأوزاعي ، فأُوقفَ بين يديه ، فقال له : يا أبا عمرو ، ما تقولُ في هذا الذي صنعناه؟ قال : فقلتُ له لا أدري ، غيرَ أنه قد حدَّثني يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عمر بن الخطاب ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّما الأعمالُ بالنيات » . . فذكر الحديث . قال الأوزاعي : وانتظرتُ رأسيَ أنْ يسقُطَ بين رِجْليّ ، ثم أُخرجتُ ، وبَعَث لي بمئةِ دينار ، ثم سارَ وراءَ مروان ، فنزل على نَهرِ الكُسوة[٣] ووجَّه يحيى بن جعفر الهاشميَّ نائباً على دمشق ، ثم سار وارتحلَ إلى الأُرْدُنّ ، فأتَوْه وقد سَوَّدوا . ثم سار إلى بَيْسان ، ثم سار فنزَل مَرْج الرُّوم ، ثم أتَى نَهرَ أبي فُطْرُس[٤]

---

(١) تاريخ مدينة دمشق (٥٣/ ١٢٧) .

(٢) انظر التعريف بالحُميمة ص(٣٣) حاشية (٦) .

(٣) الكُسْوة : قريةٌ هي أولُ منْزِلٍ تَنْزلُه القوافلُ إذا خرَجَتْ من دمشق إلى مصر . قال الحافظ أبو القاسم : وبلغني أنَّ الكُسوة إنَّما سُمِّيتْ بذلك لأنَّ غسانَ قتلَتْ بها رُسُلَ ملكِ الرُّوم لمّا أتَوْا إليهم لأخذِ الجزْيَةِ منهم . واقتسمتْ كسوتهم . معجم البلدان (٤/ ٤٦١) .

(٤) نهر أبي فُطْرس ـ بضم الفاء وسكون الطاء وضم الراء وسين مهملة ـ : موضعٌ قُرْبَ الرَّمْلَة من أرضِ فلسطين . قال المهلَّبي : على اثني عشرَ ميلاً من الرَّمْلَة ، في سَمْتِ الشَّمَال نهرُ أبي فُطْرُس ، ومَخْرَجُه من أعْيُنٍ في الجبلِ المتَّصِل بنابُلُس ، ويَنْصبُّ في البحرِ الملح بين يدي مدينتي أرسوف ويافا . به كانت وقعةُ عبدِ الله بن علي بنِ عبدِ الله بن العباس مع بني أمية فقتَلَهم في سنة . معجم البلدان (٥/ ٣١٥) .

فوجد مروانَ قد هرَب ، فدخل مصرَ وجاءَهُ كتابُ السَّفَّاح ابعثْ صالحَ بنَ عليٍّ في طلَبِ مَرْوان ، وأقِمْ أنتَ في الشام نائباً عليها ، فسار صالحُ بن عليٍّ يطلبُ مروانَ في ذي القَعْدةِ من هذه السنة ومعه أبو عَوْن وعامر بن إسماعيل ، فنزلَ على ساحلِ البحر ، وجَمع ما هناك من السُّفُن ، وبلغَهُ أنَّ مروانَ قد نَزلَ الفَرَما[١] وقيل الفَيُّوم ، فجعلَ يسيرُ على الساحل والسُّفُنُ تُقادُ معه في البحر حتى أتى العَريش ، ثم سار حتى نزلَ على النِّيل ، ثم سار إلى الصَّعِيد ، فعبرَ مروانُ النِّيل ، وقطعَ الجِسرَ ، وحرق ما حَوْلَهُ من العَلَفِ والطعام ، ومَضَى صالحٌ في طَلَبه فالتقَى بخيلٍ لِمروان ، فهزَمَهم ، ثم جعل كلَّما التَقَوْا مع خيلٍ لِمروانَ يَهْزِمُونَهم حتى سألوا بعضَ منْ أسرُوا عن مروان ، فدلُّوهم عليه ، وإذا به في كَنِيسَةِ بُوصير[٢] فوافَوْهُ من آخرِ الليل ، فانهزم منْ معهُ من الجُند ، وخرج إليهم مروانُ في نَفَرٍ يَسيرٍ معَه ، فأحاطوا به حتى قتلوهُ ، طَعَنَهُ رجلٌ من أهلِ البصرةِ يُقالُ له مُعَوِّذ ولا يَعرِفُه ، حتى قال رجلٌ : صُرِع أمير المؤمنين . فابتدرَهُ رجلٌ من أهلِ الكوفة كان يَبيع الرمان ، فاحتزَّ رأسَه ، فبعث به عامر بن إسماعيل أمير هذه السريَّة إلى أبي عَوْن ، فبعث به أبو عون إلى صالح بن علي ، فبعث به صالح مع رجلٍ يقال له خُزيمة بن يزيد بن هانىء ، كان على شرطته لأميرِ المؤمنين السفَّاح .

وكان مقتلُ مروانَ يومَ الأحد لثلاثٍ بَقينَ من ذي الحجَّة ، وقيل يوم الخميس لستٍّ مَضَيْنَ منها سنةَ ثِنتَيْنِ وثلاثين ومئة ، وكانت خلافتُه خمسَ سِنين وعشرةَ أشهر وعشرةَ أيام على المشهور . واختلفوا في سنِّه ، فقيل أربعون سنة ، وقيل ست ، وقيل ثمان وخمسون سنة ، وقيل ستون ، وقيل اثنتان ، وقيل ثلاثٌ ، وقيل تسعٌ وستون سنة ، وقيل ثمانون ، والله أعلم .

ثم إنَّ صالح بنَ عليٍّ سارَ إلى الشام ، واستخلفَ على مصر أبا عَوْن بنَ أبي يزيد ، والله سبحانه أعلم .

وهذا شيءٌ من ترجمةِ مروانَ الحمار ، وهو :

مروان بن محمد

ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي[٣] أبو عبد الملك ، أميرُ المؤمنين ، آخرُ

---

(١) الفَرَما : مدينةٌ على الساحل من ناحية مصر . وقال الحسن بن محمد المهلبي : الفَرَما حصن على ضفة البحر لطيف . انظر معجم البلدان (٤/ ٢٥٥) .

(٢) بوصِير ـ بكسر الصاد وياء ساكنة وراء ـ : اسمٌ لأربَع قُرًى بمصر ، بوصير قوريدس ، وقال الحسن بن إبراهيم بن زولاق : بها قُتل مروانُ بن محمد بن مروان بن الحَكم الذي به انقرض ملكُ بني أمية وهو المعروف بالحمار والجعدي ، قُتل بها لسبع بَقينَ من ذي الحجة سنة (١٣٢) . وقال أبو عمر الكِنْدي : قُتل مروان بِبُوصير من كورةِ الأشمونين . انظر معجم البلدان (١/ ٥٠٩) .

(٣) ترجمته في طبقات ابن سعد (٥/ ٢٣٧) ، تاريخ خليفة (٤٠٣ ـ ٤٠٩) ، تاريخ الطبري (٤/ ٢٨٠) وما بعدها ، =

خلفاءِ بني أمية ، وأمُّهُ أمَةٌ كُرْدِيَّة يُقال لها لُبَابَة ، وكانت لإبراهيمَ بنِ الأشتر النَّخَعي ، أخذها محمد بن مروان يومَ قتلَه ، فاستولدَها مروانَ هذا . ويُقال : إنها كانتْ أولاً لِمُصعَب بنِ الزُّبير ، وقد كانتْ دارُ مروانَ هذا في سوق الأكّافين . قاله ابنُ عساكر[1] .

بُويع له بالخلافة بعد قتلِ الوليدِ بنِ يزيد ، وبعد موتِ يزيدَ بنِ الوليد ، ثم قَدِمَ دمشق وخلَعَ إبراهيم بن الوليد ، واستتبَّ لهُ الأمر في نصفِ صفر ، سنةَ سبعٍ وعشرين ومئة .

وقال أبو معشر : بُويع بالخلافة في ربيع الأول سنةَ تسعٍ وعشرين ومئة ، وكان يُقال له مروان الجَعْدِي نسبةً إلى رأي الجَعدِ بنِ دِرْهَم ، وتلقَّبَ بالحمار ، وهو آخرُ منْ ملَكَ من بني أمية . وكانت خلافتُهُ منذُ سلمَ إليه إبراهيمَ بن الوليد إلى أن بويع السفَّاح خمسَ سنين وعشرةَ أشهرٍ وعشرةَ أيّام وقيل خمس سنين وشهراً . وبَقِيَ بعدَ أن بُويع للسَّفَّاح تسعةَ أشهر . وكانَ أبيضَ مُشرباً بالحُمرة ، أزرقَ العينَيْن ، كبيرَ اللِّحْية ، ضخمَ الهامة ، رَبْعَةً ، ولم يكن يَخْضب . ولَّاهُ هشامٌ نيابةَ أذْرَبيجانَ وإرْمينيَةَ ، والجزيرة في سنةِ أربعَ عشرةَ ومئة ، ففتح بلاداً كثيرةً وحُصوناً متعددةً في سنينَ كثيرة ، وكان لا يُفارقُ الغزوَ في سبيلِ الله ، وقاتَلَ طوائفَ من الناس الكفَّارِ ومن التُّرْكِ والخَزَرِ واللاَّن وغيرِهم ، فكسرَهم وقهرَهم ؛ وقد كان شُجاعاً بطَلاً مِقْداماً ، حازمَ الرأي ، لولا أنَّ جُندَهُ خَذَلوه بتقديرِ الله عزَّ وجلَّ ، لِمَا لَهُ من ذلك من حكمةِ سَلْبِ الخلافة ، لِشجاعتِهِ وصرامَتِه ؛ ولكنْ منْ يَخْذِلِ الله يُخْذَلْ ، ومنْ يُهنِ الله فمالَهُ من مُكْرِم .

قال الزبير بن بَكَّار عن عَمِّهِ مُصعب بن عبد الله : كان بنو أمية يرَوْنَ أنَّهُ تذهَبُ منهمُ الخلافةُ إذا وَلِيها مَنْ أُمُّهُ أمَة ؛ فلمَّا وَليها مروانُ هذا أُخِذَتْ منهم في سنةِ ثنتين وثلاثين ومئة .

وقد قال الحافظُ ابن عساكر[2] : أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي الحسن ، أخبرنا سهل بن بشر ، أنبأ الخليل بن هبة الله بن الخليل ، أنبأ عبد الوهاب الكلابي ، حدثنا أبو الجهم أحمد بن الحسين ، أنبأ العباس بن الوليد بن صبح ، حدثنا عباس بن نجيح[3] أبو الحارث ، حدثني الهيثم بن حُميد ، حدثني راشد بن داود ، عن أبي أسماء ، عن ثوبان ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا تزالُ الخِلافةُ في بني أمية يتلَقَّفُونَها تلَقُّفَ الغِلمانِ الكُرَة ، فإذا خرجتْ من أيديهِمْ فلا خيرَ في عيش » .

هكذا أورده ابنُ عساكر وسكت عليه ، وهو منكرٌ جداً ، وقد سأل الرشيدُ أبا بكر بن عيَّاش : خيرُ

= و(٤/ ٣٥٣) وما بعدها ، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (٥٧/ ٣١٩) ، الكامل (٥/ ٤) وما بعدها ، سير أعلام النبلاء (٦/ ٧٤) ، مآثر الإنافة (١/ ١٦٢) .

(١) في تاريخ مدينة دمشق (٥٧/ ٣٢٠) .

(٢) في تاريخ مدينة دمشق (٥٧/ ٣٣٠ ، ٣٣١) .

(٣) في بعض النسخ : « يحيى » ، وهو تحريف . وهو العباس بن عبد الرحمن بن الوليد بن نجيح الدمشقي . وانظر ترجمته في الجرح والتعديل ٦/ ٢١١ ، وتاريخ دمشق ٢٦/ ٢٧٢ .

الخلفاءِ نحنُ أو بنو أُميَّة ؟ فقال : هم كانوا أنفعَ للناس ، وأنتم أقومُ للصلاة . فأعطاهُ ستةَ آلاف .

قالوا : وقد كان مروانُ هذا كثيرَ المروءة ، كثيرَ العَجَب ، يُعجبهُ اللَّهْوُ والطرَب ، ولكنَّهُ كان يشتغلُ عن ذلك بالحرب .

قال ابنُ عساكر[1] : قرأت بخط أبي الحسن عليِّ بن مقلد بن نصر بن مُنقِذ ابن الأمير ، في مجموعٍ له : كتب مروانُ بنُ محمد إلى جاريةٍ لهُ تركَها بالرَّمْلةِ عندَ ذهابهِ إلى مصرَ منهزماً :

وما زال يدعوني إلى الصبرِ ما أرى ... فأبى ويُدنيني الذي لكِ في صَدْري
وكان عزيزاً أنْ تبيتي وبيننا ... حِجَابٌ فقد أمسَيْتِ منِّي على عَشْرِ
وأنكاهما واللهِ للقلبِ فاعلمي ... إذا زدتِ مِثلَيْها فَصِرت على شهرِ
وأعظمُ من هذينِ واللهِ أنَّني ... أخافُ بأنْ لا نلتقي آخرَ الدَّهْرِ
سأبكيكِ لا مُستبقياً فيضَ عَبْرةٍ ... ولا طالباً بالصبرِ عاقبةَ الصَّبرِ

وقال بعضُهم : اجتاز مروانُ وهو هاربٌ براهب ، فاطَّلَعَ عليه الراهب ، فسلَّمَ عليه ، فقال له : يا راهب ، هل عندك علمٌ بالزمان ؟ قال : نعم ، عندي مِن تَلَوُّنِهِ ألوان . قال : هل تبلغُ الدنيا من الإنسانِ أنْ تجعلَهُ مملوكاً بعدَ أنْ كان مالِكاً ؟ قال : نعم . قال : فكيف ؟ قال : بِحُبِّهِ لهَا وحِرْصِهِ على نَيْلِ شهواتها ، وتَضْييعِ الحَزْمِ ، وتَرْكِ انتهازِ الفُرَص ؛ فإنْ كنتَ تُحبُّها فإنَّ عبدَها منْ أحبَّها . قال : فما السبيلُ إلى العَتق ؟ قال : بِبُغضها والتجافي عنها . قال : هذا ما لا يكون . قال الراهب : أمَا إنَّه سيكون ، فبادرْ بالهرَبِ منها قبلَ أنْ تُسلبَها . قال : هل تعرفُني ؟ قال : نعم . أنت مَلِكُ العَرَب مروان ، تُقتلُ في بلاد السُّودان ، وتُدفنُ بلا أكفان . فلولا أنَّ الموتَ في طلبك لدَلَلْتُكَ على مَوْضعِ هَرَبِك .

قال بعض الناس : كان يُقال في ذلك الزمان : يَقْتُلُ ع بن ع بن ع [بن ع] م بن م بن م . يَعْنُونَ يَقْتُلُ عبدُ الله بنُ عليِّ [بن عبد الله] بنِ عباس مروانَ بنَ محمدِ بنِ مروان .

وقال بعضُهم : جلس مروانُ يوماً وقد أُحيطَ به ، وعلى رأسِهِ خادمٌ قائمٌ فقال مروانُ لبعضِ مَنْ يُخاطِبُه : ألا ترى ما نحنُ فيه ، لَهْفِي على يدٍ ما ذُكِرَتْ ، ونعمةٍ ما شُكِرت ، ودولةٍ ما نُصِرَتْ . فقال له الخادم : يا أميرَ المؤمنين ، من ترَكَ القليلَ حتى يَكْثُر ، والصغيرَ حتى يَكْبَر ، والخَفِيَّ حتى يظهرَ ، وأخَّرَ فعلَ اليومِ لغَدٍ حَلَّ بِهِ أكثرُ مِنْ هذا ، فقال مروان : هذا القولُ أشدُّ عليَّ مِنْ فَقْدِ الخِلافة .

وقد قيل : إنَّ مروانَ قُتل يومَ الإثنين ، لثلاثَ عشرةَ خلَتْ من ذي الحِجَّة سنة ثنتين وثلاثين ومئة ، وقد جاوز السِّتِّينَ وبلَغَ الثمانين . وقيل : إنما عاش أربعينَ سنةً . والصحيحُ الأول ، وكانتْ خِلافتُه خمسَ سنين وكسراً . وهو آخِرُ خلفاءِ بني أمية ، به انقضَتْ دولتُهم .

---

(١) في تاريخ مدينة دمشق (٥٧/ ٣٣٧) .

ذكرُ ما ورد في انقضاءِ دولةِ بني أمية وابتداءِ بني العباس من الأخبار النبويَّة وغيرها

قال العلاءُ بنُ عبدِ الرحمن عن أبيه . عن أبي هريرة قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إذا بَلَغَ بنو [أبي] العاص أربعين رجلاً اتخذوا دينَ اللهِ دَغَلاً ، وعبادَ الله خَوَلاً ، ومالَ اللهِ دُوَلاً[1] » .

ورواهُ الأعمش عن عَطيّة ، عن أبي سعيد مرفوعاً بنحوِهِ[2] . وروى ابنُ لَهِيعةَ عن أبي قَبِيل ، عن ابن وَهْبٍ أنَّه كان عندَ معاوية ، فدخل عليه مروانُ بنُ الحكم ، فتكلَّم في حاجة ، فقال : اقضِ حاجتي ، فإنِّي لأبو عشرة ، وأخو عشرة ، وعمُّ عشرة . فلما أدبرَ مروانُ قال معاويةُ لابنِ عباس وهو معه على السرير : أما تعلَمُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً اتَّخذوا مالَ اللهِ بينهم دُوَلاً ، وعبادَ اللهِ خَوَلاً ، وكتابَ اللهِ دَغَلاً ، فإذا بلغوا سبعةً وتسعين وأربع مئة كان هلاكُهُمْ أسرعَ من لَوْكِ تَمْرَة » ؟ فقال ابنُ عباس : اللهمَّ نعم . فلما أدبرَ عبد الملك[3] قال معاوية : أَنْشُدُكَ بالله يا بن عباس ، أما تعلَمُ أنَّ رسولَ الله ﷺ ذكرَ هذا ، فقال : « أبو الجبابرة الأربعة » ؟ فقال ابنُ عباس : اللهمَّ نعم .

وقال أبو داود الطيالسي[4] : حدثنا القاسم بن الفضل ، حدثنا يوسف بن مازن الراسبي قال : قام رجلٌ إلى الحسن بن علي فقال : يا مسوِّدَ وجوهِ المؤمنين . فقال الحسن : لا تؤنِّبْني ـ رحمك الله ـ فإنَّ رسول الله ﷺ رأى بني أميةَ يَخطُبون على مِنبرِهِ رجلاً رجلاً فساءهُ ذلك، فَنزلتْ ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ وهو نَهرٌ في الجنة ، ونَزلَتْ ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ السورة إلى قوله : ﴿ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴾ [القدر : ١ ـ ٣] ، مملكة بني أمية . قال : فحَسَبْنَا ذلك ، فإذا هو كما قال ، لا يَزيدُ ولا يَنْقُص .

وقد رواه الترمذي[5] عن محمود بن غَيلان ، عن أبي داود الطيالسي ، ثم قال : غريبٌ لا نعرِفُهُ إلَّا من حديث القاسم بن الفضل وهو ثقة ، وثَّقَهُ يحيى القطَّان وابنُ مهدي . قال : وشيخُه يوسف بن سعد ـ ويقال : يوسف بن مازن ـ رجلٌ مجهول ، ولا نعرفُ [هذا الحديث] بهذا اللفظ إلَّا من هذا الوجه ، وأخرجه الحاكم في مستدركه[6] من حديث القاسم بن الفضل الحُدَّاني . وقد تكلَّمتُ على نكارةِ هذا

---

(١) حديث أبي هريرة رواه البيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٥٠٧ هكذا مرفوعاً ، ورواه أبو يعلى في مسنده (٦٥٢٣) من قول أبي هريرة موقوفاً (بشار) .

(٢) حديث أبي سعيد الخدري نقله المؤلف من دلائل النبوة للبيهقي ٦/ ٥٠٧ . وقد أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٨٠ وأبو يعلى في مسنده (١١٥٢) ، والحاكم في المستدرك ، وإسناده ضعيف .

(٣) في بعض النسخ : « مروان » وما أثبتناه موافق لما في دلائل النبوة ، وهو الذي يدل عليه السياق .

(٤) نقله المؤلف من دلائل النبوة للبيهقي ٦/ ٥٠٩ ـ ٥١٠ .

(٥) في سننه (٥/ ٤٤٤) (٣٣٥٠) في التفسير : باب ومن سورة القدر ، وإسناده ضعيف .

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٨٦) (٤٧٩٦) وإسناده ضعيف .

الحديث في التفسير(١) بكلامٍ مبسوط ولله الحمدُ والمِنَّة ، وإنما يكونُ متجهاً إذا قيل إنَّ دولَتهم ألف شهر بأن نُسقط منها أيامَ عبدِ الله بن الزُّبير ، وذلك أنَّ معاوية بُويع له مستقلاً بالمُلك في سنةِ أربعين ، وهي عامُ الجماعة حينَ سَلَّم إليه الحسَنُ بن علي الأمرَ بعدَ ستةِ أشهرٍ من قتل علي . ثم زالتِ الخلافةُ عن بني أُمية في هذه السنة وهي سنةُ ثنتينِ وثلاثين ومئة ، وذلك ثنتان وتسعونَ سنة وإذا أُسقط منها تسعُ سنين خلافةُ ابنِ الزُّبير بقِيَ ثلاثٌ وثمانون سنة ، وهي مُباينةٌ لِمَا وَرَدَ في هذا الحديث ، ولكنْ ليس هذا الحديثُ مرفوعاً إلى النبيِّ ﷺ أنه فسَّر الآيةَ بهذا العدد ، وإنما هذا من قَوْلِ بعضِ الرواة ، وقد تكلَّمنا على ذلك مطوَّلاً في التفسير(٢) وتقدَّم في الدلائل أيضاً تقريرُهُ ، والله أعلم .

وقال عليُّ بنُ المديني عن يحيى بن سعيد ، عن سفيانَ الثوريّ ، عن عليِّ بن زيد ، عن سعيد بن المسيِّب ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « رأيتُ بني أميةَ يصعدون مِنبري ، فشقَّ ذلك عليّ ، فأُنزلَتْ ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ . فيه ضَعفٌ وإرسال(٣) .

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : حدثنا يحيى بن مَعِين ، حدثنا عبد الله بن نُمير ، عن سفيان ، عن عليِّ بنِ زيد ، عن سعيد بن المسيَّب في قوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [الإسراء : ٦٠] ، قال : رأى ناساً من بني أمية على المنابرِ ، فساءه ذلك ، فقيل له : إنما هي دُنيا يُعطَوْنَها وتَضْمَحِلُّ عن قليل ، فسُرِّيَ عنه(٤) .

وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع قال : لَمَّا أُسري برسول الله ﷺ رأى فلاناً وهو من بعضِ بني أمية على المنبر يخطُبُ الناس ، فشقَّ ذلك عليه ، فأنزل الله ﴿ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الأنبياء : ١١١](٥) .

وقال مالك بن دينار : سمعتُ أبا الجوزاء يقول : والله لَيُعِزَّنَّ(٦) الله مُلكَ بني أمية كما أعزَّ مُلكَ مَنْ

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٣٠ ، ٥٣١) في تفسير سورة القدر .

(٢) ومن جملة ما قاله المؤلف في التفسير : ومما يدلُّ على ضعف هذا الحديث أنه سيق لِذَمِّ دولةِ بني أمية ، ولو أُريد ذلك لم يكن بهذا السياق ، فإنَّ تفضيلَ ليلة القدر على أيامهم لا يدلُّ على ذمِّ أيامهم ، فإنَّ ليلة القدر شريفةٌ جداً ، والسورة الكريمة إنما جاءت لِمَدْحِ ليلة القدر فكيف تُمدح لتفضيلها على أيام بني أمية التي هي مذمومة بمقتضى هذا الحديث . اهـ .

(٣) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ٤٤) وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٧٠١) (١١٧٠) ، ولفظهما : « رأيتُ بني أمية في صورة القردة والخنازير يصعدون . . . . » ، وإسناده ضعيف .

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣١٠) في تفسير الآية بنحوه ، وقال : أخرجه ابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقي في الدلائل ، وابن عساكر ، أقول : وإسناده ضعيف .

(٥) وإسناده ضعيف .

(٦) في بعض النسخ : لَيُغَيِّرَنَّ الله .

كان قبلَهم ، ثم لَيُذِلَّنَّ مُلكَهم كما أذلَّ مُلكَ مَنْ كان قبلَهم ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١٤٠] [فيه ضعف وإرسال] .

وقال ابنُ أبي الدنيا[١] : حدثني إبراهيمُ بن سعيد ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا عمر بن حمزة ، أخبرني عمر بن سيف[٢] مولًى لعثمانَ بن عفان ، ثم قال : سمعتُ سعيدَ بنَ المُسَيِّب وهو يقولُ لأبي بكرِ بنِ عبد الرحمن ، ولأبي بكر بن سُليمانَ بنِ أبي خيثمة ، وذكروا بني أمية فقال : لا يكونُ هلاكُهم إلَّا بينَهم ، قالوا : كيف ؟ قال : يَهْلِكُ خُلفاؤهم ويَبْقَى شرارُهم ، فيتنافسونها ، ثم يكثرُ الناسُ عليهم فيُهلِكُونَهم .

وقال يعقوب بن سفيان : أنبأ أحمد بن محمد الأزرقي ، حدثنا الزَّنْجي عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « رأيتُ في النوم بني أبي الحكم ، أو بني أبي العاص يَنْزونَ على مِنْبَري كما تَنْزو القِرَدَة » . قال : فما رُئِيَ رسولُ الله ﷺ مستجمعاً ضاحكاً بعدَها حتى تُوفِّي[٣] .

قال أبو محمد عبدُ الله بن عبد الرحمن الدَّارِمي[٤] : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا سعيد بن زيد ـ أخو حَمَّاد بن زيد ـ عن علي بن الحكم البُنَاني ، عن أبي الحسن هو الحمصي ، عن عمرو بن مُرَّةَ ـ وكانت له صُحْبة ـ قال : جاء الحكمُ بنُ أبي العاص يستأذِنُ على رسول الله ﷺ فعرَفَ كلامَهُ فقال : « ائذنوا له ، صُبَّتْ عليه لعنةُ الله وعلى مَنْ يَخْرُجُ من صُلْبِه ، إلا المؤمنين ، وقَلِيلٌ ما هم ، يُشَرَّفون في الدنيا ويُوضَعونَ في الآخرة ، ذَوُو دَهَاءٍ وخَدِيعة ، يُعْطَوْنَ في الدُّنيا وما لَهُمْ في الآخرةِ مِنْ خَلاق »[٥] .

وقال أبو بكر الخطيب البغدادي : أنبأ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن محمد ، أنبأ محمد بن المظفر الحافظ ، أنبأ أبو القاسم تمام بن خريم بن محمد بن مروان الدمشقي ، أنبأ أحمد بن إبراهيم بن هشام بن ملابس ، حدثنا أبو النظر إسحاق بن إبراهيم بن يزيد مولى أمِّ الحكم بنت عبد العزيز ، حدثنا يزيد بن ربيعة ، حدثنا أبو الأشعث الصَّنْعاني ، عن ثوبان ، قال : كان رسولُ الله ﷺ نائماً ، واضعاً رأسه على فَخِذِ أمِّ حَبِيبة بنتِ أبي سفيان ، فنَحَب ثم تبسَّم ، فقالوا : يا رسول الله ، رأيناك نَحَبْتَ ثم تبسَّمْتَ !

---

(١) في كتابه الحلم ص(٥٤) برقم (٦٥) .

(٢) كذا في الأصول ، وفي « الحلم » : « عمرو بن سيف » ولم أقف على ترجمة له .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٢٧) (٨٤٨١) والبيهقي في الدلائل ٦/ ٥١١ من طريق الأزرقي به ، وأبو يعلى في مسنده (١١/ ٣٤٨) ، وهو حديث حسن .

(٤) جاء في (ق) : « الداري » وأتبعها بقوله بين معقوفين [لعله الدارمي] ، وهو صحيح ، ترجمته في تهذيب الكمال (١٥/ ٢١٠) ، وروايته عن مسلم بن إبراهيم ثابتة فيه ، وهو من شيوخه . روايته عنه في السنن كثيرة .

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/٥٢٨) (٨٤٨٤) بإسناده عن مسلم بن إبراهيم ، حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي ، حدثنا علي بن الحكم البناني به . وإسناده ضعيف لجهالة أبي الحسن الحمصي .

فقال : « رأيتُ في منامي بني أميةَ يتعاوَرُونَ على مِنْبَرِي . فساءني ذلك ، ثم رأيتُ بني العباس يتعاورون على مِنبري فسرَّني ذلك »[(١)] .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثني محمد بن خالد بن العباس ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثني أبو عبد الله عن الوليد بن هشام الْمُعَيطِي ، عن أبان بن الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيط[(٢)] ، قال : قدم ابنُ عباس على معاويةَ وأنا حاضر ، فأجازه فأحسَنَ جائزتَه ، ثم قال : يا أبا العباس ، هل يكونُ لكُمْ دَوْلة ؟ فقال : اعْفِني يا أمير المؤمنين . فقال : لَتُخْبِرَنِّي . قال : نعم . قال : فمن أنصارُكم ؟ قال : أهلُ خُراسان ، ولبني أميةَ من بني هاشمٍ نَطَحات[(٣)] .

وقال المِنْهال بن عمرو ، عن سعيد بن جُبير : سمعتُ ابنَ عباس يقول : يكونُ مِنَّا ثلاثةُ أهلَ البَيْت : السَّفَّاح ، والمنصور ، والمَهْدي .

رواه البيهقي من غيرِ وَجْه ، ورواه الأعمَشُ عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعاً[(٤)] .

وروى ابن أبي خيثمة عن ابن مَعِين ، عن سفيان بن عُيَينة ، عن عمرو بن دينار ، عن أبي معبد ، عن ابن عباس قال : كما افتَتَح الله بأوَّلِنا فأرجو أنْ يَخِتمَهُ بآخرنا .

وهذا إسنادٌ صحيح إليه ، وكذا وقع ويَقَعُ للمَهْديِّ إنْ شاء الله .

وروى البيهقيُّ عن الحاكم ، عن الأصَمّ ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يخرُجُ رجلٌ من أهلِ بيتي عنِ انقطاعِ من الزمان ، وظهورٍ من الفتن ، يُقالُ له السَّفَّاح ، يُعطي المالَ حَثْياً »[(٥)] .

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٩٦)(١٤٢٥) ، وفيه يزيد بن ربيعة ، وهو الرحبي ، متروك (ميزان الاعتدال ٤/ ٤٢٢) .

(٢) في (ق) : « عن أبان بن الوليد ، عن عقبة بن أبي معيط » والمثبت من (ب ، ح) ، وكتاب الفتن .

(٣) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (١/ ٢٠٢) برقم (٥٥٠) ولفظه : « ولبني أمية من بني هاشم نطحات ، ولبني هاشم من بني أمية نطحات ، ثم يخرج السُّفياني » .

(٤) قلت : أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (١/ ٩٦) برقم (٢٢٨) عن المنهال به ، ولفظه « عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم ذكروا عنده اثني عشر خليفة ثم الأمير . فقال ابن عباس : والله إنَّ منَّا بعد ذلك السفاح والمنصور ، والمهدي يدفعها إلى عيسى بن مريم ، وأخرجه بنحوه في (١/ ٤٠٠) برقم (١٢٠٣) و(١/ ٤٤٤) برقم (١٢٨٢) والخطيب في تاريخ بغداد (١/ ٦٣) قال بشار : هو حديث موضوع ولا يصح عن ابن عباس شيء في ذلك ، كما بينته مفصلاً في تعليقي على تاريخ مدينة السلام للخطيب ١/ ٣٧٠ فيما بعد .

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٨ و٦٠ و٨٠) ، وفيه عطية العوفي ، وهو ضعيف .

وقال عبد الرزاق[١] : حدثنا الثوري عن خالد الحذَّاء ، عن أبي قِلابة عن أبي أسماء ، عن ثوبان ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يقتتل عند حَرَّتِكم هذه ثلاثةٌ كلُّهم وَلَدُ خليفة ، لا تَصِيرُ إلى واحدٍ منهم ، ثم تُقبِلُ الراياتُ [السود] من خُراسان ، فيقتلونكم مَقْتَلَةً لم يُرَ مثلها ـ ثم ذكر شيئاً ـ فإذا كان كذلك فأْتُوهُ ولو حَبْواً على الثَّلج ، فإنَّهُ خليفةُ الله المَهْدِي » .

رواه بعضُهم عن ثوبان ، فوَقَفَه ، وهو أشبه[٢] ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدثني يحيى بن غيلان ، وقتيبة بن سعيد ، قالا : حدثنا رِشْدِينُ بن سعد ، [قال يحيى بن غَيْلان في حديثه :] حدثني يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، عن قَبِيصة ـ هو ابن ذؤيب ـ عن أبي هُريرة ، عن رسولِ الله ﷺ أنه قال : « يخرج من خُراسانَ راياتٌ سُود ، لا يَرُدُّها شيء حتى تُنصَبَ بإيلياء » .

وقد رواه البيهقي في الدلائل من حديث رِشْدِين بن سعد المصري[٤] ، وهو ضَعِيف ، ثم قال : قد رُوي قريباً من هذا عن كعب الأحبار ـ وهو أشبه ـ ثم قال : من طريق يعقوب بن سفيان حدثنا محدِّثٌ عن أبي المغيرة عبد القدوس ، عن ابن عباس ، يحدثه عن كعب أيضاً قال : « تظهر راياتٌ سود لبني العباس حتى ينزلوا الشام ، ويَقتُلُ الله على أيديهم كلَّ جبَّارٍ وعَدُوٍّ لهم »[٥] .

وروى إبراهيمُ بن الحسين بن ديزيل ، عن ابن أبي أُوَيس عن ابن أبي ذؤيب[٦] ، عن محمد بن عبد الرحمن العامري ، عن سهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال للعباس : « فيكم النبوَّة وفيكمُ المَمْلَكة »[٧] .

وروى عبد الله بن أحمد عن ابن مَعِين ، عن عبيد بن أبي قُرَّة ، عن الليث ، عن أبي قَبِيل ، عن

---

(١) أخرجه من طريق عبد الرزاق مرفوعاً ابن ماجه في سننه (٤٠٨٤) ، والبيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٥١٥ .

(٢) أخرج الموقوف : الحاكم ٤/ ٥٠٢ والبيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٥١٦ .

(٣) في المسند (٢/ ٣٦٥) وما يأتي بين معقوفين منه ، وإسناده ضعيف .

(٤) قلت : ورواه أيضاً في المعجم الأوسط (٤/ ٣١) (٣٥٣٦) بالإسناد نفسه .

(٥) انظر الفتن لنعيم بن حماد (١/ ٢٠٩) (٥٧٠) .

(٦) في الدلائل : عن ابن أبي فديك .

(٧) أخرجه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٢/ ٤٨٨ ، ٤٨٩) (١٩٧) ، وابن عدي في الكامل (٤/ ٢٦٢) في ترجمة عبد الله بن شبيب ، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٢٨٩) ، وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (٤/ ١١٨) في ترجمة عبد الله بن شبيب أيضاً ، وابن حجر في لسان الميزان (٣/ ٢٩٩) ، وقال : لم ينفرد به عبد الله بن شبيب (وهو متروك) بل رواه عن إسماعيل بن أبي أويس أيضاً الإمام المجمع على حفظه وثقته إبراهيم بن الحسن بن ديزيل ، أورده البيهقي في « دلائل النبوة » ، من طريقه ثم قال : تفرد به محمد بن عبد الرحمن العامري وليس بالقوي . اهـ .

أبي مَيْسرة مولى العباس ، قال : سمعتُ العباسَ يقول : كنتُ عندَ رسولِ الله ﷺ ذاتَ ليلة ، فقال : « انظُرْ ، هل ترى في السماء من شيء ؟ » قلت : نعَمْ . قال : « ما ترى ؟ » قلتُ : الثُّريَّا . قال : « أما أنَّهُ سَيمْلِكُ هذه الأمة بِعَدَدِها من صُلْبِكَ » . قال البخاري : عُبيد بن أبي قُرَّة لا يُتابَعُ على حديثِه[١] .

وروى ابنُ عدي[٢] من طريق سويد بن سعيد ، عن حجاج بن تميم ، عن مَيمون بن مِهْران ، عن ابن عباس قال : مررتُ برسولِ الله ﷺ ومعه جِبريل وأنا أظنُّهُ دِحْيَةَ الكلبي ، فقال جبريلُ لرسولِ الله ﷺ : إنه لَوَسِخُ الثياب ، وسيلبَسُ ولَدُهُ من بعدِه السواد . وهذا منكَرٌ من هذا الوَجْه .

ولا شكَّ أنَّ بني العباس كان السوادُ من شِعارِهم ، أخذوا ذلك من دخولِ رسولِ الله ﷺ مكةَ يومَ الفَتْح ، وعلى رأسه عِمَامَةٌ سَوْداء ، فأخذوا بذلك وجعَلُوهُ شعارَهُم في الخُطَبِ والأعياد والجُمَع والمَحافل . وكذلك كان جُنْدُهم لا بدَّ من أن يكونَ على أحدِهم شيءٌ من السَّوَاد ، ومن ذلك ما يُلْبِسُهُ الملوكُ لِلأُمَراء حين يُخلَعُ عليهم بالإمرة ، لا بدَّ وأن يلبَسَ شيئاً من السواد ، وهو الشَّرْبُوش ، وكذلك دخلَ عبد الله بن علي دمشق يوم دخلها وعليه السواد ، فجعلَ النساءُ والغِلْمان يعجَبُون من لباسِه ، وكان دخولُهُ من بابِ كَيْسان ، وقد خطَبَ الناسَ يوم الجمعة ، وصلَّى بِهم وعليهِ السواد .

وقد رَوَى ابنُ عساكر عن بعض الخُراسانية قال : لَمَّا صلَّى عبدُ الله بن علي بالناسِ يومَ الجمعة صلَّى إلى جانبي رجلٌ فقال : الله أكبر ، سبحانك اللهمَّ وبحمدك ! وتبارَكَ اسْمُكَ ، وتعالى جَدُّك ، ولا إله غيرُك ، انظروا إلى عبدِ الله بن علي ، ما أقبحَ وجهَه ! وأشْنَعَ سوادَه ! .

وما زال السوادُ شعارهم إلى يومكَ هذا كما تراه على الخُطباء يومَ الجمعةِ والأعياد .

---

(١) أخرجه البخاري في الكنى (١/ ٧٥) ترجمة أبي ميسرة ، وأحمد في المسند (١/ ٢٠٩) ، والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٦٨) (٥٤١٤) ، والمقدسي في المختارة (٨/ ٣٨٤ ـ ٣٨٦) (٤٧٤ ـ ٤٧٦) ، وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (٥/ ٢٩ ، ٣٠) في ترجمة عبيد بن أبي قرة ، وقال : هذا باطل ، وقد روى إبراهيم بن سعيد الجوهري عنه أحاديث منكرة عن ابن لهيعة ، ساقها ابن عدي ، وعقَّب عليه ابن حجر في لسان الميزان (٤/ ١٢٢) بقوله : ولم أر من سبق المؤلف إلى الحكم على هذا الحديث بالبطلان ، وقد قال ابنُ أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان ، حدثنا عبيد بن أبي قرة بهذا الحديث . قال : وسمعتُ أبي يقول : هذا حديث لم يروه إلَّا عُبيد بن أبي قُرَّة ، وكان عند أحمد بن حنبل أو يحيى بن معين ، وكان يَضَنُّ به ، قال : ورأيت أبي يستحسن هذا الحديث ويُسَرُّ به ، حيث وجده عند يحيى بن سعيد . وقال عبد الله بن أبي داود : حدثنا أبي حدثنا حجاج ـ يعني ابن الشاعر ـ حدثنا عبيد بهذا الحديث ، قال عبد الله : كتب هذا الحديث أحمد بن صالح عن أبي ، وذكره ابن حبان في الثقات وقال : من أهل بغداد ، سكن مصر ، ربما خالف . وأخرج الحاكم في مستدركه حديثه المذكور عن مشايخه ، عن عبيد الله بن أحمد بن إبراهيم الدورقي ، عن عبيد بن أبي قرة ، اهـ .

(٢) في كتابه الكامل (٢/ ٢٢٩) في ترجمة حجاج بن تميم .

ذِكْرُ استقلالِ أبي العباس عبدِ الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الملقَّب بالسَّفَّاح بالخلافة وما اعتمدَهُ في أيامه من السيرة الحسنة

قد تقدَّم أنه أول ما بُويع له بالخِلافة بالكوفة يومَ الجمعةِ الثاني عشر من ربيعِ الآخر ، وقيل : الأول من هذه السنة سنةِ ثنتَيْنِ وثلاثين ومئة . ثم جرَّد الجيوش إلى مروان [الحمار] ، فطرَدُوهُ عن المملكة ، وأجلَوْهُ عنها ، وما زالوا خَلْفَهُ حتى قتلوه بِبُوصيرَ من بلادِ الصَّعيد بأرضِ مِصْر ، في العشر الأخير من ذي الحِجَّة من هذه السنة ـ على ما تقدَّم بيانه ـ وحينئذ استقلَّ السفاحُ بالخلافة ، واستقرَّتْ يَدُهُ على بلادِ العراقِ وخُراسانَ والحِجَاز والشامِ والديارِ المصرية ، لكنْ لم يحكمْ على بلادِ الأندلس ، ولا على بلادِ المغرب ، فإنَّهُ لم يَحْكُمْ عليها ولا وَصَلَ سلطانُه إليها ، وذلك أنَّ بعضَ مَنْ دخلَها من بني أميةَ استحوَذَ عليها ومَلَكَها كما سيأتي بَيَانُه .

وقد خرَجَ على السفَّاحِ في هذه السنةِ طوائفُ ، فمنهم أهلُ قِنَّسْرين بعدَما بايعوه على يدَيْ عَمِّهِ عبدِ الله بن علي ، وأقرَّ عليهم أميرَهم وهو أبو الوَرْد مَجْزَأة بن الكَوْثَر بن زُفَر بن الحارث الكِلابيّ ، وكان من أصحاب مروانَ وأُمرائه ، فخَلَعَ السفَّاح ولَبِسَ البياض ، وحمل أهلَ البلدِ على ذلك ، فوافقوه ، وكان السفَّاحُ يومئذٍ بالحِيرة ، وعبدُ الله بنُ علي مشغولٌ بالبَلْقاء ، يقاتِلُ بها حَبِيبَ بنَ مُرَّةَ المُرِّي[1] ومَنْ وافقَهُ من أهلِ البَلْقاء والبَثَنِيَّةِ[2] وحَوْرَان على خَلْعِ السفَّاح ، فلمَّا بلَغَهُ عن أهلِ قِنَّسْرِينَ ما فعلوا صالَحَ حَبِيبَ بن مُرَّة ، وسارَ نحو قِنَّسْرين ، فلمَّا اجتازَ بدمشق ـ وكان بها أهلُه وثَقَلُه ـ استخلف عليها أبا غانم عبدَ الحميد بن رِبْعِي الكِنَاني في أربعةِ آلاف ، فلمَّا جاوزَ البلد وانتهى إلى حِمص نَهَضَ أهلُ دمشقَ مع رجلٍ يُقالُ له عثمان بن عبد الأعلى بن سُرَاقة ، فخلعُوا السفَّاح وبيَّضوا ، وقَتلوا الأميرَ أبا غانم ، وقتلوا جماعةً من أصحابِهِ ، وانتهبوا ثَقَلَ عبدِ الله بن علي وحواصِلَه ، ولم يتعرَّضُوا لأهلِه ، وتفاقَمَ الأمرُ على عبدِ الله بن علي ، وذلك أنَّ أهلَ قِنَّسْرِين تراسلوا مع أهل حِمص وتَدْمُر ، واجتمعوا على أبي محمد السُّفْياني ، وهو أبو محمد بن عبدِ الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، فبايعوهُ بالخِلافة ، وقام معَهُ نحوٌ من أربعين ألفاً ، فَقَصَدَهُمْ عبدُ الله بنُ علي ، فالتقَوْا بِمَرْجِ الأخْرَم ، فقدَّمَ عبدُ الله بنُ علي أخاهُ عبدَ الصمد بن علي في عشرة آلاف من الفرسان بين يدَيْه ، فاقتتلوا مع مقدِّمةِ السُّفياني وعليها أبو الوَرْد ، فاقتتلوا قتالاً شديداً وهَزَموا عبد الصَّمَد ، وقُتل من الفريقَيْنِ ألوف ، فتقدم إليهم عبدُ الله بن علي ومعه

---

(١) في بعض النسخ : « المزي » ، وما أثبتناه موافق لتاريخ الطبري .

(٢) البَلْقَاء : كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القُرى ، قصبتها عمان ، وفيها قرى كثيرة ومزارعُ واسعة . وبِجَوْدَةِ حنطتها يضرب المثل ، والبَثَنِيَّة : اسمُ ناحيةٍ من نواحي دمشق بين دمشق وأذرعات ، انظر معجم البلدان (١/ ٣٣٨ ، ٤٨٩) .

حُميد بن قَحْطبة بمن معه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً جدّاً ، وجعل أصحابُ عبدِ الله يَفِرُّون ، وهو ثابتٌ هو وحُميد ، وما زال حتى هزم أصحاب أبي الورد ، وثبَتَ أبو الورد في خمسمئةِ فارسٍ من أهل بيتِه وقومِه فقُتلوا جميعاً . وهرب أبو محمد السُّفياني ومَنْ معَهُ حتى لَحِقوا بتَدْمُر ، وأمَّنَ عبدُ الله أهلَ قِنَّسْرين ، وسوَّدوا وبايعوه ورجعوا إلى الطاعة ، ثم كرَّ عبدُ الله راجعاً إلى دمشق ، وقد بلَغهُ ما صنعوا ، فلما دَنَا منها تفرَّقوا عنها وهرَبوا ، ولم يكنْ منهم قتال ، فأمَّنهم ودخلوا في الطاعة ، وسوَّدوا موافقةً للخليفة ، وكان ذلك شعارَ السمعِ والطاعة .

وأما أبو محمد السُّفياني فإنه ما زال مُضيَّعاً ، ومشتتاً من بلدٍ إلى بلد ، حتى لَحِقَ بأرضِ الحِجَاز فقاتَلَهُ نائبُ أبي جعفر المنصور في أيامِ المنصور ، فقتله وبعثَ برأسِهِ وبابنينِ له أخذَهما أسيرَيْن ، فأطلقهما المنصورُ في أيامه . وقد قيل إنَّ وقعةَ السفيانيِّ يوم الثلاثاء آخر يومٍ من ذي الحِجَّة سنةَ ثنتين وثلاثين ومئة ، والله أعلم .

ومِمَّنْ خلعَ السفَّاح أيضاً أهلُ الجزيرة حين بلَغَهم أنَّ أهْلَ قِنَّسْرينَ خلَعوا ، فوافَقوهم وبيَّضوا ورَكِبوا إلى نائب حَرَّان من جهةِ السفَّاح ، وهو موسى بن كعب ، وكان في ثلاثةِ آلاف قد اعتصم بالبلد ، فحاصروه قريباً من شهرَيْن ، ثم بعث السفاحُ أخاه أبا جعفر المنصور فيمَنْ كان بواسطةِ محاصِري ابنِ هُبيرة ، فمَرَّ في مسيرِهِ إلى حَرَّان بِقَرْقِيسيا[1] وقد بيَّضوا ، فغلَّقوا أبوابَها دونَه ، ثم مَرَّ بالرَّقَّة وعليها بَكَّار بن مسلم ، وهم كذلك ، ثم بِحَاجِر[2] ، وعليها إسحاق بن مسلم ، فيمن معه من أهل الجزيرة يحاصرونَها . فرحل إسحاقُ عنها إلى الرُّهَا . وخرج موسى بنُ كعب فيمَنْ معه من جُند حَرَّان ، فتلقَّاهُ المنصور ، ودخلوا في جيشه ، وقَدِمَ بكَّار بن مسلم على أخيه إسحاقَ بنِ مسلم بالرُّهَا ، فوجَّهَهُ إلى جماعةِ ربيعة بدارا ومارِدِين ، ورئيسُهم حَرُورِيٌّ يُقال له بُريكة ، فصارا حزباً واحداً ، فقصد إليهم أبو جعفر فقاتلهم قتالاً شديداً ، فقُتل بُريكة في المعركة ، وهرب بكَّارٌ إلى أخيه بالرُّهَا ، فاستخلَفَهُ بها ومَضَى بِمُعظَمِ العسكر حتى نزل سُمَيْساط ، وخندَقَ على عسكرِه ، وأقبل أبو جعفر فحاصر بكَّاراً بالرُّهَا ، وجرت له معه وقعات ، وكتب السفَّاحُ إلى عمِّه عبدِ الله بن علي أن يسيرَ إلى سُميساط وقد اجتمع على إسحاقَ بنِ مسلم ستون ألفاً من أهل الجزيرة ، فسار إليهم عبدُ الله ، واجتمع إليه أبو جعفر المنصور ، فكاتبهم إسحاقُ وطلب منهم الأمان ، فأجابوهُ إلى ذلك على إذْنِ أمير المؤمنين .

---

(١) قَرْقِيسيا : بالفتح ثم السكون وقاف أخرى وياء ساكنة وسين مكسورة وياء أخرى وألف ممدودة ، ويقال بياءٍ واحدة ، قال حمزة الأصبهاني : قرقيسيا مُعرَّب كركيسيا ، وهو مأخوذ من كركيس وهو اسمٌ لأرسال الخيل المسمَّى بالعربية الحَلْبَة ، وكثيراً ما يجيء في الشعر مقصوراً ، وهي بلد على نهر الخابور قرب رحبة مالك بن طوق على ستة فراسخ وعندها مصب الخابور في الفرات ، فهي في مثلث بين الخابور والفرات ، معجم البلدان (٤/ ٣٢٨) .

(٢) في بعض النسخ : ثم جاء حرَّان .

وولَّى السفَّاح أخاه أبا جعفر المنصور الجزيرةَ وأذْرَبِيجانَ وأرْمِينِية ، فلم يزَلْ عليها حتى أفضَتْ إليه الخلافةُ بعد أخيه ، ويُقال إن إسحاق بن مسلم العُقيلي إنمَّا طلبَ الأمانَ لَمَّا تحقَّقَ أنَّ مروانَ قد قُتل ، وذلك بعد مُضِيِّ سبعةِ أشهر وهو محاصر ، وقد كان صاحباً لأبي جعفر المنصور فآمنه .

وفي هذه السنة ذهب أبو جعفر المنصور عن أمْرِ أخيه السفَّاح إلى أبي مسلم الخُراساني ، وهو أميرها[1] ليستطلعَ رأيَهُ في قتلِ أبي سلَمَة ، حفص بن سليمان الوزير ، وكان سببُ ذلك أن السفَّاحَ سَمَرَ ليلَةً مع أهلِ بيته ، فتذاكروا ما كان من أمرِ أبي سلَمَة حين كان أرادَ أنْ يصرِفَ الخلافةَ عن بني العباس ، فسألَ سائلٌ : هل ذلك كان عن مُمَالأةِ أبي مسلم لأبي سَلَمَةَ في ذلك أم لا ؟ فسكت القوم ، فقال السفاح : لئن كان هذا عن رأيِه ، إنا لَبِعُرْضِ بَلاءٍ عظيم ، إلّا أنْ يدفعَهُ الله عنَّا . قال أبو جعفر : فقال لي أخي : ما تَرَى ؟ فقلت : الرأيُ رأيُك . فقال : إنه ليس أحدٌ أخصَّ بأبي مسلم منك ، فاذهبْ إليهِ فاعلَمْ لي عِلْمَه ، فإن كان عن رأيِهِ احتلْنا له ، وإنْ لم يكنْ عن رأيِهِ طابَتْ أنفسُنا . قال أبو جعفر : فخرَجْتُ إليه قاصداً على وَجَل . قال المنصور : فلمَّا وصلتُ إلى الريّ إذا كتابُ أبي مسلم إلى نائبِها يستحثُّني إليه في المسير ، فازدَدْتُ وَجَلاً ، فلما انتهيت إلى نيسابور إذا كتابُه يستحثُّني أيضاً ، وقال لنائبها : لا تدَعْهُ يَقَرُّ ساعةً واحدةً ، فإنَّ أرضَكَ بِها خوارجُ كثيرة . فانشَرَحْتُ لذلك ، فلما صرتُ من مَرْوَ على فرسخَيْن ، خرج يتلقَّاني ومعه الناس ، فلما واجَهَني ترجَّلَ ، فقبَّلَ يدي ، فأمَرْتُهُ فركِب ، فلما دخلتُ مَرْوَ ونزلتُ في داره ، فمكثتُ ثلاثاً لا يسألُني في أيِّ شَيْءٍ جئت ؟ فلما كان اليومُ الرابع سألَني : ما أقدمَكَ ؟ فأخبَرْتُهُ بالأمر . فقال : أفعَلَها أبو سَلَمَة ؟! أنا أكفيكُمُوه . فدعا مرارَ بن أنس الضَّبِّيَّ فقال : اذهَبْ إلى الكوفة ، فحيثُ لَقِيتَ أبا سَلَمَة فاقتُلْه ، وانتهِ في ذلك إلى رأي الإمام . فقَدِمَ مرارٌ الكوفة الهاشمية ، وكان أبو سَلَمة يَسْمُرُ عند السفَّاح ، فلمَّا خرج قتَلَهُ مرار . وشاعَ أنَّ الخوارجَ قتلوه . وغلّقت البلد ، ثم صلَّى عليه يحيى بن محمد بن علي ، أخو أميرِ المؤمنين ، ودُفن بالهاشمية ، وكان يقال له وزيرُ آلِ محمد ، ويقال لأبي مسلم أميرُ آل محمد . قال الشاعر :

إنَّ الـوزيـرَ وزيـر آلِ محمـدِ أوْدَى فمَنْ يَشْنَاكَ كان وَزِيرا

ويُقال : إنَّ أبا جعفر إنما سار إلى أبي مسلم بعد قتْلِ أبي سَلَمَة ، وكان معه ثلاثون رجلاً على البريد ، منهم الحجَّاج بن أرطاة وإسحاق بن الفضل الهاشمي ، وجماعةٌ من السادات ، ولما رجع أبو جعفر من خُراسان قال لأخيه : لستَ بخليفةٍ ما دام أبو مسلمٍ حيّاً حتى تقتلَه . لِمَا رأى من طاعةِ العساكرِ والأمراءِ له ، فقال له السفَّاح اكْتُمْها . فسكت ، ثم إنَّ السفَّاح بعثَ أخاهُ أبا جعفر إلى قتالِ ابنِ هُبيرة بواسط ، فلما اجتاز بالحسن بن قَحْطَبة أخَذَهُ معه ، فلما أُحيط بابن هُبيرة كتب إلى محمد بن عبد الله بن الحسن لِيُبايع له

(١) يعني أمير خراسان .

بالخِلافة ، فأبطأ عليه جوابُه ، فمال إلى مُصالحةِ أبي جعفر ، فاستأذن أبو جعفر أخاهُ السفَّاح في ذلك ، فأذِنَ له في المصالحة ، فكتب له أبو جعفر كتاباً بالصُّلح ، فمكَثَ ابنُ هُبيرة يُشاور فيه العلماء أربعين يوماً ، ثم خرج يزيد بن عمر بن هبيرة إلى أبي جعفر في ألف وثلاث مئة من البخاريَّة ، فلمَّا دَنَا من سُرَادِق أبي جعفر همَّ أنْ يدخلَ بفرسَهِ فقال الحاجب سلام : انزلْ أبا خالد . وكان حولَ السُّرادِق عشرة آلاف من أهلِ خُراسان ، ثم أذن له في الدخول ، فقال : أنا ومَنْ معي ؟ قال : لا ، بل أنتَ وحدَك . فدَخل ، ووُضعت له وسادةٌ فجلس عليها ، فحادثه أبو جعفر ساعةً ، ثم خرج من عندِهِ ، فأتبعَه أبو جعفر بصَرَه ، ثم جعل يأتيهِ يوماً بعدَ يوم في خمس مئةِ فارس وثلاث مئة راجل ، فشكوا ذلك إلى أبي جعفر ، فقال أبو جعفر للحاجب : مُرْهُ فَلْيَأْتِ في حاشيته . فكان يأتي في ثلاثين نفساً ، فقال الحاجب : كأنَّك تأتي متأهِّباً[1] . فقال : لو أمرتموني بالمشي لمشَيْتُ إليكم . ثم كان يأتي في ثلاثةِ أنفس ، وقد خاطَبَ ابنُ هُبيرة يوماً لأبي جعفر فقال في غبون[2] كلامه : يا هناه ـ أو قال : يا أيها المرء ـ ثم اعتذر إليه بأنه قد سبَقَ لسانُهُ إلى ذلك ، فأعذَرَه .

وقد كان السفَّاحُ كتَبَ إلى أبي مسلم يستشيرُه في مصالحةِ ابنِ هُبيرة ، فنَهاه عن ذلك ، وكان السفَّاحُ لا يقطَعُ أمراً دُونَ مراجعةِ أبي مسلم ، فلما وَقَعَ الصُّلْحُ على يدي أبي جعفر لم يحبَّ السفاحُ ذلك ولم يُعجِبْه . وكتب إلى أبي جعفر يأمرُ بِقَتْلِه ، فراجَعَهُ أبو جعفر مراراً لا يُفيدُهُ ذلك شيئاً ، حتى جاء كتابُ السفَّاح : أن اقتُلْهُ لا محالة ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ! كيف يُعطي الأمانَ ويَنكُث ؟! هذا فعلُ الجبابرة . وأقسم عليه في ذلك ، فأرسل إليه أبو جعفر طائفةً من الخُراسانية ، فدخلوا عليه وعندَهُ ابنُه داود ، وفي حجْرِهِ صبيٌّ صغير ، وحوله مَوَاليه وحاجِبُه ، فدافع عنه ابنُهُ حتى قُتل ، وقُتل خلقٌ من مَوَاليه ، وخَلَصوا إليه ، فألقَى الصبيَّ من حجرِهِ وخَرَّ ساجداً ، فقُتل وهو ساجد . واضطربَ الناس ، فنادى أبو جعفر في الناس بالأمان ، إلا عبدَ الملك بن بشر ، وخالد بن سلمة المخزومي ، وعمر بن ذَرّ . فسكَنَ الناس ، ثم استؤمن لبعض هؤلاء وقُتل بعضهم .

وفي هذه السنة بعث أبو مسلم الخراساني محمد بن الأشعث إلى فارس ، وأمرَهُ أنْ يأخذَ عُمَّالَ أبي سلمةَ الخلاَّل فيضربَ أعناقَهم ، ففعل ذلك .

وفيها ولَّى السفَّاحُ أخاه يحيى بن محمد الموصلَ وأعمالَها ، وولَّى عمَّهُ داودَ مكَّةَ والمدينة واليمن

---

(١) في تاريخ الطبري (٤/ ٣٦٣) : « مباهياً » .

(٢) كذا في الأصول ، وقد تردد ذكر هذه الكلمة في عدد من أجزاء الكتاب مراراً ، وهو من قولهم غَبَنَ الثوبَ : إذا ثناه وعطَفَه والمراد هنا تضاعيف الكلام ومثانيه . انظر لسان العرب والقاموس (غبن) .

واليمامة ، وعزلَهُ عن الكوفة ، وولّى مكانَهُ عليها عيسى بن موسى ، وولّى قضاءَها ابنَ أبي ليلى ، وكان على نيابةِ البصرة سفيانُ بن معاوية المهلّبي ، وكان على قضائها الحجّاج بن أرطاة ، وعلى السِّنْد منصور بن جُمهور ، وعلى فارس محمد بن الأشعث ، وعلى أرمينِيَةَ وأذْرَبِيجَانَ والجزيرة أبو جعفر المنصور ، وعلى الشام وأعمالِها عبدُ الله بن علي عمُّ السفّاح ، وعلى مصر أبو عَوْن عبدُ الملك بن يزيد ، وعلى خُراسان وأعمالِها أبو مسلم الخُراساني ، وعلى ديوان الخراج خالد بن بَرْمَك . وحجَّ بالناس فيها داودُ بن علي .

ذِكْرُ مَنْ تُوفِّي فيها من الأعيان :

مروان بن محمد بن مروان بن الحكم أبو عبد الملك الأموي آخر خلفاء بني أمية ، فقُتل في العشر الأخير من ذي الحِجَّة من هذه السنة ، كما تقدَّمَ ذلك مبسوطاً[١] ، ووزيرُهُ :

عبدُ الحميد بن يحيى بن سعد[٢] : مولى بني عامر بن لؤي ، الكاتبُ البَلِيغ ، الذي يُضرَبُ به المَثلُ فيقال : فُتحتِ الرسائلُ بعبد الحميد ، وخُتمتْ بابنِ العَمِيد . وكان إماماً في الكتابةِ وجميعِ فنونِها ، وهو القدوةُ فيها ، وله رسائلُ في ألفِ ورَقة ، وأصلُهُ من قَيْسَارِيَّة ، ثم سكن الشام ، وتعلم هذا الشأنَ من سالم مولى هشام بن عبد الملك ، وكان يعقوبُ بن داود وزيرُ المهدي يكتبُ بين يديه ، وعليه تخرَّج ، وكان ابنُه إسماعيل بن عبدِ الحميد ماهراً في الكتابة أيضاً . وقد كان أولاً يُعلِّمُ الصِّبيان ، ثم تقلَّبَتْ به الأحوال حتى وَزَرَ لمروان ، وقَتَلَهُ السفَّاحُ ومَثَّلَ به ، وكان اللائقُ بمثلِهِ العَفْوَ عنه .

ومن مُستجاد كلامِه : العلمُ شجرةٌ ثَمَرَتُها الألفاظ ، والفكرُ بحرٌ لؤلؤةُ الحِكْمَة .

ومن كلامه وقد رأى رجلاً يكتُبُ خطّاً رديئاً ، فقال : أطِلْ جَلْفَةَ قَلَمِكَ وأسْمِنْها ، وحَرِّفْ قَطَّتَكَ وأيمِنْها . قال الرجل : ففعلتُ ذلك ، فجادَ خَطِّي[٣] .

وسأله رجلٌ أن يكتبَ له كتاباً إلى بعضِ الأكابر يُوصيهِ به ، فكتب إليه : حَقُّ موصِلِ كتابي إليك كَحَقِّهِ عليّ إذ رآكَ مَوْضِعاً لأمَلِه ، ورآني أهلاً لحاجتهِ ، وقد قضيتُ أنا حاجتَه فصَدِّقْ أنتَ أملَه[٤] .

وكان كثيراً ما يُنشِدُ هذا البيت :

---

(١) تقدمت ترجمته ومصادرها في الحاشية (٣) من الصفحة (٢٦٨) .

(٢) ترجمته في الفهرست ص(١٧٠) ، وفيات الأعيان (٣/ ٢٢٨) ، ثمار القلوب ص(١٩٦) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٦٢) ، أبجد العلوم (٣/ ٦٦) .

(٣) الرجل هو إبراهيم بن جبلة كما في ثمار القلوب ص(١٩٨) ، والخبر فيه .

(٤) ذكره ابن خلّكان في وفيات الأعيان (٣/ ٢٢٩) ،

إذا خرج(1) الكُتّابُ كان دوِيُّهُمْ قِسِيّاً وأقلامُ القِسِيِّ لهم نَبْلا(2)

وأبو سلمة حفصُ بن سُليمان(3) : هو أولُ من وزَرَ لآلِ العباس ، قتَلَهُ أبو مسلم بالأنبار عن أمرِ السفَّاح بعدَ ولايتِهِ بأربعة أشهر في شهر رجب ، وكان ذا هيئةٍ فاضلاً حسنَ المفاكهة وكان السفاحُ يأنَسُ به ، ويحبُ مسامرَتَه لِطيبِ مُحاضرته ، ولكنْ توَهَّمَ مَيْلَهُ لآلِ عليّ ، فدَسَّ أبو مسلم عليه مَنْ قتَلَهُ غِيلَةً كما تقدَّم ، فأنشد السفَّاحُ عند قتله :

إلى النارِ فَلْيَذْهَبْ ومَنْ كان مِثْلَهُ على أيِّ شيءٍ فاتَنَا منه نأسَفُ(4)

كان يقالُ له وزيرَ آلِ محمد ، ويُعرف بالخَلاّل لِسُكْناهُ الخَلاَّلِين بالكوفة ، وهو أولُ مَنْ سُمِّي بالوزير . وقد حكى ابن خَلِّكان(5) عن ابن قُتيبة أنَّ اشتقاقَ الوزير من الوِزْر ، وهو الحِمْل ، فكأنَّ السلطانَ حَمَّلَهُ أثقالاً لاستنادِهِ إلى رأيه ، وقال الزجَّاج : هو مشتقٌّ من الوَزَر ، وهو الجبَل ، وكأنَّ السلطانَ لجَأَ إلى رأيِهِ كما يلجأ الخائفُ إلى جبَلٍ يعتصِمُ به . والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومئة

فيها ولَّى السفَّاح عمَّه سليمانَ بن علي البصرةَ وأعمالَها ، وكُورَ دِجْلةَ والبحرَين وعُمَان ، ووجَّه عمَّه إسماعيل بن علي إلى كُورِ الأهْوَاز .

وفيها قَتَل داودُ بنُ علي من بمكَّةَ والمدينة من بني أمية . وفيها تُوفِّي داودُ بنُ علي بالمدينة في شهر ربيع الأول ، واستخلف ابنَهُ موسى على عملِه ، وكانت ولايتُهُ على الحجاز ثلاثةَ أشهر ، فلمَّا بلغ السفَّاحَ موتُه استنابَ على الحجاز خالَهُ زيادَ بن عبيد الله بن عبد الدار(6) الحارثي ، وولَّى اليمن لابنِ خالِه محمد بن يزيد بن عبيد الله بن عبد الدار ، وجعل إمرةَ الشام لعمَّيه عبدِ الله وصالح ابني علي ، وأقرَّ أبا عَوْن على الديارِ المصرية نائباً .

---

(1) في بعض النسخ : إذا جرح .

(2) المصدر السابق .

(3) ترجمته في المنتظم (٧/ ٣١٥) ، وفيات الأعيان (٢/ ١٩٥) ، سير أعلام النبلاء (٦/ ٧) ، تاريخ اليعقوبي (٢/ ٣٥٢) .

(4) وفيات الأعيان (٢/ ١٩٦) . والبيت من ثلاثة أبيات قيلت في الفضل بن مروان كاتب المعتصم . انظر الكامل لابن الأثير (٦/ ٢٢) .

(5) في وفيات الأعيان (٢/ ١٩٧) .

(6) في بعض النسخ : عبد الدان ، هنا ، إلى آخر البحث .

وفيها توجَّه محمد بن الأشعث إلى إفْرِيقِيَةَ ، فقاتلهم قتالًا شديداً ، حتى فتحها . وفيها خرجَ شَرِيك ابن شيخ المهري بِبُخَارى على أبي مسلم ، وقال : ما على هذا بايَعْنا آلَ محمد ، على سفكِ الدماء وقتلِ الأنفُس ، واتَّبَعه على ذلك نحوٌ من ثلاثينَ ألفاً ، فبعث إليه أبو مسلم زيادَ بن صالح الخزاعي فقاتله فقَتَله .

وفيها عزَلَ السفَّاحُ أخاه يحيى بن محمد عن المَوْصل وولَّى عليه عمَّه إسماعيل .

وفيها ولَّى الصائفةَ من جهتِه صالحَ بن علي بن سعيد بن عبيد الله ، وغزا ما وراءَ الدُّروب ، وحجَّ بالناس خالُ السفَّاح زياد بن عُبيد الله بن عبدالدار الحارثي ، ونُوَّابُ البلادِ همُ الذين كانوا في التي قبلَها سوى مَنْ ذكَرْنا أنه عُزل .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومئة

فيها خلَعَ بسامُ بن إبراهيم بن بسام الطاعة ، وخرج على السفَّاح ، فبعث إليه خازم بن خزيمة فقاتله ، فقتَلَ عامةَ أصحابِه واستباح عسكرَه ، ورَجَع فمر بملإٍ من بني عبدِ الدار أخوالِ السفَّاح فسألهم عن بعضِ ما فيه نُصرة للخليفة فلم يردُّوا عليه ، واستهانوا به ، وأمرَ بضَرْبِ أعناقِهم ، وكانوا قريباً من عشرين رجلاً ومثلِهم من مواليهم ، فاستعدى بنو عبدِ الدار على خازم بن خزيمة إلى السفاح ، وقالوا : قَتَل هؤلاء بلا ذنب ، فهم السفَّاحُ بقتلِه ، فأشار عليه بعضُ الأمراء بأنْ لا يقتُلَه ، ولكنْ لِيبْعَثَهُ مبعثاً صَعْباً . فإنْ سَلِم فذاك ، وإنْ قُتل كان الذي أراد ، فبعثَهُ إلى عُمَان وكان بها طائفةٌ من الخوارج قد تمرَّدوا ، وجهَّز معه سبعَ مئةِ رجل ، وكتبَ إلى عمِّه سليمانَ بالبصرةِ أنْ يحمِلَهم في السفن إلى عُمَان ففعل ، فقاتل الخوارجَ فكسرَهم وقهرَهم واستحوذَ على ما هنالك من البلاد ، وقتلَ أميرَ الخوارجِ الصُّفْرِيَّة ، وهو الجُلَنْدَى ، وقتَلَ من أصحابِهِ وأنصارِهِ نحواً من عشرةِ آلاف ، وبعث بِرؤوسِهم إلى البصرة ، فبعث بها نائبُ البصرة إلى الخليفة ، ثم بعدَ أشهر كتب إليه السفَّاح أن يرجِع ، فرجع سالماً غانماً منصوراً .

وفيها غزا أبو مسلم بلاد الصُّغْد[١] ، وغزا أبو داود أحدُ نُوَّابِ أبي مسلم بلادَ كَشّ[٢] ، فقتَل خلقاً كثيراً ، وغَنِمَ من الأواني الصِّينيَّة المنقوشةِ بالذهبِ شيئاً كثيراً جداً .

---

(١) الصُّغْد ـ بالضم ثم السكون وآخره دال مهملة وقد يقال بالسين مكان الصاد ـ : هي كُورةٌ عجيبةٌ قَصَبتها سَمَرْقَنْد ؛ وقيل : هما صغدان صغد سمرقند ، وصغد بخارى . وقيل : جنان الدنيا أربع : غوطة دمشق ، وصغد سمرقند ، ونهر الأُبُلَّة ، وشِعْبُ بَوَّان . وهي قرى متصلة خلال الأشجار والبساتين من سمرقند إلى قريبٍ من بُخارى ، لا تبين القرية حتى تأتيها لالتحافِ الأشجار بها ؛ وهي من أطيب أرض الله ، كثيرة الأشجار ، غزيرة الأنهار ، متجاوبة الأطيار . معجم البلدان (٣/ ٤٠٩) .

(٢) كَشّ ـ بالفتح ثم التشديد ـ قريةٌ على ثلاثةِ فراسخَ من جُرْجان على جبل . معجم البلدان (٤/ ٤٦٢) .

وفيها بعث السفَّاحُ موسى بن كعب إلى منصور بن جُمهور وهو بالهند في اثني عشر ألفاً ، فالتقاهُ موسى بن كعب وهو في ثلاثةِ آلاف ، فهزَمَهُ واستباحَ عسكرَه .

وفيها مات عامل اليمن محمد بن يزيد بن عبد الله بن عبد الدار ، فاستخلف السفاحُ عليها عمَّه ، وهو خالُ الخليفة .

وفيها تحوَّلَ السفاحُ من الحِيرة إلى الأنبار . وحجَّ بالناس نائبُ الكوفة عيسى بن موسى ، ونوَّابُ الأقاليم هم هم .

وفيها توفي من الأعيان :

أبو هارون العَبْدي .

وعُمارةُ بنُ جُوين .

ويزيد بن جابر الدمشقي . والله اعلم .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومئة

فيها خرج زياد بن صالح من وراءِ نَهرِ بَلْخ على أبي مسلم فأظفَرهُ الله بهم ، فبدَّد شملَهم ، واستأصل خضراءهم ، واستقرَّ أمرُه بتلك النواحي ، وحج بالناس فيها سليمان بن علي نائبُ البَصْرة ، والنوَّاب همُ المذكورون قبلَها .

وممن تُوفِّي فيها من الأعيان :

يزيدُ بن سِنان ،

وأبو عَقِيل زهرةُ بن مَعْبَد ،

وعطاء الخراساني .

ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومئة

فيها قدم أبو مسلم من خُراسان على السفَّاح بالعراق ، وذلك بعد استئذانه الخليفةَ في القُدومِ عليه ، فكتب إليه أنْ يقدَمَ في خمسِ مئةٍ من الجند ، فكتب إليه : إني قد وَتَرْتُ الناس ، وإني أخشى من قِلَّةِ الخمس مئة ، فكتبَ إليه أن يقدَمَ في ألف ، فقدِمَ في ثمانيةِ آلاف ، فرَّقهم وأخذ معه من الأموال والتُّحَفِ والهدايا شيئاً كثيراً . ولما قدم لم يكنْ معَهُ سوى ألفٍ من الجُند ، فتلقَّاه القوَّادُ والأمراء إلى مسافةٍ بعيدة ،

ولما دخل على السفَّاح أكرَمَهُ وعظَّمَهُ واحترَمَه ، وأنزله قريباً منه ، وكان يأتي إلى الخدمةِ كلَّ يوم ، واستأذَنَ الخليفةَ في الحجِّ فأذِنَ له وقال : لولا أنّي عَيَّنْتُ الحجَّ لأخي أبي جعفر لأمَّرْتُكَ على الحَجّ . وكان الذي بين أبي جعفر وأبي مسلم خراباً ، وكان يُبغِضُه ، وذلك لِمَا رأى ما هو فيه من الحُرْمَةِ حين قَدِم عليه نَيسابور في البَيْعَةِ للسفَّاح وللمنصورِ من بعده ، فحارَ في أمره لذلك ، فحقَدَ عليه المنصور ، وأشار على السفَّاح بقَتْلِه ، فأمَرَهُ بِكَتْمِ ذلك ، وحين قَدِم أمَرَهُ بقَتْلِهِ أيضاً ، وحرَّضَهُ على ذلك ، فقال له السفَّاح : قد علمتَ بلاءَهُ معَنا وخدمَتَهُ لنا ! فقال أبو جعفر : يا أمير المؤمنين ، إنما ذلك بدَوْلَتِنا ، والله لو أرسلتَ سِنَّوْراً لسَمِعوا لها وأطاعوا ، وإنَّك إنْ لم تتعشَّ بهِ تغدَّى بك هو ، فقال له : كيف السبيل إلى ذلك ؟ فقال : إذا دخل عليك فحادِثْهُ ، ثم أجيء أنا من ورائِهِ فأضرِبُهُ بالسيف . قال : كيف بِمَنْ معه ؟ قال : هم أذَلُّ وأقلّ . فأذِنَ له في قَتْلِه ، فلما دخل أبو مسلم على السفَّاح نَدِم على ما كان أذِنَ لأخيه فيه ، فبعث إليه الخادمَ يقول له : إنَّ ذاك الذي بينك وبينه نَدِمَ عليه فلا تفعَلْه ، فلما جاءه الخادمُ وجَدَهُ محتبياً بالسيف ، قد تهيَّأ لِمَا يُريد من قَتْلِ أبي مسلم ، فلما نهاهُ عن ذلك غَضِب أبو جعفر غضباً شديداً .

وفيها حَجَّ بالناسِ أبو جعفر المنصور عن ولايةِ أخيه السفَّاح ، وسار معه إلى الحجاز أبو مسلم الخراساني عن أمرِ الخليفة ، وأذِنَ له في الحَجّ ، فلمَّا رجعا من الحجّ ، وكانا بذاتِ عِرْق جاء الخبَرُ إلى أبي جعفر ـ وكان يسير قبلَ أبي مسلم بمرحلة ـ بِمَوْتِ أخيه السفَّاح ، فكتب إلى أبي مسلم أنْ قد حدَثَ أمرٌ فالعَجَلَ العجَل . فلمَّا استعلم أبو مسلم الخبَر عَجَّلَ السَّيْرَ وراءه ، فلَحِقَهُ إلى الكوفة ، وكانتْ بيعةُ المنصور على ما سيأتي بيانُه وتفصيلُه قريباً ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ترجمة أبي العباس السفَّاح أولِ خلفاء بني العباس وذكر وفاته[1]

هو عبد الله السفاح ـ ويقال له المرتضى والقاسم أيضاً ـ ابن محمد بن الإمام ابن علي السَّجَّاد بن عبد الله الحَبْر بن العباس ذي الرأي ابن عبد المطلب ، شيبةِ الحَمْد ، هاشم بن عمرو بن عبد مناف بن قُصَيّ ، أبو العباس القرشيُّ الهاشميّ ، أميرُ المؤمنين الملقَّب بالسفَّاح ، وهوأول خلفاء بني العباس ، وأمُّه رَيْطَة ـ ويُقال رائطة ـ بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد الْمَدَان بن الدَّيَّان الحارثي . كان مولد السفاح بالحُمَيْمَةِ من أرضِ الشَّرَاةِ من البَلْقَاءِ بالشام ، ونشأ بها حتى أخذ مروانُ أخاهُ في حياة مروانَ يومَ الجمعة ، الثاني عشر من ربيع الأول بالكوفةِ كما تقدَّم . وتُوفِّي بالْجُدَرِيِّ بالأنْبَار يوم الأحد الحادي عشر ـ وقيل

---

(١) ترجمته في تاريخ خليفة ص(٤٠٩) ، تاريخ بغداد (١٠/ ٤٦) ، تاريخ اليعقوبي (٢/ ٣٤٩) ، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (٣٢/ ٢٧٦) ، الكامل في التاريخ لابن الأثير (٥/ ٩٩) . سير أعلام النبلاء (٦/ ٧٧) ، طبقات الحنفية ص(٤٢٣) ، تاريخ الخلفاء ص(٢٥٦) ، مآثر الإنافة (١/ ١٧٠) ، شذرات الذهب (١/ ١٨٣ ، ١٩٥) ، وما بعدها .

الثالث عشر ـ من ذي الحِجَّة سنةَ سِتٍّ وثلاثين ومئة ، وكان عمرهُ ثلاثاً ـ وقيل : ثنتين ، وقيل : إحدى ـ وثلاثين سنة ، وقيل ثمان وعشرين سنة .

قال غير واحد : وكانتْ خلافتهُ أربعَ سنين وتسعةَ أشهر ، وكان أبيضَ جميلاً طويلاً أقْنَى الأنف ، جَعْدَ الشعر . حسن اللِّحْيَة ، حسنَ الوَجْه ، فصيحَ الكلام ، حسنَ الرَّأي ، جيدَ البَدِيهة ، دخل عليه في أول ولايته عبدُ الله بن حسن بن حسن بن عليّ ومعه مُصحف ، وعند السفَّاح وجوهُ بني هاشم من أهل بيتِه وغيرِهم ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، أعطِنا حقَّنا الذي جعلَهُ الله لنا في هذا المصحف . قال : فأشفَقَ عليه الحاضرونَ أن يَعْجَلَ السفَّاحُ عليه بشيء ، أو يَعْيَا بِجوابِه فيبقَى ذلك سُبَّةً عليه وعليهم ، فأقبل السفَّاح عليه غيرَ مُغْضَبٍ ولا مُنْزَعِج فقال : إنَّ جَدَّكَ علياً كان خيراً مِنِّي ، وأعدَل ، وقد وَلِيَ هذا الأمر ، فأعطَى جدَّيك الحسنَ والحُسين ـ وكانا خيراً منك ـ شيئاً قد أعطيتُكَهُ وزدْتُك عليه ، فما كان هذا جزائي منك . قال : فما ردَّ عليه عبدُ الله بن حسن جواباً ، وتعجَّبَ الناسُ من سُرعةِ جوابِه ، وحِدَّتِه وجَوْدَتِه على البديهة .

وقد ورد في حديثٍ ذكره ـ رحمه الله ـ فقال الإمامُ أحمد في مسنده[1] : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير عن الأعمش ، عن عطيَّة العَوْفي ، عن أبي سعيد الخُدْري ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يخرجُ عند انقطاعٍ من الزمان وظهورٍ من الفِتَن رجلٌ يُقالُ له السفَّاح ، يكونُ إعطاؤه المال حَثْياً »[2] .

وكان رواه زائدةُ وأبو معاوية عن الأعمش به ، وهذا الحديث في إسنادِهِ عطيةُ العَوْفي وقد تكلَّموا فيه ، وفي أنَّ المراد بهذا الحديث هذا السفَّاح نَظَرٌ ، والله أعلم . وقد ذكَرْنا فيما تقدَّم عند زوالِ دولةِ بني أميةَ أخباراً وآثاراً في مثلِ هذا المعنى[3] .

وقال الزُّبير بن بَكَّار : حدثني محمد بن سلمة بن محمد بن هشام ، أخبرني محمد بن عبد الرحمن المخزومي ، حدثني داود بن عيسى عن أبيه ، عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ـ وهو السفَّاح ـ قال : دخلتُ على عمرَ بن عبد العزيز وعنده رجلٌ من النصارَى ، فقال له عمر : من تجدونَ الخليفةَ بعدَ سليمان ؟ قال له النصراني : أنت . فأقبل عمر بن عبد العزيز فقال له : زِدْني من بيانِك . فقال : ثم آخر ، إلى أنْ ذكر خلافةَ بني أمية إلى آخرِها ، قال محمد بن علي : فلما كان بعد ذلك جعلتُ ذلك النصراني في بالي ، فرأيتُه يوماً ، فأمرتُ غلامي أن يحبِسَهُ علي ، وذهبتُ إلى منزلي ، فسألته عمَّا يكونُ

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٨٠) وإسناده ضعيف .

(٢) وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن (١/ ٣٦٢) (١٠٥٦) ؛ وأبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٥/ ٩٥٧) (٥٠٩) وعبد الكريم القزويني في تاريخ قزوين (٢/ ٢٢٧) ، وإسناده ضعيف .

(٣) انظر ص(٢٧١) من هذا الجزء .

في خلفاءِ بني أمية ، فذكرهم واحداً واحداً ، وتجاوز عن مروانَ بنِ محمد ، قلت : ثم مَنْ ؟ قال : ابنُ الحارثيَّة ، وهو ابنُك . قال : وكان ابني ابنُ الحارثية إذا ذاك حَمْلاً . قال : ووفد أهلُ المدينة على السفَّاح ، فبادروا إلى تقبيلِ يدهِ غيرَ عمرانَ بن إبراهيم بن عبد الله بن مطيع العَدوِي ، فإنه لم يُقبِّل يده ، إنما حيَّاهُ بالخلافةِ فقط وقال : واللهِ ياأميرَ المؤمنين ، لو كان تقبيلُها يَزيدُكَ رفعةً ويزيدُني وَسيلةً إليك ماسَبَقني إليها أحدٌ من هؤلاء ، وإنِّي لَغنيٌّ عمَّا لا أجرَ فيه ، ورُبَّما قادَنَا عمَلُهُ إلى الوِزْر . ثم جلس . قال : فو الله ما نَقصَهُ ذلك عندَهُ حظّاً من حظِّ أصحابِه بل أحبَّهُ وزادَه .

وذكر القاضي الْمُعافَى بن زكريَّا أنَّ السَّفَّاح بعث رجلاً يُنادي في عَسْكَرِ مروانَ بهذَيْنِ البيتَيْنِ ليلاً ثم رجع :

يـا آلَ مـروانَ إنَّ الله مُهْلِكُكُـمْ ... ومُبْـدِلٌ أمنَكُـمُ خـوفـاً وتَشْـريـدا
لا عَمَّـرَ الله مـن أنسـالِكُـم أحـداً ... وبَثَّكُمْ في بلادِ الخَوْفِ تَطْرِيدا[1]

وروى الخطيب البغدادي[2] أنَّ السفَّاح نظرَ يوماً في المرآة وكان من أجملِ الناسِ وجهاً ـ فقال : اللهمَّ لا أقولُ كما قال سُليمانُ بن عبدِ الملك : أنا الخليفةُ الشابّ ، ولكن أقول : اللهمَّ عَمِّرْني طويلاً في طاعتك ، مُمَتَّعاً بالعافية ، فما استتَمَّ كلامهُ حتى سمع غلاماً يقولُ لآخر : الأجَلُ بيني وبينك شهرانِ وخمسةُ أيام ، فتطَيَّرَ من كلامِهِ وقال : حسبي الله لا قوةَ إلا بالله ، عليه توكَّلْتُ وبه أستعين . فمات بعدَ شهرَيْن وخمسةِ أيام .

وذكر محمد بن عبد الله بن مالك الخُزَاعي ، أنَّ الرَّشيد أمرَ ابنَهُ أنْ يسمعَ من إسحاق بن عيسى بن على ما يرويه عن أبيه في قصةِ السفَّاح ، فأخبره عن أبيه عيسى ، أنه دخل على السفَّاح يومَ عرَفَةَ بُكْرَةً فوجدَهُ صائماً ، فأمرَهُ أنْ يحادِثَهُ في يومِهِ هذا ، ثم يختِمُ ذلك بفِطْرِه عندَه ، قال : فحادَثْتُه حتى أخذَهُ النَّوم ، فقمتُ عنهُ وقلت : أَقِيلُ في مَنْزِلي ، ثم أجيءُ بعدَ ذلك ، فذهبتُ فنمتُ قليلاً ثم قمتُ فأقبلتُ إلى دارِه ، فإذا على بابهِ بَشِيرٌ يُبَشِّرُ بفتحِ السِّند وبيعتِهمْ للخليفة ، وتسليم الأمور إلى نُوَّابه ، قال : فحَمِدتُ الله الذي وفَّقني في الدخولِ عليهِ بِهذه البِشارة ، فدخلتُ الدَّار ، فإذا بشيرٌ آخر معه بشارةٌ بفتحِ إفْريقيَة ، فحمِدت الله ، فدخلت عليه فبشَّرْتُهُ بذلك وهو يُسَرِّحُ لِحيتَهُ بعدَ الوضوء ، فسقط المشطُ من يدِه ثم قال : سبحان الله ! كلُّ شيءٍ بائدٌ سواه ، نُعِيَتْ واللهِ إليَّ نفسي ، حدثني إبراهيمُ الإمام عن أبي هاشم ، عن عبد الله بن محمد بن عليِّ بن أبي طالب ، عن علي بن أبي طالب ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يَقْدَمُ عليَّ في مَدينتي

(١) ذكر البيتين ابن الأثير في الكامل في التاريخ (٥/٩٩) ، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٦/٧٩) وعزاهما للسفاح .

(٢) في تاريخ بغداد (١٠/٤٩) .

هذِهِ وافدان ، وافدُ السِّنْد ، والآخر وافدُ إفريقِيَةَ بسَمْعِهِم وطاعَتِهِم وبَيْعَتِهِم ، فلا يَمضي بعدَ ذلك ثلاثةُ أيامٍ حتى أموت » . قال : وقد أتاني الوافدان ، فأعظَمَ اللهُ أجرَكَ يا عَمُّ في ابن أخيك ، فقلت : كلاَّ يا أميرَ المؤمنين إن شاء الله ، قال : بلا إن شاء الله . لئن كانتِ الدنيا حبيبةً فالآخرةُ أحَبُّ إليّ ، ولقاءُ ربِّي خيرٌ لي . وصحَّةُ الروايةِ عن رسولِ الله بذلك أحَبُّ إلي منها ، والله ما كَذَبْت ولا كُذِبْت . ثم نهض ودخل مَنْزِله ، وأمرَني بالجلوس ، فلما جاء المؤذِّنُ يُعلِمُه بوقتِ الظُّهر خرج الخادم يُعلمني أنْ أصلِّيَ عنه ، وكذلك العصرَ والمغربَ والعشاء ، كلُّ ذلك يخرجُ الخادم فيأمرني أن أُصلِّي عنه ، وبِتُّ هناك ، فلما كان وقتُ السَّحَر أتاني الخادمُ بكتابٍ معه ، يأمرُني أنْ أصلِّيَ عنه الصُّبحَ والعِيد ، ثم أرجعُ إلى داره ، وفيه يقول : يا عَمّ . إذا متُّ فلا تُعلِمِ الناسَ في موتي حتى تقرأ عليهم هذا الكتاب ، فيُبايعوا لِمَنْ فيه ، قال : فصلَّيت بالناس ، ثم رجعتُ إليه ، فإذا ليس به بأس ، ثم دخلتُ عليه من آخرِ النهار ، فإذا هو على حالِه ، غيرَ أنه قد خرجَتْ في وجههِ حبَّتان صغيرتان ثم كَبُرتَا ثم صار في وجهه حَبٌّ صغار بيض ، يُقالُ إنه جُدَرِيّ ، ثم بكَّرتُ إليه في اليوم الثاني من أيَّامِ التشريق . فإذا هو قد هُجِر ، وذهبَتْ عنه معرفتي ومعرفةُ غيري ، ثم رجعتُ إليه بالعَشِي ، فإذا هو انتفخَ حتى صار مثل الزِّقّ ، وتُوفِّيَ اليومَ الثالث من أيام التشريق ، فسَجَّيتُهُ كما أمَرني ، وخرجتُ إلى الناس فقرأتُ عليهم كتابَه ، فإذا فيه : من عبدِ الله أميرِ المؤمنين إلى الرسولِ والأولياء وجماعة المسلمين ، سلامٌ عليكم ، أمّا بعد ، فقد قَلَّدَ أميرُ المؤمنين الخلافةَ عليكم بعدَ وفاتِهِ أخاه ، فاسمعوا وأطيعوا ، وقد قلَّدها من بعدِه عيسى بنَ موسى إنْ كان . قال : فاختلف الناسُ في قولهِ إنْ كان ، قيل إنْ كان أهلاً لها ، وقال آخرون : إنْ كان حيّاً . وهذا القول الثاني هو الصواب . ذكره الخطيب[1] وابنُ عساكر مطوَّلاً[2] ، وهذا مُلَخَّصٌ منه ، وفيه ذكرُ الحديثِ المرفوع ، وهو مُنكَرٌ جِدّاً .

وذكر ابنُ عساكر[3] أن الطبيبَ دخل عليه فأخذ بيده ، فأنشأ يقول عند ذلك :

انظُرْ إلى ضَعْفِ الحرَا ... كِ وذُلِّهِ بعدَ السُّكُونْ
يُنْبيكَ أنَّ بيانَهُ ... هذا مقدِّمةُ الْمَنُونْ

قال الطبيب : أنتَ صالح . فأنشأ يقول :

يُبَشِّرُنِي بأنِّي ذو صلاحٍ ... يَبِينُ لَهُ وبي داءٌ دَفينُ
لقد أيقنتُ أنِّي غيرُ باقٍ ... ولا شَكٌّ إذا وَضَحَ اليَقِينُ

---

(١) في تاريخه ١٠/ ٥٠ ـ ٥١ .

(٢) في تاريخ مدينة دمشق (٣٢/ ٢٩١ ـ ٢٩٤) .

(٣) في تاريخ مدينة دمشق (٣٢/ ٢٩٠) .

قال أهلُ العلم : كان آخرَ ما تكلَّمَ به السفَّاح : الملكُ لله الحَيِّ القَيُّوم ، ملكِ الملوك ، وجبَّارِ الجبابرة ، وكان نقشُ خاتَمِهِ : الله ثقةُ عبد الله . وكان موتُهُ بالجُدَرِيّ ، في يوم الأحد الثالث عشر من ذي الحِجَّة سنةَ ستٍّ وثلاثين ومئة بالأنبارِ العَتيقة ، عن ثلاثٍ وثلاثينَ سنة ، وكانتْ خلافتُهُ أربعَ سنين وتسعةَ أشهر على أشهر الأقوال ، وصلَّى عليه عمُّه عيسى بن علي . ودُفن في قصرِ الإمارةِ من الأنبار ، وتَرَك تسع جِباب ، وأربعةَ أقمصة ، وخمسَ سراويلات ، وأربعة طيالِسَة ، وثلاثةَ مَطَارِفِ خَزٍّ ، وقد ترجَمَهُ ابنُ عساكر فذكر بعضَ ما أورَدْناه[1] والله أعلم .

وممن تُوفي فيها من الأعيان :

السفَّاح كما تقدَّم ،

وأشعَثُ بنُ سَوَّار ،

وجعفر بنُ أبي ربيعة

وحُصين بن عبدالرحمن ،

ورَبيعة الرأي ،

وزيد بن أسلم ،

وعبد الملك بن عُمير ،

وعبد الله بن أبي جعفر ،

وعطاء بن السائب ، وقد ذكرنا تراجمهم في « التكميل » ولله الحمد .

خلافة أبي جعفر المنصور

واسمه عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، قد تقدَّمَ أنَّهُ لَمَّا مات السفَّاح كان في الحجاز ، فبلَغَهُ موتُه وهو بذاتِ عِرْق راجعاً من الحَجّ ، وكان معه أبو مسلم الخُرَاساني فعجَّل السَّير ، وعزَّاهُ أبو مسلم في أخيه ، فبَكَى المنصور عندَ ذلك ، فقال له : أتبكي وقد جاءَتْك الخلافة ، أنا أكفيكَها إنْ شاء الله ، فسُرِّيَ عنه . وأمر زيادَ بنَ عُبيد الله أنْ يرجعَ إلى مكَّة والياً عليها ، وكان السفَّاحُ قد عزلَهُ عنها بالعباس بن عبد الله بن معبد بن عباس ، فأقَرَّهُ عليها . والنُّوَّابُ على أعمالِهم حتى انسلخَتْ هذه السنة . وقد كان عبدُ الله بن علي قَدِم على ابن أخيه السَّفَّاح الأنبارَ فأمَّرَهُ على الصائفة ، فركب في جيوشٍ عظيمةٍ

(١) انظر مصادر ترجمته في حاشية الصفحة (٢٨٥) .

إلى بلادِ الرُّوم ، فلما كان ببعضِ الطريق بلغَهُ موتُ السفَّاح فكَرَّ راجعاً إلى حَرَّان ، ودعا إلى نفسه ، وزعم أن السفَّاحَ كان عهِد إليه حينَ بعثه إلى الشام أنْ يكونَ وليَّ العهدِ من بعدِه ، فالتفَّتْ عليه جيوشٌ عظيمة ، وكان من أمرِهِ ماسنذكرُهُ في السنةِ الآتية إنْ شاء الله تعالى .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومئة

ذكر خروج عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس على ابنِ أخيه المنصور

لما رجَعَ أبو جعفر المنصور من الحج بعدَ موتِ أخيه السفَّاح دخل الكوفةَ فخطَبَ بأهلِها يوم الجمعة ، وصلَّى بِهم ، ثم ارتحل منها إلى الأنبار وقد أخذَتْ له البَيْعَةُ من أهلِ العراق وخُراسان وسائرِ البلاد سوى الشام ، وقد ضبط عيسى بنُ علي بيوتَ الأموالِ والحواصلِ للمنصور حتى قَدِمَ فسلَّمَ إليه الأمر ، وكتب إلى عمِّهِ عبدِ الله بنِ علي ـ وهو بالرُّوم ـ يُعلِمُهُ بوفاةِ السفَّاح ، فلما بلَغَهُ الخبَرُ نادَى في الناس : الصلاة جامعة ، فاجتمع إليه الأمراءُ والناس فقرَأَ عليهم وفاةَ السفَّاح ، ثم قام فيهم خطيباً ، فذكر أنَّ السفَّاح كان عَهِدَ إليه حين بعثه إلى مروان أنْ يكونَ الأمرُ إليه من بعدِه ، وشهد له بذلك بعضُ أمراءِ العِراق ، ونهضوا إليه فبايعوه ، ورجَعَ إلى حَرَان فتسلَّمَها من نائبِ المنصور بعدَ محاصرةِ أربعينَ ليلة ، وقتل مقاتل العَتَكِي نائبُها ، فلمَّا بلغ المنصورَ ما كان من أمرِ عمِّه بعثَ إليه أبا مسلمٍ الخُراسانيَّ ومعه جماعةٌ من الأمراء ، وقد تحصَّنَ عبدُ الله بن علي بِحرَّان ، وأرصد عنده مما يحتاجُ إليه من الأطعمةِ والسلاح شيئاً كثيراً جدّاً ، فسار إليه أبو مسلمٍ الخُراسانيّ ، وعلى مقدّمتهِ مالكُ بن هيثم الخُزَاعي ، فلما تحقَّق عبدُ الله قدومَ أبي مسلم إليه خَشِيَ من جيشِ العراق الذين معَهُ أنْ لا يُناصحوه ، فقتَلَ منهم سبعةَ عشرَ ألفاً ، وأراد قتلَ حُميد بن قَحْطَبة ، فهرَبَ منه إلى أبي مسلم ، فركب عبدُ الله بن علي فنزَل على نَصِيبين ، وخندَقَ حولَ عسكرِه وأقبل أبو مسلم فنزَل ناحيته ، وكتب إلى عبدِ الله : إني لم أومَرْ بقتالِك ، وإنما بعثني أميرُ المؤمنين والياً على الشام ، فأنا أريدها . فخاف جنودُ الشام من هذا الكلام فقالوا : إنَّا نخافُ على ذَرارِينا وديارِنا وأموالِنا ، فنحن نذهبُ إليها نَمْنَعُهم منه . فقال عبدُ الله : ويحكم ، واللهِ لم يأتِ إلَّا لقتالِنا ، فأبَوْا إلَّا أنْ يَرتحلوا نحو الشام ، فتحوَّل عبدُ الله من مَنْزِلِهِ ذلك ، وقصَدَ ناحيةَ الشام ، فنهض أبو مسلم فنزَل موضعَهُ ، وغوَّر ما حولَهُ من المياه ، وكان موضعُ عبدِ الله الذي تحوَّلَ منه موضعاً جيداً جدّاً ، فاحتاجَ عبدُ الله وأصحابُه فنَزلوا في موضعِ أبي مسلم فوجدوه مَنْزلًا رديئاً .

ثم أنشأ أبو مسلمٍ القتال ، فحَاربَهم خمسةَ أشهر ، وكان على خيلِ عبدِ الله أخوهُ عبدُ الصمدِ بن علي ، وعلى ميمنتِهِ بَكَّارُ بن مسلم العُقَيلي ، وعلى ميسرته حَبِيب بن سُويد الأسدي ، وعلى ميمنةِ أبي مسلم الحسنُ بن قَحْطبة ، وعلى ميسرَتِهِ أبو نصر خازم بن خُزَيمة ، وقد جرَتْ بينهم وقعات ، وقُتل منهم جماعاتٌ في أيامٍ نَحِسات ، وكان أبو مسلم إذا حمَل يرتجزُ ويقول :

مَـنْ كـانَ يَـنْـوِي أهلَـهُ فـلا رَجَـعْ فَرَّ من الموتِ وفي الموت وَقَعْ

وكان يُعمل له عريش ، فيكونُ فيه إذا التَقَى الجيشان ، فما رأى في جيشِهِ من خلَل أرسل فأصلَحه ، فلمَّا كان يومُ الثلاثاء أو الأربعاء لسبعٍ خَلَوْنَ من جُمادَى الآخرة التَقَوْا فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فمَكرَ بِهم أبو مسلم ، بعث إلى الحسن بن قَحْطَبَة أميرِ الميمنة فأمرَهُ أن يتحوَّل بِمَنْ معه إلا القليل إلى الميسرة ، فلما رأى ذلك أهلُ الشام انحازوا إلى الميمنة بإزاءِ الميسرة التي تعمَّرَتْ ، فأرسل حينئذٍ أبو مسلمٍ إلى القلب أنْ يَحمِلَ بمَنْ بقي في الميمنة على ميسرةِ أهلِ الشام ، فحَطَموهُمْ ، فجالَ أهلُ القلب والميمنةِ من الشاميِّين ، فحمل الخراسانيُّون على أهلِ الشام ، وكانتِ الهزيمة ، وانهزم عبدُ الله بن علي بعد تلوُّم ، واحتاز أبو مسلم ما كانَ في مُعَسكرِهم من الأموالِ والحَوَاصل ، وأمَّنَ أبو مسلمٍ بقيَّةَ الناس ، فلم يقتلْ منهم واحداً ، وكتب إلى المنصور بذلك ، فأرسل المنصورُ مولاه أبا الخصيب ، لِيُحصِيَ ما وجدوا في معسكر عبد الله ، فغضب من ذلك أبو مسلم الخراساني .

واستوسقتِ الممالكُ لأبي جعفر المنصور ، ومضى عبدُ الله بن علي وأخوه عبدُ الصمد على وجهَيْهما ، فلمَّا مَرَّا بالرُّصافة أقام بها عبدُ الصمد ، فلما رجع أبو الخصيب وجدَهُ بِها ، فأخذه معَهُ مقيَّداً في الحديد ، فأدخله على المنصور فدفعَهُ إلى عيسى بن موسى ، فاستأمَنَ له المنصور ، وقيل : بل استأمنَ له إسماعيلُ بنُ علي ، وأمَّا عبدُ الله بنُ علي فإنَّهُ ذهبَ إلى أخيه سُليمانَ بنِ علي بالبصرة ، فأقام عندَهُ زماناً مختفياً ، ثم علم به المنصور ، فبعث إليه فسجنَهُ [في بيتٍ بني أساسهُ على الملح ، ثم أطلق عليه الماء ، فذابَ المِلْحُ وسقطَ البيتُ على عبدِالله فمات . وهذه من بعضِ دواهي المنصور ، والله سبحانه أعلم][1] . فلَبِثَ في السِّجْنِ سبعَ سنين ، ثم سقط عليه في البيت الذي هو فيه فمات كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى .

مَهْلِكُ أبي مسلم الخُراسانيّ

في هذه السنة أيضاً لَمَّا فرغ أبو مسلم من الحَجِّ سبق الناسَ بِمَرْحَلَة ، فجاءه خبَرُ السفَّاح في الطريق ، فكتب إلى أبي جعفر يُعَزِّيهِ في أخيه ، ولم يهنِّئْهُ بالخلافة ، ولا رَجَعَ إليه ، فغَضِبَ المنصورُ من ذلك مع ما كان قد أضمرَ له من السُّوءِ إذا أَفْضَتْ إليه الخلافة ، وقيل : إنَّ المنصور هو الذي كان قد تقدَّمَ بين يدَيِ الحَجِّ بمَرْحلة ، وإنه لَمَّا جاء خبَرُ موت أخيه كتبَ إلى أبي مسلم يستعجلُهُ في السيرِ كم قدَّمْناه[2] ، فقال لأبي أيوب : اكتُبْ له كتاباً غليظاً . فلمّا بلغَهُ الكتابُ أرسلَ يُهنِّئُهُ بالخلافة ، وانقَمَع من ذلك ، وقال بعضُ

---

(١) هذه الزيادة بين الحاصرتين ليست في (ب ، ح) ، وهي زيادة وجدت في نسخة الآستانة كما في (ق) .
(٢) في ص(٢٨٥) .

الأمراء للمنصور : إنَّا نرى أنْ لا تُجامعَهُ في الطريق ، فإنَّ معه من الجنودِ مَنْ لا يُخالفُه ، وهم لَهُ أهْيَب ، وعلى طاعَتِهِ أحرص ، وليس معَكَ أحد . فأخذ المنصورُ برأيه ، ثم كان من أمرِهِ في مبايعته لأبي جعفر ما ذكَرْنا ، ثم بعث إلى عَمِّه عبدِ الله فكسَرَهُ كما تقدَّم .

وقد بعثَ في غُبونِ ذلك[1] الحسنَ بن قَحْطَبَة لأبي أيُّوب كاتِبِ رسائلِ المنصور يشافهُهُ ويُخبِرُهُ بأنَّ أبا مسلمٍ متَّهَمٌ عند أبي جعفر ، فإنَّهُ إذا جاءه كتابٌ منه يقرؤهُ ثم يَلْوِي شدقَيْه ، ويَرْمِي بالكتابِ إلى أبي نصر ، ويضحكانِ استهزاءً . فقال أبو أيوب : إنَّ تُهمة أبي مسلم عندنا أظهَرُ من هذا .

ولَمَّا بعث أبو جعفر مولاهُ أبا الخصيب يقطين ليحتاطَ على ما أُصيب من معسكر عبدِ الله من الأموال والجواهر الثمينةِ وغيرِها غضب أبو مسلم ، فشتَمَ أبا جعفرٍ وهَمَّ بأبي الخَصِيب حتى قيل له : إنما هو رسول ، فتركَهُ ورجع أبو الخصيب . فلما قدم أخبر المنصورَ بما كان ، وبما هَمَّ به أبو مسلم من قتلِه ، فغضب المنصورُ وخشي أن يذهب أبو مسلم من مكانِه إلى خراسان فيشقُّ عليه تحصيلُهُ بعدَ ذلك ، وأن تحدث حوادِثُ . فكتب إليه مع يقطين : إني قد ولَّيتك الشامَ ومِصر ، وهما خيرٌ من خراسان ، فابعَثْ إلى مصرَ مَنْ شئتَ وأقِمْ أنتَ بالشام لتكونَ أقربَ إلى أميرِ المؤمنين إذا أرادَ لقاءك كنتَ منه قريباً . فغضب أبو مسلم من ذلك وقال : قد ولاني الشام ومصر ، ولي ولايةُ خراسان ، فإذاً أذهبُ إليها وأستخلفُ على الشام ومصر . فكتب إلى المنصور بذلك ، فقَلِقَ المنصورُ من ذلك كثيراً .

ورجع أبو مسلم من الشام قاصداً خُراسانَ وهو عازِمٌ على مخالفةِ المنصور ، فخرج المنصورُ من الأنبار إلى المدائن ، وكتب إلى أبي مسلم بالمصيرِ إليه ، فكتب إليه أبو مسلم وهو على الزَّاب عازِمٌ على الدخول إلى خُراسان ، أنه لم يبقَ لأميرِ المؤمنين عدوٌّ إلا مَكَّنَهُ الله منه ، وقد كُنَّا نَرْوِي عن ملوكِ آلِ ساسان أنَّ أخوفَ ما يكونُ الوزراء إذا سكَنتِ الدهماء ، فنحن نافرونَ من قُرْبِك ، حريصون على الوفاءِ بعهدك ما وفيت ، حَرِيُّونَ بالسمعِ والطاعة ، غيرَ أنَّها من بعيد حيثُ يُقارِنُها السلامة ، فإنْ أرضاكَ ذلك فأنا كأحسَنِ عبيدك ، وإنْ أبيتَ إلَّا أنْ تُعطيَ نفسك إرادَتَها نقَضْتُ ما أبرمتُ من عهدِكَ ضَناً بنفسي عن مقاماتِ الذُّلِّ والإهانة . فلما وصل الكتابُ إلى المنصور كتب إلى أبي مسلم : قد فهمتُ كتابَك ، وليستْ صِفَتُكَ صِفَةَ أولئك الوزراء الغَشَشَة إلى ملوكِهم الذين يتمنَّوْنَ اضطرابَ حبلِ الدولةِ لكثرةِ جرائمهم ، وإنما راحتهم في تبدُّدِ نظام الجماعة ، فلِمَ سوَّيتَ نفسَكَ بهم وأنتَ في طاعتك ومُناصحتِك واضطلاعِكَ بما حملتَ من أعباء هذا الأمر على ما أنتَ به ، وليس مع الشريطةِ التي أوجبَتْ منك سمعٌ ولا طاعة ، وقد حمَّلَ أمير المؤمنين عيسى بن موسى إليك رسالةً ليسكُنَ إليها قلبُكَ إنْ أصغيتَ إليها ، وأسألُ اللهَ أنْ يحولَ

---

(١) يعني في أثناء ذلك ، انظر حاشية (٢) الصفحة (٢٨٠) .

بين الشيطانِ ونزغاتِهِ وبينك ، فإنَّهُ لم يجدْ باباً يُفسِدُ به نِيَّتَك أوكدَ عندَهُ من هذا ، ولا أقربَ من طبّهِ[١] من الباب الذي فتَحَهُ عليك .

ويُقال : إن أبا مسلم كتب إلى المنصور : أمَّا بعد ، فإني اتَّخذتُ رجلاً إماماً ، ودليلاً على ما افترض الله على خلقِه ، وكان في محلَّةِ العلمِ نازلاً ، وفي قرابتِهِ من رسولِ اللهﷺ قريباً ، فاستجهَلَني بالقرآنِ فحرَّفَهُ عن مواضعِهِ ، طمعاً في قليلٍ قد تعافاهُ الله إلى خلقِه ، وكان كالذي دَلَّى بغرُور ، وأمرني أنْ أُجَرِّدَ السيفَ وأرفعَ المَرْحَمَة ، ولا أقبلَ المعذِرَة ، ولا أُقيلَ العَثْرة ، ففعلتُ توطيداً لسلطانِكُمْ ، حتى عرَّفكم الله مَنْ كان يجهَلُكم ، وأطاعَكم مَنْ كان عدوَّكم ، وأظهركم الله بي بعد الإخفاء والحقارَةِ والذُّلّ ، ثم استنقذني الله بالتَّوبة ، فإنْ يعفُ عني فقديماً عُرف به ، ونُسب إليه ، وإنْ يعاقِبْني فبما قدَّمَتْ يداي ، فما الله بظلامٍ للعبيد . ذكره المدائني عن شيوخه[٢] .

وبعث المنصورُ إليه جريرَ بنَ يزيدَ بنِ عبدِ الله البَجَلي ، وقد كان أوحدَ أهلِ زمانهِ في جماعةٍ من الأمراء ، وأمرَهُ أنْ يُكلِّمَ أبا مسلم باللِّين كلاماً يقدِرُ عليه ، وأن يكون في جملةِ ما يكلِّمُه به أنه يُريدُ رفعَ قَدْرِك ، وعلوَّ مَنْزلتِك ، والإطلاقاتِ لك ، فإنْ جاء بهذا فذاك ، وإنْ أبَى فقلْ : هو بريءٌ من العباس إنْ شققتَ العَصَا على وجهك ، ليُدْرِكَنَّكَ بنفسِه ، وليقاتلَنَّك دونَ غيرِه ، ولو خُضتَ البحرَ الخِضَمَّ لخاضَهُ خلفَك حتى يدركَكَ فيقتلكَ أو يموتَ قبل ذلك ، ولا تقلْ له هذا حتى تيأسَ من رجوعِهِ بالتي هي أحسن .

فلمَّا قَدِمَ عليه أمراءُ المنصورِ بِحُلْوان دخلوا عليه ، ولامُوهُ فيما هَمَّ بهِ من مُنابَذَةِ أميرِ المؤمنين وما هو فيه من مخالفتِه ، ورغَّبوهُ الرجوعَ إلى الطاعة ، فشاوَرَ ذوي الرأي من أمرائِه ، فكلُّهم نَهاهُ عن الرجوعِ إليه وأشاروا بأنْ يُقيمَ في الرَّيّ ، فتكونُ خراسانُ تحتَ حُكمِه ، وجنودُه طوعاً له ، فإن استقام لَهُ الخليفةُ وإلَّا كانَ في عِزٍّ ومَنَعَةٍ من الجُند ، فعند ذلك أرسلَ أبو مسلم إلى أمراءِ المنصور فقال لهم : ارجِعوا إلى صاحِبِكم ، فلستُ ألقاه ، فلمّا استيأسوا منه قالوا ذلك الكلامَ الذي كان المنصور أمرَهم به ، فلما سمع ذلك كَسَرَهُ جِدّاً وقال : قوموا عني الساعة .

وكان أبو مسلم قدِ استخلف على خُراسان أبا داود إبراهيم بن خالد ، فكتب إليه المنصورُ في غَيبةِ أبي مسلم حين اتُّهم : إنَّ ولايةَ خُراسانَ لكَ ما بقِيت ، فقد ولَّيتُكها وعزلْتُ عنها أبا مسلم . فعند ذلك كتَبَ أبو داودَ إلى أبي مسلمٍ حينَ بلَغَهُ ما عليه من مُنابَذَةِ الخليفة أنه ليس يليقُ بنا منابذةُ خلفاءِ أهلِ بيتِ رسولِ الله ﷺ ، فارجِعْ إلى إمامِكَ سامعاً مُطيعاً والسلام . فزادَهُ ذلك كسراً أيضاً ، فبعث إليهم أبو مسلم : إني سأبعثُ إليه أبا إسحاق ، وهو مِمَّنْ أثِقُ به ، فبعث أبا إسحاق إلى المنصور ، فأكرمه

---

(١) في (ح) : « ظنه » .
(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تاريخه (٤/ ٣٨٢) عن المدائني .

ووَعَدَهُ بنيابةِ العراقِ إنْ هو ردَّه ، فلمَّا رجع إليه أبو إسحاق قال له : ما وراءك ؟ قال : رأيتُهم مُعظِمينَ لك ، يعرفون قدرَك . فغرَّهُ ذلك ، وعزم على الذهاب إلى الخليفة ، فاستشار أميراً يُقالُ له نَيْزَك فنهاه ، فصمَّمَ على الذهاب ، فلما رآهُ نيزك عازماً على الذهاب تمثَّلَ بقولِ الشاعر :

ما لِلرِّجَالِ مع القضاءِ محَالَةٌ   ذهـب القضـاءُ بِحِيلَـةِ الأقـوامِ

ثم قال له : احفظْ عني واحدةً . قال : وما هي ؟ قال : إذا دخلتَ عليه فاقتُلْهُ ثم بايعْ مَنْ شئتَ بالخلافة ، فإنَّ الناسَ لا يخالفونك . وكتب أبو مسلم يُعلِمُهُ بقُدومِهِ عليه . قال أبو أيوب كاتبُ الرسائل : فدخلت على المنصور وهو جالسٌ في خِبَاءِ شعَر ، جالسٌ في مُصَلاهُ بعدَ العَصْر ، وبين يديه كتاب ، فألقاهُ إليّ ، فإذا هو كتابُ أبي مسلم يُعلمه بالقُدوم عليه ، ثم قال الخليفة : والله لئن ملأتُ عيني منه لأقتلَنّه . قال أبو أيوب : فقلتُ : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٦] ، وبِتُّ تلك الليلةَ لا يأتيني نَوْم ، وأفكِّرُ في هذه الواقعة ، وقلت : إنْ دخل أبو مسلم خائفاً ربما يَبدو منه شرٌّ إلى الخليفة ، والمصلحةُ تقتضي أن يدخلَ آمناً ليتمكَّنَ منه الخليفة ، فلما أصبحتُ طلبتُ رجلاً من الأمراء وقلتُ له : هل لك أن تتولَّى مدينةَ كَسْكَرَ[1] فإنها مُغِلَّةٌ في هذه السنة . فقال : ومَنْ لي بذلك ؟ فقلت له : فاذهَبْ إلى أبي مسلم فتلقَّاهُ في الطريق فاطلبْ منه أنْ يُوليِّكَ تلك البلد ، فإنَّ أمير المؤمنين يُريد أن يُولِّيَهُ ما وراء بابه ويستريحَ لنفسه . واستاذنتُ المنصورَ له أنْ يذهبَ إلى أبي مسلم ، فأذِنَ له وقال له : سَلِّمْ عليه وقُلْ له : إنَّا بالأشواق إليه . فسار ذلك الرجلُ وهو سلمة بن فلان[2] إلى أبي مسلم فأخبرَهُ باشتياقِ الخليفةِ إليه ، فسرَّهُ ذلك وانشرح ، وإنما هو غرورٌ ومَكْرٌ به ، فلما سمع أبو مُسلم بذلك عجَّلَ السَّيْرَ إلى مَنِيَّتِه ، فلما قرب من المدائن أمر الخليفةُ القوّادَ والأمراءَ أنْ يتلقَّوه ، وكان دخولُه على المنصور من آخرِ ذلك اليوم ، وقد أشار أبو أيوب على المنصور أنْ يؤخِّرَ قتلَهُ في ساعتِهِ هذه إلى الغد ، فقبل ذلك منه ، فلما دخل أبو مسلم على المنصور من العَشِيّ أظهر له الكرامةَ والتعظيم ، ثم قال : اذهَبْ فأرِحْ نفسَك ، وادخُلِ الحمَّام ، فإذا كان الغَدُ فأْتِني ، فخرج من عِنده ، وجاءه الناسُ يُسلِّمون عليه ، فلما كان الغدُ طلب الخليفةُ بعضَ الأمراء فقال له : كيف بلائي عندَك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين لو أمرتَني أن أقتلَ نفسي لقتلتُها . قال : فكيف بك

---

(١) كَسْكَر : بالفتح ثم السكون وكاف أخرى وراءه : معناه عامل الزرع ، كُورةٌ واسعة يُنسَبُ إليها الفراريج الكَسْكَرية لأنها تكثر بها جداً ، رأيتها أنها تُباع فيها أربعة وعشرون فروجاً كباراً بدرهم واحد ، قال ابن الحجاج : ما كان قط غذاءها إلا الدجاج المصدّر ، والبط يُجلب إليها ، لكنْ يُجلَب من بعض أعمال كسكر ، وقَصَبَتُها اليومَ واسط ، القصبة التي بين الكوفةِ والبصرة ، وكان قصبتها قبل أن يُمَصِّرَ الحجاجُ واسطاً خسرو سابور ، ويقال : إنَّ حَدَّ كورةِ كَسْكَر من الجانب الشرقي في آخرِ سقْيِ النهروان إلى أن تصُبَّ دِجلَةُ في البحرِ كله من كسكر فتدخل فيه على هذا البصرة ونواحيها . معجم البلدان (٤/ ٤٦١) .

(٢) هو سلمة بن سعيد بن جابر كما في تاريخ الطبري (٤/ ٣٨٤) .

لو أمرتُكَ بقتلِ أبي مسلم ؟ قال : فوَجَم ساعةً ثم قال له أبو أيوب : ما لَكَ لا تتكلَّم ؟ فقال قولةً ضعيفة : أقتلُه . ثم اختار له من عيونِ الحرَس أربعةً ، فحرَّضهم على قتله ، وقال لهم : كونوا من وراء الرُّوَاق ، فإذا صفَّقتُ بيدي فاخرجوا عليه فاقتلوه . ثم أرسل المنصورُ إلى أبي مسلم رسلاً تَتْرَى يتبع بعضُهم بعضاً ، فأقبل أبو مسلم فدخل دارَ الخلافة ، ثم دخل على الخليفة وهو يبتسِم ، فلمَّا وقف بين يديه جعل المنصورُ يعاتِبُهُ في الذي صنَعَ واحدةً واحدةً ، فيعتذِرُ عن ذلك كلِّه ، فيما كان اعتمدَهُ من الأمور التي تسَرَّعَ فيها ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، أرجو أن تكونَ نفسُكَ قد طابَتْ عليّ . فقال المنصور : أما والله ما زادَني هذا إلَّا غَيْظاً عليكِ . ثم ضرَبَ بإحدى يديه على الأخرى ، فخرج عثمانُ وأصحابُه فضربوه بالسيوف حتى قتلوه ولفُّوهُ في عباءة ، ثم أمَرَ بإلقائه في دِجْلَة ، وكان آخرَ العَهْدِ به ، وكان مقتَلُهُ في يومِ الأربعاء لأربعٍ بَقِينَ من شعبان سنةَ سبعٍ وثلاثين ومئة . وكان من جُملة ما عاتبه به المنصور أن قال : كتبتَ إليَّ مرَّاتٍ تبدأُ بنفسِك ، وأرسلتَ تخطُبُ عمَّتي أمينة ، وتزعمُ أنك ابن سليط بن عبد الله بن عباس إلى غيرِ ذلك . فقال أبو مسلم : يا أمير المؤمنين لا يُقال لي هذا وقد سعَيْتُ في أمرِكم بما عَلِمَهُ كلُّ أحد . فقال : وَيْلَك ! لو قامَتْ في ذلك أمَةٌ سوداء لأتَمهُ الله لجِدِّنا وحَيْطَتِنا . ثم قال : والله لأقتلَنَّك . فقال : استبقِني يا أميرَ المؤمنين لأعدائك . فقال : وأيُّ عدوٍّ لي أعدَى منك ؟ ثم أمر بقتلِهِ كما تقدَّم . فقال له بعضُ الأمراء : يا أميرَ المؤمنين الآنَ صرتَ خليفة .

ويقال : إنَّ المنصور أنشدَ عندَ ذلك

فألقَتْ عصاها واستقرَّ بِها النَّوَى كما قَرَّ عيناً بالإيابِ المسافرُ

وذكر ابنُ خلِّكان أنَّ المنصور لَمَّا أرادَ قتلَ أبي مسلم تحيَّرَ في أمره ، هل يستشيرُ أحداً في ذلك أو يستبدُّ هو لئلا يَشِيعَ وينتشر ؟ ثم استشار واحداً من نُصَحاء أصحابِه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قال الله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء : ٢٢] . فقال له : لقد أودعتَها أُذُناً واعية . ثم عزم على ذلك .

ترجمة أبي مسلم الخراساني[1]

هو عبدُ الرحمن بن مسلم أبو مسلم، صاحبُ دولةِ بني العباس، ويُقالُ له أميرُ آلِ بيتِ رسولِ الله ﷺ .

---

(١) ترجمته في تاريخ بغداد (١٠/ ٢٠٧) ، تاريخ مدينة دمشق (٣٥/ ٤٠٨ ، و٦٧/ ٢٢٤) ، الكامل في التاريخ لابن الأثير (٤/ ٤٦١ ، و٥/ ٢١) ، وفيات الأعيان (٣/ ١٤٥) ، المغني في الضعفاء (٢/ ٣٨٧) ، المقتنى في سرد الكنى للذهبي (٢/ ٧٦) ، ميزان الاعتدال (٤/ ٣١٧) ، لسان الميزان (٣/ ٤٣٦) ، نزهة الألباب في الألقاب لابن حجر (٢/ ٢٧٢) ، النجوم الزاهرة (١/ ٣٣٥) .

وقال الخطيب[١] : يقال له عبد الرحمن بن مسلم بن سنفيرون بن اسفنديار ، أبو مسلم المروزِيّ ، صاحبُ الدولةِ العباسية ، يَرْوي عن أبي الزبير [محمد بن مسلم المكّي] ، وثابت البُنَاني ، وإبراهيم ، وعبدِ الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس . زاد ابن عساكر[٢] في شيوخه : محمد بن علي ، وعبد الرحمن بن حَرْمَلة ، وعكرمة مولى ابن عباس .

قال ابنُ عساكر[٣] : روى عنه إبراهيم بن ميمون الصائغ ، وبشر والد مُصعَب بن بشر ، وعبد الله بن شُبْرُمَة ، وعبدُ الله بن مُنِيب المروزي ، وقُديد بن مَنِيع ، صِهْر أبي مسلم .

قال الخطيب[٤] : وكان أبو مسلم فاتكاً ذا رأي وعقل وتدبير وحزم ، قتله أبو جعفر المنصور بالمدائن .

وقال أبو نعيم الأصبهاني في تاريخ أصبهان : كان اسمه عبد الرحمن بن عثمان بن يسار ، قيل إنه ولد بأصبهان ، وروى عن السُّدِّي وغيرِه ، وقيل اسمه إبراهيم بن عثمان بن يسار بن سندوس بن جودرن ، من ولدِ بُزُرْجمْهر ، وكان يُكنى أبا إسحاق ، ونشأ بالكوفة ، وكان أبوه أوصى به إلى عيسى بن موسى السرَّاج ، فحمله إلى الكوفة وهو ابنُ سبعِ سنين ، فلما بعثه إبراهيم بن محمد الإمام إلى خراسان قال له غَيِّر اسْمَكَ وكُنْيَتَك ؛ فتَسَمَّى عبد الرحمن بن مسلم ، واكتنى بأبي مسلم ، فسار إلى خُراسان وهو ابنُ سبعَ عشرةَ ، راكباً على حمارٍ بإكاف ، وأعطاهُ إبراهيم بن محمد نفقةً من عنده ، فدخل خراسانَ وهو كذلك ، ثم آلَ به الحال حتى صارَتْ له خُراسانُ بأزِمَّتِها وحَذَافيرِها .

وذكر بعضُهم أنه في ذهابِهِ إليها عدا رجلٌ من بعضِ الحانات[٥] على حمارِهِ فهَلَبَ ذنَبه[٦] ، فلما تمكَّن أبو مسلم جعل ذلك المكان دَكّاً ، فكان بعدَ ذلك خراباً .

وذكر بعضُهم أنه أصابه سِبَاءٌ في صِغَرِهِ ، وأنه اشتراهُ بعضُ دعاةِ بني العباس بأربعمئة درهم ، ثم إن إبراهيم بن محمد الإمام استوهَبَهُ واشتراه ، فانتمى إليه ، وزوَّجهُ إبراهيمُ بنتَ أبي النَّجْم عمرانَ بنِ إسماعيل الطائيِّ أحَدِ دُعاتِهم لمَّا بعثه إلى خراسان ، وأصدَقَها عنه أربعمئة درهم ، فوُلد لأبي مسلم بنتان ، إحداهما أسماءُ أعقبَتْ ، وفاطمة لم تُعقب .

---

(١) في تاريخ بغداد (١٠/ ٢٠٧) .
(٢) في تاريخ مدينة دمشق (٣٥/ ٤٠٨) .
(٣) في تاريخه (٣٥/ ٤٠٨) .
(٤) في تاريخ بغداد (١٠/ ٢٠٧) .
(٥) في (ح) : « الحمامات » .
(٦) الهُلْب : الشعر كله ، وقيل : هو في الذنب وحده . وفرسٌ مَهْلُوب : مستأصَلُ شعَرِ الذنب ، وهُلِبَ ذَنَبهُ : أيْ استؤصل جَزّاً . لسان العرب (هلب) .

وقد تقدَّمَ ذكرُ كيفيةِ استقلالِ أبي مسلم بأُمورِ خُراسانَ في سنةِ تسعٍ وعشرين ومئة ، وكيف نشر دعوةَ بني العباس . وقد كان ذا هيبةٍ وصَرامةٍ وإقدامٍ وتسرُّعٍ في الأمور ، وقد روى ابنُ عساكر[1] من طريقِ مصعب بن بشر ، عن أبيه قال : قام رجلٌ إلى أبي مسلم وهو يخطب فقال : ما هذا السوادُ الذي أرى عليك ؟ فقال : حدثني أبو الزُّبير عن جابر بن عبدِ الله ، أنَّ رسول الله ﷺ دخل مكة يومَ الفتح وعليهِ عمَامةٌ سوداء ، وهذهِ ثيابُ الهيبةِ[2] وثيابُ الدولة ، يا غلام ، اضربْ عُنقَه .

وروى[3] من حديث عبد الله بن مُنيب عنه[4] عن محمد بن علي ، عن أبيه ، عن جدِّهِ عبدِ الله بن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « منْ أراد هوانَ قُريشٍ أهانَهُ الله »[5] .

وقد كان إبراهيمُ بن ميمون الصائغُ من أصحابِهِ وجلسائهِ في زمَنِ الدعوة ، وكان يَعِدُهُ إذا ظهَرَ أنْ يُقيمَ الحُدود ، فلمَّا تمكَّنَ أبو مسلم ألحَّ عليهِ إبراهيمُ بن ميمون في القيام بما وَعَدهُ به حتى أحرَجَه ، فأمرَ بضَرْبِ عُنقه بعد ما قال له : هلاَّ تُنكرُ على نصرِ بنِ سيَّارٍ وهو يعملُ أوانيَ الخمر من الذهب فيبعثها إلى بني أمية ؟ فقال له : إنَّ أولئك لم يُقرِّبوني من أنفسِهم ويَعِدُوني منها ما وعَدْتَني أنت .

وقد رأى بعضُهم ـ في المنام لإبراهيمَ بنِ مَيْمون هذا منازلَ عاليةً في الجنة بصَبْرِهِ على الأمرِ بالمعروفِ والنَّهْي عن المنكر ، فإنه كان آمراً ناهياً قائماً في ذلك ، فقتله أبو مسلم رحمه الله .

وقد ذكرنا طاعةَ أبي مسلمٍ للسَّفَّاح واعتناءَهُ بأمرِه ، وامتثالِ مَراسيمِه ، فلمّا صار الأمرُ إلى المنصور استخفَّ بهِ واحتقرَهُ ، ومع هذا بعثه إلى عمِّه عبدِ الله إلى الشام فكسرَهُ واستنقذ منه الشام ورَدَّها إلى حُكمِ المنصور ، ثم شَمَختْ نفسُهُ على المنصور ، وهمَّ بقتله ، ففَطِنَ لذلك المنصور مع ما كان مُبْطناً له من البِغْضَة في نفس الأمر ، وقد سأل أخاهُ السفاحَ غيرَ مرَّةٍ أنْ يقتُلَهُ فصدَفَ عن ذلك ؛ وذكرْنا أيضاً ما كان من أمرِ أبي مسلم والمنصور من المراسلات والمكاتبات حين استوحش منه المنصور ، واتَّهَمهُ بسوء النِّيَّة ،

---

(١) في تاريخ مدينة دمشق (٣٥/ ٤٠٨ ، ٤٠٩) .
(٢) في (ق) : « الهيئة » ، والمثبت من (ب ، ح) وتاريخ ابن عساكر .
(٣) يعني ابن عساكر في تاريخه (٣٥/ ٤٠٩) .
(٤) يعني أبا مسلم الخراساني .
(٥) رواه أبو نعيم في أخبار أصبهان (٢/ ١٠٩) من طريق عبد الله بن منيب ، به ، وإسناده ضعيف . ورواه الخطيب في تاريخه (١٥/ ٩ بتحقيقنا) من قول ابن عباس موقوفاً عليه ، وإسناده ضعيف أيضاً كما بينته في تعليقي عليه . لكن الحديث قد روي من طرق أخرى يرتقي بمجملها إلى درجة الحسن ، فقد أخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٨٣) والترمذي (٣٩٠٦) من حديث سعد بن أبي وقاص . ورواه أحمد أيضاً (١/ ٦٤) وابن حبان (٦٢٦٩) من حديث عثمان بن عفان .

وما زال يراسِلُهُ ويستدعيه ويَخْدَعُه ويُماكِرُهُ حتى استحضَرَهُ فقتلَه كما قدَّمنا بيانه[١] .

قال بعضُهم كتبَ المنصورُ إلى أبي مسلم : أمَّا بعد ، فإنه يُرينُ على القلوب ، ويَطْبَعُ عليها المعاصي فع أيها الطائش ، وأفِقْ أيُّها السَّكْران ، وانتبِهْ أيها النائم ، فإنَّك مغرورٌ بأضغاثِ أحلام كاذبة ، في بَرْزَخ دُنيا قد غرَّتْ منْ كانَ قَبْلَك ، وُسِمَ بها سوالفُ القُرون ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ [مريم : ٩٨] ، وإن الله لا يُعجِزُهُ منْ هرَب ، ولا يَفُوته من طلب ، فلا تغترَّ بمن معك من شيعتي وأهلِ دعوتي ، فكأنَّهم قد صالوا عليك بعدَ أنْ صالوا معكَ إنْ أنتَ خلعتَ الطاعةَ وفارقتَ الجماعة ، وبدا لَكَ من الله ما لم تكنْ تحتسِب ، مهلاً مهلاً ، احذرِ البغيَ أبا مسلم ، فإنه من بَغَى واعتَدَى تخلَّى الله عنه ، ونصر عليه منْ يصرَعُهُ لليدينِ والفمِ ، واحذرْ أنْ تكونَ سُنَّةً في الذين قد خَلَوْا من قبلك ، ومُثْلَةً لمن يأتي بعدَك ، فقد قامتِ الحُجة ، وأعذرتُ إليك وإلى أهل طاعتي فيك . قال تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٥] .

فأجابه أبو مسلم : أما بعد فقد قرأتُ كتابَك ، فرأيتُك فيه للصواب مجانباً ، وعن الحقِّ حائداً ، إذ تضربُ فيه الأمثالَ على غيرِ أشكالِها ، وكتبتَ إليَّ فيه آياتٍ مُنْزلةً من الله للكافرين ، وما يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، وإنَّني والله ما انسلختُ من آياتِ الله ، ولكنَّني يا عبدَ الله بن محمد ، كنتُ رجلاً متأوِّلاً فيكم من القرآن آياتٍ أوجبَتْ لكمُ الولايةَ والطاعة ، فأتممْتُ بأخوينِ لك من قبلِك ، ثم بك من بعدِهما ، فكنتُ لهما شيعةً متديِّناً ، أحسبُني هادياً مُهتدِياً ، وأخطأتُ في التأويل ، وقِدْماً أخطأ المتأوِّلون ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام : ٥٤] ؛ وإنَّ أخاكَ السفَّاحَ ظَهَرَ في صورةِ مَهْدِيّ ، وكان ضالاً ، فأمَرَني أن أُجرِّدَ السيف وأقتلَ بالظِّنَّة ، وأُقدم بالشُّبْهَة ، وأرفعَ الرَّحْمَة ، ولا أُقيلَ العَثْرة ، فوترتُ أهلَ الدُّنْيا في طاعتِكم ، وتَوْطِئَة سُلطانكم ، حتى عرَّفكم الله منْ كانَ جَهِلَكُم ، ثم إنَّ الله سبحانه وتعالى تدارَكَني منه بالنَّدَم ، واستنقذني بالتَّوبة ، فإنْ يَعْفُ عنِّي ويصفح ، فإنه كان للأوَّابين غفوراً ، وإنْ يُعاقِبْني فبذنوبي ، وما ربُّكَ بظلامٍ للعَبيد .

فكتب إليه المنصور : أمَّا بعدُ أيها المجرمُ العاصي ، فإنَّ أخي كان إمامَ هُدى ، يَدْعو إلى الله على بيِّنةٍ من رَبِّه ، فأوضح لك السبيل ، وحَمَلَكَ على المنهج السَّديد ، فلو بأخي اقتديت لمَا كنتَ عن الحقِّ حائداً ، وعن الشيطانِ وأوامرِهِ صادراً ، ولكنَّه لم يسنَحْ لكَ أمرانِ إلَّا كنتَ لأرشَدِهما تاركاً ، ولأغواهُما راكباً ، تقتُل قتلَ الفراعنة ، وتبطِشُ بطشَ الجبابرة ، وتَحكُمُ بالجَوْرِ حُكْمَ المفسدين ، وتبذِرُ المالَ وتضَعُه في غير مَوَاضِعِهِ فعلَ المسرفين ؛ ثم من خَبَري أيها الفاسق ، أنِّي قد ولَّيتُ موسى بن كعبٍ

---

(١) انظر ص(٢٩١) من هذا الجزء .

خُراسان ، وأمَرْتُهُ أنْ يُقيمَ بنَيسابور ، فإنْ أردتَ خُراسان لَقيَكَ بمَنْ معه من قُوَّادي وشيعتي ، وأنا مُوَجِّهٌ للقائك أقرانَك ، فاجْمَعْ كَيْدك وأمْرُكَ غيرُ مسدَّدٍ ولا مُوَفَّق ؛ وحَسْبُ أميرِ المؤمنينَ ومَنِ اتَّبعَهُ الله ونعمَ الوَكيل .

ولم يزَلِ المنصورُ يُراسلهُ تارةً بالرغبة ، وتارةً بالرَّهْبة ، ويستخِفُّ أحلامَ منْ حَوْلَهُ من الأمراءِ والرسُل الذين يبعثهم أبو مسلم إلى المنصور ، ويَعِدُهم حتى حَسَّنوا لأبي مسلم في رأيه القُدومَ عليه سوى أميرٍ معه يُقال له نَيْزك ، فإنَّه لم يُوافقْ على ذلك ، فلمَّا رأى أبا مسلم وقد انصاعَ لهم أنشدَ عن ذلك البيت المتقدِّم[١] وهو :

ما للرجال مع القضاء مُحالةٌ ذهب القضاءُ بحيلةِ الأقوام

وأشار عليه بأن يقتلَ المنصور ويستخلفَ بدلَه ؛ فلم يُمْكِنْهُ ذلك ، فإنَّه لما قَدِمَ المدائن تلقَّاهُ الأمراءُ عن أمرِ الخليفة ، فما وصل إلَّا آخرَ النهار ، وقد أشار أبو أيوب كاتبُ الرسائل أنْ لا يَقْتُلَهُ يومَهُ هذا كما تقدَّم . فلما وقف بين يدي الخليفة أكرَمهُ وعَظَّمهُ وأظهرَ احترامَه وقال : اذهبِ الليلةَ فأذهبْ عنك وعْثاءَ السَّفَر ثم ائتني من الغد . فلما كان الغَدُ أرصَدَ لهُ من الأمراءِ منْ يَقْتُلُه منهم عثمان بن نَهيك ، وشبيب بن واج ، وأرسل إليه رسلاً تترى ليقدم عليه ، فقتلوه كما تقدَّم[٢] .

ويُقال بل أقام أياماً يُظهِرُ له المنصورُ الإكرام والاحترام ، ثم بَدَا له منه الوَحْشةُ ، فخاف أبو مسلم ، واستشفَعَ بعيسى بنِ موسى ، واستجارَ به وقال : إني أخافُهُ على نفسي . فقال : لا بأس عليك . فانطلِقْ فإنِّي آتٍ وراءَكَ ، أنتَ في ذمَّتي حتى آتيَكَ . ولم يكنْ مع عيسى خبرٌ بما يُريدُ بهِ الخليفة ؛ فجاء أبو مسلم يستأذنُ المنصور ، فقالوا له : اجلِسْ هاهنا ، فإنَّ أميرَ المؤمنين يتوضَّأ ، فجلس وهو يودُّ أنْ يطولَ مجلسُه ، ليجيءَ عيسى بنُ موسى ، فأبطأ ، وأذنَ له الخليفة ، فدخل عليه ، فجعل يُعاتِبُهُ في أشياءَ صدَرَتْ منه ، فيعتذرُ عنها جيداً ، حتى قال له : فلِمَ قتلتَ سليمان بن كَثير ، وإبراهيمَ بنَ ميمون وفلاناً وفلاناً ؟ قال : لأنَّهم عصَوْني وخالفوا أمْري . فغَضبَ عندَ ذلكَ المنصور وقال : وَيْحَك ! أنتَ تقتُلُ إذا عُصيت ، وأنا لا أقتُلُكَ وقد عصَيْتَني ؟! وصَفَّقَ بيديْه ، وكانتِ الإشارةُ بينه وبين أولئكَ المُرْصَدِين لقَتْلِه ، فتبادروا إليه ليقتلوه ، فضرَبَهُ أحدُهم فقطَعَ حمائلَ سيفِه ، فقال : يا أميرِ المؤمنين استبقِني لأعدائك . فقال : وأيُّ عدوٍّ أعْدَى منك ؟! ثم زجَرَهُم المنصور ، فقطَّعوهُ قِطَعاً ولَفُّوْهُ في عباءة ، ودخل عيسى بن موسى على إثر ذلك ، فقال : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذا أبو مسلم . فقال : إنا لله وإنَّا إليه راجعون . فقال له المنصور : أحمد الله الذي هجمت عليَّ نِعمُه ، ولم تَهجُمْ عليَّ نِقَمُه . ففي ذلك يقول أبو دُلامة :

---

(١) تقدم ص(٢٩٤) .

(٢) تقدم ص(٢٩٥) .

أبـا مسلـم مـا غيَّـرَ اللهُ نِعمـةً ... علـى عبـدِهِ حتـى يُغيِّـرَهـا العَبْـدُ

أبـا مسلمٍ خـوَّفتني القتـلَ فـانْتحى ... عليك بما خوَّفتني الأسَدُ الوَرْدُ[1]

وذكر ابنُ جرير[2] أنَّ المنصور تقدَّمَ إلى عثمانَ بنِ نَهيك ، وشبيب بن واج ، وأبي حنيفة حرب بن قيس ، وآخر من الحرس ، أن يكونوا قريباً منه ، فإذا دخل عليه أبو مسلم وخاطبه ، وضرب بإحدى يديه على الأخرى فَلْيَقتلوه . فلما دخل عليه أبو مسلم قال له المنصور ما فعلَ السيفانِ اللذانِ أصبتَهما من عبدِ الله بن علي ؟ فقال : هذا أحدُهما . فناوله السيف فوضعه تحت ركبته ، ثم قال له : ما حملك على أن تكتب لأبي عبد الله السفَّاح تنهاهُ عن الموات ، أردتَ أنْ تعلِّمَنا الدِّين ؟! قال : إنَّني ظننتُ أنَّ أخذَهُ لا يَحِلّ ، فلما جاءني كتابُ أميرِ المؤمنين علمتُ أنه وأهلَ بيته مَعْدِنُ العِلْم . قال : فلِمَ تقدَّمتَ عليَّ في طريقِ الحجّ ؟ قال : كرهتُ اجتماعَنا على الماء ، فيضرّ ذلك بالناس ، فتقدَّمْتُ التماسَ الرِّفق . قال : فلِمَ لا رجعتَ إليَّ حين أتاكَ خبرُ موتِ أبي العباس ؟ قال : كرهتُ التضييقَ على الناسِ في طريقِ الحج ، وعرفتُ أنَّا سنجتمعُ بالكوفة ، وليس عليكَ منِّي خلاف . قال : فجاريةُ عبدِ الله بنِ علي أردتَ أن تتَّخِذَها لنفسِك ؟ قال : لا ، ولكنْ خفتُ أن تَضِيعَ فحمَلْتُها في قُبَّة ، ووكَّلْتُ بِها من يَحفَظُها . ثم قال : ألستَ الكاتبَ إليَّ تبدأُ بنفسِك ؟ والكاتب إليَّ تَخطُبُ أمينةَ بنتَ عليّ ، وتزعمُ أنك ابنُ سَليط بن عبدِ الله بن عباس ؟ هذا كلُّه ويَدُ المنصورِ في يَدِهِ يَعْرِكُها ويُقَبِّلُها ويعتذر ؛ ثم قال له : فما حَمَلكَ على مُرَاغمتي ودخولكَ إلى خُراسان ؟ قال : خِفْتُ أنْ يكونَ دَخَلكَ منِّي شيء ، فأردتُ أنْ أدخُلَ خراسانَ وأكتبَ إليكَ بعُذْري . قال : فلِمَ قتلتَ سليمانَ بنَ كَثير وكان من نُقبائنا ودُعاتنا قَبْلَك ؟ قال : أرادَ خِلافي . فقال : وَيْحك ! وأنتَ أردتَ خلافي وعَصَيتني ، قَتَلَني الله إنْ لم أقتُلْك . ثم ضرَبَهُ بعمودِ الخيمة ، وخرج إليه أولئك ، فضربه عثمانُ فقطَعَ حمائلَ سيفه ، وضرَبَهُ شبيبٌ فَقَطعَ رِجْلَه ، وحمَلَ عليه بقيَّتُهُمْ بالسيوف ، والمنصورُ يَصيح : ويحكم اضربوه ، قطَعَ الله أيديكم . ثم ذَبَحوه وقطَّعوه قطعاً قِطَعاً ، ثم أُلقي في دِجْلة .

ويُروى أنَّ المنصورَ لمَّا قتلَه وقف عليه فقال : رَحِمكَ الله أبا مسلم بايعتَنا فبايعناك ، وعاهدتَنا وعاهَدْناك ، ووفيتَ لنا فوفَيْنا لك ، وإنَّا بايعناك على أنْ لا يَخرجَ علينا أحدٌ في هذه الأيام إلَّا قتَلْناه ، فخرَجْتَ علينا فقتَلْناك وحَكَمْنا عليك حُكمَكَ على نفسِك لنا . ويُقال : إنَّ المنصور قال : الحمدُ لله الذي أرانا يومكَ يا عدوَّ الله .

---

(١) البيتان في ديوان أبي دلامة ص(٥١) : وزاد فيهما بيتاً ثالثاً هو :

أفي دَولَةِ المَهْدِيِّ حاوَلْتَ غَدْرَةً ... ألا إنَّ أهْـلَ الغَـدْرِ آبـاؤُكَ الكُـرْدُ

(٢) هو الطبري في تاريخه (٤/ ٣٨٥) بألفاظ مقاربة .

قال ابنُ جرير[١] : وقال المنصورُ عند ذلك :

زعمتَ أنَّ الدَّيْن لا يُقتضَى   فاستوفِ بالكَيْلِ أبا مُجْرِمِ
سُقيتَ كأساً كنتَ تَسْقِي بها   أمَرَّ في الحَلْقِ من العَلْقَمِ

ثم إنَّ المنصورَ خطَبَ في الناسِ بعدَ قتلِ أبي مسلم فقال : أيها الناس ، لا تُنَفِّروا أطيارَ النِّعَم بتَرْكِ الشُّكْر ، فتَحِلَّ بكُمُ النِّقَم ، ولا تُسِرُّوا غِشَّ الأئمَّة ، فإنَّ أحداً لا يُسِرُّ منكمْ شيئاً إلا ظَهَرَ في فَلَتاتِ لسانِه ، وصَفَحاتِ وَجْهِه ، وطوالِعِ نَظَرِه ، وإنَّا لنْ نجهَلَ حقوقَكُمْ ما عرَفْتُمْ حَقَّنا ، ولا نَنْسى الإحسانَ إليكم ما ذكرتُمْ فضلَنا ، ومنْ نازَعَنا هذا القَميص أوطأْنا أمَّ رأسِهِ حتى يستقيمَ رجالُكم ، وترتَدِعَ عُمَّالُكم ، وإنَّ هذا الغَمْرَ أبا مسلم ، بايَعَ على أنَّهُ منْ نَكَثَ بيعتَنا ، وأظهرَ غِشَّنا ، فقد أباحَنا دَمَه ، فنكَثَ وغدَرَ وفجَرَ وكفَر ، فحكَمْنا عليه لأنفسنا حُكْمَهُ على غيرِه لنا ؛ وإنَّ أبا مسلمٍ أحسَنَ مُبتدياً وأساءَ منتهياً ، وأخذَ من الناسِ بنا لنفسِهِ أكثرَ ممَّا أعطانا ، ورَجَّحَ قبيحَ باطِنِه على حُسْنِ ظَاهِرِه ، وعَلِمْنا من خُبْثِ سريرَتِه وفسادِ نِيَّتِهِ ما لو علم اللائمُ لنا فيه لما لام ، ولو اطَّلع على ما اطَّلَعْنا عليه منه لعَذَرَنا في قَتْلِه ، وعَنَّفَنا في إمْهالِه ، وما زال يَنْقُضُ بيعتَه ، ويَخْفِرُ ذمَّتَه حتى أحلَّ لنا عقوبتَه ، وأباحَنا دَمَه ، فحكمنا فيه حُكْمَهُ في غيرِهِ مِمَّنْ شقَّ العَصَا ، ولم يمنَعْنا الحقُّ له من إمضاءِ الحقِّ فيه ، وما أحسن ما قالَ النابغةُ الذبياني للنعمان ـ يعني ابنَ المنذر :

فمنْ أطَاعكَ فانفَعْهُ بطاعتِهِ   كما أطاعَكَ وادْلُلْهُ على الرَّشَدِ
ومنْ عصاكَ فعاقِبْهُ مُعاقبةً   تَنْهى الظلومَ ولا تَقْعُدْ على ضَمَدِ[٢]

وقد روى البيهقيُّ عن الحاكم بسندِه ، أنَّ عبدَ الله بنَ المبارك سُئل عن أبي مسلم ، أهو خيرٌ أمِ الحجَّاج ؟ فقال : لا أقولُ أنَّ أبا مسلم كان خيراً من أحد ، ولكنْ كان الحجَّاج شرّاً منه ، قد اتهمَهُ بعضُهم على الإسلام ، ورَمَوْهُ بالزَّنْدقة ؛ ولم أرَ فيما ذكروهُ عن أبي مسلم ما يدلُّ على ذلك ، بل على أنه كان ممَّنْ يخافُ الله من ذنوبِهِ ، وقد ادَّعَى التَّوْبة فيما كان منه من سَفْكِ الدماء في إقامةِ الدولة العباسية ، والله أعلمُ بأمرِه .

وقد روى الخطيب[٣] عنه أنه قال : ارتديتُ الصَّبْر ، وآثرتُ الكفاف[٤] ، وحالفْتُ الأحزانَ والأشجان ، وشامَخْتُ[٥] المقاديرَ والأحكام ، حتى بلغتُ غايةَ همَّتي ، وأدركتُ نهايةَ بُغْيتي ثم أنشأ يقول :

---

(١) هو الطبري في تاريخه (٤/ ٣٨٦) .
(٢) البيتان في ديوان النابغة الذبياني من قصيدة يمدح فيها النعمان المذكور ص(٣٠) .
(٣) في تاريخ بغداد (١٠/ ٢٠٨) .
(٤) في تاريخ الخطيب : « الكتمان » ، وهو الأوفق .
(٥) في تاريخ الخطيب وسير أعلام النبلاء ٦/ ٥٣ : « وسامحت » .

قد نلتُ بالعَزْمِ والكِتْمانِ ما عَجَزتْ عنه ملوكُ بني مروانَ إذْ حَشَدوا
ما زلتُ أضرِبُهم بالسيفِ فانتبهوا من رَقْدةٍ لم ينَمها قبلَهم أحدُ
وطُفْتُ أسعى عليهم في ديارِهم والقومُ في مُلكِهم في الشامِ قد رَقدوا
ومنْ رَعى غنماً في أرضِ مَسْبعةٍ ونامَ عنها تولَّى رَعْيَها الأسدُ

وقد كان قتلُ أبي مسلم بالمدائن يومَ الأربعاء لسبعٍ خلَوْنَ ـ وقيل لخمسٍ بقين ، وقيل لأربعٍ ، وقيل لليلتينِ بَقِيتا ـ من شعبان من هذه السنة ، أعني سنةَ سبعٍ وثلاثين ومئة .

قال بعضُهم : كان ابتداءُ ظهورِهِ في رمضان من سنةِ تسعٍ وعشرين ومئة ، وقيل : في شعبان سنة سبعٍ وعشرين ومئة .

وزعم بعضُهم أنه قُتل ببغداد في سنةِ أربعين ؛ وهذا غلَطٌ من قائله ، فإنَّ بغدادَ لم تكُنْ بُنيت بعدُ كما ذكرَهُ الخطيب في تاريخ بغداد ، وردَّ هذا القول .

ثم إنَّ المنصور شرع في تأليف أصحابِ أبي مسلم بالأُعطية والرَّغْبَةِ والرَّهْبَةِ والولايات ، واستدعى أبا إسحاق ـ وكان من أعزِّ أصحابِ أبي مسلم ـ وكان على شرطة أبي مسلم ، وهمَّ بضَرْبِ عُنقه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، والله ما أمنتُ قطُّ إلَّا في هذا اليوم ، وما من مرَّةٍ كنتُ أدخلُ عليك إلا تحنَّطْتُ ولبستُ كفَني ، ثم كشف عن ثيابِهِ التي تَلِي جسَدَه ، فإذا هو مُحنَّطٌ وعليه أدراعُ أكفان ، فرقَّ له المنصور وأطلَقَه .

وذكر ابنُ جرير[1] أن أبا مسلم قتل في حروبه وما كان يتعاطاهُ لأجلِ دولةِ بني العباس ستَّمئةِ ألفٍ صَبْراً زيادة عن منْ قتلَ بغيرِ ذلك . وقد قال للمنصور وهو يعاتبهُ على ما كان يصنعه : يا أمير المؤمنين لا يُقال لي هذا بعد بلائي وما كان مني . فقال له : يا بن الخبيثة ، لو كانتْ أمةٌ مكانَكَ لأجزأتْ ناحيتها ، إنما عملتَ ما عملتَ بدولتِنا وبريحِنا ، ولو كان ذلك إليك لما قطعتَ فَتيلاً . ولمَّا قتله المنصور لُفَّ في كساءٍ وهو مقطَّعٌ إرْباً إرْباً ، فدخل عيسى بن موسى فقال : يا أمير المؤمنين ، أين أبو مسلم ؟ قال : قد كان هاهنا آنفاً . فقال : يا أمير المؤمنين ، قد عرفتَ طاعتَهُ ونَصِيحتَه ، ورأيَ إبراهيمَ الإمامِ فيه ! فقال له : يا أنْوَك ، والله ما أعلمُ في الأرض عدوّاً أعدَى لكَ منه ، هاهو ذاك في البِساط . فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون . فقال له المنصور : خلَعَ الله قلبَك ، وهل كان لكم مكانٌ أو سلطانٌ أو أمرٌ أو نَهْيٌ مع أبي مسلم ؟ ثم استدعى المنصورُ برؤوسِ الأُمَرَاءِ فجعل يستشيرُهم في قتلِ أبي مسلم قبلَ أنْ يعلموا بقتلِه ، فكلُّهم يُشيرُ بقتلِه ، ومنهم منْ كانَ إذا تكلَّم أسَرَّ كلامَهُ خوفاً من أبي مسلم لئلا يُنقل إليه . فلمَّا

(١) يعني الطبري في تاريخه (٤/٣٨٦ ، ٣٨٧) .

أطلعَهم على قَتْلِه أفزعهم ذلك ، وأظهروا سروراً كثيراً . ثم خطب المنصور الناس بذلك كما تقدَّم .

ثم كتب المنصورُ إلى نائبِ أبي مسلم على أموالِهِ وحواصِلِهِ بكتابٍ على لسان أبي مسلم ، أنْ يقدمَ بجميع ما عندَهُ من الحواصلِ والذخائرِ والأموالِ والجواهر . وختم الكتابَ بخاتم أبي مسلم بكمالِه مطبوعاً بكلِّ فَصِّ الخاتم ، فلما رآه الخازنُ استرابَ في الأمر ، وقد كان أبو مسلم تقدَّمَ إلى خازنِه ، أنَّهُ إذا جاءك كتابي فإنْ رأيتَهُ مختوماً بنصفِ الفَصّ فامضِ لما فيه ، فإني إنما أختمُ بنصفِ فَصِّهِ على كُتبي ، وإذا جاءك الكتابُ مختوماً عليه بكمالِهِ فلا تقبلْ ولا تُمْضِ ما فيه . فامتَنَعَ عندَ ذلك خازنُه أنْ يقبلَ ما بعثَ به المنصور ، فأرسلَ المنصورُ بعدذ لك إليه منْ أخذَ جميعَ ذلك . وقتَلَ ذلك الرجلَ الخازن .

وكتب المنصور إلى أبي داود إبراهيمَ بنِ خالد بإمْرَةِ خُراسان كما وَعَدَهُ قبلَ ذلك عوضاً عن أبي مسلم .

وفي هذه السنة خرج سنباذ يطلُبُ بدمِ أبي مسلم ، وقد كان سنباذُ هذا مجوسيّاً ، تغلَّبَ على قُومِسَ[١] وأصبهان ، ويُسمَّى بفيروز إصْبَهَبذ ، فبعث إليه أبو جعفر المنصور جيشاً هم عشرة آلاف فارس ، عليهم جَهْوَر بن مرار العِجْلي ، فالتقَوْا بين هَمَذانَ والرَّيِّ بالمفازة ، فهزم جَهْوَرُ لسنباذ ، وقتل من أصحابِهِ ستين ألفاً وسَبَى ذراريَّهُمْ ونساءَهم ، وقتل سنباذَ بعدَ ذلك ، فكانتْ أيامُهُ سبعينَ يوماً ، وأخَذَ ما كان استحوَذَ عليهِ من أموالِ أبي مسلمٍ التي كانتْ بالرَّيّ[٢] .

وخرج في هذه السنةِ أيضاً رجلٌ يُقالُ له مُلْبد بن حَرْمَلة الشيباني في ألفٍ من الخوارجِ بالجزيرة ، فجهَّزَ إليه المنصورُ جيوشاً متعدِّدةً كثيفة ، كلُّها تنفرُ منه وتنكسِر ، ثم قاتله حُميدُ بن قحطبة نائبُ الجزيرةِ فهزمَهُ مُلْبِد ، وتحصَّنَ منه حُميد في بعضِ الحُصون ، ثم صَالحَهُ حُميد بن قَحْطَبة على مئةِ ألف ، فدفعها إليه وقَبِلَها مُلْبِد وانقلعَ عنه[٣] .

وحج بالناس في هذه السنة عمُّ الخليفة إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس ، قال الواقدي : وكان نائبَ المَوْصِل ـ يعني عمَّ المنصور ـ وعلى نيابةِ الكوفةِ عيسى بن موسى ، وعلى البصرة سليمان بن علي ، وعلى الجزيرة حُميد بن قحطبة ، وعلى مصر صالح بن علي ، وعلى خراسان أبو داود إبراهيم بن خالد ، وعلى الحجاز زياد بن عبد الله . ولم يكن للناس في هذه السنة صائفةٌ لشُغلِ الخليفةِ بسنباذ وغيرِه .

---

(١) قُومِس : بالضم ثم السكون وكسر الميم وسين مهملة : هي تعريب كومس ، وهي كُورةٌ كبيرة واسعة ، تشتمل على مدنٍ وقُرىً ومزارع ، وهي في ذيلِ جبالِ طَبَرسْتان ، وأكبر ما يكون في ولاية ملكها وقصبتها المشهورة دامغان ، وهي بين الري ونيسابور . معجم البلدان (٤/ ٤١٤) .

(٢) انظر تاريخ الطبري (٤/ ٣٨٨) .

(٣) انظر تاريخ الطبري (٤/ ٣٨٨ ، ٣٨٩) .

ومن مشاهير مَنْ تُوفِّي فيها :

أبو مسلم الخراساني كما تقدَّم .

ويزيدُ بن أبي زياد ، أحدُ منْ تُكُلِّمَ فيه ، كما ذكرناهُ في التكميل . والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومئة

فيها دخل قسطنطين ملكُ الرُّوم مَلَطيَةَ عَنْوةً ، فهدَمَ سورَها ، وعَفَا عمَّنْ قدرَ عليه من مُقاتليها .

وفيه غزا الصائفة صالحُ بنُ علي ، نائبُ مصر ، فبَنى ما كان هدَمَ ملكُ الروم من سُورِ مَلَطية ، وأطلقَ لأخيهِ عيسى بنِ علي أربعين ألفَ دينار ، وكذلك أعطى لابن أخيه العباسِ بن محمد بن علي أربعين ألفَ دينار .

وفيها بايع عبدُ الله بن علي الذي كسَرَهُ أبو مسلم ، وانهزَمَ إلى البصرة ، واستجار بأخيهِ سليمان بن علي حتى بايعَ للخليفةِ في هذه السنة ورجَعَ إلى طاعَتِهِ ، ولكنْ حُبس في سجنٍ ببغداد كما سيأتي .

وفيها خَلَعَ جَهْوَرُ بن مرار العِجليُّ الخليفةَ المنصورَ بعدما كسرَ سنباذَ واستحوذَ على حواصلِه وعلى أموالِ أبي مسلم ، فقويَتْ نفسهُ بذلك ، وظنَّ أنه يقدرُ على منابذَةِ الخليفةِ بتلك الأموال ، فأرسل إليه الخليفةُ محمدَ بن الأشعث الخُزاعيَّ في جيشٍ كَثيف ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فهُزم جَهْوَر ، وقُتل عامَّةُ منْ معه ، وأُخذ ما كان معه من الأموالِ والحواصِلِ والذخائر ، ثم لَحِقُوهُ فقتلوه .

وفيها قُتل المُلْبدُ الخارجيُّ على يدَيْ خازمِ بن خُزيمة في ثمانية آلاف ، وقُتل من أصحابِ المُلْبِد ما يزيدُ على ألف ، وانهزم بقيَّتُهم .

قال الواقدي[1] : وحَجَّ بالناسِ فيها الفضلُ [بن صالح] بن علي [بن عبد الله بن عباس] ، والنوابُ فيها همُ المذكورونَ بالتي قبلَها .

وممَّن تُوفِّي فيها من الأعيان :

زيدُ بن واقد .

والعلاء بن عبد الرحمن .

وليث بن أبي سُليم في قول .

---

(١) انظر تاريخ الطبري (٤/ ٣٩١) وما يأتي بين معقوفين منه .

وفيها كانتْ خلافةُ الداخلِ من بني أمية إلى بلادِ الأندلس ؛ وهو عبدُ الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الهاشمي [قلتُ : ليس هو بهاشمي إنما هو من بني أمية ، ويُسمَّى أمويّاً][1] ، كان قد دخل إلى بلادِ المغرب [فِراراً من عبدِ الله بن علي بن عبدِ الله بن عباس] ، فاجتازَ بمَنْ معه من أصحابِه [الذين فَرُّوا معه] بقومٍ يقتتلونَ على عصبيَّةِ اليمانيةِ والمضريَّة ؛ فبعث مولاه بدراً إليهم فاستمالَهم إليه ، فبايعوه ودخل بِهم ، ففتح بلادَ الأندلس ، واستحوذَ عليها ، وانتزَعها من نائبِها يوسفَ بنِ عبدِ الرحمن بن حبيب بن أبي عُبيدة بن عُقْبَةَ بنِ نافع الفِهْرِي ، وقتله وسكن عبدُ الرحمن قُرْطُبَة ، واستمرَّ في خلافته في تلك البلاد من هذهِ السنة أعني سنةَ ثمان وثلاثين ومئة ، إلى سنة ثنتَيْنِ وسبعين ومئة ، فتوفِّي فيها ولَهُ في الملك أربعٌ وثلاثون سنةً وأشْهُرٌ ، ثم قام من بعدِهِ ولَدُه هشام ستَّ سنين وأشهراً ، ثم مات فوَلِيَ بعدَهُ الحكَمُ بن هشام ستاً وعشرين سنةً وأشهراً ، ثم مات ، ثم ولي بعده ولَدُه عبدُالرحمن بن الحكم ثلاثاً وثلاثين سنة ، ثم مات ، ثم ولي بعدَهُ محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ستّاً وعشرين سنة ، ثم ابنه المنذر بن محمد ، ثم أخوه محمد بن المنذر ، وكانت أيامُه بعد الثلاث مئة بدَهْر . ثم زَالتْ تلك الدولةُ كما سنذكرُه من زوالِ تلك السنين وأهلِها ، [وما قضَوْا من النعيمِ والعيش الرغيد ، والنساء الحسان :

ثم انقضَتْ تلك السنونُ وأهلُها] فكـأنَّهـم كـانـوا علـى ميعـادِ[2]

[ثـم أضحَـوْا كـأنَّهـم ورَقٌ جَـفَّ فـألْـوَتْ عليـهِ الصَّبـا والـدَّبُـورُ][3]

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومئة

فيها أكمل صالحُ بن علي بناءَ مَلَطْيَة ، ثم غزا الصائفةَ على طريق الحدث ، فوَغَلَ في بلادِ الروم ، وغزا معه أختاه أمُّ عيسى ولُبَابَةُ ابنتا علي ، وكانتا نذَرتا إنْ زال ملكُ بني أميَّةَ أنْ يُجاهدا في سبيلِ الله عزَّ وجلّ .

وفيها كان الفداءُ الذي حصَلَ بين المنصور وبين ملكِ الرُّوم ، فاستنقذَ بعض أسرى المسلمين ، ثم لم يكنْ للناس صائفةٌ في هذه السنةِ إلى سنةِ ستٍّ وأربعين ، وذلك لاشتغالِ المنصور بأمرِ ابني عبدِ الله بن

---

(١) ليس ما بين المعقوفين في (ب ، ح) ، وهو من (ق) .

(٢) صدر البيت من قصيدة لأبي تمام وعجزه : « فكأنها وكأنهم أحلامُ » ص(٧٢) . وعجز البيت من قصيدة للأسود بن يعفر ذكرها صاحب الأغاني (١٣/ ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣) ، وصدره فيه : « جرت الرياح على محلِّ ديارهم » .

(٣) نثر البيت في جميع النسخ وحرف ، وهو من قصيدة لعدي بن زيد العبادي ذكرها أبو الفرج في أغانيه (٢/ ١٣٩) .

حسَن ، كما سنذكره . ولكنْ ذكرَ بعضُهم أنَّ الحسن بن قَحْطَبة غزا الصائفةَ مع عبدِ الوهاب بنِ إبراهيم الإمام سنةَ أربعين ، فالله أعلم .

وفيها وسَّع المنصور المسجدَ الحرام ، وكانت هذه السنةُ خِصْبَةً جدّاً ، أي : كثيرَةَ الخِصْبِ ، فكان يُقال لها السنة الخِصْبة ، وقيل : إنما كان ذلك في سنةِ أربعين .

وفيها عزَلَ المنصورُ عمَّهُ سُليمان عن إمْرَةِ البصرة ، فاختفى عبدُ الله بن علي وأصحابهُ خوفاً على أنفسهم ، فبعث المنصورُ إلى نائبِهِ على البصرة ـ وهو سفيان بن معاوية ـ يستحثُّهُ في إحضارِ عبدِ الله بن عليٍّ إليه ، فبعثه في أصحابِهِ ، فقتَلَ بعضهم ، وسجَنَ عبدَ الله بن عليٍّ عمَّهُ ، وبعث بقيةَ أصحابه إلى أبي داود ، نائبِ خُراسان ، فقتلهم هناك .

وحَجَّ بالناس فيها العباسُ بن محمد بن علي بن عبدِ الله بن عباس .

وفيها تُوفِّي :

عمرو بن مجاهد .

ويزيد بن عبد الله بن الهاد .

ويونس بن عُبيد ، أحَدِ العُبَّاد ، وصاحبُ الحسن البصري .

ثم دخلت سنة أربعين ومئة

فيها ثار جماعةٌ من الجند على أبي داود نائبِ خُراسان ، وحاصروا دارَه ، فأشرف عليهم وجعَلَ يستغيثُ بجندِهِ ليَحْضُروا إليه ، واتَّكأ على آجُرَّةٍ في الحائط فانكسرَتْ به ، فسقط فانكسَرَ ظهرُهُ فمات ، فخَلَفَهُ على خراسان عاصمٌ صاحبُ الشُّرطة ، حتى قدِمَ الأميرُ من جهةِ الخليفةِ عليها ، وهو عبدُ الجبار بن عبدِ الرحمن الأزْدي ، فتسلَّمَ بلادَ خُراسان ، وقتَلَ جماعةً من الأمراء ، لأنه بلغَهُ عنهم أنهم يدعون إلى خلافةِ آلِ عليٍّ بن أبي طالب ، وحبَسَ آخرين ، وأخذ نُوَّابَ أبي داود بِجبايةِ الأموالِ المنكسرةِ عندَهم .

وفيها حَجَّ بالناس الخليفةُ المنصور ، أحرَمَ من الحِيرة ، ورَجَعَ بعدَ انقضاءِ الحج إلى المدينة ، ثم رَحَلَ إلى بيتِ المقدِس ، فزارَهُ ثم سلك الشام إلى الرَّقة ، ثم سار إلى الهاشمية ، هاشميةِ الكوفة ، ونُوَّابُ الأقاليم همُ المذكورون في التي قبلَها سوى خراسان ، فإنه مات نائبُها أبو داود ، فخلَفَهُ مكانَهُ عبدُ الجبار الأزْدي .

وفيها تُوفِّي :

داودُ بن أبي هِنْد .

وأبو حازم سلمَةُ بن دِينار .

وسُهيل بنُ أبي صالح .

وعُمَارة بن غَزِيَّة .

وعمرو بن قيس السَّكُونيّ .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومئة

فيها خرجَتْ طائفةٌ يُقال لها الرَّاوَنْدِيَّة على المنصور .

ذكَرَ ابنُ جَرِير[١] عن المدائني أنَّ أصلَهُمْ من خُراسان ، وهم على رأي[٢] أبي مسلم ، كانوا يقولونَ بالتناسُخ ، ويَزْعُمون أنَّ رُوح آدَمَ انتقلَتْ إلى عثمان بن نَهِيك ، وأنَّ رَبَّهم الذي يُطعمهم ويسقيهم أبو جعفر المنصور ، وأنَّ الهيثم بن معاوية جبريل . قبَّحهم الله .

قال ابنُ جرير[٣] : فأتَوْا يوماً قصرَ المنصور ، قد جعلوا يطوفونَ به ويقولون : هذا قصرُ رَبِّنا ، فأرسل المنصورُ إلى رؤسائهم ، فحبس منهم مئتين ، فغَضِبوا من ذلك وقالوا : علامَ تحبسُهم ؟ ثم عمدوا إلى نَعْشٍ فحملوهُ على كواهِلِهم ، وليس عليه أحد ، واجتمعوا حَوْلَه ، كأنَّهم يشيِّعون جنازةً ، واجتازُوا ببابِ السِّجْن ، فألقَوُا النعشَ ودخلوا السجنَ قَهْراً ، واستخرجوا مَنْ فيهِ من أصحابِهم ، وقصدوا نحو المنصور ، وهم في ست مئة ، فتنادَى الناسُ وغُلِّقَتْ أبوابُ البلد ، وخرج المنصور من القصر ماشياً ، لأنه لم يَجِدْ دابةً يركبها ، ثم جيء بدابَّة فركبها ، وقصد نحو الراوندِيَّة ، وجاء الناسُ من كلِّ ناحية ، وجاء معنُ بن زائدة ، فلما رأى المنصورَ ترجَّلَ وأخَذَ بلِجَام دابَّةِ المنصورِ وقال : يا أميرَ المؤمنين ، ارجِعْ نحنُ نَكْفيكَهم ، فأبَى ، وقامَ أهلُ الأسواقِ إليهم فقاتلوهم ، وجاءتِ الجيوش ، فالتفُّوا عليهم من كلِّ ناحية ، فحصدوهم عن آخرِهم ، ولم يبقَ منهم بقيَّة ، وجرحوا عثمانَ بن نَهيك بسهمٍ بين كتفَيْه ، فمرض أياماً ثم مات ، فصلَّى عليه الخليفة ، وقام على قبرِه حتى دُفن ، ودَعَا له ، وولَّى أخاه عيسى بن نَهِيك على الحرس ، وكان ذلك كُلُّه بالمدينة الهاشميةِ بالكوفة ، ولَمَّا فرغ المنصورُ من قتال الرَّاوَنْدِيَّةِ ذلك اليوم صلَّى بالناسِ الظُّهر في آخرِ وقتِها ، ثم أُتِيَ بالطعام فقال : أين مَعْنُ بن زائدة ؟ وأمسك عن الطعام حتى جاء مَعْن ، فأجلسَهُ إلى جَنْبِه ، ثم أخَذَ في شُكْرِهِ لِمَنْ بِحَضرته ، لمَا رأى من شهامتِهِ يومئذٍ ، فقال مَعْن :

---

(١) هو الطبري في تاريخه (٤/ ٣٩٥) .

(٢) في(ب ، ح) : « على دين أبي مسلم » .

(٣) هو الطبري في تاريخه (٤/ ٣٩٥) .

والله يا أميرَ المؤمنين ، لقد جئتُ وإني لوَجِل ، فلمَّا رأيتُ استهانتَكَ بِهِمْ وإقدامَك عليهم قَوِيَ قَلْبي واطمأنّ ، وما ظننتُ أنَّ أحداً يكونُ في الحَرْب هكذا ، فذاك الذي شجَّعني يا أمير المؤمنين ، فأمر له المنصور بعشرةِ آلاف ، ورضي عنه ، وولاَّهُ اليمن ، وكان مَعْنُ بن زائدةَ قبلَ ذلك متخفياً ، لأنَّهُ قاتَلَ المسوِّدَةَ مع ابنِ هُبيرة ، فلم يظهروا إلَّا في هذا اليوم ، فلمَّا رأى الخليفةُ صِدْقَهُ في قتالِه رضي عنه .

ويُقال : إن المنصور قالَ عن نفسِه : أخطأتُ في ثلاث : قتلتُ أبا مسلم وأنا في جماعةٍ قليلة ، وحين خرجتُ من الشام ، ولو اختلف سيفان بالعراق لذهبَتِ الخلافة ، ويوم الراوَنْدِيَّة ، لو أصابني سَهْمٌ غَرْبٌ لذهبْتُ ضَيَاعاً . وهذا من حَزْمِهِ وصرامَتِه .

وفي هذه السنة ولَّى المنصورُ ابنَهُ محمداً العَهْدَ من بعدِه ، ودعاهُ بالمَهْدِيّ ، وولاَّهُ بلادَ خُراسان ، وعزَلَ عنها عبدَ الجبار بن عبد الرحمن ، وذلك أنه قتَلَ خَلْقاً من شيعةِ الخليفة ، فشكاهُ المنصورُ إلى أبي أيوب كاتبِ الرسائل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أكتُبْ إليه لِيَبْعَثْ جيشاً كَثِيفاً من خُراسان إلى غَزْوِ الـروم ، فإذا خرجوا بعثتَ إليه مَنْ شئتَ فأخرجوه من بلادِ خراسانَ ذَلِيلاً . فكتب إليه المنصورُ بذلك ، فردَّ الجوابَ بأنَّ بلادَ خراسان قد عاثَتْ بِهَا الأتراك ، ومتى خرَجَ منها جيشٌ خِيفَ عليها ، وفسَدَ أمرُها . فقال المنصور لأبي أيوب : ماذا ترى ؟ قال : فاكتُبْ إليه : إنَّ بلادَ خراسان أحَقُّ بالمَدَدِ لثغورِ المسلمين من غيرِها ، وقد جهَّزْتُ إليك الجنود ، فكتب إليه أيضاً : إنَّ بلادَ خُراسان ضيقَةٌ في هذا العامِ أقواتُها ، ومتى دخلها جيشٌ أفسدَها . فقال الخليفةُ لأبي أيوب : ماذا تقول ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا رجلٌ قد أبدَى صفحتَه وخُلع ، فلا تُناظِرْه . فحينئذٍ بعث المنصورُ ابنَهُ محمداً المهديَّ لِيُقيمَ بالرَّيّ . فبعث المهديُّ بين يديه خازمَ بن خُزَيمة ، مقدمةً إلى عبدِ الجبار ، فما زال به يَخْدَعُهُ ومَنْ معه حتى هرَبَ مَنْ معه ، وأخذوهُ هو ، فأركبوه بعيراً محوَّلاً وجهُهُ إلى ناحيةِ ذَنَبِ البعير ، وسَيَّروهُ كذلك في البلاد ، حتى أقدموه على المنصور ، ومعه ابنُه وجماعةٌ من أهلِه ، فضَرَبَ المنصورُ عُنقَه ، وسيَّرَ ابنَهُ ومَنْ معه إلى جزيرةٍ في طرَفِ اليمن ، فأسرَتْهُمُ الهنودُ بعدَ ذلك ، ثم فُودي بعضُهم بعدَ ذلك ، واستقرَّ المهديُّ نائباً على خراسان ، وأمرَهُ أبوهُ أنْ يَغْزُوَ طَبَرِسْتان ، وأنْ يُحاربَ الإصْبَهْبَذ بِمَنْ معه من الجنود ، وأمدَّهُ بجيشٍ عليهم عمر بن العلاء ، وكان من أعلمِ الناس بِحَرْبِ طَبَرِسْتان ، وهو الذي يقول فيه الشاعر :

فقـلْ للخليفـة إن جئتَـهُ ... نَصِيحاً ولا خيرَ في المتَّهَمْ
إذا أيقَظَتْكَ حُروبُ العِدَا ... فَنَبِّـهْ لَهَـا عُمَـراً ثُـمَّ نَـمْ
فَتـىً لاينـامُ علـى دِمْنَـةٍ ... ولا يشرَبُ الماءَ إلا بِدَمْ[1]

(١) الشاعر بشار بن برد ، والأبيات من قصيدة في ديوانه ص(٥٨٨) ، وتاريخ الطبري (٤/ ٣٩٨) .

فلما تواقفتِ الجيوش على طَبَرِسْتانَ فتحوها ، وحصروا الأصبَهْبَذ حتى ألجؤوهُ إلى قلعتِه ، فصالَحَهم على ما فيها من ذخائر .

وكتب المهديُّ إلى أبيه بذلك ، ودخل الأصبهبَذُ بلادَ الدَّيْلَم ، فمات هناك ، وكسروا أيضاً ملكَ التُّرك الذي يُقال له المَصْمَغان ، وأسَرُوا أُمَماً من الذَّرارِي ، فهذا فتحُ طَبَرِسْتانَ الأول .

وفيها فرغ بناء المصيصة على يَدَيْ جبريلَ بنِ يحيى الخراساني ، وفيها رابَطَ محمدُ بن إبراهيم الإمام ببلادِ مَلَطْيَة .

وفيها عزَلَ المنصورُ زيادَ بن عبيد الله عن إمرةِ الحجاز ، وولَّى المدينةَ محمد بن خالد القَسْري ، وقَدِمَها في رجب . وولَّى مكةَ والطائف الهيثم بن معاوية العَكّيّ ، وفيها تُوفِّي موسى بن كعب ، وهو على شُرْطةِ المنصور ، وعلى مصر مَنْ كان عليها في السنةِ الماضية ، ثم ولَّى مصر محمد بن الأشعث ، ثم عزله عنها وولَّى نَوْفلَ بن الفرات .

وحجَّ بالناس فيها صالحُ بنُ علي ، وهو نائبُ قِنَّسْرِينَ وحِمْصَ ودمشق ، وبقيةُ البلاد عليها مَنْ ذكَرْنا في التي قبلَها ، والله أعلم .

وفيها تُوفِّي :

أبانُ بن تَغْلب .

وموسى بن عُقْبَة صاحبُ المغازي .

وأبو إسحاق الشَّيباني في قول ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين ومئة

فيها خلَعَ عُيَينةُ بن موسى بنِ كعب نائبُ السِّنْد الخليفة ، فجهَّزَ إليه العساكر صُحبةَ عمرَ بنِ حفص بن أبي صُفْرَة ، وولَّاهُ السِّنْد والهِنْد ، فحاربه عمر بنُ حفص وقهَرَهُ على الأرض ، وتسلَّمها منه .

وفيها نكَثَ أصبَهْبَذُ طَبَرِسْتانَ العَهْدَ الذي كان بينَهُ وبين المسلمين ، وقتل طائفةً مِمَّنْ كان بطَبَرِسْتان ، فجهَّز إليه الخليفةُ الجيوش صُحبةَ خازم بن خُزيمة ، ورَوْح بن حاتم ، ومعهم مَرْزوق أبو الخَصِيب مولى المنصور ، فحاصروهُ مُدَّةً طويلة ، فلما أعياهُمْ فَتْحُ الحِصْنِ الذي هو فيه احتالوا عليه ، وذلك أنَّ أبا الخَصِيب قال : اضرِبُوني واحلِقُوا رأسِي ولِحْيتي ، فذهب إليه كأنَّهُ مُغاضِبٌ للمسلمين ، قد ضربوه وحَلَقوا لِحيَتَه ، فدخل الحِصْنَ ، ففرِحَ به الأصْبَهْبَذ ، وأكرَمَهُ وقرَّبه ، وجعل أبو الخَصِيب يُظْهِرُ له النُّصْحَ والخِدْمة حتى خدَعَهُ وحظي عندَه جِداً ، وجعله من جُملةِ مَنْ يتولَّى فتحَ الحِصْنِ وغَلْقَه ، فلمَّا تمكَّن من

ذلك كاتَبَ المسلمين وأعلَمَهم أنه الليلةَ الفلانية في حرَسِه ، فاقتربُوا من الباب حتى أفتحَهُ لكم . فلما كانتْ تلك الليلة فتَحَ لهم بابَ الحصن ، فدخلوا فقتلوا مَنْ فيهِ من المقاتِلة ، وسبَوْا الذُّرِّيَّة ، وامتصَّ الأصْبَهْبَذُ خاتماً مسموماً فمات . وكان فيمن أَسِروا يومئذٍ أُمُّ منصورِ بن المهدي ، وأُمُّ إبراهيم بن المهدي ، وكانتا من بناتِ الملوك الحِسَان .

وفيها بَنَى المنصورُ لأهلِ البَصرةِ قبلتَهم التي يُصلُّون عندها بالجَبَّان ، وتولى بناءها سَلَمَةُ بن سعيد بنِ جابر نائبُ الفرات والأُبُلَّة . وصام المنصورُ شهر رمضانَ بالبصرة ، وصلَّى بالناسِ العِيدَ في ذلك المصلَّى .

وفيها عزَلَ المنصور نوفلَ بن الفُرَات عن إمْرَةِ مصر ، وولَّى عليها حُميدَ بن قَحْطَبة ، وحجَّ بالناسِ فيها إسماعيلُ بن علي .

وفيها تُوفي :

سليمانُ بن علي بن عبدِ الله بن عباس[١] : عَمُّ الخليفة ، ونائبُ البصرة ، كان ذلك يومَ السبت لسبعٍ بَقِينَ من جُمَادَى الآخرة وهو ابنُ تسعٍ وخمسين سنة ، وصلى عليه أخوهُ عبدُ الصمَد ، ورَوَى عن أبيه وعكرمة ، وأبي بُرْدَةَ بنِ أبي موسى . وعنه جماعةٌ منهم بنوهُ جعفر ، ومحمد ، وزينب ، والأصمعي .

وكان قد شاب وهو ابنُ عشرين سنة ، وخضب لحيته من الشيب في ذلك السن . وكان كريماً جواداً مُمَدَّحاً ، وكان يُعتِقُ عشيةَ عرفة في كلِّ سنة مئةَ نسمة ، وبلغتْ صِلاتُهُ لبني هاشم وسائرِ قريش والأنصار خمسةَ آلافِ ألف . واطَّلعَ يوماً من قصره ، فرأى نسوةً يَغْزِلْنَ في دارٍ من دورِ البصرة ، فاتفق في نظرِهِ إليهنَّ أنْ قالَتْ واحدةٌ منهنّ : لو أنَّ الأمير نظَرَ إلينا واطَّلع على حالِنا فأغنانا عن الغَزْل . فنهض من فوره ، فجعل يدورُ في قصره ، ويجمَعُ من حُلِيِّ نسائهِ من الذهبِ والجواهر وغيرِها ما ملأ به مِنْديلاً كبيراً ، ثم دَلَّاهُ إليهنَّ ونثَرَ عليهنَّ من الدنانير والدراهمِ شيئاً كثيراً ، فماتَتْ إحداهنَّ من شدَّةِ الفرَح ، فأعطَى دِيَتَها ، وما تركَتْهُ من ذلك لورَثَتِها .

وقد ولِيَ الحجَّ في أيامِ السفَّاح ، ووَلِيَ البصرةَ أيامَ المنصور ، وكان من خِيَارِ بني العباس ، وهو أخو إسماعيل ، وداودَ وصالحٍ وعبدِ الصمد وعبدِ الله وعيسى ومحمد ، وهو عَمُّ السفَّاحِ والمنصور .

---

(١) ترجمته في : طبقات ابن سعد(القسم المتمم) ص(٢٤٦) ، التاريخ الكبير (٤/ ٢٥) ، الكنى والأسماء لمسلم (١/ ٦٩) ، تهذيب الكمال (١٢/ ٤٤) ، الكاشف (١/ ٤٦٢) ، سير أعلام النبلاء (٦/ ١٦٢) ، تقريب التهذيب (٢٥٣) .

ومِمن تُوفِّي فيها من الأعيان :

خالدٌ الحذَّاء .

وعاصمٌ الأحول .

وعمرو بن عُبيد القَدَريُّ في قول ، وهو : عمرو بن عُبيد بن باب[١] ويُقال : ابن كيسان التميمي ، مولاهم ، أبو عثمان البصري ، من أبناءِ فارِس ، شيخ القَدَرِيَّة والمعتزلة . روى الحديث عن الحسن البصري ، وعبيد الله بن أنس ، وأبي قِلابة . وعنه الحمَّادان ، وسفيان بن عُيينة ، والأعمش ـ وكان من أقرانه ـ وعبدُ الوارث بن سعيد ، وهارون بن موسى ، ويحيى القطَّان ، ويَزِيد بن زُرَيع .

قال الإمام أحمد بن حنبل[٢] : ليس بأهلٍ أن يُحدَّث عنه .

وقال علي بن المديني ويحيى بن معين : ليس بشيء . وزاد ابنُ مَعِين : وكان رجلَ سَوْء ، وكان من الدَّهْرِيَّة الذين يقولون : إنما الناس مثلُ الزَّرْع[٣] .

وقال الفلاَّس : متروك ، صاحبُ بِدْعَة ، كان يحيى القطَّان يحدِّثنا عنه ثم تركه . وكان ابنُ مهدي لا يحدِّث عنه . وقال أبو حاتم : متروك . وقال النسائي : ليس بثقة . وقال شعبة عن يونس بن عبيد : كان عمرو بن عُبيد يكذِبُ في الحديث . وقال حماد بن سلمة : قال لي حُميد : لا تأخُذْ عنه ، فإنه كان يكذِبُ على الحسَنِ البصري . وكذا قال أيوب وعوف وابنُ عَوْن . وقال أيوب : ما كنتُ أعدُّ لهُ عَقْلاً . وقال مطر الورَّاق : والله لا أُصدِّقُه في شيء . وقال ابنُ المبارك : إنما تركوا حديثه لأنه كان يدعو إلى القَدَر .

وقد ضعَّفه غيرُ واحدٍ من أئمة الجرح والتعديل ، وأثنى عليه آخرون في عبادته وزُهدِهِ وتقشُّفه . قال الحسن البصري : هذا سيدُ شبابِ القُرَّاء ما لم يُحدِث . قالوا فأحدثَ والله أشدَّ الحدَث .

وقال ابن حبّان[٤] : كان من أهلِ الورع والعبادةِ إلى أن أحدَثَ ما أحدث ، واعتزَلَ مجلسَ الحسَن هو

---

(١) ترجمته في التاريخ الكبير للبخاري (٦/٣٥٢) ، الضعفاء الصغير له ص(٨٥) ، الكنى والأسماء لمسلم (١/٥٤٧) ، الضعفاء والمتروكين للنسائي ص(٧٩) ، الجرح والتعديل (٦/٢٤٦) ، الكامل لابن عدي (٥/٩٦) ، الضعفاء للعقيلي (٣/٢٧٧) ، الضعفاء لأبي نعيم ص(١١٨) ، الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (٢/٢٢٩) ، تهذيب الكمال (٢٢/١٢٣) ، المقتنى في سرد الكنى للذهبي (١/ ٣٩٠) ، سير أعلام النبلاء (٦/ ١٠٤) ، ميزان الاعتدال (٥/ ٣٢٩) لسان الميزان (٧/ ٣٢٦) .

(٢) في كتابه بحر الدم ص(٣٢١) .

(٣) انظر المجروحين لأبي حاتم بن حبان البستي (٢/ ٧٠) .

(٤) في المجروحين (٢/ ٦٩) .

وجماعةٌ معه ، فسُمُّوا المعتزلة ، وكان يشتُمُ الصحابةَ ويكذِبُ في الحديث وَهْماً لا تعمُّداً .

وقد رُوي عنه أنه قال : إنْ كانتْ ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ ﴾ [المسد : ١] في اللَّوح المحفوظ فما تُعَدُّ منه على ابنِ آدمَ حُجَّةٌ[١] .

ورُوي له حديثُ ابنِ مسعود : حدثنا الصادق المصدوق « إنَّ خَلْقَ أحَدِكم يُجمَعُ في بطنِ أُمِّه أربعين يوماً » حتى قال : « فيؤمر بأربعِ كلماتٍ رزقِهِ وأجَلِهِ وعمَلِهِ وشقيٌّ أمْ سعيد »[٢] إلى آخره ، فقال : لو سمعتُ الأعمش يرويه لكذَّبتُه ، ولو سمعتُه من زيد بنِ وَهْب لما أحببتُه ، ولو سمعتُه من ابنِ مسعود لما قَبِلْتُه ، ولو سمعتُه من رسول الله ﷺ لردَدْتُه ، ولو سمعتُ الله يقولُ هذا لقلتُ ما على هذا أخذتَ علينا الميثاق . وهذا أقبحُ من الكفر ، لعنه الله إنْ كان قال هذا ، وإذا كان مكذوباً عليه فعلى مَنْ كذَبَهُ عليه ما يستحقُّه .

وقد قال عبدُ الله بن المبارك رحمه الله :

أيهـا الطـالـبُ علمـاً ... إيـتِ حَمَّـادَ بـنَ زَيْـد
فخُـذِ العلـمَ بِحِلْـم ... ثُـمَّ قَيِّـدْهُ بِقَيْـدِ
وذَرِ[٣] البِـدْعَـةَ مِـنْ آ ... ثـارِ عَمْـرِو بـن عُبَيْـدِ[٤]

وقال ابنُ عدي[٥] : كان عمرٌو يغرُّ الناس بتقشُّفِهِ ، وهو مذمومٌ ضعيفُ الحديثِ جدّاً ، مُعْلِنٌ بالبِدَع .

وقال الدارَقُطْني : ضعيف الحديث . وقال الخطيب البغدادي[٦] : جالس الحسن واشتهرَ بصُحْبَتِه ، ثم أزالَهُ واصلُ بنُ عطاء عن مذهبِ أهلِ السُّنَّة ، وقال بالقَدَر ودَعَا إليه ، واعتزَلَ أصحابَ الحديث ، وكان له سمت[٧] وإظهار زُهْد .

---

(١) المصدر السابق .
(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٢٧١٣) (٧٠١٦) باب ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، وأحمد في مسنده (١/ ٣٨٢) ، وابن ماجه في سننه (١/ ٢٩)(٧٦) في باب : في القدر .
(٣) في (ح) : « واردد البدعة » ، والمثبت من (ب) ومصادر التخريج .
(٤) الأبيات الثلاثة في الكامل لابن عدي (٥/ ١٠٠) ، وحلية الأولياء (٦/ ٢٥٨) ورواية البيت الثالث فيه :
لا كثـــور وكجهـــم ... وكعمـــرو بـــن عُبيـــدِ
والأول والثاني في التاريخ الكبير للبخاري (٣/ ٢٥) ، والجرح والتعديل (١/ ١٧٩) ، والمعجم الأوسط (٣/ ٣٨٠)(٣٤٥٥) وتاريخ بغداد (٦/ ٢٩) .
(٥) في كتابه الكامل في ضعفاء الرجال (٥/ ١١٠) .
(٦) في تاريخ بغداد (١٢/ ١٦٦) .
(٧) في تاريخ بغداد « سمعة » .

وقد قيل : إنه وواصل بن عطاء ولدا سنة ثمانين . وحكى البخاري[١] أن عَمْراً مات سنة ثنتين أو ثلاثٍ وأربعين ومئة بطريق مكة .

وقد كان عمرو مَحْظِيّاً عند أبي جعفر المنصور ، كان المنصورُ يُحبُّه ويعظِّمه لأنه كان يَفِدُ على المنصور مع القرَّاء فيعطيهم المنصور فيأخذون ، ولا يأخذُ عمرٌو منه شيئاً ، وكان يسألُهُ أنْ يقبلَ كما يقبَلُ أصحابهُ فلا يقبَلُ منه ، فكان ذلك مما يغُرُّ المنصور ويروج به عليه حالُه ، لأنَّ المنصورَ كان بخيلاً ، وكان يُعجِبُهُ ذلك منه ويُنشد :

كلُّكُـمْ يَمْشِـي رُويْـدْ كلُّكُـمْ يَطلُـبُ صَيْـدْ
غيرَ عمرِو بنِ عُبَيْدْ[٢]

ولو تبصَّرَ المنصور لعلم أنَّ كلَّ واحدٍ من أولئك القراء خيرٌ من مِلْءِ الأرض مثل عمرو بن عبيد ، والزُّهد لا يدلُّ على صلاح ، فإنَّ بعضَ الرُّهبان قد يكونُ عنده من الزُّهد ما لا يُطِيقُهُ عمرو . ولا كثيرٌ من المسلمين في زمانه .

وقد روَيْنا عن إسماعيل بن خالد القَعْنَبي ، قال : رأيتُ الحسنَ بن جعفر في المنام بعدَما مات بعَبَّادان فقال لي : أيوب ويونس وابن عَوْن في الجنة . قلتُ : فعمرو بن عُبيد ؟ قال : في النار . ثم رآه مرَّةً ثانية ـ ويُروى ثالثة ـ فيسأله فيقول له مثلَ ذلك ، وقد رُئيت له منامات قَبِيحة ، وقد أطال شيخُنا في تهذيبه في ترجمَتِهِ[٣] ولَخَّصنا حاصلَها في كتاب « التكميل » وإنما أشَرْنا هاهنا إلى نُبْذَةٍ من حالِهِ ليُعرَف فلا يُغْتَرّ به . والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومئة

فيها ندب المنصورُ الناسَ إلى غَزْوِ الدَّيْلَم لأنَّهم قتلوا من المسلمين خلقاً ، وأمر أهلَ الكوفة والبصرة مَنْ كان منهم يقدِرُ على عشرةِ آلافٍ فصاعداً فَلْيَذْهَبْ مع الجيش إلى الدَّيْلَم ، فانتدب خلقٌ كثير ، وجَمٌّ غَفِيرٌ لذلك .

وحجَّ بالناس فيها عيسى بن موسى نائبُ الكوفة وأعمالِها .

---

(١) في التاريخ الكبير (٦/ ٣٥٢) .
(٢) ذكر الأبيات الخطيب في تاريخ بغداد (١٢/ ١٦٨) ، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٦/ ١٠٥) .
(٣) انظر تهذيب الكمال (٢٢/ ١٣٣) .

وفيها تُوفِّي :

حجَّاجُ الصواف .

وحُميد بن زاذويه الطويل .

وسليمان بن طرخان التميمي ـ وقد ذكرناهُ في التي قبلَها ـ

وعمرو بن عُبيد في قول .

وليث بن أبي سُليم على الصحيح ،

ويحيى بن سعيد الأنصاري .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومئة

فيها سار محمد بن أبي العباس السفَّاح عن أمرِ عمِّه المنصور إلى بلاد الدَّيلم ، ومعه الجيوشُ من الكوفةِ والبصرةِ وواسط والموصل والجزيرة .

وفيها قدم محمد بن جعفر المنصور المهدي على أبيه من بلادِ خُراسان ، ودخل بابنةِ عَمِّهِ رائطة بنتِ السفَّاح بالحِيرَة .

وفيها حَجَّ بالناس أبو جعفر المنصور ، واستخلف على الحِيرة والعسكر خازمَ بن خُزيمة ، وولَّى رباح بن عثمان الْمُرِّي المدينة ، وعزَلَ عنها محمدَ بن خالد القَسْري ، وتلقَّى الناسُ أبا جعفرِ المنصور إلى أثناء طريقِ مكة في حَجِّهِ في سنة أربعٍ وأربعين ومئة ؛ وكان من جُملة من تلقَّاه عبدُ الله بن حسن بن حسن بن عليِّ بن أبي طالب ، فأجلسه المنصورُ معه على السِّمَاط ، ثم جعل يُحادثهُ بإقبالٍ زائد ، بحيثُ إنَّ المنصور اشتغلَ بذلك عن عامَّةِ غَدَائه ، وسأله عن ابنَيْهِ إبراهيم ومحمد : لِمَ لا جاآني مع الناس ؟ فحلَفَ عبدُ الله بن حسن أنه لا يدري أين صارا من أرض الله ؟ وصدق في ذلك ، وما ذاك إلا أن محمد بن عبد الله بن حسن كان قد بايَعَهُ جماعةٌ من أهلِ الحجاز في أواخرِ دولةِ مروانَ الحمار بالخلافةِ وخَلْعِ مروان ، وكان في جُمْلة منْ بايَعَهُ على ذلك أبو جعفر المنصور ، وذلك قبلَ تحويلِ الدولةِ إلى بني العباس ، فلما صارتِ الخلافةُ إلى أبي جعفر المنصور خاف محمدُ بن عبدِ الله بن الحسن وأخوه إبراهيم منهُ خوفاً شديداً ؛ وذلك لأنَّ المنصور توهَّمَ منهما أنهما لا بدَّ أنْ يخرجا عليه كما أرادا أنْ يخرُجا على مروان ؛ والذي توَهَّم منه المنصورُ وقع فيه ؛ فذهبا هرَباً في البلاد الشاسعة ، فصارا إلى اليمن ثم سارا إلى الهند فاختفيا بها ، فدلَّ على مكانِهما الحسنُ بن زيد ، فهرَبَا إلى موضعٍ آخر ، فاستدلَّ عليهِ الحسنُ بن زيد ودَلَّ عليهما ، وانتصَبَ إلْباً عليهما عندَ المنصور ؛ والعجب منه أنه من أتباعِهما ! واجتهد المنصورُ بكل

طريقٍ على تحصيلِهما فلم يَتَّفِقْ له ذلك وإلى الآن ؛ فلما سأل أباهما عنهما حلَفَ أنه لا يَدْري أين صارا من أرضِ الله ، ثم أَلَحَّ المنصورُ على عبدِ الله في طلَبِ ولدَيْه ، فغضب عبدُ الله من ذلك وقال : واللهِ لو كانا تحتَ قدمي ما دلَلْتُكَ عليهما . فغضب المنصورُ وأمر بسَجْنِه ، وأمَرَ ببيعِ رقيقِهِ وأموالِه ، فلبث في السجنِ ثلاثَ سنين ، وأشاروا على المنصور بحَبْس بني حسن عن آخرِهم ، فحبسهم وجدَّ في طلب إبراهيمَ ومحمدٍ جدّاً ، هذا وهما يحضرانِ الحجَّ في غالب السنين ، ويَكْمُنانِ في المدينةِ في غالبِ الأوقات ولا يَشْعُرُ بهما من يَنِمُّ عليهما ولله الحمد ؛ والمنصور يعزلُ نائباً عن المدينة ويُوَلِّي عليها غيرَه ، ويُحرِّضُهُ على إمساكِهما والفَحْصِ عنهما ، وبَذْلِ الأموالِ في طلَبِهما ، وتُعْجزُهُ المقاديرُ عنهما لمَا يُريدُهُ اللهُ عزَّ وجلَّ .

وقد واطأهما على أمرِهما أميرٌ من أمراءِ المنصور يُقالُ له أبو العساكر خالدُ بن حسان ، فعزموا في بعضِ الحجَّاتِ على الفتكِ بالمنصور بين الصَّفَا والمَرْوَة ، فنهاهُمْ عبدُ الله بن حسن لِشَرَفِ البُقْعة ، وقد اطَّلَعَ المنصورُ على ذلك ، وعلم بما مالأهما ذلك الأمير ، فعذَّبه حتى أقرَّ بما كانوا تمالؤوا عليه من الفَتْكِ به ، فقال : وما الذي صرَفَكُمْ عن ذلك ؟ فقال : عبدُ الله بن حسن نهانا عن ذلك ، فأمر به الخليفةُ فغُيِّبَ في الأرض ، فلم يَظْهَر حتى الآن . وقد استشار المنصور منْ يَعْلَم من أمرائِهِ ووزرائه من ذوي الرأي في أمرِ ابني عبدِ الله بن حسن ؛ وبعث الجواسيس والقُصَّادَ في البلاد ، فلم يقَعْ لَهُما على خبر ، ولا ظهر لهما على عَيْنٍ ولا أثر ، ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ ﴾ [يوسف : ٢١] ، وقد جاء محمدُ بن عبد الله بن حسن إلى أمِّه فقال : يا أُمَّه ، إني قد شَفِقْتُ على أبي وعُمومتي ، ولقد هممتُ أن أضعَ يدي في يد هؤلاء لأريحَ أهلي ، فذهبَتْ أمُّه إلى السجن ، فعرضَتْ عليهم ما قال ابنُها ، فقالوا : لا ولا كرامة ، بل نصبِرُ على أمرِه ، فلعلَّ الله يفتَحُ على يديه خيراً ، ونحن نصبِرُ وفرَجُنا بيدِ الله ، إنْ شاء فرَّجَ عنَّا وإنْ شاء ضيَّق وتمالؤوا كلُّهم على ذلك رحمهم الله .

وفيها نُقل آلُ حسنٍ من حَبْسِ المدينة إلى حَبْسٍ بالعراق وفي أرجُلِهمُ القيود ، وفي أعناقِهم الأغلال ، وكان ابتداءُ تقييدِهم من الرَّبَذَة بأمرِ أبي جعفر المنصور ، وقد أشخَصَ معهم محمدَ بنَ عبدِ الله العثماني ـ وكان أخا عبدِ الله بن حسن لأمِّه ـ وكانتِ ابنتُه تحتَ إبراهيمَ بنِ عبدِ الله بن حسن ، وقد حملَتْ قريباً ، فاستحضرَهُ الخليفةُ وقال : قد حلفتَ بالعتاقِ والطلاق إنك لم تغشَّني وهذه ابنتُك حامل ، فإنْ كان من زوجِها فقد حَبِلَتْ منهُ وأنتَ تعلمُ به ، وإنْ كان من غيرِه فأنتَ ديُّوث . فأجابه العثمانيُّ بجوابٍ أحفَظَهُ به ، فأمر به فجُرِّدتْ عنه ثيابُه ، فإذا جسمُهُ مثلُ الفضَّةِ النقيَّة ثم ضرَبَهُ بين يديهِ مئةً وخمسين سَوْطاً ، منها ثلاثونَ فوق رأسِه أصابَ أحدُها عينَهُ فسالَتْ ، ثم ردَّهُ إلى السجن ، وقد بقيَ كأنه عبدٌ أسود من زُرْقَةِ الضَّرْبِ وتراكُمِ الدِّماءِ فوقَ جِلْدِه ، فأُجلس إلى جانبِ أخيهِ لأُمِّه عبدِ الله بن حسن ، فاستسقى ماءً ، فما جَسَرَ أحدٌ أنْ يَسْقيَهُ حتى سقاهُ خُراسانيٌّ من جملةِ الجلاوزة الموكَّلين بهم .

ثم ركب المنصورُ هوْدَجَهُ وأركبوا أولئك في مَحَامِلَ ضيِّقة وعليهمُ القيودُ والأغلال ، فاجتاز بهم

المنصورُ وهو في هَوْدَجه ، فناداهُ عبدُ الله بن حسن : والله يا أبا جعفر ما هكذا صنَعْنا بأسراكُمْ يومَ بَدْر ! فأخسأ ذلك المنصور ، وثَقُلَ عليه ، ونفرَ عنهم . ولما انتهَوْا إلى العراق حُبسوا بالهاشمية . وكان فيهم محمدُ بن إبراهيم بن عبدِ الله بن حسن ، وكان جميلاً فتيّاً ، فكان الناس يذهبون لينظروا إلى حُسنهِ وجَمَالِه ، وكان يُقال له الدِّيباج الأصفر ، فأحضرَهُ المنصورُ بين يديه وقال له : أما لأقتلَنَّكَ قتلةً ما قتلتُها أحداً . ثم ألقاهُ بين أسْطُوانتَيْن ، وسدَّ عليه حتى مات . فعلى المنصورِ ما يَسْتَحِقُّهُ من عذابِ الله ولعنتِه .

وقد هَلَكَ كثيرٌ منهم في السجن ، حتى فرَّجَ عنهم بعدَ هلاكِ المنصور على ما سنذكُرُه . فكان فيمن هلَكَ في السجن عبدُ الله بن حسن بن حسن بن عليٍّ بن أبي طالب ؛ وقد قيل : والأظهَرُ أنَّهُ قُتل صبراً ، وأخوهُ إبراهيمُ بن الحسن وغيرُهما ؛ وقلَّ منْ خرَجَ منهم من الحَبْس ؛ وقد جعلَهُمُ المنصورُ في سجنٍ لا يسمعون فيه أذاناً ولا يعرفون فيه وقتَ صلاةٍ إلَّا بالتِّلاوة . ثم بعث أهلُ خراسانَ يَشفعونَ في محمدِ بنِ عبدِ الله العثماني ، فأمر به فضُربَتْ عُنقُه ، وأرسل برأسِهِ إلى أهلِ خُراسان ـ لا جزاهُ الله خيراً ـ ورحم الله محمدَ بن عبدِ الله العثماني ، وهو :

محمد بن عبدِ الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي[1] رحمه الله ، أبو عبدِ الله المدني المعروف بالدِّيباج لِحُسْنِ وجههِ ، وأمُّهُ فاطمةُ بنت الحسين بن علي . رَوَى الحديثَ عن أبيه وأُمِّه ، وخارجةَ بن زيد ، وطاوس ، وأبي الزِّناد ، والزُّهْري ، ونافع ، وغيرِهم . وحدَّث عنه جماعة ، ووثَّقَهُ النَّسائي وابنُ حبَّان . وكان أخا عبدِ الله بنِ حسن لأمِّه . وكانتِ ابنتُه رُقيَّة زوجةَ ابنِ أخيه إبراهيم بن عبدِ الله ، وكانتْ من أحسنِ النساء ، وبِسَبَبِها قَتلَهُ أبو جعفر المنصور في هذه السنة ، وكان كَريماً جَوَاداً مُمَدَّحاً .

قال الزُّبير بن بَكَّار : أنشَدَني سليمانُ بن عباس السَّعدي لأبي وَجْزَةَ السَّعْدي يَمْدَحُه :

وجدْنا الْمَحْضَ الأبيضِ من قريشٍ	فَتًى بيـن الخليفـةِ والـرسـولِ
أتـاك المجـدُ مـن هـذا وهـذا[2]	وكنـتَ لـه بِمُعْتَلـجِ السُّيُـولِ
فمـا للمجـد دونـك مـنْ مَبيـتٍ	ومـا للمجـدِ دونـك مـنْ مَقيـلِ
ولا يمضـي وراءك يبتغيـهِ	ولا هـو قـابـلٌ بـكَ مـنْ بَـدِيـلِ[3]

---

(١) ترجمته في التاريخ الكبير للبخاري (١/ ١٣٨) ، التاريخ الصغير له (٢/ ٨١) ، معرفة الثقات للعجلي (٢/ ٢٤٢) ، الثقات لابن حبان (٧/ ٤١٧) ، الكامل في الضعفاء لابن عدي (٦/ ٢١٨) ، تاريخ بغداد (٥/ ٣٨٥) ، تهذيب الكمال (٢٥/ ٥١٦) ، المقتنى في سرد الكنى للذهبي (١/ ٣٥٥) ، لسان الميزان (٧/ ٣٦٤) ، نزهة الألباب في الألقاب ص(٢٦٩ ، ٢٧٠) ، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة للسخاوي (٢/ ٤٩٨) .

(٢) في (ب) : « من هنا وهنا » . وكذا في مصادر التخريج . والمثبت من (ح) .

(٣) الأبيات في تاريخ بغداد (٥/ ٣٨٧) ، وتهذيب الكمال (٢٥/ ٥٢١) ، والبيت الأول منها في التحفة اللطيفة (٢/ ٤٩٨) .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومئة

فمما كان فيها من الأحداث مَخْرَجُ محمدِ بن عبدِ الله بن حسن بالمدينة وأخيه إبراهيم بالبصرة على ما سَنُبَيِّنُهُ إنْ شاء الله .

أمَّا محمد فإنه خرج على أثَرِ ذهابِ أبي جعفر المنصور بأهلِهِ بني حَسَن من المدينة إلى العراق على الصفةِ والنعتِ الذي تقدَّم ذكرُه ، وسجَنَهم في مكانٍ ساء مُستقرّاً ومُقاماً ، لا يسمعون فيه أذاناً ، ولا يعرفون فيه دخولَ أوقاتِ صلوات إلَّا بالأذكار والتلاوة ؛ وقد مات أكثرُ أكابرِهم هنالك رحمهم الله . هذا كلُّه ومحمد الذي يطلبه مُختفٍ بالمدينة ، حتى إنه في بعض الأحيان اختفى في بئرٍ نزل في مائه كلِّه إلا رأسَه وباقيه مغمور بالماء ، وقد تواعد هو وأخوه وقتاً معيَّناً يظهران فيه هو بالمدينة وإبراهيم بالبصرة ، ولم يزَلِ الناسُ ـ أهلُ المدينة وغيرُهم ـ يؤنِّبون محمدَ بن عبدِ الله في اختفائه وعدَمِ ظهوره ، حتى عزم على الخروج ، وذلك لما أضرَّ به شدَّةُ الاختفاء ، وكثرةُ إلحاحِ رَباحٍ نائبِ المدينة في طلبه ليلاً ونهاراً ؛ فلمَّا اشتدَّ به الأمرُ وضاق الحالُ واعَدَ أصحابَهُ على الظهورِ في الليلةِ الفلانية ، فلما كانتْ تلكَ الليلة جاء بعضُ الوشاة إلى متولِّي المدينة ، فأعلَمَهُ بذلك فضاقَ ذَرْعاً ، وانزعج لذلك انزعاجاً شديداً ، وركب في جَحَافِلِهِ ، فطاف المدينةَ وحولَ دارِ مروان ، وهم مجتمعون بها ، فلم يُشْعَرْ بهم ، فلما رجَعَ إلى مَنْزِلِهِ بعث إلى بني حُسين بن علي فجمعهم ومعهم رؤوسٌ من ساداتِ قريش وغيرِهم ، فوعَظَهُمْ وأنَّبهم وقال : يا معشرَ أهلِ المدينة ، أميرُ المؤمنين يتطلَّبُ هذا الرجلَ في المشارقِ والمغارب ، وهو بين أظهُركم !؟ ثم ما كفاكم حتى بايَعْتُموه على السمعِ والطاعة ! والله لا يبلُغني عن أحدٍ منكم خرَجَ معه إلَّا ضربتُ عُنقَه . فأنكر الذين هُمْ هنالكَ حاضرون أنْ يكونَ عندَهم علمٌ أو شعورٌ بشيءٍ من هذا وقالوا : نحن نأتيك برجالٍ مُسَلَّحين يُقاتلون دونَكَ إنْ وَقَعَ شيءٌ من ذلك . فنهضوا ، فجاؤوه بجماعةٍ مسلَّحين ، فاستأذنوه في دخولِهم عليه ، فقال : لا إذنَ لهم ، إني أخشى أنْ يكونَ ذلك خديعة . فجلس أولئك على الباب ، ومكث الناسُ جلوساً حولَ الأمير وهو واجمٌ لا يتكلَّمُ إلَّا قليلاً ؛ حتى ذهبتْ طائفةٌ من الليل ، ثم ما فُجِيءَ الناسُ إلَّا وأصحابُ محمد بن عبدِ الله قد ظهروا وأعلنوا بالتكبير ، فانزعج الناسُ في جوف الليل ، وأشارَ بعضُ الناسِ على الأمير أنْ يضربَ أعناقَ بني حُسين . فقال أحدُهم : علامَ ونحن مُقِرُّونَ بالطاعة ؟! واشتغل الأميرُ عنهم بما فجأهُ من الأمر ، فاغتنموا الغفلةَ ونَهضوا سِراعاً ، فتسوَّروا جدارَ الدار ، وألقَوْا أنفسَهُمْ على كُناسةٍ هنالك ؛ وأقبلَ محمدُ بن عبدِ الله بن حسن في مئتين وخمسين ، فمرَّ بالسِّجنِ فأخرج منْ فيه ، وجاء دارَ الإمارة فحاصرَها فافتتحها ، ومسك الأميرَ رَباحَ بنَ عثمان نائبَ المدينة ، فسجنه في دارِ مروان ، وسجن معه ابن مُسلم بن عُقْبة ، وهو الذي أشار بقتلِ بني حُسين في أولِ هذه الليلة ، فنجَوْا وأُحيط به . وأصبح محمد بن عبد الله بن حسن وقد استظهر على المدينة ، ودانَ له أهلُها ، فصلَّى بالناسِ

الصُّبح ، وقرأ فيها سورة ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [الفتح : ١] ، وأسفرتْ هذه الليلة عن مُستهلِّ رجل من هذه السنة ، وقد خطَبَ محمدُ بن عبد الله أهلَ المدينة في هذا اليوم ، فتكلَّم في بني العباس ، وذكر عنهم أشياءَ ذَمَّهُمْ بها ، وأخبرَهم أنه لم ينزِلْ بلداً من البلدان ، إلَّا وقد بايعوه على السمعِ والطاعة ، فبايعه أهلُ المدينةِ كلُّهم إلَّا القليل .

وقد روى ابنُ جرير[1] عن الإمام مالك ، أنه أفتَى الناسَ بمبايعته ؛ فقيل له : فإن في أعناقنا بيعةً للمنصور . فقال : إنما كنتمْ مُكْرَهين ، وليس لِمُكْرَهٍ بَيْعة . فبايعَهُ الناسُ عندَ ذلك عن قولِ مالك . ولزِمَ مالكٌ بيتَه . وقد قال له إسماعيل بنُ عبدِ الله بن جعفر حين دعاه إلى بيعتِه : يا ابنَ أخي ، إنك مقتول . فارتدَعَ بعضُ الناسِ عنه ، واستمرَّ جُمهورهُم معه . فاستنابَ عليهم عثمانَ بنَ محمد بن خالد بن الزبير ، وعلى قضائها عبدَ العزيزِ بن المطلب بن عبدِ الله المخزومي ، وعلى شُرْطتها عثمانَ بن عبدِ الله بن عمر بن الخطاب ، وعلى ديوان العطاء عبدَ الله بن جعفر بن عبدِ الله بن مِسْوَرِ بنِ مَخْرَمةَ ، وتلقَّبَ بالْمَهْديِّ طمعاً في أن يكونَ المذكورَ في الأحاديث التي سنوردُها في كتاب « الفتن والملاحم » فلم يكنْ إياه ، ولا تمَّ له ما رَجَاه ، ولا ما تمنَّاه ، فإنَّا لله . وقد ارتحل بعضُ أهلِ المدينةِ عنها ليلةَ دخَلَها ؛ فطوَى المراحلَ البعيدةَ إلى المنصور في سبعِ ليالٍ فورَدَ عليه ، فوجَدَهُ نائماً في الليل ، فقال للربيع الحاجب : استأذنْ على الخليفة . فقال : إنه لا يُوقظُ في هذه الساعة . فقال : إنه لا بُدَّ من ذلك . فأخبرَ الخليفةَ فخرج ، فقال : ويحك ! ما وراءك . فقال : إنه خرج ابنُ حسن بالمدينة ، فلم يُظهرِ المنصورُ لذلك اكتراثاً وانزعاجاً ، بل قال : أنتَ رأيتَه ؟ قال : نعم . فقال : هَلَك واللهِ وأهلَكَ منِ اتَّبَعَه . ثم أمرَ بالرجلِ فسُجن ، ثم جاءتِ الأخبارُ بذلك فتواترتْ ، فأطلقهُ المنصور ، وأطلَقَ لهُ عن كلِّ ليلةٍ ألفَ دِرْهم ، فأعطاهُ سبعةَ آلافِ درهم .

ولما تحقَّقَ المنصورُ الأمرَ من خروجِه ضاقَ ذَرْعاً ، فقال له بعضُ المنجِّمين : يا أمير المؤمنين ، لا عليكَ منه ، فوالله لو ملَكَ الأرضَ بِحَذافيرِها فإنه لا يُقيم أكثرَ من سبعين يوماً . ثم أمر المنصورُ جميعَ رؤوس الأمراء أنْ يذهبوا إلى السجن ، فيجتمعوا بعبدِ الله بن حسن والدِ محمد فيُخبروه بما وَقَعَ من خروجِ ولدِه ، ويسمعوا ما يقولُ لهم . فلمَّا دخلوا عليه أخبروه بذلك ، فقال : ما ترونَ ابنَ سلامة فاعلاً ـ يعني المنصور ـ فقالوا : لا ندري . فقال : والله لقد قَتَلَ صاحبَكُمُ البُخل ، ينبغي له أنْ يُنفقَ الأموال ، ويستخدم الرجال ، فإنْ ظهر فاسترجاعُ ما أنفقَ سَهْل ، وإلَّا لم يكن لصاحبكم شيءٌ في الخزائن ، وكان ما خَزَنَ لغيره . فرجعوا إلى الخليفةِ فأخبروه بذلك ، وأشار الناس على الخليفة بمناجَزَتِهِ ؛ فاستدعَى عيسى بن موسى فنَدَبه إلى ذلك ثم قال : إني سأكتُبُ إليه كتاباً أُنْذِرُهُ بِهِ قبلَ قتالِهِ . فكتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبدِ الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله ، ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ

---

(١) يعني الطبري في تاريخه (٤/ ٤٢٧) .

يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ ، الآية إلى قوله : ﴿ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣٣ ـ ٣٤] . ثم قال : فلكَ عَهْدُ اللهِ وميثاقُه ، وذِمَّتُهُ وذِمَّةُ رسوله ، إنْ أنتَ رجعتَ إلى الطاعة لأؤمِّنكَ ومَنِ اتَّبعَك ، ولأعطينَّكَ ألفَ ألفِ دِرْهم ، ولأدعنَّكَ في أحبِّ البلادِ إليك ، ولأقضينَّ لك جميعَ حوائجكَ . . . في كلامٍ طويل .

فكتب إليه محمدٌ جوابَ كتابِه :

من عبدِ الله المهدي محمد بن حسن ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص : ١ ـ ٥] . ثم قال : وإني أعرضُ عليكَ من الأمانِ ما عرضتَ عليّ ، فأنا أحقُّ بهذا الأمرِ منكم ، وأنتم إنما وصلتُمْ إليه بِنَا ، فإنَّ علياً كان الوَصِيَّ وكان الإمام ، فكيف وَرِثْتُمْ ولايَتَهُ وولَدُهُ أحياء ، ونحن أشرَفُ أهلِ الأرض نسَباً ، فرسولُ الله خيرُ الناس ، وهو جدُّنا ، وجدَّتُنا خديجةُ ، وهي أفضلُ زوجاتِه ، وفاطمةُ ابنتُهُ أُمُّنا ، وهي أكرمُ بناتِه ، وإنَّ هاشماً وَلَدَ علياً مرَّتَيْن ، وإنَّ حَسَناً ولَدَهُ عبدُ المطلب مرَّتَيْنِ ، وهو وأخوه سيِّدا شبابِ أهلِ الجنة ، وإنَّ رسولَ الله ﷺ وَلَدني مرَّتَيْن ، [منْ قِبَلِ حسن وحسين] وإني أوسطُ بني هاشمٍ نسباً ، [وأصرَحُهم أباً ، لم تُعرقْ فيَّ العَجَم ، ولم تنازعْ فيَّ أمهاتُ الأولاد][1] .

فأنا ابنُ أرفعِ الناس درجةً في الجنة ، وأخفِّهم عذاباً في النار ، فأنا أولى بالأمر منك ، وأولى بالعهد ، وأوفى به منك ، فإنك تُعطِي العَهْدَ ثم تَنْكُثُ ولا تَفِي ، كما فعلتَ بابنِ هُبيرة ، فإنَّك أعطَيْتَهُ العهدَ ثم غدَرْتَ به ؛ ولا أشدُّ عذاباً من إمامٍ غادِر ، وكذلك فعلتَ بعمِّك عبدِ الله بن علي ، وأبي مسلم الخراساني ؛ ولو أعلم أنك تصدُق لأجبتُكَ لَمَا دعوتَني إليه ، ولكنَّ الوفاءَ بالعهدِ من مثلِكَ لِمثلي بعيد . والسلام .

فكتب إليه أبو جعفر جوابَ ذلك في كتابٍ طويل ، حاصلُه : أمَّا بعد ، فقد قرأتُ كتابَك ، فإذا جُلُّ فَخرِكَ وإدْلالِكَ قرابةُ النساء ، لِتُضلَّ به الجُفَاةَ والغَوْغاء ، ولم يجعلِ الله النساءَ كالعمومةِ والآباء ، لا كالعُصوبةِ[2] والأولياء ، وقد أنزل الله : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] ؛ وكان حينئذٍ لَهُ

---

(١) ما بين معقوفين من تاريخ الطبري (٤/ ٤٣١) .

(٢) في (ب) : « كالعصبية » وفي تاريخ الطبري : « كالعَصَبَة » والمثبت من (ب ، ح) ، والعَصَبَةُ : قرابةُ الرجل لأبيه وكأنَّه جمعُ عاصب ، وإن لم نسمع به ، من عَصَبُوا به : إذا أحاطوا حوله ، ثم سُمِّي به الواحدُ والجمعُ والمذكَّر والمؤنَّث للغلَبة وقالوا في مصدرها : العُصُوبة . والذكر يُعَصِّبُ الأنثى ، أيْ يجعلها عَصَبة . المغرب (عصب) (٢/ ٦٤) .

أربعةُ أعمام ، فاستجاب له اثنان ، أحدُهُما جَدُّنا ، وكفر اثنان ، أحدُهما أبوك ـ يعني جدَّهُ أبا طالب ـ فقطع الله ولايتهما منه ، ولم يجعلْ بينهما إلاًّ ولا ذِمَّة ، وقد أنزل الله في عدم إسلام أبي طالب : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص : ٥٦] ؛ وقد فَخَرْتَ به وأنَّهُ أخفُّ أهلِ النار عذاباً ، وليس في الشرِّ خِيَار ، ولا ينبغي لمؤمنٍ أنْ يفخرَ بأهلِ النار ؛ وفخرتَ بأنَّ علياً ولَدَهُ هاشمٌ مرَّتَين ، وأنَّ حسناً ولَدَهُ عبدُ المطلب مرَّتين ، فهذا رسولُ الله ﷺ إنما ولَدَهُ عبدُ الله مرةً واحدة ؛ وقولُكَ إنَّكَ لم تلِدْكَ أمهاتُ أولاد ؛ فهذا إبراهيمُ ابنُ الرسول ﷺ من مارية ، وهو خيرٌ منك ، وعليُّ بن الحسن منْ أُمِّ وَلَد ، وهو خيرٌ منك ، وكذلك ابنُه محمد بن علي ، وابنُه جعفر بن محمد جَدَّاتُهما أمهاتُ أولاد ، وهما خيرٌ منك ، وأما قولُكَ بنو الرسولِ فقد قال تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] ؛ وقد جاءتِ السنَّةُ التي لا خلافَ فيها بين المسلمين أنَّ الجَدَّ أبا الأمِّ والخال والخالة لا يُورَّثون ، ولم يكنْ لفاطمةَ مِيراثٌ من رسولِ الله ﷺ بنَصِّ الحديث ، وقد مَرِض رسولُ الله ﷺ وأبوك حاضر ، فلم يأمُرْهُ بالصلاةِ بالناس ، بل أمَرَ غيرَه ؛ ولمَّا تُوفي لم يَعْدِلِ الناسُ بأبي بكرٍ وعُمرَ أحداً ، ثم قدَّموا عليه عثمانَ في الشُّورى والخلافة ؛ ثم لما قُتل عثمان اتَّهمَهُ بعضُهم به ، وقاتله طلحةُ والزُّبير على ذلك وامتنع سعدٌ من مبايعتِه ، ثم بعد ذلك معاوية ، ثم طلبها أبوك وقاتل عليها الرجال ، ثم اتفق على التحكيم فلم يَفِ به ، ثم صارت إلى الحسن فباعَها بِخِرَقٍ ودراهم ، وأقام بالحجاز مالاً من غيرِ حِلِّه ، وسلَّم الأمرَ إلى غيرِ أهله ، وترك شيعَتَهُ في أيدي بني أميةَ ومعاوية . فإنْ كانتْ لكم فقد تركتموها وبعتموها بثمنِها ؛ ثم خرج عمُّكَ حُسينٌ على ابن مَرْجانة ، وكان الناسُ معهُ عليه ، حتى قتلوه وأتَوْا برأسِهِ إليه ، ثم خرجتم على بني أمية فقتلوكم وصلبوكم على جُذوع النخل ، وحرقوكم بالنار ، وحملوا نساءكم على الإبل كالسبايا إلى الشام ، حتى خرَجْنا عليهم نحن ، فأخَذْنا بثأركم وأدْرَكْنا بدمائكم وأورثناكم أرضَهم وديارَهم ، وذكَرْنا فضلَ سَلَفكمْ ، فجعلتَ ذلك حُجَّةً علينا ، وظننتَ أنَّا إنَّما ذكَرْنا فَضْلَهُ على أمثالِه ، على حمزةَ والعباس وجعفر ، وليس الأمر كما زعمت ، فإنَّ هؤلاء مضوْا ولم يدخلوا الفِتَن ، وسَلِموا من الدنيا ، فلم تنقصْهم شيئاً ، فاستوفوا ثوابَهم كاملاً ، وابتُلِيَ بذلك أبوك ، وكانتْ بنو أمية تَلْعنُهُ كما تلعنُ الكفرةَ في الصلواتِ المكتوبات ، فأحيينا ذكرَه ، وذكَرْنا فضلَه ، وعنَّفْناهم بما نالوا منه . وقد علمتَ أنَّ مَكْرُمتنا في الجاهلية بسقاية الحجيج الأعظم ، وخدمةِ زَمْزَم ، وحَكَمَ رسولُ الله ﷺ لنا بها ، ولما قُحط الناس زمنَ عمر استَسْقى بأبينا العباس ، وتوسَّل به إلى ربِّه ، وأبوكَ حاضِر ، وقد علمتَ أنه لم يبقَ أحدٌ من بني عبد المطلب بعد رسولِ الله ﷺ إلا العباس ، فالسقايةُ سقايتُه ، والوراثةُ وِراثَته ، والخلافةُ في وَلَدِه ، فلم يبق شرَفٌ في الجاهلية والإسلام(١) إلا والعباس وارِثُهُ ومُوَرِّثه . في كلامٍ طويل ، فيه بحثٌ ومناظرةٌ وفصاحة ، وقد استقصاهُ ابنُ جرير بطولِه ، والله سبحانه أعلم .

---

(١) في (ب ، ح) : « في الدنيا والآخرة » ، والمثبت من (ق) وتاريخ الطبري .

فصل
في ذكر مقتل محمد بن عبد الله بن حسن[١]

بعَثَ محمدُ بن عبد الله بن حسن في غبونِ[٢] ذلك رسولاً إلى أهلِ الشام يدعوهم إلى بيعتِهِ وخِلافَتِه ، فأبَوْا قَبُولَ ذلك منه ، وقالوا : قد ضَجِرنا من الحروب ، ومَلِلْنا القتال . ولم يكترثوا بأصحابه ، فرجعوا إليه بعدَ ما خافوا على أنفسِهم ؛ وجعل يستميلُ رؤوسَ أهلِ المدينة ، فمنهم من أجابَه ، ومنهم منِ امتنع عليه ، وقال له بعضُهم : كيف أُبايعُك وقد ظهرتَ في بلدٍ ليس فيه مالٌ تستعينُ به على استخدامِ الرجال ؟ . ولَزِمَ بعضُهم مَنْزِلَهُ فلم يخرُجْ حتى قُتل محمد .

وبعَثَ محمدٌ الحسنَ بن معاوية[٣] في سبعين رجلاً ونحواً من عشرةِ فوارس إلى مكةَ نائباً إنْ هو دخلَها ، فساروا إليها ، فلما بلغ أهلَها قدومُهم خرجوا إليهم في ألوفٍ من المقاتلة ، فقال لهم الحسن بن معاوية : علامَ تُقاتلون وقد ماتَ أبو جعفر ؟ فقال السريُّ بنُ عبدِ الله زعيمُ أهلِ مكة : إنَّ بُرُدَهُ جاءتنا من أربعِ ليالٍ وقد أرسلتُ إليه كتاباً فأنا أنتظرُ جوابهُ إلى أربع ؛ فإنْ كان ما تقولون حقّاً سلَّمتُكم البلدَ وعليَّ مؤنةَ رجالِكم وخيلكم ، فامتنع الحسنُ بنُ معاوية من الانتظار وأبى إلا المناجزة ، وحلف لا يبيتُ الليلةَ إلا بمكَّة إلَّا أن يموت ؛ وأرسلَ إلى السري ، أن ابرُزْ من الحرَم إلى الحلّ حتى لا تُراقَ الدماءُ في الحرم . فلم يخرُجْ فتقدَّموا إليهم فصافُّوهم ، فحملَ عليه الحسن وأصحابُه حملةً واحدة ، فهزموهم وقتلوا منهم نحو سبعة ، ودخلوا مكة ، فلما أصبحوا خطَبَ الحسنُ بن معاوية الناسَ وعَزَّاهم[٤] بأبي جعفر ، ودعاهم إلى محمد بن عبد الله بن حسن المهدي .

خروج أخيه إبراهيم بن عبد الله بن حسن

وظهر بالبصرة أيضاً إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، وجاء البريدُ إلى أخيه محمد ، فانتهى إليه فاستؤذن له عليه وهو بدارِ مروان ، فطرق بابها فقال : اللهم إني أعوذُ بك من شرِّ طوارقِ الليلِ والنهار إلا طارقاً يطرُقُ بخيرٍ يا رحمن . ثم خرج فأخبر أصحابَه عن أخيه ، فاستبشروا جدّاً وفرحوا كثيراً ، كان يقول للناسِ بعدَ صلاةِ الصُّبحِ والمغرب : ادعوا الله لإخوانكم أهلِ البصرة ، وللحسن بن معاوية بمكّة ، واستنصروهُ على أعدائكم .

---

(١) ستأتي ترجمته في الصفحة (٣٣١) من هذا الجزء .
(٢) كذا في الأصول ، وانظر حاشيتي الصفحتين (٢٨٠ و٢٩٢) ذات الرقم (٢ و١) على التوالي من هذا الجزء .
(٣) في (ق) : « الحسين بن معاوية » وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) وتاريخ الطبري .
(٤) في (ق) : « وأغراهم » ، وفي تاريخ الطبري : « ونعى إليهم أبا جعفر » ، والمثبت من (ب ، ح) .

وأما ما كان من المنصور فإنه جهَّز الجيوشَ إلى محمد بن عبد الله بن حسن صحبةَ عيسى بن موسى عشرةَ آلاف فارس من الشجعان المنتخَبين ، منهم محمد بن أبي العباس ، وجعفر بن حنظلة البهراني ، وحُميد بن قَحْطَبة . وكان المنصورُ قد استشارَهُ فيه فقال : يا أمير المؤمنين ادعُ بمنْ شئتَ مِمَّنْ تَثِقُ به من مواليك ، فابعَثْ بهم إلى وادي القُرى يمنعونَهم من ميرةِ الشام ، فيموتُ هو ومنْ معه جُوعاً ، فإنه ببلدٍ ليس فيه مالٌ ولا رجالٌ ولا كُرَاعٌ ولا سلاح . وقدم بين يديه كثير بن الحصين العبدي ، وقد قال المنصور لعيسى بن موسى حين ودَّعه : يا عيسى إني أبعثُكَ إلى ما بين جنبيَّ هذين ، فإنْ ظَفِرت بالرجل ، فشِمْ سيفَك ، ونادِ في الناس بالأمان ، وإنْ تغيَّب فضمِّنْهُمْ إيَّاهُ حتى يأتوكَ به ، فإنَّهمْ أعلمُ بمذاهبه . وكتب معه كُتباً إلى رؤساءِ قريش والأنصارِ من أهلِ المدينة يدفعُها إليهم خُفْية ، يدعوهم إلى الرجوعِ إلى الطاعة . فلما اقترب عيسى بن موسى من المدينة بعث الكُتبَ مع رجل ، فأخذه حرسُ محمدِ بن عبد الله بن حسن ، فوجدوا معه تلك الكُتب ، فدفعوها إلى محمد ، فاستحضر جماعةً من أولئك فعاقبهم وضرَبهم ضرباً شديداً وقيَّدهم قيوداً ثقالاً ، وأودَعهم السجن . ثم إنَّ محمداً استشارَ أصحابَهُ بالقيام بالمدينة حتى يأتيَ عيسى بن موسى فيُحاصرهم بها أو أنه يخرجُ بمنْ معه فيقاتل أهلَ العراق ، فمنهم من أشار بهذا ، ومنهم من أشار بذاك ، ثم اتفق الرأيُ على المقامِ بالمدينة ، لأنَّ رسولَ الله ﷺ نَدِمَ يومَ أُحُد على الخروجِ منها ؛ ثم اتفقوا على حفرِ خندقٍ حولَ المدينةِ كما فعل رسولُ الله ﷺ يومَ الأحزاب ، فأجاب إلى ذلك كلِّه ، وحَفَرَ مع الناسِ في الخندق بيدِهِ اقتداءً برسولِ الله ﷺ ، وقد ظهر لهم لَبِنةٌ من الخندقِ الذي حفرَهُ رسولُ الله ﷺ ، ففرحوا بذلك وكَبَّروا ، وبشَّروهُ بالنَّصْر ، وكان محمدٌ حاضراً عليه قَباءٌ أبيض ، وفي وسطه مِنْطقة ، وكان شَكِلاً[١] ضخماً أسمرَ عظيمَ الهامة .

ولما نزل عيسى بنُ موسى الأعْوَصَ[٢] واقترب من المدينة صَعِدَ محمدُ بن عبد الله المنبرَ ، فخطب الناسَ وحثَّهم على الجهاد ، وكانوا قريباً من مئة ألف ، فقال لهم في جملةِ ما قال : إنِّي جعلتكم في حِلٍّ من بيعتي ، فمنْ أحبَّ منكم أنْ يُقيم عليها فعَل ، ومَنْ أحبَّ أنْ يترُكَها فعَل . فتسلَّلَ كثيرٌ منهم أو أكثرُهم عنه ، ولم يبقَ إلَّا شِرْذمةٌ قليلةٌ معه ؛ وخرج أكثرُ أهلِ المدينة بأهلِهم منها لئلا يشهَدوا القتالَ بها ؛ فنزَلوا الأعراضَ ورؤوسَ الجبال[٣] ، وقد بعث محمدٌ أبا الليث ليردَّهم عن الخروج فلم يُمكنْهُ ذلك في أكثرِهم ، واستمرُّوا ذاهبين ؛ وقال محمدٌ لرجل : أتأخذُ سيفاً ورُمحاً وتردُّ هؤلاء الذين خرجوا من

---

(١) رجل أشْكَلُ العين ، وأشْهَلُ العين ، وفيها شُكْلَة ، وهي حُمْرة في بياضِها ، وشُهْلةٌ في سوادِها . المغرب (شكل) (١/ ٤٥٢) .

(٢) الأعوص ـ بفتح أوله وبالصاد المهملة على وزن أفعل ـ : موضعٌ بشَرْقيِّ المدينة ، على بضعةَ عشرَ ميلاً منها . معجم ما استعجم (١/ ١٧٣) .

(٣) أعراضُ المدينة : هي بطونُ سوادِها ، وقراها التي في أوديَتها ، حيث الزرعُ والنخل . معجم البلدان (١/ ٢٢٠) .

المدينة ؟ فقال : نعم إنْ أعطيتَني رمحاً أطعَنُهم وهم بالأعراض ، وسيفاً أضرِبُهم وهم في رؤوس الجبال فعَلْتُ . فسكت محمد ثم قال لي : ويحك ! أهلُ الشام والعراقِ وخُراسان قد بيَّضوا - يعني لبسوا البياض - موافقةً لي وخلَعُوا السواد . فقال : وماذا ينفعُني أنْ لو بقيتِ الدنيا زبدةً بيضاء ، وأنا في مثلِ صُوفةِ الدواة ؟! وهذا عيسى بن موسى نازلٌ بالأعْوَص . ثم جاء عيسى بن موسى فَنزل قريباً من المدينة على ميلٍ منها ، فقال له دليلُهُ ابنُ الأصم : إني أخشى إذا كشفتُموهم أنْ يَرْجِعوا إلى معسكرِهم سريعاً قبل أن تدركهم الخيل . ثم ارتحلَ به فأنزلَهُ الجُرْف على سقاية سليمانَ بنِ عبد الملك على أربعةِ أميالٍ من المدينة ، وذلك يوم السبت لِصُبْحِ اثنتي عشرةَ ليلةً خلَتْ من رمضان من هذه السنة ؛ وقال : إنَّ الراجل إذا هرب لا يقدِرُ على الهرولةِ أكثرَ من ميلَيْنِ أو ثلاثة فتدركُه الخيل .

وأرسل عيسى بن موسى خمس مئة فارس ، فنَزلوا عندَ الشجرةِ في طريقِ مكة ، وقال لهم : هذا الرجلُ إنْ هرب فليس له ملجأٌ إلَّا مكة ، فاقتلوه وحُولوا بينهُ وبينها[1] . ثم أرسل عيسى إلى محمدٍ يدعوه إلى السمعِ والطاعةِ لأميرِ المؤمنين المنصور ، وأنَّه قد أعطاهُ الأمانَ له ولأهلِ بيته إنْ هو أجابَه . فقال محمد للرسول : لولا أنَّ الرسل لا تُقتل لقتلتُك . ثم بعث إلى عيسى بنِ موسى يقولُ له : إني أدعوك إلى كتابِ الله وسنةِ رسولِه ، فاحذَرْ أنْ تمتنعَ فأقتُلَكَ فتكونَ شرَّ قَتيل أو تقتُلَني فتكونَ قتلتَ منْ دعاك إلى اللهِ ورسولِه . ثم جعلت الرسلُ تتردَّدُ بينهما ثلاثةَ أيام هذا يدعو هذا ، وهذا يدعو هذا ؛ وجعل عيسى بن موسى يقفُ كلَّ يومٍ من هذه الأيام الثلاثة على الثنيَّةِ عندَ سَلْعٍ فيُنادي : يا أهلَ المدينة إنَّ دماءكم علينا حرام ، فمنْ جاءنا فوقف تحت رايتِنا فهو آمِنٌ ، ومنْ خرج من المدينةِ فهو آمنٌ ، ومنْ دخلَ دارَه فهو آمن ، ومن ألقى سلاحهُ فهو آمن ، فليس لنا في قتالِكم أرَب ، وإنما نريدُ محمداً وحدَه لنذهبَ بهِ إلى الخليفة . فجعلوا يَسُبُّونهُ وينالونَ من أُمِّه ، ويكلِّمونه بكلامٍ شَنيع ، ويخاطبونه مخاطبةً فظيعة ، وقالوا له : هذا ابنُ رسولِ الله ﷺ معنا ونحن معهُ نقاتلُ دونه . فلمّا كان اليومُ الثالث أتاهُمْ في خيلٍ ورجالٍ وسلاحٍ ورماح ، لم يُر مثلُها فناداه : يا محمد ، إنَّ أميرَ المؤمنين أمرني أنْ لا أُقاتلكَ حتى أدعوكَ إلى الطاعة ، فإنْ فعلتَ أمَّنَكَ وقضَى دَيْنك ، وأعطاكَ أموالاً وأراضي ، وإنْ أبيت قاتلتُك ؛ فقد دعوتُك غيرَ مرَّة . فناداهُ محمد : إنَّه ليس لكم عندي إلَّا القتال فنشبتِ الحربُ حينئذٍ بينهم ، وكان جيشُ عيسى بن موسى فوقَ أربعةِ آلاف ، وعلى مقدمته حُميد بن قَحْطبة ، وعلى ميمنته محمد بن السفاح ، وعلى ميسرته داودُ بن كَرَّاز[2] ، وعلى الساقةِ الهيثمُ بن شعبة ؛ ومعهم عُددٌ لم يُر مثلها . وفرَّق عيسى أصحابَه في كلِّ قُطْرٍ طائفة ، وكان محمدٌ وأصحابُهُ على عِدَّةِ أصحابِ أهلِ بدر ، واقتتل الفريقان قتالاً شديداً جدّاً ،

---

(١) في (ق) : « فحولوا بينه وبينها » ، والمثبت من (ب ، ح) .

(٢) في (ح ، ق) : « داود بن كرار » ، والمثبت من (ب) وتاريخ الطبري (٤/ ٤٤٢) ، والضبط من الإكمال (٧/ ١٣٤) .

وترجَّلَ محمد إلى الأرض ، فيقال إنه قتَلَ بيدِهِ من جيشِ عيسى بن موسى سبعينَ رجلاً من أبطالِهم ، وأحاط بهم أهلُ العراق ، فقتلوا طائفةً من أصحابِ محمد بن عبد الله بن حسن ، فاقتحموا عليهمُ الخندقَ الذي كانوا قد حفروه ، وعملوا أبواباً على قدرِه . وقيل : إنّهم رَدَموه بحدائجِ الجمال حتى أمكنَهم أن يجوزوه ، وقد يكونون فعلوا هذا [في] موضعٍ منه ، وهذا في موضعٍ آخر ، والله أعلم .

ولم تزلِ الحربُ ناشبةً بينهم من بُكْرَةِ النهار حتى صُلِّيتِ العصر ، فلما صلَّى محمدٌ العصرَ نزَلوا إلى مَسيلِ الوادي بسَلْع ، فكسَرَ جفنَ سيفِه وعَقَر فرسَه ، وفعل أصحابُهُ مثلَه ، وصبروا أنفسَهم للقِتال وحَميتِ الحربُ حينئذٍ جداً ، فاستظهر أهلُ العراق ، ورفعوا رايةً سوداءَ فوقَ سَلْع ، ثم دَنَوْا إلى المدينة ، فدخلوها ونصبوا رايةً سوداء فوقَ مسجدِ رسولِ الله ﷺ ؛ فلما رأى ذلك أصحابُ محمد تنادَوْا : أُخذتِ المدينة ، وهرَبوا ، وبقي محمدٌ في شِرْذِمةٍ قليلةٍ جداً ، ثم بقي وحدَهُ وليس معه أحد ، وفي يده سيفٌ صَلْتٌ يضربُ به منْ تقدَّم إليه فكان لا يقومُ له شيء [إلّا أنامه ، حتى قتَلَ خلقاً من أهلِ العراق من الشجعان] ، ويقال : إنَّه كان في يده يومئذٍ ذو الفَقَار ، ثم تكاثَرَ عليه الناس ، فتقدَّم إليه رجلٌ فضربه بسيفِهِ تحتَ شحمةِ أُذُنِهِ اليُمنى ، فسقَطَ لِرُكْبَتِهِ ، وجعل يَحْمي نفسَهُ ويقول : ويحكم ! ابنُ نبيِّكم مجروحٌ مظلوم ! وجعل حُميد بن قَحْطبة يقول : ويحكم ! دعوهُ لا تقتلوهُ . فأحْجَمَ عنه الناس ، وتقدَّم إليه حُميد بن قَحْطبة فحزَّ رأسَه ، وذهب به إلى عيسى بن موسى ، فوضعه بين يديه ؛ وكان حُميد قد حلَفَ أنْ يقتُلَهُ متى رآه ، فما أدركَهُ إلّا كذلك ، [ولو كان على حالِهِ وقوَّته لما استطاعه حُميد ولا غيرُه من الجيش][1] .

وكان مقتلُ محمدِ بن عبد الله بن حسن عند أحجارِ الزَّيت يوم الإثنين بعدَ العصر لأربعَ عشرةَ ليلةً خلَتْ من رمضان ، سنة خمسٍ وأربعين ومئة . وقال عيسى بن موسى لأصحابِهِ حين وُضع رأسُه بين يديه : ما تقولون فيه ؟ فنال منه أقوامٌ وتكلَّموا فيه ؛ فقال رجل : كذبتُمْ والله ، لقد كان صَوَّاماً قوَّاماً ، ولكنَّه خالفَ أميرَ المؤمنين ، وشقَّ عَصَا المسلمين ، فقتلْناهُ على ذلك . فسكتوا حينئذ .

وأما سيفُه ذو الفَقَار فإنَّهُ صارَ إلى بني العباس يتوارثونه ، حتى جرَّبه بعضُهم فضرب به كلباً فانقطع . ذكرهُ ابنُ جرير وغيرُه[2] .

وقد بلغ المنصورَ في غبونِ[3] هذا الأمر أنَّ محمداً فرَّ من الحَرْب فقال : هذا لا يكون ، فإنَّا أهلَ بيتٍ لا نفِرّ[4] .

(١) ما مرَّ بين معقوفين ليس في (ب ، ح) ، أثبتناه من (ق) .
(٢) ابن جرير هو الطبري في تاريخه (٤/ ٤٤٦) .
(٣) كذا في الأصول، انظر حواشي الصفحات (٢٨٠و٢٩٢و٣٢١) ذوات الأرقام (٢ و١ و٢) على التوالي من هذا الجزء.
(٤) تاريخ الطبري (٤/ ٤٤٧) .

وقال ابنُ جرير[١] : حدّثني عبدُ الله بن راشد أبو الحجّاج قال : إنّي لقائمٌ على رأسِ المنصور وهو يسألني عن مَخرجِ محمد ، إذْ بلَغَهُ أنَّ عيسى بن موسى قد انهزم ، وكان متكئاً فجلس ، فضرب بقضيبٍ معه مصلاه وقال : كلاَّ ، وأين لُعبُ صبياننا بها على المنابر ومشورةُ النساء ؟ ما أنى لذلك بعد . وبَعَثَ عيسى بنُ موسى بالشارةِ إلى المنصور مع القاسم بن حسن ، وبالرأس مع ابن أبي الكرام ، وأمرَ بدفن الجُثَّة . فدُفن بالبَقيع ، وأمر بأصحابِه الذين قُتلوا معه فصُلبوا صَفَّينِ ظاهرَ المدينة ثلاثة أيام ، ثم طُرحوا على مقبرةِ اليهودِ عندَ سَلْع ، ثم نُقلوا إلى خندقٍ هناك . وأخذَ أموالَ بني حسن كلَّها ، فسوَّغَها له المنصور ؛ ويقال : إنه ردَّها بعدَ ذلك إليهم . حكاهُ ابنُ جرير[٢] .

ونُودي في أهلِ المدينة بالأمان ، فأصبح الناسُ في أسواقِهم ، وترفَّع عيسى بن موسى في الجيش إلى الجُرْف من مطرٍ أصابَ الناسَ يومَ قُتل محمد ، وجعل ينتابُ المسجد من الجُرف ، وأقام بالمدينة إلى اليوم التاسعَ عشرَ من رمضان ، ثم خرج منها قاصداً مكة ؛ وكان بها الحسن بن معاوية من جهةِ محمد ، قد كتب إليه يقدمُ عليه ، فلما خرج من مكة وكان ببعضِ الطريق تلقَّتْهُ الأخبارُ بقتلِ محمد ، فاستمرَّ فارّاً إلى البصرة إلى أخي محمد إبراهيمَ بنِ عبدِ الله الذي كان قد خرج بها ، ثم قُتل بعد أخيه في هذه السنة على ما سنذكرُه .

ولما جيء المنصورُ برأسِ محمد بنِ عبد الله بن حسن ، فوُضع بين يديه أمَرَ فطيفَ به في طَبَقٍ أبيض ، ثم طِيف به في الأقاليم بعدَ ذلك ، ثم شرَعَ المنصورُ في استدعاءِ مَنْ خَرَجَ مع محمدٍ من أشرافِ أهلِ المدينة ، فمنهم من قتلَه ، ومنهم من ضربَهُ ضَرْباً مُبَرِّحاً ، ومنهم من عفا عنه . ولما توجَّه عيسى إلى مكة استنابَ على المدينةِ كثيرَ بن حصين ، فاستمرَّ بها شهراً ، حتى بعث المنصورُ على نيابتِها عبدَالله بن الربيع ، فعاث جندُهُ في المدينة ، فصاروا إذا اشترَوا من الناس شيئاً لا يُعطونهم ثمنَه ، وإنْ طُولبوا بذاك ضرَبوا المطالِب وخوَّفوهُ بالقتل ؛ فثار عليهم طائفةٌ من السودان ، واجتمعوا ونفخوا في بُوقٍ لهم ، فاجتمع على صوته كلُّ أسودَ في المدينة ، وحملوا عليهم حملةً واحدةً وهم ذاهبون إلى الجمعة لسبعٍ بَقينَ من ذي الحجَّة من هذه السنة ، وقيل : لخمسٍ بَقينَ من شوَّال منها ؛ فقتلوا من الجندِ طائفةً كثيرة بالمزاريق وغيرِها ، وهرب الأميرُ عبدُ الله بن ربيع ، وترك صلاةَ الجمعة ، وكان رؤس السودان وثيقٌ ويَعقل ورمقة وحديا وعُنقود ومِسعر وأبو النار ؛ فلما رجع عبدُ الله بنُ الربيع ركبَ في جنودِه والتقى مع السودان فهزموهُ أيضاً ، فلحقوه بالبقيع ، فألقَى لهم رداءه يشغَلُهم فيه حتى نجا بنفسِه ومنِ اتَّبعه ، فلحق ببَطْنِ نَخْلٍ على ليلتَيْنِ من المدينة ، ووقع السودانُ على طعامٍ للمنصور كان مخزوناً في دارِ مروان ، قد قدِم به في البحر ،

---

(١) في تاريخه (٤/ ٤٤٨) .

(٢) في تاريخه (٤/ ٤٥١) .

فنهبُوه ونهبوا ما للجند الذين في المدينة من دَقيقٍ وسَويقٍ وغيرِه ، وباعوا ذلك بأرخصِ ثمن ، وذهب الخبرُ إلى المنصور بما كان من أمرِ السُّودان ، وخاف من معرَّةِ ذلك ، فاجتمعوا وخطَبهم ابنُ أبي سَبْرَةَ ، وكان مسجوناً ، فصعِدَ المنبر وفي رجليهِ القيود ، فحثَّهم على السمعِ والطاعةِ للمنصور ، وخوَّفهم شرَّ ما صنعه مواليهم ، فاتفق رأيهم على أنْ يكُفُّوا مواليَهم ويفرِّقوهم ويذهبوا إلى أميرِهم فيردُّوه إلى عملِه ، ففعلوا ذلك ، فسكنَ الأمرُ وهدَأ الناس ، وأنطفأتِ الشرور ، ورجع عبدُ الله بن الربيعِ إلى المدينة ، فقطَعَ يدَ وثيقٍ وأبي النار ويَعقِلَ ومِسْعَر .

ذكر خروج إبراهيم بن عبد الله بن حسن بالبصرة

كان إبراهيم قد هرب إلى البصرة فنزَلَ في بني ضُبيعةَ من أهلِ البصرة في دارِ الحارث بن عيسى ، وكان لا يرى بالنهار ، وكان قدومُهُ إليها بعدَ أن طاف بلاداً كثيرةً جدّاً ، وجرَتْ عليه وعلى أخيه خطوبٌ شديدةٌ هائلة ، وانعقد أسبابُ هلاكِهما في أوقاتٍ متعدِّدَة ، ثم كان آخرُ ما استقرَّ أمرُه بالبصرة في سنةِ ثلاثٍ وأربعين ومئة ، بعد مُنصرَفِ الحَجِيج ؛ وقيل : إنَّ قدومَهُ إليها كان في مستهلِّ رمضان سنةَ خمسٍ وأربعين ومئة ، بعثَه أخوهُ إليها بعد ظهورِه بالمدينة . قاله الواقدي[١] . قال : وكان يدعو في السرِّ إلى أخيه ، فلما قُتل أخوهُ أظهرَ الدعوةَ إلى نفسِهِ في شوال من هذه السنة ، والمشهور أنه قدمها في حياةِ أخيه ، دعا لنفسه كما تقدَّم والله أعلم .

ولما قَدِم البصرة نزلَ عند يحيى بن زياد بن حسان النَّبَطي ، فاختفى عندَهُ هذه المدَّةَ كلَّها ، حتى ظهر في هذه السنة في دارِ أبي فَرْوة ، وكان أولَ من بايعه نُميلة بن مرَّة ، وعفوُ الله بن سفيان[٢] ، وعبدُ الواحد بن زياد ، وعمر بن سلمة الهُجيمي ، وعبيد الله بن يحيى بن حُضَين الرقاشي . وندبوا الناسَ إليه ، فاستجاب له خلقٌ كثير ، فتحوَّل إلى دارِ أبي مروان في وسطِ البصرة ، واستفحل أمرُه ، وبايعه فئامٌ من الناس ، وتفاقم الخَطْبُ به ، وبلغ خبَرُه إلى المنصور ، فازدادَ غمّاً إلى غمِّهِ بأخيه محمد ، وذلك لأنه ظهَرَ قبلَ مقتل أخيه ، وإنما كان سببَ تعجيلِه الظهورَ كتابُ أخيه إليه ، فامتثَلَ أمرَه ، ودعا إلى نفسه ، فانتظم أمرُهُ بالبصرة ، وكان نائبَها من جهةِ المنصور سفيانُ بن معاوية ، وكان ممالئاً لإبراهيمَ هذا في الباطن ، ويبلغُهُ أخبارُه فلا يكترِثُ بها ، ويُكَذِّبُ منْ أخبرَه ، ويودُّ أنْ يتَّضِحَ أمرُ إبراهيم ، وقد أمدَّه المنصورُ بأميرينِ من أهلِ خُراسان ، معهما ألفا فارسٍ وراجل ؛ فأنزلهما عندَه ، ليتقوَّى بهما على محاربةِ إبراهيم . وتحوَّلَ المنصورُ من بغداد ـ وكان قد شَرَعَ في عِمَارتِها ـ إلى الكوفة ، وجعل كلَّما اتَّهم رجلاً من

---

(١) انظر قول الواقدي في تاريخ الطبري (٤/ ٤٦٨) .

(٢) في (ح ، ق) : « عبد الله بن سفيان » ، والمثبت من (ب) وتاريخ الطبري (٤/ ٤٦٥) .

أهلِ الكوفة في أمرِ إبراهيم بعث إليه يقتلُه في الليل في مَنْزِله ، وكان الفُرَافصةُ العِجْلي قد همَّ بالوثوبِ بالكوفةِ فلم يمكنْهُ ذلك ، لمَكانِ المنصورِ بها ، وجعل الناسُ يقصدُونَ البصرةَ من كلِّ فجٍّ لمُبايعةِ إبراهيم ، ويفدون إليها جماعاتٍ وفُرَادى ، وجعل المنصورُ يرصُدُ لهم المسالِحَ فيقتلونَهم في الطريق ، ويأتونه برؤوسِهم فيصلبها بالكوفةِ ليتَّعِظَ بها الناس ، وأرسل المنصورُ إلى حرب الراوندي ، وكان مرابطاً بالجزيرة في ألفَيْ فارسٍ لقتالِ الخوارج ، يستدعيهِ إليه إلى الكوفة ، فأقبل بمَنْ معه ، فاجتاز ببلدة بها أنصارٌ لإبراهيم ، فقالوا له : لا ندَعُكَ تجتاز ، لأن المنصور إنما دعاكَ لقتالِ إبراهيم . فقال : ويحكم ! دعوني . فأبَوْا ، فقاتلهم ، فقتل منهم خمسمئة ، وأرسل برؤوسِهم إلى المنصور ، فقال : هذا أول الفتح .

ولما كانتْ ليلةُ الإثنين مستهلَّ رمضان من هذه السنة خرجَ إبراهيمُ في الليل إلى مقبرةِ بني يَشكُر في بضعةَ عشرَ فارساً ، وقدم في هذه الليلةِ أبو حماد الأبرَص في ألفَيْ فارس مدداً لسفيانَ بن معاوية ، فأنزلهمُ الأميرُ في القصر ، ومال إبراهيمُ وأصحابه ومن التفَّ عليه وصار إلى دوابِّ أولئك الجيش وأسلحتِهم ، فأخذوها جميعاً فتقوَّوْا بها ، فكان أول ما أصاب ؛ وما أصبح الصباح إلَّا وقد استظهر جدّاً ، فصلَّى بالناسِ صلاةَ الصُّبح في المسجدِ الجامع ، والتفَّ الخلائقُ عليه ، ما بين ناظرٍ وناصِر ، وتحصَّن سفيانُ بن معاوية نائبُ الخليفة بقصرِ الإمارة ، وحبس عندَهُ الجنودَ فحاصرهم إبراهيم ، فطلب سفيانُ بن معاوية من إبراهيمَ الأمانَ فأعطاهُ الأمانَ ودخل إبراهيمُ قصرَ الإمارة ، فبُسطت له حصير ليجلسَ عليها في مقدَّمِ إيوانِ القصر ، فهبَّتِ الرِّيحُ فقلبت الحصيرَ ظهراً لبطن ، فتطيَّرَ الناسُ بذلك ، فقال إبراهيم : إنَّا لا نتطَيَّر . وجلس على ظهرِ الحصير ، وأمر بحبس سفيان بن معاوية مقيداً ، وأرادَ بذلك براءةَ ساحتِهِ عند المنصور ، واستحوذ على ما كان في بيتِ المال ، فإذا فيه ستمئة ألف ، وقيل : ألفا ألف . فقَوِيَ بذلك جدّاً .

وكان في البصرةِ جعفر ومحمد ابنا سليمان بن علي ، وهما ابنا عمِّ الخليفة المنصور ، فركبا في ستمئة فارس إليه ، فهزمهما ، وأركب إبراهيمُ المضاءَ بنَ القاسم في ثمانيةَ عشرَ فارساً وثلاثين راجلاً فهزم ستَّمئةِ فارسٍ كانت لهما ؛ وآمنَ منْ بقيَ منهم ، وبعث إبراهيم إلى أهلِ الأهواز ، فبايعوهُ وأطاعوه ، وأرسل إلى نائبِها مئتي فارس ، عليهم المغيرة ، فخرج إليه محمد بن الحصين نائبُ البلاد في أربعةِ آلاف فارس ، فهزمه المغيرةُ واستحوَذَ على البلاد ، وبعث إبراهيم إلى بلادِ فارس فأخذها ، وكذلك واسطَ والمدائن والسواد ، واستفحل أمرُهُ جدّاً ، ولكنْ لمّا جاءه نعيُ أخيهِ محمد انكسر جِدّاً ، وصلَّى بالناسِ يومَ العيدِ وهو مكسور . قال بعضُهم : والله لقد رأيتُ الموتَ في وجههِ وهو يخطبُ الناس ، فنعَى إلى الناسِ أخاه محمداً ، فازداد الناسُ حَنَقاً على المنصور ، وأصبح فعسكر بالناسِ واستناب على البصرةِ نُميلة ، وخلَّف ابنَه حسناً معه .

ولما بلغ المنصورَ خبَرُه تحَيَّرَ في أمرِه ، وجعل يتأسَّفُ على ما فرَّق من جندِهِ في الممالك ، وكان قد

بعث مع ابنِهِ المهديِّ ثلاثين ألفاً إلى الرَّيّ ، وبعث مع محمد بن الأشعث إلى إفريقيةَ أربعين ألفاً ، والباقون مع عيسى بن موسى بالحجاز ، ولم يبق مع المنصور سوى ألفَيْ فارس ، وكان يأمرُ بالنيرانِ الكثيرة فتُوقدُ ليلاً فيحسب الناظرُ إليها أنَّ ثمَّ جُنداً كثيراً . ثم كتب المنصورُ إلى عيسى بن موسى إذا قرأتَ كتابي هذا فأقبلْ من فَوْرك ، ودَعْ كلَّ ما أنتَ فيه . فلم ينشبْ أنْ أقبل إليه ، فقال له : اذهبْ إلى إبراهيمَ بالبصرة ، ولا يهولنَّك كثرةُ منْ معه ، فإنَّهم جملا بني هاشمِ المقتولانِ جميعاً ، فابسُطْ يدَك ، وثِقْ بما عندَك ، وستذكرُ ما أقولُ لك . فكان الأمرُ كما قال المنصور .

وكتب المنصور إلى ابنِهِ المهدي أنْ يوجِّهَ خازمَ بن خُزيمةَ في أربعةِ آلاف إلى الأهواز ، فذهب إليها ، فأخرج منها نائبَ إبراهيم ، وهو المغيرة ، وأباحها ثلاثةَ أيام ، ورجع المغيرةُ إلى البصرة ، وكذلك بعث إلى كلِّ كُورةٍ من هذه الكُور التي نقضَتْ بيعتَه جنداً يردُّونَ أهلَها إلى الطاعة . قالوا ولزِمَ المنصورُ موضعَ مُصَلاَّه ، فلا يبرَح منه ليلاً ونهاراً في ثيابِ بِذْلَةٍ قدِ اتَّسختْ ؛ فلم يزَلْ مقيماً هناك بضعاً وخمسين يوماً حتى فتح الله عليه وقد قيل له في غبون[1] ذلك إنَّ نساءك قد خَبُثَتْ نفسُهن لغيبتِكَ عنهنّ . فانتهَرَ القائلَ وقال : وَيْحكَ ! ليست هذه أيام نساء ، حتى أرى رأسَ إبراهيمَ بين يدي ، أو يُحمل رأسي إليه .

وقال بعضُهم : دخلتُ على المنصور وهو مهمومٌ من كثرةِ ما وقع من الشرور وهو لا يستطيع أن يتابعَ الكلامَ من كثرةِ كَرْبِهِ وهمِّه ، وما تَفَتَّقَ عليه من الفتوق والخروق ، وهو مع ذلك قد أعدَّ لكلِّ أمرٍ ما يسدُّ خَلَلَهُ به ، وقد خرجَتْ عن يده البصرةُ والأهواز وأرضُ فارس والمدائنُ وأرضُ السواد ؛ وفي الكوفةِ عندَهُ مئةُ ألفٍ مغمدةٌ سيوفها تنتظرُ به صيحةً واحدة فَيَثِبُونَ مع إبراهيم ، وهو مع ذلك يَعْرِكُ النوائبَ ويَمْرُسُها ، ولم تقعُدْ به نفسُه ، وهو كما قال الشاعر :

نفسُ عصامٍ سَوَّدتْ عصاما وعلَّمَتْــهُ الكَــرَّ والإقــدامــا
فصيَّرَتْهُ مَلِكاً هُماما[2]

وأقبل إبراهيمُ بعساكرَ من البصرة إلى الكوفة في مئةِ ألف مقاتل ، فأرسل إليه المنصورُ عيسى بنَ موسى في خمسةَ عشرَ ألفاً ، وعلى مقدَّمته حُميد بن قحطبة في ثلاثةِ آلاف ، وجاء إبراهيمُ فنزلَ في باخُمْرَى[3] في جحافلَ عظيمة ، فقال له بعضُ الأمراء إنَّكَ قد اقترَبْتَ من المنصور ، فلو أنك سرتَ إليه بطائفةٍ من جيشِك لأخذتَ بقفاه ، فإنه ليس عندَهُ من الجيوشِ ما يردُّون عنه . وقال آخرون : إنَّ الأولى أنْ

---

(١) كذا في الأصول، انظر حواشي الصفحات (٢٨٠ و٢٩٢ و٣٢١ و٣٢٤) ذوات الأرقام (٢و١و٢و٣) على التوالي من هذا الجزء.

(٢) نسبت الأبيات للنابغة الذبياني ، وهي في ديوانه ص(١١٨) . وزاد بيتاً رابعاً وهو قوله :

حتى علا وجاوز الأقواما

(٣) باخمرى ـ بالراء ـ موضعٌ بين الكوفةِ وواسط ، وهو إلى الكوفةِ أقرب تبعد عنها ستة عشر فرسخاً . معجم البلدان (٣١٦/١) ، وكما سيأتي بعد قليل .

نُناجز هؤلاءِ الذين بإزائنا ، ثم هو في قبضتِنا ، فثناهُمْ ذلك عن الرأيِ الأول ، ولو فعلَهُ لتمَّ لهمُ الأمر . ثم قال بعضُهم : خَندِقْ حولَ الجيش . وقال آخرون : إنَّ هذا الجيش لا يحتاجُ إلى خندقٍ حوله . فترك ذلك ، ثم أشار بعضُهم أنْ يُبَيِّتَ جيشَ عيسى بن موسى[1] ، فقال إبراهيم : أنا لا أرَى ذلك . فتركه ، ثم أشار آخرون بأنْ يجعل جيشَهُ كراديس ، فإنْ غُلب كردوس ثَبتَ الآخر . وقال آخرون : الأولى أن نُقاتِلَ صفوفاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف : ٤] ، والأمر لله وما شاء فعل . ولو ساروا إلى الكوفة وبيَّتوا الجيشَ أو جعلَ جيشه كراديسَ لتمَّ له الأمر مع تقديرِ الله تعالى .

وأقبلَ الجيشان ، فتصافُّوا في باخُمْرَى ، وهي على ستةَ عشرَ فرسخاً من الكوفة ، فاقتتلوا بها قتالاً شديداً فانهزم حُميد بن قحطبةَ بمنْ معه من المقدِّمة ، فجعل عيسى يُناشدهم الله في الرجوعِ والكرَّة ، فلا يلوي عليه أحد ، وثبتَ عيسى بن موسى في مئةِ رجلٍ من أهلِه ؛ فقيل له : لو تنَحَّيْتَ من مكانك هذا لئلا يحطِمَكَ جيشُ إبراهيم . فقال : والله لا أزولُ منه حتى يفتحَ الله لي أو أقتلَ هاهنا . وكان المنصورُ قد تقدَّم إليه بما أخبره بعضُ المنجِّمين ، أنَّ الناس يكونُ لهم جَوْلة عن عيسى بن موسى ، ثم يقومون إليه ، وتكونُ العاقبةُ له . فاستمرَّ المنهزمون ذاهبين إلى نهرٍ بين جبلَيْن ، فلم يُمكنهم خوضه ، فكرُّوا راجعينَ بأجمعِهم ، وكان أولُ راجعٍ حُميد بن قحطبة الذي كان أولَ منِ انهزم ، ثم اجتلدوا هم وأصحابُ إبراهيم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وقُتل من كلا الفريقَيْنِ خلقٌ كثير ، ثم انهزم أصحابُ إبراهيم ، وثبتَ هو في خمسمئة ، وقيل : في أربعمئة ، وقيل : في تسعين رجلاً ، واستظهر عيسى بنُ موسى وأصحابُه ، وقُتل إبراهيم في جملةِ من قُتل ، واختلط رأسُه مع رؤوسِ أصحابه ، فجعل حُميد يأتي بالرؤوس إلى عيسى بن موسى حتى عرفوا رأسَ إبراهيم ، فبعثوه مع البشيرِ إلى المنصور ، وكان نيبخت المنجِّم قد دخل على المنصور قبلَ مجيء الرأس ، فأخبره أنَّ إبراهيم مقتول ، فلم يصدِّقْه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنْ لم تصدِّقْني فاحبِسْني ، فإنْ لم يكنِ الأمرُ كما ذكرتُ فاقتُلْني . فبينما هو عندَه إذْ جاء البشيرُ بهزيمةِ جيشِ إبراهيم ، ولما جيء بالرأس تمثَّل المنصور ببيتِ مُعَقِّرِ بنِ أوسِ بنِ حمار البارقيّ :

فألقَتْ عصاها واستقرَّ بها النَّوَى كمـا قَـرَّ عيناً بـالإيـابِ المُسَـافـرُ

وقيل : إنَّ المنصور لمّا رأى الرأسَ بكى حتى جعلتْ دموعُه تسقُطُ على الرأس ، وقال : واللهِ لقد كنتُ لهذا كارهاً ، ولكنَّكَ ابتُليتَ بي وابتليتُ بك . ثم أمرَ بالرأسِ فنُصب بالسوق ، وأقطَعَ نيبختَ المنجِّم الكذّاب ألفَيْ جَريب[2] .

---

(١) بَيَّتَ جيش العدوّ : أوقَعَ بهم ليلاً . القاموس (بيت) .

(٢) وهذه زيادة من (ق) المقحمة وهي : =

وذكر صالح مولى المنصور قال : لما جيء برأسِ إبراهيمَ جلس المنصورُ مجلساً عامّاً ، وجعل الناسُ يدخلونَ عليه فيهنِّئونه وينالونَ من إبراهيم ، ويُقبِّحون الكلامَ فيه ابتغاءَ مرضاةِ المنصور ، والمنصورُ ساكتٌ متغيِّرُ اللون لا يتكلَّم ، حتى دخل جعفرُ بن حَنْظلةَ البهراني ، فوقف فسلَّم ثم قال : أعظَمَ الله أجرَكَ يا أميرَ المؤمنين في ابنِ عمِّك ، وغفرَ له ما فرَّط من حَقِّك . قال : فاصفرَّ لونُ المنصور ، وأقبل عليه وقال له : يا أبا خالد ، مرحباً وأهلاً ، هاهنا فاجلسْ ، فعلم الناسُ أنَّ ذلك وقع منه موقعاً جيداً ؛ فجعل كلُّ منْ جاء يقولُ كما قال جعفرُ بن حنظلة .

قال أبو نُعيم الفضلُ بن دُكين : كان مقتلُ إبراهيمَ في يومِ الخميس ، لخمسٍ بقينَ من ذي الحجَّةِ من هذه السنة .

ذكرُ منْ تُوفِّي فيها من الأعيان :

فمن أعيانِ أهلِ البيت عبدُ الله بن حسن .

وابناه محمد وإبراهيم .

وأخوه حسن بن حسن .

وأخوه لأمِّه محمد بن عبدِ الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، الملقَّب بالدِّيباج ؛ وقد تقدَّمت ترجمتُه[1] .

وأما أخوه :

عبدُ الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب[2] : القرشيُّ الهاشميُّ فتابعيّ ، روى عن أبيه وأُمِّه فاطمةَ بنتِ الحسين ، وعبدِ الله بن جعفر بن أبي طالب ـ وهو صحابيٌّ جليل ـ وغيرهم . وروى عنه جماعةٌ ، منهم سفيانُ الثوري ، والدَّرَاوَرْدي ، ومالك . وكان معظَّماً عندَ العلماء ، وكان عابداً كبيرَ القَدْر . قال يحيى بنُ معين : كان ثقةً صدوقاً ، وَفَد على عمرَ بن عبد العزيز فأكرَمه ، ووفد على السفَّاح فعظَّمهُ وأعطاهُ ألفَ ألفِ درهم ؛ فلمّا ولي المنصورُ عامَلَهُ بعكسِ ذلك ، وكذلك أولادُه وأهلُه ؛ وقد مضَوْا جميعاً ، والتقَوْا عندَ الله عزَّ وجلَّ .

= [فهذا المنجِّم إنْ كان قد أصاب في قضية واحدة فقد أخطأ في أشياءَ كثيرة ، فهُمْ كَذَبةٌ كَفَرة ؛ وقد كان المنصورُ في ضلالٍ مع منجِّمهِ هذا . وقد ورَّث الملوكَ اعتقادَ أقوالِ المنجِّمين ، وذلك ضلالٌ لا يجوز] .

(١) في ص(٣١٦) من هذا الجزء .

(٢) ترجمته في التاريخ الكبير (٥/ ٧١) ، مشاهير علماء الأمصار (١/ ١٢٧) ، الثقات لابن حبان (٧/ ١) ، تاريخ بغداد (٩/ ٤٣١) ، الكاشف للذهبي (١/ ٥٤٥) ، تهذيب الكمال (١٤/ ٤١٤) ، طبقات الحنفية (١/ ٤٥٤) .

وأخذهُ المنصورُ وأهلَ بيتِهِ مقيَّدين مغلولين مُهانينَ من المدينةِ إلى الهاشميَّة ، فأودعهُمُ السِّجنَ الضيق ـ كما قدَّمنا ـ فماتَ أكثرُهم فيه ، فكان عبدُ الله بن حسن هذا أولَ منْ ماتَ فيه بعدَ خروج محمدٍ بالمدينة . وقد قيل : إنه قُتل في السجن عمداً ، وكان عمرُه يومَ مات خمساً وسبعين سنة ؛ وصلَّى عليه أخوهُ لأمِّهِ الحسنُ بن الحسن بن علي ، ثم ماتَ بعدَهُ أخوه حسن ، فصلَّى عليه أخوه لأمِّه محمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان ، ثم قُتل بعدَهما وحُمل رأسُهُم إلى خُراسان كما تقدَّم .

وأمَّا ابنُه :

محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب[١] : الذي خرج بالمدينة ، فروى عن أبيه ، ونافع ، وعن أبي الزِّناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، في كيفيَّةِ الهُوِيِّ إلى السُّجود . وحدَّث عنه جماعةٌ . ووثقه النسائي وابنُ حبَّان ، وقال البخاري : لا يُتابع حدِيثه ؛ وقد ذكر أنَّ أُمَّه حملَتْ به أربعَ سنين ، وكان طويلاً سميناً أسمرَ ضَخماً ، مُفَخَّماً ، ذا هِمَّةٍ سامية ، وسَطْوةٍ عالية ، وشجاعةٍ باهرة ، قُتل بالمدينةِ في مُنتَصَفِ رمضان ، سنةَ خمسٍ وأربعين ومئة ، وله خمسٌ وأربعون سنة . وقد حملوا برأسِهِ إلى المنصور ، وطِيف به في الأقاليم .

وأما أخوه إبراهيم فكان ظهورُه بالبصرةِ بعد ظهورِ أخيهِ بالمدينة ، وكان مقتَلُه بعدَ مقتلِ أخيه في ذي الحِجَّة من هذه السنة ، وليس له شيءٌ في الكتبِ الستَّة . وحكى أبو داود السِّجسْتاني عن أبي عوانة أنه قال : كان إبراهيمُ وأخوهُ محمد خارجِيَّيْن[٢] . قال داود : ليس كما قال ، هذا رأيُ الزيديَّة . قلتُ : وقد حُكي عن جماعةٍ من العلماءِ والأئمة أنهم مالوا إلى ظهورِهما . وفي هذا نظر ، والله أعلم .

وفيها تُوفِّي من المشاهيرِ والأعيان :

الأجلحُ بن عبدِ الله .

وإسماعيلُ بنُ أبي خالد ـ في قول ـ

وحبيب بن الشهيد .

وعبد الملك بن أبي سليمان .

وعمرو مولى عَفْرة .

---

(١) ترجمته في الثقات لابن حبان (٩/ ٤٠) ، تهذيب الكمال (٢٥/ ٦٤٥) ، المغني في الضعفاء (٢/ ٥٩٦) ، الكاشف (٢/ ١٨٥) ، المقتنى في سرد الكنى (١/ ٤٥٢) ، لسان الميزان (٧/ ٣٦٣) ، تقريب التهذيب ص(٤٨٧) .

(٢) في (ق) : « خارجين » ، وفي (ب ، ح) : « خارجيان » .

ويحيى بن الحارث الذِّمَاري .

ويحيى بن سعيد أبو حيَّان التيميّ .

ورؤبة بن العَجَّاج[١] : والعجَّاج لقَب ، واسمهُ أبو الشعثاء عبد الله بن رؤبة ، أبو محمد التميمي البصري الراجز ابن الراجز ، ولكلٍّ منهما ديوانُ رَجَز ؛ وكلٌّ منهما بارعٌ في فَنِّهِ لا يُجارى ولا يُمارى ، عالمٌ باللغة .

وعبدُ الله بن المقفَّع[٢] : الكاتبُ المفوَّه ، أسلم على يدِ عيسى بنِ عليّ ، عَمِّ السفَّاحِ والمنصور ، وكتبَ له ، وله رسائلُ وألفاظٌ صحيحة ، وكان مُتَّهماً بالزَّنْدَقة ، وهو الذي صنَّف كتابَ « كليلة ودِمْنَة » ؛ ويُقال : بل هو الذي عرَّبها من الفارسيَّة إلى العربية ، قال المهدي : ما وُجدَ كتابُ زَنْدقةٍ إلَّا وأصلُه من ابنِ المقفع . وقال الجاحظ : الزنادقةُ ثلاثة ؛ ابن المقفَّع ، ومطيع بن إياس ، ويحيى بن زياد . قالوا : ونَسِيَ الجاحظُ نفسَهُ ، وهو رابعُهم . وكان مع هذا فاضِلاً بارعاً فَصِيحاً . قال الأصمعي : قيل لابنِ المقفَّع : منْ أدَّبك ؟ قال : نفسي ؛ إذا رأيتُ منْ غيري قَبِيحاً أَبَيْته ، وإذا رأيتُ حسناً أَتَيْتُه .

ومن كلامه : شربتُ من الخُطَب رِيّاً ، ولم أضبِطْ لها رَوِيّاً ، فغاضَتْ ثم فاضَتْ ، فلا هي نِظَاماً وليس غيرها كلاماً .

وكان قتلُ ابنِ المقفَّع على يدِ سفيان بن معاوية بن يزيدَ بنِ المهلَّبِ بنِ أبي صُفْرَة ، نائبِ البصرة ، وذلك أنه كان يعبثُ به ويسبُّ أُمَّه ، وإنما كان يسمِّيه ابنَ المغتلمة ، وكان كبيرَ الأنف ، وكان إذا دخل عليه يقول : السلامُ عليكما على سبيلِ التهكُّم . وقال لسفيانَ بنِ معاويةَ مرَّةً : ما نَدمتُ على سكوتٍ قطّ . فقال : صدقتَ ، الخرَسُ لك خيرٌ من كلامِك . ثم اتفق أنَّ المنصورَ غَضِبَ على ابنِ المقفَّع ، فكتب إلى نائبِهِ سفيانَ بنِ معاويةَ هذا أنْ يقتُلَه ؛ فأخذهُ فأحْمَى له تَنُوراً ، وجعل يُقطِّعُهُ إرْباً إرْباً ، ويُلقيهِ في ذلك التنُّور حتى حَرَقه كلَّه ، وهو ينظر إلى أطرافِهِ كيف تُقطَّع ثم تُحرق . وقيل غيرُ ذلك في صِفَةِ قتلِه .

قال ابنُ خلِّكان : ومنهم منْ يقول : إنَّ ابن المقفَّع نُسب إلى بيعِ القفاع ، وهي من الجريد كالزَّنْبيل بلا آذان[٣] . والصحيح أنه ابنُ المقفع وهو أبو داذويه ، كان الحجاج قد استعمله على الخراج فخانَ ، فعاقَبَهُ حتى تقفَّعَتْ يداه ، والله أعلم .

---

(١) ترجمته في طبقات فحول الشعراء (٢/ ٧٣٨ و٧٦١) ، التاريخ الكبير (٣/ ٣٤٠) ، الجرح والتعديل (٣/ ٥٢١) ، والأغاني (٢٠/ ٣٥٩) ، المقتنى في سرد الكنى (١/ ١٤٣) ، الأسماء المفردة ص(١٣٦) .

(٢) ترجمته في وفيات الأعيان (٢/ ١٥١)، سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٠٨)، لسان الميزان (٣/ ٣٦٦)، الفهرست ص(١٧٢).

(٣) جاء في لسان العرب (قفع) ما نصه : والقَفَعةُ : جماعةُ الجرادِ . وفي حديث عمر : أنه ذكر عنده الجراد فقال : لَيْتَ عندنا منه قَفْعةً أو قَفْعَتَيْن ؛ القَفْعة : هو هذا الشبيه بالزَّبيل ، وقال الأزهري : هو شيء كالقفة يتخذ واسعَ =

وفيها خرج التُّرك والخَزَر بباب الأبواب ، فقتلوا من المسلمين بأرمينيةَ جماعةً كثيرة ، وحجَّ بالناس في هذه السنةِ [السريُّ بن عبد الله بن الحارث بن عباس بن عبد المطلب نائب مكة ، وكان] نائب المدينة عبدُ الله بن الربيع الحارثي ، وعلى الكوفة عيسى بن موسى ، وعلى البصرة سلم بن قُتيبة ، وعلى مصر يزيدُ بن حاتم .

ثم دخلت سنة ست وأربعين ومئة

فيها تكامل بناءُ مدينةِ السلام ببغداد ، وسكنها المنصور في صفر من هذهِ السنة ، وكان مقيماً قبلَ ذلك بالهاشميَّة المتاخمةِ للكوفة ، وكان قد شَرَعَ في بنائِها في السنةِ الخارجة ، وقيل في سنةِ أربع وأربعين ومئة . فالله أعلم .

وقد كان السبَبُ الباعثُ له على بنائها أنَّ الرَّاوَنْديَّة لمَّا وثبوا عليهِ بالكوفة ، ووقاهُ الله شرَّهم ، بقِيَتْ منهم بقيَّة ، فخَشِيَ على جُنده ، فخرج من الكوفةِ يَرْتادُ لهم موضعاً لبناء مدينة ؛ فسار في الأرض حتى بلَغَ الجزيرة ، فلم يرَ موضعاً أحسنَ لوضعِ المدينةِ من موضعِ بغدادَ الذي هي فيه الآن ؛ وذلك بأنَّهُ موضعٌ يُغدَى إليه ويُرَاحُ بخيراتِ ما حَوْلَهُ في البرِّ والبحر ، وهو مُحَصَّنٌ بدِجْلَةَ والفُرات ، من هاهنا وهاهنا ، لا يقدِرُ أحدٌ أنْ يتواصل إلى موضعِ الخليفةِ إلَّا على جِسْر ؛ وقد بات به المنصورُ قبلَ بنائِه ليالي ، فرأى الرياحَ تَهُبُّ بهِ ليلاً ونهاراً [من غير انجعارٍ ولا غُبار][1] ؛ ورأى طيبَ تلك البُقعة ، وطيبَ هوائها ، وقد كان في موضعِها قُرَى وديورٌ لِعُبَّادِ النَّصارى وغيرِهم . ذكر ذلك مفصَّلاً بأسمائه وتَعْدادِه أبو جعفر بنُ جَرير[2] ؛ فحينئذ أمر المنصور باختطاطِها ، فرسموها له بالرَّماد ، فمشى في طُرقِها ومسالِكها ، فأعجبه ذلك ، ثم سلَّم كلَّ رُبع منها لأميرٍ يقومُ على بنائه ، وأحضر من كلِّ البلادِ فُعَّالاً[3] وصُنَّاعاً ومهندسين ، فاجتمع عنده أُلوفٌ منهم ، ثم كان هو أوَّلَ منْ وضع لَبنةً فيها بيدِه ، وقال : بسم الله والحمدُ لله ﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢٨] . ثم قال : ابنوا على بَرَكةِ الله . وأمر ببنائها مُدَوَّرَةً ، سَمْكُ سورِها من أسفلِهِ خمسون ذراعاً ، ومن أعلاه عشرون ذراعاً ،

= الأسفل ضَيِّقَ الأعلى ، حَشْوُها مكانَ الحَلْفَاءِ عَراجينُ تُدَقُّ ، وظاهرها خُوص على عمَلِ سلالِ الخوص . وفي المحكم : القَفْعةُ هنةٌ تُتَّخذُ من خوص تشبه الزَّبيلَ ليس بالكبير ، لا عُرى لها ، يُجْنى فيها الثمر ونحوه وتسمى بالعِراق القُفّة . وقال ابن الأعرابي : القَفع القِفافُ ، واحدتُها قَفعةٌ . وقال محمد بن يحيى : القَفْعة الجُلّة بلغة اليمن يحمل فيها القطن .

(١) ما بين معقوفين انفردت فيه (ق) .

(٢) في تاريخه (٤/ ٤٧٨) .

(٣) في (ب ، ح) : « فعولا » ، والمثبت من (ق) .

وجعل لها ثمانيةَ أبوابٍ في السور البرَّاني ، ومثلها في الجُوَّاني ، وليس كلُّ واحدٍ تجاهَ الآخر ، ولكنْ جعله أَزْوَرَ عن الذي يليه ، ولهذا سُمِّيت بغدادُ الزَّوْراء لازْوِرَارِ أبوابِها بعضِها عن بعض ؛ وقيل : سُمِّيتْ بذلك لانحراف دِجْلَةَ عندها .

وبَنَى قصرَ الإمارةِ في وسط البلد ، ليكون الناس منه على حدٍّ سواء ، واختطَّ المسجدَ الجامع إلى جانبِ القَصْر ، وكان الذي وضع قبلتَهُ الحجَّاجُ بن أرطاة .

وقال ابنُ جرير[1] : ويقال : إنَّ في قِبْلَتِه انحرافاً يحتاجُ المصلِّي فيه أن ينحرفَ إلى ناحيةِ بابِ البصرة ، وذكر أنَّ مسجدَ الرُّصافة أقربُ إلى الصوابِ منه لأنَّه بُني قبلَ القصر ، وجامعُ المدينة بُني على القصر ، فاختلَّتْ [قِبلته] بسببِ ذلك .

وذكر ابنُ جرير[2] عن سليمان بن مُجالد أنَّ المنصور أراد أبا حنيفةَ النعمانَ بن ثابت على القضاء بها ، فأبَى وامتنع ؛ فحَلَفَ المنصورُ أن يتولَّى له ، وحلف أبو حنيفةَ أنْ لا يتولَّى له ؛ فولَّاهُ القيامَ بأمرِ المدينةِ وضَرْبِ اللَّبِن ، وأخذ الرجالُ بالعمل ، وكان أبو حنيفة المتولِّي لذلكَ حتى فرغوا من استتمامِ حائطِ المدينةِ ممايلي الخندق . وكان استتمامُهُ في سنةِ أربعٍ وأربعين ومئة .

قال ابنُ جرير[3] : وذُكر عن الهيثم بن عديّ ، أنَّ المنصورَ عَرَض على أبي حنيفةَ القضاءَ والمظالِمَ فامتنع ، فحَلَف أنْ لا يُقلعَ عنهُ حتى يعمَلَ له ، فأُخبرَ بذلك أبو حنيفة ، فدعا بقَصَبةٍ فعَدَّ اللَّبِنَ لِيَبَرَّ بذلك يمينَ أبي جعفر . ومات أبو حنيفة ببغداد بعد ذلك .

وذكر[4] أنَّ خالدَ بنَ بَرْمَك هو الذي أشار على المنصورِ ببنائها ، وأنه كان مستحثاً فيها للصُّنَّاع ، وقد شاور المنصورُ الأمراءَ في نقل القصر الأبيض من المدائن إلى بغداد ، لأجل قصرِ الإمارة بها ، فقالوا : لا تفعلْ فإنَّهُ آيةٌ في العالَم ، وفيه مُصَلَّى أميرِ المؤمنين عليِّ بنِ أبي طالب . فخالفَهُمْ ونقلَ منه شيئاً كثيراً ، فلم يفِ ما تحصَّلَ منه بأجرةِ ما يُصرَف في حَمْلِه ؛ فتركه ونقَلَ أبوابَ قصرِ واسطَ إلى أبوابِ قصرِ الإمارةِ ببغداد . وقد كان الحجَّاجُ نَقَلَ حجارتَهُ من مدينةٍ هناك كانتْ من بناء سليمانَ بنِ داود ؛ وكانتِ الجنُّ قد عملَتْ تلكَ الأبواب ، وهي حجارةٌ هائلة ، وقد كانت الأسواقُ وضَجيجُها تُسمع من قصرِ الإمارة ، فكانتْ أصواتُ الباعةِ وهَوسناتُ الأسواق تُسمع منه ؛ فعاب ذلك بعضُ بطارقةِ النصارَى ممَّنْ قدِمَ في بعض الرسائلِ من الرُّوم ، فأمر المنصورُ بنقلِ الأسواقِ من هناكَ إلى موضعِ آخر ، وأمر بتوسعةِ الطُّرقاتِ أربعين ذراعاً في أربعين ذراعاً ؛ ومنْ بَنَى في شيءٍ من ذلك هُدم .

---

(١) يعني الطبري في تاريخه (٤/ ٤٧٩) .

(٢) يعني الطبري في تاريخه (٤/ ٤٥٩) .

(٣) في تاريخه (٤/ ٤٦٠) .

(٤) يعني الطبري في تاريخه (٤/ ٤٧٨) .

قال ابنُ جرير[١] : وذُكر عن عيسى بن المنصور أنه قال : وجدتُ في خزائنِ المنصورِ في الكتب أنَّه أنفق على بناءِ مدينةِ السلام ومسجدِها الجامع وقصرِ الذهب بها والأسواقِ والفصلان والخنادق وقبابها أربعةَ آلاف [ألف] وثمان مئة وثلاثة وثمانين ألف درهم ؛ وكان أجرةُ الأستاذ من البنَّائين كلَّ يوم قيراط فِضَّة ، وأُجرة الصانع من الحَبَّتَيْنِ إلى الثلاثة .

قال الخطيب البغدادي[٢] : وقد رأيتُ ذلك في بعض الكتب . وحكى عن بعضِهم أنه قال : أنفق عليه ثمانيةَ عشرَ ألف ألف . فالله أعلم .

وذكر ابنُ جرير[٣] أنَّ المنصورَ ناقَصَ أحدَ المهندسين الذي بنى بيتاً حسناً في قصرِ الإمارة ، فَنَقَصَهُ درهماً عمَّا ساوَمَهُ ، وأنَّهُ حاسَبَ بعضَ المستحِثِّين على الذي كان عندَه ، ففَضَلَ عندَهُ خمسة عشر درهماً ، فحبَسَهُ حتى جاء بِها وأحضرها ، وكان شحيحاً .

قال الخطيب[٤] : وبناها مُدَوَّرة ، ولا يُعرف في أقطارِ الأرض مدينةٌ مدوَّرةٌ سواها ؛ ووضع أساسَها في وقتٍ اختارَهُ له نُوبَخْت المنجِّم . ثم ذكرَ عن بعضِ المنجِّمين قال : قال لي المنصور لَمَّا فرَغ من بناءِ بغداد : خُذِ الطالِعَ لها . فنظرتُ في طالِعِها ، وكان المشتري في القَوْس ، فأخبرتُهُ بما تدلُّ عليه النجومُ من طولِ زمانِها ، وكثرةِ عِمارتِها ، وانصبابِ الدنيا إليها ، وفقرِ الناسِ إلى ما فيها . قال : ثم قلت له : وأُبَشِّرُكَ يا أمير المؤمنين ، أنه لا يموتُ فيها أحدٌ من الخلفاءِ أبداً . قال : فرأيتُهُ يتبسَّم ، ثم قال : الحمدُ لله ، ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحديد : ٢١ والجمعة : ٤] . وذكر عن بعض الشعراء أنه قال في ذلك شعراً ، منه :

قَضَــى رَبُّهــا أنْ لا يمــوتَ خليفــةٌ بها إنَّهُ ما شاء في خلقِهِ يَقْضِي[٥]

وقد قرَّرَهُ على هذا الخطأ الخطيب وسلَّم ذلك ولم ينقُضْهُ بشيء ، بل قرَّرَهُ مع اطِّلاعِهِ ومعرفتِه[٦] .

قال[٧] : وزعم بعضُ الناس أنَّ الأمين قُتل بدَرْبِ الأنبار منها . فذكرتُ ذلك للقاضي أبي القاسم

---

(١) في تاريخه (٤/ ٤٨١) .

(٢) في تاريخ بغداد (١/ ٦٩) .

(٣) في تاريخه (٤/ ٤٨١) .

(٤) في تاريخ بغداد (١/ ٦٧) .

(٥) أورد الخطيب في تاريخه (١/ ٦٨) عدة أبيات نسبها إلى عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن الخطَفَى ، ثم قال : بعد روايتها : وقد رويت هذه الأبيات لمنصور النمري . والله أعلم .

(٦) انظر تاريخ بغداد (١/ ٦٨) .

(٧) يعني الخطيب في تاريخ بغداد (١/ ٦٨) .

علي بن حسن التنوخي فقال : محمد الأمين لم يُقتل بالمدينة ، إنما قد نزل في سفينةٍ إلى دِجلة ليَتنزَّه ، فقُبض عليه في وسط دجلة وقُتل هناك . وذكر ذلك الصُّولي وغيرُه .

وذكر عن بعضِ مشايخِ بغداد ، أنه قال : اتساعُ بغدادَ مئةٌ وثلاثون جَريباً ، وذلك بقَدْرِ ميلَيْن في مَيلَيْن .

قال الإمام أحمد[1] : بغداد من الصَّراة إلى باب التبن .

وذكر الخطيب[2] أنَّ بين كلِّ بابَيْنِ من أبوابِها الثمانية ميلاً . وقيل أقلّ من ذلك .

وذكر الخطيب[3] صفةَ قصرِ الإمارة ، وأنَّ فيه القبَّةَ الخضراء ، طولُها ثمانون ذراعاً ، على رأسِها تمثالُ فَرَسٍ عليه فارسٌ في يَدِهِ رُمْحٌ يدورُ به ، فأيُّ جهةٍ استقبلها واستمرَّ مستقبلَها عَلِمَ السلطانُ أنَّ في تلك الجهةِ قد وقع حدَث ، فلم يلبَثْ أنْ يأتيَ الخليفةَ خبرُه .

وهذه القبةُ وهي على مجلسٍ في صدرِ إيوانِ المحكمة ، وطولُه ثلاثون ذراعاً ، وعرضه عشرون ذراعاً وقد سقطَتْ هذه القبةُ في ليلة بردٍ ومطر ورعدٍ وبَرْق ، ليلةَ الثلاثاء لسبعٍ خلَوْنَ من شهرِ جُمَادَى الآخرة سنة تسعٍ وعشرين وثلاث مئة .

وذكر الخطيبُ البغدادي[4] أنه كان يُباع في بغداد في أيام المنصور الكبش الغنم بدِرْهم ، والحَمَلَ بأربعةِ دوانِق ، ويُنادى على لحمِ الغنم كلّ ستينَ رطلاً بدرهم ، ولحم البقر كل تسعين رطلاً بدرهم ، والتمر كل ستين رطلاً بدرهم ، والزيت ستة عشر رطلاً بدرهم ، والسمن ثمانية أرطال بدرهم ، والعسل عشرة أرطالٍ بدرهم ، ولهذا الأمن والرُّخص كَثُرَ ساكنوها ، وعَظُمَ أهلوها ، وكَثُرَ الدارجُ في أسواقِها وأزِقَّتها ، حتى كان المارُّ لا يستطيعُ أنْ يجتازَ في أسواقِها لكثرةِ زِحامِ أهلِها .

قال بعضُ الأمراءِ وقد رجَعَ من السُّوق : طالَ واللهِ ما طرَدْتُ خلفَ الأرانب في هذا المكان .

وذكر الخطيب[5] أن المنصور جلس يوماً في قصرِه ، فسمع ضجَّة عظيمة ، ثم أخرى ، ثم أخرى ، فقال للربيع الحاجب : ما هذا ؟ فكشف فإذا بقرةٌ نفرَتْ من جازِرِها هاربةً في الأسواق . فقال الرومي : يا أمير المؤمنين ، إنك بنَيْتَ بناءً لم يبنِهِ أحدٌ قبلَك ، وفيه ثلاثةُ عيوب : بُعدُهُ من الماء ، وقُرْبُ الأسواقِ منه ، وليس عندَه خُضْرة ، والعينُ خضراء تُحبُّ الخُضرة . فلم يرفَعْ بِها المنصورُ رأساً . ثم أمَرَ بتغييرِ

---

(١) تاريخ بغداد : (١/ ٧٠ ، ٧١) .

(٢) في تاريخ بغداد (١/ ٧١) .

(٣) في تاريخ بغداد (١/ ٧٣) .

(٤) في تاريخ بغداد (١/ ٧٠) .

(٥) في تاريخ بغداد (١/ ٧٨) .

ذلك ، ثم بعدَ ذلك ساق إليها الماء ، وبَنَى عندَها البساتين ، وحوَّلَ الأسواقَ من ثمَّ إلى الكَرْخ .

قال يعقوبُ بن سفيان : كمَلَ بناءُ بغداد في سنةِ ستٍّ وأربعين ومئة ، وفي سنة سبعٍ وخمسين حوَّل الأسواقَ إلى بابِ الكَرْخ وباب الشعير وباب المحوَّل ، وأمر بتَوْسعةِ الأسواق أربعين ألفاً[1] . وبعد شهرين من ذلك شرَعَ في بناءِ قصره المسمَّى بالخُلد ، فكمَلَ سنةَ ثمانٍ وخمسين ومئة ، وجعَلَ أمرَ ذلك إلى رجلٍ يُقال له الوضَّاح . وبنى للعامَّةِ جامعاً للصلاةِ والجُمعة لئلا يدخلوا إلى جامعِ المنصور . فأمَّا دارُ الخلافة التي كانتْ ببغداد بعدَ ذلك فإنَّها كانتْ للحسن بن سهل ، فانتقلَتْ من بعدِهِ إلى بُوران زوجةِ المأمون ، فطَلَبها منها المعتضد ـ وقيل المعتمد ـ فأنعمَتْ له بِها ، ثم استنظرَتْهُ أياماً حتى تنتقلَ منها ؛ فأنظَرَها ، فشرَعَتْ في تلك الأيَّام في ترميمِها وتبييضِها وتحسينِها ، ثم فرشَتْها بأنواعِ الفُرش والبُسط ، وعلَّقَتْ فيها أنواعَ الستور ، وأرصدَتْ فيها ما ينبغي للخلافةِ من الجواري والخدم ، وألبسَتْهم أنواعَ الملابس ، وجعلَتْ في الخزائنِ ما ينبغي من أنواعِ الأطعمةِ والمآكل ، وجعلتْ في بعض بيوتِها من أنواعِ الأموال والذخائر ، ثم أرسلَتْ بمفاتيحِها إليه . ثم دخلَها فوجَدَ فيها ما أرصدَتْه بها ، فهالَهُ ذلك واستعظمَه ؛ وكان أولَ خليفةٍ سكنها ، وبنى عليها سوراً . ذكرَهُ الخطيب .

وأما التاج فبناه المكتفي على دِجْلة ، وحَوْلَهُ القِبابُ والمجالس والميدان والثُّرَيَّا وحَيْرُ الوحوش[2] . وذكر الخطيب صفةَ دارِ الشجرة التي كانت في زمنِ المقتدر بالله وما فيها من الفُرُشِ والسُّتور والخدمِ والمماليك والحشمةِ الباهرة ، والدنيا الظاهرة ، وأنها كان بها أحد عشر ألف طَوَاشي ، وسبع مئة حاجب . وأمَّا المماليك فألوفٌ لا يُحصونَ كثرةً . وسيأتي ذكرُ ذلك مفصّلاً في أيامِهم ودولتِهم التي ذهبَتْ كأنها أحلامُ نُوَّم بعدَ سنة ثلاث مئة .

وذكر الخطيب[3] دار الملك التي بالْمُخَرِّم ، وذكر الجوامع التي تقام فيها الجمعات ، وذكر الأنهار والجُسور التي بها ، وما كان في ذلك في زمن المنصور ، وما أُحدث بعده إلى زمانه . وأنشد لبعض الشعراء في جسور بغداد التي على دِجْلَة :

يوم سرقنا العيشَ فيه خِلْسَةً ... في مجلسٍ بِفنَاءِ دِجلَةَ مُفْرَدِ
رَقَّ الهـواءُ بـرقَّـةٍ قـدَّامـهُ ... فغدوتُ رقّاً للزمانِ الْمُسْعَدِ
فكـأنَّ دِجلـةَ طيلسـانٌ أبيـضٌ ... والجسرُ فيها كالطِّرازِ الأسودِ

---

(١) في بعض النسخ : ذراعاً .
(٢) الحَيْر : الحظيرة . لسان العرب (حير) .
(٣) في تاريخ بغداد (١/ ١٠٥ ـ ١١٧) .

وقال آخر :

أيا حبّذا جسرٌ على مَتْنِ دِجْلةٍ ... بإتقانِ تأسيسٍ وحُسْنٍ ورَوْنَقِ
جَمالٌ وحسنٌ للعراقِ ونُزْهةٌ ... وسَلوةُ من أضناهُ فَرْطُ التشوُّقِ
تراهُ إذا ما جئتَهُ متأمِّلاً ... كسطرِ عَبيرٍ خُطَّ في وَسْطِ مُهْرَقِ
أو العاجِ فيه الآبَنوسُ مُرَقَّشٌ ... مثالُ فيولٍ تحتَها أرضُ زئبقِ

وذكر الصولي قال[١] : ذكر أحمدُ بن أبي طاهر في كتاب بغداد أنَّ ذراعَ بغدادَ من الجانبين ثلاثةٌ وخمسون ألف جَريب ، وسبعمئة وخمسون جريباً ، وأنَّ الجانبَ الشرقيَّ ستةٌ وعشرون ألف جَرِيب وسبعُمئةٍ وخمسون جَريباً ، وأنَّ عدَّةَ حَمَّاماتِها ستون ألفَ حَمَّام ؛ وأقلُّ ما في كلِّ حَمَّامٍ منها خمسةُ نفر : حَمَّامي ، وقَيِّم ، وزَبَّال ، ووَقَّاد ، وسَقَّاء ؛ وأنَّ بإزاءِ كلِّ حَمَّام خمسةُ مساجد ؛ فذلك ثلاث مئةِ ألفِ مسجد ، وأقلُّ ما يكون في كلِّ مسجدٍ خمسةُ نفر : يعني إماماً وقيِّماً ومأذوناً ومأمومين . ثم تناقصَتْ بعدَ ذلك ، ثم دُثِرَتْ بعدَ ذلك حتى صارتْ كأنَّها خَرِبةٌ صورةً ومعنًى ، على ما سيأتي بيانُه في موضعِه .

وقال الحافظ أبو بكر البغدادي[٢] : لم يكن لبغداد نظيرٌ في الدنيا ، في جلالةِ قدرِها ، وفخامةِ أمرِها ، وكثرةِ علمائها وأعلامها ، وتَميُّزِ خواصِّها وعوامِّها ، وعظم أقطارِها وسعةِ أطرارِها ، وكثرةِ دُورِها ودُروبِها ومنازلِها وشوارعِها ومَحَالِّها وأسواقِها وسِكَكِها وأزِقَّتِها ومساجدِها وحماماتِها وخاناتِها ؛ وطيبِ هوائها ، وعذوبةِ مائها ، وبَرْدِ ظلالِها ، واعتدالِ صيفِها وشتائها ، وصحَّةِ ربيعِها وخريفِها ، وأكثر ما كانتْ عمارةً وأهلاً في أيامِ الرَّشيد . ثم ذكرَ تناقُصَ أحوالِها وهلمَّ جرّا إلى زمانِه .

قلتُ : وكذا من بعدِهِ إلى زمانِنا هذا ، ولاسيما في أيامِ هولاكو بن تولي بن جنكز خان التركي ، الذي وضع معالِمَها ، وقتلَ خليفتَها وعالِمَها ، وخرَّب دُورَها ، وهدَمَ قصورَها ، وأبادَ الخواصَّ والعوامَّ ، وأهلَكَ ما يقرب من ألفي ألف من أهلِها في ذلك العام ؛ وأخَذَ الأموالَ والحواصِل ، ونَهبَ الذَّراريَّ والأصائل ، وأورث بها حُزْناً يُعدَّدُ به في البُكْراتِ والأصائل ، وصيَّرها مُثْلَةً في الأقاليم ، وعِبْرَةً لكلِّ معتبرٍ عليم ، وتذكرةً لكلِّ ذي عقلٍ مستقيم ، وبُدِّلت بعدَ تلاوةِ القرآنِ بالنغماتِ والألحانِ وإنشادِ الأشعار ، وكان وكان ؛ وبعدَ سماعِ الأحاديث النبوية بدَرْسِ الفلسفةِ اليونانيَّة والمناهجِ الكلاميَّة ، والتأويلاتِ القِرْمطيَّةِ ، وبعد العلماء بالحكماء ، وبعد الخليفةِ العبَّاسيّ ، بشرِّ الوُلاةِ من الأناسيّ ، وبعد الرِّياسةِ والنباهَةِ ، بالخساسةِ والسَّفاهة ، وبعد العُبَّاد بالأنكاد ، وبعدَ الطلبة المشتغلين بالظَّلَمة والعَيَّارين ، وبعد الاشتغال بفنون العلم من التفسير والفقه والحديث ، وتعبيرِ الرؤيا بالزَّجَل والموشح

(١) ذكر قول الصولي الخطيب في تاريخ بغداد (١/ ١١٧) .
(٢) في تاريخ بغداد (١/ ١١٩) .

ودوبيت ومواليا . وما أصابهم ذلك إلَّا ببعضِ ذنوبهم ؛ ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت : ٤٦] ، والتحوُّلُ منها في هذا الزمان لكثرةِ ما فيها من المنكرات الحِسِّيَّة والمعنوية ، وأكْلِ الحشيشة ، والانتقالِ عنها إلى بلادِ الشام الذي تكفَّلَ الله بأهلها أفضلُ وأكملُ وأجمَل . وقد روى الإمام أحمدُ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال : « لا تقومُ الساعةُ حتى يتحوَّلَ خيارُ أهلِ العراقِ إلى الشام ، وشرارُ أهلِ الشامِ إلى العراق »[١] .

ما ورد في مدينة بغداد من الآثار وما فيها من الأخبار

فيها أربعُ لغات : بغداد وبغداذ ـ بإهمال الدال الثانية وإعجامها ـ وبغدان ـ بالنون آخره ـ وبالميم مع ذلك أولًا : مَغْدان . وهي كلمةٌ أعجمية ؛ قيل : إنّها مركبةٌ من « بَغْ » و « داد » ، فقيل : بَغْ بستان ، وداد اسمُ رجل . وقيل : بَغْ اسمُ صَنَم ، وقيل : شيطان ، وداد عطيَّةُ الصنم ، ولهذا كَره عبدُ الله بنُ المبارك والأصمعي وغيرُهما تسميتَها بغداد ، وإنما يُقال لها مدينة السلام ؛ وكذا أسماها بانيها أبو جعفر المنصور ، لأنَّ دجلةَ كان يُقال لها وادي السلام ، ومنهم من يُسمِّيها الزَّوراء ؛ وهو لَقَبٌ لها .

فروى الخطيبُ البغدادي[٢] من طريقِ عمَّار بن سيف ـ وهو مُتَّهم ـ قال : سمعتُ عاصم الأحول يحدِّثُ عن سفيانَ الثوريّ ، عن أبي عثمان ، عن جريرِ بنِ عبد الله قال : قال رسولُ الله ﷺ : « تُبنى مدينةٌ بين دِجْلَة ودُجَيل وقُطْرُبُلَّ والصَّرَاة ، تُجْبَى إليها خزائنُ الأرض ، وملوكُها جبابرة ، فلَهِيَ أسرعُ ذهاباً في الأرضِ من الوَتِدِ الحديدِ في الأرضِ الرِّخْوَة » .

قال الخطيب : وقد رواهُ عن عاصم الأحول سيف ابنُ أختِ سفيان الثوري ، وهو أخو عمار بن يوسف .

قلتُ : وكلاهما ضعيفٌ متَّهَم ، يُرمَى بالكذب ، ومحمد بن جابر اليمامي[٣] ضعيف ، وأبو شهاب الحنَّاط ضعيف .

وروى عن سفيان الثوري عن عاصم ، من طُرق ، ثم أسند ذلك كلَّه .

وأورد من طريق يحيى بن معين ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن عمار بن سيف ، عن الثوري ، عن عاصم ، عن أبي عثمان ، عن جرير ، عن النبيِّ ﷺ ، فذكره .

قال أحمد ويحيى : ليس لهذا الحديث أصل . وقال أحمد : ما حدَّث به إنسانٌ ثقة .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٤٩) من حديث أبي أمامة ، وإسناده ضعيف .

(٢) في تاريخ بغداد (١/ ٢٨) .

(٣) في (ح ، ب) : « اليماني » والمثبت من (ب) والتاريخ الكبير (١/ ٥٣) ، والتاريخ الصغير (٢/ ١٨٨) ، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٢٣٨) ، وتقريب التهذيب ص(٤٧١) .

وقد عَلَّلَه الخطيبُ من جميعِ طُرقه[١]، وساقه أيضاً من طريقِ عمَّار بن سيف، عن الثوري، عن أبي عُبيدةَ حُميد الطويل، عن أنس بن مالك؛ ولا يَصِحُّ أيضاً. ومن طريقِ عمر بن يحيى، عن سفيان، عن قيس بن مسلم، عن رِبْعِيّ، عن حُذيفة مرفوعاً بنحوِهِ ولا يَصِحّ. ومن غيرِ وَجْهٍ عن علي بنِ أبي طالب، وابنِ مسعود، وثَوْبان، وابنِ عباس، وفي بعضها ذكرَ السفياني، وأنَّه يُخرِّبُها.

ولا يَصِحُّ إسنادُ شيءٍ من هذه الأحاديث، وقد أوردها الخطيبُ بأسانيدِها وألفاظِها؛ وفي كلٍّ منها نَكَارَة؛ وأقربُ ما فيها عن كعبِ الأحبار، وقد جاء في آثارٍ عن كتبٍ متقدِّمة أنَّ بانيها يُقال له مِقْلاص، وذو الدَّوَانيق. وقد كان المنصور يُلقَّب بمِقلاص في صِغَرِه، ولما وُلِّي لُقِّب بذي الدَّوانيق لِبُخْلِهِ.

فصل
محاسن بغداد ومساوئها وما روي في ذلك عن الأئمة

قال يونس بن عبد الأعلى الصَّدَفي: قال لي الشافعي: هل رأيتَ بغداد؟ قلت: لا. فقال: ما رأيتَ الدنيا. وقال الشافعي: ما دخلتُ بلداً قطُّ إلَّا عدَدْتُهُ سفراً إلَّا بغداد، فإنِّي حين دخلتُها عدَدْتها وطناً[٢].

وقال بعضُهم: الدنيا بادية، وبغدادُ حاضِرَتُها.

وقال ابنُ عُلَيَّة: ما رأيتُ أعقلَ في طلَبِ الحديث من أهلِ بغداد، ولا أحسَنَ دَعةً منهم.

وقال ابنُ مجاهد: رأيتُ أبا عمرو بنَ العلاء في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: دَعْني من هذا، من أقامَ ببغدادَ على السُّنَّةِ والجماعة ومات، نُقل من الجنَّةِ إلى الجنَّة[٣].

وقال أبو بكر بن عياش: الإسلامُ ببغداد، وإنَّها لَصَيَّاد، تَصيدُ الرجال، ومن لم يرَها لم يرَ الدنيا.

وقال أبو معاوية: بغدادُ دارُ الدنيا والآخرة.

وقال بعضُهم: من محاسنِ الإسلام يومُ الجمعةِ ببغداد، وصلاةُ يومِ الجمعة ببغداد، وصلاةُ التراويح بمكة، ويومُ العيد بطرَسُوس.

قال الخطيب[٤]: منْ شهد يومَ الجُمعة بمدينةِ السلام عَظَّمَ الله في قلبه محلَّ الإسلام، لأنَّ مشايخَنَا كانوا يقولون: يوم الجمعة ببغداد كيومِ العيدِ في غيرِها من البلاد.

---

(١) انظر تاريخ بغداد (١/ ٣٣، ٣٤).
(٢) في تاريخ بغداد (١/ ٤٦).
(٣) في تاريخ بغداد (١/ ٤٦).
(٤) في تاريخ بغداد (١/ ٤٧).

وقال بعضُهم : كنتُ أواظِبُ على الجمعةِ بجامعِ المنصور ، فعرَضَ لي شُغل ، فصلَّيتُ في غيره ، فرأيتُ في المنام كأنَّ قائلاً يقول : تركتَ الصلاةَ في جامع المدينة ، وإنه ليصلي فيه كلَّ جمعةٍ سبعون ولياً !.

وقال آخر : أردتُ الانتقالَ من بغداد ، فرأيتُ كأنَّ قائلاً يقولُ في المنام : أتنتقلُ من بلدٍ فيه عشرةُ آلافِ وليٍّ للهِ عزَّ وجلَّ ؟

وقال بعضُهم : رأيتُ كأنَّ ملَكَيْنِ أتيا بغداد ، فقال أحدُهما لصاحبِه : اقلِبْ بها ، فقد حقَّ القولُ عليها . فقال الآخر : كيف أقلِبُ ببلدٍ يُختمُ فيها القرآن كلَّ ليلةٍ خمسةَ آلافِ ختمة[١] ؟.

وقال أبو مُسهر عن سعيد بن عبد العزيز ، عن سليمان بن موسى قال : إذا كان علمُ الرجلِ حجازيّاً ، وخُلُقه عِراقيّاً ، وصلاتُه شاميَّةً فقد كمَل[٢] .

وقالت زُبيدة لمنصور النَّمَريّ : قُلْ شعراً تُحبِّبُ فيه بغدادَ إليّ ، فقد أختارُ عليها الرافقة . فقال :

ماذا ببغدادَ مِنْ طيبِ الأفانينِ ... ومِنْ مَنَازلَ[٣] للدنيا وللدِّينِ
تُحْيي الرياحُ بها المَرْضَى إذا نَسَمَتْ ... وجَوَّسَتْ بين أغصانِ الرياحينِ

قال فأعطَتْهُ ألفَيْ دينار[٤] .

وقال الخطيب[٥] : وقرأتُ في كتابِ طاهر بن مظفَّر بن طاهر الخازن بِخَطِّه من شعره :

سقى الله صَوْبَ الغاديات مَحلَّةً ... ببغدادَ بين الكَرْخِ فالخُلْدِ فالجسرِ
هي البلدةُ الحسناءُ خُصَّتْ لأهلِها ... بأشياءَ لم يُجْمَعْنَ مُذْ كنَّ في مِصْرِ
هواءٌ رقيقٌ في اعتدالٍ وصِحَّةٍ ... وماءٌ له طَعْمٌ ألذُّ من الخَمْرِ
ودِجْلَتُها شَطَّانِ قد نُظِما لنا ... بتاجٍ إلى تاجٍ وقصرٍ إلى قصرِ
تراها كمِسْكٍ والمياهُ كفِضَّةٍ ... وحَصْبَاؤها مِثْلُ اليواقيتِ والدُّرِّ

وقد أورد الخطيبُ في هذا أشعاراً كثيرةً ، وفيما ذكرْنا كفاية .

وقد كان الفراغُ من بناءِ بغدادَ في هذه السنة ـ أعني سنةَ ستٍّ وأربعين ومئة . وقيل : في سنة ثمانٍ

---

(١) في تاريخ بغداد (١/ ٤٨) .
(٢) في تاريخ بغداد (١/ ٥٠) .
(٣) في (ق) ، وتاريخ بغداد : « منازه » ، والمثبت من (ب ، ح) .
(٤) في تاريخ بغداد (١/ ٥٢) .
(٥) في تاريخ بغداد (١/ ٥٢ ، ٥٣) .

وأربعين . وقيل : إنَّ خندقَها وسُورَها كملا في سنةِ سبعٍ وأربعين ، ولم يزَلِ المنصور يَزيدُ فيها ويتأنَّقُ في بنائها ، حتى كان آخرَ ما بنى فيها قصر الخُلْد ؛ فظنَّ أنه يَخلُدُ فيها ، أو أنّها تخلُد فلا تَخْرَب ؛ فعندَ كمالِهِ مات . وقد خَرِبَتْ بغدادُ مرَّاتٍ كما سيأتي بيانُه .

قال ابنُ جرير[١] : وفي هذه السنة عزل المنصورُ سَلْمَ بنَ قُتيبة عن البصرة ؛ وولَّى عليها محمدَ بنَ سليمانَ بن علي ، وذلك لأنَّه كتب إلى سَلْمٍ يأمرُه بِهَدْمِ بيوت الذين بايعوا إبراهيمَ بنَ عبد الله بن حسن ؛ فتوانَى في ذلك ، فعزلَهُ وبعَثَ ابنَ عمِّه محمد بن سليمان ، فعاث بِها فساداً ، وهدم دوراً كثيرةً ، وعزل عبدَ الله بن الرَّبيع عن إمرةِ المدينة ، وولَّى عليها جعفرَ بن سليمان ؛ وعزل عن مكةَ السريَّ بنَ عبدِ الله ، وولَّى عليها عبدَ الصمد بن علي .

قال[٢] : وحجَّ بالناس في هذه السنة عبدُ الوهاب بن إبراهيم بن محمد بن علي ، قالَهُ الواقدي وغيرُه .

قال[٣] : وفيها غزا الصائفةَ من بلاد الروم جعفرُ بن حنظلةَ البهراني .

وفيها تُوفي من الأعيان :

أشعثُ بن عبد الملك .

وهشام السائب الكلبي .

وهشام بن عروة .

ويزيد بن أبي عُبيد ـ في قولٍ .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومئة

فيها أغار استرخان الخُوَارزْمي في جيشٍ من الأتراك على ناحيةِ أرْمِينيَة ، فدخلوا تَفْلِيس ، وقتلوا خلقاً كثيراً ، وأسروا كثيراً من المسلمينَ وأهلِ الذِّمَّة ، ومِمَّنْ قُتل يومئذٍ حَرْبُ بن عبدِ الله الراوَنْديّ ، الذي تُنسبُ إليه الحَرْبيَّةُ ببغداد ، وكان مقيماً بالمَوْصِل في ألفين لمقاتلةِ الخوارج ، فسيَّرَهُ المنصورُ لمساعدةِ المسلمينَ ببلاد أرمينية ، وكان في جيشِ جبريلَ بنِ يحيى ، فهُزم جبريلُ وقُتل حربٌ رحمه الله .

وفي هذه السنة كان مَهْلِكُ عبدِ الله بن عليٍّ عمِّ المنصور ، وهو الذي أخَذَ الشامَ من أيدي بني أُمية ،

---

(١) في تاريخه تاريخ الطبري (٤/ ٤٨١) .

(٢) يعني الطبري في تاريخه (٤/ ٤٨١ ، ٤٨٢) .

(٣) المصدر السابق .

وكان عليها والياً حتى ماتَ السفَّاح ، فلما مات دعا إلى نفسِه فبعث إليه المنصورُ أبا مسلم الخُراساني فهزَمَهُ أبو مسلم ، وهرب عبدُ الله إلى عندِ أخيه سليمانَ بنِ عليٍّ والي البصرة ، فاختفَى عندَه مُدَّةً ، ثم ظهر المنصورُ على أمرِه فاستدعى به وسجَنَه ؛ فلما كان في هذه السنة عزم المنصورُ على الحجّ ، فطلب ابن أخيه عيسى بن موسى ـ وكان وليَّ العَهْدِ من بعدِ المنصور عن وصيَّةِ السفَّاح ـ وسلَّمَ إليه عمَّه عبدَ الله بن علي وقال له : إنَّ هذا عدوِّي وعدوُّك فاقتُلْهُ في غيبتي عنكَ ولا تتوَانَى . وسار المنصورُ إلى الحجّ ، وجعل يكتبُ إليه من الطريق يستحثُّه في ذلك ويقولُ له : ماذا صنعتَ فيما أوعزتُ إليك فيه ؟ مرَّةً بعدَ مرَّة .

وأما عيسى بن موسى فإنَّه لمَّا تسلَّم عَمه حارَ في أمرِه وشاوَرَ بعضَ أهلِه ؛ فأشار بعضُهم ممن له رأيٌ أنَّ المصلحةَ تقتضي أنْ لا تقتُله وأبقِهِ عندَك ، وأظهِرْ قتلَه ، فإنَّا نخشَى أنْ يطالِبَكَ به جَهْرةً فتقول قتلتُه ، فيأمرُ بالقَوَد ، فتدَّعي أنه أمرَك بقتلِهِ بالسِّرِّ بينك وبينه ، فتعجز عن إثبات ذلك ، فيقتُلَكَ به ، وإنما يريدُ المنصورُ قتلَهُ وقتلَكَ ليستريحَ منكما معاً . فتغيَّرَ عيسى بنُ موسى عند ذلك ، وأخفَى عمَّه ، وأظهر أنه قتَله . فلما رجَعَ المنصورُ من الحجّ أمَرَ أهله أنْ يدخلوا عليه ويشفَعُوا في عَمِّ عبدِ الله بن علي ، فجاؤوا كلُّهم ، فدخلوا عليه ، وشفعوا في عبد الله بن علي ، وألحُّوا في ذلك ، فأجابَهم إلى ذلك ، واستدعى عيسى بن موسى وقال له : إنَّ هؤلاءِ شفعوا في عبدِ الله بن علي وقد أجبتُهم إلى ذلك ، فسلِّمْهُ إليهم . فقال عيسى : وأين عبدُ الله ذاك قتلتُهُ منذُ أمرتَني . فقال المنصور : لم آمُرْكَ بذلك ، وجَحَد ذلك ، وأنْ يكونَ تقدَّمَ إليه منه أمرُه في ذلك . فأحضَرَ عيسى الكُتُبَ التي كتب إليه المنصورُ مرَّةً في ذلك ، فأنكَرَ أنْ يكونَ أرادَ ذلك ، وصمَّمَ على الإنكار ، وصمَّمَ عيسى بنُ موسى أنه قد قتَله . فأمرَ المنصورُ عند ذلك بقتلِ عيسى بنِ موسى قِصَاصاً بعبدِ الله . فخرج به بنو هاشمٍ ليقتلوه ، فلما جاؤوا بالسيف قال : رُدُّوني إلى الخليفة . فردُّوهُ إليه ، فقال له : إنَّ عمَّكَ حاضرٌ ولم أقتُلْه . فقال : هلُمَّ بِهِ فأحْضِرْه . فسُقِط في يدِ الخليفة ، وأمرَ بسَجْنِه بدارٍ جدرانُها مبنيَّةٌ على مِلْح ، فلمّا كان الليل ، أرسل على جدرانِها الماء ، فسقطَ عليهِ البناءُ فهلَك .

ثم إنَّ المنصور خلَعَ عيسى بنَ موسى عن ولايةِ العَهْد ، وقدَّمَ عليهِ ابنَهُ المَهْديّ ، وكان يُجلِسُهُ فوق عيسى بنِ موسى عن يمينِه ، ثم كان لا يلتفتُ إلى عيسى بنِ موسى ، ويُهينُهُ في الإذْنِ والمشورَةِ ، والدخولِ عليه ، والخروجِ من عندِه ؛ ثم ما زال يُقصيهِ ويُبعِدُه ويتهدَّده ويتوعَّدُه ، حتى خلَعَ نفسَهُ بنفسِه ، وبايَعَ لمحمدِ بن منصور ، وأعطاهُ المنصورُ على ذلك نحواً من اثني عشرَ ألفَ ألفِ دِرهم . وانصَلَح أمرُ عيسى بن موسى وبنيه عندَ المنصور ، وأقبلَ عليهِ بعدَما كان قد أعرضَ عنه . وكان قد جرَتْ بينهما قبلَ ذلك مكاتباتٌ في ذلك كثيرةٌ جدّاً ، ومُراوداتٌ في تمهيدِ البيعةِ لابنِهِ المهدي ؛ وخلع عيسى نفسَه ، وإنَّ العامَّةَ لا يَعدلُوْنَ بالمهديِّ أحداً ؛ وكذلك الأمراءُ والخواصّ ، ولم يزَلْ بهِ حتى أجابَ إلى ذلك مُكرَهاً ، فعوَّضَهُ عن ذلك ما ذكرنا . وسارتْ بَيْعَةُ المهديِّ في الآفاقِ شرقاً وغرباً وبُعداً وقُرباً ، وفرح المنصورُ

بذلك فرحاً شديداً ، واستقرَّتِ الخلافةُ في ذُرِّيتِهِ إلى زمانِنا هذا ؛ فلم يكنِ الخليفةُ من بني العباس إلَّا من سُلالتِه ، ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [الأنعام : ٩٦ ويس : ٣٨ وفصلت : ١٢] .

وفيها تُوفي :

عُبيد الله بن عمر العُمري .

وهاشم بن هاشم .

وهشام بن حسان صاحبُ الحسن البصري .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وأربعين ومئة

فيها بعث المنصورُ حُميدَ بنَ قحطبةَ لِغَزْوِ التُّرْك الذين عاثوا في السنةِ الماضيةِ ببلادِ تَفْليس ، فلم يجد منهم أحداً ، فإنَّهم انشمروا إلى بلادِهم .

وحجَّ بالناس فيها جعفرُ بن أبي جعفر ، ونُوَّابُ البلاد فيها همُ المذكورون في التي قبلَها .

وفيها تُوفي جعفر بن محمدِ الصادِق المنسوبُ إليه كتاب « اختلاج الأعضاء » وهو مكذوبٌ عليه .

وفيها توفي سليمان بن مِهْرَانَ الأعمش ، أحدُ مشايخِ الحديث ، في ربيع الأول منها .

وعمرو بن الحارث .

والعوَّامُ بن حَوْشَب .

والزبيدي .

ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى .

ومحمد بن عَجْلان .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومئة

فيها فرغ من بناءِ سورِ بغداد وخَنْدَقها ؛ وفيها غزا الصائفة العباسُ بن محمد ، فدخل بلادَ الرُّوم ومعه الحسينُ بن قَحْطبة ، ومحمد بن الأشعث ، ومات محمد بن الأشعث في الطريق .

وفيها حجَّ بالناس محمد بنُ إبراهيمَ بن محمد بنِ علي ، وولَّاه المنصورُ على مكةَ والحِجَاز عوضاً عن عمِّه عبدِ الصَّمَدِ بن علي ؛ وعمَّالُ الأمصار فيها همُ الذين كانوا في السنةِ قبلَها .

وفيها تُوفي :

زكريا بنُ أبي زائدة .

وكَهْمَس بن الحسن .

والمثنَّى بن الصباح .

وعيسى بن عمر أبو عمرو الثقفي البصري النحوي(١) : شيخُ سِيبَويه ، يُقال إنه من مَوَالي خالدِ بن الوليد ، وإنما نزَلَ في ثَقيف فنُسب إليهم ، وكان إماماً كبيراً جليلاً في اللغةِ والنَّحْوِ والقراءاتِ .

أخذ ذلك عن عُبيد الله بن كثير ، وابن المحيصِن ، وعبد الله بن أبي إسحاق . وسمع الحسنَ البصري وغيرَهم .

وعنه الخليل بن أحمد ، والأصمعي ، وسِيبَوَيه ، ولَزِمَهُ وعُرف به ، وانتفع به ، وأخذ كتابَهُ الذي سماه بالجامِع ، فزادَ عليه وبسَطَهُ ، فهو كتابُ سيبويه اليوم ، وإنما هو كتابُ شيخِه ، وكان سِيبَويْه يسألُ شيخَهُ الخليلَ بنَ أحمد عمَّا أشكَلَ عليه فيه ، فسأله الخليلُ أيضاً عمَّا صنَّف عيسى بن عمر فقال : جمعَ بضعاً وسبعين كتاباً ذهبَتْ كلُّها إلا كتاب « الإكمال » وهو بأرض فارس ،وكتابه « الجامع » وهو الذي أشتغلُ فيه وأسألُكَ عن غوامضِه . فأطرَقَ الخليلُ ساعةً ثم أنشد :

ذهـبَ النحـوُ جميعـاً كلُّـهُ غير ما أحدث عيسى بن عُمَرْ
ذاك إكمـالٌ وهـذا جـامـعٌ وهمـا للنـاسِ شمـسٌ وقمَـرْ

وقد كان عيسى يُغرب ويتقعَّر في عبارتِهِ جداً(٢) ، وقد حكى الجوهري عنه في الصّحَاح أنه سقطَ يوماً عن حمارِه ، فاجتمع عليه الناسُ فقال : ما لَكُمْ تَكَأْكَأْتُمْ عليَّ تكأْكُؤكُمْ على ذي جِنَّةٍ ؟! افْرَنْقِعُوا عَنِّي . معناه ما لكم تَجَمَّعْتُمْ عليَّ تجمُّعَكمْ على مجنون ؟! انكشِفُوا عني .

وقال غيرُه : كان به ضيقُ نَفَس فسقَطَ بسببِه ، فاعتقد الناسُ أنه مصروع ، فجعلوا يعوِّذونه ويقرؤون عليه ؛ فلمَّا أفاق من غَشْيَته قالَ ما قالَ . فقال بعضُهم : إنَّ جِنِّيَتَهُ تتكلَّمُ بالفارسيَّة .

وذكر ابنُ خلِّكان أنه كان صاحباً لأبي عمرِو بن العلاء ، وأنَّ عيسى بن عمر قال يوماً لأبي عمرِو بن

---

(١) ترجمته في الفهرست ص(٦٢) ، الكامل لابن الأثير (٥/ ١٨٩) ، المنتظم (٦/ ٩٨ ، و٨/ ١١٨) ، وفيات الأعيان (٣/ ٤٨٦) ، سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠٠) ، معرفة القراء الكبار (١/ ١١٩) ، طبقات المحدثين ص(٥٦) ، أخبار النحويين ص(٢٠) ، البلغة ص(١٦٧) ، شذرات الذهب (١/ ٢٢٤) ، النجوم الزاهرة (٢/ ١١) .

(٢) في (ح) : « وقد كان عيسى بن عمر يتبعه في عبارته جداً » .

العلاء : أنا أفصَحُ من مَعَدِّ بنِ عدنان . فقال له أبو عمرو : كيف تقرأ هذا البيت ؟

قد كُنَّ يَخْبأنَ الوجوهَ تَسَتُّراً فـاليـوم حيـن بَـدَأْنَ للنُّظَّـارِ

أو « بَدَيْنَ » فقال : بدَيْن . فقال أبو عمرو : أخطأت ، ولو قال : بدأنَ لأخطَأَ أيضاً ، وإنما أرادَ أبو عمرو تغليطَهُ ، وإنما الصوابُ بدَوْنَ ، منْ بدَا يَبْدُو إذا ظَهَرَ . وبدَأ يبدأُ : إذا شرَعَ في الشيء .

ثم دخلت سنة خمسين ومئة من الهجرة

فيها خرج رجلٌ من الكَفَرَةِ يُقال له أستاذسيس في بلادِ خُراسان ، فاستحوَذَ على أكثرِها ، والتفَّ معه نحوُ ثلاثِ مئة ألف ، وقتلوا من المسلمين هنالك خلقاً كثيراً ، وهزموا الجيوشَ في تلك البلاد ، وسبَوْا خلقاً كثيراً ، وتحكَّمَ الفسادُ بسببهم ، وتفاقَمَ أمرُهم ، فوجَّهَ المنصورُ خازمَ بنَ خُزيمة إلى ابنِهِ المَهْدي لِيُولِّيَهُ حربَ تلك البلاد ، ويضُمَّ إليه من الأجناد ما يُقاومُ أولئك ، فنهَضَ المهديُّ في ذلك نَهْضَةً هاشميَّة ، وجمَعَ لِخازمِ بن خُزيمة الإمرةَ على تلك البلاد والجيوش ، وبعثَهُ في نحوٍ من أربعينَ ألفاً ، فسار إليهم ، وما زال يُراوِغُهم ويُماكرُهم ويعملُ الخديعةَ فيهم ، حتى فاجأَهُمْ بالحرب ، وواجههم بالطَّعْنِ والضرب ، فقتل منهم نحواً من سبعين ألفاً ، وأسر منهم أربعةَ عشرَ ألفاً ، وهرب مِلكُهم أستاذسيس ، فتحرَّزَ في جبل ، فجاء خازمٌ إلى تحتِ الجبل ، وقتل أولئك الأسرى كلَّهم ، ولم يزَلْ يُحاصرُه حتى نزلَ على حُكْمِ بعضِ الأمراءِ ، فحكم أن يُقيَّدَ بالحديد هو وأهلُ بيته ، وأن يعتقَ منْ معَهُ من الأجناد ، وكانوا ثلاثين ألفاً ، ففعل خازمٌ ذلك كلَّه وأطلَقَ لكلِّ واحدٍ ممَّن كانَ مع أستاذسيس ثوبَيْن ، وكتب بما وقع من الفتح إلى المهدي ، فكتب المهديُّ بذلك إلى أبيه المنصور .

وفيها عزَلَ الخليفةُ عن إمرةِ المدينةِ جعفرَ بن سليمان ، وولَّاها الحسنَ بن زيد بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب .

وفيها حجَّ بالناس عبدُ الصمد ابنُ عمِّ الخليفة .

وتُوفِّي فيها جعفرُ ابن أميرِ المؤمنين المنصور ، ودُفن ليلاً بمقابر بني هاشم من بغداد ، ثم نُقل منها إلى موضعٍ آخر .

وفيها توفي عبدُ الملك بن عبد العزيز بن جُريج ، أحدُ أئمةِ أهلِ الحجاز ، ويُقال إنَّهُ أولُ منْ جمَعَ السننَ .

وعثمان بن الأسود .

وعمر بن محمد بن زيد .

وفيها تُوفِّي :

الإمامُ أبو حنيفة[١] .

ذكرُ ترجمته :

هو الإمامُ أبو حَنيفة ، واسمه النُّعمانُ بن ثابت التَّيْمي مولاهم الكوفي ، فقيهُ العراق ، وأحدُ أئمةِ الإسلام ، والسادةِ الأعلام ، وأحدُ أركانِ العُلماء ، وأحدُ الأئمة أصحابِ المذاهبِ المُتَّبعة ، وهو أقدمُهم وفاةً ، لأنَّه أدركَ عصرَ الصحابة ، ورأى أنسَ بن مالك ، قيل : وغيرَه . وذكر بعضُهم أنه روى عن سبعة من الصحابة . فالله أعلم[٢] .

---

(١) ترجمته في الكنى والأسماء لمسلم (١/ ٢٧٦) ، طبقات خليفة ص(١٦٧ و٣٢٧) ، بحر الدم ص(٤٣٠) ، معرفة الثقات للعجلي (٢/ ٣١٤) ، الكامل في الضعفاء لابن عدي (٧/ ٥) ، الضعفاء للعقيلي (٤/ ٢٦٨) ، كتاب المجروحين لابن حبان (٣/ ٦١) ، الضعفاء لأبي نعيم ص(١٥٧) ، الفهرست ص(٢٨٤) ، الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (٣/ ١٦٣) ، تهذيب الأسماء (٢/ ٥٠١) ، المقتنى في سرد الكنى (١/ ٢٠٤) ، مولد العلماء ووفياتهم (١/ ٣٥١) ، الجرح والتعديل (٨/ ٤٤٩) ، تاريخ بغداد (١٣/ ٣٢٣) ، تهذيب الكمال (٢٩/ ٤١٧) ، الكاشف (٢/ ٣٢٢) ، تذكرة الحفاظ (١/ ١٦٨) ، سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٩٠) ، ميزان الاعتدال (٧/ ٣٧) ، طبقات المحدثين ص(٥٧) ، تقريب التهذيب ص(٥٦٣) ، طبقات الحفاظ ص(٨٠) .

(٢) هنا زيادة مقحمة من(ق) وهي :

[وروى عن جماعةٍ من التابعين ، منهم الحكم ، وحمَّاد بن أبي سليمان ، وسَلَمَةَ بنِ كُهَيل ، وعامرٍ الشعبي ، وعكرمة ، وعطاء ، وقتادة ، والزُّهري ، ونافع مولى ابنِ عمر ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وأبو إسحاق السَّبيعي . وروى عنهُ جماعةٌ ، منهم ابنُه حمَّاد ، وإبراهيمُ بن طَهْمَان ، وإسحاقُ بن يوسف الأزرق ، وأسدُ بن عمرو القاضي ، والحسنُ بن زياد اللؤلؤي ، وحمزةُ الزيات ، وداود الطائي ، وزُفَر ، وعبد الرزاق ، وأبو نُعيم ، ومحمد بن الحسن الشَّيباني ، وهُشيم ، ووَكيع ، وأبو يوسف القاضي .

قال يحيى بنُ مَعين : كان ثقةً ، وكان من أهلِ الصِّدْق ، ولم يُتَّهمْ بالكذِب ، ولقد ضرَبَهُ ابنُ هُبيرَة على القضاءِ فأبى أنْ يكونَ قاضياً . وقد كان يحيى بن سعيد يختار قولَهُ في الفتوى . وكان يحيى يقول : لا نكذب الله ، ما سَمِعْنا أحسنَ من رأيِ أبي حنيفة . وقد أخذ بأكثرِ أقوالِه . وقال عبدُ الله بنُ المبارك : لولا أنَّ الله أغاثني بأبي حنيفةَ وسفيانَ الثوريّ لكنتُ كسائرِ الناس .

وقال الشافعي عن مالك : رأيتُ رجلاً لو كلَّمَكَ في هذا السارية أنْ يجعلَها ذهباً لقام بحُجَّتِه .

وقال الشافعي : منْ أرادَ الفقهَ فهو عيالٌ على أبي حَنيفة ؛ ومن أرادَ السِّيَر فهو عيالٌ على محمدِ بنِ إسحاق ؛ ومن أراد الحديث فهو عيالٌ على مالك ؛ ومن أراد التفسير فهو عيالٌ على مُقاتل بنِ سليمان .

وقال عبدُ الله بن داود الخُريبي : ينبغي للناس أن يدعوا في صلاتِهم لأبي حنيفةَ لحفظِه الفقهَ والسُّنَّة عليهم .

وقال سفيانُ الثوريُّ وابنُ المبارك : كان أبو حنيفةَ أفقهَ أهلِ الأرضِ في زمانِه .

وقال أبو نُعيم : كان صاحبَ غَوْصٍ في المسائل .

وقال مكي بنُ إبراهيم : كان أعلمَ أهلِ الأرض .

=

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومئة

فيها عزل المنصورُ عمرَ بنَ حفص عن السِّنْد ، وولّى عليها هشامَ بن عمرٍو التغلبي ، وكان سببَ عزلِه عنها أنَّ محمد بن عبدِ الله بن حسن لَمّا ظهر بعث ابنَهُ عبدَ الله الملقّب بالأشتر ومعهُ جماعةٌ بهديّةٍ وخيولٍ عِتَاق إلى عمرَ بنِ حفص هذا إلى السِّنْد ، فقبِلَها ، فدَعَوْهُ إلى دعوةِ أبيه محمد بن عبدِ الله بن حسن في السِّرّ ، فأجابهم إلى ذلك وبايع له مَنِ استطاعَ من الأمراء سِرّاً ، فأجابوه إلى ذلك ، ولَبِسُوا البياض . ولَمّا جاء خبرُ مقتلِ محمدِ بنِ عبد الله بالمدينة سُقِطَ في أيدي عمر بن حفص وأصحابه ، وأخذوا في الاعتذارِ إلى عبدِ الله بنِ محمد ، فقال له عبد الله : إنِّي أخشى على نفسي . فقال : إني سأبعَثُكَ إلى مَلِكٍ من المشركين في جوارِ أرضِنا ، وإنَّه من أشدِّ الناسِ تعظيماً لرسولِ الله ﷺ ، وإنَّه متى عَرَفَك أنَّكَ من سُلالَتِهِ أحبَّك . فأجابَهُ إلى ذلك ، وسار عبدُ الله بنُ محمد إلى ذلك الملك ، وكان عندَهُ آمناً ، وصار عبدُ الله يركبُ في موكبِ الزَّيديَّة ، ويتصيَّدُ في جَحْفَلٍ من الجنود ، وانضمَّ إليه خلق ، وقَدِمَ عليه طوائفُ من الزَّيْديَّة .

وأمَّا المنصور فإنه بعث يعتبُ على عمرَ بنِ حفص نائبِ السِّنْد ، فقال رجلٌ من الأمراء : ابعَثْني إليه ، واجعل القضيةَ مسندةً إليّ ، فإني سأعتذرُ إليه من ذلك ، فإنْ سَلِمْتُ ، وإلّا كنتُ فداءَكَ وفداءَ مَنْ عندك من الأمراء . فأرسله سفيراً في القضيَّةِ إلى المنصور ، فلما وقف بين يدي المنصور أمرَ بضَرْبِ عُنقه . وكتب إلى ابن حفصٍ بعَزْلِهِ عن السند ، وولّاهُ بلادَ إفريقيةَ عوضاً عن أميرِها ، ولمّا وجَّهَ المنصورُ هشامَ بنَ عمرٍو إلى السِّنْد أمرَهُ أن يجتهدَ في تحصيلِ عبدِ الله بن محمد ، فجعل يتَوَانى في ذلك ، فبعث إليه المنصورُ يستحثُّهُ في ذلك ، ثم اتفق الحالُ أنَّ سيفاً أخا هشامِ بن عمرو لَقِيَ عبدَ الله بن محمد في بعضِ الأماكن ، فاقتتلوا فقُتل عبدُ الله وأصحابُه جميعاً ، واشتبَهَ عليهم مكانُهُ في القَتْلَى فلم يقدروا عليه ؛ فكتب هشامُ بن عمرٍو إلى المنصور يُعلِمُهُ بقتلِه ، فبعث يشكرُهُ على ذلك ، ويأمرُهُ بقتالِ الملك الذي آواه ، ويُعلمه أنَّ عبدَ الله كان قد تسرَّى بجاريةٍ هنالك ، وأولدَها ولداً أسماه محمداً ، فإذا ظَفِرْتَ بالملك ،

= وروى الخطيبُ بسندِهِ عن أسد بنِ عمرو (في (ق) : « أحمد بن عمرو » ، والمثبت من (ب ، ح) ، وتاريخ بغداد (١٣/ ٣٥٤) .) ، أنَّ أبا حنيفةَ كان يُصلّي بالليلِ ويقرأ القرآنَ كلَّ ليلةٍ ويبكي حتى يرحَمَهُ جيرانهُ ؛ ومكث أربعين سنةً يُصلِّي الصبحَ بوضوءِ العشاء ؛ وختمَ القرآنَ في الموضع الذي تُوفِّي فيه سبعة آلاف مرَّة .

وكانت وفاته في رجب من هذه السنة ـ أعني سنةَ خمسين ومئة ـ وعن ابن مَعِين سنةَ إحدى وخمسين ومئة . وقال غيرُه سنة ثلاثٍ وخمسين . والصحيح الأول .

وكان مَولِدُهُ في سنةِ ثمانين ، فتمَّ له من العُمر سبعون سنة ، وصُلِّي عليه ببغداد ستَّ مرَّاتٍ لكثرة الزِّحَام . وقبره هناك رحمه الله] .

فاحتفِظْ بالغلام ، فنهض هشام بن عمرو إلى ذلك الملك ، فقاتلَهُ فغلبَهُ وقَهرَهُ على بلادِهِ وأموالِه وحواصِله ، وبعث بالفتحِ والأخماس وبذلك الغلام والملك إلى المنصور ؛ ففرح المنصورُ بذلك ، وبعث الغلامَ إلى المدينة ، وكتب المنصورُ إلى نائبِها يُعلمهُ بصحةِ نسَبِه .

وفي هذه السنة قدم المهديُّ بن المنصور على أبيه من خُراسان فتلقَّاهُ أبوهُ والأمراء والأكابر إلى أثناء الطريق ، وقدم بعدَ ذلك نُوَّابُ الشامِ وغيرِها للسلام عليه وتهنئتِهِ بالسلامةِ والنَّصْر ، وحملَ إليه من الهدايا ما لا يُحَدُّ ولا يُوصفُ .

بناء الرُّصَافَة

قال ابنُ جرير[١] : وفي هذه السنةِ شرع المنصورُ في بناء الرُّصافة لابنِهِ المهديّ بعدَ مَقْدَمِهِ من خُراسان ؛ وهي في الجانب الشرقي من بغداد ، وجعل لها سُوراً وخندقاً ، وعَمِلَ عندها ميداناً وبستاناً ، وأجرى إليها الماء من نَهرِ المهدي .

قال ابن جرير[٢] : وفيها جدد المنصورُ البيعةَ لنفسِهِ ثم لولدِهِ المهديِّ من بعدِه ، ولعيسى بنِ موسى من بعدِهما ؛ وجاء الأمراءُ والخواصُّ فبايعوا ، وجعلوا يُقبِّلون يدَ المنصورِ ويَدَ ابنِه ، ويلمسُونَ يدَ المنصورِ ويَدَ ابنِه ، ويلمَسُونَ يدَ عيسى بنِ موسى ويشيرون إليها ولا يُقبِّلُونَها .

قال الواقدي[٣] : وولَّى المنصور مَعْنَ بنَ زائدة سِجِسْتان .

وحجَّ بالناسِ فيها محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي ، وهو نائبُ مكة والطائف ؛ وعلى المدينة الحسن بن زيد ، وعلى الكوفة محمدُ بن سليمان ، وعلى البصرةِ جابرُ بن زيد الكِلابي ، وعلى مصر يزيد بن حاتم ، ونائبُ خُراسان حُميد بن قَحْطَبة ، ونائبُ سِجِسْتانَ مَعْنُ بن زائدة . وغزا الصائفةَ فيها عبدُ الوهاب بن إبراهيم بن محمد .

وفيها تُوفي :

حنظلةُ بن أبي سفيان ،

وعبدُ الله بن عَوْن .

---

(١) هو الطبري في تاريخه (٤/ ٥٠٠) .

(٢) في تاريخه تاريخ الطبري (٤/ ٥٠١) .

(٣) المصدر السابق .

ومحمد بن إسحاق بن يسار صاحبُ السيرةِ النبويَّةِ التي جمعَها وجعلَها علماً يُهتدَى به ، وفجراً يُستجلى به ، والناسُ كلُّهم عيالٌ عليه في ذلك كما قال الشافعيُّ وغيرُه من الأئمة .

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين ومئة

فيها عزل المنصورُ عن إمرةِ مصرَ يزيدَ بن حاتم ، وولّاها محمدَ بن سعيد ، وبعث إلى نائبِ إفريقية ـ وكان قد بلغَهُ أنَّهُ عَصَى وخَالَف ـ فلمّا جيء به أمرَ بضَرْبِ عُنقه . وعزَلَ عن البصرةِ جابرَ بن زيد الكلابي وولاها يزيدَ بن منصور . وفيها قَتلتِ الخوارجُ مَعْن بنَ زائدة بسِجِسْتان .

وفيها تُوفِّي :

عَبَّاد بن منصور .

ويونُسُ بن يزيد الأيلي .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومئة

وفيها غَضِبَ المنصورُ على كاتبِهِ أبي أيوب المُورياني وسجَنَه ، وسجن أخاه خالداً وبَني أخيه الأربعة سعيداً ومسعوداً ومخلداً ومحمداً ؛ وطالَبَهم بالأموالِ الكثيرة ؛ وكان سببُ ذلك ما ذكرَه ابنُ عساكر في ترجمةِ أبي جعفر المنصور[١] ، وهو أنَّه كان في زمَنِ شبيبتِهِ قد وردَ الْمَوْصِلَ وهو فقير لا شيء له ، ولا معه شيء ، فأجَّر نفسَه من بعضِ الملاَّحين ، حتى اكتسبَ شيئاً تزوَّجَ به امرأةً ، ثم جعلَ يعدُها ويُمنِّيها أنه من بيتٍ سيصيرُ المُلكُ إليهم سريعاً ، فاتَّفَقَ حَبَلُها منه ، ثم تطلَّبَهُ بنو أمية فهرَبَ عنها وتركها حاملاً ، ووضع عندَها رُقعةً فيها نسبتُه ، وأنه عبدُ الله بن محمد بن علي بن عبدِ الله بن عباس ، وأمَرَها إذا بلَغَها أمرُه أنْ تأتيَهُ ، وإذا ولَدَتْ غلاماً أنْ تُسمِّيه جعفراً ؛ فولَدَتْ غلاماً فسمَّته جعفراً . ونشأ الغلامُ فتعلَّمَ الكتابة ، وغَوِيَ العربيةَ والأدَب ، وأتقن ذلك إتقاناً جيداً . ثم آلَ الأمرُ إلى بني العباس ، فسألَتْ عن السفَّاح ، فإذا هو ليس صاحبَها ، ثم قام المنصورُ وصارَ الولدُ إلى بغداد ، فاختلط بكُتَّابِ الرسائل ، فأُعجب به أيوبُ المورياني صاحبُ ديوانِ الإنشاء للمنصور ، وحَظِيَ عندَهُ وقدَّمهُ على غيرِه ، فاتفق حضورُهُ معه بين يدي الخليفة ، فجعل الخليفةُ يلاحِظُه ، ثم بعث يوماً الخادمَ ليأتيَهُ بكاتب ، فدخل ومعه الغلام ، فكتب بين يدي المنصور كتاباً ، وجعل الخليفةُ ينظرُ إليه ويتأمَّلُه ، ثم سأله عن اسمِه ، فأخبرَهُ أنه جعفر ، فقال : ابنُ

---

(١) ذكر ابن عساكر قصة مطولة ، انظر تاريخ ابن عساكر (٣٢/ ٣٣٢ ـ ٣٣٧) .

منْ ؟ فسكت الغلام ، فقال : ما لَكَ لا تتكلَّم ؟ فقال : يا أميرَ المؤمنين إنَّ من خبَرِي كَيْتَ وكَيْت . فتغيَّر وجهُ الخليفة ، ثم سأله عن أمِّه ، فأخبرَه ، وسأله عن أحوالِ بلدِ المَوْصل ، فجعل يُخبره والغلام يتعجَّب . ثم قام إليه الخليفةُ فاحتضَنَهُ وقال : أنتَ ابنِي . ثم بعثَهُ بعِقْدٍ ثمين ، ومالٍ جَزيل ، وكتابٍ إلى أُمِّهِ يُعْلِمُهَا بحقيقةِ الأمر ، وحالِ الوَلَد . وخرج الغلامُ ومعه ذلك من بابِ سرِّ الخليفة ، فأحرزَ ذلك ، ثم جاءَ إلى أبي أيوب فقال : ما بَطَّأَ بكَ عند الخليفة ؟ فقال : إنه استكتَبَنِي في رسائلَ كثيرة . ثم تقاولا ، ثم فارقَهُ الغُلام مُغْضباً ؛ ونَهَضَ من فَوْرِهِ ، فاستأجر إلى الموصل لِيُعْلمَ أُمَّهُ ويَحْمِلَها وأهلَها إلى بغدادَ إلى أبيهِ الخليفة ؛ فسار مراحل ، ثم سأل عنه أبو أيُّوب ، فقيل : سافر . فظنَّ أبو أيُّوب أنه أفشَى شيئاً من أسرارِهِ إلى الخليفة ، وفرَّ منه ، فبعثَ في طلبه رسولاً وقال : حيثُ وجدتَهُ فرُدَّهُ عليَّ[1] . فسارَ الرسولُ في طلبِهِ ، فوجده في بعضِ المنازِلِ ، فخنقهُ وألقاهُ في بئر ، وأخذ ما كانَ معَه . فرجع إلى أبي أيوب ، فلما وقف أبو أيُّوب على الكتاب أُسقطَ في يدِه وندم على بَعْثِه خلفَه ، وانتظر الخليفةُ عَودَ وَلَدِهِ إليه ، واستبطأه ، وكشَفَ عن خبَرِه ، فإذا رسولُ أبي أيوب قد لَحِقه وقَتَله . فحينئذٍ استحضرَ أبا أيوب . وألزمهُ بأموالٍ عظيمة ، ومازال في العقوبةِ حتى أخذَ جميعَ أموالِهِ وحواصِلِه ، ثم قَتَله ، وجعل يقول : هذا قَتَل حَبيبي . وكان المنصورُ كلَّما ذكرَ ولدَهُ حزنَ عليه حزناً شديداً .

وفيها خرجتِ الخوارجُ من الصُّفْرِيَّة[2] وغيرِهم ببلادِ إفريقيَة ، فاجتمع منهم ثلاثُمئةِ ألفٍ وخمسون ألفاً ، ما بين فارسٍ وراجل ، وعليهم أبو حاتم الأنماطي ، وأبو عبَّاد ، وانضمَّ إليهم أبو قُرَّةَ الصُّفْري في أربعين ألفاً ، فقاتلوا نائبَ إفريقية ، فهزموا جيشَه ، وقتلوه وهو عمر بن عثمان بن أبي صُفْرَة الذي كان نائبَ السِّنْد ، فعزلَهُ المنصور عنها بسببِ مبايعتِهِ محمد بن عبد الله بن حسن ، وولَّاه هذه البلادَ ، فقتلَتْهُ الخوارِج رحمه الله . وأكثرتِ الخوارجُ الفسادَ في البلاد ، وقتلوا الحريمَ والأولاد ، وآذَوْا عامّةَ العباد .

وفيها ألزم المنصورُ الناس بِلُبْسِ قلانسَ سودٍ طِوالٍ جدّاً حتى كانوا يستعينون على رفعها من داخِلها بالقَصَب فقال أبو دُلامةَ الشاعرُ في ذلك :

وكنَّـا نُـرَجِّـي مـن إمـامٍ زيـادةً ... فزادَ الإمامُ المرتَجَى في القلانسِ
تـراهـا علـى هـامِ الـرجـالِ كـأنَّهـا ... دِنَـانُ يَهُـودٍ جُلِّلَـتْ بـالبَـرَانِـسِ[3]

---

(١) كذا في الأصول ، وعبارة ابن عساكر : « فقال لرجلٍ من أصحابه : اخرُجْ إلى طريقِ الموصل ، ثم أعط خبر الغلام مَنْزِلاً منزلاً ، حتى تأتي الموصلَ قريةَ كذا وكذا فإذا عرفتَ موضعَه فاقتُلْهُ وجِئْني بما معه » . وهو أشبه بالصواب كما يبدو من السياق .

(٢) الصُّفْرِيَّةُ ، ـ بالضم ، ويكسر ـ : قَوْمٌ من الحَرُورِيَّةِ ، نُسِبوا إلى عبدِ الله بنِ صَفَّار ، ككَتَّانٍ ، أو إلى زياد بن الأَصْفَرِ ، أو إلى صُفْرَةِ ألوانِهم ، أو لِخُلُوِّهم من الدِّينِ . والمَهالِبةُ نُسِبُوا إلى آلِ أبي صُفْرَةَ . القاموس (صفر) .

(٣) البيتان في ديوانِ أبي دلامة ص(٧٥) .

وفيها غزا الصائفةَ مَعْيُوفُ بن يحيى الحُجوري ، فأسرَ خلقاً كثيراً من الروم ، ينيفُ على ستةِ آلاف أسير ، وغَنم أموالاً جزيلةً .

وحجَّ بالناس المهديُّ بنُ المنصور ، وهو وليُّ العَهْد الملقَّب بالمَهْدي ، وكان على نيابةِ مكةَ والطائف محمد بن إبراهيم ، وعلى المدينة الحسنُ بن زيد ، وعلى الكوفة محمد بن سليمان ، وعلى البصرة يزيد بن منصور ، وعلى مصر محمد بن سعيد . وذكر الواقدي أنَّ يزيد بن منصور كان ولَّاهُ المنصور في هذه السنة اليمن . فالله أعلم .

وفيها تُوفِّيَ :

أبانُ بن صَمعَة .

وأسامةُ بن زيد الليثي .

وثور بن يزيد الحمصي .

والحسن بن عمارة .

وفِطْرُ بن خليفة .

ومعمر .

وهشام بن الغاز . والله أعلم .

ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومئة

فيها دخل المنصورُ بلادَ الشام ، وزار بيتَ المقدِس ، وجهَّزَ يزيدَ بنَ حاتم في خمسينَ ألفاً ، وولَّاهُ بلادَ إفريقية ، وأمرَهُ بقتالِ الخوارج ؛ وأنفَقَ على هذا الجيش نحوَ ثلاثٍ وستين ألف دِرْهم . وغَزَا الصَّائفةَ زُفَرُ بن عاصم الهلالي .

وحجَّ بالناس فيها محمد بن إبراهيم ، ونُوَّابُ البلادِ والأقاليم همُ المذكورون في التي قبلَها ، سوى البصرة ، فعليها عبدُ الملك بن أيوب بن ظَبْيان .

وفيها تُوفي :

أبو أيوب الكاتب .

وأخوه خالد ، وأمرَ المنصورُ ببني أخيه أنْ تُقَطَّعَ أيديهم وأرجُلُهم ، ثم تضرَبَ بعدَ ذلك أعناقُهم ، ففعل ذلكَ بِهم .

وفيها تُوفي :

أشعَبُ الطامِع[١] : وهو أشعبُ بن جُبير أبو العلاء ، ويقال : أبو إسحاق المدَني ، ويُقال له : ابن أُمّ حُميدة ، وكان أبوهُ مولًى لابنِ الزُّبير ، قتلَهُ المختار ، وهو خالُ الواقدي .

وروى عن عبدِ الله بن جعفر أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يتختَّمُ في اليمين[٢] . وأبان بن عثمان وسالم وعكرمة ، وكان ظريفاً ماجناً ، يُحبُّه أهلُ زمانِهِ لخلاعتِه وطمَعِه ؛ وكان يُجيدُ الغناء ، وقد وَفَد على الوليد بن يزيد ، فترْجَمَهُ ابنُ عساكر ترجمةً ذكر عنه فيها أشياءَ مضحكة[٣] ؛ وأسنَدَ عنه حديثَيْن .

ورُوي عنه أنه سُئل يوماً أنْ يحدِّث فقال : حدّثني عكرمةُ عن ابنِ عباس أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « خَصْلتانِ منْ عمل بِهما دخلَ الجنة » ، ثم سكت ، فقيل له : ما هما ؟ فقال : نَسِي عكرمةُ الواحدة ، ونسيتُ أنا الأخرى .

وكان سالم بنُ عبدِ الله بن عمر يستخِفُّه ويستحليه ويضحكُ منه ؛ ويأخذُهُ معه إلى الغابة ، وكذلك كان غيرُه من أكابرِ الناس .

وقال الشافعي : عَبَثَ الوِلْدانُ يوماً بأشعب ، فقال لهم : إنَّ هاهنا أناساً يُفرِّقون الجوز ؛ لِيطرُدَهُمْ عنه ، فتسارَعَ الصبيانُ إلى ذلك ، فلمَّا رآهم مسرعين قال : لعلَّهُ حقّ ؛ فتبعَهم .

وقال له رجل : ما بلغَ من طَمَعك ؟ فقال : ما زُفَّتْ عروسٌ بالمدينة إلَّا رجَوْتُ أنْ تُزَفَّ إليّ ، فأكسحُ داري ، وأنظِّفُ بابي ، وأكنسُ بيتي .

واجتاز يوماً برجلٍ يصنعُ طبقاً من قَشّ ، فقال له : زِدْ فيه طَوْراً أو طورَيْن ، لعلَّهُ أنْ يُهدَى يوماً لنا فيه هديَّة .

---

(١) ترجمته في تاريخ بغداد (٧/ ٣٧) ، الإكمال لابن ماكولا (١/ ٩٠) ، تهذيب مستمر الأوهام ص(٨٤) ، تاريخ دمشق لابن عساكر (٩/ ١٤٧) ، سير أعلام النبلاء (٧/ ٦٦) ، ميزان الاعتدال (١/ ٤٢٢) ، لسان الميزان (١/ ٤٥٠) ، المغني في الضعفاء (١/ ٩١) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٩/ ١٤٧) عن أشعب عن عبد الله بن جعفر . وأخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ٤٧٧) ، وأحمد في المسند (١/ ٢٠٤) ؛ وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١/ ٣١٤) (٤٣٥ ، ٤٣٦) ؛ والمقدسي في المختارة (٩/ ١٧٢ ، ١٧٣) (١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٤) ؛ والترمذي في السنن (٤/ ٢٢٨) (١٧٤٤) ؛ وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٠٣) (٣٦٤٧) ؛ والبزار في مسنده (٦/ ٢١٥ ، ٢١٩) (٢٢٥٦ ، ٢٢٥٩) من حديث عبد الله بن جعفر ، وهو حديث صحيح .

(٣) ترجمته في تاريخ ابن عساكر من (٩/ ١٤٧ ـ ١٦٣) .

وروى ابنُ عساكر[١] أنَّ أشعبَ غَنَّى يوماً لسالم بنِ عبدِ الله بنِ عمر قولَ بعضِ الشعراء :

مُغِيرِيَّةٌ كالبدرِ سُنَّةُ وجهِها مطهَّرةُ الأثوابِ والدِّينُ وافرُ[٢]
لها حسبٌ زاكٍ وعِرْضٌ مُهذَّبٌ وعن كُلِّ مَكْرُوهٍ من الأمرِ زاجرُ
من الخَفِراتِ البيضِ لم تلقَ ريبَةً ولم يستَمِلْها عن تُقَى الله شاعرُ

فقال له سالم : أحسنتَ فزِدْنا . فغنَّاه :

أَلمَّتْ بنا والليلُ داجٍ كأنَّهُ جناحُ غرابٍ عنه قد نفَضَ القَطْرا
فقلتُ أعطَّارٌ ثَوَى في رِحالِنا وما حَمَلَتْ ليلى سوى رِيحِها عِطْرا

فقال له : أحسنتَ ! ولولا أنْ يتحدَّثَ الناسُ لأجزَلْتُ لك الجائزة ، وإنَّكَ من الأمرِ لَبِمَكان !.

وفيها تُوفي :

جعفرُ بن بُرقان .

والحكم بن أبان .

وعبد الرحمن بن زيد بن جابر .

وقُرَّة بن خالد .

وأبو عمرو بن العلاء[٣] : أحدُ أئمَّةِ القُرَّاء ، واسمُه كنيتُه ؛ وقيل : اسمه زَبَّان ؛ والصحيح الأول . وهو أبو عمرو بنُ العلاءِ بن عمار بنِ العُرْيان بنِ عبدِ الله بن الحُصين التميميُّ المازنيُّ البصري . وقيلَ غيرُ ذلك في نسبه . كان علاَّمةَ زمانِه في الفقهِ والنَّحْوِ وعِلْمِ القراءات ؛ وكان من كبارِ العلماء العاملين ؛ يقال : إنه كتب مِلْءَ بيتٍ من كلامِ العرب ، ثم تزَهَّدَ فأحرقَ ذلك كلَّه ؛ ثم راجَعَ الأمرَ الأول ، فلم يكنْ عندَهُ إلَّا ما كان يحفظُه من كلامِ العرب . وكان قد لَقِيَ خلقاً كثيراً من أعرابِ الجاهليَّة . كان مقدَّماً أيامَ الحسن البصري ، ومن بعدِه . ومن اختياراته في العربية قولُهُ في تفسيرِهِ الغُرَّةَ في الجَنين أنَّها لا يقبلُ إلا

---

(١) في تاريخه تاريخ مدينة دمشق (٩/ ١٥٧) .

(٢) الشطر الأول في (ط) : « مضين بها والبدر يشبه وجهها » ، والمثبت من (ب ، ح) وتاريخ ابن عساكر .

(٣) ترجمته في الكنى والأسماء لمسلم (١/ ٥٦٤) ، المقتنى في سرد الكنى (١/ ٤٣٠) ، الكنى للبخاري ص(٥٥) ، مشاهير علماء الأمصار ص(١٥٣) ، الثقات (٦/ ٣٤٥) ، الفهرست ص(٤٢) ، المنتظم لابن الجوزي (٨/ ١٨٢) ، تهذيب الكمال (٣٤/ ١٢٠) ، البلغة ص(١٠١) ، معرفة القراء الكبار (١/ ١٠٠) ، مولد العلماء ووفياتهم (١/ ٣٥٩) ، وفيات الأعيان (٣/ ٤٦٦) ، سير أعلام النبلاء (٦/ ٤٠٧) ، ميزان الاعتدال (٧/ ٤٠٥) ، الوفيات للقسنطي ص(١٣١) ، لسان الميزان (٧/ ٤٧٦) ، تهذيب التهذيب (١٢/ ١٩٧) ، تقريب التهذيب ص(٦٦٠) ، شذرات الذهب (١/ ٢٣٧) ، أبجد العلوم (٣/ ٣٨) .

أبيضَ غلاماً كان أو جارية . فَهِمَ ذلك من قولِهِ عليه السلام : « غُرَّةٌ عبدٌ أو أَمَة »[١] ، ولو أُريدَ أي عبد كان أو جارية لما قَيَّدَهُ بالغُرَّة ، وإنما الغُرَّةُ البياض . قال ابنُ خَلِّكان : وهذا غريب ، ولا أعلَمُ هل يوافق قول أحدٍ من الأئمة المجتهدين أم لا ؟ .

وذُكر عنه أنه كان إذا دخل شهرُ رمضان لا يُنشدُ بيتاً حتى ينسلخ ، وإنما كان يقرأ القرآن ؛ وأنه كان يشتري له كلَّ يومٍ كوزاً جديداً وريحاناً طريّاً . وقد صَحِبَهُ الأصمعي نحواً من عشرِ سنين .

كانت وفاتُه في هذه السنة ، وقيل في سنةِ ستٍّ وخمسين ، وقيل سبعٍ وخمسين ومئة فالله أعلم ، وقد قَارَبَ التسعين ، وقيل : إنه جاوزَها فالله أعلم . وقبرُه بالشام ، وقيل بالكوفة ، فالله أعلم .

وقد روى ابنُ عساكر[٢] في ترجمةِ صالح بن علي بن عبد الله بن العباس عن أبيه عن جدِّه عبد الله بن عباس مرفوعاً : « لأنْ يُرَبِّي أحدُكم بعدَ أربعٍ وخمسين ومئة جَرْوَ كلبٍ خيرٌ له من أنْ يُرَبِّي ولداً لِصُلْبِه » . وهذا مُنْكَرٌ جدّاً . وفي إسنادِهِ نظر . ذكرَهُ من طريقِ تَمَّام ، عن خيثمة بنِ سليمان ، عن محمد بن عوف الحمصي ، عن أبي المغيرة عن عبد الله بن السمط ، عن صالح به ؛ وعبد الله بن السمط هذا لا أعرفُه ، وقد ذكرَهُ شيخنا الحافظُ الذهبي في كتابِهِ الميزان[٣] وقال : رَوَى عن صالحِ بنِ علي حديثاً موضوعاً .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومئة

فيها دخلَ يزيدُ بن حاتم بلادَ إفريقيَة ، فافتتحها عوداً على بَدْء ، وقَتَلَ منْ كان فيها ممَّنْ تغلَّبَ عليها من الخوارج ، وقتَلَ أمراءَهم ، وأسَرَ كُبَراءهم ، وأذلَّ أشرافَهم ، وأرغَمَ آنافَهم ، وبدَّدَ آلافَهم ، واستبدلَ أهلَ تلك البلادِ بالخَوفِ أمْناً وسلامةً ، وبالإهانةِ كرامةً .

---

(١) الحديث أخرجه أبو يعلى في مسنده (١٠/ ٣٢٣ ، ٣٢٤) (٥٩١٧) بسنده عن أبي هريرة قال : قضى رسولُ الله ﷺ في الجنين غرة عبد أو أمة . قال : فقال الذي قَضَى عليه : أيعقلُ منْ لا أكلَ ولا شرب ولا صاحَ فاستهلّ ؟ فمِثْلُ ذلك يُطَلّ ؟! فقال النبيُّ ﷺ : « إنَّ هذا يقولُ بقولِ شاعر ، فيه غُرَّةٌ عبدٌ أو أمَةٌ » . ورواه أبو داود رقم (٤٥٧٦) وابن ماجه رقم (٢٦٣٩) وهو حديث صحيح وقال الخطابي في غريب الحديث ١/ ٢٣٦ : قال أبو عمرو بن العلاء : قولُ رسولِ الله : « في الجنين غُرَّة عبد أو أمة » ، لولا أنَّ رسولَ الله أرادَ بالغُرَّةِ معنى لقال : « في الجنين عبد أو أمة » ، ولكنَّه عَنَى البياضَ حتى لا يُقبلَ في الديةِ إلا غلامٌ أو جاريةٌ بيضاء ، ولا يُقْبَلَ فيها أسود ولا سوداء . قال أبو سليمان : وهذا شبيهٌ بالمعنى الأول ، لأنَّ البياضَ ممّا يُبتغى في الرقيق ، ويُزاد له في القيمة ؛ وكانت العرَب تقتني الحَبَش والنُّوبة ، والبياضُ فيهم عزيز ، فمنْ أرادَ البياض في الجِنْس كالرُّوم والصقالبة لم يقدرْ عليه إلا بأنْ يرفعَ في الثمن . اهـ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (٢٣/ ٣٥٧ ، ٣٥٨) .

(٣) ميزان الاعتدال (٤/ ١١٦) .

وكانَ من جُملةِ منْ قَتلَ من أمرائهم أبو حاتم ، وأبو عبَّاد ، الخارجيَّان ، ثم لمّا استقامَتْ له وبه الأمورُ في البلدان دخل بعدَ ذلك بلادَ القَيْروان ، فمَهَّدَها وأطَّرها[1] وأقرَّ أهلَها ، وقرَّرَ أمورَها ، وأزال محذورَها . والله سبحانه أعلم .

بناءُ الرَّافِقَة المدينة المشهورة

وفيها أمَرَ المنصورُ ولدَهُ المَهْديَّ ببناء الرَّافِقَة على مِنْوالِ بناءِ بغداد في هذه السنة ؛ وأمرَ فيها ببناءِ سُورٍ وعمَلِ خندَقٍ حولَ الكوفة . وأخذَ ما عزَمَ على ذلك من أموالِ أهلِها ، من كلِّ إنسانٍ من أهلِ اليسار أربعين درهماً . وقد فرَضها أولاً خمسةَ دراهم ، ثم جباها أربعين أربعين ؛ فقال في ذلك بعضُهم :

يـا لَقَـوْمـي مـا رأينـا فــي أميـرِ المـؤمنينـا
قسَـمَ الخمسـةَ فينـا وجَبَــانـا أربعينـا

وفيها غَزَا الصائفةَ يزيدُ بن أسد السُّلَمي . وفيها طلبَ ملكُ الرُّوم الصلحَ من المنصور ، على أنْ يَحْمِلَ إليه الجزية .

وفيها عزلَ المنصورُ أخاهُ العباس بن محمد عن الجزيرة ، وغرَّمَهُ أموالاً كثيرة . وفيها عزَلَ محمد بن سليمان بن علي عن إمرةِ الكوفة ، فقيل : لأُمور بلغَتْهُ عنه ، في تعاطي منكراتٍ وأمورٍ لا تَليقُ بالعمَّال ؛ وقيل : لِقَتْلِهِ محمد بن أبي العَوْجاء ، وقد كان ابنُ أبي العوجاء هذا زِنْديقاً ، يُقال إنه لما أمَرَ بضرْبِ عُنقه اعترفَ على نفسِه بوضعِ أربعةِ آلافِ حديث يُحلُّ فيها الحرام ، ويُحَرِّمُ فيها الحلال ، ويصوِّمُ الناسَ يومَ الفِطْر ، ويُفَطِّرُهم في أيام الصيام ، فأرادَ المنصورُ أن يجعلَ قتلَهُ لهُ ذنباً ؛ فعزلَهُ به ؛ وإنما أرادَ أنْ يُقيدَهُ منه ، فقال له عيسى بن موسى : يا أميرَ المؤمنين لا تعزلْهُ بهذا ، ولا تقتُلْهُ به ، فإنه إنما قتلَهُ على الزَّنْدَقة ، ومتى عزلتَهُ به شكرَهُ العامَّةُ وذمُّوك . فترَكَهُ حيناً ثم عزلَهُ وولَّى مكانَهُ على الكوفة عمرَ بن زهير .

وفيها عزل المنصورُ عن المدينة الحسن بن زيد وولَّى عليها عمَّهُ عبدَ الصمد بن علي ، وجعل معه فليح بن سليمان مشرفاً عليه . وعلى إمرةِ مكة محمدُ بن إبراهيم بن محمد ؛ وعلى البصرة الهيثمُ بن معاوية ؛ وعلى مصر محمد بن سعيد ؛ وعلى إفريقيَةَ يزيدُ بن حاتم .

وفيها تُوفِّي :

صفوان بن عمر .

وعثمان بن أبي العاتكة الدمشقيان .

---

(١) هو من التأطير ، وهو اتِّخاذ الإطارِ للبيتِ ، وهو كالمِنْطَقَةِ حَوْلَهُ . القاموس (أطر) .

وعثمان بن عطاء .

ومِسْعَر بن كِدَام .

وحَمَّاد الرَّاوية[١] وهو ابنُ أبي ليلى ميسرة ، ويقال سابور بن المبارك بن عُبيد الدَّيْلميُّ الكوفيّ ، مولى بُكير بن زيد الخيلِ الطائي . كان من أعلمِ الناس بأيام العرب وأخبارِها وأشعارِها ولغاتِها ؛ وهو الذي جمعَ السبعَ المعلَّقاتِ الطِّوال ؛ وإنما سُمِّي الراويةَ لكثرةِ روايتِهِ الشعرَ عن العرب . اختبرَهُ الوليدُ بن يزيد بن عبدِ الملك أميرُ المؤمنين في ذلك ، فأنشدَهُ تسعاً وعشرينَ قصيدةً على حروفِ المعجم ، كلُّ قصيدةٍ نحوٌ من مئةِ بيت . وزعم أنه لا يُسمَّى شاعرٌ من شعراءِ العرب إلَّا أنشدَ له ما لا يحفظُه غيرُه . فأطلق له مئةَ ألفِ درهم .

وذكر أبو محمد الحريري في كتابِهِ « دُرَّة الغَوَّاص » أنَّ هشام بن عبد الملك استدعاهُ من العراق من نائبِهِ يوسف بن عمر ، فلما دخل عليه إذا هو في دارٍ قَوْرَاء[٢] ، مُرَخَّمةٍ بالرُّخام والذهب ، وإذا عنده جاريتانِ حسَنتان جدّاً ، فاستنشدَهُ شيئاً ، فأنشده ، فقال له : سَلْ حاجَتَك . فقال : كائنةً ما كانتْ يا أمير المؤمنين ؟ فقال : وما هي ؟ فقال : تُطلِّق لي إحدى هاتين الجاريتَيْن . فقال : هما وما عليهما لك . وأخلاهُ في بعض دارِه وأطلقَ له مئةَ ألفِ درهم .

هذا مُلَخَّصُ الحكاية ، والظاهرُ أنَّ هذا الخليفةَ إنما هو الوليدُ بن يزيد ، فإنه ذكَرَ أنه شَرِبَ معهُ الخمر ، وهشامٌ لم يكنْ يشرَب ، ولم يكنْ نائبَهُ على العراق يوسُف بن عمر ، إنما كان نائبَهُ خالدُ بن عبدِ الله القَسْري ، وبعدَهُ يوسف بن عمر بن عبد العزيز .

وكانت وفاةُ حمَّاد في هذه السنة ، عن ستين سنة . قال ابنُ خَلِّكان[٣] : وقيل إنه أدرك أوَّلَ خلافةِ المهدي في سنةِ ثمانٍ وخمسين . فالله أعلم .

وفيها قُتل :

حَمَّاد عَجْرَد[٤] على الزَّنْدَقَة ، وهو حَمَّاد بن عمر بن يونس بن كُليب الكوفي ، ويقال إنه واسطي ،

---

(١) ترجمته في طبقات فحول الشعراء (١/ ٤٨) ، الأغاني (٦/ ٧٩) ، الفهرست ص(١٣٤) ، وفيات الأعيان (٢/ ٢٠٦) ، سير أعلام النبلاء (٧/ ١٥٧) ، النجوم الزاهرة (٢/ ٢٨) ، المنتظم لابن الجوزي (٨/ ٢٧٢) ، نزهة الألباب في الألقاب ص(٢٢٣) ، لسان الميزان (٢/ ٣٥٢) ، المزهر للسيوطي (٢/ ٣٤٨) .

(٢) الدار القوراء : واسعة الجوف . لسان العرب (قور) .

(٣) في وفيات الأعيان (٢/ ٢٠٩) .

(٤) ترجمته في الأغاني (١٤/ ٣١٣) ، تاريخ بغداد (٨/ ١٤٨) ، المنتظم لابن الجوزي (٨/ ٢٩٦) ، وفيات الأعيان (٢/ ٢١٠) ، سير أعلام النبلاء (٧/ ١٥٦) ، كتاب حماد عجرد (ذكره النديم في الفهرست ص(٢٠٢ ، نزهة =

مولى بني سواد ، وكان شاعراً ماجناً ظريفاً زنديقاً خَليعاً ، مُتَّهماً على الإسلام ، وقد أدرك الدولتين الأمويَّةَ والعباسية ، ولم يشتهر إلا في أيام بني العباس ، وكان بينه وبين بشَّار بن بُرْد مُهاجاةٌ كثيرة ، وقد قُتل بشارٌ هذا على الزَّنْدَقةِ أيضاً كما سيأتي ، ودُفن مع حماد هذا جانب قبرِه . وقيل : إنَّ حماد عجرد ماتَ سنةَ ثمانٍ وستين ، وقيل : إحدى وستين ومئة . فالله أعلَم .

ثم دخلت سنة ست وخمسين ومئة

فيها ظَفِر الهيثمُ بن معاوية نائبُ المنصور على البصرة بعمرو بن شدَّاد ، الذي كان عاملاً لإبراهيم بن عبد الله على فارس ؛ فقيل : أمر فقُطِعَتْ يداهُ ورِجلاه وضُربت عُنقه ثم صُلب .

وفيها عزل المنصورُ الهيثمَ بن معاوية هذا الذي فعل هذه الفَعْلَةَ عن البصرة ، وولَّى عليها قاضيها سَوَّار بنَ عبدِ الله ، فجمع له بين القضاء والصلاة ، وجعل على شُرْطتِها وأحداثِها سعيدَ بنَ دَعْلَج ، ورجع الهيثمُ بن معاوية قاتلُ عمرِو بن شدَّاد إلى بغداد ، فمات فيها فجأةً في هذه السنة ، وهو على بطنِ جاريةٍ له ، وصلَّى عليه المنصور ، ودُفن في مقابر بني هاشم ، ويُقال : أصابَهُ عمرو بن شدَّاد الذي قتله تلك القِتْلَةَ . فليتَّقِ العبدُ الظلم .

وحجَّ بالناسِ العباسُ بن محمد أخو المنصور ؛ ونُوَّابُ البلاد همُ المذكورون في التي قبلَها ؛ وعلى فارس والأهواز وكُوَرِ دِجْلَةَ عمارةُ بن حمزة ؛ وعلى كَرْمانَ والسِّنْد هشام بن عمرو .

وفيها تُوفِّي :

حمزَةُ الزيَّات[1] في قول وهو أحدُ القرَّاء المشهورين ، والعُبَّاد المذكورين ، وإليه تُنسب المُدودُ الطويلة في القراءة اصطلاحاً من عندِه ، وقد تكلَّم فيه بسببِها بعضُ الأئمة ، وأنكروها عليه .

وسعيد بن أبي عَرُوبة وهو أولُ منْ جمَعَ السُّنَن في قول .

وعبدُ الله بن شَوْذَب .

وعبد الرحمن بن زياد بن أنْعُم الإفريقي .

وعُمَرُ بن ذَرّ .

= الألباب في الألقاب (٢/ ٢٣) ، لسان الميزان (٢/ ٣٤٩) ، النجوم الزاهرة (٢/ ٢٨) .

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٦/ ٣٨٥) ، مشاهير علماء الأمصار ص(١٦٨) ، الفهرست ص(٤٤) ، صفة الصفوة (٣/ ١٥٦) ، المنتظم (٨/ ١٨٨) ، وفيات الأعيان (٢/ ٢١٦) ، سير أعلام النبلاء (٧/ ٩٠) ، معرفة القراء الكبار (١/ ١١١) ، العبر (١/ ٢٢٦) ، طبقات المحدثين ص(٦٠) ، مآثر الإنافة (١/ ١٨٠) ، الجواهر المضية في طبقات الحنفية ص(٤٢٣) ، النجوم الزاهرة (٢/ ٢٨) ، شذرات الذهب (١/ ٢٤٠) .

ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومئة

فيها بَنَى المنصورُ قصرَهُ المسمَّى بالخُلْد في بغداد ، تفاؤلاً بالتَّخْليدِ في الدنيا ، فعندَ كمالِهِ مات ، وخَرِبَ القصرُ من بعدِه ؛ وكان المستحثَّ في عمارته أبانُ بن صدقة ، والربيعُ مولى المنصور ـ وهو حاجبُه ـ وفيها حوَّل المنصورُ الأسواقَ من قُرْبِ دارِ الإمارةِ إلى باب الكَرْخ .

وقد ذكرنا فيما تقدَّم سببَ ذلك[1] .

وفيها أمر بتوسعةِ الطُّرقات ، وفيها أمَرَ بعمَلِ جسرٍ عند باب الشعير ، وفيها استعرَضَ المنصورُ جُنْدَهُ وهم مُلْبسون السلاح ، وهو أيضاً لابسٌ سلاحاً عظيماً ؛ وكان ذلك عند دِجْلة .

وفيها عَزَلَ عن السِّنْد هشامَ بن عمرو وولَّى عليها معبد بن الخليل[2] .

وفيها غزا الصائفةَ يزيدُ بن أسيد السُّلَمي ، فأوْغَلَ في بلادِ الروم ، وبعث سِنَاناً مولى البَطَّال مقدِّمةً بين يديه ، ففتح حصوناً ، وسَبَى وغَنِم .

وفيها حَجَّ بالناسِ إبراهيمُ بن يحيى بن محمد بن عليّ ، ونُوَّابُ البلاد همُ المذكورونَ في التي قبلَها .

وفيها تُوفي :

الحسين بن واقد .

والإمام الجليل علاَّمةُ الوقت أبو عمرو .عبد الرحمن بن عمرو الأوْزَاعي[3] فقيهُ أهلِ الشام وإمامُهم ، وقد بقي أهلُ دمشق وما حولَها من البلاد على مذهبِهِ نحواً من مئتين وعشرين سنة .

---

(١) انظر ص(٣٣٦ ، ٣٣٧) من هذا الجزء .

(٢) في (ب ، ق) : « سعيد بن الخليل » ، والمثبت من (ح) وتاريخ الطبري (٤/ ٥١١) ، وما سيأتي في ص(٣٧٨) من هذا الجزء .

(٣) ترجمته في الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ٤٨٨) ، بحر الدم لأحمد بن حنبل ص(٢٦٤) ، التاريخ الكبير (٥/ ٣٢٦) ، الكنى والأسماء لمسلم (١/ ٥٦٦) ، معرفة الثقات للعجلي (٢/ ٨٣) ، الجرح والتعديل (١/ ١٨٤) ، و(٥/ ٢٦٦) ، مشاهير علماء الأمصار ص(١٨٠) ، الثقات لابن حبان (٧/ ٦٢) ، التعديل والتجريح (٢/ ٨٧٣) ، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (٣٥/ ١٤٧) ، صفة الصفوة (٤/ ٢٥٥) ، وفيات الأعيان (٣/ ١٢٧) ، تهذيب الكمال (١٧/ ٣٠٧) ، ميزان الاعتدال (٤/ ٣٠٥) ، المقتنى في سرد الكنى (١/ ٤٢٩) ، سير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٧) ، الكاشف (١/ ٦٣٨) ، مولد العلماء ووفياتهم (١/ ٣٦٥) ، طبقات الفقهاء للشيرازي ص(٧١) ، تحفة التحصيل ص(٢٠٢) ، تهذيب التهذيب (٦/ ٢١٦) ، تقريب التهذيب ص(٣٤٧) ، لسان الميزان (٧/ ٢٨٣) ، النجوم الزاهرة (٢/ ٣٠) ، شذرات الذهب (١/ ٢٤١) .

شيء من ترجمة الأوزاعي رحمه الله

هو عبدُ الرحمن بن عمرو بن يُحْمِد ، أبو عمرو الأوزاعي ، والأوْزَاع بطنٌ من حِمْيَر ، وهو من أنفسِهم . قاله محمدُ بن سعد[1] . وقال غيرُه : لم يكن من أنفُسهم ، وإنما نزلَ في مَحَلَّةِ الأوزاع ؛ وهي قريةٌ خارجَ بابِ الفراديس من قُرَى دمشق ؛ وهو ابنُ عمٍّ يحيى بن عمرو الشيباني .

قال أبو زُرْعة : وأصلُهُ من سبي السِّنْد ، فنزَلَ الأوْزاع ، فغلَب عليه النسبةُ إليها .

وقال غيره : ولد ببَعْلَبَكَّ ، ونشأ بالبقاع يتيماً في حِجْرِ أُمِّه ، وكانت تنتقلُ بهِ من بلدٍ إلى بلد ، وتأدَّب بنفسِه ، فلم يكنْ في أبناءِ الملوكِ والخلفاءِ والوزراءِ والتُّجَّارِ وغيرهم أعقلَ منه ، ولا أوْرَع ولا أعلم ولا أفصَح ولا أوْقَرَ ولا أحلمَ ولا أكثرَ صَمْتاً منه ؛ ما تكلَّم بكلمةٍ إلَّا كان المتعيِّنُ على مَنْ سَمِعها من جلسائه أنْ يكتبَها عنهُ من حسنِها .

وكان يُعاني الرسائلَ والكتابة ، وقد اكتتبَ مرَّةً في بعثٍ إلى اليمامة ؛ فسمع الحديث من يحيى بن أبي كثير ، وانقطعَ إليه ، فأرشدَهُ إلى الرحلة إلى البصرةِ ليسمعَ من الحسنِ وابنِ سيرين ، فسارَ إليه فوجد الحسنَ قد تُوفِّيَ من شهرَيْن ، ووجد ابنَ سيرين مريضاً ، فجعل يتردَّدُ لعيادتِه ، فقَوي المرضُ به ومات ؛ ولم يسمع منه الأوزاعيُّ شيئاً .

ثم جاء فنزل دمشقَ بمحلَّةِ الأوْزَاع ـ خارجَ بابِ الفَرَاديس ـ وسادَ أهلَهَا في زمانِه وسائرَ البلادِ في الفِقْهِ والحديثِ والمغازي وغيرِ ذلك من علومِ الإسلام ؛ وقد أدركَ خلقاً من التابعين وغيرهم ، وحدَّثَ عنه جماعاتٌ من ساداتِ المسلمين ، كمالكِ بن أنس ، والثوري والزُّهري ـ وهو من شيوخِه ـ وأثنى عليه غيرُ واحدٍ من الأئمة ، وأجمع المسلمونَ على عدالتِهِ وإمامتِه .

قال مالك : كان الأوزاعي إماماً يُقتدى به . وقال سفيانُ بن عُيينة وغيره : كان الأوزاعيُّ إمامَ أهلِ زمانهِ ؛ وقد حجَّ مرةً فدخلَ مكةَ وسفيانُ الثوري آخذٌ بزمامِ جمَلِه ، ومالكُ بن أنس يسوقُ به ، والثوريُّ يقول : افسحوا للشيخ ؛ حتى أجلساه عندَ الكعبة ، وجلَسَا بين يديه يأخذانِ عنه . وقد تذاكَرَ مالكٌ والأوزاعي مرَّةً بالمدينةِ من الظهر حتى صلَّيَا العصر ، ومن العصرِ حتى صلَّيَا المغرب ؛ فغَمَرَهُ الأوزاعيُّ في المغازي ، وغمَرَهُ مالكٌ في الفقه ، أو في شيءٍ من الفقه .

وتناظَرَ الأوزاعيُّ والثوريُّ في مسجدِ الخليفةِ في مسألةِ رفعِ اليدَيْنِ في الركوعِ والرَّفعِ منه ، فاحتجَّ الأوزاعيُّ على الرفعِ في ذلك بما رواهُ عن الزُّهري عن سالم ، عن أبيه ، أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يرفعُ يدَيْهِ

---

(١) في ترجمته في الطبقات الكبرى (٧/ ٤٨٨) .

في الرُّكوعِ والرفعِ منه ؛ واحتجَّ الثوريُّ بحديثِ يزيدَ بنِ أبي زياد ، فغضِبَ الأوزاعيُّ وقال : تُعارضُ حديثَ الزهري بحديثِ يزيدَ بن أبي زياد وهو رجلٌ ضعيف ؟! فاحمارَّ وجهُ الثوري ، فقال الأوزاعي : لعلَّكَ كرهتَ ما قلتُ ؟ قال : نعم . قال : فقُمْ بنا حتى نلتعنَ عندَ الرُّكْنِ أيُّنا على الحق . فسكت الثوريُّ .

وقال هِقْلُ بن زِيَاد : أفتى الأوزاعيُّ في سبعينَ ألفِ مسألةٍ بحدَّثَنا وأخبرَنا .

وقال أبو زُرْعة : روي عنه ستونَ ألفَ مسألة .

وقال غيرُهما : أفتى في سنةِ ثلاثَ عشرةَ ومئة ، وعمرُه إذْ ذاك خمسٌ وعشرون سنة ؛ ثم لم يزلْ يُفتي حتى مات ، وعَقْلُهُ زاكٍ .

وقال يحيى القطَّان عن مالك : اجتمع عندي الأوزاعيُّ والثوريُّ وأبو حَنيفة ، فقلتُ : أيُّهم أرجح ؟ قال : الأوزاعي .

وقال محمد بن عَجْلان : لم أرَ أحداً أنصَحَ للمسلمينَ من الأوزاعي .

وقال غيرُه : ما رُئِيَ الأوزاعيُّ ضاحكاً مقهقِهاً قطّ ، ولقد كان يَعِظُ الناس ، فلا يَبقَى أحدٌ في مجلسه إلَّا بَكَى بعينهِ وبقلبِه ؛ وما رأيناهُ يَبْكي في مجلسِهِ قطّ ، وكان إذا خَلا بكَى حتى يُرْحَم .

وقال يحيى بن مَعين : العلماءُ أربعة : الثوريُّ ، وأبو حنيفة ، ومالك ، والأوزاعي .

قال أبو حاتم : كان ثقةً مُتَّبِعاً لما سمع .

قالوا : وكان الأوزاعيُّ لا يَلْحَنُ في كلامِه ، وكانت كُتُبُه تَردُ على المنصور فينظرُ فيها ويتأمَّلُها ويتعجَّبُ من فصاحتِها وحلاوةِ عباراتِها ؛ وقد قال المنصورُ يوماً لأحْظَى كُتَّابِهِ عندَه ـ وهو سليمانُ بن مجالد ـ : ينبغي أنْ نجيبَ الأوزاعيَّ على ذلك دائماً لنستعينَ بكلامِهِ فيما نُكاتبُ به إلى الآفاق إلى منْ لا يعرفُ كلامَ الأوزاعي . فقال : والله يا أميرَ المؤمنين ، لا يَقدِرُ أحدٌ من أهلِ الأرضِ على مثلِ كلامِه ، ولا على شيءٍ منه .

وقال الوليد بنُ مسلم : كان الأوزاعي إذا صلَّى الصُّبح جلس يذكرُ الله سبحانه وتعالى حتى تطلُعَ الشمس ؛ وكان يَأثِرُ عن السلف ذلك ، قال : ثم يقومون فيتذاكرون في اللغةِ والفقهِ والحديث .

وقال الأوزاعي : رأيتُ ربَّ العزَّةِ في المنام فقال : أنت تأمرُ بالمعروف وتنهَى عن المنكر ؟ فقال : بفَضْلِكَ أيْ ربّ ؛ ثم قلت : يا ربّ ، أمِتْني على الإسلام . فقال : وعلى السُّنَّة .

وقال محمد بن سابور : قال لي شيخٌ بجامعِ دمشق : أنا ميتٌ في يوم كذا وكذا . فلمّا كان في ذلك اليوم رأيتُهُ في صحنِ الجامع يتفلَّى ، فقال لي : اذهبْ إلى سريرِ الموتى فأحرِزْهُ لي عندك قبل أن تُسبق إليه . فقلت : ماذا تقول ؟ فقال : هو ما أقولُ لك ، وإني رأيتُ كأنَّ قائلاً يقول : فلانٌ قَدَري ، وفلان

كذا ، وعثمانُ بن أبي العاتكة نعمَ الرجل ، وأبو عمرو الأوزاعي خيرُ منْ يمشي على وجه الأرض ؛ وأنتَ ميِّتٌ في يومِ كذا وكذا . قال محمد بن شُعيب : فما جاء الظهر حتى مات ، وصلَّينا عليه بعدَها ، وأُخرجت جنازتُه . ذكر ذلك ابنُ عساكر[١] .

وكان الأوزاعي رحمه الله كثيرَ العبادة ، حسنَ الصلاة ، وَرِعاً ناسِكاً ، طويلَ الصمت ، وكان يقول : منْ أطالَ القيامَ في صلاة الليل هَوَّنَ الله عليه طُولَ القيام يوم القيامة . أخذَ ذلك من قولِهِ تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلًا طَوِيلًا ۝٢٦ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمًا ثَقِيلًا ﴾ [الإنسان : ٢٦ ـ ٢٧] .

وقال الوليد بن مسلم : ما رأيتُ أحداً أشدَّ اجتهاداً من الأوزاعي في العبادة . وقال غيرُه : حجَّ فما نامَ على الراحلة ، إنما هو في صلاة ، فإذا نَعَسَ استندَ إلى القَتَب ؛ وكان من شدَّة الخشوع كأنه أعمى .

ودخلتِ امرأةٌ على امرأةِ الأوزاعي ، فرأتِ الحصيرَ الذي يُصلِّي عليه مبلولاً ، فقالت لها : لعلَّ الصبيَّ بال هاهنا . فقالت : هذا أثرُ دموعِ الشيخ من بكائهِ في سجودِه هكذا يصبحُ كلَّ يوم .

وقال الأوزاعي : عليك بآثارِ منْ سلَفَ وإنْ رَفَضَكَ الناس ، وإياك وأقوالَ الرجالِ وإنْ زخرفوهُ وحسَّنوه ، فإنَّ الأمر ينجلي وأنت منه على طريقٍ مستقيم .

وقال أيضاً : اصبرْ على السُّنَّة ، وقفْ حيثُ يقفُ القوم ، وقل ما قالوا ، وكُفَّ عمَّا كفُّوا ؛ ولْيَسَعْكَ ما وَسِعَهم .

وقال : العلمُ ما جاء عن أصحابِ محمد ، وما لم يجىء عنهم فليس بعلم . وكان يقول : لا يجتمعُ حبُّ عليٍّ وعثمانَ إلَّا في قلبِ مؤمن . وإذا أراد الله بقومٍ شرّاً فتح عليهم باب الجدَل ، وسدَّ عنهم باب العِلم والعمَل .

قالوا : وكان الأوزاعيُّ من أكرمِ الناسِ وأسخاهم ، وكان له في بيت المال على الخلفاء إقطاعٌ صار إليه في بني أمية ، وقد وصل إليه من خلفاء بني أمية وأقاربِهم وبني العباس نحو سبعين ألف دينار ، فلم يُمسِكْ منها شيئاً ، ولا اقتنى شيئاً من عقارٍ ولا غيرِه ، ولا ترك يومَ ماتَ سوى سبعةِ دنانيرَ كانتْ جهازه ؛ بل كان يُنفق ذلك في سبيل الله وفي الفقراء والمساكين .

ولما دخل عبدُ الله بن علي [عمُّ السفَّاح الذي أجلى بني أمية عن الشام ، وأزال الله سبحانه وتعالى دولتهم على يدِهِ][٢] دمشقَ فطلبَ الأوزاعي ، فتغيَّب عنه ثلاثةَ أيام ، ثم حضرَ بين يديه ، قال الأوزاعي : دخلتُ عليه وهو على سرير ، وفي يده خَيْزُرَانة ، والمسوِّدَةُ عن يمينِهِ وشمالِه ، معهم السيوفُ مُصْلَتَة ،

(١) في تاريخه (٣٥/ ١٩٤) .

(٢) ليس ما بين المعقوفين في (ب ، ح) ، وهو من (ق) .

والعُمد الحديد ، فسلمتُ عليه فلم يَرُدّ ، ونكَتَ بتلك الخيْزُرَانةِ التي في يده ثم قال : يا أوزاعي ، ما ترى فيما صنَعْنا من إزالةِ أيدي أولئك الظلمةِ عن العباد والبلاد ؟ أجهاداً ورِباطاً هو ؟ قال : فقلت : أيُّها الأمير ، سمعتُ يحيى بن سعيد الأنصاريَّ يقول : سمعتُ محمد بن إبراهيم التيميَّ يقول : سمعتُ علقمةَ بن وقَّاصٍ يقول : سمعتُ عمرَ بن الخطاب يقول : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إنما الأعمالُ بالنِّيَّات ، وإنما لكلِّ امرىءٍ ما نَوَى ، فمنْ كانتْ هجرَتُهُ إلى اللهِ ورسولِه ، فهجرتُهُ إلى الله ورسولِه ، ومنْ كانتْ هجرتُهُ لِدُنيا يُصيبها ، أو امرأةٍ يتزوَّجُها فهجرتُهُ إلى ما هاجَرَ إليه »[١] . قال : فنكَتَ بالخَيْزُرانةِ أشدَّ مما كان ينكُت ؛ وجعل منْ حَوْلهُ يقبضُونَ أيديَهم على قبضاتِ سُيوفِهم ؛ ثم قال : يا أوزاعيّ ، ما تقولُ في دماء بني أمية . فقلت : قال رسولُ الله ﷺ : « لا يَحِلُّ لمسلم دَمُ امْرِىءٍ مسلمٍ إلَّا بإحدى ثلاث : النفسُ بالنفس ، والثَّيِّبُ الزَّاني ، والتاركُ لدينِه المفارقُ للجماعة »[٢] . فنكَتَ بها أشدَّ من ذلك ، ثم قال : ما تقولُ في أموالِهم ؟ فقلت : إنْ كانتْ في أيديهم حراماً فهي عليك أيضاً ؛ وإنْ كانتْ لهم حلاً فلا تَحِلُّ لك إلا بطريقٍ شرعي . فنكَتَ أشدَّ ممَّا كان ينكُتُ قبلَ ذلك ؛ ثم قال : ألا نُوَلِّيك القضاء ؟ فقلت : إنَّ أسلافَكَ لم يكونوا يَشُقُّونَ عليَّ في ذلك ، وإني أُحِبُّ أن يتمَّ ما ابتدؤوني به من الإحسان . فقال : كأنَّكَ تحبُّ الانصراف . فقلت : إنَّ ورائي حُرَماً ، وهم محتاجونَ إلى القيامِ عليهنَّ وسترِهنّ ، وقلوبُهنَّ مشغولةٌ بسببي . قال : وانتظرتُ رأسي أنْ يسقُطَ بين يدي ؛ فأمَرَني بالانصراف ، فلما خرجتُ إذا برسولِهِ من ورائي ، وإذا معه مئتا دينار ، فقال : يقولُ لك الأمير : استنفِقْ هذه . قال : فتصدَّقْتُ بها . وإنما أخذتُها خوفاً .

قال : وكان في تلك الأيام الثلاثة صائماً ، فيقال : إنَّ الأمير لمّا بلغه ذلك عرَضَ عليه الفِطْرَ عندَهُ فأَبَى أن يُفطرَ عندَه .

قالوا : ثم رحل الأوزاعيُّ من دمشق ، فنزل بيروتَ مُرابطاً بأهله وأولادِه . قال الأوزاعي : وأعجبني في بيروت أنِّي مررتُ بقبورِها ، فإذا امرأة سوداءُ في القبور فقلتُ لها : أين العِمَارةُ يا هَنْـتَاه[٣] ؟ فقالت : إنْ أردتَ العِمَارَةَ فهي هذه ـ وأشارت إلى القبور ـ وإنْ كنتَ تُريدُ الخرابَ فأمامَك ـ وأشارت إلى البلد ـ فعزمتُ على الإقامةِ بها .

وقال محمد بن كثير : سمعتُ الأوزاعيَّ يقول : خرجتُ يوماً إلى الصحراء ، فإذا رِجْلُ جرادٍ[٤] ،

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٣) (١) ؛ ومسلم (٣/ ١٥١٥) (١٩٠٧) .

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٢٥٢١) (٦٤٨٤) ؛ ومسلم (٣/ ١٣٠٣) (١٦٧٦) ؛ وغيرهما .

(٣) يا هنتاه : قال الخطابي : معناه يا هذه ، يقال للمذكر إذا كُني عنه : هَنٌ ، وللمؤنث هَنَةٌ . وقد ذكر الحُميدي أنَّ معناه البَلْهاء ، فهو نسبةٌ إلى البَلَهِ وقِلَّة المعرفة . غريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ٥٠٢ ، ٥٠٣) .

(٤) الرِّجْل : الطائفةُ من الشيء ، أنثى ؛ وخصَّ بعضُهم بهِ القطعةَ العظيمةَ من الجراد والجمع أرجال ؛ وهو جمعٌ على غير لفظ الواحد . لسان العرب (رجل) .

وإذا شخصٌ راكبٌ على جَرَادةٍ منها وعليه سلاحُ الحديد ، وكلَّما قال بيدِهِ هكذا ـ إلى جهةٍ ـ مالَ الجرادُ مع يده وهو يقول : الدنيا باطل باطل باطل ، وما فيها باطل باطل باطل .

وقال الأوزاعي : كان عندنا رجلٌ يخرجُ يومَ الجمعةِ إلى الصيد ، ولا ينتظرُ الجمعة ، فخُسف ببغلتِه ، فلم يبقَ منها إلا أُذُناها .

وخرج الأوزاعيُّ[١] يوماً من بابِ مسجدِ بيروت ، وهناك كان فيه رجلٌ يبيعُ النَّاطِف[٢] ، وإلى جانبِهِ رجلٌ يبيع البصل وهو يقول له : يا بصل أحلى من العسل ؛ أو قال : أحلى من الناطف . فقال الأوزاعي : سبحان الله ! [أيظنُّ هذا أنَّ شيئاً من الكذبِ يُباح ؟ فكأنَّ هذا][٣] ما يَرَى في الكذبِ بأساً .

وقال الواقدي : قال الأوزاعي : كُنَّا قبل اليوم نضحكُ ونلعب ، أمَّا إذْ صِرْنا أئمَّةً يُقتدَى بنا فلا نرى أنْ يسعَنا ذلك ، وينبغي أن نتحفَّظ .

وكتب إلى أخٍ له : أمَّا بعد ، فقد أُحيط بك من كلِّ جانب ، وإنه يُسارُ بك في كلِّ يومٍ وليلة ، فاحذرِ الله والقيامَ بين يديه ، وأنْ يكون آخرَ العهدِ بك ، والسلام .

وقال ابنُ أبي الدنيا[٤] : حدّثني محمد بن إدريس ، سمعتُ أبا صالحٍ كاتبَ اللَّيث يذكرُ عن الهِقْل بنِ زياد ، عن الأوزاعي أنه وعَظَ فقالَ في موعظته : أيها الناس تقوَّوْا بهذه النِّعَم التي أصبحتم فيها على الهرَبِ من نار الله الموقدة ، التي تطَّلِعُ على الأفئدة ، فإنّكم في دارِ الثَّوَاءُ فيها قليل ، وأنتم عمَّا قليل عنها راحلون ، خلائف بعدَ القرون الماضية ، الذين استقبلوا من الدنيا آنَقَها وزهرتَها ، فهم كانوا أطولَ منكم أعماراً ، وأَمَدَّ أجساماً ، وأعظمَ أحلاماً ، وأكثرَ أموالاً وأولاداً ؛ فخدَّدوا الجبال ، وجابوا الصخرَ بالواد ، وتنقَّلوا في البلاد ، مؤيَّدينَ ببطشٍ شديد وأجسادٍ كالعماد ، فما لَبِثَتِ الأيامُ والليالي أنْ طوَتْ آثارَهم ، وأخربتْ منازلَهم وديارَهم ، وأنْسَتْ ذكرَهم ، فـ ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ [مريم : ٩٨] ، كانوا بِلَهْوِ الأمل آمنين ، وعن ميقاتِ يومِ موتِهم غافلين ، فآبوا إيابَ قومٍ نادمين ، ثم إنكم قد علمتمُ الذي نزَلَ بساحتِهم بياتاً من عقوبة الله ، فأصبح كثيرٌ منهم في ديارِهم جاثِمين ، وأصبح الباقون المتخلِّفون يُبصرون في نعمةِ الله ، وينظرون في آثار نِقْمَتِه ، وزوالِ نعمتِه عمَّنْ تقدَّمَهم من الهالِكين ، ينظرونَ واللهِ في مساكنَ خاليةٍ خاوية ، وقد كانتْ بالعِزِّ مَحْفوفة ، وبالنعم معروفة ، والقلوب إليها

(١) من هنا إلى كلمة الأوزاعي في الخبر التالي ساقط من نسخة (ب) .

(٢) الناطف : القُبَّيْط ، لأنه يتنطف قبل استضرابه أي يسيل ويقطرُ قبل خثورته ، وهو نوعٌ من الحلواء ، يسمَّى القُبَّيْطَى إذا أنّثوه ، وإذا ذكَّروه قالوا : قُبَّيْط . لسان العرب (نطف) .

(٣) ما بين معقوفين زيادة من (ق) .

(٤) في كتابه الشكر ص(١٤) (٣٠) .

مصروفة ، والأعين نحوها ناظرة ، فأصبحتْ آيةً للذين يخافونَ العذابَ الأليم ، وعبرةً لمن يَخْشَى ، وأصبحتُم بعدَهم في أجلٍ مَنْقوص ، ودنيا منقوصة ، في زمانٍ قد وَلّى عَفْوُه ، وذهب رجاؤُه وخَيْرُهُ وصفوُه ، فلم يبقَ منه إلّا جُمَّةُ شَرٍّ[1] ، وصُبابةُ كَدَر ، وأهاويلُ عِبَر ، وعُقوباتُ غِيَر ، وإرسال فتن ، وتتابع زلازل ، ورذالة خَلَف ؛ بهم ظهر الفسادُ في البرِّ والبحر ، [يضيِّقونَ الديار ، ويُغلونَ الأسعار ، بما يرتكبونه من العارِ والشَّنَار][2] ؛ فلا تكونوا أشباهاً لِمَنْ خدعَهُ الأمل ، وغرَّهُ[3] طولُ الأجَل ، ولعبَتْ به الأماني ؛ نسألُ الله أن يجعلَنا وإيَّاكم ممَّنْ إذا دُعي بَدَر ، وإذا نُهي انتهى وعَقَل مثواه[4] ، فمهد لنفسه .

وقد اجتمع الأوزاعيُّ بالمنصور حين دخل الشام ، ووعَظَهُ وأحبَّهُ المنصور وعظَّمه ، ولما أراد الانصرافَ من بين يديه استأذنه في أنْ لا يلبسَ السواد ، فأذِنَ له ، فلما خرج قال المنصور للربيع الحاجب : الْحَقْهُ فاسألْهُ لِمَ كَرِهَ لُبْسَ السواد ؟ ولا تُعلِمْهُ أنِّي قلتُ لك . فسألَهُ الربيع ، فقال : لأني لم أرَ مُحْرِماً أحرَمَ فيه ، ولا ميتاً كُفِّن فيه ، ولا عروساً جُلِيَتْ فيه ، فلهذا أكرهُه .

وقد كان الأوزاعيُّ في الشام معظَّماً مُكَرَّماً ، أمرُهُ أعزُّ عندَهم من أمرِ السلطان ، وقد همَّ به بعضُ الولاةِ مرَّةً ، فقال له أصحابُه : دَعهُ عنك ، واللهِ لو أمرَ أهلَ الشامِ أنْ يقتلوك لقتلوك .

ولما مات جلس على قبرِهِ بعضُ الولاة فقال : رحمك الله ، فوالله لقد كنتُ أخافُ منك أكثرَ ممَّا أخافُ من الذي ولَّاني ـ يعني المنصور .

وقال ابنُ أبي العشرين : ما مات الأوزاعيُّ حتى جلسَ وحدَه ، وسمع شَتْمهُ بأذنه .

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : حدّثنا محمد بن عُبيد الطَّنَافسي ، قال : كنتُ جالساً عند الثوري ، فجاءه رجلٌ فقال : رأيتُ كأنَّ ريحانةً من المغرب ـ يعني قُلِعَتْ ـ قال : إنْ صدقَتْ رؤياك فقد مات الأوزاعي . فكتبوا ذلك ، فجاء موتُ الأوزاعيِّ في ذلك اليوم .

وقال أبو مُسْهر : بلغَنا أنَّ سببَ موتِهِ أنَّ امرأته أغلقَتْ عليه بابَ حمَّام فمات فيه ، ولم تكنْ عامدةً ذلك ، فأمَرَها سعيدُ بن عبدِ العزيز بِعتْقِ رقبة . قال : وما خَلَّفَ ذهباً ولا فضَّةً ولا عَقَاراً ، ولا متاعاً ، إلَّا ستةً وثمانين فضَلَتْ من عَطَائِه . وكان قد اكتُتِبَ في ديوانِ السَّاحل .

---

(١) في الشكر لابن أبي الدنيا : « حمة » بالحاء المهملة ، والمثبت من الأصول . والحُمَة ـ بالحاء المهملة وتخفيف الميم ـ : هي الإبرة التي تضرب بها الحية والعقرب والزنبور ونحو ذلك أو تلدغ بها ، وسُمُّ كل شيء يلدغ ويلسع . لسان العرب (حمم ، جمم) .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ق) ، ليست في (ب ، ح) ولا في كتاب الشكر لابن أبي الدنيا .

(٣) في (ق) : « وغَيَّرَهُ » ، والمثبت من (ب ، ح) .

(٤) كذا في (ق) ، وفي كتاب الشكر « ممن وعى نفسه فانتهى وعقل مسراه » ، وفي (ح) : « ممن دعى بدره » ، وفي (ب) : « ممن وعى نذره وبلغ انتهى وعقل مثواه » .

وقال غيره : كان الذي أغلَقَ عليه بابَ الحمّام صاحبُ الحمَّام ، أغلقَهُ وذهبَ لحاجةٍ له ، ثم جاء ففتح الحمَّام فوجدَهُ ميتاً قد وضع يدَهُ اليُمنى تحت خدِّه وهو مستقبِلٍ القبلة . رحمه الله .

قلتُ : لا خلافَ أنه ماتَ ببيروتَ مُرابطاً ، واختلفوا في سنةِ وفاتِه ، فروى يعقوبُ بن سفيان عن سلمة ، قال : قال أحمد : رأيتُ الأوزاعيَّ وتوفي سنةَ خمسين ومئة . قال العباس بن الوليد البيروتي : تُوفي يومَ الأحد أولَ النهار لليلتين بقيتا من صفر سنة سبع وخمسين ومئة ، وهو الذي عليه الجمهور ، وهو الصحيح ، وهو قولُ أبي مُسهر ، وهشام بن عمار ، والوليد بن مسلم - في أصحِّ الرواياتِ عنه - ويحيى بن معين ، ودُحَيم ، وخليفة بن خياط ، وأبي عُبيد ، وسعيد بن عبد العزيز ، وغير واحد . قال العباس بن الوليد : ولم يبلغ سبعين سنة . وقال غيره : جاوز السبعين . والصحيح سبع وستون سنة ، لأنَّ ميلادَهُ في سنةِ ثمانٍ وثمانين على الصحيح . وقيل : إنه ولد سنة ثلاثٍ وسبعين . وهذا ضعيف .

وقد رآه بعضُهم في المنام فقال له : دُلَّني على عملٍ يُقرِّبُني إلى الله . فقال : ما رأيتُ في الجنةِ درجةً أعلى من درجةِ العلماء العاملين ثم المحزونين .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وخمسين ومئة

فيها تكامل بناء قصرِ المنصور المسمَّى بالخُلْد ، وسكنَهُ أياماً يسيرَة ثم مات وتركَه .

وفيها مات طاغيةُ الروم . وفيها وجَّه المنصور ابنَهُ المهديَّ إلى الرقة ، وأمرَهُ بعَزْل موسى بن كعب عن الموصل ، وأن يُولِّيَ عليها خالد بن بَرْمَك ، وكان ذلك بعد نُكْتَةٍ غريبةٍ اتفقتْ ليحيى بن خالد ، وذلك أنَّ المنصور كان قد غَضِبَ على خالد بن بَرْمَك ، وألزَمَهُ بِحَمْلِ ثلاثةِ آلاف ألف ، فضاق ذَرْعاً بذلك ، ولم يبقَ له مالٌ ولا حال ، وعجزَ عن أكثرِ ما طَلَبَهُ منه ، وقد أجَّلَهُ ثلاثةَ أيام ، وأن يحمل ذلك في هذه الثلاثة أيام وإلَّا فدَمُهُ هَدَر . فجعل يُرسِلُ ابنَهُ يحيى إلى أصحابِه من الأمراء يستقرضُ منهم ، فكان منهم مَنْ أعطاهُ مئةَ ألف ، ومنهم أقلَّ وأكثر . قال يحيى بن خالد : فبينا أنا ذاتَ يومٍ من تلك الأيام الثلاثة على جسرِ بغداد وأنا مَهْمُومٌ في تحصيلِ ما طُلب منَّا مِمَّا لا طاقةَ لنا به إذْ وثَبَ إليَّ زاجرٌ من أولئك الذين يكونون عند الجسر ، من الطُّرُقِيَّة ، فقال لي : أبشِرْ . فلم ألتفِتْ إليه ، فتقدم حتى أخذ بلِجام فرسي ثم قال لي : أنت مَهْموم ، لَيُفَرِّجَنَّ الله هَمَّك ، ولتَمُرَّنَّ غداً في هذا الموضع واللواءُ بين يديك ، فإنْ كان ما قلتُ لكَ حقّاً فلي عليك خمسةُ آلاف . فقلت : نعم ، ولو قال خمسون ألفاً لقلتُ نعم ، لِبُعْدِ ذلك عندي ، وذهبت لشأني ، وقد بقي علينا من الحمل ثلاثُ مئةِ ألف ، فورَدَ الخَبَرُ إلى المنصور بانتقاضِ المَوصِل ، وانتشارِ الأكرادِ فيها ، فاستشار المنصورُ الأمراءَ مَنْ يصلحُ للمَوْصل ؟ فأشار بعضُهم بخالد بن بَرْمَك ، فقال له المنصور : أوَ يَصْلُحُ لذلك بعد ما فعَلْنا به ؟ فقال : نعم ، وأنا الضَّامِنُ أنه يصلُحُ لها . فأمر بإحضارِه ،

فولاهُ إياها ، ووضعَ عنه بقيَّةَ ما كان عليه ، وعقدَ له اللِّوَاء ، وولَّى ابنَهُ يحيى أذْرَبِيجان ، وخرج الناسُ في خدمتِهما . قال يحيى : فمرَزْنا بالجِسْر ، فثار لي ذلك الزاجِرُ فطالَبَني بما وعدتُه بِه ، فأمَرْتُ له به ، فقَبَضَ خمسةَ آلاف .

وفي هذه السنة خرج المنصور إلى الحج ، فساق الهَدْيَ معه ، فلما جاوز الكوفةَ بمرَاحِل أخذَهُ وجَعُهُ الذي ماتَ به ، وكان عنده سوءُ مِزَاج ، فاشتدَّ عليه من شدَّةِ الحَرِّ وركوبِهِ في الهواجِر ، وأخَذَهُ إسهال ، وأفرَطَ به ، فقَوِيَ مرضهُ ، ودخل مكةَ فتوفِّي بها ليلةَ السبت ، لِستٍّ مَضَيْنَ من ذي الحِجَّة ، وصُلِّيَ عليه ، ودُفن بكَدَاء عندَ ثَنِيَّةِ بابِ الْمَعْلاةِ التي بأعلى مكة ، وكان عُمُرهُ يومئذٍ ثلاثاً ـ وقيل أربعاً وقيل خمساً ـ وستين ، وقيل : إنه بلغ ثمانياً وستين ، والله أعلم .

وقد كتَمَ الربيعُ الحاجبُ موتَهُ حتى أخذَ البيعة للمَهْدِيِّ من القُوَّاد ورؤوس بني هاشم ، ثم دُفن . وكان الذي صلَّى عليه إبراهيمُ بن يحيى بن محمد بن علي ، وهو الذي أقام للناسِ الحجَّ في هذه السنة .

وهذه ترجمة المنصور[١]

هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ، أبو جعفر المنصور ، وكان أكبرَ من أخيه أبي العباس السفَّاح ، وأمُّه أمُّ ولد ، اسمها سلامة .

وروى عن جدِّه عن ابن عباس ، أنَّ رسول الله ﷺ كان يتختَّم في يمينه . أورده ابن عساكر[٢] من طريق محمد بن إبراهيم السلمي عن المأمون عن الرشيد عن المهدي عن أبيه المنصور به .

بُويع له بالخلافة بعد أخيه في ذي الحِجَّة سنةَ ستٍّ وثلاثين ومئة ، وعمره يومئذٍ إحدى وأربعون سنة ، لأنه وُلد سنةَ خمسٍ وتسعين على المشهور في صفر منها بالحُمَيْمَة من بلادِ البَلْقَاء ، وكانت خلافتُهُ ثنتَيْن وعشرين سنة إلَّا أياماً ، وكان أسمر اللَّون ، موفَّرَ اللِّمَّة ، خفيفَ اللِّحْيَة ، رَحْبَ الجَبْهَة ، أقْنَى الأنف ، بيِّنَ القَنَا ، أعْيَن ، كأنَّ عينَيْهِ لسانانِ ناطقان ، يخالطه أُبَّهَةُ الملك[٣] ، وتقبله القلوب ، وتتبعه العيون ، يعرفُ الشرف في مواضِعِه[٤] ، والعِتْق في صورته ، والليث في مشيته . هكذا وصفه بعضُ مَنْ رآه[٥] .

---

(١) ترجمته في طبقات المحدثين بأصبهان (١/ ٤٣٥) ، تاريخ بغداد (١/ ٦٢) ، تاريخ ابن عساكر (٣٢/ ٢٩٨) ، تهذيب الأسماء للنووي (٢/ ٤٩٠) ، المقتنى في سرد الكنى للذهبي (١/ ٣٤٢) ، نزهة الألباب لابن حجر (٢/ ٢٠٢ ، ٢٩٢) .

(٢) تاريخ ابن عساكر (٣٢/ ٢٩٩) .

(٣) في تاريخ ابن عساكر « أبهة الملوك » .

(٤) في تاريخ ابن عساكر « تواضعه » .

(٥) تاريخ ابن عساكر (٣٢/ ٣٠١) .

وقد صحَّ عن ابن عباس أنه قال : منّا السفَّاح والمنصور . وفي رواية : حتى نسلمَها إلى عيسى ابن مريم . وقد رُوي مرفوعاً ولا يَصِحّ ، ولا وَقْفُهُ أيضاً . وذكر الخطيبُ أنَّ أُمَّهُ سلامة قالتْ : رأيتُ حين حملتُ به كأنه خرجَ مني أسَد ، فزَأرَ واقفاً على يدَيْه ، فما بقي أسدٌ حتى جاء فسجَدَ له . وقد رأى المنصورُ في صغره مناماً غريباً ، كان يقول : ينبغي أنْ يُكتَبَ في ألواحِ الذهب ، ويُعلَّق في أعناقِ الصبيان ، فقال : رأيتُ كأنّي في المسجدِ الحرام ، وإذا رسول الله ﷺ في الكعبة والناسُ مجتمعون حولَها ، فخرج من عندِهِ منادٍ أين عبدُ الله ؟ فقام أخي السفَّاحُ يتخطَّى الرجالَ حتى جاء بابَ الكعبة ، فأخذ بيده ، فأدخلَهُ إيَّاها ، فما لبِثَ أنْ خرجَ ومعه لواء أسود ، ثم نودي أين عبد الله ؟ فقمت أنا وعمي عبد الله بن علي نستبق ، فسبقته إلى باب الكعبةِ فدخلتُها ، فإذا رسولُ الله ﷺ وأبو بكر وعمر وبلال ، فعقَدَ لي لواءَ وأوْصَاني بأُمَّتِه وعَمَّمَني عِمَامةً كُورُها ثلاثةٌ وعشرون كُوراً ، وقال : « خذها إليك أبا الخلفاء إلى يوم القيامة »[١] .

وقد اتَّفقَ سجنُ المنصور في أيام بني أمية ، فاجتمع به نوبَخْتُ المنجّم ، وتوسَّمَ فيه الرِّيَاسة فقال له : مِمَّنْ تكون ؟ فقال : من بني العباس . فلمَّا عرف منه نسَبَه وكنيتَه قال : أنتَ الخليفةُ الذي تلي الأرض . فقال له : وَيْحَكَ ! ماذا تقول ؟ فقال : هو ما أقولُ لك ، فضَعْ لي خطَّك في هذه الرُّقْعةِ أنْ تُعطيَني شيئاً إذا وَلِيت . فكتب له ، فلمّا ولي المنصور أعطاه ، وأسلم نوبختُ على يديه ، وكان قبلَ ذلك مَجُوسياً ، ثم كان من أخصِّ أصحابِ المنصور . وقد حجَّ المنصورُ بالناس سنةَ أربعين ومئة ، وأحرَمَ من الحِيرَة . وفي سنةِ أربعٍ وأربعين ، وفي سنة سبعٍ وأربعين ، وفي سنةِ ثنتَيْنِ وخمسين ، ثم في هذه السنةِ التي ماتَ فيها . وبَنَى بغدادَ والرُّصَافة ، والرَّافِقَة ، وقصرَهُ الخُلْد .

قال الربيعُ بن يونس الحاجب : سمعتُ المنصور يقول : الخلفاءُ أربعة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي . والملوكُ أربعة : معاوية ، وعبدُالملك بن مروان ، وهشامُ بن عبد الملك ، وأنا[٢] .

وقال مالك : قال لي المنصور : مَنْ أفضَلُ الناسِ بعدَ رسولِ الله ﷺ ؟ فقلت : أبو بكر ، وعمر . فقال : أصبت . وذلك رأيُ أميرِ المؤمنين .

وعن إسماعيل الفِهْري قال : سمعتُ المنصور على مِنبر عرَفَة يوم عَرَفَةَ يقول : أيها الناس ، إنمَّا أنا سلطانُ الله في أرضِه ، أسوسُكم بتوفيقِهِ ورُشْدِه ، وخازنُهُ على مالِه ، أقسِمُه بإرادته وأُعطيه[٣] بإذنه ، وقد

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١/ ٦٤ ، ٦٥) ، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٣٢/ ٣٠٥ ، ٣٠٦) .

(٢) تاريخ ابن عساكر (٣٢/ ٣٠٩) .

(٣) في الأصل : وأعطيتُه ، وفي بعض النسخ : وأُعطيه بإذنه .

جعلني الله عليه قُفلاً ، فإنْ شاء أن يفتحَني لأُعطياتِكُمْ وقَسْمِ أرزاقِكم فتَحَني ، وإذا شاء أن يقفِلَني قفلني فارغبوا إلى الله أيها الناس ، وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وَهبَكم فيه من فضلِه ما أعلمكم به في كتابهِ إذ يقول : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] ، أنْ يُوفِّقَني للصواب ، ويُسَدِّدَني للرَّشاد ، ويُلْهِمَني الرأفةَ بكم ، والإحسان إليكم ، ويفتحَني لأُعطياتِكم ، وقسم أرزاقكم بالعَدْلِ عليكم ، فإنه سميعٌ مُجيب(١) .

وقد خطب يوماً فاعترضَهُ رجلٌ وهو يُثني على اللهِ عزَّ وجلَّ فقال : يا أمير المؤمنين ، اذكُرْ مَنْ أنتَ ذاكرهُ ، واتَّقِ الله فيما تأتيهِ وتذَره . فسكتَ المنصورُ حتى انتهى كلامُ الرجل ، فقال : أعوذُ بالله أنْ أكونَ مِمَّنْ قال الله عزَّ وجلَّ فيه ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾ [البقرة : ٢٠٦] ، أو أنْ أكونَ جبَّاراً عَصِيّاً ، أيها الناس ، إنَّ الموعظةَ علينا نزلَتْ ، ومن عندِنا نبتَتْ . ثم قال للرجل : ما أظنُّكَ في مقالتكَ هذه تريدُ وجهَ الله ، وإنما أردتَ أنْ يُقالَ عنك : وَعَظَ أميرَ المؤمنين . أيُّها الناس ، لا يغرَّنَّكم هذا ، فتفعلوا كفعلِه . ثم أمَرَ به فاحتفِظَ به وعاد إلى خُطبتِهِ فأكملَها ، ثم قال لِمَنْ هو عندَه : اعرِضْ عليه الدنيا ، فإنْ قبِلَها فأعلِمْني ، وإن رَدَّها فأعلِمني . فما زال الرجلُ الذي عنده حتى أخذَ المالَ ومالَ إلى الدنيا ، فولَّاهُ الحِسْبَةَ والمظالم ، وأدخلَهُ على الخليفة في بِزَّةٍ حسنَة ، وثيابٍ وشارةٍ وهيئةٍ دُنيويَّة ، فقال له الخليفة : ويحك ! لو كنتَ مُحِقّاً مُريداً وجهَ اللهِ بما قلتَ على رؤوس الناس لَمَا قَبِلْتَ شيئاً مِمّا أرى ، ولكنْ أردتَ أنْ يُقالَ عنك : إنَّكَ وعظتَ أميرَ المؤمنين ، وخرجتَ عليه . ثم أمَرَ بِهِ فضُرِبَت عُنقُه .

وقد قال المنصور لابنه الْمَهْدي : إنَّ الخليفةَ لا يُصلِحُه إلَّا التقوى ، والسلطانُ لا يُصلِحهُ إلَّا الطاعة ، والرعيَّةُ لا يُصلِحُها إلَّا العَدْل ، وأولى الناسِ بالعَفْو أقدَرُهم على العُقوبة ، وأنقصُ الناسِ عقلاً مَنْ ظَلَمَ مَنْ دونَه . وقال أيضاً : يا بُني ، استدِمِ النعمةَ بالشُّكر ، والقُدرةَ بالعَفْو ، والطاعةَ بالتأليف ، والنصرَ بالتواضُعِ والرحمةِ للناس ، ولا تنسَ نصيبَكَ من الدنيا ، ونصيبَكَ من رحمةِ الله .

وحضَرَ عندَهُ مباركُ بن فَضالةَ يوماً وقد أمَرَ برجلٍ أنْ يُضربَ عُنقُه ، وأحضرَ النِّطْعُ والسيف ، فقال له مبارك : سمعتُ الحسين يقول : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يومُ القيامةِ نادَى منادٍ : لِيَقُمْ مَنْ كان أجرُهُ على الله . فلا يقوم إلَّا مَنْ عفَا » . فأمَرَ بالعَفْوِ عن ذلك الرجل . ثم أخَذَ يُعَدِّدُ على جُلسائه عظيمَ جرائمِ ذلك الرجل ، وما صنَعَه .

وقال الأصمعي : أُتي المنصورُ برجلٍ ليعاقِبَه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، الانتقامُ عَدْل ، والعَفْوُ فَضْل ، ونُعِيذُ أميرَ المؤمنين بالله أنْ يَرْضَى لنفسِهِ بأوْكَسِ النَّصِيبَيْن ، وأدْنَى القِسْمَيْن ، دون أرفعِ الدرجتَيْن . قال : فعفَا عنه .

---

(١) تاريخ ابن عساكر (٣٢/ ٣١٠ ، ٣١١) .

وقال الأصمعي : قال المنصورُ لرجلٍ من أهلِ الشام : احْمَدِ اللهَ يا أعرابي الذي دفع عنكم الطاعونَ بولايتِنا . فقال : إنَّ الله لا يَجْمَعُ علينا حَشَفاً وسُوءَ كَيْل[1] ؛ وِلايتكم والطاعون .

والحكاياتُ في ذكرِ حِلْمِهِ وعفوِهِ كثيرةٌ جداً . ودخل بعضُ الزُّهَّاد إلى المنصور فقال : إنَّ اللهَ أعطاكَ الدنيا بأسرِها ، فاشترِ نفسَكَ ببعضِها ، واذكُرْ ليلة تبيتُ في القبر لم تَبِتْ قبلَها ، ليلةً تَمْخَضُ عن يومٍ لا ليلةَ بعدَه . قال : فأفحَمَ المنصورَ قولُه ، وأمَرَ له بمال ، فقال : لو احتجتُ إلى مالك لما وعظْتُك .

ودخل عمرو بن عُبيد القدَرِيُّ على المنصور ، فأكرَمَهُ وعظَّمَهُ وقرَّبَه ، وسأله عن أهلِهِ وعِيَالِه ، ثم قال له : عِظْنِي . فقرأ عليه سورةَ الفَجْر ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر : ١٤] . فبكى المنصورُ بُكاءً شديداً ، حتى كأنَّهُ لم يسمَعْ بِهذه الآياتِ من قبل ، ثم قال له : زِدْنِي . فقال : إنَّ الله قد أعطاكَ الدنيا بأسرِها فاشترِ نفسَكَ ببعضِها . وإنَّ هذا الأمرَ كان لِمَنْ قبلَكَ ثم صار إليك ، ثم هو صائرٌ لِمَنْ بعدَك ، واذكُرْ ليلةً تُسْفِرُ عن يومِ القيامة . فبكى المنصورُ أشدَّ من بُكائه الأول ، حتى اختلفَت أجفانُه[2] ؛ فقال له سليمان بن مجالد : رِفْقاً بأميرِ المؤمنين . فقال عمرو : وماذا على أميرِ المؤمنين أنْ يبكيَ من خشيةِ الله عزَّ وجلّ ؟! ثم أمر له المنصور بعشرةِ آلاف درهم ، فقال : لا حاجةَ لي فيها . فقال المنصور : والله لتأخذَنَّها . فقال : واللهِ لا أخذْتُها . فقال له المهدي وهو جالسٌ في سوادِه وسيفِه إلى جانبِ أبيه : أيحلفُ أميرُ المؤمنين وتحِلفُ أنت ؟ فالتفت إلى المنصور فقال : ومَنْ هذا ؟ فقال : هذا ابني محمد الْمَهْدِي ، وليُّ العَهْدِ من بعدي . فقال عمرو إنَّك سَمَّيتَهُ اسماً لم يستحقَّه بعملِهِ هذا ، وألبستَهُ لَبُوساً ما هو لَبُوسُ الأبرار ، ولقد مهدتَ له أمراً أمتَعُ ما يكونُ به أشغَلُ ما يكونُ عنه . ثم التفتَ إلى المهديِّ فقال : يا ابنَ أخي ، إذا حلَفَ أبوكَ وحَلَفَ عَمُّك فلأَنْ يَحْنَثَ أبوكَ أيْسَرُ من أن يَحنث عمُّك ، لأنَّ أباكَ أقدَرُ على الكفَّارَةِ من عمِّك . ثم قال المنصور : يا أبا عثمان هل مِنْ حاجة ؟ قال : نعم . قال : وما هي ؟ قال : لا تبعَثْ إليَّ حتى آتِيكَ ، ولا تعطِني حتى أسألَك . فقال المنصور : إذاً واللهِ لا نلتقي . فقال عمرو : عن حاجتي سألْتَني . فودَّعَهُ وانصرف . فلمّا وَلَّى أمَدَّهُ بصَرَهُ وهو يقول :

---

(١) قال أبو عبيد : من أمثالهم : أحَشَفاً وسُوءَ كَيْل ! قال أبو بكر : يُقال : كِلْتُ الشيءَ أَكِيلُهُ كَيْلاً ، وأوفاني كِيلَةً حَسَنة . ومن أمثالهم أحشَفاً وسوءَ كِيْلَة ! هكذا أتى المثل كِيْلة لا كَيْل . فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ص(٣٧٤) . وفي مجمع الأمثال (١/ ٢٠٧) : الكِيلَةُ فِعْلَة من الكَيْل ، وهي تدلُّ على الهيئة والحالة ، نحو الرِّكْبة والجِلْسة ، والحَشَفُ أردأ التمر ، أيْ أتجمعُ حشَفاً وسُوءَ كَيْل ؟ يُضرَبُ لِمَنْ يَجْمَعُ بين خصلتَيْنِ مكروهتين . وفي جمهرة الأمثال (١/ ١٠١) ونصبوا حَشَفاً بفعلٍ مضمر يريدون : أتجمع حشفاً ؟ وعطفوا الكِيلَةَ عليه .

(٢) كذا في (ق) وفي (ب) : « اختلف جنباه » ، وفي (ح) : « احتلف جفناه » ، ولعل الصواب « احتفلت أجفانه » ، بالحاء المهملة ، أي امتلأت بالدموع .

كلُّكـــمْ يمشـــي رُوَيْـــدْ كُلُّكُـــم يَطْلُـــبُ صَيْـــدْ
غيرَ عَمْرِو بنِ عُبَيْد

ويقال : إنَّ عمرو بن عبيد أنشد المنصورَ قصيدةً في موعظتِهِ إياه وهي قوله :

يـا أيهـذا الـذي قـد غَـرَّهُ الأمَـلُ ودُونَ مـا يـأمُـلُ التنغيصُ والأجَـلُ
ألا تَـرَى أنَّمـا الـدنيـا وزينتهـا كمَنْزِلِ الرَّكْبِ حَلُّوا ثُمَّتَ ارتحلوا
حُتُـوفُهـا رَصَـدٌ وعَيشُهـا نَكَـدٌ وصَفـوُهـا كَـدَرٌ ومُلْكُهـا دُوَلُ
تظَـلُّ تُفْـزِعُ بـالـرَّوْعـاتِ سـاكنَهـا فمـا يَسُـوغُ لـه لِيـنٌ ولا جَـدَلُ
كـأنَّـهُ للمنَـايـا والـرَّدَى غَـرَضٌ تظـلُّ فيـه بنـاتُ الـدَّهـر تَنْتَضِـلُ[١]
تُـدِيـرُهُ مـا أدارَتْـهُ[٢] دوائـرهـا منها المصيبُ ومنها المخطىءُ الزَّلِلُ
والنفـسُ هـاربـةٌ والمـوتُ يطلبُهـا وكـلُّ عَثْـرَةِ رِجـلٍ عنـدَهـا جَلَـلُ
والمـرءُ يسعـى بمـا يسعـى لـوارِثِـهِ والقبرُ وارثُ ما يَسْعَى له الرجلُ[٣]

وقال ابن دُريد عن الرِّياشي ، عن محمد بن سلام ، قال : رأتْ جاريةٌ للمنصور ثوبَهُ مرقوعاً ، فقالتْ : خليفةٌ وقميصُهُ مَرْقوع ! فقال : ويحك ! أمَا سمعتِ ما قاله ابنُ هَرْمَة :

قـد يُـدرِكُ الشـرفَ الفتـى ورداؤه خَلَـقٌ وبعـضُ قميصِـهِ مَـرْقـوعُ

ومن[٤] شعرِهِ لَمَّا عزَمَ على قتلِ أبي مسلم :

إذا كنـتَ ذا رأيٍ فكُـنْ ذا عَـزِيْمَـةٍ فـإنَّ فسـادَ الـرأيِ أنْ يتـرَدَّدا
ولا تُمْهِـلِ الأعـداءَ يـومـاً لِغَـدْرَةٍ وبـادِرْهُـمُ أنْ يَمْلِكـوا مثلَهـا غَـدا[٥]

---

(١) في (ب ، ق) : تنتقل ، وفي (ح) : تنتفل ، والمثبت من المدهش لابن الجوزي ص(١٩٤) .

(٢) في (ق) : « تديره ما تجور به دوائرها » ، وهو خطأ ، وفي (ب) : « أردته » ، وفي (ح) : « أرادته » ، والمثبت من تاريخ بغداد والمدهش .

(٣) الأبيات بتمامها في تاريخ بغداد (١٢/١٦٦) ، والمنتظم لابن الجوزي (٨/٥٨ ، ٥٩) ، وفي المدهش ص(١٩٤) ما عدا البيت السادس .

(٤) في نسخة (ق) كرَّر الناسخ الخبر الذي مضى في الصفحة السابقة الذي يبتدىء بقوله : « ودخل بعض الزهاد » . وليس هذا التكرار في (ب ، ح) .

(٥) البيت الأول في جمهرة الأمثال (٢/ ٥٠) ، وهما في الحلة السيراء (١/ ٣٤) ، والمنتظم (٨/ ١٠) ، وتاريخ الخلفاء ص(٢٦٨) ، وبعده في المستطرف (١/ ١٦٧) منسوباً إلى علي رضي الله عنه :

وإن كنت ذا عزمٍ فأنفِذْهُ عاجلاً فـإنَّ فسـادَ العَـزْمِ أن يتقيَّـدا .

وروايتهم « بقدرة » بدل « بغدرة » .

ولما قتله ورآه طَريحاً بين يديه قال :

قــد اكتنفَتْــك خَـلاَّتٌ ثـلاثٌ جَلَبْــنَ عليــك مَختـوم الحِمَـام
خِـلافُـكَ وامتنـاعُـكَ مـن يَمِيني وقَــوْدُكَ للجمــاهيــرِ العِظَـامِ

ومن شعره أيضاً :

المـرءُ يـأمُـلُ أنْ يَعِيـ ـش وطـولُ عُمْـرٍ قـد يَضُـرُّهْ
تَبْلَـى بشـاشَتُـهُ ويَبْـ ـقى بعدَ حُلْوِ العيشِ مُـرُّهْ
وتَخُـونُـهُ الأيـامُ حَتْـ ـتَى لا يَـرَى شيئـاً يَسُـرُّهْ
كـم شـامِـتٍ بـي إنْ هَلَكْـ ـتُ وقـائـلٍ للهِ دَرُّهْ[1]

قالوا : وكان المنصور في أولِ النهار يتصدَّى للأمر بالمعروفِ والنَّهْيِ عن المنكر ، والولايات والعزل ، والنظر في مصالح العامَّة ، فإذا صلى الظهر دخل منْزِلَهُ واستراح إلى العصر ، فإذا صلاَّها جلس لأهلِ بيتِه ، ونظرَ في مصالحِهِم الخاصَّة ، فإذا صلَّى العِشاء نظر في الكتب والرسائل الواردَةِ من الآفاق ، وجلس عندَهُ مَنْ يُسَامِرُهُ إلى ثلثِ الليل . ثم يقومُ إلى أهله ، فينامُ في فراشِهِ إلى الثُّلُثِ الآخِر ، فيقومُ إلى وضوئه وصلاتِه حتى يتفجر الصباح ، ثم يخرجُ فيُصَلِّي بالناس ، ثم يدخلُ فيجلِسُ في إيوانِه .

وقد وَلَّى بعضَ العُمَّال على بلد ، فبلَغَهُ أنه قد تصدَّى للصَّيد ، وأعَدَّ لذلك كِلاباً وبُزَاةً ، فكتب إليه : ثَكِلَتْكَ أمُّك وعشيرتُك ، وَيْحك ! إنا إنما استكفيناكَ واستعمَلْناك على أمورِ المسلمين ، ولم نستكفِكَ أمورَ الوحوش في البَراري ، فسَلِّمْ ما تَلِي من عَمَلِنا إلى فلان ، والْحَقْ بأهلك مَلُوماً مَدْحوراً .

وأُتِي يوماً بخارجيٍّ قد هزَمَ جيوشَ المنصور غيرَ مرَّة ، فلمّا وقف بين يدَيْهِ قال له المنصور : وَيْحَك يا بن الفاعلة ، مِثْلُكَ يَهْزِمُ الجيوش ! فقال الخارجي : وَيْلَك ! سوأةً لك ، بيني وبينك أمسِ السيفُ والقتل واليومَ القَذْفُ والسبّ ، وما يؤمنكَ أنْ أرُدَّ عليكَ وقد يئستُ من الحياة فما أستقبلُها أبداً . قال : فاستَحى منه المنصورُ وأطلقَه ، فما رأى له وجهاً إلى الحَوْل .

وقال لابنِهِ لَمَّا ولَّاهُ العَهْدَ : يا بُنَيّ ، ائتدِمِ النعمةَ بالشُّكر ، والقُدْرَةَ بالعَفْو ، والنصرَ بالتواضُع ، والتألُّفَ بالطاعة . ولا تنسَ نَصِيبَك من الدنيا ، ونَصيبَكَ من رحمةِ الله .

وقال أيضاً : يا بُنَيّ ، ليس العاقلُ مَنْ يحتالُ للأمرِ الذي وقَعَ فيه حتى يخرُجَ منه ، ولكنِ العاقلُ الذي يحتالُ للأمرِ الذي غَشِيَهُ حتى لا يقعَ فيه . وقال المنصور : يا بُني ، لا تجلسْ مجلساً إلَّا وعندَكَ من أهلِ

(١) الأبيات في تاريخ بغداد (١٠/ ٦٠) .

العِلْمِ[1] مَنْ يُحَدِّثُك ، فإنَّ الزُّهْرِيَّ قال : علمُ الحديثِ ذَكَرٌ لا يُحِبُّه إلا ذُكْرانُ الرجال ، ولا يكرَهُهُ إلَّا مؤنَّثوهم . وصدَقَ أخو زُهْرَة .

وقد كان المنصورُ في شبيبتِه يطلبُ العلمَ من مظانِّه ، والحديثَ والفقه ، فنال جانباً جيداً وطرفاً صالحاً ، وقد قيل له يوماً : يا أميرَ المؤمنين ، هل بقي شيءٌ من اللذَّاتِ لم تنَلْهُ ؟ قال : شيءٌ واحد . قالوا : وما هو ؟ قال : قول المحدِّث للشيخ : مَنْ ذكرتَ رحمك الله . فاجتمع وزراؤه وكتَّابه وجلسوا حولَهُ وقالوا : لِيُمْلِ علينا أميرُ المؤمنينَ شيئاً من الحديث . فقال : لَسْتُم بِهم ، إنما هُمْ الدَّنِسَةُ ثيابُهم ، المشقَّقةُ أرجلُهم ، الطويلةُ شعورُهم ، رُوَّادُ الآفاق ، وقُطَّاع المسافات ، تارةً بالعِراق ، وتارةً بالحِجَاز ، وتارةً بالشام ، وتارةً باليمن ، فهؤلاءِ نَقَلَةُ الحديث .

وقال يوماً لابنه المهدي : كم عندكَ من دابَّة ؟ فقال : لا أدري . فقال : هذا هو التقصير ، فأنتَ لأمرِ الخلافةِ أشدُّ تضييعاً ، فاتق الله يا بُني .

وقالتْ خالصةُ إحدى حَظِيَّاتِ المهدي : دخلتُ يوماً على المنصور وهو يشتكي ضِرْسَه ، ويداهُ على صُدْغَيْه ، فقال لي : كم عندكِ من المال يا خالصة ؟ فقلت : ألفُ دِرهم . فقال : ضَعِي يدَكِ على رأسي واحلِفِي . فقلتُ : عندي عشرةُ آلافِ دينار . قال : اذهبي فاحمليها إليّ . قالت : فذهبتُ حتى دخلتُ على سيِّدي المهدي وهو مع زوجتِه الخَيْزُرَان ، فشكَوْتُ ذلك إليه ، فوكزَني برجلِهِ وقال : وَيْحَك ! إنه ليس بِهِ وَجَع ، ولكنِّي سألتُه بالأمس مالاً فتمارض ، وإنَّه لا يسَعُكِ إلا ما أمَرَكِ به . فذهبَتْ إليه خالصةُ ومعها عشرةُ آلاف دينار ، فاستدعَى بالمهدي ، فقال له : تشكو الحاجةَ وهذا كلُّه عند خالصة ؟ ! وقال المنصور لخازِنِه : إذا علمتَ بِمَجِيء المهدي فأتِني بِخُلْقَان الثياب قبلَ أنْ يجيء . فجاء بها فوضعَها بين يديه ، ودخل المهدي والمنصور يُقَلِّبُها ، فجعلَ المهديُّ يضحك[2] ، فقال : يا بُني ، مَنْ ليس لَهُ خَلَقٌ ليس له جديد ، وقد حَضَر الشتاء ، فنحتاج نُعِين العيالَ والولد . فقال المهدي : عليَّ كسوةُ أميرِ المؤمنين وعيالِهِ . فقال : دونك فافعَلْ .

وذكر ابنُ جرير[3] عن الهيثم ، أنَّ المنصور أطلَقَ في يوم واحد لبعضِ أعمامِه ألفَ ألفِ درهم ، وفي هذا اليوم فرَّق في بيته عشرةَ آلاف درهم ، ولا يُعلم خليفةٌ فرَّق مثلَ هذا في يوم واحد . وقرأ بعضُ القرَّاء عند المنصور ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ﴾ [النساء : ٣٧] . فقال : والله لولا أنَّ المالَ

---

(١) في (ق) : « من أهل الحديث » ، والمثبت من (ب ، ح) .
(٢) في (ح) : « فجعل المنصور يضحك » ، والمثبت من (ب ، ق) .
(٣) يعني الطبري في تاريخه (٤/ ٥٣٢) .

حِصْنٌ للسُّلطان ، ودِعَامَةٌ للدِّين والدُّنيا وعِزِّهما ما بِتُّ ليلةً واحدةً وأنا أخزُنُ[١] منه ديناراً ولا درهماً ، لِمَا أجِدُ لِبَذْلِ المالِ من اللذَّة ، ولِمَا أعلمُ في إعطائه من جزيلِ المثوبة .

وقرأ عنده قارىءٌ آخر ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ [الإسراء : ٢٩] ، الآية فقال : ما أحسَنَ ما أدَّبنا ربُّنا عزَّ وجلّ ! .

وقال المنصور : سمعتُ عليَّ بنَ عبدِ الله يقول : سادةُ أهلِ الدنيا الأسخياء ، وسادةُ أهلِ الآخرةِ الأتقياء .

ولما عزَمَ المنصورُ على الحج هذه السنة ـ أعني سنة ثمان وخمسين ومئة ـ دعا ولدَهُ المهديَّ فأوصاهُ في خاصَّةِ نفسِه ، وبأهلِ بيتِه ، وبسائرِ المسلمين خيراً ، وعلَّمه كيف يفعلُ الأشياء ، وتُسَدُّ الثغور ، وأوصاه بوصايا يطولُ بَسْطُها . وحَرَّجَ عليه أنْ لا يفتَحَ شيئاً من خزائنِ المسلمينَ حتى يتحقَّق وفاتَه ، فإنَّ بِها من الأموالِ ما يكفي المسلمين لو لم يُجْبَ إليهم من الخراجِ درهمٌ عشرَ سنين . وعهد إليه أن يقضيَ ما عليه من الدَّين وهو ثلاثمئة ألف دينار ، فإنه لم يرَ قضاءَها من بيتِ المال . فامتثل المهديُّ ذلك كلَّه . وأحرم المنصورُ بِحَجٍّ وعُمرة من الرُّصافة ، وساقَ بَدَنَةً وقال : يا بُني إني وُلدت في ذي الحِجَّة ، وقد وقع لي أنْ أموتَ في ذي الحِجَّة ، وهذا الذي حَدَا بي[٢] على الحجِّ عامي هذا . وودَّعَهُ وسار . واعتراهُ مرضُ الموتِ في أثناءِ الطريق ، فما دخل مكة إلَّا وهو ثَقِيلٌ جداً ، فلمَّا كان بآخرِ مَنْزِلٍ نزلَهُ دون مكة إذا في صدر مَنْزله مكتوب : [بسم الله الرحمن الرحيم][٣]

أبا جعفرٍ حانَتْ وفاتُك وانقضَتْ سِنُـوكَ وأمـرُ الله لا بُـدَّ واقـعُ
أبـا جعفـر هـل كـاهـنٌ أو منجِّـمٌ بـك اليـومَ مـن كَـرْبِ المنيَّـةِ مـانـعُ

فدعا بالحَجَبَة ، فأقرأهم ذلك ، فلم يرَوْا شيئاً ، فعرف أنَّ أجلَهُ قد نُعِيَ إليه .

قالوا : ورأى المنصور في منامه ، ويُقال بل هتف به هاتف وهو يقول :

أمـا وربِّ السُّكُـونِ والحَـرَكِ إنَّ المنـايـا كثيـرةُ الشَّـرَكِ
عليـكِ يـا نفـسُ إنْ أسأتِ وإنْ أحسنـتِ يـا نفـسُ كـان ذاكَ لـكِ
مـا اختلـف الليـلُ والنهـارُ ولا دارَتْ نجـومُ السمـاءِ فـي الفَلَـكِ
إلَّا بِنَقْـلِ السُّلطـانِ عـن مَلِـكٍ إذا انقضَـى مُلْكُـهُ إلـى مَلِـكِ

---

(١) في (ق) : « أحرز » ، والمثبت من (ب ، ح) .
(٢) في (ق) : « جرأني » ، تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) .
(٣) هذه البسملة انفردت بها نسخة (ق) .

حتـى يُصيـرَانِـهِ إلـى مَلِـكٍ ... مـا عِـزُّ سلطـانِـهِ بمُشْتَـرِكِ[١]
ذاك بَـدِيـعُ السمـاءِ والأرضِ والـ ... مُـرسِـي الجبـالِ المسخِّـرُ الفَلَـكِ[٢]

فقال المنصور : هذا أوانُ حضورِ أجَلِي وانقضاءِ عُمري . وكان قد رأى قبل ذلك في قصرِهِ الخُلد الذي بناهُ وتأنَّق فيه مناماً أفزَعَه ، فقال للربيع : ويحكَ يا ربيع ! لقد رأيتُ مناماً هالَني ، رأيتُ قائلاً وقف في بابِ هذا القصرِ وهو يقول :

كـأنِّي بهـذا القصـر قـد بـادَ أهلُـهُ ... وأوحـشَ منـهُ أهلُـهُ ومنـازِلُـهْ
وصار رئيسُ القصرِ من بعدِ بَهْجةٍ ... إلـى جـدَثٍ تُبنَـى عليـه جَنَـادِلُـهْ[٣]

فما أقام في الخُلد إلا أقلَّ من سنةٍ حتى مرض في طريقِ الحجّ ؛ ودخل مكة مُدْنفاً ثَقيلاً ، وكانتْ وفاتُه ليلةَ السبت ، لست ـ وقيل لسبع ـ مضَيْنَ من ذي الحجَّة ، وكان آخرَ ما تكلَّمَ به أنْ قال : اللهمَّ بارك لي في لقائِك . وقيل : إنه قال : يا ربّ ، إنْ كنتُ عصَيْتُكَ في أمور كثيرة ، فقد أطعتُكَ في أحبِّ الأشياءِ إليك ؛ شهادة أنْ لا إلَهَ إلَّا الله مُخْلصاً . ثم مات . وكان نقشُ خاتِمِه : الله ثقة عبدِ الله ، وبه يؤمن . وكان عمرُهُ يومَ وفاته ثلاثاً وستين سنةً على المشهور ، منها ثنتانِ وعشرون سنةً خليفةً ، ودُفن بباب الْمَعْلاة رَحِمهُ الله .

قال ابنُ جَرير[٤] : ومما رُثِيَ به قولُ سَلْم الخاسِر الشاعر :

عجباً للـذي نَعَـى النـاعيـانِ ... كيـف فـاهَـتْ بِمَوْتِـهِ الشفتـانِ
مَلِكٌ إنْ عَدَا على الدهرِ يوماً ... أصبح الدهرُ ساقطاً للجِرَانِ
ليت كَفّاً حَثَتْ عليهِ تُراباً ... لـم تَعُـدْ فـي يمينِهـا بِبَنَـانِ
حين دانَتْ له البلادُ على العَسْـ ... ـفِ وأغْضَى من خَوْفِهِ الثَّقَلانِ
أين رَبُّ الزوراءِ قد قلَّدَتْهُ الـ ... ـمُلْكَ عشرين حِجَّةً واثنتانِ
إنَّمـا المـرءُ كـالـزنـادِ إذا مـا ... أخـذَتْـهُ قـوادِحُ النيـرانِ
ليس يَثْني هَواهُ زَجْرٌ ولا يَقْـ ... ـدَحُ فـي حَبْلِهِ ذوو الأذهـانِ
قَلَّـدَتْـهُ أعِنَّـةُ الملـكِ حتـى ... قـادَ أعـداءَهُ بغيـرِ عِنَـانِ
يكْسرُ الطَّرْفُ دُونهُ وترى الأيْـ ... ـدي من خَوْفِهِ على الأذقانِ

---

(١) كذا في (ق) وتاريخ الطبري والكامل في التاريخ ، ورواية (ب ، ح) : « لا ينقضي ملكُهُ إلى مَلِكِ » .
(٢) الأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ٥٤٣) ، والكامل في التاريخ (٥/ ٢١٥) .
(٣) البيتان في المنتظم (٨/ ٢٢٠) .
(٤) في تاريخه تاريخ الطبري (٤/ ٥٣٩ ، ٥٤٠) .

ضمَّ أطرافَ مُلْكِهِ ثم أضحَى خَلْفَ أقْصاهُمُ ودون الدَّاني
هاشميُّ التَّشْميرِ لا يَحْملُ الثِّقْـ ـلَ على غاربِ الشَّرُودِ الهِدَانِ
ذو أناةٍ يَنْسى لها الخائفُ الخَوْ فَ وعَـزْمٍ يَلْـوي بكُـلِّ جَنـانِ
ذهبَـتْ دونـه النفـوسُ حِـذَاراً غيرَ أنَّ الأرواحَ في الأبدانِ[1]

وقد دُفن عند باب الْمَعْلاةِ بمكة ، ولا يُعْرَفُ قَبْرُه ، لأنه أعمى قبرَه ، فإنَّ الرَّبيعَ الحاجِبَ حَفرَ مئةَ قبرٍ ودفنه في غيرِها لئلا يُعرف .

ذكرُ أولادِ المنصور

محمد الْمَهْدي ، وهو وليُّ عَهْدِه ، وجعفر الأكبر ، مات في حياته ، وأمُّهما أرْوَى بنتُ منصور ، وعيسى ، ويعقوب ، وسليمان ، وأمُّهم فاطمةُ بنتُ محمد ، من ولَدِ طَلْحَة بنِ عُبيدِ الله . وجعفر الأصغر من أمِّ ولدٍ كُرْدِيَّة . وصالحُ المسكينِ من أُمِّ ولَدٍ رُوميَّة ، ويُقال لها : قالى الفراشة . والقاسم من أمِّ ولَدٍ [أيضاً ، والعَاليةُ] من امرأةٍ من بني أُميَّة .

ذكرُ خِلافةِ المَهْديِّ بنِ المنصور

لمَّا ماتَ أبوه لِسِتٍّ أو لِسَبْعٍ مَضَيْنَ من ذي الحجَّة من سنةِ ثمانٍ وخمسين ومئة ؛ أُخذتِ البيعةُ للمَهْدي من رؤوسِ بني هاشم ، والقُوَّاد الذين هُمْ مع المنصور في الحجِّ قبلَ دَفْنِه ؛ وبعَثَ الربيعُ الحاجبَ بالبَيْعَةِ وبالبُرُدِ والقَضيبِ[2] إلى الْمَهْدي وهو ببغداد ؛ فدخل عليه البريدُ بذلك يومَ الثلاثاء النصف من ذي الحجَّة ، فسلّم عليه بالخلافة ، وأعطاه الكُتبَ بالبيعة ، وبايَعَهُ أهلُ بغداد . ونفَذَتْ بيعتُهُ إلى سائرِ الآفاق .

وذكر ابنُ جرير[3] أنَّ المنصور قبلَ موتِهِ بيوم تَحامَلَ وتَساند ، واستدعَى بالأمراء ، فجدَّدَ البيعةَ لابنِهِ المهدي ، فتسارعوا إلى ذلك ، وتبادروا إليه .

وحجَّ بالناس في هذه السنةِ إبراهيمُ بنُ يَحْيى بنِ محمد بنِ علي بن عبدِ الله بنِ عباس ؛ عن وصيَّةِ عمِّهِ

---

(١) الأبيات والخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٥٤٠) .

(٢) في (ق) : . . . بالبيعة مع البرد إلى المهدي ، والمثبت من (ب ، ح) . ورواية الطبري تاريخه (٤/ ٥٤٥ ـ ٥٤٧) مطولة ، وفيها : « وبعثا بعد بقضيب النبي ﷺ وبردته التي يتوارثها الخلفاء مع الحسن الشروري ؛ وبعث أبو العباس الطوسي بخاتم الخلافة مع منارة ، ثم خرجوا من مكة ، وسار عبد الله بن المسيب بن زهير بالحربة بين يدي صالح بن المنصور على ما كان يسير بها بين يديه في حياة المنصور » .

(٣) في تاريخه تاريخ الطبري (٤/ ٥٤٦) .

المنصور ، وهو الذي صلَّى عليه . وقيل : إنَّ الذي صلى على المنصور عيسى بن موسى وليُّ العهد من بعدِ المهدي ، والصحيح الأول ، لأنه كان نائبَ مكةَ والطائف ، وعلى إمرةِ المدينة عبدُ الصمد بن علي ، وعلى الكوفة عمر بن زهير الضبِّي أخو المسيب بن زهير أمير الشرطة للخليفة ، وعلى خراسان حُميد بن قَحْطَبة ، وعلى خَرَاجِ البصرةِ وأرضِها عمارة بن حمزة ، وعلى صلاتها وقضائها عبدُ الله بن الحسن العَنْبَري ، وعلى أحداثها سعيد بن دَعْلَج .

قال الواقدي[١] : وأصابَ الناسَ في هذه السنة وباءٌ شديد ؛ فتُوفِّي فيه خلقٌ كثير ، وجَمٌّ غَفير ، منهم :

أفلح بن حُميد .

وحَيْوَةُ بن شُريح .

ومعاوية بن صالح بمكة .

وزُفَر بن الهذيل[٢] بن قيس بن سُليم بن مكمل بن ذُهْل بن ذُؤيب بن جَذِيمة بن عمرو بن حنجور بن جُنْدب بن العَنْبَر بن عمرو بن تميم بن مر بن أُدِّ بن طابخة بن إلياس بن مُضَر بن نزار بن مَعَدِّ بن عدنان[٣] التميميُّ العَنْبَريُّ الكوفيُّ الفقيهُ الحنفي ؛ أقدَمُ أصحابِ أبي حنيفةَ وفاةً وأكثَرُهم استعمالاً للقِيَاس . وكان عابداً اشتغل أولاً بعِلْمِ الحديث ، ثم غلَبَ عليه الفقهُ والقياس ، وُلد سنةَ ستَّ عشرةَ ومئة ، وتُوفي سنةَ ثمانٍ وخمسين ومئة عن ثنتين وأربعين سنة رحمه الله وإيانا .

ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومئة

استُهِلَّتْ هذه السنةُ وخليفةُ الناس أبو عبدِ الله محمد بن المنصور المهدي ؛ فبعث في أولها العباسَ بن محمدٍ إلى بلادِ الرُّوم في جيشٍ كثِيف ، وركب معَهم مُشَيِّعاً لهم ، فساروا إليها ، فافتتحوا مدينةً عظيمةً للرُّوم ، وغَنِموا غنائمَ كثيرةً ورجَعوا سالِمينَ لم يُفقَدْ منهم أحد .

وفيها تُوفي حُميد بن قَحْطبة نائبُ خراسان ، فولَّى المهديُّ مكانَهُ أبا عَوْن عبدَ الملك بن يزيد ، وولَّى حمزةَ بن مالك سِجِسْتان ، وولَّى جبريلَ بنَ يحيى سَمَرْقَنْد .

---

(١) انظر تاريخ الطبري (٤/ ٥٤٧) .

(٢) ترجمته في تسمية فقهاء الأمصار ص(١٨٢) للنسائي ، مشاهير علماء الأمصار لابن حبان ص(١٧٠) ، طبقات المحدثين بأصبهان (١/ ٤٥٠) ، الفهرست لابن النديم ص(٢٨٥) ، طبقات الفقهاء ص(١٤١) ، وفيات الأعيان (٢/ ٣١٧) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٨) ، العبر (١/ ٢٢٩) ، الجواهر المضية في طبقات الحنفية ص(٢٤٣) ، النجوم الزاهرة (٢/ ٣٢) ، شذرات الذهب (١/ ٢٤٣) .

(٣) بدل هذا النسب في (ق) : قوله : « ثم ساق نسبه إلى معد بن عدنان » ، والمثبت من (ب ، ح) .

وفيها بنى المهديُّ مسجدَ الرُّصافة وخندقَها . وفيها جهَّز جيشاً كثيفاً إلى بلادِ الهند ، فوصلوا إليها في السنة الآتية ، وكان من أمرِهم ما سنذكرُه . وفيها تُوفي نائبُ السِّند مَعْبَد بن الخليل فولّى المهديُّ مكانَهُ رَوْحَ بن حاتم بمشورةِ وزيرِه أبي عبدِ الله . وفيها أطلق المهديُّ مَنْ كان في السُّجون إلّا مَنْ كان محبوساً على دم ، أو منْ سَعَى في الأرض فساداً ، أو منْ كان عندَهُ حَقٌّ لأحد . وكان من جُملة من أُخرج من المُطْبَق يعقوبُ بن داود مولى بني سُليم ، والحسن بن إبراهيم بن عبدِ الله بن حسن ، وأمرَ بصيرورةِ حسنٍ هذا إلى نصير الخادم لِيَحْترزَ عليه . وكان الحسنُ قد عَزَمَ على الهرَبِ من السِّجْنِ قبلَ خروجِهِ منه ، فلما خرجَ يعقوبُ بن داود ناصَحَ الخليفةَ بما كان عزَمَ عليه ؛ فنقله من السجن وأودَعَه عند نصير الخادم ليحتاطَ عليه . وحَظِيَ يعقوبُ بن داود عند المهدي جدّاً حتى صار يدخلُ عليه في الليلِ بلا استئذانٍ ؛ وجعله على أمورٍ كثيرة ، وأطلق له مئةَ ألفِ درهم ؛ وما زال عنده كذلك حتى تمكَّنَ المهديُّ من الحسن بن إبراهيم ، فسقطت منْزِلةُ يعقوب عنده . وقد عزل المهديُّ نُوّاباً كثيرةً عن البلاد ، وولّى بدلهم .

وفي هذه السنة تزوَّج المهديُّ بابنةِ عمِّه أمِّ عبدِ الله بنت صالح بن علي ، وأعتق جاريتَهُ الخَيْزُرَان ، وتزوَّجَها أيضاً ، وهي أمُّ الرَّشيد ، وفيها وقَعَ حريقٌ عظيم في السُّفُنِ التي في دِجْلَةِ بغداد . ولمّا وَلِيَ المهديُّ سأل عيسى بنَ موسى ـ وكان وليَّ العَهْدِ بعدَه ـ أنْ يَخلَعَ نفسَهُ من الأمر ؛ فامتنع على المَهْديّ ؛ وسألَ المهديَّ أنْ يُقيم بأرضِ الكوفة في ضيعةٍ له ، فأذِنَ له وكان قد استقرَّ على إمرةِ الكوفة رَوْحُ بن حاتم ، فكتب إلى المهدي : إنَّ عيسى بن موسى لا يأتي الجمعةَ ولا الجماعةَ مع الناس إلا شَهْرين من السنة ؛ وإنه إذا جاء يدخلُ بدوابّه داخلَ بابِ المسجد ، فتروثُ دوابُّه حيثُ يُصلّي الناس . فكتب إليه المهدي أنْ يعملَ خشباً على أفواهِ السِّكَكِ حتى لا يَصِلَ الناسُ إلى المسجدِ إلا مُشاةً . فعلم بذلك عيسى بن موسى ، فاشترى قبلَ الجمعة دارَ المختارِ بن أبي عُبيد من ورَثَته ، وكانت ملاصقةً للمسجد ، وكان يأتي إليها من يوم الخميس فإذا كان يومُ الجمعة ركب حماراً إلى بابِ المسجد ، فنزَل إلى هناك ، وشهد الصلاة مع الناس ، وأقام بالكلية بالكوفةِ بأهلِه ، ثم ألَحَّ عليه المهديُّ في أنْ يخلعَ نفسَهُ ، وتوعَّدَهُ إنْ لم يفعلْ ، ووعَدَه إنْ فعل . فأجابه إلى ذلك ، فأعطاه أقطاعاً عظيمةً ، وأعطاهُ من المال عشرةَ آلافِ ألف ، وقيل عشرين ألفَ ألف ، وبايع المهديُّ لولدَيْه من بعدِه موسى الهادي ، ثم هارون الرشيد كما سيأتي .

وحجَّ بالناس يزيدُ بن منصور خالُ المهدي ، وكان نائباً على اليمن ، فولاهُ الموسم ، واستقدمه عليه شوقاً إليه . وغالبُ نوّاب البلاد عزلَهم المهدي ، غيرَ أنَّ إفْريقيَةَ مع يزيدَ بنِ حاتم ، وعلى مصر محمد بن سليمان أبو ضَمْرَة ، وعلى خُراسان أبو عَوْن ، وعلى السِّنْد بِسْطامُ بن عمرو ، وعلى الأهواز وفارس عمارة بن حمزة ، وعلى اليمن رجاء بن رَوْح ، وعلى اليمامةِ بشر بن المنذر ، وعلى الجزيرة الفضلُ بن صالح ، وعلى المدينة عُبيد الله بن صفوان الجُمَحي ، وعلى مكةَ والطائف إبراهيم بن يحيى ، وعلى

أحداث الكوفة إسحاق بن الصباح الكندي ، وعلى خراجها ثابت بن موسى وعلى قضائها شريك بن عبد الله النَّخعي وعلى أحداثِ البصرة عمارة بن حمزة ، وعلى صلاتِها عبدُ الملك بن أيوب بن ظبيان النَّمَري ، وعلى قضائها عُبيد الله بن الحسن العَنْبَري .

وفيها تُوفي :

عبدُ العزيز بن أبي رَوَّاد .

وعكرمة بن عمار .

ومالك بن مِغْوَل .

ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب المدني ، نَظِير مالك بن أنس في الفقه ، وربما أنكر على مالك أشياءَ ترَكَ الأخذَ فيها ببعضِ الأحاديث كان يراها مالكٌ من إجماعِ أهلِ المدينة ، وغير ذلك من المسائل .

ثم دخلت سنة ستين ومئة

فيها خرج رجلٌ بِخُراسان على المهدي مُنكراً عليه أحوالَهُ وسيرتَه ، وما يتعاطاه ؛ يُقال له يوسف البرم ، والتفَّ عليه خلقٌ كثير ، وتفاقَمَ الأمر ، وعَظُم الخطبُ به ، فتوجَّه إليه يزيدُ بنُ مَزْيَد ، فلَقِيَهُ فاقتتلا قتالاً شديداً حتى تنازلا وتعانقا ، فأسر زيدُ بن مزيد يوسُفَ هذا ، وأسَرَ جماعةً من أصحابِه ، فبعثهم إلى المهدي ، فأُدخلوا عليه وقد حُملوا على جمالٍ مُحَوَّلة وجوهُهم إلى ناحيةِ أذنابِ الإبل ، فأمر الخليفةُ هَرْثَمَةَ أنْ يقطعَ يدي يوسُفَ ورجلَيْه ثم يضربَ عُنقَه وأعناقَ منْ معه وصَلَبَهم على جسرِ دِجْلَةَ الأكبر مما يلي عسكر المهدي ، وأطفأ الله نائرَتَهم[1] وكفَى شرَّهم .

ذكر البيعة لموسى الهادي وهارون الرشيد

ذكرنا أنَّ المهدي ألحَّ على عيسى بن موسى أنْ يخلَعَ نفسَه ، وهو مع كلٍّ ذلك يمتنعُ وهو مُقيمٌ بالكوفة ، فبعث إليه المهدي أحدَ القوَّادِ الكبار ، وهو أبو هريرة محمد بن فرُّوخ في ألفٍ من أصْحَابِهِ لإحضارِهِ إليه ، وأمَرَ كلَّ واحدٍ منهم أنْ يحملَ طبلاً ، فإذا واجهوا الكوفةَ عند إضاءةِ الفجر ضَرَبَ كلُّ واحدٍ منهم على طبلِه . ففعلوا ذلك ، فارتَجَّتِ الكوفة ، وخاف عيسى بنُ موسى فلمَّا انتهَوْا إليه دعَوْهُ إلى حضرةِ الخليفة ، فأظهرَ أنه يَشتكي ، فلم يقبلوا ذلك منه ، بل أخذوه معهم ، فدخلوا به على الخليفة في

---

(١) « النائرة » : العداوة والشحناء والفتنة ؛ ونار الحرب ونائرتها : شرُّها وهيجها . لسان العرب (نور) . وإطفاء النائرة : عبارة عن تسكين الفتنة وهي فاعلة من النار . المصباح المنير . والمغرب (٢/ ٣٣٢) (نور) .

يوم الخميس لثلاثٍ خلَوْنَ من المحرَّم من هذه السنة ، فاجتمع عليه وجوهُ بني هاشم والقضاةُ والأعيان وسألوه في ذلك وهو يَمتنع ، ثم لم يزلِ الناسُ به بالرغبةِ والرَّهْبَةِ حتى أجابَ يومَ الأربعاء[١] لأربعٍ مضَيْنَ من المحرَّم بعد العصر ، وبويع لولدَي المهدي موسى وهارون الرشيد صباحةَ يوم الخميس ، لثلاثٍ بقينَ من المحرَّم . وجلس المهديُّ في قُبَّةٍ عَظِيمة في إيوان الخِلافة ، ودخل الأمراءُ فبايعوه ، ثم نَهَضَ فصَعِدَ المنبرَ وجلَسَ ابنُه موسى الهادي تحتَه ، وقام عيسى بنُ موسى في أولِ درجة ، وخطَبَ المهديُّ فأعلَمَ الناسَ بما وقع من خَلْع عيسى بن موسى نفسَه ، وأنه قد حلَّلَ الناسَ من الأيمانِ التي له في أعناقِهم ، وجعل ذلك إلى موسى الهادي ، فصدَّقَ عيسى بنُ موسى ذلك ، وبايع المهديَّ على ذلك . ثم نَهَض الناسُ فبايعوا الخليفةَ على حسَبِ مراتبِهم وأسنانِهم . وكتَبَ على عيسى بنِ موسى مكتوباً مؤكَّداً بالأيمان البالغة ، من الطَّلاق والعَتَاق ، وأشهد عليه جماعةَ الأمراءِ والوزراء ، وأعيانَ بني هاشم وغيرَهم ، وأعطاهُ ما ذكَرْنا من الأموال وغيرِها .

وفيها دخلَ عبدُ الملك بن شِهاب المسمعي مدينةَ بازْبَد من الهند في جحفلٍ كبير ، فحاصرها ونصبوا عليها المجانيق ، ورَمَوْها بالنِّفْط ، فأحرقوا منها طائفة ، وهلك بشرٌ كثيرٌ من أهلِها ، وفتحوها عَنْوةً ، وأرادوا الانصراف فلم يُمكنهم ذلك لاعتلاءِ البحر ، فأقاموا هنالك ، فأصابَهم داءٌ في أفواهِهم يُقالُ له حُمام قُرٍّ ، فمات منهم ألفُ نفس ، منهم الربيع بن صُبيح ، فلما أمكَنَهم المسيرُ ركبوا في البحر ، فهاجت عليهم ريح ، فغرق طائفةٌ أيضاً ، ووصل بقيتُهم إلى البصرة ومعهم سَبْيٌ كثير ، فيهم بنتُ ملكِهم[٢] .

وفيها حَكَمَ المهديُّ بإلحاق ولدِ أبي بكر الثقفي إلى ولاءِ رسولِ الله ﷺ ، وقَطْعِ نسَبِهم من ثَقِيف ، وكتَبَ بذلك كتاباً إلى والي البصرة ، وقطَعَ نسبه من زياد ، ومن نسَبِ نافع ؛ ففي ذلك يقولُ بعضُ الشعراء وهو خالد النجَّار :

إنَّ زيـــاداً ونـــافعـــاً وأبَـــا بَكْرَة عِنْدي من أعْجَبِ العَجَبِ
ذا قُــرشــيٌّ كمــا يقــولُ وذَا مــولًــى وهــذا بــزَعْمِــهِ عَرَبِـي

وقد ذكر ابنُ جرير أنَّ نائبَ البصرةِ لم يُنفِذْ ذلك[٣] .

وفي هذه السنة حجَّ بالناس المهدي ، واستخلف على بغداد ابنَهُ موسى الهادي ، واستصحَبَ مَعَهُ ابنه هارونَ الرَّشيد ، وخَلْقاً من الأمراء ، منهم يعقوبُ بنُ داود على مَنْزِلَته ومكانتِه ، وكان الحسنُ بنُ إبراهيم قد هرَبَ من الخادم ، فلَحِقَ بأرضِ الحِجَاز ، فاستأمَنَ لهُ يعقوب بن داود ، فأحسن المهديُّ صِلَـتَه ،

---

(١) في (ق) : يوم الجمعة ، وهو تصحيف والمثبت من (ب ، ح) وتاريخ الطبري (٤/ ٥٥٣) .
(٢) الخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٥٥٥) .
(٣) انظر تاريخ الطبري (٤/ ٥٥٦) .

وأجزَلَ جائزتَه . وفرَّقَ الْمَهْديُّ في أهلِ مكةَ مالاً كثيراً جداً ، كان قد قَدِمَ معه بثلاثينَ ألفَ ألفِ درهم ، ومئة ألف ثوب ، وجاء من مصرَ ثلاثُمئة ألف دينار ، ومن اليمن مئتا ألف دينار ، فأعطاها كلَّها في أهلِ مكةَ والمدينة ، وشكَتِ الحَجَبةُ إلى المهدي أنهم يخافون على الكعبة أن تَنْهدمَ من كثرةِ ما عليها من الكساوَى ، فأمرَ بتجريدِها من الكسوة ، فلما انتهَوْا إلى كساوي هشام بن عبدِ الملك وَجَدَها من دِيباج ثخين ، فأمر بإزالتها ، وبقيَتْ كساوي الخلفاء قبلَهُ وبعدَه ، فلمَّا جرَّدَها طلاها بالخَلُوف ، وكساها كسوةً حسنةً جدّاً ؛ ويُقال إنه استفتى مالكاً في إعادةِ الكعبةِ إلى ما كانتْ عليه من بنايةِ ابنِ الزُّبير ، من توسيعها على الوجه الذي كان يَوَدُّهُ رسولُ الله ﷺ ، فقال مالك : دَعْها فإني أخشَى أن يتخذَها الملوكُ مَلْعَبة . فترَكَها على ما هي .

وحمل له محمد بن سليمان نائبُ البصرةِ الثلجَ إلى مكة ، وكان أولَ خليفةٍ حُمل له الثلجُ إليها . ولمَّا دخل المدينة النبوية وسَّع المسجدَ النبوي ، وكان فيه مقصورة ، فأزالَها وأرادَ أنْ يُنْقصَ من المنبر ما كان زادَهُ معاوية بن أبي سفيان ، فقال له مالك : إنه يخشى أن ينكسرَ خَشَبةُ العتيقُ إذا زُعزع ، فتركه .

وتزوَّج من المدينة رُقيَّةَ بنتَ عمرو العثمانية ، وانتخبَ من أهلِها خمسَمئةٍ من أعيانِها ليكونوا حولهُ حرساً بالعراق وأنصاراً ، وأجرى عليهم أرزاقاً غيرَ أُعطياتِهم ، وأقطعَهُمْ أقطاعاً معروفةً بهم .

وفيها توفي :

الربيع بن صبيح .

وسفيان بن حسن أحد أصحابِ الزُّهري .

وشعبةُ بنُ الحجَّاج بن الورد العَتَكي الأزدي[1] : أبو بِسْطَام الواسطي ، ثم انتقل إلى البصرة[2] ، رأى شعبةُ الحسنَ وابنَ سِيرين وروى عن أُممٍ من التابعين . وحدَّث عنه خلقٌ من مشايخه وأقرانِه وأئمةِ الإسلام . وهو شيخ المحدِّثين الملقَّب فيهم بأميرِ المؤمنين ، قاله الثوري .

وقال يحيى بن مَعين : هو إمامُ المتَّقين ، وكان في غايةِ الزُّهْدِ والوَرَعِ والتقشُّف والحفظ وحُسنِ الطريقة .

---

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٢٨٠) ، التاريخ الكبير (٤/ ٢٤٤) ، الكنى والأسماء لمسلم (١/ ١٥٤) ، معرفة الثقات للعجلي (١/ ٤٥٦) ، مشاهير علماء الأمصار ص(١٧٧) ، الثقات لابن حبان (٦/ ٤٤٦) ، مولد العلماء ووفياتهم (١/ ٢٠٥) ، الجرح والتعديل (١/ ١٢٦) ، و(٤/ ٣٦٩) ، رجال مسلم (١/ ٢٩٩) ، رجال صحيح البخاري (١/ ٣٥٤) ، تاريخ بغداد (٩/ ٢٥٥) ، تهذيب الكمال (١٢/ ٤٧٩) ، الكاشف (١/ ٤٨٥) ، تذكرة الحفاظ (١/ ١٩٣) ، المقتنى في سرد الكنى للذهبي (١/ ١٧٠) ، تهذيب التهذيب (٤/ ٢٩٧) ، تقريب التهذيب ص(٢٦٦) ، تعجيل المنفعة ص(٥٤٠) ، طبقات الحفاظ ص(٨٩) .

(٢) يعني واسطي الأصل ، بصري الدار ، كما جاء في مصادر ترجمته .

وقال الشافعي : لولاه ما عُرف الحديثُ بالعِراق .

وقال الإمامُ أحمد : كان أمةً وحدَهُ في هذا الشأن ، ولم يكن في زمانه مثله .

وقال محمد بن سعد : كان ثقةً مأموناً حُجَّةً ، صاحبَ حديث .

وقال وكيع : إني لأرجو أنْ يرفعَ الله لشعبةَ في الجنةِ درجات بِذَبِّهِ عن حديثِ رسولِ الله ﷺ .

وقال صالح بن محمد جَزَرة : كان شعبةُ أولَ من تكلَّم في الرجال ، وتَبِعَهُ يحيى القطَّان ، ثم أحمد وابنُ مَعين .

وقال ابن المهدي : ما رأيتُ أعقلَ من مالك ، وأشدَّ تقشُّفاً من شعبة ، ولا أنصحَ للأمَّةِ من ابنِ المبارك ، ولا أحفظَ للحديث من الثوري .

وقال مسلم بن إبراهيم : ما دخلتُ على شعبةَ في وقتِ صلاةٍ إلّا ورأيتُه يُصلِّي ؛ وكان أباً للفقراء ، وأُمّاً لهم .

وقال النَّضْرُ بن شُميل : ما رأيتُ أرحمَ بِمسكينٍ منه . كان إذا رأى مِسْكيناً لا يزالُ ينظرُ إليه حتى يَغيب عنه .

وقال غيره : ما رأيتُ أعبدَ منه ! لقد عَبَدَ الله حتى لَصِقَ جِلْدُهُ بعظمِه .

وقال يحيى القطان : ما رأيتُ أرقَّ للمِسكين منه ! كان يدخل المسكينُ في مَنْزِلِه فيعطيه ما أمكنه .

قال محمد بن سعد وغيرُه : مات في أول سنة ستين ومئة في البصرة عن ثمانٍ وسبعين سنة .

ثم دخلت سنة إحدى وستين ومئة

فيها غزا الصائفة ثمامة بن الوليد ، فنزل دابق ، وجاشت الروم عليه ؛ فلم يتمكَّنِ المسلمون من الدخول إليها بسببِ ذلك .

وفيها أمر المهديُّ بحَفْرِ الرَّكايا ، وعمَلِ المصانع ، وبناءِ القُصور في طريقِ مكة . ووَلَّى يقطين بن موسى على ذلك ، فلم يزلْ يعملُ في ذلك إلى سنةِ إحدى وسبعين ومئة مقدارَ عشرِ سنين ، حتى صارتْ طريقُ الحجاز من العراق من أرفَقِ الطرقات ، وآمَنِها وأطيبها .

وفيها وسَّعَ المهديُّ جامعَ البَصْرة من قِبْلَتِهِ وغرْبِه . وفيها كتب إلى الآفاق أنْ لا تبقى مقصورةٌ في مسجدِ جماعة ، وأن تُقصَّرَ المنابرُ إلى مقدارِ منبرِ رسولِ الله ﷺ . ففعَلَ ذلك في المدائنِ كلِّها . وفيها اتَّضعتْ مَنْزلةُ أبي عُبيد الله وزيرِ المهدي ، وظهرَتْ عنده خيانتُه ؛ فضمَّ إليه المهديُّ منْ يُشرفُ عليه ،

وكان ممَّنْ ضُمَّ إليه إسماعيل بن عُلَيَّة . ثم أبعدَه وأقصاهُ وأخرَجهُ من مُعَسْكَرِه . وفيها ولي القضاء عافيةُ بن يزيد الأزدي ، وكان يحكُمُ هو وابنُ عُلاثة في عسكرِ المهدي بالرُّصافة . وفيها خرجَ رجلٌ يقال له المقنَّع بخُراسان في قريةٍ من قرى مَرْو ، كان يقولُ بالتناسخ ، واتَّبعهُ على ذلك خلقٌ كثير ؛ فجهَّز إليه المهدي عدَّةً من أمرائه ، وأنفذ إليه جيوشاً كثيرة ، منهم معاذ بن مسلم أمير خراسان ، وكان من أمرِهِ وأمرِهم ما سنذكُرُه . وحجَّ بالناس فيها موسى الهادي بن المهدي .

وفيها تُوفي :

إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السَّبيعي .

وزائدة بن قُدامة .

وسفيان بن سعيد بن مَسْروق الثوري[1] : أحد أئمةِ الإسلام وعُبَّادهم ، والمقتدَى به ، أبو عبد الله الكوفي ، روى عن غيرِ واحدٍ من التابعين ، وروى عنه خلقٌ من الأئمَّة وغيرهم . قال شعبة وأبو عاصم وسفيان بن عُيينة ويحيى بن معين وغيرُ واحد : هو أميرُ المؤمنين في الحديث .

وقال ابنُ المبارك : كتبتُ عن ألفِ شيخٍ ومئة شيخ هو أفضلُهم .

وقال أيوب : ما رأيتُ كوفيّاً أفضِّلُه عليه .

وقال يونس بن عُبيد : ما رأيتُ أفضلَ منه .

وقال عبدُ الله بن داود : ما رأيتُ أفقهَ من الثَّوري .

وقال شعبة : ساد في الناس بالورَعِ والعِلْم .

وقال سفيان بن عُيينة : أصحابُ الحديث ثلاثة[2] : ابن عباس في زمانه ، والشعبي في زمانه ، والثوري في زمانه .

وقال الإمام أحمد : لا يتقدَّمه في قلبي أحد . ثم قال : تدري منِ الإمام ؟ الإمام سفيانُ الثوري .

---

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٦/ ٣٧١) ، التاريخ الكبير (٤/ ٩٢) . التاريخ الصغير (٢/ ٢٥٤) ، الكنى والأسماء لمسلم (١/ ٣٨٨) ، الجرح والتعديل (١/ ٥٥) ، و(٤/ ٢٢٢) ، رجال صحيح مسلم (١/ ٣٢٩) ، التدوين في أخبار قزوين (٣/ ٤٨) ، تاريخ بغداد (٩/ ١٥١) ، تهذيب الأسماء (١/ ٢١٥) ، تهذيب الكمال (١١/ ١٥٤) ، سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٩) ، لسان الميزان (٧/ ٢٣٣) ، تهذيب التهذيب (٤/ ٩٩) ، تقريب التهذيب ص(٢٤٤) ، طبقات الحفاظ للسيوطي ص(٩٥) .

(٢) في (ح ، ق) : « أصحاب المدينة » ، والمثبت من (ب) وتاريخ بغداد (٣/ ٢٢٧) ، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٢٤٠) .

وقال عبدُ الرزاق : سمعت الثوريَّ يقول : ما استودعتُ قلبي شيئاً قطُّ فخانني ، حتى إني لأمرُّ بالحائك يتغنَّى ، فأسدُّ أُذني مخافةَ أنْ أحفظَ ما يقول . وقال : لأن أتركَ عشرةَ آلافِ دينار يُحاسبني الله عليها أحبُّ إليَّ من أنْ أحتاجَ الناس .

قال محمد بن سعد[١] : أجمعوا أنه توفي في البصرة سنة إحدى وستين ومئة ، وكان عمره يوم مات أربعاً وستين سنة .

ورآه بعضُهم في المنام يطيرُ في الجنة من نخلةٍ إلى نخلة ، ومن شجرةٍ إلى شجرة ، وهو يقرأ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ ﴾ [الزمر : ٧٤] ، الآية .

وقال : إذا ترأس الرجلُ سريعاً أضرَّ بكثيرٍ من العِلْم[٢] .

ومِمن تُوفي فيها :

أبو دُلامَة[٣] زَنْد بن الجَوْن ، الشاعر الماجِن ، أحدُ الظُّرَفاء ، أصلُه من الكوفة ، وأقام ببغداد وحَظِيَ عند المنصور لأنه كان يُضحِكُه ، ويُنشده الأشعار ويمدَحُه ؛ حضر يوماً جنازةَ امرأةِ المنصور وكانتِ ابنةَ عمِّه ، يُقال لها حمادة بنت عيسى ، وكان المنصور قد حَزِنَ عليها ، فلما سوَّوْا عليها التراب ، وكان أبو دُلامة حاضراً . فقال له المنصور : ويحكَ يا أبا دُلامة ! ما أعددتَ لهذا اليوم ؟ فقال : ابنةَ عمِّ أميرِ المؤمنين . فضحك المنصورُ حتى استلقَى ، ثم قال : ويحك فضَحْتَنا .

ودخل يوماً على المهدي يهنِّئُهُ بقدومِهِ من سفرِه وأنشده :

إني حلَفْتُ لئنْ رأيتُكَ سالماً ... بِقُرَى العراقِ وأنتَ ذو وَفْرِ
لَتُصَلِّيَنَّ على النبيِّ محمدٍ ... ولَتملأنَّ دراهماً حِجْرِي[٤]

فقال المهدي : أمَّا الأولى فنعَمْ ، نُصلِّي على النبيِّ محمدٍ ﷺ ، وأما الثانية فلا . فقال : يا أمير المؤمنين ، هما كلمتان ، فلا تفرِّقْ بينهما . فأمر أنْ يملأَ حجرهُ دراهم ، ثم قال له : قم . فقال : إذاً ينخرق منها قميصي . فأُفرغَتْ منه في أكياسِها ، ثم قام فحملها وذهب .

---

(١) في الطبقات الكبرى (٦/ ٣٧١) .
(٢) أخرجه الدارمي في سننه (١/ ١٤٧) (٥٥٤) ؛ والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٥٥) (١٦٧٠) ولفظه : « من أسرع الرئاسة أضر بكثير من العلم ، ومن لم يسرع الرئاسة كتب ثم كتب ثم كتب » .
(٣) ترجمته في تاريخ بغداد (٨/ ٤٨٨) ، أخبار المصحفين للعسكري (١/ ٦٢) ، المنتظم (٨/ ٢٥١) ، وفيات الأعيان (٢/ ٣٢٠) ، سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٧٤) ، العبر (١/ ٢٦١) ، شذرات الذهب (١/ ٢٤٩) .
(٤) البيتان في ديوانه ص(٦٧) . والخبر في وفيات الأعيان (٢/ ٣٢٥) ، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٣٧٥) .

وذكر عنه ابنُ خَلِّكان(١) أنه مَرِض ابنٌ له ، فداواهُ طبيب ، فلمّا عُوفي قال له : ليس عندَنا ما نُعطيك ولكنْ ادَّعِ على فلان اليهودي بمبلغٍ ما تستحقُّه عندَنا من أُجرتك حتى أشهدَ أنا وولَدِي بالمبلغِ المذكور . قال : فذهب الطبيبُ إلى قاضي الكوفة محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ـ وقيل ابن شُبْرُمة ـ فادَّعى عليه عندَه ، فأنكر اليهودي ، فشهد له أبو دُلامة وابنُه ، فلم يستطعِ القاضي أن يردَّ شهادَتهما ، وخاف من طلَبِ التزكية(٢) ، فأعطى الطبيبَ المدَّعي المالَ من عندِه وأطلَقَ اليهودي ، وجمع القاضي بين المصالح .

توفي أبو دُلامة في هذه السنة ، وقيل : إنه أدركَ خلافةَ الرشيد سنةَ سبعين . فالله أعلم .

ثم دخلت سنة ثنتين وستين ومئة

فيها خرج عبدُ السلام بن هاشم اليشكري بأرضِ قِنَّسْرين ، واتَّبَعَهُ خلقٌ كثير ، وقَوِيَتْ شَوْكتهُ ، فقاتله جماعةٌ من الأمراء فلم يقدِروا عليه ، فجهَّز إليه المهديُّ جيوشاً ، وأنفق فيهم أموالاً ، فهزَمَهم مرَّات ، ثم آلَ الأمرُ به أنْ قُتل بعد ذلك .

وفيها غزا الصائفةَ الحسنُ بن قحطبة في ثمانين ألفاً من المرتزقة ، سوى المتطوِّعة ، فدمَّرَ الروم ، وحرق بلداناً كثيرة ، وخرَّب أماكن ، وأسَرَ خلقاً من الذَّراريّ . وكذلك غزا يزيدُ بن أسيد السلمي بلادَ الروم من باب قالِيقَلا(٣) فغَنِم وسَلِم ، وسَبَا خلقاً كثيراً .

وفيها خرجَتْ طائفةٌ بِجُرْجان ، فلَبسوا الحمرةَ مع رجلٍ يُقال له عبد القهار ، فغزاهُ عمر بن العلاء من طَبَرِسْتان ، فقهر عبد القهار وقتلَهُ وأصحابَه .

---

(١) في وفيات الأعيان (٢/ ٣٢٥) .

(٢) زاد ابن خلكان هنا ما نصّه : فأنشد في الدِّهْليز قبل دخوله بحيثُ يسمع القاضي :

إن الناسُ غطَّوْني تغطَّيْتُ عنهمُ ... وإنْ بَحثوا عني ففيهم مَباحثُ

وإنْ نَبَثوا بئري نبثتُ بئارَهم ... ليعلَمَ قومٌ كيف تلك النَّبائثُ

ثم حضرا بين يدي القاضي ، وأدّيا الشهادة ، فقال له : كلامُك مسموع ، وشهادتُك مقبولة . ثم غرم المبلغ من عندِه وأطلَقَ اليهودي .

(٣) « قاليقَلا » : بأرْمينيَة العظيمة من نواحي خِلاط ، ثم من نواحي منازجرد . قال النحويون : حكم قاليقلا حكم معديكَرِب ، إلّا أنَّ قاليقلا غير منوَّن على كلِّ حال ، إلا أن تجعل قالي مضافاً إلى قلا وتجعل قلا اسمَ موضعٍ مذكَّر فتنونه ، فتقول : هذا قاليقلا فاعلم . والأكثر ترك التنوين . وتعمل بقاليقلا هذه البسط المسماة بالقالي ، اختصروا في النسبة إلى بعض اسمه لثقله ؛ وإليها يُنسب الأديبُ العالم أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي . معجم البلدان (٤/ ٢٩٩ ، ٣٠٠) .

وفيها أجرى المهدي الأرزاق في سائر الأقاليم والآفاق على المجذومين والمحبوسين ؛ وهذه مثُوبةٌ عظيمة ، ومكْرُمةٌ جَسيمة .

وفيها حجَّ بالناس إبراهيم بن جعفر بن المنصور .

وفيها توفي من الأعيان :

إبراهيم بن أدهم[١] : أحدُ مشاهيرِ العُبَّاد ، وأكابر الزُّهَّاد ، كانتْ له همَّةٌ عاليةٌ في ذلك ، رحمه الله . فهو إبراهيمُ بن أدهم بن منصور بن يزيد بن عامر بن إسحاق التميمي ، ويُقال له العِجْلي ؛ أصْلُهُ من بَلْخ ، ثم سكن الشام ، ودخل دمشق ، وروى الحديثَ عن أبيه ، والأعمش ، ومحمد بن زياد صاحبِ أبي هريرة ، وأبي إسحاق السَّبيعي ، وخَلْق . وحدَّث عنه خَلْق ، منهم بقِيَّة ، والثوري ، وأبو إسحاق الفَزَاري ، ومحمد بن حِمير ؛ وحكى عنه الأوزاعي .

وروى ابن عساكر[٢] من طريق عبدِ الله بن عبد الرحمن الجزري ، عن الثوري ، عن إبراهيم بن أدهم ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة ، قال : دخلتُ على رسولِ الله ﷺ وهو يُصلِّي جالساً فقلت : يا رسولَ الله ، إنَّكَ تُصَلِّي جالساً ، فما أصابك ؟ قال : « الجوعُ يا أبا هريرة » ؟ قال : فبكَيْت ، فقال : « لا تبك ، فإنَّ شدَّةَ يوم القيامةِ لا تُصيبُ الجائعَ إذا احتَسَبَ في دارِ الدُّنيا »[٣] .

ومن طريق بقيَّة ، عن إبراهيم بن أدهم : حدّثني أبو إسحاق الهمداني ، عن عمارة بن غَزِيَّة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ الفتنة تجيءُ فتنسِفُ العبادَ نسفاً ، وينجو العالِم منها بعِلْمِه »[٤] .

---

(١) ترجمته في التاريخ الكبير (١/ ٢٧٣) ، الجرح والتعديل (٢/ ٨٧) ، طبقات الصوفية ص(٢٧) ، حلية الأولياء (٧/ ٣٦٧ ، و٨/ ٣) ، الرسالة القشيرية (١/ ٥٤) ، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (٦/ ٢٧٧) ، صفة الصفوة (٤/ ١٥٢) ، المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير (١/ ٢١٢) ، الأنساب (٢/ ٢٨٤) ، مختصر تاريخ ابن عساكر (٤/ ١٧) ، تهذيب الكمال (٢/ ٢٧) ، سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٨٧) ، مرآة الجنان (١/ ٣٤٩) ، الوافي بالوفيات (٥/ ٣١٨) ، فوات الوفيات (١/ ١٣) ، طبقات الأولياء ص(٥) ، تقريب التهذيب ص(٨٧) ، تهذيب التهذيب (١/ ١٠٢) ، طبقات الشعراني (١/ ٦٩) ، شذرات الذهب (١/ ٢٥٥) ، الأعلام (١/ ٣١) .

(٢) في تاريخ مدينة دمشق (٦/ ٢٧٨) .

(٣) وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/ ١٠٩) و(٨/ ٤٢) وقال : غريب من حديث الثوري ، لم نكتبه إلا من حديث ابن عيسى عن الجزري .

(٤) أخرجه ابن عساكر (٦/ ٢٧٩) ؛ وأخرجه أيضاً أبو نعيم في الحلية (٨/ ٤١) وقال : غريب من حديث أبي إسحاق الهمداني وإبراهيم بن أدهم ، لم نكتبه إلا من حديث عطية عن أبيه بقية . وأخرجه القضاعي في مسنده الشهاب (٢/ ١٣٩) (١٠٥٦) ؛ والقزويني في التدوين في أخبار قزوين (٢/ ١٧٢) .

قال النسائي : إبراهيم بن أدهم ثقةٌ مأمون ، أحدُ الزَّهاد .

وذكر أبو نُعيم[١] أنه كان ابنُ ملِكٍ من مُلوك خُراسان ، وكان قد حُبِّبَ إليه الصَّيد ، قال : فخرجتُ مرَّةً ، فأثَرْتُ ثعلباً أو أرنباً ، فهتَفَ بي هاتف من قَرَبُوسِ سَرْجي : ما لهذا خُلقت ، ولا بهذا أُمرت . فنزل عن فرسه ، قال : فوقفتُ وقلت : انتهيت انتهيت ، جاءني نذيرٌ من ربِّ العالمين ؛ فرجعتُ إلى أهلي ، فخلَّيتُ عن فرَسي وجئتُ إلى بعضِ رعاةِ أبي ، فأخذتُ منه جُبَّةً وكِسَاءً ، ثم ألقيتُ ثيابي إليه ، ثم أقبلتُ إلى العراق ، فعملتُ بها أياماً ، فلم يصفُ لي بها الحلال ، فسألتُ بعضَ المشايخِ عن الحلال ، فأرشدَني إلى بلادِ الشام ، فأتيتُ طَرَسُوس ، فعملتُ بها أياماً أنطرُ البساتين ، وأحصدُ الحصاد . وكان يقول : ما تهنَّيتُ بالعيش إلَّا في بلادِ الشام ، أفِرُّ بديني من شاهِقٍ إلى شاهِق ، ومن جبلٍ إلى جبل ، فمنْ يَرَاني يقول : هو مُوَسْوس .

ثم دخل البادية ، ودخل مكة ، وصَحِبَ الثوريّ ، والفُضيل بن عِيَاض ، ودخل الشام ، وماتَ بها . وكان لا يأكلُ إلَّا من عمَلِ يدَيْه ، مثل الحصاد وعمل الفاعل ، وحفظ البساتين ، وغيرِ ذلك . وما رُوي عنه أنه وجد رجلاً في البادية فعلَّمه اسم الله الأعظم ، فكان يدعو به حتى رأى الخَضِر ، فقال له : إنما علَّمكَ أخي داودُ اسمَ الله الأعظم . ذكره القُشيري وابنُ عساكر عنه بإسنادٍ لا يَصِحّ . وفيه أنه قال له : إنَّ إلياس علَّمك اسمَ الله الأعظم . وقال إبراهيم : أطِبْ مطعَمَك ولا عليك أنْ لا تقومَ الليل ، ولا تصوم النهار .

وذكر أبو نعيم عنه ، أنه كان أكثر دعائه : اللهمَّ انقلني من ذُلِّ معصيتِك إلى عِزِّ طاعتِك . وقيل له : إنَّ اللحمَ غلا . فقال : أرْخِصوه . أيْ : لا تشتروه ، فإنه يَرْخُص . وقال بعضُهم : هتف به الهاتف من فوقه : يا إبراهيم ، ما هذا العَبَث ؟ ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون : ١١٥] ، اتَّقِ الله ، وعليك بالزَّادِ ليومِ القيامة . فنزَل عن دابَّته ، ورَفَض الدنيا ، وأخَذَ في عملِ الآخرة .

وروى ابن عساكر[٢] بإسنادٍ فيه نظر من ابتداءِ أمرِه قال : بينما أنا يوماً في مَنْظَرَةٍ ببَلْخ[٣] ، وإذا شيخٌ حسَنُ الهيئة ، حسَنُ اللِّحْية ، قد استظلَّ بظِلِّها ، فأخذَ بِمَجَامعِ قلبي ، فأمرتُ غلاماً فدعاه فدخل ، فعرضتُ عليه الطعام ، فأبَى ، فقلت : من أين أقبلت ؟ قال : من وراء النهر . قلت : أين تُريد ؟ قال : الحج . قلت : في هذا الوقت ؟ وقد كان أولَ يومٍ من ذي الحِجَّة أو ثانيه . فقال : يفعلُ الله ما يشاء .

---

(١) في حلية الأولياء (٧/ ٣٦٨) . وفي (ب ، ح) : « وذكر الأستاذ أبو القاسم القشيري في رسالته أن إبراهيم بن أدهم كان من أبناء . . . » .

(٢) في تاريخ مدينة دمشق (٦/ ٢٨٥) .

(٣) المنظرة : الْمَرْقَبَة . لسان العرب (نظر) .

فقلت : الصحبة . قال : إنْ أحببتَ ذلك فموعِدُك الليل . فلما كان الليل جاءني فقال : قُمْ بسمِ الله . فأخذتُ ثيابَ سَفَري ، وسرنا نمشي كأنما الأرض تجذب من تحتنا ونحن نمر على البلدان ونقول : هذه فلانة ، هذه فلانة ، فإذا كان الصباحُ فارَقَني ويقول : مَوْعِدُك الليل . فإذا كان الليل جاءني ففعَلنا مثلَ ذلك . فانتهينا إلى مدينةِ النبيِّ ﷺ ، ثم سِرْنا إلى مكة ، فجئناها ليلاً ، فقضَيْنا الحجَّ مع الناس ثم رجعنا إلى الشام ، فزُرْنا بيتَ المقدِس ، وقال : إني عازمٌ على المُقام بالشام . ثم رجعتُ أنا إلى بلدي بَلْخ كسائرِ الضعفاء ، حتى رجَعْنا إليها ولم أسألْهُ عن اسمِه ، فكان ذلك أولَ أمري .

ورُوي من وجهٍ آخر فيه نظر[١] .

[وقال أبو حاتم الرازي : عن أبي نُعيم ، عن سفيان الثوري ، قال كان إبراهيمُ بن أدهم يُشبه إبراهيمَ الخليل ، ولو كان في الصحابة كان رجلاً فاضلاً له سرائر ، وما رأيته يُظهرُ تسبيحاً ولا شيئاً ، ولا أكلَ مع أحدٍ طعاماً إلَّا كان آخرَ منْ يرفعُ يدَيْه][٢] .

وقال عبدُ الله بن المبارك[٣] : كان إبراهيمُ رجلاً فاضلاً له سرائرُ ومعاملات بينه وبين الله عزَّ وجلَّ ؛ وما رأيتُه يُظهرُ تسبيحاً ولا شيئاً من عمَلِه ولا أكَلَ مع أحدٍ طعاماً إلا كان آخرَ منْ يرفَعُ يدَه .

وقال بشر بن الحارث الحافي : أربعة رفَعَهمُ الله بطيبِ المطعم : إبراهيم بن أدهم ، وسليمان الخَوَّاص ، ووُهَيب بن الورد ، ويوسف بن أسباط[٤] .

---

(١) انظر تاريخ ابن عساكر (٦/ ٢٨٦ ـ ٢٨٨) .

(٢) ما بين معقوفين ليس في (ب ، ح) وهو زيادة من النسخة المصرية في (ق) ، يدل على ذلك ما سيأتي في الخبر التالي .

(٣) كذا في الأصول ، وفي تهذيب الكمال (٢/ ٣٢) وسير أعلام النبلاء (٧/ ٣٩٠) أنَّ القائل هو سفيان الثوري ، كما جاء في الخبر السابق . وقد أتى ابن عساكر على كلا الروايتين في تاريخه (٦/ ٢٨٩) أولهما : « محمد بن إدريس الحنظلي قال : سمعت أبا نعيم يقول : سمعت سفيان الثوري يقول : إبراهيم بن أدهم كان يشبه إبراهيم خليل الرحمن ، ولو كان في أصحاب النبي لكان رجلاً فاضلاً » . وثانيهما : « سليمان بن أيوب قال سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول : قلتُ لابن المبارك : إبراهيم بن أدهم ممَّن سمع ؟ فقال : قد سمع من الناس ، ولكن له فضل في نفسه ، صاحب سرائر وما رأيته يظهر تسبيحاً ولا شيئاً من الخير ، ولا أكل مع قوم طعاماً قط إلا كان آخر من يرفع يديه من الطعام » .

(٤) أخرج البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٥٧ ، ٥٨) برقم (٥٧٦٤) بإسناده : عن بشر بن الحارث قال : سمعت المعافى بن عمران يقول : كان عشرة فيمن مضى من أهل العلم ينظرون في الحلال النظر الشديد ، لا يُدخلون بطونَهم إلا ما يعرفون من الحلال ، وإلا استفوا التراب . ثم عدَّ بشر : إبراهيم بن أدهم ، وسليمان الخواص ، وعلي بن فضيل بن عياض ، وأبا معاوية الأسود ، ويوسف بن أسباط ، ووُهَيب بن الورد ، وحذيفة شيخ من أهل حرَّان ، وداود الطائي .

وروى ابنُ عساكر من طريق معاوية بن حفص ، قال : إنما سمع إبراهيم بن أدهم حديثاً واحداً فأخذ بهِ ، فسادَ أهلِ زمانِه . قال : حدّثنا منصور عن رِبْعيّ بن حِرَاش قال : جاء رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، دُلَّني على عملٍ يُحبَّني الله عليه ، ويُحِبَّني الناسُ . قال : « إذا أردتَ أنْ يُحبَّكَ الله فأبغِضِ الدُّنيا ؛ وإذا أردتَ أنْ يُحبَّكَ الناس ، فما عندَكَ من فُضولِها فانبِذْهُ إليهم »[1] .

وقال ابنُ أبي الدنيا : حدّثنا أبو ربيع عن إدريس قال : جلس إبراهيمُ إلى بعضِ العلماء ، فجعلوا يتذاكرون الحديث وإبراهيمُ ساكت ، ثم قال : حدّثنا منصور ، ثم سكتَ فلم ينطِقْ بحرفٍ حتى قامَ من ذلك المجلس ، فعاتبه بعضُ أصحابِه في ذلك ، فقال : إني لأخشَى مضرَّةَ ذلك المجلس في قلبي إلى هذا اليوم .

وقال رِشْدينُ بن سعد : مرَّ إبراهيمُ بن أدهم بالأوزاعيِّ وحَوْلَه حَلْقَة ، فقال : لو أنَّ هذه الحَلْقَة على أبي هريرة لَعَجز عنهم . فقام الأوزاعيُّ وترَكَهم .

وقال إبراهيم بن بشار : قيل لابن أدهم : لمَ تركتَ الحديث ؟ فقال : إني مشغولٌ عنه بثلاث : بالشكرِ على النِّعم ، والاستغفارِ من الذنوب ، وبالاستعدادِ للموت . ثم صاح وغُشِيَ عليه ، فسمعوا هاتفاً يقول : لا تدخلوا بيني وبين أوليائي .

وقال أبو حنيفةَ يوماً لإبراهيمَ بنِ أدهم : قد رُزقت من العبادةِ شيئاً صالحاً ، فليكنِ العلمُ من بالِك ، فإنَّهُ رأسُ العبادةِ وقِوَامُ الدِّين . فقال له إبراهيم : وأنت فليكنِ العبادةُ والعملُ بالعِلْم من بالِك ، وإلَّا هلَكْت .

وقال إبراهيم : ماذا أنعم الله على الفقراء ؛ لا يسألُهم يومَ القيامةِ عن زكاةٍ ، ولا عن حجٍّ ، ولا عن جهادٍ ، ولا عن صِلَةِ رَحِم ؛ إنما يسألُ ويحاسبُ هؤلاء المساكينَ الأغنياء .

وقال شقيق بن إبراهيم[2] : لَقِيتُ ابن أدهم بالشام وقد كنتُ رأيتُه بالعراق ، وبين يديه ثلاثون شاكِرِيّاً[3] ، فقلت له : تركتَ مُلكَ خُراسان ، وخرجتَ من نعمتِك ! فقال : اسكتْ ما تَهَنَّيْتُ بالعَيش إلا هاهنا ، أفِرُّ بديني من شاهِقٍ إلى شاهِقٍ ، فمن يراني يقول هو مُوَسْوَس ، أو حمَّال أو ملاَّح ؛ ثم قال :

---

(١) وأخرجه بهذا اللفظ أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد (٧/ ٢٧٠) ؛ وبنحوه أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٤٢ ، و٥٣) ؛ وابن رجب في جامع العلوم والحكم ص(٢٨٨) . وإسناده ضعيف فهو مرسل ، ربعي بن حراش تابعي لم يدرك النبي ﷺ .

(٢) في (ب ، ق) : « شقيق بن إبراهيم » ، والمثبت من (ح) وترجمته ومصادرها في المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير (٣/ ١٠٨) .

(٣) « الشاكِرِيّ » : الأجير والمستخدم ؛ معرَّب جاكر . القاموس (شكر) .

بلَغَني أنه يُؤتى بالفقير يومَ القيامة ، فيوقَفُ بين يديِ الله فيقول له : يا عبدي ، ما لَكَ لم تَحُجَّ ؟ فيقول : يا رب لم تعطني شيئاً أحجُّ به . فيقول الله : صَدَقَ عبدي ، اذهبوا به إلى الجنَّة(١) .

وعن إبراهيم بن أدهم قال : أقمتُ بالشام أربعاً وعشرين سنة ، ولم أُقِمْ بها لجهادٍ ولا رِبَاط ، إنما نزَلْتُها لأشبع من خبزٍ حلال .

وقال : الحُزْنُ حُزنان : حُزْنٌ لكَ وحُزْنٌ عليك ؛ فحزُنكَ على الآخرة لك ، وحزنُك على الدنيا وزينتها عليك .

وقال : الزُّهْد ثلاثة : واجبٌ ، ومُسْتَحبٌ ، وزُهْدُ سلامة ؛ فأمَّا الواجب فالزُّهْد في الحرامِ ، والزُّهْد عن الشهواتِ الحلال مستحَبٌ ، والزُّهْد عن الشُّبُهات سلامة .

وكان هو وأصحابُه يَمنعونَ أنفسَهم الحَمَّام ، والماءَ البارد ، والحِذاء ؛ ولا يجعلون في مِلْحِهم أبْزاراً . وكان إذا جلس على سُفْرَةٍ فيها طعامٌ طَيِّب ، رَمَى بطيِّبها إلى أصحابِه ، وأكل هو الخُبْزَ والزَّيتون .

وقال : قِلَّةُ الحِرْصِ والطمعِ ، تُورثُ الصِّدْقَ والوَرَع ؛ وكثرةُ الحِرْصِ والطَّمَع تُورثُ الغَمَّ والجَزَع .

وقال له رجل : هذه جُبَّةٌ أحبُّ أنْ تقبلَها مني . فقال : إنْ كنتَ غَنيّاً قَبِلتُها ، وإنْ كنتَ فقيراً لم أقبَلْها . قال : أنا غنيّ . قال : كم عندَك ؟ قال : ألفان . قال : تودُّ أنْ تكونَ أربعةَ آلاف ؟ قال : نعم . قال فأنتَ فقير ، لا أقبلُها منك .

وقيل له : لو تزوَّجْتَ . فقال : لو أمكنَني أنْ أُطَلِّقَ نفسي لطلَّقْتُها .

ومكث بمكةَ خمسةَ عشرَ يوماً لا شيءَ له ، ولم يكنْ له زادٌ سوى الرَّمْل بالماء ، وصلى بوضوءِ واحدِ خمسَ عشرةَ صلاةً .

وأكَلَ يوماً على حافَةِ الشَّريعةِ كُسَيْراتٍ مبلولةً بالماء وضَعَها بين يديه أبو يوسف الغَسُولي ، فأكل منها ثم قامَ فشرب من الشريعة ، ثم جاء واستَلْقَى على قفاهُ وقال : يا أبا يوسف ، لو علم الملوكُ وأبناءُ الملوك ما نحن فيه من النَّعيم لجالَدُونا بالسيوف أيامَ الحياةِ على ما نحن فيه من لذيذِ العيش . فقال أبو يوسف : طلَبَ القومُ الراحةَ والنَّعِيم فأخطؤوا الطريقَ المستقيم . فتبسَّمَ إبراهيمُ وقال : من أين لك هذا الكلام ؟ .

وبينما هو بالْمَصِّيصةِ في جماعة من أصحابِه إذ جاءَهُ راكبٌ فقال : أيُّكُمْ إبراهيمُ بن أدهم ؟ فأُرشِدَ إليه فقال : يا سيدي ، أنا غلامُك ، وإنَّ أباك قد ماتَ وترَكَ مالاً هو عند القاضي ، وقد جئتُكَ بِعشرةِ آلافِ درهمٍ لِتُنفقَها عليك إلى بَلْخ ، وفرَسٍ وبَغْلة . فسكَتَ إبراهيمُ طويلاً ، ثم رفع رأسه فقال : إنْ كنتَ صادقاً فالدَّراهمُ والفرسُ والبغلةُ لك ، ولا تُخْبِرْ به أحداً . ويُقال : إنه ذهب بعد ذلك إلى بَلْخ ، وأخذ المالَ من

---

(١) انظر حلية الأولياء (٧/ ٣٦٩) ، وإحياء علوم الدين (٢/ ٢٢٧) .

الحاكم وجعَلَهُ كلَّهُ في سبيل الله . وكان معَهُ بعضُ أصحابِه ، فمكثوا شهرَيْن لم يَحصُلْ لهم شيءٌ يأكلونه ، فقال له إبراهيم : ادخُلْ إلى هذه الغَيْضة ـ وكان ذلك في يوم شاتٍ ـ قال : فدخلتُ ، فوجدتُ شجرةً عليها خَوْخٌ كثير ، فملأتُ منه جِرَابي ، ثم خرجْتُ . فقال : ما معَك ؟ قلت : خَوْخ . فقال : يا ضعيفَ اليقين ، لو صبَرْتَ لوجدتَ رُطَباً جَنياً كما رُزِقَتْ مَرْيَمُ بنتُ عِمران .

وشكا إليه بعضُ أصحابِهِ الجُوع ، فصلَّى رَكعتَيْن ، فإذا حولَهُ دنانيرُ كثيرة ، فقال لصاحبه : خُذْ منها ديناراً . فأخذَهُ واشترى لهم به طعاماً .

وذكروا أنه كان يعملُ بالفاعل ، ثم يذهب فيشتري البيضَ والزُّبْدَة ، وتارةً الشِّوَاءَ والجُوذابات[١] ، والخَبِيص[٢] ، فيُطْعِمه أصحابَهُ وهو صائم ، فإذا أفطَرَ يأكلُ من رَديءِ الطعام ويَحْرِم نفسَهُ المطعمَ الطِّيب لِيَبَرَّ بِهِ الناسَ تأليفاً لهم وتَحَبُّباً وتوَدُّداً إليهم .

وأضاف الأوزاعيُّ إبراهيمَ بنَ أدْهَمَ ، فقَصَّرَ إبراهيمُ في الأكل ، فقال : مالكَ قصَّرْت ؟ فقال : لأنك قَصَّرْتَ في الطعام ؛ ثم عَمِلَ إبراهيمُ طعاماً كثيراً ودَعَا الأوزاعيَّ ، فقال الأوزاعي : أما تخافُ أنْ يكونَ سرَفاً ؟ فقال : لا ، إنَّما السَّرَفُ ما كان في معصيةِ الله ، فأمَّا ما أنفقَهُ الرجلُ على إخوانهِ فهو من الدِّين .

وذكروا أنه حصَدَ مرَّةً بعشرينَ ديناراً ، فجلَسَ مرَّةً عند حَجَّام هو وصاحبٌ له لِيَحْلِقَ رؤوسهم ويَحْجِمَهُمْ ، فكأنَّه تَبَرَّمَ بهم واشتغَلَ عنهم بغيرِهم ، فتأذَّى صاحبُه من ذلك ، ثم أقبل عليهمُ الحجَّام فقال : ماذا تريدون ؟ قال إبراهيم : أريدُ أن تَحْلِقَ رأسي وتَحْجِمني . ففعل ذلك ، فأعطاه إبراهيمُ العِشْرين ديناراً ، وقال : أردتُ أنْ لا تَحْقِرَ بعدَها فقيراً أبداً .

وقال مضاء بن عيسى : ما فاق إبراهيمُ أصحابهُ بصَوْمٍ ولا صلاة ، ولكنْ بالصدقةِ والسَّخَاء .

وكان إبراهيمُ يقول : فِرُّوا من الناس كفِرَارِكُم من الأسَدِ الضاري ، ولا تَخَلَّفوا عن الجُمعةِ والجماعة .

وكان إذا سافر مع أحدٍ من أصحابه يُحدِّثُهُ إبراهيم ، وكان إذا حَضَرَ في مجلس فكأنما على رؤوسِهم الطَّير هَيْبَةً وإجلالاً .

ورُبَّما تسامرَ هو وسفيانُ الثَّوري في الليلةِ الشاتِيَةِ إلى الصباح ، وكان الثوريُّ يتحرَّزُ معهُ في الكلام .

ورأى رجلاً قيل له : هذا قاتِلُ خالِك . فذَهَبَ إليه فسلَّمَ عليه ، وأهدَى له وقال : بلَغَني أنَّ الرجلَ لا يَبْلُغُ درجةَ اليقين حتى يأمَنَهُ عدوُّه .

---

(١) في (ق) : « والجوذبان » ، وفي (ح) : « والجذابات » ، والمثبت من (ب) والجُوذابات : جمع ، مفرده جُوذاب : وهو طعامٌ يُصنعُ بسُكَّرٍ وأرُزٍّ ولَحْم . لسان العرب .

(٢) « الخَبِيص » : الطعام المعمول من التمر والسمن . القاموس (خبص) .

وقال له رجل : طوبَى لك ! أفنيتَ عُمرَك في العبادة ، وتركتَ الدنيا والزوجات ! فقال : أَلَكَ عِيَال ؟ قال : نعم . فقال : لَرَوْعةُ الرجلِ بِعِيَالِه ـ يعني في بعض الأحيان ـ من الفاقَةِ أفضلُ من عبادةِ كذا وكذا سنة .

ورآهُ الأوزاعيُّ ببيروت وعلى عُنقه حُزْمةُ حطَب ، فقال : يا أبا إسحاق ، إنَّ إخوانَكَ يَكْفُونَك هذا . فقال له : اسكُتْ يا أبا عمرو ، فقد بلَغني أنه إذا وُقف الرجلُ موقفَ مَذَلَّةٍ في طَلَبِ الحلال وجَبَتْ له الجنَّة .

وخرج ابنُ أدهمَ من بيتِ المقدس ، فمرَّ بطريق ، فأخذَتْهُ المَسْلَحةُ في الطريق ، فقالوا : أنتَ عبد ؟ قال : نعم . قالوا : آبق ؟ قال : نعم . فسَجَنوه ، فبلَغَ أهلَ بيتِ المقدس خبرُه ، فجاؤوا بِرُمَّتِهِمْ إلى نائبِ طَبَريَّة فقالوا : علامَ سجنتَ إبراهيم بن أدهم ؟ قال : ما سَجَنْـتُهُ . قالوا : بلَى ، هو في سِجْنِك . فاستحضره ، فقال : عَلامَ سُجنتَ ؟ فقال : سَلِ الْمَسْلَحَة . قالوا : أنتَ عَبْد ؟ قلت : نعم وأنا عبدُ الله . قالوا : آبق ؟ قلتُ : نعم ، وأنا عبدٌ آبقٌ من ذنوبي . فخَلَّى سَبِيلَه .

وذكروا أنَّهُ مَرَّ مع رُفْقَةٍ ، فإذا الأَسَدُ على الطريق ، فتقدَّمَ إليه إبراهيمُ بن أدهم ، فقال له : يا قَسْوَرَة ، إنْ كنتَ أُمِرْتَ فينا بشيءٍ فامضِ لِمَا أُمِرْتَ به ، وإلَّا فَعَوْدُكَ على بَدْئك . قالوا : فولَّى السَّبُعُ ذاهباً يَضْربُ بذَنَبه ؛ ثم أقبلَ علينا إبراهيمُ فقال : قولوا اللهمَّ راعِنا بِعَيْنِكَ التي لا تَنَام ، واكْنُفْنا بكَنَفِكَ الذي لا يُرام ، وارْحَمْنَا بقُدْرَتِكَ علينا ، ولا نَهْلِكُ وأنتَ رجاؤنا ، يا الله ، يا الله ، يا الله . قال خلفُ بنُ تَميم : فما زلتُ أقولُها منذُ سمعتُها ، فما عَرَضَ لي لِصٌّ ولا غيرُه .

وقد رُوي لهذا شواهدُ من وجوهٍ أُخَر . ورُوي أنه كان يصلِّي ذاتَ ليلة ، فجاءه أُسْدٌ ثلاثة ، فتقدَّم إليه أحدُهم ، فشَمَّ ثيابَهُ ثم ذهبَ فرَبَضَ قريباً منه ، وجاء الثاني ففعَلَ مثلَ ذلك ، وجاء الثالثُ ففعل مثلَ ذلك ، واستمرَّ إبراهيمُ في صلاتِه ، فلمَّا كان وقتُ السَّحَر قال لهم : إنْ كنتُم أُمِرْتُمْ بشيءٍ فهَلُمُّوا ، وإلَّا فانصرِفوا . فانصرَفوا .

وصَعِدَ مرَّةً جبلاً بمكَّة ومعه جماعة ، فقال لهم لو أنَّ وليّاً من أولياءِ الله قالَ لِجَبَلٍ : زُلْ لَزالَ . فتحرَّكَ الجبلُ تحتَهُ ، فوَكَزهُ بِرجْلِه وقال : اسْكُنْ ، فإنَّما ضرَبْتُكَ مثلاً لأصحابي . وكان الجبلُ أبا قُبَيس .

وركب مرَّةً سفينةً ، فأخذهُمُ الموجُ من كلِّ مكان ، فلَفَّ إبراهيمُ رأسَهُ بكِسَائِهِ واضْطَجَع ، وعَجَّ أصحابُ السفينةِ بالضَّجيجِ والدُّعاء ، وأيقظوه وقالوا : ألا تَرَى ما نحنُ فيه من الشِّدَّة ؟! فقال : ليس هذه شِدَّة ، وإنما الشِّدَّةُ الحاجةُ إلى الناس . ثم قال : اللهمَّ أَرَيْتَنَا قُدْرَتَك ، فأرِنَا عَفْوك . فصار البحرُ كأنه قدَحُ زَيْت . وكان قد طالبه صاحبُ السفينةِ بأُجْرَةِ حَمْلِهِ دينارَيْن ، وألَحَّ عليه ، فقال له : اذهَبْ معي حتى أعطيكَ دينارَيْك . فأتى إلى جزيرةٍ في البحر ، فتوضَّأ إبراهيمُ وصلَّى ركعتَيْن ، ودَعَا ، وإذا ما حَوْلَهُ قد مُلِىءَ دنانير ، فقال له : خُذْ حقَّك ولا تَزِدْ ، ولا تذكُرْ هذا لأحد .

وقال حُذيفةُ المَرْعشيّ : أوَيْتُ أنا وإبراهيمُ إلى مسجدِ خرابٍ بالكوفة ، وكان قد مَضَى علينا أياماً لم نأكُلْ فيها شيئاً ، فقال لي : كأنَّك جائع . قلت : نعم . فأخذ رُقْعةً فكتب فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، أنت المقصودُ إليه بكلِّ حال ، المشار إليه بكلِّ مَعْنى :

أنا حامدٌ أنا ذاكرٌ أنا شاكرٌ ... أنا جائعٌ أنا حاسرٌ أنا عاري

هي ستَّةٌ وأنا الضَّمينُ بنصفِها ... فكُنِ الضَّمينَ لنصفِها يا باري

مَدْحي لغيرِك وَهْجُ نارٍ خُضتُها ... فأجِرْ عُبَيدَكَ من دخولِ النارِ

ثم قال : اخرُجْ بهذهِ الرُّقْعَة ولا تُعلِّقْ قلبَكَ بغيرِ الله سبحانه وتعالى ، وادْفَعْ هذه الرقعةَ لأوَّلِ رجلٍ تلقاه .

فخرجتُ فإذا رجلٌ على بغلة ، فدفعتُها إليه ، فلما قرأها بكى ، ودفع إليَّ ست مئة دينارٍ وانصرَفَ ؛ فسألتُ رجلاً : منْ هذا الذي على البغلة ؟ فقالوا : هو رجلٌ نصرانيّ . فجئتُ إبراهيمَ ، فأخبرتُهُ فقال : الآن يجيء فيُسْلِم . فما كان غيرَ قريب حتى جاء ، فأكبَّ على رأسِ إبراهيمَ وأسلم[1] .

وكان إبراهيمُ يقول : دارُنا أمامَنا ، وحياتُنا بعدَ وفاتِنا ، فإمَّا إلى الجنة وإما إلى النار ، مَثِّلْ لبَصَرِكَ حضورَ ملَكِ الموتِ وأعوانِهِ لقبضِ رُوحِك ، وانظرْ كيف تكونُ حينئذٍ ، ومَثِّلْ له هَوْلَ المَضْجَع ، ومساءلةَ مُنْكرٍ ونكير ، وانظرْ كيف تكون ؟ ومَثِّلْ له القيامةَ وأهوالَها وأفزاعَها ، والعَرْضَ والحساب ، وانظرْ كيف تكون ؟ ثم صرَخَ صرخةً خرَّ مَغْشياً عليه .

ونظر إلى رجلٍ من أصحابه يَضْحَك ، فقال له : لا تطمَعْ فيما لا يكونُ ولا تَنْسَى ما يكون ، فقيل له : كيف هذا يا أبا إسحاق ؟ فقال : لا تطمَعْ في البقاءِ والموتُ يَطْلُبُك ، فكيف يَضْحكُ منْ يموتُ ولا يَدْري أين يُذهَبُ به ، إلى جنَّةٍ أمْ إلى نار ؟ ولا تنسَ ما يكون ، الموتُ يأتيك صباحاً أو مساءً . ثم قال أوَّهْ ، أوَّه ! . ثم خرَّ مَغْشياً عليه .

وكان يقول : ما لنا نَشْكُو فقرنا إلى مِثْلِنا ، ولا نسألُ كَشْفَهُ من ربِّنا ؟! ثم يقول : ثَكِلَتْ عبداً أُمُّهُ أحبَّ الدنيا ونَسِيَ ما في خزائنِ مولاه .

وقال : إذا كنتَ بالليل نائماً ، وبالنهارِ هائماً ، وفي المعاصي دائماً ، فكيف تُرْضي منْ هوَ بأمورك قائماً ؟ .

ورآه بعضُ أصحابِهِ ، وهو بمسجدِ بَيْرُوت ، وهو يَبْكي ويَضْربُ بيدَيْه على رأسه ؛ فقال : ما يُبْكيك ؟ فقال : ذكرتُ يوماً تتقَلَّبُ فيه القلوبُ والأبصار .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٨) ، وابن عساكر (انظر المختصر ٤/ ٣٠) ، وابن الأثير في المختار من مناقب الأخيار (١/ ٢٣٦) .

وقال : إنَّك كلَّما أمعنتَ النظرَ في مرآةِ التَّوبة بانَ لك قُبحُ شَيْنِ المعْصِيَة .

وكتب إلى الثَّوْريّ : منْ عرَف ما يطلُب هانَ عليه ما يَبْذُل ؛ ومنْ أطلَقَ بصرَهُ طالَ أسَفُه ، ومن أطلَقَ أمَلَه ساء عمَلُه ، ومن أطلق لسانَه قتَلَ نفسَه .

وسأله بعضُ الولاة[١] : من أين مَعِيشتُك ؟ فأنشأ يقول :

نُـرَقِّـعُ دنيـانـا بتَمْـزيـقِ ديننـا فـلا دِينُنـا يَبْقَـى ولا مَـا نُـرَقِّـعُ

وكان كثيراً ما يتمَثَّلُ بهذه الأبيات :

لِمَا تُوعِدُ الدُّنيا به من شُرورِها يكـونُ بكـاءُ الطفـلِ سـاعـةَ يـوضَـعُ
وإلَّا فمـا يبكيـهِ منهـا وإنَّهـا لأرْوَحُ ممَّـا كـان فيـه وأوْسَـعُ
إذا أبصـرَ الـدُّنيـا استهـلَّ كـأنمـا يرى ما سَيَلْقى من أذاها ويَسْمعُ[٢]

وكان يتمثَّل أيضاً :

رأيـتُ الـذنـوبَ تُميتُ القلـوبَ ويُـورِثُهـا الـذُّلَّ إدْمَـانُهـا
وتـركُ الـذنـوبِ حيـاةُ القلـوبِ وخيـرٌ لنفسِـكَ عِصْيَـانُهـا
ومـا أفسـدَ الـديـنَ إلا الملـوكُ وأحْبَـارُ سَـوْءٍ ورُهْبـانُهـا
وبـاعـوا النفـوسَ فلـم يَـرْبَحـوا ولـم تَغْـلُ بـالبيـعِ أثْمَـانُهـا
لقـد رَتَـعَ القـومُ فـي جيفـةٍ يبيـنُ لِـذِي اللُّـبِّ إنتـانُهـا[٣]

وقال : إنما الورعُ بتَسْويةِ كُلِّ الخلقِ في قلبِك ، والاشتغال عن عُيوبِهم بذنبِك ، وعليك باللَّفْظِ الجميل من قلبٍ ذَليل ، لِرَبٍّ جَليل ؛ فكِّرْ في ذنبِك وتُبْ إلى ربِّك ، يَنْبُتِ الورَعُ في قلبِك ؛ واقْطَعِ الطمعَ إلَّا من ربِّك .

وقال : ليس من أعلامِ الحُبِّ أنْ تُحبَّ ما يُبْغِضُهُ حَبيبُك ؛ ذمَّ مولانا الدُّنيا فمَدَحْناها ، وأبغَضَها

---

(١) هو أبو جعفر المنصور كما في حلية الأولياء (٨/ ١٠) . وينسب البيت لعبد الله بن المبارك ، وهو في ديوانه ص(٨٦) وبعده :

ففـي كـلِّ يـوم يَبْتَـديـك بنعمـةٍ منـه وأنـت لشُكْـرِ ذاك مُضَيِّـعُ

(٢) الأبيات لابن الرومي وهي في ديوانه بألفاظ مقاربة ص(٣٩٢) ، وله أيضاً بقافية الدال ص(٣٧٣) :

لمَا تُؤذن الدنيا به من صروفها يكـون بكـاءُ الطفـل سـاعـةَ يُـولـدُ
وإلا فمـا يبكيـه منهـا وإنهـا لأفْسَـحُ ممَّـا كـان فيـه وأرْغَـدُ
إذا أبصـرَ الـدنيـا استَهَـلَّ كـأنـه بمـا سوف يلقـى من أذاهـا يُهـدَّدُ

(٣) الأبيات لعبد الله بن المبارك وهي في ديوانه ص(٦٦) .

فأحبَبْناها ، وزَهَّدَنا فيها فآثَرْنا ورَغِبْنا في طَلَبِها ؛ ووعَدَكم خرابَ الدُّنيا فحصَّنْتُموها ، ونَهاكم عن طَلَبِها فطلبتُموها ، وأنذرَكُمُ الكُنُوز فكنَزْتُموها ، دَعَتْكُمْ إلى هذه الغَرَّارةِ دواعيها فأجبتُمْ مُسْرِعينَ مُناديها ، خَدَعتْكُمْ بغُرورها ومَنَّتْكُمْ فانقَدْتُمْ خاضعين لأمانيها ؛ تتمرَّغُونَ في زَهَراتِها وزَخارِفها وتتنَعَّمون في لذَّاتها ، وتتقلبُون في شهَواتها ، وتتلوَّثونَ بتبِعَاتِها ، تَنْبشُونَ بمَخالِبِ الحِرْصِ عن خزائِنِها ، وتحفِرونَ بمعَاوِلِ الطمَعِ في معادنِها .

وشكى إليه رجلٌ كثرةَ عِيَالِهِ فقال : ابعَثْ إليَّ منهم منْ لا رِزْقُهُ على الله . فسكتَ الرجل . وقال : ومررتُ في بعضِ جبال ، فإذا حجرٌ مكتوب عليهِ بالعربية :

كُــلُّ حــي وإنْ بَقِــي فمِــنَ العَيْــشِ يَسْتَقِــي
فـاعمَـلِ اليومَ واجتهـدْ واحْذَرِ الموتَ يا شَقي

قال : فبينما أنا واقفٌ أقرأُ وأبْكي ، وإذا برجلٍ أشعَرَ أغْبَر ، عليه مِدْرَعةٌ من شَعر ، فسَلَّمَ وقال : ممَّ تبكي ؟ فقلت : من هذا . فأخَذَ بيدي ومَضَى غيرَ بعيد ، فإذا بصخرةٍ عظيمةٍ مثلِ الْمحْراب ، فقال : اقرَأْ وابْكِ ولا تقصِّرْ . وقام هو يُصلِّي ، فإذا في أعلاهُ نَقْشٌ بيِّنٌ عَرَبي :

لا تَبْغِيَنْ جاهاً وجاهُكَ ساقِطٌ عندَ المليكِ وكُنْ لجاهِكَ مُصْلحا

وفي الجانب الآخر نقشٌ بيِّنٌ عربي :

مـنْ لـم يَثِـقْ بـالقضـاءِ والقَـدَرِ لاقَـى هُمـومـاً كثيـرةَ الضَّـرَرِ

وفي الجانب الأيسَرِ نَقْشٌ بيِّنٌ عربي :

ما أزْيَنَ التُّقَى ، وما أقبح الخنا ، وكلٌّ مأخوذٌ بما جَنا ، وعند الله الجزا .

وفي أسفل المحراب فوق الأرض بذراعٍ أو أكثر :

إنَّمــا الفَــوْزُ والغِنَــى فــي تُقَــى اللهِ والعَمَــلْ

قال : فلمَّا فرَغْتُ من القراءة التفتُّ ، فإذا ليس الرجلُ هناك ، فما أدري ، أنصرفَ أمْ حُجِب عني ؟ .

وقال : أثقل الأعمال في الميزان أثقلُها على الأبدان ، ومنْ وَفَى العمل وُفِّي له الأجر ؛ ومنْ لم يعمَلْ رَحَلَ من الدنيا إلى الآخرةِ بلا قليلٍ ولا كثير .

وقال : كُلُّ سلطانٍ لا يكونُ عادلاً فهو واللصُّ بمَنْزلةٍ واحدة ؛ وكلُّ عالِمٍ لا يكونُ وَرِعاً فهو والذئبُ بمَنْزلةٍ واحدة ؛ وكلُّ منْ خدَم سوى الله فهو والكلبُ بمَنْزلةٍ واحدة .

وقال : ما ينبغي لمَنْ ذَلَّ للهِ في طاعتِه ، أنْ يَذِلَّ لغيرِ الله في مَجَاعَتِه ؛ فكيف بمنْ هو يتقلَّبُ في نِعَمِ الله وكِفَايته .

وقال : أعرَبْنا في كلامِنا فلم نَلْحنْ ، ولَحَنَّا في أعمالنا فلم نُعْرِبْ .

وقال : كُنَّا إذا رأينا الشابَّ يتكلَّمُ في المجلس أيسْنا من خيرِه .

وقال : جانبوا الناس ، ولا تنقطعوا عن جُمعةٍ ولا جَماعة .

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب : أخبرنا القاضي أبو محمد الحسن بن الحسين[١] بن محمد بن رامين[٢] الإستراباذي ، قال : أنبأ عبدُ الله بن محمد الشِّيرازي ، أنبأ القاضي أحمد بن محمود بن خَرَّزاد الأهوازي ، حدّثني علي بن محمد القصري ، حدّثني أحمد بن محمد الحلبي ، سمعتُ سَرِيّاً السَّقَطيَّ يقول : سمعتُ بشرَ بن الحارث الحافي يقول : قال إبراهيمُ بن أدهم : وقفتُ على راهبٍ ، فأشرف عليَّ فقلت له : عِظْني . فأنشأ يقول :

خُذْ عن الناس جانبا ... كـي يظنُّـوك راهبـا
إنَّ دَهْــراً أظلَّنــي ... قـد أرانـي العجـائبـا
قَلِّبِ الناس كيف شِئْـ ... ـتَ تَجِـدْهُـمُ عَقَـارِبـا

قال بشر : فقلت لإبراهيم : هذه موعظة الراهب لك ، فعِظْني أنت . فأنشأ يقول :

تَوَحَّشْ من الإخوانِ لا تَبْغِ مُؤنساً ... ولا تتخِـذْ خِـلاً ولا تَبْـغِ صـاحبـا
وكُنْ سامِرِيَّ الفعلِ من نسلِ آدمٍ ... وكُـنْ أوحَـدِيّـاً مـا قَـدَرْتَ مُجـانِبـا
فقد فسد الإخوانُ والحُبُّ والإخَا ... فلسـتَ تـرى إلَّا مَـذُوقـاً[٣] وكـاذِبـا
فقلـتُ ولـولا أنْ يُقـالَ مُـدَهْـدَهٌ[٤] ... وتُنْكِـر حـالاتـي لقـد صِـرْتُ راهبـا

قال سَرِيّ : فقلتُ لِبشر : هذه موعظةُ إبراهيمَ لك ، فعِظْني أنت . فقال : عليك بالخُمول ، ولُزومِ بيتِك . فقلت : بلَغني عن الحسن أنه قال : لولا الليلُ وملاقاةُ الإخوان ما باليْتُ متى مِتّ .

فأنشأ بشرٌ يقول :

---

(١) في الأصول وتاريخ ابن عساكر : « أبو محمد الحسن بن الحسن » ، والمثبت من تاريخ بغداد (٧/ ٣٠٠) في ترجمته ، ومواضع كثيرة منه ، ومن مؤلفات الخطيب البغدادي ، إذ هو شيخ أبي بكر الخطيب .

(٢) في (ق) : « زامين » بالزاي ، والمثبت من (ح) والمصادر المذكورة في الحاشية السابقة .

(٣) كذا في الأصول ، والوجه أن يقول : « مِذَاقاً » ، جاء في لسان العرب (مذق) : المُمَاذقةُ في الوُدّ : ضدُّ المُخالصَة . ومَذَق الوُدَّ لم يُخلِصْهُ . ورجلٌ مَذَّاق : كذُوب . ورجلٌ مَذِق ، ومَذَّاق ومُماذِق : بَيِّنُ المِذَاق . مَلُول . وفي الصحاح غيرُ مُخلص ، وهو المِذَاق .

(٤) « دَهْدَهَ الشيءَ فتَدَهْدَهَ » : حَدَرهُ من عُلوٍ إلى سُفْل تَدَحْرُجاً . ودَهْدَهَهُ : قَلَبَ بعضَهُ على بعض ، فهو مُدَهْدَه . لسان العرب (دهده) .

يــا مَــنْ يُســرُّ بــرؤيــةِ الإخــوانِ   مهْــلاً أمِنْــتَ مَكــايِــدَ الشيطــانِ
خلَــتِ القلــوبُ مــن المَعــادِ وذِكْــرِهِ   وتشــاغلــوا بــالحِــرْصِ والخُسْــرانِ
صارَتْ مجالسُ منْ تَرَى وحديثُهم   فــي هَتْــكِ مَسْتُــورِ ومَــوْتِ جَنَــانِ[1]

قال الحلبي : فقلتُ لِسَرِيّ : هذه موعظةُ بشر ، فعِظْني أنت . فقال : عليك بالإخْمال . فقلت : أحبُّ ذاك . فأنشأ يقول :

يــا مــنْ يَــرُومُ بــزَعْمِــهِ إخْمــالاً   إنْ كــان حقّــاً فــاستعِــدَّ خِصــالا
تَــرْكَ المجــالِسِ والتذاكُــرِ يــا أخــي   واجعَــلْ خــروجَــكَ للصــلاةِ خَيَــالا
بــل كُــنْ بهــا حَيّــاً كــأنَّــكَ مَيِّــتٌ   لا يَــرْتَجــي منــه القــريــبُ وِصَــالا

قال محمد بن محمد القَصْري : قلتُ للحلبي : هذه موعظةُ سَرِيٍّ لك ، فعِظْني أنت . قال : يا أخي أحَبُّ الأعمالِ إلى الله ما صَعِدَ إليه من قلبِ زاهِدٍ في الدُّنيا ؛ فازْهَدْ في الدنيا يُحبَّكَ الله ثم أنشأ يقول :

أنــــتَ فــــي دارِ شَتــــاتِ   فتــــأهَّــــبْ لِشَتــــاتِــــكْ
واجعــــلِ الــــدُّنيــــا كيــــومٍ   صمْتَــــهُ عــــن شَهَــــواتِــــكْ
واجعــــــلِ الفِطْــــــرَ إذا   مــــا صُمْتَــــهُ يــــومَ وفــــاتِــــكْ

قال ابنُ خُرَّزاد : فقلت لعلي : هذه موعظةُ الحلبيِّ لك ، فعِظْني أنت . فقال لي : احفَظْ وقتَك ، واسخُ بنفسِك للهِ عزَّ وجلَّ ، وانْزِعْ قيمةَ الأشياءَ من قلبِك ، يَصْفُ لك بذلك سِرُّك ، ويَذْكُو به ذِكْرُك . ثم أنشدَ يقول :

حيــاتُــكَ أنفــاسٌ تُعــدُّ فكلَّمــا   مضَى نَفَسٌ منها انْتَقَصْتَ بهِ جُزْءا
فتصبحُ في نَقْصٍ وتُمْسي بمِثْلِهِ   ومالَكَ مَعْقولٌ تُحسُّ بك رُزْءا
يُميتُكَ ما يُحْيِيكَ في كلِّ ساعةٍ   ويَحدُوكَ حادٍ ما يَزيدُ بكَ الْهُزْءا

قال أبو محمد : قلتُ لأحمد : هذه موعظةُ عليٍّ لك ، فعِظْني . فقال : يا أخي ، عليك بلُزومِ الطاعة ، وإيَّاك أنْ تُفارقَ بابَ القناعة ، وأصْلِحْ مَثْواك ، ولا تُؤْثِرْ هَوَاك ، ولا تَبِعْ آخرَتَكَ بدُنياك ؛ واشتغِلْ بما يَعْنيكَ بتَرْكِ ما لا يَعْنيك . ثم أنشد :

نَــدِمْــتُ علــى مــا كــانَ منِّــي نَــدامــةً   ومــنْ يَتَّبِــعْ مــا تشتهــي النفــسُ يَنْــدَمِ
فخافوا لكيما تأمنوا بعدَ موتِكُمْ   ستَلْقَــوْنَ رَبّــاً عــادِلاً ليــس يَظْلِــمُ[2]
فليــس لِمَغْــرورٍ بــدُنْيــاهُ زاجِــرٌ   سيَنْــدمُ إنْ زَلَّــتْ بــهِ النَّعْــلُ فــاعْلَــمِ

---

(١) في (ب ، ح) : « وخلق قران » ، بدل « وموت جنان » ، والمثبت من (ق) .
(٢) كذا في الأصول ، بإقواءٍ في القافية ، ولعلّ الصواب : « لم يُظلَّم » ، أي لم ينسب إلى الظُّلم أبداً .

قال أبو محمد بن رامين : فقلتُ لأبي محمد : هذه موعظةُ أحمد لك ، فعِظْني أنت . فقال : اعلَمْ رَحِمكَ الله أنَّ الله عزَّ وجلَّ يُنْزِلُ العَبيد حيثُ نَزَلَتْ قلوبُهم بهُمومها ، فانظُرْ أين يَنْزِلُ قلبُك ؟ واعلَمْ أنَّ الله سبحانه يَقْرُبُ من القلوب على حَسَبِ ما قُرِّبَ إليها[١] ؛ فانظُرْ مِنِ القريبُ من قلبِك . وأنشدني :

قلوبُ رجالٍ في الحجابِ نُزولُ ... وأرواحُهم فيما هناك حُلولُ

تَروحُ نَعيمُ الأنسِ في عزِّ قُرْبهِ ... بإفرادِ تَوْحيدِ المَليكِ تَجُولُ

لهم بِفَناءِ القُرْبِ من مَحْضِ بِرِّهِ ... عوائدُ بَذْلٍ خَطْبُهُنَّ جَليلُ

قال الخطيب : فقلتُ لابنِ رَامين[٢] هذه موعظةُ الحميدي لك ، فعِظْني أنت . فقال : اتَّقِ الله وثِقْ به ، ولا تتَّهِمْه ، فإنَّ اختبارَهُ لك خيرٌ من اختبارِكَ لنفسِك . وأنشدني :

اتَّخِذِ[٣] الله صاحبا ... ودَعِ الناسَ جانبا

جَرِّبِ الناسَ كيف شِئْـ ... ـتَ تَجِدْهُمْ عَقَاربا

قال أبو الفرج غَيْثُ الصُّوري : فقلتُ للخطيب : هذه موعظةُ ابن رامين لك ، فعِظْني أنت . فقال : احذَرْ نفسَك التي هي أعْدَى أعدائِكَ أنْ تُتَابِعَها على هَوَاها ، فذاك أعْضَلُ دائك ، واستَشْرِفِ الخوفَ من الله تعالى بخِلافها ، وكَرِّرْ على قلبك ذكرَ نُعوتِها وأوصافِها فإنَّها الأمَّارةُ بالسُّوءِ والفحشاء ، والمُوردَةُ مَنْ أطاعَها موارد العَطَبِ والبَلاء ، واعْمِدْ في جميعِ أمورِك إلى تَحرِّي الصِّدْق ، ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [ص : ٢٦] ، وقد ضَمِنَ الله لمنْ خالَفَ هواهُ أنْ يجعلَ له جنَّةَ الخُلدِ قَرارَهُ ومأواه . ثم أنشد لنفسه :

إنْ كنتَ تَبْغي الرَّشَادَ مَحْضاً ... في أمْرِ دُنْياكَ والمَعَادِ

فخالِفِ النفسَ في هواها ... إنَّ الهوى جامعُ الفَسَادِ[٤]

قال ابن عساكر[٥] : المحفوظ أنَّ إبراهيم بن أدهم تُوفِّي سنة ثنتين وستين ومئة . وقال غيره : إحدى وستين . وقيل : سنة ثلاث . والصحيحُ ما قاله ابنُ عساكر ، والله أعلم . وذكروا أنه تُوفِّي في جزيرةٍ من جزائرِ الرُّوم ، وهو مُرابط ، وأنه ذهَبَ إلى الخَلاء ليلةَ مات نحواً من عشرين مرَّة وفي كلِّ مرَّةٍ يُجدِّدُ

---

(١) أقحمت عبارة في هذا الموضع في (ق) ، ليست في (ب ، ح) ، ولا في بغية الطلب .

(٢) في (ق) : « زامين » ، انظر الحاشية على هذا الاسم في صدر الخبر .

(٣) كذا في الأصول ، والصواب : « تَخِذِ » ، ليستقيم وزن البيت .

(٤) ساقه بطوله ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٦/ ٣٤٥ ـ ٣٤٨) ، وابن العديم بن أبي جرادة في بغية الطلب (٢/ ١٠٨٠ـ١٠٨٣) بإسنادهما عن الخطيب البغدادي .

(٥) في تاريخ مدينة دمشق (٦/ ٦ ـ ٣٤٩) .

الوُضوء بعدَها . وكان به البَطْن ، فلما كانتْ غشيةُ الموت قال : أوْتروا لي قَوْسي . فأوْتَروه ، فقَبَضَ عليه ، فماتَ وهو قابضٌ عليهِ يُريدُ الرَّمْيَ به إلى العدو ، رحمه الله وأكرَمَ مَثْواه .

وقد قال أبو سعيد بنُ الأعرابي : حدّثنا محمد بن علي بن يزيد الصائغ قال : سمعتُ الشافعيَّ يقول : سمعتُ السَّريَّ بن حيان[١] يقول ـ وكان سفيانُ معجباً به ـ :

أجاعتهمُ الدُّنيا فجاعوا[٢] ولم يزلْ كذلك ذو التقوى عن العيش مُلجَما
أخــو طَيِّــىءٍ داودُ منهــم ومِسْعــرٌ ومنهم وُهيبٌ والعريبُ ابنُ أدْهَما
وفي ابنِ سعيدٍ قدوةُ البرِّ والنُّهَى وفي الوارثِ الفاروقِ صِدْقاً مُقَدَّما
وحَسْبُـكَ منهـم بـالفُضَيـل مع ابنـهِ ويـوسـفَ إنْ لـم يـألُ أنْ يَتَسلَّمـا
أولئـك أصحـابـي وأهـلُ مـودَّتـي فصلَّـى عليهـم ذو الجـلالِ وسَلَّمـا
فما ضرَّ ذا التقوى تَضَاؤلُ نِسْبةٍ[٣] ومـا زال ذو التقـوى أعَزَّ وأكْـرَمـا
وما زالتِ التقوى تُريكَ على الفتَى إذا مَحَّصَ التقوى من العِزِّ مَبْسَما[٤]

وروى البخاري في كتاب الأدب[٥] عن إبراهيمَ بن أدهم . وأخرج الترمذي في جامعه حديثاً مُعلَّقاً في المسح على الخُفَّيْن[٦] .

وأما : داود الطائي[٧] : فهو داودُ بنُ نُصيْر الطائي ، أبو سليمان الكوفي الفقيه الزاهد ، أخَذَ الفقه عن

---

(١) كذا في (ب ، ح) وحلية الأولياء ، وسقط الاسم من (ق) ، وفي تاريخ ابن عساكر : « سمعت السري بن جمكان » ، ولم أقف على ترجمة له .

(٢) في (ق) : « فخافوا » ، والمثبت من (ب ، ح) .

(٣) في (ب) : « يصال بسببه » ، وفي (ح) : « يضاد سببه » ، وفي تاريخ ابن عساكر : « نصال أسنة » ، والمثبت من حلية الأولياء .

(٤) في (ب ، ق) وتاريخ ابن عساكر : « ميسما » ، والمثبت من (ح) وحلية الأولياء والخبر والشعر فيه (٦/ ٣٧٥) ، وفي تاريخ ابن عساكر (٦/ ٣٤٩) .

(٥) كتاب الأدب المفرد للبخاري ص(٤٢٨) برقم (١٢٥٣) ، يروي البخاري فيه خبراً عن محمد بن عبد العزيز العمري ، بإسناده إلى إبراهيم بن أدهم ، فذكر قصة زيارته إلى يحيى بن حسان البكري .

(٦) جامع الترمذي برقم (٩٤) في الطهارة : باب في المسح على الخفين معلقاً ، ورواه مسنداً الترمذي برقم (٦٧١) و(٦١٢) وهو حديث صحيح .

(٧) ترجمته في طبقات ابن سعد (٦/ ٣٦٧) ، التاريخ الكبير (٣/ ٢٤٠) ، المعارف ص(٥١٥) ، مشاهير علماء الأمصار ص(١٦٨) ، حلية الأولياء (٧/ ٣٣٥) ، تاريخ بغداد (٨/ ٣٤٧) ، الرسالة القشيرية (١/ ٨١) . الأنساب (٨/ ٣٠٦) ، مناقب الأبرار لابن خميس ص(٤٨/ ب) ، المختصر لابن خميس ص(٤٥/أ) ، صفة الصفوة (٣/ ١٣١) ، الكامل لابن الأثير (٦/ ٥٠) ، وفيات الأعيان (٢/ ٢٥٩) ، تهذيب الكمال (٨/ ٤٥٥) ، =

أبي حَنيفة . قال سفيانُ بن عُيَيْنة : ثم تَرَك داودُ طلَبَ الفقه ، وأقبلَ على العِبَادَةِ ، ودَفَن كُتبَه .

قال عبدُ الله بن المبارك : وهل الأمر إلَّا ما كان عليه داودُ الطائي ؟ .

قال ابنُ مَعين : كان ثقةً ، وفد على المهدي ببغداد ، ثم عاد إلى الكوفة .

ذكرَهُ الخطيب البغدادي وقال : مات في سنة ستين ومئة ؛ وقيل : سنة خمسٍ وستين ومئة[١] .

قلتُ : وقد ذكرَ شيخُنا الذهبي في تاريخه أنَّهُ تُوفِّي في هذه السنة ـ أعني سنةَ ثنتين وستين ومئة . فالله أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومئة

فيها حُصر المقنَّع الزِّنْديق الذي كان قد نَبَغَ بخُرَاسان ، وقال بالتناسُخ ، واتَّبَعهُ على جَهَالَتِهِ وضلالتِهِ خَلْقٌ من الطَّغَام ، وسُفَهاءِ الأنام ، والسِّفْلَةِ من العَوَام ؛ فلما كان في هذا العام ، لَجَأ إلى قلعةِ كَش[٢] ، فحاصَرهُ سعيدٌ الحَرَشِي[٣] فألَحَّ عليه في الحصار ، فلمَّا أحسَّ بالغَلَبة تَحَسَّى سُمّاً ، وسمَّ نساءَهُ فماتوا جميعاً ؛ عليهم لعائنُ الله . ودخل الجيشُ الإسلامي قلعتَه ، فاحتزُّوا رأسَه ، وبعثُوهُ إلى المهدي ؛ وكان المهديُّ بحلب .

قال ابنُ خَلِّكَان[٤] : كان اسمُ المقنَّع عَطاء ، وقيل : حَكيم ، والأول أشهر . وكان أولاً قَصَّاراً [من أهل مَرْو ، وكان يعرفُ شيئاً من السِّحْر والنِّيرَجَات[٥]] ، ثم ادَّعى الرُّبوبيَّةَ مع أنه كان أعوَرَ قبيحَ المنظر ،

= سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٢٢) ، الوافي (١٣/ ٤٩٥) ، طبقات ابن الملقن ص(٢٠٠) ، تهذيب التهذيب (٣/ ٢٠٣) ، طبقات الشعراني (١/ ٧٦) ، شذرات الذهب (١/ ٢٥٦) .

(١) في (ح ، ق) : سنة ست وخمسين ومئة ، والمثبت من (ب) وتاريخ بغداد للخطيب (٨/ ٣٥٤) .

(٢) كَشّ ـ بالفتح ثم التشديد ـ : قريةٌ على ثلاثةِ فراسخَ من جُرْجانَ على جَبَل . وتقال « قلعة كس » بالسين ، وتُسمَّى أيضاً « قلعة سَنَام » كما سيأتي . معجم البلدان (٤/ ٤٦٢ ، و٣/ ١٩١) . وقال ابنُ خلّكان في وفيات الأعيان (٣/ ٢٦٤) : ولم أر أحداً ذكر هذه القلعة وأين هي حتى أذكرها ، ثم رأيت في كتاب الشهاب ياقوت الحموي الذي وضعه في معرفة المواضع المشتركة ، فقال في باب « سَنَام » بفتح السين : إنها أربعة مواضع ، والموضع الرابع منها سنام ، قلعة عمرها المقنَّع الخارجي بما وراء النهر . اهـ . وفيات الأعيان ج : ٣ ص : (٢٦٥) . والله أعلم والظاهر أنها هذه القلعة ثم وجدت في أخبار خراسان أنها هي وأنها من رستاق كش والله أعلم .

(٣) في (ح ، ق) : الحريثي ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب) وتاريخ الطبري (٤/ ٥٦٦) .

(٤) في ترجمته في وفيات الأعيان (٣/ ٢٦٣) ، وما سيأتي بين معقوفين منه .

(٥) « النِّيرجات ، واحدُها نِيرَج » : أُخذٌ تُشبهُ السِّحْرَ وليستْ بحقيقته ، ولا كالسِّحْر ، إنما هو تشبيهٌ وتَلْبيس . لسان العرب (نرج) .

وكان يتَّخِذُ له وجهاً من ذَهَب ، وتابَعهُ على جَهالَتِهِ خلقٌ كثير ، وكان يُري الناسَ قمَراً من مسيرةِ شهرين ، ثم يَغيب ؛ فعَظُمَ اعتقادُهم له ، ومنعُوهُ بالسِّلاح ؛ وكان يَزْعُم ـ لعنهُ الله وتعالى عمَّا يقولون عُلُوّاً كبيراً ـ أنَّ الله ظهَرَ في صورةِ آدَم ، ولهذا سجدَتْ له الملائكة ، ثم في نُوح ، ثم في الأنبياء واحداً واحداً ، ثم تحوَّلَ إلى أبي مسلمٍ الخُراساني ، ثم تحوَّلَ إليه .

ولما حاصرَهُ المسلمون في قلعتِهِ ـ كان جدَّدَها بناحيةِ كَشّ ، ممَّا وراء النَّهْر ، ويُقالُ لَها سَنام ـ تحَسَّى هو ونساؤه سُمّاً فماتوا ، واستحوذ المسلمون على حَواصله وأموالِه .

وفيها جهَّز المهديُّ البُعوثَ من خُرَاسان وغيرِها من البلاد لغزوِ الرُّوم . وأمَّرَ على الجميع ولَدَهُ هارونَ الرَّشيد ، وخرج من بغدادَ مُشَيِّعاً له ، فسار معهُ مَرَاحل ، واستخلف على بغدادَ ولَدَهُ موسى الهادي ، وكان في هذا الجيش الحُسين بن قَحْطبة ، والربيع الحاجبُ ، وخالدُ بن بَرْمك ـ وهو مثلُ الوزيرِ للرَّشيد وليِّ العهد ـ ويحيى بن خالد وهو كاتبُه ، وإليه النفقات . وما زال المهديُّ مع ولدِهِ مشيِّعاً له حتى بلغ دروبَ الرُّوم عند جيحَان[1] ، وارتادَ هناكَ المدينة المسمَّاة بالْمَهْديَّة في بلادِ الرُّوم ، ثم رجع إلى الشام ، وزار بيتَ المقدس ، فسار الرشيدُ إلى بلادِ الروم في جحافلَ عظيمة ، وفتح الله عليهم فتوحاتٍ كثيرةً ، وغَنموا أموالاً جزيلةً جدّاً ، وكان لِخالدِ بنِ بَرْمَكَ في ذلك أثرٌ جميلٌ لم يكنْ لغيرِه ؛ وبعثوا بالبشارةِ مع سُليمان بنِ بَرْمَك إلى المهدي ، فأكرَمهُ المهديُّ وأجزلَ عطاءَه .

وفيها عزَلَ المهديُّ عمَّه عبدَ الصمد بن علي عن الجزيرة ، وولَّى عليها زُفَرَ بن عاصم الهلالي ، ثم عزله وولَّى عبدَ الله بن صالح بن علي .

وفيها ولَّى المهديُّ ولدَهُ هارونَ الرشيد بلادَ المغرب ، وأذْرَبيجان ، وإرْمينيَة ، وجعل على رسائلِه يحيى بن خالد بن بَرْمَك ؛ وولَّى وعزلَ جماعةً من النوَّاب . وحجَّ بالناس فيها المهدي عليُّ بنُ المهدي .

وفيها تُوفِّي :

إبراهيمُ بن طَهْمان .

وحَريزُ بن عثمان الحمصي الرَّحبي .

وموسى بن علي اللَّخْميُّ المصريّ .

---

(١) في (ق) : « . . . بلغ الرشيد إلى بلاد الروم » ، وفي (ح) : « حتى بلغ دروب المدينة . . . » ، وفي (ب) : « حتى بلغ دروب الروم عند صحار » . وأثبتنا ما في (ب) بعد تصحيح التصحيف في « صحار » ، من الكامل في التاريخ لابن الأثير (٥/ ٢٤٤) . وجيحان ـ بالفتح ثم السكون والحاء مهملة وألف ونون ـ : نَهْرٌ بالْمَصِّيصَة بالثغر الشامي ، ومَخْرَجُه من بلاد الروم ، ويمرُّ حتى يصبَّ بمدينة تُعرف بكفربيا بإزاء المصيصة . معجم البلدان (٢/ ١٩٦) .

وشُعيب بن أبي حمزة .

وعيسى بن علي بن عبد الله بن عباس عمُّ السفَّاح ، وإليه يُنسب قصرُ عيسى ونهرُ عيسى ببغداد . قال يحيى بن مَعين : كان له مذهبٌ جميل ، وكان معتزلاً للسُّلطان ، توفي في هذه السنة عن ثمانٍ وسبعين سنة .

وهمَّام بن يحيى ،

ويحيى بن أيوب المصري .

وعُبيدة بنت أبي كلاب العابدة ، بكَتْ من خشيةِ الله أربعين سنة حتى عَميَتْ . وكانت تقول : أشتهي الموت ، فإني أخشى أن أجْنيَ على نفسي جنايةً تكونُ سببَ هلاكي يومَ القيامة .

ثم دخلت سنة أربع وستين ومئة

فيها غزا عبدُ الكبير بن عبدِ الحميد بن زَيْد بن الخطَّاب بلادَ الرُّوم ؛ فأقبل إليه ميخائيل البِطْريق في نحوِ تسعين ألفاً ، فيهم طازاذ الأرمني البِطْريق ، ففشِلَ عنه عبدُ الكبير ، ومنَعَ المسلمين من القتال ، وانصرف راجعاً . فأراد المهديُّ ضَرْبَ عُنقِه ، فكُلِّمَ فيه ، فحَبَسهُ في المُطْبِق .

وفي يوم الأربعاء في أواخر ذي القَعْدَة أسَّسَ المهديُّ قصراً من لَبِن بِعِيسَاباذ[1] ، ثم عزَمَ على الذهابِ إلى الحجّ ، فأصابَهُ حُمَّى ، فرجع من أثناءِ الطريق ، فعَطِشَ الناسُ في الرَّجْعَة ، حتى كاد بعضُهم يَهْلِك ، فغضب المهديُّ على يقطين صاحبِ المصانع ، وبعث من حيثُ رَجَعَ المهلَّبُ بن صالح بن أبي جعفر لِيَحُجَّ بالناس ؛ فحج بهم عامَئِذٍ .

وفيها توفي :

شيبان بن عبد الرحمن النَّحْوي .

وعبدُ العزيز بن أبي سَلَمة الماجشُون .

ومُبارك بن فَضَالة صاحبُ الحسن البصري .

---

(١) عِيسَابَاذ : « باذ » في هذا الاسم مما تستعمله الفرس ، ومعنى « باذ » العِمَارة ، فكأنَّ معناهُ عمارة عيسى ، ويُسمُّونَ العامر أباذان ، هذه مَحَلَّةٌ كانت بشرقيِّ بغداد منسوبةً إلى عيسى بن المهدي ، وأمِّهِ وأمِّ الرشيد ، والهادي الخيزران هو أخوهما له ، وبها ماتَ موسى بنُ المهدي بن الهادي ، وبنى بها المهديُّ قصرَهُ الذي سمَّاه قصر السلام ، فبلغتِ النفقةُ عليه خمسين ألف ألف درهم . معجم البلدان (٤/ ١٧٢ ، ١٧٣) .

ثم دخلت سنة خمس وستين ومئة

فيها جهَّزَ المهديُّ ولدَهُ الرشيد لغزوِ الصائفة ، وأنفَذَ معه من الجيوش خمسةً وتسعين ألفاً ، وسبعَ مئة وثلاثةً وتسعين رجلاً ؛ وكان معه من النفقة مئةُ ألف دينار ، وأربعةٌ وتسعون ألفَ دينار ، وأربعُمئةٍ وخمسون ديناراً ؛ ومن الفضَّة إحدى وعشرون ألفَ ألفٍ ، وأربعُمئة ألفٍ ، وأربعةَ عشرَ ألفاً وثمان مئةِ درهم . قاله ابنُ جرير[1] . فبلغ بجنودِهِ خليجَ البحر الذي على القُسْطَنْطينيَّة ، وصاحبُ الروم يومئذٍ أُغسطةُ امرأةُ ألْيون ، ومعها ابنُها في حجْرِها من الملك الذي تُوفي عنها ؛ فطلبتِ الصُّلحَ من الرشيد على أن تدفعَ له سبعينَ ألفَ دينارٍ في كلِّ سنة ، فقَبِل ذلك منها ، وذلك بعدما قَتَلَ من الرُّوم في الوقائع أربعةً وخمسينَ ألفاً ، وأسَرَ من الذَّرَاري خمسةَ آلاف رأس وستَّمئةٍ وأربعينَ رأساً ، وقتل من الأسرى ألفَيْ قتيلٍ صَبْراً ، وغَنِمَ من الدَّوَابِّ بأدواتها عشرين ألفَ فرس ، وذبَحَ من البقر والغَنَمِ مئةَ ألفِ رأس ، وبيع البِرْذَوْنُ بدِرهم ، والبغلُ بأقلَّ من عشرةِ دراهم ، والدِّرْعُ بأقلَّ من درهم ، وعشرون سيفاً بدرهم ، فقال في ذلك مروانُ بنُ أبي حَفْصَة :

أُطُفتَ بِقُسْطَنْطينةِ[2] الرُّومِ مُسْنِداً ... إليها القَنَا حتى اكتسى الذُّلَّ سُورُها
وما رُمْتَها حتى أتَتْكَ ملوكُها ... بجِزْيَتِها والحربُ تَغْلي قدورُها

وحجَّ بالناس في هذه السنة صالحُ بن أبي جعفر المنصور .

وفيها تُوفِّي :

سليمانُ بن المغيرة .

وعبدُ الله بن العلاء بن زَبْر[3] .

وعبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان[4] .

ووهب بن خالد .

---

(١) هو الطبري في تاريخه (٤/ ٥٧٢) .

(٢) في (ق) : « بقسطنطينية » ، ولا يستقيم بها الوزن ، والمثبت من (ب ، ح) وديوان مروان بن أبي حفصة ص(٦٦) .

(٣) في (ق) : « دبر » ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) ، وترجمته في التاريخ الكبير للبخاري (٥/ ١٦٢) ، وتقريب التهذيب ص(٣١٧) .

(٤) في (ق) : « عبد الرحمن بن نائب بن ثوبان » ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) ، وترجمته في مشاهير علماء الأمصار ص(١٨١) ، وتاريخ بغداد (١٠/ ٢٢٢) ، وتقريب التهذيب ص(٣٣٧) .

ثم دخلت سنة ست وستين ومئة

في المحرَّم منها قَدِم الرشيدُ من بلادِ الرُّوم ، فدخل بغدادَ في أُبَّهةٍ عظيمة ، ومعه الرُّوم يَحْمِلونَ الجِزْيَةَ من الذهب وغيرِه . وفيها أخذَ المهديُّ البيعةَ لولدِهِ هارونَ من بعدِ موسى الهادي ، ولُقِّبَ بالرَّشيد .

وفيها سَخِطَ المهديُّ على يعقوبَ بنِ داود ، وكان قد حَظِيَ عندَهُ حتى استوزَرَه ، وارتفعَتْ منزلتُه في الوزارة ، حتى فوَّض إليه جميعَ أمرِ الخلافة ؛ وفي ذلك يقول بشَّارُ بنُ بُرْد :

بني أميـةَ هُبُّوا طـالَ نـومُكُـمُ[١] إنَّ الخليفــةَ يعقــوبُ بــنُ داودِ
ضاعَتْ خلافتُكمْ يا قومُ فاطَّلبوا خليفـةَ الله بيـن الـزِّقِّ والعُـودِ[٢]

فلم تزل السُّعاةُ والوشاةُ بينه وبين الخليفة حتى أخرجوه عليه ، وكلَّما سعَوْا به إليه دخل إليه فأصلح أمرَه معَه ، حتى وقَعَ من أمرِهِ ما سأذكرُه ، وهو أنه دخل ذاتَ يوم على المهدي في مجلسٍ عظيم ، قد فُرش بأنواعِ الفُرش ، وألوانِ الحرير ، وحول ذلك المكان أشجارٌ[٣] مُزهرة بأنواعِ الأزاهير ، فقال : يا يعقوب ، كيف رأيتَ مجلسَنا هذا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، ما رأيتُ أحسنَ منه ! فقال : هو لك بما فيه ، وهذه الجارية ، لِيَتِمَّ بها سرورُك ، ولي إليك حاجةٌ أحبُّ أنْ تقضِيَها . قلت : وما هي يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال : حتى تقولَ نعَمْ . فقلتُ : نعمْ ، وعلى السمعِ والطاعة . فقال : آلله ؟ فقلت : آلله . قال : وحياة رأسي ؟ قلت : وحياةِ رأسك . فقال : ضَعْ يدَكَ على رأسي وقُلْ ذلك . ففعلت ، فقال : إنَّ هاهنا رجلاً من العلويِّين أحبُّ أنْ تَكْفينيهِ ـ والظاهر أنه الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن عليِّ بن أبي طالب ـ فقلت : نعم . فقال : وعَجل عليّ ، ثم أمرَ بتحويل ما في ذلك المجلس إلى مَنزلي ، وأمرَ لي بمئةِ ألفِ درهم ، وتلك الجارية ، فما فرحتُ بشيءٍ فرَحي بها ؛ فلمَّا صارتْ بمَنزلي حجبتُها في جانبِ الدار في خِدْر ، فأمَرْتُ بذلك العَلويّ ، فجيء به فجلسَ إليَّ فتكلَّم ، فما رأيتُ أعقلَ منه ولا أفهَم ! ثم قال لي : يا يعقوب ، تَلْقَى الله بدَمي وأنا رجلٌ من ولَدِ فاطمةَ بنتِ رسولِ الله ﷺ ؟ فقلتُ : لا والله ، ولكنِ اذهَبْ حيثُ شئتَ وأين شئت . فقال : إنِّي أختارُ بلادَ كذا وكذا . فقلتُ : اذهبْ كيف شئت ، ولا يظهرَنَّ عليك المهديُّ فتَهْلِكَ وأهلِك . فخرج من عندي وجهَّزْتُ معه رجلَيْنِ يسفِّرانِهِ

---

(١) كذا في الأصول ، وتاريخ الطبري (٤/ ٥٧٥) ، وفي ديوان بشار « يا أيها الناس قد ضاعت خلافتكم » ، وهو أشبه بالصواب .

(٢) البيتان في ديوان بشار ص(٣٩٥) .

(٣) في (ق) : أصحان ، والمثبت من (ب ، ح) .

ويُوصلانِهِ بعضَ البلاد ، ولم أشعُرْ بأنَّ الجاريةَ قد أحاطَتْ علماً بما جرى ، وأنَّها كالجاسوسِ عليّ فبَعَثَتْ بخادِمِها إلى المهديِّ فأعلَمَتْهُ بما جَرَى ، وتقول له : هذا الذي آثرته بي قد فعل كذا وكذا . فغَضِبَ المهديّ ، فبعث إلى تلك الطريق ، فردُّوا ذلك العلويّ ، فحبَسَهُ عندَهُ في بيتٍ من دارِ الخِلافة ، وأرسل إليَّ من اليوم الثاني ، فذهبتُ إليه ، ولم أشعُرْ منْ أمْرِ العلويِّ بشيء ، فلمَّا دخلتُ عليه قال : ما فعلَ العلويّ ؟ قلتُ : مات . قال : آلله ؟ قلت : آلله . قال : فضَعْ يدَكَ على رأسي واحْلِفْ بحياتِه . ففعلتُ ، فقال : يا غلام ، أخرِجْ ما في هذا البيت . فخرَجَ العلويّ ، فأُسقِطَ في يدي ، فقال المهدي : دمُكَ حلال . ثم أمَرَ به فأُلقِيَ في بئر في المُطْبِق . قال يعقوب : فكنتُ في مكانٍ لا أسمعُ فيه ولا أُبصِر ، فذهب بصَرِي وطال شَعْري حتى صرتُ مثلَ البهائم ، ثم مَضَتْ عليَّ مُددٌ متطاولة ، فبينما أنا ذاتَ يوم إذْ دُعيت ، فخرجتُ من البئر ، فقيل لي : سلِّمْ على أميرِ المؤمنين ، فسلَّمْتُ وأنا أظنُّه المهدي ، فلما ذكرتُ المهدي قال : رحم الله المهدي . فقلت : الهادي ؟ فقال : رحم الله الهادي . فقلت : الرشيد ؟ قال : نعم . فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، قد رأيتَ ما حَلَّ بي من الضَّعْف والعِلَّة ، فإنْ رأيتَ أنْ تُطلِقَني . فقال : أين تُريد ؟ قلت : مكة . فقال : اذهَبْ راشداً . فسار إلى مكة ، فما لَبِثَ بها إلَّا قليلاً حتى مات رحمه الله تعالى .

وقد كان يعقوبُ هذا يَعِظُ المهديَّ في تعاطيهِ شُربَ النَّبيذِ بين يديه ، وكثرَةِ سماعِ الغِنَاء ، فكان يَلومُهُ على ذلك ويقول : ما على هذا استوزَرْتَني ، ولا على هذا صَحِبتُك ، أبَعْدَ الصلواتِ الخمس في المسجدِ الحرام يُشربُ الخمر ؟! ويُغَنَّى بين يديك ؟! فيقول له المهدي : فقد سمع عبدُ الله بن جعفر . فقال له يعقوب : إنَّ ذلك لم يكنْ من حَسَناتِه ، ولو كان هذا قُرْبَةً لكان كلَّما داوم عليه العبدُ أفضل . وفي ذلك يقولُ بعضُ الشعراء حَثّاً للمَهْديِّ على ذلك :

فدَعْ عنكَ يعقوبَ بنَ داودَ جانباً وأقبِـلْ علـى صهبـاءَ طَيِّبَـةِ النَّشْـرِ

وفيها ذهب المهديُّ إلى قصرِه المسمَّى بقصر السلام بِعيساباذ[1] ـ بُني له بالآجُرِّ بعد القصرِ الأول الذي بناه باللَّبِن ـ فسكنَهُ ، وضرَبَ هناك الدراهمَ والدنانير ، وفيها أمرَ المهديُّ بإقامةِ البريد بين مكة والمدينة واليمن ، ولم يفعل أحَدٌ هذا قبلَ هذه السنة . وفيها خرج موسى الهادي إلى جُرْجان . وفيها ولَّى القضاءَ أبا يوسُفَ صاحبَ أبي حَنيفَة . وفيها حجَّ بالناس إبراهيمُ بن يحيى بن محمد ، عاملُ المدينة ، ولم يكنْ في هذه السنةِ صائفةٌ للهُدْنةِ التي كانتْ بينَ الرَّشيد وبين الرُّوم .

فيها توفي :

صدَقَةُ بن عبد الله السَّمِين .

---

(١) انظر ما تقدم ص(٤٠٢) ح (١) .

وأبو الأشهب العُطَارِديّ .

وأبو بكر النَّهْشَليّ .

وعُفير بن مَعْدَان .

ثم دخلت سنة سبع وستين ومئة

فيها وجَّه المهديُّ ابنَهُ موسى الهادي إلى جُرْجان في جيشٍ كَثيف لم يُرَ مثلُه ، وجعل على رسائِلِه أبان بن صدَقة ، وفيها تُوفي عيسى بن موسى الذي كان وليَّ العَهْد من بعدِ المهدي ، مات بالكوفة ، فأشهدَ نائبُها روحُ بن حاتم على وفاته القاضيَ وجماعةً من الأعيان ، ثم دُفن . وكان قد امتنع من الصلاةِ عليه ، فكتب إليه المهديُّ يُعنِّفُهُ أشدَّ التَّعْنيف ، وأمَرَ بِمُحاسَبَتِهِ على عمَلِه . وفيها عزل المهديُّ أبا عُبيد الله معاويةَ بنَ عبيد الله عن ديوانِ الرسائل وولَّاهُ الربيعَ بنَ يونس الحاجب ، فاستخلف فيه سعيدَ بن واقد ؛ وكان أبو عبيد الله يدخلُ على مرتبتِه . وفيها وقع وباءٌ شديد ، وسُعالٌ كثيرٌ ببغدادَ والبصرة ، وأظلمتِ الدنيا حتى كانتْ كالليل ، حتى تعالَى النهار ، وكان ذلك لِلَيَالٍ بَقينَ من ذي الحجَّة من هذه السنة . وفيها تتبَّع المهديُّ جماعةً من الزنادقة في سائر الآفاق ، فاستحضرَهم وقتلهم صَبْراً بين يديه[1] ، وكان المتولي أمْرَ الزنادقة عمرُ الكَلْوَاذي . وفيها أمرَ المهديُّ بزيادةٍ كثيرةٍ في المسجد الحرام ، فدخل في ذلك دورٌ كثيرة ، وولَّى ذلك لِيَقْطين بن موسى الموكَّلِ بأمرِ الحرمَيْن ، فلم يزل في عمارةِ ذلك حتى مات المهدي ـ كما سيأتي ـ ولم يكنْ للناسِ صائفةٌ للهُدْنة . وحجَّ بالناس في هذه السنة نائبُ المدينة إبراهيمُ بن محمد ، وتوفي بعد فراغِهِ من الحجِّ بأيام ، وولَّى مكانه إسحاق بن عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس .

وممَّنْ تُوفي فيها من الأعيان :

بَشَّارُ بنُ بُرْد أبو مُعَاذ الشاعر[2] : مولى عُقَيل ، وُلد أعمَى ، وقال الشعرَ وهو دون عشرِ سنين ، وله التشبيهاتُ التي لم يهتدِ إليها البُصَراء ؛ وقد أثنى عليه الأصمعيّ ، والجاحظ ، وأبو تمام ، وأبو عُبيدة وقال : له ثلاثةَ عشرَ ألفَ بيتٍ من الشعر ، فلمَّا بلغَ المهديَّ أنه هَجَاه ، وشهد عليه قومٌ أنَّه زِنْديق ، أمَرَ به

---

(١) كلُّ ذي رُوح يُصْبَرُ حياً ثم يُرْمى حتى يُقتل . فقد قُتل صبراً . لسان العرب (صبر) .

(٢) ترجمته في الأغاني (٣/ ١٢٧) ، الإكمال لابن ماكولا (٧/ ١٨٤) ، الفهرست ص(٢٢٧) ، تاريخ بغداد (٧/ ١١٢) ، المنتظم (٨/ ٢٨٩) ، الكامل في التاريخ (٥/ ٢٥٤) ، وفيات الأعيان (١/ ٢٧١) ، سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٤) ، لسان الميزان (٢/ ١٥) ، النجوم الزاهرة (٢/ ٥٣) ، شذرات الذهب (١/ ٢٦٤) .

فضُرب حتى مات ، عن بضعٍ وسبعين سنةً . وقد ذكره ابنُ خلِّكَانَ في الوفيات فقال[١] : بشارُ بنُ بُرْد بن يَرْجُوخ العُقَيلي مولاهم ، ،قد نَسَبَهُ صاحبُ الأغاني[٢] فأطالَ نَسَبه ، وهو بصريٌّ قَدِمَ بغداد ، أصلُهُ من طَخَارِسْتَان[٣] ؛ وكان ضخماً عظيمَ الخَلْق ، وشِعرُه في أوّلِ طبقاتِ المولَّدين ؛ ومن شعرِهِ البيتُ المشهور :

هـل تعلميـنَ وراءَ الحُبِّ مَنْزِلـةً   تُدْني إليكِ فإنَّ الحُبَّ أقصاني[٤]

وقوله :

أنـا واللهِ أشتهـي سِحْـرَ عَيْنَيْـ   ـكِ وأخْشَى مصارعَ العُشَّاقِ[٥]

وله :

يا قومُ أُذْني لبعضِ الحَيِّ عاشقةٌ   والأذنُ تعشَـقُ قبـل العيـنِ أحيـانـا
قالوا لِمَنْ لا تَرَى تَهْذي فقلتُ لهم   الأذنُ كالعينِ تؤتي القلبَ ما كانا[٦]

وله :

إذا بَلَـغَ الـرأيُ التشـاوُرَ فـاستَعِـنْ   بحَـزْمِ نَصيـحٍ أو نَصِيحـةِ حـازِمِ
ولا تَجْعلِ الشُّورَى عليكَ غَضَاضةً   فَـريـشُ الخَـوافـي قُـوَّةٌ للقَـوَادِمِ
وما خيرُ كَفٍّ أمسَكَ الغُلُّ أختَها   وما خيرُ سيفٍ لم يُؤيَّدْ بقائِمِ[٧]

كان بشارٌ يَمدحُ المهدي ، حتى وَشَى إليه الوزيرُ أنَّهُ هجاهُ وقَذَفَهُ ، ونسَبَه إلى شيءٍ من الزَّنْدَقة ، وأنَّهُ يقولُ بتَفضيلِ النارِ على التُّراب ، وعَذَرَ إبليسَ في السُّجودِ لآدَم ، وأنَّه أنشد :

---

(١) وفيات الأعيان (١/ ٢٧١) .

(٢) الأغاني (٣/ ١٢٧) .

(٣) طَخَارِسْتان ـ بالفتح وبعد الألف راء ثم سين ثم تاء مثناة من فوق ـ ويُقال طَخِيرستان : هي ولايةٌ واسعةٌ كبيرة ، تشتملُ على عِدَّةِ بلاد ، وهي من نواحي خُراسان ، وهي طخارستان العليا والسفلى ، فالعليا شرقي بَلْخ ، وغربي نهر جِيحُون ، وبينها وبين بَلْخ ثمانيةٌ وعشرون فرسخاً ؛ وأمَّا السُّفلى فهي أيضاً غربي جيحون ، إلَّا أنَّها أبعدُ من بلخْ ، وأضربُ في الشرق من العليا . ومن مُدُنها خلم وسمنجان وبغلان وسكلكند وورواليز . قال الإصطخري : وأكبرُ مدينةٍ بطخارستان طالقان . معجم البلدان (٤/ ٢٣) .

(٤) البيت من مقطَّعةٍ في ديوان بشار ص(٦١٨) .

(٥) البيت من مقطَّعةٍ في ديوان بشار ص(٥٦٥) .

(٦) البيتان في ديوان بشار ص(٦١٢) مع بيت ثالث .

(٧) الأبيات في ديوان بشار ص(٥٩٢) .

الأرضُ مُظلمـةٌ والنـارُ مُشـرقـةٌ   والنارُ معبودةٌ مُذْ كانتِ النارُ[١]

فأمَرَ المهديُّ بضَرْبِه ، فضُرب حتى مات . ويُقال : إنَّه غَرق ، ثم نُقل إلى البصرة في هذِهِ السنة .

فيها تُوفي :

الحسن بن صالح بن حَيّ .

وحمَّاد بن سَلَمة .

والربيعُ بن مسلم .

وسعيد بن عبد العزيز بن مسلم .

وعُتبة الغلام ؛ وهو : عُتْبة بن أبَان بن صَمَعَةَ[٢] : أحدُ العُبَّادِ المشهورين ، البَكَّائين المذكورين ؛ كان يأكُلُ من عَمِلَ يَدِهِ في الخُوص ، ويصومُ الدَّهر ، ويُفطِرُ على الخُبزِ والمِلح .

والقاسم الحذَّاء .

وأبو هلال محمد بن سليم .

ومحمد بن طلحة .

وأبو حمزة السُّكَّري[٣] محمد بن ميمون .

ثم دخلت سنة ثمان وستين ومئة

فيها في رَمَضان منها نَقضتِ الرُّوم ما بينهم وبين المسلمينَ من الصُّلحِ الذي عقدَهُ هارون الرَّشيد عن أمرِ أبيهِ المهدي ، ولم يستمرُّوا على الصلحِ إلَّا اثنيْنِ وثلاثين شهراً ، فبعَثَ نائبُ الجزيرةِ خيلاً إلى الرُّوم ، فقتَلوا وأسرُوا وغَنِموا وسَلِموا .

وفيها اتَّخذَ المهديُّ دواوينَ الأزمَّة ، ولم يكنْ بنو أُميَّةَ يعرفون ذلك[٤] .

---

(١) البيت في ديوان بشار ص(٥٣٩) .

(٢) ترجمته في حلية الأولياء (٦/٢٢٦) ، صفة الصفوة (٣/ ٣٧٠) ، المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير (٣/ ٥٤٨) ، سير أعلام النبلاء (٧/ ٦٢) ، طبقات الشعراني (١/ ٤٧) .

(٣) في بعض النسخ : « اليشكري » مصحف ، وهو من رجال التهذيب (بشار) .

(٤) أول من عمل ديوان الزمام عمر بن بزيع في خلافة المهدي ، وذلك أنه لما جُمعت له الدواوين تفكَّر فإذا هو لا يضبطُها إلَّا بزِمامٍ يكون له على كلِّ ديوان ؛ فاتَّخذَ دواوين الأزمَّة ، وولَّى كلَّ ديوانٍ رجلاً ، فكان واليه على زِمَامِ ديوانِ الخَرَاج إسماعيل بن صبيح . ولم يكنْ لبني أمية دواوين أزِمَّة . تاريخ الطبري (٤/ ٥٨٢) .

وفيها حجَّ بالناس عليٌّ بن محمد المهدي الذي يُقال له ابنُ رَيْطَة .

وفيها توفي :

الحسن بن زيد بن علي بن أبي طالب[١] ، ولَّاهُ المنصورُ المدينةَ خمسَ سنين ، ثم غَضِبَ عليه ، فضرَبَهُ وحبَسَه ، وأخذَ جميعَ مالِه[٢] .

وخارجةُ بن مُصْعَب .

وعُبيدُ الله بن الحسن بن الحُصَيْن بن أبي الحُرّ العَنْبَري[٣] : قاضي البصرة بعد سَوَّار . سمع خالداً الحذَّاء ، وداود بن أبي هِنْد وسعيداً الجُرَيْري ، وروى عنه ابنُ مهدي ، وكان ثقةً فقيهاً ، له اختياراتٌ تُعزَى إليه ، غريبةٌ في الأصول والفروع ، وقد سُئل عن مسألةٍ فأخطأ في الجواب ، فقال له قائل : الحُكمُ فيها كذا وكذا ، فأطرَقَ ساعةً ثم قال : إذاً أرجع وأنا صاغِر ، لأنْ أكونَ ذَنَباً في الحق ، أَحَبُّ إليَّ منْ أكونَ رأساً في الباطل .

توفي في ذي القَعْدَة من هذه السنة ، وقيل بعدَ ذلك بعشرِ سنين ، فالله أعلم .

غَوْثُ بن سليمان بن زياد بن ربيعة[٤] **أبو يحيى الحَضْرَمي**[٥] : قاضي مصر ، كان من خِيَارِ الحُكَّام ؛ وَلِيَ الديارَ المصريَّةَ ثلاثَ مرَّات ، في أيامِ المنصور ، والمهدي .

وفُليح بن سليمان[٦] .

---

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (القسم المتمم) ص(٣٨٦) . وتصحَّف في (ق) إلى « الحسن بن يزيد بن حسن » .

(٢) جاء في نسخة (ق) زيادة محصورة بين معقوفين ، وكذا في (ب) ، وهذه الزيادة ليست في (ح) ، ولا تصحّ لأن ترجمة حماد عجرد تقدمت في ص(٣٥٧) في وفيات سنة (١٥٥) من نسخة (ق) من هذا الجزء ، وهذه الزيادة هي : [وحَمَّاد عَجْرَد كان ظريفاً ماجناً شاعراً ، وكان ممَّنْ يُعاشر الوليدَ بن يزيد ، ويُهاجي بشارَ بنَ بُرْد ، وقَدِمَ على المهدي ، ونزلَ الكوفة ، واتُّهم بالزندقة . قال ابن قتيبة في طبقات الشعراء : ثلاثةٌ حمَّادون بالكوفة يُرْمَوْنَ بالزندقة : حماد الراوية ، وحماد عَجْرَد ، وحماد بن الزِّبْرِقان النَّحْوي ؛ وكانوا يتشاعرون ويتماجنون] .

(٣) في الأول : « عبد الله بن الحسن بن الحصين بن أبي الحسن البصري » ، وقد صُحِّف في اسمه اسم أجداده في الأصول وكثير من المصادر ، وما أثبتُّه من ترجمته في : طبقات ابن سعد (٧/ ٢٨٥) ، والجرح والتعديل (٥/ ٣١٢) ، ومشاهير علماء الأمصار ص(١٥٩) ، والثقات لابن حبان (٧/ ١٥٢) ، وتاريخ بغداد (١٠/ ٣٠٦) ، والإكمال لابن ماكولا (١/ ٢٨) ، ورجال مسلم (٢/ ١٠) ، ولسان الميزان لابن حجر (٧/ ٢٩٦) ، وتقريب التهذيب ص(٣٧٠) .

(٤) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٥١٧) ، التاريخ الكبير للبخاري (٧/ ١١١) ، الجرح والتعديل (٧/ ٥٧) ، مشاهير علماء الأمصار ص(١٩١) ، الثقات لابن حبان (٧/ ٣٠) .

(٥) في (ق) : « الجرمي » ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) ومصادر ترجمته .

(٦) هذا الاسم معطوف على عُبيد الله بن الحسن بن الحصين ، المتقدِّم .

وقيسُ بن الربيع في قول .

ومحمد بن عبد الله بن علاثة بن علقمة بن مالك[١] : أبو اليَسَر العُقَيلي ، قاضي الجانب الشرقي من بغداد للمَهْدي ، هو وعافية بن يزيد . وكان يُقال لابنِ عُلاثةَ قاضي الجنّ ، لأنه كانَتْ بئرٌ يُصابُ من أخذَ منها شيئاً ، فقال : أيُّها الجِنّ ، إنَّا حَكَمْنا أنَّ لكمُ الليل ، ولنا النهار ، فكان من أخذَ منها شيئاً في النهار لم يُصِبْهُ شيء . قال ابنُ مَعين : كان ثقةً . وقال البخاري : في حفظِهِ شيء .

ثم دخلت سنة تسع وستين ومئة

فيها في المحرَّم منها توفي المهديُّ بنُ المنصور بمكانٍ يُقال له ماسَبَذَان[٢] بالحُمَّى ، وقيل مسموماً ، وقيل : عَضَّهُ فرسٌ فمات . هذه ترجمتُه ، هو :

محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس[٣]

أبو عبد الله المهدي ، أميرُ المؤمنين ، وإنما لُقِّب بالمهدي رجاءَ أنْ يكونَ الموعودَ به في الأحاديث ، فلم يكنْ به ، وإن اشتركا في الاسم ، فقد افترقا في الفِعل ، ذاك يأتي آخرَ الزمان ، عند فسادِ الدنيا ، فيملأ الأرضَ عدلاً كما مُلئت جَوْراً وظُلْماً ؛ وقد قيل : إنَّ في أيامِهِ يَنْزِلُ عيسى ابنُ مريم بدمشق ، وسيأتي ذِكرُ ذلك في أحاديث الفِتَنِ والملاحم ، وذكرُ المهدي ونزول عيسى ابن مريم إنْ شاء الله وبه الثِّقة . وقد جاء في حديثٍ من طريق عثمان بن عفَّان ، أنَّ المهديَّ من بني العباس ، وجاء موقوفاً على ابنِ عباس ، وكعب الأحبار ـ ولا يَصِحّ ـ وبتقديرِ صِحَّةِ ذلك لا يَلْزمُ أنْ يكونَ على التعيين ، وقد ورد في حديثٍ آخر ، أنَّ المهديَّ من ولدِ فاطمة[٤] ، فهو يعارض هذا ، والله أعلم .

---

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٨٣) ، التاريخ الكبير (١/ ١٣٢) ، التاريخ الصغير (٢/ ١٨٧) ، الجرح والتعديل (٧/ ٣٠٢) ، الضعفاء للعقيلي (٤/ ٩٢) ، الكامل في الضعفاء لابن عدي (٦/ ٢٢٢) الضعفاء لأبي نعيم الأصبهاني ص(١٤٢) ، تاريخ بغداد (٥/ ٣٨٨) ، الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ، الكاشف (٢/ ١٨٩) ، لسان الميزان (٧/ ٣٦٤) .

(٢) ماسَبَذَان : بفتح السين والباء الموحدة والذال معجمة وآخره نون ؛ وأصلُهُ ماه سَبَذان ، مضافٌ إلى اسم القَمَر ، ماه ، ومن هذه المدينة إلى الروذ بالراء عدة فراسخ ، وبها قبر المهدي ، وليس له أثر إلا بناء قد تعفَّتْ رسومُه ، ولم يبق منه إلا الآثار . معجم البلدان ج : (٥) ص : (٤١) .

(٣) ترجمته في تاريخ خليفة ص(٤٣٦ ، ٤٤٠) ، تاريخ بغداد (٥/ ٣٩١) ، التدوين في أخبار قزوين (١/ ٤٣١) ، التحفة اللطيفة (٢/ ٥٠١) ، تاريخ الخلفاء ص(٢٧١) .

(٤) رواه ابن ماجه في سنة رقم (٤٠٨٦) من حديث أم سلمة ، وأبو داود (٤٢٨٤) ، والحاكم (٤/ ٥٥٧) وإسناده=

وأمُّ المهديِّ بن المنصور أمُّ موسى بنت منصور بن عبدِ الله الحِمْيَري .

وروى عن أبيه ، عن جدِّهِ ، عن أبيه عبدِ الله بن عباس ، أنَّ رسولَ الله ﷺ جَهَرَ ببسم الله الرحمن الرحيم . رواهُ عنه يحيى بن حمزة البَتَلْهيّ[1] ، قاضي دمشق ، وذكر أنَّهُ صلَّى خلفَ المهدي حين قدم دمشق فجَهَر في السورتَيْنِ بالبسملة ، وأسند ذلك عن رسولِ الله ﷺ ، ورواه غيرُ واحدٍ عن يحيى بن حمزة ؛ ورواهُ المهدي عن المباركِ بنِ فضالَة ؛ ورواه عنه أيضاً جعفر بنُ سليمانَ الضُّبَعيّ ، ومحمد بن عبد الله الرقاشي ، وأبو سفيان سعيد بن يحيى بن المهدي[2] .

وكان مَوْلد المهدي في سنةِ ستٍّ أو سبعٍ وعشرين ومئة ، أو في سنةِ إحدى وعشرين ومئة ؛ وَلِيَ الخلافةَ بعدَ موتِ أبيه في ذي الحجَّة سنة ثمانٍ وخمسين ومئة ، وعمرُه إذْ ذاك ثلاثٌ وثلاثونَ سنةً ، ولد بالحميمة من أرض البلقاء ، وتوفي في المحرم من هذه السنة أعني سنة تسعٍ وستين ومئة عن ثلاثٍ أو ثمانٍ وأربعين سنة ؛ وكانتْ خلافتُهُ عشرَ سنين وشهراً وبعضَ الشهر ؛ وكان أسمرَ طويلاً ، جعدَ الشعر ، على إحدى عينَيْهِ نُكتةٌ بيضاء ، قيل : على عينه اليمنى ، وقيل : اليسرى .

قال الربيع الحاجب : رأيتُ المهديَّ يُصلِّي في ليلةٍ مُقمرة ، في بَهْو لَه ، عليه ثيابٌ حسنة ، فما أدري هو أحسنُ أمِ القمر أمْ بَهْوُهُ أم ثيابُه ؟ فقرأ : ﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴾ [محمد : ٢٢] ، الآية ؛ ثم أمَرَني فأحضرتُ رجلاً من أقاربِهِ كان مسجوناً ، فأطلَقَه .

ولما جاء خبَرُ موتِ أبيه بمكةَ ـ كما تقدَّم ـ كَتَمَ الأمرَ يومَيْن ، ثم نُودي في الناسِ يومَ الخميس : الصلاة جامعة . فقام فيها خَطيباً ، فأعلَمَهُم بموتِ أبيه وقال : إنَّ أميرَ المؤمنين دُعيَ فأجاب ، فعندَ الله أحتسبُ أميرَ المؤمنين ، وأستعينُه على خلافةِ المسلمين ، ثم بايَعهُ الناسُ بالخلافةِ يومئذ ؛ وقد عزَّاهُ أبو دُلامة ، وهنَّأهُ في قصيدةٍ له ، يقولُ فيها :

عينـايَ واحـدةٌ تُـرَى مسـرورةً ... بأميرِهـا جَـذْلَـى وأخرى تَـذْرِفُ
تبكي وتضحَكُ تارةً ويَسُوؤها ... مـا أنكـرتْ ويَسُـرُّها مـا تَعْـرِفُ

= ضعيف ، لضعف زياد بن بيان في إسناده . وقد ساق العقيلي في ضعفائه ، وقال البخاري : في إسناده نظر ، وقال ابن عدي في الكامل بعد أن أورد حديثه هذا : « والبخاري إنما أنكر من حديثه هذا الحديث ، وهو معروف به . وقال الذهبي في الميزان : لم يصح حديثه وانظر بلا بد تعليقي على هذا الحديث في سنن ابن ماجه بتحقيقي (بشار) .

(١) في (ق) : « النهشلي » ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) ، وترجمت في سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٥٤) ، ومصادر ترجمته ، وهو نسبة إلى بيت لِهْيا ، قريةٍ مشهورةٍ في غوطةِ دمشق . انظر معجم البلدان (١/ ٥٢٢) .

(٢) أخرجه الدارقطني في سننه (١/ ٣٠٣) في باب وجوب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم والجهر بها ؛ والصيداوي في معجم الشيوخ ص(١٧٢ ، ١٧٣) ؛ وذكره ابن حجر في تلخيص الحبير (١/ ٢٣٥) .

فيسوؤها موتُ الخليفةِ مُحْرِماً ويَسُرُّها أنْ قام هذا الأزأفُ
ما إنْ رأيت كما رأيتُ ولا أرَى شَعَراً أُرَجِّلُهُ وآخرَ يُنْتَفُ
هَلَكَ الخليفةُ يالَ أُمَّةِ أحمدٍ وأتاكُمُ من بعدِهِ مَنْ يَخْلُفُ
أهدَى لِهذا اللهُ فَضْلَ خلافةٍ ولِذاكَ جَنَّاتِ النَّعيمِ تُزَخْرَفُ[1]

وقد قال المهديُّ يوماً في خطبة :

أيُّها الناس ، أسِرُّوا مثلَما تُعْلِنون من طاعَتِنا تَهْنِكُمُ العافية ، وتَحْمَدوا العاقبة ؛ واخفِضوا جناحَ الطاعةِ لمنْ ينشُرُ مَعْدِلَتَهُ فيكم ، ويَطْوِي ثوبَ الإصْرِ عنكم ، وأهالَ عليكم السلامةَ ولينَ المعيشةِ من حيثُ أراهُ الله ، مقدِّماً ذلك على فعلِ من تقدَّمَه ؛ والله لأفْنِيَنَّ عُمري من عقوبتِكم ، ولأحملَنَّ نفسي على الإحسانِ إليكم . قال : فأشرَقَتْ وجوهُ الناسِ من حُسنِ كلامِه ؛ ثم استخرج حَواصلَ أبيه من الذهبِ والفِضَّةِ التي كانتْ لا تُحدُّ ولا تُوصفُ كثرةً ؛ ففرَّقَها في الناس ، ولم يُعطِ أهلَهُ ومواليَهُ منها شيئاً ، بل أجْرَى لهم أرزاقاً بحَسَبِ كفايتِهم من بيتِ المال ، لكلِّ واحدٍ خمس مئةٍ في الشهر ، غير الأُعطيات . وقد كان أبوهُ حريصاً على توفيرِ بيتِ المال ، وإنما كان يُنفقُ في السنة ألفَيْ درهم ، من مال السَّرَاة . وأمر المهديُّ ببناء مسجدِ الرُّصافة ، وعُمل خندقٌ وسُورٌ حولَها . وبَنى مُدُناً ذكرْناها فيما تقدَّم .

وذُكر له عن شريك بن عبد الله القاضي أنه لا يرى الصلاةَ خلفَه ، فأحضره فتكلَّم معه ، ثم قال له المهدي في جملةِ كلامه : يا ابنَ الزانية ! فقال له شريك : مَهْ ، مَهْ يا أميرَ المؤمنين ، فلقد كانتْ صوَّامةً قوَّامة . فقال له : يا زِنْديق ، لأقتلنَّك . فضحك شريك فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ للزنادقةِ علاماتٍ يُعرفون بها ، شربهم القهوات ، واتخاذهم القينات . فأطرَقَ المهدي ، وخرج شريك من بين يديه .

وذكروا أنه هاجتْ ريحٌ شديدة في زمن المهدي ، فدخل المهديُّ بيتاً في دارِه ، فألزَقَ خدَّهُ بالتراب وقال : اللهمَّ إنْ كنتُ أنا المطلوب بهذه العقوبةِ دون الناس فها أنا ذا بين يديك ؛ اللهمَّ لا تُشْمتْ بي الأعداء من أهلِ الأديان . فلم يزل كذلك حتى انجلَتْ .

ودخل عليه رجلٌ يوماً ومعه نَعْل ، فقال : هذه نعلُ رسولِ الله ﷺ قد أهديتُها لك . فقال : هاتها . فناوله إيَّاها فقبَّلَها ووضعها على عينَيْه ، وأمر له بعشرةِ آلاف درهم ؛ فلما انصرف الرجل قال المهدي : والله إني لأعلمُ أنَّ رسولَ الله ﷺ لم ير هذه النعل ، فضلاً عن أن يلبسَها ، ولكنْ لو ردَدْتُه لذهب يقولُ للناس أهديتُ إليه نعلَ رسولِ الله ﷺ فردَّها عليّ . فتصدِّقه الناس ، لأنَّ العامَّةَ تميلُ إلى أمثالِها ، ومن شأنِهم نصرُ الضعيفِ على القَوي إنْ كان ظالماً ، فاشترينا لسانَهُ بعشرةِ آلاف درهم ، ورأينا هذا أرجحَ وأصلح .

---

(١) الأبيات في ديوان أبي دلامة ص(٨٢) . وبعدها بيت واحد :
فابكُوا لِمَصْرَعِ خَيرِكُمْ ووَلِيِّكُمْ واسْتَشْرِفُوا لِمَقَامِ ذا وتَشَرَّفُوا

واشتهر عنه أنه كان يحبُّ اللَّعِبَ بالحمَام ، والسِّبَاق بينها ، فدخل عليه جماعةٌ من المحدِّثين فيهم غياث بن إبراهيم ، فحدَّثه بحديثِ أبي هريرة « لا سَبَقَ إلَّا في خُفٍّ أو نَصْلٍ أو حافِرٍ » وزادَ الحديث : أو جَناح . فأمر له بعشرةِ آلاف ، ولما خرج قال : والله إني أعلمُ أنَّ غِياثاً كذَبَ على رسولِ الله ﷺ . ثم أمرَ بالحمَام فذَبَحه ، ولم يذكُرْ غِياثاً بعدَها .

وقال الواقدي : دخلتُ على المهديِّ يوماً ، فحدَّثته بأحاديث ، فكتبها عني ، ثم قام فدخل بيوتَ نسائه ، ثم خرج وهو ممتلىءٌ غيظاً ، فقلت : ما لك يا أمير المؤمنين ؟! فقال : دخلتُ على الخَيْزران ، فقامَتْ ومزَّقَتْ ثَوْبي ، وقالت : ما رأيتُ منك خيراً ، وإني والله يا واقدي إنما اشتريتُها من نَخَّاس ، وقد نالَتْ عندي ما نالت ، وقد بايعتُ لولدَيْها بإمرَةِ المؤمنينَ من بعدي . فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّهنَّ يغلِبْنَ الكرام ، ويغلِبُهُنَّ اللئام »[1] . وقال : « خيرُكم خيرُكم لأهلِه وأنا خيرُكم لأهلي »[2] . وقد خُلقَتِ المرأةُ من ضِلَعٍ أعْوَج ، إنْ قَوَّمْتَهُ كسَرْتَه . وحدَّثتُه في هذا الباب بكلامٍ حضَرَني ، فأمرَ لي بألفَيْ دينار ، فلمَّا وافَيْتُ المَنْزِل إذا رسولُ الخيزران قد لَحِقني بألفَيْ دينارٍ إلَّا عشرةَ دنانير ، وإذا معه أثوابٌ أُخَر ؛ وبعثَتْ تشكرُني وتُثني عليَّ معروفاً .

وذُكر أن المهديَّ كان قد أهدَرَ دمَ رجلٍ من أهلِ الكوفة ، وجعل لمن جاء به مئةَ ألف ، فدخل الرجلُ بغدادَ متنكِّراً ، فلقيه رجل ، فأخذ بمَجَامِعِ ثوبِهِ ، ونادى : هذا طَلِبةُ أميرِ المؤمنين . وجعل الرجلُ يريد أن يُفلِتَ منه فلا يَقدِر ، فبينما هما يتجاذبان ، وقد اجتمع الناس عليهما إذْ مَرَّ أميرٌ في مَوْكِبه ، وهو مَعْنُ بن زائدة ، فقال الرجل : يا أبا الوليد ، خائفٌ مستجير ! فقال معن : وَيْلَك ! ما لَكَ ولَه ؟ فقال : هذا طَلِبةُ أمير المؤمنين ، جعل لِمَنْ جاء به مئةَ ألف . قال معن : أما علمتَ أنِّي قد أجَرْتُه ؟ أرسِلْهُ من يدِك . ثم أمر بعضَ غلمانِهِ فترجَّل ، وأركبَهُ وذهَبَ به إلى مَنْزِله ؛ وانطلق ذلك الرجلُ إلى بابِ الخليفة ، وأنْهَى إليهمُ الخبر ، فبلَغَ المهديَّ ، فأرسل إلى معن ، فدخل عليه ، فسلَّمَ ولم يردَّ عليه السلام وقال : يا معن ، أبَلَغَ من أمرِك أنْ تُجيرَ عليَّ ؟ قال : نعم . قال : ونَعَمْ أيضاً ؟! نَعَمْ ، قد قتلتُ في دولتِكم أربعةَ آلاف مُصَلٍّ ، فلا يُجارُ لي رجلٌ واحد ؟ فأطرَقَ المهديُّ ثم رفع رأسَهُ إليه وقال : وقد أجَرْنا من أجَرْتَ يا مَعْن ، فقال : يا أمير المؤمنين إنَّ الرجلَ ضعيف ، فأمر له بثلاثينَ ألفاً ، فقال : إنَّ جريمتَهُ عظيمة ، وإنَّ جوائزَ الخلفاء

---

(١) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١٤/ ٤٣٠) ، بهذا السياق . وذكره ابن حجر في شرح حديث أم زرع في فتح الباري (٩/ ٢٦٥) ، منسوباً إلى معاوية .

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٢٠٥) عن عبد الله بن شداد ؛ وابن حبان في صحيحه (٩/ ٤٨٤) (٤١٧٧) عن عائشة ، و(٩/ ٤٩١) (٤١٨٦) عن ابن عباس ؛ والترمذي (٥/ ٧٠٩) (٣٨٩٥) باب فضل أزواج النبي ﷺ ؛ وابن ماجه (١/ ٦٣٦) (١٩٧٧) باب حسن معاشرة النساء ؛ وأبو نعيم في الحلية (٧/ ١٣٨) ، والخطيب في تاريخه (١٤/ ٤٣٠) بهذا السياق ، و(٧/ ١٣) عن أبي هريرة ، وهو حديث صحيح كما قال الترمذي .

على قَدْرِ جرائمِ الرَّعِيَّة . فأمر له بمئةِ ألف ، فحملَتْ بين يدَيْ معنٍ إلى ذلك الرجل ، فقال له معن : خُذِ المال وادْعُ لأميرِ المؤمنين ، وأصْلِحْ نِيَّتَكَ في المستقبل .

وقَدِمَ المهديُّ مرَّةً البصرة ، فخرج ليُصلِّيَ بالناس ، فجاء أعرابيٌّ فقال : يا أمير المؤمنين ، مُرْ هؤلاءِ فلينتظروني حتى أتوضأ ـ يعني المؤذِّنين ـ فأمرَهُمْ بانتظارِه ، ووقف المهديُّ في المِحراب لم يُكَبِّرْ حتى قيل له : هذا الأعرابيُّ قد جاء فكبَّرَ . فتعجَّبَ الناسُ من سمَاحة أخلاقِه .

وقَدِم أعرابيٌّ ومعه كتابٌ مَخْتوم ، فجعل يقول : هذا كتابُ أميرِ المؤمنين إلى ابنِ الرجل الذي يُقال له الربيع الحاجب . فأخذ الكتابَ وجاء به إلى الخليفة ، وأوقف الأعرابيَّ وفتح الكتاب ، فإذا هو قطعةُ أديم ، فيها كتابةٌ ضعيفة ، والأعرابيُّ يزعُمُ أنَّ هذا خطُّ الخليفة ؛ فتبسَّم المهديُّ وقال : صدَقَ الأعرابي ، هذا خطِّي إني خرجتُ يوماً إلى الصَّيد ، فضِعْتُ عن الجيش ، وأقبل الليل ، فتعوَّذْتُ بتعويذِ رسولِ الله ﷺ ، فرُفع لي نارٌ من بعيد ، فقصدتُها ، فإذا هو الشيخُ وامرأتُه في خِبَاء يوقِدان ناراً ، فسلَّمْتُ عليهما ، فردَّا السلام ، وفرش لي كساءً ، وسقاني من لَبَنٍ مَشُوبٍ بماءٍ ، فما شربتُ شيئاً إلَّا وهو أطيبُ منه ، ونمتُ نومةً على تلك العباءة ، ما أذكرُ أني نِمْتُ أحْلَى منها . فقام إلى شُوَيْهةٍ فذبحها ، فسمعتُ امرأتَهُ تقول له : عمَدْتَ إلى مَكْسَبِكَ ومعيشةِ أولادِك فذبحتَها ! أهلكتَ نفسَك وعيالَك . فما التفتَ إليها . واستيقظْتُ فاشتَوَيْتُ من لَحمِ تلك الشُّويهةِ وقلت له : أعندَكَ شيءٌ أكتُبُ لك فيه كتاباً ؟ فأتاني بهذه القطعة ، فكتبتُ له بعودٍ من ذلك الرَّمَاد خمسَمئةِ ألف ، وإنما أردتُ خمسين ألفاً ، والله لأنفِذَنَّها له كلَّها ، ولو لم يكنْ في بيتِ المالِ سواها . فأمَرَ له بخمسمئةِ ألف . فقَبَضَها الأعرابيُّ واستمرَّ مقيماً في ذلك الموضعِ في طريقِ الحاجِّ من ناحيةِ الأنبار ، فجعَلَ يَقْرِي الضَّيفَ ومنْ مَرَّ به من الناس ، فعُرِف منْزِلُهُ بِمَنْزِلِ مُضيفِ أميرِ المؤمنين المهدي .

وعن سوَّارٍ صاحبِ رَحْبَةِ سوَّار قال : انصرفتُ يوماً من عندِ المهدي ، فجئتُ منْزلي ، فوُضع لي الغداء ، فلم تُقبلْ نفسي عليه ، فدخلتُ خلوتي لأنامَ في القائلة ، فلم يأخُذْني نوم ، فاستدعَيْتُ بعضَ حَظَايايَ لأتَلَهَّى بها ، فلم تنبَسِطْ نفسي إليها ، فنهضتُ فخرجتُ من المنْزِل ، وركبتُ بغلتي ، فما جاوَزْتُ الدارَ إلَّا قليلاً حتى لقِيَني رجلٌ ومعه ألفا درهم ، فقلت : من أين هذه ؟ فقال : من مُلكِكَ الجديد . فاستصحبتُه معي ، وسرتُ في أزِقَّةِ بغداد لأتشاغلَ عمَّا أنا فيه من الضجَر ، فحانَتْ صلاةُ العصر عند مسجدٍ في بعض الحارات ، فنزلْتُ لأصلِّي فيه ، فلما قُضيتِ الصلاة إذا برجل أعمى ، قد أخذَ بثيابي فقال : إنَّ لي إليك حاجة . فقلت : ما حاجتُك ؟ فقال : إني رجلٌ ضرير ، ولكني لما شممْتُ رائحةَ طيبك ظننتُ أنكَ من أهلِ النِّعمةِ والثَّروة ، فأحببتُ أن أُفْضِي إليك بحاجتي . فقلت : وما هي ؟ فقال : إنَّ هذا القصرَ الذي تجاه المسجد كان لأبي ، فسافر منه إلى خُراسان ، فباعَهُ وأخذَني معه وأنا صغير ، فافترَقْنا هناك ، وأصابني أنا الضررُ فرَجَعْنا إلى بغداد بعد أن مات أبي ، فجئتُ إلى صاحبِ هذا القصر

أطلبُ منه شيئاً أتبَلَّغُ به ، لعلِّي أجتمعُ بسَوَّار ، فإنه كان صاحباً لأبي ، فلعله أن يكونَ عنده سَعةٌ يجودُ منها عليّ . فقلت : ومن أبوك ؟ فذكر رجلاً كان أصحبَ الناس إليّ ، فقلت : إنِّي أنا سوَّار صاحبُ أبيك ، وقد منعني الله في يومك هذا النومَ والقرارَ والأكلَ والراحة ، حتى أخرجني من منْزلي لأجتمعَ بك ، وأجلَسَني بين يديك . وأمرتُ وكيلي فدفع له الألفَي الدرهم التي معه ، وقلت له : إذا كان الغَدُ فَأْتِ منْزلي في مكانِ كذا وكذا . وركبتُ فجئتُ دارَ الخلافةِ وقلت : ما أتحفَ المهديَّ الليلةَ في السَّمَرِ بأغرب من هذا . فلما قصصتُ عليه القصَّة تعجَّب من ذلك جدّاً ، وأمر لذلك الأعمى بألفَيْ دينارٍ وقال لي : هل عليك دَيْن ؟ قلت : نعم . قال : كم ؟ قلت : خمسون ألفَ دينار . فسكت ، وحادثني ساعةً ، ثم قمتُ من بين يديه ، فوصلت المنْزل ، إذا الحمَّالون قد سبقُوني بخمسينَ ألفَ دينار ، وألفَيْ دينار للأعمى ، فانتظرتُ الأعمى أن يجيءَ في ذلك اليوم ، فتأخَّر ، فلمَّا أمسى عدتُ إلى المهدي ، فقال : قد فكَّرتُ في أمرك فوجدتُكَ إذا قضيتَ دَيْنَك لم يبقَ معك شيء ، وقد أمرتُ لك بخمسين ألفَ دينارٍ أخرى . فلمَّا كان اليومُ الثالث جاءني الأعمى ، فقلت : قد رزقني الله بسببك خيراً كثيراً ، ودفعتُ له الألفَيْ دينارٍ التي من عند الخليفة ، وزدتُهُ من عندي أيضاً .

ووقفتِ امرأةُ المهدي فقالت : يا عُصبةَ رسولِ الله ، اقضِ حاجتي . فقال المهدي : ما سمعتُها من أحدٍ غيرِها ، اقضوا حاجتَها ، وأعطُوها عشرةَ آلاف درهم .

ودخل ابنُ الخياط على المهدي فامتدحَه ، فأمر له بخمسينَ ألفَ درهم ، ففرَّقها ابنُ الخيَّاط وأنشأ يقول :

أخذتُ بكفي كفَّه أبتغي الغِنَى ... ولم أدرِ أنَّ الجودَ من كَفِّهِ يُعْدِي
فلا أنا منه ما أفادَ ذوو الغنى ... أفَدْتُ وأعداني فبدَّدْتُ ما عندي

قال : فبلغ ذلك المهدي ، فأعطاه بدَلَ كلِّ درهمٍ ديناراً .

وبالجملة فإنَّ للمهدي مآثرَ ومحاسنَ كثيرة ، وقد كانت وفاتُهُ بِمَاسَبَذان[1] ، كان قد خرجَ إليها ليبعثَ إلى ابنِهِ الهادي ، ليحضُرَ إليه من جُرْجان ، حتى يخلَعَهُ من ولايةِ العَهْد ، ويجعلَهُ بعدَ هارونَ الرشيد ، فامتنعَ الهادي من ذلك ، فركب المهديُّ إليه قاصداً إحضارَه ، فلما كان بماسَبَذان مات بها ، وكان قد رأى في النوم وهو بقصرِهِ ببغداد ، وأظنُّهُ المسمَّى بقصر السلامة ، كأنَّ شيخاً وقف ببابِ القصر ، ويُقال إنه سمع هاتفاً يقول :

كأنِّي بهذا القصرِ قد بادَ أهلُهُ ... وأوحشَ منه رَبْعُهُ ومنازِلُهْ
وصار عَميدُ القومِ منْ بعد بَهْجةٍ ... ومُلْكٍ إلى قبرٍ عليه جنادِلُهْ

---

(١) انظر التعريف بماسبذان في حاشية (٢) في الصفحة (٤١٠) من هذا الجزء .

ولـم يبـقَ إلَّا ذكـرُهُ وحـديثُـهُ تنـادي عليـه مُعْـولاتِ حـلائلُـهْ

فما عاش بعدَها إلَّا عشراً حتى مات . رحمه الله وسامحه وأدخله الجنة ، برحمته آمين .

ويُروى أنه لما قال له الهاتف :

كأنِّي بهذا القصرِ قد بادَ أهلُهُ وقـد درسَـتْ أعـلامُـهُ ومنـازلُـهْ

فأجابه المهدي :

كذاكَ أمورُ الناسِ يَبْلَى جَديدُها وكـلُّ فتًـى يـومـاً ستبلَـى فعـائلُـهْ

فقال الهاتف :

تـزوَّدْ مـن الـدنيـا فـإنـك مَيِّـتٌ وإنك مسؤولٌ فما أنتَ قائلُهْ ؟

فأجابه المهدي :

أقـولُ بـأنَّ الله حَـقٌّ شهِـدْتُـهُ وذلك قولٌ ليس تُحصَى فضائلُهْ

فقال الهاتف :

تـزوَّدْ مـن الـدنيـا فـإنـك راحـلٌ وقد أزِفَ الأمرُ الذي بك نازلُهْ

فأجابه المهدي :

متى ذاك خَبِّرْني هُديتَ فإنني سأفعلُ ما قد قلتَ لي وأعاجِلُهْ

فقال الهاتف :

تلَبَّـثْ ثـلاثـاً بعـد عشـريـنَ ليلـةً إلى مُنْتَهى شهرٍ وما أنتَ كاملُهْ

قالوا : فلم يعِشْ بعدَها إلا تسعاً وعشرينَ يوماً حتى مات . رحمه الله تعالى .

وقد ذكر ابنُ جرير[1] اختلافاً في سببِ موتِه ؛ فقيل إنه ساق خلفَ ظبْيٍ والكلابُ بين يديه ، فدخل الظبيُ إلى خَرِبَةٍ ، فدخلتِ الكلابُ وراءَهُ ، وجاء الفرس ، فحمل بمشواره ، فدخل الخَرِبة ، فكُسر ظهرُه ، وكانت وفاتُه بسببِ ذلك .

وقيل : إنَّ بعض حظاياهُ بعثَتْ إلى أخرى لبناً مسموماً ، فمرَّ الرسولُ بالمهدي ، فأكل منه فمات . وقيل : بل بعثَتْ إليها بصينيَّةٍ فيها الكُمَّثْرَى ، وفي أعلاها واحدةٌ كبيرةٌ مسمومة ، وكان المهديُّ يُعجبُه الكُمَّثْرَى ، فمرَّتْ به الجاريةُ ومعها تلك الصينية ، فرآها فاستدعاها ، فأخذ التي في أعلاها ، فأكلها

(١) هو الطبري في تاريخه (٤/ ٥٨٣) .

فماتَ من ساعتِه . فجعلتِ الحظيَّة تندبُهُ وتقول : وأميرَ المؤمنيناه ! أردتُ أنْ يكونَ لي وحدي قتلتُه بيدي . وكانت وفاتُه في المحرَّم من هذه السنة ، أعني سنةَ تسعٍ وستين ومئة . وله من العمر ثلاثٌ وأربعون سنةً على المشهور . وكانت خلافتُهُ عشرَ سنين وشهراً وكسوراً . ورثاهُ الشعراء بمراثيَ كثيرة ، قد ذكرَها ابنُ جرير وابنُ عساكر .

وفيها توفي من الأعيان :

عُبيد الله بن زياد .

ونافع بن عمر الجمحي .

ونافع بن أبي نعيم القاري .

خلافة موسى الهادي بن المهدي

تُوفي أبوه في المحرَّم من أول سنةِ تسعٍ وستين ومئة ، وكان وليَّ العهد من بعدِ أبيه ، وكان أبوه قد عزم قبلَ موته على تقديمِ أخيه الرشيد عليه في ولاية العهد ، فلم يتفِقْ ذلك حتى مات المهدي بماسَبَذَان ؛ وكان الهادي إذْ ذاك بجُرْجان ، فهمَّ بعضُ رجال الدولةِ منهم الربيع الحاجب وطائفةٌ من القُوَّاد على تقديمِ الرشيد عليه ، والمبايعةِ له ، وكان الرشيدُ حاضراً ببغداد ، وعزموا على النفقة على الجُند لذلك ، تنفيذاً لِما رآه المهديُّ من ذلك ، فأسرع الهادي السيرَ من جُرْجان إلى بغداد ، حين بلغَهُ الخبر ، فساق منها إليها في عشرين يوماً ، فدخل بغداد ، وقام في الناس خطيباً ، وأخذ البيعةَ منهم فبايعوه ، وتغيَّبَ الربيعُ الحاجب ، فتطلَّبه الهادي حتى حضَرَ بين يديه ، فعفا عنه ، وأحسن إليه ، وأقرَّهُ على وظيفته الحُجوبيَّة ، وزادَهُ الوِزَارة وولاياتٍ أُخَر ، وشرع الهادي في تطلُّبِ الزنادقةِ من الآفاق فقتل منهم طائفةً كثيرة ، واقتدى في ذلك بأبيه .

وقد كان موسى الهادي من أفْكَهِ الناس مع أصحاب في الخلوة ، فإذا جلس في مقامِ الخِلافة كانوا لا يستطيعونَ النظرَ إليه ، لما يعلوهُ من المهابةِ والرِّيَاسة . وكان شاباً حسناً وقوراً مَهيباً .

وفيها ـ أعني سنةَ تسعٍ وستين ومئة ـ خرج بالمدينة الحسينُ بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وذلك أنه أصبح يوماً وقد لبس البياض ، وجلس في المسجد النبويّ ، وجاء الناسُ إلى الصلاة ، فلما رأوه ولَّوْا راجعين ، والتفَّ عليه جماعةٌ فبايعوه على الكتابِ والسنَّة والرِّضَا من أهلِ البيت ؛ وكان سببُ خروجه أنَّ متولِّيها خرج منها إلى بغداد لِيُهَنِّىءَ الخليفةَ بالولاية ، ويُعزِّيَهُ في أبيه ؛ ثم جرتْ أمورٌ اقتضَتْ خروجَه ؛ والتفَّ عليه جماعةٌ من أهلِ البيت وغيرهم ، وجعلوا مأواهمُ المسجد النبوي ، منعوا الناسَ من الصلاةِ فيه ، ولم يُجِبْهُ أهلُ المدينةِ إلى ما أرادَه ، بل جعلوا يدعون عليه لانتهاكِهِ

المسجد ؛ حتى ذُكِرَ أنَّهم كانوا يقذرون في جنباتِ المسجد ، وقد اقتتلوا مع المسوِّدَة مرَّات ، فقُتل من هؤلاء وهؤلاء . ثم ارتحل إلى مكة فأقام بها إلى زمن الحجّ ، فبعث إليه الهادي جيشاً ، فقاتلوه بعدَ فراغ الناسِ من الموْسِم ، فقتلوه وقتلوا طائفةً من أصحابه ، وهرَب بقيتُهم وتفرَّقوا شَذَرَ مَذَر . فكان مُدَّةُ خروجِه إلى أن قُتل تسعةَ أشهرٍ وثمانيةَ عشرَ يوماً . وقد كان كريماً في أجودِ الناس ، دخل يوماً على المهدي ، فأطلق له أربعينَ ألفَ دينار ، ففرَّقها في أهلِهِ وأصدقائِهِ من أهلِ بغدادَ والكوفة ، ثم خرج من الكوفة وما عليه قميص ، إنما كان فَرْوة ، وليس تحتها قميص .

وفيها حجَّ بالناسِ سليمان بن أبي جعفر ، عمُّ الخليفة ، وغزا الصائفةَ من طريقِ دَرْبِ الرَّاهب معتوق بن يحيى ، في جَحْفَلٍ كثيف ، وقد أقبلتِ الرُّوم مع بِطْرِيقِهَا ، فبلغوا الحدَث .

وفيها تُوفي :

الحسين بن علي بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ، قُتل في أيامِ التشريق . كما تقدم .

والربيع بن يونس الحاجب مولى المنصور ، وكان حاجبَهُ ووزيرَه ، وقد وَزَرَ للمهدي والهادي ، وكان بعضهم يطعنُ في نسبه ، وقد أورد الخطيبُ في ترجمتِهِ حديثاً من طريقِه ، ولكنه مُنكر ؛ وفي صحتِهِ عنه نَظَر . وقد وَلِيَ الحُجُوبيَّةَ بعدَهُ ولدُهُ الفضلُ بن الربيع ، ولَّاه إياها الهادي .

ثم دخلت سنة سبعين ومئة من الهجرة النبوية

وفيها عزَمَ الهادي على خَلْعِ أخيه هارونَ الرشيدِ من الخلافةِ وولايةِ العَهْد لابنِهِ جعفر بن الهادي ، فانقادَ هارونُ لذلك ، ولم يظهرْ عليه منازعة ، بل أجاب ، واستدعى الهادي جماعةً من الأمراء فأجابوهُ إلى ذلك ، وأبَتْ أمُّهما الخَيْزُران ، وكانت تميلُ إلى ابنِها هارون أكثرَ من موسى ، وكان الهادي قد منعَها من التصرُّف في شيءٍ من المملكةِ لذلك بعدَما كانتْ قد استحوذَتْ عليه في أول ولايتِهِ ؛ وانقلبتِ الدولُ إلى بابِها والأُمراء إلى جانبها ؛ فحلف الهادي لئن عاد أميرٌ إلى بابها ليضربَنَّ عُنقه ولا يقبَلُ منه شفاعة . فامتنعتْ من الكلام في ذلك ، وحلفَتْ لا تكلِّمُه أبداً ، وانتقلَتْ عنه إلى مَنْزِلٍ آخر ، وألحَّ هو على أخيه هارون في الخَلْع ، وبعث إلى يحيى بن خالد بن بَرْمَك ، وكان من أكابرِ الأمراء الذين هم في صفِّ الرشيد ، فقال له : ماذا ترى فيما أريد من خلع هارون وتوليةِ ابني جعفر ؟ فقال له يحيى بن خالد : إنِّي أخشى أن تَهُونَ الأيمانُ على الناس ، ولكنَّ المصلحةَ تقتضي أنْ تجعلَ جعفراً وليَّ العهد من بعدِ هارون ، وأيضاً فإنِّي أخشَى أنْ لا يُجيب أكثرُ الناسِ إلى البيعةِ لجعفر لأنه دون البلوغ ، فيتفاقَمُ الأمرُ ويختلفُ الناس ، فأطرَقَ ملياً ، وكان ذلك ليلاً ، ثم أمر بسَجْنِه ، ثم أطلقَه ، وجاء يوماً إليه أخوهُ هارون الرشيد ، فجلس عن يمينه بعيداً ، فجعل الهادي ينظرُ إليه ملياً ثم قال : يا هارون ، تطمعُ أنْ تكونَ ولياً للعَهْد حقّاً ؟ فقال :

إي والله ، ولئن كان ذلك لأَصِلَنَّ منْ قطَعْت ، ولأُنصِفَنَّ منْ ظلمت ، ولأزوِّجَنَّ بَنيكَ من بناتي . فقال : ذاك الظنُّ بك . فقام إليه هارون يُقبِّلُ يدَه ، فحلَفَ الهادي ليجلسنَّ معه على السرير ، فجلس معه ، ثم أمر له بألف ألف دينار ، وأنْ يدخُلَ الخزائنَ فيأخذ منها ما أراد ؛ وإذا جاء الخراجُ دَفَعَ إليه نصفَه ، ففُعل ذلك كلُّه ، ورضي الهادي عن الرشيد .

ثم سافر الهادي إلى حديثةِ الموصل بعد الصُّلح ، ثم عاد منها ، فمات بعِيساباذَ[1] ليلةَ الجمعة للنصف من ربيع الأول ؛ وقيل آخر سنةِ سبعين ومئة ، وله من العمر ثلاثٌ وعشرون سنة ، وكانت خلافتُه ستةَ أشهر وثلاثة وعشرينَ يوماً ، وكان طويلاً جميلاً أبيض ، بشفته العليا تقلُّص .

وقد تُوفِّي في هذه الليلة خليفة ، وهو الهادي ، ووُلِّيَ خليفةٌ وهو الرشيد ، ووُلد خليفةٌ وهو المأمون بنُ الرشيد ، وقد قالتِ الخيزُرَانُ أمُّهما في أولِ الليل : إنه بلغني أنْ يولَدَ خليفة ، ويموتَ خليفة ، ويُولّى خليفة . يقال إنَّها سمعتْ ذلك من الأوزاعي قبلَ ذلك بمدَّة ؛ وقد سرَّها ذلك جداً . ويقال : إنها سمَّتْ ولدَها الهادي خوفاً منها على ابنِها الرشيد ، ولأنه كان قد أبعَدها وأقصاها ، وقرَّبَ حَظيَّتَه خالصةَ وأدناها ، فالله أعلم .

وهذا ذكرُ شيءٍ من ترجمةِ الهادي[2]

هو موسى بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أبو محمد الهادي ، وَليَ الخلافةَ في مُحَرَّم سنة تسعٍ وستين ومئة ، ومات في النصف من ربيع الأول أو الآخر سنةَ سبعين ومئة ، وله من العمر ثلاثٌ ـ وقيل أربعٌ ، وقيل ستٌّ ـ وعشرون سنة ، والصحيح الأول ، ويقال إنه لم يَلِ الخلافةَ أحدٌ قبلَهُ في سنِّه ، وكان حسناً جميلاً أبيض ، وكان طويلاً ، وكان قويَّ البأس ، يَثِبُ على الدابّةِ وعليه دِرْعان ، وكان أبوه يُسمِّيه ريحانتي .

وذكر عيسى بن دأب قال : كنتُ يوماً عند الهادي إذْ جيء بطَسْتٍ فيه رأسُ جاريتين قد ذُبحا وقُطعا ، لم أرَ أحسنَ صوراً منهما ، ولا مثلَ شعورهما ، وفي شعورهما اللآلىء والجواهر منضَّدة ولا رأيت مثل طيبِ ريحِهما ، فقال لنا الخليفة : أتدرونَ ما شأنُ هاتَيْن ؟ قلت : لا ، فقال : إنه ذُكر أنه تركبُ إحداهما الأخرى يفعلانِ الفاحشة ، فأمرتُ الخادمَ فرصدَهما ، ثم جاءني فقال : إنهما مجتمعتان فجئتُ فوجدتُهما

---

(١) « عيساباذ » : محلة كانت بشرقي بغداد ، ومعنى باذ العمارة فكأن معناه عمارة عيسى ويُسمُّون العامر أباذان ، وهي منسوبة إلى عيسى بن المهدي وأمه وأم الرشيد والهادي الخيزران هو أخوهما . معجم البلدان (٤/ ١٧٢) .

(٢) ترجمته في تاريخ خليفة بن خياط ص(٤٤٥) ، تاريخ الطبري (٤/ ٦٠٤) ، تاريخ بغداد للخطيب (١٣/ ٢١) ، تاريخ اليعقوبي (٢/ ٤٠٤) ، المنتظم (٨/ ٣٠٥) ، العبر (١/ ٢٥٧) ، سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٤١) ، شذرات الذهب (١/ ٢٧١) .

في لحافٍ واحد ، وهما على الفاحشة ، فأمرتُ بجزِّ رقابِهما . ثم أمر برفع رؤوسِهما من بين يديه ، ورجعَ إلى حديثِه الأول كأنه لم يصنَعْ شيئاً . وكان شهماً خبيراً بالمُلك ، كريماً . ومن كلامه : ما أُصلحَ الملكُ بمثل تعجيلِ العُقوبة للجاني ، والعفو عن الزلّات ، ليقلَّ الطمعُ عن الملك .

وغضِبَ يوماً من رجل ، فاسترْضَى عنه ، فرَضِي ، فشرَعَ الرجلُ يعتذِر ، فقال الهادي : إنَّ الرِّضا كفاكَ مؤنة الاعتذار .

وعزَّى رجلاً في ولدِه فقال له : أسرَّك وهو عدوٌّ وفتنة ، وأحزَنَكَ وهو صلاةٌ ورحمة ؟ .

وروى الزُّبير بن بكَّار أنَّ مروان بن أبي حَفْصَة أنشدَ الهادي قصيدةً له منها قوله :

تشـابَـهَ يـومـا بـأسُـه ونـوالُـه فمـا أحـدٌ يَـدْري لأيُّهمـا الفضـلُ

فقال له الهادي : أيُّما أحبُّ إليك ؟ ثلاثون ألفاً معجَّلة ؟ أو مئةُ ألفٍ تدورُ في الدواوين ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، أوَ أحسنُ من ذلك ؟ قال : ما هو ؟ قال : ثلاثون ألفاً معجَّلة ، ومئةُ ألفٍ تدورُ بالدواوين . فقال : أو أحسنُ من ذلك ؟ نعجِّل الجميع لك . فأمَرَ له بمئةِ ألفٍ وثلاثين ألفاً معجَّلة .

قال الخطيب البغدادي[1] : حدّثني الأزهري حدّثنا سهل بن أحمد الديباجي حدّثنا الصولي حدّثنا [ابنُ] الغلابي ، حدّثني محمد بن عبد الرحمن التيمي المكي ، حدّثني المطلب بن عُكاشة المُزني ، قال : قدمنا على أبي محمد الهادي شهوداً على رجلٍ منّا أنه شتَمَ قريشاً وتخطّى إلى ذكرِ رسولِ الله ﷺ ، فجلس لنا مجلساً أحضَرَ فيه فقهاءَ أهلِ زمانِه ، ومنْ كان بالحضرةِ على بابه ، وأُحضر الرجلُ ، وأحضرنا فشَهِدنا عليه بما سمعنا منه ، فتغيَّرَ وجهُ الهادي ، ثم نكس رأسه ، ثم رفعه ، ثم قال : إني سمعتُ أبي المهدي يحدِّثُ عن أبيه المنصور عن أبيه محمد ، عن أبيه عليِّ بن عبدِ الله بن عباس قال : منْ أهانَ قريشاً أهانَهُ الله . وأنتَ يا عدوَّ الله ، لم ترضَ بأنْ أردتَ ذلك من قريش ، حتى تخطَّيتَ إلى ذكرِ رسولِ الله ﷺ ! اضربوا عنُقَه . فما بَرِحْنَا حتى قُتل .

تُوفِّي الهادي في ربيع الأول من هذه السنة ، وصلَّى عليه أخوهُ هارون ، ودُفن في قصرٍ بناهُ وسمَّاه الأبيض بعيساباذ من الجانب الشرقيِّ من بغداد . وكان له من الوَلَد تسعة ، سبعةٌ ذُكور وابنتان ، فالذكور : جعفر ، وعباس ، وعبدُ الله ، وإسحاق ، وإسماعيل ، وسليمان ، وموسى الأعمى ، الذي ولد بعد وفاته ، فسُمِّيَ باسمِ أبيه . والبنتان هما : أمُّ عيسى التي تزوَّجها المأمون ، وأمُّ العباس تُلقَّب تَوْبَة .

---

(١) في تاريخ بغداد (١٣/ ٢٢ ، ٢٣) ، وما يأتي بين معقوفين منه .

خلافة هارون الرشيد بن المهدي

بويع له بالخلافة ليلةَ مات أخوه ، وذلك ليلةَ الجمعة ، للنصف الأول من ربيع الأول ، سنة سبعين ومئة ، وكان عمرُ الرَّشيد يومئذٍ ثنتين وعشرين سنة ، فبعث إلى يحيى بن خالد بن بَرْمك ، فأخرجه من السِّجن ، وقد كان الهادي عزَمَ تلك الليلةَ على قتلِه ، وقتلِ هارونَ الرشيد ؛ وكان الرشيدُ ابنهُ من الرَّضاعة ، فولَّاهُ حينئذٍ الوزارة ، وولَّى يوسف بن القاسم بن صبيح كتابةَ الإنشاء ، وكان هو الذي قام خطيباً بين يديه حتى أُخذتِ البيعةُ له على المنبر بعيساباذ . ويُقال إنه لمَّا مات الهادي في الليل جاء يحيى بنُ خالد بن بَرْمَك إلى الرشيد ، فوجده نائماً ، فقال : قُمْ يا أميرَ المؤمنين . فقال له الرشيد : كم تُرَوِّعُني ، ولو سمعَكَ هذا الرجلُ بهذا الكلام ! لكان ذلك أكبَرَ ذنوبي عندَه . فقال : قد ماتَ الرجل . فجلس هارونُ فقال : أشِرْ عليَّ في الولايات . فجعل يذكرُ الأقاليمَ لرجالٍ يُسمِّيهم ، فيولِّيهم الرشيد ، فبينما هما كذلك إذْ جاء آخرُ فقال : أبشرْ يا أميرَ المؤمنين ، فقد وُلد لك الساعةَ غلام . فقال : هو عبدُ الله ، وهو المأمون . ثم أصبح فصلَّى على أخيه الهادي ، ودفنه بعيساباذ ، وحلَفَ لا يُصلِّي الظهرَ إلَّا ببغداد . فلما فرغ من الجنازة أمرَ بضَرْبِ عُنق أبي عصمةَ القائد ؛ لأنه كان مع جعفر بن الهادي ، فزاحموا الرشيدَ على جِسْر ، فقال أبو عصمة : اصبرْ وقِفْ حتى يجوزَ وَليُّ العهد . فقال الرشيد : السمعُ والطاعةُ للأمير . فجاز جعفر وأبو عصمة ، ووقف الرشيدُ مكسوراً ذليلاً . فلمَّا وُلِّي أمرَ بضرب عُنق أبي عصمة . ثم سار إلى بغداد ، فلما انتهى إلى جسرِ بغداد استدعى بالغوَّاصين فقال : إني سقطَ مني ههنا خاتمٌ كان والدي المهدي قد اشتراهُ لي بمئةِ ألف ، فلما كان من أيام بعث إلى الهادي يطلبُه فألقيته إلى الرسول فسقط ههنا ، فغاص الغوَّاصون وراءه فوجدوه ، فسُرَّ به الرشيد سروراً كثيراً . ولما ولَّى الرشيد يحيى بن خالدٍ الوزارةَ قال له : قد وضعتُ إليك أمرَ الرعيَّة ، وخلَعْتُ ذلك من عُنقي وجعلتُهُ في عُنقك ، فوَلِّ منْ رأيتَ واعزِلْ منْ رأيت . ففي ذلك يقول إبراهيم بن الموصلي :

ألم تر أنَّ الشمسَ كانتْ سقيمةً ... فلمَّا وَلي هارونُ أشرَقَ نورُها

بيُمْنِ أمين الله هارونَ ذي النَّدَى ... فهارونُ واليها ويحيى وزيرُها

ثم إنَّ هارونَ أمر يحيى بن خالد أنْ لا يقطعَ أمراً إلَّا بمشاورة والدتِه الخَيْزُران ، فكانتْ هي المشاوَرَةَ في الأمورِ كلِّها ، فتُبْرمُ وتحُلّ ، وتُمضي وتَحكم .

وفيها أمَرَ الرشيدُ بسهم ذوي القُرْبَى أن يُقسم بين بني هاشمٍ على السَّوَاء . وفيها تتبَّع الرشيدُ خلقاً من الزنادقة ، فقتل منهم طائفةً كثيرة . وفيها خرج عليه بعضُ أهلِ البيت . وفيها وُلد الأمينُ محمدٌ بن الرشيد ابن زُبيدة ، وذلك يوم الجمعة لستٍّ خلَتْ من شوال من هذه السنة . وفيها كَمَلَ بناءُ مدينةِ طَرَسُوس على يدَيْ فرجِ الخادمِ التركي ، ونزلها الناس . وفيها حجَّ بالناس أميرُ المؤمنين الرشيد ، وأعطى

أهلَ الحرمَيْن أموالاً كثيرة ، ويُقال إنه غزَا في هذه السنةِ أيضاً ؛ وفي ذلك يقولُ داود بن رَزين الشاعر :

بهارونَ لاح النورُ في كلِّ بلدةٍ وقام به في عَدْلِ سيرتِهِ النَّهْجُ
إمامٌ بذاتِ الله أصبح شغلُهُ وأكثرُ ما يُعْنى به الغَزْوُ والحجُّ
تَضيقُ عيونُ الناسِ عن نورِ وجهِهِ إذا ما بدا للناس منظَرُهُ البَلْجُ[1]
وإنَّ أمينَ الله هارونَ ذا النَّدَى يُنيلُ الذي يرجوهُ أضعافَ ما يَرْجو

وغزا الصائفة فيها سليمانُ بن عبد الله البكائي .

ذكر من توفي فيها من الأعيان :

الخليلُ بنُ أحمد بن عمرو بن تميم[2] أبو عبد الرحمن الفَرَاهيدي : ويقال الفَرْهودي الأزْدي اليحْمدي ، شيخُ النحاة ، وعنه أخذَ سِيبَوَيْه ، والنَّضْرُ بن شُمَيل ، وغيرُ واحدٍ من أكابرِهم ، وهو الذي اخترع علم العَرُوض ، قسمَهُ إلى خمسِ دوائر ، وفرَّعَهُ إلى خمسةَ عشرَ بحراً ؛ وزاد الأخفشُ فيه بحراً آخرَ وهو الخَبَب . وقد قال بعضُ الشعراء :

قد كان شعرُ الورَى صحيحاً من قبلِ أنْ يُخلَقَ الخليلُ

وقد كان له معرفةٌ بعلْمِ النغَم ، وله فيه تصنيفٌ أيضاً ؛ وله كتابُ العين في اللُّغة ، ابتدأه وأكمَلَهُ النَّضْرُ بن شُمَيل وأضرابُهُ من أصحابِ الخليل ، كمُؤرِّج السَّدُوسِيّ ، ونصر بن علي الجَهْضمي ، فلم يناسبوا ما وضَعَهُ الخليل ، وقد وضع ابنُ دَرَسْتُويه كتاباً وصَفَ فيه ما وقع لهم من الخلل فأفاد . وقد كان الخليلُ رجلاً صالحاً عاقلاً وقوراً كاملاً ، وكان متقلِّلاً من الدنيا جدّاً ، صبوراً على خشونةِ العَيش وضِيقه ، وكان يقول : لا يجاوزُ همِّي ما وراءَ بابي ، وكان ظريفاً حسنَ الخُلق . وذكر أنه اشتغل رجلٌ عليه في العَرُوض ، وكان بعيدَ الذِّهْنِ فيه ؛ قال : فقلتُ له يوماً : كيف تُقطِّعُ هذا البيت :

إذا لم تستطعْ شيئاً فدَعْهُ وجاوِزْهُ إلى ما تستطيعُ

فشرَعَ معي في تقطيعِه على قَدْرِ معرفتِه ، ثم إنه نَهَضَ من عندي فلم يَعُدْ إليّ ، وكأنَّهُ فَهِمَ ما أشرتُ إليه .

ويُقال : إنه لم يُسمَّ أحدٌ بعد النبيِّ ﷺ بأحمدَ سوى أبيه . ورَوَى عن أحمد بن أبي خيثمة ـ والله أعلم ـ وُلِدَ الخليل سنةَ مئة من الهجرة . ومات بالبصرة سنةَ سبعين ومئة على المشهور ، وقيل سنة ستين .

---

(١) « رجلٌ بَلْجٌ » : طَلْقُ الوجه . القاموس (بلج) .

(٢) ترجمته في المقتنى في سرد الكنى (١/ ٣٦٩) ، الثقات لابن حبان (٨/ ٢٢٩) ، الفهرست ص(٦٣) ، مشتبه أسماء المحدثين ص(١٠٨) ، الكامل في التاريخ (٥/ ٢٣٧) ، وفيات الأعيان (٢/ ٢٤٤) ، تهذيب الكمال (٨/ ٣٢٦) ، العبر (١/ ٢٦٨) ، سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٢٩) ، النجوم الزاهرة (٢/ ٤٦) ، تقريب التهذيب (١٩٥) ، تهذيب التهذيب (٣/ ١٤١) ، شذرات الذهب (١/ ٢٧٥) .

وزعم ابنُ الجَوْزي في كتابه « شذور العقود » أنه توفي سنة ثلاثين ومئة . وهذا غريبٌ جداً والمشهور الأول . والله أعلم .

وفيها توفي :

الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي مولاهم المصري المؤدِّب ؛ راوية الشافعي ، وآخِرُ مَنْ رَوَى عنه ؛ وكان رجلاً صالحاً ، تفرَّس فيه الشافعي ، وفي البُوَيْطي والْمُزَني وابنِ عبدِ الحكم العِلْم ، فوافَقَ ذلك ما وقَعَ في نفس الأمر . رحمه الله . ومن شعر الربيع هذا :

صبراً جميلاً ما أسرعَ الفَرَجا مَنْ صدَّقَ اللهَ في الأمورِ نَجَا
مَـن خَشـيَ الله لـم ينَلْـهُ أذًى ومَنْ رجَا الله كان حيثُ رَجَا

فأمَّا الربيع بن سليمان بن داود الجِيزي فإنه روى عن الشافعي أيضاً ، وقد مات في سنةِ ستٍّ وخمسين ومئتين . والله أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين ومئة

فيها أضاف الرشيدُ الخاتم إلى يحيى بن خالد مع الوزارة . وفيها قتل الرشيدُ أبا هريرة محمد بن فرُّوخ نائبَ الجزيرة صبراً في قصر الخُلد بين يديه . وفيها خرج الفضلُ بن سعيد الحَرُوْريّ فقُتل . وفيها قدم رَوْحُ بنُ حاتم نائبُ إفريقيَة . وفيها خرجَتْ أم أمير المؤمنين الخَيْزُران إلى مكة ، فأقامَتْ بها إلى أنْ شَهِدَتِ الحجّ . وكان الذي حجَّ بالناس فيها عبدُ الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس عمُّ الخلفاء . رحمه الله وأكرمه وتقبَّل منه .

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين ومئة

فيها وضع الرشيدُ عن أهلِ العراق العُشْرَ الذي كان يؤخذ منهم بعدَ النصف . وفيها خرج الرشيدُ من بغداد يَرْتادُ له مَوْضعاً يسكنه غيرَ بغداد ، فتشوَّش فرجع . وفيها حج بالناس يعقوبُ بن أبي جعفر المنصور عمُّ الرشيد . وفيها غَزَا الصائفةَ إسحاقُ بن سليمان بن علي .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومئة

فيها توفي بالبصرة محمد بن سليمان ، فأمر الرشيدُ بالاحتياط على حواصله التي تصلح للخلفاء ، فوجدوا من ذلك شيئاً كثيراً جدّاً ، فقبضوه من الذهب والفضة والأمتعةِ التي يُستعان بها على الحرب ،

وعلى مصالح المسلمين من العُدَد والبرك وغير ذلك ؛ وهو محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، وأمُّه أمُّ حسن بنت جعفر بن حسن بن حسن بن علي ، وكان من رجالاتِ قريشٍ وشُجعانهم . جمع له المنصورُ بين البصرةِ والكوفة ، وزوَّجه المهديُّ ابنتهُ العبَّاسة . وكان له من الأموال شيءٌ كثير ؛ كان دخلُهُ في كلِّ يومٍ مئةَ ألف ، وكان له خاتمٌ من ياقوتٍ أحمر ، لم يُرَ مثلُه .

وروى الحديث عن أبيه عن جدِّه الأكبر وهو ابنُ عباس ، وهو حديث مرفوع في مَسْحِ رأسِ اليتيم إلى مقدَّم رأسِه ، ومَسْح رأسِ منْ له أبٌ إلى مؤخَّرِ رأسِه[١] . وقد وَفَد على الرشيد فهنَّأه بالخِلافة ، فأكرمه وعظَّمَه ، وزاده في عمَلِهِ شيئاً كثيراً . ولما أراد الخروجَ خرجَ معه الرشيدُ يُشيِّعُهُ إلى كَلْوَاذى[٢] . توفي في جُمادَى الآخرة من هذه السنة عن إحدى وخمسين سنة ، وقد أرسل الرشيد منِ اصطفى من ماله الصامت ، فوجد له من الذهب ثلاثة آلاف ألف دينار ، ومن الدراهم ستة آلاف ألف خارجاً عن الأملاك .

وقد ذكر ابنُ جرير أن وفاته ووفاة الخَيْزُران في يومٍ واحد[٣] .

وقد وقفَتْ جاريةٌ من جواريه على قبرِه فأنشأت تقول :

أمسى الترابُ لِمَنْ هَويتُ مَبِيتا ... الـقَ التـرابَ فقـلْ لـه حُيِّيتـا

إنَّـا نُحبُّـكَ يـا تـرابُ ومـا بنـا ... إلَّا كـرامـةُ مـنْ عليـه حُثِيتـا

وفيها توفيت الخيزُران جاريةُ المهدي ، وأمُّ أميرِ المؤمنين الهادي والرشيد ، اشتراها المهديُّ وحَظِيَتْ عندَهُ جداً ثم أعتقَها وتزوَّجها ، ولدَتْ له خليفتَيْن : موسى الهادي ، والرشيد ، ولم يتفق هذا لغيرِها من النساء إلَّا لولَّادة بنت العباس العبسيَّة ، زوجةِ عبدِ الملك بن مروان ، وهي أمُّ الوليد وسليمان ، وكذلك لشاه فرنْد بنت فَيْروز بن يَزْدَجِرْد ، ولدَتْ لِمولاها الوليد بن عبد الملك : مروانَ وإبراهيم ، وكلاهما وَلي الخلافة . وقد رُوي من طريق الخيزُرَان عن مولاها المهدي ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن ابن عباس ، عن النبيِّ ﷺ قال : « مَنِ اتقى الله وقاهُ كلَّ شيء »[٤] . ولما عُرضَتِ الخيزُران

---

(١) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٤/ ٢٩٢) في ترجمة صالح الناجي ، والخطيب في تاريخ بغداد (٥/ ٢٩١) في ترجمة محمد بن سليمان ، وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (٦/ ١٧٦) في ترجمته أيضاً وقال : هذا موضوع وتابعه ابن حجر في لسان الميزان (٥/ ١٨٨) في ترجمته أيضاً .

(٢) « كلواذى » : آخره ألف تكتب ياء مقصورة ، وهو طَسُّوج قُرب مدينة السلام بغداد ، وناحيةُ الجانب الشرقي من بغداد من جانبها ، وناحية الجانب الغربي من نهر بوق ، وهي الآن خراب ، أثرها باق بينها وبين بغداد فرسخٌ واحد للمنحدر ، وقد ذكرها الشعراء ولهج كثيراً بذكرها الخلعاء ، يقال : إنها سُمِّيت بكلواذى بن طهمورث الملك . ويقال : إن الكلواذ تابوت توراة موسى عليه السلام . انظر معجم البلدان (٤/ ٤٧٧ ، ٤٧٨) .

(٣) انظر تاريخ الطبري (٤/ ٦٢٣) .

(٤) رواه الخطيب البغدادي في تاريخه (١٤/ ٤٣٠ ـ ٤٣١) قال الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام : لا يثبت .

على المهدي ليشتريَها أعجبَتْه إلّا دقةٌ في ساقَيْها ، فقال لها : يا جارية إنكِ لعلى غايةِ الْمُنَى والجمال لولا حُمُوشَةٌ في ساقَيْكِ[١] . فقالت : يا أميرَ المؤمنين إنك أحوَجُ ما تكونُ إليهما لا تراهما . فاستحسَنَ جوابَها واشتراها ، وحَظِيَتْ عندَهُ جداً . وقد حَجَّتِ الخَيْزُران مرَّةً في حياةِ المهدي ، فكتب إليها وهي بمكَّة يستوحشُ لها ويتشوَّقُ إليها بهذا الشِّعْر :

نحن في غايةِ السرورِ ولكنْ ... ليس إلَّا بكُمْ يتمُّ السرورُ
عَيْبُ ما نحن فيه يا أهلَ وُدِّي ... أنَّكم غُيَّبٌ ونحنُ حُضُورُ
فأجِدُّوا في السَّيرِ بل إنْ قَدَرْتُمْ ... أنْ تطيروا مع الرياحِ فَطيروا

فأجابَتْهُ أو أمرَتْ منْ أجابَهُ :

قد أتانا الذي وصفتَ من الشَّوْ ... قِ فَكِدْنا وما فعلنا نطيرُ[٢]
ليت أنَّ الرياحَ كُنَّ يؤدِّيـ ... ـنَ إليكمْ ما قَدْ يُكِنُّ[٣] الضميرُ
لم أزَلْ صبَّةً فإنْ كنتَ بعدي ... في سرورٍ فدامَ ذاك السرورُ

وذكر أنه أهدَى إليها محمد بن سليمان نائبُ البصرة الذي مات في اليوم الذي ماتَتْ فيه مئة وَصِيفة ، مع كلِّ وَصيفة[٤] جامٌ من فِضَّة مملوءٌ مسكاً . فكتبَتْ إليه : إنْ كان ما بعثتَهُ ثمناً عن ظَنِّنا فيك فظنُّنا فيك أكثرُ مما بعثت ، وقد بَخَسْتَنا في الثمن ؛ وإنْ كنتَ تُريد به زيادةَ المودَّة فقد اتَّهمتَني في المودَّة . وردَّتْ ذلك عليه . وقد اشترتِ الدارَ المشهورةَ بها بمكة ، المعروفة بدار الخَيْزُران ، فزادَتْها في المسجدِ الحرام . وكان مَغَلُّ ضياعِها في كلِّ سنةٍ ألفَ ألفٍ وستين ألفاً . واتَّفَقَ موتُها ببغدادَ ليلةَ الجمعة لثلاثٍ بقينَ من جُمادَى الآخرة من هذه السنة . وخرج ابنُها الرَّشيد في جنازتِها وهو حاملٌ سريرَها يخبُّ في الطِّين فلما انتهى إلى الْمَقْبُرَة أُتيَ بماءٍ ، فغسل رجلَيْه ، ولبس خُفّاً وصلَّى عليها ، ونزلَ لحْدَها ، فلما خرج من القبر أُتيَ بسريرٍ فجلس عليه ، واستدعى بالفَضْلِ بنِ الرَّبيع ، فولَّاهُ الخاتم والنفقات . وأنشد الرشيدُ قولَ ابنِ نُوَيْرة حين دفَنَ أمَّهُ الخيزُران :

وكنَّا كندمانَيْ جَذِيمَةَ بُرْهَةً ... من الدهرِ حتى قيل لنْ يتصدَّعا
فلما تفرَّقْنا كأني ومالكاً ... لطولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معا[٥]

---

(١) في (ق) : « لولا دقة ساقيك وخموشهما » . وهو تصحيف . والمثبت من (ب ، ح) ، والحموشة : الدِّقَّةُ .
(٢) في (ق) : « فكدنا وما قدرنا نطير » . والمثبت من (ب ، ح) .
(٣) في (ب ، ح) : « يجنُّ الضمير » .
(٤) في (ب ، ح) : « مئة وصيف مع كل وصيف » . والمثبت من (ق) .
(٥) الشعر لمتمّم بن نويرة يرثي أخاه مالكاً كما في الأغاني (١٥/ ٢٨٨ ، و٢٩٨ ، ٢٩٩) .

وفيها تُوفيتْ :

غادر[١] : جاريةٌ كانت لموسى الهادي ، كان يُحبُّها حبّاً شديداً جدّاً ، وكانت تُحسنُ الغناء جدّاً ، فبينما هي يوماً تُغنِّيه إذْ أخذَتْهُ فكرةٌ غيَّبَتْهُ عنها ، وتغيَّرَ لونُه ، فسأله بعضُ الحاضرين : ما هذا يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال : أخذَتْني فكرةٌ أني أموت ، وأخي هارونُ يتولَّى الخلافةَ بعدي ، ويتزوَّج جاريتي هذه . ففدَاهُ الحاضرون ودَعَوْا له بطول العُمر . ثم استدعى أخاه هارون ، فأخبَرَهُ بما وقع ، فعَوَّذَهُ الرشيدُ من ذلك ، فاستحلفه الهادي بالأيمان المغلَّظة من الطلاق والعَتَاق والحَجِّ ماشياً حافياً أنْ لا يتزوَّجَها ، فحلف له واستحلف الجاريةَ كذلك ، فحلفَتْ له ؛ فلم يكنْ إلَّا أقلَّ من شهرَيْن حتى مات . ثم خطبَها الرشيد ، فقالت : كيف بالأيمان التي حلفناها أنا وأنت ؟! فقال : إنِّي أكَفِّرُ عنِّي وعنك . فتزوَّجها وحَظِيَتْ عندَهُ جدّاً ، حتى كانتْ تنامُ في حَجْرِهِ فلا يتحرَّكُ خشيةَ أنْ يُزْعجها ؛ فبينما هي ذات ليلة نائمة ببغداد ، إذِ انتبهَتْ مَذْعُورةً تبكي ، فقال لها : ما شأنُك ؟ فقالت يا أميرَ المؤمنين ؟ رأيتُ الهادي في منامي هذا وهو يقول :

أخْلَفْــتِ عَهْـدي بعــدمــا	جــاوَرْتُ سُكَّــانَ المقــابــرْ
ونَسيتِنِــــي وحَنثْــتِ فـــي	أيمــانِـكِ الكَـذِبِ الفَـوَاجِـرْ
ونَكَحْـــتِ غـــادرةً أخـــي	صَـدَق الـذي سمَّـاكِ غــادرْ
أمسَيْــتُ فــي أهــلِ البِلَــى	وعُدِدْتُ في الموتى الغَوَابِرْ
لا يَهْنــكِ الإلْــفُ الجَـدِيــ	ــدُ ولا تَـدُرْ عنـكِ الـدوائـرْ
ولَحِقْــتِ بــي قبــلَ الصَّبَــا	حِ وصِرْتِ حيثُ غدوْتُ صائرْ

فقال الرشيد : إنما هذا أضغاثُ أحلام . فقالتْ كلاً واللهِ يا أميرَ المؤمنين ، فكأنما كُتِبَتْ هذه الأبيات في قلبي . ثم ما زالَتْ تَرْتَعدُ وتضطربُ حتى ماتتْ قبلَ الصباح .

وفيها ماتَتْ :

هَيْلانَةُ[٢] : جاريةُ الرشيد وهو الذي سمَّاها هَيْلانة لكثرةِ قولِها : هي لانه . قال الأصمعي : وكان لها مُحبّاً ، وكانت قبله لخالدِ بن يحيى بن بَرْمَك ، فدَخَلَ الرشيدُ يوماً مَنْزِلَهُ قبلَ الخلافة ، فاعترضَتْهُ في طريقِهِ وقالتْ : أما لنا منك نصيب ؟ فقال : وكيف السبيلُ إلى ذلك ؟ فقالت : استَوْهبني من هذا الشيخ .

---

(١) ترجمتها في المنتظم (٨/ ٣٤٩) .

(٢) ينظر في ترجمتها تاريخ بغداد (١/ ٩٦) وما بعدها ، والمنتظم لابن الجوزي (٨/ ٣٥٢) ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص(٢٩٥) .

فاستوهَبَها من يحيى بن خالد ، فوَهَبها له ، وحَظِيتْ عندَه ؛ ومكثتْ عنده ثلاث سنين ، ثم تُوفيت . فحَزِنَ عليها حُزناً شديداً ، ورثاها ، وكان من قوله فيها :

قـد قلـتُ لمَّـا ضَمَّنـوكِ الثَّـرَى ... وجـالـتِ الحَسْـرَةُ فـي صَـدري
اذْهَـبْ فـلاقِ الله لا سَـرَّنـي ... بَعْـدَكِ شـيءٌ آخـرَ الـدَّهْـرِ[1]

وقال العباس بنُ الأحنف في موتِها :

يـا مـن تبـاشـرتِ القبورُ بمَـوتهـا ... قَصَـدَ الـزمـانُ مسـاءتـي فـرَمَـاكِ
أبغي الأنيسَ فما أرى لي مؤنساً ... إلَّا التـردُّدَ حيـثُ كنـتُ أراكِ
مَلِـكٌ بكـاكِ فطـالَ بعـدَكِ حُـزْنُـهُ ... لـو يستطيـعُ بِمُلْكِـهِ لَفَـدَاكِ
يَحْمـي الفـؤادَ عـن النسـاءِ حَفِيظـةً ... كـي لا يَحِلَّ حِمَى الفؤادِ سواكِ[2]

قال : فأمر له الرشيدُ بأربعين ألفاً ، لكلِّ بيتٍ عشرةُ آلاف . فالله أعلم .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومئة من الهجرة النبوية

فيها وقعَتْ عصبيَّةٌ بالشام وتَخبيطٌ من أهلِها . وفيها استقضى الرشيدُ يوسُفَ بنَ أبي يوسف وأبوهُ حيّ . وفيها غزا الصائفة عبدُ الملك بن صالح ، فدخل بلادَ الروم . وفيها حجَّ بالناس الرشيدُ ، فلما اقترب من مكة بلَغَهُ أنَّ فيها وباءً فلم يدخلْ مكة حتى كان وقتُ الوقوف ؛ فوقف ، ثم جاء الْمُزْدَلِفَةَ ثم مِنَى ، ثم دخل مكة ، فطافَ وسَعَى ، ثم ارْتَحَلَ ولم يَنْزِلْ بها .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومئة

فيها أخذ الرشيدُ بولايةِ العهدِ من بعدِهِ لوَلَدِهِ محمد بن زُبَيْدَة ، وسَمَّاهُ الأمين ، وعمرُهُ إذْ ذاكَ خمسُ سنين ؛ فقال في ذلك سَلْمٌ الخاسر :

قــد وفَّــقَ الله الخليفــةَ إذْ بَنَــى ... بيـتَ الخـلافـةِ للهِجَـانِ الأزْهَـرِ
فهــو الخليفــةُ عــن أبيــه وجَــدِّهِ ... شَهِــدَا عليــه بمَنْظَــرٍ وبمَخْبَــرِ
قـد بـايـعَ الثقـلانِ فـي مَهْـدِ الهُـدَى ... لمحمـدِ بـنِ زُبَيْـدَةَ ابنـةِ جَعْفـرِ[3]

---

(١) البيتان في تاريخ بغداد (١/ ٩٨) ، والمنتظم (٨/ ٣٥٢) .
(٢) الأبيات في تاريخ بغداد (١/ ٩٨) والمنتظم (٨/ ٣٥٢ ، ٣٥٣) . وقد سقط من (ق) البيتان الثالث والرابع ، وهما في (ح) .
(٣) الأبيات في تاريخ الخلفاء ص(٢٩١) وفيه : « قد بايع الثقلان مهديَّ الهدى » .

وقد كان الرشيدُ يتوسَّمُ النجابةَ والرَّجَاحة في عبدِ الله المأمون ويقول : والله فيه حَزْمُ المنصور ، ونُسك المَهْديّ ، وعِزَّةُ نفسِ الهادي ، ولو شئتُ أنْ أقولَ الرابعةَ مني لقلت ، وإنِّي لأقَدِّمُ محمدَ بن زُبيدة ، وإني لأعلمُ أنه مُتَّبعٌ هواه ، ولكنْ لا أستطيعُ غيرَ ذلك ثم أنشأ يقول :

لقد بانَ وَجْهُ الرأي لي غيرَ أنني غُلبتُ على الأمرِ الذي كان أحزَمَا

وكيف يُرَدُّ الدَّرُّ في الضَّرْعِ بعدَمَا تَـوَزَّعَ حتـى صـار نَهْبـاً مُقسَّمَـا

أخـافُ التِـواءَ الأمـرِ بعـدَ اسْتِـوائِـهِ وأنْ يُنْقَض الأمرُ الذي كان أُبْرِمَا[١]

وغزا الصائفةَ عبدُ الملك بن صالح في قول الواقدي[٢] ؛ وحج بالناس الرشيد . وفيها سار يحيى بن عبد الله بن حسن إلى الدَّيْلَم ، وتحرَّك هناك .

وفيها تُوفي من الأعيان :

شَعْوانةُ العابدةُ الزاهدةُ[٣] : كانت أمَةً سوداء ، كثيرة العبادة ، رُوي عنها كلماتٌ حسان ، وقد سألها الفُضَيْلُ بن عياض الدعاءَ فقالت : أمَا بينَكَ وبينَهُ ما إنْ دعَوْتَهُ استجابَ لك ؟! فشهق الفُضيل ، ووقَعَ مَغْشيّاً عليه .

وفيها تُوفي :

اللَّيْثُ بن سعد بن عبد الرحمن الفَهميّ ، مولاهم[٤] : قال ابنُ خَلِّكان[٥] : كان مولى قيسِ بن

---

(١) الأبيات في المنتظم (٩/ ١٠) .

(٢) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير (٥/ ٢٨٨) .

(٣) انظر خبرها في حلية الأولياء (٨/ ١١٣) ، وتاريخ بغداد (٩/ ١١٢) . وترجمتها في صفة الصفوة (٤/ ٥٣) ، المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير (٥/ ٢٦٤) ، روض الرياحين (٢٥٧) (الحكاية (١٨٩) ، و(٥١٦) (الحكاية (٤٧٥) ، طبقات الشعراني (١/ ٦٧) ، الكواكب الدرية (١/ ٣٢٧) ، الدر المنثور (٢٥٦) .

(٤) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٥١٧) ، طبقات خليفة (٢٩٦) ، تاريخ خليفة (٤٤٩) ، التاريخ الكبير (٧/ ٢٤٦) ، التاريخ الصغير (٢/ ١٩١) ، المعارف (٥٠٥) ، الكنى والأسماء للدولابي (١٤٥) ، الجرح والتعديل (٧/ ١٧٩) ، مشاهير علماء الأمصار الترجمة (١٥٣٦) ، الحلية (٧/ ٣١٨) ، تاريخ بغداد (١٣/ ٣) ، طبقات الفقهاء (٧٨) ، صفة الصفوة (٤/ ٣٠٩) ، المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير (٤/ ٢٣٩) ، جامع الأصول له (١٥/ ١٤٨) ، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٧٣) ، وفيات الأعيان (٤/ ١٢٧) ، طبقات علماء الحديث الترجمة (١٩٤) ، مختصر تاريخ دمشق (٢١/ ٢٤٦) ، الأنساب (٩/ ٣٥٣) ، ميزان الاعتدال (٣/ ٤٢٣) ، العبر (١/ ٢٦٦) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ١٣٦) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٢٤) ، تهذيب التهذيب (٨/ ٤٥٩) ، تقريب التهذيب (٤٦٤) ، النجوم الزاهرة (٢/ ٨٢) ، الطبقات الصغرى للمناوي (٥٢٠) ، شذرات الذهب (٢/ ٣٣٩) ، جامع كرامات الأولياء (٢/ ٢٣٨) .

(٥) في وفيات الأعيان (٤/ ١٢٧) .

رفاعة ، وهو مولى عبدِ الرحمن بن مسافر الفَهْمي . كان الليثُ إمامَ الدِّيار المصرية بلا مُدَافَعَة ، وولد بِقَرْقَشَنْدَة من بلادِ مصر[١] ، سنةَ أربعٍ وتسعين . وكانت وفاتُه في شعبان من هذه السنة ، ونشأ بالديار المصرية . وقال ابنُ خلِّكان : أصلُهُ من قَلْقَلَشَنْدَة[٢] ، وضَبَطَهُ بقافين الثانية متحرِّكة . وحُكي عن بعضهم أنه كان جيِّدَ الذِّهْن[٣] ، وأنه وَلِي القضاءَ بمصر ، [فلم يحمَدوا ذهنهُ بعدَ ذلك][٤] .

ولد سنةَ أربعٍ وعشرين ومئة ، وذلك غريبٌ جدّاً . وذكروا أنه كان يدخلُه من مُلْكِه في كلِّ سنةٍ خمسةُ آلاف دينار . وقال آخرون : كان يدخُلُه من الغَلَّة في كلِّ سنة ثمانون ألفَ دينار ، وما وجبَتْ عليه زكاة . وكان إماماً في الفقه والحديث والعربية .

قال الشافعي : كان الليثُ أفقهَ من مالك ، إلَّا أنه ضيَّعهُ أصحابُه[٥] . وبعث إليه مالك يستهديه شيئاً من العصفر لأجلِ جهاز ابنتِه ، فبعث إليه بثلاثين حِملاً ، فاستعمل منه مالكٌ حاجتَه ، وباع منه بخمس مئة دينار ، وبقيَتْ عنده منه بقيَّة . وحجَّ مرةً فأهدى له مالكٌ طبقاً فيه رُطَب ، فردَّ الطبقَ وفيه ألفُ دينار . وكان يهبُ للرجلِ من أصحابِهِ من العلماء الألف دينار وما يُقاربُ ذلك ، وكان يخرج إلى الإسكندرية في البحر هو وأصحابه في مركب ومطبَخُهُ في مركب . ومناقبه كثيرةٌ جدّاً ، وقد ذكرناه في التكميل . وحكى ابنُ خَلِّكان أنه سمع قائلاً يقولُ يوم مات الليث :

ذهب اللَّيثُ فلا لَيْثَ لكم ومَضَى العلمُ غريباً وقُبِرْ

فالتفتوا فلم يرَوْا أحداً .

وفيها تُوفي :

المنذر بن عبد الله بن المنذر[٦] القُرَشي ، عَرَض عليه المهدي أنْ يليَ القضاء ، ويعطيَهُ من بيت المال مئة ألف درهم ؛ فقال : إني عاهدتُ الله أنْ لا أليَ شيئاً ، وأعيذُ أميرَ المؤمنين بالله أنْ أخيسَ بعَهْدي . فقال له المهدي : آللهِ ؟ قال : آللهِ . قال : انطلقْ ، فقد أعفَيْتُك .

---

(١) معجم البلدان (٤/ ٣٢٧) .

(٢) في (ح ، ق) : « قلقشندة » ، وكذا في وفيات الأعيان ، والمثبت من (ب) .

(٣) في (ب) : « حنفي المذهب » ، وفي (ح) « جيد المذهب » ، والمثبت من (ق) .

(٤) ما بين المعقوفين ليس في (ب ، ح) ، وهو من (ق) .

(٥) طبقات المحدثين بأصبهان (١/ ٤٠٦) ، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٨٢) .

(٦) ترجمته في الثقات لابن حبان البستي (٩/ ١٧٦) ، تاريخ بغداد (١٣/ ٢٤٤) ، تهذيب الكمال (٢٨/ ٥٠٣) ، تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل (٣١٧) ، تقريب التهذيب (٥٤٦) .

ثم دخلت سنة ست وسبعين ومئة

فيها كان ظهورُ يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ببلاد الدَّيْلَم ، واتَّبَعهُ خلقٌ كثير ، وجَمٌّ غفير ، وقَويتْ شوكتُه ، وارتَحَلَ إليه الناسُ من الكُوَرِ والأمصار ، فانزعجَ لذلك الرشيد ، وقَلِقَ من أمرِه ؛ فنَدَب إليه الفضلَ بن يحيى بن خالد بن بَرْمك في خمسين ألفاً ، وولَّاهُ كُوَرَ الجبلِ والرَّيِّ وجُرْجَانَ وطَبَرِسْتانَ وقُومس ، وغيرِ ذلك ، فسار الفضلُ بن يحيى إلى تلك الناحية في أُبَّهةٍ عظيمة ، وكُتُب الرشيدِ تَلْحقُه مع البُرُدِ في كلِّ مَنْزلة ، وأنواعُ التُّحَفِ والبِرّ . وكاتَبَ الرشيدُ صاحبَ الدَّيْلم ، ووعَدَهُ بألفِ ألفِ درهم إنْ هو سَهَّلَ خروجَ يحيى إليهم . وكتب الفضلُ إلى يحيى بن عبد الله يَعِدُه ويُمَنِّيه ، ويؤمِّلُه ويُرَجِّيه ، وأنه إنْ خرجَ إليه أنْ يُقيم له العُذْرَ عند الرشيد ؛ فامتنَعَ يحيى أن يخرجَ إليهم حتى يكتُبَ له الرشيدُ كتابَ أمانٍ بيدِه فكتبَ الفضلُ إلى الرشيد بذلك ، ففَرِحَ الرشيد ، ووقَعَ منه موقعاً عظيماً . وكتب الأمانَ بيدِه ، وأشهَدَ عليه القضاةَ والفقهاء ، ومشيخةَ بني هاشم ، منهم عبدُ الصمد بنُ علي . وبعث الأمانَ وأرسل معه جوائزَ وتُحَفاً كثيرةً جدّاً ، فلما وصلَتْ إلى الفضل ، بعثَها بكمالِها إلى يحيى بن عبد الله ، فسارَ بهِ الفضلُ ، فدخل بهِ بغداد ، وتلقَّاهُ الرشيدُ وأكرَمَهُ ، وأجزَلَ له في العطاء ، وخدَمَهُ آلُ برمكَ خدمةً عظيمة ، بحيث إنَّ يحيى بنَ خالد كان يقول : خدمتُه بنفسي وولدي ، وعَظُمَ الفضلُ عندَ الرشيدِ جدّاً بهذه الفَعْلة ، حيث سعى بالصُّلح بين العباسيِّين والفاطميِّين ؛ ففي ذلك يقولُ مروان بنُ أبي حَفْصَة بن يحيى ، ويشكرُهُ على صَنيعهِ هذا :

ظَفِـرْتَ فـلا شَلَّـتْ يَـدٌ بَـرْمَكيَّـةٌ ... رَتَقْـتَ بهـا الفَتْـقَ الـذي بيـن هـاشـمِ
علـى حيـنِ أعْيَـا الـرَّاتِقيـنَ التئـامُـهُ ... فكفُّـوا وقـالـوا ليـس بـالمتـلائِـمِ
فـأصبحـتَ قـد فـازَتْ يـداكَ بخطَّـةٍ ... من المجدِ باقٍ ذكرُها في المواسِمِ
وما زالَ قِدْحُ المُلكِ يَخْرُجُ فائزاً ... لكُمْ كلَّما ضُمَّتْ قِداحُ المُساهِمِ[1]

قالوا : ثم إنَّ الرشيدَ تنكَّرَ ليحيى بن عبد الله بن حسن ، وتغيَّرَ عليه ، ويُقال إنه سَجَنَه ، ثم استحضرَه ، وعندَهُ جماعاتٌ من الهاشميِّين وأحضرَ الأمانَ الذي بعثَ به إليه ، فسأل الرشيدُ محمدَ بن الحسن عن الأمان ، أصحيحٌ هو ؟ قال : نعم . فتغيَّظَ الرشيدُ عليه ؛ وقال أبو البَخْتَريّ : ليس هذا الأمانُ بشيء ، فاحكُمْ فيه بما شئت . ومزَّقَ الأمانَ وبصق فيه أبو البختريّ ، وأقبل الرشيدُ على يحيى بن عبد الله فقال : هيهِ ، هيه ! وهو يتبسَّمُ تبسُّمَ الْمُغضَب وقال : إنَّ الناس يزعمون أنَّا سَممناك . فقال يحيى : يا أمير المؤمنين ، إنَّ لنا قرابةً ورَحماً وحقّاً ، فعلامَ تعذِّبُني وتَحبسُني ؟ فرَقَّ له الرشيد ، فاعترض بكَّارُ بن

(١) الأبيات في المنتظم لابن الجوزي (٩/ ١٧) .

مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير فقال : يا أميرَ المؤمنين ، لا يغرَّنَّك هذا الكلام من هذا ، فإنه عاصٍ شاقّ ، وإنما هذا منه مكْرٌ وخُبْث ؛ وقد أفسَدَ علينا مدينتَنا وأظهر فيها العِصْيان . فقال له يحيى : ومن أنتم عافاكُمُ الله ، وإنما هاجر أبوك إلى المدينة بآبائي وآباء هذا . ثم قال يحيى : يا أمير المؤمنين ، إنما الناسُ نحنُ وأنتم . والله يا أمير المؤمنين ، لقد جاءني هذا حين قُتل أخي محمد بن عبد الله فقال : لعَنَ الله قاتلَه ، وأنشدني فيه نحواً من عشرين بيتاً وقال لي : إنْ تحرَّكْتَ إلى هذا الأمر فأنا أولُ من يُبايعُك ، وما يمنعُكَ أنْ تلحقَ بالبصرة وأيدينا معك . قال : فتغيَّرَ وجهُ الرشيد ووجهُ الزُّبيريّ ، وأنكرَ وشرَعَ يَحْلِفُ الأيمانَ المغلَّظَة إنه لكاذبٌ في ذلك . وتحَيَّرَ الرشيدُ ثم قال ليحيى : أتحفظُ شيئاً من المرثيَّة ؟ قال : نعم ، وأنشده منها جانباً فازدادَ الزُّبير في الإنكار ، فقال له يحيى بنُ عبدِ الله : فقلْ إنْ كنتُ كاذباً فقد برئتُ من حَوْلِ الله وقُوَّتِه ، ووَكَلَني الله إلى حولي وقُوَّتي . فامتنعَ من الْحَلِفِ بذلك . فعزَمَ عليه الرشيد ، فحلف بذلك ، فما كان إلَّا أنْ خرجَ من عند الرشيد ، فرَمَاهُ الله بالفالِج ، فمات من ساعته . ويُقال إنَّ امرأته غمَّتْ وجهَهُ بِمَخدَّة ، فقتلَه الله .

ثم إنَّ الرشيد أطلق يحيى بن عبد الله ، وأطلق له مئة ألف دينار . ويُقال : إنما حبَسَه بعضَ يوم ، وقيل ثلاثة أيام ، وكان جملةُ ما وصله من المال من الرشيد أربعمئة ألف دينار من بيتِ المال ، وعاش بعد ذلك كلِّه شهراً واحداً ، ثم مات رحمه الله .

وفيها وقعَتْ فتنةٌ عظيمةٌ بالشام بين النِّزَاريَّة ـ وهم قَيْس ـ واليمانيَّة ـ وهم يَمَن ـ وهذا كان أولَ يومِ بُدوِّ أمرِ العشيرتينِ بحَوْران ، وهم قيسٌ ويَمَن ، أعادوا ما كانوا عليه في الجاهليَّة في هذا الآن ؛ وقُتل منهم في هذه السنة بشرٌ كثير . وكان على نيابةِ الشام كُلِّها من جهةِ الرشيد ابنُ عمِّهِ موسى بن عيسى ، وقيل عبد الصمد بن علي ، فالله أعلم . وكان على نيابةِ دمشق بخصوصها سِنْديُّ بن سهل أحدُ موالي جعفر المنصور . وقد هَدَمَ سورَ دمشق حين ثارَتِ الفتنةُ خوفاً من أنْ يتغلَّب عليها أبو الهيذام المِرِّي رأسُ القيسيَّة . وقد كان سنديٌّ هذا دميمَ الخلق . قال الجاحظ : وكان لا يُحلِّفُ المكاري ولا الملاَّح ولا الحائك ويقول : القولُ قولُهم ؛ ويستخيرُ الله في الحمَّال ومعلِّم الكُتَّاب . وقد تُوفِّي سنةَ أربعِ ومئتين .

فلما تفاقم الأمرُ بعَثَ الرشيدُ من جهته موسى بن يحيى بن خالد ومعه جماعةٌ من القُوَّاد ورؤوس الكُتَّاب ، فأصلحوا بين الناس ، وهدأتِ الفتنة ، واستقام أمرُ الشام[1] ، وحملوا جماعات من رؤوس الفتنة إلى دار السلام ، فردَّ الرشيدُ أمرَهم إلى يحيى بن خالد ، فعفَا عنهم وأطلقهم ، وفي ذلك يقول بعض الشعراء :

قد هاجَتِ الشامُ هيجاً يُشيبُ راسَ وليدِهْ

---

(١) في (ق) : « أمر الرعية » ، وفي (ح) : « أمر الرشيد » ، والمثبت من (ب) .

فصَبَّ موسى عليها ... بخَيْلِهِ وجُنودِهْ
فدانتِ الشَّامُ لمَّا ... أتى نَسيجُ وَحيدِهْ
هذا الجَوَادُ الذي بَذْ ... ذَ كُلَّ جُودٍ بجُودِهْ
أعْداهُ جودُ أبيهِ ... يَحْيَى وجُودُ جُدُودِهْ
فجاد موسى بن يحيى ... بطارفٍ وتَليدِهْ
ونالَ موسى ذُرَا الْمَجْـ ... ـدِ وهو حَشْوُ مُهُودِهْ
خَصَصْتُهُ بِمَديحي ... مَنْثُورِهِ وقَصِيدِهْ
من البرامِكِ عُوداً ... لَهُ فأكْرِمْ بِعُودِهْ
حَوَوْا على الشِّعْرِ طُرّاً ... خَفيفِهِ ومَديدِهْ

وفيها عَزَلَ الرشيدُ الغِطْريفَ بنَ عطاء عن خراسان وولَّاها حمزةَ بنَ مالك بن الهيثم الخزاعي الملقَّب بالعروس . وفيها ولَّى الرشيدُ جعفرَ بن يحيى بن خالد بن بَرْمَك نيابةَ مصر ، فاستنابَ عليها جعفرٌ عمرَ بن مِهْرَان ، وكان شَنيعَ الخُلُق زَرِيَّ الشكل بين الكتَبَة ، أحوَل ، وكان سببُ ولايته إيّاها أنَّ نائبَها موسى بن عيسى كان قد عزَمَ على خَلْع الرشيد ، فقال الرشيد : واللهِ لأعزلَنَّه ، ولأوَلِّينَّ عليها أحسنَ الناس . فاستدعى عمرَ بن مهران هذا ، فولَّاهُ عليها عن نائبِهِ جعفر بن يحيى البَرْمكيّ ؛ فسار إليها عمر بن مهران على بغل ، وغلامه أبو دُرَّة على بغلٍ آخر ، فدخلها كذلك ، فانتهى إلى مجلسِ نائبها موسى بنِ عيسى ، فجلس في أُخرَيَاتِ الناس ، فلمّا انفضَّ الناسُ أقبل عليه موسى بن عيسى وهو لا يعرِفُ منْ هو فقال : أَلَكَ حاجةٌ يا شَيخ ؟ قال : نعَمْ أصلَحَ الله الأمير . ثم دفعَ الكُتُبَ إليه ، فلمَّا قرأها قال : أنت عمرُ بن مِهْران ؟ قال : نعم . قال : لعَنَ الله فِرْعونَ حين قال : ﴿ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ ﴾ [الزخرف : ٥١] . ثم سلَّم إليه العمل ، وارتحل منها ، وأقبل عمر بن مِهْرَان على عمَلِه ، وكان لا يقبلُ شيئاً من الهدايا إلَّا ما كان ذهباً أو فضَّة أو قماشاً ، ثم يكتبُ على كلِّ هديَّةٍ اسمَ مُهْديها ، ثم يطلبُ الخراجَ ويُلحُّ في طلَبِهِ عليهم ، فشرَعَ بعضُهم في مُماطَلَتِه ، فأقسم لا يَمْطُلُهُ أحدٌ فيقبض منه شيئاً ؛ وإنما يَبْعَثُهُ إلى بغداد ، ويَزِنُ خراجَهُ بها ، ويأتي بورقة القبض ، ففعل ذلك ببعض الناس ، فتأدَّبَ بقيَّتُهم ، ثم جَباهُمُ القسط الثاني ، فلما كان الثالث عَجَزَ كثيرٌ منهم عن الأداء ، فجعَلَ يستحضرُ ما كانوا أدَّوْهُ إليه من الهدايا ، فإنْ كان نقداً أدَّاهُ عنهم ، وإنْ كان بزّاً باعَهُ وأدَّاهُ عنهم ، وقال لهم : إنّي إنَّما ادَّخَرْتُ هذا لكم إلى وقتِ حاجتِكم . ثم أكمل استخراجَ جميعِ الخراج بديارِ مصر ، ولم يفعلْ ذلك أحدٌ قبلَه . ثم انصرف عنها لأنه كان قد شرَط الرشيدُ أنه إذا مهد البلاد ، وجَبى الخراج ، فذاك إذنُهُ في الانصراف . ولم يكنْ معه بالديارِ المصريةِ جيشٌ ولا غيرُه ، سوى مولاهُ أبو دُرَّةَ وحاجبُه ، وهو منفذٌ أمورَه .

وفيها غزا الصائفة عبدُ الرحمن بن عبد الملك ، ففتح حصناً . وفيها حجَّتْ زُبيدة زوجةُ الرشيد ومعها أخوها ، وكان أميرَ الحج سليمانُ بن أبي جعفر المنصور ، عمُّ الرشيد .

وفيها تُوفي :

إبراهيم بن صالح[١] بن علي بن عبد الله بن عباس ، كان أميراً على مصر ، توفي في شعبان . حكى عنه عبد الله بن وهب .

وإبراهيم بن هَرْمَة[٢] : كان شاعراً ، وهو إبراهيمُ بن عليٍّ بن سَلَمة بن عامر بن هَرْمَة ، أبو إسحاق الفِهْرِيُّ المدني . شاعرٌ مُفْلِق . وَفَد على المنصور في وَفْدٍ من أهل المدينةِ حين استوفَدَهُمْ عليه ، فجلسوا إلى سِترٍ دونَ المنصور ، يرى الناسَ من ورائه ولا يرَوْنَه ، وأبو الخصيب الحاجب واقفٌ يقول : يا أمير المؤمنين ، هذا فلانٌ الخطيب ؛ فيأمرُه فيخطب ، ويقول : هذا فلانٌ الشاعر ؛ فيأمره فيُنْشد ، حتى كان من آخرِهم ابنُ هَرْمَةَ هذا ، فسمعتُه يقول : لا مرحباً ولا أهلاً ، ولا أنعَمَ الله بكَ عيناً !.

قال : فقلتُ : هلَكْتُ ، ثم استنشدني فأنشدتُه قصيدتي التي أقولُ فيها :

سَرَى ثَوْبَهُ عنكَ الصِّبَا المتخايلُ ... وقَـرَّبَ للبَيْـنِ الخليـطُ الْمُـزَايِـلُ[٣]

حتى انتهيتُ إلى قولي :

فـأمَّـا الـذي أمَّنْتَـهُ يـأمـنُ الـرَّدَى ... وأمَّـا الـذي حـاولـتَ بـالثُّكْـلِ ثـاكِـلُ

قال : فأمر برَفْعِ الحجاب ، فإذا وجههُ كأنه فَلْقَةُ قمَر فاستنشدني بقيَّةَ القصيدة ، وأمَرَ لي بالقُرْب بين يديه ، والجلوسِ إليه ، ثم قال : ويحك يا إبراهيم ! لولا ذنوبٌ بلغَتْني عنك ، لفضَّلْتُكَ على أصحابك . فقلت : يا أمير المؤمنين ، كلُّ ذنبٍ بلغَكَ عني لم تعفُ عنه فأنا مُقرٌّ به . قال : فتناول الْمِخْصَرة ، فضربني بها ضربتَيْن ، وأمر لي بعشرةِ آلافٍ وخِلْعَة ، وعَفَا عني ، وألحقَني بنُظَرائي . وكان من جملةِ ما نقَمَ المنصورُ عليه قولُه :

ومهمـــا أُلامُ علـــى حُبِّهِـــمْ ... فـــإنِّـــي أُحِـبُّ بنـي فــاطمَــةْ
بني بنتِ منْ جاء بالمحكماتِ ... وبـــالـــدِّيـــنِ والسُّنَّـةِ القـائمَـةْ
فلســتُ أبــالــي بحُبِّـي لهـمْ ... ســواهـم مـن النَّعَـمِ السَّـائمـةْ[٤]

---

(١) ترجمته في المنتظم لابن الجوزي (٩/ ٢١) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٢٧٤) .

(٢) ترجمته في الأغاني (٤/ ٣٦١) ، تاريخ بغداد (٦/ ١٢٧) ، الإكمال لابن ماكولا (٧/ ٣١٤) ، المنتظم لابن الجوزي (٩/ ٢١) ، سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٠٧) ، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (١/ ٨٠) .

(٣) البيت من شواهد اللسان (سري) : وفيه : سَرَوتُ الثوبَ وغيرَهُ عنِّي سَرْواً سَرَيْتُه سَرَّيْتُه إذا ألقَيْتَهُ عنك ونَضَوْتَه . وساق البيت . والخبر والشعر في تاريخ بغداد (٦/ ١٢٨) ، والمنتظم (٩/ ٢١) .

(٤) الأبيات في المنتظم لابن الجوزي (٩/ ٢٣) .

قال الأخفش : قال لنا ثعلب : قال الأصمعي : خُتم الشعراء بابن هَرْمَة[١] .

ذكر وفاته في هذه السنة أبو الفرَج ابنُ الجوزي[٢] .

وفيها توفي :

الجرَّاح بن مليح والد وكيع بن الجراح .

وسعيد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جميل أبو عبد الله المدَني ، وَلي قضاءَ بغداد سبعَ عشرةَ سنة لعسكرِ المهدي . وثَّقه ابنُ معين وغيرُه .

وفيها توفي :

صالح بن بشير المُرِّيّ[٣] : أحدُ العُبَّاد الزُّهَّاد ، كان كثيرَ البكاء ، وكان يَعِظُ فيحضُر مجلسَهُ سفيانُ الثَّوْريُّ وغيرُهُ من العلماء ؛ ويقولُ سفيان : هذا نذيرُ قوم . وقد استدعاهُ المهديُّ لِيَحْضُرَ عندَه ، فجاء إليه راكباً على حمار ، فدَنَا من بساطِ الخليفةِ وهو راكب ، فأمر الخليفةُ ابنَيْهِ وليَّي العهد من بعدِه موسى الهادي وهارون الرشيد أنْ يقوما إليه ليُنْزلاهُ عن دابَّته ، فابتدَرَاهُ فأنزلاه . فأقبل صالحٌ على نفسه فقال : لقد خبتُ وخَسِرْت إنْ أنا داهنتُ ولم أصدَعْ بالحقِّ في هذا اليوم وفي هذا المقام . ثم جلس إلى المهدي ، فوعَظَه موعظةً بليغةً حتى أبكاه . ثم قال له : اعلمْ أنَّ رسولَ الله ﷺ خصمَ من خالَفَهُ في أمَّته ، ومن كان محمدٌ خصمهُ كان الله خصمَه ؛ فأعدَّ لمخاصمةِ الله ومُخاصمةِ رسولِه حُجَجاً تضمنُ لك النجاة ، وإلَّا فاستسلمْ للهَلَكة ، واعلَمْ أنَّ أبطأ الصَّرْعَى نهضةً صريعُ هَوى بدْعَته ؛ واعلم أن الله قاهرٌ فوقَ عبادِه ، وأنَّ أثبتَ الناسِ قدَماً آخذُهُمْ بكتابِ الله وسُنَّةِ رسولِه . وكلام طويل . فبكى المهدي ، وأمر بكتابةِ ذلك الكلام في دواوينه .

---

(١) بعد هذه الكلمة في (ب ، ح) ما نصّه : « وهو آخر الحجج » ، وفي الأغاني (٤/ ٣٦٧) : كان الأصمعيُّ يقول : ختم الشعراء بابن هرمة ، والحكم الخضري ، وابن ميادة ، وطفيل الكناني ، ومكين العذري .

(٢) انظر مصادر ترجمته في مطلع ترجمته في الصفحة السابقة .

(٣) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٢٨١) ، تاريخ خليفة (٤٤٨) ، طبقات خليفة (٢٢٣) ، التاريخ الكبير (٤/ ٢٧٣) ، الضعفاء للعقيلي (٢/ ١٩٩) ، الجرح والتعديل (٤/ ٣٩٥) ، الكامل في الضعفاء (٤/ ٦٠) ، حلية الأولياء (٦/ ١٦٥) ، تاريخ بغداد (٩/ ٣٠٥) ، صفة الصفوة (٣/ ٣٥٠) ، المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير (٣/ ١٣٤) ، وفيات الأعيان (٢/ ٤٩٢) ، تهذيب الكمال (١٣/ ١٦) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢) ، ميزان الاعتدال (٢/ ٢٨٩) ، المغني في الضعفاء (١/ ٣٠٢) ، العبر (١/ ٢٦٢) ، تهذيب التهذيب (٤/ ٣٨٢) ، الوافي بالوفيات (١٦/ ت٢٧٦) ، طبقات الشعراني (١/ ٤٦) ، شذرات الذهب (١/ ٢٨١) .

وفيها تُوفي :

عبدُ الملك بن محمد بن أبي بكر عمرو بن محمد بن عمرو بن حَزْم ؛ قَدِم قاضياً بالعِراق .

وفَرَج بن فضالة التنوخي الحمصي[١] : كان على بيتِ المال ببغداد في خلافةِ الرشيد ، فتوفي في هذه السنة ، وكان مولدُه سنة ثمانٍ وثمانين ، فمات وله ثمانٌ وثمانون سنة ، ومن مناقبه أنَّ المنصورَ دخل يوماً إلى قصرِ الذهب ، فقام الناسُ إلَّا فرجَ بن فضالة ، فقال له وقد غَضِب عليه لمَ لم تقمْ ؟ قال : خفتُ أنْ يسألَني الله عن ذلك ويسألَك : لِمَ رضيتَ بذلك ، وقد كَرِهَ رسولُ الله ﷺ القيامَ للناس . قال : فبكى المنصورُ وقرَّبَهُ وقَضَى حوائجَه .

والمسيَّب بن زهير بن عمرو[٢] : أبو سَلَمة الضَّبِّي ، كان واليَ الشُّرطة ببغداد في أيامِ المنصور والمهدي والرشيد ، ووَلي خراسان مرةً للمهدي . عاش ستاً وتسعين سنة .

والوضَّاح بن عبدِ الله[٣] : أبو عوانة اليَشْكُري[٤] ، مولاهم ، كان من أئمة المشايخ في الرواية ، توفي في هذه السنة وقد جاوز الثمانين .

ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومئة

فيها عزل الرشيدُ جعفر بن يحيى البرمكيَّ عن مصر ، وولَّى عليها إسحاق بن سليمان ، وعزَل حمزة بن مالك عن خُراسان وولَّى عليها الفضلَ بن يحيى البرمكي ، مضافاً إلى ما كان بيدِه من الأعمال بالريِّ وسِجِسْتان ، وغير ذلك . وذكر الواقديُّ أنه أصاب الناسَ ريحٌ شديدةٌ وظُلْمةٌ في أواخر المحرَّم من هذه السنة ، وكذلك في أواخر صفر منها . وفيها حجَّ بالناس أمير المؤمنين هارون الرشيد .

---

(١) ترجمته في التاريخ الكبير للبخاري (٧/ ١٣٤) ، التاريخ الصغير له (٢/ ٢٠٥) ، الكنى والأسماء لمسلم (١/ ٦٨٥) ، الضعفاء والمتروكين للنسائي (٨٧) ، الضعفاء للعقيلي (٣/ ٤٦٣) ، الجرح والتعديل (٧/ ٨٥) ، المجروحين لابن حبان (٢/ ٢٠٦) ، الكامل لابن عدي (٦/ ٢٨) ، تاريخ بغداد (١٢/ ٣٩٣) ، الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (٣/ ٤) ، تهذيب الكمال (٢٣/ ١٥٦) ، الكاشف (٢/ ١٢٠) ، ميزان الاعتدال (٥/ ٤١٥) ، تحفة التحصيل (٢٥٧) ، الكشف الحثيث (٢٠٨) ، لسان الميزان (٧/ ٣٣٤) ، تهذيب التهذيب (٨/ ٢٣٤) ، تعجيل المنفعة (٣٣٣) .

(٢) ترجمته في تاريخ بغداد (١٣/ ١٣٧) .

(٣) ترجمته في تهذيب الكمال (٣٠/ ٤٤١) ، تاريخ جرجان (٤٨١) ، تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل (٣٣٦) ، تهذيب التهذيب (١١/ ١٠٣) ، طبقات الحفاظ (١٠٦) .

(٤) في (ح ، ق) : « السري » ، تصحيف ، والمثبت من (ب) ومصادر ترجمته .

وفيها توفي :

شَريك بن عبد الله[١] : القاضي الكوفي النَّخَعي ، سمع أبا إسحاق السَّبيعي ، وغيرَ واحد . وكان مَشْكوراً في حُكْمه ، وتنفيذِ الأحكام . وكان لا يجلسُ للحُكْم حتى يتغدَّى ، ثم يُخرجُ ورقةً من قِمَطْرِه[٢] ، فينظرُ فيها ، ثم يأمرُ بتقديم الخُصوم إليه ، فحرَصَ بعضُ أصحابِهِ على قراءةِ ما في تلك الورقة ، فإذا فيها : شَريكُ بن عبدِ الله اذكُرِ الصِّراطَ وحِدَّتَه ، يا شريكُ بنَ عبدِ الله ، اذكُرِ الموقفَ بين يدي الله عزَّ وجلَّ .

كانت وفاتُهُ يوم السبت مستهلَّ ذي القَعْدَة منها .

وفيها تُوفي :

عبدُ الواحد بن زيد .

ومحمد بن مسلم .

وموسى بن أعْيَن .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومئة

فيها وثَبَت طائفةٌ من الحَوفية ، من قيسٍ وقُضاعة على عامِلِ مصر إسحاقَ بنِ سليمان ، فقاتلوه ، وجرَتْ فتنةٌ عظيمة ، فبعثَ الرشيدُ هَرْثَمةَ بن أعيَن ، نائبَ فِلَسْطين ، في خَلْقٍ من الأمراء ، مدداً لإسحاق ، فقاتلوهم حتى أذْعَنوا بالطاعة ، وأدَّوْا ما عليهم من الخراجِ والوظائفِ ؛ واستمرَّ هَرْثَمةُ نائباً على مصر نحواً من شهر ، عِوضاً عن إسحاقَ بنِ سليمان ؛ ثم عزَلَهُ الرشيدُ عنها ، وولَّى عليها عبدَ الملك بن صالح .

وفيها وثَبَتْ طائفةٌ من أهل إفريقيَةَ ، فقتلوا الفضلَ بن رَوْح بن حاتم ، وأخرجوا منْ كان بها من آلِ المُهلَّب ، فبعث إليهم الرشيدُ هَرثَمة ، فرجعوا إلى الطاعةِ على يديه .

(١) ترجمته في التاريخ الكبير (٤/ ٢٣٧) ، معرفة الثقات (١/ ٤٥٣) ، ذكر أسماء التابعين للدارقطني (٢/ ١١٣) ، الضعفاء للعقيلي (٢/ ١٩٣) ، الجرح والتعديل (٤/ ٣٦٥) ، مشاهير علماء الأمصار (١٧٠) ، الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي (٤/ ٦) ، الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (٢/ ٣٩) ، تهذيب الكمال (١٢/ ٤٦٢) ، الكنى في سرد الكنى (١/ ٣٥٦) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٣٢) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٢٠٠) ، ميزان الاعتدال (٣/ ٣٧٢) ، التبيين لأسماء المدلسين للطرابلسي (١١١) ، تحفة التحصيل (١٤٧) ، طبقات المدلسين لابن حجر (٣٣) ، الكواكب النيرات (٤٧) .

(٢) في (ق) : « من خفه » . والقِمَطْر ، ما يُصان به الكتب .

وفيها فوَّضَ الرشيدُ أمورَ الخلافةِ كلَّها إلى يحيى بنِ خالد بن بَرْمك . وفيها خرج الوليدُ بن طريف بالجزيرة ، وحكم بها ، وقتل خَلْقاً من أهلِها ، ثم مَضَى منها إلى إرْمِينيَة ، فكان من أمرِهِ ما سنذكُرُه . وفيها سار الفضلُ بن يحيى إلى خراسان ، فأحسَنَ السيرةَ فيها ، وبَنَى فيها الرُّبُط والمساجد ، وغزا ما وراءَ النهر ، واتَّخَذ بها جنداً من العَجَم ، سَمَّاهُم العبَّاسيَّة ، وجعل ولاءَهُمْ لَه ، وكانوا نحواً من خمسِمئةِ ألف ، وبعثَ منهم نحواً من عشرينَ ألفاً إلى بغداد ، فكانوا يُعرفون بها بالكَرْنَبيَّة ؛ وفي ذلك يقولُ مروانُ بن أبي حَفْصَة :

مـا الفضـلُ إلَّا شهـابٌ لا أفُـولَ لَـهُ   عنـد الحـروبِ إذا مـا تـأفُـلُ الشُّهُـبُ
حـامٍ علـى مُلـكِ قـومٍ غـرّ سهمهـمُ   مـن الـوراثـةِ فـي أيـديهـمْ سَبَـبُ
أمسَـتْ يـدٌ لبني سـاقي الحَجيجِ بهـا   كتـائـبٌ مـالَهـا فـي غيـرِهـمْ أرَبُ
كتـائـبٌ لبنـي العبـاسِ قـد عَـرَفـتْ   ما ألَّـفَ الفضـلُ منهـا العُجْـمُ والعـرَبُ
أثبـتَّ خمـسَ مِئيـنٍ فـي عـدادِهـمُ   من الألـوفِ التـي أحْصَـتْ لَهـا الكُتُـبُ
يُقـارعـون عـن القـومِ الـذيـنَ هـمُ   أولَـى بـأحمـدَ فـي الفُـرْقـانِ إنْ نُسِبُـوا
إنَّ الجـوادَ بـن يحيـى الفضـل لا وَرِقٌ   يبقَـى علـى جـودِ كفَّيْـهِ ولا ذَهَـبُ
مـا مـرَّ يـومٌ لـه مُـذْ شـدَّ مِئـزَرَهُ   إلَّا تمـوَّلَ أقـوامٌ بمـا يَهَـبُ
كم غايةٍ في النَّدَى والبأسِ أحْرَزَها   للطـالبيـنَ مـداهـا دونَهـا تعَـبُ
يُعْطِي اللُّهَى حين لا يُعطي الجوادُ ولا   يَنْبُـو إذا سُلَّـتِ الهنـديَّـةُ القُضُـبُ
ولا الـرِّضَـا والـرِّضـا للهِ غـايَتُـهُ   إلـى سوى الحـقِّ يـدعُـوهُ ولا الغَضَـبُ
قـد فـاض عـرفُـكَ حتـى مـا يُعـادِلُـهُ   غَيْـثٌ مُغيـثٌ ولا بحـرٌ لَـهُ جَـدَبُ

وكان قد أنشده قبلَ خروجه إلى خراسان :

ألـم تَـرَ أنَّ الجـودَ مـن يـدِ آدمٍ   تحدَّرَ حتى صار في راحةِ الفَضْلِ
إذا مـا أبـو العبـاسِ سَحَّتْ سماؤه   فيا لَكَ مِنْ هَطْلٍ ويا لَكَ من وَبْلِ

وقال فيه أيضاً :

إذا أُمُّ طفـلٍ راعهـا جـوعُ طِفْلِهـا   دعَتْهُ بإسمِ الفضلِ فاعتصَمَ الطفلُ
ليحيـى بـك الإسـلامُ إنَّـكَ عِـزُّهُ   وإنَّـك مـن قـومٍ صغيـرُهُـمُ كَهْـلُ

قال : فأمرَ له بمئةِ ألف درهم . ذكره ابنُ جرير . وقال سَلْمٌ الخاسر فيهم أيضاً :

وكيـف تخـافُ مـن بـؤسٍ بـدارٍ   يُجـاورُهـا البـرامكـةُ البحـورُ

وقومٌ منهمُ الفضلُ بنُ يحيى نَفِيرٌ ما يـؤازِرُهُ[١] نَفِيرُ
لـه يـومان يـومُ نـدى وبأسٍ كـأنَّ الـدَّهْـرَ بينهمـا أسيـرُ
إذا ما البَرْمَكيُّ غدَا ابنَ عَشْرٍ فهمَّتُـهُ أميـرٌ أو وزيـرُ

وقد اتَّفق للفضلِ بن يحيى في هذه السفرةِ إلى خراسان أشياء غريبة ، وفتح بلاداً كثيرة منها كابُل وما وراء النهر ، وقَهَرَ ملكَ التُّرك ،وكان ممتنعاً ، وأطلق أموالاً جزيلةً جدّاً ، ثم قفل راجعاً إلى بغداد ، فلما اقترب منها خرج الرشيدُ ووجوهُ الناس إليه ، وقَدِمَ عليه الشعراءُ والخطباء ، وأكابرُ الناس ، فجعل يُطلق الألفَ ألفٍ ، والخمسَمئةِ ألفٍ ونحوها ، وأنفذ في ذلك من الأموال شيئاً كثيراً لا يُمكنُ حصرُهُ إلَّا بتعَبٍ وكُلْفة ، وقد دخل عليه بعضُ الشعراء والبِدَرُ موضوعةٌ بين يديه ، وهي تُفرَّقُ على الناس ، فقال :

كفى الله بالفضلِ بن يحيى بن خالدٍ وجـودِ يـديـهِ بُخـلَ كـلِّ بَخيـلِ

فأمَرَ له بمالٍ جَزيل .

وغزا الصائفةَ في هذه السنة معاويةُ بن زُفر بن عاصم ؛ وغزا الشاتيةَ سليمانُ بن راشد . وحجَّ بالناس فيها محمدُ بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، نائبُ مكة .

وفيها توفي :

جعفر بن سليمان .

وعنتر بن القاسم .

وعبد الملك بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم القاضي ببغداد ، وصلَّى عليه الرشيد ، ودُفن بها ؛ وقد قيل : إنه مات في التي قبلها . فالله أعلم .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومئة

فيها كان قدومُ الفضل بن يحيى من خراسان ، وقد استخلف عليها عمرَ بن جميل ، فولَّى الرشيدُ عليها منصورَ بن يزيد بن منصور الحميري . وفيها عزل الرشيدُ خالدَ بن بَرْمك عن الحُجوبة ، وردَّها إلى الفضل ابن الربيع . وفيها خرج بخراسان حمزةُ بن أترك السِّجْستاني ، وكان من أمرِهِ ما سيأتي طرَفٌ منه . وفيها رجع الوليدُ بن طريف الشاري إلى الجزيرة ، واشتدَّتْ شوكتُه ، وكَثُرَ أتباعُه ، فبعث إليه الرشيدُ يزيدَ بن مَزْيد الشيباني ، فراوَغَهُ[٢] حتى قتلَه ، وتفرَّق أصحابُه ؛ فقالت الفارعةُ في أخيها الوليد بن طريف ترثيه :

---

(١) في (ق) : « يوازنه » ، والمثبت من (ب ، ح) .

(٢) في (ح) : « فوادعه » ، والمثبت من (ب ، ق) .

أيا شجر الخابورِ مالكَ مُورقاً   كأنك لم تجزَعْ على ابنِ طريفِ
فتًى لا يحبُّ الزادَ إلّا من التُّقى   ولا المالَ إلّا من قَناً وسيوفِ

وفيها خرج الرشيدُ معتمراً من بغداد شكراً للهِ عزَّ وجلَّ ، فلما قضَى عُمرتَه أقام بالمدينةِ حتى حجَّ بالناس في هذه السنة ، فمشى من مكة إلى مِنَى ، ثم إلى عرفات ، وشهد المشاهدَ والمشاعرَ كلَّها ماشياً ؛ ثم انصرف إلى بغدادَ على طريقِ البصرة .

وفيها توفي :

إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة[١] أبو هاشم الحميري ، الملقَّب بالسَّيِّد ، كان من الشعراء المشهورين والمبرِّزين في هذه الصناعة ، المفوَّهين ، ولكنه كان رافضيّاً خبيثاً ، وشيعيّاً غَثيثاً[٢] ، وكان ممَّنْ يشربُ الخمرَ ويقولُ بالرَّجْعَة ، أي : بالدَّور ؛ قال يوماً لرجل : أقرِضْني ديناراً ولك عندي مئةُ دينارٍ إذا رجَعْنا إلى الدنيا . فقال له الرجل : إني أخشى أن تعودَ كلباً أو خِنْزيراً فيذهبُ ديناري .

وكان قبَّحَهُ الله يَسُبُّ الصحابةَ في شعرِه ؛ قال الأصمعي : ولولا ذلك ما قدَّمتُ عليهِ أحداً في طبقته ، ولا سيما الشيخين وابنيْهما رضي الله عنهما[٣] . وقد أورد ابنُ الجَوْزي شيئاً من شعرِه في ذلك[٤] ، كرهتُ أنْ أذكرَهُ لبشاعتِه وشناعته . وقد اسودَّ وجهُهُ عند الموت ، وأصابه كَرْبٌ شديدٌ جدّاً ؛ ولما مات لم يدفِنوه لِسَبِّهِ الصحابةَ رضي الله عنهم .

وفيها توفي :

حمَّادُ بن زيد[٥] : أحَدُ أئمةِ الحديث .

وخالدُ بن عبد الله ، أحدُ الصلحاء ؛ وكان من ساداتِ المسلمين ، اشترى نفسه من الله أربعَ مرات .

---

(١) ترجمته في الأغاني (٧/ ٢٤٨) ، المنتظم لابن الجوزي (٩/ ٣٩) ، وفيات الأعيان (٦/ ٣٤٣) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٤) ، لسان الميزان (١/ ٤٣) ، (٧/ ١١٦) .

(٢) « الغَثُّ والغَثيثُ » : الرديءُ من كلِّ شيء ؛ ورجلٌ غَثٌّ وغُثٌّ : رديء . وقد غثثتَ في خُلقك وحالك غثاثةً وغُثوثة ، وذلك إذا ساء خُلقه وحالُه . لسان العرب (غثث) .

(٣) كذا في الأصول ، ولعل الصواب أن تقدم هذه العبارة على قول الأصمعي .

(٤) انظر المنتظم (٩/ ٣٩) .

(٥) ترجمته في التاريخ الكبير للبخاري (٣/ ٢٥) ، الكنى والأسماء لمسلم (١/ ٥٤) ، تسمية فقهاء الأمصار (١٢٩) ، معرفة الثقات (١/ ٣١٩) ، الثقات لابن حبان (٦/ ٢١٧) ، الجرح والتعديل (٣/ ١٣٧) ، مولد العلماء ووفياتهم (١/ ٤٠٥) ، المقتنى في سرد الكنى للذهبي (١/ ٧٧) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٢٨) ، سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٥٦) .

ومالك بن أنس الإمام .

والهِقْل بن زياد ، صاحب الأوزاعي ؛ وأبو الأحْوَص ؛ وكلهم قد ذكرناهم في « التكميل » بما فيه مَقْنعٌ وكفاية ، ممَّا يُغْني عن ذكرهم هنا ؛ ولكنَّ :

الإمام مالك[١] : هو أشهَرُهم ، وهو أحد الأئمة الأربعة ، أصحابِ المذاهبِ المتَّبَعة ، فهو مالكُ بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خُثَيل[٢] بن عمرو بن الحارث ، وهو ذو أصْبَح الحِمْيَري ، أبو عبدِ الله المدَني ، إمامُ دارِ الهجرةِ في زمانِه .

روى مالكٌ عن غيرِ واحدٍ من التابعين ، وحدَّثَ عنه خَلْقٌ من الأئمة ، منهم السفيانان ، وشُعْبَة ، وابنُ المبارك ، والأوزاعي ، وابنُ مَهْدِي ، وابنُ جُرَيْج ، واللَّيث ، والشافعي ، والزُّهْري شيخُه ، ويحيى بن سعيد الأنصاري وهو شيخه ، ويحيى بن سعيد القطان ، ويحيى بن يحيى الأندلسي ، ويحيى بن يحيى النيسابوري .

قال البخاري : أصحُّ الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر[٣] .

وقال سفيان بن عُيينة : ما كان أشدَّ انتقادِهِ للرجال[٤] .

وقال يحيى بنُ مَعين : كلُّ منْ روى عنهُ مالك فهو ثقةٌ إلَّا أبا أمية[٥] .

وقال غيرُ واحد : هو أثبَتُ أصحابِ نافعٍ والزُّهري[٦] .

---

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (القسم المتمم) (٤٣٣) ، تاريخ خليفة (٤٥١) ، طبقات خليفة (٢٧٥) ، التاريخ الكبير (٧/ ٣١٠) ، التاريخ الصغير (٢/ ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١) ، المعارف لابن قتيبة (٤٩٨) ، الجرح والتعديل (٨/ ٢٠٤) ، الثقات لابن حبان (٧/ ٤٥٩) ، مشاهير علماء الأمصار ترجمة (١١١٠) ، حلية الأولياء (٦/ ٣١٦) ، طبقات الشيرازي (٦٧) ، ترتيب المدارك (١/ ١٠٢) ، طبقات ابن عبد الهادي ترجمة (١٨٣) صفة الصفوة (٢/ ١٧٧) ، المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير (٤/ ٢٦٣) ، جامع الأصول (١٥/ ٢٢٥) له ، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٧٥) ، وفيات الأعيان (٤/ ١٣٥) ، تهذيب الكمال (٢٧/ ٩١) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٣) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٠٧) ، العبر (١/ ٢٧٢) ، مرآة الجنان (١/ ٣٧٣) ، تهذيب التهذيب (١٠/ ٥) ، غاية النهاية (٢/ ٣٥) ، النجوم الزاهرة (٢/ ٩٦) ، طبقات الشعراني (١/ ٥٢) ، الكواكب الدرية (١/ ٤٢٠) ، شذرات الذهب (٢/ ١٢) .

(٢) في (ق) زيادة ، وتصحيف وتحريف لبعض الأسماء ، والمثبت من (ب ، ح) وكتب الضبط .

(٣) ذكره النووي في تهذيب الأسماء (٢/ ٤٢٤) ، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ٩٧) .

(٤) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٨/ ٧٣) .

(٥) ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب (١٠/ ٦) . وفيه إلا عبد الكريم . وهو أبو أمية عبد الكريم بن أبي المخارق المعلم البصري . كما في الكنى والأسماء (١/ ٨٢) لمسلم ، والتاريخ الكبير (٦/ ٨٩) للبخاري .

(٦) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ٩٩) عن النسائي ، وبنحوه في تاريخ بغداد (١٠/ ٤٠٥) .

وقال الشافعي : إذا جاء الحديث فمالك النجم . وقال : من أراد الحديث فهو عيالٌ على مالك[١] .

ومناقبُه كثيرةٌ جداً ، وثناءُ الأئمة عليه أكثرُ من أن يُحصَر في هذا المكان .

قال أبو مُصعَب : سمعتُ مالكاً يقول : ما أفتيْتُ حتى شهد لي سبعونَ أنّي أهلٌ لذلك[٢] .

وكان إذا أراد أنْ يُحدِّثَ تنظَّفَ وتطيَّب ، وسرَّح لِحيته ، ولبس أحسنَ ثيابه . وكان يلبسُ حسناً . وكان نقشُ خاتِمِه حسبي الله ونعمَ الوكيل . وكان إذا دخل مَنْزِله قال : ما شاء الله لا قوَّةَ إلا بالله . وكان مَنْزِلُهُ مبسوطاً بأنواعِ المفارش . ومن وقتِ خروجِ محمد بن عبدِ الله بن حسن لَزِمَ مالكٌ بيتَه ، فلم يكنْ يأتي أحداً ، لا لِعَزاء ولا لهناء ، حتى قيل : ولا يخرجُ لِجُمعة ولا لِجماعة ، ويقول : ما كلُّ ما يُعلم يُقال ، وليس كلُّ أحدٍ يقدِرُ على الاعتذار . ولمّا احتُضر قال : أشهدُ شهادةَ أنْ لا إلأه إلا الله ، وأنَّ محمداً رسولُ الله . ثم جعل يقول : ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾ [الروم : ٤] . ثم قُبض في ليلةِ أربعَ عشرة من صفر ، وقيل : من ربيع الأول من هذه السنة ، وله خمسٌ وثمانونَ سنة .

قال الواقدي : بلغ تسعين سنة[٣] ، ودُفن بالبَقِيع .

وقد رَوَى الترمذيُّ[٤] عن سفيان بن عُيَيْنة ، عن ابنِ جُريج ، عن أبي الزُّبير ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، روايةً « يوشك أنْ يضربَ الناسُ أكبادَ الإبل يطلُبون العِلْم ، فلا يجدون أحداً أعلمَ من عالِم المدينة »[٥] . ثم قال : هذا حديث حَسن ، وهو حديثُ ابنِ عُيينة ، وقد رُوي عن ابنِ عُيينة أنه قال : [في هذا سُئل منْ عالِمُ المدينة ؟ فقال] : هو مالك بن أنس . وكذا قال عبدُ الرزاق ، وابن عُيينة روايةً أنه عبدُ العزيز بن عبدِ الله العُمَري [من وَلدِ عمر بن الخطاب] .

وقد تَرجَمَهُ ابنُ خَلِّكان في الوَفَيات فأطنَبَ وأتَى بفوائدَ جَمَّة[٦] .

ثم دخلت سنة ثمانين ومئة

فيها هاجَتِ الفتنةُ بالشام بين النِّزَاريَّة واليمَنِيَّة ، فانزَعَج الرشيدُ لذلك ، فندب جعفر البَرْمَكيَّ إلى الشام ، في جماعةٍ من الأمراءِ والجنود ، فدخل الشام ، فانقادَ الناسُ له ، ولد يدَعْ جعفرٌ بالشام فرساً ولا

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١/ ١٤ ، و٨/ ٢٠٥) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٣١٦) ، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ١٧٧) .

(٣) في (ق) : « سبعين سنة » ، والمثبت من (ب ، ح) .

(٤) في السنن (٥/ ٤٧) (٢٦٨٠) كتاب العلم : باب ما جاء في عالم المدينة ، وإسناده ضعيف . وما يأتي بين معقوفين مستدرك منه .

(٥) وأخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٩٩) عن أبي هريرة مرفوعاً ، وإسناده ضعيف .

(٦) انظر الصفحة الماضية في مصادر ترجمته .

سيفاً ولا رمحاً إلا استلبَهُ من الناس ، وأطفأ الله به نارَ تلك الفتنة . وفي ذلك يقول بعضُ الشعراء(١) :

لقد أُوقِدَت بالشامِ نيرانُ فِتْنةٍ ... فهذا أوانُ الشام تُخْمَدُ نارُها

إذا جاشَ مَوْجُ البحرِ من آلِ بَرْمَكٍ ... عليها خَبَتْ شُهبانُها وشَرارُهَا

رماها أميرُ المؤمنين بجعفرٍ ... وفيه تَلاقَىٰ صَدْعُها وانكسارُها

رماها بميمون النَّقِيبَةِ ماجدٍ ... تَرَاضَى به قحطانُها ونِزارُها

ثم كرَّ جعفرٌ راجعاً إلى بغداد بعدَما استخلف على الشام عيسى العَكِّيّ . ولما قَدِمَ على الرشيد أكرمَهُ وقرَّبه وأدناه ، وشرع جعفر يذكر كثرةَ وحشتِه له في الشام ويَحمدُ الله الذي منَّ عليه برجوعه إلى أمير المؤمنينَ ورؤيته وجهَه .

وفيها ولَّى الرشيدُ جعفراً خراسانَ وسِجِسْتان ، فاستعمل على ذلك محمد بن الحسن بن قَحْطَبة ، ثم عزلَ جعفراً عن خُراسان بعدَ عشرينَ ليلةً .

وفيها هَدَم الرشيدُ سُورَ الْمَوْصِل بسببِ كثرةِ الخوارج ، وجعل الرشيدُ جعفراً على الحرس ، ونزل الرشيدُ الرَّقَّةَ واستوطنها ، واستنابَ على بغدادَ ابنَهُ الأمينَ محمداً ، وولَّاهُ العراقَيْن ، وعزل هَرْثَمَةَ عن إفْرِيقِيَة ، واستدعاهُ إلى بغداد ، فاستنابَهُ جعفرٌ على الحرس .

وفيها كانتْ بمصرَ زَلْزلةٌ شديدة ، سقط منها رأسُ منارةِ الإسكندريَّة .

وفيها خرج بالجزيرة خُرَاشةُ الشيباني ، فقتله مسلم بن بكار بن مسلم العُقَيلي .

وفيها ظهرت طائفةٌ بِجُرْجان يقالُ لها المُحَمِّرة ، لَبسوا الحُمْرة ، واتبعوا رجلاً يُقالُ له عمر بن محمد العمركي ، وكان يُنسب إلى الزَّنْدَقة ، فبعث الرشيدُ يأمرُ بقتلِه ، فقتل ؛ وأطفأ الله نارَهم في ذلك الوقت .

وفيها غزا الصائفة زُفَرُ بنُ عاصم ، وحجَّ بالناس موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدِ الله بن عباس .

وفيها كانت وفاةُ جماعةٍ من الأعيان :

إسماعيل بن جعفر بن أبي كَثِير الأنصاري(٢) : قارىءُ أهلِ المدينة ، ومؤدِّبُ علي بن المهدي

---

(١) وهو منصور النمري ، والأبيات من قصيدة في ديوانه (٢٣) بيتاً سيذكر المؤلف منها (٩) أبيات في ص(٤٦٩) .

(٢) ترجمته في التاريخ الكبير للبخاري (١/ ٣٤٩) ، الجرح والتعديل (٢/ ١٦٢) ، مشاهير علماء الأمصار (١٤١) ، الثقات لابن حبان (٦/ ٤٤) ، رجال صحيح البخاري (١/ ٦٦) ، رجال مسلم (١/ ٥٨) ، تاريخ بغداد (٦/ ٢١٨) ، تهذيب الكمال (٣/ ٥٦) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٢٢٨) ، المقتنى في سرد الكُنى للذهبي (١/ ٥٨) ، تهذيب التهذيب (١/ ٢٥١) ، تقريب التهذيب (١٠٦) ، طبقات الحفاظ (١١٢) .

ببغداد . وقد مات علي بن المهدي في هذه السنة أيضاً ، وقد ولي إمارةَ الحج غيرَ مرَّة ، وكان أسنَّ من الرشيد بشهور .

حسَّان بن سِنَان[١] بن أبي أوفى بن عَوْف التَّنُوخي الأنباري : وُلد سنةَ ستين ، ورأى أنسَ بن مالك ، ودَعَا له ، فجاء منْ نسلِهِ قُضاة ووزراء وصُلحاء ، وأدرك الدولَتيْن الأمويَّة والعبَّاسيَّة ، وكان نصرانياً ، فأسلمَ وحَسُنَ إسلامُه ؛ وكان يكتُب بالعربية والفارسية والسُّرْيانيَّة ، وكان يُعَرِّبُ الكُتبَ بين يدَيْ رَبيعةَ لَمَّا ولَّاهُ السَّفاحُ الأنبار .

وفيها تُوفِّي :

عبدُ الوارث بن سعيد التَّنُّوري[٢] : أحدُ الثقات .

وعافية بن يزيد[٣] بن قيس القاضي للمهدي على جانب بغداد الشرقي ، هو وابن علاثة ، وكانا يحكمانِ بجامعِ الرُّصَافة . وكان عافيةُ عابداً زاهداً وَرِعاً . دخل يوماً على المهدي في وقتِ الظَّهيرة فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أعفِني . فقال له المهدي : ولِمَ أعفيك ؟ هل اعترَضَ عليك أحدٌ من الأمراء ؟ فقال له : لا ، ولكنْ كان بينَ اثنينِ خُصومةٌ عندي ، فعَمَد أحدُهما إلى رُطَبِ السُّكَّر ، وكأنَّه سمع أنِّي أُحبُّه ، فأهدَى إليَّ منه طبقاً لا يصلُحُ إلَّا لأميرِ المؤمنين ، فردَدْتُهُ عليه ، فلما أصبحنا وجلَسْنا إلى الحُكومة لم يستويا عِنْدِي في قلبي ، ولا نَظَري ، بل مالَ قلبي إلى المُهْدي منهما هذا ، مع أني لم أقْبَلْ منه ما أهداه ، فكيف لو قَبِلْتُ منه ؟ فأعفِني عفا الله عنك . فأعفاه .

وقال الأصمعي : كنتُ عند الرشيد يوماً ، وعنده عافيةُ وقد أحضرَه ؛ لأنَّ قوماً استعدَوْا عليه إلى الرشيد ، فجعل الرشيدُ يُوقِفُه على ما قيل عنه ، وهو يُجيب عمّا يسألُه ؛ وطال المجلِس ، فعَطَس الخليفةُ

---

(١) في (ق) : « حسان بن أبي سنان » وهو تحريف ، والمثبت من (ب ، ح) ، ومصادر ترجمته في تاريخ بغداد (٨/ ٢٥٨) ، وفيات الأعيان (٢/ ١٩٤) ، المنتظم (٩/ ٤٩) ، طبقات الحنفية (١/ ١٨٥) . أما حسان بن أبي سنان فذاك من تابعي البصرةِ وعُبّادِها ، وترجمته في التاريخ الكبير (٣/ ٣٥) ، الجرح والتعديل (٣/ ٢٣٦) ، تهذيب الكمال (٦/ ٢٦) ، تقريب التهذيب (١٥٨) ، الكاشف (١/ ٣٢٠) ، الإصابة (٢/ ٢١٠) .

(٢) في (ق) : البيروتي ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) ومصادر ترجمته وهي : التاريخ الكبير (٦/ ١١٨) ، التاريخ الصغير (٢/ ٢٢١) ، الكنى والأسماء لمسلم (١/ ٥٩٠) ، معرفة الثقات للعجلي (٢/ ١٠٧) ، الجرح والتعديل (٦/ ٧٥) ، مولد العلماء ووفياتهم لابن زبر (١/ ٤٠٧) ، الثقات (٧/ ١٤٠) ، مشاهير علماء الأمصار (١٦٠) ، تهذيب الكمال (١٨/ ٤٧٨) ، المقتنى في سرد الكنى للذهبي (١/ ٣٨٢) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٥٧) ، طبقات المحدثين (٦٧) ، توضيح المشتبه (٢/ ٧٣) .

(٣) ترجمته في تاريخ بغداد (١٢/ ٣٠٧) ، الفهرست (٤٣٨) ، تهذيب الكمال (١٤/ ٥) ، ميزان الاعتدال (٤/ ١٥) ، لسان الميزان (٧/ ٢٥٤) ، تهذيب التهذيب (٥/ ٥٣) .

فشمَّتَهُ الناسُ ولم يُشمِّتْهُ عافية ، فقال له الرشيد : لِمَ لم تشمِّتْني مع الناس ؟ فقال : لأنَّك لم تحمَدِ الله . واحتجَّ بالحديثِ في ذلك ، فقال له الرشيد : ارجِعْ لعَملك ، فوالله ما كنتَ لِتفعَل ما قيلَ عنك وأنتَ لم تسامِحْني في عَطْسَةٍ لم أحمدِ الله فيها . ثم ردَّهُ ردّاً جميلاً إلى ولايته .

فيها توفي :

سِيبَوَيْهِ[١] : إمامُ النُّحَاة ، واسمه عمرو بن عثمان بن قَنْبَر ، أبو بشر ، المعروف بسيبويه ، مولى بني الحارث بن كعب ، وقيل : آل مولى الربيع بن زياد . وإنما سُمِّي لأنَّ أمَّه كانتْ تُرَقِّصُهُ وتقولُ له ذلك ، ومعنى سيبويه : رائحةُ التفَّاح . وقد كان في ابتداءِ أمرِهِ يصحَبُ أهلَ الحديثِ والفقهاء ، وكان يستملي على حَمّاد بن سَلَمة ، فَلحَنَ يوماً ، فرَدَّ عليه قولَه ، فأنِفَ من ذلك ، فلَزِمَ الخليلَ بنَ أحمد ، فبَرَع في النحو ، ودخل بغدادَ وناظر الكِسَائي . وكان سيبويه شابّاً حسناً جميلاً نظيفاً ، وقد تعلَّق من كلِّ علمٍ بسبَب ، وضرَبَ مع كلِّ أهلِ أدَبٍ بسَهْم ، مع حداثةِ سِنه ؛ وقد صَنَّفَ في النحو كتاباً لا يُلْحَقُ شأْوُه ، وشرَحَهُ أئمةُ النحاةِ بعدَهُ فانغمروا في لُجَجِ بَحْرِه ، واستخرجوا من دُرَره ، ولم يبلغوا إلى قعره . وقد زعَمَ ثعلبٌ أنه لم ينفردْ بتصنيفِه ، بل ساعده جماعةٌ في تصنيفِهِ نحواً من أربعينَ نفساً ، هو أحدُهم ؛ وهو أُصولُ الخليل ، فادَّعاهُ سيبويه إلى نفسِه . وقد استبعد ذلك السِّيرافي في كتابِ « طبقاتِ النحاة » . قال : وقد أخذ سيبويهِ اللغاتِ عن أبي الخطَّاب ، والأخفَش وغيرِهما ، وكان سيبويه يقول : سعيد بن أبي العَرُوبة ، والعَرُوبة يومُ الجمعة ، وكان يقول : من قال عروبة فقد أخطأ . فذكر ذلك ليونس فقال : أصابَ للهِ دَرُّه .

وقد ارتحلَ إلى خُراسان ليحظَى عند طلحة بن طاهر ، فإنه كان يُحبُّ النَّحْوَ فمرض هناك مرضه الذي تُوفي فيه ، فتمثَّلَ عندَ الموت :

يــؤمِّــلُ دنيــا لِتبقَــى لَــهُ ... فمــات المــؤمِّــلُ قبــلَ الأمَــلْ
حَثيثــاً يُــرَوِّي أُصــولَ الفسيــلِ ... فعاشَ الفَسيلُ ومات الرَّجُلْ[٢]

ويُقال إنه لمَّا احتُضر وضع رأسَهُ في حِجْرِ أخيه ، فدمعت عينُ أخيه ، فاستفاق ، فرآه يبكي ، فقال :

---

(١) ترجمته في تاريخ بغداد (١٢/ ١٩٥) ، الإكمال لابن ماكولا (٤/ ٤١٩ ، ٤٢٠) ، الفهرست (٧٦) ، المنتظم (٩/ ٥٣) ، وفيات الأعيان (٣/ ٤٦٣) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٥١) ، البلغة (١٦٣) ، نزهة الألباب في الألقاب (٣٨٢) ، طبقات الحنفية (٣٧٣) .

(٢) كذا البيتان في (ب ، ح) وحلية الأولياء (٢/ ٣٨٣) ، والمنتظم (٩/ ٥٥) ، وصفة الصفوة (٤/ ٥٥ ، ٥٦) ، وجاء في رواية الحلية بسند أبي نعيم إلى عبيد الله قال : مرَّ مالك بن دينار على رجلٍ يَغرسُ فسيلاً ، فغَبَرَ عنه يسيراً ، ثم مرَّ بالفَسيل وقد أطعمَ ، فسأل عن الذي غرَسَه ، فقالوا : مات . ثم أنشأ يقول . . فذكر البيتين . ورواية صدر الثاني منهما : « يُربِّي فسيلاً ويعنى به » .

وكنّـا جميعـاً فـرّقَ الـدَّهـرُ بيننـا إلى الأمَدِ الأقصى فمنْ يأمنُ الدَّهْرا

قال الخطيب البغدادي[١] : يُقال إنه توفي وعمرُهُ ثنتانِ وثلاثونَ سنةً .

وفيها تُوفِّيتْ :

عُفَيْرةُ العابدة[٢] : كانتْ طويلةَ الحُزن ، كثيرةَ البُكاء ، قَدِمَ قريبٌ لها من سفر ، فجعلَتْ تبكي ، فقيل لها : ليس هذا وقت بكاء . فقال : لقد ذكَّرَني قُدومُ هذا الفتى يومَ القُدومِ على الله ، فمَسْرورٌ ومَثْبور .

وفيها مات :

مسلم بنُ خالد الزَّنْجي[٣] : شيخ الشافعي ، كان من أهلِ مكة ، ولقد تكلَّموا فيه لسوءِ حفظِه .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين ومئة

فيها غزا الرشيدُ بلادَ الرُّوم ، فافتتح حِصناً يُقال له الصَّفْصاف ، فقال في ذلك مروانُ بنُ أبي حَفْصَة :

إنَّ أميـرَ المـؤمنيـنَ المُنْصِفَـا قد تركَ الصَّفْصَافَ قاعاً صَفْصَفا

وفيها غزا عبدُ الملك بن صالح بلادَ الرُّوم أنْقَرَة ، وافتتح مَطْمُورَة[٤] .

وفيها تغلَّبَتِ المُحَمِّرَة على جُرْجَان .

وفيها أمَرَ الرشيدُ أنْ يُكتبَ في صدورِ الرسائل الصلاةُ على رسولِ الله ﷺ بعد الثناءِ على الله عزَّ وجلَّ .

وفيها حجَّ بالناسِ الرشيد ، وتعجَّل بالنَّفْر . وسأله يحيى بنُ خالد أنْ يُعْفِيَه من الولاية ، فأعفاه . وأقام يحيى بمكة .

---

(١) في تاريخ بغداد (١٢/ ١٩٨) .

(٢) ترجمته في صفة الصفوة (٤/ ٣٣) ، المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير الجزري (٥/ ٢٧٣) ، طبقات الشعراني (١/ ٦٧) ، الكواكب الدرية (١/ ٣٩٢) . ولها ذكر في حلية الأولياء (٦/ ٢١٨ ، و٢٢١) .

(٣) ترجمته في التاريخ الكبير (٧/ ٢٦٠) ، التاريخ الصغير (٢/ ٢٦٣) ، تسمية فقهاء الأمصار للنسائي (١٢٧) ، الجرح والتعديل (٨/ ١٨٣) ، مشاهير علماء الأمصار (١٤٩) ، الثقات (٧/ ٤٤٨) ، في المقتنى في سرد الكنى للذهبي (١/ ٢١١) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٥٥) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ١٧٦) ، طبقات الحفاظ (١١٥) .

(٤) « مَطْمُورة » : بلد في ثغور بلاد الرُّوم بناحية طَرَسُوس . ذكرها ياقوت في معجم البلدان (٥/ ١٥١) .

وفيها توفي :

الحسنُ بن قَحْطَبَة[1] : أحَدُ أكابر الأمراء العباسيَّة .

وحمزة بن مالك ، وَلِيَ إمْرَةَ خراسان في أيام الرشيد .

وخلف بن خليفة ، شيخُ الحسن بن عرَفَة ، عن مئةِ سنة .

وعبد الله بن المبارك[2] أبو عبد الرحمن المَرْوزيّ ، كان أبوهُ تركيّاً ، مَوْلَى لرجلٍ من التجّار ، من بني حَنْظَلَة من أهلِ هَمَذان ، وكان ابنُ المبارك إذا قَدِمَهَا أحسنَ إلى ولَدِ مولاهم . وكانتْ أمُّه خُوَارِزْمِيَّة . وُلد لثمان عشرةَ ومئة .

وسمع إسماعيلَ بن أبي خالد . والأعمش ، وهشام بن عروة ، وحُميد الطويل ، وغيرَهم من أئمَّةِ التابعين . وحدَّث عنه خلائقُ من الناس ، وكان موصوفاً بالحفظ ، والفقه ، والعربية ، والزُّهْد ، والكرم والشجاعة ، والشعر . له التصانيفُ الحِسَان ، والشعرُ الحسَن ، المتضمِّنُ حِكَماً جَمَّة . وكان كثيرَ الغزوِ والحجّ ، وكان له رأسُ مالٍ نحو أربعمئة ألف ، يدور يتَّجرُ به في البلدان فحيثُ اجتمع بعالمٍ أحسَنَ إليه . وكان يَرْبو كَسْبُه في كلِّ سنةٍ على مئةِ ألف ، يُنفقُها كلَّها في أهلِ العبادةِ والزُّهدِ والعِلْم . وربما أنفقَ من رأسِ مالِه .

قال سفيانُ بن عُيينة : نظَرْتُ في أمرِهِ وأمرِ الصحابة ، فما رأيتُهم يَفْضُلون عليه إلَّا في صُحْبَتِهم رسولَ الله ﷺ .

وقال إسماعيل بن عياش : ما على وجهِ الأرض مثلُه ، وما أعلمُ خَصْلَةً من الخَير إلَّا وقد جعلَها الله في ابن المبارك ؛ ولقد حدثني أصحابي أنَّهم صحبُوهُ من مصرَ إلى مكة ، فكان يُطعِمُهم الخَبيصَ وهو الدهرَ صائم . وقدِمَ مرَّةً الرَّقَّة وبها هارونُ الرشيد ، فلما دخلها احتفَلَ الناسُ به ، وازدحم الناسُ حَولَهُ ، فأشرفَت أمُّ ولَدٍ للرشيد من قصرٍ هناك ، فقالت : ما للناس ؟ فقيل لها : قَدِمَ رجلٌ من علماءِ خُراسان ،

---

(١) ترجمته في تاريخ بغداد (٧/ ٤٠٣) ، المنتظم لابن الجوزي (٩/ ٥٨) .

(٢) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٣٧٢) ، طبقات خليفة (٣٢٣) ، المعارف (٥١١) ، التاريخ الكبير (٥/ ٢١٢) ، الجرح والتعديل (٥/ ١٧٩) ، الثقات لابن حبان (٧/ ٧) المدارك (١/ ٣٠٠) ، أنساب السمعاني (٤/ ٢٥١) تاريخ مدينة دمشق (٨٣/ ٣٠١) ، صفة الصفوة (٤/ ١٣٤) ، جامع الأصول لابن الأثير (١٤/ ٢٨٦) ، المختار من مناقب الأخيار له (٣/ ٤٧٢) ، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٨٥) ، وفيات الأعيان (٣/ ٣٢) ، مختصر تاريخ دمشق (١٤/ ١٣) ، تهذيب الكمال (١٦/ ٥) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٣٦) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٧٤) ، العبر (١/ ٢٨٠) ، الوافي بالوفيات (١٧/ت ٣٥٩) ، مرآة الجنان (١/ ٣٧٨) ، غاية النهاية (١/ ٤٤٦) ، تهذيب التهذيب (٥/ ٣٨٢) ، النجوم الزاهرة (٢/ ١٠٣) ، طبقات الشعراني (١/ ٥٩) ، الكواكب الدرية (١/ ١٣١) ، شذرات الذهب (١/ ٢٩٥) .

يقال له عبد الله بن المبارك ، فانجفَلَ الناسُ إليه . فقالت المرأة : هذا هو المُلك ، لا مُلْكُ هارونَ الرشيد الذي يجمعُ الناسَ عليه بالسَّوْطِ والعصا ، والرَّغْبة والرَّهْبة .

وخرج مرَّةً إلى الحجّ ، فاجتاز ببعضِ البلاد ، فمات طائرٌ معهم ، فأمَرَ بإلقائِهِ على مَزْبلةٍ هناك ، وسارَ أصحابُه أمامَه ، وتخلَّفَ هو وراءهم ، فلما مرَّ بالمزبلة إذا جاريةٌ قد خرجَتْ من دارٍ قريبةٍ منها ، فأخذَتْ ذلك الطائرَ الميت ، ثم لفَّته ، ثم أسرَعَتْ به إلى الدَّار ، فجاء فسألَها عن أمرِها ، وأخْذِها الميتة ، فقالت : أنا وأخي هنا ليس لنا شيءٌ إلَّا هذا الإزار ، وليس لنا قُوتٌ إلَّا ما يُلْقى على هذه المزبلة ، وقد حلَّتْ لنا الميتةُ منذُ أيَّام ، وكان أبونا له مالٌ ، فظُلِمَ وأُخذ مالُه وقُتل . فأمَرَ ابنُ المبارَكِ بِرَدِّ الأحمال ، وقال لِوَكيلِه : كم معك من النفقَة ؟ قال : ألفُ دينار . فقال : عُدَّ منها عشرينَ ديناراً تَكْفينا إلى مَرْو ، وأعْطِها الباقي ، فهذا أفضلُ من حَجِّنا في هذا العام . ثم رجع . وكان إذا عزم على الحج يقولُ لأصحابه : منْ عزَمَ منكم في هذا العام على الحجِّ فَلْيأتني بنفقتِهِ حتى أكونَ أنا أُنفقُ عليه . فكان يأخذُ منهم نفقاتِهم ، ويكتُبُ على كلِّ صُرَّةٍ اسمَ صاحِبها ، ويجمَعها في صندوق ، ثم يخرجُ بهم في أوسَعِ ما يكونُ من النفقاتِ والرُّكوب ، وحُسن الخُلق والتيسير عليهم ؛ فإذا قضَوْا حجَّتَهم فيقول لهم : هل أوصاكم أهلوكُم بِهَديَّة ؟ فيشتري لكلِّ واحدٍ منهم ما وصَّاه أهلُه من الهدايا المكيَّة واليمنيَّة وغيرها ، فإذا جاؤوا إلى المدينة اشترى لهم منها الهدايا المدنية ، فإذا رجعوا إلى بلادِهم بعث من أثناءِ الطريقِ إلى بيوتهم ، فأُصلحت وبُيِّضَتْ أبوابُها ، ورُمِّمَ شعثُها ، فإذا وصلوا إلى البلد عَمِلَ وليمةً بعدَ قدومِهم ، ودعاهم فأكلوا ، وكساهم ، ثم دعا بذلك الصندوق ، ففتحَهُ وأخرجَ منه تلك الصُّرَر ، ثم يُقسمُ عليهم أنْ يأخذَ كلُّ واحدٍ نفقتَه التي عليها اسمُه ، فيأخذونها وينصرفونَ إلى منازلهم وهم شاكرون ناشرون لواء الثناءِ الجميل . وكانت سُفْرَتُهُ تُحملُ على بعيرٍ وحدَها ، وفيها من أنواعِ المأكول من اللَّحمِ والدجاج والحَلْوى وغيرِ ذلك ؛ ثم يُطعِمُ الناسَ وهو الدهرَ صائمٌ في الحَرِّ الشديد . وسألَهُ مرَّةً سائلٌ فأعطاه درهماً ، فقال له بعضُ أصحابه : إنَّ هؤلاء يأكلون الشِّوَاءَ والفالوذَجَ ، وقد كان يكفيهِ قطعة . فقال : والله ما ظنَنْتُ أنه يأكلُ إلا البَقْلَ والخبز ، فأمَّا إذا كان يأكلُ الفالوذَجَ والشواء فإنَّهُ لا يكفيهِ دِرْهم . ثم أمَرَ بعضَ غلمانِهِ فقال : رُدَّهُ وادفَعْ إليهِ عشرةَ دراهم . وفضائله ومناقبه ومآثرهُ كثيرةٌ جداً .

قال أبو عمر بنُ عبدِ البَرّ : أجمع العلماءُ على قَبُولِهِ ، وجلالتِه وإمامَتِه وعَدْلِه . توفي عبد الله بن المبارك بِهِيت[1] في هذه السنة ، في رمضانِها ، عن ثلاثٍ وستِّين سنة .

---

(١) « هيت » : بكسر أوله وبالتاء المعجمة باثنتين من فوقها ؛ مدينةٌ مذكورةٌ في تحديد العراق ، وهي على شاطىء الفرات عامرة معروفة إلى اليوم وقبر ابن المبارك ظاهر فيها يزار .

ومُفَضَّل بن فَضَالَة[١] : وَلِيَ قضاءَ مصر مرتَيْن ، وكان دَيِّناً ثقةً ، فسألَ الله أنْ يُذهِبَ عنه الأمَل ، فأذهبَهُ ، فكان بعدَ ذلك لا يُهنئُهُ العيش ، ولا شيءٌ من الدنيا ؛ فسأل الله أنْ يردَّهُ عليه فرَدَّه ، فرَجَعَ إلى حالِه .

ويعقوب التائب : العابدُ الكوفي . قال علي بن الموفق عن منصور بن عمّار : خرجتُ ذاتَ ليلةٍ وأنا أظنُّ أنّي قد أصبحت ، فإذا عليَّ ليل ، فجلستُ إلى بابٍ صغير ، وإذا شابٌّ يبكي وهو يقول : وعِزَّتِكَ وجلالِك ، ما أردتُ بِمَعصيتِكَ مخالفتَك ، ولكنْ سَوَّلَتْ لي نفسي ، وغلبَتْني شِقْوَتي ، وغرَّني سِتْرُك المُرْخَى علي فالآن من عذابك مَنْ يستنقذُني ؟ وبحبل منْ أتَّصِلُ إنْ أنت قطعتَ حبلَكَ عني ؟ واسَوْأتاهُ على ما مضَى من أيامي في معصيةِ ربي ، يا وَيْلي ! كم أتوبُ ؟! وكم أعود ؟! قد حان لي أنْ أستحيَ من ربِّي عزَّ وجلَّ . قال منصور : فقلتُ أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦] . قال : فسمعتُ صوتاً واضطراباً شديداً ، فذهبتُ لِحاجتي ، فلما رجعتُ مررتُ بذلك الباب ، فإذا جنازةٌ موضوعة ، فسألتُ عنه ، فإذا ذاك الفتى قد مات من هذه الآية .

ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين ومئة

فيها أخذ الرشيدُ لولدِهِ عبدِ الله المأمون ولايةَ العَهْدِ من بعدِ أخيه محمد الأمين بن زُبيدة ، وذلك بالرَّقَّة ، بعد مَرْجِعِهِ من الحجّ ، وضمَّ ابنَهُ المأمونَ إلى جعفر بن يحيى البَرْمكي ، وبعثَهُ إلى بغداد ، ومعه جماعةٌ من أهلِ الرَّشيد ، خدمةً له ، وولَّاهُ خراسانَ وما يتَّصلُ بها ، وسماه المأمون .

وفيها رجع يحيى بنُ خالد البرمكي من مُجاوَرَتِهِ بمكةَ إلى بغداد .

وفيها غزا الصائفةَ عبدُ الرحمن بن عبد الملك بن صالح ، فبلغ مدينةَ أصحاب الكهف .

وفيها سَمَلتِ الرومُ عَيْني ملكِهم قُسْطَنْطين بن أليون ، وملَّكوا عليهم أمَّه رينى ، وتُلقَّبُ أعطشة[٢] .

وحجَّ بالناس موسى بن عيسى بن العباس .

---

(١) التاريخ الكبير (٧/ ٤٠٥) ، التاريخ الصغير (٢/ ٢٢٧) ، الجرح والتعديل (٨/ ٣١٧) ، الثقات لابن حبان (٧/ ٤٩٦) ، الكامل في الضعفاء لابن عدي (٦/ ٤٠٩) ، من تكلم فيه للذهبي (١٨٠) ، ميزان الاعتدال (٦/ ٥٠١) .

(٢) في (ق) وتاريخ الطبري : « أغسطة » ، والمثبت من (ب ، ح) والكامل لابن الأثير .

وفيها تُوفي من الأعيان :

إسماعيل بن عياش الحمصي[١] : أحد المشاهير من أئمة الشاميين ، وفيه كلام .

ومروان بن أبي حَفْصَة[٢] : الشاعر المشهور المشكور ، كان يمدحُ الخلفاءَ والبرامكةَ ومعنَ بن زائدة[٣] وكان يحصلُ له من الأموال شيءٌ كثيرٌ جداً ، وكان مع ذلك من أبْخَلِ الناس ، لا يكادُ يأكلُ اللحمَ من بُخلِه ، ولا يُشعلُ في بيتِهِ سراجاً ، ولا يلبسُ من الثياب إلا الكِرْباس[٤] والفَرْوَ الغليظ . وكان رفيقَهُ سَلْمٌ الخاسِر ، إذا ركب إلى دارِ الخلافة يأتي على بِرْذَوْن ، وعليه حُلَّةٌ تُساوي ألفَ دينار ، والطِّيبُ ينفحُ من ثيابه ، ويأتي هو في شَرِّ حِيبَة[٥] وأسوئِها .

وخرج يوماً إلى المهدي ، فقالتِ امرأةٌ من أهلِه : إنْ أطلق لك الخليفةُ شيئاً فاجعلْ لي منه شيئاً . فقال إنْ أعطاني مئةَ ألفِ درهم فلكِ درهم . فأعطاهُ ستين ألفاً ، فأعطاها أربعةَ دَوَانيق .

تُوفي ببغداد في هذه السنة ودُفن في مقبرة نصرِ بن مالك .

والقاضي أبو يوسُف[٦] : واسمه يعقوبُ بن إبراهيم بن حَبيب بن سَعْد بن حَبْتَة[٧] ـ وهي أمُّه ـ وأبوه بُجَير بن معاوية ، وسعدٌ هذا صحابي ، استُصغر يومَ أُحد . وأبو يوسف كان أكبرَ أصْحابِ أبي حنيفة ، رَحِمَهُ الله .

روى الحديث عن الأعمش ، وهشام بن عروة ، ومحمد بن إسحاق ، ويحيى بن سعيد ، وغيرِهم ، وعنه محمدُ بن الحسن ، وأحمدُ بن حنبل ، ويحيى بن مَعين .

---

(١) ترجمته في التاريخ الكبير (١/ ٣٦٩) ، الكنى والأسماء لمسلم (١/ ٦٣٧) ، ، كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي (١٦) ، الجرح والتعديل (٢/ ١٩١) ، الكامل في الضعفاء لابن عدي (١/ ٢٩١) ، كتاب الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (١/ ١١٨) ، تهذيب الكمال (٣/ ١٦٣) ، ميزان الاعتدال (١/ ٤٠٠) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٥٣) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٣١٢) ، طبقات المدلسين لابن حجر (٣٧) ، طبقات الحفاظ (١١٤) .

(٢) ترجمته في سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٧٩) .

(٣) أثبتت نسخة (ق) اسم معن بن زائدة في سطرٍ على حدة بما يوحي أنه رأس ترجمة له ، وهو خطأ ، بل هو معطوفٌ على البرامكة ، أي أن مروان الشاعر مدح معن بن زائدة أيضاً .

(٤) « الكرباس » : القطن . لسان العرب (كربس) .

(٥) في (ق) : حالة ، والمثبت من (ب ، ح) ، وهما بمعنى .

(٦) ترجمته في الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ٣٣٠) ، التاريخ الكبير (٨/ ٣٩٧) ، تسمية فقهاء الأمصار (١٢٨) ، تاريخ جرجان (٤٨٧) ، الفهرست (٢٨٦) ، تاريخ بغداد (١٤/ ٢٤٢) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٣٥) ، لسان الميزان (٦/ ٣٠٠) ، طبقات الحفاظ (١٢٧) .

(٧) في (ق) تصحيف وتحريف ونقص ، فأثبتنا ما جاء في (ب ، ح) موافقاً لمصادر الترجمة .

قال علي بن الجعد : سمعتُه يقول : تُوفي أبي وأنا صغير ، فأسلمَتْني أُمّي إلى قصّار ، فكنتُ أمرُّ على حَلْقَةِ أبي حنيفةَ فأجلسُ فيها ، فكانتْ أُمّي تتبَعُني فتأخذُ بيدي من الحَلْقَة وتذهبُ بي إلى القصَّار ؛ ثم كنتُ أخالفُها في ذلك ، وأذهبُ إلى أبي حنيفة ، فلما طالَ ذلك عليها قالتْ لأبي حنيفة : إنَّ هذا صبيٌّ يتيم ، ليس له شيءٌ إلَّا ما أُطعِمُهُ من مِغزَلي ، وإنك قد أفسدتَهُ عليّ . فقال لها : اسكُتي يا رَعْناء ، هاهو ذا يتعلَّمُ العِلْم ، وسيأكلُ الفالوذَجَ بِدُهْنِ الفُسْتُق ، في صحونِ الفَيْروزَج . فقالتْ له : إنَّكَ شيخٌ قد خَرِفت . قال أبو يوسف : فلمّا وُلِّيتُ القضاء ـ وكان أولُ من ولَّاه القضاءَ الهادي ، وهو أولُ من لُقِّب قاضي القضاة ، وكان يُقال له قاضي قضاة الدنيا ، لأنه كان يَسْتَنيبُ في سائرِ الأقاليمِ التي يحكم فيها الخليفة ، قال أبو يوسف ـ : فبينا أنا ذاتَ يومٍ عندَ الرشيد إذْ أُتي بفالوذَجٍ في صحنِ فيروزَج ، فقال لي : كُلْ من هذا ، فإنَّه لا يُصنعُ لنا في كلِّ وقت . وقلت : وما هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذا الفالوذَج . قال : فتبسَّمت ، فقال : ما لَكَ تتبسَّم ؟ فقلت : لا شيء ، أبقى الله أميرَ المؤمنين . فقال : لَتُخبِرَنِّي . فقصصتُ عليه القصَّة . فقال : إنَّ العلمَ ينفعُ ويَرْفَعُ في الدنيا والآخرة . ثم قال : رَحِمَ الله أبا حنيفة ، فلقد كان ينظرُ بعينِ عقله ما لا ينظر بعينِ رأسِه . وكان أبو حنيفة يقولُ عن أبي يوسف : إنه أعلمُ أصحابِه .

وقال الْمُزَني : كان أبو يوسف أتبعَهُمْ للحديث . وقال ابنُ الْمَديني : كان صدوقاً . وقال ابنُ معين : كان ثقةً . وقال أبو زرعة : كان سليماً من التَّجَهُّم .

وقال بشار الخفَّاف : سمعتُ أبا يوسف يقول : منْ قال : القرآنُ مخلوق ، فحرامٌ كلامُه ، وفَرْضٌ مُبَايَنتُه ، ولا يجوزُ السلامُ ولا رَدُّه عليه .

ومن كلامِه الذي ينبغي كتابتُهُ بماءِ الذهب قولُه : مَنْ طلَب المالَ بالكيمياء أفلس ، ومن تتبَّعَ غرائبَ الحديث كذَب ، ومن طلب العلمَ بالكلام تَزَنْدَق .

ولما تناظر هو ومالكٌ بالمدينة بحضرةِ الرشيد في مسألةِ الصاع وزكاة الخضراوات احتجَّ مالكٌ بما استدعى به من تلك الصيعان المنقولةِ عن آبائهم وأسلافِهم ، وبأنَّهُ لم تكنِ الخضراوات يُخرجُ فيها شيءٌ في زمن الخلفاء الراشدين . فقال أبو يوسف : لو رأى صاحبي ما رأيتُ لَرَجعَ كما رجعتُ . وهذا إنصافٌ منه .

وقد كان يحضُرُ في مجلسِ حُكمِه العلماءُ على طَبقاتِهم ، حتى إنَّ أحمد بن حنبل كان شاباً ، وكان يحضُرُ مجلسَهُ في أثناء الناس ، فيتناظرونَ ويتباحثون ، وهو مع ذلك يَحكُمُ ويُصنِّفُ أيضاً . وقال وُلِّيتُ هذا الحُكم ، وأرجو الله أنْ لا يسألني عن جَوْرٍ ولا مَيْلٍ إلى أحد ، إلَّا يوماً واحداً جاءني رجل ، فذكر أنَّ له بستاناً ، وأنه في يدِ أميرِ المؤمنين ، فدخلتُ إلى أميرِ المؤمنين فأعلمتُه ، فقال : البستانُ لي ، اشتراهُ لي

المهدي . فقلت : إنْ رأى أميرُ المؤمنين أنْ يُحضِرَهُ لأسمعَ دعواه . فأحضرَه ، فادَّعى بالبستان ، فقلت : ما تقولُ يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال : هو بستاني . فقلتُ للرجل : قد سمعتَ ما أجاب . فقال الرجل : يَحلف . فقلتُ : أتحلفُ يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال : لا . فقلتُ : سأعرضُ عليك اليمينَ ثلاثاً ، فإنْ حلفتَ وإلَّا حكمتُ عليك يا أميرَ المؤمنين ؛ فعرضتُها عليه ثلاثاً ، فامتنع ، فحكمتُ بالبستانِ للمُدَّعي . قال : فكنتُ في أثناء الخُصومةِ أَوَدُّ أنْ ينفصل . ولم يُمكِّني أنْ أُجلسَ الرجلَ مع الخليفة . وبعث القاضي أبو يُوسف في تسليم البستانِ إلى الرجل .

وروَى المُعافَى بنُ زكريَّا الجَريري ، عن محمد بن أبي الأَزْهَر ، عن حماد بن أبي إسحاق الْمَوْصلي ، عن أبيه ، عن بشر بن الوليد ، عن أبي يوسف ، قال : بينا أنا ذاتَ ليلةٍ قد نمتُ في الفراش ، إذا رسولُ الخليفةِ يطرُقُ الباب ، فخرجتُ مُنْزعجاً ، فقال : أميرُ المؤمنين يدعوك . فذهبتُ ، فإذا هو جالسٌ ومعهُ عيسى بنُ جعفر ، فقال لي الرشيد : إنَّ هذا قد طلَبْتُ منه جاريةً يَهَبُنِيها ، فلم يفعلْ ، أو يبيعُنيها ، فلم يفعل وإنِّي أُشهدك إنْ لم يُجبني إلى ذلك قتلتُه . فقلتُ لعيسى : لمَ لم تفعلْ ؟ فقال : إني حالفٌ بالطلاقِ والعَتَاق ، وصدَقَةِ مالي كلِّه أنْ لا أبيعَها ، ولا أهبَها . فقال لي الرشيد : فهل له من مُخلِّص ؟ فقلت : نعم . يَبيعُكَ نصفَها ، ويَهبُكَ نصفَها . فوهَبَ النِّصفَ وباعَهُ النصفَ بمئةِ ألف دينار . فقبل منه ذلك ، وأُحضرتِ الجارية ، فلما رآها الرشيدُ قال : هل لي من سبيلٍ عليها الليلة ؟ قلت : إنَّها مملوكة ، ولا بدَّ من استبرائها ، إلَّا أنْ تُعتِقَها وتتزوَّجها ، فإنَّ الحرَّةَ لا تُستبرَأ . قال : فأعتقَها وتزوَّجها منه بعشرينَ ألفَ دينار ، وأمَرَ لي بمئتي ألفِ درهم ، وعشرين تختاً من ثياب[1] ، وأرسلتُ إلى الجاريةِ بعشرةِ آلافِ دينار .

قال يحيى بن مَعين : كنتُ عند أبي يوسف ، فجاءتهُ هديَّةٌ من ثيابٍ دَبِيقِيٍّ[2] ، وطيبٍ وتماثيل نِدٍّ ، وغيرِ ذلك ، فذاكَرني رجلٌ في إسنادِ حديث « منْ أُهديَتْ له هديَّةٌ وعندَهُ قومٌ جُلوس فهمْ شركاؤه »[3] . فقال أبو يوسف : إنما ذاك في الأقِطِ والتَّمْرِ والزَّبيب ، ولم تكنِ الهدايا في ذلك الوقت ما ترَوْن ؛ يا غلام ، ارفَعْ هذا إلى الخزائن . ولم يُعطهمْ منها شيئاً[4] .

وقال بشر بن غياث الْمَرِّيسي : سمعتُ أبا يوسف يقول : صحبتُ أبا حنيفةَ سبعَ عشرةَ سنة ، ثم انصبَّتْ عليَّ الدنيا سبعَ عشرةَ سنة ، وما أظنُّ أجَلي إلَّا قَدِ اقترب . فما مكثَ بعدَ ذلك إلَّا شهوراً حتى

---

(١) « التخت » : وعاءٌ تصان فيه الثياب . فارسي ، وقد تكلمت به العرب لسان العرب (تخت) .

(٢) في (ق) : « ديبقي » وهو تصحيف ، والدَّبيقيُّ : من دقِّ ثياب مصر معروفة ، تنسب إلى دَبيق . لسان العرب (دبق) .

(٣) أخرجه العقيلي في الضعفاء (٣/ ٦٧) (١٠٣١) ، وذكره العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٠٢) وقال : لا يصح في هذا الباب شيء ، وابن حجر في لسان الميزان (٤/ ١٤) .

(٤) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١٤/ ٢٥٢) .

مات . وقد مات أبو يوسف في ربيع الأول من هذه السنة ، عن سبعٍ وستين سنة ، ومكث في القضاء ستَّ عشرةَ سنة ، وُلِّي القضاءَ من بعدِهِ ولَدُهُ يوسف ؛ وقد كان نائبَهُ على الجانبِ الشرقيِّ من بغداد ؛ ومن زعمَ من الرواة أنَّ الشافعيَّ اجتمع بأبي يوسف كما يقولُهُ عبدُ الله بن محمد البَلَوي الكذَّاب في الرِّحْلة التي ساقها الشافعي فقد أخطأ في ذلك ؛ إنما وَرَدَ الشافعيُّ بغدادَ في أولِ قدمةٍ قَدِمها إليها في سنة أربعٍ وثمانين ، وإنما اجتمع الشافعيُّ بمحمد بن الحسن الشيباني ، فأحَسَن إليه وأقبل عليه ، ولم يكنْ بينهما شَنَآن كما يذكُرُهُ بعضُ منْ لا خِبْرَةَ له في هذا الشأن . والله أعلم .

وفيها توفي :

يعقوب بن داود بن طَهْمان[1] أبو عبد الله مولى عبد الله بن حازم السُّلَمي ، استوزَرَهُ المهدي ، وحَظيَ عندَه جدّاً وسلَّم إليه أزِمَّةَ الأمور ، ثم لما أمر بقتلِ ذلك العلويِّ كما تقدَّم[2] ، فأطلَقه ، ونَمَّتْ عليه تلك الجارية ، وتحقَّقَ أنه لم يفعلْ سجَنهُ المهديُّ في بئر ، وبُنِيتْ عليه قُبَّة ، ونبتَ شعرُه حتى صار مثلَ شعورِ الأنعام ، وعمِي . ويُقال : بل عَشَا بصَرُهُ ، ومكَث نحواً من خمسةَ عشرَ سنةً في ذلك البئر ، لا يَرَى ضَوْءاً ، ولا يسمعُ صوتاً إلَّا في أوقاتِ الصلوات ، يُعلمونَهُ بذلك ، ويُدلَّى إليه في كلِّ يومٍ رغيفٌ وكُوزُ ماء ؛ فمكث كذلك حتى انقضَتْ أيامُ المهدي وأيامُ الهادي وصدرٌ من أيام الرشيد ؛ قال يعقوب : فأتاني آتٍ في منامي فقال :

عسى الكربُ الذي أمسَيْتَ فيه ... يكـونُ وراءَهُ فـرَجٌ قَـريـبُ
فيـأمـنُ خـائـفٌ ويُفَـكُّ عـانٍ ... ويـأتـي أهلَـهُ النـائـي الغـريـبُ

فلما أصبحتُ نُوديتُ ، فظننْتُ أني أُعلَمُ بوقتِ الصلاة ، ودُلِّيَ إليَّ حبلٌ وقيل لي : اربِطْ هذا الحبلَ في وَسَطِك . فأخرجوني ، فلما نظرْتُ إلى الضياءِ لم أُبصرْ شيئاً ، وأُوقفتُ بين يدي الخليفة ، فقيل لي : سلِّمْ على أميرِ المؤمنين . فظنَنْتُهُ المهدي ، فسلَّمْتُ عليهِ باسمه ، فقال : لستُ به . فقلت : الهادي . فقال : لستُ به . فقلت : السلامُ عليك يا أميرَ المؤمنينَ الرشيد . فقال نعم . ثم قال : والله إنه لم يشفعْ فيكَ عندي أحدٌ ولكنِّي البارحةَ حُمِلتْ جاريةٌ لي صغيرةٌ على عُنقي ، فذكرتُ حَمْلَكَ إيَّايَ على عُنقك ؛ فرَحِمْتُ ما أنتَ فيه من الضِّيق ، فأخرَجْتُك . ثم أنعم عليه وأحسَنَ إليه ، فغارَ منه يحيى بن خالد بن برْمك ، وخشِيَ أنْ يُعيدهُ إلى مَنْزِلَتِهِ التي كان عليها أيامَ المهدي ، وفَهِمَ ذلك يعقوبُ فاستأذن الرشيدَ في

---

(١) ترجمته في تاريخ بغداد (١٤/ ٢٦٢) ، المنتظم لابن الجوزي (٩/ ٨٠) ، الكامل لابن الأثير (٥/ ٣١٦) ، وفيات الأعيان (٧/ ١٩) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٤٦) .

(٢) انظر ما تقدم ص(٤٠٤) .

الذهابِ إلى مكَّة ؛ فأذن له ، فكان بها حتى ماتَ في هذه السنةِ رَحمَهُ الله . وقال : يَخْشى يحيى أنْ أرجِعَ إلى الولايات ، لا والله ما كنتُ لأفعلَ أبداً ؛ ولو رُدِدتُ إلى مكاني .

وفيها تُوفِّي :

يزيدُ بن زُرَيع[١] أبو معاوية : شيخُ الإمام أحمدَ بنِ حنبل في الحديث . كان ثقةً ، عالماً ، عابداً ، وَرِعاً . تُوفي أبوه وكان واليَ البصرة ، وترك من المالِ خمسَ مئةِ درهم ، فلم يأخذْ منها يزيدُ درهماً واحداً . وكان يعملُ الخُوصَ بيدِه ، ويَقْتاتُ منه هو وعيالُه . تُوفي بالبصرة في هذه السنة ، وقيل قبل ذلك ، فالله أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومئة

فيها خرجتِ الخَزَرُ على الناس من جهةِ إرْمِينيَة ، فعاثوا في تلك البلاد فساداً ، وسبَوْا من المسلمين وأهلِ الذِّمَّة نحواً من مئة ألف ؛ وقتلوا بشَراً كثيراً ، وانهزَمَ نائبُ إرْمِينيَةَ سعيدُ بن مسلم ، فأرسل الخليفةُ هارون الرشيدُ إليهم خازِمَ بن خُزَيْمة ، ويزيدَ بن مَزْيَد ، في جيوشٍ كثيرةٍ كثيفة ، فأصلحوا ما فسد في تلك البلاد . وحجَّ بالناسِ العباسُ بن موسى الهادي .

وفيها توفي من الأعيان :

عليُّ بن الفُضيل بن عياض في حياةِ أبيه ؛ كان كثيرَ العبادةِ والوَرَع ، والخوفِ والخَشْيَة .

ومحمد بن صُبيح[٢] أبو العباس : مولى بني عِجْل المذكِّر ، ويعرف بابن السَّمَّاك . روى عن إسماعيلَ بنِ أبي خالد ، والأعمش ، والثوري ، وهشام بن عروة ، وغيرِهم . ودخل يوماً على الرشيد فقال : إنَّ لك بين يدَيِ الله موقفاً ، فانظُرْ أين مُنْصَرَفُكَ ؟ إلى الجنةِ أمِ النَّارِ ؟ فبكى الرشيدُ حتى كاد يموتُ .

وموسى بن جعفر[٣] بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو الحسن الهاشمي ، ويُقال

---

(١) ترجمته في التاريخ الكبير (٨/ ٣٣٥) ، التاريخ الصغير (٢/ ٢٣٠) ، الكنى والأسماء لمسلم (١/ ٧٥٩) ، الجرح والتعديل (٩/ ٢٦٣) ، مولد العلماء ووفياتهم (٤١٢) ، طبقات المحدثين (٧١) ، تقريب التهذيب (٦٠١) ، نزهة الألباب في الألقاب ، طبقات الحفاظ (١١٦) .

(٢) ترجمته في التاريخ الكبير (١/ ١٠٦) ، الجرح والتعديل (٧/ ٢٩٠) ، الثقات لابن حبان (٩/ ٣٢) ، حلية الأولياء (٨/ ٢٠٣) ، تاريخ بغداد (٥/ ٣٦٨) ، المقتنى في سرد الكنى (١/ ٣٤٣) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٢٨) ، ميزان الاعتدال (٦/ ١٩٠) ، لسان الميزان (٥/ ٢٠٤) .

(٣) ترجمته في الجرح والتعديل (٨/ ١٣٩) ، الضعفاء للعقيلي (٤/ ١٥٦) ، تاريخ بغداد (١٣/ ٢٧) ، صفة الصفوة=

له الكاظم . وُلد سنة ثمانٍ أو تسعٍ وعشرين ومئة ؛ وكان كثيرَ العبادةِ والمروءة ، إذا بلغَهُ عن أحدٍ أنه يؤذيه أرسل إليه بالذَّهَبِ والتُّحَف . وُلد له من الذكورِ والإناث أربعونَ نَسَمة . وأهدَى له مرةً عبدٌ عصِيدَةً ، فاشتراهُ واشترى المزرعةَ التي هو فيها بألفِ دينار ، وأعتَقَهُ وَوَهب المزرعةَ له . وقد استدعاهُ المهديُّ إلى بغداد ، فحَبَسه ، فلما كان في بعضِ الليالي ، رأى المهديُّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ وهو يقولُ له : يا محمد ، ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد : ٢٢] ، فاستيقظ مذعوراً ، وأمَرَ بهِ فأُخرج من السجنِ ليلاً ، فأجلَسَهُ معه وعانَقَه ، وأقبل عليه ، وأخذ عليه العَهْدَ أنْ لا يَخرُجَ عليه ، ولا على أحدٍ من أولادِه . فقال : والله ما هذا من شأني ، ولا حدَّثْتُ فيه نفسي . فقال : صدقت . وأمَرَ له بثلاثةِ آلافِ دينار ، وأمَرَ به فرُدَّ إلى المدينة ، فما أصبح الصباحُ إلَّا وهو على الطريق ، فلم يزَلْ بالمدينةِ حتى كانتْ خلافةُ الرشيد ، فحجَّ ، فلما دخَلَ لِيُسلِّمَ على قبرِ النبيِّ ﷺ ، ومعه موسى بن جعفر الكاظِم ، فقال الرشيدُ : السلامُ عليكَ يا رسولَ الله ، يا بنَ عمّ . فقال موسى : السلامُ عليك يا أبتِ . فقال الرشيد : هذا هو الفخرُ يا أبا الحسن ! ثم لم يزَلْ في نفسِه حتى استدعاهُ في سنةِ تسعٍ وستين ، وسجَنَهُ فأطالَ سجنَه ؛ فكتب إليه موسى رسالةً يقولُ فيها : أمَّا بعد ، يا أمير المؤمنين ، إنه لم ينقَضِ عنِّي يومٌ من البلاء إلَّا انقضَى عنك يومٌ من الرَّخاء ، حتى يُفضي بنا ذلك إلى يومٍ يَخْسَرُ فيهِ الْمُبْطلون .

توفي لخمسٍ بقينَ من رجب من هذه السنةِ ببغداد ، وقبرُه هناك مشهور .

وفيها توفي :

هُشيم بن بَشير أبي خازم[1] بن القاسم بن دينار ، أبو معاوية السُّلَمي الواسطي ، كان أبوهُ طَبَّاخاً للحجَّاج بن يوسف الثقفي ثم كان بعدَ ذلك يَبيعُ الصَّحْناةَ والكوامِخ[2] . وكان يَمْنعُ ابنَهُ منْ طلَبِ العلم

= (٢/ ١٨٤) ، تهذيب الكمال (٢٩/ ٤٣) ، ميزان الاعتدال (٦/ ٥٣٨) ، تهذيب التهذيب (١٠/ ٣٠٢) ، تقريب التهذيب (٥٥٠) .

(١) ترجمته في التاريخ الكبير (٨/ ٢٤٢) ، التاريخ الصغير (٢/ ٢٣٢) ، الكنى والأسماء لمسلم (٢/ ٧٥٩) ، الجرح والتعديل (٩/ ١١٥) ، معرفة الثقات (٢/ ٣٣٤) ، مشاهير علماء الأمصار (١٧٧) ، ميزان الاعتدال (٧/ ٩٠) ، المقتنى في سرد الكنى (٨٦) ، تذكرة الحفاظ (٢٤٨) ، طبقات المحدثين (٧٠) ، تهذيب التهذيب (١١/ ٥٣) ، تقريب التهذيب (٥٧٤) ، لسان الميزان (٧/ ٤١٩) ، طبقات الحفاظ (١١١) .

(٢) « الصِّحْناةُ » ـ بالكسر ـ : إدامٌ يُتَّخذُ من السمك ، يُمدُّ ويقصر ، والصَّحناةُ أخصُّ منه . وقال ابن سيده : الصِّحْنا والصِّحْناةُ الصِّيرُ . وحُكي عن أبي زيد : الصِّحْناة فارسية ، وتسمِّيها العربُ الصِّيرَ ، قال : وسأل رجل الحسن عن الصحناة فقال : وهل يأكل المسلمون الصِّحْناة ؟ قال : ولم يعرفها الحسن لأنها فارسية ، ولو سأله عن الصِّير لأجابه . وأورد ابنُ الأثير هذا الفصل وقال فيه الصِّحْناةُ هي التي يقال لها الصِّيرُ ، قال ، وكلا اللفظين غير عربي . والكوامخ : جمع الكامخ : وهو نوع من الأدْم معرّب . لسان العرب (كمخ ، صحن) .

لِيُسَاعِدَهُ على شُغْلِه[١] ، فأبى إلَّا أنْ يسمعَ الحديث ، فاتفق أنَّ هُشيماً مَرِض ، فجاءه أبو شيبةَ قاضي واسط عائداً له ، ومعه خَلْقٌ من الناس ، فلما رآه بَشِير فرح بذلك وقال : يا بُني أبَلَغَ من أمرِك أنْ جاء القاضي إلى مَنْزلي ؟! لا أمنعُكَ بعدَ هذا اليومِ من طلبِ الحديث . كان هُشيم من ساداتِ العلماء ، وحدَّث عنه مالك ، وشعبة ، والثَّوْري ، وأحمد بن حنبل ، وخلقٌ غيرُ هؤلاء . وكان من الصلحاء العُبَّاد ؛ ومكَثَ يُصلِّي الصُّبحَ بوضوءِ العِشاء قبلَ أنْ يَموتَ بعشرِ سنين .

ويحيى بن زكريا[٢] بن أبي زائدة ، قاضي المدائن ، كان من الأئمةِ الثقات .

ويونس بن حَبيب[٣] : أحد النحاةِ النجباء . أَخَذَ النحوَ عن أبي عمرو بن العلاء وغيرِه ، وأخذ عنه الكِسَائي والفَرَّاء . وقد كانتْ له حَلْقةٌ بالبصرةِ يَنتابُها أهلُ العلمِ والأدب ، والفصحاء من الحاضرين والغرباء . تُوفي في هذه السنة عن ثمانٍ وسبعين سنة .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومئة

فيها رجَعَ الرشيدُ من الرقَّةِ إلى بغداد ، فأخذ الناسُ بأداءِ بقايا الخراج الذي عليهم ، وولَّى رجلاً يضربُ الناسَ على ذلك ويَحْبسُهم ، وولَّى على أطرافِ البلاد ، وعزَلَ وولَّى وقطَعَ ووَصَل .

وخرج بالجزيرةِ أبو عمرو الشاري ، فبعث إليه الرشيدُ من قِبَلِه شَهْرَزُور . وحجَّ بالناس فيها إبراهيمُ بن محمد العباسي .

وفيها تُوفي :

أحمد ابن أمير المؤمنين الرَّشِيد[٤] : كان زاهداً عابداً قد تنسَّك ، وكان لا يأكلُ إلَّا من عمَلِ يدِه في الطِّين . كان يعملُ فاعلاً فيه ، وليس يَمْلِكُ إلَّا مَرّاً وزِنْبِيلاً[٥] ؛ أي : مِجْرَفَة وقُفَّة . وكان يعملُ في كلِّ

---

(١) في (ب ، ح) : « ليساعده على صناعته » .

(٢) ترجمته في التاريخ الكبير (٨/ ٢٧٣) ، الكنى والأسماء لمسلم (١/ ٣٦١) ، معرفة الثقات (٢/ ٣٥٢) ، ذكر أسماء التابعين فمن بعدهم (٤٠٣) ، المقتنى في سرد الكنى (٢٦٩) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٦٧) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٣٧) ، طبقات المحدثين (٧٠) ، طبقات الحفاظ (١٢٠) .

(٣) ترجمته في التاريخ الكبير (٨/ ٤١٣) ، الكنى والأسماء (١/ ٥٢٥) ، الجرح والتعديل (٩/ ٢٣٧) ، الثقات لابن حبان (٩/ ٢٩٠) ، الفهرست (٦٢) ، المقتنى في سرد الكنى (٣٧٠) .

(٤) ترجمته في المنتظم لابن الجوزي (٩/ ٩٣) ، وفيات الأعيان (١/ ١٦٨) .

(٥) في (ح ، ق) : « مرواً وزنبيلاً » وهو تصحيف والمثبت من (ب) ، والمرُّ : المِسْحاة . والزِّنْبيل : الجِراب ، وقيل : الوِعاء يُحْمل فيه ، فإذا جَمَعوا قالوا زَنَابيل . وقيل : الزِّنْبيل خطأ ، وإنما هو زَبيل وجمعه زُبُل وزُبْلان . لسان العرب (مرر ، زبل) .

جمعةٍ بدِرْهمٍ ودانِق ، يتقوَّتُ بهما من الجمعةِ إلى الجمعة ، وكان لا يعملُ إلّا في يومِ السبت فقط[١] ؛ ثم يُقبلُ على العبادةِ بقيَّةَ أيامِ الجُمعة ، وكان من زُبيدةَ في قولِ بعضِهم ، والصحيحُ أنَّهُ من امرأةٍ كان الرشيدُ قد أحبَّها فتزوَّجها ، فحملَتْ منه بهذا الغلام ؛ ثم إنَّ الرشيدَ أرسلها إلى البصرة ، وأعطاها خاتماً من ياقوتٍ أحمر ، وأشياءَ نفيسة ، وأمرَهَا إذا أفضَتْ إليه الخلافةُ أنْ تأتيه ؛ فلما صارَتِ الخلافةُ إليه لم تأتِه ، ولا ولَدُها ، بل اختفيا . وبلغَهُ أنَّهما ماتا ، ولم يكنِ الأمرُ كذلك ، وفحَصَ عنهما فلم يطلِعْ لهما على خبر ، فكان هذا الشابُّ يعملُ بيدِهِ ويأكلُ من كَدِّها ، ثم رجَعَ إلى بغداد ، وكان يعملُ في الطِّين ويأكلُ مدَّةً زمانية . هذا وهو ابنُ أميرِ المؤمنين ، ولا يذكرُ للناسِ منْ هو ، إلى أن اتَّفقَ مرَضُهُ في دارِ منْ كان يستعملُه في الطِّين ، فمرَّضَهُ عندَه ، فلمَّا احتُضر ، أخرج الخاتمَ وقال لصاحبِ المنزل : اذهَبْ بهذا إلى الرشيد ، وقل له : صاحبُ هذا الخاتم يقولُ لك : إيَّاكَ أنْ تموتَ في سكرتِكَ هذهِ فتندَمَ حيثُ لا ينفَعُ نادماً ندَمُه ، واحذَرِ انصرافَكَ منْ بين يدي الله إلى الدارَيْن ، وأنْ يكونَ آخرَ العَهْدِ بك ، فإنَّ ما أنتَ فيه لو دامَ لغيرِك لم يَصِلْ إليك ، وسيصيرُ إلى غيرِك ، وقد بَلَغكَ أخبارُ مَنْ مَضَى .

قال : فلمَّا ماتَ دَفنْتُه ، وطلبتُ الحضورَ عندَ الخليفة ، فلمَّا أُوقفتُ بين يديه قال : ما حاجتُك ؟ قلت : هذا الخاتم دفعَهُ إليَّ رجل ، وأمَرني أنْ أدْفعَهُ إليك ، وأوصاني بكلامٍ أقوله لك . فلمَّا نظَرَ إليه عرَفَهُ فقال : وَيْحك ! وأين صاحبُ هذا الخاتم ؟ قال : فقلت : ماتَ يا أميرَ المؤمنين ، وهو يقولُ لك : احذَرْ أن تموتَ في سَكْرَتِكَ هذهِ فتندَم . وذكرتُ له أنه يعملُ بالفاعل في كلِّ جمعةٍ يوماً بدرهمٍ وأربعِ دوانيق ، أو بدرهمٍ ودانق ، يتقوَّتُ به سائرَ الجمعة ، ثم يُقبلُ على العبادة . قال : فلما سمع هذا الكلام قامَ فضرَبَ بنفسِهِ الأرض ، وجعل يتمرَّغُ ويتقلَّبُ ظهراً لِبَطْنٍ ويقول : والله لقد نصَحْتَني يا بُني . ثم بكى ، ثم رفع رأسَهُ إلى الرجل وقال : أتعرِفُ قبرَه ؟ قلت : نعم ، أنا دفنتُه . قال : إذا كان العشيُّ فأْتني . قال : فأتيتُهُ فذهَبَ إلى قبرِه ، فلم يزَلْ يبكي عندَهُ حتى أصبح . ثم أمر لذلك الرجل بعشرةِ آلافِ درهم ، وكتب له ولعيالِهِ رزقاً .

وفيها مات :

عبد الله بن مُصْعَب[٢] بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام القُرَشيُّ الأسديّ ، والدُ بكّار ، ألزمه

---

(١) رواية (ب ، ح) : « كانت أجرتُهُ في كل يومٍ يعملُ فيه من الجمعةِ إلى الجمعة درهما ودانِقاً » .

(٢) ترجمته في التاريخ الكبير (٥/ ٢١١) ، الجرح والتعديل (٥/ ١٧٨) ، الثقات لابن حبان (٧/ ٥٦) ، تاريخ بغداد (١٠/ ١٧٣) ، ميزان الاعتدال (٤/ ٢٠١) ، المغني في الضعفاء (٣٥٨) ، الإكمال للحسيني (٦٥٠) ، لسان الميزان (٣/ ٣٦١) ، تعجيل المنفعة (٢٣٥) ، نزهة الألباب في الألقاب (٢/ ١٠) .

الرشيدُ بولايةِ المدينة ، فقَبِلها بشروطِ عَدْلٍ اشترَطَها ، فأجابه إلى ذلك ؛ ثم أضاف إليه نيابةَ اليمن ، فكان من أعدَلِ الولاة . وكان عمرُهُ يوم تولَّى نحواً من سبعين سنة .

عبد الله بن عبد العزيز العمري[١] : أدرك أبا طُوَالة ، وروى عن أبيه ، وإبراهيم بن سعد . وكان عابداً زاهداً ؛ وعَظَ الرشيدَ يوماً فأطنَبَ وأطيَب. قال له وهو واقفٌ على الصفَا : أتنظُرُ كم حولَها ـ يعني الكعبة ـ من الناس ؟ فقال : كثير . فقال : كلٌّ منهم يُسألُ يومَ القيامة عن خاصَّةِ نفسِه ، وأنتَ تسألُ عنهم كلِّهم . فبكى الرشيدُ بكاءً كثيراً . وجعلوا يأتونَهُ بِمنديلٍ بعدَ منديل ، ينشفُ به دموعَه . ثم قال له : يا هارون ، إنَّ الرجل لَيُسْرِفُ في مالِهِ فيستحقُّ الحَجْرَ عليه ، فكيف بمَنْ يُسْرِفُ في أموالِ المسلمين كلِّهم ؟ ثم تركه وانصرَف ، والرشيدُ يبكي . وله معَهُ مواقفُ محمودةٌ غير هذه . تُوفي عن ستٍّ وستين سنة .

ومحمد بن يوسف بن مَعْدَان[٢] أبو عبد الله الأصبهاني ، أدرك التابعين ، ثم اشتغل بالعِبَادَةِ والزَّهادَة ، كان عبدُ الله بن المبارك يُسَمِّيهِ عَرُوسَ الزُّهَّاد . وقال يحيى بنُ سعيد القَطَّان : ما رأيتُ أفضلَ منه ، كان كأنَّهُ قد عايَن . وقال ابنُ مهدي : ما رأيتُ مثلَه . وكان لا يشتري خُبزهُ من خبَّازٍ واحد ، ولا بَقْلَهُ من بقَّالٍ واحد ، كان لا يشتري إلَّا ممَّنْ لا يعرِفه ، يقول : أخشَى أنْ يُحابوني فأكونُ ممَّن يعيشُ بدينِهِ . وكان لا يضعُ جَنْبَهُ للنوم صيفاً ولا شتاءً . ومات ولم يجاوِزِ الأربعين سنةً . رحمه الله .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومئة

فيها قَتَل أهلُ طَبَرِسْتان مُتولِّيهم مِهْرَوَيْه الرازي ؛ فوَلَّى الرشيدُ عليهم مكانَهُ عبدَ الله بنَ سعيد الحَرَشيَّ .

وفيها قَتَل عبدُ الرحمن الأنباري أبانَ بن قَحْطبة الخارجي بمَرْجِ القَلْعَة[٣] .

---

(١) ترجمته في التاريخ الكبير (٥/ ١٤٠) ، التاريخ الصغير (٢/ ٢٣٥) ، مشاهير علماء الأمصار (١/ ١٢٩) ، الثقات (٧/ ١٩) ، مولد العلماء ووفياتهم (٤١٦) ، صفة الصفوة (٢/ ١٨١) ، تهذيب الكمال (١٥/ ٢٤١) ، المقتنى في سرد الكنى (١/ ٣٧٠) ، ميزان الاعتدال (٤/ ١٤١) .

(٢) ترجمته في الجرح والتعديل (٨/ ١٢١) ، الثقات لابن حبان (٩/ ٧٤) ، حلية الأولياء (٨/ ٢٢٥) ، (١٠/ ٣٨٩) ، طبقات المحدثين بأصبهان (٢/ ٢١ ، و٣/ ٤٣٩) ، صفة الصفوة (٤/ ٨١) ، المختار من مناقب الأخيار (٤/ ٤٨٢) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ١٢٥) ، الوافي بالوفيات (٥/ ٢٤٤) ، طبقات الأولياء (٤٠٤) ، النجوم الزاهرة (٢/ ١١٧) ، طبقات الشعراني (١/ ٦١) ، الكواكب الدرية (١/ ١٦٣) .

(٣) في (ق) : « مرج العلقة » ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) ومعجم البلدان (٤/ ٣٨٩ و٥/ ١٠١) ، وفيه : القَلَعة بالتحريك مَرْجُ القَلَعة ، قال العمراني : موضعٌ بالبادية ، وإليه تُنسب السيوف . وقيل : هي القرية التي دون حُلْوانَ العراق . بينه وبين حُلْوان مَنْزل ، وهو من حُلْوان إلى جهةِ هَمَذان .

وفيها عاثَ حمزةُ الشاري ببلادِ باذَغِيس[١] من خُراسان . فنهض عيسى بنُ علي بن عيسى إلى عشرةِ آلافٍ من جيشِ حمزةَ فقتلهم ، وسار وراء حمزة إلى كابُل وزابُلِسْتان[٢] .

وفيها خرج أبو الخَصيب ، فتغلَّبَ على أبيوَرْدَ ، وطُوس ، ونَيْسابور ؛ وحاصر مَرْو ؛ وقَوي أمرُه .

وفيها توفي يزيد بن مَزْيَد بِبَرْذَعَة[٣] فولَّى الرشيدُ مكانهُ ابنهُ أسدَ بن يزيد . واستأذن الوزير يحيى بنُ خالد الرشيدَ في أن يعتمرَ في رمضان ، فأذنَ له ؛ ثم رابَطَ بجُنده إلى وقتِ الحجّ . وكان أمير الحج في هذه السنة منصور بن محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس .

وفيها توفي :

عبدُ الصَّمَد بنُ علي[٤] بنِ عبد الله بنِ عباس بن عبد المطَّلبِ الهاشمي ، عَمُّ السفَّاحِ والمنصور . وُلد سنة أربعٍ ومئة ؛ وكان ضخمَ الخَلْق جداً ، ولم يُبَدِّلْ أسنانَه ، وكانتْ أصولُها صفيحةً واحدة . قال يوماً للرشيد : يا أمير المؤمنين ، هذا المجلسُ اجتمع فيه عمُّ أميرِ المؤمنين ، وعمُّ عَمِّه وعَمُّ عَمِّ عمِّه ؛ وذلك أنَّ سليمانَ بنِ أبي جعفر عمُّ الرشيد ، والعباسَ بنَ محمد بن علي عمُّ سليمان ، وعبدَ الصمدِ بنَ علي عَمُّ السفَّاح . وتلخيصُ ذلك أنَّ عبدَ الصمد عَمُّ عمِّ عمِّ الرشيد ، لأنه عمُّ جدِّه .

روى عبدُ الصمد عن أبيه ، عن جدِّه عبدِ الله بن عباس ، عن النبيِّ ﷺ قال : « إنَّ البِرَّ والصِّلَةَ لَيُطيلانِ الأعمار ، ويُعْمِرَانِ الدِّيار ، ويُثْرِيانِ الأموال . ولو كان القومُ فُجّاراً »[٥] .

---

(١) « باذَغيس » ـ بفتح الذال وكسر الغين المعجمة وياء ساكنة وسين مهملة ـ : ناحيةٌ تشتملُ على قرى من أعمالِ هَرَاة ومَرْو الرُّوذ ، يكثر فيها شجر الفستق . وقيل : إنها كانت دارُ مملكة الهياطلة . وقيل أصلها بالفارسية باذخير ، معناه قيام الريح أو هبوب الريح لكثرة الرياح بها . معجم البلدان (١/ ٣١٨) .

(٢) « زابُلِسْتان » ـ بعد الألف باء موحدة مضمومة ، ولام مكسورة وسين مهملة ساكنة وتاء مثناة من فوق وآخره نون ـ : كورةٌ واسعةٌ قائمةٌ برأسها جنوبيَّ بَلْخ وطُخارستان وهي زابُل ، والعجَم يزيدون السين وما بعدها في أسماء البلدان شبيها بالنسبة ، وهي منسوبة إل زابُل جدِّ رُستم بن دستان ؛ وهي البلادُ التي قَصَبتُها غُزْنة البلد المعروف العظيم . معجم البلدان (٣/ ١٢٥) .

(٣) « برذعة » ـ وقد رواه أبو سعد بالدال المهملة ، والعين مهملة عند الجميع ـ : بلد في أقصى أذْرَبيجَان . وقال هلال بن المحسن : برذعة قصبة أذربيجان . وذكر ابنُ الفقيه أن برذعة هي مدينة أران وهي آخرُ حدودِ أذْربيجان . وهي نزهةٌ خِصْبةٌ كثيرةُ الزرع والثمار جدّاً ، وليس ما بين العراق وخراسان بعد الرّي وأصبهان مدينةٌ أكبرَ ولا أخصبَ ولا أحسنَ موضعاً من مرافق برذعة معجم البلدان (١/ ٣٧٩) .

(٤) ترجمته في مولد العلماء ووفياتهم (٤١٩) ، تاريخ بغداد (١١/ ٣٧) ، وفيات الأعيان (٣/ ١٩٥) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ١٢٩) ، العبر (١/ ٢٩٠) ، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (٢/ ١٧٨) .

(٥) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١/ ٣٨٦) ؛ وذكره العجلوني في كشف الخفا (١/ ٣٣٤) برقم (٨٩٠) بلفظ :=

وبه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ البرَّ والصلةَ لَيُخَفِّفانِ الحسابَ يومَ القيامة » . ثم تلا رسولُ الله ﷺ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [الرعد : ٢١][1] . وغير ذلك من الأحاديث .

ومحمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس المعروف بالإمام ، كان على إمارةِ الحاج ، وإقامةِ سِقَايتِهِ في خلافةِ المنصور عِدَّةَ سنين . تُوفي ببغداد فصلَّى عليه الأمينُ في شوال من هذه السنة ودُفن بالعباسيَّة .

وفيها توفي من مشايخِ الحديث :

تمام بن إسماعيل .

وعمرو بن عبيد .

والمطلب بن زياد .

والمُعافى بن عمران في قول .

ويوسُف بن الماجِشُون .

وأبو إسحاق الفَزَاري[2] ، إمامُ أهلِ الشام بعدَ الأوزاعي في المغازي والعلم والعبادة .

ورابعَة العَدَويَّة[3] : وهي رابعةُ بنتُ إسماعيل ، مولاةُ آلِ عَتِيك ، العَدَوِيَّةُ البصريَّةُ ، العابدةُ

= « البر وحسن الجوار ، عمارة الديار ، وزيادة الأعمار » وقال : رواه ابنُ عبدِ البرّ عن أبي سعيد الخدري موقوفاً ؛ وقيل مرفوعاً . قال في المقاصد نقلاً عن ابنِ عبدِ البر : وفيه نظر . وتبعه الذهبي ثم شيخُنا . وقال النجم : وعند الديلمي عن ابن عباس « البر والصلة يطيلان الأعمار ، ويعمران الديار ، ويثريان الأموال ، ويُخفِّفَانِ سُوءَ الحساب » . أقول : وهو ضعيف بهذا اللفظ ، وقد رواه أحمد في المسند (٦/ ١٥٩) عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « صلة الرحم ، وحسن الجوار ، وحسن الخلق ، يعمرن الديار ، ويزدن في الأعمار » وهو حديث صحيح ورواه الباغندي في جزء له .

(١) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١/ ٣٨٦) ، وذكره العجلوني في كشف الخفا ، وانظر الحاشية السابقة .

(٢) سيذكر المؤلف وفاته في سنة (١٨٨) ، انظر ص(٢٠٠) من نسخة (ق) ؛ وترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٨٨) ، طبقات خليفة (٣١٧) ، التاريخ الكبير (١/ ٣٢١) ، التاريخ الصغير (٢/ ٢١٧) ، المعرفة والتاريخ (١/ ١٧٧) ، حلية الأولياء (٨/ ٢٥٣) ، معجم الأدباء (١/ ٢٠٩) ، المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير (١/ ٢٦٩) ، الكامل لابن الأثير (٦/ ١٧٤) ، مختصر تاريخ ابن عساكر (٤/ ١١٣) ، تهذيب الكمال (٢/ ١٦٧) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٧٣) (أو ٥٣٩) (ترجمة رقم ١٤٢) ، وطبقات علماء الحديث (١/ ٣٩٩) ، الوافي (٦/ ١٠٤) ، طبقات الحفاظ (١١٧) ، شذرات الذهب (١/ ٣٠٧) .

(٣) ترجمتها في صفة الصفوة (٤/ ٢٧) ، المختار من مناقب الأخيار (٥/ ٢٥٣) ، وفيات الأعيان (٢/ ٢٨٥) ، سير =

المشهورة ؛ ذكرَهَا أبو نُعيم في « الحلية » ؛ والقشيري في « الرسالة »[(١)] ؛ وابنُ الجَوْزي في « صِفَة الصَّفْوَة » ؛ والشيخ شهاب الدِّين السَّهْرَوَردي في « المعارف » . وأثنى عليها أكثرُ الناس ، وتكلَّم فيها أبو داود السِّجْستاني ، واتَّهمَها بالزَّندَقة ، فلعلَّه بلغه عنها أمر . وأنشَدَ لها السَّهْرَوَرْديُّ في « المعارف » :

إنـي جعلتُـكَ فـي الفـؤادِ مُحـدِّثـي وأبَحْـتُ جِسْمـيَ مـنْ أرادَ جُلـوسـي
فـالجسـمُ منِّـي للجَليـسِ مـؤانِـسٌ وحَبيـبُ قلبـي فـي الفـؤادِ أنيسـي[(٢)]

وقد ذكروا لها أحوالاً وأعمالاً صالحة ، وصيامَ نهارٍ وقيامَ ليلٍ . ورُئيتْ لها منامات صالحة ، فالله أعلم .

تُوفِّيتْ بالقُدْس الشريف ، وقبرُها شرقيَّةُ بالطُّور . والله أعلم .

ثم دخلت سنة ست وثمانين ومئة

فيها خرجَ عليُّ بنُ عيسى بن ماهان من مَرْو لِحَرْبِ أبي الخَصيب إلى نَسَا ؛ فقاتَلَهُ بها ، وسَبَى نساءَهُ وذَرَاريَّهُ . واستقامَتْ خُراسان . وحجَّ بالناسِ فيها الرشيد ، ومعه ابناهُ محمدٌ الأمين ، وعبد الله المأمون ، فبلَغَ جملةُ ما أعطى لأهلِ الحرَمَيْن ألفَ ألفِ دينار ، وخمسين ألفَ دينار ، وذلك أنه كان يُعطي الناس ، فيذهبونَ إلى الأمين فيُعطيهم ، فيذهبون إلى المأمون فيعطيهم . وكان إلى الأمين ولايةُ الشام والعراق ، وإلى المأمون هَمَذان إلى بلاد المشرق ، ثم تابع الرشيدُ لولدِهِ القاسم من بعدِ ولدَيْه ، ولقَّبهُ المؤتَمن ، وولَّاهُ الجزيرةَ والثُّغور والعواصم ، وكان الباعث له على ذلك أنَّ ابنه القاسم هذا كان في حِجْر عبدِ الملك بن صالح ، ولما بايَعَ الرشيدُ لولدَيْه الأمين والمأمون كتَبَ إليه :

يـا أيهـا الملـكُ الـذي لـو كـان نجمـاً كـان سَعْـدا
اعقِـدْ لقـاسِـم بيعـةً واقدَحْ له في المُلك زَنْدا
فـالله فـرْدٌ واحـدٌ فاجْعلْ وُلاةَ العَهْدِ فَرْدا[(٣)]

= أعلام النبلاء (٨/ ٢١٥) (٢٤١) ، العبر (١/ ٢٧٨) ، مرآة الجنان (١/ ٢٨١) ، الوافي بالوفيات (١٤/ ٥١) ، طبقات الأولياء (٤٠٨) ، النجوم الزاهرة (١/ ٣٣٠) ، طبقات الشعراني (١/ ٦٥) ، الكواكب الدرية (١/ ٢٨٥) ، شذرات الذهب (١/ ١٩٣) .

(١) لم أجد لها ترجمة مفردة في الرسالة القشيرية بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ، ومحمود بن الشريف ؛ ولكن لها ذكر في مواضع متفرِّقة منها ، انظر فهارس الرسالة القشيرية .

(٢) البيتان في صفة الصفوة (٤/ ٣٠١ ، ٣٠٢) ، وجامع العلوم والحكم (٤٤٩) .

(٣) الأبيات في المنتظم لابن الجوزي (٩/ ١١١) .

ففعل الرشيدُ ذلك ، وقد حَمَدهُ قومٌ على ذلك وذَمَّهُ آخرون . ولم ينتظِمْ للقاسم هذا أمر ، بلِ اختطفَتْهُ المَنُونُ والأقدارُ عن بلوغِ الأملِ والأوطار . ولما قَضَى الرشيدُ حجَّه أحضر منْ معه من الأمراءِ والوزراء ، وأحضر وليَّ العهد محمداً الأمين ، وعبدَ الله المأمون ، وكتب بمضمونِ ذلك صحيفةً ، وكتب فيها الأمراءُ والوزراءُ خُطوطَهم بالشهادةِ على ذلك ؛ وأرادَ الرشيدُ أن يُعلِّقَها في الكعبة فسقطَتْ ، فقيل : هذا أمرٌ سريعٌ انتقاضُه . وكذا وقَعَ كما سيأتي .

وقال إبراهيمُ المَوْصلي في عَقدِ هذه البَيْعةِ في الكعبة :

خيرُ الأمورِ مَغبَّةً ... وأحقُّ أمْرٍ بالتَّمامْ

أمرٌ قَضَى أحكامَهُ الرَّ ... حمنُ في البلدِ الحَرَامْ

وقد أطالَ القولَ في هذا المقام أبو جعفر بن جرير ، وتبعه ابنُ الجوزي في « المنتظم »[١] .

وفيها تُوفي من الأعيان :

أصبغُ بن عبدِ العزيز بن مروان بن الحكم أبو زَبَّان[٢] في رمضان منها .

وحسان بن إبراهيم قاضي كَرْمان عن مئةِ سنة .

وسَلْم الخاسِر الشاعر[٣] : وهو سَلْم بن عمرو بن حمَّاد بن عطاء ، وإنَّما قيل له الخاسر لأنَّه باع مُصحفاً واشترى به ديوانَ شعرٍ لامرىء القيس[٤] ، وقيل : لأنه أنفق مئتي ألفٍ في صناعةِ الأدب . وقد كان شاعراً منطيقاً ، له قدرةٌ على الإنشاء على حرفٍ واحد ، كما قال في موسى الهادي :

موسى المَطَرْ ، غَيْثٌ بَكَرْ ، ثم انْهَمَرْ ، كم اعتبَرْ ، ثم فتَرْ ، وكم قَدَرْ ، ثم غَفَرْ ، عدْلُ السِّيَرْ ، باقي الأثَرْ ، خَيْرُ البَشَرْ ، فَرْعُ مُضَرْ ، بَدْرٌ بَدَرْ ، لِمَنْ نَظَرْ ، هو الوَزَرْ[٥] ، لِمَنْ حَضَرْ ، والمُفْتَخَرْ ، لِمنْ غَبَرْ .

وذكر الخطيبُ أنه كان على طريقةٍ غيرِ مَرْضيَّةٍ من المُجونِ والفِسْق ، وأنه كان من تلاميذِ بشَّارِ بنِ بُرْد ، وأنَّ نظمَهُ أحسنُ من نظمِ بشار . فممَّا غلَبَ فيه بشاراً قولُه :

---

(١) انظر تاريخ الطبري (٥/ ٧١٠) ، والمنتظم (٩/ ١١٢) .

(٢) صُحِّفت كنيته في الأصول ، والمثبت من ترجمته في الإكمال لابن ماكولا (٤/ ١١٦) .

(٣) ترجمته في الأغاني (١٩/ ٢٧٦) . تاريخ بغداد (٩/ ١٣٦) ، المنتظم (٩/ ١٢٠) ، وفيات الأعيان (٢/ ٣٥٠) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ١٩٣) .

(٤) وقيل : لأنه ورث من أبيه مصحفاً فباعه واشترى بثمنه طُنبوراً . انظر الأغاني (١٩/ ٢٧٦) ، والمنتظم (٩/ ١٢٠) .

(٥) « الوَزَر » : الملجأ . لسان العرب (وزر) .

مَنْ راقَبَ الناسَ لم يظفَرْ بحَاجَتِهِ وفـاز بـالطَّيِّبـاتِ الفـاتِـكُ اللَّهِـجُ[١]

فقال سَلْم :

مَـنْ راقَـبَ النـاسَ مـاتَ غَمّـاً وفـاز بـاللَّـذَّةِ الجسـورُ

فغَضِبَ بشارٌ وقال : أخذَ مَعانيَّ فكساها ألفاظاً أخفَّ من ألفاظي .

وقد حَصَلَ له من الخلفاءِ والبرامكة نحو من أربعين ألفَ دينار ؛ وقيل : أكثر من ذلك ؛ ولما مات ترَكَ ستةً وثلاثين ألفَ دينار وديعةً عند أبي الشِّمْر الغسَّاني ؛ فغنَّى إبراهيمُ المَوْصِليُّ يوماً الرَّشيد ، فأطرَبَه ، فقال له : سلْ . فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أسألُكَ شيئاً ليس فيه من مالِكَ شيء ، ولا أرْزؤكَ شيئاً سواه . قال : وما هو ؟ فذكر له وديعةَ سَلْم الخاسِر ، وأنَّهُ لم يترُكْ وارثاً . فأمر له بِها . ويقال : إنها كانت خمسين ألفَ دينار .

والعباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، عمُّ أبي الرشيد ، كان من ساداتِ قُريش ، ولي إمارةَ الجزيرة في أيامِ الرشيد ، وقد أطلَقَ له الرشيدُ في يومٍ خمسةَ آلافِ ألفِ درهم ، وإليه تُنسب العبَّاسية ، وبها دُفن وعُمرُه خمسٌ وستون سنة . وصلَّى عليه الأمين .

ويَقْطِينُ بنُ مُوسى[٢] : كان أحدَ الدُّعاة إلى دولةِ بني العباس ، وكان داهيةً ذا رأي وقدِ احتالَ مرَّةً حيلةً عظيمة ، لما حبس مروانُ الحمار إبراهيمَ بن محمد بِحَرَّان ، فتحيَّرَتِ الشيعةُ العباسية فيمَنْ يولُّون ؟ ومَنْ يكونُ وليَّ الأمرِ من بعدِهِ إنْ قُتل ؟ . فذهب يقطينُ هذا إلى مروان ، فوقف بين يديه في صورةِ تاجرٍ فقال : يا أمير المؤمنين ، إني قد بعتُ إبراهيم بن محمد بضاعةً ولم أقبِضْ ثمنَها منه ، حتى أخَذَتْهُ رُسُلُك ، فإنْ رأى أميرُ المؤمنين أن يجمعَ بيني وبينه لأطالبَهُ بمالي فعَل . قال : نعم . فأرسل به إليه مع غلام ، فلما رآه قال : يا عدوَّ الله ، إلى مَنْ أوْصَيْتَ بعدَكَ آخُذُ مالي منه ؟ فقال له : إلى ابنِ الحارثيَّة . يعني أخاه عبدَ الله السفَّاح . فرجَعَ يقطينُ إلى الدعاة إلى بني العباس ، فأعلمهم بما قال ، فبايعوا السفَّاح ، فكان من أمرِهِ ما ذكَرْناه .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومئة

فيها كان مَهْلِكُ البَرامكة على يدَي الرشيد ، قتَلَ جعفرَ بن يحيى بن خالد البَرْمَكي ، ودَمَّرَ ديارَهم ، واندرستْ آثارُهم ، وذهب صغارُهم وكبارُهم . وقد اختُلف في سببِ ذلك على أقوال ، ذكرها ابنُ جرير

(١) البيت في ديوان بشار ص(٢٣٥) .

(٢) ترجمته في المنتظم لابن الجوزي (٩/ ١٢٥) ، النجوم الزاهرة (٢/ ١٢٠) .

وغيرُه من علماء التاريخ ، فمِمَّا قيل : إنَّ الرشيد كان قد سلَّم يحيى بن عبد الله بن حسن إلى جعفر البَرْمَكي لِيسجُنَهُ عندَه ، فما زال يحيى يترفَّق له حتى أطلقَهُ جعفر ، فنَمَّ الفضلُ بنُ الربيع في ذلك على جعفر إلى الرشيد ، فقال له الرشيد : وَيْلَكَ ! لا تدخُلْ بيني وبين جعفر ، فلعلَّهُ أطلَقَهُ عن أمْرِي وأنا لا أشعُر . ثم سأل الرشيدُ جعفراً عن ذلك ، فصدَّقه ، فتغيَّظَ عليه ، وحلَفَ لَيَقتُلَنَّه . وكرِهَ البرامكة ، ثم قتلهم وقلاهم بعدَما كانوا أحظَى الناس عندَه وأحبَّهم إليه . وكانتْ أمُّ جعفر والفضل أمَّ الرشيد من الرَّضاعة ، وقد جعلهم الرشيدُ من الرفعةِ في الدنيا وكثرةِ المال بسببِ ذلك شيئاً كثيراً ، لم يحصُلْ لِمَنْ قبلَهم من الوزراء ، ولا لِمَنْ بعدَهم من الأكابر والرؤساء ، بحيثُ إنَّ جعفراً بَنَى داراً غَرِمَ عليها عشرين ألفَ ألفِ درهم ، وكان ذلك من جُملةِ ما نَقِمَهُ عليه الرشيد .

ويقال : إنما قتلهم الرشيدُ لأنه كان لا يَمُرُّ ببلدٍ ، ولا إقليمٍ ، ولا مزرعةٍ ، ولا بستانٍ إلَّا قيل : هذا لِجعفر . ويُقال : إنَّ البرامكةَ كانوا يُريدون إبطالَ خلافةِ الرشيد ، وإظهارَ الزَّنْدَقة . وقيل : إنما قتلهم بسببِ العبَّاسَة . ومن العلماء من أنكرَ ذلك ، وإنْ كان ابنُ جرير قد ذكرَه .

وذكر ابنُ الجوزي أنَّ الرشيد سُئل عن سببِ قتلِهِ البرامكَة فقال : لو أعلمُ أنَّ قميصي يعلَمُ ذلك لأحرقتُه . وقد كان جعفرٌ يدخلُ على الرشيد بغيرِ إذْن ، حتى كان يدخُلُ عليه وهو في الفِراش مع حظاياه ، وهذهِ وجاهةٌ عظيمة ، ومَنْزِلةٌ عالية ، وكان عندَهُ من أحظَى العُشَراء على الشراب المسكر ـ فإنَّ الرشيد كان يستعملُ في أواخرِ أيامِ خلافتِه المسكرَ وكأنَّه المختَلَفُ فيه ـ وكان أحبَّ أهلِهِ إليه العبَّاسةُ بنتُ المهدي ، وكان يُحضِرُها معه ، وجعفرٌ البرمكيُّ حاضرٌ أيضاً معَه ، فزوَّجَهُ بِها لِيحلَّ النظر إليها ، واشترطَ عليه أنْ لا يطأها ، وكان الرشيدُ ربما قامَ وتركهما وهما ثَمِلانِ من الشراب ، فربَّما واقَعَها جعفرٌ فحَبِلَتْ منه ، فولدَتْ ولداً وبعثَتْهُ مع بعضِ جواريها إلى مكة ، وكان يُرَبَّى بِها .

وذكر ابنُ خَلِّكان في الوفيات أنَّ الرشيد لَمَّا زوَّجَ أختَهُ العبَّاسة من جعفر أحبَّها حُبّاً شديداً ، فراوَدَتْهُ عن نفسِه فامتَنع أشدَّ الامتناع خوفاً من الرشيد ، فاحتالَتْ عليه ، وكانت أمُّهُ تُهدي له في كلِّ ليلةِ جمعةٍ جاريةً حسناءَ بِكْراً ، فقالت : أدخِلِيني عليهِ بصفةِ جارية . فهابَتْ ذلك ، فتهدَّدَتْها حتى فعلتْ ذلك ، فلما دخلَتْ عليه لم يتَحَقَّقْ وجهَها ، فواقَعَها ، فقالتْ له : كيف رأيتَ خديعةَ بناتِ الملوك ؟ وحملَتْ من تلك الليلة ، فدخلَ على أُمِّه فقال : بعتيني واللهِ برخيص . ثم إنَّ والدَهُ يحيى بن خالد جعل يُضَيِّقُ على عيالِ الرشيد في النَّفَقَة ، حتى شكَتْ زُبيدةُ ذلك إلى الرشيد مرَّاتٍ ، ثم أفشَتْ له سِرَّ العبَّاسة ، فاستشاطَ غيظاً ، ولما أخبرَتْهُ أنَّ الولدَ قد أرسلَتْ به إلى مكة ، حجَّ عامَ ذلك حتى تحقَّقَ الأمر .

ويقال : إنَّ بعضَ الجواري نَمَّتْ عليها إلى الرشيد ، وأخبرَتْهُ بما وقع ، وأنَّ الولدَ بمكة ، وعندَهُ جوارٍ وأموالٌ وحُلِيٌّ كثيرة ، فلم يصدِّقْ حتى حجَّ في السنةِ الخالية ، ثم كشَفَ الأمرَ عن الحال ، فإذا هو كما ذُكر .

وقد حجَّ في هذه السنة التي حجَّ فيها الرشيدُ يحيى بنُ خالدٍ الوزير وقد استشعرَ الغضب من الرشيدِ عليه ، فجعل يدعو عندَ الكعبة : اللهمَّ إنْ كان يُرضيكَ عني سلبُ جميعِ مالي وولدي وأهلي فافعَلْ ذلك ، وأبقِ عليَّ منهم الفضل . ثم خرج . فلما كان عند بابِ المسجد رجَعَ فقال : اللهمَّ والفضلُ معَهم ، فإنّي راضٍ برِضاك عني ، ولا تستثْنِ منهم أحداً .

فلما قفَلَ الرشيدُ من الحجِّ صار إلى الحِيرة ، ثم ركب في السُّفن إلى الغَمْرِ من أرضِ الأنبار ، فلما كانتْ ليلةُ السبت ، سَلْخَ المحرَّم من هذه السنة أرسل مسروراً الخادمَ ومعه حَمَّاد بن سالم أبو عصمة في جماعةٍ من الجند ، فأطافوا بجعفر بن يحيى ليلاً ، فدخل عليه مسرورٌ الخادم وعندَهُ بَخْتَيْشُوع المتطَبِّب وأبو زَكَّار[1] الأعمى المُغَنِّي الكَلْوَذاني ، وهو في أمرِه وسرورِه وأبو زكّار يُغنِّيه :

فـلا تَبْعَـدْ فكُـلُّ فتًـى سيـأتـي عليه الموتُ يَطْرُقُ أو يُغَادِي[2]

فقال الخادمُ له : يا أبا الفضل هذا الموتُ قد طرَقَك ، أجِبْ أميرَ المؤمنين . فقام إليه يُقَبِّلُ قدمَيْه ، ويدخُلُ عليه أنْ يُمكنَهُ فيدخلَ إلى أهلِهِ فيُوصِيَ إليهم ويُودِّعَهم ، فقال : أمَّا الدخـولُ فلا سبيلَ إليه ، ولكنْ أوْصِ . فأوْصَى وأعتَقَ جميعَ مماليكِه أو جماعةً منهم ، وجاءت رُسلُ الرشيدِ تستحِثُّه ، فأُخرج إخراجـاً عَنيفاً ، فجعلوا يقودونه حتى أتَوْا به المَنْزِل الذي فيه الرشيد ، فحبسَهُ وقيَّدَه بقيدِ حِمار ، وأعلموا الرشيدَ بما كان يفعل ، فامَرَ بضَرْبِ عُنقِه ، فجاء السَّيَّافُ إلى جعفر فقال : إنَّ أميرَ المؤمنين قد أمرَني أنْ آتيَهُ برأسِك . فقال : يا أبا هاشم ، لعلَّ أميرَ المؤمنين سكران ، فإذا صحا عاتَبَك فيَّ . فعاوَدَهُ فرجَعَ إلى الرشيد ، فقال : إنه يقولُ لعلَّك مشغول . فقال : يا ماصَّ بَظَرِ أمِّه ، ائتني برأسِه . فكرَّرَ عليه جعفرٌ المقالةَ ، فقال الرشيدُ في الثالثة : برئتُ من المهديِّ إنْ لم تأتِني برأسِه لأبعثَنَّ مَنْ يأتيني برأسِكَ ورأسِه . فرجع إلى جعفر ، فحزَّ رأسَه وأتى به إلى الرشيد ، فألقاه بين يديه ، وأرسل الرشيدُ من ليلتِه البُرُدَ بالاحتياطِ على البرامكةِ جميعِهم ببغدادَ وغيرِها ، ومن كان منهم بسبيل . فأُخذوا كلُّهم عن آخرِهم ، فلم يفْلتْ منهم أحد ، وحُبس يحيى بنُ خالد في مَنْزِله ، وحُبس الفضلُ بن يحيى في مَنْـزِلٍ آخر ، وأُخذ جميعُ ما يَمْلِكونَهُ من الدنيا ، وبعث الرشيدُ برأسِ جعفرٍ وجُثَّتِه ، فنُصب الرأسُ عند الجِسْرِ الأعلى ، وشُقَّتِ الجُثَّةُ باثنتَيْن ، فنُصب نصفُها الواحدُ عند الجسرِ الأسفل ، والأخرعند الجسرِ الآخر ، ثم أُحرقَتْ بعدَ ذلك ، ونُودِيَ في بغداد : أنْ لا أمانَ للبرامكة ، ولا لِمَنْ آواهم ، إلَّا محمد بن يحيى بن خالد ، فإنه مُستَثنىً منهم ، لِنُصْحِهِ للخليفة . وأُتِيَ الرشيد بأنس بن أبي شيخ ، كان يُتَّهَمُ بالزَّنْدَقة ، وكان مُصاحباً لجعفر ، فدار بينه وبين الرشيد كلام ، ثم أخرج

(١) صحفت اللفظة في الأصول ، والمثبت من تاريخ الطبري (٤/ ٦٦١) ، والإكمال لابن ماكولا (٤/ ١٨٧) .
(٢) الخبر والبيت في الأغاني (٧/ ٢٤٦) في ترجمة أبي زكار الأعمى .

الرشيدُ من تحتِ فراشِهِ سيفاً وأمر بضربِ عُنقِهِ به ، وجعل يتمثَّلُ ببيتٍ قيل في قتل أنسٍ قبلَ ذلك :

تلمَّظَ السيفُ من شوقٍ إلى أنس   فـالسيـفُ يلحَـظُ والأقـدارُ تنتظِـرُ

فضُربَتْ عُنقُ أنس ، فسبَقَ السيفُ الدَّمَ ، فقال الرشيد : رحمَ الله عبدَ الله بن مُصعَب . فقال الناس : إنَّ السيفَ كان للزُّبير بنِ العوّام . ثم شُحنت السجونُ بالبرامكة ، واستُلبَتْ أموالُهم كلُّها ، وزالتْ عنهمُ النِّعمة . وقد كان الرشيدُ في اليوم الذي قتل جعفراً في آخرِه هو وإيَّاهُ راكبَيْنِ في الصَّيد في أوَّله ، وقد خلا به دون ولاةِ العُهود ، وطيَّبَهُ في ذلك بالغالية بيدِه ، فلما كان وقتُ المغرب ودَّعَهُ الرشيدُ وضَمَّهُ إليه وقال : لولا أنَّ الليلةَ ليلةُ خلوتي بالنساء ما فارقتُك ، فاذهبْ إلى مَنْزِلك ، واشرَبْ واطرَبْ وطِبْ عيشاً ، حتى تكونَ على مثلِ حالي ، فأكون أنا وأنتَ في اللذَّةِ سواءً . فقال : والله يا أميرَ المؤمنين ، لا أشتهي ذلك إلَّا معَك . فقال : لا ، انصرِفْ إلى مَنْزِلك . فانصرَفَ عنه جعفر . فما هو إلَّا أنْ ذهب من الليلِ بعضُه حتى أوقعَ به من البأسِ والنَّكالِ ما تقدَّم ذكرُه ، وكان ذلك ليلةَ السبت ، آخرَ ليلةٍ من المحرَّم ، وقيل : إنَّها أولُ ليلةٍ من صَفَر في هذه السنة ، كان عمرُ جعفرٍ إذْ ذاك سبعاً وثلاثين سنة . ولما جاء الخَبرُ إلى أبيه يحيى بنِ خالد بقتلِه : قال : قتَلَ الله ابنَه . ولما قيل له : قد خَربَتْ دارُك . قال : خرَّب الله دورَه . ويقال : إنَّ يحيى لما نظر إلى دُوره وقد هُتكتْ ستورُها ، واستُبيحتْ قصورُها ، وانتُهب ما فيها قال : هكذا تقومُ الساعة . وقد كتَبَ إليه بعضُ أصحابه يُعزِّيه فيما جرى له ، فكتب إليه جوابَ التعزية : أنا بقضاء الله راضٍ وباختيارِهِ عالِم ، ولا يؤاخِذُ الله العبادَ إلَّا بذنوبهم ، وماالله بظلاَّمٍ للعبيد ، وما يغفِرُ الله أكثرُ ، ولله الحمد . وقد أكثر الشعراءُ من المراثي في البرامكة ، فمن ذلك قولُ الرَّقَاشي ، وقيل : إنَّها لأبي نُوَاس :

الآن استرَحْنـا واستراحَـتْ رِكـابُنَـا   وأمسَكَ مَنْ يُجْدي ومَنْ كان يَجْتَدي
فقلْ للمَطايَا قد أمِنْتِ من السُّرَى   وطَـيِّ الفيـافـي فَـدْفَـداً بعـدَ فَـدْفَـدِ
وقـلْ للمنـايـا قـد ظَفِـرْتِ بجعفـرٍ   ولـن تَظْفَـري مـن بعـدِهِ بِمُسَـوَّدِ
وقـلْ للعطـايـا بعـد فضـلٍ تعَطَّلـي   وقـلْ للـرزَّايـا كـلَّ يـومٍ تَجَـدَّدي
ودونَـكِ سيفـاً بـرمكيّـاً مُهَنَّـداً   أُصيـبَ بسيـفٍ هـاشمـيٍّ مُهنَّـدِ[1]

وقال الرَّقَاشيُّ وقد نظرَ إلى جعفرٍ وهو على على جذْعه :

أمَـا واللهِ لـولا خـوفُ واشٍ   وعيـنٌ للخليفـةِ لا تنـامُ
لَطُفْنـا حـولَ جِذْعِـكَ واستلَمْنـا   كمـا للنـاسِ بـالحجَـرِ استـلامُ
فما أبصرتُ قبلكَ يا بن يَحيى   حُسـامـاً فَلَّـهُ السيـفُ الحسـامُ

(١) الأبيات والخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٦٦٤) ، والكامل لابن الأثير (٥/ ٣٣٠) ، ووفيات الأعيان (١/ ٣٤٦) .

على اللذَّات والدنيا جميعاً ودولةِ آلِ بَرْمَكٍ السلامُ[١]

قال : فاستدعاهُ الرشيدُ فقال له : كم كان يُعطِيكَ جعفرٌ كلَّ عام ؟ قال : ألفَ دينار ، فأمر له بألفَيْ دينار .

وقال الزُّبير بن بكار عن عَمِّه مصعب الزُّبيري قال : لما قتل الرشيدُ جعفراً وقفتِ امرأةٌ على حمارٍ فارِهٍ فقالتْ بلسانٍ فصيح : والله يا جعفر ، لئن صرتَ اليومَ آيةً لقد كنتَ في المكارم غاية . ثم أنشأتْ تقول :

ولما رأيتُ السيفَ خالَطَ جعفراً ونادَى منادٍ للخليفةِ في يحيى
بكَيْتُ على الدنيا وأيقنتُ أنَّما قُصَارَى الفتى يوماً مُفارقةُ الدنيا
وما هي إلَّا دولةٌ بعدَ دولةٍ تُخَوِّلُ ذا نُعْمَى وتُعْقِبُ ذا بَلْوَى
إذا أنزلَتْ هذا منازلَ رفعةٍ من المُلكِ حَطَّتْ ذا إلى الغايةِ القُصْوَى

قال : ثم حرَّكَتْ حمارَها فذهبَتْ . فكأنها كانتْ ريحاً لا أثرَ لها ، ولا يُعرف أين ذهبَتْ .

وذكر ابنُ الجوزي[٢] ، أنَّ جعفراً كان له جاريةٌ يُقالُ لها فَتِينَة ، مُغَنِّية ، لم يكنْ لَها في الدُّنيا نظير ، كان مُشتراها عليه بِمَنْ معها من الجواري مئة ألف دينار ، فطلبَها منه الرشيدُ فامتنَعَ من ذلك ، فلما قتَلَهُ الرشيدُ اصطَفَى تلك الجارية ، فأحضَرَها ليلةً في مجلسِ شرابِه ، وعنده جماعةٌ من جُلسائهِ وسُمَّارِه ، فأمَرَ مَنْ معَها أنْ يُغنِّين . فاندفعَتْ كلُّ واحدةٍ تُغنِّي حتى انتهَتِ النَّوْبَةُ إلى فَتِينَة ، فأمرَهَا بالغِناء فأسبلَتْ دمعَها وقالتْ : أمَّا بعدَ السادةِ فلا . فغَضِبَ الرشيدُ غضباً شديداً ، وأمرَ بعضَ الحاضرين أنْ يأخذَها إليه ، فقد وهَبَها له . ثم لَمَّا أراد الانصرافَ قال له فيما بينه وبينه : لا تطَأْها . ففَهِمَ أنه يُريد بذلك كسرَها . فلما كان بعد ذلك ، أحضرَها وأظهرَ أنه قد رَضِي عنها ، وأمرَها بالغناء فامتنعَتْ وأرسلَتْ دمعَها وقالت : أمَّا بعد السادةِ فلا . فغَضِبَ الرشيدُ أشدَّ من غَضَبِهِ في المرَّةِ الأولى وقال : النِّطْعَ والسيف . وجاء السيَّاف ، فوقف على رأسها ، فقال له الرشيد : إذا أمرتُكَ ثلاثاً وعَقدتُ أصابعي ثلاثاً فاضرِبْ . ثم قال : غَنِّي . فبكَتْ وقالتْ : أمَّا بعدَ السادةِ فلا . فعقَدَ أصبعَهُ الخِنْصَر ، ثم أمرَها الثانيةَ فامتنعَتْ ، فعقَدَ اثنتَيْن ، فارتعَدَ الحاضرونَ وأشفقوا غايةَ الإشفاق ، وأقبلوا عليها يسألونَها أنْ تغنِّيَ لئلا تقتلَ نفسَها ، وأنْ تُجيبَ أميرَ المؤمنينَ إلى ما يُريد ، ثم أمرها الثالثة ، فاندفعَتْ تُغَنِّي كارهةً :

لَمَّا رأيتُ الدِّيار قد دَرَسَتْ أيقنتُ أنَّ النعيمَ لم يَعُدِ

قال : فوثب إليها الرشيد ، وأخذ العُودَ من يدِها ، وأقبل يضرب به وجهَها ورأسَها ، حتى تكسَّر ، وأقبلتِ الدماء ، وتطايرتِ الجواري من حولِها ، وحُملت من بين يديه ، فماتَتْ بعدَ ثلاث .

---

(١) الأبيات في تاريخ بغداد (٧/ ١٥٨) ، والمنتظم لابن الجوزي (٩/ ١٢٦) ، ووفيات الأعيان (١/ ٣٤٠) .

(٢) في المنتظم (٩/ ١٣٠) .

ورُوي أنَّ الرشيد كان يقول : لعَنَ الله مَنْ أغراني بالبرامكة ، فما وجدتُ بعدَهم لذَّةً ولا راحةً ولا رجاءً ، وَدِدْتُ واللهِ أني شطَرْتُ نصفَ عُمري ، ومُلكي ، وأنِّي تركتُهم على حالِهم .

وحكى ابنُ خلِّكان ، أنَّ جعفراً اشترى جاريةً من رجلٍ بأربعين ألفَ دينار ، فالتفَتَتْ إلى بائعها وقالتْ : اذكُرِ العهدَ الذي بيني وبينَك . لا تأكُلْ من ثَمَني شيئاً . فبَكَى سيِّدُها وقال : اشهدوا أنها حُرَّة وأنِّي قد تزوَّجْتُها . فقال جعفر : اشهدوا أنَّ الثمنَ له أيضاً .

وكتب إلى نائبٍ له : أمَّا بعد ، فقد كَثُرَ شاكوك ، وقلَّ شاكروك ، فإمَّا أنْ تَعدِل ، وإمَّا تَعْتَزِل .

ومن أحسَنِ ما وقَعَ منه من التلطُّف في إزالةِ هَمِّ الرشيد ، وقد دخل عليه مُنَجِّمٌ يهوديّ ، فأخبَرَهُ أنه سيموتُ في هذه السنة ، فحمَلَ الرشيدُ هَمّاً عظيماً ، فدخل عليه جعفرٌ فسأله ؛ ما الخبر ؟ فأخبرَهُ بقولِ اليهودي ، فاستدعَى جعفرٌ اليهوديَّ فقال له : كم بَقِيَ لكَ من العُمر ؟ فذكر مدَّةً طويلة ، فقال : يا أميرَ المؤمنين اقتُلْهُ حتى تعلمَ كَذِبَهُ فيما أخبَرَ عن عُمره . فأمر الرشيدُ باليهوديِّ فقُتل ، وسُرِّيَ عن الرشيدِ الذي كان فيه .

وبعد مقتَلِ البرامكة قتل الرشيدُ إبراهيمَ بن عثمان بن نَهِيك ، وذلك أنَّهُ حَزِنَ على البرامكة ، ولا سيما جعفر ، كان يُكثر البكاءَ عليهم ، ثم خرج من حَيِّزِ البكاء إلى حَيِّزِ الانتصار لهم ، والأخذِ بثأرهم . وكان إذا شرب في مَنْزله يقولُ لِجاريته : ائتني بسيفي . فيَسُلُّهُ ثم يقول : واللهِ لأقتلَنَّ قاتِلَه ، فأكثَرَ أن يقولَ ذلك ، فخَشِيَ ابنُه عثمانُ أنْ يطَّلِعَ الخليفةُ على ذلك فيُهلِكَهم عن آخرِهم ، ورأى أنَّ أباهُ لا يَنْزِعُ عن هذا ، فذهب إلى الفَضْلِ بن الربيع فأعلمَه ، فأخبرَ الفضلُ الخليفة ، فاستدعى به ، فاستخبرَهُ فأخبرَه ، فقال : مَنْ يشهَدُ معَكَ عليه ؟ فقال : فلانٌ الخادم . فجاء به فشَهِد ، فقال الرشيد : لا يَحِلُّ قتلُ أميرٍ كبير ، بِمُجَرَّدِ قولِ غلامٍ وخَصِيّ ، لعلَّهما قد تواطأا على ذلك ، فأحضَرَهُ الرشيدُ معه على الشراب ، ثم خلا به فقال : ويحكَ يا إبراهيم ، إنَّ عندي سِرّاً أُحِبُّ أنْ أُطلِعَكَ عليهِ أقلَقَني في الليلِ والنهار . قال : وما هو ؟ قال : إنِّي نَدِمْتُ على قتلِ البرامكة ، ووَدِدْتُ أني خرجتُ من نصفِ مُلْكي ونصفِ عُمري ولم أكنْ فعلتُ بِهم ما فعلت ، فإني لم أجدْ بعدَهم لذَّةً ولا راحة . فقال : رحمةُ الله على أبي الفضل ـ يعني جعفراً ـ وبكى وقال : والله يا سيدي لقد أخطأتَ في قتلِه . فقال له : قُمْ لعنَكَ الله . ثم حبسه ثم قتَلَهُ بعد ثلاثةِ أيام . وسَلِمَ أهلُهُ وولَدُه .

وفي هذه السنةِ غَضِبَ الرشيدُ على عبدِ الملك بن صالح بسببِ أنَّهُ بلَغَهُ أنه يُريدُ الخلافة . واشتدَّ غضَبُه بسَبَبِه على البرامكةِ الذين هم في الحُبوس ، ثم سجَنَه ، فلم يزل في السجنِ حتى مات الرشيد ، فأخرجَهُ الأمين ، وعقَدَ له على نيابةِ الشام .

وفيها ثارَتْ العصَبِيةُ بالشام بين المُضَرِيَّةِ والنِّزاريَّة ، فبعث إليهمُ الرشيدُ محمدَ بن منصور بن زياد ، فأصلح بينهم .

وفيها كانت زلزلةٌ عظيمة بالمِصِّيصَة ، فانهدَمَ بعضُ سورِها ، ونَضَبَ ماؤها ساعةً من الليل .

وفيها بعث الرشيدُ ولدَهُ القاسِمَ على الصائفة ، وجعَلَهُ قُرْباناً ووسيلةً بين يديه ، وولّاهُ العَوَاصم . فسار إلى بلادِ الرُّوم فحاصرَهَم حتى افتَدَوْا بِخَلْقٍ من الأَسَارَى ، يُطِلقُونَهم ، ويَرْجِعُ عنهم . ففعَلَ ذلك .

وفيها نقَضَتِ الرُّوم الصُّلحَ الذي كان بينهم وبين المسلمين ، الذي كان عقَدَهُ الرشيدُ بينه وبينَ رينى[1] مَلِكَةِ الروم ، الملقبة أغسطه . وذلك أنَّ الرُّومَ عَزَلوها عنهم ، ومَلَّكُوا عليهمُ النَّقْفُور ، وكان شجاعاً ، يقال : إنه من سُلالةِ آلِ جَفْنَة ، فخلعوا رينى وسَمَلوا عينيْهَا ، فكتب نَقْفُور إلى الرشيد :

من نَقْفُور ملكِ الرُّوم إلى هارونَ مَلِكِ العرب ، أمَّا بعد ، فإنَّ الملكةَ التي كانتْ قبلي أقامَتْكَ مقامَ الرُّخّ[2] ، وأقامَتْ نفسَها مقامَ البَيْذَق ، فحملَتْ إليك من أموالِها ما كنتَ حقيقاً بحَمْلِ أمثالِهِ إليها ، وذلك من ضَعْفِ النساءِ وحُمقِهِنّ . فإذا قرأتَ كتابي هذا فارْدُدْ إليَّ ما حملَتْهُ إليكَ من الأموال ، وافتدِ نفسَك به ، وإلَّا فالسيفُ بيننا وبينَك .

فلما قرأ هارونُ الرشيدُ كتابَه أخذَهُ الغضبُ الشديد ، حتى لم يتمكَّنْ أحدٌ أنْ ينظُرَ إليه ، ولا يستطيعُ مخاطبتَه ، وأشفَقَ عليه جلساؤه خوفاً منه ، ثم استدعى بدواةٍ وكتب على ظهرِ الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من هارونَ أميرِ المؤمنين إلى نقفور كلبِ الرُّوم . قد قرأتُ كتابَك يا ابنَ الكافرة ، والجوابُ ما تراهُ دونَ ما تسمَعُه . والسلام .

ثم شخَصَ من فَوْرِه ، وسار حتى نزَلَ ببابِ هِرَقْلَة ففتحها[3] ، واصطفَى ابنةَ مَلِكِها ، وغَنِمَ من

---

(١) تصحفت في (ق) إلى : « رنى » ، وما أثبتناه من (ب ، ح) والطبري وغيره .

(٢) « الرُّخّ » : من أداة الشطرنج ، وهو أكبر مَنْزلةً من البيدق ، وهو معرّب من كلام العجم . انظر لسان العرب (رخخ) .

(٣) « هِرَقْلة » ـ بالكسر ثم الفتح ـ : مدينةٌ ببلادِ الروم ، سُميت بهِرْقلة بنتِ الرُّوم بن اليفز بن سام بن نوح عليه السلام . وكان الرشيدُ غزاها بنفسه ، ثم افتتحها عَنْوةً بعدَ حصارٍ وحَرْبٍ شديد ، ورمى بالنارِ والنِّفْط ، حتى غلب أهلها . فلذلك قال المكي الشاعر :

هَـوَتْ هِـرَقْلَـةُ لَمَّـا أنْ رأتْ عَجَبـا ... جوَّ السمـا تَـرْتَمي بـالنِّفْطِ والنـارِ

كـأنَّ نيـرانَنَـا فـي جنـبِ قلعتِهـم ... مُصَبَّغَـاتٌ علـى أرسـانِ قصَّـارِ

ثم قَدِم الرقَّة في شهرِ رمضان ، فلما عيَّد جلس للشعراء فدخلوا عليه وفيهم أشجع السُّلَمي ، فبدر فأنشد :

لا زلـتَ تنشُـرُ أعيـاداً وتطـويهـا ... تمضـي لهـا بـك أيـامٌ وتُمضيهـا

ولا تقضَّتْ بـك الـدنيـا ولا بَـرِحَتْ ... يَطْـوي بـك الـدهـرُ أيـاماً وتطْـويهـا

لِيَهْنِـكَ الفتـحُ والأيـامُ مُقبلـةٌ ... إليـك بـالنصـرِ معقـوداً نـواصيهـا

أمسَتْ هِرَقْلةُ تَهْوي من جوانبِها ... ونـاصـرُ الله والإسـلام يـرميهـا

مَلَكْتَهـا وقتلـتَ النـاكثيـن بهـا ... بنصـرِ مَـنْ يَمْلِـكُ الـدنيـا ومـا فيهـا

=

الأموال شيئاً كثيراً ، وخرَّبَ وأحرَق . فطلبَ نقفور منه الموادَعَةَ على خراجٍ يؤدِّيهِ إليه في كلِّ سنة . فاجابَهُ الرشيدُ إلى ذلك ، فلما رجَعَ من غَزْوَتِهِ وصار بالرَّقَّة ، نقَضَ الكافِرُ العَهْدَ وخانَ المِيثاق ، وكان البَرْدُ قد اشتدَّ جدّاً ، فلم يقدِرْ أحَدٌ أنْ يَجِيءَ فيُخبِرَ الرشيدَ بذلك لِخَوْفهم على أنفسِهم من البَرْد ، حتى يَخرُجَ فصلُ الشتاء .

وحجَّ بالناس فيها عبدُ الله بن عباس بن محمد بن علي .

ذكرُ من تُوفِّي فيها من الأعيان :

جعفر بن يحيى بن خالد بن بَرمك[١] **أبو الفضل البَرْمَكي** ، الوزيرُ ابنُ الوزير ؛ ولَّاهُ الرشيدُ الشامَ وغيرَها من البلاد ؛ وذكر ابنُ عساكر[٢] ، أنَّ الرشيد بعثهُ إلى دمشق لمَّا ثارَتِ الفتنةُ العِشْرَيْنِ[٣] بحوران بين قيسٍ ويَمَن ، وكان ذلك أولَ نارٍ ظهرَتْ بين قيسٍ ويَمنٍ في بلاد الإسلام ، كان خامداً من زَمَنِ الجاهليَّة ، فأثاروهُ في هذا الأوان ، فلما قَدِم جعفرٌ بجيشه خَمَدتِ الشُّرور ، وظهر السرور ، وقيلتْ في ذلك أشعارٌ حِسَان ؛ قد ذكر ذلك ابنُ عساكر في ترجمةِ جعفر من تاريخه[٤] ، منها :

لقد أُوقِدَتْ في الشام نيرانُ فتنةٍ فهذا أوانُ الشامِ تُخْمَدُ نارها
إذا جاشَ مَوْجُ البحرِ من آلِ برمَكٍ عليها خَبَتْ شُهْبَانُها وشَرَارُها
رماها أميرُ المومنينَ بجعفرٍ وفيه تلاقَى صَدْعُها وانْجبارُها
رماها بميمون النقيبةِ ماجدٍ تَرَاضَى بهِ قحطانُها ونِزَارُها

= ما رُوعي الدينُ والدنيا على قدَمٍ بمثلِ هارونَ راعيهِ وراعيها
فأمر له بعشرة آلاف دينار ، وقال : لا يُنشدني أحدٌ بعدَه بشيء . فقال أشجع : والله لأمرُهُ ألَّا يُنشده أحدٌ من بعدي أحبُّ إليَّ من صِلَتِه . وكان في السبي الذي سُبي من هِرَقلة ابنةُ بِطْريقها ، وكانتْ ذاتَ حسنٍ وجمال ، فنُودي عليها في المغانم ، فزاد عليها صاحبُ الرشيد ، فصادفَتْ منه مَحَلاً عظيماً ، فنقلها معه إلى الرقة ، وبنى لها حِصْناً بين الرافقة وبالِس على الفرات ، وسمَّاهُ هِرَقْلة ، يَحكي بذلك هرقلةَ التي ببلاد الروم . وبقي الحصنُ عامراً مدَّةً حتى خَرِب ، وآثاره إلى وقتنا ذا باقية ؛ وفيه آثارُ عمارةٍ وأبنيةٍ عجيبة ، وهو قُرْب صفِّين من الجانب الغربي . معجم البلدان (٥/ ٣٩٨ ، ٣٩٩) .

(١) ترجمته في تاريخ بغداد (٧/ ١٥٢) ، المنتظم (٩/ ١٤٠) ، وفيات الأعيان (١/ ٣٢٨) ، مختصر تاريخ ابن عساكر (٦/ ٩٨) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٩) ، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (١/ ٢٤٣) .
(٢) انظر مختصر ابن منظور لتاريخ ابن عساكر (٦/ ٩٨) ، وترجمته ليست فيما طبع من تاريخ ابن عساكر ، وهي من ضمن الأجزاء المفقودة منه .
(٣) في (ح) : العشران . وعليه .
(٤) انظر الحاشية قبل السابقة .

هـو الملِكُ المأمولُ للبِرِّ والتُّقى وصَـوْلاتُـهُ لا يُستطـاع خِطَـارُهـا
وزيـرُ أميـرِ المـؤمنيـنَ وسيفُـهُ ومُدْيَتُهُ[١] والحربُ تَدمى شِفَارُها
ومـنْ تُطْـوَ أسـرارُ الخليفـةِ دونَـهُ فعنـدَكَ مـأواهـا وأنـتَ قـرارُهـا
إذا ما ابنُ يحيى جعفرٌ قُصِدَتْ لَهُ ملِمَّـاتُ خَطْـبٍ لـم تَـرُعْـهُ كِبَـارُهـا
لقـد نشـأتْ بـالشـامِ منـكَ غمـامـةٌ يـؤمَّـلُ جَـدْواهـا ويُخْشـى دَمـارُهـا

وهي قصيدةٌ طويلة ، اقتصرنا منها على هذا القَدْر[٢] .

وكانتْ له فصاحةٌ وبلاغةٌ وذكاءٌ وكرمٌ زائد ؛ كان أبوهُ قد ضمَّهُ إلى القاضي أبي يُوسُف ، فتفَقَّهَ عليه ، وصار له اختصاصٌ بالرَّشيد . وقد وقَّعَ ليلةً بحضرَةِ الرشيد زيادةً على ألفِ توقيع ، ولم يَخرجْ في شيء منها عن مُوجبِ الفقه .

وقد روى الحديثَ عن أبيه ، عن عبد الحميدِ الكاتب ، عن عبد الملكِ بنِ مروان ، كاتبِ عثمان ، عن زيد بن ثابت ، كاتبِ الوحي قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إذا كتبتَ بسم الله الرحمن الرحيم فبَيِّنِ السينَ فيه » . رواه الخطيب وابنُ عساكر من طريق أبي القاسم الكَعْبي المتكلِّم ، واسمه عبدُ الله بنُ أحمد البَلْخي ؛ وقد كان كاتباً لمحمد بن زيد ، عن أبيه ، عن عبد الله بن طاهر بن الحسين بن [مُصْعَب بن] رزيق[٣] ، عن الفَضْلِ بن سهل ذي الرِّياستَيْن ، عن جعفر بن يحيى ، به[٤] .

وقال عمرو بن بحر الجاحظ : قال جعفرٌ للرشيد : يا أميرَ المؤمنين ، قال لي أبي يحيى : إذا أقبلَتِ الدنيا عليك فأعْطِ ، فإنها لا تَفنى ، وإذا أدبرَتْ فأعطِ ، فإنَّها لا تبقى . وأنشدَني أبي :

لا تبخلَـنَّ لـدُنيـا وهـي مُقبلـةٌ فليـس يَنْقصهـا التبـذيـرُ والسَّـرَفُ
فإن تولَّت فأحرى أنْ تجودَ بها فالحمدُ منها إذا ما أدبرَتْ خَلَفُ[٥]

قال الخطيب[٦] : ولقد كان جعفرٌ من عُلُوِّ القَدْر ، ونَفَاذِ الأمْر ، وعِظَمِ المَحلّ ، وجلالةِ المَنْزِلة عندَ الرشيد على حالةٍ انفرَد بها ، ولم يشارِكْهُ فيها أحد . وكانَ سَمْحَ الأخلاق ، طَلْقَ الوَجْه ، ظاهرَ البِشْر .

---

(١) المدية : السكين والشفرة ، ورواية الديوان : « وصعدته » .
(٢) وقد سبق للمؤلف أن ذكر منها أربعة أبيات في ص ٤٤٢ وذكرتُ ثمة أن القصيدة لمنصور النمري وهي في ديوانه .
(٣) تصحف في الأصول إلى « زريق » ، والمثبت من الإكمال لابن ماكولا (٤/ ٥١) في ترجمته .
(٤) أخرجه بهذا الإسناد الخطيب في تاريخ بغداد (١٢/ ٣٤٠) ، وما بين معقوفين منه . وذكر الحديث أيضاً الديلمي في الفردوس (١/ ٢٧٨) برقم (١٠٨٧) ، والمناوي في فيض القدير (١/ ٤٣٣) ، وإسناده ضعيف ، وهو إلى الوضع أقرب كما بينه الدكتور بشار في تعليقه على طبعته من تاريخ الخطيب (١٤/ ٢٩٩) .
(٥) الخبر والبيتان في مختصر ابن منظور لتاريخ ابن عساكر (٦/ ٩٨) .
(٦) في تاريخ بغداد (٧/ ١٥٢) .

أمَّا جودُهُ وسخاؤه ، وبَذلُهُ وعطاؤه ، فأشهرُ منْ أنْ يُذكَر . وكان أيضاً من ذوي الفصاحة ، والمذكورينَ [باللِّسَنِ] والبلاغة .

وروى ابنُ عساكر[١] عن مُهَذَّب حاجب العباس بن محمد ، صاحبِ قَطيعةِ العبَّاس والعباسة ، أنه أصابَتْهُ فاقةٌ وضائقة ، وكان عليه ديون ، فألحَّ عليه المطالبون وعندَهُ سَفَطٌ فيه جواهر ، شراؤه عليه ألفُ ألف درهم ، فأتى به جعفراً ، فعرَضَهُ عليه ، وأخبره بما هو عليه من الثمن ، وأخبره بإلحاحِ المطالبينَ بديونِهم ، وأنه لم يبقَ له سوى هذا السَّفَط . فقال : قد اشتريتُهُ منك بألفِ ألف . ثم أقبَضَهُ المالَ وقبَضَ السَّفَط منه ، وكان ذلك ليلاً ، ثم أمر من ذهب بالمالِ إلى مَنزله ، وأجلسَهُ معه في السَّمَرِ تلك الليلة ؛ فلما رجَعَ إلى مَنْزله ، إذا السفَطُ قد سبقَهُ إلى مَنْزله أيضاً . قال : فلمَّا أصبحتُ غدَوْتُ إلى جعفر لأتشكَّر له ، فوجدتُه مع أخيه الفضل على بابِ الرشيدِ يستأذنُ عليه ، فقال له جعفر : إني قد ذكرتُ أمرَكَ للفضل ، وقد أمرَ لك بألفِ ألف ، وما أظنُّها إلَّا قد سبقَتْكَ إلى مَنْزلك ، وسأفاوضُ فيك أميرَ المؤمنين . فلما دخل ذكر له أمرَهُ وما لَحِقَهُ من الديون ، فأمرَ له بثلاثِمئةِ ألفِ دينار .

وكان جعفرٌ ليلةً في سَمَرِه عند بعضِ أصحابِه ، فجاءتِ الخُنْفُساءُ فركبتْ ثيابَ الرجل ، فألقاها عنه جعفرٌ وقال : إنَّ الناسَ يقولون : من قصدَتْهُ الخُنفساء يُبَشَّرُ بمالٍ يُصيبُه . فأمر له جعفرٌ بألفِ دينار . ثم عادتِ الخُنفساء فرجَعَتْ إلى الرجل ، فأمر له بألفِ دينارٍ أخرى .

وحجَّ مرَّةً مع الرشيد ، فلما كانوا بالمدينة ، قال لرجلٍ من أصحابِه : انظُرْ جاريةً أشتريها ، تكونُ فائقةً في الجمالِ والغِناءِ والدُّعابَة . ففتَّش الرجلُ ، فوَجَدَ جاريةً على النَّعْت ؛ فطلب سيدُها فيها مالاً كثيراً ، على أنْ يراها جعفرٌ فذهب جعفر إلى مَنْزِل سيدِها ، فلما رآها أُعجب بها ، فلما غنَّتْه ، أعجبَتْهُ أكثر ، فساوَمَهُ صاحبُها فيها ، فقال له جعفر : قد أحضَرْنا مالاً ، فإنْ أعجَبَكَ وإلَّا زِدْناك . فقال لها سيدُها : إنِّي كنتُ في نعمة ، وكنتِ عندي في غايةِ السُّرور ، وإنه قد انقبَضَ عليَّ حالي ، وإني قد أحببتُ أنْ أبيعَكِ لهذا المَلِك ، لكي تكوني عندَهُ كما كنتِ عندي . فقالتْ له الجارية : والله يا سيِّدي لو ملكتُ منكَ كما ملكتَ مني لم أبِعْكَ بالدنيا وما فيها ؛ وأين ما كنتَ عاهَدْتَني أنْ لا تبيعَني ، ولا تأكُلَ من ثمني ؟ فقال سيدها لِجعفرٍ وأصحابِه : أُشهدُكُمْ أنَّها حُرَّةٌ لوجهِ الله ، وأنِّي قد تزوَّجْتُها . فلما قال ذلك : نَهضَ جعفرٌ وقام أصحابُه ، وأمروا الحمَّالَ أنْ يحملَ المال ، فقال جعفر : واللهِ لا يتْبَعُني . وقال للرجل : قد مَلَّكْتُكَ هذا المال ، فأنفِقْهُ على أهلِك . وذهبَ وترَكَه .

هذا وقد كان يُبَخَّلُ بالنسبةِ إلى أخيه الفضل ، إلَّا أنَّ الفضلَ كان أكثرَ منه مالاً . ورَوَى ابنُ عساكر من

(١) انظر مختصر ابن منظور لتاريخ ابن عساكر (٦/ ١٠٠) .

طريقِ الدَّارَقُطْنيِّ بسندِه ، أنه لما أُصيب جعفرٌ وجدوا له في جرَّةٍ ألفَ دينار ، زِنَةُ كلِّ دينار مئةُ دينار ، مكتوبٌ على صفحةِ الدينار جعفر ، والأخرى :

وأصفَر من ضَرْبِ دارِ الملوكِ	يَلُـوحُ علـى وجْهِـهِ جعفَـرُ
يَـزِيـدُ علـى مئـةٍ واحـداً	متـى تُعْطِـهِ مُعْسـراً يُـوسِـرُ

وقال أحمد بن المعَلَّى الراوية : كتبَتْ عنانُ جاريةُ الناطِفيِّ لجعفرٍ تطلُبُ منه أنْ يقولَ لأبيه يحيى أنْ يُشيرَ على الرشيد بشرائها . وكتبَتْ إليه هذه الأبيات من شعرِها في جعفر .

يـا لائمـي جهـلاً ألا تُقْصِـرُ	منْ ذا على حرِّ الهوَى يَصْبرُ
لا تَلْحَني إذا شربتُ الهوَى	صِرفاً فمَمْزوجُ الهوَى يُسْكِرُ
أحاطَ بي الحبُّ فخَلْفي لَهُ	بَحْـرٌ وقُـدَّامِـي لَـهُ أبْحُـرُ
تَخفقُ راياتُ الهوَى بالرَّدَى	فَوْقي وحَوْلي للهوى عَسْكرُ
سِيَّان عندي في الهوَى لائمٌ	أقَـلَّ فيـهِ والـذي يُكْثُـرُ
أنتَ المصفَّى من بني بَرْمكٍ	يـا جعفـرَ الخيـراتِ يـا جعفـرُ
لا يَبْلُغُ الواصفُ في وَصْفِهِ	ما فيكَ من فضلٍ ولا يَعْشُرُ[1]
مَـنْ وَفَّـرَ المـالَ لأغـراضِـهِ	فجعفَـرٌ أغـراضُـهُ أوْفَـرُ
دِيبـاجَـةُ المُلْـكِ على وجهِـهِ	وفـي يـديـهِ العـارضُ المُمْطرُ
سَحَّـتْ علينـا منهمـا دِيْمـةٌ	يَنْهـلُّ منهـا الـذَّهَبُ الأحمـرُ
لـو مَسَحـتْ كفَّـاهُ جُلْمُـودةً	نُضِّـرَ فيهـا الـورَقُ الأخضـرُ
لا يَسْتَتِـمُّ المجـدَ إلَّا فتًـى	يَصْبِـرُ للبَـذْلِ كمـا يَصْبِـرُ
يَهْتـزُّ تـاجُ المُلْـكِ مـن فَـوْقِه	فَخْـراً ويُـزْهَـى تحتَـهُ المِنْبَـرُ
أشْبَهَـهُ البَـدْرُ إذا مَـا بَـدَا	أوْ غُـرَّةٌ فـي وَجْهِـهِ تَـزْهَـرُ
والله مـا أدْري أبَـدْرُ الـدُّجَى	فِـي وَجْهِـهِ أمْ وَجْهُـهُ أنْـوَرُ
يَسْتَمْطِرُ الـزُّوَّارُ منكَ النَّـدَى	وأنـتَ بـالـزُّوارِ تَسْتَبْشِـرُ

وكتبتْ تحتَ أبياتِها حاجتَها . فرَكِبَ من فَوْرِهِ إلى أبيه ، فأدخَلَهُ على الخليفة ، فأشارَ عليهِ بشرائها . فقال : لا والله لا أشتريها . وقد قال فيها الشعراءُ فأكثروا ، واشتهَرَ أمرُها ، وهي التي يقولُ فيها أبو نُواس :

---

(١) لا يعشر : أي لا يأتي على ذكرِ العُشرِ من فضلك .

لا يشتـريهـا إلَّا ابـنُ زانيـةٍ أو قَلْطَبَانٌ[١] يكونُ مَنْ كانا

وعن ثُمامةَ بنِ أشْرَس قال: بتُّ ليلةً مع جعفر بن يحيى بنِ خالد، فانتبه من منامِهِ يَبْكي مَذْعوراً، فقلت: ما شأنُك؟ قال: رأيتُ شيخاً جاء فأخذَ بِعَضَادَتَيْ هذا البابِ وقال:

كأنْ لم يكنْ بين الحَجُونِ إلى الصَّفَا أنيـسٌ ولـم يَسْمُـرْ بمكَّـةَ سـامـرُ

قال: فأجبتُهُ:

بَلَـى نحـنُ كُنَّـا أهلَهـا فـأبـادَنَـا صروفُ الليالي والجدودُ العواثِرُ[٢]

قال ثُمامة: فلما كانتِ الليلةُ القابلة، قتلَهُ الرشيد، ونصَبَ رأسَهُ على الجسر. ثم خرج الرشيد، فنظر إليه فتأمَّلَه، ثم أنشأ يقول:

تقـاضـاكَ دَهْـرُكَ مـا أسْلَفَـا وكُـدِّرَ عيشُـكَ بعـدَ الصَّفَـا

فـلا تَعْجَبَـنَّ فـإنَّ الـزمـانَ رَهيـنٌ بتفـريـقِ مـا ألَّفَـا

قال: فنظرتُ إلى جعفرٍ وقلت: أمَا لئنْ أصبحْتَ اليومَ آية، فلقد كنتَ في الكرَمِ والجودِ غاية. قال: فنظَرَ إليَّ كأنَّهُ جَملٌ صَؤول، ثم أنشأ يقول:

مـا يَعْجـبُ العـالَـمُ مـن جعفـرٍ مـا عـايَنُـوهُ فبِنَـا كـانـا

مَـنْ جعفـرٌ أوْ مَـنْ أبـوهُ ومَـنْ كـانـتْ بنـو بَـرْمـكٍ لـولانـا

ثم حَوَّلَ وَجْهَ فرسِهِ وانصرف.

وقد كان مَقْتلُ جعفرٍ ليلةَ السبت، مُستهلَّ صفَر، من سنةِ سبع وثمانين ومئة. وكان عمرُه سبعاً وثلاثين سنة. ومكَثَ وزيراً سبعَ عشرةَ سنةً. وقد دَخلَتْ عُبادةُ أمُّ جعفرٍ على أناسٍ في يوم أضْحَى تَسْتَمنحُهم جلدَ كبشٍ تدفأُ به؛ فسألوها عما كانتْ فيه من النِّعمة؟ فقالت: لقد أصبحتُ في مثلِ هذا اليوم وإنَّ على رأسي أربعَمئة وصيفة، وأقول: إنَّ ابني جعفراً عاقٌّ لي.

وروى الخطيبُ البغداديُّ بإسنادِهِ، أنَّ سفيان بنَ عُيَيْنَةَ لَمَّا بلَغَهُ قتلُ الرشيد جعفراً، وما أحلَّ

---

(١) القَلْطَبان، أو القَرْطبان: الذي تقولُه العامَّةُ للذي لا غيرةَ له. فهو مُغيَّرٌ عن وجهه؛ قال الأصمعي: الكَلْتَبان مأخوذٌ من الكَلَب، وهو القِيَادة، والتاء والنون زائدتان. قال: وهذه اللفظةُ هي القديمةُ عن العرب وغيَّرَتْها العامَّةُ الأولى فقالت: القَلْطَبان. قال: وجاءتْ عامَّةٌ سُفْلَى فغيَّرتْ على الأولى فقالت: القَرْطَبان. لسان العرب (قرطب).

(٢) قال أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني (١٥/ ١٠): الشعر فيما ذكر ابن إسحاق صاحب المغازي لِمُضاض بن عمرو الجُرْهُمي. وقال غيرُه: بل هو للحارثِ بن عمرو بن مُضَاض. أخبرنا بذلك الجوهري، عن عمر بن شَبَّة، عن أبي غسان محمد بن يحيى، عن غسان بن عبد الحميد. وقال عبدُ العزيز بن عمران: هو عمرو بن الحارث بن مُضَاض.

بالبرامكة ، استقبل القِبْلَةَ وقال : اللهمَّ إنَّ جعفراً كان قد كفاني مؤنةَ الدنيا ، فأكْفِهِ مؤنةَ الآخرة .

حكاية غريبة

ذكر ابنُ الجَوْزي في « المنتظَم »[(١)] أنَّ المأمونَ بلغه أنَّ رجلاً يأتي كلَّ يومٍ إلى قبورِ البرامكة ، فيبكي عليهم ويَنْدُبُهم ، فبعث منْ جاء به ، فدخل عليه وقد يئس من الحياة ، فقال له : ويحك ! ما يَحمِلُكَ على صنيعِكَ هذا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين . إنَّهم أسدَوْا إليَّ معروفاً وخيراً كثيراً . فقال وما الذي أسدوْهُ إليك ؟ فقال : أنا المنذرُ بن المغيرة ، من أهل دمشق ، كنتُ بدمشقَ في نعمةٍ عظيمةٍ واسعة ، فزالَتْ عنِّي حتى أفضَى بيَ الحالُ إلى أنْ بِعتُ داري ، ثم لم يبقَ لي شيء ؛ فأشار بعضُ أصحابي عليَّ بقَصْدِ البرامكةِ ببغداد ؛ فأتيتُ أهلي ، وتحمَّلْتُ بعيالي ، فأتيتُ بغدادَ ومعي نيِّفٌ وعشرون امرأةً ، فأنزلتُهُنَّ في مسجدٍ مهجور ، ثم قصدتُ مسجداً مأهولاً أُصَلِّي فيه ، فدخلتُ مسجداً فيه جماعةٌ لم أرَ أحسنَ وجوهاً منهم ، فجلستُ إليهم ، فجعلتُ أُديرُ في نفسي كلاماً أطلبُ به منهم قُوتاً للعِيَالِ الذين معي ؛ فيمنعُني من ذلك السؤالِ الحياءُ ؛ فبينا أنا كذلك إذا بخادمٍ قد أقبَل ، فدعاهم فقاموا كلُّهم ، وقمتُ معهم ، فدخلوا داراً عظيمةً ، فإذا الوزيرُ يحيى بنُ خالد جالسٌ فيها ، فجلسوا حولَه ، فعَقَدَ عَقْدَ ابنتِهِ عائشةَ على ابنِ عمٍّ له ، ونثروا فِلَقَ المسكِ وبنادِقَ العَنْبَر ؛ ثم جاء الخَدمُ إلى كلِّ واحدٍ من الجماعة بصينيَّةٍ من فِضَّة ، فيها ألفُ دينار ، ومعها فُتاتُ المسك . فأخذَها القومُ ونَهضوا ، وبَقيتُ أنا جالساً ، وبين يديَّ الصينيَّةُ التي وضعوها لي ، وأنا أهابُ أنْ آخذَها من عظَمَتها في نفسي ؛ فقال لي بعضُ الحاضرين : ألا تأخذُها وتذهب ؟ فمدَدْتُ يدي فأخذتُها ، فأفرغتُ ذهبَها في جَيبي ، وأخذتُ الصينيَّةَ تحتَ إبْطي ، وقمتُ وأنا خائفٌ أنْ تُؤخذَ منِّي ، فجعلتُ أتلفَّتُ والوزيرُ ينظرُ إليّ ، وأنا لا أشعرُ ؛ فلما بلغتُ السِّتارة ، أَمَرَهُم فرَدُّوني ، فيئستُ من المال ، فلما رجعْتُ قال لي : ما شأنُكَ خائف ؟ فقصصتُ عليه خَبَري . فبَكى ثم قالَ لأولادِه : خذوا هذا فضمُّوهُ إليكم . فجاءني خادِم ، فأخذ منِّي الصينيَّةَ والذهب ، وأقمتُ عندَهم عشرةَ أيامٍ ، من ولدٍ إلى ولد ، وخاطري كلُّه عندَ عيالي ولا يُمْكنني الانصراف . فلما انقضَتِ العشرةُ الأيام جاءني خادمٌ فقال : ألا تذهبُ إلى عيالِك ؟ فقلت : بلى والله . فقام يَمشي أمامي ، ولم يعطِني الذهبَ ولا الصِّينيَّة ، فقلت : يا ليتَ هذا كانَ قبلَ أنْ تؤخذ مني الصينيَّةُ والذهب ، يا ليتَ عيالي رأوا ذلك . فسارَ يَمشي أمامي إلى دارٍ لم أَرَ أحسنَ منها ! فدخلتُها ، فإذا عيالي يتمرَّغون في الذهب ، والحرير فيها ، وقد بعثوا إلى الدارِ مئةَ ألفِ درهم ، وعشرةَ آلاف دينار ، وكتاباً فيه تمليكُ الدارِ بما فيها ، وكتاباً آخرَ فيه تمليكُ قريتَيْنِ جليلتين . فكنتُ مع البرامكةِ في أطيبِ عيش ؛ فلما أُصيبوا أخذ مني عمرو بن مَسْعَدة القَرْيَتَيْن ، وألزَمَني بخراجهما ؛ فكُلَّما لَحِقَتْني فاقةٌ قصدتُ دورَهم وقبورَهم ، فبكَيْتُ عليهم . فأمرَ

---

(١) المنتظم (١٤٦/٩) .

المأمونُ بِرَدِّ القريتَيْن ، فبكى الشيخُ بكاءً شديداً ؛ فقال المأمون : ما لَكَ ؟ ألم أستأنِفْ بك جميلاً ؟ قال : بلَى . ولكنْ هو من بركةِ البرامكة . فقال له المأمون : امضِ مُصاحَباً ، فإنَّ الوفاءَ مُبارَك ، ومراعاةُ حُسنِ العَهْدِ والصُّحْبَةِ من الإيمان .

وفيها توفي :

الفُضَيل بن عِيَاض[1] أبو علي التَّميمي ، أحدُ أئمةِ العُبَّاد الزُّهَّاد ، وهو أحد العلماء والأولياء . ولد بخُراسان ، بكُورَةِ دِيْنَوَر ، وقدم الكوفةَ وهو كبير ، فسمع به الأعمش ، ومنصور بن المعتمر ، وعطاء بن السائب ، وحُصين بن عبد الرحمن ، وغيرهم . ثم انتقل إلى مكة ، فتعبَّدَ بها . وكان حسَنَ التلاوة ، كثيرَ الصلاةِ والصيام ؛ وكان سيداً جليلاً ، ثقةً ، من أئمة الرواية . رحِمَهُ الله ورضي عنه . وله مع الرشيدِ قصَّةٌ طويلة ، وقد روَيْنا ذلك مُطوَّلاً في كيفيَّةِ دخولِ الرشيد عليه مَنْزِلَه ؛ وما قال له الفُضَيل بن عياض ؛ وعرَض عليه الرشيدُ المال ، فأبَى أنْ يقبلَ منه ذلك . توفي بمكة في المحرَّم من هذه السنة . وذكروا أنه كان شاطراً يقطعُ الطريق . وكان يتعشَّقُ جاريةً ، فبينما هو ذات ليلةٍ يتسوَّرُ عليها جداراً إذْ سمع قارئاً يقرأ : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحديد : ١٦] ، فقال : بلَى . وتابَ وأقلَعَ عمَّا كان عليه ، ورجَعَ إلى خَربةٍ فباتَ بها ، فسمع سُفَّاراً يقولون : انهضوا بنا نسافر . فقال بعضُهم[2] : إنَّ فُضَيلاً أمامَكم يقطعُ الطريق . فأمَّنهم واستمرَّ على توبته ، حتى كان منه ما كان ، من السيادةِ والزَّهادة ؛ ثم صار علَماً يُقتدى به ، ويُهتدَى بكلامهِ وفعالِه .

قال الفُضيل : لو أنَّ الدنيا كلَّها حلالٌ لا أُحاسبُ بها ، لكنتُ أتقذَّرُها كما يتقذَّرُ أحدُكم الجيفةَ إذا مَرَّ بها أنْ تُصيبَ ثوبَه[3] .

---

(١) ترجمته في معرفة الرجال (٢/ ٢١٣) ، طبقات ابن سعد (٥/ ٥٠٠) ، تاريخ خليفة (٤٥٨) ، طبقات خليفة (٢٨٤) ، التاريخ الصغير (٢/ ٢١٩) ، التاريخ الكبير (٧/ ١٢٣) ، المعارف (٥١١) ، الجرح والتعديل (٧/ ٧٣) ، مشاهير علماء الأمصار الترجمة (١١٧٩) ، طبقات الصوفية (٦) ، حلية الأولياء (٨/ ٨٤) ، الرسالة القشيرية (١/ ٦٢) ، تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٨/ ٣٧٥) ، صفة الصفوة (٢/ ٢٣٧) ، المختار من مناقب الأخيار (٤/ ١٩٣) ، جامع الأصول (١٥/ ٣٧) ، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٥١) ، وفيات الأعيان (٤/ ٤٧) ، تهذيب الكمال (٢٤/ ٢٨١) ، مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ٢٩٨) ، طبقات علماء الحديث الترجمة (٢١٥) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢١) ، ميزان الاعتدال (٣/ ٣٦١) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٤٥) ، العبر (١/ ٢٩٨) ، طبقات الأولياء (٢٦٦) ، العقد الثمين (٧/ ١٣) ، تهذيب التهذيب (٨/ ٢٩٤) ، تقريب التهذيب (٤٤٨) ، النجوم الزاهرة (٣/ ١٢١) ، الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٦٨) ، الكواكب الدرية (١/ ٣٩٥) ، شذرات الذهب (٢/ ٣٩٩) ، جامع كرامات الأولياء (٢/ ٢٣٥) .

(٢) في (ق) : « . . . ويقولون : خُذوا حِذْرَكم ، إن فضيلاً . . . » . والمثبت من (ب ، ح) .

(٣) كذا رواية (ق) : ورواية (ب ، ح) : « لو أن الدنيا كلها لي ولا أحاسب عليها لأنفتها وتجنَّبْتُها كما يتجنَّبُ أحدكم=

وقال : العملُ لأجلِ الناسِ شِرْك ، وتَرْكُ العملِ لأجلِ الناسِ رياء ؛ والإخلاصُ أنْ يُعافيكَ الله منهما .

وقال له الرشيدُ يوماً : ما أزْهَدَك ! فقال : أنتَ أزهدُ مني ، لأني أنا زَهِدْتُ في الدنيا التي هي أقلُّ من جناحِ بعوضة ، وأنتَ زهدْتَ في الآخرةِ الباقيَةِ ؛ فأنا زاهدٌ في الفانِي ، وأنتَ زاهدٌ في الباقي ؛ ومنْ زَهدَ في دُرَّةٍ ، أزهَدُ ممَّنْ زَهِدَ في بَعْرَة .

وقد رُوي مثلُ هذا عن أبي حازمٍ أنه قال ذلك لسليمانَ بنِ عبدِ الملك .

وقال : لو أنَّ لي دعوةً مستجابةً لجعلتُها للإمام ؛ لأنَّ بهِ صلاحَ الرَّعيَّة ، فإذا صَلَحَ أمِنَتِ العبادُ والبلاد .

وقال : إني لأعصي الله ، فأعرفُ ذلك في خُلُقِ حماري وخادمي وامرأتي وفأرِ بيتي .

وقال في قوله تعالى : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [هود : ٧ والملك : ٢] . قال : يعني أخلصَهُ وأصوبَهُ ؛ إنَّ العمل يجبُ أنْ يكونَ خالصاً لله ، وصواباً على متابعةِ النبيِّ ﷺ .

وفيها توفي :

بشرُ بن المفضَّل .

وعبدُ السلام بن حرب .

وعبدُ العزيز بن محمد الدَّرَاوَرْديّ .

وعبدُ العزيز العمِّي .

وعلي بن عيسى الأميرُ ببلادِ الروم مع القاسم بنِ الرشيد في الصائفة .

ومعتمرُ بن سليمان .

وأبو شُعيب البَرَاثِيُّ الزاهد[1] : وكان أولَ منْ سكنَ بَرَاثا[2] في كوخٍ له يتعبَّدُ فيه ، فهَوِيَتْهُ امرأةٌ من

= الجيفة أن تمسَّ ثيابه » .

(١) ترجمته في حلية الأولياء (١٠/ ٣٢٣) ، تاريخ بغداد (١٤/ ٤١٨) ، صفة الصفوة (٢/ ٣٨٨) ، معجم البلدان (١/ ٣٦٣) .

(٢) كذا في الأصول ، ومعجم البلدان ، بألف ، والوجه « بَرَاثى » بألف على شكل الياء ، لأنها حرف رابع في الاسم ، وبالثاء المثلثة والقصر ؛ وهي محلَّةٌ كانت في طرَفِ بغداد ، في قبلةِ الكَرْخ ، وجنوب بابِ مُحَوَّل . وكان لها جامعٌ مفرَد تصلِّي فيه الشيعة ، وقد خَرِب عن آخره ، وكذلك المحلَّة ، لم يبق لها أثر . وكانت براثا قبلَ بناءِ بغداد قريةً يزعمون أن علياً مر بها لَما خرج لقتال الحرورية بالنهروان وصلى في موضع من الجامع المذكور ، وذكر أنه دخل=

بنات الرؤساء ، فانخلعَتْ ممّا كانتْ فيه من الدنيا والسعادةِ والحِشْمة ، وتزوَّجَتْهُ وأقامتْ معهُ في كُوخِه تتعبَّد حتى ماتا . يُقال : إنَّ اسمَها جوهرة .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وثمانين ومئة

فيها غزا إبراهيمُ بن جبريل[١] الصائفة ، فدخل بلادَ الرُّوم من دَرْبِ الصَّفْصَاف ، فخرج النَّقْفُورُ للقائه ، فجُرح النقفورُ ثلاث جِرَاحات ، وانهزم ، وقُتل من أصحابِهِ أكثر من أربعينَ ألفاً . وغَنِموا أكثرَ من أربعةِ آلاف دابّة .

وفيها رابط القاسمُ بن الرشيد بمَرْجِ دابق . وفيها حجَّ بالناسِ الرشيد ، وكانتْ آخرَ حجَّاتِه . وقد قال أبو بكر بن عيَّاش حين رأى الرشيدَ منصرفاً من الحج ، وقدِ اجتازَ بالكوفة : لا يحجُّ الرشيدُ بعدَها ، ولا يحجُّ بعدَهُ خليفةٌ أبداً . وقد رأى الرشيد بُهلول المولَّه فوعظَهُ موعظةً حسنة . فرَوَيْنا من طريقِ الفَضْل بن الربيع الحاجب ، قال : حجَجْتُ مع الرشيد ، فمرَرْنا بالكوفة ، فإذا بُهلول المجنون يَهْذي ، فقلت : اسكُتْ فقد أقبلَ أميرُ المؤمنين . فسكَت ، فلما حاذاهُ الهَوْدجُ قال : يا أميرَ المؤمنين ، حدَّثني أيمنُ بن نابِل[٢] ، حدّثنا قُدَامةُ بن عبد الله العامري ، قال : رأيتُ النبيَّ ﷺ بمنًى على جمل ، وتحتَهُ رَحْلٌ رَثّ ، ولم يكنْ ثمَّ طَرْدٌ ولا ضَرْبٌ ، ولا إليكَ إليكَ . قال الفضل بن الربيع : فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّهُ بُهلول . فقال : قد عرفتُه ، قُلْ يا بُهلول . فقال :

فهبْ أنْ قدْ مَلَكتَ الأرضَ طُرّاً ... ودانَ لـك العبادُ فكـانَ مـاذا

أليس غـداً مَصيرُكَ جَوْفَ قَبْرٍ ... ويَحْثُـو التُّـرْبَ هـذا ثُـمَّ هـذا

قال : أجدتَ يا بُهلول ، أفغيره ؟ قال : نعم يا أميرَ المؤمنين ، منْ رزَقَهُ الله مالاً وجمالاً فعَفَّ في جمالِه ، وواسَى في مالِه ، كُتب في ديوانِ الله من الأبرار . قال : فظنَّ أنهُ يُريدُ شيئاً ، فقال : إنَّا أمَرْنا بقضاءِ دَيْنِك . فقال : لا تفعلْ يا أميرَ المؤمنين ، لا يُقضَى دينٌ بدَيْن ، ارْدُدِ الحقَّ إلى أهلِهِ ، واقضِ دَيْنَ نفسِك من نفسِك . قال : إنَّا أمرْنا أنْ يُجرَى عليك رزقٌ تقتاتُ به . قال : لا تَفْعلْ يا أميرَ المؤمنين ، فإنه سبحانه لا يُعطيك وينساني ؛ وها أنا قد عشتُ عمراً لم تُجْرِ عليَّ رزقاً ، انصرِفْ ، لا حاجةَ لي في جِرَايتِك . قال : هذه ألفُ دينارٍ خُذْها . فقال : اردُدْها على أصحابِها فهو خيرٌ لك ؛ وما أصنعُ أنا بها ؟!

= حماماً كان في هذه القرية . معجم البلدان (١/ ٣٦٢ ، ٣٦٣) .

(١) في (ق) : « إبراهيم بن إسرائيل » ، وهو تصحيف والمثبت من (ب ، ح) وكتب التاريخ .

(٢) تصحف الاسم في الأصول ، والمثبت من الإكمال لابن ماكولا (٧/ ٢٥٠) ، وتقريب التهذيب (١١٧) ، وفيهما « نابل » بنون وموحّدة .

انصرِفْ عنِّي ، فقد آذَيْتني . قال : فانصرفَ عنه الرشيدُ وقد تصاغرَتْ عندَهُ الدنيا[١] .

ومِمن تُوفِّي فيها من الأعيان :

أبو إسحاق الفَزَاري[٢] إبراهيم بن محمد بن الحارث بن إسماعيل بن خارجة ، إمامُ أهلِ الشام في المغازي وغيرِ ذلك . أخذ عن الثوري ، والأوزاعي ، وغيرهما . تُوفي في هذه السنة ، وقيل قبلَها[٣] .

وإبراهيم الموصلي[٤] النَّديم وهو إبراهيم بن ماهان بن بهمن ، أبو إسحاق ، أحدُ الشعراءِ والمغنِّين والنُّدماء للرشيد وغيره ؛ أصلُهُ من الفُرْس ، ووُلد بالكوفة ، وصحب شبابَها ، وأخذ عنهمُ الغناء ، فأجاد في عِلْمِهِ . ثم سافر إلى المَوْصِل ، ثم عاد إلى الكوفة ، فقالوا له : الموصلي . ثم اتصل بالخلفاء ، أولُهم المهدي ، وحَظِيَ عند الرشيد . وكان من جُملةِ سُمَّارِهِ ونُدَمائه ومُغنِّيه . وقد أثْرَى وكَثُرَ مالُه جداً ، حتى قيل : إنه ترك أربعةً وعشرينَ ألفَ ألف درهم . وكانتْ له طُرفٌ وحكاياتٌ غَريبة . وكان مولدُه سنةَ خمسَ عشرةَ ومئة في الكوفة ، ونشأ في كفالةِ بني تميم ، فتعلَّم منهم ، ونُسب إليهم . وكان فاضلاً بارعاً في صناعةِ الغناء . وكان مُزَوَّجاً بأختِ المنصور الملقَّب بِزَلْزَل[٥] الذي كان يضرب معه ، فإذا غنَّى هذا وضربَ هذا اهتزَّ المجلس .

تُوفي في هذه السنةِ على الصحيح . وحكى ابنُ خَلِّكان في الوفيات[٦] ، أنه توفي وأبو العتاهية وأبو عمرو الشيباني ببغداد في يومٍ واحد ، من سنةِ ثلاثَ عشرةَ ومئتين ، وصحح الأول .

ومن قولِهِ في شعرِهِ عند احتضارِه قولُه :

مَـــلَّ واللهِ طَبيبـــي ... مـنْ مُقـاسـاةِ الـذي بـي
سوف أُنْعَى عن قريبٍ ... لِعَـــــدُوٍّ وحَبيـــــبِ

وفيها مات :

جَرير بنُ عبدِ الحميد .

---

(١) الخبر والشعر في صفة الصفوة (٢/ ٥١٧ ، ٥١٨) ، والمختار من مناقب الأخيار لابن الأثير (١/ ٥٠٨) ، وهو بتحقيقي ، وتعجيل المنفعة (٥٦) لابن حجر .

(٢) ذكر المؤلف وفاته في سنة (١٨٥) ، انظر ص٤٥٩ من هذا الجزء ، ومصادر ترجمته ذُكرتْ ثَمّ .

(٣) انظر الحاشية السابقة .

(٤) ترجمته في الأغاني (٥/ ١٦٩) ، تاريخ بغداد (٦/ ١٧٥) ، الفهرست (٢٠١) ، المؤتلف والمختلف لابن القيسراني (١٣٦ ، و٢٠١) ، المنتظم (٩/ ١٥٦) ، الكامل لابن الأثير (٥/ ٤٩٠) ، وفيات الأعيان (١/ ٤٢) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٧٩) ، شذرات الذهب (١/ ٣١٨ ، ٣١٩) .

(٥) انظر نزهة الألباب في الألقاب (٣٤٤) .

(٦) وفيات الأعيان (١/ ٤٣) .

ورِشْدِينُ بنُ سعد .

وعَبْدةُ بن سليمان .

وعُقبةُ بن خالد .

وعمر بن أيوب العابد ، أحدُ مشايخِ أحمدَ بنِ حنبل .

وعيسى بنُ يونس في قول .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومئة

فيها رَجَعَ الرشيدُ من الحج ، وسار إلى الرَّيّ ، فولَّى وعزل .

وفيها ردَّ عليَّ بن عيسى إلى ولايةِ خُراسان . وجاءه نُوَّابُ تلكَ البلاد بالهدايا والتُّحف من سائرِ الأشكالِ والألوان . ثم عاد إلى بغداد ، فأدركَهُ عيدُ الأضحى بقصر اللصوص[١] ، فضحَّى عندَه ، ودخل إلى بغداد لثلاثٍ بَقينَ من ذي الحجَّة ؛ فلما اجتاز بالجسر أمرَ بجثَّةِ جعفر بن يحيى البرمكي فحُرِّقَتْ ودُفنتْ ، وكانت مصلوبةً من حينِ قُتل إلى هذا اليوم .

ثم ارتحل الرشيدُ من بغدادَ إلى الرقَّة ليسكنَها ، وهو متأسِّفٌ على بغدادَ وطيبها ، وإنما مرادُهُ بمُقَامِهِ بالرقَّةِ رَدْعُ المفسدين بها . وقد قال العباسُ بن الأحنف في خروجِهم من بغدادَ مع الرشيد :

ما أنَخْنَا حتى ارْتَحَلْنا فما نَفْـ ـرِقُ بيـن المُنَـاخِ والارتحـالِ
ساءَلونا عن حالِنا إذْ قَدِمنا فقَـرَنَّـا وداعَهـم بـالسُّـؤالِ[٢]

وفيها فادَى الرشيدُ الأسارى من المسلمين الذين كانوا ببلادِ الرُّوم ، حتى يُقال إنه لم يترُكْ بها أسيراً من المسلمين ، فقال فيه بعضُ الشعراء :

وفُكَّتْ بك الأسرى التي شُيِّدَتْ لَها مَحَابِسُ مـا فيهـا حَميـمٌ يَـزورُهـا

---

(١) قال صاحبُ الفتوح : لما فُتحت نَهَاوَنْد سار جيشٌ من جيوش المسلمين إلى هَمَذَان ، فنَزلوا كنكور ، فسُرقت دوابُّ من دوابِّ المسلمين ، فسُمي يومئذٍ قصرَ اللصوص ، وبقي اسمه إلى الآن ؛ وهو في الأصل موضع قصر كنكور ، وهو قصر شيرين . وقال مسعر بن المهلهل : قصر اللصوص بناؤه عجيبٌ جداً ، وذلك أنه على دكَّةٍ من حَجَر ارتفاعها عن وجه الأرض نحو عشرين ذراعاً ، فيه إيوانات وجواسيق وخزائن تتحيَّرُ في بنائه وحسنِ نُقوشِه الأبصار ، وكان هذا القصر معقِلَ أبرويز ومسكنَهُ ومتنزَّهَه ، لكثرة صيده وعذوبة مائه وحسن مروجه وصحاريه . وحول هذا القصر مدينةٌ كبيرةٌ لها جامع . معجم البلدان (٤/ ٣٦٣ ، ٣٦٤) .

(٢) الخبر والشعر في تاريخ الطبري (٤/ ٦٧٥) ، والكامل لابن الأثير (٥/ ٣٣٩) .

على حين أعيا المسلمينَ فكاكُها وقالوا سجونُ المشركينَ قبورُها[١]

وفيها رابطَ القاسمُ بنُ الرشيد بمَرْجِ دابِق يُحاصِر الرُّوم .

وفيها حجَّ بالناس العباسُ بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس .

ذكرُ من تُوفي فيها من الأعيان :

علي بن حمزة بن عبد الله بن فَيْروز[٢] أبو الحسن الأسدِي مولاهم ، الكوفي ، المعروف بالكِسائي ، لإحرامهِ في كِسَاء ؛ وقيل : لاشتغالِهِ على حمزةَ الزيَّات في كِسَاء . كان نَحْوِيّاً لُغَوِيّاً ، أحدَ أئمةِ القُرَّاء . أصله من الكوفة ، ثم استوطنَ بغداد ، فأدَّبَ الرشيد وولدَهُ الأمين . وقد قرأ على حَمْزةَ بنِ حَبيبٍ الزَّيَّاتِ قراءتَه ؛ وكان يُقرىء بها ، ثم اختارَ لنفسِهِ قراءةً ، وكان يقرأ بها .

وقد روَى عن أبي بكرِ بن عيَّاش ، وسفيان بن عُيينةَ وغيرِهما . وعنه يحيى بنُ زياد الفرَّاء ، وأبو عُبيد .

قال الشافعي : منْ أرادَ النحوَ فهو عيالٌ على الكِسَائي . أخذَ الكسائيُّ عن الخليل صناعةَ النَّحْو ، فسألَهُ يوماً عن منْ أخذتَ هذا العلم ؟ قال : منْ بَوَادي الحِجاز . فرحَلَ الكِسَائيُّ إلى هناك ؛ فكتبَ عن العرب شيئاً كثيراً ، ثم عاد إلى الخليل ، فإذا هو قد مات ، وتصدَّرَ في موضِعِه يونس ؛ فجرَتْ بينهما مناظراتٌ أقَرَّ له فيها يونُسُ بالفَضْل وأجلسه في موضعه .

قال الكِسَائي : صليت يوماً بالرشيد ، فأعجَبَتْني قراءتي ، فغَلِطتُ غلطةً ما غَلِطَها صبيّ ، أردتُ أنْ أقول ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ فقلت : لعلَّهم يرجعين ، فما تَجاسَرَ الرشيدُ أنْ يردَّها ، فلما سلَّمْتُ قال : أيُّ لغةٍ هذه ؟ فقلتُ : إنَّ الجوادَ قد يَعْثُر . فقال : أمَّا هذا فنعَمْ .

وقال بعضُهم : لَقِيتُ الكِسَائيّ ، فإذا هو مهموم ، فقلت : ما لَك ؟ فقال : إنَّ يحيى بنَ خالدٍ قد وجَّهَ إليَّ لِيسألَني عن أشياء ، فأخشى من الخطأ . فقلت : قُلْ ما شئت ، فأنتَ الكِسَائي . فقال : قطعَهُ الله ـ يعني لسانَه ـ إنْ قلتُ ما لم أعلمْ .

وقال الكسائيُّ يوماً : قلتُ لنجَّار : بكم هذانِ البابان ؟ فقال : بسَلْحَتان يا مَصْفَعان[٣] .

---

(١) الخبر والبيتين في تاريخ الطبري (٤/ ٦٧٥) .

(٢) ترجمته في التاريخ الكبير (٦/ ٢٦٨) ، الكنى والأسماء لمسلم (١/ ٢١٨) ، مولد العلماء ووفياتهم (١/ ٤٢٧) ، تاريخ بغداد (١١/ ٤٠٣) ، الفهرست (٩٧) ، المنتظم لابن الجوزي (٩/ ١٦٨) ، وفيات الأعيان (٣/ ٢٩٥) ، المقتنى في سرد الكنى (١/ ١٧٩) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ١٣١) ، تهذيب التهذيب (٧/ ٢٧٥) ، نزهة الألباب في الألقاب (٢/ ٣٠٧) .

(٣) في (ق) : « بسالجيان » ، في (ح) والمنتظم (٩/ ١٧٣) : « بسلحتان » ، يقال : سلح الطائر سلحاً ؛ كالتغوط=

تُوفي الكِسَائيُ في هذه السنةِ على المشهور ، عن سبعين سنة . وكان في صُحْبَةِ الرشيدِ ببلادِ الرَّيّ ، فمات بنواحيها ، هو ومحمد بن الحسن في يومٍ واحد . وكان الرشيدُ يقول : دفنتُ الفقهَ والعربيةَ بالرَّي .

قال ابن خَلِّكان[1] : وقيل : إنَّ الكِسَائي توفي بطُوسَ سنةَ ثنتين [أو ثلاث] وثمانين ومئة . والله أعلم .

وقد رأى بعضُهم الكِسَائي في المنام ووجهُه كالبَدْر ، فقال : ما فعلَ بكَ ربُّك ؟ فقال : غفَرَ لي بالقرآن . فقلت : ما فعل حمزة ؟ قال : ذاك في عِلِّيِّين ، ما نراهُ إلا كما نَرَى الكوكب .

وفيها توفي :

محمد بن الحسن بن فَرْقَد[2] أبو عبد الله الشيباني مولاهم ، صاحبُ أبي حنيفة ، أصلُهُ من قريةٍ من قُرى دمشق ، قدم أبوه العراق ، فولد بواسط سنةَ ثنتَيْن ومئة ، ونشأ بالكوفة . فسمع من أبي حنيفة ، ومِسْعَر ، والثوري ، وعمر بن ذر ، ومالك بن مِغْوَل . وكتب عن مالك بن أنس ، والأوزاعي ، وأبي يوسف . وسكن بغداد ، وحدَّث بها . وكتب عنه الشافعي حين قَدِمها في سنةِ أربعٍ وثمانين ومئة ، وولَّاه الرشيدُ قضاءَ الرقَّة ، ثم عزله . وخرج مع الرشيد إلى الرَّي فماتَ بها .

وكان يقولُ لأهله : لا تسألوني حاجةً من حاجاتِ الدنيا فتشغَلُوا قلبي ، وخذوا ما شئتُم من رَحْلي ، فإنه أقلُّ لِهَمِّي ، وأفرغُ لقلبي .

وقال الشافعي : ما رأيتُ حبراً سميناً مثلَه ! ولا رأيتُ أخفَّ روحاً منه ، ولا أفصحَ منه ؛ كنتُ إذا سمعتُه يقرأُ القرآنَ كأنَّما يَنْزِلُ القرآنُ بلغتِه .

وقال أيضاً : ما رأيتُ أعقلَ منه ! كانَ يملأ العَيْنَ والقلب .

قال الطَّحَاويّ : كان الشافعيُّ قد طلبَ من محمدِ بنِ الحسن كتاب السِّيَر ، فلم يُجِبْهُ إلى الإعارة . فكتب إليه :

= من الإنسان والمَصْفَعان : الذي يُصْفعُ على قَفَاه . وفي جواب النجار ضرب من السخرية بشيخ العربية ، الذي لم يقم لسانه بقواعد النحو ، إذ الوجه أن يقول : « بكم هذين البابين ؟ » .

(١) في وفيات الأعيان (٣/ ٢٩٦) ، وما يأتي بين معقوفين منه .

(٢) في (ق) : محمد بن الحسن بن زفر ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) ومصادر ترجمته ، وهي في : الضعفاء للعقيلي (٤/ ٥٢) ، الكامل لابن عدي (٦/ ١٧٤) ، المجروحين (٢/ ٢٧٥) ، تاريخ بغداد (٢/ ١٧٢) ، الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (٣/ ٥٠) ، ميزان الاعتدال (٦/ ١٠٧) ، المقتنى في سرد الكنى (١/ ٣٥٨) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ١٣٤) ، المغني في الضعفاء (٢/ ٥٦٧) ، رواة الآثار لابن حجر (١٦٢) ، التدوين في أخبار قزوين (١/ ٢٥١) .

قُلْ للذي لم تَرَ عَيْـ ـنَـا مَـنْ رآهُ مثلَـهُ
حتـى كـأنَّ مَـنْ رآ هُ قـد رأى مَـنْ قبلَـهُ
العلـمُ يَنْهَـى أهلَـهُ أنْ يَمْنَعُـوهُ أهْلَـهُ
لعلَّـهُ يَبْـذُلُـهُ لأهلِـهِ لَعَلَّـهُ[١]

قال : فوجَّهَ به إليهِ في الحالِ هديَّةً لا عاريَّة .

وقال إبراهيمُ الحربي : قيل لأحمد بن حنبل : هذه المسائل الدِّقَاق ، منْ أين هي لك ؟ قال : من كُتب محمدِ بنِ الحسن رحمه الله . وقد تقدَّمَ أنه ماتَ هو والكِسَائي في يومٍ واحدٍ من هذه السنة . فقال الرشيد : دفنتُ اليومَ اللغةَ والفِقْه جميعاً . وكان عمرهُ ثمانيةً وخمسين سنة .

ثم دخلت سنة تسعين ومئة من الهجرة

فيها خلَعَ رافعُ بنُ لَيْث بنِ نصر بن سَيَّار نائبُ سَمَرْقَنْدَ الطاعة ، ودَعَا إلى نفسه ، وتابعَهُ أهلُ بلدِهِ وطائفةٌ كثيرة من تلك الناحية ؛ واستفحل أمرُه ، فسار إليه نائبُ خُرَاسانَ عليُّ بن عيسى ، فهزمَهُ رافع ، وتفاقَمَ الأمرُ به .

وفيها سار الرشيدُ لِغَزْوِ بلادِ الرُّوم لعشرٍ بَقِينَ من رجب ، وقد لبس على رأسِهِ قَلَنْسُوةً ، فقال فيه أبو المعلّى الكلابي :

فمَـنْ يطلُـبْ لقـاءَكَ أو يُـرِدْهُ فبـالحـرَمَيْـنِ أو أقصَـى الثُّغـورِ
ففـي أرضِ العـدوِّ علـى طِمِـرٍّ وفـي أرض التَّـرَفُّـهِ[٢] فَـوْقَ كُـورِ
ومـا حـازَ الثغـورَ سـواكَ خَلْـقٌ مـن المتخلِّفيـنَ علـى الأمـورِ[٣]

فسارَ حتى وصل إلى الطُّوَانَة[٤] ، فعسكر بها وبعث إليه نَقْفُور إليه بالطاعة ، وحَمَلَ الخراجَ والجِزْيَة ، حتى عن رأسِ وَلَدِه ورأسِه ، وأهلِ مملكته ، في كلِّ سنةٍ خمسةَ عشرَ ألفَ دينار . وبعثَ يَطْلبُ من الرشيدِ جاريةً قد أسروها ، وكانتِ ابنةَ ملكِ هِرَقْلَة ، وكان قد خطبَهَا على ولَدِه . فبعث بها الرشيدُ مع

---

(١) رواية (ق) في البيت الأول : « لم تر عيناي مثله » ، والمثبت من (ب ، ح) وبنحوه الأبيات في ديوان الشافعي ص(١٢١) ، وفيه زيادة بيت قبل الأخير وهو :
لأنَّ مـا يُجنُّـهُ فـاقَ الكمـالَ كُلَّـهُ

(٢) هذه رواية (ق) ، وفي (ب ، ح) : « الثنية » .

(٣) ليس هذا البيت في (ب ، ح) .

(٤) « طُوَانة » ـ بضمِّ أوله ، وبعد الألف نون ـ : بلدٌ بِثغور المَصِّيصَة . معجم البلدان (٤/ ٤٥) .

هدايا وتُحَفٍ وطيبٍ بعَثَ يطلُبُهُ من الرشيد . واشترَطَ عليه الرشيدُ أنْ يَحْمِلَ كلَّ سنةٍ ثلاثَ مئةِ ألف دينار ، وأنْ لا يَعْمُرَ هِرَقْلَة .

ثم انصرف الرشيدُ راجعاً ، واستناب على الغَزْو عُقْبَةَ بن جعفر .

ونقَضَ أهلُ قُبْرُصَ العَهْد ، فغزاهُمْ مَعْيوفُ بن يحيى ، فسَبَى أهلَها ، وقتل منهم خلقاً كثيراً . وخرج رجلٌ من عَبْدِ القَيْس ، فبعث إليه الرشيدُ منْ قَتَله .

وحجَّ بالناس فيها عيسى بن موسى الهادي .

ممن تُوفِّي فيها من الأعيان والمشاهير :

أسد بن عمرو بن عامر[١] أبو المنذر البَجَليُّ الكوفيّ ، صاحبُ أبي حَنيفة ، حكم ببغداد وبِوَاسِط ، فلما أَنْكَرَ بصَره عزَلَ نفسَهُ عن القضاء .

قال أحمدُ بن حنبل[٢] : كان صدوقاً . ووثقه ابنُ معين ، وتكلَّم فيه عليُّ بن المَديني ، والبخاري .

وسَعْدُون المجنون[٣] : صامَ ستين سنة ، فخفَّ دِمَاغُه ، فسمَّاهُ الناسُ مجنوناً ، وقف يوماً على حَلْقَةِ ذي النُّون المِصري ، فسمع كلامَهُ فصرَخ ، ثم أنشأ يقول :

ولا خيرَ في شَكْوَى إلى غيرِ مُشْتكى ولا بُدَّ من شكوى إذا لم يكنْ صَبْرُ

وقال الأصمعي : مرَرْتُ به وهو جالسٌ عند رأسِ شيخٍ سكران ، يذبُّ عنه ، فقلتُ له : ما لي أراك عندَ رأسِ هذا الشيخ ؟ فقال : إنه مجنون . فقلت : أنتَ مجنونٌ أوْ هو ؟ قال : لا ، بل هو ، لأني صلَّيتُ الظهر والعصرَ في جماعة ، وهو لم يصلِّ جماعةً ولا فُرَادى . وهو مع هذا قد شرِبَ الخمر ، وأنا لم أشرَبْها . قلتُ : فهل قلتَ في هذا شيئاً ؟ قال : نَعمْ . ثم أنشأ يقول :

---

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٣٣١) ، بحر الدم للإمام أحمد (٧٣) ، الكنى للبخاري (٢/ ٤٩) ، الكنى والأسماء لمسلم (٢/ ٧٧٣) ، الضعفاء والمتروكين للنسائي (١٩) ، تسمية من لم يرو عنه غير رجل واحد للنسائي (١٢٤) ، الضعفاء للعقيلي (١/ ٢٣) ، الجرح والتعديل (٢/ ٣٣٧) ، المجروحين لابن حبان (١/ ١٨٠) ، الكامل لابن عدي (١/ ٣٩٨) ، تاريخ جرجان (٥٥٣) ، تاريخ بغداد (٧/ ١٦) ، الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (١/ ١٠٦) ، الكشف الحثيث لسبط بن العجمي (٦٧) ، المغني في الضعفاء (٧٦) ، المنتقى في سرد الكنى (٢/ ٩٨) ، ميزان الاعتدال (١/ ٣٦٣) ، الإكمال للحسيني (٢٣) ، لسان الميزان (١/ ٣٨٣) ، تعجيل المنفعة (٣٠) .

(٢) في كتاب بحر الدم (٧٣) .

(٣) ترجمته في عقلاء المجانين (٥٤) ، إحياء علوم الدين (١/ ٣١٦) ، صفة الصفوة (٢/ ٥١٢) ، المختار من مناقب الأخيار (٧٨) ، الوافي بالوفيات (١٥/ ت ٢٦٦) ، فوات الوفيات (٢/ ٤٨) ، روض الرياحين الحكاية (٢١ و٢٢ و٢٤ و٢٥) ، طبقات الشعراني (١/ ٦٨) ، الطبقات الصغرى للمناوي (٣٢٣) .

تــركــتُ النبيــذَ لأهــلِ النبيــذِ وأصبحتُ أشربُ ماءً قَرَاحا
لأنَّ النبيــذَ يُــذلُّ العــزيــزَ ويَكْسُو السوادَ الوجوهَ الصِّبَاحا
فـإنْ كـان ذا جـائـزاً للشبـابِ فما العُذْرُ منه إذا الشَّيبُ لاحا

قال الأصمعي : فقلتُ له : صدقتَ . أنتَ العاقلُ وهو المجنون .

وعُبيدة بنُ حُميد بن صُهيب[(١)] أبو عبد الرحمن التَّيْمي[(٢)] ، الكوفي ، مؤدِّبُ الأمين . روى عن الأعمش وغيرِه . وعنه أحمدُ بن حنبل ، وكان يُثْني عليه .

وفيها توفي :

يحيى بنُ خالد بن بَرْمَك[(٣)] أبو علي الوزير ، والدُ جعفرِ البَرْمكي ، ضمَّ إليه المهديُّ ولَدَهُ الرشيدَ فربَّاهُ ، وأرضعَتْهُ امرأتُهُ مع الفضلِ بنِ يحيى ، فلما وُلِّي الرشيد ، عرف له حقَّه ، وكان يقول : قال أبي ، قال أبي . وفوَّضَ إليه أمورَ الخلافةِ وأزِمَّتَها ، ولم يزَلْ كذلك حتى نُكِبَتِ البرامكة ، فقتل جعفراً[(٤)] ، وخَلَّدَ أباه يحيى في الحبسِ حتى ماتَ في هذه السنة . وكان كريماً فَصِيحاً ذا رأيٍ سديد ، يظهَرُ من أمورِه خيرٌ وصلاح .

قال يوماً لولَدِهِ : خُذوا من كلِّ شيءٍ طَرَفاً ، فإنَّ منْ جَهِل شيئاً عاداه . وقال لأولاده : اكتبوا أحسنَ ما تسمعون ، واحفظوا أحسنَ ما تكتبون ، وتحدَّثوا بأحسنِ ما تحفظون . وكان يقولُ لهم : إذا أقبلتِ الدنيا فأنفِقوا منها ، فإنَّها لا تبقَى ، وإذا أدْبَرَتْ فأنفِقوا منها فإنَّها لا تبقَى[(٥)] .

---

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٣٢٩) ، بحر الدم للإمام أحمد (٢٨٨) ، التاريخ الكبير للبخاري (٦/ ٨٦) ، الكنى والأسماء لمسلم (١/ ٥٢٦) ، معرفة الثقات للعجلي (٢/ ١٢٣) ، الطبقات للنسائي (١٣٢) ، مشاهير علماء الأمصار لابن حبان البستي (١٧١) ، الثقات له (٧/ ١٦٢) ، الجرح والتعديل (٦/ ٩٢) ، رجال صحيح البخاري للكلاباذي (٢/ ٥٠٥) ، تسمية من أخرج له البخاري ومسلم للحاكم (١٩٢) ، التعديل والتجريح للباجي (٢/ ٩٣٣) ، تاريخ بغداد (١١/ ١٢٠) ، تهذيب الكمال (١٩/ ٢٥٧) ، ميزان الاعتدال (٥/ ٣٣) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٣١١) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٠٨) ، الكاشف (١/ ٦٩٤) ، لسان الميزان (٧/ ٣٠٠) ، تقريب التهذيب (٣٧٩) ، طبقات الحفاظ (١٣٥) .

(٢) في (ق) : « التميمي » ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) ومصادر ترجمته .

(٣) ترجمته في تاريخ بغداد (١٤/ ١٢٨) ، المنتظم لابن الجوزي (٩/ ١٨٨) ، وفيات الأعيان (٦/ ٢١٩) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٨٩) ، العبر (١/ ٣٠٦) ، النجوم الزاهرة (٢/ ١٣٣) .

(٤) في (ح ، ق) : « جعفر » ، والمثبت من (ب) ، والضمير في قتل عائد على الرشيد .

(٥) تقدم هذا القول في ترجمة ابنه جعفر ص(٤٧٠) .

وكان إذا سأله سائلٌ في الطريق وهو راكب أقلّ[١] ما يأمُرُ له بمئتي درهم . فقال رجلٌ يوماً :

يا سَميَّ الحَصُورِ يحيى أُتيحَتْ لكَ من فضلِ رَبِّنا جَنَّتانِ
كلُّ منْ مَرَّ في الطريقِ عليكُمْ فلَهُ منْ نَوالِكُمْ مِئتانِ
مِئتا دِرْهمٍ لِمِثْلي قليلٌ هي منكمْ للفارسِ العَجْلانِ

فقال : صدَقْت . وأمرَ أنْ يُسبَق به إلى الدار ، فلما رجعَ سأل عنه ، فإذا هو قد تزوَّج ، وهو يريدُ أن يدخلَ على أهلِه ، فأعطاهُ صداقها أربعةَ آلاف ، وعن دار أربعةَ آلاف ، وعن الأمتعةِ أربعةَ آلاف ، وعن الدخول أربعة آلاف ، وأربعة آلاف يستظهر بها .

وجاءَهُ رجلٌ يوماً فسأله شيئاً ، فقال : وَيْحَك لقد جئتَني في وقتٍ لا أملِكُ فيه مالاً ؛ ولكنْ بعث إليَّ صاحبٌ لي يطلُبُ مني أنْ يُهدي إليَّ ما أحب ، وقد بلغني أنكَ تُريد أن تبيعَ جاريةً لك ، وأنَّك قد أُعطيتَ فيها ثلاثةَ آلاف دينار ، وإني سأطلُبها ، فلا تَبِعْها منه بأقلَّ من ثلاثينَ ألفَ دينار . فجاؤوني فبلغوا معي بالمساومةِ إلى عشرين ألفَ دينار ، فلما سمعتُها ضَعُفَ قلبي عن رَدِّها ، وأجَبْتُ إلى بيعها ، فأخَذها ، وأخذتُ العشرين ألفَ دينار ، فأهداها إلى يحيى . فلما اجتمعتُ بيحيى قال : بكم بعتَها ؟ قلتُ : بعشرين ألفَ دينار . قال : إنك لَخسيس ، خُذْ جاريتَك إليك . وقد بعث إليَّ صاحبُ فارس ، يطلبُ مني أنْ أستهديَهُ شيئاً ، وإني سأطلُبها منه ، فلا تَبِعْها بأقلَّ من خمسينَ ألفَ دينار . فجاؤوني فوصلوا في ثمنِها إلى ثلاثين ألفَ دينار ، فبعتُها منهم . فلمّا جئتُه لامني أيضاً وردَّها عليّ ، فقلتُ : أُشهدُك أنَّها حُرَّة ، وأني قد تزوَّجْتُها ؛ وقلت : جاريةٌ قد أفادَتْني خمسين ألف دينار ، لا أفرِّطُ فيها بعدَ اليوم[٢] .

وذكر الخطيب ، أنَّ الرشيد طلَبَ من منصورِ بنِ زياد عشرة آلاف ألف درهم ، ولم يكنْ عندَهُ منها سوى ألفِ ألفِ درهم ، فضاق ذَرْعاً ، وقد توعَّده بالقتلِ وخرابِ الديار إنْ لم يحمِلْها في يومِه ذلك ؛ فدخل على يحيى بنِ خالد ، وذكرَ أمرَه ، فأطلقَ له خمسةَ آلافِ ألف ، واستطلق له من ابنِهِ الفضل ألفَيْ ألف ، وقال لابنه : يا بُني ، بلغَني أنك تُريدُ أن تشتريَ بها ضَيْعةً ، وهذه ضيعةٌ تَغُلُّ الشكرَ وتبقى مدَى الدَّهر . وأخذ له من ابنِهِ جعفر ألفَ ألف ، ومن جاريته دنانير عِقْداً مُشتراه مئةُ ألف دينار ، وعشرون ألف دينار ، وقال للمترسّم عليه : قد حسبناهُ عليك بألفَيْ ألف . فلما عُرِضتِ الأموالُ على الرشيد رَدَّ العِقْد ، وكان قد وهبَهُ لجاريةِ يحيى ، فلم يعدْ فيه بعدَ إذْ وَهَبه لها . وقال له بعضُ بنيه وهم في السجن والقيود : يا أبتِ ، بعدَ الأمرِ والنَّهْي والنِّعْمة صِرْنا إلى هذا الحال ؟! فقال : يا بُني ، دعوةُ مظلومٍ سرَتْ بلَيلٍ ونحن عنها غافلون ، ولم يغفلِ الله عنها . ثم أنشأ يقول :

رُبَّ قومٍ قد غدَوْا في نعمةٍ زمناً والدَّهرُ ريَّانٌ غَدَقْ

---

(١) كذا في الأصول ، والوجه (فأقلّ) .

(٢) انظر الحكاية بأوضح مما هنا في تاريخ بغداد (١٤/ ١٣١) .

سكَتَ الدهرُ زماناً عنهمُ ثم أبكاهُمْ دماً حين نَطَقْ[١]

وقد كان يحيى بن خالد هذا يُجري على سفيانَ بن عُيينة كلَّ شهرٍ ألفَ درهم ، وكان سفيانُ يدعو له في سجودِهِ يقول : اللهمَّ إنه قد كفاني المؤنة ، وفرَّغني للعبادة ، فاكفِهِ أمرَ آخرتِه . فلما مات يحيى رآه بعضُ أصحابِه في المنام فقال له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفَرَ لي بدُعاءِ سفيان .

وقد كانتْ وفاةُ يحيى بنِ خالد رحمه الله في الحبس في الرَّافِقَة ، لثلاثٍ خلَوْنَ من المحرَّم من هذه السنة ، عن سبعين سنة ، وصلَّى عليه ابنُه الفَضْل ، ودُفن على شطِّ الفُرَات ؛ وقد وُجد في جَيبه رُقْعةٌ مكتوبٌ فيها بخَطِّه : قد تقدَّمَ الخَصْم والمدَّعَى عليه بالأثر ، والحاكمُ الحكَمُ العَدْلُ الذي لا يَجُور ، ولا يحتاجُ إلى بَيِّنة . فحُملتْ إلى الرشيد ، فلما قرَأها بكَى يومَه ذلك ، وبقي أياماً يتبيَّنُ الأسى في وَجْهِه . وقد قال بعضُ الشعراء في يحيى بن خالد :

سألتُ النَّدى : هل أنتَ حُرٌّ ؟ فقال : لا ولكنَّني عبدٌ ليَحيى بنِ خالدِ

فقلتُ : شِراءً ؟ قال : لا بلْ وِراثةً توارَثَ رِقِّي والدٌ بعدَ والِدِ

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومئة

فيها خرج رجلٌ بسوادِ العراق يُقال له ثَرْوان بن سيف ، وجعل يتنقَّلُ فيها من بلدٍ إلى بلد ، فوجَّه إليه الرشيدُ طَوْق بن مالك فهزمَه ، وجرح ثروانَ وقتلَ عامَّة أصحابِه ، وكتب بالفتحِ إلى الرشيد .

وفيها خرج بالشام أبو النِّداء ، فوجَّه إليه الرشيدُ يحيى بنَ معاذ ، واستنابه على الشام .

وفيها وقع الثلجُ ببغداد . وفيها غزا بلادَ الروم يزيدُ بن مخلد الهُبَيْري في عشرةِ آلاف ، فأخذتْ عليه الرومُ المضيق ، فقتلوه في خمسين من أصحابه ، على مرحلتين من طَرَسُوس ، وانهزم الباقون . وولَّى الرشيدُ غزوَ الصائفة لِهَرْثَمةَ بنِ أعْين ، وضمَّ إليه ثلاثين ألفاً فيهم مسرورٌ الخادم ، وإليه النفقات .

وخرج الرشيد إلى الحَدَث[٢] ليكونَ قريباً منهم . وأمر الرشيدُ بِهَدْمِ الكنائسِ والدُّيُور ، وألزَمَ أهلَ الذِّمَّة بتميزِ لباسِهم وهيئاتِهم في بغدادَ وغيرِها من البلاد .

---

(١) تاريخ بغداد (١٤/ ١٣١) .

(٢) الحَدَث ـ بالتحريك وآخره ثاء مثلثة ـ : قلعةٌ حصينة بين مَلَطْيَة وسُمَيْساط ومَرْعش ، من الثُّغور ، ويقال لها الحمراء ، لأنَّ تُرْبَتَها جميعاً حمراء ، وقلعتُها على جبلٍ يُقال له الأحَيدب . وفي كتاب أحمد بن يحيى بن جابر : كان حصن الحدث مما فتح في أيام عمر رضي الله عنه ، فتحه حَبيب بن مَسْلَمة الفِهْري من قبل عِياض بن غَنْم ، وكان معاوية يتعاهدُه بعد ذلك ؛ وكانت بنو أمية يُسمُّون دَرْبَ الحدث دَرْبَ السلامة للطِّيَرَة ، لأنَّ المسلمين أصيبوا به ، وكان ذلك الحدث الذي سُمِّيَ به الحَدَث فيما يقول بعضُهم . وقال آخرون لقي المسلمين على دَرْبِ الحدَثِ=

وفيها عزل الرشيدُ عليَّ بن موسى عن إمرة خُراسان ، وولَّاها هَرْثَمةَ بن أعْيَن .

وفيها فتح الرشيدُ هِرَقْلةَ في شوال ، وخَرَّبَها ، وسَبَى أهلَها ، وبثَّ الجيوشَ والسَّرايا بأرضِ الرُّوم إلى عينِ زُرْبَة ، والكنيسة السوداء ، وكان دَخْلُ[1] هِرَقْلةَ في كلِّ يومٍ مئةَ ألف ، وخمسةً وثلاثين ألفَ مُرْتَزِق . ووُلِّيَ حُميد بن مَعْيُوف سواحلَ الشام إلى مصر ؛ ودخل جزيرةَ قُبْرُص ، فسَبَى أهلَها ، وحمَلهم حتى باعَهُم بالرافِقَة ؛ فبلغ ثَمَنُ الأسْقُفِّ ألفَيْ دينار ، باعهم أبو البَخْتَري القاضي .

وفيها أسلم الفضل بن سَهْل على يدَي المأمون . وحجَّ بالناس فيها الفضلُ بن عباس بن محمد بن علي العباسي ، وكان واليَ مكة . ولم يكن للناس بعدَ هذه السنة صائفة إلى سنة خمسَ عشرةَ ومئتين .

وفيها تُوفي من الأعيان :

سَلَمةُ بن الفضل الأبرش .

وعبدُ الرحمن بن القاسم[2] : الفقيه الراوي عن مالك ، الذي هو العمدةُ في مذهب مالك فيما يرويه عن الإمام مالك . وكان من كبار الصالحين .

وعيسى بن يونس بن أبي إسحاق[3] : قدم على الرشيد ، فأمر له بمالٍ جَزيل نحواً من خمسين ألفاً ، فلم يقبَلْه .

والفضل بن موسى السِّيناني .

ومحمد بن سلمة .

ومَخْلَد بن الحسين المِصِّيصي[4] : أحدُ الزهَّاد الثقات . قال : لم أتكلَّمْ بكلمةٍ أحتاجُ إلى الاعتذارِ منها منذُ خمسين سنة .

= غلامٌ حَدَث ، فقاتلهم في أصحابه قتالاً استظهر فيه ؛ فسُمِّي الحدثُ بذلك الحدث . انظر معجم البلدان (٢/ ٢٢٧).

(١) في (ح) : « خرج » ، والمثبت من (ب ، ق) .

(٢) ترجمته في تسمية فقهاء الأمصار للنسائي (١٢٧) ، الجرح والتعديل (٥/ ٢٧٩) ، الثقات لابن حبان (٨/ ٣٧٤) ، الفهرست (٢٨١) ، التعديل والتجريح للباجي (٢/ ٨٧٦) ، تهذيب الكمال (١٧/ ٣٤٤) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٣٥٦) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٦٠) ، الكاشف (١/ ٦٤٠) ، الوفيات للقسنطي (١٥٠) ، تقريب التهذيب (٣٤٨) ، تهذيب التهذيب (٦/ ٢٢٧) ، طبقات الحفاظ (١٥٢) .

(٣) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٨٨) ، التاريخ الكبير (٦/ ٤٠٦) ، الجرح والتعديل (٦/ ٢٩١) ، الثقات لابن حبان (٧/ ٢٣٨) ، رجال مسلم لابن منجويه (٢/ ١١٤) ، تاريخ بغداد (١١/ ١٥٢) ، صفة الصفوة (٤/ ١٨٩) ، تهذيب الكمال (٢٣/ ٦٢) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٧٩) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٨٩) ، تهذيب التهذيب (٨/ ٢١٢) ، تقريب التهذيب (٤٤١) .

(٤) في (ق) : « محمد بن الحسين المصيصي » ، وهو تصحيف والمثبت من (ب ، ح) ومصادر ترجمته في طبقات =

وفيها توفي معمَر الرقِّي .

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين ومئة

فيها دخل هَرْثَمةُ بن أعْيَن إلى خراسان نائباً عليها ، وقبض على علي بن عيسى ، فأخذ أموالَهُ وحواصِلَه ، وأركبه على بعير ، وَجْهُه لِذَنَبه ، ونادَى عليه ببلادِ خراسان ، وكتب إلى الرشيدِ بذلك . فشكره على ذلك ، ثم أرسله إلى الرشيد بعدَ ذلك ، فحُبس بدارِهِ ببغداد .

وفيها ولَّى الرشيدُ ثابتَ بنَ نصرِ بن مالك نيابةَ الثغور ، فدخلَ بلادَ الروم ، وفتح مطمورة[1] .

وفيها كان الصُّلح بين المسلمين والرُّوم على يد ثابت بن نصر .

وفيها خرجتِ الخُرَّمِيَّةُ بالجبل وبلادِ أذْربيجَان ؛ فوجَّه الرشيدُ إليهم عبدَ الله بن مالك بن الهيثم الخزاعي في عشرةِ آلافِ فارس ؛ فقتل منهم خلقاً ، وأسر وسَبَى ذَرَارِيَّهُمْ ، وقَدِم بهم بغدادَ ، فأمَرَ له الرشيد بقتلِ الرجالِ منهم ، وبالذُّرِّيَّةِ فبيعوا فيها ، وكان قد غزاهم قبلَ ذلك خُزيمةُ بن خازِم .

وفي ربيع الأول منها قدم الرشيدُ من الرقة إلى بغداد في السُّفُن ، وقد استخلف على الرَّقَّةِ ابنَهُ القاسم ، وبين يديه خُزيمة بن خازم ، ومن نِيَّةِ الرشيد الذهابُ إلى خراسان لغَزْوِ رافع بن ليث الذي كان قد خلَعَ الطاعةَ واستحوذَ على بلادٍ كثيرةٍ من بلادِ سَمَرْقَنْدَ وغيرِها . ثم خرج الرشيدُ في شعبانَ قاصداً خراسان ، واستخلف على بغدادَ ابنَه محمداً الأمين ، وسأل المأمونُ من أبيه أنْ يخرجَ معه خوفاً من غَدْرِ أخيه الأمين ، فأذِنَ له ، فسار معه وقد شكا الرشيدُ في أثناءِ الطريقِ إلى بعضِ أمرائه جفاء بَنِيهِ الثلاثة الذين جعلهم ولاةً للعَهْدِ من بعدِه ؛ وأراهُ داءً في جسَدِه وقال : إنَّ لِكُلٍّ واحدٍ من الأمين والمأمون والقاسم عندي عَيْناً عليّ ، وهم يَعُدُّونَ أنفاسي ، ويتمنَّوْنَ انقضاءَ أيَّامي ، وذلك شَرٌّ لهم لو كانوا يعلمون . فدعا له ذلك الأمير ؛ ثم أمر له الرشيدُ بالانصرافِ إلى عمَلِهِ وودَّعَه ، وكان آخِرَ العَهْدِ به .

وفيها تحرَّكَ ثَرْوانُ الحَرُوريّ وقتل عاملَ السلطان بِطَفِّ البصرة[2] .

= ابن سعد (٧/ ٤٨٩) ، طبقات خليفة (٣١٨) ، التاريخ الكبير (٧/ ٤٣٧) ، التاريخ الصغير (٢/ ٢٥٤) ، الجرح والتعديل (٨/ ٣٤٧) ، الثقات لابن حبان (٩/ ١٨٥) ، حلية الأولياء (٨/ ٢٦٦) ، تالي تلخيص المتشابه للخطيب البغدادي (٢/ ٥٧٢) ، صفة الصفوة (٤/ ٢٦٦) ، المختار من مناقب الأخيار (٤/ ٤٩٠) ، تهذيب الكمال (٢٧/ ٣٣٢) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٣٦) ، العبر (١/ ٣٠٨) ، تهذيب التهذيب (١٠/ ٧٢) ، الكواكب الدرية (١/ ٤٤٤) ، شذرات الذهب (١/ ٣٢٩) .

(١) « مطمورة » : بلدٌ في ثغور بلاد الروم بناحيةِ طَرَسُوس . معجم البلدان (٥/ ١٥١) .

(٢) « الطَّفُّ » : ما أشْرَفَ من أرض العرب على ريف العراق ، مشتق من ذلك ، وطفُّ الفرات : شطُّه ، سمي بذلك =

وفيها قتل الرشيدُ الهَيْصَمَ اليماني . ومات عيسى بنُ جعفر وهو يريدُ اللَّحَاقَ بالرشيد ، فمات في الطريق .

وفيها حجَّ بالناس العباسُ بن عبد الله بن جعفر بن أبي جعفر المنصور .

وفيها توفي :

إسماعيلُ بن جامع[1] بن إسماعيل بن عبد الله بن المطلب بن أبي وَدَاعة أبو القاسم ، أحدُ المشاهيرِ بالغناء . كان مِمَّنْ يُضرب به المثَل . وقد كان أولاً يَحفَظُ القرآن ، ثم صار إلى صناعةِ الغناء ، وترك القرآن . وذكر عنه أبو الفرج بن علي بن الحسين صاحب الأغاني حكاياتٍ غريبةً[2] ، من ذلك أنه قال : كنتُ يوماً مشرفاً من غُرْفةٍ بحرَّان[3] ، إذ أقبلَتْ جاريةٌ سوداء ، معها قِرْبةٌ تستقي الماء ، فجلسَتْ ووضَعَتْ قِربتَها واندفعتْ تُغنِّي :

إلى الله أشكو بُخْلَها وسماحتي ... لها عَسَلٌ منِّي وتَبْذُلُ عَلْقَما

فرُدِّي مُصَابَ القلبِ أنتِ قتلتِهِ ... ولا تترُكِيهِ هائمَ القلبِ مُغْرَما

قال : فسمعتُ ما لا صَبْرَ لي عنه ، ورجَوْتُ أنْ تُعيدَه ؛ فقامَتْ وانصرفَتْ ، فنزَلْتُ وانطلقتُ وراءها ، وسألتُها أن تعيدَه ، فقالت : إنَّ عليَّ خراجاً كلَّ يومٍ درهمَيْن ، فأعطيتُها درهمين ، فأعادَتْهُ ، فحَفِظْتُهُ وسلكته يومي ذلك ، فلما أصبحتُ أُنسيتُه ، فأقبلتِ السوداءُ فسألتُها أنْ تعيدَه ، فلم تفعَلْ إلَّا بدرهمين ، ثم قالت : كأنكَ تستكثرُ أربعةَ دراهم ! كأنِّي بكَ وقد أخذتَ عليه أربعةَ آلافِ دينار . قال ابنُ جامع : فغنَّيتُهُ ليلةً للرشيد ، فأعطاني ألفَ دينار ، ثم استعادَنيهِ ثلاثَ مرَّاتٍ أخرى ، وأعطاني ثلاثةَ آلافِ دينار ؛ فتبسَّمتُ ، فقال : ممَّ تبسَّمتَ ؟ فذكرتُ له القصة ، فضَحِك وألقى إليَّ كيساً آخرَ فيه ألفُ دينارٍ ، وقال : لا أكذبُ السوداء .

وحكى عنه أيضاً قال[4] : أصبحتُ يوماً بالمدينةِ وليس معي إلا ثلاثةُ دراهم ، فإذا جاريةٌ على رقبتِها جرَّةٌ تُريدُ الرَّكِيّ ، وهي تسعَى وتترنَّمُ بصوتٍ شَجِيّ :

شكَوْنا إلى أحبابنا طولَ ليلِنا ... فقالوا لنا ما أقصَرَ الليلَ عندَنا

وذاكَ لأنَّ النَّومَ يَغْشَى عيونَهم ... سريعاً ولا يَغْشَى لنا النَّومُ أعيُنَا

= لدُنُوِّه . وقيل غير ذلك ، انظر لسان العرب (طفف) .

(١) ترجمته في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (٦/ ٣٠٤) ، الإكمال لابن ماكولا (٤/ ٣٠٢) ، تهذيب مستمر الأوهام له (٢٥٩) ، المنتظم لابن الجوزي (٩/ ١٩٨) ، النجوم الزاهرة (٢/ ١٣٩) .

(٢) الأغاني (٦/ ٣٠٤) ، وما بعدها ، والحكاية الآتية في (٦/ ٣٥٠) .

(٣) كذا في الأصول ، وفي الأغاني : « في غرفة لي باليمن » .

(٤) يعني صاحب الأغاني في كتابه الأغاني (٦/ ٣٢٦) .

إذا ما دنا الليلُ المُضِرُّ بذي الهوَى جَـزِعْنـا وهـم يَستبشـرون إذا دَنَـا
فلـو أنَّهـم كـانـوا يُـلاقُـونَ مثـلَ مـا نُلاقي لكانوا في المضاجِعِ مِثْلَنا

قال : فاستعدتُهُ منها وأعطيتُها الدراهمَ الثلاثة ، فقالت : لتأخُذَنَّ بدَلَها ألفَ دينار ، وألفَ دينار ، وألفَ دينار . فأعطاني الرشيدُ ثلاثةَ آلافِ دينارٍ في ليلةٍ على ذلك الصوت .

وفيها توفي :

بكر بن النَّطَّاح أبو وائل الحَنَفِي[١] : الشاعر المشهور ، نزل بغداد في زمنِ الرشيد ، وكان يخالطُ أبا العتاهية .

قال أبو هَفَّان[٢] : أشعَرُ أهلِ العَدْل من المحدَثين أربعة : أوَّلُهم بكر بن النَّطَّاح .

وقال المبرِّد : سمعتُ الحسنَ بن رجاء يقول : اجتمع جماعةٌ من الشعراء ومعهم بكرُ بن النطَّاح يتناشدون ؛ فلما فرَغوا من طُوَالِهم أنشد بكر بن النَّطَّاح لنفسه :

ما ضرَّها لو كتبَتْ بالرِّضا فجفَّ جَفْنُ العينِ أو أُغمضا
شفـاعـةٌ مـردودةٌ عنـدَهـا في عاشقٍ يَوَدُّ لو قد قَضَى
يا نفسُ صبراً واعلمي أنَّ ما نـأمَـلُ منهـا مثلَمـا قـد مَضَـى
لم تمرضِ الأجفانُ من قاتلٍ بلحظـهِ إلَّا لأنْ أمْـرَضَـا

قال : فابتدروهُ يُقبِّلون رأسَه[٣] .

ولما مات رثاهُ أبو العتاهية فقال :

مـاتَ ابـنُ نطَّـاحٍ أبـو وائـلٍ بَكْرٌ وأمسى الشعرُ قد بانا[٤]

وفيها تُوفي :

بُهلول المجنون ، كان يأتي إلى مقابرِ الكوفة ، وكان يتكلَّمُ بكلماتٍ حسَنة . وقد وعَظ الرشيد وغيرَهُ كما تقدَّم[٥] .

---

(١) ترجمته في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (١٩/ ١١٣) ، الفهرست (٢٣٢) ، تاريخ بغداد (٧/ ٩١) ، المنتظم لابن الجوزي (٩/ ٢٠١) .

(٢) في (ق) : أبو عفان ، تصحيف والمثبت من (ب ، ح) ومصادر ترجمة أبي هفان .

(٣) الخبر والشعر في تاريخ بغداد (٧/ ٩١) .

(٤) كذا في الأصول ، والبيت في ديوان أبي العتاهية ص(١٠٥) ، وروايته : « قد ماتا » ، وهو بيت مفرد مذكورٌ مع القوافي التي رَويُّها على حرف التاء .

(٥) انظر ص(٤٧٧) من هذا الجزء .

وعبدُ الله بن إدريس الأَوْدِي الكوفي[١] : سمع الأعمش ، وابن جُريج ، وشعبة ، ومالكاً ، وخلقاً سواهم . وروى عنه جماعاتٌ من الأئمة . وقد استدعاهُ الرشيد ليولِّيَهُ القضاء ، فقال : لا أصلح . وامتنع أشدَّ الامتناع ، وكان قد سأل قبلَهُ وكيعاً فامتنع أيضاً ، فطلب حفصَ بن غياث فقَبِل ، وأطلق لكلِّ واحدٍ خمسةَ آلافٍ عِوَضاً عن كُلفتِه التي تكلَّفها في السفر فلم يقبَلْ وكيعٌ ولا ابنُ إدريس ، وقبل ذلك حفص ؛ فحلف ابنُ إدريس لا يكلِّمُه أبداً .

وحجَّ الرشيدُ في بعض السنين ، فاجتاز بالكوفةِ ومعه القاضي أبو يوسف ، والأمين ، والمأمون ، فأمر الرشيد أنْ يجتمعَ شيوخُ الحديث ليُسمِعوا ولدَيْه . فاجتمعوا إلا ابنَ إدريس هذا ، وعيسى بنَ يونس ، فركب الأمينُ والمأمونُ بعد فراغِهما من سماعِهما على مَنِ اجتمع من المشايخ إلى ابنِ إدريس ، فأسمعَهما مئةَ حديث ، فقال له المأمون : يا عم ، إنْ أردتَ أعدتُها من حِفْظي ، فأذِنَ له ، فأعادَها من حفظِه كما سَمِعَها ، فتعجَّبَ لحفظِه . ثم أمر له المأمون بمال ، فلم يقبَلْ منه شيئاً . ثم سارا إلى عيسى بنِ يونس ، فسمعا عليه ، ثم أمر له المأمونُ بعشرةِ آلاف ، فلم يقبَلْها ، فظنَّ أنه استقلَّها ، فأضعفَها فقال : والله لو ملأتَ لي المسجدَ مالاً إلى سقفِه ما قَبِلْتُ منه شيئاً على حديثِ رسولِ الله ﷺ . ولما احتُضر ابنُ إدريس بكَتِ ابنتُه ، فقال : علامَ تبكي ؟ فقد ختمتُ في هذا البيت أربعةَ آلافِ ختمة .

صَعْصَعةُ بن سلام[٢] ويقال ابن عبد الله ، أبو عبد الله الدمشقي ، ثم تحوَّل إلى الأندلس ، فاستوطنها في زمنِ عبد الرحمن بن معاوية[٣] ، وابنِهِ هاشم . وهو أولُ من أدخل علمَ الحديث ومذهبَ الأوزاعي إلى بلاد الأندلس[٤] . ووَلِيَ الصلاةَ بِقُرْطُبَة . وفي أيامه غُرست الأشجارُ بالمسجدِ الجامعِ هناك ، كما يراهُ الأوزاعي والشاميُّون، ويَكْرَهُهُ مالكٌ وأصحابُه. وقد روى عن مالك، والأوزاعي، وسعيدِ بن عبد العزيز. وروى عنه جماعةٌ منهم عبدُ الملك بن حَبِيب الفقيه ، وذكَرَهُ في كتاب « الفقهاء » وذكره ابنُ يونس في تاريخِه تاريخِ مصر ، والحُميدي في تاريخ الأندلس . وحرَّرَ وفاتَه في هذه السنة . وحكَى عن شيخِهِ ابنِ حَزْم أنَّ صعصعةَ هذا أولُ من أدخلَ مذهبَ الأوزاعي إلى الأندلس . وقال ابن يونس : أول من أدخل علمَ الحديث إليها . وذكر أنه تُوفي قريباً من سنةِ ثمانين ومئة . والذي حرَّرَهُ الحُميدي في هذه السنة أثبت .

---

(١) ترجمته في بحر الدم للإمام أحمد (٢٣١) ، التاريخ الكبير (٥/ ٤٩) ، الكنى والأسماء لمسلم (٢/ ٧٣٧) ، معرفة الثقات للعجلي (٢/ ٢١) ، الجرح والتعديل (٥/ ٨) ، الثقات لابن حبان (٧/ ٥٩) ، مولد العلماء ووفياتهم لابن زبر (١/ ٤٣١) ، تقريب التهذيب (٢٩٥) ، طبقات الحفاظ (١٢٤) .

(٢) ترجمته في تاريخ ابن الفرضي (١/ ٦١٠) وتاريخ الإسلام للذهبي (٤/ ٦٥٦) (بتحقيق الدكتور بشار عواد) .

(٣) في (ح ، ق) : زمن عبد الملك بن معاوية ، وهو تصحيف والمثبت من (ب) .

(٤) قال الذهبي في تاريخ الإسلام معقباً على أنه أول من أدخل الحديث بالأندلس : « بل كان قبله معاوية بن صالح في طبقة شيوخه » .

علي بن ظَبْيَان[١] أبو الحسن العَبْسي ، قاضي الشرقيَّة من بغداد ، ولاَّهُ الرشيدُ ذلك ، كان ثقةً عالماً ، من أصحابِ أبي حنيفة ، ثم ولاَّهُ الرشيد قضاءَ القُضاة ، وكان الرشيدُ يخرجُ معه إذا خرج من عندِه . مات بقَرْمِيسينَ في هذه السنة[٢] .

العباس بن الأحنف[٣] بن الأسود بن طلحة ، الشاعرُ المشهور ، كان من عرَبِ خُراسان ، ونشأ ببغداد ، وكان لطيفاً ظَريفاً مقبولاً ، حسَنَ الشعر .

قال أبو العباس : قال عبدُ الله بن المعتز : لو قيل لي : منْ أحسنُ الناسِ شعراً تعرفُه ؟ لقلت : العباس .

قد سَحَّبَ الناسُ أذيالَ الظُّنونِ بنا ... وفرَّقَ الناسُ فينا قولَهم فِرَقَا

فكاذبٌ قد رَمَى بالظنِّ غيرَكم ... وصادقٌ ليس يَدْري أنَّهُ صَدَقَا[٤]

وقد طلَبَهُ الرشيدُ ذاتَ ليلةٍ في أثناءِ الليل ، فانزعج لذلك ، وخاف نساؤه ؛ فلما وقف بين يدَي الرشيد قال له : ويحك ، إنه قد عنَّ لي بيتٌ في جاريةٍ لي فأحببتُ أن تشفعَهُ بمثلِه . فقال : يا أمير المؤمنين ، ما خفتُ أعظمَ من هذه الليلة . فقال : ولِمَ ؟ فذكر له دخولَ الحرسِ عليه في الليل ، ثم جلس حتى سكَنَ رُوعُه ، ثم قال : ما قلتَ يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال :

حنانٌ قد رأيناها ... فلم نَرَ مثلها بَشَرا

فقال العباس :

يَزيدُكَ وَجْهُها حُسْناً ... إذا ما زِدْتَهُ نَظَرا

---

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٦/ ٤٠٢) ، الضعفاء والمتروكين للنسائي (٧٧) ، الضعفاء للعقيلي (٣/ ٢٣٤) ، كتاب المجروحين لابن حبان البستي (٢/ ١٠٥) ، مولد العلماء ووفياتهم (١/ ٤٣١) ، الكامل لابن عدي (٥/ ١٨٧) ، تاريخ بغداد (١١/ ٤٤٣) ، كتاب الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (٢/ ١٩٥) ، تهذيب الكمال (٢٠/ ٤٩٦) ، ميزان الاعتدال (٥/ ١٦٣) ، الكاشف (٢/ ٤٢) ، لسان الميزان (٧/ ٣١١) ، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٠٠) ، تقريب التهذيب (٤٠٢) .

(٢) في (ق) : « قوميسين » ، والمثبت من (ب ، ح) ، وقَرْمِيسين ـ بالفتح ثم السكون وكسر الميم وياء مثناة من تحت وسين مهملة مكسورة وياء اخرى ساكنة ونون وهو تعريب كرمان شاهان ـ : بلدٌ معروف ، بينه وبين هَمَذان ثلاثون فرسخاً ، قُرْبَ الدِّينور . وهي بين هَمَذان وحُلْوان على جادَّة الحاج . معجم البلدان (٤/ ٣٣٠) .

(٣) ترجمته في الأغاني (٨/ ٣٦٦) ، تاريخ بغداد (١٢/ ١٢٧) ، المنتظم لابن الجوزي (٩/ ٢٠٦) ، الكامل لابن الأثير (٥/ ٣٣٧) ، وفيات الأعيان (٣/ ٢٠) ، العبر (١/ ٣١٢) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٩٨) ، شذرات الذهب (١/ ٣٣٤) .

(٤) البيتان في ديوان العباس ص(٢٢٤) ، والأغاني (٨/ ٣٨٣) ، والمدهش لابن الجوزي (٤٠٠) .

فقال الرشيد : زِدْ . فقال :

إذا مـا الليـل مـالَ علَيْـ ـــكَ بـالإظْـلام واعْتَكَـرا
ودَجَّ فلـم تَـرَى فَجْـراً فـأبْـرِزْهـا تَـرَى قَمَـراً[1]

فقال : إنَّا قد رأيناها ، وقد أمرنا لك بعشرةِ آلافِ درهم .

ومن شعرِهِ الذي أقرَّ له فيه بشارُ بنُ بُرْد ، وأثبته في سِلْك الشعراء بسببِهِ قولُه :

أبكـي الـذيـن أذاقـونـي مَـوَدَّتَهُـمْ حتـى إذا أيقظـونـي للهـوَى رَقَـدوا
واستنهضـونـي فلمَّا قمـتُ مُنتصباً بِثقْـلِ مـا حَمَّلـونـي منهـمُ قَعَـدوا[2]

وله أيضاً :

وحـدَّثتَنِـي يـا سعـدُ عنهـا فِـزِدْتَنـي جنوناً فزِدْني من حديثِكَ يا سَعْدُ
هواها هوى لم يعرِفِ القلبُ غيرَهُ فليـس لـه قَبْـلٌ وليـس لَـهُ بَعْـدُ[3]

قال الأصمعي : دخلتُ على العباسِ بنِ الأحنف بالبصرةِ وهو طَريحٌ على فراشِه ، يَجُودُ بنفسِهِ وهو يقول :

يـا بعيـدَ الـدارِ عـن وطنِـهْ مُفـرداً يبكـي علـى شَجَنِـهْ
كلَّمـا جـدَّ النحيـبُ بـهِ زادَتِ الأسقـامُ فـي بَـدَنِـهْ

ثم أُغمي عليه ، ثم انتبه بصوتِ طائرٍ على شجرةٍ فقال :

ولقـد زاد الفـؤادَ شجـاً هـاتـفٌ يبكـي علـى فَنَنِـهْ
شـاقَـهُ مـا شـاقَنـي فبَكَـى كُلُّنـا يبكـي علـى سَكَنِـه[4]

قال : ثم أُغمي عليه أخرى ، فحرَّكْتُهُ فإذا هو قد مات .

قال الصولي : كانتْ وفاتُه في هذه السنة . وقال القاضي ابن خلِّكان إنه تُوفي بعدَها ، وقيل قبلَها ، في سنةِ ثمانٍ وثمانين ومئة . فالله أعلم . وقال عمر بن شبَّة : سنة ثمان وثمانين . وزعم بعضُ المؤرِّخين أنه بَقي بعدَ الرشيد .

---

(١) الأبيات في ديوان الأحنف ص(١٥٢) ، وقوله : « ترى » برفع المجزوم في شطري البيت الأخير ، من ضرورات الشعر . ولفظ الديوان « يكن » في الشطرين .

(٢) البيتان في ديوان العباس ص(١٠٤) ، وهما في ديوان بشار بن برد أيضاً ص(٤٣٤) .

(٣) البيتان في ديوان العباس ص(١٢٠) .

(٤) الأبيات بألفاظٍ مقاربة في ديوان العباس ص(٣١١) .

عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور أخو زُبيدة كان نائباً على البصرة في أيامِ الرَّشيد ، فمات في أثناء هذه السنة .

وفيها توفي :

الفَضْلُ بن يحيى[(١)] بن خالد بن بَرْمَك ، أخو جعفر وإخوته ، كان هو والرشيد يتراضَعان ، أرضعَتِ الخَيْزُرانُ فضلاً ، وأرضعَتْ أمُّ الفضلِ ـ وهي زُبيدةُ بنتُ منين بن بويه[(٢)] ـ هارونَ الرشيد ، وكانت زُبيدة هذه من مولَّدات المدينة[(٣)] . وقد قال في ذلك بعضُ الشعراء[(٤)] :

كفَى لكَ فضلاً أنَّ أفضلَ حُرَّةٍ غذَتْكَ بِثَدْيٍ والخليفةَ واحدِ
لقد زِنْتَ يحيى في المشاهدِ كلها كما زانَ يحيى خالداً في المشاهدِ

قالوا : وكان الفضلُ أكرمَ من أخيه جعفر ، ولكنْ كان فيه كِبْرٌ شديد ، وكان عبوساً ؛ وكان جعفرٌ أحسنَ بشراً منه ، وأطلَقَ وجهاً ، وأقلَّ عطاءً ؛ وكان الناسُ إليه أمْيَل ، ولكن خَصْلَةَ الكرَمِ تُغَطِّي جميعَ القبائح ، فهي تسترُ تلك الخَصْلَةَ التي كانتْ في الفضل . وقد وهبَ الفضلُ لطبَّاخِهِ مئةَ ألفِ درهم ، فعابَهُ أبوهُ على ذلك ، فقال : يا أبتِ إنَّ هذا كان يَصْحَبُني في العُسْرِ واليُسر ، والعيشِ الخَشِنِ ، واستمرَّ معي في هذا الحالِ فأحسَنَ صُحبتي ، وقد قال بعضُ الشعراء[(٥)] :

إنَّ الكرامَ إذا ما أيْسَروا ذكروا منْ كانَ يَعْتادُهُمْ في المَنْزِلِ الخَشِنِ

ووَهَبَ يوماً لبعضِ الأدباءِ عشرةَ آلافِ دينار ، فبكى الرجل ، فقال له : ممَّ تبكي ؟ أستَقْلَلْتَها ؟ قال : لا والله ولكنِّي أبكي أنَّ الأرض تأكُلُ مثلَكَ أو تُواري مثلَك .

وقال عليُّ بن الجَهْم عن أبيه : أصبحتُ يوماً لا أملكُ شيئاً ، حتى ولا علَفَ الدابّة ، فقصدتُ الفضلَ بن يحيى ، فإذا هو قد أقبلَ من دارِ الخلافةِ في موكبٍ من الناس ، فلما رآني رحَّبَ بي وقال :

---

(١) ترجمته في تاريخ الطبري (٥/ ١٣) ، تاريخ بغداد (١٢/ ٣٣٤) ، المنتظم لابن الجوزي (٩/ ٢٠٨) ، الكامل لابن الأثير (٥/ ٣٥٢) ، وفيات الأعيان (٤/ ٢٧) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٩١) ، العبر (١/ ٣٠٩) ، النجوم الزاهرة (٢/ ١٤٠) .

(٢) كذا في (ب ، ح) ، وفي (ق) : « زينب بنت بن بريه » . وفي تاريخ بغداد (١٢/ ٣٣٤) : « زبيدة بنت سنين بربرية مولدة بالمدينة » . وفي المنتظم (٩/ ٢٠٨) : « زبيدة بنت منين بربرية فأرضعته وأرضعت زبيدة أمه الرشيد » . وفي النجوم الزاهرة (٢/ ١٤٠) : « زبيدة بنت منير بن زبيد من مولدات المدينة » . ولم أجد نصّاً يضبط اسم أبيها .

(٣) في (ح ، ق) : من مولدات « بتبين البرية » وهو تصحيف ، والمثبت من (ب) ومصادر الترجمة .

(٤) هو مروان بن أبي حفصة ، والبيتان في ديوانه ص(٥٠) .

(٥) هو دِعْبِل بن علي الخُزاعي ، والبيت في ديوانه ص(١٧٥) .

هَلُمَّ . فسرتُ معه ، فلما كان ببعضِ الطريق سمع غلاماً يدعو جاريةً من دار ، وإذا هو يدعوها باسم جاريةٍ له يُحبُّها . فانزعج لذلك ، وشكا إليَّ ما لَقِيَ من ذلك ؛ فقلت : أصابك ما أصابَ أخا بني عامرٍ حيثُ يقول[١] :

وداعٍ دعا إذْ نحنُ بالخَيفِ منْ منًى ... فهيَّـجَ أحـزانَ الفـؤادِ ولا يَـدْري

دَعـا بـاسـمِ ليلـى غيـرَهـا وكـأنَّمـا ... أطارَ بليلى طائراً كانَ في صدري

فقال اكتبْ لي هذَيْنِ البيتين . قال : فذهبتُ إلى بقَّالٍ فرَهَنْتُ عندَهُ خاتمي على ثَمَنِ ورَقَة ، وكتبتُهما له ، فأخذهما وقال : انطلِقْ راشداً . فرجعتُ إلى مَنْزلي ، فقال لي غُلامي : هاتِ خاتمكَ حتى نَرْهنهُ على طعامٍ لنا وعَلَفٍ للدابّة . فقلت : إني رَهَنْتُه . فما أمسَيْنا حتى أرسلَ إليَّ الفضلُ بثلاثين ألفاً من الذهب ، وعشرةِ آلافٍ من الوَرِق ، أجراهُ عليَّ كلَّ شهر ، وأسلَفَني شهراً .

ودخل على الفضل يوماً بعض الأكابر ، فأكرمَهُ الفضلُ وأجلسَهُ معه على السرير ؛ فشكا إليه الرجلُ دَيْناً عليه ، وسأله أنْ يُكَلِّمَ في ذلك أميرَ المؤمنين . فقال : نعَمْ ، وكم دَيْنُك ؟ قال : ثلاثُ مئةِ ألف درهم . فخرج من عندِه وهو مَهْمومٌ لضعفِ رَدِّهِ عليه ؛ ثم مال إلى بعضِ إخوانه ، فاستراحَ عندَه ، ثم رجع إلى مَنْزِله ، فإذا المالُ قد سبَقَهُ إلى دارِه . وما أحسنَ ما قال فيه بعضُ الشعراء :

لك الفضلُ يا فَضْلُ بنَ يحيى بنِ خالدٍ ... وما كُلُّ منْ يُدْعى بفضلٍ لَهُ فَضْلُ

رأى اللهُ فَضْلاً منكَ في الناسِ واسِعاً ... فسمَّاكَ فَضْلاً فالتقى الإسمُ والفِعْلُ

وقد كان الفضلُ أكبرَ رتبةً عندَ الرشيد من جعفر ، وكان جعفرٌ أحْظَى عند الرشيد منه وأخَصّ . وقد ولَّى الفضلَ أعمالاً كباراً ، منها نيَابَةُ خراسانَ وغيرِها ، ولما قتَل الرشيدُ البرامكةَ وحَبَسهم ، جلَدَ الفضلَ هذا مئةَ سَوْط ، وخَلَّدَهُ في الحبس حتى ماتَ في هذه السنة ، قبلَ الرشيد بشهورٍ خمسة في الرقَّة . وصلَّى عليه بالقصرِ الذي ماتَ فيه أصحابُه . ثم أُخرجت جنازَتُه ، فصلَّى عليها الناس ، ودُفن هناك ، وله خمسٌ وأربعون سنة . وكان سببَ موتِهِ ثِقَلٌ أصابَهُ في لسانِه ، اشتدَّ بهِ يومَ الخميس ويومَ الجُمعة . وتُوفي قبلَ أذانِ الغداةِ من يوم السبت . قال ابنُ جرير[٢] : وذلك في المحرَّم من سنةِ ثلاثٍ وتسعين ومئة . وقال ابنُ الجوزي[٣] : في سنةِ ثنتَيْنِ وتسعين . فالله أعلم .

وقد أطال ابنُ خلِّكان ترجمتهُ[٤] ، وذكر طَرَفاً صالحاً من محاسنِه ومكارمِه ، من ذلك أنه ورَدَ بَلْخَ

---

(١) هو الشاعر قيس لبنى ، والبيتان في ديوانه ص(٩٧) .

(٢) يعني الطبري في تاريخه (٥/ ١٣) .

(٣) في المنتظم (٩/ ٢٠٩) .

(٤) بلغت ترجمته في وفيات الأعيان من (٤/ ٢٧) إلى (٤/ ٣٦) .

حين كان نائباً على خراسان ، وكان بها بيتُ النار التي كانتْ تعبدُها المجوس ، وقد كان جدُّه بَرْمَك من خُدَّامِها ، فهَدَمَ بعضَه ولم يتمكَّنْ من هَدْمِهِ كُلِّه ، لِقُوَّةِ إحكامه . وبَنَى مكانَهُ مسجداً لله تعالى ، وذكر أنه كان يتمثَّلُ في السِّجْنِ بهذه الأبيات ويبكي :

إلى الله فيما نالنا نَرْفَعُ الشَّكْوَى ... ففي يَدِهِ كَشْفُ المضَرَّةِ والبَلْوَى

خرَجْنا من الدُّنيا ونحنُ مِنَ اهْلِها ... فلا نحنُ في الأمواتِ فيها ولا الأحيا

إذا جاءنا السَّجَّانُ يوماً لحاجةٍ ... عَجِبنا وقُلْنا جاءَ هذا من الدُّنيا

ومحمد بن أمية الشاعر الكاتب[١] : وهو من بيتٍ كلُّهم شعراء أُدَباء ، وقد اختلَطَ أشعارُ بعضِهم في بعض . وله شعرٌ رائق ، ومَديحٌ فائق .

ومنصور بن الزِّبْرِقان[٢] بن سَلَمة ، أبو الفَضْل النُّمَيري الشاعر ، امتدَحَ الرشيد ؛ وأصلُهُ من الجزيرة ، وأقام ببغداد ، ويُقال لِجَدِّهِ مُطْعِمُ الكَبْشَ الرَّخَمَ ، وذلك أنه أضافَ قوماً ، فجعلت الرَّخَمُ تَحُومُ حولَهم ، فأمرَ بكبشٍ يُذبَحُ للرَّخَم ، حتى لا يتأذَّى بها ضيفانُه ، ففُعِل له ذلك ، فقال الشاعر فيه :

أبـوكَ زعيـمُ بنـي قـاسِـطٍ ... وخـالُـكَ ذو الكَبْشِ يَقْري الرَّخَمْ

وله أشعارٌ حسَنة ، وكان يَرْوي عن كُلْثومِ بن عمرو ، وكان شيخَهُ الذي أخذ عنه الغِنَاء .

يوسف بن القاضي أبي يوسف[٣] : سمع الحديثَ من السَّرِيِّ بن يحيى ، ويونس بن أبي إسحاق . ونظر في الرَّأْي ، وتفقَّه ووُلِّي قضاء الجانب الشرقي ببغداد في حياةِ أبيه أبي يوسف . وصلَّى بالناسِ الجُمعةَ بجامعِ المنصور عن أمرِ الرشيد . تُوفي في رجب من هذه السنة ، وهو قاضٍ ببغداد .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومئة

قال ابنُ جرير[٤] : في المحرَّم منها تُوفي الفضلُ بن يحيى . وقد أرَّخ ابنُ الجوزي وفاتَهُ في سنة ثنتين وتسعين كما تقدَّم[٥] . وما قاله ابنُ جرير أقرب .

قال : وفيها تُوفي سعيدٌ الجَوْهَري .

---

(١) ترجمته في الأغاني (١٢/ ١٧١) ، تاريخ بغداد (٢/ ٨٦) ، المنتظم لابن الجوزي (٩/ ٢١٠) .

(٢) ترجمته في الأغاني (١٣/ ١٥٧) ، تاريخ بغداد (١٣/ ٦٥) ، المنتظم لابن الجوزي (٩/ ٢١١) .

(٣) ترجمته في تاريخ بغداد (١٤/ ٢٩٦) .

(٤) أي الطبري في تاريخه (٥/ ١٣) .

(٥) في الصفحة السابقة ، موضع الحاشية (٣) .

قال : وفيها وافى الرشيدُ جُرْجَان ، وانتهتْ إليه خزائنُ عليِّ بن عيسى ، تُحملُ على ألفٍ وخمسِ مئةِ بعير ؛ وذلك في صَفَر منها . ثم تحول منها إلى طُوس وهو عَلِيل ، فلم يزَلْ بها حتى كانتْ وفاتُه فيها .

وفيها تَوَاقَعَ هَرْثَمةُ نائبُ العراق هو ورافِع بن اللَّيث ، فكسَرَه هَرْثَمةُ وافتتح بُخارى ، وأسَرَ أخاه بشير بن اللَّيث ، فبعثَهُ إلى الرشيد وهو بطُوس ، قد ثَقُل عن السَّيْر ، فلما وقف بين يديه شَرَعَ يترقَّقُ له ، فلم يقبَلْ منه ، بل قال : والله لو لم يبقَ من عُمري إلَّا أنْ أُحرِّكَ شَفَتيَّ بقَتْلِك لَقتلتُك . ثم دعا بقصَّاب ، فجزَّأه بين يديه أربعةَ عشرَ عُضواً . ثم رفع الرشيدُ يدَيْهِ إلى السماء يَدْعو الله أنْ يُمكِّنَهُ من أخيهِ كما مكَّنَهُ من أخيه بشير .

وفاةُ الرَّشِيد

كان قد رأى وهو بالرَّقَّة[1] رؤيا أفزعَتْه ، وغَمَّهُ ذلك ، فدخل عليه جبريلُ بنُ بَخْتَيْشُوع فقال : ما لَكَ يا أميرَ المؤمنين . فقال : رأيتُ كفّاً فيها تُربةٌ حمراء ، خرجَتْ من تحتِ سَريري هذا ، وقائلاً يقول : هذه تُربةُ هارون . فهوَّنَ عليه جبريلُ أمرَها وقال : هذه من أضغاثِ الأحلام ، من حديثِ النفس ، فتناسَهَا يا أميرَ المؤمنين . فلما سارَ يُريدُ خراسان ، ومرَّ بِطُوس ، واعتقَلَتْهُ العِلَّة بها ، ذكَرَ رؤياهُ ، فهالَهُ ذلك وانزعَجَ جدّاً ؛ فدخلَ الناسُ عليه ، فقال لِجبريل : ويحك ! أما تذكرُ ما قَصَصْتُهُ عليكَ من الرؤيا ؟ فقال : بلَى يا أمير المؤمنين ، فكان ماذا ؟ فدعَا مسروراً الخادمَ وقال : ائتِني بشيءٍ من تُربةِ هذه الأرض في يدِك . فجاءه بتربةٍ حمراءَ في يدِه ، فلمَّا رآها قال : واللهِ هذه الكفُّ التي رأيتُ والتربةُ التي كانتْ فيها . قال جبريل : فوالله ما أتَتْ عليهِ ثلاثٌ حتى تُوفِّي ؛ وقد أمَرَ بحَفرِ قبرِهِ قبلَ موتِهِ في الدارِ التي كان فيها ؛ وهي دارُ حُميد بن أبي غانم الطائي ، فجعل ينظُرُ إلى قبرِهِ وهو يقول : يا ابنَ آدم ، تصيرُ إلى هذا . ثم أمَرَ أن يقرؤوا القرآنَ في قبره ؛ فقرؤوهُ حتى ختموه ، وهو في مِحفَّةٍ على شَفِيرِ القبر ؛ ولما حضرَتْهُ الوفاةُ احْتَبَى بِمُلاءَةٍ وجلَسَ يُقاسي سكراتِ الموت ، فقال له بعضُ منْ حضَره : لو اضطجَعْتَ كان أهونَ عليك . فضَحِكَ ضحكاً صحيحاً ثم قال : أمَا سمعتَ قولَ الشاعر :

وإنـيَ مـن قـومٍ كـرامٍ يَـزِيـدُهُـمْ   شِمَـاسـاً وصَبْـراً شِـدَّةُ الحَـدَثـانِ

وكانتْ وفاتُهُ ليلةَ السبت ، وقيل : ليلةَ الأحد مستهلَّ جُمادَى الآخرة ، سنةَ ثلاثٍ وتسعين ومئة ، عن خمسٍ ـ وقيل : سبعٍ ـ وأربعينَ سنةً ؛ وكان مُلْكُه ثلاثاً وعشرين سنةً . وهذه ترجمتُه ، هو :

---

(١) في (ق) : « بالكوفة » ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) وتاريخ الطبري (٥/ ١٤) ، وروي الخبر فيه مطولاً .

هارونُ الرَّشيد(١)

أمير المؤمنين ابن المهدي محمد بن المنصور أبي جعفر عبدِ الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، القرشيُّ الهاشميّ ، أبو محمد ، ويقال : أبو جعفر . وأمُّهُ الخَيْزُران أمُّ وَلَد . كان مَوْلِدُه في شوال سنةَ ستّ ، وقيل : سبع . وقيل : ثمانٍ وأربعين ومئة . وقيل : إنه وُلد سنةَ خمسين ومئة ، وبُويع له بالخِلافة بعدَ موتِ أخيه موسى الهادي في ربيع الأول سنةَ سبعين ومئة ، بعهدٍ من أبيه المَهْدي .

روى الحديثَ عن أبيهِ وجدِّه ، وحدث عن المبارك بن فَضَالة ، عن الحسن ، عن أنس بن مالك ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « اتَّقُوا النارَ ولو بشِقِّ تَمْرَة »(٢) . أوْرَدَهُ وهو على المِنْبَر وهو يخطُبُ الناس . وقد حدث عنه ابنُه ، وسيلمانُ الهاشمي والدُ إسحاق ، ونُباتة بن عمرو .

وكان الرشيدُ أبيضَ طويلاً جميلاً ، وقد غزا الصائفةَ في حياةِ أبيهِ المهدي مِراراً ، وعقَدَ الهُدْنَةَ بين المسلمينَ والروم بعدَ محاصرته القُسْطَنْطِينيَّة ؛ وقد لقي المسلمون من ذلك جهداً جَهيداً ، وخوفاً شديداً ، وكان الصلحُ مع امرأةِ ليون ، وهي الملقبة بأعطشة(٣) على حمل كثيرٍ تبذلُه للمسلمينَ في كلِّ عام ، ففرح المسلمون بذلك ، وكان هذا الذي حدا أباه على البيعةِ له بعد أخيه في سنة ستٍّ وستين ومئة . ثم لما أفضَتْ إليه الخلافةُ في سنةِ سبعين ومئة كان من أحسَنِ الناسِ سيرةً وأكثرِهمْ غزواً وحجّاً ؛ ولهذا قال فيه أبو السعلي :

فمـنْ يطلُـبْ لقـاءَك أو يُـرِدْهُ ... فبـالحرمَيْـنِ أو أقصَى الثُّغُـورِ
ففي أرضِ العدو على طِمِرٍّ ... وفي أرضِ البَنِيَّةِ(٤) فوقَ كُورِ
وما حازَ الثغورَ سواكَ خَلْقٌ ... مـن المُتَخلِّفِيـنَ علـى الأمـورِ

وكان يتصدَّقُ من صُلْبِ مالِهِ في كلِّ يومٍ بألفِ درهم . وإذا حجَّ أحَجَّ معه مئةً من الفقهاء وأبنائهم ، وإذا لم يَحُجَّ أحَجَّ ثلاثَ مئةٍ بالنفَقَةِ السابغة ، والكسْوة التامَّة ، كان يُحبُّ التشبُّه بجَدِّهِ أبي جعفر

---

(١) ترجمته في تاريخ خليفة بن خياط (٤٦٠) ، تاريخ الطبري (٤/ ٦١٧) ، تاريخ بغداد (١٤/ ٣٣) ، و(٥/ ١٤) ، مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٢٧/ ٥) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٨٦) ، مآثر الإنافة للقلقشندي (١/ ١٩٢) ، شذرات الذهب (١/ ٣٣٤) ، تاريخ الخلفاء (٢٨٣) .

(٢) رواه الطبراني في « الأوسط » من حديث أنس رقم (٣٦٤٤) وهو عند البخاري رقم (١٤١٧) ومسلم (١٠١٦) من حديث عدي بن حاتم .

(٣) في (ق) : بأغسطه ، والمثبت من (ب ، ح) ، وانظر ما مضى ص(١٧٨) من نسخة (ق) .

(٤) في (ق) : « التَرَفُّهِ » ، وفي (ح) : « الثنية » ، والمثبت من (ب) .

المنصور ، إلَّا في العطاء ، فإنه كان سريعَ العطاءِ جَزِيلَه . وكان يُحبُّ الفقهاءَ والشعراء ، ويُعطيهم ، ولا يَضيعُ لدَيْهِ برٌّ ومعروف . وكان نقشُ خاتمِهِ لا إله إلا الله . وكان يُصلِّي في كلِّ يومٍ مئة ركعةٍ تطوُّعاً إلى أنْ فارق الدنيا ، إلَّا أنْ تَعرِضَ له عِلَّة .

وكان ابنُ أبي مريم هو الذي يُضحكُه . وكان عنده فضيلةٌ بأخبارِ الحجازِ وغيرِها . وكان الرشيد قد أنزلَهُ في قَصْره ، وخلَطَهُ بأهله ؛ نَبَّهَهُ الرشيدُ يوماً إلى صلاة الصُّبح ، فقام فتوضَّأ ثم أدرك الرشيدَ وهو يقرأ : ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ [يس : ٢٢] ، فقال ابنُ أبي مريم : لا أدري والله . فضَحِك الرشيدُ وقطع الصلاة ، ثم أقبل عليه وقال : ويحك ! اجتَنِبِ الصلاةَ والقرآن ، وقُلْ فيما عدا ذلك . ودخل يوماً العباسُ بن محمد على الرشيد ومعه بَرْنِيَّةٌ[١] من فِضَّة فيها غاليةٌ من أحسَنِ الطِّيب ؛ فجعل يمدَحُها ويزيدُ في شكرها ، وسأل من الرشيد أنْ يقبلَها منه ، فقبِلَها ، فاستوهبها منه ابنُ أبي مريم ، فوهَبَها له ؛ فقال له العباس : ويحك ! جئتُ بشيءٍ منعتُه نفسي وأهلي وآثرتُ به أمير المؤمنين سيدي فأخذتَه ؟ فحلَفَ ابنُ أبي مريمَ لَيُطَيِّبَنَّ به استه ؛ ثم أخذ منه شيئاً فطلَى به استَه ودهَنَ جوارِحَهُ كلَّها والرشيدُ لا يتمالكُ نفسَهُ من الضحك . ثم قال لخادمٍ قائمٍ عندَهم يُقال له خاقان : اطلب لي غلامي . فقال الرشيدُ : ادْعُ له غلامَه . فقال له : خُذْ هذهِ الغاليةَ واذهبْ بها إلى ستِّكَ[٢] فَمُرْها فَلْتُطَيِّبْ منها استَها حتى أرجعَ إليها فأنيكها . فذهب الضَّحِكُ بالرشيدِ كلَّ مذهب . ثم أقبل ابنُ أبي مريم على العباس بن محمد فقال له : جئتَ بهذه الغالية تمدَحُها عندَ أميرِ المؤمنين الذي ما تُمطرُ السماءُ شيئاً ولا تُنبت الأرضُ شيئاً إلَّا وهو تحت تصرُّفِه وفي يدِه ! وأعجَبُ من هذا أنْ لو قيل لِمَلَكِ الموت : مهما أمَرَك به هذا فأنفِذْه . وأنتَ تمدَحُ هذه الغاليةَ عندَهُ كأنه بقَّالٌ أو خبَّازٌ أو طبَّاخٌ أو تَمَّار ! فكادَ الرشيدُ يَهْلِكُ من شدَّةِ الضَّحِك . ثم أمَرَ لابنِ أبي مريمَ بمئةِ ألفِ درهم .

وقد شرب الرشيدُ يوماً دواءً ، فسأله ابنُ أبي مريمَ أن يَلِيَ الحِجَابةَ في هذا اليوم ومهما حَصَلَ له كان بينه وبين أمير المؤمنين . فولَّاه الحِجَابة ، فجاءتِ الرسُلُ بالهدايا من كلِّ جانبٍ ؛ من عندِ زُبيدَةَ والبرامكةِ وكبارِ الأمراء ؛ وكان حاصلُهُ في هذا اليوم ستين ألفَ دينار ، فسأله الرشيدُ في اليوم الثاني عمَّا تحصَّل ، فأخبره بذلك ، فقال له : فأين نَصِيبي ؟ فقال ابنُ أبي مريم : قد صالَحْتُكَ عليه بعشرةِ آلافِ تُفَّاحة .

وقد استدعَى إليه أبا معاوية الضرير محمدَ بن خازم ليسمعَ منه الحديث ؛ قال أبو معاوية : ما ذكرتُ عندَهُ حديثاً إلا قال : صلَّى الله وسلَّم على سيِّدي محمد . وإذا سمع حديثاً فيه موعظةٌ بكى حتى يبلَّ

---

(١) البَرْنِيَّة : إناءٌ من خزَف . القاموس المحيط (برن) . وفي كتاب العين (٨/ ٢٧٠) : شبه فخَّارةٍ ضَخْمةٍ خضراء ، من القوارير الثخانِ الواسعةِ الأفواه .

(٢) في (ح) : بنتك .

الثَّرَى ؛ وأكلتُ عنده يوماً ثم قمتُ لأغسلَ يدي ، فصبَّ الماء عليَّ وأنا لا أراه . ثم قال : يا أبا معاوية ، أتدري منْ يصبُّ عليك الماء ؟ قلت : لا . قال : يصبُّ عليك أميرُ المؤمنين . قال أبو معاوية : فدعَوْتُ له ، فقال : إنما أردتُ تعظيمَ العِلْم . وحدَّثه أبو معاويةَ يوماً عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرةَ بحديثِ احتجاجِ آدَمَ وموسى ، فقال عمُّ الرشيد : أين التقَيَا يا أبا معاوية ؟ فغَضِب الرشيدُ من ذلك غضباً شديداً وقال : أتعترضُ على الحديث ؟ عليَّ بالنِّطْعِ والسيف . فأُحضر ذلك ، فقام الناسُ إليه يشفعونَ فيه ، فقال الرشيد : هذه زَنْدَقة . ثم أمَرَ بسَجْنِه ، وأقسم أنْ لا يَخرُجَ حتى يُخبرَني من ألقى إليه هذا . فأقسم عمُّه بالأيمانِ المغلَّظةِ ما قال هذا له أحد ، وإنما كانتْ هذه الكلمة بادرةً منِّي ، وأنا أستغفرُ الله وأتوبُ إليه منها . فأطلقه .

وقال بعضُهم : دخلتُ على الرشيد وبين يديه رجلٌ مَضروبُ العُنق ، والسيَّافُ يمسَحُ سيفَهُ في قَفَا الرجل المقتول ؛ فقال الرشيد : قتلتُهُ لأنه قال القرآنُ مخلوق . فقتلَه على ذلك قُربةً إلى الله عزَّ وجلَّ .

وقال بعضُ أهلِ العلم : يا أميرَ المؤمنين ، انظُرْ هؤلاء الذين يُحبُّون أبا بكرٍ وعمر ويقدِّمونَهما ، فأكرِمْهُم بعزِّ سُلطانك . فقال الرشيد : أو لستُ كذلك ؟ أنا والله كذلك . أُحبُّهما وأُحبُّ مَنْ يُحبُّهما ، وأُعاقبُ مَنْ يُبغِضُهما .

وقال له ابنُ السمَّاك : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّ الله لم يجعلْ أحداً من هؤلاءِ فوقَك ، فينبغي[1] أن لا يكونَ فيهم أحدٌ أطوَعَ إلى الله منك . فقال : لئن كنتَ أقصرتَ في الكلام لقد أبلَغْتَ في الموعظة .

وقال له الفُضيل بن عِياض ـ أو غيره ـ : إن الله لم يجعَلْ أحداً من هؤلاء فوقَك في الدُّنيا ، فأجهِدْ نفسَك أنْ لا يكونَ أحدٌ منهم فوقَك في الآخرة ؛ فاكدَحْ لنفسِك ، وأعمِلْها في طاعةِ ربِّك .

ودخل عليه ابنُ السمَّاك يوماً فاستسقى الرشيدُ ، فأُتي بِقُلَّةٍ فيها ماءٌ مُبَرَّد ، فقال لابنِ السمَّاك : عِظْني . فقال : يا أمير المؤمنين ، بِكَم كنتَ مشترياً هذه الشَّرْبَةَ لو مُنعتَها ؟ فقال : بِنِصْفِ مُلْكي . فقال : اشرَبْ هنيئاً . فلما شرب قال : أرأيتَ لو مُنعتَ خُروجَها من بدَنِك ، بكَمْ كنتَ تشتري ذلك ؟ قال : بنصف مُلْكي الآخَر . فقال : إنَّ مُلْكاً قيمةُ نصفِهِ شَرْبةُ ماء ، وقيمةُ نصفِهِ الآخَرِ بَوْلة ، لخَليقٌ أنْ لا يُتنافسَ فيه . فبكى هارون .

وقال ابنُ قُتيبة : حدّثنا الرِّيَاشي ، سمعتُ الأصمعيَّ يقول : دخلتُ على الرشيد وهو يُقَلِّمُ أظفارَهُ يومَ الجمعة ، فقلتُ له في ذلك ، فقال : أَخْذُ الأظفارِ يومَ الخميسِ من السُّنَّة ، وبلَغَني أنَّ أخْذَها يوم الجمعةِ يَنْفي الفقر . فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، أوَ تَخْشَى الفقر ؟ فقال : يا أصمعيّ ، وهل أحدٌ أخْشَى للفقرِ منِّي ؟ .

---

(١) في (ق) : « فاجتهدْ » ، والمثبت من (ب ، ح) .

وروى ابنُ عساكر[١] ، عن إبراهيم المهدي قال : كنتُ يوماً عند الرَّشيد ، فدعا طبَّاخَهُ فقال : أعندَك في الطعام لَحمُ جَزُور ؟ قال : نعم ، ألوانٌ منه . فقال : أحضِرْهُ مع الطعام . فلما وُضع بين يديه أخَذَ لقمةً منه فوضَعَها في فيه ، فضَحِك جعفرٌ البرمكي ، فترك الرشيدُ مضْغَ اللُّقمةِ وأقبل عليه فقال : ممَّ تضحك ؟ قال : لا شيء يا أميرَ المؤمنين ، ذكرتُ كلاماً بيني وبين جاريتي البارحة . فقال له : بِحَقِّي عليكَ لَمَّا أخبرتني به . قال : حتى تأكُلَ هذه اللُّقمة . فألقاها من فيه وقال : والله لتخبرَنِّي . فقال : يا أمير المؤمنين ، بكم تقولُ إنَّ هذا الطعام من لحم الجزور يقومُ عليك ؟ قال : بأربعةِ دراهم . قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، بل بأربعِ مئةِ ألفِ درهم . قال : وكيف ذلك ؟ قال : إنك طلبتَ من طبَّاخِك لحمَ جزورٍ قبلَ هذا اليوم بمدَّةٍ طويلة ، فلم يوجدْ عندَه ، فقلت : لا يخلوَنَّ المطبخُ من لحمِ جزور . فنحنُ نَنْحَرُ كلَّ يومِ جَزوراً لأجلِ مطبخِ أميرِ المؤمنين ، لأنَّا لا نشتري من السوق لحمَ جزور ، فصُرف في لحم الجزور من ذلك اليوم إلى هذا أربعُ مئة ألف درهم ، ولم يطلُبْ أميرُ المؤمنين لحمَ جَزورٍ إلَّا هذا اليوم . قال جعفر : فضحكتُ ، لأنَّ أميرَ المؤمنين إنما نالَهُ من ذلك هذه اللُّقمة ، فهي على أمير المؤمنين بأربع مئة ألف .

قال : فبكى هارونُ الرشيد بكاءً شديداً ، وأمَرَ برَفْعِ السِّماطِ من بين يديه ، وأقبل على نفسِهِ يُوبِّخُها ويقول : هلكتَ والله يا هارون ، ولم يزَلْ يبكي حتى آذنَهُ المؤذِّنون بصلاةِ الظُّهر ، فخرج فصلَّى بالناسِ ثم رجَعَ يبكي حتى آذنَهُ المؤذِّنون بصلاةِ العصر . وقد أمرَ بألفَيْ ألفِ تُصرف إلى فقراءِ الحرمَيْن ، في كلِّ حَرَمٍ ألفُ ألف صدَقة ؛ وأمر بألفَيْ ألفِ يُتصدَّق بها في جانبي بغداد الغربي والشرقي ، وبألفِ ألفِ يُتصدَّق بها على فقراء الكوفةِ والبصرة . ثم خرج إلى صلاةِ العصر ، ثم رجع يبكي حتى صلَّى المغرب ، ثم رجع ، فدخل عليه أبو يوسف القاضي فقال : ما شأنُكَ يا أميرَ المؤمنين باكياً في هذا اليوم ؟ فذكر أمرَهُ وما صرَفَ من المال الجزيلِ لأجلِ شهوتِه ، وإنما نالَهُ منها لقمة . فقال أبو يوسف لجعفر : هل كان ما تَذْبحونَهُ من الجزور يَفْسُدُ أو يأكلُهُ الناس ؟ قال : بل يأكلُهُ الناس . فقال : أبشِرْ يا أميرَ المؤمنين بثوابِ الله فيما صرَفْتَهُ من المالِ الذي أكلَهُ المسلمون في الأيامِ الماضية ، وبمَا يسَّرَهُ الله عليك من الصدقة ، وبما رزقك الله من خشيتِه وخَوْفِه في هذا اليوم ، وقد قال تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن : ٤٦] . فأمَرَ له الرشيد بأربعِ مئةِ ألف . ثم استدعَى بطعام ، فأكل منه فكان غَدَاؤه في هذا اليوم عشاءً .

وقال عمرو بنُ بحر الجاحظ : اجتمع للرَّشيدِ من الجِدِّ والهَزْلِ ما لم يجتمعْ لغيره من بعدِه ؛ كان أبو يوسف قاضيَه ، والبرامكةُ وزراءَه ، وحاجبُه الفضلُ بن الربيع ، أنْبَهُ الناسِ وأشدُهم تعاظُماً ؛ ونَديمه عمُّه

---

(١) ليست ترجمة هارون الرشيد فيما طبع من تاريخ ابن عساكر ، ويبدو أنها في الأجزاء المفقودة منه ، وهذا الخبر ، أورده ابن منظور في مختصره لتاريخ ابن عساكر (٢٧/ ١٣ ـ ١٥) .

العباس بن محمد صاحب العباسيَّة ، وشاعره مروان بن أبي حفصة ، ومُغنِّيه إبراهيم الموصلي واحد عَصْرِهِ في صناعِته ، ومُضْحِكه ابن أبي مريم ، وزامره بَرْصُوما ، وزوجته أم جعفر ـ يعني زُبيدة ـ وكانتْ أرغبَ الناس في كلِّ خير ، وأسرعَهُمْ إلى كلِّ بِرٍّ ومعروف ، أدخلتِ الماءَ الحرَم بعد امتناعِه من ذلك . إلى أشياء من المعروف أجراها الله على يدِها[١] .

وروى الخطيبُ البغدادي[٢] ، أنَّ الرشيد كان يقول : إنَّا من قومٍ عَظمُتْ رَزِيَّتهم ، وحَسُنتْ بَقِيَّتُهم[٣] ، وَرِثْنا رسولَ الله ﷺ ، وبقيت فينا خلافةُ الله .

وبينما الرشيدُ يطوفُ يوماً بالبيت إذْ عَرضَ له رجلٌ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إني أريدُ أنْ أُكلِّمكَ بكلامٍ فيه غِلْظة . فقال : لا ، ولا نعْمَةَ عَيْنٍ[٤] ، قد بعث الله منْ هو خيرٌ منكَ إلى منْ هو شرٌّ منِّي ، فأمرَهُ أن يقولَ له : ﴿ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ [طه : ٤٤] .

وعن شُعيب بن حَرْب قال : رأيتُ الرشيدَ في طريق مكة ، فقلتُ في نفسي : قد وجَبَ عليك الأمرُ بالمعروف والنَّهْي عن المنكر ، فخوَّفَتْني فقالت : إنه الآن يضربُ عُنقَك . فقلت : لابدَّ من ذلك . فنادَيْتُهُ فقلت : يا هارون ، قد أتعبتَ الأمَّة والبهائم . فقال : خذوه . فأُدخلتُ عليه وفي يَدِهِ لُتٌّ من حديد[٥] يلعبُ به ، وهو جالسٌ على كُرسيّ ، فقال : ممَّنِ الرجل ؟ فقلت : رجلٌ من المسلمين . فقال : ثَكِلَتْكَ أمُّك ؟ ممَّنْ أنت ؟ فقلت : من الأنبار . فقال : ما حمَلك على أنْ دعوتَني باسمي ؟ قال : فخطر ببالي شيءٌ لم يخطُرْ قبلَ ذلك . فقلت : أنا أدعو اللهَ باسمه يا الله ، أفلا أدعوكَ باسمك ؟ وهذا الله سبحانه قد دعا أحبَّ خلقِهِ إليه باسمه محمد[٦] ، وكنَّى أبغضَ خَلْقِهِ إليه فقال : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ ﴾ . فقال الرشيد : أخرجُوه ، أخرِجُوه .

وقال له ابن السَّماكِ يوماً : إنك تموتُ وحدَك ، وتدخُلُ القبرَ وحدَك ، وتُبعثُ منه وحدَك ، فاحذَرِ

---

(١) الخبر في تاريخ بغداد (١٤/ ١١) .

(٢) في تاريخ بغداد (١٤/ ٨) .

(٣) في (ق) : « بعثتهم » ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) وتاريخ بغداد .

(٤) ولا نعمة عين : أي لا أفعل ذلك كرامةً لك ، وإنعاماً بعينك . قال سيبويه : نصبوا كل ذلك على إضمار الفعل المتروك إظهاره . انظر لسان العرب (نعم) .

(٥) في مختصر تاريخ ابن عساكر : وبيده عمود يلعب به . واللُّتّ ـ بضم اللام ـ : نوعٌ من آلةِ السلاح ، معروفٌ في زماننا ؛ وهو لفظٌ مولَّد ، ليس من كلام العرب ، ولم أره في شيءٍ مما صُنِّف في المعرَّب . وأخبرني الشيخ أبو الحسين علي بن أحمد بن عبد الواحد أنه قرأه على المصنِّف بالضَّمّ ، فينبغي أن يُقرأ مضموماً كما يقولُه الناس . اهـ . المطلع على أبواب المقنع لمحمد بن أبي الفتح البعلي المتوفَّى (٧٠٩هـ) ص(٣٥٧) .

(٦) في (ق) قبل ذكر محمد : « بأسمائهم : يا آدمُ ، يا نُوحُ ، يا هُودُ ، يا صالحُ ، يا إبراهيمُ يا موسى ، يا عيسى » ، والمثبت من (ب ، ح) ومختصر تاريخ ابن عساكر (٢٧/ ١٩) .

المقامَ بين يدي الجبَّار[١] ، والوقوفَ بين الجنةِ والنار ، حين يُؤخَذُ بالكَظَم[٢] ، وتَزِلُّ القدَم ، ويَقَعُ النَّدَم ؛ فلا توبةٌ تُقبل ، ولا عَثْرَةٌ تُقال ، ولا يُقبل فداءٌ بمال . فجعل الرشيدُ يبكي حتى عَلا صوتُه . فقال يحيى بن خالد له : يا بنَ السمَّاك ، لقد شقَقْتَ على أميرِ المؤمنين الليلة . فقام فخرج من عندِه وهو يبكي .

وقال له الفُضيل بن عِياض ـ في كلامٍ كثير ليلةَ وعظِه بمكة ـ : يا صَبيحَ الوَجْه ، إنك مسؤول عن هؤلاء كلِّهم ؛ وقد قال تعالى : ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة : ١٦٦] . قال : حدّثنا ليث ، عن مجاهد ، قال : الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا . فبكى حتى جعل يَشْهَق . وقال الفُضَيل : استدعاني الرشيدُ يوماً وقد زخرَفَ منازلَه ، وأكثرَ الطعامَ والشرابَ واللذَّاتِ فيها ، ثم استدعَى أبا العتاهيةِ فقال له : صِفْ لنا ما نحنُ فيهِ من العيشِ والنَّعيم . فقال :

عِشْ ما بَدَا لكَ سالِماً ... في ظلِّ شاهقةِ القُصُورِ
تَسْعَى عليكَ بما اشتهَيْـ ... ـتَ لَدَى الرواحِ إلى البُكُورِ
فإذا النفوسُ تقعْقَعَتْ ... عن ضيقِ حَشْرَجَةِ الصُّدُورِ
فهناكَ تعلَمُ مُوقناً ... ما كنتَ إلَّا في غُرورِ[٣]

قال : فبكى الرشيدُ بكاءً كثيراً شديداً . فقال له الفضلُ بن يحيى : دعاكَ أميرُ المؤمنين لِتَسُرَّهُ فأحزَنْتَهُ ! فقال له الرشيد : دَعْهُ ، فإنَّهُ رآنا في عَمًى . فكره أن يزيدَنا عمى . ومن وجهٍ آخر ، أنَّ الرشيد قال لأبي العتاهية : عِظْني بأبياتٍ من الشعرِ وأوجِزْ . فقال :

لا تأمَنِ الموتَ في طَرْفٍ ولا نَفَسٍ ... ولو تَمنَّعْتَ بالحُجَّابِ والحَرَسِ
واعلَمْ بأنَّ سهامَ الموتِ صائبةٌ ... لكلِّ مُدَّرِعٍ منها ومُتَّرِسِ
تَرْجو النجاةَ ولم تَسْلُكْ مسالِكَها ... إنَّ السفينةَ لا تَجْري على اليَبَسِ[٤]

قال : فخرَّ الرشيدُ مَغْشِيّاً عليه . وقد حَبَسَ الرشيدُ مرَّةً أبا العَتاهية ، وأرصَدَ عليه منْ يأتيهِ بما يقول : فكتبَ مرَّةً على جدارِ الحبس :

---

(١) في (ق) : « بين يدي الله عزَّ وجلَّ » ، والمثبت من (ب ، ح) .
(٢) الكَظَم : مَخرَج النفَس . يقال : كَظَمني فلان وأخذ بكَظمي . وأخذ بكَظَمه أي بحَلْقِه ؛ ويقال : أخذت بكَظَمه : أي بمَخرَج نَفَسه ، والجمع كِظام . وفي الحديث : لعلَّ الله يصلح أمر هذه الأمة ولا يؤخذ بأكْظامها ؛ هي جمع كَظَم ، بالتحريك ، وهو مخرج النفَس من الحلق . لسان العرب (كظم) .
(٣) الأبيات في ديوان أبي العتاهية ص(١٦٣) .
(٤) الأبيات في ديوان أبي العتاهية ص(٢٣٠) .

أمـا والله إنَّ الظُّلـمَ شُـومٌ   ومـا زال المُسـيءُ هـو الظَّلُـومُ
إلى دَيَّانِ يومِ الدِّينِ نَمْضي   وعنـدَ الله تَجتمـعُ الخُصـومُ[1]

قال : فاستدعاهُ واستجعله في حِلّ ، ووهبَهُ ألفَ دينارٍ وأطلقَه .

وقال الحسين بن الفهم[2] : حدّثنا محمد بن عباد ، عن سفيان بن عُيينة قال : دخلتُ على الرشيد فقال : ما خبَرُك ؟ فقلت :

بعيـنِ الله مـا تُخْفـي البيـوتُ   فقد طال التَّحمُّل والسكوتُ

فقال : يا فلان ، مئة ألفٍ لابنِ عُيينة تُغْنيه وتُغْني عَقِبَه ، ولا تضرُّ الرشيدَ شيئاً[3] .

وقال الأصمعي : كنتُ مع الرشيدِ في الحج ، فمرَرْنا بوادٍ ، فإذا على شفيرِهِ امرأةٌ صَبيَّةٌ حسناء ، بين يدَيْها قصعة ، وهي تأكلُ منها وهي تقول :

طَحْطَحَتْنـا طَحَـاطِحُ الأعـوامِ   ورمَتْنـا حـوادثُ الأيَّـامِ
فـأتينـاكُـمُ نَمُـدُّ أكُفّـاً   نـائـلاتٍ لِـزادِكُـمْ والطَّعَـامِ
فاطلُبوا الأجْرَ والمثوبَةَ فينا   أيُّهـا الـزائـرونَ بيـتَ الحرامِ
مَنْ رآني فقد رآني ورَحْلي   فارْحَمُوا غُرْبَتي وذُلَّ مَقامِي

قال الأصمعي : فذهبتُ إلى الرشيد ، فأخبرتُهُ بأمرِها ، فجاء بنفسِهِ حتى وقف عليها ، فسمعَها ، فرَحِمَها وبكى ، وأمَرَ مسروراً الخادمَ أنْ يَملأ قصعتهَا ذهباً ، فملأها حتى جعلَتْ تَفِيضُ يَميناً وشِمالاً[4] .

وسمع مرَّةً الرشيدُ أعرابيّاً يَحْدو إبلَهُ في طريق الحج :

أيُهـا المُجمِـعُ هَمّـاً لا تُهَـمّ   إنك إنْ تُقْضى لكَ الحُمَّى تُحَمْ
كيف توَقِّيكَ وقد جَفَّ القلَمْ   حُطَّتِ الصِّحَّةُ منكَ والسَّقَمْ[5]

---

(١) الأبيات والخبر في ديوان أبي العتاهية ص(٣٩٨) . وتنسب إلى الإمام علي بن أبي طالب ، وهي في ديوانه ص(١١٣) .

(٢) في (ق) : « الحسن بن أبي الفهم » ، وهو تصحيف والمثبت من (ب ، ح) ؛ ولم أقف على ترجمة له ، ولكن له ذكر وهو راوي كتاب « الطبقات الكبير » لابن سعد ، وفي المطبوع منه زيادات عى ابن سعد طبعت مع النص . وهو أبو علي الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن الفهم . انظر طبقات ابن سعد (٣/ ٥٤٢ ، ٧/ ٣٥٧) ، وتهذيب الكمال (٢/ ١٢٩ ، و٣/ ١٥ ، ١٥٩ ، و٨/ ٣٠١ ، و١٧/ ١٨٠ ، و٣١/ ٢١٢) .

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٢٧/ ٢٣) .

(٤) انظر مختصر ابن عساكر لابن منظور (٢٧/ ٢٣ ، ٢٤) .

(٥) الخبر والبيتان في مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٢٧/ ٢٤) ، وقد روى ابنُ قتيبة البيتين في تأويل مختلف=

فقال الرشيدُ لبعض خدَمِه : ما معَك ؟ قال : أربعُ مئة دينار . فقال : ادفَعْها إلى هذا الأعرابي . فلما قبضَها ضرَبَ رفيقُهُ بيدِهِ على كتفه وقال متمثّلاً :

وكنتَ جليسَ قعقاعِ بنِ عمروٍ ولا يَشْقَى بقعقاعٍ جليسُ

فأمر الرشيدُ بعضَ الخدم أن يُعْطَى المتمثِّلُ ما معه من الذهب ، فإذا معه مئتا دينار .

قال أبو عُبيد : إنَّ أصلَ هذا المثل ، أنَّ معاويةَ بنَ أبي سفيان أُهديَتْ له هديَّة ، جاماتٌ من ذهَب ، ففرَّقَها على جُلسائه ، وإلى جانبِهِ قعقاعُ بن عمرو ، وإلى جانبِ القعقاعِ أعرابيٌّ لم يَفْضُلْ له منها شيء ، فاطرق الأعرابيُّ حياءً . فدفَعَ إليه القعقاعُ الجامَ الذي حصلَ له ، فنهض الأعرابيُّ وهو يقول :

وكنتَ جليسَ قعقاعِ بنِ عمرٍو ولا يَشْقَى بقعقاعٍ جليسُ

وخرج الرشيدُ يوماً من عندِ زُبيدةَ ابنةِ عمِّه وهو يضحك ، فقيل له : مِمَّ تضحكُ يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال : دخلتُ اليومَ إلى هذه المرأة ـ يعني زوجتَه زُبيدة ـ فأكلتُ عندَها ونمت ، فما استيقظتُ إلَّا على صَوْتِ ذهبٍ يُصَبّ ، فقلتُ : ما هذا ؟ قالوا : هذه ثلاثُ مئةِ ألفِ دينار قَدِمَتْ من مِصر . فقالتْ زُبيدة : هَبْها لي يا ابنَ عَمّ . فقلت : هي لكِ . ثم ما خرَجْتُ حتى عَرْبَدَتْ عليَّ وقالت : أيّ خيرٍ رأيتُه منك ؟! .

وقال الرشيدُ مرَّةً للمُفَضَّل الضَّبِّيّ : ما أحسَنُ ما قيل في الذئب ؟ ولك هذا الخاتم ، وشراؤه ألفٌ وست مئة دينار . فأنشد قولَ الشاعر[١] :

ينامُ بإحدَى مُقلتَيْهِ ويَتَّقِي بأخرى الرَّزَايا فهو يقظانُ هاجِعُ[٢]

فقال : ما قلتَ هذا إلا لتَسْلُبَنا الخاتم . ثم ألْقاهُ إليه ، فبعثَتْ زُبيدة فاشترَتْهُ منه بألفٍ وست مئةِ دينار ، وبعثَتْ به إلى الرشيد وقالت : إني رأيتُكَ مُعجَباً به ، فرَدَّهُ إلى المفضَّل والدنانير ، وقال : ما كنَّا لِنَهَبَ شيئاً ونرجعَ فيه .

وقال الرشيدُ يوماً للعباسِ بن الأحنف : أيُّ بيتٍ قالتِ العَربُ أرقّ ؟ فقال : قولُ جميلٍ في بُثَينة :

ألا ليتَني أعمَى أصَمُّ تقودُني بثينَةُ لا يَخْفَى عليَّ كلامُها

فقال له الرشيد : أرَقُّ منه قولُكَ في مثلِ هذا :

= الحديث ص(٢٨) ، ونسبها إلى بعض الرجاز ، ولفظه :

يا أيها المضمر هماً لا تُهمْ إنك إنْ تُقْدَرْ لك الحمَّى تُحَمْ
ولو علوت شاهقاً من العلَمْ كيف تَوَقِّيكَ وقد جَفَّ القلَمْ

(١) هو الشاعر المخضرم حُميد بن ثور الهلالي والبيت في ديوانه ص(٥٦) .

(٢) في(ق) : « يقظان نائم » ، ورواية الديوان : « بأخرى الأعادي » . والمثبت من (ب ، ح) .

طَـاف الهـوَى فـي عبـادِ الله كلِّهـم   حتـى إذا مـرَّ بـي مـن بينِهـم وَقَفـا

فقال له العباس : فقولك يا أميرَ المؤمنين أرَقُّ من هذا كُلِّه :

أمـــا يَكْفيـــكِ أنّـــكِ تَمْلِكينـــي   وأنَّ النـــاسَ كلَّهُـــمُ عَبيـــدي

وأنـك لـو قطعـتِ يَـدِي ورِجْلـي   لقلـتُ مـن الهـوى أحسنـتِ زِيـدي

قال : فضحك الرشيد وأعجبه ذلك .

ومن شعر الرشيد في ثلاثِ حظِيَّاتٍ كُنَّ عندَهُ من الخواصّ قولُه :

مَلَـكَ الثـلاثُ الناشئـاتُ عِنَـانـي   وحَلَلْـنَ مـن قلبـي بكـلِّ مَكَـانِ

مـالـي تطـاوِعُنـي البـريَّـةُ كلُّهـا   وأُطيعُهـنَّ وهُـنَّ فـي عِصْيَـانـي

مـا ذاك إلَّا أنَّ سلطـانَ الهـوَى   وبِـهِ قَـوِيـنَ أعـزُّ مِـنْ سُلْطـانـي

وما أورد له صاحبُ « العِقْد » في كتابه[1] :

تُبْدِي الصدودَ وتُخْفي الحبَّ عاشقةٌ   فـالنفـسُ راضيـةٌ والطَّـرْفُ غضْبَـانُ

وذكر ابنُ جرير وغيرُه أنه كان في دارِ الرشيد من الجواري والحظايا وخدَمِهِنَّ وخدَم زوجتِه وأخَوَاتِه أربعةُ آلافِ جارية ، وأنَّهنَّ حضَرْنَ يوماً بين يديه ، فغنَّتْهُ المطربات منهنّ ، فطَرِبَ جدّاً ، وأمَرَ بمالٍ فنُثِر عليهن . وكان مبلَغُ ما حصل لكلِّ واحدةٍ منهنَّ ثلاثةَ آلافِ درهم في ذلك اليوم . رواه ابن عساكر أيضاً[2] .

ورَوَى[3] أنه اشترى جاريةً من المدينة فأُعجب بِها جدّاً ، فأمَرَ بإحضار مواليها ومَنْ يَلُوذُ بها ليقضي حوائجَهم . فقدِموا عليه بثمانينَ نفساً ، فأمر الحاجبَ ـ وهو الفضل بن الربيع ـ أن يتلقَّاهم ويكتبَ حوائجَهم . فكان فيهم رجلٌ ، قد أقام بالمدينة لأنه كان يَهْوَى تلك الجارية ، فبعثَتْ إليه ، فأتى به ، فقال له الفضل : ما حاجتك ؟ قال : حاجتي أن يُجلِسَني أميرُ المؤمنين مع فلانة ، فأشربَ ثلاثةَ أرطالٍ من خمرٍ . وتُغَنِّيني ثلاثةَ أصوات . فقال : أمجنونٌ أنت ؟! فقال : لا ، ولكن اعْرِضْ حاجتي هذه على أميرِ المؤمنين . فذكر للرشيد ذلك ، فأمر بإحضاره ، وأنْ تَجلِسَ معه الجاريةُ بحيثُ ينظرُ إليهما ولا يَرَيَانِه . فجلسَتْ على كُرسي ، والخُدَّامُ بين يدَيْها ، وأُجلس على كُرسي ، فشَرِبَ رِطْلاً وقال لها : غَنِّي :

خليلـيَّ عُـوجَـا بـارك الله فيكمـا   وإنْ لم تكُنْ هندٌ بأرضِكُما قَصْدا

---

(١) هو ابن عبد رَبِّه في كتابه العقد ، وبعضهم يُطلق عليه اسم « العقد الفريد » انظر كشف الظنون (٢/ ١١٤٩) .

(٢) انظر مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٢٧/ ٣٢ ، ٣٣) .

(٣) ابن عساكر ، انظر مختصر تاريخه لابن منظور (٢٧/ ٣٤ ، ٣٥) .

وقُولا لها ليس الضَّلالُ أجازَنا ... ولكنَّنا جُزْنا لنلقاكُمُ عَمْدا
غداً يكثُرُ الباكُونَ[١] منَّا ومنكُمُ ... وتَزْدادُ داري من ديارِكُمُ بُعْدا[٢]

قال : فغنَّتْهُ . ثم استعجَلَهُ الخدَم ، فشَرِبَ رِطْلاً آخر ، وقال : غَنِّي جُعلتُ فداك :

تكلَّمَ منَّا في الوجوهِ عيوننا ... فنحنُ سكوتٌ والهَوىَ يتكلَّمُ
ونَغْضَبُ أحياناً ونَرْضَى بطَرْفِنا ... وذلك فيما بيننا ليس يُعْلَمُ[٣]

قال : فغنَّتْهُ ، ثم شرب رطلاً ثالثاً وقال : غنِّي جعلَني الله فداك :

أحسَنُ ما كنَّا تفرُّقُنا ... وخاننا الدَّهْرُ وما خُنَّا
فليتَ ذا الدهرَ لنا مرَّةً ... عادَ لنا يوماً كما كُنَّا

قال : ثم قام الشابُ إلى درجةٍ هناك ، ثم ألقَى نفسَهُ من أعلاها على أمِّ رأسِهِ فمات . فقال الرشيد : عَجِلَ الفتى ، والله لو لم يَعْجَلْ لوهَبْتُها له[٤] .

وفضائل الرشيد ومكارِمهُ كثيرةٌ جدّاً ، فقد ذكر الأئمةُ من ذلك شيئاً كثيراً ، فذكَرْنا منه أُنموذجاً صالحاً . وقد كان الفُضيل بن عياض يقول : ليس موتُ أحدٍ أعزَّ علينا من موتِ الرشيد ، لِمَا أتخوَّفُ بعدَهُ من الحوادث ، وإني لأدعو اللهَ أن يزيدَ في عمرِهِ من عُمري . قالوا : فلما مات الرشيدُ وظهرَت الفِتَنُ والحوادثُ والاختلافات ، وظهر القولُ بِخَلْقِ القرآن ، فعرَفْنا ما كان تخوَّفَهُ الفُضيلُ من ذلك . وقد تقدَّمَتْ رؤياه لذلك الكفّ ، وتلك التربةِ الحمراء ، وقائلٍ يقول : هذه تربةُ أميرِ المؤمنين . فكان موتُهُ بِطُوس .

وقد روَى ابنُ عساكر[٥] أنَّ الرشيدَ رأى في مَنَامِهِ قائلاً يقول :

كأنِّي بِهذا القصرِ قد بادَ أهلُه ... .

الشعر إلى آخرِهِ . وقد تقدَّم أنَّ ذلك إنما رآه أخوه موسى الهادي ، وأبوه محمد المهدي ، فالله أعلم[٦] .

---

(١) في (ق) : « البادون » ، وفي (ح) : « الباقون » ، والمثبت من (ب) ومختصر تاريخ ابن عساكر .
(٢) البيتان الأول والثاني في ديوان الحماسة (٢/ ١٢٢ ، ١٢٣) ، وهما منسوبان فيه لِوَرد الجَعدي ، ولفظه : « أجارنا . . جرنا » بالراء المهملة .
(٣) البيتان للعباس بن الأحنف ، وهما في ديوانه ص(٢٧٣) .
(٤) الخبر في مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٢٧/ ٣٤ـ ٣٦) .
(٥) انظر مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٢٧/ ٣٦ ، ٣٧) .
(٦) انظر ما تقدم ص(٣٧٥ و٤١٥) من هذا الجزء . والخبر في مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٢٧/ ٣٦ ، ٣٧) .

وقدَّمْنا أنه أمَرَ بِحَفْرِ قَبْرِهِ في حياتِهِ ، وأنْ تُقرأ فيه ختمةٌ تامَّةٌ[١] . وحُمل حتى نظر إليه . فجعل يقول : إلى هنا تَصِيرُ يا بنَ آدم ! ويبكي ، وأمر أن يُوَسَّعَ عندَ صَدْرِه ، وأنْ يُمَدَّ من عندِ رِجْلَيْه ، ثم جعل يقول : ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۝ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴾ [الحاقة : ٢٨ ، ٢٩] ، ويبكي[٢] .

وقيل : إنه لما احتُضر قال : اللهمَّ انفعْنا بالإحسان ، واغفِرْ لنا الإساءة ، يا مَنْ لا يَموتُ ، ارْحَمْ من يموت . وكان مرَضُهُ بالدَّم ، وقيل : بالسل . وجبريل الطبيبُ يكتُمُ ما بهِ من العِلَّة ، فأمر الرشيدُ رجلاً أنْ يأخُذَ ماءه في قارورة . ويذهبَ به إلى جبريل ، فيريَهُ إيَّاه ، ولا يذكرَ له بَوْلَ مَنْ هو ، فإنْ سألَهُ قال : هو بولُ مريضٍ عندَنا ، فلمّا رآه جبريلُ قال لرجلٍ عندَه : هذا مثلُ ماءِ ذلك الرَّجُل . ففَهِمَ صاحبُ القارورةِ مَنْ عَنَى به ، فقال له : بالله عليكَ أخبِرْني عن حالِ صاحبِ هذا الماء ، فإنَّ لي عليه مالاً ، فإنْ كان به رجاء ، وإلَّا أخذتُ مالي منه . فقال : اذهبْ فتخلَّصْ منه ، فإنَّهُ لا يعيشُ إلا أياماً . فلما جاء وأخبرَ الرشيدَ بعث إلى جبريل . فتغَيَّبَ حتى مات الرشيد . وقد قال الرشيدُ وهو في هذه الحال :

إنِّـي بِطُـوسٍ مُقِيـمُ ... مالي بِطُوسٍ حَمِيم
أرجو إلَهي لِمَا بي ... فـإنـه بـي رَحِيـم
لقد أتى بِيَ طُوساً ... قضـاؤه المحتـومُ
وليـس إلَّا رِضَـائـي ... والصَّبْـرُ والتَّسْلِيـمُ

مات بطُوسَ يومَ السبت ، لثلاثٍ من جُمادَى الآخرة ، سنةَ ثلاثٍ وتسعين ومئة . وقيل : إنه توفي في جُمادَى الأولى ، وقيل : في ربيعِ الأوَّل ، ولَهُ من العمرِ خمسٌ ـ وقيل سبعٌ ، وقيل ثمانٌ ـ وأربعونَ سنةً ، ومُدَّةُ خلافتِهِ ثلاثٌ وعشرون سنة ، وشهرٌ وثمانيةَ عشرَ يوماً . وقيل : ثلاثة أشهر . وصلَّى عليه ابنُهُ صالِح ، ودُفن بقريةٍ من قُرى طُوس ، يُقالُ لها سَناباذ[٣] .

وقال بعضُهم : قرأتُ على خيامِ الرشيد بسَناباذَ والناسُ منصَرِفون من طُوس ، من بعد مَوْتِه :

منـازلُ العَسْكَـرِ مَعْمُـورَةٌ ... والمَنْـزِلُ الأعظـمُ مَهْجُورُ
خليفَـةُ اللهِ بِـدارِ البِلَـى ... تسْفِي على أجداثِهِ المُورُ[٤]
أقبلـتِ العِيـرُ تُبـاهـي بِـهِ ... وانصرفَتْ تَنْدُبُهُ العِيرُ[٥]

---

(١) انظر ما تقدَّم ص(٤٩٧) من هذا الجزء .
(٢) الخبر في مختصر تاريخ ابن عساكر (٢٧/ ٣٨) .
(٣) سَناباذ ـ بالفتح ـ : قريةٌ بِطُوس ، فيها قبرُ الإمام علي بن موسى الرضا ، وقبر أمير المؤمنين الرشيد ، بينها وبين مدينة طوس نحو ميل . معجم البلدان (٣/ ٢٥٩) .
(٤) المور : الغُبار بالريح ، لسان العرب (مور) .
(٥) الأبيات في مختصر تاريخ ابن عساكر (٢٧/ ٣٨) .

وقد رثاه أبو الشِّيص فقال :

غرَبَتْ في الشرقِ شمسٌ فلهـا العَيْنـانِ تَـدْمَـعْ
مـا رأينـا قَـطُّ شمسـاً غرَبَتْ من حيثُ تَطْلُعْ[١]

وقد رثاهُ الشعراء بقصائد .

قال ابنُ الجوزي في المنتظم[٢] : قد ترَكَ الرشيدُ من الميراث ما لم يُخَلِّفْهُ أحدٌ من الخلفاء ، وخلَّفَ من الجواهرِ والأثاثِ والأمتعةِ سوى الضياعِ والدُّور ما قيمتُه مئةُ ألف ألف دينار ، وخمسة وثلاثون ألفَ ألفِ دينار .

قال ابنُ جرير[٣] : وكان في بيتِ المال تسعُمئةِ ألف ألف ونَيِّف .

ذكر زوجاته وبنيه وبناته

تزوَّج أمَّ جعفر زُبيدةَ بنت عمِّه جعفر بن أبي جعفر المنصور ، تزوَّجها في سنةِ خمسٍ وستين ومئة في حياةِ أبيه المهدي ، فولدَتْ له محمداً الأمين . وماتَتْ زُبيدة في سنةِ ستَّ عشرةَ ومئتين كما سيأتي .

وتزوَّجَ أمَةَ العزيز ، أُمَّ وَلَد ، كانتْ لأخيه موسى الهادي ، فولَدَتْ له عليَّ بنَ الرشيد .

وتزوَّجَ أمَّ محمد بنتَ صالح المسكين ، والعبَّاسة بنت عمِّه سليمان بن أبي جعفر ، فزُفَّتا إليه في ليلةٍ واحدة ، سنةَ سبعٍ وثمانين ومئة بالرَّقَّة .

وتزوَّجَ عزيزةَ بنتَ الغِطْرِيف ، وهي بنتُ خالِه أخي أُمِّهِ الخَيْزُرَان .

وتزوَّجَ ابنةَ عبدِ الله بن محمد بن عبدِ الله بن عمرو بن عثمان بن عفان العثمانية ، ويُقال لها الجُرَشِيَّة لأنها وُلدَتْ بِجُرَش باليمن .

وتُوفِّي عن أربع : زُبيدة ، وعبَّاسة ، وابنة صالح ، والعثمانية هذه . وأمَّا الحظايا من الجوار[ي] فكثيرٌ جداً ، حتى قال بعضُهم : إنه كان في دارِهِ أربعة آلاف جاريةٍ سراريّ حسان .

وأما أولادُه الذكور فمحمد الأمين ابن زُبيدة ، وعبدُ الله المأمون من جاريةٍ اسمُها مراجل ، ومحمد أبو إسحاق المعتصِم من أمِّ وَلَدٍ يُقالُ لها ماردة ، والقاسمُ المؤتمن من جاريةٍ يُقال لها قصف ، وعليّ أُمُّه أمَةُ العزيز ، وصالح من جاريةٍ اسمُها رئم ، ومحمد أبو يعقوب ، ومحمد أبو عيسى ، ومحمد أبو العباس ، ومحمد أبو علي ، كلُّ هؤلاءِ من أُمهات أولاد .

---

(١) البيتان في المنتظم لابن الجوزي (٩/ ٢٣٢) .

(٢) المنتظم (٩/ ٢٣٢) .

(٣) يعني الطبري في تاريخ (٥/ ٢٦) .

وكان من الإناث سُكينة من قصف ، وأمُّ حبيب من ماردة ، وأرْوَى ، وأمُّ الحسين ، وأم محمد وهي حَمْدونة ، وفاطمة وأمُّها غصص ، وأم سَلَمة ، وخَديجة ، وأمُّ القاسم رَمْلَة . وأم علي ، وأمُّ الغاليَة ، ورَيْطَة ، كلُّهنَّ من أمهاتِ أولاد .

خلافة محمد الأمين

لما تُوفي الرشيد بِطُوس في جُمادَى الآخرة من هذه السنة ـ أعني سنةَ ثلاثٍ وتسعين ومئة ، كتب صالحُ بن الرشيد إلى أخيه وليِّ العَهْد من بعدِ أبيه محمدِ الأمين بن زُبيدة وهو ببغداد ، يُعلِمُه بوفاةِ أبيه ، ويُعَزِّيه فيه ، فوصل الكتابُ صحبةَ رجاءِ الخادم ، ومعه الخاتمُ والقَضِيبُ والبُرْدَة يوم الخميس الرابع عشر من جُمادَى الآخرة . فركب الأمينُ من قصرِهِ الخُلْد إلى قصر أبي جعفر المنصور ـ وهو قصرُ الذهَب ـ على شَطِّ بغداد ، فصلَّى بالناس ، ثم صَعِدَ المنبر ، فخطَبَهم وعزَّاهم في الرشيد ، وبسَطَ آمالَ الناس ، ووعَدَهم الخير ، فبايَعَه الخواصُّ من قومه ، ووجوهُ بني هاشم ، والأمراء ، وأمرَ بصَرْفِ أُعطياتِ الجُند عن سنتَيْن ، ثم نزَل . وأمَرَ عمَّهُ سُليمان بن جعفر أنْ يأخذَ له البيعةَ من بقيةِ الناس ، فلما انتظم أمرُ الأمين ، واستقام حالُه ، حسَدَهُ أخوه المأمون ، ووقَعَ الخُلْفُ بينهما على ما سنذكرهُ إنْ شاء الله تعالى .

اختلاف الأمين والمأمون

كان السببُ في ذلك أنَّ الرشيد لَمَّا وصل إلى أولِ بلادِ خُراسان وَهَبَ جميعَ ما فيها من الحواصِلِ والدوابِّ والسلاح لولدِهِ المأمون ، وجدَّدَ له البيعة ، وكان الأمين قد بعثَ بكرَ بنَ المعتمر بكتبٍ في خُفْيَةٍ ليوصِلَها إلى الأمراء إذا مات الرشيد ، فلما تُوفي الرشيد نفذتِ الكتبُ إلى الأمراء وإلى صالح بن الرشيد ، وفيها كتابٌ إلى المأمون ، يأمرهُ بالسمع والطاعة ، فأخذ صالحٌ البيعةَ من الناسِ إلى الأمين ، وارتحل الفضلُ بن الربيع بالجيشِ إلى بغداد ، وقد بقي في نفوسِهم تحرُّجٌ من البيعةِ التي أُخذَتْ للمأمون ، وكتب إليهمُ المأمونُ يدعوهمْ إلى بيعَتِه فلم يُجيبوه ، فوقعتِ الوَحْشَةُ بين الأخوَيْن ، ولكنْ تحوَّل عامَّةُ الجيش إلى الأمين ، فعند ذلك كتب المأمونُ إلى أخيه الأمين بالسَّمْع والطاعةِ والتعظيم ، وبعَثَ إليه من هدايا خُراسان وتُحَفِها من الدوابِّ والمِسك ، وغيرِ ذلك ،وهو نائبُهُ عليها . وقد أمرَ الأمينُ في صبيحةِ يوم السبت بعدَ أخذِ البيعةِ يومَ الجمعة ببناءِ ميدانَيْن للصَّيد ، فقال في ذلك بعضُ الشعراء :

بَنَى أمينُ الله مَيْدانا وصَيَّرَ الساحةَ بُسْتانا
وكانتِ الغزلانُ فيه بانا يهدى إليه فيه غِزْلانا[1]

(١) الخبر والشعر في تاريخ الطبري (٥/ ٣١) ، والكامل لابن الأثير (٥/ ٣٦١ ، ٣٦٢) .

وفي شعبان من هذه السنة قَدِمَتْ زُبَيدَةُ من الرَّقَّة بالخزائن ، وما كان عندَها من التُّحَفِ والقماش من الرشيد ، فتلقَّاها ولَدُها الأمينُ إلى الأنبار ، ومعه وجوهُ الناس ، وأقرَّ الأمينُ أخاهُ المأمونَ على ما تحت يدِهِ من بلادِ خُراسانَ والرَّيِّ وغيرِ ذلك ، وأقرَّ أخاه القاسمَ على الجزيرةِ والثُّغور ، وأقرَّ عمَّالَ أبيه على البلادِ إلَّا القليلَ منهم .

وفيها مات نقْفُور ملكُ الرُّوم قتَلَهُ البُرْجان[1] ، وكان ملكُه تسعَ سنين ، وأقام بعدَهُ ولدُه استبراق شهرَيْن فمات ، فملَكهُم ميخائيلُ زوجُ أختِ نقْفور ، لعنهم الله .

وفيها تواقع هَرْثَمةُ بن أعْيَن نائبُ خراسان ورافع بن اللَّيث ، فاستجاشَ رافعٌ بالتُّرك[2] ثم هربوا ، وبَقِيَ رافعٌ وحدَه ، فضَعُفَ أمرُه .

وحَجَّ بالناسِ في هذه السنة نائبُ الحجاز داودُ بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي .

وفيها توفي من الأعيان :

إسماعيلُ بن عُلَيَّة[3] : وهو من أئمةِ العلماء ، والمحدِّثين الرُّفَعاء . روى عنه الشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وقد وُلِّيَ المظالِمَ ببغداد ، وكان ناظرَ الصدقاتِ بالبصرة ، وكان ثقةً نبيلاً جليلاً كبيراً . وكان قليلَ التَّبَسُّم . وكان يَتَّجِرُ في البَزّ ، ويُنفق على عيالِهِ منه ، ويحجُّ منه ، ويَبَرُّ أصحابَهُ منه ، مثل السفيانَيْن وغيرِهما . وقد ولَّاهُ الرشيدُ القضاء ، فلما بلغ ابنَ المبارك أنه تولَّى القضاء كتب إليهِ يَلُومُه نظماً ونثراً ، فاستعفى ابنُ عُلَيَّةَ من القضاء ، فأعفاه ، وكانتْ وفاتُه في ذي القَعْدَةِ من هذه السنة ، ودُفن في مقابِرِ عبدِ الله بن مالك .

---

(١) « بُرْجان » : جيلٌ من الناس ، بلادُهم قريبةٌ من قُسْطَنْطِينيَّة ، وبلاد الصَّقَالبَة قريبةٌ منهم . المغرب (برج) (١/ ٦٥) .

(٢) كذا في الأصول ، بتعدية استجاش بالباء ، وجاء في لسان العرب (جيش) : « اسْتَجاشَه » : أي طلب منه جيشاً . وفي حديث عامر بنُ فُهَيرة : فاستجاش عليهم عامرُ بن الطُّفيل أي طَلب لهم الجيشَ وجمَعَه عليهم . اهـ .

(٣) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٣٢٥) ، التاريخ الكبير (١/ ٣٤٢) ، الكنى والأسماء لمسلم (١/ ١٤٣) ، تسمية فقهاء الأمصار ص(١٣٠) ، الجرح والتعديل (٢/ ١٥٣) ، مولد العلماء ووفياتهم لابن زبر (١/ ٢٦٢ ، و٤٣٥) ، مشاهير علماء الأمصار (١٦١) ، الثقات لابن حبان (٦/ ٤٤) ، ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم (١/ ٤٩) ، الفهرست (٣١٧) ، تاريخ بغداد (٦/ ٢٢٩) ، التعديل والتجريح للباجي (١/ ٣٦١) ، رجال مسلم لابن منجويه (١/ ٥٤) ، تهذيب الكمال (٣/ ٢٣) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٣٢٢) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ١٠٧) ، تهذيب التهذيب (١/ ٢٤١) ، تقريب التهذيب (١٠٥) ، طبقات الحفاظ ص(١٣٩) .

وفيها مات :

محمد بن جعفر[١] الملقَّب بِغُنْدَر : روى عن شعبة ، وسعيد بن أبي عَرُوبة ، وعن خلقٍ كثير . وعنه جماعةٌ ، منهم أحمد بن حنبل . وكان ثقةً جليلاً حافظاً مُتقِناً ، وقد ذُكر عنه حكاياتٌ تدلُّ على تغفيله في أمورِ الدنيا . كانت وفاتُه بالبصرة في هذه السنة ، وقيل في التي قبلَها ، وقيل في التي بعدَها . وقد لُقِّب بهذا اللقب جماعةٌ من المتقدِّمين والمتأخِّرين .

وفيها توفي هارون أمير المؤمنين ، وقد تقدَّمت ترجمته قريباً .

وأبو بكر بن عياش[٢] : أحد الأئمة ، سمع أبا إسحاق السَّبِيعي ، والأعمش ، وهشام بن عروة[٣] ، وجماعة . وحدث عنه خلق ، منهم أحمد بن حنبل . وقال يزيد بن هارون : كان خَيِّراً فاضلاً ، لم يضَعْ جَنْبَهُ إلى الأرض أربعين سنة . قالوا : ومكث ستين سنةً يَختِمُ القرآنَ في كلِّ يومٍ خَتْمَةً كاملة . وصام ثمانين رمضاناً ، وتُوفي وله ستٌّ وتسعون سنة . ولما احتُضر بكى عليه ابنُه ، فقال : يا بُني علامَ تبكي ؟! والله ما أَتَى أبوك فاحشةً قط .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومئة

فيها خلَعَ أهلُ حمصَ نائبَهم ، فعزَلَهُ عنهم الأمين ، وولَّى عليهم عبدَ الله بن سعيد الحَرَشي ، فقتل طائفةً من وجوهِ أهلِها ، وحرَّق نواحِيهَا ، فسألوه الأمانَ فأمَّنَهم ، ثم هاجوا فضرب أعناقَ كثيرٍ منهم أيضاً .

---

(١) ترجمته في التاريخ الكبير (١/ ٥٧) ، الكنى والأسماء لمسلم (١/ ٤٩٢) ، مولد العلماء ووفياتهم لابن زبر (٢/ ٦٧١) ، الجرح والتعديل (٧/ ٢٢١) ، الثقات لابن حبان (٩/ ٥٠) ، تهذيب الكمال (٢٥/ ٥) ، تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٦٠) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٩٨) ، تهذيب التهذيب (٩/ ٨٤) ، تقريب التهذيب (٤٧٢) ، طبقات الحفاظ (٣٨٥) .

(٢) قيل اسمه شعبة ، وقيل سالم ، وقيل غير ذلك ، والصحيح اسمه كنيته ، وترجمته في طبقات ابن سعد (٦/ ٣٨٦) ، طبقات خليفة (١٧٠) ، التاريخ الكبير (٩/ ١٤) ، التاريخ الصغير (٢/ ٢٤٨) ، الثقات لابن حبان (٧/ ٦٦٨) ، حلية الأولياء (٨/ ٣٠٣) ، تاريخ بغداد (١٤/ ٣٧١) ، صفة الصفوة (٣/ ١٦٤) ، تهذيب الكمال (٣٣/ ١٢٩) ، طبقات علماء الحديث (١/ ٣٨٧) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٩٥) ، المقتنى في سرد الكنى (١/ ١١٧) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٦٥) ، معرفة القراء الكبار (١/ ١٣٤) ، ميزان الاعتدال (٤/ ٤٩٩) ، العبر (١/ ٣١١) ، تهذيب التهذيب (١٢/ ٣٤) ، الكواكب الدرية (١/ ٨٢) ، شذرات الذهب (١/ ٣٣٤) .

(٣) في (ق) : وهشام وهمام بن عروة ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) ، وفي تهذيب الكمال (٣٣/ ١٣٠) ، ذكر المزي من جملة من روى عنهم : هشام بن حسان ، وهشام بن عروة .

وفيها عزل الأمينُ أخاه القاسمَ عن الجزيرةِ والثُّغور وولَّى على ذلك خُزيمة بن خازم ، وأَمَّرَ أخاه بالمقام عندَهُ ببغداد .

وفيها أمرَ الأمينُ بالدعاءِ لولده موسى على المنابر في سائرِ الأمصار ، وبالإمْرَةِ من بعدِه ، وسَمَّاهُ الناطِقَ بالحقّ . ثم يُدعَى من بعدِهِ لأخيه المأمون ، ثم لأخيه القاسم . وكان من نيَّةِ الأمين الوفاءُ لأخوَيْهِ بِما شرَطَ لهما ، فلم يزَلْ بهِ الفضلُ بن الربيع حتى غيَّرَ نيَّتَه في أخوَيْه ، وحسَّنَ له خَلْعَ المأمونِ والقاسم ، وصغَّرَ عندَهُ شأنَ المأمون . وإنما حمَلَهُ على ذلك خوفُهُ من المأمون إنْ أفضَتْ إليه الخلافةُ أن يخلَعَهُ من الحجابة(١) ، فوافقه الأمينُ على ذلك ، وأمر بالدُّعاءِ لولدِهِ موسى ، وبولايةِ العَهْدِ من بعدِه . وذلك في ربيع الأول من هذه السنة ؛ فلما بلَغَ المأمونَ قَطَعَ البريدَ عنه ، وتَرَكَ ضَرْبَ اسمِهِ على السِّكَّة والطراز ، وتنكَّر للأمين ، وبعث رافعَ بن اللَّيث إلى المأمون يسألُ منه الأمان ، فأمَّنه فسار إليه بمَنْ معه ، فأكرمه المأمونُ وعظَّمَه ، وجاء هَرْثَمةُ على إثْرِه ، فتلقَّاه المأمونُ ووجوهُ الناس ، وولَّاهُ الحرَس . فلما بلَغَ الأمينَ أن الجنودَ التفَّتْ على أخيه المأمون ساءه ذلك وأنكرَه ؛ وكتب إلى المأمون كتاباً ، وأرسل إليه رُسُلاً ثلاثةً من أكابرِ الأمراء ، سألَهُ أن يُجيبَهُ إلى تقديمِ ولَدِهِ عليه ، وأنه قد سَمَّاهُ الناطِقَ بالحق . فأظهر المأمونُ الامتناع ، فشرَعَ الأمراءُ في مُطَايَبَتِه ومُلايَنَتِه ، وأن يُجيبَهُم إلى ذلك ، فأبَى كلَّ الإباء ، فقال له العباسُ بن موسى بن عيسى : فقد خلَعَ أبي نفسَه فماذا كان ؟ فقال المأمون : إنَّ أباكَ كان امرأً مكرهاً . ثم لم يزل المأمونُ يَعِدُ العبَّاسَ ويُمنِّيه حتى بايَعَهُ بالخلافة . ثم لما رجع إلى بغداد كان يُراسِلُه بما كان من أمرِ الأمينِ ويُناصِحُه ؛ ولما رجع الرسُلُ إلى الأمين أخبروه بما كان من قولِ أخيه ، فعند ذلك صَمَّمَ الفضلُ بن الربيع على الأمين في خَلْعِ المأمون ، فخلَعَهُ وأمرَ بالدعاءِ لولده في سائرِ البلاد . وأقاموا منْ يتكلَّمُ في المأمون ، ويذكرُ مساويه ، وبعثوا إلى مكة فأخذوا الكتابَ الذي كتبه الرشيد ، وأودَعَهُ في الكعبة ، فمزَّقَهُ الأمين ، وأكَّدَ البيعةَ إلى ولدِهِ الناطقِ بالحق على ما ولَّاهُ من الأعمال .

وجرَتْ بين الأمينِ والمأمونِ مكاتباتٌ ورُسُلٌ يطولُ بَسْطُها ؛ وقد استقصاها ابنُ جرير في تاريخِهِ(٢) ، ثم آلَ بهما الأمرُ إلى أنِ احتفظ كلٌّ منهما على بلادِه وحِصْنِها ، وهيأ الجيوشَ والجنود ، وتألَّفَ الرعايا .

وفيها عدَتِ الرُّومُ على مَلِكِهم ميخائيل(٣) ، فراموا خلعَه وقتلَه ، فترَكَ الملكَ وترَهَّب ، وولَّوْا عليهم أليون .

---

(١) في (ب ، ح) : « إنْ أفضَتْ إليه الخلافةُ يوماً من الدهر ، فسعى في خلعِهِ وزوالِ الخلافةِ عنه » ، والمثبت من (ق) .

(٢) انظر تاريخ الطبري (٥/ ٣٥) وما بعدها .

(٣) في (ق) : « وفيها غدرت الروم بملكهم . . » . والمثبت من (ب ، ح) .

وحجَّ بالناسِ فيها نائبُ الحجاز داودُ بن عيسى ، وقيل : علي بن الرشيد .

وفيها توفي من الأعيان :

سَلْم بن سالم أبو بَحْر البَلْخِي(١) : قدم بغداد وحدَّث بها عن إبراهيم بن طَهْمَان ، والثَّوري . وعنه الحسنُ بن عَرَفة . وكان عابداً زاهداً مكثَ أربعين سنةً لم يُفرَشْ له فِراش ، وصامها كلَّها إلَّا يومي العيد . ولم يرفَعْ رأسَهُ إلى السماء . وكان داعيةَ الإرجاء ، ضعيفَ الحديث ، إلَّا أنه كان رأساً في الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر .

وكان قد قدم بغداد فأنكر على الرشيدِ وشنَّع عليه ، فحبَسَه وقيَّدَه باثني عشرَ قيداً ؛ فلم يزَلْ أبو معاوية يشفعُ فيه حتى جعلوه في أربعةِ قيود . ثم كان يدعو الله أن يردَّهُ إلى أهلِه ؛ فلما تُوفي الرشيد أطلقَتْهُ زُبيدة ، فرجع .

وكانوا بمكة قد جاؤوا حُجَّاجاً ، فمرض بمكة ، واشتهى يوماً بَرَداً ، فسقط في ذلك الوَقْتِ بَرَدٌ حين اشتهاه ، فأكل منه . مات في ذي الحجة من هذه السنة .

وعبدُ الوهاب بن عبد المجيد الثقفي(٢) : كانتْ غَلَّتُهُ في السنةِ قريباً من خمسين ألفاً ، يُنفِقها كلَّها على أهل الحديث . توفي عن أربعٍ وثمانين .

وأبو النصر الجهني المصاب(٣) : كان مقيماً بالمدينة النَّبويَّة بالصُّفَّةِ من المسجدِ في الحائطِ الشماليِّ منه وكان طويلَ السكوت ، فإذا سئل أجاب بجوابٍ حسَن ، يتكلم بكلماتٍ مفيدة تُؤثر عنه وتكتب ، وكان يخرجُ يومَ الجمعة قبلَ الصلاة ، فيقفُ على مجامِعِ الناسِ فيقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [لقمان : ٣٣] ، و﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ [البقرة : ٤٨] . ثم ينتقلُ إلى جماعةٍ أخرى ، ثم إلى أخرى ،

---

(١) في (ح ، ق) : سالم بن سالم ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب) ومصادر ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٣٧٤) ، أحوال الرجال للجوزجاني (٢٠٨) ، الجرح والتعديل (٤/ ٢٦٦) ، الضعفاء للعُقيلي (٢/ ١٦٥) ، تاريخ بغداد (٩/ ١٤٠) ، الكامل لابن عدي (٣/ ٣٢٦) ، كتاب الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (٢/ ٩٦) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٢١) ، ميزان الاعتدال (٣/ ٢٦٣) ، لسان الميزان (٣/ ٦٣) .

(٢) ترجمته في كتاب بحر الدم للإمام أحمد (٢٨٣) ، التاريخ الكبير (٦/ ٩٧) ، الجرح والتعديل (٦/ ٧١) ، الضعفاء للعقيلي (٣/ ٧٥) ، مشاهير علماء الأمصار (١٦٠) ، الثقات لابن حبان (٧/ ١٣٢) ، تاريخ بغداد (١١/ ١٨) ، التعديل والتجريح (٢/ ٩١٩) ، رجال مسلم (٢/ ٥) ، تهذيب الكمال (١٨/ ٥٠٣) ، ميزان الاعتدال (٤/ ٤٣٤) ، المقتنى في سرد الكنى (٢/ ٥١) ، كتاب المختلطين (٧٨) ، تقريب التهذيب (٣٦٨) ، طبقات الحفاظ (١٣٩) .

(٣) ترجمته في صفة الصفوة (٢/ ١٩٩) .

حتى يدخلَ المسجد ، فيُصَلِّي فيه الجمعة ثم لا يَخْرُجُ منه حتى يُصَلِّي العشاءَ الآخرة .

وقد وعَظَ مرَّةً هارونَ الرشيد بكلامٍ حسن ، فقال : اعلَمْ أنَّ الله سائلُكَ عن أُمَّةِ نبيِّه ، فأعِدَّ لذلك جواباً ، وقد قال عمرُ بن الخطَّاب : لو ماتتْ سخلةٌ بالعراق ضَيَاعاً لَخَشيت أنْ يسألَني الله عنها . فقال الرشيد : إني لستُ كعمر ، وإنَّ دَهْري ليس كَدَهْرِه . فقال : ما هذا بِمُغْنٍ عنك شيئاً . فأمر له بثلاثِ مئةِ دينار . فقال : أنا رجلٌ من أهلِ الصُّفَّة ، فمُرْ بها فَلْتُقْسم عليهم ، وأنا واحدٌ منهم .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومئة

فيها في صَفَر منها أمَرَ الأمينُ الناسَ أنْ لا يتعاملوا بالدراهمِ والدنانيرِ التي عليها اسمُ المأمون . ونَهَى أنْ يُدعَى له على المنابر ، وأنْ يُدعَى له ولولَدِهِ من بعدِه .

وفيها تَسَمَّى المأمونُ بإمامِ الهدى ؛ وفي ربيع الآخر فيها عَقَدَ الأمينُ لعليِّ بن عيسى بن ماهان الإمارةَ على الجبَل وهمَذان وأصْبهانَ وقُمّ ، وتلكَ البلاد ، وأمَرَهُ بِحَرْبِ المأمون ، وجهَّزَ معهُ جيشاً كثيراً ؛ وأنفقَ فيهم نفقاتٍ عظيمة ؛ وأعطاهُ مئتي ألف دينار ، ولولده خمسين ألفَ دينار ، وألفَيْ سيف مُحلّى ، وستة آلاف ثوبٍ للخِلَع . فخرج عليُّ بن موسى بن ماهان من بغداد في أربعين ألفَ مقاتلٍ فارس ؛ ومعه قَيْدٌ من فِضَّة ليأتي فيه بالمأمون .

وخرج الأمينُ معه مشيِّعاً ، فسار حتى وصلَ الرَّيّ ، فتلقَّاهُ الأميرُ طاهرٌ في أربعةِ آلاف ، فجرَتْ بينهم أمورٌ آلَ الحالُ فيها أنِ اقتَتَلوا ؛ فقُتل عليُّ بن عيسى ؛ وانهزم أصحابُه ، وحُمل رأسُه وجُثَّتُهُ إلى الأمير طاهِر . فكتب بذلك إلى وزيرِ المأمون ذي الرِّيَاستَيْن وكان الذي قَتَل عليَّ بن عيسى رجلٌ يُقال له طاهر الصغير . فسُمِّي ذا التيمِينَيْن ، لأنه أخذ السيفَ بيدَيْه الثِّنْتَيْن ، فذبح به عليَّ بن عيسى بن ماهان ، ففَرِحَ بذلك المأمونُ وذووه ، وانتهى الخَبرُ إلى الأمين وهو يَصيدُ السمَكَ من بركة القصر ؛ فقال : وَيْحَك ! دَعْني من هذا ، فإنَّ كَوْثراً قد صاد سمكَتَيْن ولم أصِدْ بعدُ شيئاً . وأرْجَفَ الناسُ ببغداد ، وخافوا غائلةَ هذا الأمر . ونَدِمَ محمدٌ الأمين على ما كان منه من نَكْثِ العَهْد ، وخَلْعِ المأمون ، وما وقع من الأمر الفَظيع . وكان رجوعُ الخبَرِ إليه في شوال من هذه السنة .

ثم جهَّزَ عبدَ الرحمن بن جَبَلة الأبْنَاويَّ في عشرين ألفاً من المقاتِلَة إلى هَمَذانَ ليقاتلوا طاهرَ بن الحسين بن مُصعب ومنْ مَعَهُ من الخراسانيَّة ؛ فلما اقتربوا منهم تواجهوا فتقاتلوا قتالاً شديداً ، حتى كثرتِ القتلى بينهم ، ثم انهزم أصحابُ عبد الرحمن بنِ جَبَلة ، فلجؤوا إلى هَمَذان ، فحاصرَهم بها طاهرٌ حتى اضطرَّهم إلى أنْ دَعَوْا إلى الصُّلح ، فصالحهم وأمَّنَهم ، ووَفَى لهم ؛ وانصرف عبدُ الرحمن بن جبلة على أن يكونَ راجعاً إلى بغداد ، ثم غدَروا بأصحابِ طاهر ، وحملوا عليهم وهم غافلون ، فقتَلوا منهم خلقاً ،

وصبَرَ لهم أصحابُ طاهر ، ثم نهضوا إليهم وحملوا عليهم فهزموهم . وقُتل أميرُهم عبد الرحمن بن جَبَلة ، وفرَّ أصحابُهُ خائبين .

فلما رجعوا إلى بغداد اضطربتِ الأمور ، وكثرتِ الأراجيف ، وكان ذلك في ذي الحجَّة من هذه السنة ، وطرَدَ طاهرٌ عُمَّالَ الأمين عن قَزْوينَ وتلك النواحي ، وقَوِيَ أمرُ المأمون جدّاً بتلك البلاد . وفي ذي الحجَّة من هذه السنة ظهر أمرُ السُّفْيَانيِّ بالشام ، واسمه علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، فعزَلَ نائبَ الشامِ عنها ، ودَعَا إلى نفسِه ؛ فبعث إليه الأمينُ جيشاً فلم يقدموا عليه ، بل أقاموا بالرَّقَّة . ثم كان من أمرِه ما سنذكرُه .

وحجَّ بالناسِ فيها نائبُ الحجاز داودُ بن عيسى .

وفيها كانتْ وفاةُ جماعةٍ من الأعيان ، منهم :

إسحاق بن يوسف الأزرق[١] : أحد أئمة الحديث . روى عنه أحمد وغيره . ومنهم :

بَكَّار بن عبد الله[٢] بن مصعب بن ثابت بن عبدِ الله بن الزُّبير . كان نائبَ المدينةِ للرشيد ثنتَيْ عشرةَ سنةً وشهراً ؛ وقد أطلق الرشيدُ على يدَيْهِ لأهلِها ألفَ ألفِ دينار ومئتي ألفِ دينار . وكان شريفاً جواداً معظَّماً .

وفيها توفي :

أبو نُوَاس الشاعر[٣] : واسمهُ الحسن بن هانىء بن صباح بن عبد الله بن الجرَّاح بن هِنب بن ددة بن غَنْم بن سُليم بن حَكَم بن سعد العشيرة بن مالك بن عمرو بن الغَوْث بن طَيِّىء بن أُدَد بن شبيب بن [عمر بن] سبيع بن الحارث بن زيد بن عدي بن عوف بن زيد بن هميسع بن عمرو بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان بن عابِر بن شالخ بن أرْفَخْشَذ بن سام بن

---

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٣١٥) ، التاريخ الكبير (١/ ٤٠٦) ، الكنى والأسماء لمسلم (٢/ ٧٤٢) ، الجرح والتعديل (٢/ ٢٢٨) ، الثقات لابن حبان (٦/ ٥٢) ، رجال صحيح البخاري للكلاباذي (١/ ٧٩) ، رجال مسلم لابن منجويه (١/ ٥٤) ، تاريخ بغداد (٦/ ٣١٩) ، تهذيب الكمال (٢/ ٤٩٦) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ١٧١) ، تهذيب التهذيب (١/ ٢٢٥) ، تقريب التهذيب (١٠٤) ، طبقات الحفاظ (١٣٨) .

(٢) ترجمته في الجرح والتعديل (٣/ ٥٨٥) ، الثقات لابن حبان (٦/ ١٠٧) .

(٣) ترجمته في الأغاني (٢٠/ ٧١) ، تاريخ بغداد (٧/ ٤٣٦) ، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (١٣/ ٤٠٧) ، المنتظم لابن الجوزي (١٠/ ١٦) ، الكامل لابن الأثير (٥/ ٣٧٩) ، وفيات الأعيان (٢/ ٩٥) ، بغية الطلب في تاريخ حلب (١٠/ ٤٦٤٥) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٧٩) ، ميزان الاعتدال (٧/ ٤٣٦) ، العبر (١/ ٣٢١) ، لسان الميزان (٢/ ٢٨٥ ، و٧/ ١١٥) ، النجوم الزاهرة (٢/ ١٥٦) ، شذرات الذهب (١/ ٣٤٥) .

نوح . كذا نسَبَهُ عبدُ الله بن [أبي] سعد الورّاق[١] ، نسَبَه إلى ولاءِ الجرَّاح بن عبد الله الحَكَمي . ويقال له أبو نُوَاس البَصْري ، كان أبوهُ من أهل دمشق ، من جُندِ مروانَ بنِ محمد ، ثم صار إلى الأهواز ، وتزوَّج امرأةً يُقال لها جلبان ، فولَدَتْ له أبا نُوَاس وابناً آخر يُقال له أبو مُعاذ .

ثم صار أبو نواس إلى البصرة ، فتأدَّبَ بها على أبي زيد وأبي عُبيدة . وقرأ كتابَ سِيبَوَيْه ، ولزم خَلَفاً الأحمر ؛ وصحب يونُسَ بن حَبيب الجَرْميَّ النَّحْوي .

وقد قال القاضي ابنُ خَلِّكان[٢] : صحب أبا أسامة والبةَ بن الحُبَاب الكوفي .

ورَوَى الحديث عن أزهرَ بنِ سعد ، وحماد بن زيد ، وحماد بن سلمة ، وعبد الواحد بن زياد ، ومعتمر بن سليمان ، ويحيى القطَّان . وعنه محمد بن إبراهيم بن كثير الصيرفي . وحدث عنه جماعةٌ منهم الشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وغُنْدَر ، ومشاهيرُ العلماء .

ومن مشاهيرِ حديثِهِ ما رواه محمد بن إبراهيم بن كثير الصيرفي ، [عن الحسن بن هانىء] ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا يموتنَّ أحدُكم إلَّا وهو يُحسنُ الظنَّ بالله ، فإنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بالله ثَمَنُ الجنَّة »[٣] .

وقال محمد بن إبراهيم : دخلنا عليه وهو في الموت ، فقال له صالح بن علي الهاشمي : يا أبا علي ، أنت اليومَ في آخرِ يومٍ من أيام الدنيا ، وأولِ يومٍ من أيامِ الآخرة ، وبينك وبين الله هَنَاتٌ[٤] ، فتُبْ إلى الله من عَمِلك . فقال : إيَّاي تُخَوِّفَ بالله ؟! أَسنِدُوني . قال : فأسندناه . فقال : حدثني حماد بن سَلَمة ، عن يزيد الرَّقاشي ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لِكُلِّ نبيٍّ شفاعةٌ ، وإني اختبأتُ شفاعتي لأهلِ الكبائرِ من أمتي يومَ القيامة »[٥] . ثم قال : أفلا تراني منهم ؟.

---

(١) ترجمة الوراق هذا في تاريخ بغداد (١٠/ ٢٥) . ومابين معقوفين منه ، ومن نسب أبي نواس في تاريخ بغداد (٧/ ٤٣٦) . وقد سقط هذا النسب من (ق) ، وهو مثبت في (ب ، ح) .

(٢) في وفيات الأعيان (٢/ ٩٥ ، ٩٦) .

(٣) إسناده ضعيف جداً ، فإن راويه عن محمد بن إبراهيم بن كثير هو إسماعيل بن علي الصيرفي ، وهو غير ثقة ، وأبو نواس غير أهل لرواية الحديث . وهذا الحديث نقله المؤلف من تاريخ دمشق لابن عساكر الذي نقله من معجم ابن جميع الصيداوي ٣٠١ حيث رواه من طريق ثابت عن أنس ، وما أظنه إلا واهماً ، فهذا الحديث ساقه الخطيب بالإسناد نفسه في ترجمة محمد بن إبراهيم بن كثير الصيرفي من تاريخ (٢/ ٢٨٣ بتحقيقنا) ولكنه ذكره من حديث حماد ، عن يزيد الرقاشي عن أنس ، وهو الصواب ، ويزيد ضعيف .
على أن الشطر الأول من متن الحديث صحيح من حديث جابر بن عبد الله ، فهو عند مسلم (٨/ ١٦٥) (٢٨٧٧) وغيره ، وينظر تمام تخريجه في تعليقنا على ابن ماجه (٤١٦٧) وتاريخ الخطيب (٢/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤) (بشار) .

(٤) « هنات » : خِصالُ شرّ ، مفردها هَنَة . النهاية في غريب الحديث (هنو) .

(٥) إسناده ضعيف من هذا الوجه ، ورواية يزيد الرقاشي عن أنس لهذا الحديث غريبة غير محفوظة ، والمحفوظ رواية=

وقال أبو نُوَاس : ما قلتُ الشعر حتى رَوَيتُ عن ستين امرأةً ، منهنَّ خنساء ، وليلى ، فما ظنُّكَ بالرجال ؟ .

وقال يعقوب بن السِّكِّيت : إذا رويتَ الشعرَ عن امرىء القيس والأعشى من أهلِ الجاهلية ، ومن الإسلاميِّين جريرٍ والفرزدق ، ومن المُحدَثين عن أبي نُواس فحسبُك .

وقد أثنى عليه غيرُ واحد ، منهم الأصمعيّ ، والجاحظ ، والنَّظَّام .

قال أبو عمرو الشيباني : لولا أنَّ أبا نواس أفسَدَ شعرَهُ بما وَضَعَ فيه من الأقذار لاحتَجَجْنا به . يعني شعرَه الذي قاله في الخمريَّات والمُرْدَان ـ وقد كان يَميلُ إليهم ـ ونحو ذلك مما هو معروفٌ في شعرِه .

واجتمع طائفةٌ من الشعراء عند المأمون ، فقيل لهم : أيُّكم القائل :

فلمّـا تَحَسَّـاهـا وقَفْنـا كـأنَّنـا ... نرَى قمراً في الأرضِ يبلُغُ كوكبا[١] ؟

قالوا : أبو نواس . قال : فأيُّكم القائل :

إذا نزلَتْ دون اللَّهَاةِ من الفتى ... دعَا هَمّهُ عن قلبِهِ برَحِيلِ[٢] ؟

قالوا : أبو نواس . قال : فأيُّكم القائل :

فتمشَّـتْ فـي مَفَـاصِلِهـم ... كتمَشِّي البُرْءِ في السَّقَمِ[٣] ؟

قالوا : أبو نواس . قال : فهو أشعَرُكم .

وقال سفيانُ بن عُيينةَ لابن مناذِر : ما أشعرَ ظريفَكُمْ أبا نُوَاسٍ في قوله :

يـا قمـراً أبصـرتُ فـي مَـأتَـم ... ينْـدُبُ شَجْـواً بيـنَ أتـرابِ
أبْـرَزَهُ المـأتَـمُ لـي كـارهـاً ... بـرَغْـمِ ذي بـابٍ وحُجَّـاب
يَبْكي فيَذْري الدُّرَّ من عينه ... ويَلْطِـمُ الـوَرْدَ بِعُنَّـابِ

= ثابت عن أنس ، أخرجه الطيالسي (٢٠٢٦) والترمذي في الجامع (٢٤٣٥) ، والبزار كما في كشف الأستار (٣٤٩٦) ، وأبو يعلى في مسنده (٣٢٨٤) ، وابن خزيمة في التوحيد ٢٧٠ ، وابن حبان (٦٤٦٨) ، والطبراني في الأوسط (٨٥١٣) ، والحاكم (١/ ٦٩) ، وقال الترمذي : حسن صحيح غريب من هذا الوجه .
وأخرجه أحمد (٣/ ٢١٣) ، وأبو داود (٤٧٣٩) ، وابن خزيمة في التوحيد ٢٧١ ، والحاكم (١/ ٦٩) من حديث أشعث المداني عن أنس (بشار) .

(١) لم أجد البيت في ديوان أبي نواس بهذا اللفظ ، والذي فيه ص(٣٧) :
إذا عبَّ فيها شاربُ القَوْمِ خِلْتَهُ ... يُقَبِّلُ في داجٍ من الليلِ ، كَوْكَبا
(٢) البيت في ديوان أبي نواس ص(٤٨٢) .
(٣) البيت في ديوان ص(٥٣٧) .

لا زالَ مَـوْتـاً دَأْبُ أحبـابِـهِ ولـم تَـزَلْ رُؤْيَتُـهُ دابـي[١]

قال ابنُ الأعرابي : أشعَرُ الناسِ أبو نُوَاس في قوله :

تغطَّيْتُ من دَهْري بظِلِّ جناحِهِ فعيني تَرَى دهري وليس يَرَاني

فلو تسألُ الأيامَ عنّيَ ما دَرَتْ وأين مكاني ما عَرَفْنَ مكاني[٢]

وقال أبو العتاهية : قلتُ في الزُّهْد عشرينَ ألفَ بيت ، وَدِدْتُ أنَّ لي مكانَها الأبياتَ الثلاثةَ التي قالها أبو نُوَاس ، وهي هذه ، وكانتْ مكتوبةً على قبرِه :

يـا نُـوَاسِـيُّ تَـوَقَّـرْ أو تَغَيَّـرْ أو تَصَبَّـرْ

إنْ يَكُـنْ سـاءَكَ دَهـرٌ فلَمَـا سَـرَّكَ أكْثَـرْ

يـا كثيـرَ الـذَّنْـبِ عَفْـوُ اللهِ مـن ذَنْبِـكَ أكْبَـرْ[٣]

ومن شعرِ أبي نُوَاس يَمدَحُ بعضَ الأمراء :

أوجَـدَهُ اللهُ فمـا مِثْلُـهُ لطـالِـبِ ذاكَ ولا نـاشِـدِ

وليـس للهِ بِمُسْتَنْكَـرٍ أنْ يَجمعَ العالَمَ في واحِدِ[٤]

وأنشدوا لسفيانَ بنِ عُيينة قولَ أبي نواس :

مـا هَـوَى إلَّا لـه سَبَـبُ يبْتَـدي منـهُ ويَنْشَعِـبُ

فتَنَـتْ قلبـي مُحجَّبَـةٌ وجْهُهـا بـالحُسْـنِ مُنْتَقِـبُ

حَلِيَـتْ والحُسْـنُ تـأخـذُهُ تنْتَقـي منـه وتَنْتَخِـبُ

فـاكتسَـتْ منـهُ طـرائفَـهُ واستـرَدَّتْ بعـضَ مـا تَهَـبُ

فَهْـيَ لـو صَيَّـرْتُ فيـه لَهَـا عـوْدةً لـم يَثْنِهـا أرَبُ

صـار جِـدّاً مـا مَـزَحْـتُ بِـهِ ربَّ جِـدٍّ جَـرَّهُ اللَّعِـبُ[٥]

فقال ابنُ عُيينة : آمنتُ بالذي خلقَها .

---

(١) الأبيات في ديوان أبي نواس ص(٥٣) بألفاظ مقاربة .

(٢) البيتان في ديوان أبي نواس ص(٦٥٠) .

(٣) الأبيات في ديوان أبي نواس ص(٣٤٨) . وهي في تاريخ ابن عساكر (١٣/ ٤٥٩ ، ٤٦٠) ، وفيه زيادة بيت وهو :

أكثـرُ العصيـانِ لله فـي أصْـ ـغَـرِ عفـوِ الله يَصْغَـرْ

(٤) البيتان من قصيدة في ديوان أبي نواس ص(٢١٨) .

(٥) الأبيات في ديوان أبي نواس ص(٥١) .

وقال ابنُ دُريد : قال أبو حاتم : لو أنَّ العامَّةَ بدَّلَتْ هذَيْنِ البيتين لكتبتُهما بماءِ الذهب[١] :

ولو أني استزَدْتُكَ فوقَ ما بي ... مـن البَلْـوَى لأعْـوَزَكَ المـزيـدُ

ولو عُرِضَتْ على الموتى حياتي ... بعيشٍ مثـل عيشـي لـم يُـريـدوا

وقد سمع أبو نُواس حديثَ سُهيل ، عن أبي صالح[٢] ، عن أبي هُريرة ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « القلوبُ جُنودٌ مُجنَّدة ، فما تعارَفَ منها ائتلَفَ ، وما تَنَاكَرَ منها اختلف »[٣] . فنظم ذلك في قصيدةٍ له فقال :

إنَّ القلـوبَ لأجنـادٌ مُجَنَّـدةٌ ... لله فـي الأرضِ بـالأهـواءِ تعتـرِفُ

فمـا تنـاكَـرَ منهـا فهـو مختلـفٌ ... وما تعارَفَ منها فهو مؤتلفُ[٤]

ودخل يوماً أبو نواس مع جماعةٍ من المحدِّثين على عبدِ الواحد بن زياد فقال لهم عبدُ الواحد : لِيَخْتَرْ كلُّ واحدٍ منكم عشرةَ أحاديث أُحدِّثْه بها . فاختار كلُّ واحدٍ عشرةً إلَّا أبا نُواسَ ، فقال له : ما لَكَ لا تختارُ كما اختاروا فأنشأ يقول :

ولقـد كُنّـا رَوَيْنـا ... عن سعيدٍ عن قَتَادَهْ

عن سعيدِ بنِ المُسَيَّـ ... ـبِ ثم ابنِ عُبَادَهْ[٥]

وعن الشعبيِّ والشَّعْـ ... ـبِيُّ شيخٌ ذو جَلادَهْ

وعن الأخيارِ نَحْكيـ ... ـهِ وعَنْ أهْلِ الإفادَهْ

أنَّ مَـنْ مـاتَ مُحِبّـاً ... فلَـهُ أجْـرُ شَهَـادَهْ[٦]

---

(١) زادت نسختا (ب ، ح) ما نصّه : وهما لأبي نواس . ولم أجدهما في ديوانه .

(٢) كذا في الأصول ، وفي تاريخ بغداد (٤/ ٣٥١) : « سهيل بن أبي صالح عن أبيه » .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٣١) (٢٦٣٨) ، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٤٢) (٦١٦٨) ، وأبو داود (٤/ ٢٦٠) (٤٨٣٤) ، والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٣٥١) ، ولفظهم جميعاً « الأرواح جنود . . . » .

(٤) البيتان في ديوان أبي نواس ص(٤٢٢) .

(٥) في الأصول : ثم « سعد بن عبادة » ، ولا يستقيم به وزن البيت .

(٦) كذا روى الخبر والأبيات الخطيب البغدادي في تاريخه (٧/ ٤٣٨) ، ولم نجد الأبيات في ديوان أبي نواس ، وهي في ديوان محيي الدين بن عربي ص(٣٩١) بألفاظ مقاربة وزيادة ، وهي :

حدّث الشيخُ أبونا ... عـن أبيـه عـن قتـادَهْ

عـن عطاءِ بـنِ يسـارٍ ... عـن سعيـد بـن عُبَادَهْ

إنَّ مـنْ مـات محبّـاً ... فلـه أجـرُ الشهـادَهْ

ثم قد جاء بأخرى ... مثـلَ هـذا وزيـادَهْ

عن فُضيلِ بنِ عياضٍ ... وهو من أهل الزيادَهْ

إنَّ مـنْ مـات خليّـاً ... كـانـتِ النار مِهـادَهْ

فقال له عبدُ الواحد : قُمْ عَنِّي يا فاجر ، لا حدَّثْتُكَ ولا حدَّثْتُ أحداً من هؤلاءِ من أجلِك . فبلغ ذلك مالكَ بنَ أنس وإبراهيمَ بن أبي يحيى ، فقالا : كان ينبغي أن يُحدِّثَه ، لعلَّ الله أن يُصْلِحَه . قلت : وهذا الذي أنشَدَهُ أبو نُواس في شعره قد رواهُ ابنُ عديٍّ في كامِلِه عن ابن عباس موقوفاً ومرفوعاً « منْ عَشِقَ فعَفَّ فكتَمَ فماتَ ماتَ شهيداً »[١] .

ومعناه : أنَّ منِ ابتُلي بالعِشْقِ من غيرِ اختيارٍ منه فصَبَرَ ، وعَفَّ عن الفاحشة ، ولم يُفشِ ذلك ، فماتَ بسبب ذلك حَصَل له أجرٌ كثير . فإنْ صَحَّ هذا كان ذلك له نوع شهادة . والله أعلم .

وروى الخطيبُ أيضاً[٢] ، أنَّ شُعبة لَقِيَ أبا نواس فقال له : حدِّثْنا من طُرَفِك . فقال مرتجلاً[٣] :

حدثنا الخفَّافُ عن وائلٍ — وخالدُ الحذَّاءُ عن جابِرِ
ومِسْعرٌ عن بعضِ أصحابه — يرفعُهُ الشيخُ إلى عامِرِ
قالوا جميعاً : أيُّما طَفْلَةٍ[٤] — عُلِّقَها ذو خُلُقٍ طاهرِ
فواصلَتْهُ ثم دامَتْ لهُ — على وِصَالِ الحافِظِ الذاكرِ
كانت له الجنة مفتوحةً — يَرْتعُ في مرتَعِها الزاهرِ
وأيُّ مَعْشوقٍ جَفَا عاشقاً — بعدَ وِصَالٍ دائمٍ ناضِرِ
ففي عذابِ الله بُعداً له — نَعَمْ وسُحقٍ دائمٍ داخِرِ

فقال له شعبة : إنك لجميل الأخلاق ، وإني لأرجو لك .

وأنشد أبو نُواس أيضاً :

يا ساحرَ المُقْلَتَيْنِ والجيدِ — وقاتِلي منكَ بالمواعيدِ
تُوعِدُني الوَصْلَ ثم تُخْلِفُني — فلا تَفي منه لي بمَوْعُودي[٥]

---

(١) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١١/ ٢٩٧) ، وابن حبان في كتاب المجروحين (١/ ٣٥٢) (٤٥٦) ، وعده بعضُهم من الموضوعات ، وانتصر له آخرون ، وانظر نقد المنقول لمحمد بن أبي بكر الزرعي ص(١٣٢) (٢٢٤) ، والمنار المنيف ص(١٤٠) (٣٢١) ، وكشف الخفا (٢/ ٣٤٥ ، ٣٤٦) ، وفيض القدير (٦/ ١٨٠) ، فهو حديث غير صحيح .

(٢) في تاريخ بغداد (٧/ ٤٣٩) .

(٣) في (ق) : تحولت الأبيات إلى نثر ، وربما ضلَّلتْ كتابتها نثراً جامعي ديوان أبي نواس ، فلم يثبتوها فيه .

(٤) « الطَّفْلة » : الجارية الرَّخْصةُ الناعمة . لسان العرب (طفل) .

(٥) في (ق) : « ويلاي من خلفك موعودي » ؛ وفي (ب ، ح) : « فوابلائي من مخلف موعودي » ؛ وبكلا الروايتين لا يستقيم وزن البيت من المنسرح ، والمثبت من تاريخ جرجان ص(٥١١) .

حدَّثني الأزْرَقُ المحدِّثُ عن ... شِمْرٍ وعَوْفٍ عن ابنِ مسعودِ[١]

ما يُخْلِفُ الوَعْدَ غيرُ كافرةٍ ... وكـافِرٍ فـي الجحيـمِ مَصْفُـودِ

فبلغ ذلك إسحاق بن يوسف الأزرق فقال : كذَبَ عدوُّ الله عليَّ وعلى التابعين ، وعلى أصحابِ محمدٍ ﷺ .

وعن سُليم بن منصور بن عمار ، قال : رأيتُ أبا نُوَاس في مجلس أبي يبكي بكاءً شديداً ، فقلت : إني لأرجو أنْ لا يُعذِّبَكَ الله بعدَ هذا البكاء . فأنشأ يقول :

لم أبكِ في مجلسِ مَنْصُورِ ... شَـوْقـاً إلـى الجنَّـةِ والحُـورِ

ولا مِـنَ القَبْـرِ وأهـوالِـهِ ... ولا مـن النَّفْخَـةِ فـي الصُّـورِ

ولا مـنَ النـارِ وأغـلالِهـا ... ولا مِـنَ الخِـذْلانِ والجَـوْرِ

لكـنْ بُكـائـي لبُكـا شـادنٍ ... تَقيـه نفسـي كـلَّ مَحْـذورِ[٢]

ثم قال : إنما بكيتُ لبكاء هذا الأمردِ الذي إلى جانبِ أبيك . وكان صبيّاً حسنَ الصورة ، يسمعُ الوَعْظَ فيبكي خوفاً منَ الله عزَّ وجلَّ .

قال أبو نواس : دعاني يوماً بعضُ الحاكَةِ وألَحَّ عليَّ ليُضِيفني في مَنْزِله ، ولم يزلْ بي حتى أجبتُه ؛ فسار إلى مَنْزله وسرتُ معه ، فإذا مَنْزلٌ لا بأسَ به ، وقد احتفَلَ الحائكُ في الطعام ، وجمع جمعاً من الحُيَّاك ، فأكلنا وشربنا ، ثم قال : يا سيدي أشتهي أنْ تقولَ في جاريتي شيئاً من الشعر ـ وكان مُغرَماً بجاريةٍ له ـ قال : فقلت : أرنيها حتى أنظمَ على شكلِها وحُسْنِها . فكشف عنها فإذا هي أسْمجُ خَلْقِ اللهِ وأوحَشُهم ، سوداء ، شَمْطاء ، ديدانيَّة[٣] ، يسيلُ لُعابُها على صدرها ، فقلت لسيدها : ما اسمُها ؟ فقال : تسنيم . فأنشأتُ أقول :

أسهَـرَ ليلـي حُـبُّ تَسْنِيـمِ ... جـاريـةٍ فـي الحُسْـنِ كـالبُـومِ

كـأنَّمـا نَكْهَتُهـا كـامـخٌ ... أو حُـزمـةٌ مـن حُـزَمِ الثُّـومِ

ضرَطَتْ من حُبِّي لها ضَرْطَةً ... أفـزَعَـتْ منهـا مَلِـكَ الـرُّومِ

---

(١) في تاريخ جرجان : « ... عن عمرو بن شمر عن ابن مسعود » ، وفي (ق) : « ... عن شهر وعوف عن ابن مسعود » . والمثبت من (ب ، ح) . ولم نجد هذه الأبيات في ديوان أبي نواس المطبوع .

(٢) البيت الأول والأخير في ديوان أبي نواس ص(٣٠١) . أما الثاني والثالث فلا وجود لهما فيه ، وتفردت (ق) بالبيت الثالث إذ سقط من (ب ، ح) ، وتاريخ بغداد (٧/ ٤٣٩) ، والخبر فيه .

(٣) كذا في (ق) ، وفي (ب) : دندانية ، وهي غير معجمة في (ح) ، ولم أقف على معناها ، ولا على مصدر يذكر الخبر أو الشعر . ولعلّه نسَبَها إلى الدُّود .

قال : فقام الحائكُ يرقُصُ ويصفِّقُ سائرَ يومِه ، ويفرَحُ ويقول : إنه شبَّهها والله بمَلِك الرُّوم . ومن شعرِهِ أيضاً :

أبْرَمني الناسُ يقولونَ تُبْ بِزَعْمِهِمْ كَثُرَتْ أوْزَارِيَهْ[1]
إنْ كنتُ في النارِ وفي جنَّةٍ ماذا عليكم يا بني الزَّانِيَهْ

وبالجملة ، فقد ذكروا له أموراً كثيرةً ومجوناً وأشعاراً مُنكرة ؛ وله في الخمريات والقاذورات والتشبيب بالمُرْدانِ والنِّسوان أشياءُ بشعةٌ شَنيعة . فمن الناس منْ يُفَسِّقُه ويَرْميهِ بالفاحشة ؛ ومنهم من يرميه بالزَّنْدَقة ؛ ومنهم من يقول : كان إنما يخرب على نفسه . والأول أظهر ، لمَا في أشعارِهِ . فأمَّا الزندقةُ فبعيدةٌ عنه ، ولكنْ كان فيه مُجون وخلاعةٌ كثيرة . وقد عزَوْا إليه في صِغَرِه وكِبَرِه أشياء مُنكرَة ، الله أعلمُ بصِحَّتِها . والعامَّةُ تنقلُ عنه أشياء كثيرةً لا حقيقةَ لها . وفي صحنِ جامعِ دمشق قُبَّةٌ يَفُورُ منها الماء ، يقولُ الدماشقة : قبة أبي نُواس ، وهي مبنيَّةٌ بعدَ موتِهِ بأزيَدَ من مئةٍ وخمسين سنة ؛ فما أدري لأيِّ شيءٍ نُسبَتْ إليه ، فالله أعلمُ بِهذا .

وقال محمد بن أبي عمير : سمعتُ أبا نُواسٍ يقول : والله ما فتحتُ سراويلي لِحَرامٍ قَطّ .

وقال له محمدٌ الأمينُ بنُ الرشيد : أنتَ زِنْديق . فقال : يا أمير المؤمنين ، لستُ بِزِنديق ، وأنا أقول :

أُصلِّي الصلاةَ الخمسَ في حينِ وقتِها وأشهدُ بالتوحيدِ للهِ خاضعا
وأُحسنُ غُسْلي إنْ ركبتُ جَنابةً وإنْ جاءني المسكينُ لم أكُ مانعا
وإنِّيَ إنْ حانتْ من الكاسِ دعوةٌ إلى بيعةِ الساقي أجبتُ مسارعا
وأشْرَبُها صِرْفاً على جَنْبِ ماعزٍ وجَدْيٍ كثيرِ الشَّحْمِ أصبح راضعا
وجُوذابِ حُوَّارَى ولَوْزٍ وسُكَّرٍ وما زال للخمَّارِ ذلك نافعا
وأجعَلُ تَخْليطَ الروافِضِ كلِّهم لِفَقْحةِ بَخْتَيْشُوعَ في النار طائعا

فقال له الأمين : ويحك ! وما الذي ألجأك إلى فَقْحةِ بَخْتَيشُوع ؟ فقال : به تَمَّتِ القافية . فأمَرَ له بجائزة . وبَخْتَيشوعُ الذي ذكرَهُ هو طبيبُ الخلفاء .

وقال الجاحظ : لا أعرفُ في كلام الشعراءِ أرَقَّ ولا أحسَنَ من قولِ أبي نُواس حيث يقول :

أيَّةُ نارٍ قَدَحَ القادِحُ وأيُّ جِدٍّ بلَغَ المازِحُ

---

(١) ليس الشعر في ديوان أبي نواس ، وفي (ح ، ق) : « يقولون بزعمهم » ، وفي (ب) : « تب عمهم » . وما أثبتُّه أشبه بالصواب وزناً ومعنى .

لله دَرُّ الشَّيبِ من واعظٍ ... وناصحٍ لو حَذِرَ[١] الناصحُ
يأبى الفتى إلَّا اتباعَ الهوى ... ومَنْهَجُ الحَقِّ لَهُ واضِحُ
فاسْمُ بعَيْنَيْكَ إلى نِسْوَةٍ ... مُهورُهُنَّ العمَلُ الصَّالِحُ
لا يَجْتَلي الحوراءَ في خِدْرِها ... إلَّا امرؤٌ ميزانُهُ راجِحُ
مَنِ اتَّقَى الله فذاكَ الذي ... سِيقَ إليه المَتْجرُ الرابحُ
فاغْدُ فما في الدِّين أُغْلوطةٌ ... ورُحْ لما أنتَ لَهُ رائحُ[٢]

وقد استنشَدَهُ أبو هَفَّان قصيدَتَهُ التي في أوَّلِها : « لا تنس ليلى ولا تطرب إلى هند »[٣] . فلما فرَغَ منها سجَد له أبو هَفَّان ، فقال له أبو نُواس : واللهِ لا أُكَلِّمُكَ مُدَّةً . قال : فغَمَّني ذلك ، فلما أردتُ الانصراف قال : متى أراك ؟ فقلت : ألم تُقسِمْ ؟ فقال : الدهرُ أقصرُ من أنْ يكونَ معه هَجْر .

ومن مُستجادِ شعرِه قولُه :

ألا رُبَّ وَجْهٍ في التُّرابِ عَتِيقِ ... ويا رُبَّ حُسْنٍ في التُّرابِ رَقيقِ
ويا رُبَّ حَزْمٍ في التُّرابِ ونَجْدَةٍ ... ويا رُبَّ رأيٍ في التُّرابِ وَثيقِ
فقُلْ لِقَريبِ الدارِ إنك ظاعِنٌ ... إلى سَفَرٍ نائي المَحلِّ سَحِيقِ
أرى كلَّ حَيٍّ هالكاً وابنَ هالكٍ ... وذا نَسَبٍ في الهالكينَ عَريقِ
إذا امتَحَنَ الدنيا لَبيبٌ تكشَّفَتْ ... له عن عدوٍّ في لباسِ صَدِيقِ[٤]

وقوله :

لا تشرَهَنَّ فإنَّ الذُّلَّ في الشَّرَهِ ... والعِزُّ في الحِلْمِ لا في الطَّيْشِ والسَّفَهِ
وقُلْ لِمُغْتَبِطٍ في التِّيهِ من حُمُقٍ ... لو كنتَ تعلَمُ ما في التِّيهِ لم تَتِهِ
التِّيهُ مَفْسَدةٌ للدِّينِ مَنْقَصَةٌ ... للعقلِ مَهْلَكةٌ للعِرْضِ فانتَبِهِ[٥]

وجلس أبو العتاهية القاسم بن إسماعيل على دُكَّانِ ورَّاق ، فكتب على ظهر دفترٍ هذه الأبيات :

أيا عجباً كيف يُعْصَى الإلـ ... ـهُ أمْ كيف يَجْحَدُهُ الجاحِدُ

---

(١) في (ق) : « خطىء » ، وفي الديوان : « سمع » ، والمثبت من (ب ، ح) .
(٢) الأبيات في ديوان أبي نواس ص(١٧٥) .
(٣) كذا في (ب ، ح) ، وفي (ق) : « لا تنس ليلى ولا تنظر إلى هند » . والقصيدة في ديوان أبي نواس ، ومطلعها :
لا تَبْكِ ليلى ولا تطرَبْ إلى هندِ ... واشرَبْ على الوَرْدِ من حَمْرَاءَ كالوَرْدِ
(٤) الأبيات في ديوان أبي نواس ص(٤٦٥) .
(٥) لم أجد الأبيات في ديوان أبي نواس المطبوع .

وفـي كـلِّ شـيءٍ لَـهُ آيـةٌ تَـدُلُّ علـى أنَّـهُ واحِـدُ
وللهِ فـي كـلِّ تَسْكِينـةٍ وتَحْرِيكـةٍ أبـداً لـه شـاهدُ[١]

ثم جاء أبو نُواس فقرأها ، فقال : أحسَنَ قاتَلَهُ الله ، والله لوَدِدْتُ أنَّها لي بجميع شيءٍ قلتُه ؛ لِمَنْ هذه ؟ قيل له : لأبي العتاهية . فأخذ الدفترَ فكتَبَ في جانبِها :

سبحـانَ مـنْ خَلَـقَ الخَلْـ ـقَ مِـنْ ضَعيـفٍ مَهيـن
يَسـوقُـهُ مـن قَـرَارٍ إلـى قـرارٍ مَكِيـنِ
يَحُـورُ شيئـاً فشيئـاً فـي الحُجْـبِ دون العيـونِ
حتـى بَـدَتْ حَـرَكـاتٌ مَخْلـوقَـةٌ مـن سُكُـونِ[٢]

ومن شعرِهِ المستجاد قولُه :

انقضَـتْ شِـرَّتـي فعِفْـتُ المـلاهـي إذْ رَمَـى الشَّيبُ مَفْرِقـي بـالـدَّوَاهـي
ونَهَتْنـي النُّهَـى فمِلْـتُ إلـى العَـدْ لِ وأشْفَقْـتُ مـن مَقـالـةِ نـاهـي
أيُّهـا الغـافِـلُ المُقِـرُّ علـى السَّهْـ ـوِ ولا عُـذْرَ فـي المعـادِ لِسَـاهـي
لا بـأعمـالِنـا نُطيـقُ خـلاصـاً يـومَ تَبْـدو السمـاءُ فـوقَ الجِبَـاهِ
غيـرَ أنَّـا علـى الإسـاءةِ والتَّفْـ ـريطِ نرجو من حُسْنِ عَفْوِ الإلَهِ[٣]

وقوله :

نمـوتُ ونَبْلَـى غيـرَ أنَّ ذنـوبَنـا إذا نحـن مِتنـا لا تمـوتُ ولا تَبْلَـى
ألا رُبَّ ذي عينَيْـنِ لا تنفعـانِـهِ وما تنفَعُ العينانِ مَنْ قلبه أعمَى[٤]

وقوله :

لـو أنَّ عينـاً أوْهَمَتْهـا نفسُهـا يـومَ الحسـابِ ممثَّـلاً لـم تَطْـرِفِ
سبحـانَ ذي الملَكُـوتِ أيَّـةُ ليلـةٍ مخضَـتْ صبيحتهـا بيـوم المَـوْقِـفِ
كتـب الفنـاءَ علـى البـريَّـةِ ربُّهـا فـالنـاسُ بيـن مقـدَّمٍ ومُخلَّـفِ[٥]

وذُكر أنَّ أبا نُواس لَمَّا أراد الإحرامَ بالحجِّ قال :

---

(١) الأبيات في ديوان أبي العتاهية ص(١٢٢) ، وهي في ديوان لبيد بن ربيعة ص(٢٣١) .
(٢) الأبيات في ديوان أبي نواس ص(٦٦٦) .
(٣) الأبيات في ديوان أبي نواس ص(٦٨٨) .
(٤) لم أجد البيتين في ديوان أبي نواس المطبوع ، وهي في تاريخ ابن عساكر (١٣/ ٤٥٤) .
(٥) لم أجد الأبيات في ديوان أبي نواس ، والبيتان الأول والثاني في ديوان أبي العتاهية ص(٢٧٦) .

إلَهنا ما أعْدَلَكْ مَليكَ كُلِّ مَنْ ملَكْ

لَبّيْكَ قد لَبّيْتُ لك

لبّيْكَ إنَّ الحمدَ لكْ والمُلْكَ لا شَريكَ لَكْ

عبدُكَ قدْ أهَلَّ لكْ ما خَابَ عبدٌ سألَكْ

أنتَ لَهُ حيثُ سَلَكْ لولاك يا ربُّ هَلَكْ

لَبّيْكَ إنَّ الحمدَ لكْ وَالمُلْكَ لا شَريكَ لَكْ

واللّيْلُ لَمَّا أنْ حَلَكْ والسابحاتُ في الفَلَكْ

على مَجاري المُنْسَلَكْ كلُّ نبيٍّ ومَلَكْ

وكُلُّ مَنْ أهَلَّ لكْ سَبَّحَ أو صَلَّى فَلَكْ

لبّيْكَ إنَّ الحمدَ لكْ والمُلْكَ لا شَريكَ لَكْ

يا مُخْطئاً ما أغْفَلَكْ عَصَيْتَ رَبّاً عَدَلَكْ

وأقْدرَكْ وأمْهَلَكْ عَجِّلْ وبادِرْ أمَلَكْ

واختِمْ بخيرٍ عَمَلَكْ

لبّيْكَ إنَّ الحمدَ لكْ والمُلْكَ لا شَريكَ لَكْ[(١)]

وقال المعافَى بنُ زكريَّا الجَريريّ ، حدّثنا محمد بن العباس بن الوليد ، سمعتُ أحمد بن يحيى بن ثعلب يقول : دخلتُ على أحمد بنِ حنبل ، فرأيتُ رجلاً تَهُمُّه نفسُه ، لا يُحبُّ أنْ يُكثر عليه ، كأنَّ النيرانَ قد سُعِرَتْ بين يديه ، فما زلتُ أترفَّقُ به ، وتوسَّلتُ إليه أني من موالي شيبان ، حتى كلَّمني فقال : في أيِّ شيءٍ نظَرْتَ من العلوم ؟ فقلت في اللُّغةِ والشِّعر . قال : رأيتُ بالبصرةِ جماعةً يكتبونَ عن رجلٍ الشعر ، قيل لي : هذا أبو نُوَاس فتخلَّلْتُ الناسَ ورائي ، فلما جلستُ إليه أمْلَى علينا :

إذا ما خلَوْتَ الدهرَ يوماً فلا تَقُلْ خلَوْتُ ولكنْ في الخلاءِ رقيبُ

ولا تحسبنَّ الله يغفُلُ ساعةً ولا أنَّ ما يَخْفَى عليه يَغيبُ

لَهَوْنا لَعَمْرُ اللهِ حتى تتابَعَتْ ذُنوبٌ على آثارِهنَّ ذُنوبُ

فيا لَيْتَ أنَّ الله يَغفِرُ ما مَضَى ويأذنُ في تَوْباتِنا فنَتُوبُ[(٢)]

---

(١) الأبيات في ديوان أبي نواس ص(٤٨١) ، وقد سقط منها بضعة أبيات ، وكذا سقط من بعض الأصول ، فأثبتُّ ما جاء فيها جميعاً . وهي مع الخبر في تاريخ ابن عساكر (١٣/ ٤٥٤ ، ٤٥٥) .

(٢) الأبيات الثلاثة الأولى في ديوان أبي نواس ص(١٠٣) ، والأربعة جميعاً في ديوان أبي العتاهية ص(٣٤) وفيها زيادة .

وزاد بعضُهم[١] في روايةٍ عن أبي نُواس بعدَ هذه الأبيات :

أقولُ إذا ضاقَتْ عليَّ مذاهبي ... وحلَّتْ بقلبي للهُموم نُدُوبُ
لِطُولِ جِنَاياتي وعُظْمِ خَطِيئتي ... هَلَكْتُ ومالي في المتابِ نَصيبُ
وأغرَقُ في بَحرِ المخافَةِ آيساً ... وتَرْجِعُ نفسي تارةً فتتوبُ
وتذكُرُ عفواً للكريم عن الورَى ... فأحْيَا وأرجو عَفْوَهُ فأُنيبُ
وأخضَعُ في قولي وأرغَبُ سائلاً ... عَسَى كاشفُ البَلْوَى عليَّ يتوبُ

قال ابنُ طَرَارا[٢] الجَرِيري : وقد روَيْتُ هذه الأبيات لِمَنْ قبلَ أبي نُواس ، وهي في زُهْدِيَّاتِه ؛ وقد استشهَدَ بها النُّحَاة في أماكنَ كثيرة قد ذكَرْناها .

وقال حسنُ بن الدايَة : دخلتُ على أبي نواس وهو في مرَضِ الموت فقلت : عِظْني . فأنشأ يقول :

فكَثِّرْ ما استطعتَ من الخطايا ... فإنك لاقياً رَبّاً غفورا
ستبصِرُ إنْ وردتَ عليه عَفْواً ... وتَلْقَى سيِّداً مَلِكاً قديرا
تعضُّ ندامَةً كفَّيْكَ مِمَّا ... تركتَ مخافةَ النارِ الشُّرورا[٣]

فقلت : ويحك ، وبمثلِ هذا الحالِ تَعِظُني بهذه الموعظة ! ، قال : اسكُتْ . حدّثنا حمادُ بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : قال ﷺ : « ادَّخَرْتُ شفاعتي لأهلِ الكبائرِ مِنْ أُمَّتي »[٤] .

وقد تقدَّمَ له بهذا الإسناد عنه : « لا يموتَنَّ أحدُكم إلَّا وهو يُحسنُ الظنَّ بالله »[٥] .

وقال الربيع وغيرُه ، عن الشافعيِّ قال : دخَلْنا على أبي نُوَاس في اليوم الذي مات فيه وهو يَجودُ بنفسِهِ ، فقلنا : ما أعدَدْتَ لهذا اليوم ؟ فأنشأ يقول :

تَعاظَمَني ذَنبي فلمَّا قَرَنْتُهُ ... بعَفْوِكَ ربي كان عَفْوكَ أعظَما
وما زلتَ ذا عَفْوٍ عن الذنبِ لم تزَلْ ... تَجودُ وتعفو مِنَّةً وتكرُّما
ولولاك لم يَغْوَ بإبليس عابدٌ ... وكيف وقد أغْوَى صَفِيَّكَ آدَما

---

(١) هو ابن عساكر في تاريخه تاريخ مدينة دمشق (١٣/ ٤٥٦ ، ٤٥٧) .
(٢) في (ق) : طراز ، وفي (ب ، ح) طرار . وكلاهما تصحيف ، والمثبت مما مضى في حاشية ص(٧) من نسخة (ق) . وهو المعافى بن زكريا الذي سبق ذكره آنفاً .
(٣) الأبيات في ديوان أبي نواس ص(٣٠٧) بألفاظ مقاربة .
(٤) انظر تخريج الحديث في حاشية الصفحة(٥١٧) رقم (٥) .
(٥) تقدم تخريجه في حاشية الصفحة (٥١٧) رقم (٣) .

رواه ابنُ عساكر[١] . وروى[٢] أنهم وجدوا عند رأسِهِ رُقعةً مكتوباً فيها بخطِّهِ :

يا رَبِّ إنْ عَظُمَتْ ذُنوبي كثرةً فلقد علمتُ بأنَّ عَفوَكَ أعظَمُ
أدعوكَ رَبِّ كما أمَرْتَ تضرُّعاً فإذا ردَدْتَ يدي فمنْ ذا يَرْحمُ
إنْ كان لا يرجوكَ إلَّا مُحسنٌ فمَنِ الذي يَرْجو المسيءُ المُجْرِمُ
ما لي إليك وسيلةٌ إلَّا الرجا وجميلُ عَفوِكَ ثم أنِّي مُسْلِمُ[٣]

وقال يوسف بن الداية : دخلتُ عليه وهو في السِّيَاق ، فقلت : كيف تَجِدُك ؟ فأطرَقَ مَلِيّاً ، ثم رفع رأسه فقال :

دَبَّ فيَّ الفناءُ سُفْلاً وعُلْواً وأُراني أموتُ عُضْواً فعُضْوَا
ليس تأتي من ساعةٍ بِيَ إلَّا نَقَصَتْني بمرِّها بِيَ جُزْوَا
ذهبَتْ جِدَّتي بِلَذَّةِ عَيْشي وتذكَّرْتُ طاعةَ اللهِ نِضْوَا[٤]
قد أسأنا كُلَّ الإساءةِ فاللَّـ ـهُمَّ صَفْحاً عنَّا وغَفْراً وعَفْوَا[٥]

ثم ماتَ من ساعتِه . سامَحَنا الله وإياه آمين .

وقد كان نقشُ خاتمِهِ : لا إله إلا الله مُخلِصاً . فأوصَى أنْ يُجعَلَ في فَمِه إذا غسَّلوه ؛ ففعلوا به ذلك . ولما مات لم يجدوا له من المال سوى ثلاثمئةِ درهم ، وثيابِه وأثاثِه . وقد كانتْ وفاتُه في هذه السنةِ ببغداد ، ودُفن في مقابرِ الشُّونيزيّ ، في تلِّ اليهود ، وله خمسون سنة ، وقيل ستون سنة ، وقيل تسع وخمسون سنة . وقد رآه بعضُ أصحابِه في المنامِ فقال له : ما فعلَ الله بك ؟ فقال : غفَرَ لي بأبياتٍ قلتُها في النَّرْجِس :

تفكَّرْ في نباتِ الأرضِ وانظُرْ إلى آثارِ ما صَنَعَ المَليكُ
عيونٌ من لُجَيْنٍ شاخصاتٌ بأبصارٍ هي الذهَبُ السَّبيكُ
على قُضُبِ الزَّبَرْجَدِ شاهداتٌ بأنَّ الله ليس له شَريكُ[٦]

---

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (١٣/ ٤٥٨) .
(٢) المصدر السابق (١٣/ ٤٦١) .
(٣) الأبيات في ديوان أبي نواس ص(٣٠٧) . وهي أيضاً مع الخبر في تاريخ ابن عساكر كما أشرنا في الحاشية السابقة .
(٤) النِّضو بالكسر : البَعير المهزولِ وقيل : هو المهزول من جميعِ الدوابِ وهو أكثر ، والجمع أنضاءِ وقد يُستعمل في الإنسان . لسان العرب (نضو) .
(٥) الخبر والأبيات في تاريخ ابن عساكر (١٣/ ٤٦٠ ، ٤٦١) . وهي في ديوان أبي نواس ص(٦٩١) .
(٦) الخبر والأبيات في تاريخ ابن عساكر (١٣/ ٤٦٥) ، ولم نجدها في ديوان أبي نواس .

وفي روايةٍ عنه أنه قال: غفَرَ لي بأبياتٍ قلتُها وهي تحت وسادتي. فجاؤوا، فوجدوها برُقْعةٍ في خَطِّه:

يا ربِّ إنْ عَظُمتْ ذُنوبي كثرةً فلقد علمتُ بأنَّ عَفْوَكَ أعظَمُ

الأبيات وقد تقدَّمَتْ[١] .

وفي روايةٍ لابنِ عساكر[٢] : قال بعضُهم : رأيتُه في المنام في هيئةٍ حسنة ، ونعمةٍ عظيمة ، فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفَرَ لي . قلت : بماذا وقد كنتَ مُخَلِّطاً على نفسِك ؟ فقال : جاء ذاتَ ليلةٍ رجلٌ صالِحٌ إلى المقابر ، فبسط رداءه وصلَّى ركعتين ، قرأ فيهما ألفَيْ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ثم أهدى ثوابَ ذلك لأهلِ تلك المقابر ، فدخلتُ أنا في جُملتِهم ، فغفر الله لي .

وقال ابنُ خَلِّكان[٣] : أولُ شعرٍ قاله أبو نُواس لما صحب أبا أُسامة والِبَة بنَ الحُبَاب :

حامِلُ الهوَى تعِبُ يَسْتَخِفُّهُ الطَّرَبُ
إنْ بكَى يحِقُّ لَهُ ليس ما بِهِ لَعِبُ
تضحكين لاهِيَةً والْمُحِبُّ يَنْتَحِبُ
تعجبينَ من سَقَمي صِحَّتي هي العَجَبُ[٤]

وقال المأمون : ما أحسنَ قولَه :

وما الناسُ إلا هالِكٌ وابنُ هالِكٍ وذو نَسَبٍ في الهالِكينَ عَريقِ
إذا امتحنَ الدنيا لبيبٌ تكشَّفَتْ له عن عدوٍّ في لباسِ صديقِ[٥]

قال ابن خَلِّكان[٦] : وما أشدَّ رجاءه بربِّه حيثُ يقول :

تكَثَّرْ ما استطعتَ من الخطايا فإنك لاقياً رَبّاً غفورا
ستبصرُ إنْ وردتَ عليه عَفْواً وتَلْقَى سيِّداً مَلِكاً كبيرا
تعَضُّ ندامةً كفَّيْكَ مِمَّا تركتَ مخافةَ النارِ الشُّرورا[٧]

---

(١) في الصفحة السابقة .
(٢) تاريخ ابن عساكر (١٣/ ٤٦٥) .
(٣) في وفيات الأعيان (٢/ ٩٥) ، وفيه الخبر مطول .
(٤) الأبيات في ديوان أبي نواس ص(٥١) ، وفيه بيت خامس وهو :
كُلَّما انقَضَى سببٌ مِنْكِ عادَ لي سَبَبُ
(٥) البيتان في ديوان أبي نواس ص(٤٦٥) ، بألفاظ مقاربة .
(٦) في وفيات الأعيان (٢/ ٩٦) ، بنحوه .
(٧) الأبيات في ديوان أبي نواس ص(٣٠٧) بألفاظٍ مقاربة ، وقد تقدمت في الصفحة السابقة .

ثم دخلت سنة ست وتسعين ومئة

فيها تُوفي أبو معاوية الضرير محمد بن خازم ، أحد مشايخِ الحديث الثقاتِ الرُّفَعاءِ المشهورين . والوليد بن مسلم الدمشقي تلميذُ الأوزاعي .

وفيها حَبَس محمدٌ الأمينُ أسَد بن يزيد لأجلِ أنه نَقَم على الأمينِ لَعِبَهُ وَتَهاوُنَه في أمرِ الرعيَّة ، وارتكابَهُ للصيد وغيرِهِ في هذا الوقت .

وفيها وجَّهَ الأمينُ عمَّهُ أحمد بن مزيد ، وعبدَ الله بن حُميد بن قَحْطَبة ، في أربعين ألفاً ، مع كلِّ واحدٍ منهما عشرون ألفاً إلى حُلْوان لقتالِ طاهرِ بنِ الحُسين أمير الحرب من جهةِ المأمون ؛ فلما وصلوا إلى قريبٍ من حُلْوان خندقَ طاهرٌ على جيشِه خندقاً ، وجعل يُعملُ الحيلةَ في إيقاعِ الفتنة بين الأميرَيْن ، فاختلفا ، فرجعَا ولم يقاتلاه ، ودخل طاهرٌ إلى حُلْوان ؛ وجاءه كتابُ المأمون بتسليمِ ما تحتَ يدِهِ إلى هَرْثمةَ بنِ أعيَن ، وأن يتوجَّهَ هو إلى الأهواز ؛ ففعل ذلك .

وفيها رفع المأمون وزيرَهُ الفضلَ بن سَهْل وولَّاهُ أعمالاً كباراً ، وسمَّاهُ ذا الرِّيَاسَتَيْن .

وفيها ولَّى الأمينُ نيابةَ الشام لعبدِ الملك بن صالح بن علي ، وقد كان أخرجه من سجنِ الرشيد ، وأمرَهُ أنْ يبعثَ له رجالاً وجنوداً لقتالِ طاهرٍ وهَرْثمة ؛ فلمَّا وصلَ عبدُ الملك بن صالح إلى الرقَّة أقامَ بها ، وكتبَ إلى رؤساء الشام ، يتألَّفهم ويدعوهم إلى الطاعة ، فقَدِمَ عليه منهم خلقٌ كثير ، ثم وقعَتْ حروبٌ كان مَبْدَؤها من أهلِ حمص ؛ وتفاقم الأمر ، وطال القتالُ بين الناس ، ومات عبدُ الملك بن صالح هنالك ؛ فرجع الجيشُ إلى بغداد صحبةَ الحسين بن علي بن ماهان ، فتلقَّاهُ أهلُ بغدادَ بالإكرام ، وذلك في شهر رجب من هذه السنة ؛ فلما وصل إليها جاء رسولُ الأمين يطلُبُه ، فقال : واللهِ ما أنا بمُسامِرٍ ولا مُضحِك ، ولا وَليتُ له عملاً ، ولا جاء له[1] على يدي مال ، فلماذا يطلُبني في هذه الليلة ؟ .

سبب خلع الأمين بن زُبيدة وكيف أفضَتِ الخلافةُ إلى أخيه المأمون

لما أصبح الحسين بن علي بن ماهان ولم يذهبْ إلى الأمين لمَّا طلبه ، وذلك بعد مَقْدَمِهِ بالجيش من الشام قام في الناس خطيباً وألَّبهم على الأمين ، وذكر لَعِبه وما يتعاطاهُ من اللَّهْو وغير ذلك من المعاصي ، وأنه لا تصلُحُ الخلافةُ لمنْ هذا حالُه ، وأنه يُريد أنْ يُوقع البأسَ بين الناس ، ثم حثَّهم على القيامِ عليه ، والنهوض إليه ، ونَدَبهم لذلك ؛ فالتفَّ عليه خلقٌ كثير ، وجمٌّ غفير ، وبعث محمدٌ الأمين إليه خيلاً فاقتتلوا مَلِيّاً من النهار ، فأمر الحسينُ أصحابَهُ بالترجُّل إلى الأرض ، وأنْ يُقاتلوا بالسيفِ والرِّماح ، فانهزم

---

(١) في (ق) : « ولا جبى » وفي تاريخ الطبري (٥/ ٦٤) : « ولا جرى له » ، والمثبت من (ب ، ح) .

جيشُ الأمين ؛ وخلعَه ، وأخذَ البيعةَ لعبدِ الله المأمون ، وذلك يوم الأحد الحادي عشرَ من شهرِ رجب من هذه السنة . ولما كان يومُ الثلاثاء نقل الأمين من قصرِهِ إلى قصرِ أبي جعفر وسطَ بغداد ، وضيَّق عليه وقيَّده واضطهده ، وأمر العباسُ بن عيسى بن موسى أمَّه زُبيدة أن تنتقلَ إلى هناك ، فامتنعَتْ ، فضربَها[1] بالسَّوْط ، وقهرَها على الانتقال ، فانتقلت مع أولادِها ، فلما أصبح الناسُ يومَ الأربعاء طلبوا من الحسين بن علي أُعطيَاتِهم ، واختلفوا عليه ، وصار أهلُ بغدادَ فِرْقَتَيْن ؛ فِرقةٌ مع الأمين ، وفرقةٌ عليه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فغلب حِزْبُ الخليفةِ أولئك ، وأسَروا الحسينَ بن عليّ بن عيسى بن ماهان ، وقيَّدوه ، ودخلوا به على الخليفة ، ففكُّوا عنه قيودَه ، وأجلسوهُ على سريرِه ؛ فعند ذلك أمَرَ الخليفةُ منْ لم يكنْ معه سلاحٌ من العامَّة أنْ يُعْطى سلاحاً من الخزائن ، فانتهبَ الناسُ الخزائنَ التي فيها السلاحُ بسببِ ذلك ؛ وأمر الأمينُ ، فأُتي بالحسين بنِ عليٍّ بن عيسى ، فلامَهُ على ما صدَرَ منه ، فاعتذر إليه بأنَّ عفوَ الخليفةِ حَمله على ذلك . فعفَا عنه وخلَعَ عليه واستوزَرَه وأعطاه الخاتم ، وولَّاهُ ما وراءَ بابه ، وولَّاهُ الحَرْب ، وسَيَّرَهُ إلى حُلوان . فلمّا وصل إلى الجسر هرب في حاشيتِهِ وخدَمِه ، فبعثَ إليه الأمينُ منْ يَرُدُّه . فركبتِ الخيولُ وراءَه ، فأدركوه ، فقاتلهم وقاتلوه فقتلوه ، لمنتصف رجب ، وجاؤوا برأسِهِ إلى الأمين ، وجدَّد الناسُ البيعةَ للأمين يومَ الجمعة .

ولما قُتل الحسين بن علي بن عيسى هرب الفضلُ بن الربيع الحاجب ، واستحوذ طاهر بن الحسين على أكثرِ البلاد للمأمون ، واستنابَ بها النُّوَّاب ، وخلعَ أكثرُ أهلِ الأقاليم الأمينَ وبايعوا المأمون ، ودنا طاهرٌ إلى المدائن ، فأخذها مع واسطَ وأعمالِها ، واستناب من جهتِهِ على الحجازِ واليمنِ والجزيرةِ والموصل ، وغير ذلك ، ولم يبقَ مع الأمينِ من البلادِ إلا القليل .

وفي شعبانَ منها عقَدَ الأمينُ أربعَمئةِ لواء ، مع كلِّ لـواءِ أمير ، وبعثَهُم لقتالِ هَرْثَمـة بن أعين ، فالتقَوْا في شهر رمضان ، فكسَرَهم هَرْثَمة ، وأسر مقدَّمَهم عليَّ بن محمد بن عيسى بن نَهيك ، وبعث به إلى المأمون . وهرب جماعةٌ من جُند طاهر ، فساروا إلى الأمين ، فأعطاهم أموالاً كثيرة وأكرمهم ، وغلَّفَ لِحاهُمْ بالغالِيَة[2] ، فسُمُّوا جيشَ الغالية ، ثم ندَبَهم الأمين ، وأرسل معهم جيشاً كثيفاً لقتالِ طاهر ، فهزمهم طاهرٌ وفرَّق شملَهم ، وأخذ ما كان معهم ، واقترب طاهرٌ من بغداد فحاصرها ، وبعث القُصَّاد والجواسيس ، يُلْقون الفِتْنة بين الجُند ، حتى تفرَّقوا شِيَعاً ، ثم وقع[3] بين الجيش ، وسعَتِ[4]

---

(١) في (ب ، ح) : « فقنعها بالسوط » .

(٢) « الغالية » : نوعٌ من الطِّيب مُركَّب من مِسْك وعَنْبَر وعُود وَدُهْن ، وهي مَعْروفة . والتَّغلُّف بها : التَّلَطُّخ . النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٨٣) .

(٣) كذا في الأصول ، ولعل الصواب : « أوقع » .

(٤) في (ق) : وتشعبت ، وفي (ب) : وشعث ، والمثبت من (ح) .

الأصاغرُ على الأكابر ، واختلفوا على الأمين في سادس ذي الحِجَّة ، فقال بعضُ البغادِدَة :

قُلْ لأمينِ اللهِ في نفسِهِ ما شتَّتَ الجندَ سوى الغاليَهْ
وطاهرٌ نفسي فدا طاهرٍ بِرُسْلِهِ والعدَّة الكافيَهْ
أضْحَى زمامُ الملكِ في كفِّهِ مقاتلاً للفئةِ الباغِيَهْ
يا ناكثاً أسلَمهُ نَكْثُهُ عيوبُهُ في خُبْثِهِ فاشِيَهْ
قد جاءك اللَّيْثُ بشدَّاتِهِ مُسْتكلِباً في أُسْدٍ ضارِيَهْ
فاهْرُبْ ولا مَهْرَبَ من مثلِهِ إلَّا إلى النارِ أوِ الهاوِيَهْ

فتفرَّق على الأمين شملُه ، وحار في أمرِه ، وجاء ابنُ الحسين بجيوشِه ، فنَزَل على بابِ الأنبارِ يومَ الثلاثاء ، لثنتي عشرةَ ليلةً خلتْ من ذي الحجَّة . واشتدَّ الحالُ على أهلِ البلد ، وأخافَ الدُّعَّارُ والشُّطَّارُ أهلَ الصلاح ، وخَربتِ الديار ، وثارتِ الفتنةُ بين الناس ، حتى قاتلَ الأخُ أخاهُ للأهواء المختلفة ، والابنُ أباه ، وجرَتْ شرورٌ عَظيمة ، واختلفتِ الأهواء ، وكَثُرَ الفسادُ والقتلُ داخلَ البلد .

وحجَّ بالناس فيها العباسُ بن موسى بن عيسى الهاشميّ من قِبَلِ طاهر ، ودعا للمأمونِ بالخِلافة بمكَّةَ والمدينة ، وهو أولُ مَوْسمٍ دُعي فيه للمأمون .

وفيها تُوفي :

بَقِيَّةُ بن الوليد الحِمصي[1] : إمامُ أهلِ حِمصَ وفقيهُها ومُحدِّثُها .

وحَفْصُ بن غِيَاث القاضي[2] : عاش فوق التسعين ، ولما احتُضر بكَى بعضُ أصحابه فقال له : لا تبكِ ، والله ما حللتُ سراويلي على حرام قَطّ ، ولا جلس بين يديَّ خصمان فباليْتُ على منْ وقع الحُكم عليه منهما ، قريباً كان أو بعيداً ، مَلِكاً أو سُوقَةً .

---

(١) ترجمته في تاريخ البخاري (٢/ ١٥٠) ، الجرح والتعديل (٢/ ٤٣٤) ، رجال مسلم (١/ ٩٩) ، مولد العلماء ووفياتهم لابن زبر (١/ ٢٧٢ ، ٤٤٠ ، ٢/ ٤٤٤) ، تهذيب الكمال (٤/ ١٩٢) ، المقتنى في سرد الكنى (٢/ ١٤٢) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٨٩) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٥١٨) ، تهذيب التهذيب (١/ ٤١٦) ، تقريب التهذيب (١٢٦) ، طبقات الحفاظ (١٢٦) .

(٢) ترجمته في التاريخ الكبير (٢/ ٢٧٠) ، الجرح والتعديل (٣/ ١٨٥) ، معرفة الثقات للعجلي (١/ ٣١٠) ، مولد العلماء ووفياتهم (١/ ٤٣٧ ، ٤٤٠ ، و٢/ ٦٢٥) ، مشاهير علماء الأمصار (١٧٢) ، الثقات لابن حبان (٦/ ٢٠٠) ، رجال مسلم (١/ ١٤٤) ، تهذيب الكمال (٧/ ٥٦) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٩٧) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٢) ، تهذيب التهذيب (٢/ ٣٥٨) ، تقريب التهذيب (١٧٣) ، طبقات الحفاظ (١٣٠) .

وعبد الله بن مَرْزوق[١] أبو محمد الزاهد ، كان وزيراً للرشيد فترك ذلك كلَّه ، وتزَهَّدَ وأَوْصَى عندَ موتِهِ أن يُطرحَ قبلَ مَوْتِهِ على مَزْبلة ، لعلَّ الله أن يرحَمَه .

أبو الشِّيص الشاعر[٢] محمد بن رَزين بن سليمان[٣] . كان إنشادُ الشعر[٤] وإنشاؤه ونظمُه أسهلَ عليه من شُرب الماء . كذا قال ابنُ خَلِّكان وغيرُه[٥] . وكان هو ومسلم بن الوليد الملقَّب صَريع الغَوَاني ، وأبو نُواس ، ودِعْبِل ، يجتمعونَ ويتناشدون . وقد عَمِيَ أبو الشِّيص في آخرِ عُمرِه . ومن جَيِّد شعرِه قولُه :

وقَفَ الهوى بي حيثُ أنتِ فليس لي ... متــأخَّــرٌ عنــه ولا مُتقــدَّمُ

أجِـدُ المـلامَـةَ فـي هـواكِ لـذيـذةً ... حُبّـاً لِــذِكــرِكِ فَلْيَلُمْنــي اللُّــوَّمُ

أشبَهْـتِ أعـدائـي فصِـرتُ أُحبُّهـمْ ... إذْ كـانَ حظِّـي منـكِ حَظِّـي منهـمُ

وأهَنْتِني فـأهنـتُ نفسـي صـاغـراً ... مـا مَـنْ يَهُـونُ عليـكِ ممَّـن يُكْـرَمُ[٦]

ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومئة

استُهلَّتْ هذه السنةُ وقد ألحَّ طاهرُ بن الحسين وهَرْثمةُ بن أعْيَن ومنْ معَهما في حصارِ بغداد ، والتضييقِ على الأمين ، وهرَبَ القاسمُ بن الرَّشيد ، وعمُّه منصورُ بن المهدي إلى المأمون ، فأكرَمَهما ، وولَّى أخاهُ القاسمَ جُرْجان ؛ واشتدَّ حصارُ بغداد ، ونُصبَ عليها المَجَانيقُ والعَرَّادات ، وضاقَ الأمينُ بهم ذَرْعاً ، ولم يبقَ معه ما يُنفق في الجُنْد ، فاضطُرَّ إلى ضَرْبِ آنيةِ الفِضَّة والذَّهَبِ دراهمَ ودنانير ؛ وهرَبَ كثيرٌ من جُنده إلى طاهر ، وقُتل من أهلِ البلدِ خلقٌ كثير ، وأُخذتْ أموالٌ كثيرةٌ من التجّار ، وبعث الأمينُ إلى قُصورٍ كثيرة ، ودورٍ شهيرةٍ مزخرفة ، وأماكنَ ومَحالَّ كثيرة فحرَّقَها بالنار ، لمَّا رأى في ذلك من

---

(١) ترجمته في الثقات لابن حبان (٨/ ٣٤٥) ، صفة الصفوة (٢/ ٣١٧) .

(٢) ترجمته في الأغاني (١٦/ ٤٣٢) ، تاريخ بغداد (٥/ ٤٠١) ، الفهرست (٢٣٠) ، ديوان الحماسة (٢/ ١٤٣) ، المنتظم لابن الجوزي (١٠/ ٣٣) ، نزهة الألباب في الألقاب (٢/ ٢٦٥) ، النجوم الزاهرة (٢/ ١٥٢) .

(٣) وقيل : محمد بن عبد الله بن رَزين ، وقيل : رزين بن سليمان ، كنيته أبو جعفر . انظر نزهة الألباب في الألقاب (٢/ ٢٦٥) .

(٤) في (ق) : « كان أستاذ الشعراء ، وإنشاء الشعر . . . » ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) .

(٥) لم أجد ترجمة لأبي الشيص في وفيات الأعيان ، ولم أجد فيه هذا النص ، وهذا القول منسوب لابن المعتز في الأغاني (١٦/ ٤٣٢ ، ٤٣٣) .

(٦) الأبيات في ديوان أبي الشيص ص(١٠١) . والأبيات أيضاً في ديوان الحماسة (٢/ ١٤٣ ، ١٤٤) ، ولفظه : « ممن أُكرمُ » .

المصلحة ، فعَلَ كلَّ هذا فِراراً من الموت ، ولِتدومَ الخلافةُ له فلم تَدُمْ ، وقُتل ، وخُرِّبَتْ ديارُه كما سيأتي قريباً ، وفعَلَ طاهرٌ مثلَ ما فَعَلَ الأمين ، حتى كادتْ بغدادُ تخربُ بكمالِها ؛ فقال بعضُهم في ذلك :

مَنْ ذا أصابَكِ يا بغدادُ بالعَيْنِ ... ألم تكوني زماناً قُرَّةَ العَيْنِ

ألم يكنْ فيكِ قومٌ كان مسكنُهم ... وكان قُرْبُهمُ زَيْناً من الزَّيْنِ

صاحَ الغُرابُ بهم بالبَيْنِ فافترقوا ... ماذا لَقِيتُ بهم من لَوْعَةِ البَيْنِ

أستودِعُ الله قوماً ما ذكرْتُهُمُ ... إلَّا تحدَّرَ ماءُ العَيْنِ من عَيْني

كانوا ففرَّقهم دَهْرٌ وصدَّعَهُمْ ... والدَّهْرُ يَصْدَعُ ما بين الفَرِيقَيْنِ[١]

وقد أكثر الشعراءُ في ذلك ، وقد أورد ابنُ جَرير من ذلك طَرَفاً صالحاً ، وأورد في ذلك قصيدةً طويلةً جدّاً ، فيها بَسْطُ ما وَقَعَ ، وهي هَوْلٌ من الأهوال ، اختصرناها بالكلية[٢] .

واستحوذ طاهرٌ على ما في الضياع من الغَلاَّتِ والحواصلِ للأمراءِ وغيرِهم ، ودعاهم إلى الأمانِ والبيعةِ للمأمون ، فاستجاب له جماعة ؛ منهم عبدُ الله بن حُميد بن قَحْطَبة ويحيى بن علي بن ماهان ، ومحمد بن أبي العباس الطوسي ، وكاتَبَهُ خلقٌ من الهاشميِّين والأمراء ، وصارتْ قلوبُهم معَه ، واتفق في بعضِ الأيام أنْ ظَفِرَ أصحابُ الأمينِ ببعضِ أصحابِ طاهِر ، فقتلوا منهم طائفةً عند قَصْرِ صالح ، فلما سمع الأمينُ بذلك بَطِرَ وأشِر ، وأقبل على اللَّهْو والشُّرب واللَّعِب ، ووكَّل الأمورَ وتدبيرَها إلى محمد بن عيسى بن نَهيك ، ثم قَوِيتْ شوكةُ أصحابِ طاهر ، وضَعُفَ جانبُ الأمين جدّاً ، وانحاز الناسُ إلى جيشِ طاهر ، وكان جانبُهُ آمِناً جدّاً ، لا يخافُ أحدٌ فيه من سَرِقةٍ ولا نَهْبٍ ، ولا غيرَ ذلك ، وقد أخذ طاهرٌ أكثرَ مَحالِّ بغدادَ وأرباضِها ومَنَع الملاَّحينَ أن يحملوا طعاماً إلى منْ خالَفَه لِيُضيِّقَ عليهم ، فغلَتِ الأسعارُ جدّاً عند منْ خالفَه ، ونَدِم منْ لم يكنْ خرج من بغدادَ قبل ذلك ؛ ومُنعت التجارُ من القدومِ إلى بغدادَ بشيءٍ من البضائع أو الدقيق ، وصُرفتِ السُّفُن إلى البصرةِ وغيرِها وجرَتْ بين الفريقَيْن حروبٌ كثيرة ، فمن ذلك وقعةُ دَرْبِ الحجارة ، كانتْ لأصحاب الأمين ، قُتل فيها خلقٌ من أصحابِ طاهر ، كان الرجلُ من العيَّارين والحَرافشة من البغادِدة ، يأتي عُرْيانا ومعه بارِيَّةٌ مُقَيَّرَةٌ[٣] ، وتحت كَتِفه مِخلاةٌ فيه حجارة ، فإذا ضربه الفارسُ من بعيدٍ بالسهم اتَّقاه ببارِيَّتِهِ فلا يؤذيه ، وإذا اقترَبَ منه رماهُ بحجرٍ في المِقْلاع أصابه ؛ فهزموهم بذلك . ووَقْعةُ الشَّمَّاسيَّة ، أُسر فيها هَرْثَمة بن أعْيَن ، فشَقَّ ذلك على طاهر ، وأمر بعَقْدِ جسرٍ على دِجْلة فوق الشَّمَّاسيَّة ، وعَبَر طاهرٌ بنفسه ومنْ معه إلى الجانبِ الآخر ، فقاتلهم بنفسِه أشدَّ القتال ،

---

(١) الأبيات منسوبة في تاريخ الطبري (٥/ ١٠٦) إلى عمرو بن عبد الملك الورَّاق ، وفيه زيادة ، وساق خمسة الأبيات أيضاً كما هنا في (٥/ ٧٥) .

(٢) انظر تاريخ ابن جرير الطبري (٥/ ٧٦) وما بعدها .

(٣) « البارِيَّة » : الحصير المنسوج . والمقيَّر : المطلي بالقار . لسان العرب (بور ، قير) .

حتى أزالَهم عن مواضعهم ، واستردَّ منهم هرثمةَ وجماعةً ممن كانوا أسروهم من أصحابه ؛ فشقَّ ذلك على محمدِ الأمين وقال في ذلك :

مُنيتُ بأشجَعِ الثقلَيْنِ قلباً ... إذا ما طال ليس كما يطولُ
له معَ كُلِّ ذي بدَنٍ رقيبٌ ... يُشاهِدُهُ ويعلمُ ما يقولُ
فليس بمُغْفِلٍ أمراً عِناداً ... إذا ما الأمرُ ضَيَّعهُ الغفولُ(١)

وضعف أمرُ الأمينِ جدّاً ولم يبقَ عنده مالٌ يُنفقهُ على جُنده ، ولا على نفسِه ، وتفرَّق أكثرُ أصحابِه عنه ، وبقي مضطهَداً ذليلاً .

ثم انقضَتْ هذه السنةُ بكمالِها والناسُ في بغدادَ في قلاقلَ وزلازل وأهوِيَةٍ مختلفة ، وقتالٍ وحريق وسرقات . فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وساءت بغدادُ فلم يبقَ فيها أحدٌ يردُّ عن أحد ، كما هي عادةُ الفتنة .

وحجَّ بالناس فيها العباسُ بن موسى بن عيسى الهاشمي ، ودعا للمأمون .

وفيها تُوفي من السادةِ الأعيان :

شُعيب بن حَرْب أحدُ الزُّهَّاد ،

وعبدُ الله بن وَهْب إمامُ أهلِ الديارِ المصرية ،

وعبدُ الرحمن بن مُسْهِر ، أخو عليِّ بن مُسْهِر ،

وعثمان بن سعيد الملقَّب بوَرْش أحدُ القرَّاء المشهورين الرواةِ عن نافع بن أبي نُعيم .

ووَكيع بن الجرَّاح الرُّؤَاسي أحدُ أعلامِ المحدِّثين . مات عن ستٍّ وستين سنة .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وتسعين ومئة

فيها خامَرَ خُزيمة بن خازم على محمدِ الأمين ، وأخذ الأمانَ من طاهر ، ودخل هَرْثمةُ بن أعْيَن من الجانب الشرقي . وفي يوم الأربعاء لثمانٍ خلَوْنَ من المحرَّم وثَبَ خُزيمةُ بن خازم ومحمدُ بن علي بن عيسى على جسرِ بغداد فقطَعاه ونصَبَا رايتَهما عليه ؛ ودعَوْا إلى بيعةِ عبدِ الله المأمون ، وخَلْعِ محمدِ الأمين . ودخل طاهرٌ يومَ الخميس إلى الجانب الشَّرْقي ، فباشر القتالَ بنفسِه ، ونادَى بالأمانِ لمنْ لزم مَنْزِله . وجرَتْ عند دارِ الرقيقِ والكَرْخ وغيرِهما وقعات ؛ وأحاطوا بمدينةِ أبي جعفر والخُلْد ، وقصرِ زُبيدة ، ونصَبَ المجانيق حولَ السُّور وحذاءَ قصرِ زُبيدة ، ورماهُ بالمنجنيق ، فخرج الأمينُ بأُمِّهِ وولَدِه إلى

---

(١) الأبيات في تاريخ الطبري (٥/ ٨٧) .

مدينةِ أبي جعفر ، وتفرَّق عنه عامَّة الناس في الطريق ، لا يَلْوي أحدٌ على أحد ، حتى دخل قصرَ أبي جعفر ، وانتقل من الخُلْد لكثرةِ ما يأتيه فيه من رَمْي المنجنيق ، وأمَرَ بتحريقِ ما كان فيه من الأثاث ، والبُسطِ والأمتعة ، وغيرِ ذلك . ثم حُصر حَصْراً شديداً ، ومع هذه الشِّدَّة والضِّيق ، وإشرافِهِ على الهلاك خرج ذاتَ ليلةٍ في ضوءِ القمر إلى شاطىء دِجْلة ، واستدعى بنبيذٍ وجارية ، فغنَّتْه ، فلم ينطلق لسانُها إلَّا بالفراقيَّاتِ وذكرِ الموت ، وهو يقول : غيرَ هذا . وتذكر نظيرَه حتى غنَّته آخرَ ما غنَّته :

أمـا وربِّ السُّكـونِ والحَـرَكِ ... إنَّ المنـايـا كثيـرةُ الشَّـرَكِ

ما اختلفَ الليلُ والنهارُ ولا ... دارَتْ نجومُ السماءِ في الفَلَكِ

إلَّا لِنَقْلِ السلطـانِ مـن مَلِـكٍ ... غاوٍ يُحبُّ الدُّنيا إلى مَلِكٍ[1]

ومُلكُ ذي العرشِ دائمٌ أبداً ... ليـس بفـانٍ ولا بمُشْتَـرَكِ[2]

قال فسبَّها وأقامَها من عندِه ، فعثَرَتْ في قَدحٍ كان له بِلَّوْر فكسرتْه فتطيَّرَ بذلك . ولما ذهبتِ الجاريةُ سمع صارخاً يقول : ﴿ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ [يوسف : ٤١] . فقال لجليسِه : ويحك ألا تسمع ؟ فتسمَّع ، فلم يسمع شيئاً ، ثم عادَ الصوتُ بذلك ، فما كان إلَّا ليلةٌ أو ليلتان ، حتى قُتل في رابعِ صفـر ، يـوم الأحد ، وقد حصل له من الجهد والضِّيق في حَصْرِه شيئاً كثيراً ، بحيثُ إنه لم يبقَ له طعامٌ يأكلُه ، ولا شراب ، فجاع ليلةً فما أُتي برغيفٍ ودجاجة إلَّا بعد شدَّةٍ عظيمة ، ثم طلب ماءً فلم يوجدْ له . فبات عطشاناً[3] ، فلما أصبح قُتل قبلَ أن يشرَبَ الماء .

كيفيةُ مَقْتَلِه

لما اشتدَّ به الأمر اجتمع عندَهُ مَنْ بَقِيَ من الأمراء والخدَم والجُند ، فشاورهم في أمرِه ، فقالتْ طائفة : تذهَبُ بمنْ بَقِيَ معك إلى الجزيرةِ أو الشام ، فتتقوَّى بالأموال ، وتستخدمُ الرجال . وقال بعضُهم : تخرُج إلى طاهر ، وتأخذُ منه أماناً وتُبايعُ لأخيك ، فإذا فعلتَ ذلك فإنَّ أخاكَ سيأمُرُ لك بما يكفيكَ ويكفي أهلَكَ من أمرِ الدنيا ، وغايةُ مرادِك الدَّعَةُ والرَّاحة ، وذلك يحصُل لك تامّاً . وقال بعضُهم : بل هَرْثمة أولى بأنْ يأخذَ لك منه الأمان ، فإنَّه مولاكم ، وهو أحْنَى عليك . فمالَ إلى ذلك ؛ فلما كانتْ ليلةُ الأحد الرابع من صفر بعدَ عشاء الآخِرة واعَدَ هرثمةَ أنْ يخرجَ إليه ، ثم لبس ثيابَ الخلافةِ

---

(١) في (ق) : « قد انقضى ملكه إلى ملك » ، وفي تاريخ الطبري (٥/ ٩٣) : « عان بحب الدنيا إلى ملك » . والمثبت من (ب ، ح) .

(٢) الأبيات في تاريخ الطبري (٥/ ٩٣) ، ورويت ضمن أبيات أخر فيه (٤/ ٥٤٣) ، والكامل في التاريخ لابن الأثير (٥/ ٤٠١) ، وبغية الطلب (٣/ ١٤٩٢) .

(٣) كذا في الأصول ، ويصح صرفه ، لأنه يقال في مؤنثه : عطشانة وعطشى . كما في لسان العرب (عطش) .

وطَيْلساناً ، واستدعَى بولدَيْه فشمَّهما وضمَّهما إليه وقال : أستودِعُكما الله . ومسح دموعَه بطرَفِ كُمِّه ، ثم ركب على فرسٍ سوداء ، وبين يديه شمعة ، فلما انتهَى إلى هَرْثمة ، أكرَمَهُ وعظَّمه ، وركبا في حرَّاقةٍ في دِجلة . وبلغ ذلك طاهراً ، فغَضِبَ من ذلك وقال : أنا الذي فعلتُ هذا كلَّه ويذهبُ إلى غيري ، ويُنسب هذا كلُّهُ إلى هرثمة ؟ فلَحِقهما وهما في الحرَّاقة ، فأمالهَا أصحابُهُ فغَرِقَ منْ فيها ؛ غيرَ أنَّ محمداً الأمين سبَحَ إلى الجانبِ الآخر ، وأسرَهُ بعضُ الجُند ، وجاء فأعلَمَ طاهراً ؛ فبعث إليه جُنداً من العجم ، فجاؤوا إلى البيت الذي أوى إليه ، وعندَهُ بعضُ أصحابِهِ وهو يقول له : ادْنُ منِّي ، فإني أجدُ وحشةً شديدة . وجعل يلتفُّ في ثيابه شديداً ، وقلبُهُ يخفقُ خفقاناً عظيماً كادَ يخرُجُ من صدرِه ، فلما دخل عليه أولئك قال : إنَّا لله وإنا إليه راجعون . ثم دَنَا منه أحَدُهم فضرَبَهُ بالسيف على مَفْرِقِ رأسِه ، فجعل يقول : وَيْحَكم أنا ابنُ عمِّ رسول الله ﷺ ، أنا ابنُ هارون ، وأنا أخو المأمون ، اللهَ اللهَ في دمي . فلم يلتفتُوا إلى شيءٍ من ذلك ، بل تكاثروا عليه وذَبَحوهُ من قفاه ، وهو مكبوبٌ على وجهِه ، وذهبوا برأسِه إلى طاهر ، وتركوا جُثَّتَه ، ثم جاؤوا بُكْرَةً إليها ، فلفُّوها في جُلِّ فَرَس ، وذهبوا بها ، وذلك ليلةَ الأحد ، لأربعِ ليالٍ خلَتْ من صفر من هذهِ السنة .

شيءٌ من ترجمته[1]

هو محمد الأمين بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، أبو عبد الله ، ويقال أبو موسى الهاشمي العباسي ، وأمُّه أمُّ جعفر زُبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور . كان مولدُه بالرُّصافة سنةَ سبعين ومئة .

قال أبو بكر بنُ أبي الدنيا : حدّثنا عباس[2] بن هشام عن أبيه قال : ولد محمد الأمين بنُ هارون الرشيد في شوال سنة سبعين ومئة . وأتته الخلافةُ بمدينة السلام بغداد لثلاثَ عشرةَ ليلةً بقيتْ من جُمادى الآخرة سنة ثلاثٍ وتسعين ، وقيل : ليلةَ الأحد لخمسٍ بَقِينَ من المحرَّم ، وقُتل سنةَ ثمانٍ وتسعين ومئة ، قتله قريش الدَّنْدَاني ، وحمل رأسَهُ إلى طاهرِ بن الحسين ، فنصبه على رمح ، وتلا هذه الآية : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ [آل عمران : ٢٦] ، وكانت ولايتُهُ أربعَ سنين وسبعةَ أشهر وثمانيةَ أيام . وكان طويلاً سميناً أبيض ، أقْنَى الأنف ، صغيرَ العينَيْن ، عظيمَ الكراديس ، بعيدَ ما بينَ المَنْكِبَيْن ، وقد رماه بعضُهم بكثرةِ

---

(١) ترجمته في تاريخ بغداد (٣/ ٣٣٦) ، المنتظم لابن الجوزي (٩/ ٢١٨) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٣٤) ، تاريخ الخلفاء (٢٩٧) .

(٢) في (ق) : عياش بن هشام ، وهو تصحيف ، وسقط الاسم من (ب) وليس الخبر في (ح) ، والتصحيح من تاريخ بغداد (٣/ ٣٣٧) . وترجمة أبيه في لسان الميزان (٦/ ١٩٦) ، وهو العباس بن هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، وهو شيخ لابن أبي الدنيا .

اللعب والشُّرب ، وقِلَّةِ الصلاة . وقد ذكر ابنُ جرير طرفاً من سيرته[١] في إكثاره من اقتناء السُّودان والخِصْيَان ، وإعطائه الأموالَ والجواهر ، وأمْرِهِ بإحضارِ الملاهي والمغنِّين من سائر البلاد ، وأنه أمَرَ بعمَلِ خمسِ حرَّاقاتٍ على صورةِ الفيلِ والأسدِ والعُقاب ، والحيَّةِ والفرس ، وأنفق على ذلك أموالاً جزيلةً جدّاً ، وقد امتدَحَهُ أبو نواس بشعرٍ أقبحَ في معناه من صنيعِ الأمين ، فإنه قال في أوله :

سخَّـرَ الله لـلأميـنِ مطـايـا ... لـم تُسَخَّـرْ لصاحـبِ المحرابِ
فـإذا مـا رِكـابُـهُ سِـرْنَ بَـرّاً ... سار في الماء راكباً ليثَ غابِ[٢]

ثم وصف كلاً من تلك الحرَّاقات ، واعتنى الأمين ببنايات هائلة ، للنُّزْهَة وغيرِها ، وأنفق في ذلك أموالاً كثيرةً جدّاً ، فكثُرَ النَّكيرُ عليه بسببِ ذلك .

وذكر ابنُ جرير[٣] أنَّه جلس يوماً في مجلس أنفق عليه مالاً جزيلاً في الخُلد ، وقد فُرش له بأنواع الحرير ، ونُضِّد بآنيةِ الذهبِ والفضة ، وأحضر نُدَماءه ، وأمر القَهْرَمانةَ أنْ تُهيِّىء له مئةَ جاريةٍ حسناء ، وأمرها أن تبعثَهن إليه عشراً بعد عشرٍ يُغنِّينَه ، فلما جاءتِ العشرُ الأُوَل اندفَعْنَ يُغَنِّينَ بصوتٍ واحد :

همـو قتلـوهُ كـي يكـونـوا مكـانَـهُ ... كما غدرَتْ يوماً بكِسْرى مَرَازِبُهْ

فغضب من ذلكَ وتبَرَّم ، وضرب رأسَها بالكأس ، وأمر بالقَهْرمانة أنْ تُلقَى إلى الأسد فأكلها . ثم استدعى بعشرةٍ فاندفَعْنَ يُغَنِّين :

منْ كان مسروراً بمقتلِ مالكٍ ... فليـأتِ نسـوتَنـا بـوَجْـهِ نَهـارِ
يجـدِ النسـاء حـواسـراً يَنْـدُبْنَـهُ ... يَلْطِمْـنَ قبـلَ تَبَلُّـجِ الأسحـارِ

فطردَهُنَّ واستدعى بعشرٍ غيرِهنّ ، فلما حضَرْنَ اندفَعْنَ يُغَنِّينَ بصوتٍ واحد :

كُليبٌ لعَمْرِي كان أكثرَ ناصراً ... وأيسَـرَ ذنبـاً منـكَ ضُرِّجَ بـالـدَّمِ

فطرَدهنَّ وقام من فورِه ، وأمر بتخريبِ ذلك المجلس ، وتحريقِ ما فيه .

وذكر[٤] أنه كان كثيرَ الأدب ، فصيحاً يقولُ الشعر ، ويُعطي عليه الجوائزَ الكثيرة ، وكان شاعرُه أبا نواس ، وقد قال فيه أبو نُوَاس مدائحَ حساناً ، وقد وجدَهُ مسجوناً في حبسِ الرشيدِ مع الزنادقة ، فأحضرَهُ وأطلقه ، وأطلق له مالاً وجعلَهُ من ندمائه . ثم حبسه مرَّةً أخرى في شُرب الخمر ، وأطال

---

(١) انظر تاريخ الطبري (٥/ ١١٠) وما بعدها .
(٢) البيتان في ديوان أبي نواس ص(٨٣) .
(٣) في تاريخه تاريخ الطبري (٥/ ١١٣ ، ١١٤) .
(٤) يعني الطبري في تاريخه (٥/ ١١٤) وما بعدها .

حبسَه ، ثم أطلقَهُ وأخذ عليه العهدَ أن لا يشربَ الخمر ، ولا يأتي الذُّكور من المُرْدان ، فامتثل ذلك ، وكان لا يفعلُ شيئاً من ذلك بعدَ ما استتابه الأمين . وقد تأدَّب على الكِسَائي ، وقرأ عليه القرآن . وروى الخطيبُ من طريقِه[1] حديثاً أورده عنه لَمَّا عُزِّي في غلامٍ له تُوفي بمكة فقال : حدثني أبي عن أبيه ، عن المنصور ، عن أبيه ، عن علي بن عبدِ الله ، عن أبيه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « مَنْ ماتَ مُحْرِماً حُشِرَ مُلَبِّياً »[2] .

وقد قدَّمنا ما وقع بينه وبين أخيه من الاختلاف والفُرقة حتى أفضى ذلك إلى خَلْعِه وعَزْله ، ثم إلى التضييق عليه ، ثم إلى قتله ، وأنه حُصر في آخر أمرِه حتى احتاج إلى مُصانعةِ هَرْثَمة ، وأنه أُلقي في حرَّاقة ثم أُلقي منها فسبَح إلى الشطِّ الآخر ، فدخل دارَ بعضِ العامَّة ، وهو في غايةِ الخوف والدَّهَشِ والجوعِ والعُرْي ، فجعل الرجلُ يُلقِّنه الصبرَ والاستغفار ، فاشتغل بذلك ساعةً من الليل ، ثم جاء الطلَبُ وراءه من جهةِ طاهرِ بن الحسين بن مُصْعب ، فدخلوا عليه وكان البابُ ضيقاً ، فتدافعوا عليه ، وقام إليهم فجعَلَ يُدافعُهم عن نفسِه بِمخدَّةٍ في يدِه ، فما وصلوا إليه حتى عرقبوه ، وضربوا رأسَه أو خاصرتَهُ بالسيوف ، ثم ذبحوه وأخذوا رأسَه وجُثَّته ، فأتَوْا بهما طاهراً ، ففَرِح بذلك فرحاً شديداً ، وأمر بنَصْبِ الرأسِ فوقَ رُمْحٍ هناك ، حتى أصبح الناسُ فنظروا إليه فوق الرمح عند بابِ الأنبار . وكثر عددُ الناس ينظرون إليه ، ثم بعث طاهرٌ برأسِ الأمينِ مع ابنِ عمِّه محمد بن مصعب ، وبعث معه بالبُرْدَةِ والقضيبِ والنَّعْل ، وكان من خُوصٍ مُبَطَّن ، فسلَّمَهُ إلى ذي الرِّيَاستَيْن ، فدخل به على المأمون على تُرْس ، فلما رآه سجد ، وأمر لمن جاء به بألفِ ألفِ درهم . وقد قال ذو الرياستَيْن حين قدم الرأس يُؤلِّب على طاهر : أمرناه بأن يأتيَ به أسيراً ، فأرسل به إلينا عَقِيراً ! فقال المأمون : مضى ما مضى ، وكتب طاهرٌ إلى المأمون كتاباً ذكرَ فيه صورةَ ما وقع حتى آلَ الحالُ إلى ما آلَ إليه . ولما قُتل الأمين هدَأتِ الفِتَن ، وخمدتِ الشرور ، وأمن الناس ، وطابتِ النفس ، ودخل طاهر بغدادَ يومَ الجمعة ، وخطبهم خُطبةً بليغة ، ذكر فيها آياتٍ كثيرةً من القرآن ، وأنَّ الله يفعَلُ ما يشاء ، ويحكُمُ ما يُريد ، وأمرهم فيها بالجماعةِ والسمعِ والطاعة ، ثم خرج إلى معسكرِهِ فأقام به ، وأمر بتحويلِ زُبيدةَ من قصرِ أبي جعفر إلى قصر الخُلد ، فخرجتْ يومَ الجمعةِ الثاني عشر من ربيعٍ الأول من هذه السنة ، وبعث بموسى وعبدِ الله ابنَي الأمين إلى عمِّهما المأمون بخراسان ، وكان ذلك رأياً سديداً . وقد وثب طائفة من الجند على طاهر بعدَ خمسةِ أيام من مقتلِ الأمين ، وطلبوا منه أرزاقَهم ، فلم يكنْ عندَهُ إذْ ذاك مال ، فتحزَّبوا واجتمعوا ، ونَهبوا بعضَ متاعِه ، ونادَوا : يا موسى ، يا منصور ، واعتقدوا أنَّ موسى بن الأمين الملقَّب بالناطق هناك ، وإذا هو قد سيَّرَهُ إلى عمِّه . وانحاز طاهرٌ بِمَنْ معه من القوَّاد ناحيةً ، وعزَمَ على قتالِهم بِمَنْ معه . ثم رجعوا إليه واعتذروا ونَدِموا . فأمر لهم برِزْقِ أربعة

(١) في تاريخ بغداد (٣/ ٣٣٨) .

(٢) وذكره المناوي في فيض القدير (٦/ ٢٢٥) ، وعزاه إلى الخطيب ، وهو حديث ضعيف .

أشهر بعشرينَ ألفَ دينار ، اقترَضَها من بعضِ الناس ، فطابتِ الخواطر . ثم إنَّ إبراهيم بن المهدي قد أسِفَ على قَتْل محمدٍ الأمينِ بن زُبيدة ، ورثاهُ بأبيات ، فبلغ ذلك المأمون ، فبعث إليه يُعنِّفُه ويَلُومُه على ذلك . وقد ذكر ابنُ جرير مراثِيَ كثيرةً للناس في الأمين[1] ، وذكر من أشعارِ الذين هجَوْه طرَفاً ، وذكر من شعر طاهر بن الحسين حين قتله قوله :

ملكتَ الناسَ قَسْراً واقتِدارا وقَتَّلْـتَ الجبـابـرةَ الكِبَـارا
ووجَّهْتَ الخلافةَ نحوَ مَرْوٍ إلـى المـأمـونِ تبتـدرُ ابتِـدَارا

خلافة عبد الله المأمون بن الرشيد هارون

لما قُتل أخوه محمد في رابعِ صفر من سنةِ ثمان وتسعين ومئة ، وقيل في المحرم استَوْسَقَتِ البيعةُ شرقاً وغرباً للمأمون عبد الله بن الرشيد ، فولَّى الحسنَ بن سهل نيابةَ العِراق وفارس والأهواز والكوفة والبصرة والحجاز واليمن ، وبعثَ نُوَّابَهُ إلى هذه الأقاليم ، وكتب إلى طاهرِ بن الحسين وهو ببغداد أنْ ينصرفَ إلى الرَّقَّة لِحَرْب نَصْر بن شَبَث ، وولَّاه نيابةَ الجزيرةِ والشام والموصل والمغرب ، وكتب إلى هَرْثَمة بنِ أَعْيَن بِنيَابةِ خُراسان .

وفيها حَجَّ بالناس العباسُ بن موسى بن عيسى الهاشمي .

وفيها تُوفي :

سفيان بن عُيينة .

وعبدُ الرحمن بن مهدي .

ويحيى بن سعيد القطَّان .

فهؤلاء الثلاثة سادةُ العلماءِ في الحديثِ والفِقْه وأسماءِ الرجال .

ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومئة

فيها قَدِم الحسنُ بن سهل بغدادَ نائباً عليها من جهةِ المأمون ، ووجَّه نُوَّابَهُ إلى بقيةِ أعمالِه . وتوجَّه طاهرٌ إلى نيابةِ الجزيرةِ والشام وبلاد المغرب . وسار هَرْثَمةُ إلى خراسانَ نائباً عليها . كان قد خرج في أواخرِ السنة الماضية في ذي الحِجَّة منها الحسن بن الهرش[2] يدعو إلى الرِّضَا من آلِ محمد ، فجَبَى

---

(١) انظر تاريخ الطبري (٥/ ١٠٥) وما بعدها .

(٢) كذا في (ب ، ح) ، وفي (ق) وتاريخ الطبري (٥/ ١٢١) : « الحسن الهرش » .

الأموال ، وانتهَبَ الأنعام ، وعاث في البلادِ فساداً ، فبعث إليه المأمونُ جيشاً فقتلوهُ في المحرَّم من هذهِ السنة .

وفيها خرج بالكوفة محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب يومَ الخميس لعشرِ خلَوْنَ من جُمادَى الآخرة ، يدعو إلى الرِّضا من آلِ محمد ، والعمل بالكتابِ والسُّنَّة ، وهو الذي يُقال له ابن طَبَاطَبَا ، وكان القائمَ بأمرِهِ ، وتدبيرِ الحرب بين يدَيه أبو السرايا السَّرِيُّ بن منصور الشيباني ، وقد اتفق أهلُ الكوفة على موافقتِه ، واجتمعوا عليه من كلِّ فَجٍّ عميق ، ووَفَدَتْ إليه الأعرابُ من نواحي الكوفة ، وكان النائبَ عليها من جهةِ الحسن بن سهل سليمانُ بنُ أبي جعفر المنصور ، فبعث الحسنُ بن سهل يلومه ويؤنِّبُه على ذلك ، وأرسل إليه بعشرةِ آلافِ فارس صُحْبَةَ زاهرِ بن زُهير بن المُسَيَّب ، فتقاتلوا خارجَ الكوفة ، فهزموا زاهراً واستباحوا جيشَه ، ونَهبوا ما كان عليه ، وذلك يوم الأربعاء سَلْخَ جُمادَى الآخرة ، فلما كان الغَدُ من الوَقْعة تُوفي ابنُ طَبَاطَبَا أميرُ الشيعةِ فجأة ، يُقال : إنَّ أبا السرايا سَمَّه وأقامَ مكانَهُ غُلاماً أمْرَد ، يُقال له محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . وانعزل زاهرٌ بِمَنْ بقي معه من أصحابِهِ إلى قصرِ ابنِ هُبيرة ، وأرسل الحسنُ بن سهل مع عَبْدوس بن محمد أربعةَ آلاف فارس ، صورةَ مددٍ لِزاهر ، فالتقَوْا هُمْ وأبو السرايا فهزَمَهم أبو السرايا ، ولم يُفلتْ من أصحابِ عَبدوس أحد . وانتشر الطالبيُّون في تلك البلاد ، وضرب أبو السرايا الدراهمَ والدنانيرَ في الكوفةِ ، ونقشَ عليه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا ﴾ [الصف : ٤] ، الآية ، ثم بعث أبو السرايا جيوشَهُ إلى البصرةِ وواسِط والمدائن ، فهزموا مَنْ فيها من النُّوَّاب ، ودخلوها قَهْراً ، وقَوِيَتْ شوكتُهم ، فأهمَّ ذلك الحسنَ بنَ سهل ، وكتب إلى هرثمة يستدعيه لِحَرْبِ أبي السرايا فتمَنَّع ، ثم قدم عليه ، فخرج إلى أبي السرايا ، فهزم أبا السرايا غَيرَ مرَّة ، وطرَدَه حتى ردَّهُ إلى الكوفة . ووثب الطالبيُّون على دُور بني العباس بالكوفة فنهبوها ، وخربوا ضياعَهم ، وفعلوا أفعالاً قبيحة ، وبعث أبو السرايا إلى المدائن ، فاستجابوا وبعث إلى أهلِ مكة حُسين بن حسن الأفطس لِيُقيم لهم الموسم ، فخافَ أن يدخلَها جَهْرةً ، ولما سمع نائبُ مكة وهو داود بن عيسى بن موسى بن علي بن عبد الله بن عباس هرب من مكة طالباً أرضَ العراق . وبقي الناسُ بلا إمام ، فسئل مؤذِّنُها أحمد بن محمد بن الوليد الأزرقي أنْ يُصلِّيَ بِهم فأبى ، فقيل لقاضيها محمد بن عبد الرحمن المخزومي فامتنعَ وقال : لِمَنْ أدعو وقد هرَبَ نُوَّابُ البلاد ؟ فقدَّم الناسُ رجلاً منهم فصلَّى بِهمُ الظهرَ والعصر ، وبلغ الخبرُ إلى حسين الأفطس ، فدخل مكةَ في عشرةِ أنفُسٍ قبلَ الغروب ، فطافَ بالبيت ثم وقف بعرَفَةَ ليلاً ، وصلى بالناس الفجرَ بِمُزْدَلِفَة ، وأقام بقيَّةَ المناسِك في أيامِ منَى ، فدَفَع الناسُ من عرَفَةَ بغيرِ إمام .

فيها تُوفي :

إسحاق بن سليمان .

وابنُ نُمير .

وابنُ سابور .

وعمرو العَنْبري .

وأبو مُطيع البَلْخي[١] .

ويونس بن بُكير .

ثم دخلت سنة مئتين من الهجرة

في أول يومٍ منها جلس حُسين بن حسن الأفطس على طِنْفِسَةٍ مثلَّثةٍ خلفَ المقام ، وأمرَ بتجريدِ الكعبة مِمَّا عليها من كساوَى بني العباس وقال : نُطَهِّرُها من كساويهم . وكساها مُلاءتَيْن صفراوَيْن ، عليهما اسمُ أبي السرايا ، ثم أخذ ما في كَنْز الكعبةِ من الأموال ، وتتبَّع ودائعَ بني العباس فأخذها ، حتى إنه أخذَ مالَ ذوي المال ، ويزعُم أنه للمسوِّدة ، وهرب منه الناسُ إلى الجبالِ وسبَكَ ما على رؤوس الأساطينِ من الذهب ، وكان يَنْزِلُ مِقدارٌ يسيرٌ بعد جهد ، وقلعوا ما في المسجِد الحرام من الشبابيك وباعوها بالبَخْس ، وأساؤوا السِّيرة جدّاً ، فلما بلغَهُ مقتل أبي السرايا كتَمَ ذلك ، وأمَّرَ رجلاً من الطالبيِّين شيخاً كبيراً ، واستمرَّ على سوء السيرة ، ثم هرب في سادس عشر المحرَّم منها وذلك لما قهر هرثمةُ أبا السرايا ، وهزم جيشَه وأخرجه ومَنْ معَهُ من الطالبيِّين من الكوفة ، ودخلها هرثمةُ ومنصور بن المهدي ، فأمَّنوا أهلَها ولم يتعرَّضوا لأحد .

وسار أبو السرايا بِمَنْ معه إلى القادسيَّة ، ثم سار منها فاعترضهم بعضُ جيوشِ المأمون فهزمهم أيضاً وجُرح أبو السرايا جِراحةً مُنكرة جدّاً ، وهربوا يريدون الجزيرة إلى مَنْزل أبي السرايا برأس العَين ، فاعترضهم بعضُ الجيوش أيضاً ، فأسروهم وأتَوْا بهم الحسَن بن سهل وهو بالنَّهْرَوَان ، حين طردَتْهُ الحربيَّة ، فأمر بضرْبِ عُنق أبي السرايا ، فجَزِع من ذلك جزَعاً شديداً جدّاً ، وطِيف برأسه ، وأمر بجسده أن يقطَّع اثنتين ، وينصب على جسري بغداد . فكان بين خروجه وقتلِه عشرةُ أشهر . فبعث الحسنُ بن سهل محمدَ بن محمد إلى المأمون مع رأسِ أبي السرايا ، وقال بعض الشعراء :

ألم تَرَ ضَرْبَةَ الحسنِ بْن سَهْلٍ بسيفِـكَ يـا أميـرَ المـؤمنينـا

---

(١) في(ح ، ق) : والد مطيع البلخي ، وهو تصحيف ، والمثبت من(ب) ، وهو الحكم بن عبد الله أبو مطيع البلخي ، ترجمته في الجرح والتعديل (٣/ ١٢١) ، وميزان الاعتدال (٢/ ٣٣٩) .

أدارَتْ مَرْو رأسَ أبي السَّرَايا   وأثبــتَ عِبْـرَةً للعــالمينـا[1]

وكان الذي في يدِه البصرةُ من الطالبيِّين زيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ، ويقال له زيد النار لكثرةِ ما حرَّق من البيوت التي للمسوِّدة ، فأسرَهُ عليُّ بن سعيد ، وأمَّنه وبعث به وبِمَنْ معه من القوَّاد إلى اليمن لِقتالِ مَنْ هناك من الطالبيِّين .

وفيها خرج باليمن إبراهيمُ بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ، ويقال له الجزَّار لكثرةِ مَنْ قتَلَ من أهلِ اليمن ، وأخذ من أموالِهم ، وهو الذي كان بمكةَ وفعَلَ فيها ما فعَلَ كما تقدَّم . فلمَّا بلغَهُ قتلُ أبي السرايا هرب إلى اليمن ، فلما بلغ نائبَ اليمنِ خبَرهُ ترك اليمنَ وسار إلى خُراسان . واجتاز بمكة ، وأخذ أُمَّه منها ، واستحوذ إبراهيمُ هذا على بلادِ اليمن ، وجرَتْ حروبٌ كثيرةٌ يطولُ ذكرُها . ورجع محمد بن جعفر العلوي عمَّا كان يزعُمه ، وكان قد ادَّعى الخلافةَ بمكة ، وقال : كنتُ أظنُّ أن المأمونَ قد مات ، وقد تحقَّقتْ حياتُه وأنا أستغفرُ الله وأتوبُ إليه مِمَّا كنتُ ادَّعَيتُ من ذلك ، وقد رجعتُ إلى الطاعة ، وأنا رجلٌ من المسلمين .

ولما هُزم هرثمةُ راسلَ ابا السرايا ، وهو الذي أمرَهُ بالظهور ، فاستدعاه المأمونُ إلى مَرْو ، فأمر به فضُرب بين يديه ، ووُطِىء بطنُه ، ثم رُفع إلى الحبس ، ثم قُتل بعدَ ذلك بأيام . وانطوَى خبَرُه بالكليَّة . ولما وصل خبَرُ قتلِهِ إلى بغداد عبثَتِ العامَّةُ والحربيَّةُ بالحسن بن سهل نائبِ العراق وقالوا : لا نَرْضَى به ولا بعُمَّالِه ببلادِنا . وأقاموا إسحاقَ بن موسى المهدي نائباً . واجتمع أهلُ الجانبَيْنِ على ذلك ، والتفَّتْ على الحسنِ بن سهل جماعةٌ من الأمراءِ والأجناد ، وأرسل مَنْ وافق العامَّةَ على ذلك من الأمراء يحرِّضُهم على القتال ، وجرت الحروبُ بينهم ثلاثةَ أيام في شعبانَ من هذهِ السنة ، ثم اتفق الحالُ على أن يُعطيَهم شيئاً من أرزاقهم يُنفقونَها في شهرِ رمضان ، فما زال يَمطُلُهم إلى ذي القعدة حتى يدرِكَ الزرع ، فخرج في ذي القَعْدة زيدُ بن موسى الذي يُقال له زيد النار ، وهو أخو أبي السرايا ، وقد كان خروجُه هذه المرة بناحيةِ الأنْبَار ، فبعث إليه عليُّ بن هشام نائبُ بغداد عن الحسنِ بن سهل ، والحسن بالمدائن إذْ ذاك ، فأُخِذ وأُتِيَ به إلى عليِّ بن هشام ، وأطفأ الله نائِرَتَه[2] .

وبعث المأمونُ في هذه السنةِ يطلبُ مَنْ بَقِيَ من العباسيين ، وأحصى كم العباسيُّون ؟ فبلغوا ثلاثةً وثلاثين ألفاً ما بين ذكورٍ وإناث .

وفيها قتَلَتِ الرومُ مَلِكَهم أليون ، وقد ملَكَهم سبعَ سنين ، وملَّكوا عليهم ميخائيل نائبَه .

---

(١) الخبر والبيتان في تاريخ الطبري (٥/ ١٢٧) ، بألفاظ مقاربة .

(٢) « إطفاء النائرة » : القضاء على الحقد والعداوة . لسان العرب (نير) .

وفيها قتل المامونُ يحيى بن عامر بن إسماعيل لأنه قال للمأمون : يا أميرَ الكافرين . فقُتل صبراً بين يديه .

وفيها حجَّ بالناسِ محمدُ بن المعتصِم بن هارون الرشيد .

وفيها تُوفي من الأعيان :

أسباطُ بن محمد .

وأبو ضَمْرَة أنس بن عياض .

وسَلْمُ[1] بن قتيبة .

وعمر بن عبدالواحد .

وابن أبي فديك .

ومُبشِّر بن إسماعيل .

ومحمد بن حمير[2] .

ومعاذ بن هشام .

●●●

(١) في الأصل : مسلمة ، والصواب ما أثبتنا .

(٢) في الأصل : محمد بن جبير ، وهو خطأ .

الفهرس

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع — الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع — الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع — الصفحة

* * *